

تاريخ مصر

من بدايات القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن العشرين

من خلال مخطوطة تاريخ البطارقة لساويرس ابن المقفع

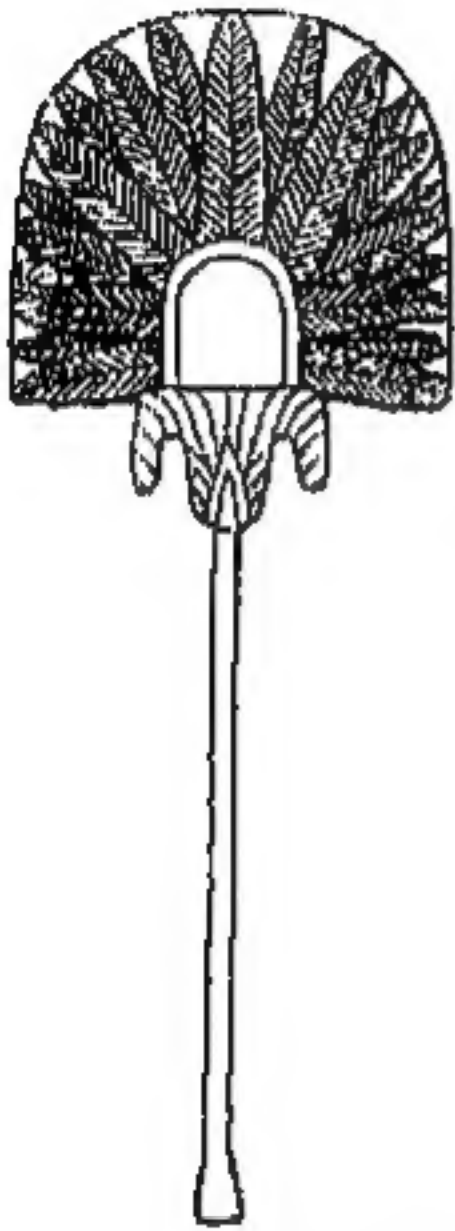
إعداد وتحقيق

عبد العزيز جمال الدين

الجزء الثاني

من مارمرقس حتى البطرك ٣٨ بنيامين الأول ٦٢٢ / ٦٦١ م

مكتبة مدبولي



تاريخ مصر

من بدايات القرن الأول الميلادي
حتى نهاية القرن العشرين
من خلال مخطوطة

تاريخ البطركية

لساويرس بن المقفع

الجزء الثاني

إعداد وتحقيق

عبد العزيز جمال الدين

تاريخ مصر

من بدايات القرن الأول الميلادى
حتى نهاية القرن العشرين
من خلال مخطوطة

تاريخ البطارقة

لساويرس ابن المقفع
الجزء الثانى

إعداد وتحقيق

عبد العزيز جمال الدين

الإخراج الضئى

تأمر ومصرية، عبد العزيز

الطبعة، الأولى ٢٠٠٦

الناشر، مكتبة مديولى

٦ ميدان طلعت حرب القاهرة

ت، ٥٧٥٦٤٢١، تليفاكس، ٥٧٥٢٨٥٤

رقم الإيداع، ١٣٤٣٧/٢٠٠٥

الترقيم الدولى، 6-49-5-208-977

الجمع التصويرى والتنسيق الداخلى،

دار جهاد - ٢٦ ش اسما عيل أباطة -

لاظوغلى - ت، ٧٩٦٤٧٨٢

تاريخ مصر

من بدايات القرن الأول الميلادى
حتى نهاية القرن العشرين
من خلال مخطوطة

تاريخ البطارقة

لساويرس ابن المقفع

الجزء الثانى : من البطرك ٣٩ أغاثون ٦٦١ / ٦٧٧ م حتى البطرك ٥٢ يوسف ٨٣٠ / ٨٤٩ م

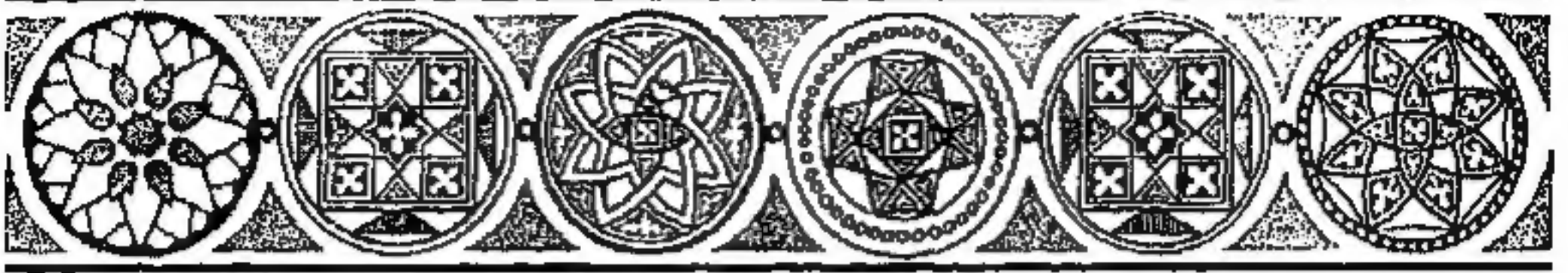
إعداد وتحقيق

عبد العزيز جمال الدين

الناشر :

مكتبة مطبولى

٢٠٠٦



تقديم

ها هو الجزء الثانى من تاريخ البطارقة الذى يستعرض الفترة التاريخية من البطرك ٣٩ «أغاتون» (٦٦١ / ٦٧٧ م) حتى البطرك ٥٢ «يوساب» (٣٨٠ / ٨٤٩ م) وهو ما يغطى فترة الخلافة الأموية والعباسية تقريباً. وقد سرت فيه على منوال الجزء الأول من حيث انتخاب النص من مجموعة المخطوطات التى ذكرتها فى الجزء الأول، والتعليق عليه فى هامش جانبي، هذا بالإضافة إلى المادة التاريخية التى رصدتها فى الجزء الأسفل من صفحات هذا الجزء والتى تتابع مادة المخطوط فى مسيرتها التاريخية انتخبها من كتب المؤرخين المسلمين من أمثال محمد ابن يوسف الكندى وابن عبدالحكم، والواقدي والطبرى والمقرئى وغيرهم.

وفى هذا الجزء السفلى رصدت حوليات مختصرة للسنوات الممتدة من سنة ٦٣٩ إلى سنة ٨٦١ م، ثم اتبعتها بسرد كامل ومتوسع لكل الولاة من عمر ابن العاص حتى بداية حكم الطولونيين.

كما أضفت فى نفس هذا الجزء عرض لتاريخ مصريو النوبة وشمال السودان وعلاقتهم

بالكنيسة المصرية واعتناق ملوكهم للإسلام فيما بعد، والحقت كل ذلك بمطالعات في الفكر الإسلامي من العصرين الأموي والعباسي.

أما عن الهوامش الجانبية فيهمني أن نذكر منها موقف المصريين من الحركات السياسية التي ظهرت في ظل الخلافتين الأموية والعباسية، كذلك العلاقة بين بيزنطة والمسلمين بين عامي ٧١٧ / ٨٦٧ م. والنزاعات داخل الامبراطورية البيزنطية.

وسوف نلاحظ ان ساويرس قدم لنا في هذا الجزء ترجمة لأربعة عشر بطركاً يغطون الفترة التاريخية من عام ٦٦١ م إلى سنة ٨٤٩ م .

ويبدو من هذه التراجم التي صنفها وجمعها ساويرس، أنها كانت بمثابة تقويم أو روزنامة للكنيسة المصرية، وأنها كانت تعتمد على المشاهدات والاتصال بأبطال الحوادث، أو كتابة الأخبار المتواردة حينذاك، فهي أشبه شيء «بالمذكرات» أو «اليوميات»، ولا فتبين من كتابتها الرجوع إلى مؤلفات سابقة أو معاصرة اللهم إلا في النادر.

ونلاحظ أنه منذ القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) - وخاصة منذ غزو العرب لمصر - يصبح تاريخ البطارقة أكثر اكتمالاً وأعظم أهمية، إذ يدون الاخبار ويكتب التراجم كتبة معاصرون، كما يبدأ في هذا القرن السابع الميلادي تاريخ مصر في العصور الوسطى.

ويهدف ساويرس من تراجم البطارقة وسيرهم إلى غرض ديني بحث وهو تمجيد الدين المسيحي والإشادة بالمذهب الأرثوذكسي أو - كما يسميه ساويرس - الأمانة المستقيمة، وبيان جهاد البطارقة في سبيل حمل أمانتهم.

وبالرغم أن هذا الكتاب يختلف في هدفه عن الكتب التاريخية العامة أو الخاصة ومع ذلك فهو يشترك معها جميعاً في أن الدين كان يمتزج بالتاريخ امتزاجاً شديداً وهذه ظاهرة نلمسها في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى كما نلمسها في التاريخ الإسلامي، ومن هنا نرى أن ساويرس وإن كان قد أرخ للبطارقة وللكنيسة القبطية في ظل الحكم الإسلامي إلا أنه اشترك مع المؤرخين المسلمين ومؤرخي العصور الوسطى الأوروبية في أنه مزج بين الدين والتاريخ.

كذلك نرى مؤرخ البطارقة يشترك مع المؤرخين المسلمين ومؤرخي أوروبا في العصور الوسطى في سرد الأساطير والقصص العجيبة والخوارق والكرامات، فيحدثنا مثلاً عن الدموع

التي تسيل من صور القديسين والشهداء، والدم الذي يقطر من هذه الصور والأيدى التي تمتد خارجها، كما يكثر ساويرس من ذكر كرامات بعض البطارقة ورجال الدين المسيحيين، مثل إعادة البصر لمن فقدته وإعادة الحياة لمن غرق، وإعادة الصحة لمن استعصى شفاؤه

وليس هذا الكلام بمستغرب على ساويرس، فإن ساويرس يمثل عقلية العصور الوسطى، إذ كان الاعتقاد بالخرافات والكرامات لا يقتصر على الطبقة العامة كما هو معروف الآن وإنما كان هذا الاعتقاد شائعاً بين مختلف طبقات الشعب.

كذلك نرى ساويرس - مثل غيره من مؤرخي العصور الوسطى - يعلل الأشياء في الغالب تعليلاً ألهياً سماوياً فكل ما يحدث سببه رضا الله أو غضبه وسخطه، ولا يحاول بعد ذلك تعليل الأشياء بالدرس والنقد والتحقيق.

يتعرض كتاب ساويرس - خلال تراجم البطارقة - لتاريخ العصور الوسطى وطبيعي أن يركز ساويرس اهتمامه بتاريخ مصر، فبين لنا كيف تم غزوها على يد العرب، ثم كيف كانت معاملة الفاتحين العرب للمصريين من النواحي الدينية والمالية والاجتماعية والإدارية.

كذلك يفصل ساويرس الكلام على الأحداث الهامة السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في العصر الذي اصطلاحنا على تسميته «عصر الولاة» وهو الذي يبدأ بغزو العرب لمصر وينتهي بقدم أحمد بن طولون إليها وتأسيسه الدولة الطولونية فيها.

وقد أشار ساويرس في تاريخه إلى الرخاء في مصر، كما فصل الكلام عن القحط والوباء والجماعات في بعض السنين، بل إن ساويرس يهتم بهذه الظواهر التي ترد في حوليات الكنيسة المصرية أكثر من اهتمام سائر المؤرخين بها، وينفرد بذكر بعض الجماعات التي لم يرد ذكرها لدى غيره من المؤرخين.

ولا شك أن ساويرس يشترك مع بقية المؤرخين في ذكر كافة الأحداث الهامة مع العناية بشئون مصر على غرار المؤرخين المصريين مسلمين كانوا أم مسيحيين، لكنه يمتاز عليهم جميعاً بأن كتابه له قيمة الحوليات، والمذكرات، والمصادر المعاصرة، في وقت نتلمس فيه المصادر المعاصرة للغزو العربي لمصر وما بعد الغزو بحوالى قرنين ونصف من الزمان فلا نكاد نجد لها اللهم إلا في بعض الأوراق البردية، وكتاب «التاريخ» للمؤرخ حنا أسقف نقيوس، الذي توفي في القرن السابع الميلادي.

وقد وضع حنا النقيوسي كتابه في تاريخ مصر باللغة القبطية، وجاء فيه ذكر الحوادث التي وقعت زمن الغزو العربي لمصر، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اليونانية والعربية، ثم قام أحد القساوسة المصريين بترجمة النسخة العربية إلى اللغة الأثيوبية، ولم يبق مما كتبه هذا المؤرخ المصرى سوى النسخة الأثيوبية التي نشرها الدكتور M.H.Zotenberg مع ترجمة فرنسية لها أما أقدم مؤرخ مسلم نعرفه بعد ذلك فهو ابن عبدالحكم صاحب كتاب «فتوح مصر وأخبارها» والمتوفى سنة (٨٧٠ - ٨٧١ م).

ومما يزيد في قيمة كتاب ساويرس أنه يبين منذ غزو العرب لمصر وجهة نظر المصريين نحو الحكومات الإسلامية المتتالية.

ولا يهمنا الآن الحديث فيما اشترك فيه ساويرس مع بقية مؤرخى الخلافة الإسلامية، وإنما يهمنا الكلام في حديثنا هذا على بعض ما انفرد ساويرس بالكتابة فيه أو توضيحه.

ولعل من أهم الأمور التي انفرد ساويرس ببيانها أو توضيحها بحكم تأريخه للبطارقة وللكنيسة ولالأقباط، ما كتبه عن مركز المصريين في ظل السلطة الإسلامية من ناحية وبناء أو تجديد كنائسهم، وعلاقة المصريين بالمسلمين في مصر وفي غيرها من البلدان، وموقفهم من الحكومات الإسلامية المتعاقبة في مصر.

كذلك أفاض ساويرس في حديثه عن نشر الإسلام في مصر بل إنه في بعض الأحيان يعطينا أرقاماً بعدد الذين تحولوا إلى الدين الإسلامى في ظل الظروف الاقتصادية القاسية تخلصاً من الجزية.

ولم تكن للسلطة الإسلامية سياسة ثابتة بشأن بناء الكنائس والأديرة فكانت تسمح للمسيحيين في بعض الأحيان ببناء كنائس جديدة، وكانت تمنعهم في بعض الأحيان حتى من إصلاح الكنائس القديمة.

كذلك يبين لنا ساويرس أن الأقباط شغلوا كثيراً من الوظائف في ظل السلطة الإسلامية وخاصة الوظائف المالية، ويورد ساويرس في مناسبات مختلفة أسماء كثير من كبار الموظفين الأقباط.

كما يذكر ساويرس حركة الهروب من الأرض والفلاحة في ولاية قرّة بن شريك الذى أتى بعد عبدالله بن عبد الملك. وتشدد قرّة في قمع تلك الحركة والقضاء عليها.

وقد اتخذت حركة الهروب فى عهد قره بن شريك شكلا واسعا. فيذكر ساويرس أن أسر بأكملها كانت تهرب من مكان إلى مكان فراراً من دفع الضرائب والجزية. واضطر قره إزاء هذا إلى إنشاء هيئة خاصة مسلحة لوقف تلك الحركة وإعادة كل شخص إلى موضعه. وظل قره يقاوم تلك الحركة بنشاط إلى أن توفي سنة ٧١٤م.

ويؤكد كلام ساويرس ما استخلصناه من الأوراق البردية العربية واليونانية التي ترجع إلى عهد هذا الوالى.

وبعد وفاة قره والخليفة الوليد، ولى خراج مصر أسامة بن زيد التتوخي فى خلافة سليمان بن عبد الملك.

وقد تشدد أسامة بن زيد فى طلب الجزية والخراج وأسلم الكثيرون فى أيامه كى يتخلصوا من الأعباء المالية. ولكن حركة الهرب استمرت، من جانب الذين أثقلت كاهلهم الأعباء المالية والجزية ولم يرغبوا فى اعتناق الدين الإسلامى.

ولكى لا يتمكن أحد من الهروب من منطقة إلى أخرى عملت سجلات للأهالى أشبه بالبطاقات الشخصية اليوم. فألزم كل شخص يريد الانتقال من جهة إلى أخرى فى أنحاء القطر، أو يريد ركوب سفينة أو النزول منها، أن يحمل معه سجله. أما من فقد سجله أو أتلفه فقد ألزمه الوالى بالحصول على سجل آخر مقابل دفع خمسة دنانير.

والواقع أن ساويرس هو المؤرخ الوحيد الذى كتب وفصل لنا الكلام على حركة الهروب، تلك الحركة التى تنطوى على مقاومة المصريين لسلطة العرب مقاومة سلبية بعدما أصبح الالتجاء إلى الأديرة وسلوك سلك الرهبنة، لا يعفيهم من الالتزامات المالية منذ خلافة عبد الملك بن مروان وولاية أخيه عبد العزيز على مصر.

كذلك يذكر ساويرس أن الخليفة العباسى الأول أبا العباس عبد الله السفاح قرر أن يعفى من الجزية كل من يعتنق الدين الإسلامى ويقيم شعائره، فتخلى كثير من المسيحيين، أغنياء كانوا أو فقراء، عن دينهم واعتنقوا الدين الإسلامى بسبب فداحة الجزية والأعباء الملقاه عليهم ولكنه فى ذات الوقت الذى رفع فيه الجزية عن الذين أسلموا أضاف ما كان يدفعونه على من لم يسلم مما زاد من فداحة الأموال التى كان يدفعها المصريون القبط.

أما عن انتشار الإسلام في مصر منذ أواخر عصر الولاة، فيتضح لنا مما كتبه ساويرس أن العامل المالى من أهم العوامل التى حولت أغلبية الأقباط إلى اتباع الدين الإسلامى.

ويتضح من كتابات ساويرس أن الرهبان كانوا يعضون السلطة الإسلامية لأنهم كانوا يفلتون فى البداية من دفع الجزية والخراج إلى أن بدأ والى مصر عبدالعزیز ابن مروان (٦٨٤ - ٧٠٥م) سنة فرض الجزية عليهم.

فمن المعروف أن الرهبة كانت منتشرة حينذاك فى مصر. وقد ساعد على انتشارها ما وقع للمصريين من ظلم واضطهاد زمن البيزنطيين، ففضل الكثيرون أن يعيشوا فى عزلة عن العالم منفردين أو جماعات فى أديرة، ولما كان الراهب لا يملك شيئاً ويعيش فى عزلة عن العالم، لذا لم تفرض عليه أى ضريبة فى عهد الرومان والبيزنطيين بل أعفيت الأديرة والرهبان من الضرائب.

ولما احتل العرب مصر حافظوا على هذا التقليد تقريباً من الكنيسة اليعقوبية وما لبث العرب أن فطنوا إلى أن الأديرة أصبحت تملك ثروات ضخمة والى أن كثيراً من الأقباط لجئوا إليها كى يتخلصوا من الضرائب.

ولذا نرى والى مصر عبدالعزیز بن مروان - أخ الخليفة عبدالملك بن مروان - يأمر بإحصاء الرهبان وفرض الجزية عليهم. كما أنه ألزم الاساقفة بأن يؤدوا قدراً معيناً من المال سنوياً بالإضافة إلى خراج أوقاف الأديرة والكنائس.

وكانت السلطة الإسلامية تفرض أشد العقاب على الرهبان أو رجال الدين الفارين من الضرائب، كما كانت تتشدد فى جمع الجزية من المصريين.

وبين ساويرس أن كثيراً من المصريين أسلموا ليتخلصوا من الجزية والضرائب المفروضة عليهم، كما يذكر أن الأقباط الذين بقوا على دينهم قاموا بمقاومة سلبية ضد الحكومة، تنطوى على الهروب من مكان إلى مكان، وهجر الأراضى الزراعية، وذلك منذ خلافة الوليد بن عبدالملك الأموى (٧٠٥ - ٧١٤م). وفى أثناء ولاية أخيه عبد الله بن عبد الملك أصدر والى مصر أمر بوسم الفارين الذين وجدوا فى الأقاليم المختلفة، على أيديهم بالإختام الحماة بالنار مثلما يفعل مع البهايم ونفيهم إلى أماكن مختلفة.

ومما لا نشك فيه أن الأمثلة التي يوردها ساويرس ، والتي تبين أن الأقباط الأغنياء ضجوا من الجزية والضرائب كما ضج الفقراء، تظهر أن الجزية كانت المورد الرئيسى للمال الذى تعنى به السلطة الإسلامية، وأنها كانت أمراً ثقيلاً، ولم تكن بالضريبة الهينة والما حملت الكثيرين على التخلي عن دينهم.

على أن الأقباط بدءوا منذ سنة ٧٢٥م فى التخلي عن مقاومتهم السلبية وأخذوا يقاومون سلطة العرب مقاومة إيجابية وذلك بالقيام بالثورات العلنية ضدهم.

والمعروف أن العرب بعد احتلالهم مصر فرضوا على المصريين الجزية وعلى أراضيهم الخراج، فى الوقت الذى عاملوا فيه الأراضى التى نهبتها قبائلهم البدوية بنظام الزكاة (أى تحصيل العشر).

ونلاحظ أن الأراضى التى كانت ملكاً خاصاً للأباطرة أو التى هرب أهلها أو هلكوا زمن الغزو العربى، آلت إلى القبائل البدوية فى مصر. وقد زادت تلك الأراضى زيادة كبيرة أثناء الحكم العربى نفسه بما أضيف إليها من الأرض المهجورة والمستقطعة والمصادرة وطرح النهر التى هاجر عنها أهلها بسبب الظلم وفداحة الأعباء المالية المفروضة عليها.

ومن الوجهة النظرية كان المصرى الذى يعتنق الإسلام تصبح أرضه عشرية ولكن الحكام العرب رأوا فى هذا جل الخطر على ماليتهم، وأصبح المصرى إذا اعتنق الإسلام لا تعفى أرضه من الخراج حتى لو اسقطت عنه الجزية. كان الأرض ظلت ك Kafre رغم إسلام صاحبها.

ثورة البشمور

وحين بدأ المصريون الاقباط يثورون ضد سلطة العرب بسبب مطالبها المالية المجحفة، وجدوا فى المصريين المسلمين الذين زاد عددهم فى مصر وأصبحوا يملكون أراضى خراجية، شريكاً لهم فى تلك الثورات. ولذلك نرى سائر مؤرخى مصر المسلمين يشتركون مع ساويرس فى ذكر تلك الثورات بل يفصلون الكلام أحياناً فيما لا يفصل فيه مؤرخ البطارقة.

وقد تعددت ثورات المصريين وشملت الوجهين البحرى والقبلى. وكان أعنف هذه الثورات تلك التى كان يقوم بها أهل البشمور أو البشورود، وهى المنطقة الرملية الساحلية بين فرعى دمياط ورشيد وفى تيس ومنطقة الخوف الشرقى.

ولقد ظل المصريون الأقباط يقومون بالثورة بعد الأخرى طوال القرن الثامن الميلادي، وكانت حكومات العرب والعباسيين تقابل تلك الثورات بالقسوة والعنف.

وكان يتبع أخماد تلك الثورات في العادة تحول عدد كبير من الأقباط إلى الدين الإسلامي وكان آخر تلك الثورات وأعظمها تلك التي أنهت في بداية القرن التاسع الميلادي (٨٣٢م) بمجيء الخليفة المأمون وإبادته للثائرين.

ويخبر ساويرس عن هذه الثورة فيقول أن الخليفة المأمون سحب معه إلى مصر البطرك ديونوسيوس بطرك انطاكية وأنه استعان به وبطرك الأقباط الأنبا يوساب، لإخماد ثورة البشموريين وسير إليهم قائدة الأفشين لخارتهم، ثم سار إليهم بنفسه على رأس جيوشه وقضى على حركتهم.

يتضح لنا مما كتبه ساويرس أن الشعور الوطني كان ضعيفا بين المصريين آنذاك، فلم يكن في ثورات الأقباط ضد سلطة العرب عنصر وطني، بل كانت كلها بسبب الضرائب والجزية إما لحمل الحكام المسلمين على تخفيفها وعدم اتباع القوة في جبايتها، وأما للهروب من دفعها. ولعل ضعف هذا الشعور الوطني كان أكبر عون للحكام المسلمين للقضاء على حركات المصريين.

ويؤكد سلبية الشعب المصري حينئذ ما نعرفه من أن أهل البلاد لم يشتركوا في الحركات السياسية والدينية التي قامت في ظل الخلافة، والتي اشترك فيها الجند العربي في مصر والإجناد الأخرى الذين أتوا إليها في عهد الدولة العباسية، مثل الثورة التي أنهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان، والنزاع بين علي ومعاوية، والخلاف بين الأمين والمأمون.

أما الأقباط فقد اشتركوا فقط في معاونة العباسيين الذين كانوا قد نجحوا في إسقاط الدولة الأموية في المشرق والذين أتت جيوشهم وراء الخليفة الأموي مروان بن محمد في مصر.

ولا يدعنا ساويرس نتلمس الأسباب التي دعت المصريين إلى معاونة العباسيين في مصر فيذكر صراحة أن العباسيين وعدوا الأقباط بتخفيف الجزية والخراج عنهم.

والواقع أننا لا نجد مؤرخا غير ساويرس يفسر لنا السبب الذي حمل أغلبية القبط على التحول إلى الدين الإسلامي. فساويرس يؤكد دائما أن الهروب من الجزية ومن الخراج كان أكبر عامل على انتشار الإسلام في مصر.

وهو يزن دائما الولاة والأمراء والخلفاء القواطم بالميزان المالى، ولهذا نرى مؤرخ البطارقة قد يحكم على أمير أو خليفة واحد حكمين على طرفى نقيض، لأن هذا الأمير قد يكون رحيمًا بأهل الذمة فى وقت من الأوقات، وقد يشتد فى جمع الضرائب والجزية، عندما يحتاج إلى الأموال فى وقت آخر، ومثل ذلك كلام ساويرس على الخليفة عمر بن عبدالعزیز، وهشام بن عبدالملك، والخليفة المتوكل على الله العباسى وأمير مصر أحمد بن طولون والحاكم بأمر الله.

وواضح من كتابات ساويرس أن الأساقفة والبطارقة ورجال الدين المسيحيين كان يفرض عليهم أموال كثيرة، وكان رجال الدين يلجئون بدورهم إلى الشعب المصرى القبطى ليدفع هذه الأموال، وكانت أحسن فرصة للخلاص من كل هذه الأعباء الدخول فى الدين الإسلامى، تحت أمل إعفائهم من أموال الجزية.

ومن الأمثلة الصارخة التى يبين فيها ساويرس إسلام الكثيرين بسبب الفقر وقلة ما معهم من المال ما حدث فى خلافة المنتصر العباسى (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ = ٨٦١ - ٨٦٢ م) حينما ولى خراج مصر أحمد بن محمد بن المدبر، إذ فرض هذا الوالى ضرائب باهظة على الكنيسة وعلى المصريين عامة مما دفع الكثيرين إلى التحول إلى الإسلام تحت أمل إعفائهم من الجزية. والمعروف أنه أنشئ فى العصر العباسى ديوان خاص للنظر فى شئون أهل الذمة المصريين سمي «ديوان الجوالى» وكان على رأسه موظف من كبار المسلمين.

ويحدثنا ساويرس عن شخصيات من رجال الدين الأقباط الذين خرجوا للشكوى فى مقر الخلافة العباسية من الأعباء المالية الزائدة واغتصاب أراضيهم ومنقولاتهم، ومثل ذلك خروج أحد رجال الدين المسيحيين فى مصر واسمه إبراهيم إلى مقر الخلافة فى أيام المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ = ٨٦٦ - ٨٦٩ م) يشكو تعسف ابن المدبر، فكتب الخليفة سجلاً بالتخفيف عن النصارى، ثم أكد هذا السجل الخليفة المهتدى (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) الذى ولى بعد المعتز والذى أمر بأن يرد إلى النصارى ما اغتصب منهم من المنقولات والأراضى.

وقد تمكن المصريون من أن يتقلدوا وظائف مختلفة فى الدولة وأن يزداد نفوذهم حتى وصل بعضهم إلى الوظائف العليا فى الإدارة، كما وصل آخرون إلى أن يصبحوا الكتاب الرئيسيين والوزراء عند بعض الولاة والأمراء، وذلك بسبب عدم كفاءة الجهاز الإدارى الإسلامى وحاجته إلى خبرات غير المسلمين فى إدارته.

وكان هذا يؤدي في بعض الأحيان إلى احتجاج فقهاء الدين، وثورة المسلمين من العرب والترك وغيرهم أصحاب المصلحة للمطالبة بالخلولة دون سيطرة المصريين أو ابتزازهم، مما كان يستتبع إصدار تشريعات تحد من نشاط المصريين وتبعدهم عن وظائف الحكومة وتلزمهم بالتزام ملابس محددة تميزهم عن المسلمين.

ومن ذلك ما حدث في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز الذي أمر بعزل أهل الذمة من مناصب الدولة الهامة ومنعهم من إنشاء الكنائس أو المعابد الجديدة.

كذلك يذكر ساويرس أن الخليفة المتوكل على الله العباسي (٢٣٢-٢٤٧ = ٨٤٧ - ٨٦١م) أمر بهدم الكنائس وأن يتميز المسيحيون واليهود في لباسهم عن المسلمين كما أمر أن يشغل الوظائف المسلمون فقط، ويذكر ساويرس أن كثيرين أسلموا حينئذ إما لحاجتهم وفقرهم، وإما رغبة منهم في الإبقاء على مناصبهم. والواقع أن مؤرخي الخلافة يشتركون مع ساويرس في تفصيل اضطهاد المتوكل للمصريين.

ونلاحظ أن ساويرس يعنى بالتاريخ للاسكندرية عناية خاصة، وليس هذا بمستغرب فالاسكندرية كانت مقراً لبطركية الأقباط، ولذا نراه يسميها في معظم الأحيان المدينة العظمى. ويذكر ساويرس أن الاسكندرية كانت تعرف باسم مدينة قيسرون ويقول أيضاً أنها تسمى باللغة العبرانية مدينة آمون.

ويؤكد ساويرس في مناسبات مختلفة ما نستشفه من سائر المصادر بأن الاسكندرية كانت منذ العهد اليوناني حتى عصر الأخشيديين تعتبر في معظم الأحيان جزءاً مستقلاً عن مصر حتى في القضاء.

كذلك يحدثنا ساويرس عن أهمية الاسكندرية التجارية وأنها احتفظت بتلك الأهمية بعد غزو العرب لها فظلت ميناءً تجارياً هاماً تأتيها التجارة براً وبحراً.

ويشئ ساويرس على الخليفة المتوكل ثناءً كبيراً لأنه أمر بتوصيل القناة التي تجلب ماء النيل إلى داخل الاسكندرية. وكان الماء العذب لا يصل قبل ذلك إلى الاسكندرية إلا وقت الفيضان، وبعد حفر هذا الخليج أصبحت المراكب الكبار تصل إلى داخل المدينة وكثرت المراكب والتجار في الاسكندرية كما زرع الناس الكروم والبساتين على جانبي القناة.

ويحدثنا ساويرس عن متمرّد من سكان الإسكندرية من بنى مدلج قام بتمرد فى أواخر عصر الولاة فى الوجه البحرى وانضم إليه جماعة كبيرة مقاتلة من أصحابه، ومن العربان، وأخذوا يهاجمون عمال الخراج ويأخذون ما لديهم من أموال.

ويذكر أنه لما رادت جماعته، حاصر مدينة الاسكندرية، ولكنه لم يستطع فتحها بأى وجه من الوجوه، وذلك لوقوف حصونها حجر عشرة فى سبيل ذلك، ولعدم وجود آلات لك الحصون لدى المتمردين، ومع ذلك فأنهم حاصروها ومنعوا الاغذية من الوصول إليها عن طريق البحر والبحيرة. ويذكر ساويرس أنه لما طال حصار الاسكندرية اجتمع رؤساؤها وتشاورا مع واليها وافقوا على إحاطتها بسور كبير حولها. وقد اشترك فى بناء هذا السور أهل الاسكندرية، إذ بنى كل صاحب دار أو أرض حائطا أمامه ووصله إلى حائط جاره، وبذلك أصبح للأسكندرية سور حولها وجعلوا له أبوابا، ولم يكن يفتح إلا باب واحد فى المرة الواحدة وبذلك تحصنت الإسكندرية وأمن أهلها الأعداء.

ولما وصل والى مصر مزاحم بن خاقان (٢٥٣ - ٢٥٤ هـ = ٨٦٧ - ٨٦٨ م) استطاع أن يشتت هؤلاء المتمردين الذين كانوا قد اتخذوا مراكز لهم بين مدينتى بنا وأبو صير فى الوجه البحرى فأعمل فيهم القتل بالسيف وأغرق آخرين وانهزم من بقى منهم فى الجبال بالصعيد.

هذا إلى جانب ما يذكره ساويرس عن هجمات القراصنة الاندلسيون على الاسكندرية واستقرارهم بها حوالى اثنى عشر عاما قبل أن يتركوها إلى كريت.

ويهمنى أن أضيف هنا ملحوظة هامة وعامة تختص بالتحديد الحاسم لتواريخ التحولات والأحداث فى مصر فى العصور الوسطى.

فهى ما زالت خاضعة للإجتهد بسبب التضارب الواضح بين مؤرخى تاريخنا فى هذه الفترة. وسوف يكون هذا ملحوظا فيما يكتبه ساويرس وما يذكره محمد ابن يوسف الكندى أو ابن الحكم أو الواقدى والطبرى ويوحنا النقيوسى والمقرئزى وغيرهم.

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

الجزء الثانى من سير البيعه المقدسه

وهو ست سير وأربعة عشر بطركا

السيرة الخامسة عشر

أغاتون ولد بنيامين البطرك بالروح لا بالجسد وهو من

العدد التاسع والتلتون [٦٦١ / ٦٧٧ م]

ولما عاد المجاهد العظيم ضابط الامانه بالسيد

يسوع المسيح ومعلم الامانه الارتد كسيه انبا بنيامين

حوليات تاريخ مصر من عام

٦٣٩ (١٨ هـ) إلى عام ٨٦١ (٢٤٤٧ هـ).

سنة ١٨ هجرية

استهل المحرم بيوم الثلاثاء الموافق ١٢ يناير ٦٣٩ م.

* سميت هذه السنة عام الرمّاد لأن الريح كانت تسفى ترابا كالرمادة كما سميت عام القحط لأن الناس أصابهم قحط وجذب ومجاعة شديدة.

* إنتشر الطاعون فى هذه السنة وعرف بطاعون عمّواس نسبة إلى قرية بفلسطين كانت أول ما ظهر بها وراح ضحيته اعداد كبيرة خاصة من اهل الشام ومن القواد العرب.

* قدم الخليفة (عمر) الجاية للمرة الثانية وقسم موارث الموتى من العرب وغيرهم. وفيها أتاه عمرو بن العاص يستأذنه فى السير إلى مصر لفتحها حتى تكون قوة للمسلمين وعونا لهم فأذن له فسار حتى بلغ العريش فى يوم عيد النحر (١٠ ذى الحجة).

* تم على يد عيّاض بن غنم فتح حران والرّها والرّقة.

من النفي وجلس على الكرسي الانجيلي ببيعة الله
وجدد ما كان قد هدمه هرقل والجمع الطمث
اخلقدونى [وهو ابروطاريوس] اعاد هذا الاب انبا
بنيامين بناه ورتبه بمعونة السيد المسيح الراعى
الصالح الذى بذل نفسه عن خرافه كما قال فى
انجيله الطاهر: ان الراعى الصالح يبذل نفسه عن
خرافه. فمشى بنيامين فى اثار سيده وحمل صليبه
وتبعه وصبر على البلايا والشُرور والتجارب
العظيمه الى الموت من اجل الامانة المستقيمه ولم

سنة ١٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد الثانى من يناير ٦٤٠م.

* استولى معاوية بن أبى سفيان على مدينة قيسارية الحصينة بعد محاولات دامت سبع
سنين، ذلك أن الروم كانوا يمدونها بحراً بالسلاح والأقوات.

* بدأت مع بداية السنة مسيرة عمرو بن العاص لغزو مصر على رأس ٤٠٠٠ وقيل
٣٥٠٠. وفى ١٢ من المحرم أفتح عنوة حصن الفرما بعد أن قاتل الروم شهراً ومن الفرما سار
إلى بليس فكان الاشتباك الثانى مع الروم وبعد شهر من القتال عاود سيره إلى عين شمس ثم
إلى أم دُنين (تندوتياس) فى جمادى الأول، وفى ٩ من جمادى الثانية وصل إليه المدد من
المدينة يضم ٤٠٠٠ رجل فى مقدمتهم الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت.

* حج بالناس فى هذه السنة الخليفة عمر بن الخطاب.

* تولى على الكوفة عبدالله بن غطفان خلفاً لسعد بن أبى وقاص، وفى البصرة مرت
ثلاث سنين على ولاية أبى موسى الأشعرى.

* توفى فى هذه السنة بالمدينة أبى بن كعب وكان من أحبار اليهود ومن كتاب الوحي
ومن إشتراك فى جمع القرآن وقيل توفى سنة ٢١.

يتخل ولا رجع الى وراه فى جهاده الى أن تممه
حتى اخذ النعمة مع القديسين ابايه الذين تقدموه
كما قال داود النبى فى الزبور: كريم امام الرب وفاة
اصفياه. فمات الاب بنيامين، وان الشعب المومن
الخائف من الله بأمر الرب أخذوا ذلك القس الخائف
من الله أغاثون واجلسوه بطركا كاتفاق اسمه مع
فعله معا، اذ هو صالح وعمله صالح مزين بكل
فعل جميل مملو نعمة روح القدس والامانة
الارتد كسية.

* تابع يزدجرد ملك الفرس فراره إلى أصبهان بعد أن استولى العرب صلحا على حلوان
بقيادة حريز بن عبدالله البجلي.

سنة ٢٠ هجرية

استهل المحرم بيوم الخميس الموافق ٢١ ديسمبر ٦٤٠م.

* تولى عمرو بن العاص إمارة مصر للمرة الاولى، إذ فى الثانى من المحرم الموافق ٢٢
ديسمبر تم فتح مصر (ببليون) على يديه ثم سار لفتح الاسكندرية فى ربيع الأول من السنة
وفى يوم الجمعة أول جمادى الآخرة تم إستيلاؤه عنوة على الاسكندرية عاصمة مصر البيزنطية
وكان قد أخلف على مصر (ببليون) خارجة ابن حذافة ولكن عمرو قد جعل أهلها ذمة على
أن يخرج منها من يخرج ويقيم من يقيم باختيارهم.

* فى الشمال جرت أول محاولة لغزو الروم على أرضها بقيادة عبدالله ابن قيس، وفى
أقصى الشرق إستولى المسلمون على تستر بقيادة البراء بن مالك الذى قتل على أبوابها.

* إستولى العرب بقيادة أبى موسى الأشعرى على مدينة تستر بعد حصار دام أكثر من عام.

* أمر الخليفة عمر بإجلاء اليهود عن خيبر إلى مصر كما أجلى يهود نجران إلى الكوفة.

وكانو المسلمون يقاتلون الروم بغضب وكان
لهم ملك اسمه طيباريوس قد ملكوه وله عدة
جزاير فأسروهم من بلادهم الى بلاد غربيه
وكذلك صقليه(*) وجميع اعمالها ملكوها
واخربوها وجابو سبيها الى مصر، وكان هذا
القديس البطرك أغاتون حزين القلب اذ يرى
اعضاه [اي السبايا] فى ايدى الامم. وكانو الغزاه
قد اباعو منهم انفسا عده فيشتريهم البطرك ا

(*) غزو العرب لصقلية واستيلائهم
علي رودس سنة ٦٧٢م -
٥٣هـ.

* فى هذه السنة كانت وفاة إمبراطور الدولة البيزنطية هرقل الذى عاصر قيام الدعوة
الإسلامية وخلفه ابنه قسطنطين (١١ فبراير ٦٤١م).

سنة ٢١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين ١٠ ديسمبر ٦٤١م.

* فى الأول من هذه السنة أعاد عمرو بن العاص فتح مدينة الاسكندرية بعد انتفاضها
عليه.

* تم إخلاء الروم لمدينة الاسكندرية (١٦ شوال) وأبحروا إلى القسطنطينية فبدلك طويت
صفحة الاستعمار الرومانى لمصر.

* استولى المقداد بن الاسود على دمياط.

* بعث عمرو بن العاص قائدة عقبة بن نافع غربا ففتح زويلة من أرض برقة.

* بعد عودة عمرو من فتح الاسكندرية ورفض الخليفة أن تكون عاصمة لمصر الإسلامية
بدأ تخطيط مدينة القسطاط وبناء مسجدها العتيق أقدم المساجد فى أفريقيا وخامس خمسة فى
الإسلام.

ويعتقهم. وكانو من اصحاب الهارسيس الطمث
المعروفين بالغايانيين الذين لا يتقربون والبرسنوفية .
ولم يكن يدع قسمة الاساقفة فى كل موضع
ليردو الضان [الخراف] الذى قد اضلها الشيطان
الى بيعة السيد المسيح. ووقع به الشيطان تعباً
عظيماً من اجل طهارة قلبه وفضيلته، فتولى فى
تلك الايام امر اسكندرية انسان اسمه
تاوضوروس (*) اتاوضوسيا، وكان ريساً فى جماعه
من الخلقدونيين، وكان مقاوم [معادى]

(*) اضطهاد تاوضوروس المكنانى
للطرك اغاتون.

* ولي الخليفة النعمان بن مقرن الجيوش التى سارت لفتح مدينة نهاوند الفارسية التى
عرفت بفتح الفتوح وعلى أسوارها قتل فاتحها النعمان، قيل فقد الفرس فى المعركة مائة ألف
قتيل.

* توالى الفتوح بعد سقوط نهاوند فتم فتح همدان وأصبهان على يد عبدالله ابن عثمان،
وفى الشمال إستولى أبو هاشم بن عتبة على أنطاكية وملطية من الروم.

* توفى فى هذه السنة بمدينة حمص بالشام خالد بن الوليد، إشتراك مع قريش فى يوم
أحد ضد المسلمين وأسلم عام ٧هـ مع عمرو بن العاص فى يوم واحد وحمل الراية فى غزوة
مؤتة وإشتراك فى حروب الردة وفى فتوح العراق والشام.

* صرف عمر قائده سعد بن أبى وقاص عن الكوفة وولاهما عمار بن ياسر على الصلاة
وعبدالله بن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض.

سنة ٢٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٢٠ نوفمبر ٤٦٢م.

* تولى المغيرة بن شعبه على الكوفة خلفاً لعمار بن ياسر، وعلى البصرة أبو موسى
الأشعري وتولى على الموصل محمد بن مروان خلفاً لسعيد بن عامر.

الارتد كسين التاوضوسين. فمضى الى دمشق الى

مقدم المسلمين واسمه يزيد بن معاوية(*) اخذ منه سجلا يتسلط به على شعب اسكندرية ومربوط وكلما يليها، ولا يكون لمتولى مصر عليه حكم لانه دفع له مالا جزيلا. وعاد وتسلط على الاب انبا اغاثون واقلقه وطلب منه المال الذي غرمه واخذ منه ستة وتلتين دينارا جزية كل سنة عن تلاميذه. وليس هذا فقط بل وكلما كان ينفقه على النواتية

(*) يزيد بن معاوية : بعد وفاة معاوية في ابريل ٦٧٩م - رجب ٦٠ هـ. تولى يزيد الخلافة الاموية، ثم بايعه الناس ماعدا الحسين وعبدالله ابن الزبير وعبدالله بن العباس وعبدالله ابن عمر.

* سار عمرو بن العاص من الاسكندرية غربا إلى برقة فصالحه أهلها على الجزية وتابع سيره إلى طرابلس فحاصرها شهرا حتى فتحها.

* غزا حذيفة بن اليمان مدينة الدينور واستولى عليها وكانت قد فتحت لسعد ثم انتقضت، كما أعاد نعيم بن المقرن فتح همدان ثم كر على الري ففتحها، وعلى يد المغيرة بن شعبه جرى فتح قزوين وزنجان، كذلك انتهى بكبير بن عبدالله إلى أذربيجان وفتحها، بينما انتهى سراقه بن عمرو إلى بلاد القوقاز وفتح الباب، وامتدت الفتوح شرقا حتى غزا الأحنف بن قيس بلاد خراسان واستولى على هراة عنوة، وفي الشمال غزا معاوية أمير الشام بلاد الروم على رأس عشرة آلاف، وفيها كاتب سويد من مقرن ملك جوجان وسار إلى بلاده وضمها صلحا وحدا حذوه ملك طبرستان.

* تابع ملك الفرس يزدجرد فراره شرقا حتى بلغ الري وفيها حاول واليها الفارسي آبان جازويه القبض عليه غدرا، ومن الري سار إلى أصبهان، ومنها إلى كرمان، ومنها إلى مرو الروذ بخراسان وكاتب ملوك الترك والصين طالبا نجدتهم، وانتهى إلى بلخ مما ألجأ الأحنف بن قيس إلى مطاردته.

(*) كان المصريون ملزمسون
بمصاريف وتجهيز الاسطول
العربي في مصر.

في الاسطول (*) يخسره اياها، وكلما يلحقه يلزمه
اياها. ولم تكن جماعة الخلقدونيين يختلطون بهذا
الرجل، وكان يحتاج الى سبعة الاف دينار
لتاوضوروس الخلقدونى خارجة عن خراج وسايها،
وما كان يمكنه يخرج من باب قلائته من قوة
بغضته له لاجل الامانه الارتدكسيه، حتى انه امر
وقال: من راي بابا التاوضوسيين يخرج ليلا او نهارا
فيرجمه بالحجارة ويقتله وانا المجاوب عنه. وكان
الاب اغاتون مختفيا ايام ذلك الملك المنافق وهو

سنة ٢٢ هجرية

وافق مستهل العام يوم الأربعاء ١٩ نوفمبر ٦٤٣م.

* شهدت السنة مع نهايتها نهاية خلافة عمر بن الخطاب.

* تولى إمارة مكة نافع بن الحارث، وعلى الطائف سفيان بن عبد الله، وعلى حمص عمير
بن سعيد وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص.

* توالى الفتوح شمالاً وشرقاً، ففي فلسطين فتح معاوية عسقلان صلحا، وغزا بلاد الروم
حتى بلغ عمورية، وفي المشرق فتح الأحنف بن قيس نيسابور وتولى عليها، وتم فتح كرمان
على يد سهل بن عدى، ومسجستان على يد عاصم ابن عمر ومكران من بلاد الجبل على يد
الحكم التغلبي، وفي فسا ودارابجر د لقي ساية بن زعيم مقاومة شديدة إذ أناه الفرس من كل
جانب.

* فيها احتقر عمرو بن العاص الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر ودعاه خليج أمير
المؤمنين.

* في ٢٦ من الحجة الموافق (٢ نوفمبر ٦٤٤هـ) اغتيل خليفة المسلمين عمر ابن الخطاب
على يد أبو لؤلؤة غلام المغيرة لأنه أبى أن يرفعه من خراجيه وكان صانعاً ميسوراً ودفن عمر في
حجرة عائشة بجوار أبي بكر وله من العمر ٦٣ سنة، وكان قد أسلم عام ٦ هـ ودامت

داع له كوصية الانجيل : حبوا اعداءكم باركوا على
لا عنكم.

وفي ايامه عمرت البيعة التي على اسم ابي مقار
وكثرت الاخوة حتى انهم بنوا القلالي قريب
البهلس وكانوا ينمو بنعمة السيد المسيح، وكانوا
الاخوة المومنون يعينونهم.

وفي هذه الايام ظهر انسان من الدير طاهر
البدن نقي القلب عارف بالحكمتين البيعية والعالمية
اسمه يوحنا من اهل سمانود كان معتكفا في

خلافته نحو ١١ سنة. بويج عثمان ابن عفان بالخلافة بعد أن ترك عمر الشورى بين ستة من
الصحابة بينهم ابنه عبدالله مشيراً ولا شيء له من الأمر وهم: علي بن أبي طالب وعثمان بن
عفان وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله.

سنة ٢٤ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الاحد ٢ نوفمبر ٦٤٤م.

* في يوم الجمعة الثالث من المحرم بويج عثمان بن عفان بالخلافة وله من العمر نحواً من
احدى وسبعين سنة فصلى بالناس وزاد من اعطياتهم .

* سميت هذه السنة عام الرعاف (وهو مرض خروج الدم من الأنف) لكثرة من أصيب به
كما إعتبرت هذه السنة بداية انقسام المسلمين إلى أمويين (يمثلهم عثمان) وهاشميين يمثلهم
علي بن أبي طالب.

* أقر الخليفة الجديد عمال الولايات جميعها لأن عمر أوصاه بذلك باستثناء الكوفة إذ أعاد
اليها سعد بن أبي وقاص وولى الكوفة الوليد بن عقبه بن ابي معيط، وكان أخا عثمان من
أمه.

البرية اعتل علة عظيمة ولم يعتقد احد من
الشيوخ انه يبرأ، فرأى ليله من الليالى مناما كان
[كأن] انسان مضى [ء] نورانى عظيم المجد جالس
على كرسى السارافيم ومعه جماعة نزل قريبا من
باب قلايته، ونظر جماعة من الشيوخ الابا
القديسين الذى فى البرية تقدموا لياخذوا البركة من
الجالس على الكرسي، فقال فى فكره: لو ان لى
انسانا يمسكنى انا ايضا لاتقدم الى هذا الملك
السماوى العظيم واخذ بركته فلعلى كنت استريح

-
- * كاتب الامبراطور البيزنطى سرا أهل الاسكندرية من الروم لنقض الصلح مع العرب
واستعد عمرو بن العاص لؤاد الفتنة وهى السنة الخامسة لولايته على مصر.
 - * جرى غزو أذربيجان وأرمينية للمرة الثانية على يد الوليد بن عقبة بعد أن منع أهلها ما
كانوا قد صالحوا المسلمين عليه.
 - * استنجد أمير الشام معاوية بن أبى سفيان بالخليفة لصد جموع الروم التى تحركت لغزو
الشام واستعادتها من المسلمين فخفف لنجدته جيش أهل الكوفة قوامه ٨٠٠٠ رجل وعليه
سلمان بن ربيعة الباهلى كما قاد جيش الشام حبيب بن مسلمة فشنوا الغارات على الروم
وأوقعوا بهم.
 - * عاصر خلافة عثمان: الامبراطور البيزنطى كونستانز الثانى، وفى روما البابا يوحنا الرابع.

سنة ٢٥ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة الموافق ٢٨ أكتوبر ٦٤٥م.

- * نقض أهل الاسكندرية من الروم الصلح بعد أن جاءت قوات من القسطنطينية بقيادة
منويل الخصى ولكن الحملة فشلت وقتل منويل وبقي المقوقس والمصريون على عهدهم ولم
ينزعوا الى الفتنة، ومن الاسكندرية سير عمر قائد عبدالله بن أبى سرح الى أفريقية غازيا.

من هذه العلة والوجع، فعند ذلك تقدم اليه واحد
ممن كان حول الكرسي والجالس عليه وهو لابس
لباس البطارقة الرسل وعلى صدره كتاب يشبه
انجيل فقال: تختار ان اقدمك لسيدنا لينعم عليك
بالعافية. فسجد له بدموع وطلب اليه قايلًا:
ارحمني يا سيدي وامض بي اليه لانني في تعب
عظيم. فاجاب ذلك القديس وقال له: يا يوحنا
(لأنه كان كاهنًا): قل لي انك اذا عوفيت من
الرب تكون لي ولدا وانا امضي بك اليه. فعاهده

* عزل الخليفة عدداً من أمراء الولايات وأقام غيرهم، منهم عمرو بن العاص الذي عزله
عن خراج مصر بعبدالله بن أبي سرح وهو أخو عثمان لأمه، وجاءه الكتاب وهو بالفيوم، وولى
إمارة مكة خالد بن العاص ثم أخلفه في العام نفسه بالحارث بن نوفل، وعزل سعد بن أبي
وقاص وولى الكوفة الوليد بن عقبة مكانه، وهو كذلك أخ لعثمان من أمه وكان عقبة عاملاً
على عرب الجزيرة.

* توالى الفتح فعاود معاوية الذي ضم اليه حكم الموصل مع الشام غزو أرض الروم، كما
غزاها سليمان بن ربيعة حتى بلغ برذعه، وفي الشرق بلغ عثمان ابن عبدالله أرض كابل
(أفغانستان الحالية).

سنة ٢٦ هجرية

افتتحت السنة بيوم الثلاثاء الموافق ١٧ أكتوبر ٦٤٦م.

* السنة الأولى لإمارة عبدالله بن أبي سرح على مصر.

* استقدم عثمان عمرو بن العاص وكان قد عزله أولاً عن خراج مصر ثم عن إمارة
الحرب بعد أن اختلف مع عبدالله بن أبي سرح الذي تولى على الأثر غزو أفريقية حتى بلغ
مدينة سبيلة (جنوبي تونس) وهو أخو عثمان من الرضاة.

فى الرويا بان يكون له ولدا الى يوم وفاته . فامسك
بيد وقدمه الى مخلص العالم فخر يوحنا ساجدا
على رجليه . فقال له المخلص : يا يوحنا لماذا تحبون
الباطل يا بنى البشر وترفضون الحق وتطلبون
الكذب اذ ظننت انك جيت الى هاهنا تبني لك
قلاية طين وهى تضمحل عن قليل ، او تكتنز لك
كنوزا فى السما وتبنى لك فى اورشليم السماويه
المدينه الجديده بيتا لا يضمحل . فوقع على رجليه
وطلب منه العفو فاقامه الرب وقال له : الان قد

-
- * امد الخليفة جيش الفتح فى افريقية بقوات جديده فى مقدمتها عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو بن العاص لهذا سميت هذه الوقعة بغزوة العباد له ، وفيها قتل القائد البيزنطى جرجير على يد ابن الزبير واستولى المسلمون على ارض تونس .
 - * تولى إمارة مكة عبدالله بن خالد وهو أموى خلفاً للحارث بن نوفل .
 - * استعاد المسلمون إصطخر على يد عثمان بن أبى العاص .

سنة ٢٧ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٧ أكتوبر ٦٤٧م .

- * عاد أمير مصر عبدالله بن أبى سرح من افريقية بعد خمسة عشر شهراً مد خلالها الفتوح الى تونس وهزم ملكها جرجير (هو جريجورى بطريق افريقية) وكان قد استقل بها عن بيزنطه .

* فيها وضع أساس مدينة القيروان بضرب فسطاط فى مكانها .

- * استعد معاوية لغزو جزيرة قبرص وكان عمر قد أبى عليه غزو البحر حتى ألح على عثمان الذى اشترط أن لا يشترك فى الغزو سوى المتطوعة ، وكان منهم أبو الدرداء وأبو أيوب الأنصارى ، وأبو ذر الغفارى ، والمقداد وفضالة ووائل الكنانى ، وكعب الأحبار وعمره نحو المائة .

انعمت عليك بالعافية لاجل مرقس الانجيلي فامض
فكلما يامرك به فافعله. وصعد الرب الى السما
بمجد وكرامه. فاستيقظ من الرويا وهو معافي
وفكر قايلًا: ما هذا الفعل الان. فنزل عليه التسلي
من ذلك اليوم وصار الى دير من اعمال الفيوم
ومعه تلميذاه واختفى هناك. فظهر(*) للاب انبا
اغاثون من قال له: انفذ الى يوحنا القس الذي من
سمانود ليعينك ويساعدك وهو الذي يجلس بعدك
على الكرسي. فانفذ كهنه الى اسقف الفيوم انبا

(*) رؤية الأب اغاثون بخصوص
تولية يوحنا السمنودي البطركية
من بعده.

* تبادل الامبراطور البيزنطي كونستانز الثاني الرسائل والهدايا مع اخليفة عثمان ومن ذلك
ان ام كلثوم ابنة الامام على بعثت الى زوجة الامبراطور هدية من طيب فردت عليها بهدية فيها
عقد ثمين.
* ذكر الطبري فيما رواه انه جرت محاولة للنزول على ارض الاندلس وهي اول إشارة في
التاريخ الإسلامي الى هذه البلاد.

سنة ٢٨ هجرية

أهل المحرم يوم الخميس الموافق ٢٥ سبتمبر ٦٤٨م.

* هذه السنة هي الرابعة من ولاية ابن أبي سرح على مصر، وفيها كان على فارس عبيدالله
بن معمر، وعلى نيسابور من أرض خراسان الأحنف بن قيس، وعلى اليمن يعلى بن منه.
* تم في هذه السنة فتح جزيرة قبرص مصالحة وكان على رأس الحملة التي أنفذها معاوية
عبدالله بن قيس لخبرته بشئون البحر وكان قد خرج بسفنه، التي صنعت في الاسكندرية
وزودت برجالها من المصريين مع عتادهم وذخيرتهم، من ميناء عكا الى الجزيرة.
* انتقض أهل أذربيجان بعد أن استسلمت لحذيفة بن اليمان فأعاد غزوها الوليد بن عقبة
فتم ذلك صلحاً.

مينا وكتب اليه بان ينفذ له القس يوحنا، وكان ذلك الأسقف يحبه ويربح من كلامه، فما يقدر ان يخالف الاب البطرك فبعث الرسل اليه فحملوه في مركب وانفذه الى اسكندريه، فلما راه البطرك فرح به لان كان حكيما جدا فسلم له بيعته وجعل له السلطان عليها وعلى المدينة. وكان بعض الناس يسالوه ان يقسمه اسقفا على الصعيد واخرون لبعض الكراسى والله يحفظه لدعته مثل داود حتى يتم له ما هو موعود به في الرويا بوادي هبيب.

-
- * دخل حبيب بن مسلمة أرض الروم من بلاد الشام.
 - * إستولى معاوية على جزيرة أرواد القريبة من ساحل الشام.
 - * استعاد عبدالله بن عامر بن كريز مدينة إصطخر عنوة وكان قد قتل بها القائد عبيدالله بن معمر فأسرف ابن عامر في تأديب أهلها انتقاماً.
 - * انتقضت أذربيجان للمرة الثانية فأعاد فتحها سعيد بن العاص الذي ولاه عثمان على الكوفة خلفاً للوليد بن عقبة.
 - * عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة بعد أن تولاها ثماني سنوات وولى عليها عبدالله بن عامر بن كريز فاتح إصطخر وهو ابن خال عثمان وله من العمر خمس وعشرون سنة. ودام حكمه لها ست سنين وعزل الوليد بن عقبة عن الكوفة بسبب انه شرب الخمر وصلى بالناس الفجر اربع ركعات.
 - * افتتح المسلمون أصبهان من أرض فارس وضم حكمها الى ابن عامر.

سنة ٣٠ هجرية

استهلت السنة ليوم السبت الموافق ٤ سبتمبر ٦٥٠م.

* السنة الثامنة خلافة عثمان بن عفان وفيها بلغ عثمان ما وقع في أمر القرآن، وأن

وكان الاب الحقاني اغاثون مهتما في جميع ايامه
بقسمة الكهنة المستحقين للشرطونية الخافين من
الله والناس يشكرون الله على افعاله.

وكان في ايامه الاسقف المغبوط اغريغوريوس
اسقف القيس، وسرياني اسمه يوسف. وفي ايامه
ظهرت بدعة الهارسيس فيماناخوس النجسه (*) .

(*) ظهور بدعة فيما ناخوس .

وكان امير من المسلمين اسمه مسلمه (*) جمع
سبعة اساقفه وانفذهم الى سخا بسبب قوم علم

(*) هو مسلمه بن مخلد.
انظر الهامش السفلي ص ٣٠٢
ولى مصر على عهد معاوية =

العرب في العراق يقولون قراءتنا أصح لأننا قرأنا على أبي موسى، وأهل الشام يقولون قراءتنا
أصح لأننا قرأنا على المقداد، وكذلك غيرهم. فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير
وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام الخزومي بجمع مصحف موحد وقال
لهم: إذا اختلفتم على شئ فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل القرآن بلسانهم.

* برز دور عبد الله بن عامر بن كريز والى البصرة الجديد في فتوح المشرق، فتم له صلحا
أو عنوة فتح جور ويسابور وسرخس وطوس، فبعث اليه أهل مرو يطلبون مصاحته على ألفي
ألف ومائتي ألف في السنة.

* أشخص معاوية الصحابي أبا ذر الغفاري من الشام الى المدينة بموافقة الخليفة لأنه كان
يؤلب الفقراء على الأغنياء في الشام فأتى الريزة وخط بها مسجداً.

* سار الأحنف بن قيس الى بلاد الترك من طخارستان والجوزجان والغاربات وعليهم
طوغان شاه فكسرهم، وسار منها الى بلخ فدخلها صلحا.

* فيها سار سعيد بن العاص لغزو طبرستان ومعه الحسن والحسين وعبدالله ابن العباس
وعبدالله بن الزبير وغيرهم حتى أتى جرجان (على ساحل بحر قزوين الجنوبي) فدخلها صلحا
ولكنها انتكست بعد عودته.

- فجمع له الصلاة والحراج
وبلاد المغرب.

انهم كانوا يحرقون بالنار من القوم المستخدمين
ليكشفوا عن جروتهم، فوصلوا واجتمعوا بانسان
ارخن بسخا اسمه اسحق وسددوا حالهم [ما
عليهم] واعفوا من الحريق. واجتمع اسحق المذكور
مع والي سخا وظفرا على تاوضوروس الخلقدونى
الذى فى اسكندرية. وكان هذا اسحق قد تولى
جميع الكوره لاجله لاجل ما فعله مع البطرك من
السو.

ثم انه اكمل ايامه بشيخوخه حسنه واعتل واقام
سبع عشره سنه على كرميه وتنيح فى سادس

* فيها خرج يزدجرد الثالث ملك الفرس الهارب من جور بعد فتحها الى كرمان ومنها الى
خراسان وعلى اثره مجاشع بن مسعود.

سنة ٢١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٢٤ أغسطس ٦٥١م.

* توالى فى هذه السنة فتوح المشرق على يد عبدالله بن عامر بن كريز وقواده، فتم فتح
ابرشهر ويسابور على يد أمين بن أحمر، وتم فتح بيهق على يد الأسود بن كلثوم، وبلغ
الأحنف بن قيس أرض خوارزم ورجع عنها الى بلخ، واستولى الربيع بن زيادة على زرنج، وفتح
عبدالله بن سمره كابل.

* قام أمير مصر عبدالله بن أبى السرح بغزو بلاد النوبة حتى بلغ دنقلة وهادن أهلها وعقد
معهم صلحا يعطوه على أساسه عدد من العبيد سنويا ليتاجروا فيهم.

* شهدت السنة وفاة يزدجرد الثالث آخر ملوك فارس الساسانيين وحفيد كسرى وكان قد
تولى سنة ١١ هـ (١٦ يونيو ٦٣٢) وفقد عرشه بعد هزيمة نهاوند، وفر إلى فارس ثم إلى
خراسان وانتهى إلى نواحي مرو وفيها إغتاله أحد الناس وكان قد أوى إليه فسلمه مامعه من
جواهر.

عشر بابه وجعل جسده كما في سيرة ابي مقار مع
الاب بنيامين وهو حايط الامانه الارتدكسيه لابس
اكليل البر مع جميع القديسين في كورة الاحيا الى
ابد الابدن امين.

يوحنا من أهل سمأنود

وهو الاربعون من عدد الالبا البطاركة

[٦٧٧/٦٨٦م]

ولما تنيح الاب القديس انبا اغاتون وضع

سنة ٣٢ هجرية

الأول من السنة وافق يوم الأحد ١٢ أغسطس ٦٥٢م.

* امتدت الفتوح إلى القوقاز فغزا عبدالرحمن بن ربيعة مدينة بلنجر وحاصرها وأتاه المدد بقيادة حبيب بن مسلمة متأخرا فقتل عبدالرحمن على أبوابها.

* تولى عبدالله بن حازم إمارة خراسان من قبل عبدالله بن عامر بعد أن أوقع الهزيمة بقارن ملكها عند هراة، وتولى على الجزيرة العلاء بن وهب وهو صحابي ممن شهد القادسية.

* في هذه السنة غزا معاوية مضيق القسطنطينية إلا إنه لم يبلغ أسوارها، وذكر أن قبرص غزاها المسلمون للمرة الثانية في هذا التاريخ.

سنة ٣٣ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة الموافق ٢ أغسطس ٦٥٣م.

* مرت عشر سنين على تولية عثمان بن عفان الخلافة.

* غزا معاوية بلاد الروم وبلغ مدينة ملطية وافتتح حصن المرأة.

تاوضوروس الخلقدونى يده على الكل حتى انهم
لم يجدو خبزا ياكلوه فى يوم وفاته لانه ختم على
كلما له وعلى جميع ما عندهم الى ان انتقم منه
الرب بضربة صعبه فى احشايه وهى علة الاستسقا
وصار ياكل كل يوم اثنى عشر رطلا خبزا واربعه
وعشرين رطلا لحما وقرطلين تينا ويشرب زقا واحدا
نبذا من مريوط ولا يشبع ولا يروى ولا يمتلى بطنه.
ومات بموته سو، وولو ولده عوضه وصار لابنا انبا

* عاد عبدالله بن أبى سرح أمير مصر إلى غزو أفريقية للمرة الثانية حين نقض أهلها العهد
حتى أقرها على الإسلام والجزية ومن استشهد فى هذه الحملة معبد بن العباس بن
عبدالمطلب.

* نفى عثمان جماعة من أهل الكوفة إلى الشام كانوا يعيرون عليه ويطعون فيه.

سنة ٢٤ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو ٦٥٤م.

* السنة العاشرة من ولاية عبدالله بن أبى سرح على مصر.

* عزل الخليفة سعيد بن العاص عن الكوفة لشدة فيه وخلفة أبو موسى الأشعرى للمرة
الثانية.

* جرت أول معركة بحرية فى الإسلام وهى التى عرفت بذات الصوارى لكثرة تشابك
صوارى السفن البيزنطية والمصرية التى إشتكرت فيها. جرت إلى الغرب من الأسكندرية
وكانت عدة الأسطول البيزنطى فى رواية ألف سفينة عليها الامبراطور قنسطانز الثانى، وقاد
الاسطول المصرى عبدالله بن أبى سرح أمير مصر وعدته مئتا سفينة واقتتل الفريقان بالسيوف
والخناجر وانهزم قنسطانز الثانى وهرب إلى صقلية.

يوحنا كالولد وكان له امانة فيه ومحبه، وكان
الاب البطريك يهديه كالوالد.

وكان فى بداية جلوسه على الكرسي قتل
طيباريوس الملك على بزنتيه واخذ ولده الملك
واسمه أوغسطس. ولما ملك هذا جعل اجتهاده
السواحل التى أخذوها المسلمون فاستعادها(*)
فاخذ جزاير كثيره مما كانوا المسلمون ملكوها،
وكذلك صقلية عمرها. وفى ذلك الزمان قام غير

(*) استعادة الامبراطور البيزنطى
اوغسطس لمعظم الجزر التى
استولى عليها العرب فى البحر
المتوسط.

* بدأت الاجناد العرب الثورة فى مصر على حكم عثمان.
* قام معاوية بن حديج من قواد ابن أبى سرح فى مصر على رأس حملة إلى أفريقية
بسبب نقضها العهد ثم غزاها معاوية بعد ذلك مرتين حين تولى إمارة مصر.

سنة ٢٥ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم السبت ١١ يوليو ٦٥٥م.

* انتقلت ثورة الاجناد على عثمان من مصر والكوفة والبصرة إلى المدينة.
* خرج أمير مصر عبدالله بن أبى سرح فى رجب من العام متوجهاً إلى عثمان واستخلف
عقبة بن عامر دون ولاية، ولم يكذ عبدالله بن أبى السرح يغادر مصر. حتى استغل الفرصة
محمد ابن أبى حذيفة، وهو احد زعماء الجند الاسلامى فى مصر من القرشيين فجمع حشدا
من الجنود والساخطين، وهاجم عقبة بن عامر وهزمه واخرجه من مدينة القسطنطين ودعا الناس
الى خلع عثمان بن عفان من الخلافة.

ووصل الخبر الى عبدالله بن أبى السرح وهو فى الطريق نحو المدينة، فكر راجعا الى مصر،
ولكن رجال محمد بن أبى حذيفة تصدوا له وحالوا بينه وبين الدخول الى مصر وقتلوه
فانسحب الى فلسطين. حيث لا يعرف ما الذى انتهى اليه امره وان كان الراى على انه لم

راهب في مدينة القسطنطينية اسمه مكسيموس وحرك اضطرابا وقلقا في كورته وقال : ان كنتم على امانة خلقدونيه حقا فاعترفوا بقول الجمع بطبيعتين وشخصين واقتنومين وارادتين ومشيتين [مشيئتين]. فتبعه جمع كثير فوقع بينهم خصومه عظيمه وغضب عليهم اوغسطس الملك وانفذ هذا الغير راهب الى النفي. ومضى هذا الملك الى صقلية(*) بعد زمان فقتل هناك ذبحا بيد استاذ له من استاذيه وولى الملك بعده ولده يوستنيانوس [جوستنيان] عوضه. وكان

(*) نفى اغسطس الامبراطور الى صقلية ثم ذبحه على يد أحد قواده، وتولية ابنه يوستنيانوس (جوستنيان).

يلبث أن قتل في مدينة الرملة. وانحازت شيعة عثمان وعلى رأسهم معاوية بن خديج وخارجه بن حذافة ويسر بن ارطاه ومسلم بن مخلد الى مدينة خربت.

* قتل في هذه السنة الخليفة الثالث عثمان بن عفان على يد العرب بعد أن تحولت الثورة عليه إلى فتنه مسلحة احاطت بداره وهو يقرأ في المصحف حتى سال الدم عليه وذلك في يوم الجمعة ١٨ من الحجة (الموافق ١٧ يولية ٦٥٦م). بعد حصار دام حول بيته أربعين يوما، وقام به جيش من ستمائة مقاتل وفد من مصر بعد امور وحوادث وقعت بينهم وبين الخليفة وجماعات اخرى وفدت من البصرة والكوفة اجمعت كلها على خلع عثمان ولكنه رفض التنازل عن الخلافة وتلبية إجماع الوفود تحت دعوى أنها (أى الخلافة) ثوب البسه الله إياه فلا يخلعه عنه البشر، وكان يتزعم الثائرين محمد بن أبى بكر الصديق ووقف كبار رجال الصحابة بالمدينة وعلى رأسهم على بن أبى طالب من هذا الحصار موقفا سلبيا، وان كانوا قد ارسلوا اولادهم ليدافعوا عن عثمان ويحولوا دون قتل الثائرين اليه.

وقد خشى الثائرون من طول الحصار، أن يصل اليهم جيش من الشام قيل ان معاوية سيعث به، فأروا ان يحسموا الموقف بقتل عثمان الذى رفض ان يتنازل عن الخلافة، واذ كان اقتحام مدخل البيت متعذرا، فقد تسوروا سطح بيت من البيوت المجاورة، ونفذوا الى داخل حجرات عثمان وانقض عليه بعض الوافدين من مصر كما يقول المؤرخون، فضربوه، وطعنوه، ولم يلبثوا ان قتلوه بالسيف...

ملكا جرما فوق خوفه فى قلوب المسلمين مثل
اسد يثب على الدياب.

وفى هذه الايام بعد موت(*) يزيد بن معاوية قام
من كورة المسلمين ملك اسمه مروان ثار مثل
الاسد اذا خرج من الغابه جايعا ياكل ويدوس
الباقى برجليه، هذا ملك الشرق وفسطاط مصر
وولى اولاده كل الكور، الكبير منهم اسمه
عبد الملك دفع له دمشق والثانى عبدالعزيز دفع له
مصر. وكان خوف عظيم بين مروان وبين المصريين

(*) بعد وفاة يزيد بن معاوية تولى
الخلافة الأموية ابنه معاوية بن يزيد
فى ١٢ نوفمبر ٦٨٣ = ١٤ ربيع
اول ٦٤، وبعد حوالى أربعة
أشهر خلع معاوية نفسه من
الخلافة واعتكف فى منزله حتى
مات. فسادت الفوضى فى اركان
الخلافة الأموية حتى اجتمع أمر
الأمويين على تعيين مروان بن
الحكم الخلافة فى أواخر عام
٦٤ هـ. ثم ارسل جيشا تحت =

فى آخرها تمت تولية على بن أبى طالب الخلافة باتفاق أكثرية الصحابة بالمدينة وتخلف بنو
أمية عن بيعته.

* لقي عبدالله بن أبى سرح مصرعه عند الرملة بفلسطين أثناء محاولة العودة إلى
الفسطاط.

* وكان أول ما فعله على بمجرد تسلمه الخلافة ان عزل جميع ولاة عثمان على الأمصار،
وذلك على عكس المشورة التى وجهت اليه وهو ان يقيهم على اعمالهم حتى تتم البيعة له،
ثم يعزلهم بعد ذلك.

وقد رفض معاوية بن أبى سفيان: قرار عزله وأعلن توليه المطالبة بدم عثمان. واذ كان
معاوية قد استقر على اماره الشام أيام عمر بن الخطاب، وطوال أيام عثمان... فقد كان سلطانه
قد تدعيم فيها، ولم يعد أهل الشام يعرفون لهم قائدا غيره.. وكان ذلك أول الفرقة والتصدع
بين المسلمين.

* قيل أن معركة ذات الصواري التى ذكرت فى السنة السابقة والتى تعرف فى المراجع
الأجنبية باسم موقعة فينيكوس قد جرت فى هذه السنة.

لأنهم كانوا يترجون وصول انسان اخر اسمه ابن الزبير فوصل وغلب مروان، وجعل له كاتبان مامونان ارتد كسيان جعلهما على جميع كورة مصر ومريوط ومراقية ودبلوا وهي لوبيه، اسم احدهما اتناسيوس وكان له تلتة أولاد وهو من اهل الرها من اعمال سورية، والاخر اسمه ابا اسحق هو وولده من أهل شبرا وهم قوم اخیار ارتد كسيون.

- قيادة ابنه عبد العزيز لغزو مصر في العام التالي فتم له ذلك، ولكنه لم يلبث أن خنق في نفس العام بيد زوجته أم خالد بن يزيد ابن معاوية، وتولى الخلافة بعده في نفس العام ٦٨٥ م = ٦٥ هـ ولده عبد الملك فأقر أخاه عبد العزيز على ولاية مصر التي دامت عشرين سنة.

ولما تولى عبد العزيز مصر كتب الاب البطرك

سنة ٣٦ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الخميس ٣٠ يوليو ٦٥٦ م.

السنة الأولى خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين.

* ولم يلبث الخلاف أن أخذ صورة القتال الدموي، ذلك ان الزبير بن العوام وطلحة وقد كانا أول من بايع عليا، أعلننا انهما قد بايعا مكرهين، وخرجوا من المدينة قاصدين مكة: حيث التقيا فيها بعائشة التي روعها مقتل عثمان على الرغم من أنها كانت تؤلب عليه الناس لخلافات بينهما. وقرر الثلاثة ومن انضم اليهم ان يطالبوا بالقصاص من قتلة عثمان، وساروا نحو العراق لهذا الغرض، وخرجوا الى البصرة واعتدوا عليه فقصد اليهم علي بن أبي طالب، وعبثا حاول اقناع القوم بالكف عن الخلاف والشقاق ودارت بين الجانبين موقعة رهيبة عند الخريبة بالقرب من البصرة في شهر جماد الثاني (٩ ديسمبر) قتل فيها من الجانبين حوالي العشرة آلاف اشتهرت في التاريخ باسم موقعة الجمل نسبة الى الجمل الذي كانت تركبه السيدة عائشة والذي كان كالعلم للجيش فاستمر القتال حوله الى أن عقر الجمل وخر الى الأرض. وكانت الغلبة في النهاية لعلي بن أبي طالب واعاد السيدة عائشة الى المدينة

ولكنه كان انتصارا مؤلما على المسلمين، فقد مات في الموقعة الزبير بن العوام وطلحة بن

من اسكندرية الى مصر الى الكاتين اللذين توليا ديوانه يعرفهما حال الختم الذى كان على الاماكن وما هو فيه من الضر مع الخلق دونيين الكفرة، عند ذلك انفذ الكاتبان المذكوران رسلا الى اسكندرية بأن يفك الخاتم عن الاماكن وتسليم جميع ما البيعه الى الاب البطرك. وكان هذا الاب قديسا عليه نعمه الله ظاهره فى وجهه مثل موسى النبی، حتى ان كل أحد لا يتمكن من النظر الى وجهه ولا يقدر يميز ولا محاجر عينيه من كثرة النور



موسى النبی : نقش قطی على الحجر الجیری

عبيد الله وهما من المبشرين بالجنة وقتل من المسلمين والصحابة ما لم يقتلوا من قبل فى معركة من المعارك... ولكن هذه المرة بأيدي اخوانهم وأصحابهم فى الدين.

* فى الأول من رمضان جرى قتال فى مصر بين أنصار على يمثلهم محمد ابن أبى حذيفة وأنصار معاوية بن أبى سفيان وعليهم معاوية بن خديج والتقى الجمعان عند خربتا من نواحي محافظة البحيرة وفيها انتصر أصحاب على، وجاء إلى مصر معاوية بن أبى سفيان أمير الشام وزعيم المطلبين بدم عثمان واتفق مع جماعة على على ترك الحرب وان يأخذ الطرفان رهن لذلك فخرج ابن أبى حذيفة فى الرهن ثم قتل بأمر معاوية فى العام التالى فى سجنه.

* تولي إمارة مكة من قبل على أبو قتادة الحارث بن ربيعة الأنصارى، وتولى إمارة مصر من قبله كذلك قيس بن سعد، وإمارة الموصل الأشتر، بينما تولوها من قبل معاوية الضحاك بن قيس، وتولى على نيسابور خُليد بن كاس من قبل على.

سنة ٣٧ هجرية

٦٥٧م

* لم يقر على بن أبى طالب محمد بن أبى حذيفة الذى كان قد غصب إمارة مصر

الذى عليه. وكان الرب يشفى كثيرا من المرضى
بدعاه وكان بتول النفس والجسد وكان مسالما لكل
احد من الناس، وظهرت أفعاله وعجايه حتى
بلغت الى الملك [يوستيانوس] والى جميع من فى
قصره حتى انهم انفذوا اليه هدايا من القسطنطينيه.
وفى اول منه تولى عبدالعزیز مضى الى
اسكندرية (كعادة من يتولى) لياخذ خراجها،
وكان ذلك فى كل يوم الف دينار عينا، فحمل الى

فأرسل قيس بن سعد بن عبادة أميرا على مصر وذلك فى مستهل ربيع الاول من هذه
السنة.

ولم يكذ قيس يصل الى القسطنط حتى صعد على المنبر فى الجامع الكبير وتلا على
المصلين كتاب أمير المؤمنين الى مسلمي مصر، وهو خطاب بصدد أحداث ذلك الزمان.
وبعد ان تلا قيس الخطاب قال: أيها الناس قد جاء الحق وزهق الباطل، ما بايعنا الا من هو
خير من نعلم بعد نبينا ﷺ فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فان نحن لم نعمل
بها فلا بيعه لنا عليكم.

فقام الناس وبايعوا - واستقامت أحوال مصر.

معاوية يوقع بين علي وقيس:

واذ كان معاوية يعلم خطر مصر فى تدعيمها لجانب علي، واذا كان يعلم من ناحية اخرى
قوة مراس قيس بن سعد وأنه كفيل بتحويل مصر الى قاعدة قوية لمؤازرة علي فقد استعمل
دهاءه للايقاع بين علي وقيس فاصطنع خطابات بينه وبين قيس توهم أنه يتفاوض معه،
فنجحت خططه وأساليبه وعزل علي قيسا ابن سعد من مصر، فلم تدم امارته الا أربعة أشهر
 وخمسة أيام.

ملك الروم [جوستيان] مال كثير. وكانت

مهاده(*) عشر سنين بغير حرب، فلما وصل الى المدينة ولم يكن وصوله ظاهرا بل مستورا فلم يخرج البطرك ليلتقاه لانه لم يعلم بوصوله، فحينذ سعبه أقوام كثير كفره ومخالفون وكان مقدمهم رجلا يسمى(*) تاوفسانيس (وهو زوج أخت تاوذوروس الخلقدونى) وقالوا انه ما خرج ولا تلقاك لكثرة تجبره وكبرياه وكثرة ماله، فانفذ بغضب احضر الطوباني انبا يوحنا الى الايوان

(*) هدنه بين الامبراطور جوستيان البيزنطى والخليفة الاموى عبد الملك بن مروان مقابل ألف دينار تدفع يوميا للأمبراطور مدتها عشر سنين.

(*) الملكانيون يستغلون علاقتهم القوية بالامويين ويحرضون الوالى عبد العزيز على اضطهاد القبط.

امارة محمد بن أبى بكر الصديق،

جرى الخلاف فيمن ولى مصر بعد انصراف قيس بن سعد عنها، ف قيل هو محمد ابن أبى بكر الصديق؛ وقيل بل هو الاشتر النخعى وجاءت ولاية محمد بن أبى بكر بعده ويرجح ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة، ان يكون محمد بن أبى بكر قد ولى الامور فى مصر على وجه من الوجوه عقب انصراف قيس بن سعد عنها، فلما لم يحسن التصرف نظرا لحدائث سنة استبدله على بن أبى طالب بالاشتر النخعى عقب فراغه من موقعة صفين.

واقعة صفين؛

فى شهر ذى الحجة من هذه السنة، كانت موقعة صفين وهى التى تقابلت فيها جيوش الشام وعلى رأسها معاوية مطالبة بدم عثمان؛ بجيوش العراق وعلى رأسها على بن أبى طالب وذلك عند بلدة صفين على شاطئ نهر الفرات الغربى يقدرها البعض بالاسابيع ويقدرها البعض بالأشهر وقد تحاجز الفريقان عن بعضهما فترة طويلة دارت خلالها المفاوضات، فلما انتهت المفاوضات الى غير نتيجة بدأ الصراع العنيف لبضعة أيام متتالية: بل لقد تواصل القتال بالليل فيما سمي ليلة الهرير. واوشكت الدائرة فى ختامها ان تدور على جيش الشام فأشار عمرو بن العاص على معاوية وقد كان نصيره فى هذه المعركة، أن يلجأ الى خديعة جيش على وذلك برفع المصاحف بدعوى الاحتكام الى كتاب الله وحقن دماء المسلمين. وقد أدرك

فاوقفه بين يديه وقال له ما سبب غلظ رقبتك
وتاخيرك عن الخروج للقائى دون هذه المدينة؟
فأجاب الطوباني وقال له: قد علم الله انى لم أفعل
هذا لغلظ رقبته لكن لضعفى ولانى لا امكن فى
كل وقت من الخروج من المدينة الى موضع اخر.
فحينئذ غضب الامير وسلمه لترسمين الى ان يقوم
بماية الف دينار. فتسلمه صاحب برج اسمه سعد
رجل ليس فيه رحمة قاسى القلب مملو سوا،
فتسلمه اول يوم من جمعه الفصح الكبيره فاخذه

على بن أبى طالب ما فى هذا العمل من خدعة ومحاولة لشق صفوف جنده، فأبى الا المضى
فى المعركة حتى نهايتها المظفرة، ولكن الخدعة أحدثت اثرها وسط أصحاب على وقد كان
أكثرهم من رجال الدين والتقوى فقالوا كيف يدعوننا لكتاب الله ونأبى عليهم. فقال على لهم
كلمته المشهورة.

«انما هى كلمة حق أريد بها باطل» ولكن الاغلبية من رجاله اصرروا على ايقاف القتال
وبقبول التحكيم بالنزول على ما يقضى به القرآن.

وتم الاتفاق على ان يختار كل من الطرفين حكما يمثلهم... ومرة أخرى فرض أصحاب على
عليه أن يختار ممثلا له فى التحكيم أبا موسى الأشعرى وكان قد أبدى خلافا مع على، وذلك
فى الوقت الذى اختار فيه معاوية عمرو بن العاص.

وتم الاتفاق فى شهر صفر على ان يجتمع الحكمان فى دومة الجندل فى شهر رمضان من
هذا العام ٣٧ هجرية.

وكان مجرد هذا الاتفاق على التحكيم أن قامت هدنة بين على ومعاوية وجيوش كل
منهما، وتم الاعتراف من الناحية الواقعية بالهجرة بقيام سلطتين، أولاها يمثلها على فى العراق،
والثانية يمثلها معاوية فى الشام.

ومضى به الى منزله ليعذبه حتى يقوم بالمال . فلما
اوقفه قدامه وكان معه رجلان من اولاده الاخيار،
وهما اراس القس الامين على مال البيعه رجل ذو
سلامه مزين بكل فضيله معروف بالدعه عند اهل
المدينه . والشماس [اسحاق] كاتبه رجل حكيم
محب للناس عارف بالكتب فاضل . فلما اوقف
ذلك الرجل السو ابانا البطرك قدامه قال : اريد
منك مائة الف دينار التي امر الامير ان تقوم بها .
فاجاب وقال له بسكينه وهدو : تطلب منى مائة

وقد اعتبر البعض مجرد قيام هذه الحالة ورضاء على بها اخلايا بالدين وحكم القرآن فاعلنوا
تمردهم عليه وأطلق عليهم اسم الخوارج .

قرار التحكيم وعزل على؛

واجتمع الحكمان كما تم الاتفاق في دومة الجندل وجات على أبى موسى الأشعرى هذه
الخدعة المشهورة التى خدعه بها عمرو بن العاص ، عندما اتفق معه على ان يخلع كل منهما
صاحبه ويدع للمسلمين اختيار من يريدون ، ثم قدم عمرو بن العاص أبا موسى ليعلن للناس
ما اتفقا عليه ، فأعلن أبو موسى خلع على ومعاوية ، وتلاه عمرو بن العاص فوافق على خلع
على وأقر معاوية ، فثار عليه أبو موسى معلنا أنه قد خدعه ، ولم ينفع عليا بعد ذلك رفض
نتيجة التحكيم فقد استشرت فتنة الخوارج من أصحابه بحيث كان مضطرا لمحاربتهم قبل ان
يمضى لحرب معاوية .

أمارة الاشتر النخعي على مصر؛

أرسل على بن أبى طالب الاشتر النخعي أحد رجاله الاقوياء ليلى أمارة مصر بعد انصرافه
من موقعة صفين ، وقد أدرك معاوية من جديد مغية وصول الاشتر النخعي الى مصر فيقولون
أنه طلب من البعض أن يخلصوه من الاشتر فى مقابل مكافأة معلومة ، ففس له هذا البعض
سما فى شراب من غسل قدمه له ، فمات وهو على أبواب مصر ولم يدخلها .

الف دينار وما معى منها مائة الف درهم ولكن
الاهى لم يجعل فى شريعته ان اترك معى شيا ولا
اقتنى مالا قط لانه اصل كل شر، فما شئت أن
تفعل فافعل جسدى بيدك ونفسى وجسدى معا بيد
سيدى يسوع المسيح. فلما سمع الكافر ذلك
غضب جدا وصر اسنانه على القديس وامر ان
يحضر له قصره نحاس مملوه جمر نار وتجعل
رجلاه فيها حتى يقول انه يقوم بالمال.

ويذكر عن عمرو بن العاص وكان يجالس معاوية عند وصول نبأ موت الاشتر بهذا
الأسلوب قوله: أن لله جنودا من عسل.

قتل محمد بن أبى بكر أمير مصر من قبل على وذلك على يد معاوية ابن حديج وقيل أن
معاوية ابن حديج لما قتل محمد بن أبى بكر وضع جثته فى جيفة حمار واحرقها.

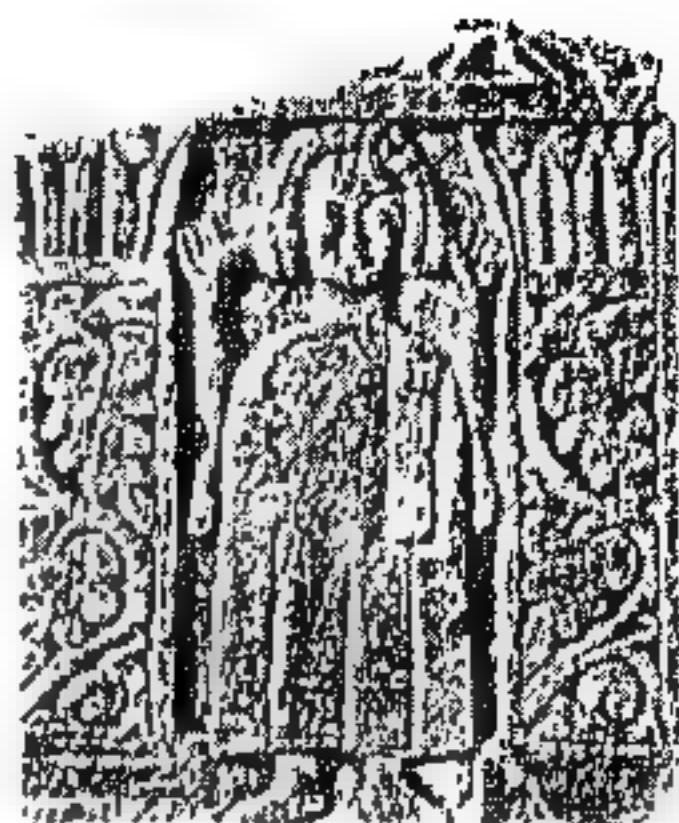
* فيها توفى بعسقلان عبدالله بن سعد بن أبى سرح، وعبيد الله بن عمر، وكريب الحميرى
من أصحاب معاوية، ومات فى الطريق إلى مصر الاشتر النخعى من أصحاب على وكان ممن
اشترك فى معركة اليرموك بفلسطين وفى النهروان ضد الخوارج وانتصر لعلى ودعا لبيعته وولاه
امارة مصر فلم يصلها.

سنة ٢٨ هجرية

استهل المحرم بيوم السبت الموافق ٩ يونية ٦٥٨م.

* تولى على مصر عمرو بن العاص من قبل معاوية وجمع له الصلاة والخراج والحرب
والشرطة وذلك للمرة الثانية وكان دخوله فى ربيع الأول على رأس جيش من ستة آلاف مقاتل
لانتزاع مصر من سلطان محمد بن أبى بكر الصديق حيث كان يحكمها باسم على. ولم
يستطع محمد بن أبى بكر أن يتصدى لهذه الجيوش القوية وفر هاربا.

والله مدبر عبيده انزل في تلك الليلة على زوجة
الامير عبدالعزیز امرا صعبا حتى انها قلقت
وانفذت استاذها الى سعد وقالت له: احذر ان
تفعل سوا برجل الله البطرك الذي سلموه لك لان
قد اصابني بسببه بلايا عظيمة في هذه الليلة.
فخلاه بغير اختياره هو وولديه الاخيار الصالحين
الى غد ليفكر فيما يفعل به. فلما كان في وقت
صياح الديك مضى سعد الى الامير واجتمع به
وعرفه الخبر وانه لم يعاقبه فقال له الامير: اياك ان



حجر قبلى على الحجر الخمرى لرجل يصلى

وعاد عمرو بن العاص الى الفسطاط... ونزل في دار الامارة التي بناها. وقد كانت امارا
مصر وأموالها هي الثمن الذي اشترطه عمرو بن العاص على معاوية ليوقف الى جواره في
صراعه ضد عبي. فلما ان انتهى التحكيم الى ما انتهى اليه على ما قدمنا، وفي معاوية لعمرو
بن العاص فسيره على رأس جيش الى مصر فدخل مصر على الصورة السابقة..
ولم يلبث معاوية بن خديج أحد كبار الأمويين أن عثر على محمد بن أبى بكر الهارب
لفقتله شر قتلة ثم وضعه في جيفة حمار وحرقه، وذلك كله بدعوى أنه كان ممن شارك في قتل
عثمان.

اختصاصات أمير مصر:

واذ عاد عمرو بن العاص الى امارا مصر على ان يكون حاكمها المطلق المتصرف في
كل شئونها، فمن الخير ان نحدد اختصاصات الامارة وكيف أنها ستجتمع لبعض الولاة
كما هو الشأن بالنسبة لعمرو بن العاص هذه المرة، وكيف توزع أحيانا على أكثر من
شخص.

اما هذه الاختصاصات فتتلخص على ما حددها الماوردي في سبع مواد:

١- النظر في تدبير الجيوش، وترتيب النواحي وتقدير الارزاق.

٢- النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام.

تمس جسده لاجل ما نالنا في هذه الليلة بسببه،
لكن مهما قدرت عليه خذه منه بلطف والا فلا
تقربه بسو لان الله قد اظهر لى انه عبده. فعاد سعد
الى بيته وكان هذا يوم التلت من الجمعة الكبيره
فاحضر يوحنا البطر ك القديس قدامه وكلمه بكلام
كثير وهدده تهديدا عظيما وجاب له ثياب يهودى
وحلف انه ان لم يحمل ما يقرر عليه اولا باول والا
البسه اياها [ملابس اليهود] ولطخ وجهه برماد
وطاف به حول المدينة كلها، فلم يخاف بالجملة

٣- جباية الخراج وقبض الصدقات وتعين العمال فيها، وتوزيع المستحق منها على
مستحققيه.

٤- حماية الدين والذود عن الحريم.

٥- اقامة الحدود في الله وحقوق الآدميين.

٦- الامامة في الجمع والجماعات، ويقوم بها بنفسه او يستخلف عليها.

٧- تسيير الحجاج.

فاذا كان هذا الاقليم قفرا متاخما للعدو اقترن بهذه المعالم مهمة ثامنة وهى جهاد من عليه
من الاعداء.

وقد كانت هذه الاختصاصات كلها في ولاية عمرو بن العاص الأولى في السنوات الأولى
من فتح مصر باعتباره صاحب الفضل فيه ومنفذه، على أن عمر بن الخطاب لم يلبث أن
فصل الخراج عن اختصاصات عمرو بن العاص وعهد بها الى عبدالله بن أبى السرح، ثم لم
يلبث ان عين قاضيا للحكم بين الناس، وهو اجراء سيلجأ اليه فيما بعد الخلفاء فيعينون القضاة
بأمر منهم.

وقد كانت كل هذه الاختصاصات فيما عدا ما يختص منها بجمع الخراج يقع في سلطان
الأمير الذى يلى مصر على الصلاة: على أساس ان الحكم الاسلامى حكم دينى، ومن يلى

بل كان يقول له بقوة قلب: ان لم يخلصني الرب
الاهى من يديك والا فما لك قدره ان تفعل فى
شيا الا بامرہ. فقال له سعد الكافر: انا اترك لك
خمسين الف دينار وتقوم بخمسين الف دينار وانا
اطلقك [تدوروا] تتسبب [تتسول] فى حالك
وتحصلها. اجاب القديس البطرك وقال له: الذى
اقدر عليه ثيابى التى على جسدى. ولم يزل ينازله
الى أن بلغ عشرة الاف دينار فقال له البطرك: ما
اقول ما لا اقدر عليه. فلما اتصل اخبر بالكتاب

الصلاة فهو أمير المسلمين ولذلك فسوف يصادفنا من الآن ان هذا الوالى أو ذلك ولى على
الصلاة والخراج معا، أو على أحدهما دون الآخر.

سنة ٢٩ هجرية

وافق أول السنة يوم الأربعاء ٢٩ مايو ٦٥٩م.

- * تجدد القتال بين على وبين الخوارج من شيعته السابقين فجرت معركة حروراء والنخيلة
وقتل فيها من رؤسائهم زيد بن حفص الطائى، وشريح بن أوفى العيسى.
- * تمثل النزاع بين أصحاب على وأصحاب معاوية فى إمارة الحج هذه السنة فكان الأمير
قثم بن العباس من قبل على ويزيد الرهاوى من قبل معاوية فاصطلحا على أن يقيم الموسم
الصحابى شبة بن عثمان حاجب الكعبة.
- * وعلى الصعيد العسكرى بعث معاوية قائده معاوية بن عوف لاستخلاص الأنبار والمدائن
من أصحاب على، والضحاك بن قيس لادخال أعراب البادية فى طاعته.
- * تولى زياد بن أبيه إمارة فارس بعد مقتل ابن الحضرمي.
- * توفى فى هذه السنة البطرك بنيامين الذى أعاده عمرو بن العاص الى كرسيه وكتب له
امانا سنة ٢٠هـ.

المتصرفين باسكندريه ان الحال انتهت الى عشرة
الاف دينار انفذوا اليه وقالوا له: أقبل بالعشرة الاف
دينار ونحن نقسطها على الاساقفة والكتاب
والدواوين التي نحن مستخدمون فيها ليلا يجرى
على البيعة شئ.

ثم مضوا الى عبدالعزیز وسالوه احضار البطرك
ليسمع منه قوله، وكان يوم الخميس الكبير، فلما
احضره ورفع نظره اليه رآه كأنه شبه ملاك الله فامر

سنة ٤٠ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الأحد ١٧ مايو ٦٦٠ م.

* السنة الأخيرة لخلافة علي بن أبي طالب وبه انتهى عصر الخلفاء الراشدين.

* تولى على المدينة الصحابي أبو أيوب الأنصاري، وخلفه في نهاية العام الصحابي المحدث
أبو هريرة من قبل معاوية، وعلى البصرة عبدالله بن عباس.

* أرسل معاوية جيشاً للاستيلاء على المدينة بقيادة بشر بن ارطاة من عاملها أبي أيوب
الأنصاري الذي فرّ منها ثم سار إلى اليمن فهرب عاملها عبيد الله بن العباس فذبح ولديه
الصبيين.

* أشرنا الى هذا النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب لقبوله التحكيم،
واعتبروا ذلك كفراً والحادا في دين الله وطلبوا من علي أن يتوب ويستغفر والا حاربوه
وقاتلوه.

فجرت لهم معارك مع علي هزمهم فيها هزيمة منكرة عند النهروان ودحرهم وأوقع بهم
مقتلة عظيمة.

فاتفق ثلاثة نفر منهم علي أن يقتلوا عليا ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة
ليخلصوا المسلمين منهم.

للوقت ان يحضر له بمخذه كبيره فرميت له
[وامره بالجلوس] فجلس عليها وقال له: ما تعلم
ان السلطان لا يقاوم. فاجاب القديس وقال له:
السلطان يسمع منه امره فيم يجب، ويخالف امره
فيما يغضب الله، فقد قال ربنا في الانجيل «لا
تخافو ممن يقتل الجسد وليس له سلطان على
النفس ولكن خافو ممن يقدر ان يهلك النفس
والجسد جميعا» يعنى الله القادر على ذلك وحده.
فقال له الامير: الهك يحب الصدق والحق؟ فقال

وفشل من تصديا لقتل معاوية وعمرو بن العاص فى تحقيق هدفهم... ولكن عبدالرحمن
بن ملجم الذى اخذ على عاتقه قتل على بن أبى طالب، نجح فى مهمته اذ تربص له فى
المسجد عند صلاة الفجر وطعنه فى الخراب بخنجر مسموم أعده لذلك وقيل بسيف وقتل
قاتله ومثّل به.

ولم يلبث على أن مات متأثرا بجراحه ودفن بالكوفة فى المكان الذى يعرف بالجحف
الاشرف.

وكانت وفاته ليلة الأحد فى التاسع عشر من رمضان (يناير ٦٦١م) واختلف فى عمره
ساعة وفاته فمن قائل أن عمره كان ثلاثة وستين عاما بينما يقول البعض بل كان ثمانية
وخمسين عاما فقط.

وعلى بن أبى طالب أشهر من أن يتحدث عنه، وهو الذى انفرد بتعظيمه جانب كبير من
المسلمين الشيعة، حتى ليغلو بعضهم فيجعله فوق البشر، والمعتدل منهم لا يعترف بامامة غير
امامته: ولا يفهم قيام مجتمع اسلامي لا يكون على راسه أحد من ذرية على أماما

* بويح الامام الحسن بن على على أثر إستشهاد أبيه، وأول من بايعه قيس ابن سعد
الأنصارى، وكان عمره ٣٧ سنة.

* مقتل ابن ملجم ومقتل وردان بن مجالد وكلاهما ممن اشتركوا فى إغتيال الامام على،
أما الثالث وهو شبيب بن بجرة ففر هاربا فى زحمة الناس.

له البطرك: الهى حق كله وليس فيه كذب بل يهلك كل من ينطق بالكذب. فاجاب الامير وقال له: انت عندي صادق فمهما كانوا النصارى قد دفعوه لك بسبب مطالبتي لك ادفعه لى وما اريد منك غيره. فقالوا الكتاب للبطرك: افعل هذا. فقبل البطرك ذلك واطلقه الامير بمجد وفرح وسرور وبهجه نالت الارتد كسيين، وغم وخزى نال اعدا البيعه. وخرج البطرك المغبوط من دار الامارة راكبا والشعب حافون به وبين يديه وهو راكب دابته

سنة ٤١ هجرية

افتتحت السنة بيوم الجمعة الموافق ٧ مايو ٦٦١م.

* سميت هذه السنة عام الجماعة لاجتماع الأمة على خليفة واحد هو معاوية بن أبى سفيان.

* فى ربيع الآخر من هذه السنة (أكتوبر ٦٦١م) تم لقاء الحسن ومعاوية عند الأنبار، وكانا قد خرجا لقتال فزار الأول من الكوفة والثانى من الشام ثم اصطلحا وتنازل الحسن لمعاوية بالخلافة حقناً لدماء المسلمين، ولكن الخوارج ساروا لقتال معاوية منهم حوثر بن وداع وفروة بن نوفل وشبيب بن بجرة.

* أصبح معاوية بن أبى سفيان خليفة بعد عشرين عاماً تولى فيها إمارة الشام، فنقل عاصمة الحكم من المدينة الى دمشق مؤسساً بذلك الدولة الأموية الوراثية.

* توالى تعيين أمراء الولايات من الأمويين: ففي مكة تولى عتبة بن أبى سفيان أول أمرائها من الأمويين، وعلى المدينة مروان بن الحكم جد الخلفاء المروانيين، وعلى البصرة بسر بن أبى أرطاة وخلفه فى العام نفسه عبدالله بن عامر للمرة الثانية، وعلى نيسابور قيس بن الهيثم، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبه، وفيها استعمل عمرو بن العاص أمير مصر عقبه بن نافع على أفريقية.

* عاصر قيام الدولة الأموية بدمشق الامبراطور البيزنطى كوستانز الثانى، وفى روما البابا فيتاليان.

بالقراءة والترتيل حتى دخل الى البيعة وصلى على
القصرية(*)، وغسل ارجل الشعب. ثم قدس
وحمل السراير المقدسة وقرب الشعب وعاد الى
قلايته برحمة الله ومعونته.

(*) القصرية . هي غالباً ما يسمى
الآن اللقان. وهو حوض صغير
يوضع به ماء لغسل الاقدام كان
قديماً يثبت في أرضية مدخل
الكنيسة. ويوجد اللقان بهذه
الصورة في بعض الكنائس الأثرية،
أما الآن فإن غالبية الكنائس
تستخدم لقائاً متنقلاً. ويستخدم
اللقان ثلاث مرات في السنة هي
اعياد (الغطاس ، خميس العهد،
الرسول).

ونال المخالفين من ذلك خزي وغم كثير، واكثر
من الكل الذين سعرو به ولا سيما تاوفانس الرئيس
على مريوط. وفي تلك الايام قبض الامير عليه اى
على تاوفانس بسرعه وسلمه الى الكاتب فانفذه

سنة ٤٢ هجرية

٦٦٢م

* تحركت الخوارج بالنهروان وجمعوا صفوفهم وبايعوا المستور بن علفة التيمى وخاطبوه
بأمير المؤمنين.

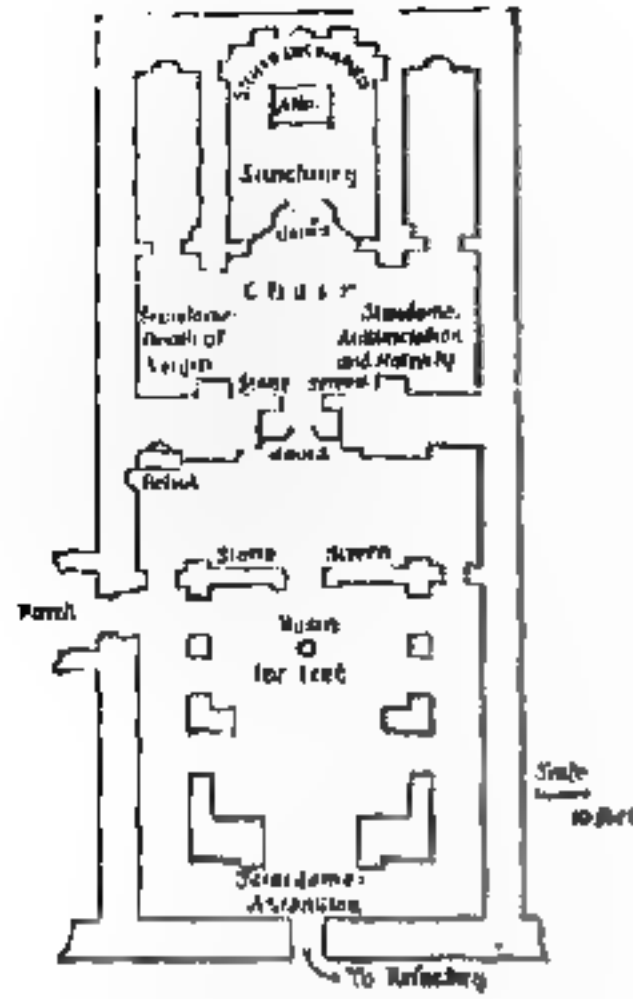
* بعث معاوية المغيرة بن شعبة الى زياد بن أبيه وكان على فارس من قبل على فخدعه
المغيرة وأنزله من قلعته وكان معتصماً بها ممتنعاً عن معاوية ثم قدم زياد بعد ذلك على معاوية
في الشام.

* تولى إمارة مكة خالد بن العاص للمرة الثانية.

* إفتح عقبة بن نافع غدامس وهي مركز هام في الصحراء الكبرى الافريقية.

* استؤنفت الغزوات شرقاً فتولى عبدالرحمن بن سمرة فتح سجستان للمرة الثانية، بينما
سار راشد بن عمر مشرقاً وشن الغارات على السند.

* في الثالث من شهر يناير من هذا العام طويت حياة الانبا بنيامين بطريرك الأقباط
المصريين لتسع وثلاثين سنة، شهد فيها انسحاب الروم ودخول الفرس الى مصر ثم انسحابهم
منها وعودة الروم، ومقدم المسلمين وانسحاب الروم.



أديرة وادي النطرون: مخطط يظهر فيه التخطيط الداخلي للدير السوراني وكنيسة العذاراء.

الى السجن ثم قتله بعد عذاب شديد ومضى الى الجحيم، والله صانع العجايب وحده رزق الاب البطرك قبولاً ونعمه عند الامير فامر في جميع المدينة ان لا يخاطب احد البطرك الا بالخطاب الحسن ولا يذكر فيه كلمة سو ولا يعترض له احد فيما يريد ولا في خروج ولا في دخول في المدينة. حينئذ وجدوا الزمان وساعدوه الراحنه والكتاب المومنون وجميع الشعب الارتد كسى حتى اوفى

سنة ٤٣ هجرية

* تولى على السند عبدالله بن سوار العبدى الذى قتل فى إحدى غزواته، وتولى على خراسان عبدالله بن خازم من قبل عبدالله بن عامر.

* تجددت أعمال الفتوح فشملت شتى الجهات: ففي المشرق إستعاد عبدالرحمن بن سمرة سجستان مستولياً على زرنج وكابل وبست وغزنة، وفي الشمال غزا بسر بن أرطاة بلاد الروم، وفي الغرب أوغل عقبة بن نافع فى بلاد السودان، كما أوغل ربيعة بن ثابت فى بلاد إفريقية (تونس).

* واصل عقبة بن نافع فتوحاته الأفريقية ففتح كورا من السودان (الغربي).

* جرت موقعة حاسمة بين جيش معاوية واغوارج وفيها قتل زعيمهم المستور بن علفة فى مبارزة مع معقل بن قيس الذى لقي نفس المصير.

* توفى فى هذه السنة أمير مصر عمرو بن العاص وذلك فى السنة الخامسة من ولايته الثانية على مصر وذلك ليلة عيد الفطر من السنة (٦ يناير ٦٦٤م) ودفن فى سفح جبل المقطم، غير أن قبره غير معروف حتى اليوم.

امارة عتبة بن أبى سفيان،

ولى معاوية أخاه لأبيه عتبة بن أبى سفيان امارة مصر على الصلاة، بينما يقول الطبرى فى

الامير ما قرر له. ومن بعد ذلك ساعده ايضا في
بيان بيعه الشهيد الجليل الانجيلي ماري مرقس
وكملها في ثلث سنين بكل زينه، واشترى لها رباعا
بمصر وفي مريوط واسكندرية وبنى طاحون كعك
ومعصرة زيت حار ودورا كثيرة جعلها لبيعة
القديس ماري مرقس وباركه الرب من كل وجه
في أعماله وكلامه.

وفي ايامه اشتركوا الارتدكسيون مع اهل اغراوه

أحداث عام ٤٣ أن معاوية ولي عبدالله بن عمرو بن العاص بعد موت أبيه فوليها فيما زعم له
الواقدي نحو من سنتين.

وقد حسم المقرئ هذه القضية بقوله ان عمرو بن العاص استخلف ابنه عبدالله قبل وفاته
فولي صلاة مصر، قبل أن يولي عليها معاوية أخاه عتبة، وقد قصد عتبة بعد ذلك الى
الاسكندرية ليقوم بها مرابطا واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني.

سنة ٤٤ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الخميس ١٤ ابريل ٦٦٤م.

* السنة الثانية لولاية عتبة بن أبي سفيان على مصر.

* وهي نفس السنة التي توفي في الشهر الأخير منها بالاسكندرية إذ لم يدم حكمه سوى
١٢ شهرا.

* تولى في آخر هذه السنة عقبة بن عامر الجهني إمارة مصر، وفيها تولى عبدالله بن خالد
إمارة مكة للمرة الثانية، وتولى على البصرة الحارث الأزدي خلفاً لعبدالله بن عامر الذي عزل،
وعلى نيسابور تولى الحكم الغفاري.

(*) اهل سخيطةس . هم رهبان وادى
سقيط: وادى النظرون، وكانوا من
الخلقدونيين.

واهل سخيطةس(*) لانهم كانوا خلقدونيين وكانت
نعمة المسيح تعينه وتقويه.

وسال الرب ان يظهر له من يصلح لان يجلس
بعده على الكرسي، فلما علم عن اخ عالم فضيل
مشمتم بكل فضيله متعبدا في دير القديس ابي
مقار بوادى هبيب اسمه اسحق، كان هذا قد صار
ولدا روحانيا لاسقف اسمه زخريا مملو من نعمة
روح القدس في هيئته ووقاره واتضاعه [تواضعه]

* غزا المهلب بن ابي صفرة أرض السند وهي أولى غزواته، بينما فتح عبدالرحمن بن
سمرة كابل، وأوغل عبدالرحمن بن خالد (ابن الوليد) في بلاد الروم وشتى بها، بينما غزا بسر
بن أرطاة في البحر.

سنة ٤٥ هجرية

استهل المحرم بيوم الاثنين الموافق ٢٤ مارس ٦٦٥م.

* تولى زياد بن أيه إمارة البصرة بعد أن تولاهما الحارث الأزدي أربعة أشهر ثم تولى
على العراق كله، وكان معاوية قد استلحقه أي نسبة إلى أبيه أبي سفيان في السنة التي
مضت.

* السنة الأولى لإمارة عقبة بن عامر على مصر، وفيها عاد خالد بن العاص إلى إمارة مكة
للمرة الثالثة ودامت إمارته ٣ سنوات.

* شملت الفتوح شمال إفريقية على يد معاوية بن حديج، والقيقان من بلاد السند على
يد عبدالله بن سوار العبدي.

وحسن اعماله فكتب القديس يوحنا البطريرك
فاحضره اليه وكان يحفظه مثل حدقة العين، وكان
الاخ اسحق مجتهدا في أعمال الله وفي الكتابة
والنسخ. وكان قد امره البطريرك مع ذلك بمشاركته
له في الاعمال البيعية، فحدث غلا في ايام
القديس يوحنا البطريرك المذكور اقام تلت سنين
واعان الله هذا الاب على القيام بحال ضعفا المدينه
تلت سنين وألا كانوا هالكين من الغلا، وكان يدفع
لهم قوتهم دفعتين في كل جمعه ويدفع ايضا لهم

سنة ٤٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الجمعة ١٢ مارس ٦٦٦م

* ولي معاوية الربيع بن زياد الحارثي حكم سجستان خلفاً لعبد الرحمن ابن سمرة
فزحف الترك على كابل حتى نزع عنها المسلمون ثم التقى بهم الربيع عند بست
وهزمهم وأنطلق وراءهم حتى رجع من نواحي سجستان، وفي الشمال شتى المسلمون
بأرض الروم.

* فيها توفي عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد وكان قد قضى الشتاء بأرض الروم غارياً فلما
بلغ حمص (وفيها توفي أبوه) قيل سقاه ابن أثال شربة مسمومة بايعاذ من معاوية خشية بأسه
وعظم شأنه عند عرب الشام،

كان اهتمام معاوية بن أبي سفيان الأول موجهها نحو سيادة المسلمين على البحر اتقاء
لهجمات القسطنطينية وتمهيدا لغزو القسطنطينية نفسها فعهد الى عقبة بن عامر الجهني ان
يحتل جزيرة رودس بأسطول مصري فأقدم عقبة على تحقيق المهمة التي نيّطت به وخرج
بأسطوله قاصدا صوب رودس.

دراهم. وكانت طاحونة الكعك لا تبطل لا ليلا ولا
نهارا بل تعمل للمنقطعين، وكانت عينه ملأى،
وكان كثير الصدقة وكان يدفع صدقات كثيره
مثل البحر وما كان يعجز عن شى فى اعماله
المرضية لله كما فعل يوحنا الانجيلى. فلحقه وجع
فى رجله من النقرس وتعذب فى ذلك كثيرا جدا
حتى ان الاطبا كانوا يعالجونه بمشورة اهله وأخوته
الغيطين به، ثم سار عبدالعزیز الى مصر فخرج
صحبتة الى ان وصل الى مصر فلحقه نخس فى

* بعث معاوية بن ابى سفيان مسلمة بن مخلد ليكون أميرا على مصر، ولكنه طلب منه
أن يخفى نبا توليه حتى يبارح عقبة بن عامر مصر بأسطوله.
وقد جمع معاوية لمسلمة بن مخلد صلاة مصر وخراجها.

سنة ٤٧ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الأربعاء ٢ مارس ٦٦٧م.

* عزل معاوية عقبة بن عامر عن إمارة مصر بعد أقل من ثلاث سنوات وولاهها مسلمة بن
مخلد وجمع له الصلاة والخراج ومد ولايته إلى شمال المغرب، وفيها سار روفع بن ثابت
الأنصارى أمير طرابلس إلى أفريقية (تونس) واستعاد جزيرة جربة، وفى أقصى المشرق لم
تنقطع المعارك بين المسلمين والترك وفيها قتل عبدالله بن سوار العبدى على حدود الهند وسائر
جيشه، وفى الشمال شتى مالك بن هيرة بأرض الروم.

* وفيها أنفذ زياد أمير العراقيين الحكم بن عمرو الغفارى الى خراسان فغزا جبال الغور
وكانت قد ارتدت.

جنبه فاخبروا الامير بذلك فحزن عليه وانفذ الكتاب ليفتقدوه واعدوا له مركبا لينحدر الى اسكندرية، وكان كاتب هذه السيرة معه لانه ولده، فلما وصل الى مدينة اسكندرية وصل الخبر الى جماعة الاساقفة انه متوعدك فدخلوا اليه، وكان صحبتهم اغريغوريوس اسقف القيس. واما يوحنا اسقف نيقوس، واما يعقوب اسقف ارواط واما يوحنا اسقف سخا واما تيدر اسقف ميليس وجماعه من الشعب، وكانوا كلهم حزانا لما راوا



احد وجهاء القبط وشكل عمامته

سنة ٤٨ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الأحد ٢٠ فبراير ٦٦٨ م.

* السنة الأولى لولاية مسلمة بن مخلد على مصر وهي التي امتدت أكثر من ١٥ عاما وهو أول أمير جمع بين حكم مصر وأفريقية وكان ممن إشتبك في فتح مصر مع عمرو بن العاص

* تولى إمارة السد سنان بن سلمة خلفاً لعبد الله بن سوار الذي قتل في حرب الترك من قبل زياد أمير المشرق كما ولي غالب بن فضالة على خراسان، وفيها تولى إمارة المدينة سعيد بن العاص خلفاً لمروان بن الحكم الذي عزله معاوية (وقيل في السنة التالية).

* في هذه السنة لقي الامبراطور البيزنطي كونستانز الثاني مصرعة في سيراكوز بجزيرة صقلية وخلفه ابنه باسم قسطنطين الرابع الذي عاصر الغزو العربي للقسطنطينية نفسها.

سنة ٤٩ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة الموافق ٩ فبراير ٦٦٩ م.

* تميزت أحداث هذه السنة بالحملة البحرية التي نظمها معاوية لحرب الروم حتى بلغت

راعيهم يدعى من الارض الى السماء، وانه لم يقم
فى جيلهم من يشبه افعاله. ولما وصل الى ييعة
القديس مارى مرقس الانجيلى التى بناها باحكام الله
الغير مدروكه حملوه ودخلوه الى المذبح الكبير
فوقف بقوة الروح وقال صلاة الشكر على
كمالها، فغاب حسه فحملوه ودخلوه به مخدعه
فاسلم الروح فى يد السيد المسيح بمجد وكرامه.

وكانت مدة مقامه على الكرسي تسع سنين
وتنبح فى اول يوم من كيهك(*) وجعل جسده فى
(*) سنة ٣٩٢ = ٤٠٢ ق = ٦٨٦ م.

أسوار القسطنطينية لأول مرة وكانت تحت إمرة سفيان بن عوف واشترك فيها يزيد بن معاوية.

حرض مسلمة بن مخلد معاوية على غزو القسطنطينية ولا بد أنه هيا لمعاوية الأسطول
اللازم لهذه الغزوة، فقد كانت مصر فى هذه الفترة القاعدة الرئيسية للأسطول الاسلامى وقور
معاوية أن يكون غزو القسطنطينية من البر والبحر معا ووضع الحملة تحت قيادة ابنه يزيد،
الذى لم يخف سريعا لتولى القيادة.

واستطاعت الجيوش البرية أن تتوغل فى آسيا الصغرى حتى وصلت الى مشارف
القسطنطينية فى الوقت الذى حاصرت الأساطيل المدينة نفسها، وقد دام الحصار الذى فرض
على المدينة ست سنوات، وهو أخطر حصار تعرضت له، ولم ينجها منه الا توفيق البيزنطيين
الى اكتشاف سلاح رهيب فى هذه الفترة وهو ما اشتهر باسم النار الاغريقية حيث كان يتعدى
اطفاؤها فكان هذا السلاح المفاجيء حاسما فى تدمير السفن الاسلامية، وفشل الغزوة بعد
كل الجهود المضنية التى بذلت: واضطر معاوية فيما بعد الى ابرام معاهدة صلح مع بيزنطة
مدتها ثلاثون سنة.

* لقي الخطيم الباهلى زعيم الخوارج مصرعه بالبصرة على يد زياد أمير العراقيين الذى أمر

المكان الذى بناه لنفسه قبل نياحته فى كنيسة مارى
مرقس الرسول بقرا [ء]ة وتسايح صاعده الى الله
الذى له المجد والوقار والتسبيح والعظمه والقدرة
الى ابد الابد امين.

السيره السادسة عشره من سير البيعه المقدسه
اسحق البطرك وهو فى العدد الحادى والاربعون
[٦٨٦ / ٦٨٩ م]

هذا الاب ابا اسحق الذى ظهر للاب ابا يوحنا

به فقتل، كما لقى مصرعه خارجى آخر هو شبيب الأشجعى (غير الثائر شبيب الشيبانى)
وذلك على يد كثير بن شهاب بأرض أذربيجان.

سنة ٥٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ٢٩ يناير ٦٢٠ م.

* فى هذه السنة كسفت الشمس حتى رؤيت النجوم فى المدينة نهارة، وتذكر اسطورة أن
معاوية أراد أن ينقل منبر الرسول إلى دمشق فكسفت الشمس.

* وضع عفبة بن نافع نواة مدينة القيروان لتكون عاصمة للمسلمين فى إفريقية واتخذها
بعيداً عن ساحل البحر بمأمن من غارات الروم وهى المدينة الإسلامية الثانية بإفريقية بعد
الفسطاط.

* استشرى الطاعون بالكوفة وهو رابع طاعون فى الإسلام وتوفى به عدد من أعيان الدولة.

* جمع معاوية إمارة البصرة والكوفة (أى العراق كله) لزياد بن أبيه وهو أول من جمعت
له وكان يقيم فى كل منهما ستة أشهر، وفيها وجه الربيع الحارثى إلى خراسان فاستعاد بلخ
وفتح قوهستان عنوة.

انه يجلس بعده بسواله ورغبته على ما تقدم ذكره،
لان الكتاب يقول: «ان الرب يفتقد اصفياه». وقال
ايضا: «لا ياخذ احد كرامه من نفسه الا ان يعطاها
من عند الرب من السماء». وقال في المزمور:
«طوبى لمن اصطفيته وقبلته اليك».

ولما ان مضى ابا يوحنا الى الرب بالتذكار الجيد
اجتمعوا(*) الاساقفة، وكان مقدمهم اسقف القيس
اغريغوريوس، ويعقوب اسقف ارواط، ويوحنا اسقف

(*) أزمة بين رجال الكنيسة حول
تعيين البطريرك اسحاق ومحاولة
بعضهم تعيين بطريرك آخر.

* وفي هذه السنة (٥٠هـ) في شهر ربيع الاول توفي الحسن بن علي بن أبي طالب
وينسب البعض الى يزيد بن معاوية أنه تسبب في موته بأن تأمر مع زوجة الحسن جعده بنت
الاشعث بن قيس الكندي على وضع السم له مما أدى لموته.

سنة ٥١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ١٨ يناير ٦٧١م.

* مرت عشر سنين على خلافة معاوية بن أبي سفيان أول الأمويين، وفيها حج معاوية
بالناس وأخذهم ببيعة ابنه يزيد.

* غزا بسر بن أرطاة الصائفة وشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم.

* تولى الربيع بن الحارث إمارة خراسان من قبل زياد وسير معه خمسين ألفا من المسلمين
من أهل الكوفة والبصرة مع أسرهم ليستوطنوا خراسان، وفيها عاد وفتح بلخ للمرة الثانية
صلحا.

* تولى إمارة السند أبو الأشعث العبدى خلفاً لراشد الازدى ودامت إمارته عشر سنين.

* فيها كان مقتل الصحابي حجر بن عدى وكان يلقب حجر الخير مع ستة من أصحابه

نقيوس، وجماعه من الاساقفه والشعب المسيحي،
تشارو مع كهنة اسكندرية فاشركو معهم الكاتب
المتولى واتفقو فى ان يقدمو الشماس جرجة الذى
من سخا بطركا من غير مشاوره الامير عبدالعزیز.
وقالو: ان هو وجد علينا أو تقمقم قلنا له ان ابا
يوحنا البطرك تقدم الينا ان يكون هذا يجلس
مكانه من بعد وفاته واخذ علينا عهدا وايمانا
بذلك فلم يمكننا مخالفته. ثم اخذو الشماس
جرجه واقسموه قسا والبسوه اسكيم الرهبنة، ثم

متهمين بالتشيع لآل البيت أرسلهم زياد من الكوفة إلى معاوية بدمشق فأمر بهم فقتلوا بمرج
غدراء (بالقرب من دمشق).

سنة ٥٢ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الخميس ٨ يناير ٦٧٢م.

* حج بالناس فى هذه السنة أمير المدينة سعيد بن العاص.

* جرى الصلح بين عبيد الله بن أبى بكره وبين رقبيل أمير كابل على مليون درهم وكان
على السند أبو الأشعث، وفيها شتى سفیان بن عوف (قائد حملة القسطنطينية) بأرض الروم،
بينما غزا الصائفة (ضد الروم) محمد بن عبدالله الثقفى.

* فيها استشرت ثورة زياد العجلي على الأمويين بالعراق فقاتله زياد بن أبيه وقضى عليها
وفيهما قتل العجلي.

* فيها توفي بمصر معاوية بن حديج قائد الكتائب ممن شهد صفين مع معاوية والذي أخذ
بيعة أهل مصر له بعد مقتل محمد بن أبى بكر أميرها من قبل على ثم غزا المغرب وصقلية.

نادو فى البيعه ان فى غد يقسم البطرك وسهو عن
قول الكتاب [المقدس]: الرب يغدر ارا [ء] الامم
ويبطل افكار الشعوب ويوقف امور الملوك. ولما
كان بالغداة البسوة ثوب البطركيه واعدو
حوايجهم واخرجوه بتعظيم وكانو مجتهدين فى
اصلاحه، واجتمعو بارشيدياقن المدينه وكان اسمه
مرقس وكان رجلا فهما فاضلا مميزا فى المدينه،
فمنعهم وقال: ان لم تيجو يوم الاحد على ما
جرت به العادة فى القوانين ويجتمع جميع اهل

سنة ٥٢ هجرية

الأول من المحرم وافق الاثنين ٢٧ ديسمبر ٦٧٢م.

* استولى الصحابى جنادة الأزدي على جزيرة رودس، وكان قد اشترك فى غزو مصر، وفى
هذه السنة قاد حملة بحرية أنفذها معاوية لغزو الجزيرة فاستولى عليها كما استولى الفاتحون
على تمثالها المشهور الذى كان يعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع القديمة.

* فى مقابل غزو المسلمين لجزيرة رودس من الروم قام البيزنطيون بغزو ساحل مصر عند
بحيرة البرلس والأمير عليها مسلمة بن مخلد للسنة السادسة فردهم وفيها قتل عابد بن ثعلبة
البلوى ووردان مولى عمرو بن العاص، وعائد بن ثعلبة.

* استعمل معاوية على الكوفة الضحاك الفهرى خلفاً لزياد بن أبيه، وعلى مكة
عمرو بن سعيد بن العاص الذى استمر عليها حتى ثورة عبدالله بن الزبير، وفيها استعمل
على البصرة سمرة بن جندب من طرف زياد أمير المشرق كله، بينما ولى ابنه عباد بن
زياد على سجستان فاستولى على قندهار كما أمر ابنه عبيد الله ابن زياد على نيسابور
(خراسان).

المدينة والا فما اوسمه . وهذا امر من الله ليقدّم من
اصطفاه اولا وهو ابا اسحق الراهب من اهل شبرا .
فلما كان بالغداة وصل قوم من اصحاب الامير
وقالوا اين الذين اوسموه بطركا واين الاساقفة
والكهنة الذين اوسموه بطركا نمضى بهم الى مصر
موكلين بهم ، فاخذوهم وساروا . فلما كشفوا الامر
وجدوا الكتب تشهد انه ليس الذى قال عنه ابا
يوحنا فى حياته ، فغضب الامير عبدالعزیز وبطل

سنة ٥٤ هجرية

استهلت السنة بيوم الجمعة الموافق ١٦ ديسمبر ٦٧٤م .

* عبر المسلمون نهر جيحون (أموداريا) بأسيا الوسطى لأول مرة بقيادة عبيد الله بن زياد
وسار نحو بخارى وافتتح بعض نواحيها ، وفيها غزا ابن هبيرة الشيباني طبرستان (جنوبى بحر
قزوين) فصالحه أهلها على نصف مليون درهم .

* ولى معاوية على المدينة مروان بن الحكم للمرة الثانية خلفا لسعيد ابن العاص ، وعلى
البصرة ابن غيلان الثقفى خلفا لسمره بن جندب ، وكان على خراسان خليلد بن يربوع وعلى
الكوفة عبيد الله بن خالد .

سنة ٥٥ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٦ ديسمبر ٦٧٤م .

* ولى معاوية فى هذه السنة أبا المهاجر دينار على أفريقية خلفا لعقبة بن نافع الذى عزله ،
كما عزل ابن غيلان الثقفى وولى البصرة عبيدالله بن زياد ، كذلك ولى الضحاك بن قيس على
الكوفة .

امر جرجه وامر بتقديم اسحق، وكان الامر من الله
[ليقدم من أصفاه]، فمضوا به الاساقفة واوسموه.
وجلس على الكرسي ثلث سنين وكان الرب معه
يعينه حتى اقام البيعة الكبيرة التي للقديس مرقس
لما مالت حيطانها والابسقويين. وعلى يديه تجددت
قداديس بيع الارتدكسين التي لم يتمكنوا من أن
يفعلوها اولا. وبني بيعة لخلوان لان في ذلك
الموضع كان يمضى الامير عبدالعزیز وكان قد امر

سنة ٥٦ هجرية

افتتحت السنة بيوم الأحد الموافق ٢٨ نوفمبر ٦٧٥م.

* اعتمر معاوية في رجب من هذه السنة مستظلاً الرأي فيما اعتزمه من تولية ابنه يزيد
الخليفة من بعده والبيعة له.

* غزا سعيد بن عثمان بن عفان سمرقند وقاتل الصغد وهزمهم وكان من قواده المهلب
بن أبي صفرة وطلحة الطلحات، وكان سعيد قد تولى على خراسان بعد عزل عبيد الله بن
زياد، وصالحه الصغد وأعطوه رهناً ٥٠ غلاماً من أبناء عظمائهم وفيها غزا يزيد بن شجرة في
البحر.

سنة ٥٧ هجرية

* غزا البحر جنادة بن أمية فاتح رودس، وغزا الروم عبدالله بن قيس ومالك ابن عبدالله
الجنعمي.

(*) كانت الديانة السائدة في الحبشة والنوبة هي المسيحية على مذهب الكنيسة المصرية التي كانت تملك سلطاناً روحياً على المملكتين وتقيم لهنم الاساقفة. ولكن بسبب قيام ملكة النوبة بالإغارة المستمرة على الحبشة من أجل جلب الرقيق لبيعهم في اسواق الخلافة بحسب الاتفاق القديم بينهم وبين عثمان بن عفان، قامت عدة حروب محدودة بينهما. انظر كذلك ص ٩١٥ وما بعدها الهامش السفلي

اراخنة الصعيد وساير الكور ان يبنى كل واحد منهم لنفسه مسكنا بحلولان المدينة.

وفي تلك الايام كتب(*) البطرك الى ملك الحبش وملك النوبة ان يصطلحا ولا يكون بينهما سجنس وذلك خلف كان بينهما، فسعى قوم من اهل المكر الى عبدالعزیز [وأخبروه بذلك] فغضب جدا وانفذ من يحضره ليقتله، فكتبوا الكتاب كتباً غير الكتب ودفعوها الى الرسل الذين انفذهم الى

سنة ٥٨ هجرية

الأول من المحرم الموافق يوم الثلاثاء ٢ نوفمبر ٦٧٧م.

* نشبت ثورتان للخوارج الأولى في الكوفة وتزعّمها حيان بن ظبيان السلمي، والثانية في البصرة تزعّمها طواف الهشّات ولكن قضى عليها وقتل حيان وطواف، كما قتل من زعمائهم عروة بن أدية على يد زياد.

* ولي معاوية ابن اخته عبدالرحمن بن أم الحكم على الكوفة فثارت عليه المدينة وأخرجته لسوء سيرته ثم ولاه أمر مصر فطرده منها معاوية بن حديج وكان ذا شأن في خلافة معاوية، حتى كانت تزين له الطرق عند قدومه دمشق.

* أعاد عقبة بن نافع غزو بلاد تونس واختط مدينة القيروان وبنى مسجدها.

* كان مسلمة بن مخلد قد بعث عقبة بن نافع لاعادة فتحى افريقية التي كانت قد انتقضت على الحكم الاسلامي، فأعاد فتحها وأسس مدينة القيروان.

* فيها توفي عقبة بن عامر أمير مصر وضريحه مازال قائما بقرافه الإمام الشافعي.



رسم للسيدة مريم في حالة تعبد من الحبشة

الحبشه، واخذو تلك الكتب منهم خوفا على
البطرك، وانما فعلوا هذا الامر ليلا يلحق البيعة
ضرر. ومن قبل ان يصل البطرك الى الامير عرفوه
ان الرسل هاهنا ومعهم الكتب فانفذ سرعة طلبهم
واخذ الكتب، فلما وقف عليها لم يجد شيئا مما
ذكر له فسكن غضبه وانفذ للوقت واعاد البطرك
الى اسكندريه. ولم يدعه بعد هذا يصعد الى القبلة
[مقابلته]، حينئذ أمر بكسر جميع الصليبان التي في
كورة مصر حتى صليبان الذهب والفضه. فاضطربوا

سنة ٥٩ هجرية

وافق أول السنة يوم السبت ٢٣ أكتوبر ٦٧٨

* غزا أبو المهاجر دينار أمير أفريقية الاندلس حتى نزل على مدينة قرطاجنة ثم افتتح بلدة
ميلة وهي إلى الشرق من بجاية وقضى في حملته نحو عامين.

سنة ٦٠ هجرية

افتتحت السنة يوم الخميس الموافق ١٣ أكتوبر ٦٧٩

* في رجب من هذه السنة على الأرجح توفي معاوية ابن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية
وكانت سنه عند وفاته سبعا وسبعين سنة وقد دامت خلافته عشرين عاما وكان قبلها أميراً
على الشام لعمر وعثمان، وأسلم معاوية قبل أبيه.

وأبوه سفيان بن حرب الذي تولى حرب المسلمين وظل على شركه حتى كان فتح مكة
فدخل الاسلام مكرها. وقيل أن معاوية قد أسلم قبل فتح مكة وإن كان قد أبقي اسلامه في
الخفاء خوفا من أبيه.

نصارى ارض مصر. ثم كتب عدة رقاع وجعلها
على ابواب البيع بمصر والريف ويقول فيها:
«محمد الرسول الكبير الذى لله، وعيسى ايضا
رسول الله، وان الله لم يلد ولم يولد».

ثم ان الطوباني [اسحق] تنيح ومضى الى الرب
بسلام وهو حافظ الامانة الارتدكسيه لابس اكليل
البر مع جميع القديسين. وبعد نياحته جعل جسده
فى المكان الذى أنشاه فى ييعة مارى مرقس
بقراء [ع]اة وتسبيح.

وهو ينطوى على اخلاق مؤسسى الأسرات الحاكمة فى كل زمان ومكان عندما لا
يتخرجون من شىء لبلوغ غرضهم، وهم فى نفس الوقت منطوون على مهارات وقدرات فائقة
وسعة صدر وحكمة ودهاء واستعداد للبطش من ناحية أخرى.

على أن سقطة معاوية الكبرى التى لا تحتل دفاعا من أى نوع كان، هى فرض ولاية
العهد من بعده لابنه يزيد الذى كان يعرف عدم صلاحيته لهذا المنصب من كافة النواحي فقد
كان كل همه الصيد والشراب والجنون... فدل ذلك على أنه قد حكم هواه، وكان معنى ذلك،
أنه حول منصب الخليفة الى منصب وراثى قد يتولاه البله أو المجانين أو المفسدين فى أكثر
الأحوال كما حدث بعد ذلك.

سنة ٦١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين الأول من اكتوبر ٦٨٠م.

* السنة الأولى من خلافة يزيد بن معاوية، والرابعة عشرة من ولاية مسلمة ابن مخلد على

مصر.

وكان الشعب والكهنة مهتمين في من يقدمونه
بعده على كرسى البطركية. ووقع بين كهنة ماري
مرفس الانجيلي وكهنة بيعة الانجيليون في المدينة
خصام(*)، قوم يقولون لاجل يوحنا الاغومنس بدير
الزجاج ويسمى بالرومية «طورهانتون»، انه مستحق
لهذا لانه رجل عالم كاتب وكان اشبين الكاتب
المتولى، واخرون يقولون عن انسان اسمه بقطر
اغومنس دير (تفسر) [تابوصيرص] وكان ايضا
رجلا فاضلا. ثم عرفوا اهل بيعة الانجيليون لاجل

(*) النزاع بين رؤساء الكنيسة
القبطية حول تعيين البطرک الجديد
عقب وفاة البطرک اسحاق.

* شهد العام النزاع المسلح بين يزيد والعلويين وعلى رأسهم الامام الحسين وقد بدأت
مقدماته منذ وفاة معاوية في العام الماضي وامتناع الحسين وعبدالله ابن الزبير (ابن عمه
الرسول) خاصة وخرج كلاهما من المدينة إلى مكة.

* جرى اللقاء الحاسم بين الامام الحسين وشيعته وجيش الأمويين بقيادة عبيد الله بن زياد
عند كربلاء في يوم عاشوراء الموافق العاشر من المحرم وهو ما عرف يوم كربلاء الدامي وفيه
قتل الحسين كما قتل من اخوته جعفر وعتيق ومحمد والعباس كما قتل ابنه الأكبر على
وعبدالله وابن أخيه القاسم ابن الحسن وابنا مسلم بن عقيل وعبدالله وعبدالرحمن وغيرهم.

* ولي يزيد على المدينة الوليد بن عتبة للمرة الثانية بعد أن عزل عمرو بن سعيد وحج
بالناس.

سنة ٦٢ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة الموافق ٢٠ سبتمبر ٦٨١م.

* ولي يزيد إمارة المدينة ابن عمه عثمان بن محمد بن أبي سفيان وهو الذي حج بالناس

يوحنا ففرحو وساعدهم الكاتب لانها البيعه
الكبيره وفيها مايه واربعون كاهنا. فكتب لهم
تاودرس ارخن مدينة اسكندرية الى الامير عبدالعزیز
يذكر له يوحنا اغومنس دير الزجاج هو الذى وقع
اختيار الجمع عليه ان يصير بطركا(*)

(*) لعله بسبب الخلاف السابق بين
اساقفة الاسكندرية، قرر الوالی
عبد العزيز أن يكون انتخاب
البطرك فى بابليون القسطنط.
ومنذ هذا التاريخ حتى القرن
الحادى عشر الميلادى والبطاركة
ينتخبون فى بابليون ولكن
وسامتهم كانت تتم فى كنيسة
الملاك بالاسكندرية.

ومدة مقام ايينا البطرك انبا اسحق على الكرسي
الرسولى سنتان وتسعة شهور وتنيح فى اليوم الثانى
من هتور ومضى الى السيد المسيح حافظا امانته

فى هذه السنة، وفيها أعاد يزيد إمارة افریقیة لعقبة بن نافع الذى قاد الحملة الثانية والكبرى
لفتح شمال افریقیة، بدأها من برقة وانتهى الى ساحل المحيط الأطلسى عند موقع ميناء
أغادير الحالية، ولكن عند عودته لقي مصرعه؛ وفى أقصى المشرق غزا أسلم خوارزم
وصالحوه على مال. وتولى إمارة مصر سعيد ابن يزيد لمسلمة بن مخلد بعد وفاته.

* أعلن عبدالله بن الزبير إصراره على رفض مبايعة يزيد وحصد عن مكة جيشا أرسله يزيد
بقيادة أخيه عمرو بن الزبير وحبس أخاه الذى توفى تحت السياط.

* توفى فى هذه السنة أمير مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى الذى تولى منصبه ١٥ سنة
و٤ أشهر متوالية وهو أول من جمع له حكم مصر وافریقیة. وأول من أحدث المنابر والمساجد
وهو الذى هدم ما بناه عمرو وأعاد بناء مسجد القسطنط وتوسيعه، وكان قد اشترك فى فتح
مصر مع عمرو، توفى بالاسكندرية يوم ٢٥ رجب (٩ ابريل ٦٨٢).

سنة ٦٣ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الأربعاء ١٠ سبتمبر ٦٨٢م.

* أعلن عبدالله بن الزبير فى مكة خلع يزيد من معاوية من الخلافة وأعلن نفسه خليفة

ضابطا رعيته. وقد ذكر لى فى نسخة اخرى انه
اقام فى البطركية ثلث سنين. الرب يرحمنا بصلاته
وصلاة من ارضاه باعماله امين.

سيمون (*) [سيماون] البطرك

وهو من العدد الثانى والاربعون

[٦٨٩ / ٧٠١م]

(*) البطرك سيمون من أصل
سريانى ولكنه كان على مذهب
الكنيسة المصرية. وكان تعيينه
أحد أسباب الوفاق بين الكنيستين
المصرية والسريانية فى هذا
الوقت. ولكن بسبب توبيخه
الشديد للأساقفة وانعزاله عنهم
دبروا له مؤامرة أدت إلى موته
مسموماً.

وكان معه فى الدير رجل قديس خائف من الله
فاضل عالم اكثر من جماعه فى جيله اسمه

للمسلمين، وامتدت الثورة على يزيد إلى المدينة بالرغم من الوفد الذى ارسله واليها عثمان بن
محمد إلى دمشق ومبعوث يزيد إلى المدينة النعمان بن بشير وتزعم ثورة المدينة عبدالله ابن
حنظلة (وهو ابن الصحابى الشريد الذى حكى ان الملائكة غسلته).

* انتدب يزيد لقمع ثورة الحجاز مسلم بن عقبة على رأس ١٢ ألف سار بهم إلى المدينة،
وقبل نهاية السنة جرت وقعة الحرة (موقع فى شمال شرقى المدينة) وتعرف بحرة واقم وفيها
هزم أهل المدينة وأحرقها بعد القتل والفسق وفعل ما لا يفعل وبلغ عدد من قتل من الأنصار
والمهاجرين بها ٣٠٦ ولذا لقب قائد يزيد مسرفة بن عقبة، لأسرافه فى القتل فى ٣١ أغسطس
٦٨٢، وسار من المدينة إلى مكة يريد ابن الزبير ولكنه مات فى الطريق.

* فى افريقية تولى زهير البلوى القيادة بعد مقتل عقبة بن نافع على يد كسيلة قائد البربر
ولكنه هزم بدوره فاخلى القيروان ولجأ إلى برقة.

سنة ٦٤ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٣٠ أغسطس ٦٨٣م.

* تعددت الفتن والثورات فشملت الحجاز والشام ومصر وشمال أفريقية، وتعدد خلفاء
الذين تولوا عرش الأمويين.

سيمون من اهل المشرق جاباه ابواه الى اسكندريه
منذ صباه ودفعاه قربانا للبيعه، مثل صمويل، اجل
[لأجل] جسد القديس ماري سويرس، لانه في
تابوت في ذلك الدير. وكانوا السريان يجيبون له
قرايين ونذور. ثم ان تادرس المذكور اخذ سيمون
اولا من ايام انبا اغاثون ومضى به الى ابا يوحنا لما
كان شمساً ليعلمه قوة الكتابه وفصول الكتب
[والعلوم البيعية]. وبنعمة السيد المسيح الذي معه
تعلم [الكتب] العتيقة واشيا كثير من الكتب

* أعلن ابن الزبير حقه في الخلافة فأقام على المدينة أخاه عبيد الله، وعلى الكوفة عامر بن
مسعود، وعلى البصرة عمر بن عبدالله التيمي، وعلى خراسان عبدالله بن حازم، وفيها حج
بالناس عبدالله بن الزبير.

* تولى الحصين بن نمير السكوني قيادة جيش الأمويين بعد وفاة مسلم بن عقبة فلما بلغ
مكة حاصرها ورمى الكعبة بالمنجنيق.

* شهد العام وفاة الخليفة يزيد بن معاوية في ١٤ ربيع الأول (١١ نوفمبر) وله من العمر
٣٨ سنة.

* تولى الخلافة معاوية (الثاني) بن يزيد ثالث الخلفاء الأمويين ولكنه لم يلبث أن خلع
نفسه بعد حوالي أربعين يوماً. وبعد أن خلع نفسه دخل داره فتغيب حتى مات، فاضطربت
أحوال بني أمية في الشام بالإضافة إلى استقلال ابن الزبير بالحجاز وتعيينه ولاة من قبله على
أكثر الأمصار بما فيها مصر الذي جعل عليها عبدالرحمن بن جحدم، ومات في العام نفسه
بدمشق.

* نجح الأمويون حول نهاية العام في لم شملهم وولوا الخلافة مروان بن الحكم (٣)
القعدة) ولكنه واجه خصومة الضحاك الفهري الذي كان قد بايعه أهل دمشق حتى تنتهي
الفتنة وتحول النزاع إلى حرب قتل فيها الضحاك.

الحديثه فى زمان يسير لان أبا يوحنا كان فاضلا،
فلما راه انبا اغاتون جيدا فى افعاله اوسمه قسا
وهو كان الثانى بعد ابيه يوحنا فى طقس الدير.
فكتب للامير وانفذ يحضر يوحنا، فسار ولده معه
وقوم من كهنة اسكندرية والارخن تادرس
صحبتهم، فلما وصلو دفعوا الكتاب للامير وفيه
اسم يوحنا فاراد ان ينظره فلما راه طاب قلبه عليه
لان [لأنه] كان شخصا حسنا بهى المنظر. ثم سال
الكهنة والأساقفة عنه فقالو نعم هو يصلح.

سنة ٦٥ هجرية

استهل المحرم بيوم الخميس الموافق ١٨ أغسطس ٦٨٤م.

* جلس فى هذه السنة على دست خلافة الأموية مروان بن الحكم ثم ابنه عبد الملك بن مروان.

* استعاد الخليفة مروان حكم مصر بعد زحفه عليها فى غرة جمادى الأولى من السنة
وكان عليها عبدالرحمن بن جحدم من قبل بن الزبير فازاحه، وقتل من أنصار ابن الزبير ٨٠
رجلاً واستعمل عليها ابنه عبدالعزيز بن مروان التى دامت ولايته عشرين سنة متوالية.

* هزم ابن الزبير جيش مروان وعليه حبيش بن دلجة الذى قتل، وممن هرب بعد الهزيمة
الحجاج وأبوه يوسف بن الحكم وكانا فى جيش حبيش، وولى ابن الزبير على خراسان المهلب
بن أبى صفرة الذى تصدى لحرب الأزارقة من الخوارج.

* إنتشر الطاعون فى البصرة وعرف بالطاعون الجارف وقيل بل وقع سنة ٦٩ هـ.

* توفى الخليفة مروان بن الحكم فى ٢٧ رمضان (٥ مايو ٦٨٥م) مخنوقا، خنقته زوجته
أم خالد بن يزيد ابن معارية وخلفة بعهد منه ابنه عبد الملك.

* ظهر جيش التوايين فى الكوفة المطالين بدم الحسين وعلى رأسهم الصحابى سليمان بن
صرد والمسيب بن نجبة ولكنه هزم على يد عبدالله بن زياد أمير العراق لعبد الملك.

وجرى في ذلك اليوم أمر عجيب مثل امر
فارص وزارح او مثل ادونيا وسليمان ولدى داود،
وهو ان بعد ان استقر مقدمة يوحنا اقام الله واحدا
من الاساقفة مثل دانيال في ذلك الزمان، بغير
موافقة ولا مشاورة مع أحد، وقال: هذا لا يكون لنا
نحن بطركا. فعند ذلك نزل على جميع الناس
سكوت وبهيته [بهته] حتى انه لم يجاوبه احد
بحرف واحد. فقال الامير: فمن يصلح تقول انت
لهذا الامر؟ فقال الأسقف بمحضر الجمع: ان

* فيها توفي زعيم الازراقة الحورية نافع بن الأزرق قتل في حرب المهلب ابن أبي صفرة،
كان من أنصار الثورة على عثمان حتى قضية التحكيم واجتمع في حروراء مع غيره ونادوا
بالخروج على الامام على فمن ثم عرفت جماعته بالخوارج الحروريين.

سنة ٦٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ٨ أغسطس ٦٨٥م.

* السنة الأولى من خلافة عبدالملك بن مروان.

* حج بالناس عبدالله بن الزبير، وحج في الوقت نفسه ابن الحنفية، كما حج بجدة الحروري
بعد استيلائه على اليمامة والبحرين وكان كل منهم في جماعة يوم عرفات لا يمنعهم من
المواجهه سوى حرمة الحج.

* ظهر في هذه السنة المختار الثقفي بالعراق قالتفت حوله الشيعة وجعل يتتبع قتله الحسين
فقتل منهم شمر بن ذي الجوشن وعمرو بن أبي وقاص صاحب الجيش الذي قتل الحسين وهو
الذي أمر أن يداس صدر الحسين وظهره بالخيول. وضعف أمر عبدالله بن مطيع أمير العراق من
قبل ابن الزبير، بينما هزم ابن زياد جيشا للمختار في الأيام الأخيرة من هذه السنة.

سيمون مستحق لهذه الرتبة. فأمر الأمير باحضاره
قدامه فلما نظره سالهم وقال: هذا من اى موضع
هو؟ فقليل له هو سريانى من اهل الشرق. فلما
علم قال للاساقفة: فما تقدرون انتم أن تقيموا
واحدا من بلادكم. فاجابوه وقالو له: ان الذى قد
اخترناه قد احضرناه الى بين يديك والامر لله ثم
لك. ثم التفت الى المغبوط سيمون وقال له:
تستصوب ان يكون هذا الشيخ يوحنا بطركا.
فاجابه وقال له: ما يوجد فى كورة مصر ولا فى

* وفيها اتخذ المختار الثقفى كرميا وادعى أن فيه سرا، وأنه لهم مثل الثابت لبنى إسرائيل.
ولما خرج المختار لقتال عبيدالله ابن زياد، أمير العراق، خرج بالكروسي على بغل يحمله فى
القتال.

سنة ٦٧ هجرية

استهل العام يوم السبت الموافق ٢٨ يولية ٦٨٦م.

* تعاظم أمر المختار بعد أن هزم قائده ابن الأشتر عبيدالله بن زياد أمير العراق الأموى فى
معركة خازر وشتت جيشا قوامه ٤٠ ألفا ولقى عبيدالله حتفه فى المعركة كما قتل الحصين بن
نمير الذى سبق أن رمى الكعبة بالمنجنيق.

* دعا المختار محمد بن الحنفية وأمر أتباعه بإخراجه من سجنه مما أغضب ابن الزبير فصار
المختار بين عدوين: عبدالمك في الشام وابن الزبير فى الحجاز.

* عقد الخليفة عبدالمك بن مروان معاهدة مع الامبراطور البيزنطى جستنيان الثانى مدتها
١٠ سنوات على أن يدفع عبدالمك اتاوة سنوية قدرها ألف دينار ذهباً.

* جرت المواجهه بين ابن الزبير والمختار الثقفى بعد أن عاد مصعب بن الزبير أميراً على
العراق من قبل أخيه لحرب المختار ونجح فى حصر المختار بالكوفة وقتله.

المشرق من يستحق مثل هذا وهو ابي الروحاني
ورباني من صغرى وسيرته كسيرة الملايكة. فلما
سمع الامير هذا تعجب جدا وكان جمع كثير
مجتمعا، فخرج صوت من الاراخنة والاساقفه
والكتاب قايلين: الله يحيى الامير لنا سنين كثيرا،
سلم الكرسي لسيمون فهو مستحق البطركية مثل
ابنا بنيامين كذلك سيمون. وان البيعة مساعدة
لهما. فلما نظر الامير اليهم وسمع كلامهم لاجل
انسان غريب لا يعرفونه بالجمله الا منذ يومين

سنة ٦٨ هجرية

وافق أول المحرم يوم الخميس ١٨ يوليو ٦٨٧م.

* نازع عبد الملك بن مروان بن الحكم: الزبيرين والخوارج والعلويون وبرز هذا الخلاف على
بطحاء عرفات إذ اجتمعت يوم الحج أربعة ألوية: لواء بنى أمية، لواء عبدالله بن الزبير، لواء
لجدة الخارجي ولواء محمد بن الحنفية وليست بينهم حرب في الحرم.

* عزل ابن الزبير ابنه حمزة عن إمارة العراق وأعاد أخاه مصعب بن الزبير، كما أعاد جابر
بن الأسود إلى إمارة المدينة.

* تولى حرب الخوارج وعلى رأسهم قطرى بن الفجاءة وابن الماحوز عمر ابن عبيدالله بن
معمر من قبل ابن الزبير وخلفا للمهلب بن أبي صفرة وفيها قتل ابن الماحوز، فلما قوى أمر
قطرى بن الفجاءة حتى جبي الأموال أعاد ابن الزبير المهلب لحربهم.

* استعاد عتاب الرياحي فتح أصبهان عنوة لمساعدة أهلها للخوارج.

* عم القحط بلاد الشام وكان ذلك نتيجة لفشل الخليفة في قتال الخارجين عليه.

* توفي الامبراطور البيزنطي قسطنطين الرابع (بوجوباتوس) وقد عاصر حصار العرب
للقسطنطينية ولم ينقذها سوى استخدام النار اليونانية، وخلفه جستنيان الثاني وقيل في العام
السابق.

فامرهم بمعونة الله ان يمضوه به ويوسموه بطركا.
وتقدم الى اكثر الاساقفة بالمسير صحبتهم فمضوه به
الى اسكندرية وقدموه على الكرسي الرسولي في
البيعة العظما المعروفة بالانجيليون لان كان فيها
مايه واربعون كاهنًا وكان فرح عظيم للشعب
الارتد كسى وسلامه واتحاد في البيعة، والامور تنمو
كل يوم. ثم أنه اقام اباه يوحنا على امور البيعة
وكان هو يقرأ في الكتب المقدسه.

سنة ٦٩ هجرية

استهل المحرم بيوم الاثنين الموافق ٦ يوليو ٦٧٧م.

* بدأ الخليفة عبدالملك بناء قبة الصخرة بالقدس واستمر البناء ثلاث سنوات كما جرى
تعمير المسجد الأقصى الجاور للصخرة قاصداً تحويل الحج إليها كما جاء في بعض الروايات.

* إنتشر الطاعون الذي يعرف بالجارف في البصرة وبعد ثلاثة أيام من إنتشاره لم يبق
بالبصرة سوى اليسير من الناس (وفي قول انتشر عام ٦٥) وبلغت ضحاياه ٧٠ ألفاً وهو
الطاعون السابع في الاسلام.

* ولي عبدالعزيز بن مروان حسان بن النعمان فاتح قرطاجنة إمارة أفريقية، كما تولى زهير
البلوي إمارة برقة وبنى مقياساً على النيل في حلوان.

سنة ٧٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الجمعة ٢٥ يونية ٦٨٩م.

خرج الخليفة عبدالملك بن مروان صوب العراق لتحريرها من حكم الزبيرين فانتهاز
الامبراطور البيزنطي الفرصة وغزا بلاد الشام وأستولى على قيسارية فاضطر عبدالملك الى
مصالحته على أن يؤدي اليه كل إسبوع ألف مثقال ذهب، ومن ناحية أخرى إنتهز عمرو بن

وفى طول حياة يوحنا لم يلتفت الاب بطرك
سيمون لشى من امور البيعه بل سلم جميع ذلك
الى يوحنا ابيه كما كان معه فى الدير، وكان
مطيعا له ويدعوه ابنى.

ثم انه كتب سنوديقا الى يوليانوس بطرك
انطاكية تعجب منها وانفذها مع اساقفه يذكر له
فيها الاتحاد وان هذه الامانة الواحدة والاتحاد بين
الكرسيين اسكندرية وانطاكية. فلما وقف عليها

سعيد بن العاص خروج الخليفة من دمشق العاصمة فوثب عليها واحتلها ثم احتال عليه
عبدالمملك ثم أمر به فقتل.
* زحف الطاعون الى مصر، فلجأ أميرها عبدالعزیز بن مروان الى مدينة قديمة جنوبى
الفسطاط على النيل حيث بنى مدينة حلوان.

سنة ٧١ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الأربعاء ١٥ يونية ٦٩٠م.
* تجددت المناوشات بين عبدالمملك ومصعب بن الزبير وبدأت تدخل نهايتها وكانت الدولة
الاسلامية منقسمة الى خلافتين الأولى عليها عبدالله بن الزبير وتشمل الحجاز والعراق
والمشرق، والثانية عليها عبدالمملك وتشمل الشام ومصر.
* حج بالناس فى هذه السنة عبدالله بن الزبير.
* عاود عبدالمملك حرب الروم واستعاد قيسارية.
* رفض مصعب بن الزبير الامان الذى أعطاه إياه عبدالمملك وحارب حتى قتل فدعا
عبدالمملك جند العراق الى بيعته.

وجدها مملوءة من حكمة الله والكتب الروحانية
ففرح جدا وخطب في بيعته باسم الاب انبا
سيمون وكتب له جوابها واعاد رسله بكرامات
جزيلات الى مصر، فلما أقام ثلث سنين تنيح أبوه
يوحنا بسلام واستحق ان يجعل المغبوط سيمون
البطرك يده على عينيه حتى انه كفنه بيده واخذ
بركة ابيه وحمله الى الدير ودفنه وقام عنده اربعين
يوما حتى بنى له قبرا وجعل جسده فيه ووسعه
لنفسه اذا مات ليدفن معه فيه. ثم نزل به تجربة من

* ولي عبدالله بن الزبير (الخليفة على الحجاز) طلحة بن عبيدالله على المدينة خلفاً لواليه
جابر بن الأسود وهو آخر من تولاها من قبل الزبيريين.
* ولي عبدالملك على البصرة (بعد مقتل ابن الزبير) خالد بن عبدالله ابن خالد والياً
(أموياً) خلفاً لحران بن أبان.

سنة ٧٢ هجرية

وافق أول المحرم يوم الأحد ٤ يونية ٦٩١م.

* جرت في جمادى من هذه السنة (في رواية ثانية) معركة دير الجاثليق وبعدها خرج
حكم العراق من الزبيريين.
* دخل عبدالملك (بعد مقتل مصعب بن الزبير) مدينة الكوفة وأخذ البيعة من القبائل فيها
وفرق أعمال العراق على شيعته.

* في جمادى من هذه السنة وجه عبدالملك الحجاج بن يوسف الثقفي الى الحجاز لقتال
عبدالله بن الزبير واخراجه من مكة التي كان يتحصن بها، فخرج الحجاج وقصد الطائف
وقضى بها بضعة شهور كان يبعث خلالها البعوث لمناوشة ابن الزبير عند عرفات.

* استولى طارق بن عمرو مولى عثمان على المدينة من واليها الزبير طلحة بن عوف.

الله الذى يسبك اصفياه وينقيهم، مثل الذى ينقى
الفضة الخالصة من الغش فيصرون مثل الذهب
النقى، وبنعمة السيد المسيح صبر حتى نال
الاكليل، لانه كان انسانا مملحا مثل الملح الانجلى
ليس عنده مراياة ولا بخل لجل الأجل اراحة او
اكل او شرب، بل كان زمانه كله غداه خبزا
وملحا مدقوقا بكمون وبقل وما يشبه ذلك
ليضعف قوة شهوات الجسد ويجعله عبدا للروح.
ولم يكن يحضر مع الاساقفة ولا الكهنة لانه كان

* فى غرة ذى القعدة من هذه السنة رمى الحجاج مكة بالمنجنيق (بعد أن إستأذن
عبدالمملك) فانطلقت صاعقة أحرقت المنجنيق ولقى فيها بعض رجال الحجاج حتفهم ولكن
القصف استمر فاخذ أصحاب ابن الزبير يفرقون عنه.

* مرت السنة السابعة على ولاية عبدالعزيز بن مروان على مصر.

* أتم عبدالملك فى هذه السنة بناء قبة الصخرة، وقد بدأ فى بنائها قبل عام أو عامين، وهى
بناء حجرى مثنى مصفح بالرخام والفسيفساء بلغ طول كل جدار ٢٠,٥ متراً وارتفاعه ٩,٥
متراً وعدد نوافذه من مفتوحة ومغلقة ٥٦ نافذة، كما تم تجديد المسجد الأقصى.

وأراد عبدالملك أن يجعل فى فلسطين حرما مقدسا يحج اليه الناس فبنى قبة الصخرة فى
القدس والجامع الأقصى، وكان المسلمون يطوفون حول الصخرة كما يطوفون من حول
الكعبة وينحرون يوم العيد ضحاياهم وصار اخوه عبدالعزيز بن مروان والى مصر لايذهب
للحج إلى مكة ويقف وقفة عرفات بمصر.

سنة ٧٣ هجرية

استهل المحرم بيوم الخميس الموافق ٢٣ مايو ٦٩٢م.

* شهدت هذه السنة نهاية حصار مكة على يد الحجاج قائد الخليفة عبدالملك

يطلب الانفراد لملازمة اوقات الصلوات، وجل

(*) مؤامرة على البطرك سيمون
تنتهى بقتله بالسم بعد مرض
طويل.

[لأجل] هذا صار مبغوضا من اهل اسكندرية(*)،
فمضى قوم من الكهنة الى قوم سحره ودفعو لهم
ذهبا حتى عملو لهم سموما بسحرهم للموت
وجعلوها فى الانا [ء] الذى كان يشرب فيه
وجاءوا [جاءوا] بها الى الاب سيمون البطرك
ليستعمل منه، وكان قد تناول من السراير المقدسه
قبل ان يشرب منه فلما شربه لم يضره، ثم فعلو
ذلك دفعه تانيه هولا القتل للابا [ء] فلم يضره ولا

لاستخلاصها من يد عبدالله بن الزبير الذى خلع بيعة يزيد بن معاوية منذ سنة ٦٣ هـ ثم أعلن
نفسه خليفة، إلا أن سقوط العراق فى العام السابق ومقتل أخيه مصعب أضعف جانبه واستمر
الحصار ١٦ شهر و ١٧ يوما ورميت الكعبة بالمنجنيق حتى استسلمت مكة فى ١٧ جمادى
الأول ولقى ابن الزبير مصرعه على يد الحجاج الذى مثل بجثته وعلقها عبرة وعظة.

* صفا الحكم للخليفة الأموى عبدالملك بن مروان الذى ولى إمارة مكة الحجاج بن
يوسف الثقفى، وإمارة الجزيرة وارمينية أخاه محمد بن مروان، والبصرة أخاه بشر بن
مروان.

* استمرت الحرب بين الأمويين والخوراج من الأزارقة وعلى رأسهم أبو فديك الذى
استولى على البحرين ولكنه قتل قبل نهاية السنة، ثم قطرى بن الفجاءة الذى دانت له
الأهواز.

* قتل فى هذه السنة (١٧ جمادى الأولى) الخليفة عبدالله بن الزبير منافس عبدالملك
الخليفة الأموى بدمشق وهو يقاتل قائده الحجاج بمكة وقد تفرق عنه أكثر أتباعه وله من العمر
٧١ سنة، اذ كان أول مولود فى الاسلام بعد الهجرة، ودعا لنفسه بالخلافة بعد وفاة معاوية
وجعل من مكة حاضرة له خلال ١٠ سنين وقد دخل فى طاعته أهل الحجاز وأكثر أهل العراق
وعليه أخوه مصعب الذى استشهد قبله.

ناله سو. فلما نظرو ذلك السحرة بهتو من امر هذا
القديس. ثم انهم اخذو تينا حسنا فى غير اوانه
وجعلو فيه سما قاتلا اوصو الكهنة وقالو لهم
اطعموه هذا وهو على الريق صايم بغير قربان فانه
ينشق من وسطه، فاثو اليه بذلك بمكر ومراياه
وسالوه وتضرعو له ان ياكل منه، وكانو قوم يدلون
عليه، ولقموه من التين المسموم فتحركت عليه
احشاه فى تلك الليلة واقام اربعين يوما فى كرب
عظيم، حتى ان كل احد تمنى له الموت، فاقامه

سنة ٧٤ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الثلاثاء ٣ مايو ٦٩٢م.

- * ضم الخليفة عبدالملك إمارة المدينة الى الحجاج بالاضافة الى مكة بعد أن عزل عنها طارق بن عمرو مولى عثمان، فسار اليها الحجاج وقضى بها ثلاثة أشهر يتعمت أهلها.
- * تولى قتال الأزارقة من الخوارج المهلب بن أبى صفرة.
- * تولى أمية بن عبدالله بن خالد على خراسان خلفاً لبكير بن وشاح بسبب الفتنة بين بطون تميم بخراسان، وولى أمية ابنه عبدالله على سجستان.
- * أمر عبدالملك بضرب دنانير إسلامية من الذهب عليها البسمة بخط كوفى وكانت دار الضرب بدمشق أولاً.
- * فيها وللسنة الثانية غزا محمد بن مروان بلاد الروم (الأنضول).

سنة ٧٥ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم السبت ٢ مايو ٦٩٤م.

- * تولى الحجاج إمارة العراق فسار الى الكوفة فى إثني عشر ركبا حتى دخل مسجد الكوفة فألقى خطبة توعد فيها أهل العراق ووسمهم بالبغى والخلاف والشقاق والنفاق

الرب المحيى واظهر فيه اعجوبة فظهر له فى الرويا
قايل يقول له : لاي سبب صبرت على هذه البلايا .

فلما وصل الامير الى المدينة نظر اليه وقد تغير
منظره مما جرى عليه ، فسأل عن سبب ذلك فقليل
له : ان اربعة من الكهنة سقوه سما . فامر الامير ان
يحرقوا احيا والساحرة معهم خارج المدينة من
بحريها فى موضع يسمى الفاروس ، فعندما ارادوا
ان يحرقوهم ركع الاب على وجهه بدموع غزيره

ووصفهم بانهم عبيد العصا ، وأعاد هذا الوعيد فى البصرة فثارت عليه بزعامه عبدالله بن
الجارود .

* حج بالناس لأول مرة الخليفة عبدالملك بن مروان وخطب على منبر الرسول وكان قد
ولى أبان بن عثمان على المدينة خلفاً للحجاج .

* قام الحجاج بضرب دينار ذهبى بالكوفة على طراز الدينار الذى أمر بضربه الخليفة فى
دمشق .

* تجددت الحرب مع الروم وكان على رأس الجيش الامبراطور جستنيان الثانى وتولى قيادة
الأمويين محمد بن مروان أخو الخليفة الذى أوقع الهزيمة بالروم عند مرعش .

* تجدد القتال بين المهلب والخورج وفيها قتل عبدالرحمن بن مخنف ساعد المهلب .

* خرج أمير مصر عبدالعزيز بن مروان وافداً على أخيه الخليفة بدمشق لأول مرة بعد أن
استتب الأمر لعبدالملك واستخلف على مصر زياد بن حنظلة الذى لم يلبث أن توفى فتولى
على مصر الأصبح نيابة عن أبيه عبدالعزيز بن مروان .

* انتشر الطاعون فى الكوفة للمرة الثانية .

* ولد ببرقة القاضى عبدالرحمن بن أنعم قيل هو أول مولود فى الاسلام بأفريقية (أى
الشمال الافريقى) .

* توفى سليم التجيبى أول من تولى القضاء بمصر وشهد فتحها .

قدام الامير وساله فيهم وقال له: ان نالهم شى من
اجلى وجب على القطع ولا يصح لى ان اكون
بعد ذلك بطركا. فتعجب الامير من حسن افعاله
وامر باطلاقهم، وان يحرقو السحره احيا [ء] لاجل
عمل تقدم لهم فاحرقو بالنار. ثم انه سلم لآبا
يوحنا اسقف نقيوس(*) تدير حال الديارات لانه
كان خبيرا بتقلب الرهبان وقوانينهم واعطاه
سلطانا عليهم، وكانو يعمرون القلالي بغير فتور
والاراخنه يقومون باحوالهم.

(*) كان أسقفًا لابروشية نقيوس في
النصف الثاني من القرن السابع.
ولما كان خبيرا بأحوال الرهبان
قلده البابا سيمون البطريرك ال
٤٢ رئاسة الدير. وحدث أن
أحد الرهبان المخين للشهوات =

سنة ٧٦ هجرية

وافق أول السنة يوم الأربعاء ٢١ ابريل ٦٩٥ م.

* تزعم الخوارج شبيب بن يزيد الشيباني فوجه إليه الحجاج زائدة بن قدامة فهزمه شبيب
وقتله ثم أوقع الهزيمة بجيوش الحجاج جيشا بعد جيش واستفحل أمره بعد دخوله الكوفة
عبوة.

* بدأ في دمشق ضرب الدراهم من الفضة بعد أن تم ضرب الدينار الذهبي الإسلامي.

* في هذه السنة تم تداول الدنانير والدراهم الإسلامية بعد أن كان التعامل بالعملة
البيزنطية ونقشت عليها الشهادة والصورة تمثل الخليفة محاكاة للسكة البيزنطية التي حرم
الخليفة تداولها وكان ذلك من أسباب زيادة النفرة مع الروم ثم محيت الصور من العملة
الإسلامية.

* غزا محمد بن مروان أخو الخليفة بلاد الروم بعد أن تجدد النزاع بسبب حرب العملة
حتى بلغ ملطية.

* ولد في هذه السنة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين.

* شهدت هذه السنة الثورة على الامبراطور جستنيان منها ثورة ليونتيوس الذي جدد أنف
الامبراطور فعرف بمجدوع الأنف ونفاه إلى القرم وتولى العرش مكانه.

ثم ان قوما من الخيين الشهوات اخرجو عدرا
من ديرها ودخلو بها وادى هبيب ووقعو بها الفعل
سرا، فلما ظهر ذلك بين الرهبان كان بينهم قلق
عظيم ما لم يسمع بمثله فى ذلك الموضع. فاخذ
الاسقف [يوحنا] الراهب الذى عمل الخطية
وضربه ضربا موجعا، وبعد عشرة ايام من تاديبه
مات الراهب. فلما شاع الخبر اجتمعو جميع
الاساقفة بكورة مصر سرا وسالوا [سالوا] الاسقف
عن قضية الراهب فاخبرهم بها واعترف انه الذى

= اخرج عذراء من ديرها ودخل
بها وادى هبيب وارتكب معها
الاثم. فلما ظهر ذلك بين الرهبان
جزعوا وارفعوا وانتهى الخبر الى
مسمع الانبا يوحنا فقام بتاديب
الراهب وضربه ضربا موجعا حتى
مات بعد عشرة ايام من شدة
الضرب.

فلما بلغ الاساقفة فى مصر خبر
موت الراهب اجتمعوا سرا وسالوا
الانبا يوحنا عن القضية فاعترف
امامهم انه هو الذى ضربه فأوجبوا
عليه القطع لكونه تعدى على
الواجب وحرموا عليه أن يتقدم

سنة ٧٧ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين ١٠ ابريل ٦٩٦م.

* تم فى هذه السنة توالى انتصارات شبيب الخارجى ففيها هزم الجيش الثانى الذى ارسله
الحجاج وقتل قائده عتاب، وهزم الثالث وقتل قائده الحارث ابن معاوية، والرابع وقتل قائده أبو
الورد والخامس وقتل قائده طهمان، ثم جاءت هزيمة شبيب على يد الحجاج الذى توفى غريقاً
فى نهر دجيل، كما ثار مطرف ابن شعبة وخلع عبدالملك من الخلافة فقاتله الحجاج حتى
قتل.

* تم فى هذه السنة تعريب النقود الاسلامية منذ أن فسخ عبدالملك المعاهدة البيزنطية قبل
أربع سنوات بعد ذلك استقلت العملة الاسلامية العربية عن التبعية البيزنطية مما أدى الى تجديد
حروب الصوائف بين الدولتين وخلت العملة من دينار ودرهم من الصور ونقش على وجه منها
(لا إله الا الله وحده لا شريك له) وعلى الوجه الآخر (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله) كما نقش على الوجه الأول (ضرب هذا الدينار سنة سبع وسبعين)
واقصر الضرب على دمشق والقسطاط.

* وفيها حاول أمية بن عبدالله عبور نهر بلخ لغزو الترك فحوصر وجهه هو وأصحابه
ورجعوا الى مرو.

لرفع الاسرار الربية بل يتناولها كراهب. فلما سمع الحكم وقف في وسطهم وقال «لقد قطعتموني ظلما هكذا يجعلكم الله غرباء عن كراسيكم الى تمام الزمان الذي حكمتم به على».

ضربه، فاجبو عليه القطع لكونه تعدى حد الواجب من ادبه فقطعوه، فوقف في وقت قطعهم اياه وكانو قالوا له ما انت في حل ان تدنو الى شئ من [اعمال الكهنوت ولا تمس شيئا] من الات الهيكل من الان بل تاخذ السراير كراهب، فنادى وقال للشعب: كما قطعتموني ظلما الرب الاله الذي اعرف اسمه يجعل جميعكم يا اساقفه غربا عن كراسيكم الى تمام الزمان الذي حكمتم على فيه. ثم أقاموا اخر اسمه مينا من دير ابي مقار

سنة ٢٨ هجرية

استهل المحرم يوم الجمعة الموافق ٣٠ مارس ٦٩٧م.

* جمع عبد الملك المشرق كله للحجاج الذي ولى على خراسان نائبا عنه قائده المهلب بن ابي صفرة بعد أن قضى بنجاح على ثورة الأزارقة من الخوارج كما تولى على سجستان من قبله أبو عبيد بن أبي بكر.

* تولى موسى بن نصير امارة المغرب كله وسار حتى بلغ ميناء طنجة على المحيط فقدم على مقدمته قائده طارق بن زياد الصدفى فاتح الأندلس فيما بعد.

* بدأ الحجاج فى تأسيس مدينة واسط أقامها فى نحو الوسط بين الكوفة والبصرة وكان يتناول الإقامة فى كل منهما خلال العام الواحد والمسافة بين الكوفة والبصرة نحو مائة فرسخ.

* لم تنقطع الحرب بين الروم والعرب، ففيها استولى محرز بن أبي محرز على مدينة أرقدة كما استعاد عبد الملك فتح هرقله.

* وافقت هذه السنة الثورة على الامبراطور البيزنطى ليونتيوس الذى اغتصب عرش سلفه جستيان الثانى قبل ذلك يعامين فاسقطه القائد تيرىوس وتولى مكانه باسم الامبراطور تيرىوس الثالث.

عوضه وكان رجلا وجيها قوى الكلام محب
الاخوه.

وبعد ايام قلائل تم كلام الاسقف القديس على
الاساقفة المساعدين على قطعه وعلى كل
الاساقفه، فنزل عليهم امر.

كان فى ذلك الزمان قوم يتشبهون بالامم وتخلو
عن نساءهم الحلال واخذوا نسا غير الحلال (*)
يظهرون محبتهم للشهوه وكانو يقولون انهم

(*) بدعة الطلاق : وجرى فى ايام
البابا سيمون الـ ٤٢ ان قوما من
الاقباط تركوا نساءهم واخذوا =

سنة ٧٩ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الأربعاء ٢٠ مارس ٦٩٨ م.

* استولى العرب على مدينة قرطاجنة (بتونس) فقصوا بذلك على اخر معاقل الامبراطورية
البيزنطية بافريقية.

* فيها غزا الوليد بن عبد الملك بن مروان ملطية فغنم وسبى ثم عاد إلى أبيه.

* وفيها قتل اخليفة عبد الملك الحرث بن عبد الرحمان بن سعد الدمشقى الذى ادعى
النبو، وكان انضم إليه جماعة كبيرة.

* استولى الحجاج على البحرين واستعمل عليها محمد بن صعصعة وضم اليه عمان بعد
القضاء على ثورة الخوارج ومقتل رأسهم قطرى بن الفجاءة الذى عثر به فرسه فاندق عنقه.

* استشرى الطاعون فى الشام حتى أفنى اكثر أهله لهذا لم يخرج للغزو تلك السنة احد
فيما قيل.

* انفذ الحجاج امير المشرق عبيد الله بن أبى بكرة إلى زنبيل امير كابول التركى لأنه منع
الخراج فاستدرجه زنبيل واخذ عليه الطريق ووقع به خسائر جسيمة ولم ينج الا بمشقة الأمر
الذى عجل بوفاة ابن أبى بكرة كمدا.

غيرهن فجعل الاساقفة
يردعونهم عن هذا العمل
فاغتاثوا منهم ومضوا الى الرالى
وقالوا له ان الاساقفة منعونا عن
الزواج واضطرونا الى ارتكاب
فعل الزنا فغضب وجمع الاساقفة
من كراسيهم الى مدينة
الاسكندرية فاجتمع منهم ٦٤
اسقفا ولم يعلموا سبب حضورهم
ولما علموا السبب اطلعوا الرالى
على الحقيقة وبعد مناقشة فيما
بينهم حكموا بقطع اولئك القوم
ان لم يتركوا النساء الفريات.

نصارى فيردعونهم الاساقفه ويمنعونهم السراير
المقدسه، فمضى منهم قوم الى الامير وقالو له: قد
منعونا ان نتزوج واخرجونا الى ان نزنى. فغضب
وارسل جمع الاساقفه من كراسهم الى مدينة
اسكندرية، فاجتمع اربعة وستون اسقفا ولم يعلمو
لما ذا حضرو ولا السبب فيه، وكانو فى كل جمعة
يسلمون على الامير. وكانو اصحاب المقالات الغير
اساقفه مجتمعين وهم تاوفيلسطس الملكانى من
الخلقدونيه، وتادرس كان من اصحاب اوطاخى

سنة ٨٠ هجرية

وافق الاول من المحرم يوم الاحد ٩ مارس ٦٩٩م.

* شهدت هذه السنة انهمار السيول التى اجتاحت بيوت مكة وبلغ المياه الركب وقيل كان
السيل يجرف الابل وعليها الاحمال فسمى السيل الجارف او الجحاف.

* صلب عبدالملك سعيد الجهمى لإفكاره القدرية.

* تولى على اليمن محمد بن يوسف الثقفى اخو الحجاج.

* غزا عبدالواحد بن ابي الكنود جزيرة قبرص سار اليها بأسطول عدته من المصريين من
الاسكندرية. وفى اقصى المشرق عبر المهلب بن ابي صفرة نهر بلخ الى كش ومنها سار الى
بلاد الختل، وفيها تولى على سجستان عبدالرحمن بن الاشعث خلفا لابن أبى بكر بعد وفاته.

سنة ٨١ هجرية

الاول من السنة وافق يوم الخميس ٢٦ فبراير ٧٠٠م.

* بدأ النزاع بين الحجاج وواليه على سجستان عبدالرحمن بن الاشعث بسبب سياسة
المسالمة مع أمير كابل (الزنبيل) مما أحنق عليه الحجاج وتهده فى الرسائل اليه.

* خلع ابن الاشعث الحجاج وانضم اليه جندا الكوفة والبصرة وبايعوه على جهاد الحجاج

الغايانيين، ومن اصحاب برسنوفه جرجه ا جرجس
البرسنوفى]، وجماعه اخر يسمون اساقفه، وكانو
ايضا قد اجتمعوا. فلما كان يوم احد وصلت اخبار
الى الامير ان عسكر الروم قام على يوستيانوس
[جوستينيان] الملك وخلعوه وولو عوضه
لاونتيوس(*)، فامر الملك للوقت ان يجتمع اراخنة
كل كوره واهل اسكندريه والاساقفه والمسلمون
ليعلمهم بهلاك املك الروم. فاجتمع حينذ جمع

(*) قام ليونتيوس بجذع انف
جوستينيان ونفاه إلى شبه جزيرة
القرم، ولكنه بعد عامين تقريباً
قامت عليه ثورة بزعماء القائد
تيبريوس الذى حكم الامبراطوريه
باسم تيبريوس الثالث.

واخراجه من العراق وبالتالي خلعوا بيعة عبدالملك وتحرك جيش ابن الأشعث إلى البصرة ووقع
اول صدام فى ذى الحجة (يناير ٧٠١) على نهر دجيل وفيها انتصر ابن الأشعث.

* وقعت بين ابن الاشعث والحجاج أربعة وثمانون وقعة، فى مائة يوم، كانت ثلاث
وثمانون على الحجاج وواحدة له. كان مع ابن الاشعث ٣٣ ألف فارس ومائة وعشرون ألف
راجل.

* غزا عبدالله بن عبيد الله فاليقلا من أرض الروم، وفيها هجم الديلم على مدينة قزوين وتم
خلاصها على يد محمد بن ابي سيرة ولم ينج من الديلم بعد حصارهم احد.

* فى هذه السنة توفى ابن الحنفية وهو ابن الامام على من زوجته خيولة بنت جعفر نسب
اليها ابنها الذى ولد حول عام ٢١ من الهجرة وتسب اليه الطائفة الكيسانية التى تعتقد أنه لم
يمت لأنه المهدي المنتظر بل اختفى فى أحد شعاب جبل رضوى ليعود ويملا الدنيا عدلا، وفيها
قتل بحير بن ورقاء وكان قد اشترك فى فتح بلاد ما وراء النهر مع المهلب، وكان مقتله اخذا
بشار بكير بن وساج.

سنة ٨٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ١٥ فبراير ٧٠١م.

* شهدت السنة ذروة الحرب الأهلية بين ابن الأشعث ومعه جمهور اهل العراق والحجاج

عظيم قالو قد جرت عادة الروم فى كل وقت ان
يخلع ملك ويجلس اخر.

ثم انه امر فى ذلك اليوم بان تمنع قداسات
النصارى، وقالو: انهم ضالون يجعلون لله زوجه
وولدا. ويقولون مقالات كثيرات فى دينهم وشتهم
قلة اتفاقهم على كلام الدين.

ثم التفت الى تادرس الاسقف ريس الغايانيين
وقال له: من هو من هولاء هؤلاء التلثه اساقفه

نائب عبد الملك ومن قواده سفيان بن ابرد الذى هزم ابن الاشعث عند الخريبة (المحرم - مارس
٧٠١) ثم جرت المعركة الخامسة عند دير الجماجم (ربيع الاول) واضطر ابن الاشعث للتقهقر
الى سجستان والاحتماء بالزنبيل امير كابل الذى خلصه من الاسر.

* تولى على المدينة هشام بن اسماعيل الخزومى خلفا لأبان بن عثمان.
* غزا محمد بن مروان اخو الخليفة ارمينية وهزم اهلها وصالحهم على مال ولكن لم يلبثوا
ان غدروا.

* وافق هذا التاريخ تولية البابا يوحنا الثانى.

سنة ٨٢ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم السبت ٤ فبراير ٧٠٢م.

* انتقل ميدان القتال بين ابن الأشعث والامويين إلى سجستان وخراسان وتوالى افتراق
اصحاب ابن الاشعث عنه.

* فى هذه السنة ولد بالمدينة الامام الحسن (الثانى) بن زيد بن الحسن ابن الامام على وهو
ابو السيدة نفيسة المتوفاة بمصر، كما ولد بها فى نفس السنة عيسى بن على عم الخليفتين
السفاح والمنصور.

اقرب اليك وتقبله نفسك؟ فقال: ابا سيمون. ثم التفت الى تاوفيلستس الاسقف صاحب الملكيه وقال له: من اقرب اليك وتوثر دينه؟ فقال: دين ابا سيمون. ثم قال لجرجس البرسنوفى: من اقرب اليك من هذه الاساقفه ومن تقبله نفسك؟ فقال: دينى ودين ابا سيمون واحد وهو الذى تحبه نفسى. التفت اخيرا الى الاب ابا سيمون منادى الحق وقال: من هو من هولا اقرب اليك وتحبه نفسك فاجاب وقال فى الجمع بصوت عال وقال: ما من

* توفى بمصر قاضيه عبدالرحمن ابن حجيرة الخولاني، وعمرو بن كريب وكان على جند مصر لعبدالعزیز ابن مروان. وتوفى فيها روح بن زباع وهو الذى قدم الحجاج الثقفى الى الخليفة عبدالملك - وكان مشيره - فصار من امر الحجاج ما صار.

سنة ٨٤ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الأربعاء ٢٤ يناير ٧٠٣م.

* تجددت الحملات والغزوات شمالاً وشرقاً بعد أن تم القضاء على ثورة ابن الأشعث: فى الشمال غزا محمد بن مروان أخو الخليفة ارمينية وأحرق كنائسها وقتل ونهب وغنم وسبى لنكث أهلها العهد وقتلهم واليها العربى، وفيها إفتتح عبدالله بن عبدالملك ابن الخليفة المصيصة من بلاد الروم وبنى حصنها وأسس مسجدها ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك، لذا سميت سنة الحريق.

* فى أقصى المشرق فتح يزيد بن المهلب، الذى خلف أباه على خراسان، قلعة نيزك من بلاد بادغيش، وفى أفريقية هزم حسان بن النعمان الكاهنة البربرية وبعد مقتلها أخلد البربر إلى الطاعة، ودون حسان الدواوين باللغة العربية، وجدد جامع القيروان.

* بعث الخليفة إلى أخيه عبدالعزیز أمير مصر الفقيه المحدث عامر الشعبى بشأن تحويل الخلافة إلى ابنه الوليد بن عبدالملك، كما بعث الشعبى سفيراً إلى إمبراطور الروم جستنيان.

احد يقرب الى ولا احب احدا منهم وانا أحرمتهم
بالكتاب والكلام ومقاتلتهم المرذولة وشركتهم ومن
يساعدهم ومن يتقرب منهم، انا اردلهم مثل
اليهود. حينذ صاح الناس بصوت عظيم وقالو: ابا
سيمون معترف بالحق بغير زلل. وغشى هولايك
فضيحه.

وبعد ذلك وصل قس من اهل الهند(*) الى ابا
سيمون يطلب منه ان يقسم له اسقفا للهند، ولم
يكونوا اهل الهند مطيعين للمسلمين، فقال له: ما

(*) أزمة البطرك سيمون مع الوالي
عبد العزيز بسبب طلب احد
اليهود تعيين أسقف لهم في
الهند.

* ولي عبدالعزيز بن مروان أمير مصر عياض بن غنم التجيبي فاتح أرمينية على
الأسكندرية.

* توفي ابن الأشعب زعيم الثورة على الحجاج لاجئا عند الزنيل ملك كابل.

سنة ٨٥ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الاثنين ١٤ يناير ٧٠٤م.

* تولى أمرة مصر عبدالله بن عبدالمك (الخليفة) بعد وفاة عمه عبدالعزيز ابن مروان وذلك
بعد نحو خمسة أشهر من بداية هذه السنة.

* بنى محمد بن مروان مدينة أربيل ومدينة بردعة بعد أن أعاد فتح أرمينية وولى عليها
عبدالعزیز بن حاتم الطائي، وفي الأنضول تجددت الحرب مع الروم في طوانة بالقرب من
المصيصة.

* جهز عبدالله بن عبدالمك بن مروان يزيد بن حنين في جيش عظيم لغزو الروم فقتل
حوالي ألف نفس من أهل أنطاكية.

* عزل يزيد بن المهلب عن إمرة خراسان وخلفه عليها أخوه الفضل الذي عزل بدوره
وخلفه قتيبة بن مسلم، وفي حرب الترك قتل موسى بن عبدالله بن حازم وكان قد استولى على
ترمد وما وراء النهر مدة ٥ سنين.

اقدر ان اقسم لكم اسقفا بغير امر الامير المتولى
على كورة مصر، امض اليه واعلمه بحاجتك فان
امرني فعلت لك ما طلبته ومضيت مصحوبا
بالسلامه الى بلادك. فخرج من عنده ليمضي الى
الامير فاجتمع به قوم من الغايانيين ومضو به الى
تادرس ريس اصحاب فتاسياس [فانتسياس] و
وعرفوه السبب الذي اوصله من كورته. فقال له:
انا اقضى لك حاجتك. ثم اخذ انسانا من مريوط
اوسمه له اسقفا واوسم له كاهنين وانفدهم سرا

* توفي في هذه السنة (١٣ جمادى الأولى) أمير مصر وأخو الخليفة عبدالعزيز بن مروان
الذى دام حكمه عشرين سنة بانى مدينة حلوان، وهو أبو الخليفة عمر بن عبدالعزيز (وقيل
كانت وفاته في التاريخ نفسه من السنة التالية) وفيها تولى قاضى مصر مالك بن شراحيل
وكان قد شهد فتحها، وولى خراسان موسى بن خازم.
* توفي خالد بن يزيد حفيد معاوية وهو الذى تنازل عن حقه فى الخلافة على أثر وفاة
أخيه معاوية الثانى فمن ثم إنتقلت الخلافة إلى البيت المروانى.

سنة ٨٦ هجرية

الأول من السنة وافق يوم الجمعة ٢ يناير ٧٠٥م.

* السنة الأولى من خلافة الوليد بن عبد الملك بدأت مع النصف من شوال وذلك خلفاً
لأخيه عبد الملك بن مروان وبعهد منه.
* أمر عبد الله بن عبد الملك أمير مصر أن تنسخ دواوين مصر بالعربية وكانت تكتب
بالقبطية.
* تولى إمارة مكة عمر بن عبدالعزيز (الخليفة بعد ذلك).

* أعاد قتيبة بن مسلم فتح بلاد خراسان فأثاه أهل الصاغان (أوزبكستان الحالية) بمفتاح

الى الهند. وبعد أن مشوا عشرين يوما قبضوهم
حفظه الطريق الذين من قبل المسلمين وانفذوهم
الى الامير الكبير [الخليفة]، وكان اسمه عبدالملك
فهرب القس الهندي وعاد الى مصر ومضوا بالتلته
الى عند عبدالملك مربوطين، فلما علم انهم من
كورة مصر ومربوط وهم سايرون إلى كوره غريبه
قطع ايديهم وارجلهم، وانفذهم الى مصر الى
عبدالعزیز وكتب اليه يستعجزه ويقول له: كانك ما
تعرف ما يجرى فى بلادك، ان بطرك النصارى

من ذهب وسلموا له بلادهم بالأمان، وانقلب الحجاج على آل المهلب فعزل حبيب بن المهلب
عن كرمان وحبس أخاه يزيد.

- * غزا مسلمة بن عبدالملك ابن الخليفة بلاد الروم وافتتح حصنى بولق والأخرم.
- * توفي فى ١٤ شوال من السنة الخليفة عبدالملك بن مروان وله من العمر ستون سنة
وكان قد تولى بعهد من أبيه مروان ودامت خلافته أكثر من عشرين سنة قضى السنوات السبع
الأولى منها فى حربة مع ابن الزير الذى دعا لنفسه بالخلافة.
- * إنتشر الطاعون فى مصر وسمى طاعون القينات (جمع قينه) لانه بدأ فى النساء
المجلوبات بعد أن إكتسح البصرة وواسط والشام ومات فيه خلق كثير.
- * وافق هذه السنة مقتل الامبراطور ليونتيوس على يد جستنيان الذى إستعاد القسطنطينية
بمساعدة البلغار وكان المقتول قد سلبه عرشه ونفاه من بيزنطة، ويشار إليه فى المراجع العربية
باسم الاحرم بورى.

سنة ٨٧ هجرية

استهلّت السنة بيوم الأربعاء الموافق ٢٣ ديسمبر ٧٠٥م.

* مرت ثلاثة شهور منذ أن تولى الخلافة الأموية الوليد بن عبدالملك.

المقيم باسكندرية قد انفذ اخبار مصر الى الهند
ويجب عند وقوفك على هذه الكتب ان تضربه
مايتى سوط وتأخذ منه مائة الف دينار وتحملها اليها
سرعه مع الرسل الواصلين اليك من غير تاخير.
وكان البطرك ابا سيمون يومذ [يومئذ] بحلول
ومعه اسقف، فوصلت الكتب الى الامير من عند
اخيه فى ثانى ساعه من الليل. فانفذ صقالبه
واحضر القديس ابا سيمون وولديه الروحانيين
كاتبه، فقال له الامير: خف من الله واحفظ

* اضيفت إمارة المدينة إلى عمر بن عبدالعزيز (مع مكة) بعد عزل أميرها هشام بن
إسماعيل فكان أول ما فعله أن أقام مجلساً للشورى يتألف من عشرة من فقهاء المدينة منهم
عروة بن الزبير وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار.

* غزا مسلمة أخو الخليفة بلاد الروم وافتتح قمقم ونواحي سيواسى.

* فى أقصى المشرق دخل قتيبة بن مسلم ييكند من نواحي بخارى بعد حرب شديدة مع
الترك من أهل التركستان وصالحوه ثم نقضوا الصلح فأعاد فتحها عنوة، وفى أقصى المغرب
جرت محاولة بحرية لغزو جزيرة سردينية.

* شح النيل وعلت الأسعار واستشأم أهل مصر من ولاية عبدالله ابن عبد الملك.

سنة ٨٨ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ١٢ ديسمبر ٧٠٦م.

* غزا مسلمة أخو الخليفة والعباس ابنه بلاد الروم وافتتحا موسنة وطوانة وفى آسيا
الوسطى غزا قتيبة ما وراء النهر وهزم الصفد وأهل فرغانة وكانوا مئتى ألف، واستخلف قتيبة
أخاه بشارا على مرو.

* فيها شرع الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان فى بناء جامع دمشق الاموى، وكان
نصف مساحته كنيسة.

نفسك ولا يخرج من فمك كذب فيما اسلك
عنه . فاجاب البطرك: الالهى انا أخاف منه ونفسى
انا مدبرها فى العمل خلاصها بان تكون عاملة
الصلاح فى كل حين، واما الكذب فليس اليوم
فقط لكن جميع زمانى اردله لانه من الشيطان
عدو البشر، وانا مستعد للموت او للحياه فيما
اعرفه من الصدق فانى اقلوه امام الله وسلطانك .
فحمد ناره وغضبه وقال له: حقاً وليت احداً
اسقية الهند؟ فاجاب وقال له: وصل الى قس من

* وفد امير مصر عبدالله على أخيه الخليفة الوليد بعد أن استخلف عبدالرحمن بن عمر
بن قحزم الخولاني، وأهل مصر فى شدة عظيمة وضيق عيش مخيف والخراج والجزية ثقل
ظهورهم .

سنة ٨٩ هجرية

استهلّت السنة بيوم الخميس الموافق الأول من ديسمبر ٧٠٧م .

* ولى موسى بن نصير مولاة طارق بن زياد على طنجة .

* جرت فى هذه السنة حملة بحرية قادها عبدالله ابن أمير أفريقية موسى بن نصير وسيرها
إلى جزيرتى ميورقة ومنورقة (البليار)، وفتح أخوه هرون بن موسى بلاد السوس بالمغرب
الأقصى .

* ولى الحجاج ابن أخيه محمد بن القاسم قيادة الحملة لاعادة فتح بلاد السند فسارت براً
وبحراً واستولى على ميناء ديل وهرب الملك البرهمى داهر شمالاً وواصل ابن القاسم مسيرته
بعد أن بنى مسجداً بديل إلى يرون فدخلها صلحاً ثم جرت المعركة الفاصلة التى قتل فيها
الملك البرهمى وتوالى الفتح ودخول أهل السند فى الاسلام حتى بلغ الملتان .

* غزا مسلمة أخو الخليفة بلاد الروم حتى بلغ عمورية .

هناك والتمس منى هذا الامر ورددته وقلت له ان
لم تجينى بامر الامير فما اقدر ان افعل هذا، ثم
كتبت له الى الكتاب ليطلعوك على امره وخرج
من عندى لما كنت باسكندرية ولم يعد الى الان.
فلما سمع الامير هذا القول ظن ان المغبوط خاف
من القتل فاخفى الحق فقال له: الويل لك هو ذا
ايدى وأرجل اصحابك قد انفذهن الملك الى وقد
امر ايضا ان اخذ منك مائة الف دينار بعد أن
اضربك خمس مائة سوط، وقد

سنة ٩٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر ٧٠٨م.

* بعث موسى بن نصير أمير أفريقية إلى الخليفة الوليد يستأذنه في فتح بلاد الأندلس بعد
أن أخذ العهد مع يوليان أمير سبتة القوطى على أن يزوده بالسفن والادلاء فأمره الوليد أن يبدأ
بأن يخوضها بالسرايا حتى لا يغرر بالمسلمين.

* فر في هذه السنة يزيد بن المهلب من سجن الحجاج وذهب إلى الرملة بفلسطين لاجئاً
إلى أميرها سليمان بن عبد الملك أخو الخليفة.

* تولى إمارة مصر قرة بن شريك خلفاً لعبد الله أخى الخليفة، فكان أول ما أمره به توسيع
مسجد القسطنطين في ذلك عدة سنين وفرض الجبايات الهائلة على المصريين.

* استولى قتيبة بن مسلم على مدينة بخارى الهامة بعد هزيمة ملكها «وردان خذاه»
بالرغم من تحالف ملك الصفد طرخون معه، الذى لم يلبث أن صالح قتيبة على فدية يؤديها
فرجع طرخون إلى بلاده.

اخفيت الحق وانا اهلك واقتل الاساقفه بالسيف
وأهدم جميع البيع، والان فهذا أمانى ان صدقتنى
وزنت [دفعت] عنك المال من عندى ولم ينلك
منى سوفاعلمنى الحق. وكان ذلك ليلاً، حينذ
اجاب القديس بغير خوف وقال له كرامه للملك
ان يحب العدل وشفاه متقلبه دغلة تكون مرذوله،
والان على ما ارى لو نزل صوت من السما يامرنى
بالاحادة عن الحق ما قلت سواء وانت فلا تصدقنى
لاجل ما بينى وبينك من وصول الكتب اليك

سنة ٩١ هجرية

استهل المحرم بيوم السبت الموافق ٩ نوفمبر ٧٠٩م.

* تولى مسلمة بن عبد الملك (أخو الخليفة) إمارة الجزيرة وأرمينية خلفاً لعمه محمد بن مروان، وفيها غزا بلاد القوقاز حتى بلغ الباب (درند).
* تعددت فتوحات قتيبة بن مسلم فى المشرق ففيها استولى على الفارياب فاستعمل عليها عامر بن مالك، كما فتحت شومان وكش ونسف، وتجدد القتال مع الصفد الذين عزلوا ملكهم طرخون وولوا غوزك لحرب عبدالرحمن بن قتيبة ولكنه فشل.

سنة ٩٢ هجرية

وافق يوم الأربعاء ٢٩ أكتوبر ٧١٠م.

* شهدت هذه السنة فتح الأندلس فى أقصى الغرب على يد طارق بن زياد مولى موسى ابن نصير أمير إفريقية وكان طارق عاملاً له على طنجة، وبدأ عبور طارق على رأس ١٢ ألف مقاتل (بعد إكمال قواته) من ميناء سبتة فى ٥ رجب (٢٧ أبريل ٧١١) وعلى الفور استولى على جزيرة الخضراء، ثم جرت المعركة الحاسمة عند شذونة فى ٢٨ رمضان (١٧ يوليو) وفيها تشتت جيش الملك رذريق ومنها سار طارق شمالاً صوب طليطلة وفى طريقه استولى على ولاية

بقضية القوم المقطوعين الاعضاء [ء] والناس الذين
قطعت منهم، والان فهم والكتب التي معهم تشهد
لى وتظهر الحق فان وجدت امامك نعمة فاكتب
لينفذو الناس اليك لتعرف حقيقة الامر منهم ومن
الكتب الصادرة على ايديهم، ويقولوا لك من
انفذهم فان ظهر شى يخالف قولى افعل ما تريد.
فاجاب الامير وقال له: كيف ياتون بقوم قد
قطعت ايديهم وارجلهم الى هاهنا، اترى بطركا
اخر للنصارى بمدينة اسكندرية غيرك؟ لماذا

مرسية (تدمير) وعلى عاصمتها أربولة صلحاً وانتهى الى طليطلة وأقام عليها حاكماً من أهلها،
وفى الوقت نفسه انفذ عدة حملات جانبية فاستولى مغيث الرومى على قرطبة كما سقطت
مايقة والبيرة.

- * غزت حملة بحرية جزيرة سرديانية (سردينيا).
- * غزا أرض الروم بالأنضول أخو الخليفة مسلمة بن عبد الملك، بينما قصد قتيبة بن مسلم
أرض سجستان وتمت المصالحة مع أميرها زنبيل كابول.
- * وافق فتح العرب للأندلس حكم الامبراطور جستيان الثانى بعد أن استعاد عرشه، وفى
روما عاصر الفتح البابا قسطنطين الأول.

سنة ٩٢ هجرية

افتتحت السنة بيوم الاثنين الموافق ١٩ أكتوبر ٧١١م.

- * عزل الخليفة الوليد بن عبد الملك ابن عمه عمر بن عبد العزيز (الخليفة فيما بعد) عن
مكة والمدينة وذلك بسبب إنكار عمر لما كان يرتكبه الحجاج من مظالم فى العراق، وولى على
مكة خالد القسرى للمرة الثانية (الأولى عام ٨١) وعلى المدينة عثمان بن حيان.
- * عبر موسى بن نصير البحر الى الأندلس واستخلف على إفريقية ابنه عبدالله وبدأ زحفه
على شذونة ومنها الى أشيلية.

تحتاجنى . فاجاب القديس سيمون وقال له : قد
ضقت فى كل جهه ، الحق ما تقبله منى ، وانت
تلزمنى ان اقول ما لم افعل لكن بموضع الله من
قلبك امهلنى سبعة ايام وكلما جرى فانت تقف
عليه على حقيقته . فقال له : لعلك تريد ان تهرب
او تقتل نفسك ، لكن هذا الراهب ايش هو منك ؟
فقال له : هو ولدى فقال له الامير : انت تستوثق
منه . فقال له : نعم هو مثل روحى . فقال له الامير :
كما فعل اخى بالماخوذىن السايرين الى الهند

* شهدت هذه السنة إستيلاء قتيبة بن مسلم على مدينة سمرقند بعد أن استسلمت له
بخارى وخوارزم ، وجعل من سمرقند عاصمة للدولة وقاعدة لفتوحاته التالية وأقام بها مسجدا
خطب فيه بعد أن هدم بيوت النار ومعابد الأوثان وأجلى عنها كل وثى .
* قتل جوستنيان الثانى بالقسطنطينية فى أواخر فبراير ٧١١م .
* غزا مسلمة بن عبد الملك (أخو الخليفة) بلاد الروم ، كما غزاها العباس ابن الخليفة وفتح
سميساط وطرمسوس .

سنة ٩٤ هجرية

وافق مستهل السنة يوم الجمعة ٧ أكتوبر ٧١٢م .

* وقعت سلسلة من الهزات الأرضية بالشام استمرت أربعين يوما .
* بينما كان طارق بن زياد يوالى زحفه شمالا حتى خليج بسكاي كان موسى بن نصير
يحاصر مدينة ماردة الحصينة التى لم تلبث أن استسلمت (رمضان - مايو ٧١٣) وتابع سيره
شمالا حيث التقى بمولاه طارق فى طليطة عاصمة القوط ثم اتفقا موسى الى جبال البرانس
وطارق شرقا .

* فى آسيا الوسطى أوغل قتيبة بن مسلم شرقا مستوليا على فرغانة بعد أن عبر نهر
سيحون (سرداريا) حتى أتى خجندة فأخذها عنوة ، وفى الهند أوقع محمد بن القاسم الهزيمة

كذلك افعل بك ان لم تصدقنى . فاجاب القديس
وقال له : هو ذا نحن بين يديك مع الله فمهما
اردت فافعل فالذى عندى قد قلته لك . فسكت
الامير ساعه وقال : [دع ولدك هذا عندى و] انا
امهلك تلتة ايام فامض وانظر ما تفعل ولعل الله
يعلمنى الحق . فخرج من عنده ودعا الله بخضوع
ودموع وساله ان يظهر للامير براته مما ذكر عنه فى
هذه القضية . وعند مغيب الشمس فى اليوم الثانى
نظر ولده الراهب الروحانى الى شاطئ البحر فرأى

بالمملك الهندوسى صصة بن داهر وكلاهما قتل فى المعارك، وفى الشمال غزا العباس ابن
الخليفة أرض الروم واستولى على أنطاكية.

سنة ٩٥ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الثلاثاء ٢٦ سبتمبر ٧١٣م.

* فى شهر ذى الحجة من هذه السنة بدأ موسى بن نصير ومعه طارق بن زياد رحلة العودة
الى المغرب ومنها الى دمشق إطاعة لأمير الخليفة الوليد بن عبدالملك، وخلف على إمارة
الأندلس عبدالعزیز بن موسى بن نصير، وحمل موسى معه مالا يوصف من الأسلاب والغنائم
وآلاف الأسرى.

* افتتح قتيبة بن مسلم الشاش (طشقند الحالية أو نواحيها عاصمة جمهورية أوزبكستان).

* غزا العباس بن الوليد أرض الروم وفتح مدينة هرقله وقنسرين وأماسيا.

* تولى سليمان بن يزيد بن أبى مسلم على العراق (الكوفة والبصرة) خلفاً للحجاج.

* توفى فى هذه السنة (٢٥ رمضان) أمير المشرق الحجاج بن يوسف الثقفى عن نحو ٥٥
سنة منها ٢٠ سنة على العراق.

ذلك القس الراهب الاسود الهندي الذي كان قد
جا اليه وساله ان يصلح له اسقفا ماشيا، ولم يكن
يعلم بشي مما جرى لانه كان هاربا، فمضى اليه
وقبضه ومضى به الى القديس البطرك وقال له: يا
ابي قد قبل الله صلاتك ايها الاب وكشف ظلامتنا.
واعلمه انه مسك القس الهندي فاحضره معه الى
البطرك، فحدثه [الهندي] بالخبر وكيف اقسم له
تأدرس الغاياني اسقفا وكهنه. فلما كان غداة اليوم
التالت مضى به الى الأمير وهو محتفظ به وكان

سنة ٩٦ هجرية

أهل المحرم يوم الأحد الموافق ١٦ سبتمبر ٧١٤م.

- * تولى عرش خلافة الأموية سليمان بن عبد الملك خلفاً لأخيه الوليد (١٥ جمادى الآخرة) وذلك بعهد من أبيهما عبد الملك بن مروان.
- * تولى إمارة مصر عبد الملك بن رفاعه للمرة الأولى خلفاً لقرّة بن شريك وكان على شرطته أخوه الوليد بن رفاعه، وتولى على مكة عبدالعزيز بن عبد الله بن خالد، وعلى المدينة أبو بكر بن محمد من قبل الخليفة سليمان، وتولى إمارة إفريقية محمد بن يزيد.
- * فتح قتيبة بن مسلم مدينة كاشغر (التركستان الصينية) وبلغ حدود الصين الغربية، وبعث هبيرة بن مشمرج الكلابي على رأس وفد رسولاً منه الى ملك الصين، فرد عليه بالهدايا والجزية.
- * توفي في هذه السنة (جمادى الآخرة) الخليفة الوليد بن عبد الملك وله من العمر ٤٨ سنة حكم منها نحو عشر سنين.

* في هذه السنة وبعد تولية سليمان بن عبد الملك قتل قاتح المشرق قتيبة بن مسلم اذ أعلن الخروج عن الطاعة كما أعلن خلع سليمان فوثب عليه وكيع بن أبي سود وقتله، وفيها توفي قرّة بن شريك أمير مصر، وفيها قتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير أمير الأندلس اتهمه مواطنوه بالتعالي والكبر وكان قد تزوج امرأة الملك رذريق القوطي بعد موته.

مهتما كيف خلصه ويخلص تا درس من الموت،
فلما نظره الامير قال له: لعلك تقول الحق بغير
كذب فاجابه القديس سيمون بعد ان سجد لله
على وجهه قال: سلطان الناس من سلطان الله
ويجب لمن تولى سلطانا في الدنيا ان يكون طويل
الروح ممهلا مثل الله تعالى وفي الصفح، واريد ان
تعطيني عهد الله لى ولمن حضر معى فى هذه
القضية ان لا تفعل بهم سوا [سوءاً] ولكن تعفو
عنهم لوجه الله ويظهر لسلطانك الحق. فاعطاه

سنة ٩٧ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الخميس ٥ سبتمبر ٧١٥م.

- * حج بالناس سليمان بن عبد الملك بعد خمسة أشهر من توليته الخلافة.
- * تولى إمارة مكة طلحة بن داود الحضرمي ثم عبدالعزيز بن عبدالله، وتولى إمارة الأندلس أيوب بن حبيب اللخمي خلفاً لعبد العزيز بن موسى، وتولى يزيد ابن المهلب خراسان.
- * تعددت الحملات وشن الغارات على أرض الروم فبينما استعد الخليفة بتجهيز جيش لحصار القسطنطينية، استعمل ابنه داود على الصائفة ففتح حصن المرأة، كما قاد حملة أخرى مسلمة بن عبد الملك، وغزا عمر بن هيرة أرض الروم في البحر وشتى بها.
- * توفي في هذه السنة على الأرجح أمير أفريقية موسى بن نصير، قيل بوادي القرى وهو في صحبة الخليفة حاجاً وذلك بعد مقتل ابنه بالأندلس، هذا وقد نشأ موسى في دمشق وغزا البحر لمعاوية ومنها قبرص ثم غزا أفريقية وهو الذي انقذ مولاة طارق بن زياد الى الأندلس لفتحها، وتوفي عن نحو ٧٨ عاماً.

سنة ٩٨ هجرية

أهل المحرم يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ أغسطس ٧١٦م.

- * جرى في هذه السنة حصار القسطنطينية للمرة الثالثة بقيادة مسلمة بن عبد الملك وكان

عهده انه لا يناله منه سوء، فاحضر اليه القس
الهندي فاعلمه بكلما جرى وان سيمون برى من
هذه القضية. فلما علم الامير انفذ الهندي الى
السجن وامر ان يؤخذ تادرس يصلب. وشكر
القديس سيمون البطرك وفرح به وعرف صدقه
وكتب الى عبد الملك اخيه يعلمه بما جرى وان
ليس لبطرك النصارى بمدينة اسكندرية فى هذه
القضية شى وان برى منها، ومدحه عنده وذكر له
صلاحه وسداده وعفافه ووفى له بما عاهده عليه

أخوة الخليفة قد سار معه الى دابق (بجوار حلب) فلما عبر البحر وضرب الحصار على المدينة
جاءه المدد برا وبحرا من مصر وبالرغم من وفاة الخليفة واصل مسلمة الحصار الا أنه فشل
فى النهاية بسبب خديعة وقع فيها على يد ليو (أليون) الذى أنقذ المدينة فولاه الروم
إمبراطورا.

* غزا يزيد بن المطلب أمير خراسان الجديد طبرستان فصالحه أهلها على الجزية وأعاد فتح
جرجان بعد أن نكثوا العهد وقتلوا عامله عليها.
* فى هذه السنة أخذ الخليفة العهد لابنه أيوب بن سليمان ولكنه لم يلبث أن توفى فى
السنة نفسها.

* تولى إمارة الأندلس الحر بن عبدالرحمن الثقفى، وتولى على اليمن سليمان ابن عروة.

سنة ٩٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ١٤ أغسطس ٧١٧م.

* تولى الخلافة عمر بن عبدالعزيز (١٠ صفر) خلفاً لابن عمه سليمان ابن عبد الملك
وبعهد منه وهو الثانى من بنى أمية وخامس الخلفاء الراشدين عند بعضهم.
* تولى على مصر أيوب بن شرحبيل من قبل الخليفة الجديد خلفاً لعبد الله بن عبد الملك بن

انه يهب له تادرس والقس الهندي وعلم ان ليس
عنده غش. وبعد ثلث سنين اطلق الاساقفه الى
كراسيهم وامر لهم ان ينو بيعتين في حلوان.
وكانو الاساقفه ينفقون من عندهم على عمارتهما
ووكل الوالى بعمارتهما اغريغوريس اسقف القيس.
وكان الامير محبا للعمارة وبنى حلوان واعمر بها
فساقي، وكذلك مصر(*) بنى فيها دورا وقياسر
وحمامات، وفي كل مكان على البحر [النيل] من
مصر الى اسكندرية. وامر بحفر بحر(*) اسكندرية

(*) مصر: يقصد بها هنا القسطنطينية

(*) بحر اسكندرية: يقصد هنا
الترعة الحلوة من النيل لاسكندرية.

- رفاعة، وفيها تولى على الكوفة عبدالحميد بن عبدالرحمن حفيد زيد بن الخطاب، وعلى
البصرة عدى بن ارطاة الفزارى، وعلى خراسان الجراح الحكمى.
- * عاد مسلمة بن عبدالملك من حصار القسطنطينية بعد أن أمده الخليفة باخيل والطعام.
- * عبر الحر بن عبدالرحمن أمير الأندلس جبال البرانس الى أرض فرنسا وأعاد فتح مدن
قرقشونة وأربونة وبزیه وتابع زحفه حتى ضفاف نهر الجارون.
- * فى العاشر من صفر على الأرجح (وقيل بقرية دابق) توفى بمدينة الرملة بفلسطين
الخليفة سليمان بن عبدالملك بعد حكم لم يدم سوى سنتين وخمسة أشهر وذلك عن ٤٥ سنة
وخلفه ابن عمه عمر بن عبدالعزيز بعهد منه.
- * ممن توفى فى هذه السنة: أبو الأسود الدؤلى بالبصرة بعد أن فلج عن ٩٩ عاما.
- * وافقت هذه السنة تولية الامبراطور البيزنطى ليو الثالث خلفاً لتيودورسوس الثالث وهو
الذى خدع ابن عبدالملك فى حصار القسطنطينية.

سنة ١٠٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٣ أغسطس ٧١٨م.

اكتمل بهذه السنة القرن الأول الهجرى، وخليفة المسلمين عمر بن عبدالعزيز الثامن من

من بحريها عند ترعة نقيطا وان تبنى عليه اميال
إلى مدينه اسكندرية، وكذلك المدينه أقام شوارعها
بعد أن سقطوا. وكان يستعمل الناس مثل فرعون
فى زمانه. واشيا كثيره فعلها تضيق السيره عن
شرحها خوفا من التطويل. وكان هذا القديس
سيمون مجتهدا طول عمره ان لا يكون له عشره
بين النصارى والمسلمين ولا يخسر احد من اجله:
وكان الرب يظهر عجايبه على يديه. وكان له
اقنوم قد ولاه الديكونيه وهو قس وتحت يده كلما

خلفاء بنى أمية، ومعاصره ليو الثالث البيزنطى، والصراع المسلح لم ينقطع بين الدولتين على
الحدود المشتركة، وفى هذه السنة أمر الخليفة إخلاء مدينة طرنده والعودة الى ملطية لأنها أكثر
أماناً وذلك خوفاً على المسلمين من الروم ثم أخرب طرنده بعد إخلائها.
* أعلن شوذب زعيم الخوارج الحرورية الثورة فى العراق فأرسل الخليفة الى واليه على
العراق أن يدعو شوذب للمناظرة وألا يستخدم القوة إلا اذا نزع الى سفك الدماء.

القرن الثانى الهجرى

سنة ١٠١ هجرية

وافق غرة القرن الثانى الهجرى يوم الاثنين ٢ من يوليو عام ٧١٩ ميلادية وسنة ٤٢٥ قبطية.

* شهد مولد القرن الثانى الهجرى فى دمشق الخليفة الأموى عمر بن عبدالعزيز، ومن
الولاة فى المدينة ومكة عبدالرحمن بن الضحاك الفهرى، وفى مصر بشر بن صفوان، وفى
الكوفة عبدالحميد بن عبدالرحمن نائب يزيد المهلبى، وفى البصرة عدى بن أرطاة، وفى
المشرق ابن هبيرة، وفى خراسان نائبه سعيد خدينة، وفى الهند عمرو بن مسلم، وفى الأندلس
عنبسة الخولانى.

* توفي الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٢٠ رجب) بدير سمعان من نواحي قنسرين وله من

للبيعة وكان يوصيه في كل وقت ويقول له : يا قس
مينا انظر لا تفرط بالبيعة في كتاب ولا شيء لها
تدعه في منزلك فينزل عليك البلا وان لا يخفى
شي من آنيه البيعه . فلم يطب قلبه بهذا ، وكان
الرب لم يعطه ولدا كما ضرب ابكار مصر في
ذلك الزمان [القديم] ، وكان يضمم التوبه ولا
يرتدع ، ثم ان الله انزل عليه سرعه علمه التصق
لسانه بحنكه وزال عقله ، وكان يمضغ لسانه وهو

العمر اربعون سنة بعد حكم دام سنتين وخميس أشهر ، وهو الذي ظل قبره مصاناً استثناء لما
جرى عليه العباسيون بعد ذلك من نبش قبور بني أمية .

* تولى الخلافة الأموية يزيد الثاني بن عبد الملك خلفاً لعمر بن عبد العزيز (٢٠ رجب)
وهكذا رجعت الخلافة لأبناء عبد الملك حسب اشتراط سليمان قبل موته .

* ضمت إمارة مكة الى عبدالرحمن بن الضحاك الفهرى أمير المدينة .

* عبر أمير الأندلس عنبسة الخولاني جبال البرانس واستولى على مدينة أربونة (ناربون)
وجعلها نقطة ارتكاز لغزوات العرب في جنوب فرنسا .

* جرت معركة باب الأبواب بين الجراح الحكمي والترك وعليهم الخاقان الذي هزم .

* توفي أمير مصر أيوب بن شرحبيل تولاها ثلاث سنوات . وفي اوائل ابريل ٧٢٠ توفي
أيوب فتولى مصر بشر ابن صفوان من قبل يزيد .

* قتل في هذه السنة شوذب (بسطام اليشكري) الناصر وأحد مشاهير الخوارج على بني أمية
على يد سعيد الحرشي قائد مسلمة بن عبد الملك .

* عاصر بداية القرن الهجرى الثاني حكم الامبراطور البيزنطى ليو الثالث فى القسطنطينية ،
وحكم شارل مارتل ملك الفرنجة فى فرنسا ، والبابا جريجورى الثانى فى روما .

نائم على فراشه، و[كان] تلته رجال يمسكونه مما
كان يفعله بنفسه [وقت صرعه] فحملوه الى بيته،
وكان الاب سيمون البطرك مهموما لاجله ولاجل
مال البيعه لانه تحت يده ولا يعرفه غيره. فسهر
وسال السيد يسوع المسيح ان يقيمه من هذه العله
لاجل البيعه. فلما كان النصف من الليل وصل
اخبار الى الاب بطريرك بان القس مينا قد قارب
الموت، فانفذ ولدا له وتقدم اليه بان يسال زوجته

سنة ١٠٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الجمعة ١٢ يوليو ٧٢٠م.

- * بايع الخليفة يزيد الثانى لأخيه هشام بن عبد الملك ولياً لعهدده ومن بعده لولده يزيد.
- * توالى غزو بلاد الروم فدخلها ابن هبيرة من أرمينية وفتح عباس بن الوليد مدينة دلسة.
- * تقدم السماح اخولانى أمير الأندلس فى أرض فرنسا الى تولوز بعد أن استولى على أربونة ولكنه استشهد أمامها، وينسب للسماح بناء قنطرة قرطبة.
- * جرت معركة بين يزيد بن المهلب وكان قد غلب على البصرة (١٤ صفر) ومسلمة بن عبد الملك قائد الخليفة وفيها قتل المهلبى.
- * تولى إمارة الأندلس بعد استشهاد السماح اخولانى وللمرة الأولى عبدالرحمن الغافقى صاحب موقعة بلاط الشهداء بعد ذلك ودامت إمارته هذه ثلاثة أشهر.
- * توفى طارق بن زياد فاتح الأندلس عن اثنين وخمسين عاماً بعد عودته الى المشرق مع موسى بن نصير، وكان والياً على طنجة حين عبر البحر عام ٩٢ هـ.

ان كان قال لها شيا عن مال الكنيسة. ومن قبل
ان يصل رسول البطرك الى البيت خرج صوت
صارخ بان القس قد مات. ولما توفي البسوه ثياب
الكهنة واضجعوه على مرقده كعادة اهل
اسكندرية وهو لابس ثياب قداسه. فلما وصل ولد
البطرك الى البيت الذى كان فيه مضطجعا وحوله
جمع كثير من الكهنة [و] لاجل كهنوته وطقسه
انحنى عليه الاخ ليقبله فوثب جالسا وعلق يديه

سنة ١٠٢ هجرية

فقد هلال المحرم يوم الثلاثاء الأول من يوليو ٧٢١م.

- * خرج حنظلة بن صفوان الى الاسكندرية واستخلف على مصر عقبة بن مسلم التجيبى.
- ولم يلبث أن ورده كتاب من الخليفة يزيد بن عبد الملك يأمره بكسر الأصنام والتمثيل فعمل
جهده لتنفيذ هذا الأمر حيث كانت العبادات المصرية الفرعونية ما زالت قائمة.
- * عزل عمر بن هبيرة أمير المشرق ابن خدينة عن خراسان وولاه سعيدا الحرشى.
- * فى الأندلس تولى عنبسة بن سحيم الامارة خلفا لأمرها المؤقت عبدالرحمن الغافقى.
- * ارتحل أهل الصغد بالتركستان عن بلادهم بعد تولية سعيد الحرشى خوفا منه بسبب
تحالفهم مع الترك ولجأوا الى إقليم فرغانة.
- * غزا الصائفة عثمان بن حبان ودخل أرض الروم وانتهى الى قيصرية.

سنة ١٠٤ هجرية

استهلت السنة بيوم الأحد ٢١ يونية عام ٧٢٢م.

- * ولد فى هذه السنة بالشرارة أبو العباس السفاح (ربيع الآخر) أول الخلفاء العباسيين، أبوه
محمد بن على حفيد العباس وأمه الحارثية.

فى رقبته وقال : الله الواحد إلاه الاب الطوبانى أنبا
سيمون. فلما نظروه الجموع الذين حوله هربو
خوفا من ذلك الاخ الذى مسكه، فقال له : ثق
وتقو وتصبر يا قس مينا فاجاب وقال له : بصلوات
سيدى الاب البطرك ابا سيمون وهب الله لى الحياه
دفعه اخرى. فاستدعى الاخ الكهنه وبقية من كان
فى البلد وعرفهم ان القس مينا تكلم، فقال لهم
القس مينا وهم مبهورون متعجبون : انى مت مثل
كل الناس الذين يموتون ومضى بى رجالان منيران

-
- * توالى المعارك فى آسيا الوسطى بين سعيد الحرشى والصغد وانتهت بهزيمتهم واصطفاء
ذرائعهم وأموالهم.
 - * فى إقليم القوقاز ظفر الخزر بالمسلمين وقد أعانهم القفجاق وغيرهم من الترك فكر
عليهم المسلمون بقيادة الجراح الحكيمى.
 - * عزل ابن الضحاك عن مكة والمدينة وتولى عليهما عبدالواحد النصرى.
 - * شهدت الأندلس مقتل بلج القشيرى الذى استولى على البلاد قسراً من واليها الشرعى
عبدالملك بن قطن فلم تدم إمارته سوى احد عشر شهراً.

سنة ١٠٥ هجرية

افتتحت السنة بيوم الخميس ١٠ يونية عام ٧٢٣م.

- * توفى الخليفة يزيد بن عبدالملك بواد الأردن (٢٥ شعبان) وله من العمر ثلاث وأربعون
سنة وكانت خلافته أربع سنين وشهراً، أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية وكان قد تولى خلفاً
لابن عمه عمر بن عبدالعزيز.
- * تولى الخلافة الأموية بدمشق هشام بن عبدالملك خلفاً لأخيه يزيد المتوفى (٢٦ شعبان)
عن أربع وأربعين سنة.

فاقاما بى قدام منبر المسيح الملك العظيم الكبير
فنظرت الابا البطاركة من الأب اسحق الاول إلى
البشير مارى مرقس فى طقوسهم ووبخونى قايلين:
لماذا اخفيت مال البيعه وكلما لها عن خليفتنا أبا
سيمون. ثم أوقفت أمام المسيح الملك فقال أمضو
به إلى الظلمه البرانيه وفيما هم يجذبونى سجدو
القديسون البطاركة إلى السيد المسيح قايلن بسؤال
تراف [تراءف] على ولدنا هذا العبد ان تطلقه
هذه الدفعه لأنه لم يظهر مال البيعه وهذا أخونا

-
- * هشام بن عبد الملك يعزل عمر بن هيرة عن إمارة المشرق وولاها خالد القسرى فحبسه
هذا فى سجن واسط إلا أنه هرب من سرداب حفره غلماناه وسار الى دمشق.
 - * تولى امرة مصر محمد بن عبد الملك أخو الخليفة وكانت مصر تعاني أهوال الطاعون
حتى أن محمد هرب إلى الصعيد ثم لم يلبث أن استعفى فأعفى.
 - * ولى هشام بعد انصراف أخيه عن مصر - الحر بن يوسف أميراً على الصلاة فقط وولى
عبيد الله الحبحاب على الخراج. ولا تزال الأوزان الزجاجية لدراهم ودنانير الحبحاب وما كان
عليها من كتابة باقية حتى الآن.
- ثورة لاقباط مصر،**

وفى عهد الحر بن يوسف، وبسبب سياسة عبد الله بن الحبحاب المالية قام أهل مصر من
الأقباط على ما يروى الكندى بثورة على زيادة خراج الأرض، فقد كتب ابن الحبحاب للخليفة
هشام يقترح زيادة خراج الأرض قيراطاً على كل دينار فانتفضت بعض كور مصر (كورة تنو
[تنيس]، وتمى، وقريط، وطراية) وعامة الخوف الشرقى، فبعث اليهم الحر بن يوسف بأهل
الدواوين (أى الجند من العرب) فاختصروا الفتنة بعد قتل عدد كبير من الثائرين.
* بدأت دعوة بن العباس السرية ببلاد السند وفارس على يد بكير بن ماهان.

سيمون يدعو بسببه. فأمر بأعدائي دفعه أخرى،
وقال لي: هكذا تموت وتستحق الموت ولكن
لأجل مصطفى وخليفتي سيمون أنا أطلقك هذه
الدفعه وإذا أنت لم تتمسك بالتوبه ولم تشفق على
نفسك والا فانت تعود إلى هاهنا ولا أقبل فيك
سؤال. ثم قام ونهض وقد عوفى ثم اخرج جميع
مال البيعه وسلمه للأب القديس أبا سيمون
وسلمه الأب البطرك إلى ولده الروحاني، ومكث

سنة ١٠٦ هجرية

وافق هلال المحرم من هذا العام يوم الاثنين ٢٩ مايو ٧٢٤م.

* تابع مسلمة بن سعيد مسيرته لغزو اقليم فرغانة (بين التركستان والصين) بالرغم من
تفرق كثير من جنده حتى جاوز جخذة ودخل أرض المغل ولم يلبث أن عزل اسد القسرى
أخى أمير العراق خالد القسرى.

* ولد الأديب المنشئ عبدالله بن المقفع ومؤلف كيلة ودمنة والأدب الصغير والكبير،
وكان ابن المقفع مجوسياً وأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح وقد أتهم باختلاس اموال
بيت المال فضرب على يديه حتى تفقعت ومن هنا أتى اسمه «المقفع».

وقد سعى عبدالله بن الحبحاب عامل الخراج لكي يمكن لنفسه في مصر، فكتب إلى هشام
يطلب منه تهجير بعض قبائل قيس إلى مصر، فأجابه هشام إلى طلبه، فوفد إلى مصر أربع مائة
عائلة من بطون قيس المختلفة فنزلت بالحواف الشرقية حول مدينة بلبيس ثم توافدت جموع
أخرى منهم بلغ عددها ألف وخمسمائة عائلة.

وسرعان ما سوف تتحول هذه الأسر الوافدة إلى بذرة خلاف وفتنة فلا تكاد تمضي فترة
من الزمان، حتى يكون للقيسيين من أهل الحواف الشرقية ملحمة من النهب والسلب أو خلق
الفتن والاضطراب.

إلى حين نياحته بخوف الله. ومجد جميع الشعب
الله صانع العجايب فى قديسه على هذه الأعجوبة
العظيمه. ثم أن الأب البطريرك أبا سيمون اختار
قوما روحانيين مضيئين [مضيئين] فى أفعالهم
متبحرين فى الكتب والحكمه والعلوم فأوسمهم
أساقفه على كل مكان، وأول [ولى] أولاده أنبا
زخارياس أسقف مدينة سخا، وأبا طلحوس الأخ
الروحاني أخوه فى الرهبنة جعله أسقفًا على
كرسى منوف العليا، وكثير لا أتذكرهم، هولا

سنة ١٠٧ هجرية

وافق هلال المحرم يوم السبت ١٩ مايو عام ٧٢٥م.

* لم تنقطع الغزوات فى أنحاء الدولة الاسلاميه من قلب أسيا شرقاً إلى الأندلس غرباً،
ففى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك قيسارية وأخذها بالسيف، وغزا اسد القسرى أمير
خراسان الجديد بلاد الغور من جبال هراة فهرب أهلها فاستولى على رجالهم، وفيها استعمل
القسرى الجنيد بن عبد الرحمن على بلاد السند وغزا بلاد الكرج، وفيها غزا معاوية ابن الخليفة
هشام جزيرة قبرص.

* انتشر الطاعون ببلاد الشام فهرب أهلها إلى البوادي.

* ثار عباد الرعينى باليمن وهو من الخوارج المخكمة فقضى على ثورته والى اليمن يوسف
بن عمرو.

* فى الأندلس، غزا عنبسة الكلبي أمير الأندلس بلاد فرنسا وحاصر مدينة قرطشونة
(كركاسون الحالية) بعد أن عبر نهر الرون وأطلق ما فى المدينة من أسرى المسلمين وألزم أهلها
بأحكام الجزية، وفى طريق العودة أصيب فى بعض المعارك فمات من سنته، وكانت ولايته سنة
وأربعة أشهر.

* أسلم نمرون ملك الغرستان (اسيا الوسطى) على يد اسد القسرى.

أوسمهم وفرقهم على الكراسى يرعون
الخراف الناطقه.

وأقام تسع سنين ونصفا بطركا ثم اعتل في يوم
الخمسين(*) احتفال يقام يوم الاحد السابع
بعد صعود المسيح
إلى الوادى المقدس وادى هبيب آخذ بركة الأبا
القديسين والرهبان فأننى ما أرجع أشاهدهم بعد
هذه الدفعه فى الجسد، فانحدر من حلوان لأنه
كان قد توجه إليها من اسكندريه بسبب الأساقفه
حتى فرقهم فى الكراسى، وانحدر إلى وادى هبيب

سنة ١٠٨ هجرية

افتتحت السنة بيوم الأربعاء الموافق ٨ مايو ٧٢٦م.

* كان على اماره مصر فى أول هذه السنة الحر بن يوسف وعلى بقية العام حفص بن
الوليد وهو حضرمى ولكن لم تطل ولايته سوى عدة أسابيع.
* وقع الخلاف بين الحر بن يوسف وبين عبيد الله بن الجحباب، لتزايد سلطانه وغلبته على
شئون البلاد، ولكن هشام بن عبد الملك انحاز الى جانب عبد الله بن الجحباب وعزل الحر بن
يوسف، وولى على صلاة مصر بدلا عنه حفص بن الوليد. وكان حفص بن الوليد هو القائم
على شرطة مصر: كما ولى مصر باستخلاف الحر بن يوسف. على أن الخلاف سرعان ما
نشب بين حفص بن الوليد وبين عبد الله بن الجحباب فعزل هشام بن عبد الملك حفص بن
الوليد.

* عبر أسد القسرى نهر جيحون لغزو بلاد الختل (على حدود الصين) فانهزموا وحوى
المسلمون عسكرهم وأسروا وسبوا وغنموا.

* وقع حريق بناحية مرج دابق فى شمال سورية فاحترق المرعى والدواب والرجال كما
فشى الطاعون بالشام منذ العام الماضى.

* فشل دعاة بنى العباس الذين أرسلهم بكير بن ماهان الى خراسان بعد أن انكشف
أمرهم.

وأخذ بركة الأبا القديسين الرهبان وتوجه إلى
اسكندرية فانتقل بإحكام الله الغير مدروكه إلى
كورة الأحيا في الرابع والعشرين من أبيب الموافق
للتامن عشر من يوليوس في شهور الروم سنة أربع
مايه وست عشره لديقلاديانوس الملك الكافر قاتل
الشهدا. وخلي الكرسي بعده ثلثة سنين وشهورا،
صلاته تكون معنا آمين. وتقدم لاولاده أن يجعلوا
جسده في دير الزجاج موضعا جعل فيه جسد أبيه
يوحنا، واجتمع رهبان الديارات بهاناظون حتى

* تولى على الموصل الحر بن يوسف أمير مصر السابق بعد أن استعفى هشاماً فاعفاه وعنى
في الموصل بالبناء والتعمير وهو باني القصر الذي عرف بالمنقوشة لأنه كان منقوشاً بخشب
الساج والرخام والفصوص الملونة ودامت امارته نحو ست سنوات.

سنة ١٠٩ هجرية

استهل المحرم بيوم الاثنين الموافق ٢٨ أبريل ٧٢٧م.

* مضت أربع سنوات على خلافة هشام بن عبد الملك.

* تولى امرة مصر الاخوان: عبد الملك بن رفاعه للمرة الثانية دخلها في أول المحرم مريضاً
فتوفي بها بعد خمسة عشر يوماً، وخلفه أخوه الوليد بن رفاعه فامتدت أيامه.

* ولي الوليد بن رفاعه الصلاة، وجعل على شرطته عبدالله بن أبي سمير الفهمي، وكان
على خراج مصر عبيد الله بن الحبحاب صاحب النفوذ الكبير فسعى الوليد ابن رفاعه عند
الخليفة هشام على ما يقول تغري بردى فأخرجه هشام من مصر واستعمله على افريقيا ومن
هنا طالت اماره الوليد بن رفاعه على مصر، على خلاف كل من سبقه من الامراء.

* توالى الغزوات والفتوح شرقاً وغرباً، ففي هذه السنة غزا معاوية ابن الخليفة هشام أرض
الروم وفتح حصناً يقال له طينه، وغزا مسلمة الترك من ناحية أذربيجان، وغزا عبدالله بن عقبة

كملو عليه الصلوات، ونزل جسده إلى قبره
بتمجيد وتهليل السيد المسيح الذى ينبغى له المجد
والكرامة مع الأب والروح القدس المحيى إلى الابد
والدهر امين.

تمت (*) السيره السادسه عشره وأنتهت سير
الآبا رزقنا الله بركة صلواتهم إلى سيرة أبنا سيمون
وهو الثانى والأربعون بطركا، سوى ما نقلناه من
دير أبى مقار وهى سير عشرة بطاركه من خيال (*)

(*) أتم هذه السير ميخايل ابن بدير
الدمنهورى وبقيره الشماس.

(*) خيال الثالث هو البطرك من
٨٨١ إلى ٩١٣ م.

فى البحر، وفيها غزا بشر بن صفوان عامل افريقية جزيرة صقلية فغنم شيئا كثيرا ورجع الى
القيروان، وفيها غزا اسد القسرى فى أقصى الشرق فهزم خاقان وافتح غورين.
* عزل الخليفة هشام الأخوين خالد القسرى وكان على العراق واسد القسرى وكان على
خراسان وولى على المشرق كله الحكم بن عوانة فولى أشرس بن عبدالله على خراسان فكان
أول من استعمل الربط (جمع رباط) بها واستقضى محمد ابن يزيد.
* تولى إمارة البصرة وقضاءها بلال ابن أبى بردة وهو حفيد أبى موسى الأشعرى ولزم
منصبه نحو ستة عشرة سنة حتى عزله يوسف الثقفى وحبه فمات سجيناً.

سنة ١١٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الجمعة ١٦ أبريل ٧٢٨ م.

* تولى إمارة افريقية عبيدة السلمى خلفاً لبشر بن صفوان.

* بعث أشرس بن عبدالله أمير خراسان الجديد أبا الصيداء (صالح ابن طريف) الى أهل
الصفد لدعوة أهلها الى الإسلام فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فأسلم كثيرون
وبنوا المساجد فلما تنكر أشرس لوعوده ولم يسقط الجزية عنهم انضم أبو الصيداء الى
المسلمين الجدد دفاعاً عن حقهم فى المساواة.

الأخير إلى سانوتيوس الأول، سوى ما نقلناه هاهنا
تسعة بطاركة، وذلك في سنة سبع مائة وست
وتسعين للشهدا من بغيره الشماس ومن ميخايل
ابن بدير الدمنهري(*) بفضل الله بوجودنا السير
في دير ابي مقار بالأخ تادرس الأمين ابن بولس في
يوم الأحد سادس بؤونة سنة سبع مائة سبع
وتسعين للشهدا الأبرار، وقابلنا بعضها مع بعض
فوجدناها موافقه لما نسخناه فتحققنا صحتها.

(*) بغيره الشماس وميخايل ابن
بدير هما نسخ السير السابقة .

* غزا في هذه السنة مسلمة بن عبد الملك بلاد الخزر وكانت معركة استمرت شهراً، وفيها
غزا معاوية بن هشام أرض الروم ففتح سمالة، وفيها كان على الغزو في البحر عبدالرحمن بن
حديج، وفي هذه الحروب قتل الحجاج النضري بخراسان وصخر بن مسلم، و ثابت قطنة
على أبواب آمل وأصبحت عينه في معارك خراسان فوضع عليها قطنة فمرف بها.

* ولد في هذه السنة بمصر القاريء عثمان بن سعيد الذي اشتهر بلقبه ورش ومن ثم
عرفت به أشهر مدرسة في القراءات.

* ممن توفوا في هذه السنة، الحسن البصري الذي لقب حبر الأمة وإمام أهل البصرة عن
٨٩ عاماً وكان قد نشأ بالمدينة في كنف الامام علي، وفيها توفيت السيدة فاطمة بنت الامام
الحسين وكانت مع أبيها في يوم كربلاء، وفيها توفيت أم الهذيل الفقيهة القارئة عن سبعين
سنة.

* شهد العام وفاة اثنين من مشاهير شعراء العصر هما: جرير بن عطية الخطفي توفي
باليمامة عن ٨٢ سنة، وقرينه الفرزدق وله احدى وستون سنة والذي قيل عنه لولا شعره
لذهب ثلث لغة العرب، وتوفي من الشعراء سعد بن ناضب كان من الشعراء الفتاك، وتوفي
مغنى المدينة في أيامه أبو مسعود الهذلي وكان حجاراً ينقر البرم، وفيها توفي محمد بن سيرين
المحدث.

السيرة السابعة عشرة من سير البيعة المقدسة

الواجب أن نذكر ما قد كان من بعد وفاة الأب
الجليل الكريم الطوباني الراعي الصالح أبا سيمون
الذى سمع من السيد يسوع المسيح القول: أيها
العبد الأمين أمينا كنت على القليل انا أقيمك على
الكثير أدخل إلى فرح سيدك. فاعلموا الأمير
عبد العزيز والكتاب بمصر فلحقهم عليه وجع
قلب وحزن لأن جميع النصارى فقدوا راعيهم فى

سنة ١١١ هجرية

استهل العام بيوم الثلاثاء الموافق ١٥ أبريل ٧٢٩م.

* عزل الخليفة هشام أخاه مسلمة عن أرمينية واعاد اليها الجراح الحكيم الذى افتتح
المدينة البيضاء أو نساتك القديمة وكانت للخزر، وفيها غزا سعيد ابن الخليفة هشام الصائفة
حتى بلغ قيسارية من أرض الروم وغزا أخوه معاوية ووغل فى أرض الروم.
* تولى الجنيد بن عبدالرحمن المرى إمارة خراسان خلفاً لأشرس الذى عزل بسبب موقفه
من مسلمى الصغد مما أثار الفتنة فى الاقليم وفتح باباً ذهب فيه الأموال والأرواح من سوء
تدبيره.

* تولى إمرة الأندلس الهيثم الكنانى خلفاً لعثمان بن ابي نسعة من قبل والى افريقية عبيدة
ابن عبدالرحمن وكان توالى الولاة من أسباب الفتن فى الأندلس.

سنة ١١٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٢٦ مارس ٧٣٠م.

* تولى إمارة الأندلس للمرة الثانية عبدالرحمن الغافقى من قبل الخليفة هشام وذلك بعد
استشهاد أميرها الهيثم الكنانى صاحب الفتوحات فى جنوب فرنسا والتي شملت الاستيلاء

وقت صعب وبلايا من الولاة. ولم يزل السيد المسيح يدبر البيعة. وكان اتناسيوس المومن متولى الديوان وكان مراعيًا لأمر البيع. ثم أنه هو والكتاب تقدموا إلى الأمير برأى موفق وقالوا له: أن أمر البيعة باسكندرية يلزمها خراجا عظيما ونحن نسألك أن تنفذ اغريغوريوس الأسقف إلى اسكندرية ليحتاط على مال البيعة وكلما يتعلق بها، فأنه يمد في عمرك أيها الأمير. فأجابه عبدالعزیز إلى ما سأله وانفذ اغريغوريوس أسقف القيس إلى اسكندرية

على مدن ليون وشالون ومانسون واوتون بعد عبور نهر الساوون، وكان أهل الأندلس قد استعملوا عليهم حمد بن عبدالملك الأشجعي حين تولية الأمير الجديد.

* تجددت الحرب بين الجراح الحكمي والخزر في القوقاز فزحف من بردعة إلى أردبيل ليرد ملكها عنها وفيها انكسر المسلمون واستشهد الجراح وغلبت الخزر على اذربيجان وتولى سعيد الحرشي حرب الخزر بعده وفتح بلنجر وانتقم لمقتل الجراح واطلق السبايا والأسرى.

سنة ١١٢ هجرية

وافق أول السنة يوم الخميس ١٥ مارس ٧٣١م.

* عاد الجنيد بن عبدالرحمن أمير خراسان الى قتال الترك بعد مقتل سورة ابن الحر أمير سمرقند وأوقع الهزيمة بهم ودخل سمرقند.

* أخذ أمير الأندلس الجديد عبدالرحمن الغافقي في إعداد العدة لغزو فرنسا بجيش كبير انتقاماً لمصرع سلفه الهيثم الكنانى.

* غزا المستنير بن الحارث جزيرة صقلية غير أن سفنه غرقت في العودة ونجا بنفسه فعاقبه والى افريقية بالحبس والجلد.

* ولد بدمشق عبدالرحمن بن معاوية ابن الخليفة هشام بن عبدالملك، وهو الذى عرف بعد

وجعل له الأمر في مال البيع وابسقوية البطرك
وتدبيره برأيه، فكتب له بذلك سجلاً وأخذه وسار.
وكانو مهتمين بمن يقدمونه بطركاً موافقاً لغرضهم
ممن يعرف بالحكمة والعلم، فاقامو ثلث سنين
هكذا إلى أن أراد الرب وطاب قلب الولاة على
ذلك بعد سؤال عظيم. وبارادة الله السيد يسوع
المسيح العارف بمن يختاره من الطاهرين المتقين
النقيين القلوب، قدمو القس الأكسندروس من دير
الزجاج [باسكندرية]، وكان راهباً بتولاً وديعاً لم

ذلك بلقبه صقر قریش، مات أبوه في طفولته فتربى في بيت الخلافة وأفلت من مطارديه
العباسيين بالهرب إلى المغرب والعبور إلى الأندلس وإقامة دولة الخلافة الأموية بها.

* ولد بالكوفة قاضي القضاة أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم) صاحب الامام أبي حنيفة
ومؤلف كتاب الخراج.

* فشلت محاولة لبني العباس لنشر دعوتهم في خراسان إذ أخذ أميرها الجنيد ابن
عبدالرحمن دعائهم ومثل بهم.

سنة ١١٤ هجرية

استهل العام بيوم الاثنين الموافق ٢ مارس ٧٣٢م.

* ولي الخليفة هشام بن عبدالملك ابن عمه مروان بن محمد (آخر الأمويين) إمارة الجزيرة
وجمع له أذربيجان وأرمينية خلفاً لأخيه مسلمة، وسيره على رأس جيش ضم ١٢٠ ألفاً لغزو
بلاد الخزر (القوقاز) من جهات مختلفة فتم له ما أراد صلحاً، وفيها غزا الجنيد بلاد الصغانيان
(أوزبكستان الحالية).

* تولى إمارة إفريقية والمغرب والأندلس عبيد الله بن الحبحاب وكان صاحب خراج مصر
طويلاً، وذلك خلفاً لأبي عبيدة السلمي الذي دامت ولايته أكثر من أربع سنين واستعفى
الخليفة فأعفاه.

يكن فيه عيب، عالماً بالكتب [المقدسة] من صغره.
واحضروه إلى الأمير فنظر النعمة في وجهه فاطلق
لهم بارادة الله ان يقدموا الأكسندروس.

الأكسندروس [الكسندر الثاني] البطرك

وهو من العدد الثالث والأربعون

(*) في نفس هذا العام عاد
جستيان الثاني واستولى على
الحكم بمساعدة البلغار.

[٧٠٥ (*) / ٧٣٠ م]

فاتفق الشعب الارتدكسي بحضور جماعه من
الأساقفة والكهنة وكتاب الديوان فكرزوا الأب

* جرت في هذه السنة المعركة الفاصلة بين العرب وأوروبا المسيحية على نهر اللوار بفرنسا
وهي التي تعرف باسم بلاط الشهداء أو بواتيه أو تور، بدأت مع بداية العام بمسيرة
عبدالرحمن الغافقي أمير الأندلس مخترباً جبال البرانس إلى فرنسا ومستولياً على آرن على نهر
الرون ثم عبر الجارون مستولياً على بوردو ثم ليون وبيزانسون ثم ارتد إلى اللوار حيث جرت
المعركة مع القوات المسيحية المتحالفة بقيادة شارل مارتل (٢٦ شعبان) وفيها هزم الجيش
العربي قتل قائده عبدالرحمن الغافقي.

* تولى إمارة الأندلس عبدالملك بن قطن لاستعادة هيبة الخلافة بعد هزيمة عبدالرحمن
الغافقي.

سنة ١١٥ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٢١ فبراير ٧٣٣ م.

* انطلق أمير الأندلس الجديد عبدالملك بن قطن على رأس جيش شاخصاً إلى الأقاليم
الشمالية التي انتشرت فيها قلاقل الأسبان فقضى على محاولات الثوار في إقليم ارغون وعبر
جبال البرانس إلى بسقونية ومنها إلى مقاطعة لانجدوك واكوتين الفرنسية وعاث فيها منتقماً من
هزيمة بلاط الشهداء.

الأكسندروس بطركا فى يوم عيد القديس مارى
مرقس الذى هو اخر برمودة سنة اربع مائه
وعشرين لديقلاديانوس. ونال كورة مصر مسره
عظيمه وخاصة الأرثوذكسين لكون البيعه كانت
معطلة تلت سنين وكانو فيها كاليتمى. وكان الرب
مع الأب الأكسندروس يسهل جميع أموره لتواضعه
وعفته واتكاله على الرب وحده مدبره، فلما
مضت أيام يسيره وهو مستريح أثار الشيطان شعنا
على الأساقفة مما نذكره.

* استشرى الطاعون ببلاد الشام وامتد الى العراق، وعاصر الوباء وقوع قحط شديد
بخراسان وأصاب أهلها المجاعة وامتد القحط والمجاعة الى بلاد الهند.

* خرج بخراسان الحارث بن سريح على هشام بسبب الضرائب التى فرضها على الموالى
من الفرس.

* توفى الأمير أبو حفص عمرو ابن الخليفة مروان بن الحكم وزينب الخزومية، تولى امرة
مصر مرتين.

سنة ١١٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ١٠ فبراير ٧٣٤م.

* لم تطل إمارة عبد الملك بن قطن على الأندلس بعد انتصاراته فى فرنسا بسبب سخط
زعماء الأندلس عليه لصرامته وشدة بطشه فعزله ابن الحبحاب أمير إفريقية بعقبة بن الحجاج.

* تزوج الجنيد أمير خراسان فاضلة بنت المهلب بن ابى صفرة مما أغضب الخليفة على
الجنيد فعزله وولى على خراسان عاصم الهلالى ولم يلبث أن توفى الجنيد فى عامه.

* بعث عبدالله بن الحبحاب امير افريقية وصاحب خراج مصر سابقاً جيشاً إلى بلاد
السودان، فغنموا وسبوا.

كان لعبد العزيز ملك مصر ولد (أكبر اولاده)
يسمى الأصبع وكان يظن انه يجلس عوض أبيه
إذا توفي فولاه على جميع الكوره واليا ومستخرجا
وكان جميع القسوس سامعين له بخوف لأجل انه
ولد الأمير، ولما دفع له من السلطان، وكان مبغضا
لنصارى سفاك الدما رجل سو كالسبع الضارى.
ثم انطوى إليه شماس اسمه بنيامين فكان يعمر له
وكان يحبه اكثر من جماعة أصحابه ويظهر له

-
- * فى اول جماد الثانى = ٢٨ يونيو ٧٣٥م توفي الوليد بن رفاعه فى القسوطا بعد أن حكم مصر تسع سنين فتولى مكانه عبدالرحمن بن خالد الفهمى.
 - * امتدت ثورة ابن سريح بعد أن انضم اليه بعض العرب بخراسان فاستولى على بلخ والجوزجان والطالقان حتى بلغ مرو وهناك هزمه أسد القسرى وانسحب ابن سريح الى ما وراء النهر واختفى اسمه فترة بينما أخذ أسد عدة من أصحابه ومثل بهم.
 - * بعث عبدالله بن الحبحاب أمير افريقية جيشاً إلى بلاد السودان للغزو والفتح.

سنة ١١٢ هجرية

- وافق الأول من المحرم يوم الاثنين ٣١ يناير ٧٣٥م.
- * تولى إمارة مصر (جمادى الآخرة) عبدالرحمن بن خالد بن مسافر خلفاً للوليد بن رفاعه المتوفى وكان عبدالرحمن من قبل على شرطتها وصلاتها.
- * اكتشف أمر بعض دعاة العباسيين بخراسان فقتل البعض وحبس البعض.
- * غزا معاوية ابن الخليفة مروان بن محمد بلاد الروم دخلها الأول من الجزيرة وسار الثانى صوب الانضول، وافتتح مروان ثلاثة حصون وأسر كورمانشاه وبعث به الى الخليفة فمّن عليه وأعادته الى مملكته.

اسرار النصارى بسعائته، حتى انه فسر له الانجيل
بالعربى وكتب الكيميا وكان يبحث عن الكتب
لتقرى عليه وكذلك الأرطستيكات كان يقرأها
لينظر هل يشتمون فيها المسلمون ام لا. ولم يكن
يتخلى عن سو عمله مع النصارى. وكان أصحاب
النار المخالفون يسعون عنده بالرهبان النصارى
ويقولون انهم ياكلون ويشربون اولا يعملون ا.
فانفذ صاحباً له اسمه يزيد ممن يامن إليه ومعه اخر

* وصل القائد الأندلسى عبدالرحمن بن علقمة اللخمى فى غزوة فرنسا الى مجرى الرون
فى أقصى الشرق مستولياً على اربل ثم على مدينة أفنيون بعد محالفته أمير بروفانس الفرنسى.

سنة ١١٨ هجرية

استهل العام بيوم الجمعة ٢٠ يناير ٧٣٦م.

* انفذ الامبراطور ليو الثالث حملة على سواحل مصر فنزلت بها وخربت وسلبت فغضب
هشام وعزل أمير مصر عبدالرحمن بن مسافر بعد سبعة أشهر من ولايته وذلك فى الاول من
محرم = ٢٠ يناير سنة ٧٣٦م، وأعاد حنظلة بن صفوان.

* دخل مروان بن محمد أمير أرمينية ورتيس من بلاد الروم فهرب ملكها إلى القوقاز.

* قتل فى هذه السنة الجعد بن درهم متهماً بالزندقة، كان مؤدب مروان بن محمد آخر
الأمويين لهذا عرف بمروان الجعدى، لقي حتفه على يد خالد القسرى والى العراق.

* توفى فى معتقله بالحميمة عن ٧٨ عاماً جد العباسين ابو محمد على بن عبدالله الملقب
بالسجاد اتهمه هشام بن عبدالملك بالدعوة لبنى هاشم.

* نشطت الدعوة العباسية فى المشرق بالرغم من فشل محاولاتها وتولاها فى مرو عمار بن
يزيد نائباً عن بكير بن ماهان وتسمى خدائشاً للتعمية كما تظاهر بالدعوة للخرمية وكان فى
الأصل نصرانياً بالكوفة وأسلم ولحق بخراسان فبلغ خبره أسدا فظفر به وقطع لسانه.

فأحصى(*) جميع الرهبان في كل الكور ووادي
 هبيب جبل جراد وسائر الأماكن، وجعل عليهم
 جزية ديناراً واحداً على كل نسمة وأمرهم أن لا
 يرهبو أحداً بعد من إحصاءه. وهذه أول جزية
 وزنها الرهبان من الكافر الأصبح. ثم إن أساقفة
 الكور ألزمهم أن يقوموا بالفى دينار خارج وساياهم
 وكانوا يقومون بذلك فى كل سنة، وكان يفعل
 أفعالا عظيمة ويلزم الناس أن يصلوا صلاته. وكان

(*) ترد بدل كلمة أحصى فى أحد
 المخطوطات كلمة أحصى وهو فى
 الغالب خطأ من النسخ.

سنة ١١٩ هجرية

أهلت السنة بيوم الثلاثاء ٨ يناير ٧٣٧م.

* دخل حنظلة بن صفوان مصر (٥ المحرم) وزاد من أرهاق أهلها فانتقض عليه القبط
 فحاربهم حتى هزمهم وقتل منهم أعداد كبيرة بعد أن سلب ونهب.

* توالى تقدم قوات عرب الأندلس فى فرنسا بقيادة عبدالرحمن اللخمي ولكن قوات
 شارل مارتل نجحت فى استعادة أفيون وانزال الهزيمة بالحملة البحرية التى أرسلت نجدة لعبد
 الرحمن ومع ذلك قاومت حامية أربونة حتى اضطر الأفرنج لرفع الحصار عنها.

* وفيها خرج المغيرة بن سعيد بالكوفة، فلما بلغ خبره خالد بن عبدالله القسرى جى به،
 وأمر خالد بالنار والنفط والقاه فيها مقيداً فأحرقه هو ومن كان معه.

* استمرت الحروب والغزوات فى الشرق والشام وفى هذه السنة هزم أسد القسرى ملك
 فرغانة أخاقان وقتله، وفى الشمال دخل مروان بن محمد بلاد الخزر (القوقاز) حتى بلغ
 مشارف الفولجا.

* ممن خرج فى هذه السنة بهلول الشيبانى من الموصل وهزم جيش الشام وبلغ الكوفة
 فسار يريد الشام ولكنه صرع فى الطريق، وفيها خرج الصحارى ابن شبيب بناحية الجبل فقتل
 على يد خالد القسرى، كما ظفر خالد أمير العراق بالدعى الدجال المغيرة بن سعيد التى
 عرفت باسمه طائفة المغيرة من المجسمة فقتله وصلبه وشتت أتباعه.

بنيامين الشماس الراهب أشر على النصارى من كل احد ويهيجهم على كل بلاء، واضطر جماعة إلى ان اسلمو ومن جملتهم بطرس والى الصعيد واخوه تاودرا وولد تاوفانس مقدم مريوط، وجماعه كهنة وعلمانيين لا يحصون من كثرتهم، فلم يمهلهم الرب يسوع المسيح وفي زمن يسير ازعجه من مسكنه لبغضه للشعب المسيحى. وذلك انه لما كان يوم سبت النور دخل الاصبغ إلى دير حلوان نظر إلى الصور مزينة كما يجب، وكانت

سنة ١٢٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٢٩ ديسمبر ٧٢٧م.

* ولي الخليفة هشام إمارة المشرق كله يوسف بن عمر الثقفى بعد أن عزل خالد القسرى وموت أخيه أسد فى خراسان واتهم خالد الذى دامت امارته ١٥ سنة بأنه كان يمالئ أهل الذمة، وفى خراسان تولى نصر بن سيار خلفاً لأسد.

* استأنف عقبة بن الحجاج أمير الأندلس غزو فرنسا واسترداد ما انتزعه منه شارل مارتل وعقد حلفاً مع الدون مورنتوس فبعد أن عبر جبال البرانس اخترق اقليم سبتمانيا وعبر نهر الرون استرد مدينة أرل للمرة الثالثة ثم استعاد مدينة أفنيون فرد الأفرنج بتسيير ثلاثة جيوش متحالفة اضطرت عقبة الى اخلاء اقليم بروفانس واغلب اقليم سبتمانيا ولم يبق فى يد المسلمين سوى أربونة والشريط الساحلى.

* أوفد محمد بن على شيخ العباسيين بكير بن ماهان الى خراسان لتزعم الدعوة العباسية بنفسه وبث النقباء فى الانحاء.

سنة ١٢١ هجرية

وافق هلال العام يوم الخميس ١٨ ديسمبر ٧٢٨م.

* بدأ نصر بن سيار أمير خراسان الجديد عهده بأن رفع الجزية عن

صورة السيده الطاهره مرثيم والسيد المسيح فى
حضانها، فلما نظر إليها وتأملها قال للأساقفه
وجماعه معه: من هذه الصوره؟ فقالو: هذه مريم
ام المسيح. فافتري عليها وملا فمه بصاقا وبصق
فى وجهها وقال: ان وجدت زمانا فانا امحق
النصارى من هذه الكوره، ومن هو المسيح حتى
تعبدوه إلهًا. ولما كان [الاصبح] فى تلك الليلة
أنزل الله عليه انتقاما، فاصبح جا [ء] إلى أبيه
فوجدہ جالسا وعنده جماعة من المسلمين ومن

الصغد وغيرهم من الترك الذين دخلوا فى الاسلام لاقرار المساواة فى الحقوق
والواجبات مع العرب.

* دعا الامام زيد بن على الذى ينسب اليه المذهب الزيدى وسادس الأئمة الاثنى عشرية
عند الشيعة الى العودة الى الكتاب والسنة وجهاد الظالمين قاصداً بنى أمية ثم انه أمر أصحابه
فى اليمن بالخروج فثخص الى الكوفة ولكن تفرق عنه كثير من أنصاره.

* انسحب الأمير عقبة بن الحجاج أمير الأندلس الى قرطبة بعد غزوته الأخيرة فى أرض
فرنسا بعد أن شق طريقه بعناد عبر جبال البرانس التى حاول البسكونيون والقوط سد ممراتها
فى وجهه.

* اسر عاصم بن عمير قائد جند سمرقند ملك الترك كورصول وأتى به إلى أميره نصر بن
سيار فأمر به فقتل فشق بعد ذلك على رعيته حتى انهم قطعوا اذانهم وأذنان خيولهم ومنها
سار إلى فرغانة.

سنة ١٢٢ هجرية

أهل المحرم يوم الاثنين ٧ ديسمبر ٢٠٢٩م.

* ثارت الصفرية بافريقية والمغرب فخرج لقتالهم أميرها عبيد الله ابن الحبحاب واستظهر

النصارى وكان يوم احد الفصح المقدس ، فجلس
وقال لوالده: يا مولاي أن الشياطين عذبتنى فى
هذه الليلة . فقال أبوه: كيف يا ولدى ؟ فقال:
نظرت وكان واحدا جالسا على كرسى عظيم
مخوفا مهابا جدا ووجهه يشرق نورا اكثر من
شعاع الشمس ، وحوله الوف وربوات حاملين
السلاح ولباسهم أبيض كالثلج ، وأنا وانت خلفه
قياما مربوطين بسلاسل حديد ، فسألت واحدا
بصوت خفى ، من هذا الذى اخذ ملك ارض مصر

عليهم ثم أنفذ اليهم جيشاً ثانياً عليه أبو الأصم خالد فقتل فى حربهم واستفحل أمرهم حتى
بعد مقتل زعيمهم عبدالواحد.

* غزا حبيب الفهرى جزيرة صقلية واستولى على سرقسطة أكبر مدنها فهابه أهلها
وارتضوا دفع الجزية.

* انتزع عبدالله بن قطن امارة الأندلس من عقبة بن الحجاج وهى ولايته الثانية ، وفيها لقي
عقبة حتفه بقرمونة وكانت ولايته نحو ست سنوات ، وفى عهده فتحت اربونة وبنبلونة من
أرض فرنسا.

* استشهد فى هذه السنة الامام زيد بن على زين العابدين فى الرابعة والأربعين من
العمر بنواحي الكوفة وكان قد خرج إليها مع انصاره من المدينة معلناً أنه أحق بالخلافة من
هشام فخذلته جماعته وقتل أثناء الحاربة فدفنه اصحابه وخفوا مكان قبره ولكن الخليفة امر
بالكشف عنه حتى عثر على جثته واحتز رأسه ثم صلب جثمانه وبعد ذلك احرق وذر رماده فى
نهر دجلة . وزيد مؤلف كتاب المجموع فى الفقه وسادس الأئمة الاثنى عشرية.

سنة ١٢٢ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم السبت ٢٦ نوفمبر ٧٤٠م.

* تفاقم أمر الصفورية فى شمال أفريقية وعلى رأسهم أبو يوسف الأزدي الذى أوقع الهزيمة

من أبى؟ فقال لى: ما عرفت هذا إلى الآن؟ فقلت له فى المنام، من هو هذا؟ فأجاب وقال: هذا يسوع المسيح ملك النصارى الذى هو أجل وأعلى من جميع ملوك الأرض، هذا الذى هزأت به وبصقت فى وجهه وأوراك ضعفك فى المنام أنت البائس وأباك، وأوراك مجده وجلاله. وفيما هو يقول لى هذا واذ قد جا واحد من حاملى السلاح وأنا عريان فطعننى بحربه فى جنبى ولم يقلعها حتى اسلمت روحى إليهم وهم الشياطين الذين

بجيش الخليفة وعلى رأسه والى أفريقية الجديد كلثوم بن عياض الذى قتل فى المعركة وفر ابن أخيه بلج القشيرى إلى الأندلس.

* عقد نصر بن سيار أمير خراسان الصلح مع الصغد ومنحهم شروطاً أنكرها عليه أمراء خراسان ثم غزا نصر بلاد فرغانة للمرة الثانية.

* غزا جيش من الروم مدينة ملطية فأنفذ إليها هشام جيشاً أزاحهم عنها.

سنة ١٢٤ هجرية

استهلّت السنة بيوم الأربعاء ١٥ نوفمبر ٧٤١م.

* نشط منذ هذه السنة أبو مسلم الخراسانى فى الدعوة للعباسيين بخراسان بعد أن وجه إليها إبراهيم الامام.

* ولى الخليفة هشام إمارة مصر لحفص ابن الوليد للمرة الثانية بعد أن ولى حنظلة امرة افريقية بعد مقتل كلثوم وتعاضم أمر الخوارج من الصفرية.

* انتقلت الفتنة بين البربر والعرب من شمال افريقية الى الأندلس التى لجأ إليها بلج القشيرى بعد هزيمته ومقتل عمه كلثوم، فلم يلبث أن وثب على أمير الأندلس الشيخ عبد الملك بن قطن وقتله وتولى إمارة الأندلس.

سحرونى . فلما سمع والده حزن جداً ، وحم
الصبي للوقت بحمى عظيمه وحمل لوقته
واضعوه على فراشه ولم يفتح فاه بعد ذلك .

ولا اكل ولا شرب ، فلما كان الساعة الثانية من
الليل مات ودفن ولم يقدر أحد ان يسلى والده
عنه ، وبعد أربعين يوماً مات أبوه كما رأى ولده
الكافر المنام .

فلما جرى ذلك مضى اتناسيوس المؤمن المحب

* قتل بلج القشيري فى معركة بغرب قرطبة بعد ان ثار عليه ابنا ابن قطن وأنصارهما ،
وتولى الامارة ثعلبة العاملى (شوال) .

سنة ١٢٥ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٤ نوفمبر ٧٤٢م .

* توفى هذه السنة (٦ ربيع الثانى) الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ببلدة الرصافة أو
رصافة هشام التى كان قد بناها على مشارف بادية الشام وله من العمر أربع وخمسون سنة ،
ومدة خلافته تسع عشرة سنة ونحواً من عشرة أشهر ، وكان مرضه الذبحة .

* بويع بالخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك فى يوم وفاة عمه هشام ابن عبد الملك وله من
العمر سبع وثلاثون سنة .

* تولى إمارة الأندلس أبو الخطار (حسام الكلى) من قبل والى افريقية حنظلة بن صفوان
خلفاً لثعلبة بن سلامة الذى لم يدم حكمه سوى عشرة أشهر فعمل على تفريق أهل الشام
على مختلف مدن الأندلس تمزيقاً لعصبتهم .

* وجه الخليفة الجديد خاله يوسف بن محمد الثقفى والياً على المدينة ومكة والطائف ،
وولى على قضاءها يحيى بن سعيد الأنصارى .

للمسيح هو واولاده إلى الأمير الكبير عبدالملك إلى دمشق، فقبض على اتناسيوس هناك وحاسبه فأخذ منه كلما كسبه بمصر باخلاف عملها له، ثم انقذ ولدا له اسمه عبدالله(*) يحتاط على كورة مصر، فلما وصل إلى كورة مصر فعل أيضا أفعال سوء. وكان جميع الاراخنة خائفين منه لفعله الذى حسنه له الشيطان، وصنع آلات يعذب بهن الناس. وكان كالوحش الضارى حتى أنه فى أكثر أوقاته إذا جلس على المايده [المائدة] يقتلون الناس قدامه

(*) عبدالله ابن عبدالملك. تولى مصر على صلاحها وخراجها فى عهد أبيه الخليفة عبدالملك ابن مروان. وذلك بعد وفاة عبيد العزيز بن مروان فى الفسطاط فى ١٣ ابريل ٧٠٥ م = ١٣ جمادى أول ٨٦ هـ. انظر الهامش السفلى ص ٣٢٨.

سنة ١٢٦ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة ٢٥ أكتوبر ٧٤٣ م.

* خرج يزيد بن الوليد بن عبدالملك المعروف بالناقص على ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد لما انتهك من الحرمات وبويع بالمرزة وكان الوليد بتدمر.

* قتل الخليفة الوليد بن يزيد بعض نواحي دمشق فى قتال جيش ابن عمه الوليد (جمادى الآخرة)، وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر.

* تولى الخلافة الأموية يزيد بن الوليد بعد مقتل الوليد بن يزيد (٢٧ جمادى الآخرة) ولكن لم يلبث أن توفى فى ٧ ذى الحجة من هذه السنة نفسها لهذا لقب بالناقص وله من العمر ست وثلاثون سنة، وبويع أخوه ابراهيم بن الوليد بيعة مترددة.

* تولى إمارة مكة والمدينة عبدالعزيز ابن الخليفة عمر بن عبدالعزيز خلفاً ليوسف بن محمد الثقفى (خال الخليفة الوليد وابن أخى الحجاج) ولم تدم إمارته سوى عام واحد.

* ولى الخليفة الجديد منصور بن جمهور المشرق كله (العراق وخراسان) إلا أن نصر بن سيار أمير خراسان امتنع عليه فعزل الخليفة منصوراً واستعمل على العراق عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز.

* استولى المهير بن سلمى على اليمامة بعد إزاحة الوالى الأموى ولكن لم يلبث أن توفى.

وربما طار دمهم فى الصحن الذى يأكل منه فيفرح
بذلك.

وفى تلك الأيام خرج الطوبانى الأكسندروس
وسار إلى مصر ليسلم عليه كالعادة من البطارقة
والولاة، فلما نظر إليه قال: ايش هو هذا؟ قالوا له
هذا اب وبطرك جميع النصارى. فأخذه وسلمه
لواحد من حجابيه وقال له: أفعل ما تريه من
الهوان إلى أن يقوم بتلته آلاف دينار. فأخذه وأقام

سنة ١٢٧ هجرية

وافق مستهل السنة يوم الثلاثاء ١٢ أكتوبر ٧٤٤م.

- * سار مروان بن محمد من أرمينية إلى الشام وخلع إبراهيم بن يزيد فهرب إبراهيم من دمشق فدعا مروان لنفسه (١٤ صفر) واختفى إبراهيم فترة ثم ظفر به مروان وقتله.
- * بايع الخليفة الجديد مروان ابن محمد لولديه عبيد الله وعبد الله بالعهد من بعده وزوجهما بابنتى هشام بن عبد الملك.
- * انتشر الطاعون فى الشام وكان يسمى بطاعون غراب.
- * ثارت الفتنة بين المضرية واليمانية بالشام بسبب الخلاف بين مروان وإبراهيم ابن يزيد وانصرفت اليمانية عن مروان ومالوا إلى دعاة الدولة العباسية.
- * اشتعلت الثورات على مروان فى نواحي مختلفة، ففي الكوفة ظهر عبد الله بن معاوية (جد أمراء الأندلس الأمويين) ودعا لنفسه، وفيها خلع سليمان ابن الخليفة هشام يبعة مروان وحاربه، وفيها خرج الضحاك الشيبانى الحرورى مما زاد من عدد الثائرين على مروان، وفى أقصى المشرق تحركت شيعة بنى العباس تحت زعامة أبى سلمة حفص بن سليمان (الوزير فيما بعد) بعد موت كبيرهم بكير ابن ماهان.
- * تولى إمارة مصر للمرة الثالث حفص بن الوليد.

عنده تلتة أيام والنصارى مواصلون المسألة له أن يحط شيا مما قاله فلم يفعل، كان جميع من فى الكور تحت قلق عظيم لذلك، ووقع خوف عظيم على الأساقفة والرهبان لأجل ما جعله على البطرك من المال. فلما نظر ذلك جرجه الشماس التمرأوى أنه ما يفرج عن البطرك إلا بعد أن ياخذ المال تقدم إليه وقال له: يا سيدنا تطلب نفس البطرك او مالا؟ فقال له: أريد المال. فقال له الشماس جرجه: ضمنى أياه مدة شهرين انحدر به إلى بحرى أطلب

* ثار يزيد ابن أمير العراقيين خالد القسرى المقتول بدمشق ونودى به أميراً على الشام ولكنه قتل وصلب على باب الفراديس بدمشق.

سنة ١٢٨ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٣ أكتوبر ٧٤٥م.

* دخل أبو مسلم وهو ابن تسع عشرة أرض خراسان مع كتاب من إبراهيم الامام بتولية الدعوة العباسية ويطلب من شيعته السمع والطاعة له.

* تجددت الثورات على الخليفة مروان، فممن خرج عليه ابراهيم بن هشام، وفى اليمن ثار عليه أبو حمزة حليف طالب الحق.

* استقر أمر عبدالرحمن بن حبيب على افريقية بحكم الواقع ثم أقره مروان فى هذه السنة بعد أن كاتبه وهاداه وأظهر له الطاعة.

* تولى حوثة بن سهيل إمارة مصر من قبل مروان الملقب بالحمار ومهد حكمه بقتل سلفه حفص بن الوليد وعدداً كبيراً من مؤيديه ومواليه واستصفى أموالهم ومتاعهم.

* توفي فى هذه السنة جهم بن صفوان رأس الفرقة الجهمية التى تنسب إليه مات قتيلاً.

له من الاراخنة والنصارى وأقوم لك عنه ثلته آلاف دينار. فسلمه إليه فطاف به المدن والقرى على المؤمنين بالمسيح حتى حصل المال وحمله. وكان يجمع له الأساقفة والمقدسين والرهبان فيهزأ بهم بتجبر بكلام صعب ويقول لهم: انتم عندي مثل الروم ومن قتل منكم واحدا غفر الله له لأنكم أعداء الله. ولما استوفى الخراج من الناس الذى جرت به عادتهم زاد عليهم وجعل على كل من عليه دينار خراج دينار وتلتين حتى أن بيعا كثيره خربت بهذا

سنة ١٢٩ هجرية

الأول من المحرم يوافق يوم الخميس ٢٢ سبتمبر ٧٤٦م.

* خرج بحضرموت طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندى وتغلب عليها واجتمع عليه الإباضية، فسار منها إلى صنعاء واستولى عليها بعد هزيمة أميرها القاسم الثقفى، ثم جهز إلى مكة جيشاً وعليها عبدالواحد حفيد عبدالملك ابن مروان فخرج منها بعد هزيمته.

* أظهر أبو مسلم الدعوة العباسية فى خراسان فتعاقدت عامة قبائل العرب على قتاله، وفيها قبض أبو مسلم على عبدالله بن معاوية الطالبي وسجنه وهو المطالب بالخلافة.

* فى أقصى الغرب تولى يوسف الفهرى القرشى إمارة الأندلس خلفاً لثوابة الذى توفى بعد حكم لم يدم سوى سنتين وبضعة أشهر وذلك على أثر الخلاف بين المضرية واليمانية كل يريد أن يكون الأمر منهم.

* فيها جهز طالب الحق عشرة آلاف مقاتل وسار إلى مكة، وبها عبد الواحد بن سليمان ابن عبدالملك بن مروان، فتغلب طالب الحق على مكة وهرب منها عبدالواحد.

* لم تنقطع ثورات الخوارج فى هذه السنة، ففيها ظهر شيبان الحرورى خليفة الخبيري خليفة الضحاك الشيباني ودخل فى حرب مروان وعلى جيشه ابن هبيرة وقاتل أهل الموصل فى جانب الخوارج.

السبب. وكان محبا للمال جدا. ثم أصر بأن
يجمع جميع بلاده من ابن عشرين سنة إلى ما
دون ذلك، فسارو وجمعو. وكان الذين أقامهم
لذلك من أصحابه رجلين وهما عاصم ويزيد
ومعهما جماعة من الأعوان، وانزلو على الناس
بلايا عظيمة وقتل لأجل ذلك جماعه وأوسمو
الغربا الذين وجدوهم على أيديهم وجباههم
وانفذوهم إلى مواضع لم يعرفوها (*) [أى نفاهم].
وكان على الأرض قلق واضطراب. وامر أن لا

(*) لعل هذه هي أحد طرق جميع
الناس للعمل في الأسطول أو
البلاد التي استولى عليها العرب

سنة ١٢٠ هجرية

استهلت السنة بيوم الاثنين ١١ سبتمبر ٧٤٧م.

* وقع زلزال شديد بالشام واخربت بيت المقدس حتى خرج اهلها إلى الصحراء وفيها
انتشر الطاعون.

* تحول الخلاف بين المضرية واليمية في الأندلس الى حرب سافرة والتقى الفريقان عند
شقنذة بالقرب من قرطبة وتزعم المضرية الصميل ويوسف ابن عبدالرحمن وعلى الجانب
الآخر ابو الخطار الذي هزم وقتل في هذه السنة.

* نجح ابو مسلم في اظهار الدعوة العباسية بخراسان ودخل مدينة مرو (ربيع الآخر) التي
هرب منها الوالى الأموى نصر بن سيار.

* انتهت في هذه السنة ثورة شيان الحرورى بمقتله، وفيها قتل طالب الحق الذى ثار باليمن
وببيع بالخلافة، كما قتل قائده ابو حمزة السليمى وكان اباضياً من الفتاك، كما قتل قاتله
عبدالمك بن عطية الذى قضى على ثورة طالب الحق باليمن وابى حمزة بالحجاز.

* فيها كان الشروع فى اتخاذ ميلاد المسيح أساساً للتأريخ.

يدفن ميت حتى يقومون عنه بالجزية ، وولى إنسانا
اسمه محمد على ذلك حتى أن المستورين الذين لا
يقدرون على الجزية إذا ماتوا لا يدفنهم أحد إلا
بأمره.

فما أعظم الحزن والشقا والتهد الذى كان
بأرض مصر والصعيد لأفعالهم ، حتى انتقم الرب
منه بسرعة بعد أن أقام سنتين يفعل هذه الأفعال
فقبض الرب نفس عبد الملك أبيه وتولى موضعه

سنة ١٣١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٢١ أغسطس ٧٤٨م.

* انتشر فى هذه السنة الطاعون الذى سمي الطاعون العظيم أو طاعون أسلم ابن قتيبة بدأ
بالبصرة فى شهر رجب واشتد فى رمضان وهلك فيه خلق عظيم وهو خامس عشر طاعونا
وقع منذ قيام الدولة الاسلامية.

* بسط أبو مسلم سلطانه على خراسان بأسرها وهزم الجيوش التى أرسلها الخليفة الأموى ،
وساعد على انتصاراته موت نصر بن سيار (١٢ ربيع الأول) آخر الولاة الأمويين فى خراسان.

* جرت معارك بين ابن هبيرة قائد مروان وعامر بن ضبارة بنواحي أصبهان قتل فيها هذا
الأخير ، وأرسل مروان مددا لابن هبيرة على رأسه حوثة أمير مصر ثم قاتل ابن هبيرة ومدده
قحطبة قائد ابي مسلم الذى أراد دخول العراق.

* تولى امرة مصر (رجب) المغيرة بن عبدالله خلفا لحوثة.

* ولد بالمدينة الامام المكتوم محمد بن اسماعيل حفيد جعفر الصادق وأول الأئمة
المكتومين عند الشيعة وتنسب الى ابيه الشيعة الاسماعيلية.

* توفي فى هذه السنة ابراهيم الامام زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها وهو الذى وجه ابا
مسلم الى خراسان ، مات فى سجنه بحران مقتولا على الأرجح.

(*) كان والدته قد أخذ له البيعة بالخلافة قبل وفاته في عام ٧٠٣ م = ٨٤ هـ.

(*) قرّة بن شريك. تولى مصر على صلاتها وخراجها في ٢٢ يناير ٧٠٨ م = ٤ ربيع أول ٩٠ هـ. انظر الهامش السفلي ص ٣٥٦.

ولده الأكبر، وكان اسمه الوليد(*)، ولما جلس على كرسى الملك بدأ يعزل الولاة ويولى غيرهم من أصحابه فولى واحدا مصر اسمه قره [ابن(*) شريك]، ولم يعرف ذلك الكافر عبد الله، وبينما هو جالس في قصره وصل الوالى عوضه بغته وجلس موضعه فلاحقه لذلك فضيحة عظيمة وخزى.

وانزل قره بلایا عظيمة على أصحاب عبد الله والنصارى والمسلمون طرحهم فى السجون أقامو فيها سنه.

* ممن توفوا فى هذه السنة شيخ المعتزلة واصل بن عطاء عن ٥١ عاماً ومؤلف السبيل الى معرفة الحق.

سنة ١٣٢ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الأربعاء ٢٠ أغسطس ٧٤٩ م.

* شهدت هذه السنة نهاية دولة وقيام دولة، ففيها سقطت دولة بنى أمية بعد أن حكمت نحو قرن من الزمان وقامت دولة العباسيين بعد سلسلة من الانتصارات العسكرية امتدت خلال شهور العام كله وانتهت بدخول دمشق فى رمضان ومقتل مروان آخر الأمويين بأبى صير فى مصر التى لجأ إليها هارباً (٩ الحجة).

* فى المشرق وثب أبو مسلم على نيسابور وأزاح الوالى الأموى وباع للسفاح العباسى بالخلافة (ربيع الأول)، وفى الشمال جمع أنصار العباسيين جموعهم بعد مقتل قحطبة وولوا ابنه الحسن الذى استولى على الكوفة (١٠ المحرم) وهرب واليها الأموى زياد بن صالح وبويع السفاح وتولى أمرها أبو سلمة الخلال الذى استولى على واسط، وعلى مشارف الشام التقى جيش الخليفة مروان بقوات العباسيين وعليها عبد الله وصالح بن على عما السفاح عند الزاب فانهزم مروان الى دمشق التى حوصرت واستسلمت لصالح بن على (رمضان) وفيها سار مروان هارباً الى غزة ومنها الى بصرى بمصر حيث قتل (٢٧ الحجة).

وكان فى أيامه انسان ارتد كسى اسمه يونس من
دميره وكان ذا أمر ونهى. وفعل قرة بلایا بالبيع
والرهبان حسب ما یأتى شرحه.

وكانت مملكة الروم مثل لعب الصبيان(*) فلما
خلعوا الروم یوستینیانوس الملك ملكو لاون
الیونتیوس موضعہ، وقتل لاون قبل أن يكمل له
ثلاث سنين فى الملك. وملك بعده ایسماروس وقتل
جماعه من البطاركة فى القسطنطينیه وقتل البطرك

(*) دخلت الامبراطورية البيزنطية
منذ منتصف القرن الخامس
الميلادى فى دور طويل من
الانحدار بسبب الحكم الاستبدادى
المغلق الذى أدى إلى تدهور كبير
فى الاقتصاد إلى جانب الحروب
الكثيرة فى الشرق مع الفرس
والعرب وفى الغرب مع البلغار-

* نودى بالسفاح خليفة فى جامع الكوفة (١٣ ربيع أول) وله من العمر ٢٨ سنة، وهو أبو
العباس عبدالله بن محمد بن على تقدم فى الخلافة على أخيه الأكبر أبى جعفر الذى عرف
بالمصور بعد ذلك.

* ولى السفاح أبا سلمة الخلال وزارته فكان أول وزير منذ قيام الدولة الإسلامية، ولكن لم
يلبث أن فتنك به قبل نهاية العام، كما ولى السفاح اعمامه الولايات فتولى عبدالله على الشام
وداود على الحجاز وعيسى على المشرق، وعقد لأخيه أبى جعفر بولاية العهد، وعلى خراسان
أبو مسلم.

* فى جماد الثانى = أواخر يناير ٧٥٠م تولى مصر عبد الملك بن مروان من قبل الخليفة
مروان بن محمد. وفى ١١ جماد ثان كانت هزيمة الخليفة مروان بالزاب. وعبد الملك هذا هو
الذى اتخذ المنابر فى المساجد ولم يكن قبل ذلك منبر فى المساجد، وكانت ولاية مصر تخطب
على العصى إلى جانب القبلة. وهو آخر ولاية بنى أمية فى مصر وقد حاربه أهل مصر من
القبط حروباً طويلة حتى قدم العباسيين إلى مصر.

* توفى فى هذه السنة قتلاً فى المعارك أو إغتيالاً أو فى السجون كثير من رؤوس الدولة
الأموية المنهارة لاسيما فى يوم الزاب أو عند نهر أبى فطرس بفلسطين، منهم: القائد ابن هبيرة
وحوثة بن سهيل أمير مصر، وسليمان بن هشام حفيد عبد الملك، وإبراهيم الوليد الذى بويع
بالخلافة أياماً قبل مروان، والوليد ابن معاوية أمير الشام، ومحمد بن مروان أمير مصر فترة،

وملك وأطلق سبائا كثيرا من بلاده وعادوا إلى بلادهم وزود كل واحد بتلته دنائير نفقة الطريق. وملك بعده فيلابكوس. وبعد سنتين ملك انسطاسيوس إلى الان [يعنى بقوله إلى الآن إلى زمان وضع السيرة].

وكان متولى ديوان اسكندرية تلك الأيام تاودرس وكان بينه وبين الأب البطرك الاكسندروس معاداة عظيمة، فلما وصل قره إلى مصر مضى

والامبراطورية الرومانية الغربية. وما يهمنا هنا هو أنه مع ضعف الامبراطورية البيزنطية واصلت الخلافة الاموية منذ معاوية ومن أتى بعده الإغارة على آسيا الصغرى وجزر البحر المتوسط وظلوا منذ عام ٦٦٣ م حتى عام ٦٧٨ م يغلبون سنوياً على الولايات البيزنطية في آسيا حتى وصلوا إلى خلقدونية مما عاد على هذه الولايات بالخراب الاقتصادي.

وفي عام ٦٦٩ تمرد الجيش على قسطنطين الرابع وطلب منه أن يتزوج معه أخويه هرقل

والغمر ابن الخليفة يزيد ومعه ثمانون رجلاً، وثعلبة بن سلامة العاملى قتل مع مروان بمصر، وسعيد ابن عبد الملك.

سنة ١٣٢ هجرية

استهلّت السنة بيوم الأحد ٩ أغسطس ٧٥٠م.

* فى أول المحرم من هذه السنة ولى الخليفة عبدالله السفاح عمه صالح بن على إمارة مصر وله من العمر سبع وثلاثون سنة خلفاً لوالدها الأموى عبد الملك بن مروان حفيد موسى بن نصير الذى استمرت ولايته سبعة أشهر فى ظل الخلافة العباسية وأرسل رأس مروان إلى الشام وقتل اعداداً هائلة من اشياع بنى أمية وجنودهم واكابرهم واستصفى اموالهم ومتاعهم ولكنه لم يقتل عبد الملك ابنى مروان بنى موسى الوالى الاموى واخذه معه إلى فلسطين بعد ذلك.

* وزع السفاح حكم الولايات الباقية على أقاربه وأنصاره، فولى عمه سليمان ابن على على البصرة وخاله زياد بن عبيد الله على مكة، وابن خاله محمد بن زياد على اليمن، ومحمد بن الأشعث على افريقية.

* استخلف صالح بن على أمير مصر أبا عون عبد الملك فعمّر مدينة العسكر ووضع



وطياريوس . وقد استغل معاوية في ذلك الوقت ثورة الجيش واحتل جزيرة خيوس بعد أن كان قد احتل من قبل رودس وقبرص . وبلغ الأمر أن قسام الاسطول المصري من الاسكندرية بأشتباك بحرى أمام أسوار القسطنطينية وتكرر ذلك حتى عام ٦٧٩م عندما عقد الامبراطور قسطنطين معاهدة مدتها ثلاثين عاما مع معاوية .

وفي عام ٦٨٠م واجه قسطنطين غزو قبائل البلغار لشبه جزيرة البلقان وفشل في ذلك خاصة

نظام الشرطة العليا تميزا لها عن شرطة الفسطاط وقضى في ولايته هذه (الأولى) على ثورة للقبط .

* انتهز الامبراطور قسطنطين الخامس الاضطرابات التي صاحبت سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بنى العباس وشن حملة على أراضي الدولة الشامية استولى فيها على ملطية فتفرق أهلها في بلاد الجزيرة وهو الذي أحرز انتصارا على البلغار والسلاف في البلقان .

* في أقصى الشرق التقى زياد بن صالح قائد ابي مسلم بأهل فرغانة وحلفائهم من أهل الصين على نهر طراز (ذى الحجة) وظفر بهم وأسر في قول عشرين ألفا وهرب الباقون الى الصين .

* قتل شريك المهري من دعاة العباسيين وكان قد ثار على ابي مسلم بنواحي بخارى بسبب اسرافه في سفك الدماء .

سنة ١٣٤ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الجمعة ٢٠ يوليو ٧٥١م .

* نقل الخليفة السفاح عاصمة حكمه من الحيرة الى مدينة الأنبار المجاورة .

* تولى ديوان الخراج للخليفة السفاح وزيره الثاني خالد بن برمك جد البرامكة .

الأب البطرك كالعادة ليهنيه بالولاية ويسلم عليه،
فلما وصل إليه قبض عليه وقال له: الذى قبضه
منك عبدالله بن عبد الملك تحتاج أن تقوم لى بمثله.
فقال له الأب البطرك: شرعنا بأمرنا أن لا تكون لنا
قنيه ولا نكثر ذهباً ولا فضه بل نصرف حاجة يوماً
فيوما لما نحتاجه من الكلف والفقرا والمحتاجين،
وانما فعل بى عبدالله ما فعل بسعاية ناس السو
حتى ظلمنى والزمنى تلتة آلاف دينار ولم يجد معى
منها شياً حتى أخرجنى إلى البلاد كالمكدى

عندما اتحد البلغار مع السلاف
مكونين مملكة متحدة بين الدانوب
وجبال البلقان اجبرت قسطنطين
على دفع جزية سنوية.
وفى عام ٦٨٥م توفى قسطنطين
بعد صراع داخلى مع أخويه
هرقل وطيباروس فتولى ابنه
جستيان الثانى العرش فى الوقت
الذى كانت فيه الخلافة الاموية
تعانى من الاضطرابات الداخلية
بسبب الثورات التى قامت فى
الحجاز والعراق، ولم يستطع عبد
الملك بن مروان الخليفة الأموى أن

* انتشر الطاعون فى إقليم الرى (فارس) ومات فيه خلق كثير.

* جرت غزوة كش على مشارف الصين قادها خالد بن ابراهيم فقتل ملكها الأخير وعاد
الغزاة محملين بالطرف من نعوم الصين من الحرير والأواني المنقوشة المذهبة والسروج المزركشة
ما لم ير مثلاً لها.

* تولى خازم بن خزيمة وهو خراسانى قتال الخوارج منهم بسام بن ابراهيم وكان على
عسكر السفاح بخراسان، كما ركب البحر الى عمان وجزرها وعليها الجلندى فقتل فيمن قتل
شيبان بن عبدالعزيز الخارجى.

سنة ١٢٥ هجرية

استهلت السنة ليوم الثلاثاء ١٨ يوليو ٧٥٢م.

* غزا عبدالله بن حبيب جزيرة صقلية بعد أن أعاد الروم تحصينها وبنوا أسطولا بقصد
مهاجمة مراكب المسلمين فى البحر فنجح ابن حبيب فى ذلك حصونها وتحطيم بعض سفن
الأسطول فتركها بعد أن صالحه الروم فعاد مثقلاً بالغنائم والأسلاب.

* كان على مكة فى هذه السنة العباس بن عبدالله وعلى المدينة زياد الحارثى، وعلى الكوفة
عيسى بن موسى، وعلى حمص وبلبك والأردن عبدالله بن على، وعلى فلسطين صالح بن

يفتح جبهة للقتال ضد الروم، فسارع إلى عقد معاهدة مع جستنيان الثاني، قبل فيها أن يدفع له أتاوه لبلاده، وأن تتقاسم الدولتان الجزية التي تجمع من قبرص وأرمينيا. ثم اندلعت الحرب بين جستنيان الثاني والخليفة مروان سنة ٦٩١ / ٦٩٢ م. ونظراً لأن الجنود الصقالية غدروا بجستنيان وأنحازوا للأمويين، فقد لقي جيش الروم هزيمة أعادت أرمينيا إلى أحضان الأمويين. وبسبب بعض التعديلات التي اتصدق حتى وفق الله ما طيب به نفسي، وعلى إلى الان خمس مائة دينار، فمن اين يكون معي شي؟. فقال الأمير: فتحلف لي أن ليس معك ذهب. فقال له: قد أمرنا الله أن لا نحلف البتة فصدقني الان أن خراج اواسي الذي لا بد من القيام به لا أقدر عليه والله اعلم أن ليس عندي ذهب. فقال الأمير: هذا كلام ما ينفع ولو أنك تبيع لحمك لا بد من تلتة الاف دينار والا فما تخلص من يدي. فلما رأى أنه لا يخلص منه سأل أن يسيره إلى الصعيد

على، وعلى الموصل صالح بن علي، وعلى أذربيجان محمد بن صول، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك.

* ثار ببلاد ما وراء النهر (التركستان) زياد بن صالح فسار إليه أبو مسلم الخراساني ففر زياد ولم يلبث أن قتل على يد أحد الدهاقين وكان قد لجأ إليه.

* ولد في هذه السنة بالبصرة أبو الهذيل العلاف أحد زعماء مذهب المعتزلة.

* من وفيات هذه السنة، سباع بن النعمان أحد القانمين بالدعوة العباسية في المشرق تولى سمرقند بعد نجاحها ولكن لم يلبث أن انقلب على أبي مسلم فقتله خوفاً منه، وفيها قتل سليمان ابن الخليفة هشام الأموي وكان على خلاف مع مروان بن محمد فالتجأ إلى بني العباس فأمنه السفاح حتى أثاره عليه أبو مسلم ودس عليه شعراً كان سبباً في قتله، وفيها قتل أثناء هربه زياد الحارثي والي الكوفة إبان الحكم الأموي.

سنة ١٣٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٧ يوليو ٧٥٢ م.

* تولى إمارة مصر للمرة الثانية صالح بن علي عم المنصور وعاد إليها على رأس جيش كبير لغزو بلاد المغرب وأتاب على مصر أبا عون واليها المعزول.

ومهما فتح الله من صدقات الناس أرسله إليه.
فتركه قره وطلع إلى الصعيد يطوف المدن والقرى
ويسأل فكان الرب يسوع المسيح يشفى أعلا كثيرا
بصلواته وكان كل أحد يفرح به ويقول أن من
زمان الأب بنيامين ما رأينا بطركا في الصعيد إلا
هذا الأب، ولقى تعباً ومشقة وغربة. حتى أن
الشيطان مبغض أخير فعل هذا الأمر، وهو أن
سايحا كان اسمه فيتباستس وهو مقيم على
صخره ومعه راهبان ولداه فامرهما أبوهما السايح

أدخلها قسطنطين على القوانين
الكنيسة وأعلن بابا الفاتيكان
سرجيوس بطلانها أرسل
قسطنطين قوة للقبض على البابا
كما فعل جده قنسطانس سنة
٦٥٣م مع البابا مارتينوس، ولكن
الحال كان قد تبدل وفشلت
خطته.

ونتيجة للأموال الباهظة التي
صرفها قسطنطين في حروبه
وزيادة الضرائب قامت ثورة في
القسطنطينية نهاية عام ٦٩٥م
قبضت عليه وجدعت أنفه ونفوه
إلى نفس المدينة التي نفى إليها

* بدأ الخلاف بين أبي مسلم الخراساني والخليفة الجديد الذي بعث إليه جريراً البجلي من
باب المداهنة ليدخل الطمانينة على نفسه.

* تولى الحسن بن قحطبة إمارة أرمينية استخلفه عليها المنصور العباسي.

* حج في هذه السنة لأول مرة الخليفة المنصور وفي طريق العودة دخل الكوفة وصلى
بأهلها الجمعة وخطبهم وفيها سار إلى الأنبار وعليها عيسى بن موسى نائبه.

* تولى الخلافة العباسية أبو جعفر المنصور (١٣ الحجة) خلفاً لأخيه أبي العباس السفاح
أول العباسيين الذي توفي في هذا التاريخ عن اثنين وثلاثين عاماً وكانت خلافته أربع
سنوات بينما دام حكم الخليفة الجديد اثنين وعشرين سنة وكان المنصور أسن من أخيه
السفاح.

* بايع أهل دمشق على أثر وفاة السفاح هاشم بن يزيد الأموي، بينما دعا إلى نفسه عبدالله
بن العباس عم الخليفين السفاح والمنصور غير أن الحركتين احبطتا.

* وصل عبدالرحمن بن معاوية المعروف بصقر قریش إلى المغرب بعد نجاته من مذابح
الشام وفلسطين، وفي أواخر هذه السنة بعث مولاه بداراً إلى الأندلس ليتعرف أحوالها وينشر
دعوته بين أنصار بني أمية.

جده قسطنطس البابا مارتينوس
وهي مدينة خرمنون Cherson
في شبه جزيرة القرم. وعقب ذلك
سادت الفوضى في الامبراطورية
وسقط شمال أفريقيا في يد
العرب عام ٦٩٧م، أما عن
العرش فقد جلس عليه في أول
الامر قائد عسكري يدعى
ليونتيوس Leontius الذي حكم
من ٦٩٥ إلى ٦٩٨م. ثم تولى
أبسيماز امبراطورا باسم طيباريوس
الثالث وحكم من ٦٩٨ إلى
٧٠٥م. وفي نفس العام هرب
جستنيان الثاني من مسجنه في

ان ينضفا له موضعا خارجا عن الصخرة، وفيما
هما ينضفان ويحفران وجدا خمسة كيزان نحاس
مملوه مالا من سكة الروم فاحفوا أحدهم واطهرو
الأربعة للسايح، فقال لهما الشيخ السايح بقلب
ظاهر: هذا جميع ما وجدتماه؟ قالوا: نعم. فسر
بذلك ثم قال لهما: الرب قد وفق هذا المال للأب
البطرك لأنه مطلوب بما ليس معه. ثم انفذ إلى
وكيل البطرك وكان اسمه جرجه الراهب وإلى
كاتبه فاحضرهما وسلم لهما الأربعة كيزان وقال

سنة ١٢٧ هجرية

استهلت السنة بيوم الخميس ٢٧ يونية ٧٥٤م.

* شهدت هذه السنة مقتل أبي مسلم الخراساني بالمدائن عن ٣٧ عاماً، وكان داعية
العباسيين في المشرق وهو المؤسس الحقيقي لدولتهم، لقي حتفه بسبب تشكك المنصور في
ليائه، قيل في وصفه كان أقل الناس طمعاً، مات وليس له دار ولا عقار.

* أضاف المنصور إمارة المدينة إلى زياد بن عبدالله الحارثي وكان على مكة، وعلى الكوفة
عيسى بن موسى وعلى البصرة عم الخليفة سليمان بن علي عم المنصور، وعلى خراسان أبو
داود خالد إبراهيم وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة، وعلى مصر صالح بن علي عم الخليفة.

* كان رد الفعل الأول لمقتل أبي مسلم خروج سبأذ الجوسى مطالباً بدمه وغلب على
نيسابور والرى فانفذ إليه المنصور قائده جهور بن مرار العجلي فقضى على الفتنة بعد سبعين
يوماً، وفي الجزيرة خرج ملبد بن حرملة الشيباني وهزم خمسة جيوش انفذها إليه المنصور لهذا
لم تجر في هذه السنة صائفة مع الروم بسبب الخلافات الداخلية.

* في ٢٦ رمضان = أوائل مارس ٧٥٥م دخل أبو عوف مصر والياً عليها من قبل صالح
بن علي العباسي عندما توجه إلى فلسطين.

* توفي بالقيروان أمير تونس عبدالرحمن بن حبيب الفهري إغتاله أخوه إلياس في قصره
طمعاً في الحكم والسلطة.

لهما خذا هولا ادفعاهما عن الأب الاكسندروس
البطرك، فاخذاهما ومضيا ودفناها بفعل سو، وكان
الأب البطرك غاييا يجمع في الصعيد، فأخذ
الراهبان ولدا السايح الكوز المال اقتسماه وبديا
يفعلا أفعالا غير مرضيه، وتركا الرهبنة وابتاعا
لباسا فاخرا وجوارى سرارى. فقبض الوالى
والكاتب على أحدهما وقالا له: من اين لك هذا
المال؟ وعاقبوه، فلما أحرقه الضرب قال لهم:
عاهدونى أن لا تفعلون معى سوءا وأعرفكم كل

عزمون والتجأ إلى إمارة الخزر،
ورحب به خان هذه الإمارة، بل
زوجه من أخته التى اعتنقت
المسيحية، وجعلها جستيان
تسمى بإسم تيودورا تيمناً بإسم
تيودورا الكبرى زوجة جستيان
الاول، ثم لجأ إلى ملك البلغار
الذى وعده بإعادته العرش مقابل
اتاة باهظة، وبالفعل عاد
جستيان لعرشه بعد تشرد دام
عشر سنوات، ولكنه لم يستقر
حوالى الثلاث سنوات حتى ثار
عليه قائد يدعى باردانيس وتولى
العرش تحت اسم فيليبكوس

سنة ١٣٨ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الاثنين ١٦ يونية ٧٥٥م.

* نزل صقر قریش عبدالرحمن بن معاوية (فيما بعد عبدالرحمن الداخل) ساحل البيرة
بشرق الأندلس (فى ربيع الآخر) فاستقبله زعيم أنصاره أبو عبيد الله بن عبد الله وأنزله فى قرية
طرش بالقرب من الجزيرة الخضراء، وقبل نهاية العام كانت قد ذاعت دعوته فى جنوب
الأندلس كله وأقبل عليه أنصار بنى أمية من المضرية واليمانية وأهل الشام وفى ١٠ الحجة
جرت المعركة بينه وبين أمير الأندلس العباسى يوسف الفهرى ومعه الصميل فهزما وهربا
ودخل عبدالرحمن قرطبة وبويع بالامارة.

* خلع جهور العجلى بيعة المنصور بعد إنتصاره على الثائر منباز ولكن لم يلبث أن لقي
نهايته بين الرى واصبهاان على يد محمد ابن الأشعث، كما هزم فى هذه السنة ثائر آخر
هو ملبد بن حرملة الذى خرج بالجزيرة على المنصور العباسى واستفحل أمره وهزم الجيوش
التي جدت فى طلبه حتى قتله قائد الأمير خازم ابن خزيمة وهو نضلة بن نعيم النهشلى.

* غزا العباس بن محمد الصائفة ومعه من أعمام الخليفة صالح بن على وعيسى ابن على.

* فيها كانت الحرب بين فرنسا وإيطاليا وانتهزام استوف ملك اللومباردين ومحاصرة روما.

وكانت هذه الحرب ضمن حروب كثيرة. حدثت فى أوروبا بين ممالكها، وقد حاول بابا روما
التوفيق بينها بأن وجه هذه الحروب إلى الشرق تحت دعوى محاربة اعداء المسيح واستخلاص
الاراضى المقدسة فيما عرف باسم الحروب الصليبية.

واعدم جستنيان الثاني وكل اسرته. ولكنه لم يستمر سوى عامين، إذ راح ضحية مؤامرة في القصر قتل فيها وتولى مكانه انسطاسيوس الثاني، والذي غرقت في عهده الامبراطورية في فوضى تامة حتى عزل واحتل مكانه ثيودوسيوس الثالث عام ٧١٦م الذي لم يستطع صد الغارات العربية على حدوده الشرقية فعزل وتولى مكانه ليون Leon الثالث الملقب بالأيسوري وبذلك قضى تماماً على اسرة هرقل الحاكمة مما يعتبر تمهيداً لحكم اباطرة الاسرة

شي. فعاهدوه فاعلمهم خبر الخمس كيزان وأنه هو ورفيقه أخذوا منهم واحداً وان الأربعة كيزان الآخر عند وكيل البطرك وكتابه. فاعلموا قره بذلك سرعه، فأمر بغلق الابسقوبيون وأخذ كلما فيه من الأواني والذهب والفضه والكتب والبهايم وأنزل بلالاً عظيمة على أصحاب البطرك، وأخذ الأربعة كيزان المال سوى أواني البيعه ومال الابسقوبيون، وانفذ إلى الصعيد واحضر البطرك وهم بقتله بسبب يمينه أن ليس معه ذهب. ولما أخذ منهم

* توفي في هذه السنة: أمير مصر حفص بن الوليد وكان قد تولاها مرتين وقتل على يد خلفه حوثره، وفيها قتل إلياس بن حبيب الفهرى على يد ابن أخيه حبيب ابن عبدالرحمن انتقاماً من غدره بأبيه وكان عبدالرحمن أميراً على أفريقية.

سنة ١٢٩ هجرية

استهلّت السنة بيوم السبت ٥ يونية ٧٥٦م.

* استسلم يوسف بن عبدالرحمن الفهرى والصميل الكلابي زعيما حركة المقاومة بالأندلس بعد أن أمنهما عبدالرحمن الداخل (صقر قريش) واعادهما إلى قرطبة تحت المراقبة.

* جرى في هذه السنة الفداء بين الخليفة المنصور وقسطنطين الخامس إمبراطور بيزنطة فاستنقذ المنصور أسرى بلدة «قالى قلا» وعمرها ورد إليها أهلها.

* عزل المنصور عمه سليمان بن علي عن ولاية البصرة والبحرين وعمان وولاها سفيان بن سعيد وكان سليمان قد أخفى عنده أخاه عبدالله الذي خرج على المنصور ودعا إلى نفسه فظفر به المنصور وسجنه.

الايسورية منذ عام ٧١٧ حتى عام
٨٦٧م الذى تولى فيه الحكم
الاسرة المقدونية من ٨٦٧ إلى
١٠٥٧م.

الأربع كيزان هرب جميع أصحاب البطرك مثل
الحوارين ذلك الزمان. فلما أحضرو البطرك إليه
صر باسنانه عليه واراد قتله فمنعه الرب عنه، فكبّله
بالحديد وطرحه فى السجن، فأقام سبعة أيام، ثم
بعد ذلك الزمه أن يقوم بالثلاثه آلاف دينار. ولحقه
تعب عظيم وضيق إلى أن تخلصت له ألف دينار
بعد سنتين. ثم حلت بالأب القديس تجارب كثيره
وهو صابر عليها.

سنة ١٤٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٢٥ مايو ٧٥٧م.

* أعاد الخليفة المنصور على يد ابنه إبراهيم عمارة مدينة المصيصة وكان سورها قد تهدم
بفعل الزلازل وسماها المعمورة، كما أعاد واليه الحسن بن قحطبة تعمير مدينة ملطية بعد أن
خربها الروم فاسكنها المنصور أربعة الاف من الجند الترك وأكثر فيها السلاح وحاول الامبراطور
قسطنطين إعادة الكرة عليها ولكنه رجع لما بلغه من كثرة المسلمين.

* اتخذ بنو مدرار بالمغرب مدينة سجلماسة عاصمة لهم بعد أن اضطلعوا بتعميرها.

* توفي ألفونسو ملك جليقية (غاليسيا) إحدى الولايات الأسبانية المسيحية فى شمال
غربى الأندلس.

سنة ١٤١ هجرية

هلال المحرم وافق يوم الأحد ١٤ مايو ٧٥٨م.

* فر يوسف الفهرى أخرى أمراء الأندلس من مدينة قرطبة بعد أن أمنه عبدالرحمن
الداخل وأتجه يوسف إلى ماردة حيث أهله وأنصاره من العرب والبربر وهاجم غرناطة
وأشبيلية.

ثم أن قوما أشرارا مضو وسعوبه أن عنده قوما
يضربون الدنانير وان عنده سكه، وفيما هو جالس
فى تاسع ساعه من النهار فى بعض الأيام يفطر
وليس عنده علم إلا وقد احاطو بالابسقوبيه وأن
أهل مدينة اسكندرية والكاتب بأمر قره قد قبضو
عليه وعلى أصحابه وطرحوه على الأرض، وضربو
أصحابه وعوقبو حتى سالت دما هم إلى الأرض،
وكادو يموتون من العقوبة، ووجدو ما سعوبه عليه
باطلا. ولم يزالو فى هذه البلىا إلى اليوم

* تولى إمارة مصر ثم عزل منها فى نفس هذه السنة أبو عيينة موسى بن كعب التميمى
وقد اشتهر أبو عيينة بأنه جعل للإمارة رهبة حتى كان لا يجتاز باب الأمير إلا من أذن له فى
ذلك، وحين عزله الخليفة المنصور قال له إنما عزله عن غير مسخط ولكن خوفاً من أن
يقتل كما جاء فى نبوءة عن مقتل وال يدعى موسى وكان موسى أول من بايع السفاح
أول العباسيين، خلفه محمد ابن الأشعث الذى قدم مصر فى الخامس من ذى الحجة من
السنة.

* عزل زياد الحارثى عن المدينة ومكة والطائف وتولى على المدينة محمد بن خالد القسرى
وعلى مكة والطائف الهيثم العتكى.

* استولى الفائر أبو الخطاب المغافرى زعيم الاباضية على تونس فوجه اليه المنصور أمير
مصر الجديد محمد بن الأشعث، وفيها خرجت على المنصور طائفة الراوندية وهى فرقة من
غلاة الخراسانيين كانوا يقولون بتناسخ الأرواح ويؤلّهون الخليفة.

* تولى المهدي ابن الخليفة المنصور إمارة خراسان خلفاً لعبد الجبار الأزدي الذى خلع بيعة
المنصور فنفى إلى جزيرة دهلك بالبحر الأحمر، وفيها استعاد المهدي مع قائديه خازم بن خزيمة
وعمر بن العلاء بلاد طبرستان.

* فى هذه السنة ظهر معن بن زائدة أحد مشاهير الأجواد وكان قد ثار على المنصور ولكنه
أبلى فى قتال الراوندية فأعطاه المنصور الأمان.

* ممن توفوا فى هذه السنة: أمير مصر موسى بن كعب.



الأواني المقدسة.

التانى فى أمشر سنة أربع مايه وتلتين لدقلاديانوس،
ثم بعد هذه البلايا التى نالت الاب قامو عليه أهل
اسكندريه والكهنه والزموه أن يقوم لهم برسوم
وديارات فى تالت عيد الفصح. ولم يكن له شى
يدفعه لهم، وكان يقول لهم: يا أخوة قد نظرتم
نهب جميع مال البيعه حتى الكاسات اللاتى يرفع
فيهن الدم الزكى جعلنا عوضا من الذهب والفضه
كاسات زجاج، والدسقسات خشبا، من أجل نهب
قره لهم. وكانو يكتونه بكلام كثير صعب وهو

سنة ١٤٢ هجرية

أهل المحرم يوم الجمعة ٤ مايو ٧٥٩م.

*تخلص عبد الرحمن الداخل من زعيمى الثورة ضده، ففيها سار يوسف الفهرى بعد هربه
إلى مدينة طليطلة محاولاً تنظيم قواته لحرب عبد الرحمن إلا أن بعض الخونة من أنصاره
إغتالوه وحملوا رأسه إلى قرطبة فبذلك توفى آخر أمراء الأندلس قبل قيام الخلافة الأموية بها
عن سبعين سنة حكم خلالها الأندلس نحو عشر سنين، ثم استولى تمام بن علقمة على
المدينة وأسر محمد بن عبدالرحمن، وفى الوقت نفسه دس على الصميل الزعيم الثانى من
قتله فى داخل سجنه.

* ثار على الخليفة المنصور أمير خراسان عبد الجبار الأزدي ولكنه أسر وضربت عنقه
بالكوفة، كما ثار بالسند أميرها عيينة بن موسى فأنفذ اليه جيشا بقيادة عمرو بن حفص
العتكى فغلب عليه وخلفه فى الولاية.

* توفى فى هذه السنة الكاتب المنشى الفارسى الأصل عبد الله بن المقفع عن
٣٦ عاماً وهو مترجم كتاب كليلية ودمنة ومؤلف كتاب الأدب الصغير والأدب
الكبير.

(*) الأواني المقدسة وهى:

١. الكرسي أو التابوت،

هو عبارة عن صندوق خشبي وغالبا ما يوضع فوق المذبح في الوسط لحفظ الكأس أثناء التقديس ويعملوه غطاء من جزئين يفتح من الوسط حتى يسهل وضع الكأس وإخراجها حسب متطلبات طقس الخدمة ويرسم على جوانبه صورة العشاء الرباني وصورة يسوع وبعض القديسين.

* يسمى عرش أو كرسي إشارة إلى الكرسي الجالس عليه المسيح (أش ١: ٦)، (رو ٤: ٢)، حيث أن

صابر على تبكيته. وداع إلى السيد المسيح راعى
الرعاة أن يتسلم منه شعبه بسلام.

والرب يسوع المسيح فعل في أيامه امورا
عجيبة، لأنه مهتم بخلاص كل أحد من الناس
كان أنسان اسمه يونس أرحن رزقه الله قبولاً عند
الولاه فمضى إلى قره وقال له: يجب أن تعلم ان
الرهبان والأساقفة الذين في ساير الأماكن قد ثقل
عليهم اخراج وها هنا أمر سهل، منهم من هو

سنة ١٤٢ هجرية

وافق مستهل السنة يوم الثلاثاء ٢٢ أبريل ٧٦٠ م.

* تولى إمارة مصر حميد بن قحطبة (٥ رمضان) وعزل عنها يزيد بن حاتم في ذى الحجة من السنة نفسها وفي خلال ذلك أنفذ قائده أبا الأحوص العبدى لقتال الثائر أبي الخطاب بإفريقية ولكنه هزم ففقد حميد الجيش وكر على أبي الخطاب فهزمه، وحميد هذا هو الذى تولى خراسان بعد ذلك.

* واجه عبد الرحمن الداخل بالأندلس ثورة جديدة قادها رزق بن النعمان صاحب الجزيرة الخضراء الذى نجح فى الاستيلاء على شذونة ثم على اشبيلية وفى هذه الأخيرة حصره عبد الرحمن فتقرب اليه نفر من أهلها بتسليم رزق إليه فقتله وأمنهم.

* ثار الديلم على المسلمين وفتكوا بهم فأنفذ إليهم المنصور جيشاً لقتالهم، وفى إفريقية استمرت الحرب مع الأباضية بعد مقتل أبي الخطاب.

* حج بالناس فى هذه السنة أمير الكوفة عيسى بن موسى، وفيها عزل الخليفة المنصور الهيثم عن إمرة مكة بالسرى بن عبد الله العباسى.

* توفى فى هذا التاريخ: اسماعيل ابن الامام جعفر الصادق فى حياة أبيه واليه تنسب الفرقة الاسماعيلية من الشيعة ويعتبر اسماعيل جد الخلفاء الفاطميين وزعموا أنه ما زال مستورا وأنه لا يموت حتى يملك الأرض وينشر العدل.

الكأس التي فيه يوضع بها دم يسوع
الجالس على كرسى مجده وتسجد له
جميع القوات السمائية.

* يسمى أيضا تابوت إذ يحوى
الكأس الذى به دم المسيح المن
السموى الذى يحيى كل من يشرب
منه (يو ٦ : ٥٤) كما كان تابوت
العهد القديم يحوى داخله قسط المن
(خر ١٦ : ٣٣).

٢.الصينية.

تصنع الصينية من الذهب أو
الفضة أو أى معدن آخر مناسب، وهى
مستديرة مسطحة ولها حافة وليس لها
قاعدة ولا حوامل ولا يوجد بها أى

مكشور ومنهم من لا يقدر على قوته، ونحن نعرف
حال ساير النصارى فإن رأيت أن تولينى أمرهم
استخرجت الخراجات. فولاه على الأساقفة
والرهبان فلما أعطاه السلطان قال لقره: أن فيهم
من لا يؤمن بأمانة النصارى القبط ولا يصلون مع
المسلمين فما ترى ان أفعل بهم؟ فقال: أفعل بهم
بناموس النصارى وضاعف الجزية عليهم. فخرج
من عنده بتدبير الله ومضى أولا إلى كرسى «صا»

سنة ١٤٤ هجرية

أهل المحرم يوم السبت ١١ أبريل ٧٦١م.

* ظهر بالمدينة محمد النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله حفيد الامام الحسن ودعا
ومعه إخوه ابراهيم لنفسه وبايعه عامة أهل المدينة طوعا أو كرها فاستولى على مكة ودخلت
اليمن فى طاعته ولكنه فشل فى ضم الشام اليه، ثم ندب المنصور لقتاله ولى عهده عيسى بن
موسى بعد أن دارت بين المنصور والنفس الزكية مكاتبات إدعى فيها الأخير بأنه أحق بالخلافة
من المنصور وكان قد امتنع من قبل عن مبايعة السفاح.

* عزل المنصور ولاية المدينة واليا بعد وال لتفريطهم فى طلب محمد النفس الزكية وانتهى
بتولية رباح المزنى.

* سار محمد بن الخليفة السفاح بجيش جمع من الكوفة والبصرة وواسط لقتال الديلم
والقضاء على ثورتهم

* بنى الإباضى عبد الرحمن بن رستم رأس الدولة الرستمىة بشمال إفريقيا مدينة تاهرت
وجعلها عاصمة له.

* واجه عبد الرحمن الداخل ثورة جديدة تزعمها الغافر اليماني بأشيلية.

* ممن توفوا فى هذه السنة، الزعيم الإباضى أبو الخطاب المعافى قتل على يد أمير مصر.

نقش بل تكون ملساء مستوية. فى
الغالب لم يستخدم الرب الصينية
عندما تم العشاء السرى ليلة آلامه
إلا أن الكنيسة اعتمدت إستخدام
الصينية طول وقت القداس حتى لا
يتبعثر منها أية جواهر أثناء القسمة
والتوزيع.

* يوضع فى الصينية القرابة
المختارة لتتحول إلى جسد المسيح
للتذكير بالعدراء القديسة مريم التى
حملت المسيح والمزود الذى ولد فيه
وأيضاً القبر الذى رقد فيه.

وهو كرسية، وكان هناك قوم مخالفون وهم:
غايانيون، وشمطيكيون الذين ليس لهم بركة فزال
مقاتلهم النجسه وعمدهم باسم الأب والابن
والروح القدس فاضاء عليهم نور المعمودية
وابتهجت نفوسهم. ثم مضى إلى المنى وكان
أسقف كرسية أبا هور، وعمد الرهبان هناك عند
[بعد] دحضهم الخلاف، وكذلك الغايانيون
والبرسنوفيون الذين هناك أشركهم مع

سن ١٤٥ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الخميس أول أبريل ٧٦٢ م

* بدأ الخليفة المنصور تخطيط وبناء مدينة بغداد بدلاً من الهاشمية التى بناها أخوه السفاح
بجوار الكوفة وقد زهد فيها المنصور بعد ثورة الراوندية ، فخرج بنفسه يرتاد موقعان مناسباً
حتى استقر على موضع بين دجلة والفرات فاشترى الأرض من أصحابها ورسمت خطوط
المدينة الجديدة بالرماد على الأرض ثم بحب القطن المشتعل فلما أقر تخطيطها أمر بضرب
اللبن وحرق الأجر وحفر أساس السور وجعل عرضه خمسين ذراعاً وأوكل بالعمل أربعة من
قواده ووضع يده أول لبنة فى أساس السور.

* إمتدت يعة محمد النفس الزكية إلى عرب مصر وباع كثيرون فى الباطن وماجت
الناس مما دعا والى يزيد بن حاتم إلى منع عرب مصر من الحج.

* فشلت دعوة محمد النفس الزكية فقتل بالمدينة عن ٥٢ عاماً على يد عيسى ابن
موسى، ثم قتل أخوه إبراهيم بالبصرة بعد نجاح قصير على يد حميد بن قحطبة قائد
المنصور، وشهد العام موت أبيهما عبد الله بن الحسن وأهل بيته فى حبس المنصور بالكوفة
قيل أن المنصور حبس من بنى الحسن بن على بن أبى طالب أحد عشر رجلاً مقيدين فى
سرداب تحت الأرض لا يعرفون ليلاً ولا نهاراً. وهذا السرداب عند قنطرة الكوفة، وهو موضع
يزار، ويقال إن المنصور ردم عليهم السرداب فماتوا اختناقاً.

الارتدكسيين. وخرج من هناك مضى إلى وادي هبيب. وكان هناك أيضا مقاله الغايانيين من مدة ماية وسبعين سنة من وقت الفرق [الخلاف] على يد يوليانوس أعادهم أيضا إلى الامانة الارتدكسية، وجمع كل البيع مجمعا واحدا بنعمة السيد المسيح معينه. وليس هو فقط بل وفي كل موضع يجد فيه أصول مره، التي هي المقالات النجسات من الرهبان او من غيرهم. وفي مدينة بنا وبوصير

٣. الكأس.

يوجد بالكأس تجويف يأخذ شكل الخروط الناقص (قريب من شكل الجرس)، وله عنق طويل يستقر على قاعدة دائرية الشكل، وكثيراً ما كانوا يرسمون على الكأس في العصور الأولى صورة الحمل كإشارة إلى أن الكأس تحوى دم حمل الله الذى يرفع خطايا العالم استخدم المسيح الكأس ليلة تأسيس هذا السر المبارك (مت ٢٦: ٢٦، ٢٧) والرسل أيضا تمثلوا به إذ سماها الرسول بولس كأس البركة وكأس عشية الرب. (١ كو ١٠: ١٦، ٢١). ◀

سنة ١٤٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين ٢١ مارس ٧٦٣م.

* إنتقل الخليفة المنصور إلى مدينته الجديدة بغداد قبل أن يكتمل بناؤها وجعلها مدورة لى وسطها المسجد والقصر واستخدم فى البناء بعض أنقاض قصر كسرى بالمدائن كما نقل إليها أبواباً من الكوفة وواسط والشام ، وبلغ مقدار ما أنفق حتى هذه السنة أربعة آلاف ألف درهم وكان أستاذ البنائين يعمل يومه بقيراط فضة.

* أعلن العلاء بن مغيث الثورة فى الأندلس على حكم عبدالرحمن الداخل رافعاً الراية السوداء رمز العباسيين بمدينة باجة ولكنه هزم قبل نهاية العام وتشتت أتباعه.

* عزل المنصور سلّم بن قتيبة عن البصرة لميله إلى العلويين واستعمل عليها محمد بن سليمان.

* ولد فى هذه السنة شاعر العراق فى عصره أبو نواس (الحسن بن هانى) وذلك بالأهواز ومنها انتقل إلى البصرة قبل أن يستقر فى بغداد.

* ممن توفوا فى هذه السنة، النسابة محمد بن السائب الكلبى وهو أبو هشام بن السائب مؤلف كتاب الأصنام، وفيها قتل الشاعر سديف بن ميمون على يد عبد الصمد عم المنصور وكان متشيعاً للعباسيين ابان الحكم الأموى ثم متشيعاً للعلويين ابان حكم العباسيين.

٤. القبة.

تتركب القبة من قوسين من الفضة غالباً، ومتعامدين مع بعضهما البعض على شكل صليب وفي العادة يعلوها صليب صغير. قيل أن القديس يوحنا ذهبى الفم هو أول من أدخل استخدام القبة، وتوضع القبة فوق الصينية لحفظ الخبز المقدس الموضوع عليها، كما تساعد في وضع الأغذية عليه، وهي تحمل لنا بهذا الشكل منظر القبر كما أن الصليب الذى يعلوها يذكرنا بالنجم الذى ظهر للمجوس.

٥. المعلقة (بالقبطية: ميسيتير).

تستخدم المعلقة في تناول الدم المقدس، وقيل إن الكاهن في القرون الأولى كان يضع الجسد في أيدى المتناولين أو أفواههم، أما الدم فكانوا يتناولونه من الكأس مباشرة وفي القرن السادس فقط استخدمت المعلقة.

٦. الإنجيل (البشارة)

نسخة من العهد الجديد تغطى بغلاف معدنى وتزين بالأيقونات، وفي الرمط على أحد الجانبين توجد أيقونة الصليب أو القيامة وفي الجانب الآخر توجد أيقونة العذراء مريم أو قديس البعثة، وفي زواياها الأربع يحلى برسم الإنجليين الأربعة.

٧. إثناء الذخيرة.

عبارة عن وعاء من الفضة أو المعدن يوضع فيه الجواهر (الجسد والدم معاً)، لمناولة المرضى والمساجين وغير القادرين على

الحضور. لا يستخدم هذا الإناء لحفظ الأسرار المقدسة لوقت آخر (أى تركه للطوارئ) إذ تمنع الكنسية القبطية هذه العادة.

٨. درج البخور.

عبارة عن علبة صغيرة من المعدن أو الخشب يوضع فيها البخور، يشير البخور إلى صلوات القديسين (رؤ ٨: ٣ - ٤). كان يدخل البخور في عبادة العهد القديم (خر ٣٠: ٣٨) وأيضاً دخل البخور في عبادة العهد الجديد كما تبأ عنه الأنبياء كقول ملاخى النبى لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها إسمى عظيم بين الأمم وفي كل مكان يقرب لإسمى بخور وتقديم طاهرة لأن إسمى عظيم بين الأمم.. (ملا ١: ١١)، وتحرم قوانين الرسل استخدام أى بخور من أصل حيوانى (مثل العنبر)، والأنواع الجائزة من البخور هي (صندورس، لبان جاوى، عود، حصى لبان على جاوى).

٩. الشورية (المجمرة)

تشير المجرمة إلى العذراء القديسة مريم من حيث أنه، كما تحمل المجرمة الجمر هكذا حملت العذراء في أحشائها المسيح. يشير البخور وهو يتصاعد من المجرمة إلى صلوات القديسين التى تقبل في آلام المسيح، لأنه كما يحترق البخور بوضعه على الجمر في المجرمة هكذا أيضاً إذ يدخل القديسون في شركة آلام الرب تتصاعد صلواتهم إلى أعلى

كرائحة بخور زكية، تشير القبة العليا في الشورية إلى السماء، ويشير الجمر المتقدم إلى التجسد الإلهى، والجلاجل المعلقة في السلاسل وسيلة للتنبه والتذكير.

١٠. المراوح

تسمى في اليونانية (هكسا بيترجيون) أى (ذو السعة أجنحة) إذ يظهر عليها شكل الساروف ذو السعة أجنحة ولقد جاء في الدساتير الرسولية في القرن الخامس أن شماسين كانا يستخدمان مراوح من الكتان أو الجلد الناعم أو ريش الطاووس، أثناء وقوفهما بجوار المذبح لطرد الحشرات حتى لا تمس الأواني المقدسة أما الآن فإن هذه المراوح تستخدم بحسب الطقس القبطى أثناء تلاوة التسبحة السيرايمية لتشير إلى حضرة السيرايم وتستخدم أيضاً في المواكب الكنسية والدورات الاحتفالية وهي تصنع غالباً من المعدن في شكل دائرة تمثل الهالة التى حول رأس القديس ولها يد وطويلة ويرسم في منتصف الهالة شكل ساروف.

١١. أوان أخرى

* طبق القربان، يوضع غالباً من سعف النخل ويوضع فيه الخبز المقدس الذى يتم اختيار الحامل منه، ويزين الطبق بالصليبان وأحياناً بخيوط من الفضة أو الذهب.

* الأدوات الموسيقية التى تستخدم في الصلوات الكنيسة

بدائية ومسيطة وهي المثلث والدف.

* الإبريق والطلشت، ويستخدمان في غسل يدي الكاهن أثناء خدمة القداش حسب متطلبات طقس الخدمة.

* قينة الميرون، تحفظ غالباً في علبة من الذهب أو الفضة أو أى معدن آخر ولا يمسكها إلا الكهنة ورؤساء الكهنة وتحفظ في الهيكل أو فوق المذبح.

حامل الأيقونات (الإيقونستاس)

وهب للكنيسة كما سبق أن ذكرنا، أن تفتنى فكر المسيح رأسها وراعبيها، وبهذا الفكر يضاف إلى المبنى الكنسى أو تجرى تعديلاً عليه بما يساعدها على إقامة ليتورجياتها ويتم رسالتها في كل العصور - حيث أن كل عصر له متطلباته الخاصة في الخدمة - مع مراعاة أن هذا العمل من جانب الكنيسة لا يعنى أنها تمس جوهر خدماتها أو تغير من هدف رسالتها، بل يعنى أن الكنيسة تمتلك القدرة لإقامة خدماتها والإعلان عن هدف رسالتها بالشكل الذى يناسب العصر الذى تعيشه.

* يسمى البعض حامل الأيقونات بالحجاب، نسبة إلى حجاب الهيكل فى العهد القديم، مع أن هذه التسمية لا تقبلها الكنيسة، لأن حجاب الهيكل إنشق إلى نصفين بالصليب، وأصبح الطريق إلى قدس الأقداس مفتوحاً أمام المؤمنين بالمسيح.

* ظهر حامل الأيقونات فى الكنيسة فى القرن الرابع للوقوف ضد هرطقة «مقاومة الأيقونات»، وبالدراسة التأملية فى حامل الأيقونات نجد أنه يجسم للمؤمنين رسالة الكنيسة ويعلن بوضوح هدف الخدمات الليتورجية... إنه يقوم بدور كرازى عظيم فى الكنيسة كما سنرى فيما بعد.

شكل حامل الأيقونات ومكوناته

* يتصدر حامل الأيقونات الهيكل ويفصل بينه وبين صحن الكنيسة، وهو يصنع فى الغالب من خشب ثمين مطعم بالأبنوس والعاج. كما أنه يحلى برسوم غاية ما تكون فى الدقة والجمال. تتألف هذه الرسوم فى الغالب من وحدتين أساسيتين هما الصليب والسمة، فإن الصليب علامة الخلاص والسمة علامة الحياة.

* يوجد فى وسط حامل الأيقونات الباب الرئيسى للهيكل ويسمى الباب الملوكى، وسمى هكذا لأنه يتم إختيار الحمل عليه

كما أن الكاهن يدخل ويخرج منه أثناء الخدمة حسب متطلبات الطقس.

* إذا وجد فى المبنى الكنسى هيكلاً جانبياً، فإن حامل الأيقونات الرئيسى قد يبرز قليلاً عن حامل الأيقونات الجانبيين - كما هو بعض الكنائس الأثرية مثل كنيسة أبى سرجة وكنيسة العذراء بحارة زويلة - ليسمح بوجود باين جانبيين بالإضافة إلى الباب الملوكى، ويستخدم هذان البابين فى طقس الدورات الاحتفالية بالأعياد ودخول الشماسة للهيكل.

أنظر الرسم التوضيحى بأسفله.

١ - الباب الملوكى.

٢ - أيقونة المسيح.

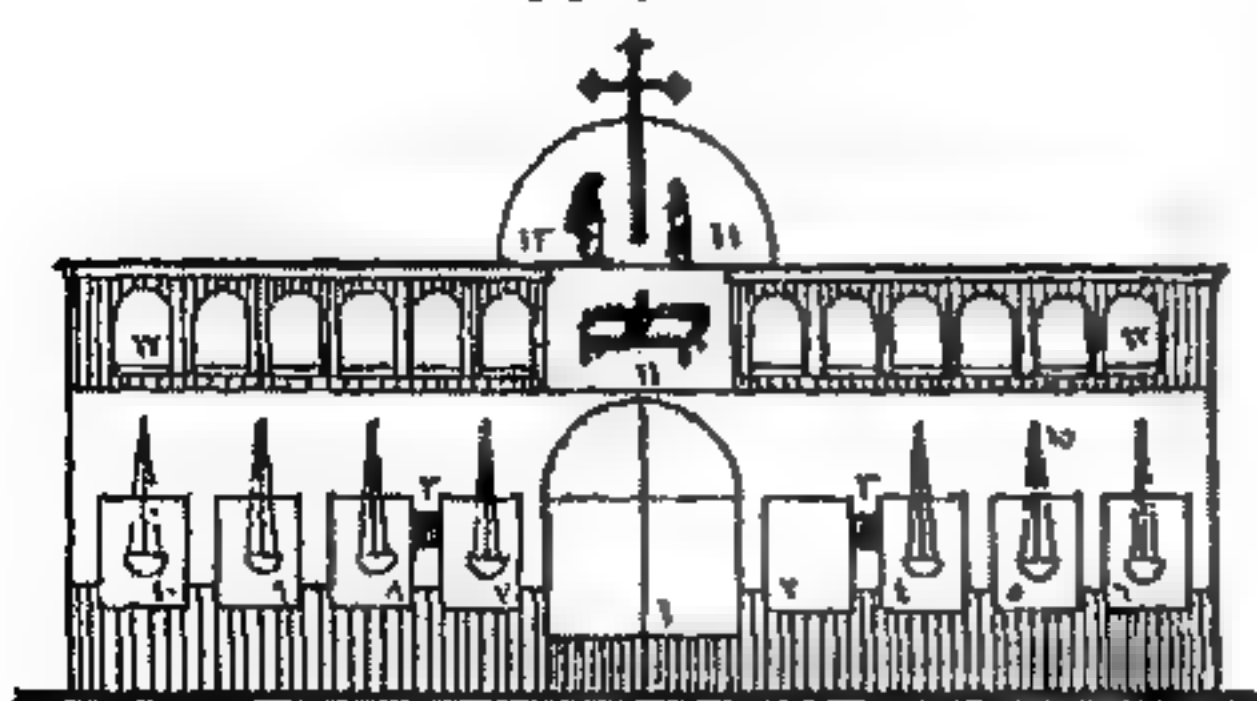
٣ - شباك.

٤ - أيقونة القديس يوحنا المعمدان.

٥ - أيقونة قديس الكنيسة.

٦ - أيقونة شهيد أو قديس أو أى حدث فى العهد الجديد أو القديم.

مكونات حامل الأيقونات



٧ - القديسة مريم الشبوتوكوس.

٨ - البشارة

٩ - رئيس الملائكة ميخائيل.

١٠ - القديس مار مرقس.

١١ - العشاء الأخير.

١٢ - التلاميذ.

١٣ - القديسة مريم عند

الصليب.

١٤ - القديس يوحنا الحبيب عن

الصليب.

١٥ - يتدلى أمام الأيقونات

السر، فيما عدا أيقونة

المسيح، في الكنائس الأثرية

يتدلى بيض النعام بين

الأيقونات.

صحن الكنيسة

+ كلمة صحن في الإنجليزى

Nave وهى مشتقة من اللاتينية

(نافيس) وتعنى سفينة، وكان

صحن الكنيسة ينقسم تقسيماً

عرضياً إلى ثلاثة أقسام، بحيث

يفصل بين كل قسم وآخر حاجز

من الخشب أو بناء متوسط

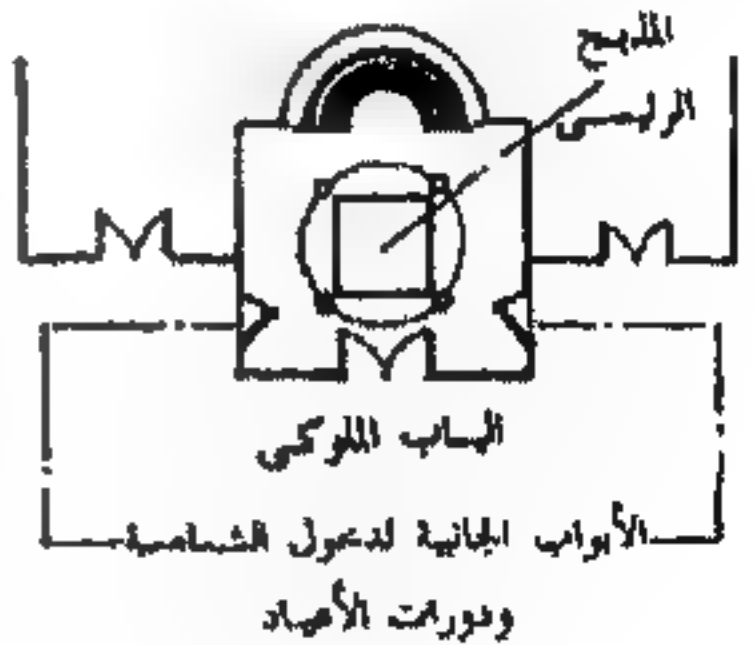
الارتفاع يسمى خورس، وبيان

هذه الأقسام، كما يلى:

* القسم الأول: - قسم

الشماسة والمرتلين ومكانه بعد

الهيكل مباشرة تجاه الغرب.



* القسم الثانى: - قسم

المؤمنين وهو القسم المتوسط من

صحن الكنيسة.

* القسم الثالث: - قسم

الموعوظين وهو القسم الخلفى

ويقع فى الجزء الغربى من صحن

الكنيسة. الموعوظون هم

المرشحون للدخول إلى الإيمان

المسيحى وقبول المعمودية، وكان

يصرح لهم بحضور قداس

الموعوظين فقط، وهو الذى ينتهى

بانتهاى إنجيل القداس والعظة

المرتبة عليه. لم تعد هذه الخوارس

تستعمل الآن لتغير ظروف

الكنيسة، فلا يوجد الآن

موعوظون بالمفهوم السابق ذكره

إلا أنه يجب على المؤمنين أن

يقفوا بنظام وترتيب بحيث

يتحقق الهدوء اللازم للعبادة إلى

أقصى درجة ممكنة.

* ينقسم صحن الكنيسة

حالياً تقسيماً طويلاً إلى خورسين،

بحيث يفصل بينهما الأعمدة مع

الإحتفاظ بالجزء المجاور للهيكل

للشماسة والمرتلين، ويخصص

الخورس الشمالى للسيدات بصفة

عامة والخورس الجنوبى للرجال.

محتويات صحن الكنيسة:

١. الإمبل (المنبر)

* كلمة إمبل فى اليونانية

امبون ومعناها المصعد، وفى

الغالب كان يقام الإمبل على اثنى

عشر عموداً إشارة إلى الإثنى عشر

تلميذاً، وهو يصنع من الرخام أو

الحجارة أو الخشب ويزين

بأيقونات القديسين، ويصعد عليه

الأسقف أو الكاهن ليعطى

الشعب.

٢. القباب:

تحتوى بعض الكنائس القبطية

قبة واحدة تشير إلى الرب يسوع

والبعض الآخر يحتوى ثلاث قباب

إشارة إلى أن المسيحى يعيش

الحياة الجديدة بقوة القيامة. أو

خمس قباب تشير إلى الرب

يسوع والإنجيليين الأربعة

* على العموم يشير السقف

بما فيه من قباب إلى السماء،

ولهذا يدهن غالباً بلون سماوى

أزرق ويزين بصورة الملائكة

والنجوم.

* المبنى الكنسى هو المكان

الذى تلتحم فيه السماء بالأرض

فى المسيح يسوع. وهكذا عندما

تدخل الكنيسة وتنتظر إلى أعلى

تشعر وكأن قلبك قد اختطف إلى

السماء

٢. الأعمدة

كانت الأعمدة فى الهيكل

القديم تأخذ أسماء خاصة، كما

ذكر فى سفر أخبار الأيام الثانى

«وأوقف العمودين أمام الهيكل

واحداً عن اليسار ودعاه اسم

الأيمن ياكين واسم الأيسر بوعر»

(٢ أى ١٧: ٣). أما فى العهد

الجديد فلقد أصبح المبنى الكنسى

يحتوى غالباً إثنى عشر عموداً،

إشارة إلى التلاميذ الإثنى عشر.

ومما هو جدير بالذكر أن

الأعمدة بالكنائس الأثرية، يتزين

كل منها بتاج يختلف عن تيجان

الأعمدة الأخرى، ويندر أن تجد

تاجاً يشبه الآخر، وهذا يشير إلى أن كلاً منا له إكليله الخاص في استحقاقات دم المسيح.
٤. المنجلية،

المنجلية كلمة معناها مكان الإنجيل، وهي ترتفع عن الأرض بحيث تكون في مستوى رؤية الشخص الواقف للقراءة، و يكون القارئ أيضاً على مرأى من الجميع. ظهرت المنجلية كبديل للإمبل وتستخدم الكنيسة حالياً إما منجلية متحركة أو منجلتين إحداهما للقراءات العربية والثانية للقراءات القبطية.
٥. اللقان،

عبارة عن إناء مستدير يثبت في أرضية الكنيسة وفي الجزء الغربي من صحنها بحيث يسمح للكهنة بإقامة الصلاة متجهين إلى الشرق، يوجد اللقان بهذه الصورة في بعض الكنائس الأثرية، أما الآن فإن غالبية الكنائس تستخدم لقاناً متنقلاً، ويستخدم اللقان ثلاث مرات في السنة هي أعياد (الغطاس، وخميس العهد، الرسل).
٦. أبواب الكنيسة،

نصنص الدمسقولبة على أنه بعب أن يكون للكنيسة ثلاث أبواب مثلاً للثالوث، أحدهما يكون في الجهة القبلة والثاني في الجهة البحرية، أمام الباب الرئيسي فقد نصت الدمسقولبة على أن يكون في الجهة الغربية لكي يتجه الداخل * تشير الأبواب الثلاثة إلى

المسيح فهو «باب الخراف» (يو ١٠: ٧)، الذي به وفيه يدخل إلى الكنيسة حسب تدبير الثالوث القدوس.

٧. بيت الخدمة (اللياكوتية)

هو عبارة عن حجرة تجمع فيها القرايين والتقدمات والصلوات واحتياجات الخدمة سواء كانت للخدمات الطقسية كالبخور والشموع والسنور والكتب وأواني المذبح والزيت والدقيق، أو كانت خدمة الفقراء كالملابس والماكولات وغير ذلك، وقد أوصت الدمسقولبة أن تكون هذه الحجرة في الجهة القبلة على يمين الداخل من الباب القبلي.

يحقق بين الخدمة بهذه الصورة عامل الخفاء لتقدمات المؤمنين، لكي ينالوا أجرهم عليها من الأب السماوي الذي يرى في الخفاء ويجازيهم علانية (مت ٦: ٤).

٨. المعمودية،

تقام المعمودية في أقصى الغرب من صحن الكنيسة أو في قسم الموعوظين، وفي الجهة الشمالية منه، وربما تقام خارج المبنى الكنسي وأيضاً في الجهة الشمالية بحيث يكون لها باب يدخل منه الذين أعدتهم الكنيسة لنوال سر المعمودية، وباب آخر يفتح على صحن الكنيسة ليدخل منه المعمدون بعد نوالهم سر المعمودية، ليأخذوا أماكنهم بين صفوف المؤمنين تمهيداً

لاشتراكهم في سر الأفخارستيا، هذا الموقع أوصت به قوانين الرسل والحقيقة أنه يجسم فعل المعمودية (التجديد) كما يتضح فيما يلي: -

موقع المعمودية وارتباطه بالتجديد تقام المعمودية في الجهة الغربية الشمالية من مبنى الكنيسة، حتى أن المؤمن بعد نواله سر التجديد في المعمودية يدخل إلى صحن الكنيسة حيث يتقدم مع المؤمنين للتناول من سر الأفخارستيا ليتحد بالمسيح ويعيش شركة الثالوث القدوس، بهذه الكيفية يكون المؤمن قد إنتقل من الشمال إلى اليمين ومن الغرب إلى الشرق، أي أنه رفض كل الأعمال الشريرة التي يعبر عنها بالشمال ودخل ليقبل فعل النعمة الإلهية ويصبح من أهل اليمين، وترك الغرب الذي يشير إلى الحياة بحسب الجسد ولبس المسيح الشرق الحقيقي كما أشار إلى هذا الرسول بولس في قوله «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧).

المعمودية من حيث الشكل والمغزى منه كانت المعمودية في بداية الكرازة بالمسيح وتأسيس الكنيسة تجرى بالتغطيس بإسم الثالوث القدوس في الأنهار أو البحار أو الينابيع، نذكر على سبيل المثال كيف عمد فيلبس الخصى الحبشي (أع ٨: ٣٨)، وعندما تمكنت الكنيسة من تخصيص

بعض البيوت للعبادة أو إقامة مباني خاصة للعبادة، حرصت على إقامة مبنى خاص بالمعمودية يلحق بمبنى الكنيسة، ويؤكد هذا، الاكتشافات الأثرية الكثيرة التي ترجع إلى عصر مبكر جداً منذ نشأة الكنيسة.

كانت المعمودية تقام في حجرة ملحقة بالمبنى الكنسي وأحياناً كان يلحق بها حجرة أخرى أو اثنتان أحدهما تستخدم لممارسة سر المسحة المقدسة والثانية لتغيير الملابس، وكان الشكل العام لحجرة المعمودية حتى القرن الرابع «مربع الجوانب» بحيث يعلو جرن المعمودية قبو، وفي بداية القرن الخامس ظهر في أوروبا معموديات بحيث على شكل سداسي أو ثماني أو دائري أو شكل صليب، وفي أغلب كنائسنا الأثرية مثل كنيسة الشهيد مارينا بمربوط توجد مجموعات من الدرجات من جهة الشرق والغرب في صلب مبنى الجرن، كما أنه في أغلب الكنائس القبطية توجد أيقونه عماد السيد المسيح في نهر الأردن وذلك على قبر المعمودية، وقد أهتمت الكنيسة الأولى بالأيقونات في حجرة المعمودية، فوجد في المعموديات التي بسراق روما أنها مزينة ببعض صور رمزية كالحمل والسماك. وقد أعطت الكنائس الغربية اهتماماً خاصاً بحجرة المعمودية وجرنها بوضع صلبان عليهما ورسم أيقونات تمثل

أحداث العهد القديم التي ترمز للمعمودية وأحداث العهد الجديد الخاصة بحياة السيد المسيح، وفيما يلي نقدم الأشكال المختلفة في شكل المعمودية...

الأشكال المختلفة للمعمودية

* الشكل الرباعي، وهو يماثل شكل القبر، لأن المعمودية كالتقبر إذ يدفن فيها مع المسيح كل التابعين لكي يقوموا أيضاً معه.

* الشكل السداسي، يشير إلى اليوم السادس الذي فيه علق المسيح على الصليب.

* الشكل الثماني، يشير إلى اليوم الثامن أو اليوم الأول من الأسبوع الجديد الذي فيه قام المسيح من الأموات..

* الشكل الدائري، يشير إلى الأبدية حيث أن الدائرة بصفة عامة ليس لها نهاية محددة.

* شكل الصليب، يشير إلى أن المعمودية إشتراك سرى في صلب المسيح.

القبة،

القبر إما أن يعلو جرن المعمودية كعرش فرقها أو أن يرتفع كسقف فوق حجرة المعمودية وهو يمثل قبة السماء، وهذا بالإضافة إلى أنه، يجسم للمعمود الفكر اللاهوتي عن المعمودية وهي أنها الوسيلة التي بها تفتح بصيرة قلبه ليرى السماء.

أيقونة المعمودية،

في أغلب الكنائس القبطية،

ترسم أيقونة عماد السيد المسيح في الأردن بواسطة يوحنا المعمدان على الحائط الذي يعلو جرن المعمودية أو على القبو، ولقد اكتشفت أيقونات كثيرة في حجرات المعموديات تكشف عن فكرة الخلاص وغفران الخطايا في ذبيحة المسيح أو التجديد وقد هدفت الكنيسة من هذه الأيقونات أن يأخذ المعمد منها الإنطباعات الأولى عن حياة التجديد.

ملحقات أساسية للمبنى الكنسي

١. بيت القربان،

يطلق على بيت القربان لقب «بيت لحم» إذ أنه يعد فيه الحمل لأن الرب يسوع حمل الله الذي يرفع خطية العالم ولد في بيت لحم فهي كلمة عبرية معناها بيت الخبز.

بيت القربان عبارة عن غرفة بها فرن تصلح لإعداد الحمل وفي الغالب تبني منفصلة عن جسم المبنى الكنسي

٢. المنارة أو برج الكنيسة،

* الكنيسة هي سفينة النجاة من بحر هذا العالم الذي وضع في الشرير تمثل منارة الكنيسة صارى السفينة الذي من عليه ينظر البحارون إلى الميناء وتمثل أيضاً برج المينا الذي به تهتدى السفن للرسو على الميناء، المنارة إذن تجسم العسم المزدوج للكنيسة إذ أنها تحفظ أولادها من خسور العالم وتقودهم إلى خلاص كما أنها تعلن عن الأبدية وتربط بها أولادها.

* تحمل المنارة فوق قممتها الصليب لأنه فخر الكنيسة كلها والعلامة التي تميز مبنى الكنيسة عن سائر المباني المجاورة. الصليب تاج الكنيسة الذي تستمد منه سلطاتها وتعمل به في العالم للكراسة ببعديها الأفقي والرأسي فهو قوة الرسالة وأساس الخلاص.

* دخلت المنارة إلى مبنى الكنيسة بعد عصور الإضطهاد وأستخدمت للتنبيه على المؤمنين لحضور الصلاة، إذ وضعت فيها الأجراس كبديل للأبواق في العهد القديم.

الرموز القبطية في مبنى الكنيسة

إستخدمت الكنيسة القبطية الصور الرمزية في مبانيها على نطاق واسع كما هو واضح في حامل الأيقونات والأعمدة والحوائط والأسقف في مبنى الكنيسة وكذلك تستخدم في بعض الأيقونات كجزء منها وفيما يلي نذكر أمثلة للرموز القبطية..

١. السمكة:

* ترمز السمكة إلى المؤمنين، وقد رمز الرب يسوع بالسمك إلى المؤمنين كما جاء في الأمثلة التي ذكرها عن الملكوت (مت ١٣: ٤٧-٥٠)، (لو ٤: ١٠-١١).

* ترمز السمكة إلى المسيح كما في الشرح الآتي:

يلد الرب يسوع (السمكة الكبيرة) المؤمنين (السمك الصغير) في مياه المعمودية.

* الحروف اليونانية لكلمة

سمكة تحوي الحروف الأولى من كلمات العبارة «يسوع المسيح ابن الله المخلص».

* السمكة إحدى العنصرين اللذين أشبع الرب بهما الجماهير، كرمز عن نفسه فهو خبز الحياة.

٢. الدلفين:

نوع من السمك ساد الاعتقاد بأنه أكثر صداقة للإنسان من غيره، ويوجد في المتحف البريطاني تحت قبطنى لدلفين يحمل على أنفه صليباً مكللاً بعناقيد من العنب، ويرجع تاريخه إلى القرن السادس، ويرمز هذا المنظر إلى نفس المؤمن وهي تنسم رائحة المسيح الذكية من خلال صليبه، وقد انفتحت هذه النفس لتطبع من ذبيحة الأفخارستيا (عناقيد العنب).

٣. الطيور:

ترمز الطيور إلى طبيعة النفس البشرية وتعتبر الطيور إحدى الملامح الرئيسية للفن القبطي لأنها أخذت عن إعتقاد مصري قديم جداً خاص بطبيعة النفس البشرية.

٤. الحمامة:

الحمامة من الرموز الشائعة في الفن المسيحي الأول ولها معان متعددة ...

* تشير إلى الروح القدس كما وجدت في أيقونة البشارة وأيقونة عماد المسيح في الأردن.

«فلما إعتد يسوع صعد للوقت من الماء . وإذا السموات قد

انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه» (مت ٣: ١٦).

* ترمز الحمامة إلى فضائل المؤمنين وبالأخص السلام، البساطة، الوداعة، النقاوة.

٥. النسر:

إحدى المخلوقات الحية الأربعة المتمثلة حول العرش الإلهي تحمل شكل النسر، وهو يرمز للبشارة الرابعة لأنها تتحدث عن لاهوت المسيح، كما أن النسر يرمز أيضاً للقدوس يوحنا بصفته كاتباً للبشارة الرابعة، ولقد وجد بدير بويط بصعيد مصر رسم أثرى فريد يرجع إلى القرن السادس تقريباً وهو عبارة عن نسر يوجد على رأسه وجناحيه المرفوعين ثلاثة أكاليل من زهور متماثلة تطوى كل منها في داخلها الحرفين ألف والباء واللذين يشيران إلى يسوع بكونه الأول والآخر.

٦. رموز أخرى:

* عنقود العنب، يرمز للمسيح (يو ١٥: ١-٥) كما أن عصير العنب يستخدم في تقديمه الأفخارستيا.

* الحمل، يرمز أيضاً للسيد المسيح حمل الله الذي يرفع خطية العالم (يو ١: ٢٩)، كما أنه يرمز أيضاً للمؤمنين.

* المرماة، ترمز إلى الرجاء.

* السفينة، ترمز إلى الكنيسة.

وسمنود واعمالهن ورشيد ودمياط وقلعهم الرب
من اصولهم ورمى بهم وجميع كورة مصر
جعلها اتحادا واحدا وأمانه واحده، وأبطل ساير
المقاتلات النجسات. ومقالة التاوضوسيين ابطلها
ايضا.

وكان الأمير قره محبا لجمع (*) المال وكان كل
أرخن يموت يأخذ جميع ماله، وكان قد مات
صاحب ديوان اسكندريه، وبقيره الذى كان كاتباً

(*) زيادة غرامات وجبايات قرة ابن
شريك من المصريين تؤدى إلى
هروبهم من ديارهم وبلادهم.

سنة ١٤٧ هجرية

وافق الأول من السنة يوم السبت ١٠ مارس ٧٦٤ م.

* فى هذه السنة خلع الخليفة المنصور ولاية العهد من ابن أخيه عيسى ابن موسى وولاهها
ابنه محمد المهدى وجعل عيسى ولياً لعهد المهدى وكان السفاح قد جعل ولاية العهد لعيسى
بعد أخيه المنصور.

* حج بالناس الخليفة المنصور وعزم على القبض على جعفر الصادق ولكن لم يتم له
ذلك، وبينما هو فى مكة بعث إليه عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس الأموى برأس العلاء بن
مغيث اليحصبى الذى كان داعية العباسيين فى الأندلس ولكنه هزم وقتل، كما أرسل إليه كتاباً
كان قد بعثه الخليفة إلى العلاء يستعديه فيه على عبدالرحمن مع لواء اسود رمز العباسيين.

* تساقطت فى هذه السنة الشهب فى أول الليل إلى الصباح فشاخ الفزع بين الناس.

* أغارت الترك على مدينة تفليس وعليها حرب بن عبدالله وهو الذى تنسب إليه خطة
الحربية ببغداد فقتلوه وقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين.

* توفى فى هذه السنة عبدالله بن على عم الخليفين السفاح والمنصور عن أربع وأربعين
سنة، أمه بربرية تدعى هنادة، وعبدالله هذا هو الذى هزم مروان ابن محمد آخر الخلفاء
الأمويين عند الزاب وتبعه إلى دمشق وهدم سورها وقتل من بنى أمية ثمانين رجلاً بنهر أبى
فطرس بفلسطين.

من تنيس، وجماعه لا يحصون من مصر، وأخذ
مالهم. حتى الأساقفه أخذ ميراث الجميع، وزاد
على البلاد مائة ألف دينار سوى خراجها المعروف.
وكانو الناس يهربون ونسأهم وأولادهم من مكان
إلى مكان وما يأويهم موضع من أجل البلى
ومطالبات الخراج وعظم ظلمه أكثر ممن
تقدمه.

ثم أنه ولى إنسانا اسمه عبدالعزیز من مدينة

* ممن توفى فى هذه السنة: مفتى الديار المصرية عمرو بن الليث، والمؤرخ الأموى أبو
الحكم الكلبي مؤلف سيرة معاوية، وفيها توفى بالأندلس والى طليطلة حياة بن الوليد الذى كان
قد ثار على عبدالرحمن الداخل فأسره وقتله، كما لقي مصرعه العلاء بن مغيث اليحصبي
الذى سلفت الإشارة اليه.

سنة ١٤٨ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم ٢٧ فبراير ٧٦٥م.

*تولى إمارة إفريقية الأغلب بن سالم خلفاً لابن الأشعث الذى كان قد خرج عن الطاعة
وهو جد دولة الأغالبة التى حكمت تونس وكان ابنه ابراهيم أول من إستقل بها.
* لم تنقطع ثورات أمراء الطوائف فى الأندلس على عبدالرحمن الداخل فثار فى هذه
السنة سعيد المطرى صاحب لبلة واستولى على أشبيلية، وغياث ابن علقمة صاحب شذونة،
وابن خراشة الأسدى صاحب جيان فهزمهم عبد الرحمن الواحد اثر الآخر.
* ولى المنصور على الموصل خالد البرمكى فقضى على فتن الأكراد بالقهر حينا والملاينة
حينا، وفيها غزا حميد بن قحطبة بلاد أرمينية فلم يلق مقاومة.

(*) مطاردة الهاربين من أراضيهم
وبلادهم والقبض عليهم وربطهم
في طواير لكي يعادوا للعمل في
بلادهم تحت الظروف القاسية
للعقوبات العرب

سحا وكان يجمع الذين يهربون(*) من كل
موضع ويردهم ويربطهم ويعاقبهم ويعيد كل
منهم الى موضعه، وكان على الناس بلايا
عظيمة.

ثم أنزل الله على أرض مصر وبا (ء) عظيم
وصار من يموت (*) كل يوم لا يعرف عددهم.
وكان أكثر من يموت من المسلمين. ثم دخل الوباء
منزل قره فماتوا نساء وغلمانهم، وكان يهرب من

(*) انتشار الوباء القاتلة للناس في
كل مكان، حتى أن قرة بن
شريك وأهله ماتوا في هذا الوباء.

سنة ١٤٩ هجرية

استهلت السنة بيوم الأحد ١٦ فبراير ٧٣٦ م

- * أتم المنصور بناء سور بغداد وجعله مزدوجاً خارجياً وداخلياً وجعل الداخلي أعلى من الخارجي.
- * غزا الصائفة ودخل أرض الروم الأمير العباس بن محمد أخو الخليفة ومعه من القواد الحسن بن قحطبة وعبد الرحمن بن الأشعث الخزاعي.
- * تولى إمارة مكة عبد الصمد بن علي ثم صرف عنها بمحمد بن إبراهيم ابن محمد الامام الذي حج بالناس لسنة.
- * شهدت الأندلس ثورة جديدة على حكم عبد الرحمن الداخل تزعمها حليفه السابق أبو الصباح اليحصبي الذي خرج بأشبيلية بعد هزيمة سعيد المطري.
- * ولد في هذه السنة (مستهل الحزم) الخليفة هرون الرشيد بمدينة الري وهو ابن محمد المهدي من زوجته الخيزران وقيل في تاريخ ولادته غير ذلك ، وأرضعته أم وزيره الفضل البرمكي الذي يكبره بسبعة أيام ليس إلا
- * توفي في طريقه إلى حرب الروم في جيش العباس بن محمد قائده عبد الرحمن ابن الأشعث الخزاعي، وكان أميراً على مصر عام ١٤١ هـ ، وهو الذي استعاد القيروان بعد أن قضى على ثورة ابن الخطاب.

موضع إلى موضع خوفا من الموت حتى فرغ من
أجله فمات بغته بموته سو.

وقد كان يوليانوس بطريرك انطاكية الذى
مسك البيعة من أيام يوحنا بطرك اسكندرية إلى
أيام الأب الاكسندروس وتيح ومضى إلى النعيم
الأبدى، فاجتمعوا أساقفة المشرق ليقوموا لهم عوضا
منه وكان الوالى عليهم اسمه الوليد لم يمكنهم
من ذلك، وقال: ما أدع بطركا يتقدم فى أيامى.

سنة ١٥٠ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الجمعة ٦ فبراير ٧٦٧ م.

* شبت فى خراسان ثورة قادها متنبى يقال له أسبديس واستولى على عامة البلاد حتى
تولى حربه خازم بن خزيمة فهزمه بعد أمور وبلغ عدد قتلاه سبعين ألفا وأسراه أربعة عشر ألفا،
أما صاحب الدعوة فأوثق فى الحديد مع أهل بيته وأرسلوا إلى المنصور ببغداد.

* ثار المصريون فى شمال الدلتا وسخا فبعث اليهم يزيد بن حاتم جيشا لم يحقق عليهم
أى انتصار ملموس.

* إنتهت ثورة أبى الصباح فى أشبيلية أخذه عبد الرحمن الداخل بالخيالة حتى قدم قرطبة
فأوقع به وشتت أنصاره.

* توفى فى هذا التاريخ إثنان من زعماء الخوارج هما أبو الجارود رأس الفرقة الجارودية
و زرارة بن أيمن رأس الفرقة الزرارية.

سنة ١٥١ هجرية

استهل المحرم بيوم الثلاثاء ٢٦ يناير ٧٦٨ م.

* جدد الخليفة المنصور البيعة لابنه المهدي ثم لابن أخيه من بعده عيسى ابن موسى فكان
من يبايعه يقبل يده ويد المهدي ثم يمسح على يد عيسى.

وكانو حزاناً لأجل ذلك، فعمدوا إلى أسقف خايف
من الله ممتلى من نعمة روح القدس اسمه ايليا
اجلسوه على الكرسي ببيعة انطاكيه وكتب
سنوديقا بناموس العتيقه وانفذها مع أسقف اسمه
استفانوس إلى الأب البطرک الاكسندروس لما بينهما
من الاتفاق، وكان القديس الاكسندروس يفتقد
المواضع فاجتمع به في وادي هبيب، فسلم له
السنوديقا من الأسقف أنبا ايليا الذي اجلسوه

* بدأت عمارة الرصافة بالجانب الشرقي من بغداد وعمل لها سور وخندق وأجرى إليها
الماء كما جرى العمل به في بناء بغداد قبل ذلك.

* عزل عن ولاية مصر يزيد بن حاتم بعد سبع سنوات، وبها عزل عن السند عمر بن
حفص المهلبى الذى تولى أفريقية فلما هزم على أيدي الثوار سير إليهم يزيد بن حاتم.

* نشبت ثورة جديدة بغرب الأندلس تزعمها دعى بربرى يدعى شقيا بن عبد الواحد وسار
إلى شنت مرية واستولى عليها ثم دانت له ماردة وقورية ، وهزم والى طليطلة سليمان بن
عثمان الذى أنفذه لخر به عبد الرحمن الداخل فأسره وقتله.

* ممن توفوا هذه السنة: الأشتر العلوى بن محمد النفس الزكية عن ثلاث وثلاثين ببلاد
السند وكان قد خرج إليها ثائرا على حكم المنصور، وفيها توفى أمير خراسان أسيد بن عبد
الله الخزاعى أحد زعماء الدعوة العباسية بالمشرق، وسليمان بن حكيم من زعماء البحرين
كان قد امتنع عن المنصور فأرسل إليه من قتله.

سنة ١٥٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ١٤ يناير ٧٦٩ م.

* تولى إمارة مصر عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج وكان قد ولى شرطتها

على كرسى انطاكيه، فوجدها موافقه للأمانه
المستقيمه فقبلها بفرح واحضر مقدمى الكور
واعلمهم ما جرى فى المشرق من منع الوالى
للمومنين من تقدمه بطرك وأن الأساقفه استخلفو
اسقفا عوضه ليتم الشرطونيات إلى حين زوال
الغضب.

وقد كان مثل هذا فى زمان اغريغوريوس
التاولوغس وابينا تاوفيلس كان بالاريانيين

من قبل لهذا جمع بين الامارة والشرطة ودامت ولايته نحو من ثلاث سنين، وهو أول من
خطب الناس فى ثياب سود رمز بنى العباس.

* تفاقمت ثورة الداعية البربرى شقيا بن عبد الواحد فى غرب الأندلس بعد مقتل عبد
الرحمن الأموى لهذا خرج عبد الرحمن وقاد الجيش بنفسه فلاذ الدعى بالهرب إلى الجبال.

* غزا حميد بن قحطبة قائد المنصور اقليم كابل (أفغانستان) بعد أن تولى إمارة خراسان
وفى التاريخ نفسه وثب الخوارج بسجستان على الوالى معن ابن زائدة فجرت بينهم وقائع قتل
فيها معن.

* وتوفى حول هذا التاريخ بمدينة جنديسابور الطبيب السريانى جورجيش ابن جبرائيل
وحفيد بختيشوع وكان قد استقدمه المنصور لعلاج به بغداد فكان الشفاء فى علاجه، وهو أبو
بختيشوع طبيب الرشيد بعد ذلك.

سنة ١٥٢ هجرية

استهل المحرم بيوم الخميس ٤ يناير ٧٧٠ م

* قبض المنصور على وزيره ابي أيوب المورىانى الذى تولى وزارته خلفاً لخالد ابن برمك ثم
نكبه لأمر أخذها عليه واستصفى أمواله، وكان أبو أيوب كاتباً لسليمان بن المهلب فى دوله
بنى أمية.

والاكاكين، وقادت الضرورة إلى أن استدعو إلى
القسنطينيه اغريغوريس المذكور وسلمت له البيعه،
ولهذا طابت نفوس الأساقفه بمصر والبطرك وكتب
جواب السنوديقا لاستفانوس ومن معه ومضى
بسلام إلى كورته.

ولما تولى تادرس أمور اسكندريه في أيام الأب
الاكسندرس كان هناك طبيب من أهل اسكندريه
في أيام الوليد اسمه أنوبيس الذى هو «وجه

-
- * ألزم المنصور الرجال لبس القلائس السود وكانت تشبه الدنان فى طول شبرين وتعمل
من ورق على قصب وتغشى بالسواد.
 - * غزا الصائفة معيوف الحجورى واستولى على أحد حصون الروم فسبى وأسر وعاد
بالاسلاب ثم قصد اللاذقية.
 - * فى أفريقية حلت الهزيمة بجيش نائب المنصور عمر بن حفص الأزدي على أيدي
الخوارج الإباضية وبايعوا أبا قره وكان على أربعين ألف من الصفرية، وفيها أغارت الحبشة على
جدة فجهز إليهم الخليفة المراكب.
 - * ممن توفوا هذه السنة : المحدث ثور الكلاعى من أهل الشام اتهم بالقدرية فأخرج من
حمص واستقر بالمدينة لحين وفاته.

سنة ١٥٤ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الاثنين ٢٤ ديسمبر ٧٧٠م.

- * جهز المنصور لحرب الخوارج الصفرية جيشاً عليه يزيد بن حاتم أمير مصر السابق وجمع
له خمسين ألف فارس وأنفق على تجهيزه ثلاثة وستين ألف درهم وهى نفقة لم يسمع
بمثلها قبلاً.

الحمار» فلما وجد الوسيلة سأل الأمير أن يأمر أن يقدمه بطركا من اسكندرية وكان روميا خلقدونيا مجدفا، فقبل سواله، وكان كاتب اسمه انسطاسيوس من اسكندرية، ودفع هذا الكاتب ألف دينار للأمير حتى جعل الغير بطرك اخلقدوني بمدينة اسكندرية، وكان يقاوم الأمانه المستقيمه ويتهزا بالاكسندروس وبالخاصه إذا لحقه تجربه فى ذلك الوقت. ثم أن الشعب أراد قطع اخلقدوني

* عاد أمير الأندلس عبد الرحمن الداخل إلى قتال الدعى البربرى شقيا ابن عبد الواحد وقاد الجيش بنفسه وشدد فى مطاردته بين جبال غرب الأندلس دون توفيق.

سنة ١٥٥ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة ١٣ ديسمبر ٧٧١ م.

* بنيت فى هذه السنة مدينة الرافقة على الفرات بجوار الرقة بعد أن تخربت الرقة وتولى عمارتها المهدي ولى العهد على طراز مدينة بغداد، كما أقام حول كل من الكوفة والبصرة سوراً وخندقاً وأنفق على ذلك من أموال أهلها ، كما أدار سوراً حول مدينة نيسابور.

* عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وصادر مالا له لشكوى أهل الجزيرة منه كما عزل ابن عمه محمد بن سليمان لأمره ببلغته عنه.

* أحرز يزيد بن حاتم أمير أفريقية انتصاراً حاسماً على الخوارج ودخل القيروان بعد مقتل زعيمهم أبى حاتم الاباضى الثائر فاستقامت المغرب للمنصور.

* طلب الامبراطور البيزنطى ليو الرابع الصلح إلى المنصور على أن يؤدى إليه الجزية وكان قد غزا الصائفة ودخل أرضه يزيد بن أسيد السلمى.

وقامو عليه فانهزم ومضى إلى الأكسندروس الأب
وسأله بخضوع واعتذر عما كان بلغه عنه ورغب
إليه أن يقبله في الأمانة الارتدكسية، فقبله بمحبه
مسيحيه وعاد إلى وصايا الله الذي قال إذا رأيت
حمار عدوك ملقيا مثقلا فلا تولي عنه إلى أن
تنهضه. ولم يزل على الأمانة الارتدكسية.

ثم قام على البيعه تجارب وخرج أمر سوا
بأن تقلع من البيع العمدة الملونه والرخام (*) الذي
(*) خلع الولاة للعمدان والرخام من
الكنائس لاستخداماتهم الخاصة.

-
- * حلت الهزيمة بالجيش الذي ارسله عبد الرحمن الداخل لمطاردة الدعي البربري شقيان
بن عبد الواحد وفر قائده عبيد الله بن عثمان.
 - * ولد بغداد أسحاق الموصلي من مشاهير رجال الغناء والموسيقى في العصر العباسي ومن
ندماء البلاط ببغداد.
 - * توفي ببغداد عن ستين سنة حماد الراوية (حماد بن سابور) وكان أعلم عصره بأيام
العرب وأخبارها وهو جامع المعلقات السبع.
 - * فيها أغارت الحبشة على جدة عبر البحر الأحمر.
 - * ممن توفي في هذه السنة: بمصر أميرها محمد بن عبد الرحمن بن حديج التجيبي وهو
في إمارته وخلفه بعهد منه موسى ابن علي.

سنة ١٥٦ هجرية

وافق من السنة يوم الأربعاء ٢ ديسمبر ٧٧٢م.

- * تولى إمارة البصرة سوار بن عبد الله وجمع له المنصور القضاء، وذلك خلفا للهيثم بن
معاوية الذي لم يلبث أن توفي في سنته، وفيها أقر الخليفة موسى ابن علي على إمارة مصر
خلفا لابن حديج.

فى البىع وىحمل جمىعه، وكان الأب البطرىك
حزىنا لأجل بىعته لأنها صارت خرابا لأجل ما
فعلوه معه، وهو مع هذا ىشكر الله وىصبر
بشجاعه. ثم أن أمرىن صعىن حدثا فى سنة أربع
مائه وحدى وتلتىن لىقلادىانوس فى تالت عشر
سنة من اللىكىتون [اللىكتوس] لأجل خطاىانا
وعظم أفعالنا، وذلك ان من بعد موت (*) قره انفذ
الولىد عوضه إلى مصر والىا اسمه أسامه فلما
وصل الفسطاط الشمس علام [مساحات] جمىع

(*) تولى أسامه ابن یزىد بدلا من
قره بن شرىك.

- * نلى عبد الرحمن الداىل على مولاہ بدر لفرط إلاله علىه ولم ىرع حق خدمته وطول
صحبته فاستصلى أمواله ونفاه فى أقصى الشمال من الأندلس إلى أن توفى.
- * نار بناىة طرابلس الغرب أبو یحى بن فانوس على أمىر أفرىقىة یزىد بن حاتم واجتمع
علىه كثر من البربر إلا انه فرق شملهم، كما أوقع الهزىمة بعدد الرحمن ابن حبىب وأنصاره
من كتامة.
- * تعاظمت ثورة شقىان البربرى بالأندلس بالرغم من تضىق عبد الرحمن علىه، وزاد من
خطره لشوب ثورة جدىة فى أشىلىة تزعمها حىوة بن ملابس ومعه عمر ابن طالوت صاحب
لبلة فانفذ إليها ابن عمه عبد الملك بن عمر فشتت شملهما.

سنة ١٥٧ هجرىة

وافق هلال المحرم يوم الثلاثاء ٣١ أكتوبر ٧٧٥ م.

- * فى هذه السنة بنى المنصور قصره الذى دعاہ الخلد وراء باب خراسان وأشرف على
البناء وزىره الرىبع بن یونس وأبان بن صدقة وجسر الماء إلى المدىنة فى قنوات تنفذ إلى
الشوارع والدروب، ونقل الأسواق إلى الكرخ وبنى لأهل الأسواق مسجدا فلا ىدخلون المدىنة.
- * استعرض المنصور قواته من الجنء والسلاح والخیل واتخذ مجلسه على شط دجلة

الكور وكتبها بالعربي وكان كثير ألفهم، فلما بدا
بذلك حدث غلا عظيم لم يسمع بمثله من الجيل
الأول، ومات في ذلك الغلا أكثر ممن مات في
الوباء، وأشرفت جميع الأغنيا والفقرا على الموت.
ثم أن رخا [ء] عظيما أقبل حتى انتهى القمح إلى
خمسه وعشرين أردبا بدينار، وبعد قليل وافى أيضا
وبا [ء] فافنى العالم، ولو لم يرحم الرب من بقى
منهم على الأرض لم يبق منهم أحد.



بالقرب من قطربل يشاهد العرض ورجال دولته من حوله وهو فى لباس الحرب من درع
وقلنسوة وخوذة.

* ثار بالأندلس سليمان الكلبي والى برشلونة وتحالف مع الحسين الأنصارى والى سرقسطة
على قتال عبد الرحمن الداخل الذى كان مشغولا بحرب الدعى البربرى بعد أن قضى على
فتنة أشيلية وقبض على ثلاثين ممن ناصروا الفتنة واعدتهم دون رحمة.

* قضى شارلمان على حكم اللباردين فى شمال ايطاليا.

* عزل المنصور واليه على السند هشام بن عمرو التغلبى بعد ست سنوات من الامارة وهو
الذى افتتح كشمير والمالتان وقندهار وبنى مساجدها لهذا عرف باسم صاحب السند.

سنة ١٥٨ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة ١١ نوفمبر ٧٧٤ م.

* فى ليلة السبت السادس من الحجة توفى الخليفة المنصور وهو فى طريقه إلى الحج
بالقرب من بشر ميمون وله من العمر سبع وخمسون سنة وقد دامت خلافته إثنين وعشرين سنة
إلا أياما ولم يحضره عند وفاته سوى وزيره الربيع بن يونس الذى كتم خبر موته حتى أخذ
البيعة لولى عهده وابنه محمد المهدى ومن بعده لعيسى ابن موسى، ودفن المنصور بشية المعلاة
بمكة.

وكان الأمير مقيماً على فعله السو(*) وكل المسلمين والنصارى خائفون منه. ثم تقدم أن لا يأوى أحد غريباً في البيع ولا الفنادق ولا في السواحل، وكانوا خائفين منه، وطرده من كان عندهم من الغرباء. وتقدم إلى الرهبان أن لا يهربوا من يأتى إليهم. ثم أحصى الرهبان ووشمهم [دمغهم] كل واحد منهم بحلقه حديد في يده اليسرى ليعرف، ووسم كل واحد باسم يبعته وديره بغير صليب بتاريخ مملكة الاسلام. وكان في سنة

(*) اشتداد اسامه ابن يزيد في جمع الاموال من المصريين بالرغم من الأوبئة والنجاعات ويضع في يد الرهبان حلقات من الحديد وختم به اسم يبعته وديره كما كان يأمر جنده بنهب كل ما يقع تحت أيديهم، ويقول لهم: سلمت لكم أنفس الناس فتحملوا منهم كل ما تقدرون عليه.

* تولى محمد المهدي ابن المنصور الخلافة على أثر وفاة أبيه وله من العمر اثنين وثلاثين سنة، أمه أروى بنت منصور الحميرية، كان الربيع بن يونس قد انفذ رسلاً إلى بغداد بخبر وفاة المنصور ودعاهم لبيعة المهدي فبايعوه وهو ثالث خليفة من بني العباس.

* استمر عبد الرحمن الداخل بالأندلس في مطاردة الدعي البربري. الذي التجأ إلى الجبال ومع ذلك فدعوته ما فتئت مسيطرة على أهل سنت مربة وماردة لفترة بعد هذا التاريخ، وفيها انفذ عبد الرحمن جيشاً بقيادة نعلبة بن عبيد لقتال الثائر سليمان الكلبي ولكنه هزم وأسر.

* توفي من رجال العلم في هذه السنة: الامام الحافظ أبو زرعة (حيوة ابن شريح) شيخ الديار المصرية، وقاضى الجماعة بالأندلس معاوية بن صالح وكان ممن قدم من الشام مع عبد الرحمن الداخل وفيها توفي قاضى البصرة زفر ابن الهذيل صاحب الامام أبي حنيفة وذلك عن ثمان وأربعين.

* وافقت هذه السنة وفاة الامبراطور البيزنطى قسطنطين الخامس بعد حكم طويل دام ٣٤ عاماً إمتد منذ خلافة هشام الأموى إلى آخر حكم المنصور العباسى ولم تنقطع فيه الغزوات والغارات بين الجانبين.

ست وتسعين للهجرة قلق على الرهبان وضيق
على المؤمنين. وإذا ظهر راهب غير موسوم قدموه
إلى الأمير فيأمر بقطع أحد أعضائه ويبقى أعرج.
ولم يكن يحصى عدد من شوه به على هذه
القضية. وحلق لحي [رهبان] كثير وقتل جماعه
وقلع أعين جماعه بغير رحمه. وكان يقتل جماعه
تحت العقوبة بالسياط، وكان من محبته للدنانير
يأمر الولاة أن يقتلوا الناس ويحضروا إليه مالهم،

سنة ١٥٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ٣١ أكتوبر ٧٧٥ م

* السنة الأولى من خلافة المهدي العباسي، وفيها اعتق المهدي جاريته الخيزران وتزوجها
وهي أم ولديه الخليفين الهادي والرشيد.

* كتب المهدي توقيعا بأنه اتخذ يعقوب بن داود أخا له في الله ووصله بمال جزيل فأصبح
بذلك أقرب نصحاء الخليفة وهو الذي تولى وزارته بعد ذلك خلفا لعبيد الله معاوية بن يسار.

* قائد أول صائفة في خلافة المهدي الحسن بن الوصيف من الموالي وبلغت جيوشه أنقرة
وفتحت بلدة للروم بنواحي طرسوس.

* ظهر في هذه السنة المقنع الخراساني مدعى الألوهية فسير المهدي حربه أبا عون ولم
يظفر منه بشئ فاستعمل على حربه معاذ بن مسلم.

* وقع حريق ببغداد عند قصر عيسى احترقت فيه السفن بما فيها كما أصاب خلقا كبيرا.

* مازال شقيان الثائر البربري معتصما بجبال الأندلس تطارده قوات عبد الرحمن الداخل.

* توفي في هذه السنة حميد بن قحطبة، كان قد ولاه المنصور إمرة مصر عام ١٤٣ هـ،

ثم وجهه لغزو أرمينية ثم كابل ثم تولى إمارة خراسان حين وفاته.

ويكاتبهم ويقول: سلمت لكم أنفس الناس
فتحملو [منهم] ما تقدرون عليه من أساقفه
ورهبان أو بيع أو كل الناس فأحملو القماش والمال
والبهايم وكلما تجدونه لهم ولا تراعو أحداً، وأى
موضع نزلتموه فانهبوه. وكانو يخربون المواضع
ويقلعون العمود والأخشاب ويبيعون ما يساوى
عشرة دنائير بدينار حتى صارت الفضة خمسة
وتلّتين درهمين بدينار، والقمح أربعين أردبا بدينار،

سنة ١٦٠ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم السبت ١٩ أكتوبر ٧٧٦م.

* فى هذه السنة خلع الخليفة المهدى بيعة ولى عهده عيسى بن موسى تحت الضغط
والتهديد وأعلن البيعة لابنه موسى الهادى ، ثم حج المهدى لأول مرة فنزع كسوة الكعبة
وكساها كسوة جديدة.

* تم فى هذه السنة لقاء الشاعر سليمان الكلبى (ويعرف بسليمان الأعرابى) بالامبراطور
شرلمان فى مدينة بادربورن من أعمال ألمانيا وعرض عليه محالفة على قتال عبد الرحمن
الداخل وشجعه على غزو شمال الأندلس فى مقابل تسليمه بعض مدنها وحصونها ومنها
برشلونة وسرقسطه، واستجاب شرلمان له وبدأ فى تجهيز جيش كبير لغزو الأندلس.

* استولى الجيش الذى سيره المهدى براً وبحراً على مدينة باريد بالهند.

* عزل أبو عون عن إمرة خراسان وتولاها معاذ بن مسلم.

* ممن توفى: الشاعر العباسى صالح بن عبد القدوس اتهم بالزندقة فأمر به المهدى فقتل،
وفىها توفى الأمير الأموى عبد الملك بن مروان كان قد لجأ إلى الأندلس فولاه عبد الرحمن
الداخل إمارة أشبيلية وزوج ولى عهده هشاماً من إبنته كثيرة ، وفىها توفى الفقيه الشيعى
الملقب شيطان الطاق تنسب اليه الفرقة الشيطانية من الشيعة.

والنبيذ أربعين مطراً بدينار، والزيت مائة قسط
بدينار. وكل من معه شئ يخاف عليه أن يظهره ليلاً
[لئلا] يعاقب.

ومن الضيق والضنك هم الناس ببيع اولادهم،
واذا أعلموا الأمير بهذا لم يرق قلبه ولا يرحم بل
يزيد فيما هو فيه. وكان يكتب ويقول: كل موضع
يوجد فيه إنسان ماشياً أو يعدى من موضع إلى
موضع أو طالعا من مركب أو نازلاً وليس معه

سنة ١٦١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الخميس ١٩ أكتوبر ٧٧٧.

* أمر المهدي بتعبيد الطريق من بغداد الى مكة وزوده بأحواض لمياه الشرب وأقام عليه
المنازل والقصور أوسع مما بناه عمه السفاح، كما وسع وعمر المسجد الحرام واشترى الذراع
من الأرض مما دخل في حدود المسجد بخمسة وعشرين ديناراً وحمل اليه الرخام من مصر
كما أضاف إلى الحرم المدني ثلث مساحته وأحاطه بأروقة وقباب.

* بويع عبد الرحمن بن رستم مؤسس مدينة تاهرت بالامامة مؤسساً ما يعرف بالدولة
الرستمية في شمال أفريقيا.

* واجه عبد الرحمن الداخل بالأندلس خطراً جديداً في شخص عبد الرحمن ابن حبيب
الفهرى الملقب بالصقلي والذي عبر البحر من افريقية إلى مرسية داعياً للمخليفة المهدي
العباسي.

* تولى إمارة مصر عيسى بن لقمان بدلاً عن موسى بن علي غير أن إمارته لم تدم سوى
خمسة أشهر.

* فشلت حملة شرلمان في الأندلس التي شنّها بإيعاز من حليفه سليمان الأعرابي بعد أن
قاومت سرقسطة الغزو ثم منيت الحملة بكارثة في طريق عودتها إلى فرنسا عند باب شيزر (ممر

(*) اسامه بن يزيد يتشدد فى عمل
سجلات مع كل شخص تكشف
عن هويته، يدفع عنها مالا
لاستخراجها أو عمل بدل فاقد.

(*) لعدم قدرة الجهاز الإدارى العربى
فى عمل السجلات لكل
المصريين، وقفت طوابيرهم أمام
الدواوين للحصول على هذه
السجلات وتركوا اعمالهم.

سجله(*) يؤخذ وتنهب المركب وما فيها وتضرب
بالنار. وإذا وجدو من الروم فى البحر فيحضرونهم
إليه، فمنهم من يقتله ومنهم من يصلبه ومنهم من
يقطع يديه ورجليه، حتى انقطع الطريق، ولم يبق
من يسافر ولا يبيع ولا يشتري، وثمرات الكروم
تلفت ولم يبق من يشربها بدينهم واحد لأجل قيام
أربابها عند دأره شهرين ينتظرون السجل(*)
بالافراج عنهم. وإذا أكل فار سجل الإنسان أو

رونسفال) بجمال البرانس على يد البشكنس المسيحيين ، وقبل أن يصل الامبراطور إلى
عاصمته لقي حليفه سليمان الأعرابي حتفه.

سنة ١٦٢ هجرية

استهل المحرم بيوم الاثنين ٢٨ سبتمبر ٧٧٨م.

* تولى إمارة مصر فى هذه السنة ثلاثة من الولاة من قبل المهدي، وأولهم واضح المنصورى
الخصى الذى اشتد على أهلها فشكوا منه فعزله المهدي بمنصور بن يزيد ابن خالة الخليفة ولم
يلبث منصور أن عزل بعد شهرين فخلفه أبو صالح يحيى ابن داود فى ذى الحجة.

* اتهم أمير مصر واضح المنصورى بميوله العلوية وأنه أخفى إدريس بن عبد الله الذى لجأ
الى مصر من المدينة فحمله واضح مع البريد إلى المغرب حتى نزل ولىة وفيها أقام دولة
الأدارة.

* تسلمت قوات يزنطية حتى شمال أنطاكية وهدمت سور ميناء الحدث فرد
المهدي بالاغارة على بلاد الروم بقوات بلغت ٨٠ ألفا غير المتطوعة وعلى رأسها الحسن بن
قحطبة.

* وضع المهدي دواوين الازمة لأول مرة وولى عليها عمرو بن مربع بحيث يكون لكل
ديوان زمام أى رجل يضبطه فمن ثم كان الاسم.

أصابه ما [ء] أو نار أو شى من العوارض ، وبقي معه منه قطعه أو جميعه وقد تغير رسمه لا يغير له حتى يدفع خمسة دنانير غرامه وبعد ذلك يغير له .

وكانت امرأة أرملة أخذت سجلا لولدها اليتيم الوحيد ترجو من عمل يديه ما تقتات به ، فخرجت من اسكندرية إلى اغراوه وخرج الصبي إلى النيل يشرب ما [ء] فخطفه التمساح والسجل مربوط معه وامه تبكى وتحترق عليه ، فرجعت إلى اسكندرية فاعلمت الأمير الغير مومن ما جرى

-
- * قضى عبد الرحمن الداخل بالأندلس على الدعوة العباسية التي كان يتزعمها عبد الرحمن بن حبيب الصقلبي فأحرق سفنه الراسية فى مرسية ودس عليه من إغتياله .
 - * نشبت ثورة فى طبرستان تزعمها عبد القهار من طائفة الحمرة ولكن قضى عليها قائد المهدي عمرو بن العلاء .
 - * ولد بالبصرة إمام الأدب عمرو بن بحر الجاحظ مؤلف كتاب البيان والتبيين وكتاب البخلاء وكتاب الحيوان وغيرها .

سنة ١٦٢ هجرية

- الأول من المحرم وافق يوم الجمعة ١٧ سبتمبر ٧٧٩ م .
- * بلغ المهدي مدينة حلب لاعداد العدة لغزوة كبرى على بلاد الروم واستخلف على بغداد ابنه وولى عهده موسى الهادي ففتح ابنه هرون حصن سمالو وغيرها من المواقع وبعدها زار الخليفة المهدي بيت المقدس ، وحج بالناس ابنه على .
- * تولى هرون ابن الخليفة إمرة المغرب وافريقية وأذربيجان ، وكان على بلاد السند نصر بن محمد بن الأشعث .
- * توفي عن ثلاث وسبعين خالدا بن برمك رأس بيت البرامكة وكان على ديوان الخراج ثم تولى إمارة فارس وهو أبو يحيى البرمكى وجد الوزيرين الفضل وخالدا .

عليها فلم يتراف عليها بل اعتقلها حتى وزنت
عشرة دنانير بسبب السجل ، وأنها دخلت المدينة
بغير سجل ، وباعت ثيابها وكل مالها وطافت
تتصدق حتى أوفت العشرة الدنانير. وكان
الشيطان الذى كان موافقا له وقلبه مثل قلبه يلقي
فى قلبه كل اليوم السو.

ثم انفذ كشف الديارات [الأديره] فوجد فيها
جماعة من الرهبان بغير [وشم] حلق فى أيديهم

* توفى منتحرا بقلعة سنام بالتركستان المقنع الخراسانى الذى ادعى الربوبية فلما حصره
سعيد الحرشى قائد المهدي جمع أهله وسقاهم السم فمات وماتوا معه.
* توفى بالأسكندرية أمير مصر موسى بن على (بضم العين تصغير على) عن ٧٣ عاماً.

سنة ١٦٤ هجرية

استهلت السنة بيوم الأربعاء ٦ سبتمبر ٧٨٠م.

* فى أول يوم السنة عزل عن إمرة مصر أبو صالح يحيى بن داود بعد عام واحد، خلفه سالم
بن سودة.

* غزا هرون ابن الخليفة الصائفة وتوغل فى بلاد الروم (الأنضول) حتى بلغ ساحل البحر
أمام القسطنطينية مما إضطر الامبراطور قسطنطين السادس أن يصالح المهدي على سبعين ألف
دينار مدة ثلاث سنين، ولكن الروم لم يلبثوا أن نقضوا الصلح.

* لم تنقطع الثورات ضد عبد الرحمن الداخل فى الأندلس فقضى فى هذه السنة على
ثورة السلمى فى طليطلة والكنانى فى الجزيرة الخضراء، وفى الشمال انفرد الشائر الحسين
الأنصارى وبالزعامة بعد اغتياله حليفه السابق سليمان الأعرابى.

* انتصر شارلمان على الساكسونيين.

فمنهم من ضربت رقبتة ومنهم من مات تحت
السياط.

ثم انه سمر باب البيعة بالحديد وطلب منهم
ألف دينار، وجمع مقدمى الرهبان وعذبهم
والتمس منهم عن كل واحد منهم دينارا وقال متى
لم تقوموا بذلك هدمت البيع واخربتها وجعلتكم
فى مراكب الأسطول(*)، فقلقوا شيوخ الرهبان
وتمنوا الموت ولم يعلموا ما يصنعو ولم يكن لهم

(*) كانت مراكب الاسطول تزود
بالمصريين الذين يجبروا على
العمل فيها حتى موتهم بعيداً عن
أهلهم وديارهم.

سنة ١٦٥ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الأحد ٢٦ أغسطس ٧٨١م.

* خرج بصعيد مصر دحية حفيد عبد العزيز بن مروان الأموى ودعا لنفسه فتولى أمر
مصر ابراهيم بن صالح ابن عم الخليفة.

* سير عبد الرحمن الداخل جيشاً ضخماً قاده بنفسه للقضاء على ثورة الشمال التى انفرد
بقيادتها الحسين بن يحيى الأنصارى فى سرقسطة وحصره فيها حتى طلب الصلح وقدم ابنه
رهينة، وتابع عبد الرحمن ميره إلى مملكة النافار الأسبانية ودخل بنبلونة وقلهرة وخرب قلاعها
وأرغم أميرها على تقديم الطاعة والجزية فأمن بذلك جانب الأسبان النصارى وجانب الثوار
المسلمين.

سنة ١٦٦ هجرية

الأول من السنة وافق يوم الخميس ١٥ أغسطس ٧٨٢م.

* أخذ الخليفة المهدي البيعة لولده هرون بعد أخيه موسى الهادى ولقبه الرشيد.

* حمل المهدي حملة شديدة على اصحاب المذاهب المهرطقة فأباد منهم فى هذه السنة
خلقاً كثيراً وكان يتولى هذه المهمة وزيره الكلوزانى.

إلا اجتماعهم فى البيع والصلوات والتضرع إلى
السيد المسيح أن يترأف عليهم بحزن وكابه حتى
سمع الله الكريم الرحيم دعاهم ونجاهم بسرعة بأن
توفى سليمان ابن عبد الملك(*)، وهو كان فى ذلك
الوقت الملك الكبير، وملك مكانه عمر بن
عبد العزيز الذى كان أمير مصر، وانفذ الوقت
بارادة الله الروف واليا إلى مصر فرمى طوبه حديد
فى رجلى أسامه البائس [البائس] وخشبه فى يديه
وجعله فى الحبس، وكان مظلما، إلى أن يرى رأيه

(*) وفاة سليمان بن عبد الملك
وتولى عمر بن عبد العزيز
الخلافة.

* عاد هرون ابن الخليفة من حملته على القسطنطينية بعد أن عقد الهدنة مع الروم على
جزية مقدارها ٦٤ ألف دينار رومية و ٢٥٠٠ ديناراً عربية و ٣٠ ألف رطل من الصوف النقى
* تولى خراسان الفضل بن سليمان الطومى خلفاً للمسيب بن زهير بعد أن اضطرت
أحولها.

* انقلب المهدي على مستشاره وأخيه فى الله يعقوب بن داود بعد أن صار الحل والعقد
بيده حتى تندر بذلك الشعراء ثم تابعت الوشايات ضده متهما بممالة العلويين فأمر المهدي
بحبسه فى سجن المطبق ومصادرة أمواله، وفيها أطلق المهدي عمه عبد الصمد بن على من
حبسه الذى قضى فيه ثلاث سنين.

* ثار بالأندلس المغيرة بن الوليد على ابن عمه عبد الرحمن الداخل ونادى بخلعه فقتل.
* أمر الخليفة بتنظيم منازل للبريد بين اليمن ومكة وبين مكة وبغداد باستخدام الابل
والبغال ولم يكن البريد قبل ذلك بقطر من الأقطار.

سنة ١٦٧ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الثلاثاء ١٥ أغسطس ٧٨٣م.

* سار موسى الهادى ولى عهد الخلافة إلى طبرستان لإنخماد الثورة بعد مقتل قائده عمرو
بن العلاء.

فيه. ثم أخذه فأخرجه من اسكندريه إلى مصر
فقبض الله روحه في الطريق عقوبة له وضيقا بقدر
استحقاقه.

وكان هذا عمر بن عبد العزيز يصنع خيرا

(*) كان عمر بن عبد العزيز يصنع
خيرا أمام الناس ويفعل السو امام الله (*)، وأمر أن
لا يكون على أواسي البيعه والأساقفة خراج، وبدا

أن يجعل البيع بغير خراج والأساقفة، وأبطل
الجبايات وعمر المدن التي خربت وكانو النصارى

* سخط المهدي على ابن عمه ابراهيم بن صالح أمير مصر لتراخيه في حرب دحية
المرواني الثائر بالصعيد والداعي لنفسه فعزله وخلفه موسى بن مصعب.

* تولى عمارة المسجد الحرام يقطين بن موسى وكان من دعاة العباسيين قبل قيام دولتهم
فأدخل فيه كثيرا من الدور حوله.

* نكث الثائر الحسين الأنصاري الصالح وجاهر بالعدوان فبعث اليه عبد الرحمن الداخل
جيشا بقيادة غالب بن علقمة ثم سار عبد الرحمن بنفسه إلى سرقسطة واقتحمها وقبض على
الثائر وجماعته وأمر بهم فقتلوا جميعا.

* توفي في هذه السنة بشار بن برد أشعر المولدين وصاحب الديوان المتداول حتى اليوم،
ولد أعمى جاحظ العينين ورمى بالزندقة، مات عن ٧٢ عاماً.

* توفي شيخ الدولة العباسية عيسى بن موسى ابن عم الخليفة السفاح، وكان قد ولي عهد
الخليفة المنصورة ثم استنزله وجعله ولي عهد ابنه المهدي ثم استنزله المهدي فجعله ولي عهد
هرون الرشيد.

فى أمن وهذو والبىع. ثم من بعد ذلك بدأ أن
يفعل السو وكتب كتابا إلى مصر مملو غما وهو فى
مكتوب. عمر يأمر ويقول من أراد أن يقيم فى
حاله [عمله] وبلاده فليكن على دين محمد(*)
مثلى ومن لا يريد فليخرج من أعمالى. فسلمو له
النصارى ما بيديهم من التصرفات وتركلو على الله
وسلمو خدمتهم للمسلمين وصارو عبره لكثير،
ودخلت [تسلطت] اليد على النصارى من الولاة
والتصرفين والمسلمين فى كل مكان كبيرهم

(*) عمر بن العزيز يصدر أمرا بطرد
كل الكتاب والعاملين غير
المسلمين من الدواوين

سنة ١٦٨ هجرية

استهلت السنة بيوم السبت ٢٤ يوليو ٧٨٤م.

* نقض قسطنطين السادس الصلح الذى عقده مع الخليفة المهدي بعد ثلاثة أشهر فوجه
اليه المهدي أمير الجزيرة على بن سليمان على رأس جيش كبير فأوقع به الهزيمة وغنم
وسبى.

* ظهر بالأندلس أبو الأسود محمد بن يوسف الفهرى الذى كان قد اختفى منذ ربع قرن
وادعى العمى، وأعلن الثورة ثانية على عبد الرحمن الداخل الذى هزمه وطارده حتى قلعة
رباح.

* أظلمت الدنيا فى الثالث من ذى الحجة حتى تعالى النهار وأمطرت السماء مطراً أحمر
ووقع إثر ذلك وباء شديد هلك فيه معظم أهل بغداد والبصرة.

* ولد فى هذه السنة الشاعر المصرى أبو عبد الله حسين بن الجمل ممن اتصلت سيرته
بالخليفة المأمون بعد ذلك.

* فى التاسع من شوال - ٢٥ ابريل ٧٨٤م قتل والى مصر موسى ابن مصعب فولى
المهدي مكانه اسامه بن عمر.

* توفى بمدينة تاهرت الامام الإباضى عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية

وصغيرهم غنيهم وفقيرهم. وأمر وقال أن تؤخذ الجزية(*) من سائر الناس الذين لا يسلمون، ولم تجر عاداتهم بالقيام بها. فلم يمهل الله لكن أهلكه سرعه، ولم يمكنه بالملك لأنه كان يشبه الدجال.

(*) عمر ابن عبد العزيز يفرض الجزية على كل من كان معفياً منها

ثم تولى بعده يزيد، وما نحسن أن نشرح ما جرى في أيامه ولا نذكره من السوء والبلايا، لأنه [لأنه] سلك في طريق الشيطان وحاد عن طرق الله. وأول ما أخذ المملكة أعاد الخراج الذي كان

بشمال إفريقية وفيها توفي بسجلماسة مقدم الخوارج الصفرية، وعيسى بن زيد الطالبي وكان قد اختفى بعد ثورة محمد النفس الزكية. وفيها توفي الحسن الهمداني من زعماء الفرقة البترية من الزيدية.

سنة ١٦٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الخميس ١٤ يوليو ٧٨٥ م.

* شهدت هذه السنة وفاة الخليفة المهدي، وقع عن دابته في الصيد في ماسبذان فلقى مصرعه، توفي عن ثلاث وأربعين وأقام في الخلافة نيماً وعشر سنين، وكان قد تولاهما بعهد من أبيه المنصور.

* بوبع موسى الهادي في اليوم الذي مات فيه أبوه المهدي (٢٢ المحرم) وكان حين وفاة أبيه بجرجان في حرب أهل طبرستان.

* استشهد الحسين الطالبي المعروف بصاحب فخ وحفيد الحسن المثلث وكان قد ثار على خليفة بغداد ودعا لنفسه واستولى على المدينة فلقية جيش الهادي عند فخ وقتل، كما استشهد فيها سليمان بن عبد الله جد السلمانيين أصحاب تلمسان.

* توفي في هذه السنة الوزير العباسي الربيع بن يونس عن ٥٨ عاماً، استوزره المنصور واليه

عمر بن عبدالعزيز قد رفعه عن البيع والأساقفه
سنه واحده، وحمل على الناس ثقلا عظيما حتى
ضاق كل من فى بلاده. ولم يكتف بهذا فقط حتى
أمر بكسر الصليبان فى كل مكان وكشط الصور
التى فى البيع لأنه كان قد أمر بذلك، لكن السيد
المسيح أهلكه لأجل ذلك، وأخذ نفسه بعد أن ناله
قبل موته بلايا كثيرة. وكان مدة مقامه فى الملك
سنتين وأربعة شهور. وولى بعده هشام (*) أخوه،
كان رجلا خائفا من الله على طريق الاسلام، وكان

(*) وفاة عمر بن عبدالعزيز وتولى
أخوه هشام بدلا عنه.

تسبب قطيعة الربيع ببغداد، وفيها قتل دحية بن مصعب الأموى حفيد عبد العزيز بن مروان
بصعيد مصر بعد أن فشلت ثورته.

سنة ١٢٠ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الاثنين ٣ يوليو ٧٨٦م.

* فى نحو النصف من شهر ربيع الأول توفي الخليفة موسى الهادى عن ست وعشرين
سنة ولم تدم خلافته سوى عام واحد، وقيل توفي خنقا لأنه حول ولاية عهده عن أخيه الرشيد
وله من الأبناء تسعة مبعة ذكور وابتنان كلهم من أمهات الأبناء.

* ببيع هرون الرشيد بالخلافة فى الليلة نفسها التى توفي فيها أخوه الهادى وله من العمر
خمس وعشرون سنة.

* قلد الرشيد على أثر توليته الخلافة وزارته يحيى بن خالد البرمكى وترك له أمر الرعية
يحكم فيها بما يرى وكان يحيى بدوره يصدر عن رأى الخيزران أم الرشيد.

* تولى محمد بن سليمان أمرة مصر.

* ولد فى هذه السنة ابنا الخليفة الرشيد، ولد أولا عبد الله المأمون فى النصف من ربيع

محبا لسائر الناس ويخلص الارتدكسيين . فلما علم
أن ليس لنا بطرك نحن النصارى بالمشرق من بعد
يوليانوس الماضى بطرك انطاكية الذى جلس ايليا
الأسقف عوضه، وتوفى ايليا أيضا، فأخذ انسانا
اسمه اتناسيوس مملو بكل نعمه روحانيه وكان أيضا
اسقفا فاعطاه بطركيه انطاكيه، ووضعوا الأساقفه
أيديهم عليه نيابة وصيروه بطركا. وكتب هذا
اتناسيوس سنوديقا بعلوم وتواضع عظيم إلى الأب
البطرك المغبوط الاكسندروس ليعلمه بجلوسه،

الأول أمه أم ولد هي مراجل البادغسية، ثم ولد ابنه محمد الأمين فى شوال من العام أمه زبيدة
بنت الخليفة أبى جعفر المنصور.

* توفى فى هذه السنة بالبصرة الخليل بن أحمد العلامة اللغوى المتفن عن سبعين سنة وهو
واضع علم العروض ومبتكر النقط والشكل فى الكتابة، ومؤلف كتاب العين أقدم معاجم اللغة
العربية.

* ومن توفوا من رجال العلم والأدب: الزيدى الحسن بن حى من زعماء الفرقة البترية.

سنة ١٧١ هجرية

استهلّت السنة بيوم الجمعة ٢٢ يونية ٧٨٧م.

* أظهر على بن سليمان العباسى أمير مصر طمعه فى الخلافة بعد أن أعلن مسلموا مصر
تأييدهم له فاسخط عليه الرشيد فعاجل بعزله واخلفه بموسى بن عيسى المرة الأولى.
* أمر الرشيد بإخراج الطالبين من بغداد وإرسالهم إلى المدينة فيما خلا العباس بن عبد
الله حفيد الامام على.

* اجتمعت ليحى البرمكى الوزارتان بعد أن دفع إليه الرشيد خاتم الخلافة.

* ثار بالجزيرة الصحصح الخارجى وغلب عليها، فعزل الرشيد واليها أبا هريرة ابن فروخ
وقضى على الفتنة قائده حرب بن قيس.

يقول: أننى غير مستحق لهذه الرتبة منجل [من
أجل] ذنوبى وليس هذا باختيارى فعلت ذلك لكن
الملك لأنه كان عارف به [يعرفه] قبل هذا الزمان.
فقبلها الاكسندروس بفرح، ثم كتب إليه جوابها
باتحاد الامانة والصلح والسلامه، ثم كتب: نبارك
على الملك هشام ونسأل أن تثبت مملكته سنينا
كثيره ويظفر باعدايه [باعدائه] ليفعل الاستقامة
امام الرب. وشيع الرسل بسلام.

* أذن موسى بن عيسى أمير مصر الذى تولى فى ربيع الثانى من السنة خلفاً لمحمد بن
سليمان (وذلك بمشورة الامام الليث) للنصارى فى بناء الكنائس التى هدمت لأنها بنيت فى
الاسلام فى زمان الصحابة والتابعين.
* قام الدنمركيون بغزو انجلترا.

سنة ١٧٢ هجرية

وافق هلال السنة يوم الأربعاء ١١ يونية ٧٨٨م.

* توفى بقرطبة عن ثمان وخمسين سنة (٢٤ جمادى الآخرة على الأرجح) عبد الرحمن
الداخل المعروف بصقر قریش ومؤسس الدولة الأموية بالأندلس وكان قد دخلها قبل أربع
وثلاثين سنة لم ينقطع خلالها عن قتال الثائرين عليه حتى أمن عرشه.
* ولى الرشيد أخاه عبيد الله إمرة أرمينية بعد عزل يزيد بن يزيد الشيبانى، وفيها تولى
إمارة مصر مسلمة بن يحيى بن قره خلفاً لموسى بن عيسى (رمضان).
* تحالف أخوا هشام الأول أمير الأندلس الجديد وهما سليمان بن عبد الرحمن وعبد الله
البلنسى (وكلاهما أكبر من هشام) على الثورة والعصيان. كما ثار بسرقسطة فى شمال
البلاد مطروح الكلبى.

ثم ان هشاما كتب إلى مصر يامر بان تدفع
لكلمن يزن الخراج براءه باسمة حتى لا يظلم
احد ولا يكون في مملكته ظلم. فاعطاه الله مملكه
جيده فأقام اثنين وعشرين سنة ملكا ولم تقم عليه
حرب، لكن كل ثائر يثور عليه قد اسلمه الله في
يديه بصلوات البطركين الجليلين الاكسندروس
باسكندريه واتناسيوس بانطاكيه.

وكانت البيعه الارتدكسيه بدمشق ملاصقه

* توفي الفضل بن صالح ابن عم الخليفة من أمراء مصر في عهد الهادي وهو الذي عمر
أبواب جامع دمشق وقبة الصحن،.

سنة ١٧٣ هجرية

استهلّت السنة بيوم الأحد ٣١ مايو ٧٨٩م.

* عزل الرشيد عن إمارة خراسان جعفر بن الأشعب وولي مكانه ابنه العباس ابن جعفر، كما
عزل عن إمارة مصر مسلمة بن يحيى بعد أحد عشر شهراً بسبب توالي الفتن وخلفه محمد
بن زهير الأزدي الذي عزل بدوره في شهر ذي الحجة لأنه توانى عن نصرة عامل الخراج وتولى
محله داود بن يزيد ابن حاتم.

* فشلت ثورة الأخوين سليمان وعبد الله على أخيهما هشام الأول وألتمس عبد الله
الصفح من هشام فعفا عنه واستقر بقرطبة ، أما سليمان فاضطر للفرار إلى الجبال .

* ممن ولد وفي هذا التاريخ الوزير الأديب أبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات وكان أبوه
زياتا ببغداد، استورزه بعد ذلك ثلاثة من الخلفاء أولهم المعتصم، وفيها ولد الأغلب الثاني بن
إبراهيم خامس أمراء الأغالبة في تونس، وشيخ خراسان أبو عبد الله الدهلي بنيسابور

* توفيت في هذه السنة (٢٧ جمادى الآخرة) الخيزران زوجة المهدي وأم ولديه الهادي
والرشيد وكان دخلها ٦٦ مليون درهم تنفقه في الصدقات وأبواب البر، ومشى الرشيد في
جنازتها حافياً يخوض في طين المطر اخذا بقائمة تابوتها.

للقصر الذى هو ساكنه، ثم أنه أمر أن يبنى البطررك
بيته ملاصقا بـجلس الملك من كثرة حبه له حتى
يسمع صلاته وقراءته، لأنه كان يقول له دفعات
كثيرا: إذا بديت بالصلاة بالليل تنالنى راحة عظيمة
ويزول عني الهم بأمر المملكة ثم يأتينى النوم
براحه. وكان يحبه كثيرا لأجل ذلك ويعطى
كرامات كثيرا للبيع والنصارى. وكان عنده رجل
مسلم يحب البيع الارتد كسيه جدا اسمه عبيد(*)
الله فلما نظره الملك هشام يفعل ذلك فرح جدا

(*) هو عبيد الله بن الحبحاب ولاء
الخليفة هشام بن عبد الملك خراج
مصر (٧٢٣ - ٧٣٤ م).

* ممن توفوا فى هذا التاريخ الشاعر السيد الحميرى (إسماعيل بن محمد) عن ٦٨ عاماً
وهو الذى اشتهر بافراطه فى التشيع لبنى هاشم وهجاء غيرهم، وفيها توفيت غادر جارية
الهادى وزوجته تزوجها الرشيد بعد موته ولكنها لم تلبث شهراً حتى توفيت، وفيها توفى
بالبصرة الأمير محمد بن سليمان بعد عام من زواجه من العباسة أخت الرشيد وخلف تركة
عظيمة من المال والمتاع والدواب آلت إلى الخليفة.

سنة ١٧٤ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الخميس ٢٠ مايو ٧٩٠م.

* عقد الرشيد لابنه محمد من زوجته زبيدة لولاية العهد ولقبه بالأمين وعمره فى هذا
التاريخ خمس سنين وهو أصغر سناً بشهور عن أخيه المأمون، وكتب الخليفة بذلك لولاة الأقاليم
فأخذوا البيعة للأمين.

* انتهت ثورة الأخوين سليمان وعبد الله على أخيهما هشام الأول أمير الأندلس بأعلان
استسلامهما فإرضاهما بمال واشترط عليهما أن يسكن المغرب فسارا إليه.

* تولى إمارة مصر (١٤ المحرم) داود بن يزيد فكان أول ما فعله أخراج الجند المشاغبيين إلى
بلاد المغرب، وفيها تولى إمارة السند اسحق بن سليمان، وفيها استقضى الرشيد يوسف بن
القاضى أبى يوسف وذلك فى حياة أبيه.

وولاه [خراج] مصر وأوصاه ان يفعل الخير مع بنى المعمودية، فلما وصل إلى مصر أمر بان تحصي الناس والبهايم، وان تقاس الأراضى والكروم بحبال القياس. ففعل ذلك، وأن يجعل طابع [طوق] رصاص فى حلق كل الناس من ابن عشرين سنة إلى من عمره مائة سنة، واحصاهم وكتبهم جميعهم ودوابهم من الصغير إلى الكبير، والأراضى (الوكس) الخرس [البورا] التى هى صعبه التى تبت حلفا وشوكا. وبنى أميالا [علامات حجرية] فى

* ممن توفوا فى هذه السنة، قاضى الديار المصرية عبد الله بن لهيعة عن ٧٩ عاماً.

سنة ١٧٥ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الثلاثاء ١٠ مايو ٧٩١ م.

* هاجت العصبية بالشام بين المضربة واليمانية وراح ضحيتها كثيرون وكان على الشام ولى عهد المأمون عيسى بن موسى فعزله الرشيد واستعمل على الشام موسى ابن يحيى البرمكى ، وتولى عيسى المعزول إمارة مصر للمرة الثانية.

* أخرج الرشيد وزير أبيه يعقوب بن داود من سجنه بعد أن حبسه المهدي قبل خمس سنين فسار إلى مكة مجاوراً.

* فى الأندلس توالى الثورات على هشام الأول فتصدى لها فاستعاد هشام طرطوشة من سعيد الانصارى واستعاد قائده برشلونة ثم سرقسطة من مطروح ابن سليمان الذى اغتاله أهلها، وبعدها انطلق قائده عبد الله بن عثمان إلى قشتالة وجليقية من الامارات النصرانية فهزم الجلالقة وحلفاءهم البشكنس، وتلتها حملة أخرى أوقعت الهزيمة بملك الجلالقة المسمى برمودو.

* توفى فى هذه السنة إمام أهل مصر الليث بن سعد عن ٨١ عاماً، وهو مصرى المولد

وسط الغيطان على الحدود والطرق في جميع
أرض مصر. وأضعف [ضاعف] الخراج. فلما تم
جميع ما ذكرناه [أقام] ظلما كثيرا لم تذكره. ولما
وصل الفسطاط مضى إلى مدينة منف (*) وأقام بها
أربعة شهور، وأمر أن يجتمع إليه مقدمو المواضع
إلى منف، وجعل علامة الأسد على أيدي
النصارى، كقول الكتاب الذي قاله يوحنا ابن
الرعد إذ يقول: لا يبيع أحد ولا يشتري إلا من كان
على يده علامة الأسد. فلما تم ذلك كتب إلى

(*) كان محل القاهرة الحالية تقريبا
مدينة منف (الشرقية) لأن منف
الغربية كانت مدينة الموتى. وكان
هذا المكان يعرف كذلك باسم
كاهي رع = قاهرا = القاهرة فيما
بعد في الفترة الفاطمية.

والنشأة وكان أمراء مصر لا يقطعون أمرا إلا بمشورته، ضريحه مزار معروف بالقرب من
الشافعي بالقرافة.

سنة ١٧٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٢٨ أبريل ٧٩٢ م.

* عقد الخليفة الرشيد لابنه عبد الله بولاية العهد بعد أخيه محمد الأمين ولقبه بالمأمون
وكتب بذلك عهدا علق في جوف الكعبة.

* تاهب هشام الأول أمير الأندلس لإستئناف الجهاد ضد الأفرنج فعبر قائده عبد الملك بن
عبد الواحد جبال البرانس إلى فرنسا بعد الاستيلاء على جيرونة فاستولى على أربونة وجرت
عند نهر أوربيننا معركة بينه وبين جيش شرلمان إرتد بعدها مثقلا بالغنائم والأسرى.

* إستمرت الفتنة في الشام بين المضرية واليمانية وكان على المضرية أبو الهيثم حتى فصل
بينهما الفضل البرمكي.

* خرج ببلاد الديلم يحيى العلوي والتفت حوله الشيعة من الأقطار المجاورة فندب الرشيد
لجربه الفضل البرمكي على رأس خمسين ألفا حتى طلب الصلح فأمنه الرشيد ثم حبسه إلى
أن مات.

بلاد مصر يقول: هكذا كلمن يوجد في ساير
المواضع فليس على يده الرسم تقطع يده: ويخسر
خساره عظيمه لأنهم لم يسمعوا أوامر الملك
وخالفوه. وكان له ولدان انفذ احدهما إلى القبله
[الوجه القبلى الصعيد] والآخر إلى بحرى. وكان
قلق عظيم واضطراب في كل كورة مصر.

ثم وصل إلى الجيزة وبنى له بها دارا عظيمه
وكتب إلى كور مصر بان تحشد له جماعه من

* تولى حكم مصر في هذه السنة أميران هما: ابراهيم بن صالح العباسى للمرة الثانية
الذى توفى فخلفه في شهر رمضان من السنة عبد الله بن المسيب وكان نائبه روح بن
زباع.

* ولد بمدينة طليطلة بالأندلس عبد الرحمن بن الحكم رابع أمراء الدولة الأموية بالأندلس
وكان أبوه ولياً للعهد ووالياً عليها من قبل أبيه هشام الأول.

* ممن توفى في هذه السنة أمير مصر عسامه المعافى، تولاها عدة مرات.

سنة ١٧٧ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الخميس ١٨ أبريل ٧٩٣ م.

* خلد هشام الأول أمير الأندلس انتصاراته في فرنسا ببناء جناح جديد في مسجد قرطبة
الجامع استخدم فيها أحجاراً جلبها معه من أنقاض سور مدينة أربونة الفرنسية وأرغم الاسرى
على حملها أو جرّها من أرض فرنسا.

* ولى الرشيد على إمارة إفريقية الفضل وهو ابن واليها السابق روح بن حاتم الذى خلفه
منذ وفاته حبيب بن نصر المهلبى وتلاه الفضل، الذى لم يلبث أن ثار عليه أهل تونس وعليهم
ابن الجارود فقتل الفضل ودخل ابن الجارود القيروان فخلفه هرثمة بن اعين.

الناس يشغلهم فيما يريد [سخره] وبني الفسطاط
حتى ان الناس هلكو من التعب من كثرة ما
اشغلهم.

فلما عظم التعب والقيام بالخراج الذى اضعفه
عليهم ثارت حرب على النصارى والمسلمين حتى
سفكت دما كثيرة بأرض مصر بين القبيلتين: أولها
فى مدينة بنا ومدينة صا ومدينة سمنود وما
يجاورهن ومواضع كثيرة فى أسفل الأرض [الوجه

* تولى إمارة خراسان الفضل البرمكى بعد عزل واليها حمزة الخزاعى ، وتولى إمارة مصر
اسحاق بن سليمان العباسى (أول رجب) خلفاً لابن المسيب الذى لم يدم أمره سوى عشرة
أشهر.

سنة ١٧٨ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الاثنين ٧ أبريل ٧٩٤ م.

* أثار البربر الفتنة فى إقليم رندة بشرق الأندلس وخلعوا طاعة هشام الأول فسير اليهم
حملة بقيادة عبد القادر بن أبان فاخمدوها وشتت شلمهم.

* وفى مصر ثار المصريين من أهل الخوف على الوالى اسحاق بن سليمان بسبب ما زاده
من ضرائب على المزارعين حتى كرهته الناس فعقد الرشيد لهرثمة فجاءها من الشام على رأس
جيش فأذعنّت البلاد له ولم يلبث الرشيد بعد شهرين أن وجهه إلى أفريقية للقضاء على الثورة
فيها اذ كان الرشيد يندب هرثمة للملمات وخلفه على مصر عبد الملك بن صالح العباسى
ولكنه لم يصلها.

* خرج الوليد بن طريف الشارى بالجزيرة وقتك بوالىها ابن خزيمة وقويت شوكته فدخلت
أرمينية وأذربيجان فى طاعته وكان أهل كل بلد يفتدون أنفسهم بالمال فسير اليه الرشيد بن
مزيد الشيبانى ابن أخى معن بن زائدة فجعل يخاتله ويحاوره.

البحرى، وكذلك كان فى الطرق والجبال والبحار. ومتى شرحنا ذلك طال شرحه.

ولما دخل الوالى إلى اسكندرية ليسم الناس قبض على البطرك ليسمه(*) فامتنع فلم يدعه الوالى، والتمس البطرك المضى إلى الملك فلم يجبه إلى ذلك، ثم بعد مدة انفذ البطرك إلى مصر مع جند يوصلونه إلى عبيد الله، فلما حضر بين يديه عرفه سبب حضوره فلم يتركه بغير رسم. فلما

(*) عبيد الله بن الحبحاب يأمر بوشم البطرك الاكسندروس.

* جدد هشام غزواته على بلاد الأفرنج فى شمال الأندلس فغزا ألبه قائده عبد الكريم بن مغيث وغزا بلاد الجلالة أخوه عبد الملك بن مغيث.

* توفى فى هذه السنة مقتولاً أمير إفريقية عبد الله بن يزيد المهلبى بعد عام من توليته على يد الثوار فخف هرثمة بن أعين للقضاء على الفتنة، وفيها توفى أمير مصر على بن سليمان الذى كان قد طمع فى الخلافة فى الصعيد .

سنة ١٧٩ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الجمعة ٢٧ مارس ٧٩٥ م.

* تولى هرثمة بن أعين ولاية إفريقية قدمها من مصر للقضاء على ثورة ابن الجارود (ربيع الأول) فتم له ما أراد لهية الناس له فبنى قصر القيروان الكبير وصور طرابلس الغرب.

* ولى الرشيد أخاه عبيد الله بن المهدي إمارة مصر للمرة الأولى، وفى هذه الأثناء هاجم شعب الأسكندرية أسطول من الأفرنج انتقاماً من غزوات الحكم ابن هشام أمير الأندلس فخرج إليها عبيد الله فانسحب الأفرنج منها.

* فى ٣ رمضان = ٢١ نوفمبر ٧٩٥ م صرف الرشيد أخاه عبيد الله عن ولاية مصر، وولى عوضه موسى بن عيسى العباسى وهى ثالث ولاية له على مصر.

نظر الأب البطرك الاكسندروس انه لا يخلى قال
لعبيد الله [ابن الحبحاب] الأمير: اميلك [اسألك]
أن تمهلنى تلتة أيام. فأجابه وامهله، فدخل البطرك
إلى مخدعه وسأل الرب ان لا يمكنه من رسمه بل
ينقله من هذا العالم سرعه، فلما نظر الله سريرة
عبده انها حسنة افتقده، فمرض فى اليوم الثالث
وكان المرض يتزايد كل يوم عليه فلما علم أن
السيد المسيح قد سمعه وقبل صلاته انفذ قوما
ثقات ورويسا من الارتدكسين أولاده إلى عبيد الله

* تعاظمت ثورة الوليد بن طريف الشارى الذى إرتد إلى الجزيرة وفيها هزمه يزيد الشيبانى
قائد الرشيد.

* إستبد بحكم عمان الامام الاباضى الوارث اخروصى وهو أول من تولاه من بنى
خروص ورد خلال ذلك محاولات الرشيد لا مترداد عمان إلى حكم العباسيين.

* توفى فى هذه السنة بالمدينة الامام مالك بن أنس امام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة من
أهل السنة وذلك عن مت وثمانين، ولد وعاش وحدث بالمدينة، له الموطأ، ومذهبه السائد فى
الشمال الافريقى إلى اليوم، وفيها توفى بالبصرة عن إحدى وثمانين سنة المحدث حماد بن زيد
شيخ العراق فى عصره خرج أحاديثه الأئمة الستة، وفيها مقتل الوليد بن طريف الشارى
الخارجى.

سنة ١٨٠ هجرية

استهلت السنة بيوم الأربعاء ١٦ مارس ٧٩٦م.

* تولى عرش الأندلس الحكم الأول خلفاً لأبيه هشام الأول وله من العمر ٢٦ سنة، أمه أم
ولد اسمها زخرف، وهو الثالث من أمراء الأمويين أصحاب الأندلس.

* توفى فى الثالث من صفر أمير الأندلس أبو الوليد هشام الأول ابن عبد الرحمن الداخل

يساله أن يطلقه ليمضى إلى كرسية قبل وفاته، فلم
يمكنه، فظن أن هذا منه محال [تخايل] وأنه غير
عليل. فلما مضت أربعة أيام قال الأب للأخوه:
هيو [هيؤا] المركب عند غروب الشمس لنمضى،
لأن فى غد يفتقدنى السيد يسوع المسيح. فمضوا
ولم يكن معه احد من الأساقفة غير أبا جمول
أسقف وسيم. فلما انحدر هارين وصلوا إلى
ترنوط عند الصبح ففى تلك الساعة تنيح الطوباني
الاكسندرس فى ذلك المكان، فلما علم عبيد الله

عن إحدى وأربعين سنة حكم منها ثمانى سنوات، وهو الذى استكمل بناء جامع قرطبة وبلغت
فتوحاته جنوب فرنسا.

* عزل الرشيد منصور بن يزيد عن إمارة خراسان واستعمل عليها على ابن عيسى بن
ماهان الذى وليها عشر سنين وفى خلال ولايته كان ظهور حمزة الخارجى.

* عاد الأميران سليمان بن عبد الرحمن وأخوه عبد الله البلنسى عما الخليفة الحكم إلى
الثورة وكانا قد رحلا إلى المغرب بعد هزيمتهما على يد أخيهما هشام الأول، وفى صيف
العام نفسه خرج القائد عبد الكريم بن مغيث غازياً إمارات الأفرنج فعاث فى بلاد البشكنس
والنافار.

* فى جمادى الآخر = اغسطس ٧٩٦م صرف الرشيد موسى بن عيسى عن ولاية مصر
وولاه لأخيه من أبيه عبيد الله بن المهدي ثانياً.

* توفى فى هذه السنة عالم اللغة وإمام النحاة سيبويه عن إثنتين وثلاثين عاماً فقط وهو
مؤلف الكتاب فى النحو الذى يعرف باسمه، تتلمذ على الخليل فى البصرة وناظر الكسائى فى
بغداد، وحول هذا التاريخ توفى الراوية الشاعر خلف الأحمر وهو معلم الأصمعى.

* ممن توفى فى هذه السنة قتيلاً بمرور عمرو العمركى من زعماء البابكية متهماً بالزندقة،
كما قتل عمروية يزيد فى حرب حمزة الخارجى وكان على هراة.

أنه قد هرب بغير أمر انفذ اميرا ليعيده ومن معه
فلما وصل إليهم وقبض عليهم ليردهم بغضب
فوجد الأب قد تنيح فتركه وقبض على أبا جمول
وسيره إلى عبيد الله فقال له: بالحقيقة أنك انت
أشرت عليه بالهروب ولا بد مما تقوم بالف دينار
لبيت مال الملك. وكان أبا جمول فقيرا يعجز عن
قوت يومه وهو عريان، وكان حلو المنظر حسن
السيره وكان يعظ من يخطي فيسمع منه وكذلك
يتبت كلمن هو عاجز في الأمانه الارتد كسيه،

* توفي في هذه السنة الفلكي الراصد ابن جندب الفزارى (محمد بن ابراهيم) صاحب
الزيج المسمى باسمه وأول من عمل في الاسلام أسطرلابا.

سنة ١٨١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٥ مارس ٧٩٧ م.

* غزا عبد الملك بن صالح أرض الروم حتى بلغ أنقرة، كذلك غزاها الرشيد بشخصه
وافتح حصن الصفصاف، وجرى بعد ذلك الفداء بين الروم والمسلمين بنواحي طرسوس وكان
مثل الرشيد ابنه القاسم وممثل الروم نقفور الوزير فكان أول فداء في أيام بني العباسى.

* لجأ عبد الله البلسى عم الحكم أمير الأندلس والشائر عليه وعلى أبيه من قبل إلى
الامبراطور شرلمان بمدينة آخن والتمس عونه فاستجاب له وتمكن ابنه لويس على رأس جيش
كبير من استعادة مدينة جيروندة والتوغل في شمال الأندلس ولكن خطته فشلت فعاد هؤلاء
الخوارج إلى الطاعة.

* صرف عبد الله المهدي أخو الخليفة عن إمارة مصر بعد ١٤ شهرا وخلفه إسماعيل بن
صالح.

* استعفى الرشيد عن إمارة أفريقية قائده هرثمة بن أعين فأعفاه وقلدها محمد بن مقاتل
ولكن الجند اختلفوا عليه ومعهم البربر وتكاثر الخارجون عليه وانهزم أمامهم حتى أنقذه

فحلف له أنه لا يقدر على دينار واحد ولا هو في ملكه، فلم يقبل منه وسلمه إلى شرطين، فلما أخذه ذاك المسلمان، اللذان لا نذكر اسماهما، سلماه إلى بربر متشبهين بالسباع في أفعالهم، فجذبوه وجرجروه في وسط مصر حتى جاؤ به إلى باب بيعة ماري جرجس وهم يسحبونه، وكان هناك جمع كثير مجتمعين ممن يبيع ويشترى، وكان خلق كثير يجرو خلفه في مصر. وطالبوه بألف دينار مع قلة ذات يده وبدو يعذبونه ذلك

إبراهيم الأغلبى أمير الزاب، كما استعفى الرشيد وزيره خالد البرمكى فأعفاه وأذن له في المجاورة بمكة.

* ثار بالأندلس على الحكم الأموى بهلول بن مروان صاحب سرقسطة كما ثار عليه صاحب وشقة.

* وافق هذا التاريخ وثوب الروم بالأمبراطور قسطنطين السادس وسلموا عينيه وسجنوه بإيعاز من أمه إيرين التى خلفته على عرش بيزنطة.

سنة ١٨٢ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الخميس ٢٢ فبراير ٧٩٨م.

* أخذ الرشيد وهو بالرقعة وللمرة الثانية البيعة لولده المأمون بعد الأمين وولاه المشرق كله وهو بعد في الثانية عشرة من العمر وضمه إلى جعفر البرمكى مديراً لأمره كما كان الفضل البرمكى مديراً لأمر الأمين.

* تحالف سليمان بن عبد الرحمن وأخوه عبد الله عما الحكم الأموى بعد هزيمتهما واجتمع معهما حشد من البربر للاغارة على قرطبة ولكنهم هزموا، (شوال) عند فنجيط.

* من ولد في هذه السنة: فقيه مصر في عصره محمد بن عبد الحكم رفيق الامام الشافعى

اليوم بغير رحمه، ونزعوا عنه ثوبه والبسوه مسح
شعر وعلقوه بذراعيه وهو عريان، وجميع الشعب
ينظرونه وهم يضربونه بأسياط من جلود البقر حتى
جرى دمه على الأرض، والجمع يشاهدونه وما حل
به من الشرطه. وأقاموا أسبوعا يعذبونه هكذا حتى
جمعوا له تلتماية دينار. ولما نزلوا قوم من أصحاب
عبيد الله يسائلونه ورويسا النصارى قايلون لهم: قد
قارب الموت وليس عليه ذنب في هذا الأمر على ما

وأخو المؤرخ ابن الحكم، وفيها ولد بالبصرة قاضى مصر بعد ذلك أبو بكره ولاء عليها الخليفة
المتوكل.

* شهدت هذه السنة (٥ ربيع) وفاة قاضى القضاة أبى يوسف (يعقوب بن ابراهيم) عن
تسع وستين وهو أول من نشر مذهب أبى حنيفة، تولى القضاء للمهدى والهادى والرشيد
وهو مؤلف كتاب الخراج وكتاب أدب القاضى والامالى فى الفقه.

* فى ١٤ جماد الثانى = ٣ أغسطس ٧٩٨م صرف الرشيد اسماعيل بن صالح عن مصر
وولاه اسماعيل بن عيسى العباسى. وفى الخامس من شوال = ٢٠ نوفمبر ٧٩٨م قدم إلى
مصر الليث بن فضل البيوردى، واليهما بدلاً من اسماعيل بن عيسى.

* ممن توفوا فى هذه السنة: إمام النحو يونس بن حبيب شيخ سيبويه والكسائى كان
أعجمى الأصل استوطن البصرة له كتاب النوادر وكتاب اللغات، توفى عن ثمان وثمانين.

سنة ١٨٣ هجرية

استهلت غرة المحرم بيوم الثلاثاء ١٢ فبراير ٧٩٩م.

* تولى إمارة مصر فى هذه السنة ثلاثة ولاء هم: اسماعيل بن صالح ثم اسماعيل بن
عيسى فقدمها فى جمادى الآخرة ثم الليث بن الفضل قدمها فى رمضان وهو الذى قضى

عرفنا. عند ذلك أفرجو عنه بعد شدة عظيمه لأنه
قارب الموت.

ولما تنيح الأب القديس بالحقيقه الاكسندروس
بشيخوخه حسنه صار حزن عظيم لحق النصارى
بسبب وفاته، لأنه اقام أربعاً وعشرين سنه ونصفاً
على الكرسي. وكان فى أيام حياته قوم قديسون
كثير فى كورة مصر فى البرارى والديارات يتعبون
أنفسهم متعبدين لله وتظهر منهم عجائب وايات.

وكان إنسان قس صياد فى كورة أسنا يعمل

على ثورة المصريين من أهل الخوف ودامت إمارته نحواً من خمس سنين وخرج إلى الخليفة
يحمل الغنائم والاسلاب فى الخامس من شوال = ١٠ نوفمبر ٧٩٩م وأستخلف على مصر
هاشم ابن عبدالله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج.

* غزا ملك الخزر إمارة أرمينية وعليها سعيد بن سلم فأوقعوا بالمسلمين وأهل الدمة فوجه
اليهم الرشيد خزيمة بن خازم ويزيد الشيباني فأخرجوا الخزر بعد سبعين يوماً.

* جرت محاولة ثالثة لسليمان وعبد الله عما الحكم الأموى للثورة عليه ولكنهما هزما
عند إستجة ففر سليمان الى ماردة ولكن قبض عليه وأعدم ومعه زعماء الفتنة وهرب عبد الله
واختفى

* تمرد أمير افريقية محمد بن مقاتل العكى فخرج عليه تمام التميمي فانهزم وتحصن
بالقيروان فخف لنجدته ابراهيم بن الأغلب الذى هزم تماماً ودخل القيروان وصلى بالناس
وحض على الطاعة.

* خرج بمدينة نسا أبو الخطيب النسائي فأنفذ اليه الرشيد أمير خراسان على ابن عيسى.

* عاود سليمان بن عبد الرحمن الأموى الثورة على ابن أخيه الحكم أمير الأندلس ولكنه
هزم للمرة الثانية عند إستجة وفر مع أصحابه إلى ماردة.

* توفى فى هذه السنة الامام موسى الكاظم عن خمس وخمسين وهو ابن الامام جعفر
الصادق وسابع الأئمة عند الشيعة ، كان قد احتمله الرشيد من المدينة وأسكنه البصرة ثم

بالشباك يتمم قانون الرهبنة وبعد زمان كثير مضى
وبنى ديرا فى الجبل وترهب عنده جماعه وكانو فى
حيزه وضيقه. فخرج خبر ذلك الشيخ فى الكوره
البرانيه وكان اسمه متيوس من أهل أسفنت،
فاظهر الله على يديه عجائب كثيرا فى الاعلا
[المرضى] والبرص والذين بهم الأرواح النجسة
اشفاهم، والموتى أقامهم باسم سيدنا المسيح.

وبعد أيام ظهر أمر عجيب أمامه. كان إنسان

بغداد التى مات بها مسجينا ، واليه تنسب خطة الكاظمية ببغداد والفرقة الواقفية من فرق
الشيعة.

سنة ١٨٤ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت الأول من فبراير عام ٨٠٠ م.

* تولى فى صفر من السنة ابراهيم بن الأغلب إمارة إفريقية مؤسسا بذلك دولة الأغالبة
بتونس خلفا لحمد بن مقاتل لكراهية أهل إفريقية له، وكان ابن الأغلب على ولاية الزاب
وقضى على الفتنة لبعث أهل تونس يطلبون ولايته فأقره الرشيد فكان أول ما فعل نزوله عن
المعونة التى كانت ترسلها مصر إلى إفريقية ومقدارها مائة ألف دينار فى السنة.

* حملت رؤوس الخوارج على الحكم الأموى إلى قرطبة وفى مقدمتهم عمه سليمان بن
عبد الرحمن بعد فراره الى ماردة وطيف بها للعظة وإقرار الأمن ، أما أخوه عبد الله البلنسى
عم الحكم ففر إلى بلنسية ثم اختفى مدة حتى طلب الأمان فأمنه الحكم.

* ولّى الرشيد حماد البربرى إمارة اليمن ومكة، وداود المهلبى إمارة السند، ويحيى الحرشى
بلاد الجبال (العراق العجمى) ، ومهرويه الرازى إمارة طبرستان.

* غزا أحمد بن هارون الصائفة ودخل أرض الروم فغنم وسلب.

* فيها كان شروع شارلمان فى إنشاء مملكة جرمانيا وتتوج امبراطورا فى رومه.

قبطى فى اسفنت وله ولدان وابنه واحده يحفظهم
فى بيته وكانوا أبكارا أطهارا خادمين لله فاضلهم
الشيطان التله بصنعة مرذولة وذلك أنه دخل فى
أكبرهم فقال له: إذا كان أبوك لا يزورك فامض
إلى اختك ثم معها فإنها تكفيك إلى زمان. وحسن
له ذلك ففعله، وكذلك حسن الآخر الصغير معها
أيضا ففعلا الاخوان باختهما ذلك الفعل القبيح
ولم يعلم الواحد بالآخر. وكانت [الأخت] لهذا
السرك تلك المخالفة فحبلت سرعه، وكانا أبواها

سنة ١٨٥ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الأربعاء ٢٠ يناير ٨٠١ م.

- * بدأ ابراهيم الأغلب أمير افريقية فى بناء مدينة العباسة بجوار القيروان.
- * ثار أهل طبرستان ووثبوا على أميرهم الجديد مهريه وقتلوه وكان قد ولاه الرشيد قبل شهور فخلفه ابن سعيد الحرشى، كما لم تنقطع القلاقل فى المشرق فعاث حمزة الخارجى بباذغيش من نواحى خراسان فأوقع بأصحابه عيسى بن على حتى بلغ كابل وقندهار، وعاد أبو الخصيب إلى الثورة.
- * تولى قضاء مصر عبد الرحمن بن عبد الله العمرى واستمر فى منصبه عشر سنين وهو أول من عمل صندوقا فى بيت المال جعل فيه أموال اليتامى ومال من لا وارث له.
- * استولى الأسبان على مدينة برشلونة منتهزين فرصة حروب الحكم الأموى مع الثائرين عليه وبخاصة عمه عبد الله البلنسى بعد مقتل عمه سليمان فى السنة السابقة.

سنة ١٨٦ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الاثنين ١٠ يناير ٨٠٢ م.

- * ولى الرشيد ابنه الأمين إمارة العراق والشام إلى آخر المغرب، وبايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد أخويه الأمين والمأمون ولقبه المؤتمن وضم إليه الجزيرة.

يحفظها لأجل الفضيحة ولم يعلم ما كان، فأقامت عدة شهور ولم تلد فحملها على دابه ومضيا بها إلى القديس متيوس، فلما قربوا من الجبل خرج الشيخ هاربا ينتف شعر لحيته حتى لقيهم تحت الجبل فعرفه أبواها خبرها واراذا أن يدفعها له هدايا لكي يصلى عليها لتلد، فتقدم لهم أن ينزلوها برفق من على الدابة فنزلت وهى باوجاع عظيمه، فقال لها عرفينى ما فعلت يا مردوله، فعرفته بما قد ذكرنا وأكثر منه. فرفع يديه

-
- * أجهز القائد على بن عيسى بن ماهان على ثورة أبى الخطيب.
 - * ظهر عبد الله البلنسى عم الحكم الأموى بالأندلس بعد هزيمته ومقتل أخيه سليمان وطلب العفو والأمان من ابن أخيه فأصدر الحكم له أمانا على أن يبقى فى بلنسية وتجرى عليه أرزاقه وزوج ابنة عبيد الله من إحدى أخوات الحكم فطويت بذلك ثورة إمتدت أعواما.
 - * فيها تجمهرت تظاهرات عدة من أهل مصر عند القضاة وعند مقر الوالى الليث بن الفضل لعدم سماعة تظلماتهم من المساحين الذين استخدموا فى القياس قسبة اقل من القسبة الحقيقية ليزيدوا من مساحة الحيازات و بالتالى زيادة جباياتها. وساروا إلى القسطة فهاجم عليهم الليث فى شعبان ومعه ٤٠٠٠ جندي واعمل فيهم القتل فتجمع اعداد كبيرة من المصريين فى ١٢ رمضان = ١٥ سبتمبر ٨٠٢م وهاجموا جنود الليث بالعصى وما طالته ايديهم ففروا منهزمين، فأعد لهم الليث اعداد اكبر من الجند وطاردهم فعادوا إلى بلادهم وأرضيهم، ولكن الليث لم يستطع جمع الخراج.
 - * ولد فى هذه السنة إمام اللغة والأدب ابن السكيت (يعقوب بن اسحق) ومؤلف كتاب إصلاح المنطق ومؤدب أبناء الخليفة المتوكل .
 - * ممن توفوا فى هذه السنة، شاعر الغزل والمجون سلم الخاسر مات ببغداد لقبه الخاسر لأنه باع مصحفها واشترى بثمنه طنبوراً، وفيها توفى فى قول المؤرخ عمر ابن مطرف وكان على ديوان المشرق له منازل العرب وحدودها ، وفيها مقتل التائر أبى الخصيب (وهيب النسائي) كان قد خرج واستولى على وطوس ونيسابور حتى غلب عليه على بن عيسى قائد الرشيد.

إلى السما وصلى ففتحت الأرض فيها [فمها]
وبلعتها. وحضر ذلك جماعه وشاهدوه وشهد لنا
من كان حاضرا وهو صادق امين من أولاد البيعه
ان ذلك المكان صار مثل يير مظلمه تنتهى إلى
العمق، وأقام ستة شهور والنار تطلع منه إلى الجو
وريقه نتن عظيم تصعد منه حتى لا يقدر أحد
يقربه وهو بعيد من الدير خمسا وعشرين غلوه.
وكذلك دير القديس أبا شنوده فى جبل «أدرينا»،
[انتم تعلمون أن كثيرا من القديسين تثبتوا فيه

سنة ١٨٧ هجرية

استهلت السنة بيوم الجمعة ٢٠ ديسمبر ٨٠٢ م.

* عاصر هذا التاريخ نكبة البرامكة التى أوقع فيها الرشيد برؤوس هذا البيت بعد أن كانوا عماد دولته ودولة أبيه وأخيه وكانوا أقرب مستشاريه اليه، وتعددت الأقوال فى سببها وجلها دوافع سياسية إبان حكم ملكية مطلقة، فأمر الرشيد بحبس يحيى بن خالد بالرقعة وقتل ابنه وزيره جعفر بن يحيى وله من العمر سبع وثلاثون وهو الذى كان يدعوه الرشيد اخى، بينما ألقى بأبناء يحيى الآخرين الفضل وموسى ومحمد فى السجن واستصفى أموالهم.

* غزا الصائفة القاسم بن الرشيد ودخل أرض الروم وعليها الامبراطورة إيرينى وهاجم حصونا لها فبعثت اليه ثلاثمائة وعشرين أسيرا من المسلمين على أن يرحل عنهم فأجابها ورحل عنها صلحا.

* فى المحرم سار الليث إلى اخليفة هارون الرشيد وطلب منه الجيوش لردع ثورات المصريين، ولكن الرشيد عزله عن ولاية مصر، وولاها لأحمد بن اسماعيل بن صالح.

* تجددت الفتنة بين المضرية واليمانية بالشام.

* فيها نقم الرشيد على عبد الملك بن صالح وهو فى منزلة أخى جده متهما إياه بالطمع فى الخلافة وشى به ابنه عبد الرحمن وخادمه قمامة مما أثار خوف الرشيد فأودعه السجن.

* استولى الأسبان على مدينة تطيلة ثم إستعادها عمرو بن يوسف.

وخاصة الطوباني الارثيمدريدس أبا سيث لأنه
كان إنسانا على طريق حسنه في حياته، وبعد
ذهابه إلى الرب نظرنا قبره بعينينا قد بنى عليه
بنعمه من كثرة العجايب والشفاء والبروءاء التي
تظهر من جسده المقدس إلى الآن ما لا يحصى من
كثرته لأنه تكون منه عجائب في كل يوم.

وفي بوية «وادی هيب» أيضا كانوا قوم قديسون
ينظرون رؤيا [رؤيا] وجليات [تجليات] وأطلعهم الله

* بويج بجامع مدينة ويلي بالمغرب إدريس بن إدريس ثاني ملوك الأدارسة وله من العمر
احدى عشرة سنة.

* توفي في هذه السنة وزير المهدي يعقوب بن داود انتكس أمره بسبب ميله العلوية فعزله
الهادي وحبسه في المطبق حتى أخرجه الرشيد فسار إلى مكة ومات

سنة ١٨٨ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم ٢٠ ديسمبر ٨٠٣ م.

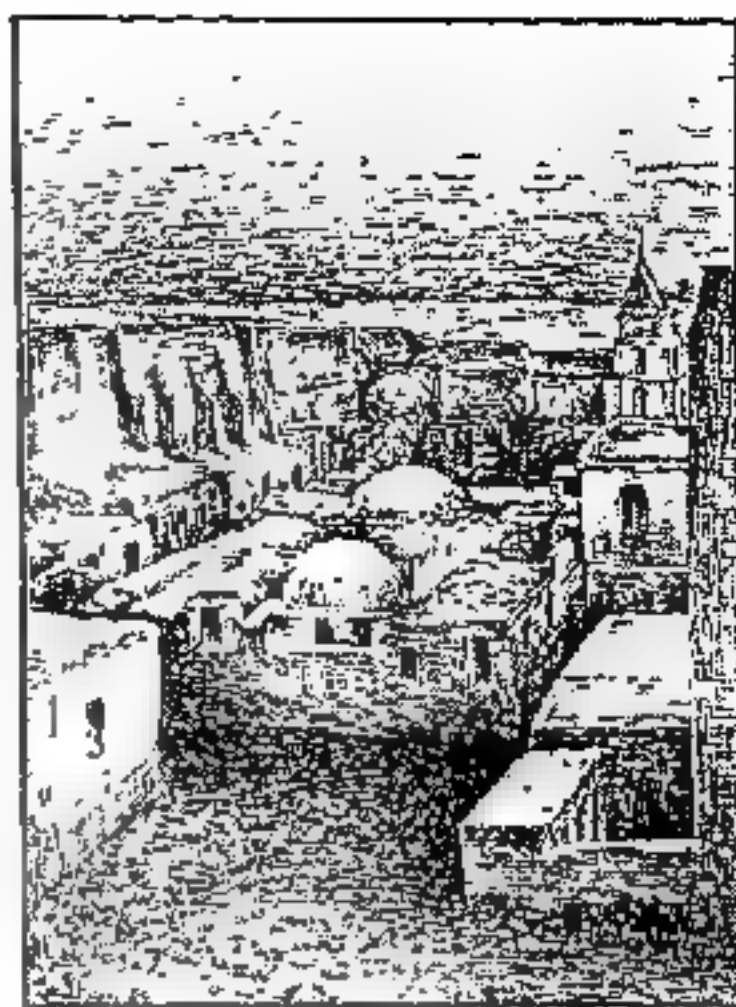
* حج الرشيد في هذه السنة وهي آخر حجة حجها.

* غزا الصائفة ابراهيم بن جبرائيل وأوغل في أرض الروم بالأنضول فخرج إليه إمبراطور
الروم الجديد نقفور (نكيفوروس الأول) الذي كان وزير الامبراطورة إيريني ثم خرج عليها وتولى
العرش.

* ولد في هذه السنة الشاعر أبو تمام (حبيب بن أوس) بإحدى قرى حوران السورية ومنها
استقدمه الخليفة المعتصم إلى بغداد وهو صاحب ديوان الحماسة المشهور المتداول.

* فيها ولد الصوفي الزاهد أبو يزيد البسطامي نسبة إلى موطنه بسطام من أرض فارس.

على ما فى العالم يشاهدونه كأنهم حاضرون فى جميعه، فمنهم من كان يظهر له السيد المسيح والحواريون المقدسون فيقيمونهم فى ضيقهم وعبادتهم، ومنهم من كانت الملائكة يظهرن لهم وكان منهم شيخ فى دير «ابى مقار» اسمه «يوانس» [يونس] من أهل «شبرا ميسنا» التى هى «ارواط» قبضوه البربر تلت دفعات وأسروه وجعلوه عبدا وضيقوا عليه وانزلوه به بلايا، فنظر الرب إلى



دير السريان بواى هيب

سنة ١٨٩ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الأحد ٨ ديسمبر ٨٠٤ م.

* دبرت فى قرطبة مؤامرة عرفت بثورة الفقهاء على حكم الحكم الأموى إذ اتهموه فوق المنابر بخروجه على أحكام الشريعة وانضم اليهم المعارضون له من أعيان قرطبة واكتشفت المؤامرة قبل تنفيذها فاحتواها الحكم وراح ضحيتها ٧٢ من الفقهاء وأعيان قرطبة منهم عماء مسلمة وأمية، وتجددت الثورة بعد شهور من العام نفسه فى ضاحية (أوربض) قرطبة فقضى عليها فمن ثم عرف الحكم بالحكم الربضى.

* سار الرشيد إلى الرى وبصحبه إبنه المأمون والقاسم واستخلف على بغداد ولى عهده الأمين بسبب شكوى أهل خراسان من أميرهم على بن عيسى بن ماهان واستخفافه بهم ثم لم يلبث أن عاد الرشيد إلى بغداد بعد أن رأى بنفسه خلاف ذلك، وفيها أعلن ملك الديلم الطاعة وأداء الخراج.

* فى شوال من السنة لما فشل أحمد بن اسماعيل والى مصر فى جمع الاموال، قدم إلى مصر الوالى الجديد أبو محمد عبد الله بن محمد العباسى المعروف بابن زينب.

* جرى فى هذه السنة الفداء بين المسلمين والروم فلم يبق بأرض بيزنطة مسلم إلا فودى.



دير الالبابشوى من لداعل
بودى هيب

صبره كل دفعه فاعاده إلى دير المقدس . بعد ذلك صار اغومنسا لأنه كان كاهنا وهذا كان قانونا بيرية «وادی هيب» أى قس انتهى إليه الطقس قدموه أغومنسا، فلم يتناول السراير المقدسة حتى نظر السيد المخلص فى المنام والسيدة العذرا وأسرار عظيمه ظهرت له، وكان معه قديسون من هذه البريه لا يجب إظهار أمرهم، وكان له تلميذ اسمه «ايمنخس» من «ارواط» واستحق طقس القمصيه بعده، وكان بقلبه مثله فى كل أفعاله وعليه نعمه

* شغب أهل طرابلس الغرب على أميرهم ابراهيم الأغلبى ثم استتب امره صلحاً قبل نهاية السنة.

* شهدت مدينة الرى فى السنة وفاة اثنين من الأعلام هما: إمام اللغة والنحو أبو الحسن الكسائى (على بن حمزة) عن سبعين سنة وكان مؤدب الرشيد ثم الأمين ومؤلف كتاب معانى القرآن، وفيها توفى الامام الشيبانى (محمد بن الحسن) عن ثمان وخمسين ناشر مذهب ابى حنيفة ومؤلف كتاب المبسوط فى الفقه.

* اغتيل بتونس راشد مولى إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة بالفريقية وهو الذى كان داعيته بين البربر ثم أصبح وصياً على ابنه ادريس بن إدريس .

سنة ١٩٠ هجرية

استهلّت السنة بيوم الخميس ٢٧ نوفمبر ٨٠٥ م.

* فتح الرشيد مدينة هرقله (شوال من العام) رداً على تهديد نقفور إمبراطور بيزنطة وكان فى مائة ألف فارس عدا المتطوعة فأخرب المدينة وسبى أهلها بعد حصار ثلاثين يوماً، فالتزم الامبراطور بدفع الخراج والجزية، وفيها افتتح شراحيل بن معن الشيبانى حصن الصقالبة بالمغرب.

عظيمة مثل «موسى» النبی فی زمانه، وكان یشفی
المرضى ویبرى كل عله، وصار عمره أكثر من مائة
سنة وحلت علیه نعمة الروح القدس، وأطلع على
أمرور جليله حتى صار یعلم الغیب من قبل أن
یسأله أحد، وكان له إخوان روحانیان أحدهما «أبا
جرجه» والأخر «أبا إبرهام» وكانا قدیسین بقلب
حسن وأفعال عظيمة، وشهدوا من أجلهما ثقات
أنهما سارا بسيرة الكبير «انطونيوس» وتمماها
وكان الشعب فی ذلك الزمان متعبدین لله باجتهد.

-
- * فی هذه السنة أسلم الفضل بن سهل على يد ولی العهد المأمون وكان الفضل
مجوسياً، وهو الذى تولى وزارة المأمون بعد تولیه الخلافة وتلقب بذى الریاستین.
 - * أعلن رافع بن الليث العصیان فی سمرقند وخلع طاعة الرشید ورافع هو حفيد نصر بن
سیار آخر الولاة الأمویین بالمشرق، كما نقض أهل قبرص العهد فغزاهم ابن یحیی فقتل وسبى.
 - * لما فشل أبو محمد عبدالله بن محمد العباسی فی زیادة جمع الاموال من المصریین
عزله هارون الرشید وتولى الحسین بن جمیل إمارة مصر فأقام بها عشرين شهراً ثم صرفه
الرشید.
 - * غزا معيوف بن یحیی جزيرة قبرص بعد أن نقضت العهد فعادت إلى الطاعة.
 - * ولد الأمير العباسی موسى ابن الأمين ولی العهد والملقب الناطق بالحق وهو الذى حول
الأمين ولاية العهد إليه بعد تولیه الخلافة بدلاً من أخیه المأمون مما كان سبباً فی الفتنة بین
الاخوين.
 - * توفي فی سجنه بالرقعة عن سبعین سنة یحیی بن خالد البرمکی وكان قد نكبه الرشید
عام ١٨٧ وأعدم ابنه جعفر وسجن أبناءه الآخرين.

سنة ١٩١ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الثلاثاء ١٧ نوفمبر ٨٠٦ م.

* جمع الرشید الصلاة واخراج للحسین بن جمیل أمير مصر فتشدد فی جباية اخراج مما

وكانا يشاهدان فى البيعة بنى المعمودية كأنهم
خراف بيض صغيرهم وكبيرهم، وإذا بواحد من
الشعب قد كسل ورجع عن حسن العبادة،
فشاهداه هذان الشيخان وقد عاد لونه أسود فى
وسط الأخوه وإذا ما سرحوا الكهنة الأخوه مضيا
إلى قلاية ذلك الأخ فقالا له: تب عن كسلك
ووعظاه وعزياه، فإذا كان بالغداة وحضر إلى البيعة
فينظرانه قد أبيض أكثر من جميع الأخوه، فمجدوا
الله على رأفته على جنس البشر

أثار المصريين من أهل الخوف وامتنعوا كما خرج بأيلة أبو الفداء وراح يقطع الطريق ولم يلبث
الحسين أن ظهر به، وأرسل له الخليفة هارون الرشيد جيش كبير من الترك والمرتقة بقيادة يحيى
بن معاذ أمير عسكر الخليفة لمحاربة المصريين وجمع الخراج فتم له ذلك بعد مذابح هائلة،
وأذعن أهل الخوف بالطاعة وأدوا الخراج زائداً.

* شهدت هذه السنة آخر الصوائف فى القرن الثانى ففيتها تولى حرب الصائفة قائد الرشيد
هرثمة بن أعين بعد أن هزم وقتل يزيد بن المخلد، وتولى مسرور الحادم شئون نفقات الجيش
فأوقع هزيمة بالروم وكانت هذه آخر الصوائف لسنوات عديدة.

* قضى الحكم الأموى أمير الأندلس على ثورة أهل طليطلة مستخدماً الحيلة على يد
عمروس بن يوسف وابنه عبد الرحمن كما قضى فى العام نفسه على ثورة ماردة التى تزعمها
أصبغ بن عبد الله فطلب الأمان فأمنه الحكم.

* عزل على بن عيسى بن ماهان عن إمارة خراسان وضمت إلى القائد المظفر هرثمة.

* نزل الرشيد بالركة وأمر بهدم الكنائس التى بالثغور.

* قتل غازياً ببلاد الروم يزيد بن مخلد المهلبى فانتقم له هرثمة، وفيها توفى غريقاً إمام
عمان الوارث الخروصى الذى رد قوات الرشيد إثنى عشر عاماً.

هكذا أن أردت أن أذكر أفعال القديسين فما
يسعني الزمان ولا تحصيلها الأقلام ولا تسعها
القراطيس، والمجد لله دائما أبدا أمين.

قسما [قرمان] البطرك

وهو من عدد الالبا[ء] الرابع والأربعون

[٧٣٠ / ٧٣١ م]

ثم لما تنيح الأب الاكسندروس قدمو عوضه
رجلا اسمه «قسما»، وكان راهبا قديسا من برية

* ممن توفوا من رجال العلم: فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم العتقى صاحب الامام
مالك عن تسع وخمسين.

سنة ١٩٢ هجرية

وافق هلال المحرم يوم السبت ٦ نوفمبر ٨٠٧ م.

* تفاقم امر رافع بن الليث في خراسان بعد أن وثب على عامل سمرقند وقتل عيسى ابن
أميرها علي بن علي بن ماهان فأنفذ إليه الرشيد هزيمة ثم سار الرشيد بنفسه في الخامس من
شعبان لقتال رافع.

* تحركت طائفة الحرمية بأذربيجان فوجه اليهم الرشيد عبد الله بن مالك فقضى على
الفتنة.

* انتهز الامبراطور شرلمان أحداث الأندلس الداخلية فأغزى ابنه لويس إقليم الشمال
وحاصر مدينة طرطوشة فأنفذ اليه الحكم أمير الأندلس ابنه عبد الرحمن على رأس جيش رد
الغزاة إلى بلادهم.

* فيها جرى الفداء الأخير بين الروم والمسلمين وكان عدد الأسرى من المسلمين ألفين
وخمسمائة أسير.

أبى مقار وكان من أهل «بنا» فاجلسوه بغير اختياره
فلم يدع السؤال للسيد المسيح ليلا ونهارا أن يقبله
إليه، فلما كان تمام خمسة عشر شهرا تنيح بمجد
وكرامه فى آخر يوم من يؤونه.

وكان بظاهر «مريوط» دير يعرف «بطمنورة»
وكان فيه راهب شيخ قديس روحانى وشاب آخر
راهب وكانا يعذبان أجسادهما بالحديد والسلاسل
وكان ريسهم اسمه «يحنس» أعطى نعمه ونبوه

-
- * أعاد هرثمة بن أعين بناء مدينة طرسوس بعد أن خربها الروم وبنى مسجدها وعمرها
بآلاف الأتراك جاء بهم من أهل خراسان والمصيصة وأنطاكية.
 - * فى أقصى المغرب بنى إدريس الثانى مدينة فاس وجعلها عاصمة لدولته.
 - * عزل هارون الرشيد الحسين بن جميل عن مصر وولى مكانه مالك بن دهم.
 - * توفى فى هذه السنة الفضل بن يحيى البرمكى فى حبس الرشيد عن خمس وأربعين سنة
بعد عامين من وفاة أبيه فى سجنه وهو الذى أرضعته الخيزران أم الرشيد كما أرضعت أم
الفضل الرشيد أياما.
 - * قتل باليمن الناصر الهيصم الهمدانى.

سنة ١٩٣ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٢٥ أكتوبر ٨٠٨م.

* شهدت هذه السنة وفاة الخليفة الرشيد وتولية الخليفة الأمين.

* دخل الرشيد جرجان فى طريقه إلى خراسان لقتال رافع بن الليث بالرغم من مرضه
وبرفقته ابنه صالح ووزيره الفضل والطبيب جبرئيل بن بختيشوع فاشتدت عليه العلة بالقرب

ورأى عجائب دفعات كثيرة، وكان له تلميذ
يخدمه اسمه تاودوروس [تادرس] وكان حاسدا
لأفعاله، وهو سالك في طريقه وأعماله كلها بمحبه
روحانيه، وكان قد زاد على كل من في الدير بأفعاله
وعلى الدياقنيه ومايدة [مائدة] الأخوه وعلى كل
أسباب الدير وخدمته طالبا الاتضاع في كل
حسن، وكان متبعا قول المسيح لتلاميذه: من أراد
أن يكون منكم كبيرا فيلكن لكم خادما. وكان
فعله هكذا إلى شيخوخته كما قال لنا من فيه

من طوس ولم يلبث أن توفي في الثالث من جمادى الآخرة فصلى عليه ابنه صالح ودفن
بمدينة طوس التي يقوم بها حتى اليوم ضريح باسم الهارونية، وتوفي الرشيد عن سبع وأربعين
سنة حكم منها أربعاً وعشرين.

* بويج محمد الأمين بالخلافة وكان قائم مقام أبيه ببغداد فلما وصل الخبر ببغداد بايعه
الخاصة والعامة وله من العمر ثلاث وعشرون، أما أخوه المأمون فكان بمدينة مرو عاصمة
خراسان.

* تولى إمارة مصر الحسن بن الصباح الذي شهد أول خلافة الأمين بعد أن عزل مالك
ابن دلهم، ثم تولاهما حاتم ابن القائد هرثمة بن أعين فقابلاه أهل الحوف الشرقي بالصياح
ومنعوه من دخول مصر فترة طويلة حتى تحايل متخفيا ودخلها.

* عاد جيش شرلمان بقيادة ابنه لويس لغزو شمال الأندلس وحصار طرطوشة للمرة الثانية
بعد عام واحد وانتهت الوقائع بانسحاب الأفرنج ثانية.

* صارت البندقية إمارة مستقلة.

* استمرت الحرب خلال هذه السنة بين هرثمة بن أعين والثائر رافع ابن الليث وحلفائه
الترك حول سمرقند.

المقدس عند استحقاقه البطركية. وكان يعلمنا
ويحثنا على التواضع فى كل حين، ولما كان فى
حياة الاكسندروس أبوه الروحانى قال له بنبوه: يا
ولدى تاودوروس آمن اننى لا أكذب. فقال له: نعم
يا أبى اننى ما سمعت باسم الكذب من فىك قط.
قال له الأب، وفى نسخة أخرى قال له الشيخ: يا
مؤمن بالله أن فى السنة التى يتنبح فيها
الاكسندروس أنا بمسكنتى اتنبح معه وانت تجلس

* عند وفاة الرشيد فى هذه السنة كان أمراء الولايات: وهب بن منبه على المدينة، وأحمد
بن اسماعيل على مكة، وجعفر بن المنصور على الكوفة، واسحق بن عيسى على البصرة،
وهرثمة على خراسان، ويحيى بن معاذ على دمشق، ثابت بن نصر على حلب، ومحمد بن
الفضل على الموصل، وداود ابن يزيد المهلبى على السند.

سنة ١٩٤ هجرية

استهلت السنة بيوم الاثنين ١٥ أكتوبر ٨٠٩م.

* بدأت بوادر النزاع بين الخليفة الأمين وأخيه وولى عهده المأمون عندما طلب الأمين من
أخيه أن يقدم ولده موسى على نفسه مخالفاً بذلك وصيه أيهما الرشيد وذلك بايعاذ من وزيره
الفضل بن الربيع، وفى ربيع الأول من السنة بايع الأمين لابنه ولقبه الناطق بالحق وأمر بالدعاء
له على المنابر واستدعى أخاه القاسم إلى بغداد وأمره بالمقام عنده واستعاد كتابى أبيه من
الكعبة ومزقهما، ورد المأمون على ذلك وهو بالرى بقطع البريد واسقاط إسم أخيه من
الخطبة.

* تولى وزارة الأمين الفضل بن الربيع وزير أبيه وولى الأمين على بن عيسى ابن ماهان إمارة
الجبال وفارس وقتال أخيه المأمون الذى اختار لقيادة جنده طاهر ابن الحسين.

على كرسى الأب الجليل «مارى مرقس» وليس بعد
الأب «الاكسندروس» لكن بعد الذى يأتى بعده.
فتم كلام الشيخ الارتدكسى الارشيمنطريدىس
وكان شعب اسكندرية الكهنة والاراحنة مهتمين
فى من يقدمونه عوضا من «أبا قسما» حتى اظهر
الرب فى قلوبهم ذكر الأب الراهب القديس
تاودوروس فمضوا إلى الدير وأخذوه واحضروا إلى
اسكندرية.

* نشبت الثورة بتونس وتزعّمها على إبراهيم الأغلبى عمران بن مجاهد وقريش ابن
التونسى ودخل عمران القيروان وبعد سلسلة من الهزائم أوقع بهما ابن الأغلب، وفى حمص
صار أهلها على أميرها اسحق بن سليمان فولى عليهم الأمين عبد الله ابن سعيد الحرشى.
* سار الحكم الأموى بالأندلس بنفسه لغزو إمارة جليقية الأسبانية وتوغل فيها فيما يلى
وادی الحجارة وأوقع الهزيمة بأصحابها فبذلك زجرهم عن الاغارة على الأندلس.

سنة ١٩٥ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الجمعة ٤ أكتوبر ٨١٠ م.

* نادى الخليفة الأمين بخلع المأمون من ولاية عهده فرد المأمون بأن تسمى بإمام المؤمنين
وهو بخراسان، وفى جمادى الآخرة خرج قائد الأمين على بن عيسى لقتال المأمون ومعه قيد
من فضة ليقيده به المأمون.

* انتهز الأمويون بالشام الخلاف بين الأمين والمأمون فخرج على السفينانى حفيد يزيد بن
معاوية واستولى على دمشق وهو بعد شيخ فى التسعين من العمر.

* تولى إمارة مصر من قبل الأمين جابر بن الأشعث ولم تدم ولايته سوى عام، وأخرجه
المصريون وذلك بعد عزل حاتم بن هرثمة.

تاودوروس البطرك

وهو من العدد الخامس والأربعون

[٧٣١/٧٤٣م]

واجتمع جماعه من الأساقفه القديسين واوسمو
 الأب القديس تاودوروس بطركا بأمر السيد المسيح.
 وكانت أمور الأبسقوبيه والبيعه الارتدكسيه تاميه
 مستقيمه كل يوم من أيامه حتى عادت إلى ما
 كانت عليه أولا وأكثر، إلى أن صارت كأنها لم

* وقع أول لقاء بين جيش الأمين وعليه ابن ماهان وظاهر بن الحسين قائد المأمون بالقرب
 من الرى وفيه هزم ابن ماهان وقتل وطيف برأسه فى خراسان فعظمت بذلك دعوة المأمون
 ولقب المأمون طاهراً بذى اليمينين.

* أنهت ثورة رافع بن الليث الذى كان قد خرج فى طلبه الرشيد بعد أن استولى على
 سمرقند وقتل فى حصارها على يد هرثمة بن أعين.

* انهذ الأمين جيشاً ثانياً بقيادة عبد الرحمن بن جبلة الانبارى ولكنه فشل فى قتال طاهر
 ولقى حتفه عند أسد أباد، فانفذ الأمين جيشاً ثالثاً بقيادة أحمد ابن مزيد الذى لم يلبث أن ارتد
 عن حلوان، وفيها انتقلت قيادة جيش المأمون إلى هرثمة وانتقل طاهر إلى الاهواز بجنوب
 العراق.

* غزا الأمير عبد الله البلنسى عم الحكم الأموى بالأندلس أرض قطلونية الأسبانية وهاجم
 برشلونة وانتهت هذه الوقائع بعقد الصلح بين الحكم وشرلمان.

* حصلت معاهدة صلح بين فرنسا والدانيمرك بعد أن استمرت الحروب بينهما فترة
 طويلة.

تنهب اولاً، وكان رجلاً صالحاً وديعاً محباً لكل
أحد حسن الصورة مثل ملاك الله، لم يكن في
زمانه شئ من الشرور.

وكان عبيد الله الملك بمصر ينزل عذاباً وبلايا
ونخسارات على أهل مصر، وأضاف على كل دينار
من الخراج ثمن دينار. وكان يحدث أموراً على
الناس حتى أن الدينار قل وعز.

ولما تمادى على ذلك لم يصبر الله عليه لكن
أثار عليه قوماً من مقدمي المسلمين مضوا إلى هشام

سنة ١٩٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ٢٣ سبتمبر ٨١١ م

* تعاقبت الجيوش لحرب هرثمة قائد المأمون ولكنها فشلت، بينما تقدم قائده طاهر بن
الحسين إلى جنوب العراق واستولى على واسط والمدائن.

* عقد المأمون لوزيره الفضل بن سهل على المشرق كله وخطب فيها للمأمون بأمير
المؤمنين.

* تقلبت حال الأمين في بغداد فأنقلب قائده الحسين بن علي بن عيسى ابن ماهان عليه
ونادى بخلع الأمين ونابح أهل بغداد للمأمون ثم أعيدت البيعة للأمين، بينما تمت البيعة
للمأمون بمكة على يد داود بن موسى.

* تولى إمارة مصر من قبل المأمون عباد بن محمد من نواب هرثمة خلفاً لجابر ابن
الأشعث الذي توفي في سنته فعمل عياد على جمع الكلمة للمأمون.

* توفي في هذه السنة إبراهيم بن الأغلب ثاني الأغالبة أصحاب تونس عن ست وخمسين
وكان في أول أمره عاملاً على الزاب وهو باني مدينة العباسية بجوار القيروان.

* ممن توفي في هذه السنة: الأمير العباسي عبد الملك بن صالح ابن عم الخليفة المنصور
وأمير مصر والمدينة والشام فترة وقائد الصوائف كان قد حبسه الرشيد متهماً بإياه بطلب

الملك وعرفوه الشرور التي يفعلها وما أحدثه من
البلا في مصر، فامتلا عليه غيظا وكتب للوقت
يعزله وانفذ أميرا وجماعة معه بغضب عظيم وأمر
أن ينفي وولده الأصغر إسماعيل معه إلى بلاد
البربر من أعمال أفريقية، وينفي منها إلى مغرب
الشمس ويعذب لأنه ما يفعل ما أمره به، ففعل به
ذلك سرعه. وجعل ولده الأكبر القاسم بمصر واليا
وولاه أمورها عوضا من أبيه، ونفى المذكور إلى
[بلاد] البربر. ولما أقام هناك يسيرا ملك على البربر

اخلافة وتوفي بمصر عن سبع وثمانين القارئ عثمان بن سعيد الذي اشتهر بلقبه ورش
وعرفت به مدرسة في علم القراءات.

* وافقت هذه السنة مقتل الامبراطور البيزنطي نقفور (نيكيفوروس الأول) وتولية ابنه
استبراق (استوراكوس) الذي حكم شهرين وخلفه ميشيل الأول (ميخايل)

سنة ١٩٧ هجرية

استهل المحرم بيوم الأحد ١٢ سبتمبر ٨١٢م.

* في صفر من السنة حمل عباد البلخي أمير مصر من قبل المأمون إلى بغداد بعد هزيمته
على يد أهل الخوف فأمر الأمين به فقتل.

* إمتد القتال بين المأمون والأمين إلى بغداد والأمين مازال بها، حاصرتها قوات هرثمة بن
اعين قادمة من الشرق بعد مقتل عبد الرحمن بن جبلة وانسحاب الحسين بن علي بن عيسى،
وقوات طاهر بن الحسين قادمة من الجنوب بعد الاستيلاء على واسط ثم وافقت قوات زهير بن
المسيب ونصبوا المجانيق وحفروا الخنادق واشعلوا النار في الأطراف وضعف أمر الأمين حتى
استخدم أهل السجون والغوغاء، وانتقل القتال إلى قلب المدينة وأخذ أمر الأمين في الأدبار
بالرغم من الأموال التي كان يفرقها على العسكر.

بأفريقيه، وكان ولده إسماعيل هناك إلى أن ينفي
إلى حيث أمر الملك، وكتب إلى هشام يستعطفه
ويتوب إليه مما كان منه ويسيله [يسأله] أن يوليه
تلك البلاد، فولى [فولاه] على البربر بأفريقيه
وكانت أفعاله أيضا رديه، فأخذ بنات الناس الملاح
وبنات المقدمين والأمرا فانفذهن إلى هشام الملك
سرارى ويكتب إليه انهن جوار اشتراهن له سرارى،
وكذلك التعاج إذا قربت ولادتها يشق بطونها
ويخرج منها الخراف بعد أن يصوفون فيأخذ

* طلب الأمين الأمان لنفسه من هرثمة إلا أن طاهر بن الحسين أصر على أن يكون خروج
الأمين إليه.

* لحق قاسم المؤتمن بأخيه المأمون بخراسان فولاه جرجان كما سار إليه منصور ابن الخليفة
المهدى.

* تولى إمارة مصر المطلب بن عبد الله.

* وقيل توفي في هذه السنة (لا في السابقة) المقرئ عثمان بن سعيد الملقب ورشا.

سنة ١٩٨ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الخميس الأول من ديسمبر ٨١٣م.

* شهدت هذه السنة مصرع الخليفة الأمين العباسي في ٢٥ من المحرم، حين خرج إلى
هرثمة في جرافة على دجلة فأغرقها طاهر بن الحسين وأخذ الخليفة وقتل بأمر طاهر فكانت
مدة خلافته أربع سنوات إلا شهورا وله من العمر ثمان وعشرون سنة ليس إلا بينما أخوه
المأمون أسن منه بشهر واحد.

* دخل طاهر بن الحسين قائد المأمون مدينة بغداد بعد مقتل الأمين وأمن أهلها وصلى
الجمعة بالناس وخطبهم وحثهم على طاعة المأمون، ولكن في اليوم الخامس وثب الجند به

جلودهم يعمل منها فرأى وينفذها إلى هشام
ويقول له انه ابتاعها له، حتى افنى نعاجا كثيرا من
تلك البلاد. فتشاورو عليه البربر أن يقتلوه ولده
إسماعيل وأهل بيته، فأخذوه ونسأه وأولاده
وسراريه وكلما ينطوى إليه وقتلوهم جميعهم
قدامه وهو ينظرهم، ويشقون بطون النساء ونزعوا
الأولاد منها وطرحوهم قدامه. ثم جابوه إلى أفريقية
وهو مربوط إلى أبيه وقتلوه قدامه وهو ينظره بعد
أن شقوا بطنه أولا وضربوه رأس أبيه ووجهه، ثم

مطالين بارزاقهم ولم يكن معه شيء فاضطر للهرب إلى عقرقوف ناحية من نواحي نهر عيسى
بينها وبين بغداد أربعة فراسخ، ثم لم يلبث طاهر أن عاد إلى بغداد.

* ثار نصر بن سيار على المأمون بحلب فأنفذ إليه قائده طاهر بن الحسين بعد أن ولاه
الموصل والجزيرة والشام والمغرب ولكنه لم يحرز نصراً.

* تولى إمارة مصر العباس بنى موسى العباسي من قبل المأمون فبعث بابنه عبد الله نائباً له
وذلك بعد أن عزل المطلب بن عبد الله وسجنه.

* دخل في هذه السنة ٢٨ شوال الامام الشافعي إلى مصر قادماً من العراق وهي رحلته
الثانية إلى مصر التي عاش بها هذه المرة حين وفاته بعد أن تحول عن مذهبه القديم.

* ممن توفى في هذه السنة أبو الحسن السفيناني من أحفاد بنى أمية عن ثلاث وتسعين
وكان قد دعا لنفسه واستولى قبيل وفاته على دمشق وبويع بالخلافة وتسمى المهتدي بالله حتى
استعاد المأمون دمشق.

* ثارت اهل قرطبة بالاندلس على الحكم بن هشام الاموي وحاربوه لجوره واستبداده
وفسقه.

* وافق هذا التاريخ تولية الامبراطور البيزنطي ليوا الخامس الأرمني وكان من قواد الامبراطور
نقفور (نيكيفوراس) ثم ميشيل الأول (ميخائيل) وبعد عزل هذا الأخير خلفه على عرش

أخرجوا أباه من ديارهم وهم وراءه يشتمونه وهو
حزين باك.

وكان أبونا تاودوروس قد عاش ورأى جميع
ذلك. ثم افتقده الرب ومضى إليه بشيخوخة
حسنة. وبنعمة السيد المسيح كانت البيعة تنمو بغير
مقاوم لها ولا شقاق فيها في جميع أيامه. وأقام
على الكرسي الرسولي إحدى عشرة سنة ونصف
وتتبع في سابع يوم من أمشير. وخلي الكرسي
بعده سنة واحدة وشهوراً، صلواته تكون معنا آمين.

بيزنطة، وقد ذكرت المصادر العربية خطأ أن توليته جرت في عام ١٩٤ هـ بقولهم «وفيها
وثب الروم على ملكهم ميخائيل فهرب وترهب وكان ملك سنين فملكوا عليهم ليون
القائد».

سنة ١٩٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ٢٢ أغسطس ٨١٤ م.

* قدم وزير المأمون الحسن بن سهل مدينة بغداد بعد أن خرج منها طاهر ابن الحسين إلى
الرقعة وفرق الحسن عماله في البلاد.

* خرج على المأمون ابن طباطبا العلوي (محمد بن ابراهيم) الذي دخل الكوفة قادماً من
المدينة بتأييد من أبي السرايا الشيباني الذي استولى على الكوفة وهزم جيشين للوزير الحسن بن
سهل، وبعد وفاة ابن طباطبا الفجائية أقام أبو السرايا خلفاً له وهو محمد بن محمد حفيد الامام
زيد.

* استعان الوزير الحسن بن سهل بهرثمة بن اعين الذي عاد إلى بغداد لقتال أبي السرايا.

* تولي إمرة مصر المطلب بن عبد الله للمرة الثانية بعد أن ثار أهلها على العباس بن
موسى وانتهت الحروب بمقتل العباس قيل مات مسموماً.

أنبا خايل [الأول] البطرك

وهو من العدد السادس والأربعون

[٧٤٤/٧٦٨م]

كما قال الكتاب في المزمور ٧٨ الذي سمعنا
ورأينا وأخبرونا أبائنا وكما أخبر موسى النبي فانه
كتب ما كان في الأرض من آدم الأول إلى زمانه
ثم بعده الأنبياء الذين تنبوا بما يكون، ثم بعدهم

* توفي في هذه السنة (أول رجب) الشائر العلوي ابن طباطبا بالكوفة وهو ابن ست
وعشرين قيل ان أبا السرايا قد دس له السم.

سنة ٢٠٠ هجرية

استهلت السنة الأخيرة من القرن الثاني بيوم السبت ١١ أغسطس ٨١٥م.

* سير الحكم الأموي صاحب الأندلس آخر غزوة له وعلى رأسها قائده عبد الكريم بن مغيث
الذي كبس الجلالقة وحلفاءهم البشكنس ووقع في أسره جماعة من أمرائهم.

* هرب أبو السرايا والعلويون من الكوفة بعد أن استولى عليها هرثمة بن أعين (في المحرم)
وتوجه إلى القادسية ثم عاد إلى حرب أبي السرايا الذي هزمه وقتله فأخمدت الثورة التي
عرفت باسمه.

* ثار ببغداد الشغب بين الجند والوزير الحسن بن سهل، كما وقعت الفتنة في مكة وفي
اليمن وعليها إبراهيم بن موسى حفيد جعفر الصادق.

* في مستهل رمضان عزل المأمون المطلب عن أمرة مصر وولاهما للسري بن الحكم. ولما
قدم السري حصل بينه وبين المطلب محاربات انهزم فيها المطلب.

الحواريون القديسون كرزو بما شاهدوه، وكذلك
كل من كان بعدهم على هذه الصفه وتعاليم
الاباء] المويدين الذين للبيعه، والكلام المقوى
للامانه والاخوه بنى المعموديه اللابسين النور والابا
المويدين الذين اثبتوا الأساس القوى والدعامه
الوثيقه، والرب يسوع المسيح المخلص الذى جانا
وخلصنا من أثامنا بتجسده من العذرا الطاهره.
والمنعم علينا بفتح قلوبنا واذهاننا بسماع كتبه
المقدس: «فيلن» فليمن و«يستس» و«يوسابوس»،

- * ولد فى هذه السنه الخليفه الوائق بالله وهو هارون ابن الخليفه المعتصم وخليفته.
- * توفى فى هذه السنه هرثمه بن أعين أحد مشاهير القواد فى العصر العباسى الأول وقائد الرشيد والمأمون فى المهام الجسام تنقل فى إمارة الولايات بين خراسان وأرمينية ومصر وأفريقية.
- * توفى فى هذه السنه أبو السرايا رأس الثورة المعروفة باسمه قتل بأمر المأمون (١٠ ربيع ثان) بعد هزيمته على يد هرثمه بن أعين.
- * فيها قتل الروم امبراطورهم ليون وتولى مكانه ميخايل.
- * ممن توفوا فى هذه السنه بطوس الفيلسوف الكيمياءى جابر بن حيان مؤلف كتاب أسرار الكيمياء وعلم السموم وأصول الكيمياء وكتاب الرحمة وغيرها وقد ترجمت مؤلفاته إلى اللاتينية.

القرن الثالث الهجرى

سنة ٢٠١ هجرية

افتتحت السنه من العام الأول من القرن الثالث يوم الأربعاء ٣٠ يوليو ٨١٦م.

* شهد مولد القرن الثالث الهجرى: فى بغداد الخليفه المأمون العباسى، وفى قرطبة

الذين من اليهود الذين أخبروا أولا بخراب
«أورشليم»، والذين وضعوا لنا سيرة البيعة
المقدسة(*) : «أفريقنوس» «أفريقوس»، و«أوسابيوس»،
«سوزامنوس»، أظهروا لنا الجيد والردى والبلايا
التي حلت بالقديسين، والرعاة لقطعان السيد
المسيح وما نالهم من التعب على البيعة والشعب
الارتدكسى من المتولين فى كل زمان، ليس كورة
مصر فقط بل «وانطاكيه» و«رومية» و«افسس»،
التي كان فيها «هارسيس نسطور» الذى يستحق

(*) من مؤرخى هذه الفترة وما
قبلها «أفريقنوس» و«أوسابيوس»
و«سوزامنوس».

بالأندلس الحكم الأول الأموى، وفى المغرب إدريس ثانى سلاطين الأدارسة، وفى تونس عبد الله
بن ابراهيم الأغلبى، ومن الوزراء الفضل ابن سهل فى بغداد، ومن الولاة: حمدون بن على
بمكة، وهارون بن المسيب بالمدينة، والسرى بن الحكم بمصر، وطاهر بن الحسين بالشام،
واسماعيل ابن جعفر بالبصرة، وحاتم بن هرثمة بأذربيجان، وزهير بن المسيب بأرمينية،
وهرثمة بن أعين بخراسان، وداود بن يزيد المهلبى بالهند. كما شهد مولد القرن فى أوروبا،
لويس الأول بن شرلمان امبراطور الدولة الرومانية المقدسة، وليو الأرمنى امبراطور بيزنطة.

* أعلن الخليفة المأمون وهو بخراسان عليا الرضى بن موسى الكاظم وليا لعهد بعد أن
خلع أخاه القاسم وترك السواد شعار العباسيين وليس الخضره شعار العلويين فشق ذلك على
بنى العباس.

* ندب المأمون قائده جميل بن يحيى البجلي الذى أعفاه من إمارة مصر لقتال الثائر
بابك الخزيمى.

* امتنع اسماعيل بن جعفر أمير البصرة على المأمون بسبب ولاية العهد فحمل إلى
خراسان ومات بها، وفى بغداد أعلن منصور بن المهدي نفسه نائباً للمأمون ببغداد وتسمى
المرتضى، بينما التف أهل بغداد حول ابراهيم بن المهدي.

لسانه القطع من أصله، وبقية المخالفين في ذلك
الزمان، وبدد الله جميعهم مثل الغبار أمام الريح
شبل الأسد الحكيم «كيرلس» الذي قطعه وغيره
من المخالفين، وجعل كتبه في سائر بيع المسكونه
الارتد كسيه. كما أظهر لنا ذلك الكتاب الذي ابتداء
باسمايهم إلى أن انتهوا إلى المعترف المجاهد بالحقيقة
«ديسقرس» الذي أحرم «لاون» الذي هو السبع
المفتقرس للانفس كاسمه. وأحرم الستمايه وتلتين
المجتمعين بخلق دونيه واحرم «مرقيان» الملك والملكة

* ثار بعض جند مصر على أميرهم السرى بن الحكم وخلعوه فورد الخبر من المأمون بعزله
عن إمارة مصر واستبدله بسليمان بن غالب، ولكن لم يلبث أن أعاده المأمون في السنة نفسها.
* تولى زيادة الله الأول (في ذى الحجة) إمارة تونس خلفاً لأخيه عبد الله.

سنة ٢٠٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين ٢٠ يوليو ٨١٧ م.

* في الأول من المحرم بايع أهل بغداد إبراهيم ابن الخليفة المهدي بالخلافة ولقبوه المبارك
المنير بعد أن خلعوا بيعة المأمون وهو مازال بخراسان كما بايعه سائر بني هاشم بسبب نقل
ولاية عهده من العباسيين إلى العلويين.

* استولى إبراهيم بن المهدي على قصر ابن هبيرة وولى على بغداد ابنى أخيه الهادي:
العباس واسحق.

* خرج المأمون من خراسان في طريقه إلى بغداد.

* ثار أهل الربض (ضاحية قرطبة) على أميرهم الحكم بن عبد الرحمن يتزعمهم بعض
الفقهاء وتعرضوا له وتجأوا عليه ولكنه قضى على الفتنة بقسوة وصلب منهم ثلاثمائة إرهاباً.

«بلخاريه» المرذولة، وجعل جميع من اتبع «لاون» تحت الحرم. وأخرج بأمر الملك والمملكة ومضوا به إلى النفي، وتم جهاده هناك، وأعاد نفوسا كثيرا إلى السيد المسيح على يديه. وكلما جرى كتب به إلينا إلى هاهنا في تاني عشر سيره من سير البيعه، والبدو بكتب ما بعد ذلك من الأب «كيرلس» وهو في دير «ابلاح» إلى الأب المعترف «الاكسندروس»، نسأل عنه المعلم والكاتب في زمانه الذي هو الشماس الارشيدياقن صاحب الأب

* تولى الحسن بن سهل وهو ببغداد وزارة المأمون بعد مقتل أخيه الفضل.

* اغتيل وزير المأمون ذو الرياستين الفضل بن سهل عند سرخس وثب عليه قوم فقتلوه في الحمام وهو في ركب الخليفة، وبعد ستة أشهر توفي أبوه سهل وكان من أولاد ملوك الجوس اسلم في أيام الرشيد وهو الذي دبر خلع الأمين وقتاله.

* ممن توفوا في هذه السنة: علي بن الحسين الهمداني الشاعر وكان على الموصل مات مقتولا، وفيها توفي الحدث أبو علي النيسابوري.

سنة ٢٠٣ هجرية

استهلت السنة بيوم الجمعة ٩ يوليو ٨١٨ م.

* وصل المأمون إلى مدينة طوس في طريقه إلى بغداد وأقام أياما بجوار ضريح أبيه الرشيد ثم تابع سيره إلى همدان فوصلها في آخر يوم من السنة.

* اختفى ابراهيم بن المهدي (منتصف ذي القعدة) عندما اقترب حميد الطوسي قائد المأمون من بغداد وأعلن الجند خلع بيعته بعد ٣٢ شهرا.

* أصيب الوزير الحسن بن سهل بلوثة عقلية بعد مقتل أخيه الفضل وموت أبيه حتى شد في الحديد وحبس في بيت بمدينة واسط.

البطرك أبا سيمون بطرك اسكندريه، وكاتبه
الراهب «جرجه» (*)، فكتب ذلك في جبل
القديس «أبى مقار» «بواى هيب»، وأعلمنا ما
جرى فى زمان «مرقيان» الملك الكافر وما لحق أبانا
من التعب وما جا بعدهم إلى زمان «سليمان بن
عبد الملك» ملك المسلمين الذى ولى بعده الملك
«عمر بن عبد العزيز» الذى هزم «أسامة» الملك
الكافر الذى كان قبله بمصر.

(*) الراهب جرجه هو كاتب هذه
السير.

* نشبت ثورة جديدة بباجة من نواحي الأندلس قضى عليها الحكم.

* انكسفت الشمس فى ٢٨ الحجة من السنة حتى ذهب ضوءها وغاب أكثر من ثلثها
بينما تواليت الزلازل بخراسان والتركستان ودامت ستين يوماً هلك فيها خلق كثير.

* شهدت هذه السنة وفاة اثنين من رؤوس العلويين هما: على الرضا ثامن الانمة الاثنى
عشرية وهو الذى عهد إليه المأمون بالخلافة وزوجه من ابنته وضرب الدنانير والدراهم باسمه مما
أثار عليه بنو العباس، توفى بطوس عن نحو خمسين سنة وأقيم ضريحه الذى تحول إلى مدينة
تعرف اليوم باسم مشهد، وفيها توفى محمد ابن الإمام جعفر الصادق وهو الذى كان قد بايعه
أهل الحجاز عام ٢٠٠ ثم خلع نفسه وأمنه المأمون.

سنة ٢٠٤ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الثلاثاء ٢٨ يونية ٨١٩ م.

* دخل المأمون بغداد لأول مرة منذ توليه الخلافة (منتصف صفر) وبعد ثمانية أيام ترك
الخصرة شعار العلويين وعاد إلى لبس السواد مدعياً لكلام بنى العباس.

* ولى المأمون أخويه أبا على الكوفة وصالحا البصرة.

ومن أجل ذلك أسألكم أنا البائس الحقير أن
تسألو السيد المسيح عني أن يحل رباط لساني
الناقص بصلواتكم ويفتح قلبي المظلم ويعطيني
معرفة الكلام فلعلني أقدر أن أظهر لكم ولا بوتيكم
ما تطلبونه مني مما لا تصل إليه قدرتي ليس كمعلم
وهادي أكثر منكم ولكن كمتعلم.

ولما نظرت ما كتبته بعيني وكبرته على ولمسته
يدى وما سمعته من الأحبا قبلى ممن نصدق ونأمن

* جرى أول لقاء بين قائد المأمون يحيى بن معاذ بعد أن ولاه الجزيرة والشائر الخارجي بابك
الخرمي ولكن الحرب كانت سجالا.

* أسس محمد بن ابراهيم بن زياد مدينة زيد باليمن وجعلها حاضرة للدولة التي أقامها.
* اتخذ القفيز مكيالا للحبوب ونحوها وهو يساوي ١٠ مكايك أي ١٥ صاعا ويساوي
وزنا في أيامنا نحو عشرين كيلو جراما.

* توفي بمصر ثلاثة من اعلام الفقهاء هم: الامام الشافعي (محمد ابن ادريس) توفي
بالفسطاط يوم الخميس ٢٩ رجب عن أربع وخمسين وإليه ينسب مذهب الشافعية ودفن بالحي
الذي يعرف باسمه حتى اليوم، وفيها توفي أذهب بن عبد العزيز القيسي (٢٢ شعبان) عن
ست وستين، وفيها توفي قاضي مصر لهيعة بن عيسى تولى قضاءها سنوات.

* توفي بالكوفة المؤرخ النسابة ابن السائب الكلبي (هشام بن محمد) وكان أبوه من قبله
نسابة إخباريا، وهو مؤلف كتاب «الأصنام» مطبوع متداول.

سنة ٢٠٥ هجرية

أهل المحرم يوم الأحد الموافق ١٧ يونية ٨٢٠ م.

* استعمل المأمون قائده طاهر بن الحسن على المشرق كله من بغداد إلى السند وكان
صاحب شرطة بغداد قبل ذلك وخلفه على الشرطة ابنه عبد الله ابن طاهر.

إليه ليلا [لئلا] أكون على قول الإنجيل الصادق
 فى العبد الذى دفن فضة سيده فى الأرض، وأقول
 لقدسكم أنا البائس الحقير فى الناس أننى تمثلت
 بقول داود إذ يقول عن البارى سبحانه فى المزمور
 ١١٣: الذى يقيم الفقير من على الأرض والمسكين
 من المزبلة ويجلسه مع أغنيا الشعب هو الذى
 أجلسنى مع الأبا [ء] القديسين. وشاهدت ما نالهم
 بقلبي لاكتب ذلك بغير استحقاق لأنهم صارو



* أنفذ المأمون قائده عيسى الجلودى لحرب الزط الذين فرضوا سلطانهم على إقليم
 البطائح جنوب العراق وقطعوا الطريق ولكن عيسى لم يظهر عليهم، ومن ناحية أخرى ندب
 المأمون قائده عيسى بن محمد بن أبى خالد لحرب الخارجى بابك الخرمى بعد فشل يحيى بن
 معاذ.

* تولى بمصر أميرها السرى بن الحكم فى مستهل جمادى الأولى وخلفه عليها ابنه محمد
 بن السرى، كما تولى بها أمير شرطتها عبد العزيز الجروى وكان قد ثار على السرى واستولى
 فترة على الاسكندرية حتى انتقضت عليه فمات فى حصارها.

* وافق هذا التاريخ مقتل الامبراطور البيزنطى ليو الخامس ويعرف باسم ليو الأرمنى على يد
 بعض أنصار ميخائيل العمورى الذى خلفه فى حكم بيزنطة.

سنة ٢٠٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الخميس ٦ يونية ٨٢١ م.

* تولى إمارة الأندلس تحت حكم الأمويين (٢٧ الحجة) عبد الرحمن ابن الحكم فى اليوم
 التالى لوفاة أبيه الحكم الربضى، أمه أم ولد اسمها حلاوة وله من العمر واحد وثلاثون
 * غزا الأغالبة جزيرة صقلية.



رعاه على الأرض وبذلوا نفوسهم على اسم المسيح
دفعات شتى، لأذكر يسيرا من أفعالهم وبقيتها
السيد المسيح وحده العالم بها، وما كان متقدما
فإن السيد المسيح يعلم اننا ما زدنا عليها شيا بل
شرحت ما كان إلى حين نياحة الأب الطوباني
«تاودوروس» بطرك اسكندريه، والمملكة التي
كانت في أيامه إلى تمام السابع عشر سيرة
المذكورة.

* وجه المأمون عبد الله بن طاهر أمير الرقة والشام لحرب الثائر نصر ابن شبت وكان عبد
الله على شرط بغداد بعد أبيه ذي اليمينين طاهر بن الحسين الذي كتب إليه كتابا ينصحه فيه
يعتبر من نواذر رسائل الأدب في اللغة العربية حتى ان المأمون استنسخه وبعث به إلى جميع
ولاة الأقاليم.

* انفذ المأمون جيشاً ثانياً لحرب الزط على رأسه داود بن ماسجور.

سنة ٢٠٧ هجرية

استهلّت السنة بيوم الثلاثاء الموافق ٢٧ مايو ٨٢٢ م.

* بايع أهل اليمن عبد الرحمن بن أحدم من حفدة الإمام على فانفذ المأمون لحريه دينار
بن عبد الله وكتب معه بأمانه فقبله عبد الرحمن وسار إلى بغداد، وبايع في السنة نفسها أهل
عمان عبد الملك بن حميد إماما على المذهب الإباضي خلفاً لغسان بن عبد الله ودامت أيامه
نحواً من عشرين سنة.

* تحدد في الأندلس النزاع بين المضرية واليمانية في لورقة، وفيها عاد للثورة الأمير عبد الله
البلنسى عم الحكم واحتل كورة تدمير وطالب باقطاعها والتف حوله جمع كبير وهم بالزحف
على قرطبة بالرغم من شيخوخته.

السيرة التامنة عشر من سير البيعة

والآن فبارادة الله وصلواتكم المقدسه نذكر
السيرة التامنة عشر من سير البيعة. لما خرج
«عبيدالله» من مصر وتولى بعده «القاسم» ولده
الذى صار فيه الشر أكثر من أبيه دفعات، كقول
الإنجيل المقدس: «أن كل شجرة رديه تثمر ثمرة
رديه». هذا فعل الشر قدام الله والناس فى مملكته
وسلك الردى كما أننا نذكر إذا تقدمنا. قال

-
- * شهدت الأندلس موجة من القحط حتى انتشرت المجاعة فبلغ سعر مد القمح ثلاثين ديناراً.
 - * بايعت الجند على تولى إمارة مصر عبيد الله بن السرى (٩ شعبان) خلفاً لأخيه محمد المتوفى من عامه.
 - * ظهر الصناديقى باليمن و استولى عليها وادعى النبوة فتبعة خلق كثير.

سنة ٢٠٨ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ١٦ مايو ٨٢٣م.

- * أنفذ أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم قائده عبد الكريم بن مغيث (جمادى الأخرى) إلى ألبه والقلاع وكان ألفونسو ملك ليون قد أغار على أرض المسلمين فعاث عبد الكريم فى ألبه وخرب مخافرها.
- * استعفى قاضى بغداد ابن سماعة المأمون فأعفاه وهو مؤلف كتاب أدب القاضى.
- * ثار الحسن بن الحسين وهو أخو أمير المشرق طاهر بن الحسين فسار اليه أحمد بن أبى خالد وقدم به إلى المأمون فعفا عنه.

سليمان بن داود الحكيم: «الويل لأهل المملكة التي ملكها صبي». وكان هذا القاسم صبياً في عمره وفعله، وإذا ملك ملك جاهل فكل من يصحبه يكون مثله. فاول بداية فعله هذا كان محبا للشر ومحبا للنساء مثل الخيل التي تصهل [فا] جعل له سرارى من كل جنس ليس لهن عدد وكان قلبه ملتهيا بهن جدا كما شاهدنا باعيننا دفعات شتى. وكان ينفذ ويحضر الطوباني «تاودوروس» البطرك، كالديب اللابس لباس الخروف، وكان يصحب

سنة ٢٠٩ هجرية

وافقت غرة المحرم يوم الأربعاء ٤ مايو ٨٢٤ م.

* قرب المأمون أهل علم الكلام وأمرهم بالمناظرة في حضرته منهم بشر المريسى وثمامة ابن الأشرس.

* أنفذ المأمون قائداً ثالثاً لحرب بابك الخرمى وهو على بن صدقة والى أرمينية فأسره بابك فولى قائداً رابعاً هو إبراهيم بن الليث.

* حصر عبد الله بن طاهر الناصر بن شيبث عند كيسوم وضيق عليه حتى طلب الأمان بعد خمس سنوات من الحروب فسيره إلى المأمون ببغداد.

سنة ٢١٠ هجرية

استهلت السنة بيوم الاثنين ٢٤ أبريل ٨٢٥ م.

* زفت في رمضان من هذه السنة بوران ابنة الوزير الحسن بن سهل ولها من العمر ثمانى عشرة سنة إلى الخليفة المأمون الذى مار إلى قصر أبيها بقم الصلح وأقام سبعة عشر يوماً في ضيافة وزيره، وفيها أوقد شمعة عنبر فيها أربعون منا وألبست زبيدة أم الأمين العروس البدلة اللؤلؤية الأموية ونشرت جدتها ألف لؤلؤة من أنفاس ما يكون.

الأب البطرك أبي الروحاني «أبا مويس» الأسقف
حين يجتمع به، وكان الملك يحب أبي أكثر من
كل الأساقفة وكان يحضر له الصغار من السراي
حتى يبارك عليهن وأنا أبصرهن، وكان يقول للأب
البطرك: هولا من أولادك ضع يدك عليهن
وباركهن وأعطهن البركة لأنني اشتريتهن جددا
[ابكاراً]. وكان يفعل ذلك دفعات شتى بالأب
البطرك، فلما حضرنا عنده دفعه كالعادة كان
هناك الأب الأسقف «أبا إبراهيم» أسقف الفيوم

* ظهر في ربيع الأول من السنة إبراهيم بن المهدي عم الخليفة الذي كان قد بويع
بالخلافة وتلقب بالمبارك قبل دخول المأمون بغداد وظل مختفياً سبع سنين فعابته المأمون وعفا
عنه وكانت قد شفعت له بوران ليلة زفافها، وفيها ظفر المأمون بآبن عائشة وهو من حفدة
إبراهيم الامام ومن سعى في البيعة لابراهيم بن المهدي وحاول نقب سجنه فقتل وصلب وكان
أول عباسي صلب في الاسلام.

* في الأندلس استمرت الفتنة بين المضرية واليمانية في كورة تدمير فأمر عبد الرحمن أمير
الأندلس بنقل عاصمة الولاية إلى مرسية، وفيه مير عبد الرحمن جيشاً إلى قطلونية بقيادة عبيد
الله البلسي فاجتاحها وهزم الأفرنج وانتهى إلى جيرونة في أقصى الشمال.

* استسلم نصر بن شبث زعيم الثورة على المأمون في المشرق بعد اثنتي عشرة سنة من
الحروب.

* توفي من رجال العلم : بشر بن المعتمر أحد رؤوس المعتزلة وتنسب اليه طائفة البشرية
توفى ببغداد وكان من أهل الكوفة.

* توفي ملك الديلم شهریار الأول بن شروين بعد حكم دام ٢٩ سنة وخلفه
ابنه سابور.

والأرسينويتس لأجل أمر مهم، فلما حضرنا أيضا دعا واحده من السراري وكانت مغريه، فقال لاينا «ابراهيم» هذه ابنتك وجعل يده في يدها وكان قلبه كالأطفال وقال له: أنت تعلم أني أحبك جدا من زمان وكلما كنت تطلبه من أبي أفعله لك. فقال له القديس إبراهيم: نعم. فقال له: أريد منك تلتمايه دينار. فتقدم أبي إلى الارشيدياقن الذي كان أقنومه اسمه «سمعان» كان قد جا معه، وهو الذي

سنة ٢١١ هجرية

وافقت غرة المحرم يوم الجمعة ١٣ أبريل ٨٢٦ م.

* تولى إمارة مصر عبد الله بن طاهر بعد عزل عبيد الله بن السري وهو بعد ابن تسع وعشرين وذلك بعد أن بايعه الجند وتحصن بمدينة بلبس وقامت بينه وبين عبد الله بن السري حروب أدت إلى اضطراب الأمن وكثرة أعمال السلب والنهب للمصريين.

* وهرب عبد الله بن السري إلى المأمون ببغداد.

* وقعت الفتنة في إفريقية بين عامر بن نافع ومنصور بن نصر.

* قتل أمير الموصل السيد الأزدي في حرب الثائر زريق بن صدقة وخلفه عليها محمد ابن حميد الطوسي، وفيها توفي أمير طبرستان موسى بن حفص فخلفه عليها ابنه.

* خلع الدنمركيون ملكهم هيرولد لأنه اعتنق المسيحية.

* تأسست مملكتا تافار وأرجون.

سنة ٢١٢ هجرية

استهلت السنة يوم الثلاثاء ٢ أبريل ٨٢٧ م.

* استولى مهاجرو الأندلس على جزيرة كريت (إقريطش) بزعامه أبي حفص البلوطي

استحق الأسقفية من بعده، فقال له: أحضر التلمايه دينار. فاحضرها وسلمها للقاسم.

وكان له مال كثير للبيع(*) لأن كان عنده في كرسية خمسة وتلاتون دييرا بالفيوم وهو المتولى عليهم، وكان عليه خراج خمس مائة دينار الذى لبيت مال السلطان، لأجل ذلك كان مقدما عند كل أحد، وكانو تجار مصر يبيعونه ويشتررون منه. ثم أنه بعد ان دفع التلمايه دينار قال له القاسم: انا

(*) اتساع اوقاف الاديرة ونشاطها الزراعى بحقق لها إيرادات كثيرة.

وأسسوا بها إمارة عاشت ١٣٨ سنة حتى استردها أهل البندقية، وكان هؤلاء المهاجرون قد خربوا ونهبوا الأسكندرية فازاحهم منها عبيد الله بن طاهر.

* أظهر المأمون القول بخلق القرآن وهو بداية الفتنة التى استمرت حتى بعد وفاته وتعرض بسببها للأذى كثير من فقهاء العصر، كما أعلن تفضيل على بن أبى طالب على الناس بعد الرسول فاعتبر ذلك من البدع.

* وقعت موجة من الزلازل فى اليمن وكان أشدها بعدن فتهدمت دور وخربت قرى وهلك خلق كثير، وفى أقصى الغرب اجتاحت السيول والأمطار مدن الأندلس وهدمت قنطرة سرقسطة.

* اتحدت الإمارات السبع فى الجزر البريطانية تحت سلطة الملك اجيرت اول ملك للبريطانيين.

سنة ٢١٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٢٢ مارس ٨٢٨ م.

* ولى المأمون ابنه العباس إمرة الجزيرة والثغور، وولى أخاه المعتصم الشام ومصر فأخلف عليها عيسى الجلودى الذى لم يلبث أن عزل بسبب ثورة المصريين من أهل الخوف.

أكرمك بهذه الكرامه العظيمة حتى أنى جعلت
زوجتى لك ابنة ولا تدفع لها شيئا تكرمها به ؟
فاعطاها مائة دينار فى يدها، واحتسب له بها فى
الخراج الذى عليه. وكان القاسم سالكا فى طريق
الجهل، كل حين تضاعف الظلم فى أيامه على
الناس، وولى ولاءه فى كورة مصر أشرم منه، قوما
يجمعون أموال الغرما من أسوان إلى إسكندرية،
وألقى على الناس بلا عظيما فى كل البلاد والكور
الكبار والصغار، وكان الكبير ياكل الصغير والقوى

-
- * تم بالأندلس القضاء على الفتنة بين المضرية واليمانية التى استمرت عدة سنوات حتى
أدعن زعيمها أبو الشماخ ودخل فى خدمة عبد الرحمن بن الحكم.
 - * تول إمارة السند غسان بن عباد وهو ابن عم الوزير الحسن بن سهل.
 - * توفى فى هذا التاريخ جبرئيل بن بختيشوع طبيب الرشيد وبعد وفاة الرشيد دخل فى
خدمة ولديه الأمين والمأمون، دفن بدير فى المدائن.
 - * ممن توفوا من رجال الفكر: ثمامة بن اشرس رأس الطائفة الشامية من المعتزلة، وفيها
توفى ابن قتيبة الدينورى عن اثنين وستين اشتهر بكتابه عيون الأخبار وفيها توفى من الشعراء
العكوك صاحب القصيدة المسماة اليتيمة، نغم عليه المأمون فأمر به فقتل.

سنة ٢١٤ هجرية

استهلت السنة بيوم الخميس الموافق ١١ مارس ٨٢٩ م.

- * عاود المصريين من أهل الخوف من القيسية واليمانية الثورة وقتلوا أمير مصر من قبل
المعتصم عمير بن الوليد بعد شهرين من ولايته فخلفه عيسى الجلودى للمرة الثانية فلم يلبث
أن كسروه فعظم ذلك على المأمون فحث أخاه المعتصم على قتالهم بنفسه فجد السير إلى
مصر بجيوش عظيمة وأوقع بهم الهزيمة عند المطرية وأقنى زعماءهم وقضى مؤقتا على الفتنة
وعزل عيسى الجلودى وولى عبدويه بن جبلة أميرا على مصر من قبله.

ياكل الضعيف مثل سمك البحر. وكانوا هؤلاء
الذين يجمعون مال الغرما يأكلون المستورين
ويأخذون مالهم حتى ضاق كل أحد.

وبعد ذلك عمل [القاسم] مراكب مثل قصور
الملوك وزينها، وكان يركب فيها نساء وعبيده
ويخرج في بلاد مصر ويمضي بهم إلى اسكندريه
معه وتيس ودمياط، فيأخذ أموال التجار والناس
والمقدمين في تلك المواضع، ويصعد إلى صعيد
مصر وينتهي إلى أسوان يفعل ذلك.

* في الأندلس اضطربت طليطلة بالثورة يتزعّمها هاشم الضراب وجمع حوله العامة واستمرت الوقائع بينه وبين جيوش عبد الرحمن الأموي سنتين، وفي ماردة تجددت الفتنة فثار إليها عبد الرحمن بنفسه وهدم سور المدينة.

* ولد في هذه السنة أبو الحسن العسكري عاشر الأئمة من الشيعة الاثني عشرية وهو ابن محمد الجواد نسب إلى مدينة العسكر التي نفاه إليها الخليفة المتوكل فيما بعد، وفيها ولد المؤرخ أبو الحسين يحيى العقيقي من كتبه أخبار المدينة.

* لقي محمد بن حميد الطوسي أمير الموصل مصرعه في حربه مع الثائر الخارجي بابك الخرمي فولى المأمون الأمير محمد بن هشام قتاله.

*من توفوا في هذه السنة فقيه مصر ومؤرخها عبد الله بن عبد الحكم عن أربع وستين سنة.

* وافقت هذه السنة وفاة الامبراطور البيزنطى ميخائيل الثانى وخلفه توفيل الأول

سنة ٢١٥ هجرية

استهلت السنة يوم الاثنين الموافق ٢٨ فبراير ٨٢٠م.

* مع غرة المحرم خرج المعتصم من مصر قاصداً الشام بعد أن أعاد الأمن إليها وواصل سيره إلى الموصل حيث التقى بأخيه المأمون فعرفه ما فعل بأهل مصر فشكره على ذلك.

وكان يسير صحبته جماعة من الجند والعسكر
ويدخلون إلى ملعب [مشرح] بأنصنا. فلما كان
[القاسم] في بعض الأيام وقد وصل إلى دير(*)
القديس «أبي شنودة» صعد بتكبر عظيم وأخذ معه
سريه واحده كان يحبها أكثر من جميع سراريه
وماليكه فركبها فرسا وركب هو فرسا أخرى وكان
معه شيخ مقدم في المسلمين اسمه «ريان» ابن
عبدالعزیز الذي كان ملك مصر، فلما وصلوا الباب

(*) هو الدير الأبيض... وهو من آثار
الانبا شنودة المعروف بتأسيسه
لأحد نظم الديرة المصرية التالية
للطريقة الباخومية.

* سار المأمون من الموصل لغزو بلاد الروم واستخلف على بغداد اسحق ابن ابراهيم حتى
صار إلى منبج ثم إلى دابق ثم إلى أنطاكية ثم إلى المصيصة وطرشوس فوطي أرض الروم بينما
دخلها ابنه العباس من ملطية فافتتح عدة حصون عاد بعدها المأمون إلى دمشق بالأسلاب.

سنة ٢١٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ١٨ فبراير ٨٢١م.

* أعاد المأمون الكرة بغزو بلاد الروم فأنهى إلى هرقله فصالحه أهلها ثم افتتح عد حصون
قبل أن يعود إلى دمشق حاملاً أسلابه وغنائمه واشترك في هذه الغزوة أخوه المعتصم ووزيره
يحيى بن أكنم.

* شهدت هذه السنة في مصر ثورة المصريين من أهل الوجه البحري فأخرجوا الوالي
عيسى بن منصور وخلعوا الطاعة فقدمها الأفشين قائد المأمون في أربعة آلاف من جنوده الترك
ولكنه فشل في القضاء على الثورة بعد حروب استمرت أكثر شهور السنة.

سنة ٢١٧ هجرية

استهلّت السنة بيوم الأربعاء الموافق ٧ فبراير ٨٢٢م.

* في الخامس من المحرم دخل الخليفة المأمون بجيوش جرارة إلى مصر للقضاء على ثورة

خرج في لقاهم الشيخ ريس الدير وجميع أولاده
ليكرموه بسبب المملكة، ولما دخل الباب الثاني من
الحصن الحايط [المحيط] بالبيعه وهو راكب ثم
وصل باب البيعه، فاراد أن يدخل البيعه راكبا
فصرخ الشيخ ريس الدير وقال: انزل ايها الملك لا
تدخل إلى بيت الله بهذه الكبريا وخصاه هذه
الامراه التي معك لأنه ما دخل قط باب هذه البيعة
امراة وخرجت بالحياه بل تموت للوقت، فلم
يلتفت إلى كلامه لكن دخل ومعه جيشه. وكانت

المصريين من أهل الغربية والخوف من الدلتا فقمعها وأباد أهلها متنقلا بين الفسطاط وسخا
وحلوان ورحل عنها بعد أن عزل الوالى عيسى بن منصور ونسب له كل ما وقع بمصر
ولعماله وكانت مدة إقامة المأمون بمصر تسعا وأربعين يوما عاد بعدها إلى بغداد وقد ساق
إمامة الآلاف من الاسرى المصريين.

* تولى إمارة مصر كيدر الصغدى (من أهل التركستان)، كما تولى شرطتها أحمد بن
بسطام من أهل بخارى كذلك فاستبدا بأهل مصر، وتولى إمارة السند عمران بن موسى
البرمكى.

* غزا المأمون أرض الروم (الأنضول) للمرة الثالثة والأخيرة بعد أن تبادل الرسائل مع
الامبراطور توفيل الذى دعاه إلى المسالمة والمهادنة خاتماً كتابه بالتهديد فرد عليه المأمون داعياً
إياه وقومه للدخول فى الاسلام والا فالجرب والجزية.

* قتل الثائر عبدوس الفهرى وكان قد اشترك فى أحد ثورات مصر.

سنة ٢١٨ هجرية

وافق أول السنة يوم الاثنين ٢٧ يناير ٨٢٣م.

* تولى الخلافة العباسية ببغداد أبو اسحق المعتصم بن هرون الرشيد خلفا لأخيه المأمون

البيعه عظيمه جدا تسع الافا، فلما توسط البيعه وهو راكب فرسه نفرت الفرس التي تحت السريه بقوة الله فوقعت إلى الأرض فماتت السريه للوقت هي والفرس التي كانت تحتها، وأما القاسم فنزل عليه روح شيطاني نجس رماه وخنقه وخبطه حتى ازبد وصر باسنانه مثل الخنزير البري، فلما تهدأ قليلا نظر إلى الشيخ ريس الدير وقد حزن عليه فدفع للبيعه أربع مائة دينار نذرا، والفرس الذي كان راكبه. وكان هناك تابوت خشب ساج

وكان قد عهد إليه بولاية العهد قبل وفاته في ١٨ رجب من العام وأقر العباس بن المأمون بحق عمه في الخلافة.

* بدأت في هذه السنة محنة القول بخلق القرآن والمأمون في غزوته الأخيرة بأرض الروم فكتب إلى نائبه ببغداد (في ربيع الأول) وهو اسحق بن ابراهيم بامتحان الفقهاء والقضاة والشهود بالقرآن فيمن أقر بانه مخلوق محدث أخلى سبيله ومن امتنع سقطت شهادته وقيد وعذب وكان من هؤلاء الامام أحمد ابن حنبل الذي سجن، وفي مصر قام أميرها كيدر بامتحان القضاة ورجال العلم فيها بعد أن كتب المأمون بذلك إلى جميع عماله فأقر أكثرهم مكريهين.

* أمر المأمون ببناء مدينة طوانة بأرض الروم وجعل سورها ميلا في ميل، ثم هدمها المعتصم وأخلاها.

* شهدت هذه السنة وفاة الخليفة المأمون (١٨ رجب) وهو بأرض الروم (كما مات أبوه من قبل بها) فحمله ابنه العباس وأخوه المعتصم إلى طرموس ودفن بدار خاقان وله من العمر ثمان وأربعون وكانت خلافته عشرين سنة وستة أشهر، أمه أم ولد تسمى مراجل ماتت في نفاسها به.

مصفتح بالعاج مثل الطابق عليه [صورة] جسد
القديس «أبى شنوده» قد عملوه برسم النذر ولمن
يلقى فيه نذره، وصارو يجعلون فيه الكتب، وكان
حسن الصنعة عجيباً مليحاً فاستحسنه «ريان»
الذى كان معه وأراد أن يأخذه، وكان القديس «أبو
شنوده» قد انفق عليه مالا كثيراً، فقالوا له: ما تقدر
تأخذه لأن الذى جعله هاهنا منع من خروجه.
فقال: لا بد لى منه بثمن أو هديه. ثم أمر عشرة
رجال أن يحملوه فلم يقدر، ثم دعا بتلتين رجلاً

سنة ٢١٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الجمعة ١٦ يناير ٨٢٤.

* مرت خمسة أشهر على خلافة المعتصم العباسى ببغداد، كان يعاصره بالأندلس عبد
الرحمن الأوسط، وفى المغرب محمد بن ادريس، وفى تونس زيادة الله الأغلبى، وفى بيزنطة
الامبراطور توفيل وفى فرنسا لويس الأول.

* ظهر بالطالقان من المشرق محمد بن القاسم العلوى يدعو إلى الرضى من آل محمد
فاجتمع عليه خلق كثير فواقعه عبد الله بن طاهر وهزمه وظفر به عامل نسا فقيده وبعث به
إلى ابن طاهر وهذا إلى المعتصم فحبسه لكنه هرب من سجنه ليلة عيد الفطر واختفى.

* وجه المعتصم قائده عجيف بن عنبسة لحرب الزط الذين غلبوا على طرق البصرة فأخذ
عليهم المسالك براً ونهراً فظفر بهم.

* استوزر المعتصم كاتبه الفضل بن مروان فاستقل بالأمور ولم يزل على ذلك سنتين.

* تولى إمارة مصر المظفر خلفاً لأبيه كيدر الصغدى نائباً عن الحاجب اشناس التركى ولم
يلبث شهوراً حتى عزل وتولاها موسى بن أبى العباس الذى دامت إمارته خمس سنين.

* واصل عبد الرحمن الأوسط أمير الأندلس حرب الثائرين عليه فحاصر أخوه أمية بن
الحكم مدينة طليطلة حتى عاد أهلها إلى الطاعة.

فلم يقدر أن يحركوه. فلما نظر الأعجوبة دفع
لهم تلتمايه دينار ثم خرجو بخوف وزمع وتعجب.
ولم يفارق القاسم الروح النجس إلى يوم وفاته
وهو يعذبه. ثم أنزل الله على كورة مصر من أجل
خطايا القاسم غلا عظيما، فأول سنة كانت البلاد
شراقى فقلت الخيرات وغاب القمح وعدم حتى لم
يجدوه، ومات خلق كثير وبهايم كثير. ثم جا [ء]
وبا [ء] على كورة مصر تانى سنة لم يكن مثله،
ومع جميع ذلك لم ينقص شر القاسم بل يزداد،

* تقدم اسحق بن ابراهيم قائد المعتصم إلى بغداد بعد أن أوقع باخرمية فى اقليم الجبل
ومعه خلق كثير منهم.

سنة ٢٢٠ هجرية

افتتحت السنة بيوم الثلاثاء الموافق ٥ يناير ٨٢٥ م.

* خرج المعتصم من بغداد بعد أن كثر جنده الأتراك بها وأصبحوا خطراً وحرباً على أهلها
وانتهى إلى ناحية القاطول لبناء مدينة ينقل إليها ممالكه.

* عقد المعتصم لقائده التركستاني الأصل الأفشين (خيدر بن كاوس) على حرب بابك
الخرمى كما وجه عامله بن يوسف لعمارة الحصون التى خربها بابك.

* سار عبد الرحمن الأموى أمير الأندلس على رأس جيشه إلى طليطلة وكان قد حاصرها
أخوه أمية وأوقع بأهلها، ثم سار مغرباً الى ماردة لمطاردة الثائر البربرى سليمان بن مرتين وفيها
توفى سليمان وقضى على ثورته.

* اطلق المعتصم الامام أحمد بن حنبل بعد أن حبسه ٢٨ شهراً لامتناعه عن القول بخلق
القرآن.

* تولى أبو الأغلب ابراهيم إمارة جزيرة صقلية وافتتح عهده بالاستيلاء على عاصمتها بلرم
صلحاً بعد أن عجز اسلافه.

وضاعف الخراج على الناس . وكان الإنسان إذا نام
ليلاً يخاف من ضواء الصبح ويشتهي الليل حتى
يفرغ من كثرة البلىا .

وبعد السنة الثانية المواتة جات السنة الثالثة
شراقيا، لم يصعد النيل البته، ولم ير الناس في
أيامه خلاصا بل كانت السنين تتقلب هكذا بأمر
الله سنة وباءة وسنة شراقى إلى آخر السنة التى
أخذت منه فيها المملكه وهى السنة السابعة . وكان
الوبا من أول هتور كل سنة إلى الثانى والعشرين

* دخل عجيف بغداد ومعه من أسرى الزط سبعة وعشرون ألفا .
* غضب المعتصم على وزيره الفضل بن مروان وصادره ونفاه وأهل بيته إلى قرية بطريق
الموصل وولى وزارته محمد بن عبد الله بن الزيات .

سنة ٢٢١ هجرية

أهل المحرم يوم الأحد الموافق ٢٦ ديسمبر ٨٢٥ م .

* جمع المعتصم مهرة الصناع وأرباب الحرف لبناء مدينته الجديدة التى سماها سر من رأى
(سامراء الحالية) وجعلها حاضرة له وبدأ بتشيد قصر له وإقامة المسجد الجامع وغرس البساتين
وقسمها إلى قطائع لكل طائفة قطيعة .

* جرت أولى المعارك بين الأفشين وبابك الخرمى بعد أن هزم هذا القائد بغا الكبير فهزمه
الأفشين وقتل قائده طرخان .

* تولى إمارة مكة محمد بن داود بن عيسى العباسى واتسمت إمارته بسلسلة من الفتن .

* شاع مذهب النظام (ابراهيم بن يسار من أئمة المعتزلة) فى الفلسفة وتبعه جماعة سمووا
بالنظامية .

من بؤونه، ومعظمه بمصر لكثرة الخطايا التي كانت بها. وكان من تamen يوم من بشنس إلى أول يوم من بؤونه حل بالناس فنا [ء] لم يحصى بعض من مات فيه، يوما يموت فيه ألفان ويوم ألف ومايتان ويوما ألفان وأربع مائه بمصر والجيزة من ساير الناس القاطنين بهما، وتجار من الغربا حتى انقطع دفن الناس الأموات بالقبور، ولا يدفن رجل حتى يعلم به السلطان [القاسم] ويكتب اسمه واسم والده، حتى الطفل الذي يرضع. ثم أن

* وقع الطاعون بمدينة البصرة وهلك فيه خلق كثير.

* ولد في هذه السنة ببغداد الشاعر ابن الرومي (أبو الحسن علي ابن العباس) كان جده رومياً فنسب إليه، وفيها ولد بمدينة حران الطبيب الفيلسوف ثابت بن قرة قصد بغداد في صباه واشتغل بالفلسفة والطب والطبيعات.

* توفي في هذه السنة محمد المنتصر ثالث سلاطين الادارسة بالمغرب وهو الذي قسم ولايات المغرب على اخوته وخلفه ابنه الصبي حيدرة.

* خلف على حيدرة أباه محمد بن ادريس على عرش المغرب وله من السن تسع سنوات

سنة ٢٢٢ هجرية

استهلت السنة بيوم الخميس الموافق ١٤ ديسمبر ٨٣٦ م.

* فتح الإفشين البد مدينة بابل الخرمي ودخلها المسلمون وخربوها في العشرين من رمضان، وكان المعتصم قد أرسل إلى الافشين مدداً عليه جعفر الخياط، ووجه إليه غلامه إيتاخ ومعه ثلاثون ألف ألف درهم للجند والتفقات.

* قبل أن ينقضى الشهر (العاشر من شوال) وقع بابل في أسر الافشين ومعه قائده سباط بعد عشرين عاماً من الحروب، وحرر الافشين كثيراً من نساء وصبيان العرب كان بابل قد

أبائنا القديسين سألوا الرب وأيضا الفقرا والأغنيا
وتضرعوا إليه بالصوم والصلاة والبكا والابتهاال إلى
أن ترأف الرب عليهم ورفع الوباء ورحمهم.

وبعد هذا أباعوا التجار القمح للناس وظهر
وكثر، فمضوا قوم من تجار القمح إلى شماس
ساحر كان يسكن في منف (وهي مصر القديمة)
ودفعوا له مالا كثيرا وسألوه أن يعمل سحرا ليغلو
به القمح، فبدأ أن يعمل أعمالا تغضب الله بصنعيته

أخذهم أسرى، وكان المعتصم قد جعل لمن يجيء به حيا ألفي ألف درهم فقتله المعتصم بعد
أن قطع أرميته (يديه ورجليه) وبعد أن مسح بالدم على وجهه.

* في أقصى الغرب تم لعبد الرحمن الأموي اقتحام أسوار طليطلة (الثامن من رجب) بعد
حصار دام سنوات وقضى بذلك على بؤرة الثورات في شمال الأندلس .

* شهدت هذه السنة ظهور مذهب رؤى إلى يسار القبلة في المسجد الحرام وله شبه ذيل
طويل وبقي يرى نحواً من أربعين ليلة فهاال الناس ذلك وعظم عليهم.

سنة ٢٢٣ هجرية

وافقت غرة السنة يوم الاثنين ٣ ديسمبر ٨٢٧.

* ولي المعتصم عهده ابنه هارون الذي عرف باسم الواثق بالله.

* قدم الافشين إلى سامراء ومعه أسيره بابك الخرمي (الثالث من صفر) وفي الغد قعد
المعتصم واصطف الناس من باب العامة إلى قصر الافشين بالمطيرة وشهر بابك على فيل ثم
جىء بسياف أمر بقطع أطرافه ثم قتله وصلب بابك بسامراء وقتل وصلب أخوه ببغداد فبذلك
طويت سيرته

وسحره المرذول وكان عنده صبي يتيم ابن امراه
أرملة ليس لها ولد سواه، فقال لها: أنت مالك شى
تأكلينه ولا تطعمين ابنك أدفعيه لى أجعله لى ولدا
وأعلمه صنعتى فسلمته له وهى مسروره. وكان
ذلك الكافر قد مضى إلى سحره كثير فى مواضع
حتى علموه سحرا عظيما، ففعل ما غلا به القمح.
ثم أن الكافر أخذ ولد الأرملة ودخل به بيتا وأغلق
عليه الباب وعلقه بيديه ورجليه عن الأرض وفعل
به ما يغضب الله، ولم يزل يسلخ جلد الصبي من

* شهدت السنة إحدى المعارك الفاصلة بين الدولة الاسلامية والامبراطورية البيزنطية حين
انتهز الامبراطور توفيل فتنة بابك وخرج على رأس مائة ألف وأتى زبطرة على حدود العراق
وهى مسقط رأس المعتصم وأحرقها وقتل رجالها وسبى نساءها، ورد المعتصم على ذلك بغزوة
كبرى تجهز لها تجهيزا ضخما واشترك معه مشاهير قواده الترك منهم الإفشين وأشناس وإيتاخ
وعجيف وجعفر بن دينار وبعد أن استولى الإفشين على أنقرة اتجه المعتصم على عمورية مسقط
رأس الامبراطور وحاصرها واستولى عليها وخربها واستصفى أهلها (٦ رمضان) وأقام عليها
٥٥ يوما وفرق الأسرى على القواد.

* عاصرت فتح عمورية مؤامرة دبرها ابن أخى الخليفة وهو العباس بن المأمون باتفاق بعض
القواد وعلى رأسهم عجيف على اغتيال المعتصم وتنصيب العباس ولكنها أجهضت ولقى
المتآمرون حتفهم.

* وقعت زلازل بأقليم فرغانة (التركستان الشرقية) فمات تحت الهدم ١٥ ألفا.

* توفى فى هذه السنة زيادة الله الأغلبى رابع أمراء الأغالبة أصحاب تونس وفى أيامه
فتحت جزيرة صقلية، وفيها توفى بمنبج الأمير العباس بن المأمون الذى أثار الفتنة ابان حرب
الروم، وفيها توفى أمير السند عمران بن موسى البرمكى.

وجهه إلى رأسه كل يوم إلى أن انتهى إلى اكتافه
فغاب القمح وعدم بعد أن كان قد أبيع عشرة
أرادب بدينار، أبيع مدان(*) بدينار ولا يوجد،
فمضى عريف صبيان المكتب إلى الامراه الأرملة
وقال لها: لولدك عدة أيام ما جا عندنا فأى موضع
هو: فمضت إلى ذلك الكافر وسألته عن ولدها
فلم تجده فقال لها: لى عدة أيام ما رأيته وخرج من
عندى ومضى إلى عندك ولم اعلم له خبراً. فلما
سمعت هذا منه مضت بحزن عظيم، وكان

(*) مدان - مثنى مدته وهو مكيال
قديم للحبوب.

سنة ٢٢٤ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٢٣ نوفمبر ٨٢٨ م.

* أعلن مازيار بن قارن دهقان طبرستان العصيان بسبب عدائه لعبد الله ابن طاهر أمير
خراسان فأنفذ اليه المعتصم ثلاثة جيوش حتى استسلم ثم قتل وصلب متهما بالتآمر مع
الافشين على إعادة دولة الفرس القديمة وأحياء عقيدتها.

* قدم أمير مصر الجديد مالك بن كيدر (٢٣ ربيع آخر) ودام امره عام واحد.

* قضى المعتصم فى هذه السنة على ثورتين الأولى فى أردبيل قادها منكجور من قرابة
الافشين إلى أن استسلم لقائد المعتصم بغا الكبير، والثانية تزعمها ابن فهرجس من زعماء
الأكراد فى الموصل الذى أوقع به القائد إيتاخ فانتحر بالسم.

* ولد بمدينة أمل بطبرستان (مازندران الحالية) شيخ المؤرخين المفسرين ابن جرير الطبرى
مؤلف التاريخ المعروف باسمه والتفسير المعروف باسمه كذلك وكلاهما مطبوع متداول.

* توفى فى هذه السنة عن اثنين وستين ابراهيم بن المهدي ويعرف باسم ابن شكلة الأسود
وهو أخو اخليفة الرشيد وكان قد تار على المأمون ودعا لنفسه ودامت خلافته التى يتجاهلها
المؤرخون ٢٣ شهراً، أمه أم ولد سوداء.

الصبي إلى ذلك اليوم لم يمت بل معلقا قد سلخ
كثير منه، وكان الصبي العريف ينظر معلمه
الساحر يدخل ساعه بعد ساعه إلى الخزانة التي
فيها الصبي معلقا فقال في قلبه ماذا يصنع معلمى
فى هذه الأيام يدخل هذه الخزانة ويخرج، وكان
ذكىا فدخل المعلم فتبعه الصبي بمكر فسمع
الصبي ابن الأرملة يبكى ويتضرع إليه وهو لا
يرحمه وكان يقول كلاما يحزن القلب: الويل لك
يا أمى الحزينه الأرملة: لأنك ما تعرفى ما حل بى،

سنة ٢٢٥ هجرية

استهلت السنة بيوم الأربعاء الموافق ١٢ نوفمبر ٨٣٩ م.

* غضب المعتصم على قائده الأفشين فعزله وحبسه بعد أن وجه له تهمة خداعه وتآمره
وعمله على إحياء النعرات القديمة بين الترك والفرس والخزرا لا سيما بين أهل أشرونة
(التركستان الشرقية) مسقط رأسه.

* تولى عبد الرحمن الأموى بنفسه قيادة الصانفة وغزا أرض جليقية (مملكة ليون) وعليها
الفونسو الثانى، ومن ناحية أخرى لجأ إليه الناصر ابن عبد الجبار فغدر به الفونسو وأسر أهل بيته
بعد أن قتل فى المعركة.

* استعمل المعتصم حاجبه أشناس على اليمن بعد عزل جعفر بن دينار وبالف فى رفعه بان
أجلسه على كرسى ثم توجه ووشحه.

* وقعت سلسلة من الزلازل فى الأهواز استمرت اياماً وسقط الجامع وأكثر البلد وهرب
الناس الى ظاهر المدن.

* استولى أبو الأغلب أمير صقلية الأغلبى على قلعة البلوط وهى من معاقل الجزيرة.

* ولد فى هذه السنة الناصر العلوى (الحسن بن على) الملقب بالأطروش وهو ثالث أمراء
الدولة العلوية بطبرستان، وفيها ولد المؤرخ الامامى أبو عبد الله جعفر بن محمد الطالبى.

الويل لبطنك التي حملتني وتدييك اللذين
ارضعاني، اين أنتى تنظرين عذاب ولدك اليتيم،
ليت لو مت وأنتى حامله لى ولم تلدينى على
الأرض حتى وقعت فى هذا العذاب الشديد، اين
عيناك تنظرانى اللتان تشتهيان أن تنظرانى
وتشاهدانى فى هذا العذاب. ويقول مثل هذا كثيراً
والصبى العريف يسمعه فخرج مسرعاً بخوف
عظيم يقع ويقوم من شدة الخوف إلى أن وصل
بيت الأرملة أم الصبى، فقال لها: قد وجدت ابنك

سنة ٢٢٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٣١ أكتوبر ٨٤٠ م.

* تولى أبو العباس محمد الأول إمارة تونس خلفاً لأبيه الأغلب بن ابراهيم وهو الخامس
من الأغالبة ودامت إمارته نحو ثمانى سنين بنى خلالها كثيراً من الحصون الساحلية لرد أى
غزو أجنبى.

* حج فى هذه السن ٢٢٣ هـ الحاجب أشناس وأمر المعتصم بأن تكون له ولاية كل بلد يدخله
وخطب له على منابر مكة والمدينة وغيرهما من البلاد التى اجتاز بها إلى أن عاد إلى سامراء.

* تولى إمارة مصر أبو حسن الأرمنى (على بن يحيى) من كبار قواد المعتصم والوائق من
بعده وذلك للمرة الأولى واستمر فى الحكم نحواً من ثلاث سنين استبد فيها بأهلها وعاد إلى
بغداد مكرماً.

* تولى إمارة عمارن المهنا بن جيفر اليمحدى بالبيعة، اشتهر بانتصاراته البحرية.

* فى جمادى من العام (يناير) أمطرت السماء فى بادية الشام برداً كالبيض قتل منه
ثلاثمائة وسبعون نفساً.

* شهدت هذه السنة نهاية الافشين (حيدر بن كاوس) أبرز الشخصيات فى عصر المعتصم
توفى فى سجنه بعد أن منع عنه الطعام والشراب ثم أخرج وصلب فى شعبان - مايو ٨٤٠،

فجأت مسرعه بعد أنت عاد عليها ما سمعه من
فم ابنها، فمضت إلى الوالى وعادت عليه القضية
وما سمعته فانفذ معها قوما ثقات من المسلمين
ومعهم أعوان إلى بيت ذلك الكافر فوجدوه داخل
الخزانة التى فيها الصبى معلقا مسلوخا من رقبته
إلى كتفيه، فحملوه والساحر مكتفا معه إلى الوالى
وبغته ربطو يديه ورجليه وقطعت أذناه بين يدي
الوالى فاعترف له بكلمة كان منه واحضرو الصبى
وعاينوه على تلك الحال وكتبوا فى الوقت إلى

واتهم بالتآمر على الخليفة والعمل على إستعادة حكم اباءة ملوك أشرونسة كما اتهم بالارتداد
إلى الوثنية المجوسية، كما توفي مازيار بن قارن صاحب طبرستان الذى ثار وظفر به مات ضرباً
بالسياط.

سنة ٢٢٧ هجرية

أهل المحرم يوم الجمعة الموافق ٢١ أكتوبر ٨٤١ م.

* فى الأول من المحرم احتجم الخليفة المعتصم فأصيب بالعلة التى قضت عليه.

* تولى الخلافة العباسية ببغداد أبو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم (التاسع من ربيع
أول) خلفاً لأبيه المعتصم، أمه أم ولد رومية اسمها قراطيس، وله من العمر احدى وأربعون سنة
وهو التاسع من بنى العباس.

* عاصر تولية الخليفة الواثق، إمبراطور بيزنطة ميخائيل الثانى (توفى فى نفس العام)
وشارل الجسور فى فرنسا، ولوثار فى ألمانيا، والملك السكسونى إيثلورلف فى أنجلترا، والبابا
جريجورى الرابع.

* خرج عبد الرحمن الأموى على رأس جيشه إلى شمال الأندلس ودخل أرض النافار حتى
ببلونة اذا تحالف ملكها جارسيا مع الثائر ابن قسى عامل تطيلة.

«القاسم» ملك مصر فلما وقف على الكتاب أمر
برجمه وحرقه بالنار.

ومع هذه الأمور لم يتخل القاسم عن طريقته
السو ومحبته جمع الذهب وكان يغير الولاة كل
وقت ليرث عنهم.

وكانت قبيله في الجبل الشرقى من مصر من
بلبيس إلى القلزم والبحر من المسلمين يسمون
العرب وكان فيهم أكثر من ثلثين ألف فارس
منتشرين فى تلك البرارى والبلاد ومنهم امرا

* خرج بفلستين ثائر يدعى المبرقع ادعى النبوة فسار إلى حربه رجاء الحضارى أحد قواد
المعتصم فأسره عندما تفرق عنه أتباعه وقتل خنقا قبل نهاية العام.

* وفى دمشق ثارت القيسية فحاصرها الأمير أبو المغيث.

* شهدت السنة (٨ ربيع أول) وفاة الخليفة المعتصم العباسى بسامراء عن نحو ثمان
وأربعين، وأمه ماردة من مولدات الكوفة عن أصل صفدى، وأخلف ثمانية بنين وثمانى بنات،
كانت مدة خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام.

سنة ٢٢٨ هجرية

استهلّت السنة ليوم الثلاثاء الموافق ١٠ أكتوبر ٨٤٢ م.

* أقر الخليفة الواثق وزير أبيه محمد بن عبد الملك الزيات ولم يستوزر سواه.

* خرج فى هذه السنة الفضل بن جعفر الهمداني أمير صقلية فى البحر واستعاد ميناء
مسينا وانتقل إلى ساحل ايطاليا وصار شمالاً حتى ميناء نابولى وضرب الحصار حولها ثم
استدارت كتيبة من جنده حول الجبل المطل عليها ونزلت المدينة فانهزم أهلها واستسلموا كما
استولى على مدينة مسكان.

* خرج عبد الرحمن الأموى صاحب الأندلس ولعامه الثانى إلى غزوه مملكة النافار (بلاد

مقدمون عليهم فولى عليهم زماما [جايى أموال] يسمى «أبا جراح» وكانت خيامه عند دير على اسم السيده مريم قريب «تيس» وفيه جماعه من الرهبان وكهنه مزينين بأفعال حسنه، واغومنس [قمص] قديس كان من «وادی هبيب» من دير القديس «أبى مقار» واسم الاغومنس «ايماخس» واستحق الأسقفية بعد ذلك، ورهبان قديسين البعض منهم استحق درجة الاسقفية، وكان معه من جملة الرهبان فى هذا الدير: «أبا مينا» الذى

البشكنس) فهزم ملكها جارميا (غرمية) وحليفة الناصر ابن قسى اللذين فرا جريحين، وعاد عبد الرحمن إلى قرطبة بعد أن وطد الأمن على حدود دولته الشمالية.
* توج الخليفة الواثق (رمضان من العام) قائده أشناس، الذى كان على مصر واليا، للمرة الثانية وألبسه وشاحين مطعمين بالأحجار الكريمة واستخلفه على سائر الولايات.
* توفى فى سجنه بمصر فى فتنة خلق القرآن الراوية أبو عبد الله نعيم بن حماد، له كتاب الفتن والملاحم، والقاضى عبد الله بن سوار العبرى.

سنة ٢٢٩ هجرية

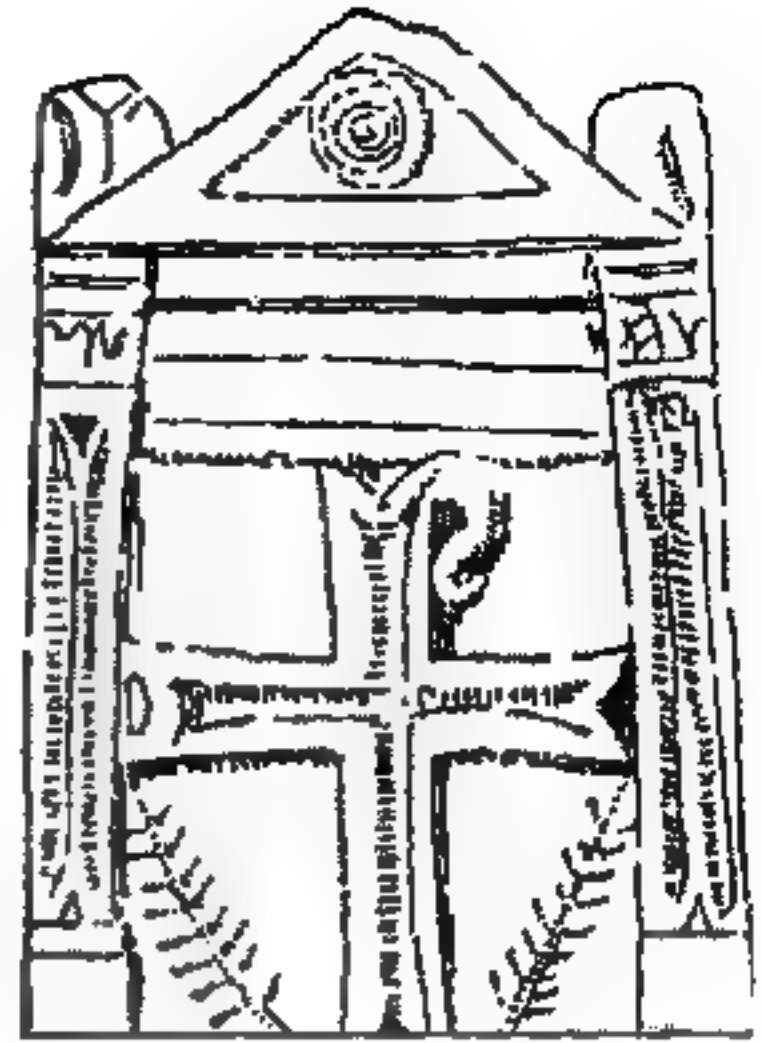
الأول من المحرم وافق يوم الأحد ٣٠ سبتمبر ٨٤٣ م.

* نكب الخليفة الواثق كبار كتاب الدواوين وأوقع بهم وطالبهم بأموال اتهمهم باختلاسها فاستخلص من أحمد بن الخصيب وكتابه مليونين من الدينارين ومن سليمان بن وهب كاتب إيتاخ أربعمئة ألف ومن ابراهيم بن رياح مائة ألف وغيرهم سوى ما أخذ من العمال الذين أسرعت إليهم الثروات بسبب عمالاتهم، وتولى أعمال المصادرة صاحب الحرم اسحق بن يحيى.

* فيها توفى أبو جعفر اشناس فى القسطنطينية.

* تولى محمد بن صالح إمارة المدينة، وعيسى بن منصور إمارة مصر للمرة الثانية.

صار أسقف مدينة «منف» و«أبا يعقوب» القس،
وجماعة رهبان. وكان للزمام إخوان فاخذهما
وصعد إلى الدير ودخل البيعة وطرد الرهبان
من البيعة ونهبوها وأخذوا كلما في الدير من
قماش وغلة وأثاث، وكان أخوه الصغير أشر
منه، وكان في موضع الاغومنس صليب
منصوب في الشرق يستعين به على الشياطين
المقابلين له في كل وقت، فدخل الصبي إلى
الموضع فقال للاغومنس لآى شى هذا



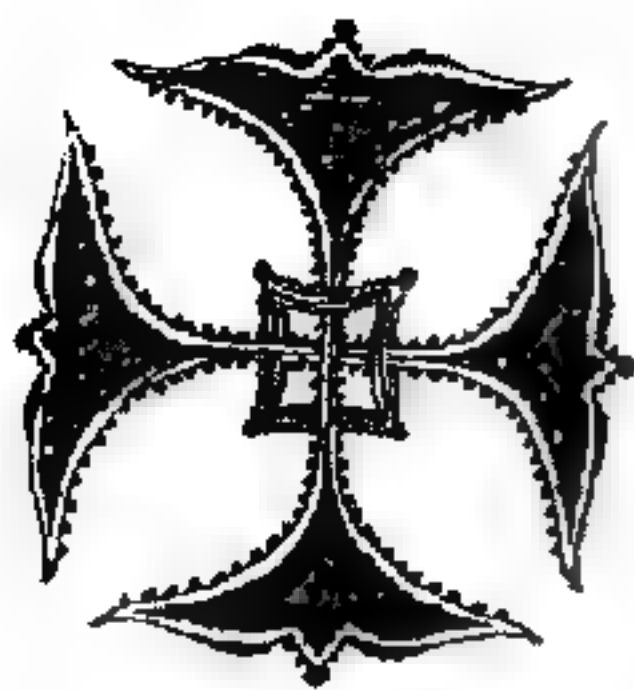
- * فى اواخر هذه السنة وأوائل العام التالى فوجئ عامل أشبونة (لشبونة) العربى باسطول يضم ثمانين مركباً للنورماندين (الفايكنج) أهل الشمال (الدنمارك أو النرويج) ألقي مراسيه وألحم الغزاة بأهل إشبونة (على ساحل البرتغال) من المسلمين.
- * وافق هذا التاريخ وفاة ألفونسو الثانى ملك ليون (جليقية) فى شمال الأندلس وقد دام حكمه إحدى وخمسين سنة.
- * انقسام مملكة شارلمان إلى ثلاث ممالك.

سنة ٢٣٠ هجرية

استهلّت السنة بيوم الخميس الموافق ١٨ سبتمبر ٨٤٤م.

* فى أوائل المحرم ظهر اسطول الغزاة النرماندين أمام مدينة اشبيلية بعد أن دار حول الساحل ودخل الوادى الكبير وراحوا بنهبون ويخربون ويأسرون حتى خف لنجدة أشبيلة جيش عبد الرحمن الأموى بقيادة عبد الله بن كليث وجيش من المتطوعة بقيادة نصر الخصى وعند طبلطة جنوب اشبيلية نشبت المعركة (٢٥ صفر) فهزم الغزاة وأحرقت ثلاثون سفينة لهم ولاذوا بالفرار.

* بدأ عبد الرحمن الأموى أمير الأندلس فى بناء أسطول أندلسى كبير ليقتضى على مغامرات الدول البحرية كما بدأ فى إقامة سور أشبيلية للسبب نفسه.



عوض يان بن له تفت
يملكوت السموات

الصليب؟ فقال: هو صليب إلهي المسيح. فقال له: أنت تعبد به؟ فقال له نعم. فبصق على الصليب واستهزأ به وشتتم الشيخ الأغومنس، فخرج الشيخ من الدير بقلق عظيم قايلاً أن لم يأخذ الرب الحق من هذا الصبي لا عدت إلى هذه البيعة جميع أيام حياتي. ثم مضى إلى موضع آخر وأقام فيه وقال في نفسه أني أصبر عشرة أيام وانظر ما يكون وألا مضيت فلما كان في اليوم الثامن مضى الصبي أخ الزمام وجلس على بيت الماء فنزلت أحشا

* أوقع بنو سليم وعلى رأسهم عزيزه السلمي ببعض بطون بني كنانة وباهلة حول المدينة وهزموا قوة أميرها محمد بن صالح واستباحوا ما بين مكة والمدينة فأنفذ إليهم الخليفة الواصل قائده بغا الكبير على رأس جند من الأتراك والمغاربة فقصى على الفتنة وحمل منات الأسرى إلى سامراء.

* توفي من رجال الحكم في هذه السنة: عبد الله بن طاهر (ابن الحسين) صاحب الشرطة وأمير خراسان ومصر والدينور وطبرستان والري، أحد مشاهير الولاة والقواد في العصر العباسي الأول توفي بنيسابور عن ثمان وأربعين، وفيها توفي خالد الشيباني أمير مصر والموصل وديار ربيعة في خلافة المأمون.

سنة ٢٣١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين ٧ سبتمبر ٨٤٥ م.

* جرى في يوم عاشوراء (١٠ المحرم) من هذه السنة الفداء بين المسلمين والروم وهو الفداء الثالث طالب به الامبراطور ميخائيل الثالث واجابه الواصل وتم على يد خاقان الخادم وجرى اللقاء على نهر اللامس بالأنضول وفيه قودى ٤٦٠٠ من المسلمين كل نفس صغيراً أو كبيراً، وكان أول فداء قد جرى في أيام الرشيد.

* استأنف عبد الرحمن الثاني الأموي حرب الصائفة بعد أن رد الغزاة النورماندين، وكان

[ء]ه وأمعا [ء]ه وخرج كلما فى بطنه مثل أريوس الكافر. فلما شاهد أخوه الزمام ذلك خاف وخرج من الدير، ولحق الخوف كل من سمع ونظر، ثم أنه طاف فى تلك الاماكن إلى أن وجد القديس ايماخس فاعاده إلى البيعه بعد سؤال ممجدا مكرما، وأعاد إليه جميع ما أخذوه ووقع خوف عظيم على المسلمين إلى مدة طويلة.

وفى جميع ذلك كانت بيعة اسكندريه أرملة

جيشه بقيادة ابنه محمد بن عبد الرحمن فدخل مملكة ليون وعاث فيها سلباً ونهباً، وحاصرها حتى ألجأ أهلها إلى الاعتصام بالجبال.

* بعث الوائق كتباً إلى عمال الولايات لامتحان العلماء بخلق القرآن وكان قد منع أبوه المعتصم ذلك ودام هذا إلى أن مات الوائق.

* تولى إمارة اليمن جعفر بن دينار، اليمامة والبحرين اسحق بن ابراهيم.

* فيها نهب النورمانديون مدينة باريس.

سنة ٢٣٢ هجرية

أهل الحرم يوم السبت الموافق ٢٨ أغسطس ٨٤٦ م.

* فى الثالث والعشرين من ذى الحجة تولى الخلافة العباسية جعفر المتوكل على الله بن المعتصم وأخو الوائق الذى خلفه فى يوم وفاته باختيار أعيان رجال الدولة له، أمه أم ولد خوارزمية تدعى شجاع، وقد دامت خلافته نحواً من خمس عشرة سنة.

* وقعت سلسلة من الزلازل بأرض الشام فانهارت بسببها بعض الدور بدمشق ولقى جماعة حتفهم تحت الردم، وصحب ذلك قحط بالحجاز فمات كثيرون من العطش.

* أنفذ الخليفة الوائق قائده بغا الكبير بعد أن قضى على فتنة بنى سليم بالحجاز إلى بنى

بغير بطرك، فاجتمعوا الارتدكسيون التاوضوسيون
وجمعوا الأبأ [ء] الأساقفه وحضر جماعه من
الخلق دونيين المخالفين وجعلو مجمعا بمصر واحضرو
ثلاثة اناس ليختارو منهم واحدا فيجلسوه بطركا
فلم يشأ الرب أن واحد منهم يأخذ الدرجة لكن
حفظها لمن قد اصطفاه وعرفه من البطن كما
يظهر مستأنفا من القول.

ونزع الله المملكة من القاسم، (*) وانفذ إليه (*) عزل القاسم عن ولاية مصر.

تميم باليمامة وبعد معارك ارتد فيها جيش الخليفة مرتين غلبوا عليهم وهزموهم فسيق كثير من
أسراهم إلى سامراء.

* سار الفضل بن جعفر بعد أن استولى على ميناء مسينا الايطالية إلى مدينة لسي وفتحها
بعد حصار.

* ولد بسامراء الخليفة المعتز بالله العباسي ابن الخليفة المتوكل وقد عقد له أبوه البيعة وهو
ابن ثلاث سنين، وفيها ولد بالمدينة الامام الحسن العسكري ابن الامام الهادي وهو الحادي عشر
عند الشيعة الامامية.

* في الثالث والعشرين من ذى الحجة توفي الخليفة الواثق وكان قد أصيب بعلة الاستسقاء
وله من العمر ست وثلاثون، وبموته يكون قد مضى على قيام الدولة العباسية قرن من الزمان.

* ممن توفوا في هذه السنة: العالم الرياضي الفلكي أبو عبد الله محمد بن موسى
الخوارزمي الذي ينسب إليه وضع علم الجبر له كتاب الجبر والمقابلة ويعتبر أول كتاب ألف في
موضوعه، وله كتاب صور الأرض أو الربع المعمور.

سنة ٢٣٢ هجرية

استهلّت السنة بيوم الأربعاء الموافق ١٧ أغسطس ٨٤٧ م.

* تولى إمارة مصر هرثمة بن نصر وفي أيامه ورد كتاب الخليفة المتوكل إلى مصر بترك

الخليفة من قبض عليه وحمله إليه تحت الحوطة والضيق. ولما سار إلى بلبس مع الموكلين به السائرين به إلى الخليفة لحقوه الأساقفة وجماعه من النصارى إلى بلبس وسألوه أن يفسح لهم فى ان يقيموا بطركا، فالتمس منهم أن يدفعوا له مالا، فلم يدفعوه فامتنع ولم يطلق لهم إقامة بطرك. فقال «أبا تادرس» أسقف مصر، [وكان أكبر الأساقفة فى ذلك الزمان، وهو أول التلثة أساقفه الذين جلسوا واحدا بعد واحد وكل منهم اسمه

الجدال فى القرآن واتباع السنة وعدم القول بخلق القرآن الذى بدأ منذ خلافة المأمون ونكب بسببه كثير من العلماء.

* وقعت زلزلة عظيمة بدمشق استمرت ثلاث ساعات سقطت من جرائها شرفات الجامع الأموى الكبير وانصدع حائط المحراب وسقطت المنارة، وامتدت موجة الزلازل فشملت شمال العراق والموصل حتى أنطاكية على البحر ونشرت الخراب ولقى الوف الناس حتفهم تحت الردم.

* ولى المتوكل ابنه محمد المنتصر الحرمين، وولى ابن خاقان ديوان الخراج وعزل الفضل بن مروان.

* شهدت السنة وفاة اثنين من تولوا إمارة مصر هما عيسى بن منصور وكان قد تولى على مصر مرتين وهو الذى فشل فى القضاء على ثورة المصريين القبط، وفيها توفى مالك ابن كيدر وكانت ولايته ثلاث سنين حتى عام ٢٢٤هـ.

سنة ٢٣٤ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الأحد ٥ أغسطس ٨٤٨ م.

* أنفذ عبد الرحمن الأموى أمير الأندلس حملة بحرية عسكرية إلى جزيرة ميورقة كبرى

«تأدرس» على كرسى مصر، لأبي الروحاني «أبا
 موسى» (*) أسقف «وسيم»: انظر أيها الأب فعل
 هذا «القاسم» الذي لم تشاهده أنت إلا اليوم وما
 فعله من الشرور بالناس الذي أنا مشاهد له أكثر
 أوقاتي. فقال له الأسقف «أبا موسى»: أغفر لي
 يا سيدي الأب أن عاد هذا إلى مصر دفعة أخرى
 فما تكلم الله في أنا الخاطي قط وستسمع ما يفعل
 الله بهذا البائس الشقي.

(*) أبا موسى (موسى). يذكر
 عنه القس منسى يوحنا في كتابه
 «تاريخ الكنيسة القبطية» ص ٣٢٨،
 ٣٢٩ مايلي:
 من اعلام آباء الكنيسة في هذا
 الجيل قصد بركة شيهات وترهب عند
 رجل قديس فمكث في خدمته مدة
 ثمان عشرة سنة سالكا طريق الفضيلة
 والنسك الزائد. ولما اشتهر امره اختير
 أسقفا لوسيم فرعى رعيته أحسن
 رعاية ولم يفتن شيئا في كل زمانه
 وعرف بالنقوى والشجاعة وكان
 يقضى جل أوقاته في الصوم

جزر البليار لتأديب أهلها لتعرضهم لسفن المسلمين في البحر فاذعنوا بالولاء والطاعة ودفع
 الجزية.

* تولى عرش الإدارة بفاس من المغرب يحيى بن محمد خلفا لأخيه على حيدرة وبعهد
 منه ودام حكمه ست عشرة سنة شغل خلالها بتعمير مدينة فاس وبناء مسجدها الجامع.

* تولى ثلاثة إمارة مصر خلال هذه السنة أولهم هرثمة بن نصر حين وفاته في شهر رجب
 فخلفه ابنه حاتم بن هرثمة، وثالثهم على بن يحيى الأرمي تولى في رمضان وذلك للمرة
 الثانية، وكان لثلاثهم نوابا للأمير إيتاخ.

* ضاعف المتوكل في اقطاعات الأمير إيتاخ التركي ففوض إليه بالاضافة إلى إمارة مصر،
 الكوفة والحجاز وتهامة ومكة والمدينة ودعى له على المنابر.

* تولى قضاء القيروان الفقيه سحنون مؤلف المدونة في فقه المالكية وهي من أشهر
 المؤلفات في موضوعها.

* شهد العراق من البصرة في الجنوب إلى الموصل وسنجار في الشمال هبوب رياح
 شديدة السموم لم يعهد بمثلها أحرقت الزرع والماشية وقتلت المسافرين ودامت خمسين
 يوما.

* أعلن الثورة أمير أرمينية وأذربيجان محمد بن البعث فنارزه القائد بغا الشرايى حتى طلب
 الأمان.

والصلوات حتى لم يكن يتيسر للناس مقابله الا فى يومى السبت والاحد وكان غيورا على الايمان المستقيم ففى أول رسامته كان فى مدينة اوسيم اديرة كثيرة لاصحاب ميليتس المنشق فوعظهم بكلام كثير وكان جلهم قد لبسوا الاسكيم من يده فلما لم يطيعوه نفاهم جميعا. ولما جرى الاضطهاد على البيعة هرب كل الاساقفة الى كراسيهم الا ان أبروشية الانبا موسى تعلقت به لكى لا يتركها فريسة للذئاب فكان يطوف الجيزة

وأعمال مصر مفتقدا المؤمنين ومثبتا اياها. واتاه يوما بعض اراخنة مصر وطلبوا اليه ان يصلى الى الله ليرفع الكرب عنهم وعن شعبه لانهم كانوا قد أحصوا الذين اعتنقوا الاسلام فوجدوهم أربعة وعشرين الفا فقال لهم آمنوا يا أولادى ان الوالى الذى يضطهدكم يهلك فى بحر هذا الشهر فكان كما قال ولما بلغ أمره حوثة الوالى الذى خلف ذاك قرب اليه القديس وكان يستشير فى الامور المهمة. وحدث بعد ذلك خلاف بين

الارثوذكسين والخلكيديونيين على البيع فخاف الشماسة ان يدفع الخلكيدونيون رشوه للوالى فيسلم لهم فى بيع الارثوذكسين ولذلك طلبوا من الانبا موسى ان يرشى الوالى مثلهم فأجابهم «يا أولادى لا يلىق بالبطاركة والاساقفة ان يدفعوا رشوة لاحد كما لا يلىق بهم ان يأخذوا من احد فان الله لا يتخلى عنا حسب وعده». وفى أثناء ثورة البشامرة ضد الحكومة سأل تلميذ له عن النتيجة فأجابه لا يترك الله بيعته الى التمام بل يخلصها وهذه

سنة ٢٢٥ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الجمعة ٢٦ يوليو ٨٤٩ م.

* تغير خاطر الخليفة المتوكل على حاجبه إيتاخ التركى بعد عودته من الحج وأوعز الى صاحب شرطته اسحاق بن ابراهيم بالقبض عليه فى الباطن وحبسه وقتله ففعل، كان إيتاخ قد تولى من قبل قتل القائد عجيف والأمير العباس بن المأمون.

* غمرت السيول أنحاء كثيرة من الأندلس وفاضت الأنهار حتى غرقت المزارع والقرى.

* عقد المتوكل العهد لأبناءه الثلاثة: المنتصر والمعتز والمؤيد كما قسم بينهم الولايات: فكانت مصر وأفريقية والمغرب والشغور والحجاز والسند من نصيب المنتصر، وخراسان وما وراء النهر من نصيب المعتز، وأرمينية وأذربيجان والشام من نصيب المؤيد.

* فيها ثارت البجة على الساحل الجنوبي للبحر الاحمر بمصر فانفذ الخليفة المتوكل لحربهم محمد بن عبدالله من مصر بجيش كبير فشل فى اخضاعهم.

* فى الحجة من السنة تولى إمارة مصر اسحق بن يحيى الختلى بعد عزل على بن يحيى الأرمنى.

* ممن توفى فى هذه السنة: أبو الحسن المصعبى (اسحق بن ابراهيم) صاحب شرطة بغداد وهو الذى أوقع بالثائر بابك عام ٢١٨ هـ وتولى قتل إيتاخ الحاجب فى أول هذه السنة.

المملكة تبید وتحل أخرى محلها وبعد مدة وجيزة ضيق ابن مروان الوالى على البابا خائيل فاتى هذا صباح يوم احد الى اوسيم والجنود تقوده فعندما ابصرهم الانبا موسى قال هذا هو اليوم الذى اتوقعه ومن اراد ان يذل نفسه فليتبعتى لاني اشتهى من زمان ان اسفك دمي الدنس عوضا عن الدم الزكى المسفوك عنا. ولكن عظيم هو حزني لان جبل القديسين قد اضمحل وافتقرنا جدا لانجد انسانا يشاركنا في هذه التضحية.

ولبس القديس ثوبا وترك جميع ما فى يمينه وتبع البطريرك ولما مثلوا امام الوالى طرح الانبا موسى على ركبته ورفعت رجلاه الى فوق وضرب بدبايس نحاس على جنبه ورقبته وكان الجنود المكلفون بضربه يقولون له اعطنا مالا ونحن نتركك فلم يكن يجاوب بكلمة واحدة.

وامر الوالى بقطع رقبة البطريرك وساقه السيف الى موضع القتلى فجرى الانبا موسى خلفه ولم يشأ أن يتركه فمنعه

السياف وهولا يمتنع حتى غضب منه ورفع عليه دبوس نحاس ليضربه به فمد القديس رأسه الا ان بعض الموظفين منعوا الجلاد من ان يضربه. وكان الجنود يشهدون عه قائلين بلغتهم العربية «نعم هذا الخادم لربيه ثم وضع في السجن مع البطريرك وقيدت رجلاه مع كثيرين من الاساقفة فتنبا لهم الانبا موسى بانهم يخرجون بالسلام وتم قوله لان مروان مضطهدهم انهزم فخرجوا من السجن سالمين الى كراسيهم.

* توفي في هذه السنة على الأرجح شيخ المعتزلة الفيلسوف أبو الهذيل العلاف وقد جاوز المائة من العمر.

سنة ٢٣٦ هجرية

أهل المحرم يوم الثلاثاء الموافق ١٥ يوليو ٨٥٠ م.

* تولى إمارة جزيرة صقلية العباس بن الفضل بعد وفاة إبراهيم الأغلبى وحصر قصر يانة أحد المواقع الهامة في الجزيرة كما هزم الاسطول البيزنطى بالقرب من سرقسطة التى توفي بها عام ٢٤٧ هـ فلما دخلها الروم بعد ذلك نبشوا قبره إنتقاماً منه.

* أشخص الخليفة القضاة إلى الولايات لبيعة ولاية عهده، وهم: المنتصر ومن بعده المعتز ومن بعده المؤيد وبعث خواصه الى الأمصار ليأخذوا البيعة بذلك وكان قد عقد لكل منهم لواءين: أسود وهو لواء العهد وأبيض وهو لواء العمل.

* وثب أهل دمشق على نائب الخليفة وقتلوه ثارا لاذلاله بعض وجهاء المدينة.

* جاهر المتوكل بعداءه للعلويين بعد أن ثار وغضب للتكريم الذى يحظى به الامام على وبنوه حتى انتهى الأمر به الى هدم مشهد الامام على (بالنجف) وقبور العلويين.

* ضرب المتوكل وزيره محمد بن الفضل الجرجرائى لأنه ضجر من صحبة الشيوخ واستوز حدثا هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

ثم سيروه الموكلون به ولم يعد إلى مصر، بل أخذ جميع ماله وهو في العذاب والاعتقال، وانفذ الخليفة إلى مصر أخذ عبيده وسراريه ومضو بهم إلى الخليفة. ثم عادو الأبا [ء] الأساقفة ومن معهم إلى مصر فوجدوا الخلق دونين قد سبقوهم وأخذوا انسانا من مقالتهم كان يعمل الأبر في السوق اسمه «قسما»، وكانو قد جمعوا فيما بينهم ذهبا وفضة وآنيه ودفعوه لذلك الخالف «القاسم» قبل مضيه وتقدم لهم بأن يقيموه بطركا، فأخذوه

* تولى إمارة مصر في ذى القعدة من السنة عبد الواحد بن يحيى بعد أن صرف عنها اسحق بن يحيى الختلى لأنه أخرج العلويين من مصر كأمر الخليفة ولكن من غير إفحاش في أمرهم.

سنة ٢٢٧ هجرية

افتتحت السنة يوم الأحد الموافق ٥ يوليو ٨٥١ م.

* شهدت السنة ظهور يعقوب بن الليث الصفار حين اشترك في الثورة بسجستان وهو جد الصفاريين.

* غضب المتوكل على أحمد بن أبي داود وكان مفلوجا وعلى ابنه أبي الوليد محمد ابن أحمد وكان قد ولاه المظالم والقضاء فعزله باستصفاء أموالهما من نقود وعقار وأقطاع .
* أطلق المتوكل جميع من كان في السجون ممن امتنع عن القول بخلق القرآن في أيام أبيه.

* شهد صيف هذه السنة طابور استشهاد النصارى المعاهدين بقرطبة أذكاه بعض القسس بتشجيع سب النبي محمد مما كان يستتبع قتلهم جبهة لاستفزاز عبد الرحمن الأموي ثم صدر قرار مجلس الأساقفة الذي أوقف هذه الحركة ولكن الفتنة لم تلبث أن أخذت بعد أن لقي عددا كبيرا جزاءه فاعتبرت منهم الكنيسة من الشهداء.

اخلققدونيون واوسموه بطركا لهم وافتخرو على
الارتدكسين بانهم أقامو بطركا ولم يقيموهم
بطركا لهم.

وكان والى مصر بعد القاسم إنسانا اسمه
«حفص بن الوليد الحضرمي» كبيرا في جنس
المسلمين بمصر، وكان سنيا على مذهبهم. فلما
كان في تلك الأيام اجتمع أساقفة مصر في سنة
أربع مائه وتسع وخمسين لديقلاديانوس في اليوم

-
- * بويع الصلات بن مالك الخروصي الاباضي إماما على عمان خلفا للإمام المهنا بن جعفر.
 - * وثبت بطارقة أرمينية على عاملهم يوسف بن محمد فقتلوه وبلغ المتوكل ذلك فجهز
لحربهم بغا الكبير فقتل منهم مقتلة عظيمة حتى بلغ عدد القتلى ثلاثين ألفا.
 - * ظهرت نار بعسقلان أحرقت البيوت وبيادر الحبوب فدفعت الناس للهرب إلى النواحي.
 - * ولد في هذه السنة ابراهيم بن الأغلب من أمراء الأغالبة بتونس تولى عليها بعد أخيه أبي
الغرائق.
 - * ممن توفى في هذه السنة: أمير مصر اسحق بن يحيى بعد أيام من عزله وتولى مكانه
عنبسة ابن اسحاق بن شمر.

سنة ٢٢٨ هجرية

وافق أول المحرم يوم الخميس ٢٢ يونية ٨٥٢ م.

- * حاصر بغا الكبير قائد المتوكل مدينة تفليس بعد أن قضى على ثورة بطارقة أرمينية وكان
على تفليس أحد موالى بني أمية فأسر وضربت عنقه وأحرقت المدينة كما حمل بغا معه كثيرا
من بطارقة اذربيجان وأران كأسرى وعبيد.
- * في يوم عرفة من هذه السنة جاء اسطول يزنطى إلى سواحل مصر وانتهز خلو دمياط

التامن والعشرين من مسرى وكان معهم كهنة
اسكندرية الاراخنة واحضرو قوما صحبتهم ليقع
التخير(*) منهم على أحد. كان بعض الأساقفة قد
ذكر اسما واحدا سرا، والله العالم بكل شى قد
حفظ هذه الرتبة لمستحقها. وهذه اسما [ء]
الأساقفة الذين كانوا مجتمعين لتقدمة البطرك:
إبراهيم أسقف الفيوم، موسى أسقف وسيم، مينا
أسقف تمي، يعقوب أسقف بوصير، تادرس
الأسقف المترانوس أسقف مصر، بقطر اسقف

(*) اختيار البطرك الجديد والاحداث
التي صاحبه.

من الجند الذى استقدمهم أمير مصر الجديد عنيسة بن اسحق إلى الفسطاط إحتفالاً كما يقال
بطهور ولديه وبالأعياد فاعملوا القتل والسبى والنهب حتى خرج عليهم أبو جعفر بن الأكشف
فقدم دمياط وكان مسجوناً فاجتمع عليه أهل المدينة فحارب بهم الروم حتى هزموهم
وأخرجوهم من دمياط فمضوا إلى تيس فلم يقدروا عليها وعادوا إلى بلادهم قبل أن يصل
جند عنيسة.

* تولى إمارة الأندلس أبو عبد الله محمد الأول ابن عبد الرحمن الثانى الأموى وبعهد منه،
أمه أم ولد تسمى بهتر.

* عادت حروب الصائفة وغزو أرض الروم فدخلها فى هذه السنة على بن يحيى الأرمنى
فأثنى فيها وأسر وسلب.

* فيها حاصر بغا مدينة تفليس، وبها إسحاق بن إسماعيل، ولما استسلمت المدينة ضرب
بغا عنق اسحاق وأحرق المدينة بناسها.

* توفى بقرطبة (٣٠ ربيع الثانى) أبو مطرف عبد الرحمن بن الحكم المعروف باسم عبد
الرحمن الأوسط رابع ملوك الدولة الأموية بالأندلس عن اثنين وستين، وكانت ولايته إحدى
وثلاثين سنة وشهور وهو أول من أسن قواعد الملك من الأمويين بالأندلس كما شيد المساجد
وبنى القصور ومد الطرق وزاد رواقين فى جامع قرطبة وضرب السكة باسمه.

مليج، يعقوب أسقف صهرجت، اسحق أسقف
سمنود، إبراهيم أسقف بلبس، بطرس أسقف
ترنوط، خيال أسقف اتريب، وكهنه اسكندريه،
فمضو إلى الوالى «حفص» وسأله أن يأذن لهم
فى إقامة بطرك فقال لهم: إذا استقر رأيكم على
إنسان احفظوه حتى أبصره. فخرجو من بين يديه
ومضو إلى بيعة أبى شنودة بمصر وصلو وجلسو
فى طقوسهم كالقانون البيعى، وكان كل واحد
جالسا عند أبيه الأسقف، وكهنة اسكندريه

* توفى هذه السنة بقرطبة نابغة الموميقى زرياب وكان قد استقدمه الحكم الأموى من
بغداد بعد أن علت شهرته المشرق والمغرب وينسب إليه تطوير آلة العود.

سنة ٢٢٩ هجرية

بدأت السنة يوم الاثنين الموافق ١٢ يونية ٨٥٢ م.

* غزا على بن يحيى الأرمنى أرض الروم (بلاد الأنضول) للعام الثانى وأرغل فيها حتى
شارف القسطنطينية وفى خلال مسيرته أحرق ألف قرية وقتل عشرة آلاف نفس وسبى عشرين
ألفا وترك خلفه دماراً شاملاً يذكرنا بما حدث للبشمور فى مصر على يد الخليفة المأمون.

* عبر العباس بن الفضل أمير صقلية البحر بإسطول ضخيم إلى ساحل كلبريا الإيطالى
عند مصب نهر التيبر واحتل مدينة أومى واستعد للاستيلاء على مدينة روما نفسها ولكن
الحملة تراجعت بعد أن أسرعت الأساطيل المسيحية المتحالفة لانقاذ المدينة، وبعدها إتجهت
الحملة إلى جزيرة كريت عادت بعدها إلى صقلية.

* تجددت الزلازل فشملت فلسطين ووقع من الجبل المشرف على طبرية صخرة ضخمة
مات تحتها خلق كثير.

* أمر المتوكل بهدم البيع المحدثه فى الاسلام واضطهاد اهلها، وفيها أمر بنفى الشاعر على
ابن الجهم إلى خراسان.

جالسون قدام الأساقفه، وجميعهم بسكينه لا
يتكلم أحد كلمه أو يأمر والأبا الأساقفه جميعهم
وجوهم مطرقه إلى الأرض صغيرهم وكبيرهم.
فلما عبرت الساعه السادسه رفع الشيخ الأسقف
أبا مينا أسقف تمي وجهه وقال بصوت خفى لأبا
إبراهيم أسقف الفيوم: يا أبى أغفر لى ما ترى ما
نحن فيه ومجتمعون بسببه. قال له: يا أبنى السيد
المسيح يدبر الأمور كلها والقديس صارى مرقس
وجميعنا وريس رعاة أنفسنا وأجسادنا معنا. فصرخ

* سير أمير الأندلس الجديد محمد الأول بن عبد الرحمن جيشاً بقيادة أخيه الحكم إلى
قلعة رباح فأصلح سورها وأعاد من فارقها من أهلها وتقدم إلى طليطلة ولكنه إرتد عنها.

سنة ٢٤٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٢ يونية ٨٥٤ م.

* نخرج محمد الأول أمير الأندلس الأموى فى المحرم من السنة إلى طليطلة التى كان
أهلها فى خلاف منذ ولاية أبيه فاستجدوا بملك جليقية (ليون) غير أن الكمائن عصفت
بالقوات المتحالفة فقتل منهم مالا يحصى كما فرق ثمانية الاف من الأسرى على الوجهاء.

* وثب أهل حمص بعاملهم أبى المغيث الرافعى فأنفذ المتوكل اليهم محمد ابن عبدويه.

* عزل المتوكل قاضى القضاة يحيى بن أكثم واستصفى ما جماعته ٧٥ ألف دينار و ٤
ألف جريب من أرض البصرة وخلفه قاضى القضاة جعفر بن عبد الواحد.

* خسفت ببلاد افريقية ثلاث عشرة قرية ولم ينج من أهلها إلا نيف وأربعون رجلاً منهم
أهل القيروان من دخول مدينتهم باعتبار أنهم مسخوط عليهم.

* وتوفى فى المحرم من السنة قاضى القضاة وصاحب المظالم أحمد بن أبى دواد وذلك بعد
أيام من وفاة ابنه أبى الوليد محمد الذى خلفه فى مناصبه حتى غضب عليهما المتوكل
فاستصفى أموالهما، وكان ابن أبى دواد متهما بأنه هو الذى أثار فتنة خلق القرآن.

جميع الشعب والجمع بصوت واحد قايلين: السيد المسيح يتم هذا الأمر بارادته. ووقفوا وصلوا، فلما تموا بالصلاة استقر بينهم الاجتماع بالغداة، فمضى كل واحد منهم إلى موضعه وكان بعض الأساقفة بحرى [الوجه البحرى] قد ذكروا اسم واحد اختاروه فعلم أبا إبراهيم (أسقف الفيوم) فقال لهم أنبا بطرس أسقف ترنوط، كان هذا قد قام جميع أيامه في برية أبى مقار وهو حسن السيره جيد الأفعال: أحذر أن تجعل يدك على الذى

* ممن توفى فى هذه السنة من رجال العلم: سحنون الفقيه الذى إنتهت إليه رئاسة العلم فى المغرب ومؤلف «المدونة» فى فقه المالكية وصلى عليه أمير افريقية محمد بن الأغلب، توفى بالقيروان عن ثمانين.

* فيها توفى طولون أبو الأمير أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية بمصر.

سنة ٢٤١ هجرية

استهلّت السنة بيوم الأربعاء الموافق ٢٢ مايو ٨٥٥ م.

* جرى فى هذه السنة الفداء الرابع بين الروم وملكتهم تيودورا الوصية على ابنها ميخايل الثالث وبين المسلمين وكان اللقاء على نهر اللامس بالأنضول ومثل المسلمين شنيف الخادم وحضره قاضى القضاة جعفر بن عبد الواحد وكان أسرى المسلمين سبعمائة وخمسة وثمانين من الرجال ومن النساء مائة وخمسا وعشرين امرأة.

* إمتنع البجاة من أداء الأخماس وتجاهروا بالعصيان وأغاروا على أعالي الصعيد فانفذ اليهم المتوكل قائده محمد بن عبد الله القمى ابان إمارة عنبسة على مصر فسار اليهم برا وبحرا حتى مدينة دنقلة فأوقع بهم وأرسل ملكهم على بابا إلى سامراء فعفا عنه الخليفة.

يقدمونه لك حتى يجتمع رأى الجميع عليه لأنه ما يصلح لهذه الرتبة. وكان أنبا بطرس قد ضعف لكبر سنه وهو منفرد عنهم. فلما كان فى اليوم الثانى اجتمعوا وصلوا وجلسوا وحضرو كهنة اسكندرية فقال الأبروطس: دبرو هذا الأمر يا ساداتى الابا [ء]. فقال له تادرس: من الذى اخترتموه حتى نعرفه نحن أيضا؟. فقال الأبروطس: فلان وهذا اسمه مكتوب. فقال لهم تادرس: إذا رضى به الجمع فهو جيد. فقال له

* أمر المتوكل بجلد عيسى بن جعفر بالسياط حتى الموت والقاءه فى دجلة لأنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة.

سنة ٢٤٢ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الأحد ١٠ مايو ٨٥٦ م.

* شهدت السنة سلسلة من الزلازل شملت بلاد فارس وخراسان فشقت الأرض وتقطعت الجبال وانخفضت الأرض فى اليمن ردمت القرى ومات آلاف الناس تحت الهدم.

* حج من البصرة ابراهيم بن مظهر الكاتب على عجلة تجرها الأبل فكان ذلك من العجائب لأن استخدام العجل كان من عجائب الزمن بالنسبة للمسلمين.

* تولى إمارة مصر أبو خالد يزيد بن عبد الله خلفاً لعنبة بن اسحق وكان يزيد تركيا ومن أطول ولاية مصر عهداً واستبداداً بأهل مصر.

* أغار الروم على أرض الجزيرة وقتلوا وسبوا ثم رجعوا قبل أن يلحق بهم المتطوعة ثم أمر المتوكل قائده على بن يحيى بأن يغزو أرض الروم شتاءً.

* تولى إمارة تونس أبو ابراهيم الأغلبى خلفاً لعمه أبى العباس وله من العمر ٢٢ سنة.

الأبروطس : هذا الأمر هو إلينا ما هو للأساقفة ليس لهم إلا وضع اليد فقط ونحن الذين نتخير بطركا. فقال لهم أنبا «إبراهام» أسقف «القيوم» : وأساقفتكم أيضا يقدمون لكم الذى يختارونه، لكن إذا قدمتموه وهو مستحق اوسمناه، وأن كان غير مستحق طردناه.

فوقع الخطاب بينهم فى اليوم الثانى، فصلو وانصرفو.

* ممن توفى فى هذه السنة من رجال الحكم: أبو بكر بن أفلح رابع الأئمة الرستميين من الإباضية أصحاب تاهرت بالمغرب الأوسط (الجزائر)، وفيها توفى محمد بن الأغلب سادس أمراء افريقية من الأغالة أصحاب تونس.

سنة ٢٤٢ هجرية

استهلت السنة بيوم الجمعة ٢٠ أبريل ٨٥٧ م.

* قدم المتوكل إلى الشام فأعجبه دمشق وأراد أن يسكنها وبنى له قصر بضاحيتها إلا أنه تراجع عن عزمه بعد أن تكلم خاصته فى ذلك.

* عاود أهل طليطلة الثورة وأغاروا على مدينة طليطلة فخرج اليهم عاملها فانهزم أهل طليطلة وحمل إلى قرطبة بضع مئات أسرى.

سنة ٢٤٤ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الثلاثاء ١٩ أبريل ٨٥٨ م.

* اتفق التقت فى هذه السنة أعياد اليهود والنصارى والمسلمين فى يوم واحد وهى عيد الفطير لليهود والشعانين للنصارى والأضحى للمسلمين.

ولم يزالوا هكذا إلى تمام عشره أيام، وكان
الصلح فى هذه المده بينهم ويجرى كلام كثير
نهارا وليلا وينزلو عن رأيهم ولا اشرترو أساقفة
الصعيد معهم فى ذلك. وكانوا أساقفة الصعيد
منفردين عنهم وقالو: إن كان ليس غير هذا فما
تقدمه. وكان بعض الأساقفة البحرين مع كهنة
الإسكندرانيين متفقين على تقدمته. فلما كان اليوم
الرابع من الشهر الجديد وهو توت بدى الشيطان
يلقى بينهم السجس فلحقهم حزن وبكا لذلك،

* انفلد المتوكل وهو بدمشق قائده بغا الكبير لحرب الصائفة فدخل أرض الروم واستولى
على حصن صملة (شوملة) ، وبعد سبعين يوماً بدمشق قفل المتوكل عائداً إلى سامراء وفى
خلال مقامه ثار الجند الأتراك بايعاز من ابنه المنتصر مما حمله على الاسراع بالعودة.

* فيها ثارت عصابة من الاتراك المجندين المرتزقة فى دمشق على الخليفة بدعوى تأخر دفع
رواتبهم، فتفادى الخليفة الأمر بأن زاد فى اعطيائهم وترك دمشق، بعد أن كان ينوى الإقامة
فيها، عائداً إلى سامره ومنها تحول إلى الماخوره (الجعفرية).

* شهدت هذه السنة استيلاء المسلمين على مدينة قصر يانة بصقلية على يد العباس بن
الفضل وكان قد جعلها ملك صقلية عاصمة له بعد سرقومة فسار إليها العباس براً وبحراً
ودلهم خائن على فتحة نفذوا منها إلى قلب المدينة فاستسلم أهلها بعد أن فتحت الأبواب
واقترحها العباس وأمر ببناء مسجد لها وأدى به أول صلاة جمعة.

* جعل المتوكل من مراسم الخلافة أن تحمل أمامه العنزة وهى حربة كان قد
أهداها النجاشى للزبير فأهداها الزبير للرسول وكانت تركز بين يديه عليه السلام فى
العيدين.

* غضب المتوكل على طيبه بختيشوع بن جبرائيل وكانت قد ارتفعت مكانته عنده حتى
نافس الوزراء جاها وقبض أمواله ونفاه إلى البحرين.

وصرخوا الأساقفة المتفقون مع الإسكنداريين وقالوا:
أن لم نجعل هذا الذى كتبنا اسمه والا فما نجعل
أحدا. والسيد المسيح المهتم بجميع الأمور لم يرض
بكلامهم والذى ارتضاه لهذه الخدمة محفوظ.
فوقع بينهم خصومه فى ذلك اليوم كما كان جرى
فى نوبة البرسنوفيين.

وفيما هم كذلك طرح الله فى قلوبهم فى تلك
الساعة بأن يحضرو الأسقفين أسقف وسيم أنبا

سنة ٢٤٥ هجرية

أهل المحرم يوم السبت الموافق ٨ إبريل ٨٥٩ م.

* بنى المتوكل مدينة سماها الجعفرية واقطع الأمراء والقواد والأصحاب فيها وجد فى
بناءها وأنفق عليها أكثر من ألفى ألف دينار وبنى فيها قصراً شاهقاً فى علوه سماه اللؤلؤة
وحفر لها نهراً يسقى ما حولها ولكن لم يلبث أن أخرجت بعد وفاته .

* تجددت الزلازل على امتداد ساحل الشام شملت اللاذقية وأنطاكية وطرسوس وجبله
وهدمت الحصون والمنازل والقناطر وغارات العيون ففرق المتوكل ثلاثة الاف ألف درهم
لضحايا هذه الزلازل.

* خرج يزيد بن عبد الله أمير مصر إلى دمياط حين بلغه نزول الروم عليها ولكنهم كانوا
جلوا عنها فاقام بها مدة لم يلق حرباً ثم رجع إليها للمرة الثانية فى نفس العام وعاد دون
حرب كذلك.

* أغارت الروم على مدينة سميساط فقتلوا وسبوا فلاحقهم القائد على ابن يحيى وغزا
الصائفة وأسر بطريقهم فحمل إلى المتوكل وبذل ملك الروم فى فدائه عشرات المسلمين من
الأسرى.

* أقام أبو أبراهيم الأغلبى أمير تونس سوراً حول مدينة سوسة حماية لها من غارات الفرنج
البحرية.

موسيس وبطرس أسقف ترنوط، وقالو: إذا لم
تحضرو المذكورين ما يكون بيننا صلح. وكان أنبا
موسيس ضعيفا جدا له ستة شهور ملازما المرض
فى دير نهيا، وكذلك أنبا بطرس فى بيعة السيده
بجبل وسيم المقدس فى دير نهيا الذى فى بر الجيزه
غربى مصر. فمضى إليهما الاثنان أسقف مصر
وأسقف الفيوم واعلماهما بما جرى. ولم يكن أنبا
موسيس يقدر يركب دابه ولا يجلس من عظم
الوجع فدبروا الأبا وحملوه على النعش الذى

* توفى فى هذه السنة الصوفى ذو النون المصرى (ثوبان بن ابراهيم الأخمى) كان نوبى
الأصل اتهمه قوم بالزندقة فاستقدمه الخليفة المتوكل إلى سامراء ثم أطلقه، توفى عن تسعين
بجيزة مصر.

* توفى ابن زياد (محمد بن ابراهيم) الحفيد الثانى لزياد بن أبيه مؤسس الدولة الزيادية
باليمن وكان قد بعثه المأمون إليها والياً لاختماد ثورة بها فتملكها.

سنة ٢٤٦ هجرية

وافق غرة المحرم يوم الخميس ٢٨ مارس ٨٦٠ م.

* تحول الخليفة المتوكل من سامراء إلى مدينته الجديدة الجعفرية.

* جرى فى هذه السنة الفداء السادس بين المسلمين والروم (والحكم لميخائيل الثالث تحت
وصاية أمه تيودوار وخاله باراس) على يد القائد على بن يحيى فتم فداء ألفين وثلاثمائة وسبع
وستين نفساً، وسبق ذلك أن غزا الصائفة ثلاثة من القواد منهم عمرو بن عبد الله والفضل
بن قارن الذى افتتح حصن أنطاكية ثم القائد بلكاجور الذى غنم وسبى.

* انطلق محمد الأول أمير الأندلس الأموى إلى مملكة قشتالة وانتهى إلى بنبلونة وافتتح
عدة حصون ووقع فى أسره فرتون ابن ملكها غرسية الذى عاش فى حبسه بقرطبة عشرين
سنة.

يحمل فيه الموتى لأنهم لم يجدوا هناك سواه،
وحملوه قوم مومنون على اكتافهم إلى أن وصلوا به
إلى الفسطاط. وركبوا أبا بطرس دابة وكان معه
جمع كثير، فوصلوا واجتمعوا في اليوم الثامن
وكهنة مصر والاراخنة معهم لكي يفصلوا هذه
النوبة بإرادة الله ومعاونته، وكان معهم ارشيدياقن
بيعة أبي سرجه والشيوخ الاراخنة «منا» و«بولس»
وكثير من النصارى بمصر، فصلوا وجلسوا وبدؤوا
يتجادلوا في الكلام كما كان في الأول، وزاد

* تولى أبو بكر بكار بن قتيبة قضاء مصر ولزم منصبه إحدى وعشرين سنة حتى عاصر
قيام الدولة الطولونية وبناء مسجد أحمد ابن طولون فكان أول إمام له.
* وفيها توفي من رجال الحكم: عنبسة بن اسحق أمير مصر السابق وهو آخر حاكم عربي
تولى إمارة مصر وآخر أمير صلى بالناس ومن بعده كان غالب الولاة من الترك.

سنة ٢٤٧ هجرية

استهلّت السنة بيوم الاثنين ١٢ مارس ٨٦١ م.

* شهدت هذه السنة تولية محمد المنتصر اخلافة العباسية وهو الحادى عشر من بنى
العباس، وتولاها على أثر مقتل أبيه المتوكل فى الرابع من شوال على يد جنوده الأتراك ومبايعة
القواد الأتراك له، وله من العمر أربع وعشرون، أمه أم ولد تركية أسمها حبشية.

* شهدت هذه السنة كذلك قيام الدولة اليعفرية فى اليمن نسبت إلى رأسها يعفر بن
عبدالرحيم الحوالى وكان نائباً للأمير العباسى جعفر بن سليمان وكان يدفع له خراجاً حتى
إعلان استقلاله فى هذه السنة منتهزاً فرصة اضطراب أمر الخلافة بالعراق.

أمر الخليفة المتوكل عامله يزيد بن عبدالله أمير مصر ببناء مقياس جديد للنيل بجزيرة
الروضة بدلا من مقياس أسامة بن زيد الذى أقيم سنة ٩٧ هـ وبطل بعمارتها كل مقياس غيره،
ووكّل على القياس ابن أبى الرداد المؤذن لقياس فيضان النيل.

الشر، وكانو الأساقفة البحرىون يقولون . ما نقيم
هذا المكتوب اسمه . واما إبراهيم أسقف الفيوم
يقول : ما له معنا نصيب . فقال لهم أنبا إبراهيم :
أنكم أن سمعتم منى طلبنا إلى الله جميعنا كما
أمرت القوانين وسألناه أن يقيم لنا من يريد ولا
تقسم البيعة قسمتين ، فرضو قوم من الأساقفة
البحريين على هذا الرأى وجلسوا عند أساقفة
الصعيد . وكان الطوبانى «أبا مويسيس» أسقف

* شهدت هذه السنة اغتيال أول خليفة عباسى وهو المتوكل على يد بعض الجند الأتراك
بتدبير القائد بغا الشرابى وباغر التركى قائد حرس الخليفة ، وشارك فى المؤامرة المنتصر ولى
العهد وذلك بعد أوغر الوزير ابن خاقان قلب الخليفة على ابنه وخوف كبار الأتراك من غدر
الخليفة بهم وتم ذلك ليلة الرابع من شوال .
* توفى أمير العباس بن الفضل وولى أهلها عليهم ابنه عبدالله بن العباس .

سنة ٢٤٨ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٧ مارس ٨٦٢م .

* استهلت السنة والخليفة المنتصر بالله العباسى له ثلاثة أشهر فى الحكم ، وتولى وزارته
أحمد بن الخصيب وكان كاتبه قبلا وذلك بعد أن نفى وزير أبيه المقتدر عبيدالله بن خاقان .
* تولى الخلافة العباسية فى السنة نفسها خليفة جديد بعد وفاة المنتصر هو المستعين محمد
بن أحمد بن المعتصم وذلك فى الخامس من ربيع الآخر .
* أعلن المؤيد والمعتز ابنا الخليفة المتوكل وأخوا الخليفة المنتصر خلع نفسيهما من ولاية
العهد لضعفهما وتم ذلك تحت ضغط القواد الأتراك وعلى غير رضا الخليفة نفسه .
* نفى المستعين أحمد بن الخصيب إلى جزيرة كريت (اقریطش) وكان وزيرا لسلفه
المنتصر .

«وسيم» ملقيا وسط الجمع من شدة الوجد
فسمعهم يذكرون الفرق. فقام بقوة روح القدس
التي معه وأوما ييده إلى كهنة اسكندرية فقربو منه
فقال لهم: ماذا تقولون انتم؟ فقالو: ما يقوله أبا
مينا أسقف تمي هو قولنا ونحن الذين نقدم بطركا
وليس لكم انتم في هذا شئ. وكان بجانبه جريده
يتوكأ عليها لضعفه، فذكر ما فعله السيد في
الهيكل لما طرد من كان فيه من الصيارف بالخصرة
الحبل، فقام وطرد كهنة اسكندرية وجري خلفهم

-
- * غزا الصائفة وصيف الخادم على رأس اثني عشر ألف رجل وعلى مقدمته مزاحم بن خاقان أخو الفتح وكان على نفقات الجيش أبو الوليد الحريري.
 - * سجن الخليفة المستعين عمه المعتز بالله وكان وليا لعهد أخيه المنتصر واستمر في سجنه ثلاث سنوات حتى أخرجه الجند الأتراك.
 - * تولى إمارة صقلية خفاجة بن مفيان وكانت بلرم عاصمته ودام حكمه عشرين سنة.
 - * أصيب الخليفة المنتصر بعلّة قتل هي الذبحة وقيل ورم في المعدة وقيل أثر سم دس له وقيل بسبب توبيخ ضميره للاشتراك في مقتل أبيه وذلك في يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ولم تمهله العلة إذ توفي في يوم الأحد الخامس من ربيع الآخر وله من العمر نحواً من ست وعشرين سنة وشهور، وكانت خلافته ستة أشهر.

سنة ٢٤٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٢٤ فبراير ٨٦٣م.

- * استهلّت السنة وعلى عرش الخلافة العباسية بسامراء المستعين بالله أحمد ابن محمد بن المعتصم وله تسعة أشهر منذ أن جاء به القواد الأتراك إلى الحكم وكان يعاصره بالأندلس محمد الأول بن عبدالرحمن الأوسط الأموي، وفي القسطنطينية ميخائيل الثالث تحت وصاية أمه تيودورا وخاله بارامس، وفي فرنسا لويس الثاني، وفي إنجلترا ايثلبرت السكسوني.

وضربهم بالجريدة حتى أخرجهم من الباب قايلاً
لهم: أخرجوا من وسطنا لا تخربوا بيعة الله لأجل
شهوات قلوبكم. ثم التفت إلى الأسقف «أبا مينا»
ومن معه من الأساقفة وقال: أى شئ بينى وبين
هذا الإنسان الذى لم يختاره السيد المسيح وانت
تريده وتفرح به، أن كان عرفت له شئاً من
الفضائل أذكره وسط الجماعة فإن رضيت به كان
أمر من الله فيتقدم. فلما سمع «أبا مينا» هذا قال
له: الكتب انكرت هذا فدعه ومن رأيتم صلاحه

* خرج القائد أمير أرمينية أبو الحسن على بن يحيى الأرمنى لحرب الروم للمرة الأخيرة
وكان قد شارف فى غزوته السابقة ساحل القسطنطينية وكان خروجه للمطالبة بدم الوالى عمر
بن الأقطع الذى حصره الروم فقاتل بدوره حتى قتل وقتل معه أربعمائة من رجاله.

* تولى إمارة تونس زيادة الله الثانى الأغلبى.

* ثار الجند ببغداد ومعهم العامة بسبب سيطرة الأتراك على مقدرات الدولة وقتلهم
المتوكل وهزيمة ومقتل أبى الحسن الأرمنى فرد عليهم الأتراك وعلى رأسهم بغا وأتامش بفتح
السجون وإحراق الأسواق وانتهاب الدواوين وفيها قتل أتامش.

* استوزر الخليفة المستعين أبا صالح عبيد الله بن يزداد خلفاً لأتامش.

* انتشر فى هذه السنة الطاعون وهلك فيه خلائق لا تحصى.

سنة ٢٥٠ هجرية

استهلّت السنة بيوم الأحد الموافق ١٣ فبراير ٨٦٤م.

* عاصر هذه السنة قيام الدولة العلوية بطبرستان التى عاشت نحواً من قرن ونصف قرن
من الزمان، أسسها الحسن بن زيد الحفيد الخامس للامام الحسن، وكان أهل طبرستان والديلم
قد ثاروا على حكم بنى طاهر وانفقوا على الحسن ابن زيد فجاء إلى آمل عاصمة طبرستان
وتولى عليها ثم مد سلطانه إلى الرى.

قدموه. ثم وضع مطانوه وخرج، وقال: يكون
الاتحاد بينكم والاتفاق وأنا برى من هذا. ثم افترقوا
ذلك اليوم بعد صلاة السادسة بكآبة وحزن عظيم
إذ لم يجدوا من يقدمونه. وكلما يذكر اسما
جماعه لم يتفقوا على أحدهم. فلما كان النصف
من الليل استيقظ شماس مع الأسقف «أبا
مويسس» وقاله: اغفر لى يا أبى قد عرفت واحدا
يستحق هذا الأمر. فقال له: من هو يا ولدى؟
فقال له الشماس: هو القديس النفيس القس

* فشلت ثورة تزعمها علوى آخر هو أبو الحسن يحيى بن عمر الحفيد الخامس للإمام
الحسين ظهر بالكوفة واستولى عليها وانضمت إليه جموع العامة إلا أنه هزم على يد قائد
المستعين وقتل ثم صلب (١٣ رجب).

سنة ٢٥١ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الجمعة ٢ فبراير ٨٦٥م.

* عادت إلى الأذهان صورة الخلافة بين الأمين والمأمون الذى كان قد إشتد منذ نصف قرن
وانتهى بغلبة المأمون، فشهدت هذه السنة خلافاً جديداً بين الخليفة المستعين الذى إنتقل إليها
ولجأ إلى دار قائده محمد بن عبد الله بن طاهر الذى حصن بغداد بعد أن فقد مؤازرة الجند
الأثرالك.

* أنهذ المعتز جيشاً بقيادة أخيه أبى أحمد (المحرم) إلى بغداد خلع المستعين ودارت الحرب
براً وبحراً طوال شهور السنة وفى أوائل الحجة إنتقل المستعين إلى دار رزق الخادم.

* خرج بقزوين الحسين بن الأرقط العلوى وغلب عليها متتهزاً اضطراب أحوال بغداد،
كما خرج علوى آخر بالحجاز هو إسماعيل بن يوسف الطالبي فعات في الحرمين وأفسد موسم
الحج.

«ميخايل» بيعة القديس «أبي مقار» ، بتول طاهر
تربى فى البريه. فصرخ الأب الأسقف «انبا بطرس»
وقال: هذا الشماس الذى تكلم فيه المسيح
بالحقيقه يا ولدى أن هذا القس ميخايل مستحق
هذه المنزله، فلما كان بالغداة اجتمعو وجرى بينهم
الخطاب كما جرت عادتهم فاجرو ذكر القس
ميخايل المذكور فصرخ جميع الشعب الكبير
والصغير كلهم من قم واحد قايلين: بالحقيقه هذا
المستحق. وكان قبل ذلك قد نظر أنسانا قديسا

* سير محمد الأول الأموى أمير الأندلس جيشاً مع ابنه المنذر لحرب الصائفة فدخل مملكة
ليون (ألبه والقلاع) وعاث فيها سلباً ونهباً، والتقى بجيش رذريق فأوقع به فى معركة «فج
المركور» ثم عاود الأفرنج الكرة فمّنوا بهزيمة أكبر وأسر نحواً من ٢٥٠٠ من رؤوس الأفرنج.
* ولد فى هذه السنة بمدينة الرى الطبيب الفيلسوف أبو بكر الرازى أحد الأئمة فى الطب
والطبيعيات ومؤلف الحاوى فى الطب والطب المنصورى وسر الصناعة فى الكيمياء.

سنة ٢٥٢ هجرية

استهلت السنة بيوم الثلاثاء الموافق ٢٢ يناير ٨٦٦م.

* طويت الفتنة بين الخليفة المستعين والمعتز فى يوم الجمعة الرابع من المحرم بتنازل الخليفة
المستعين ومبايعة المعتز بالله (الزير بن المتوكل) بالخلافة وتسلم منه شعارها وهو البردة
والقضيبي واخاتم فكانت مدة المستعين ثلاث سنوات وتسعة أشهر.

* غضب المعتز على القائدين التركيين وصيف وبغا الصغير وأمر بإسقاطهما ولم يلبث أن
تراجع خوفاً من الجند الأتراك.

* تجددت اضطرابات الجند والعامّة بيغداد إلى أن قبض على زعيمهم عبدان ابن الموفق
وصلب.

كانت الأمور معلنة له من قبل الرب لأنه يشهد له بذلك. فقال أنى سمعت صوتاً من السما قايلًا وأنا فى بيعة القديس «أبى مقار» أن القس ميخايل مستحق البطركية.

ثم قامو جميعاً ومضو إلى القصر وعرفو «حفصا» الذى جرى وما كانوا فيه، وسألوه كتب كتاب إلى شيوخ وكهنة «وادی هيب» لسلمو لهم أنبا ميخايل المذكور. فكتب لهم الكتب وأخذوها وخرجو من عنده.

-
- * أرسل الخليفة إلى واسط تحرسه كوكبة من الفرسان وكان قد اشترط تأمينه، خلع نفسه، ولم يلبث المعتز أن تنكر لكتاب الأمان فسير المستعين من واسط إلى القاطول حيث قتل فى شهر شوال، وكان المستعين ابن ثلاث وثلاثين حين قتل.
 - * خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد واتهمه بالتآمر عليه فحبسه وتوفى فى سجنه قتيلاً (٢٢ رجب)، كما أرسل المعتز أخاه أبا أحمد إلى السجن.
 - * توفى القاضى عبدالله بن عمر الكرجى عن خمس وأربعين.

سنة ٢٥٢ هجرية

افتتحت السنة بيوم السبت الموافق ١١ يناير ٨٦٢.

- * تولى إمارة مصر مزاحم بن خاقان التركى (أخو الفتح الوزير) خلفاً ليزيد ابن عبد الله الذى تولاها عشر سنين فأعلن مزاحم الحرب على الخارجيين على الحكم فى الشرقية والبحيرة والفيوم.

- * تولى وزارة المعتز أحمد بن أبى اسرائيل الأتبارى خلفاً لأبى فضل الاسكافى.
- * ثار الجند على وصيف الخادم مطالبين بارزاقهم واغتالوه فجعل المعتز ما كان له لبغا الشرابى الذى ألبسه التاج والوشاحين.

كان الرب يسوع المسيح قد حرك مقدمي وادي
هبيب لسبب جرى فخرجوا من البرية وصحبتهم
القس ميخايل المذكور. وكان السبب انهم اجتمعوا
وتشاوروا قائلين ان «القاسم» الظالم أضعف علينا
الخراج والجزية فوق طاقتنا وقد وصل ملك جديد
فتمضى إليه وندعوه ونهنيه بالقدوم ونتوكل على
الله ونسأله أن يزيل عنا الظلم. فوصلوا في اليوم
الثالث عشر من توت إلى الجزيرة، وفي اليوم
المذكور خرجوا الرسل بالكتب متوجهين إلى البرية،

- * غزا الصائفة محمد بن معاذ ودخل أرض الروم من جهة ملطية فأسروا وقتل.
- * خسف القمر في ذى القعدة من السنة.
- * وافق هذا التاريخ مقتل الامبراطور البيزنطى توفيل (ثيوفيلوس الثانى) على يد باسيل المقدونى.

سنة ٢٥٤ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الخميس الأول من يناير ٨٦٨م.

- * تولى إمرة مصر فى هذه السنة أربعة هم: مزاحم بن خاقان الذى توفى فى شهر المحرم فخلفه ابنه أحمد بن مزاحم الذى توفى فى شهر ربيع الثانى، فخلفه صاحب الشرطة أرغور (أو أرخوز) التركى حتى شهر رمضان، وفيه أقطع المعتز حكم مصر قائده التركى بايكباك زوج أم أحمد بن طولون الذى أرسل ابن زوجته إلى مصر نائباً عنه (٢٣ رمضان).
- * عاود أهل ماردة بالأندلس العصيان على الأمير محمد بن عبدالرحمن الأموى الذى خرج اليهم حتى انقادوا إلى الطاعة فقلعهم وأموالهم إلى قرطبة وهدم سور ماردة.
- * لقي القائد التركى بغا الشرايى مصرعه فبذلك تخلص الخليفة من مناوئ خطير له، حتى أن الخليفة أعطى قاتله عشرة الاف دينار.

فلما عدو البحر لقو شيوخ الرهبان وأبا ميخايل معهم الذى سارو لأجله. فلما رأوه تعجبوا عجباً عظيماً وبهتوا وفرحوا جداً وتعجب كل أحد منهم بما فعله السيد المسيح. فأخذوه ومضوا به إلى قصر الملك وجميع كهنة مصر صارخون بين يديه بالقرا[ءة] حتى وصلوا إلى القصر وهم يقولون: قد أرسل الرب لنا الراعى المأمون الذى هو مرقس الجديد. فلما أعلموا «حفصا» بما كان تعجب جداً

* توفى فى المحرم من السنة أمير مصر مزاحم بن خاقان وكانت ولايته سنة واحدة وخلفه ابنه الذى توفى بعد ثلاثة أشهر من نفس السنة.

سنة ٢٥٥ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين ٢٠ ديسمبر ٨٦٨م.

* شهدت السنة خلع خليفة وتولية خليفة، ففي السابع والعشرين من رجب اجتمع زعماء الأتراك وعلى رأسهم صالح بن وصيف وأجبروا الخليفة المعتز على خلع نفسه وانتهوا إلى تعذيبه حتى منعوا عنه الماء فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر.

* بويغ بالخلافة العباسية ببغداد محمد المهتدى بالله ابن الخليفة الواثق، وله من العمر سبع وثلاثون، أمه أم ولد رومية يقال لها قرب.

* شهدت السنة مقدمات فتنة الزنج بالبصرة.

* تولى وزارة المهتدى ابن جعفر الإسكافى الذى فرضه الأتراك على سلفه ثم عزله بسليمان بن وهب وهو من كبار الكتاب فى عصره.

* قبض الأتراك على قبيحة أم المعتز وصادروا أموالها ونفوها إلى مكة.

* توفى فى رجب من السنة الخليفة المعتز بعد أيام من خلع نفسه وله أربع وعشرون سنة.

ودق يدا على يد وقال : تبارك الله الاله النصارى قد
فعل أفعالا نتعجب منها وقال لهم : هذا الرجل
الذى اصطفاه الله لكم أن يكون لكم أبا خذوه
وأمضو به بسلام . فتقدم إليه أنبا تادرس أسقف
الكرسى ودعا للأمير وسار معه . وكان الشعب
يقطعون من ثيابه للبركة . ولما كان فى الغد وهو
الرابع عشر من توت ركبو الأساقفة المراكب
وانحدرو إلى اسكندرية فى ليلة السادس عشر من

* توفى فى هذه السنة بالبصرة إمام اللغة والأدب عمرو بن بحر الجاحظ عن اثنين وتسعين
قيل قتلته كتب وقعت على رأسه ، اليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة من مؤلفاته كتاب
«البيان والبيان» وكتاب «الحاسن والأضداد» وكتاب «البخلاء» .
* توفى أمير صقلية خفاجة بن سفيان فاتح سرقسطة ، قتله أحد الجند إغتيالاً ، وقد دامت
إمارته سبع سنوات وخلفه ابنه محمد بإجماع أهل صقلية .

سنة ٢٥٦ هجرية

أهل المحرم يوم الجمعة الموافق ٩ ديسمبر ٨٦٩م .

* جلس على عرش الخلافة العباسية فى هذه السنة خليفتان ، أولهما الخليفة المهتدى حتى
خلعه الجند الأتراك فى رجب من السنة ، وثانيهما الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل وهو
الخامس عشر من خلفاء بنى العباس ، أمه أم ولد إسمها فتيان ، بويح يوم ١٨ رجب وله من
العمر خمس وعشرون .

* إستولى أمير صقلية الجديد محمد بن خفاجة على جزيرة مالطة من البيزنطيين بعد
هزيمة الأسطول الذى أرسل لحمايتها وقد أضيف حكمها إلى إمارة صقلية واستمرت تبعيتها
٢٢٠ سنة حتى استخلصها النورمان .

توت، فخرج إليه خلق كثير. ولما وصلوه به شوارع
المدينة ومعهم شمع وصلبان وأنجيل نزل عليهم
مطر أقام ثلثه أيام وتلته ليالى يسكب، وان جميع
القبائل باسكندريه قالو هذا الرجل من الله، قد
مضت سنتان ولم ينزل مطر فى هذه المدينة
ومبارك دخول هذا الرجل مدينتا. وأوسموه فى
اليوم السابع عشر من توت.

ونريد الآن نذكر يسيرا من أفعاله فى الرهبانية

* وقع الخلاف بين زعماء الجند الأتراك وفيه قتل صالح بن وصيف متهماً باغتيال الخليفة
المعتز وسلب أموال أم الخليفة.

* لقي الخليفة المهتدى العباسى حتفه فى قتال مع الثائرين عليه من الجند الأتراك وله من
العمر ٣٢ سنة ولم تدم خلافته سوى أحد عشر شهراً.

* توفى بنواحي سمرقند الامام الحافظ أبو عبدالله البخارى عن اثنين وستين وهو أشهر رواة
الحديث يعرف كتابه الجامع الصحيح باسم صحيح البخارى وله كتاب «الضعفاء» أى ضعفاء
المحدثين.

* توفى ببغداد الطبيب السريانى المستعرب بختيشوع بن جبرئيل ابن بختيشوع الذى
خدم أربعة من الخلفاء أولهم الواثق، له كتاب الحجامة.

سنة ٢٥٧ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٢٩ نوفمبر ٨٧٠م.

* تطورت ثورة الزنج التى بدأت أحداثها منذ سنين ابان خلافة المهتدى بإقليم البطائح
وتزعمها مدعى علوى، فى هذه السنة وصلت طلائعها إلى البصرة كما استولوا على الأبله
وعبدان والأهواز، فأنفذ الخليفة لحربهم سعيداً الحاجب.

وعجاييه قبل أن يكون بطركا ولن نخاف من
التطويل لأن كل شئ له مقدار كما قالت الكتب،
غير أنني قد ذكرتها في كتاب سيرته خارج عن
هذه السيره.

ثم مضى إلى الرب الطوباني اتناسيوس بانطاكيه
وأجلس الملك «هشام» [مكانه] رجلا مؤمنا اسمه
يوحنا. ومات هشام وضبط الملك [بعده] إنسان
اسمه الوليد(*) بن يزيد بن عبد الملك، وكان
جنسه يبغيضه، فبدي بنى مدينه على اسمه في

(*) وفاة الخليفة هشام وتولى الوليد
بن يزيد بن عبد الملك الخلافة.

* عقد الخليفة المعتمد لأخيه أحمد الموفق على العراق (الكوفة وبغداد وواسط والبصرة
والأهواز) وعلى الحجاز واليمن وفارس وما وراء النهر.

* امتد سلطان يعقوب بن الليث الصفار إلى فارس وبلخ وكابل وبست والسند بعد أن
كتب له الموفق بولايتها.

* هرع الاسطول البيزنطى الذى أرسله الامبراطور باسيل الأول لنجدة جزيرة مالطة
وتحريرها من الحكم العربى وألقوا الحصار حول الجزيرة فأنفذ اليهم محمد ابن خفاجة أمير
صقلية إسطولاً ضخماً ما أن دخل مياه الجزيرة حتى انسحب الاسطول البيزنطى عائداً الى
القسطنطينية.

* توفى فى هذه السنة مؤرخ مصر عبدالرحمن بن عبدالحكم عن سبعين عاماً إشتهر
بكتابة «فتوح مصر والمغرب» أى مصر وشمال افريقية والأندلس وهو من أمهات المراجع فى
موضوعه، مطبوع متداول.

* توفى أمير صقلية محمد بن خفاجة فاتح مالطة كان قد خلف أباه خفاجة ابن سفيان
قبل عامين، توفى كلاهما إغتيالا.

البريه ويجعل اسمه عليها، وكان الما [ء] بعيدا
منها خمسة عشر ميلا، وجمع الناس للسخره من
كل موضع وبني فيها بيد قويه، ومن كثرة الناس
كان كل يوم يموت فيها جماعه من قلة الما [ء].
وكان يحمل لها الما [ء] ألف ومائتان جمل وما
يكفيهم كل يوم. وكانت الجمال فريقين ستمايه
تحمّل يوما وستمايه تحمل غدا. فوثب عليه رجل
اسمه «إبراهيم» فقتله واخذ الملك منه واطلق
الاسارى، فمضى كل واحد منهم إلى موضعه.

سنة ٢٥٨ هجرية

استهلت السنة بيوم السبت الموافق ١٨ نوفمبر ٨٧١م.

- * خرج أبو أحمد الموفق أخو الخليفة إلى حرب الزنج بعد هزيمة ومقتل منصور ابن جعفر عامل الأهواز وسار الجيش يرافقه اسطول نهري وفي المعارك التمهيدية قتل مفلح أحد قواد الموفق كما قتل يحيى البحراني قائد صاحب الزنج وانحاز الموفق إلى واسط.
- * انتشر الوباء في هذه السنة في العراق لاسيما في الجنوب وهلك فيه خلق كثير، كما تعرض الاقليم لموجة من الزلازل فمات خلق كثير تحت الردم.
- * استقل أحمد بن طولون بحكم مصر بعد وفاة يازكوج التركي.

ولاية مصر من عمرو بن العاص حتى بداية الطولونيين (*)

١. ولاية عمرو بن العاص

حدثنا عبد الملك بن يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثني أبي،
عن الليث بن سعد قال: أقام عمرو بن العاص محاصر الحصن إلى أن فتحه سبعة أشهر.

(*) أنظر كتاب: ولاية مصر لعماد بن يوسف الكندي. تحقيق: د حسين نصار. سلسلة الدخائر ٦٦ الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة ٢٠٠١.

(*) حسان بن عتاهية تولى على مصر من قبل مروان ابن محمد في ٢١ مارس ٧٤٤م - ١١ جماد الثاني ١٢٧هـ. فثار عليه الجند العرب وطردوه فإرسل الخليفة محله حفص ابن الوليد لثالث مرة على مصر. ولكن الجند العرب ثاروا عليه كذلك فأرسل الخليفة حوثة بن سهيل واليا عليها فدخلها وقبض على المناهضين له وقتلهم وكذلك قتل حفص ابن الوليد. انظر الهامش السفلي ص ٣٨٤.

ولى آخر فى أرض مصر اسمه «حسان بن عتاهية» (*). هذا إبراهيم هو ابن عمه. وفى نسخة أخرى عيسى بن أبى عطا كاتب «لأسامه»، وهو عارف بجميع أعمال «أسامه». وكانت مصر قبل ولايته لها كتيرة الذهب والدينار مع الناس كالدرهم فى ذلك الزمان، فلما وصل إليها نزل عليها وبا عظيم فى أيامه حتى أن العجل الصغير دفع فيه عشرون دينارا، فعرفه وكلايه وأصحابه بذلك قال: أنا أعرف أعمال أهل مصر ان عشت

وحدثني يحيى بن أبى معاوية التجيبى قال: حدثني خلف بن ربيعة الحضرمى، عن أبيه، عن ابن لهيعة.

عن يزيد بن أبى حبيب قال: فتحت مصر فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين. وحدثنا على بن الحسن بن قديد وأبو سلمة قالا: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، عن أبيه، عن ابن لهيعة.

عن يزيد بن أبى حبيب قال: كان عدة الجيش الذى مع عمرو، الذين فتحوا مصر، خمسة عشر ألفا وخمسة مئة.

وقال عبد الرحمن بن معبد بن مقلاص:

كان الدين جرت سهامهم فى الحصن من المسلمين اثني عشر ألفا وثلاث مئة، بعد من أصيب منهم فى الحصار بالقتل والموت.

وقال معبد بن عفير عن أشياخه:

لما حاز المسلمون الحصن بما فيه، أجمع عمرو على المسير إلى الإسكندرية. فسار إليها فى ربيع الأول سنة عشرين.

وحاصر عمرو الإسكندرية ثلاثة أشهر، ثم فتحها عنوة، وهو الفتح الأول. ويقال: بل فتحها مستهل سنة إحدى وعشرين. ثم سار عمرو إلى أنطابلس - وهى برقة - فافتتحها

انا ادعهم يشترون التور بدينارين. وخسر أهل مصر
خسارات عظيمة وانزل عليهم بلايا وتعب
وأباعو الناس بهائمهم وأولادهم.

وكان بمصر صبي مسلم اسمه «رجاء» (*)
فحشد جماعه وأخذ المملكة، وكان «حفص»
الوالى مساعدا له، ومضوا إلى «حسان» (*) يريدون
قتله، فهرب منهم إلى دمشق. وأمر «حفص» أن
يصلى كل من بمصر وأعمالها بصلاة السنه،

بصلح فى آخر سنة إحدى وعشرين. ثم مضى منها إلى أطرابلس ، فافتتحها عنوة سنة اثنين
وعشرين. وقال الليث بن سعد فى تاريخه: فتحها سنة ثلاث وعشرين.

قال . وقدم عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب قدمتين. قال ابن عفير: استخلف فى
إحدهما زكرياء بن جهم العبدى (*)، وفى القدمة الثانية ابنه عبد الله بن عمرو.

وتوفى امرئ المؤمنين عمر فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين، وبايع المسلمون أمير المؤمنين
عثمان بن عفان، رضى الله عنه. فوفد عليه عمرو بن العاص. فسأله عزل عبد الله بن سعد
بن أبى سرح العامرى عن صعيد مصر، وكان عمر ولاء الصعيد قبل موته. فامتنع عثمان من
ذلك، وعقد لعبد الله بن سعد ابن أبى سرح على مصر كلها. فكانت ولاية عمرو على مصر
صلايتها وخراجها، ومنذ افتتحها إلى أن صرف عنها، أربع سنين وأشهرًا . فكان على شرطة فى
ولايته هذه كلها خراجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدى
بن كعب ، فى قول الأشياخ، إلا أن سعيد بن عفير قال: دخل عمرو مصر، وعلى شرطته
زكرياء بن جهم بن قيس بن عبد شريحيل ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. قال : ثم
عزله وجعل مكانه خراجة ابن حذافة.

(*) استخلفه على الجند فقط، واستخلف مجاهد بن جبر مولى بن نوفل ابن عبد مناف على الخراج (فتوح
مصر ١٧٨، ١٧٩).

وكلمن يتخلى عن دينه ويكون مسلماً لا تؤخذ
منه بعداً جزية لأنها كانت على الناس كلهم.
ولأجل هذه الغصلة أضل الشيطان خلائق من
المصريين النصارى فتخلو عن دينهم ومنهم من
اكتتب وصار من العسكرية. وكان الأب البطرك
أنبا ميخايل ينظر هذا وهو حزين باك لنظره من
يجحد السيد المسيح. ومن أجل ذلك خرجت
الأساقفة من كراسيهم ومضوا إلى البرية إلى
الديارات وتضرعوا أمام الرب بالصلوات.

٢. ولاية عبد الله بن سعد(*)

ابن أبي سرح الحسام بن الحارث بن حبيب بن جذيمة^(١) بن نصر

ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب،

وأمه مهانة بنت جابر من الأشعريين

ثم وليها عبد الله بن سعد من قبل أمير المؤمنين عثمان.

حدثنا الحسن بن محمد المدينى قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير

عن الليث بن سعد: أن عثمان لما ولي أمر هذه الأمة، وعمرو بن العاص على مصر كلها
إلا الصعيد، فإن عمر بن الخطاب ولي الصعيد عبد الله بن سعد. فطمع عمرو لما رأى من لين
عثمان أن^(٢) يعزل له عبد الله بن سعد عن الصعيد، فوفد إليه وكلمه فى ذلك. فقال له
عثمان: ولاه عمر بن الخطاب الصعيد، وليس بينه وبينه حرم ولا خاصة، وقد علمت أنه أخى
من الرضاة، فكيف أعزله عما ولاه غيرى؟! فغضب عمرو وقال: لست راجعاً إلا على ذلك.

(*) الخطط ١: ٢٢٩، والنجوم ١: ٧٩، وحسن المحاضرة ٢: ٣.

(١) كذا فى التهذيب والنجوم، وفى الأصل: خزيمة.

(٢) الكلام متصل فى الأصل، بدون التكملة التى بين القوسين، واضطرابه وفساده واضحان. ويبدو أن صفحة
زاغت من بصر الناسخ، من لفظ «أن» إلى «أن» الثانية. وجئت بالتكملة من فتوح مصر لابن عبد الحكم
١٧٣ - ١٧٥، وكلها من قول الليث بن سعد، الذى يروى عنه المؤلف الخبر.

ثم أن الأب أنبا «مويسيس» أسقف «وسيم»
مسكوه بكرسيه أولاده لم يمكنوه أن يمضى إلى
موضع بل يصلى على رعيته ليلا يخطفهم الديب
من بيعته.

وكان فى الجيزة وأعمال مصر يفتقد حال
أولاده كل وقت، وإذ قوم ارتدكسيون من أراخنة
مصر حضرو عنده وهم حزان وقالو له: يا أبانا
صل علينا واجتهد فقد أحصينا من انتقل إلى دين
الإسلام من أخوتنا بنى المعمودية من مصر

فكتب عثمان بن عفان إلى عبد الله بن سعد يؤمره على مصر كلها. فجاءه الكتاب بالفيوم.
فجعل لأهل أطواب^(١) جعلاً على أن يصبحوا به الفسطاط فى مركبه، وكان الذى جعل
لهم كما يزعم آل عبد الله بن سعد خمسة دنانير. قال الليث: فقدموا به الفسطاط قبل
الصبح، فأرسل إلى المؤذن، فأقام الصلاة حين طلع الفجر، وعبد الله بن عمرو ينتظر المؤذن
يدعوه إلى الصلاة، لأنه خليفة أبيه. فاستنكر الإقامة فقليل له: صلى عبد الله بن سعد بالناس.
وآل عبد الله يزعمون أن عبد الله بن سعد أقبل من غربى المسجد بين يديه شمعة، وأقبل عبد
الله بن عمرو من نحو داره بين يديه شمعة، فالتقت الشمعتان عند القبلة. قال الليث فى
حديثه: فأقبل عبد الله بن عمرو حتى وقف على عبد الله ابن سعد، فقال: هذا بغيك
ودسك! فقال عبد الله بن سعد: ما فعلت، وقد كنت أنت وأبوك تحسدانى على الصعيد،
فتعال حتى أوليك الصعيد، وأولى أباك أسفل الأرض، ولا أحسدكما عليه.

وجاءت الروم، عليهم منويل الخصى، فى المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية. فأجابهم من
بها من الروم، ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكت. فلما نزلت الروم الإسكندرية سأله أهل مصر
عثمان أن يرد عمرو بن العاص لمحاربة منويل، ومعرفة بحربهم، وطول ثمارسته له. فردده والياً
على الإسكندرية فحارب الروم بها حتى افتتحها، وعبد الله بن سعد مقيم بالفسطاط على
ولايته، حتى فتحت الإسكندرية الفتح الثانى عنوة سنة خمس وعشرين.

(١) أطواب: قرية من عمل البهنسا.

وأعمالها على يدي هذا الوالي أربعة وعشرين ألف

إنسان (*) . فقال لهم الأب: يا أولادى آمنوا أن فى

هذا الشهر تنظرون باعينكم هذا الوالى الكافر

حفصا يحرق جسده بالنار فى وسط فسطاط مصر

ويقتل رجا بالسيف، فتمت نبوة الأب سرعه. وكان

هذا القديس يشفى المرضى باسم السيد يسوع

المسيح وأعطى التوبة. ثم أن الملك انفذ أميرا إلى

مصر ومعه خمسة آلاف مقاتل ليقاتلو «حفصا»

(*) تحول أربعة وعشرين ألف انسان إلى الاسلام على عهد الوالى حفص المتولى من قبل ابن رجا.

ثم جمع لعبد الله بن سعد أمر مصر كلها: صلاتها وخراجها . فجعل على شرطته [السائب بن] (١) هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى . ومكث عبد الله بن سعد عليها أميرا، ولاية عثمان كلها، محموداً فى ولايته. وغزا ثلاث غزوات، كلها لها شأن وذكر. فغزا إفريقية سنة سبع وعشرين، وقتل ملكهم جرجير. فيقال إن الذى قتله معاوية بن حديج (٢) . وصار سلبه (اسلايه) إليه.

(١) ساقط من الأصل ، والذى تولى الشرطة السائب لا أبوه هشام، وهو الذى شهد فتح مصر وتولى القضاء بها أيضا. انظر ف ٢٣٣، ن ٨٣، ط ٩٢، ١: ٣٠٥٧، وأسد الغابة ٢٥٧ وغيرها ومن كتب الطبقات. وسباق النسب فى الكتب المذكورة على النحو المذكور، وفى الأصل: هشام ابن كنانة بن عمرو بن الحصين بن ربيعة..

وبالنسبة للرموز الواردة فى هوامش هذا المتن فهى كالآتى:-

ص = مخطوط المتحف البريطانى لكتاب ولاية مصر فحمد بن يوسف الكندى. ر = طبعة رفن كست للمخطوط السابق. ك = طبعة كوينج للمخطوط السابق. خ = مخطوط المقرئى . طبعة بولاق. ن = النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى. طبعة دار الكتب. ي = معجم البلدان لياقوت. طبعة وستفلد. ط = تاريخ الطبرى. طبعة اوربا. ث = الكامل لابن الأثير. طبعة اوربا. ت = تاج العروس للزبيدى. د = سيرة احمد بن طولون لابن الداية . طبع اوربا. ب = سيرة أحمد بن طولون للبلوى. طبعة كرد على . ف = فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم . طبع لندن. م = حسن المحاضرة للسيوطى. مطبعة الوطن ١٢٩٩ هـ. ع = العيون الدعج فى حلى دولة بنى طنج. طبعة اوربا.

(٢) ف: وكان الذى ولى قتله فيما يزعمون عبد الله بن الزبير.

وكان اسم الأمير «حوثره» (*) فملك مملكة مصر وأعمالها وأحرق «حفصا» بالنار وقتل «رجا» بالسيف. وأخذ جميع أموالهما كما تنبأ الطوباني، ونزع الولاية منهما لأنهما طردا «حسانا» منها وتسلطا عليها بغير أمره، وانفذ أمرهما إلى الملك.

(*) وصول حوثره بن سهيل بقوة عسكرية كبيره إلى مصر والياً عليها من قبل مروان ابن محمد بعد أن اغتصب الخلافة من ابراهيم ابن الوليد: وذلك في يوم ٢١ مارس ٧٤٤م = ١١ جماد الثاني ١٢٧هـ.

وعادت المملكة لحسان. لأجل ذلك وكان قد حكم بالحق مثل سليمان، وهو محب للبيع والأساقفه والرهبان، وكان يحب البطرك أنبا خايل وكان يحضره ويتحدث معه دفعات شتى عند

وحدثنا (١). ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه قال: حدثني ابن لهيعة قال: حدثني أبو الأسود.

عن أبي أويس مولاهم قال: «غزونا مع عبد الله بن سعد إفريقية، في خلافة عثمان، سنة سبع وعشرين. فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، والراجل ألف دينار».

وغزا عبد الله بن سعد غزوة الأسود، حتى بلغ دمقلة (٢)، ذلك في سنة إحدى وثلاثين. فقاتلهم قتالاً شديداً. وأصيب يومئذ عيين معاوية بن حديج، وعيين أبي شمر (٣) بن أبرهة بن الصباح، [وعيين] (٤). حيويل بن ناشرة. فهادنهم عبد الله بن سعد، فقال شاعرهم:

لَمْ تَرَ عَيْسَى مِثْلَ يَوْمِ دُمُقْلَةَ وَأَخِيلُ تَعْدُو بِالْأُذْرُوعِ مُثْقَلَةً

فحدثني ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه، عن ابن لهيعة.

عن يزيد بن أبي حبيب أنه قال: «ليس بين أهل مصر والأسود عهد، وإنما كانت هدنة أمان بعضنا من بعض، نعطيهم شيئاً من قمح وعدس، ويعطونا رقيقاً».

قال ابن لهيعة: «لا بأس بما يشتري من رقيقهم: منهم ومن غيرهم».

قال ابن لهيعة: وسمعت يزيد بن أبي حبيب يقول: «كان أبي من سبي دمقلة».

(٢) هي دنقلة الآن.

(١) ر: وحدثني.

(٣) كذا في ف، والإصابة ٧: ٩٩، وفي الأصل: أبو سهم. تحريف. وهو أبو شعر بن أبرهة ابن شر حبيل بن أبرهة بن الصباح الحميري الصحابي.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

مضيه إليه من أول بطركيته. وأما «حوثره» من بعد ما جرى أقام بمصر وجيشه. وكان محبا للارتدكسين، وكان ينزل بوسيم وجميع جيشه ثلاثة سنين. ويشاور الأب أنبا موسىيس لأجل خلاص نفسه. وكان اضطراب كثير في المملكة البرانية (*) وبينهم قتال ويقتلون واحدا بعد واحد حتى ان الملك منهم لا يقيم سنة كاملة إلا ويقتل. حتى قام انسان يعرف بمروان ملك تلك الترك وجا [ء] بجيشه فاخذ المملكة بقوة وساد عليها

(*) المملكة البرانية: يقصد هنا بقية بلاد الخلافة الاموية خارج مصر.

وغزا عبد الله بن سعد أيضاً ذا الصواري، في سنة أربع وثلاثين. وفلقهم قسطنطين بن هرقل في ألف مركب، ويقال: في سبع مئة. والمسلمون في مئة مركب أو نحوها. فهزم الله الروم. وإنما سميت غزوة ذي الصواري، لكثرة صواري المراكب واجتماعها. وأمر عبد الله بن سعد، في إمراته، بتحويل مصلى عمرو بن العاصي، كان يقابل اليعقوم^(١). فحوّله إلى موضعه اليوم المعروف بالمصلى القديم. حدثنا ابن قديد قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال: حدثنا هاني بن المتوكل، عن ابن لهيعة، ورشدين بن سعد^(٢)، عن الحسن بن ثوبان. عن حسين بن شفي^(٣)، عن أبيه «أنه لما قدم مصر، وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بحداء ساقية أبي عون التي عند المعسكر^(٤).. فقال: مالهم وضعوا مصلاهم في الجبل المقروف الملعون، وتركوا الجبل المقدس^(٥)؟ قال الحسن ابن ثوبان: فقدموا مصلاهم إلى موضعه الذي هربه اليوم».

(١) اليعقوم: جبل مطل على القاهرة من شرقها الشمالي. وفي ك: التجوم تحريف.

(٢) كذا في (١٥٨)، وتويده الروايات التالية عنه، وفي ك، ر: راشد بن سعد.

(٣) الحسين بن شفي بن مالح الأصبحي، مات سنة ١٢٩. وفي ر: حسين بن سقى، خطأ.

(٤) كذا في ف، خـ (٢: ٤٥٤)، ن (١: ٣٢٦)، وفي الأصل: المعسكر.

(٥) المقروف الملعون، ويذهب ك إلى أن الكلمة مضرب عليها. ويريد بالجبل الملعون اليعقوم، أما الجبل المقدس فهو المقطم. وانظر خـ (١٠: ١٢ب) وفي (١٥٦) ون (١: ٣٠، ٣٦، ٣٧) ومعجم البلدان لياقوت، وغيرها.

بذراع قويه مثل فرعون، ولم يقدر احد على
مقاومته حتى ابادهم بالسيف. وكان كل سنة
يسفك دما كثيرا لكل من يقاتله.

وكان فى بيته شماس خلقدونى اسعه
تاوفيلكتس [تاوفيليكاس] صايغ يصوغ الذهب لاهله
ويسالهم [يسألهم] ان يأخذوا له درجه من الملك
بجعله بطركا على أصحابه اليونانيين له [لأنه] لم
يكن لهم بطرك فى ذلك الزمان، ففعل له ذلك
سرعة وصيره بطركا على الخلقدونيين.

ووفد عبد الله بن سعد إلى أمير المؤمنين عثمان، حين حين تكلم الناس بالطعن على
عثمان واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى، فى قول الليث وغيره. وقال يزيد بن أبى
حبيب: استخلف عليها السائب بن هشام بن عمرو العامرى^(١).. وجعل على خراجها سليم
بن عتر التجيبى^(٢).. وكانت وفادته فى وجوه الجند، فى رجب سنة خمس وثلاثين.

٣. محمد بن أبى حذيفة(*).

ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف

ثم انتزى^(٣). محمد بن أبى حذيفة، فى شوال سنة خمس وثلاثين، على عقبة ابن
عامر خليفة عبد الله بن سعد، فأخرجه من القسطنطين، ودعا إلى خلع عثمان، وحرص عليه
بكل شئ يقدر عليه، وأسعر البلاد.

حدثنا الحسن بن محمد المدينى^(٤). قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثنى

(١) كذا فى ن (٨٣: ٩٢) فى (٢٣٣) ط (١: ٣٠٥٧) وفى الأصل: السائب بن هشام بن كنانة العامرى.
(٢) كذا فى ن (٩٢: ١)، وفى الأصل: سليمان بن عمر، خطأ. وأبو سلمة سليم بن عتر التجيبى، قاضى
مصر وقاصها وناسكها، وهو أول من قص بمصر، وأول من سجل سجلا فى المواريت، وتولى القضاء
عشرين سنة، ومات سنة ٧٥.

(*) الخطط (١: ٣٠٠)، والنجوم (١: ٩٤) وحسن المحاضرة (٢: ٣)، وغيرها من الكتب.

(٣) انتزى: وثب. (٤) ك: المدينى.

وقامت السلامة والهدوء بمصر خمس سنين، ثم
 اتهم اخرجوه من مصر وولوا انسانا اسمه عبد الملك
 بن موسى بن نصير من جنس «حسان» (*)
 اليهودى وكان قد جاء من المغرب، وكان
 يغيض النصارى جدا ومعه تكبر عظيم، وانزل تعباً
 عظيماً على اهل مصر، وظهر امورا عظيمة
 بمصر، واخذ «لمروان» الذهب والفضة والنحاس
 والحديد وكل شئ يجده. وكان يفعل ذلك بمشورة
 رجل سو يتعلم هذه الأفعال من الشيطان، وكان

(*) عزل حوثة وتولى عبد الملك
 ابن مروان سنة ٧٥٠م
 انظر الهامش السفلى ص ٣٩٥.

الليث، عن عبد الكريم بن الحارث الحضرمي: «ان ابن ابي حذيفة كان يكتب الكتب على
 السنة أزواج النبی صلی الله عليه وسلم. ثم يأخذ الرواحل فيضمهرها، ثم يأخذ الرجال الذين
 يريد أن يبعث لذلك معهم فيجعلهم على ظهور البيوت، فيستقبلون بوجوههم الشمس لتلوحهم
 تلويح المسافر. ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر. ثم يرسلون^(١). ا رسلاً
 يخبرون بهم الناس ليلقوهم، وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا: ليس عندنا خبر، الخبر في
 الكتب. ثم يخرج محمد بن أبي حذيفة [والناس^(٢)]. كأنه يتلقى رسل أزواج النبی، عليه
 السلام، فإذا لقوهم قالوا: لا خبر عندنا، عليكم بالمسجد. فيقرأ عليهم كتب أزواج النبی.
 فيجتمع الناس في المسجد اجتماعاً ليس فيه تقصير. ثم يقوم القارئ بالكتاب فيقول: إنا
 لنشكو إلى الله وإليكم ما عمل في الإسلام، ما صنع في الإسلام. فيقوم^(٣) أولئك الشيوخ
 من نواحي المسجد بالبكاء. ثم يقول ثم ينزل عن المنبر. وينفر الناس بما قرئ عليهم».

فلما رأت ذلك شيعة عثمان، اعتزلوا محمد بن أبي حذيفة ونابذوه^(٤)، وهو معاوية بن

(١) ما بين الأقواس زيادة تناسب السياق عن المخطوط ٢٠ : ٣٣٥.

(٢) ما بين الأقواس زيادة تناسب السياق عن المخطوط ٢٠ : ٣٣٥.

(٣) كذا في خـ، ر، وفي الأصل: فيقول، تحريف.

(٤) كذا في خـ، وفي الأصل: وبارزوه، ولا معنى لها هنا.

ريسا على جميع صنايع مصر وامور المملكة اسمه
«عبدالرحيم» وأنتهى بغيه إلى ما لم يسمع بمثله،
وهو انه اخذ الاطن [دهانات] (*) وعقاقير اخلط
جميعها ودهن بها مراكب الأسطول لكي إذا وقع
على المراكب النار من الروم لا تحترق، وكان ذلك
مما نظرت بعيني وقد ضربت المراكب بالنار فلم
تحترق بل تطفى النار للوقت.

وكانو تجار البلاد اليونان يصلون ببضائعهم

حديج، وخارجة بن حذافة، وسر بن أبي أرطاة، ومسلمة ابن مخلد الأنصارى، وعمرو بن
قحزم الخولاني^(١)، ومقسم بن [بجرة، وحمزة بن سرح بن كلال، وأبو الكنود]^(٢) سعد بن
مالك الأزدي، وخالد ابن ثابت الفهمي^(٣)، في جمع كثير ليس لهم من الذكر ما لهؤلاء
وبعثوا سلمة ابن مخزومة^(٤) التجيبي ثم أحد بنى زميلة إلى عثمان، ليخبره بأمرهم، وبصنيع
ابن أبي حذيفة.

حدثنا العباس بن محمد قال: حدثنا عمرو بن سواد قال أخبرنا ابن وهب قال: حدثني ابن
لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ربيعة بن لقيط قال:

سمعت سلمة بن مخزومة قال: «لما انتزى ابن أبي حذيفة بمصر بخلع عثمان، دعا الناس
إلى أعطياتهم. قال: فأبيت أن آخذ منه، فقدر لي أنى ركبت إلى عثمان، فقلت: يا أمير المؤمنين،
إن ابن أبي حذيفة إمام ضلالة كما قد علمت، وإنه انتزى عليك بمصر، فدعانا إلى أعطياتنا،
فأبيت أن آخذ منه. قال: قد عجزت، إنما هو حقك».

(١) ك: عمرو بن حزم الخولاني، خطأ.

(٢) ما بين القوسين زيادة من خـ، سقطت من الأصل.

(٣) كذا في ر، خـ. وفي الأصل، ك: القهري. وانظر س ١: ١١٣.

(٤) كذا في ر، ك. وفي خـ: مخزومة، بالراء.

فجمعوا مالا بينهم ودفعوه لمروان وسألوه ان يدعهم
 ينون بيع بمصر، فاجابهم وأصحاب «تاوفيلكتس»
 اخلقدونى ويدعى «قسما» قالوا له ان لنا كنايس
 كثيرا بمصر تغلبو عليها «التاوضوسيون» يعنى
 «القبط» عند اخذ ملك الروم وليس لنا بيعه، نسال
 ان يكتب لنا الملك كتباً على ايدينا إلى مصر بان
 تسلم لنا بيعة «أبى مينا» (*) «بمريوط» لتتقرب فيها
 لأن كان لها اسم وعجايب كثير وواقف فى كل
 موضوع. فاخذ «تاوفيلكتس» الكتب إلى

(*) خلاف حاد بين القبط
 والخلقديون على بيعة أبى مينا
 بمريوط.

وبعث أمير المؤمنين عثمان سعد بن أبى وقاص إليهم ليصلح أمرهم.

فحدثنى محمد بن عبد الوارث بن جرير قال: حدثنا ياسين بن عبد الأحد بن الليث قال:
 حدثنى أبى، عن يحيى بن أيوب.

عن يزيد بن أبى حبيب: «ان محمد بن أبى حذيفة لما انتزى على عثمان، بعث سعد بن
 أبى وقاص إلى أهل مصر يعطيهم ما سألوا. فبلغ ذلك ابن أبى حذيفة، فخطبهم ثم قال: ألا
 إن الكذاب كذا وكذا قد بعث إليكم سعد بن مالك ليقل جماعتكم، ويشتت كلمتكم،
 ويوقع الشخاذل فيكم^(١)، فانفروا إليه. فخرج إليه منهم بمئة أو نحوها. فلقوه بمرحلة بنى
 سعد، وقد ضرب فسطاطه، وهو قاتل. فقلبوا^(٢) عليه فسطاطه، وشجوه، وسبوه. فركب
 راحلته وعاد راحلاً من حيث جاء، وقال لهم ضربكم الله بالذل والفرقة، وشتت أمركم،
 وجعل بأسكم بينكم، ولا أرضاكم بأمر^(٣) ولا أرضاه عنكم».

حدثنى محمد بن موسى الحضرمى قال: حدثنى أحمد بن يحيى بن عميرة الجدامى قال:
 حدثنا عبد الله بن يوسف، عن ابن لهيعة،

(١) خـ (٣٣٥: ٢) ليقول جماعتكم.. ويوقع التجادل بينكم.

(٢) كذا فى خـ، ر. وفى الأصل، ك: فليقلبوا

(٣) كذا فى خـ، ر. وفى الأصل، ك: بأمر.

«عبد الملك بن موسى بن نصير» بأن يكشف

الحال بين اليعاقبة والخلقديونيين ويحققو من بنى

هذه البيعة ويسلموها إليه. فلما وقف على الكتب

من عند «مروان» انفذ اميرا إلى اسكندرية وتقدم

باحضار البطريرك اليعقوبى والخلقديونى. وكان

الصوم (*) قد قرب، فأمر بإحضارهما، ولما وصل

أنبا خايل إلى وسيم خرج إليه الأسقف أنبا

«مويسيس» وسار معه إلى أن وصل إلى

«عبد الملك»، وكان معنا الأسقف أنبا «تادرس»

(*) يراعى المصريون القبط صوماً طويلاً شاقاً. وهم يصومون ثلاثة أيام قبل الصوم الكبير بأسبوع. ويراعى بعض الأقباط هذا الصوم بالحرمان التام مدة ثلاثة ليال، ويراعيه آخرون كما يراعون أيام =

عن يزيد بن أبى حبيب قال: «انتزى محمد بن أبى حذيفة على الإمارة فأمر على مصر، وتابعه أهل مصر طراً، وإلا أن يكون عصابة، منهم معاوية ابن خديج، وسر بن أبى أرطاة».

وحدثني ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه، عن ابن لهيعة.

عن يزيد بن أبى حبيب قال: «وأقبل عبد الله بن سعد حتى إذا بلغ جسر القلزم وجد به خيلاً لابن أبى حذيفة، فمنعوه أن يدخل. فقال: ويلكم! دعونى أدخل على جندي، فأعلمهم^(١) بما جنت به، فإنى قد جنتهم بخير. فأبوا أن يدعوه، فقال: والله لو ددت أنى دخلت عليهم فأعلمتهم بما جنت به ثم مات. فأنصرف إلى عسقلان، وكره أن يرجع إلى عثمان. فقتل عثمان، وهو بعسقلان، ثم مات بها.

وأجمع محمد بن أبى حذيفة على بعث جيش إلى عثمان.

فحدثني محمد بن موسى قالك حدثنا أحمد بن يحيى بن عميرة قال:

حدثنا عبد الله بن يوسف قال: «من يشترط^(٢) فى هذا البعث؟ فكثر عليه من يشترط. فقال: إنما يكفيننا منكم ست مئة رجل. فاشترط من أهل مصر ست مئة رجل، على كل مئة منهم رئيس، وعلى جماعتهم عبد الرحمن بن عديس البلوى، وهو كنانة بن بشر بن

(١) كذا ر، خ. وفى ك: فأعلم.

(٢) خ (٢: ٣٢٥): يشترط فى السياق كله.

- الصوم الاخرى أهمها «الصوم الكبير» المشار عليه سابقاً، محدداً في الأصل بأربعين يوماً، غير أن البطاركة المختلفين جعلوه بالتدريج خمسة وخمسون يوماً. ويمتنع الأقباط أثناء هذه الفترة، ماعدا يومين منها أذكرهما فيما بعد عن أى طعام حيواني مثل البيض واللحوم واللبن والزبد والجبن، ويأكلون الخبز والحضروات فقط (الفاصوليا خاصة) بالزيت غير الحار، أو زيت السمسم، والبصرة، والدقة.

أسقف مصر، الذي كان قبل اسقفية أرشيد ياقن يعة القديس «ابى مقار» «بوادى هبيب»، وكنا نحضر إلى القصر مع الخلق دونيين كل يوم، واقمنا كذلك أربعين يوم الصوم من باكر إلى آخر النهار، وكان أسقف الروم يمضى معنا «وقسما» بطركهم. وكان الأسقف المذكور يغض اهل ملته وقال انا ما جيت إلى ان اجعل للشالوث رابعا، وكان اسمه «قسطنطين» ومعه شماس يسمى «انسطاسيوس» من يعة الملكية باسكندرية. وجمع «عبدالملك»

سلمان^(١) التجيبى، وعروة بن شليم^(٢) الليثى، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى، وسودان بن أبى رومان^(٣) الأصبحى، وذرع بن يشكر اليافعى^(٤).

قال يزيد بن أبى حبيب: «وسجن رجال من أهل مصر فى دورهم : منهم بسر بن أبى أرطاة، ومعاوية بن حديج. فبعث ابن أبى حذيفة إلى معاوية بن حديج ، وهو أرمذ^(٥)، ليكرهه على البيعة. فلما رأى ذلك كنانة بن بشر، وكان رأس الشيعة الأولى، دفع عن معاوية بن حديج ما كره».

ثم قتل عثمان، رحمه الله، وكان قتله فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين. ثم إن الركب انصرفوا إلى مصر. فلما دخلوا القسطنطينية ارتجز مرتجزهم.

خُذْهَا إِلَيْكَ وَاحْذَرْنَ أَبَا حَسَنٍ^(٦)

(١) خد: سليمان واختلف المؤرخون فى أسماء هؤلاء الرؤساء جميعاً ، وانظر ط ١٠ : ٣٥) ث (١٢٥ : ٣) وغيرهما.

(٢) خد: سليم. ر: ك: شليم. و: الصواب ما أبتناه عن ق، ع.

(٣) خد: سودان بن ريان. ط، ث: سودان بن حمران.

(٤) ر: ذرع. خ: ذرع. النافعى. ط: ذرع.

(٥) كذا فى خد، وفى ك، ر: أرملا ولا معنى لها هنا.

(٦) كذا ر، خد (٣٣٥ : ٢)، وابن دريد: الاشتقاق ٢٤٦. وفى ك، والأصل : واحذروا.

الملكيين وقرا عليهم الكتاب وكشف عن الحق
وجرى من الخصومة قدامه امر عظيم، وكانوا
الأرتدكسيون ظافرين بالخلقدونيين وما يخاطبون به
من الكتب المقدسة حتى ان «عبد الملك» تعجب،
ثم احضر صاحب ديوانه وكان رجلا مسلما تحت
يده ديوانان، ورجلا آخر اسمه «عيسى بن عامر»
وسلمهم له ليطول روحه عليهم ويسمع كلامهم
ويعرفه، وامر أن يكتب كل منا ما يقوله في كتاب.
فمضوا الخلقدونيون سرا إلى دار عيسى وحملوا إليه

وتفتح الكنائس لإقامة القداس
مدة الصوم. ولايتناول الاقباط
شيئا بعد العشاء إلى ما بعد
الصلوات الكنسية في اليوم التالي
ظهراً تقريبا، ولكنهم لا يفعلون
ذلك في أيام الصوم الاخرى.
وهم يراعون مع ذلك بدقة مماثلة
تقريبا، ثلاث فترات صوم أخرى:
الأولى: «صوم الميلاد» ومدته
ثمانية وعشرون يوماً تسبق عيد
الميلاد مباشرة، أى شهر كيهك
كله ماعدا اليومين الأخيرين.
الثانية: «صوم الرسل». ويقع بين

إِنَّا نُمِـرُ الْحَرْبَ إِمْرَارَ الرِّسَنِ (١)
بِالسَّيْفِ كَيَّ تَخْمَدُ نِيرَانَ الْفِئْتَنِ (٢)

قال يزيد بن أبي حبيب: «فلما دخلوا المسجد صاحوا: إنا لسا قتلة عثمان، ولكن الله
قتله. فلما رأى ذلك شيعة عثمان قاموا وعقدوا لمعاوية بن حديج عليهم، وبايعوه. فكان أول
من بايع على الطلب بدم عثمان، وفيهم يحيى بن يعمر الرعيسى ثم العباسي. فسار بهم معاوية
بن حديج إلى الصعيد. فبعث إليهم ابن أبي حذيفة خيلاً. فالتقوا بدقناش (٣) من كورة
البهنسا. فهزم أصحاب ابن أبي حذيفة. ومضى معاوية بن حديج حتى بلغ برقة، ثم رجع إلى
الإسكندرية.

ثم إن ابن حذيفة أمر بجيش آخر، عليهم قيس بن حرمل اللخمي، وفيهم ابن الجثما
البلوي. فاقتلوا بخربتاً (٤) أول يوم من شهر رمضان سنة ست وثلاثين. فقتل قيس بن حرمل
وابن الجثما وأصحابهما.

(١) كذا ر، خـ. وفي ك، والأصل: إنما نمر. والرسن: الحبل. ومرة: قتله.

(٢) كذا خـ، وفي ر: تخمد. وفي ك، والأصل: محمد نيران الوسن.

(٣) في الأصل: بدقياس. وترسم على ثلاث صور: دقناش، ودقناش، ودقناش؛ ومكانها الآن حوض دقناش
بأراضي ناحية مزورة من مركز بيا بمديرية بني سويف.

(٤) خربتاً: من مركز النجيلة بمديرية البحيرة الآن.

عيد الصعود والخامس من أيب. وهو ذكرى لصوم الرسل بعد أن فقدوا سيدهم.

الثالثة: «صوم العدراء» ومدة خمسة عشر يوماً سابقة على عيد رفع العدراء للسما. ويصوم الاقباط أيضاً كل أربعاء وجمعة في أى فترة أخرى من السنة ماعدا الخميس يوماً اللاحقة للصوم الكبير مباشرة. أى من انقضاء الصوم الكبير إلى آخر الخميس. وفي أيام الاربعاء والجمعة هذه يتناولون السمك والخضر والزيت فقط.

هدايا ليساعدهم فيما يلتمسونه، فجمع الأب البطرك انبا خايل اساقفته وكتب كتاباً مملو من كل حكمه ونعمة الله وكلام كتب الله المقدسه، وما كان من بنا [ء] البيعه للشهيد مارى مينا وما لقيه أبونا البطاركة من التعب والنفى من اخلقدونيين واخذ البيع منهم بيد ملوك الروم، وكتبو ذلك قبطيا وعربيا، فلما اجتمعوا دفعوا ذلك إلى عيسى المذكور فقرا وتعجب من الفاظه، ثم احضر اخلقدونيون كتاب طوله شبر فيه

وسار معاوية بن أبى سفيان إلى مصر، فنزل سلمت من كورة عين شمس، فى شوال سنة ست وثلاثين. فخرج إليه ابن أبى حذيفة وأهل مصر، ليمنعوا معاوية وأصحابه أن يدخلوها. فبعث إليه معاوية: إنا لا نريد قتال أحد، إنما^(١) جئنا نسأل القود بدم عثمان؛ ادفعوا إلينا قاتليه: عبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر، وهما رأسا القوم. فامتنع ابن أبى حذيفة وقال: لو طلبت منا جدياً رطب السرة بعثمان^(٢) ما دفعناه إليك. فقال معاوية بن أبى سفيان لابن أبى حذيفة: اجعل بيننا وبينكم رهناً، فلا يكون بيننا وبينكم حرب. فقال ابن أبى حذيفة: فإلى أرضى بذلك.

فاستخلف ابن أبى حذيفة على مصر الحكم بن الصلت بن محرمة بن المطلب ابن عبد مناف. وخرج فى الرهن هو وابن عديس. وكنانة بن بشر، وأبو شمر^(٣) بن أبرهة الصباح، وغيرهم من قتلة عثمان. فلما بلغوا لد، سجنهم معاوية بها، وسار إلى دمشق. فهربوا من السجن إلا أبا شمر^(٣) بن أبرهة، فقال: لا أدخله أسيراً وأخرج منه آبقاً^(٤). وتبعهم صاحب فلسطين فقتلهم. فأتبع عبد الرحمن بن عديس رجل من الفرس، فقال له عبد الرحمن: اتق

(١) كذا ر، خ. وفي الأصل، ك: إنا.

(٢) كذا ر، خ. وفي الأصل، ك: رطباً لعثمان. تحريف.

(٣) كذا خ، وهو الصحيح كما سبق. وفي ر، ك: أبو شمس. تحريف.

(٤) كذا خ، ر. وفي الأصل، ك: أيضاً. تحريف.

كلمتان فلما قراه ضحك وهز رأسه، ثم قرى
الكتابان علانية، وكل الحاضرين يسمعون ما فيها.
فقال له أبونا البطرك أنبا خايل: أيها السيد الكاتب
ما يجب ان نجعل اعدانا الذين ليس لهم الاله
يسمعون كلامنا فيجعلوه لهم حجة فيما بعد.
فقال: انا اقر الكتاب. وانما فعل ذلك بمكر
ومراعاة لهم لجل البرطيل.

ويتبع كل صوم عيد ولأقباط
سبعة أعياد كبيرة: أولا، «عيد
الميلاد» في ٢٩ كيهك = ٧ يناير
ثانيا: «عيد الغطاس» وفي «طوبه
(١٨ أو ١٩ يناير)، ذكرى تعميد
المسيح.

ثالثا: «عيد البشارة» في ٢٩
برمهات (٦ أبريل). رابعا: «عيد
الشعنين» أحد السعف قبل عيد
الفصح. خامسا: «عيد القيامة» أو
الفصح أو العيد الكبير. سادسا:
«عيد الصعود». سابعا:
«عيد العنصرة».

والذى كان فى كتاب الأب البطرك المغبوط هو

الله فى دمي، فإني بايعت النبي، صلى الله عليه وسلم، تحت الشجرة! فقال له: الشجر فى
الصحرا كثير. وقتله».

وأخبرني ابن قديد، عن يحيى بن عثمان بن صالح، عن ابن عفير،
عن الليث قال: «قال محمد بن أبي حذيفة فى الليلة التى قتل فى صباحها: هذه الليلة
التي قتل فى صباحها عثمان، فإن يكن القصاص لعثمان فسنقتل فى غد. فقتل فى الغد».
وكان قتل ابن أبي حذيفة، وابن عديس، وكنانة بن بشر، ومن كان معهم فى الرهن، فى
ذى الحجة سنة ست وثلاثين.

٤. ولاية قيس بن سعد(*)

ابن عبادة بن ذليم بن حارثة بن أبي خزيمة^(١) بن ثعلبة

ابن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج

ثم وليها قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى، من قبل أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضى

(*) الخطط (١: ٣٠٠)، والمنجوم (١: ٩٥)، وحسن المحاضرة (٢: ٤)، وغيرها من كتب الصحابة.
(١) كذا فى ت، ر. وطبقات ابن سعد (٣: ٢): ١٤٢، وأسد الغابة لابن الأثير (٢: ٢٨٣). وفى ك، والأصل،
والاستيعاب لابن عبد البر أبي خزيمة، بالحاء خطأ. وفى تهذيب الأسماء للنورى ٢٧٤، وأسد الغابة
والإصابة (٣: ٨٠): حارثة بن حزام بن خزيمة.

وتقام الصلوات فى الكنائس فى
أول هذه الاعياد وثانيها وخامسها
ليلاً، أى فى الليلة السابقة على
يوم العيد.

ذا نذكر بعضه: خايل بنعمة الله اسقف مدينة
اسكندرية والشعب التاوضوسى، إلى السادة
[الملوك] من اجل بيعة الجليل مارى مينا بمريوط،
وكان فى ذلك الزمان [السابق] الملوك المومنون
المحبون لله ارغاديوس وانوريوس على عهد الأب
القديس تاوفيلس البطرك، ابتدا بعمارة [بيعة
الجليل] يوحنا المعمدان، فلما كملها بنى بيعة أبى
مينا بمريوط وبيعة اخرى على اسم تاوضوسىوس
بن ارغاديوس الملك الذى ساعده على بنا البيع،

الله عنه؛ لما بلغه مصاب ابن أبى حذيفة بعثه عليها، وجمع له الصلاة والخراج. فدخلها
مستهل شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين. فجعل على شرطه السائب بن هشام بن عمرو^(١).
فاستمال قيس بن سعد الخارجية بخربتا، وبعث إليهم أعطياتهم. ووفد عليه^(٢) وفسدهم،
فاكرمهم وأحسن إليهم.

فحدثنى محمد بن موسى الحضرمى قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن عميرة قال: حدثنا
عبد الله بن يوسف، عن ابن لهيعة، عن يونس بن يزيد،

عن ابن شهاب قال: «كانت مصر من جيش على، فأمر عليها قيس بن سعد، وكان من
ذوى رأى والبأس^(٣)، إلا ما غلب عليه من أمر الفتنة. فكان معاوية وعمرو جاهدين أن
يخرجاه من مصر. فتغلب^(٤) على أمرها، وكان قد امتنع منهما بالدهاء والمكايدة، فلم يقدر
على أن يلجا (يدخلا) مصر حتى كاد معاوية قيساً من قبل على. فكان معاوية يحدث رجلاً
من ذوى رأى من قريش، فيقول: ما ابتدعت من مكايدة قط أعجب إلى من مكايدة كدت

(١) فى الأصل: بن كنانة، كما سبق.

(٢) فى الأصل: عليهم.

(٣) كذا ر، ك، ط (١: ٣٢٤)، وفى الأصل: من الناس.

(٤) خ (٢: ٣٣٦): ليغلبا على أمرها.

ولما تنيح تاوفيلس صار كل من جا بعده يبنى فيها قليلا قليلا إلى أيام طيماتاوس البطرك فهو الذى كملها. وبعد هذا أتى ملك شيطان اسمه مرقيان وهو الذى قسم البيعة بامانته الفاسدة، ونفا الأب الجليل ديسقرس البطرك الجاهد عن امانة آبايه المستقيمة واخذ امانة جديده مرذوله، وساعده على ذلك لاون بطرك روميه الذى احرمه ديمقرس البطرك واحرم أقواله الطمثة المملوه كفرا، وفعل الملك المذكور باولاد البيعه الأرتدكسيه افعال قبيحه

بها قيس بن سعد، حين^(١) امتنع منى قيس، قلت لأهل الشام: لا تسبوا قيساً ولا تدعوا إلى غزوه، فإن قيساً لنا شيعة، تأتينا كتبه ونصيحته [سراً]^(٢)، ألا ترون ماذا يفعل بإخوانكم النازلين عنده بخربت، يجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم، ويؤمن سربهم، ويحسن إلى كل راكب يأتيه منهم.

قال معاوية: وطفقت أكتب بذلك إلى شيعتي من أهل العراق، فسمع بذلك جواسيس على بالعراق، فأنهاه إليه محمد بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن جعفر، فاتهم قيساً، فبعث إليه يأمره بقتال أهل خربت، وبخربت يومئذ عشرة آلاف، فأبى قيس أن يقاتلهم، وكتب إلى على: «إنهم وجوه أهل مصر وأشرفهم وأهل الحفاظ، وقد رضوا منى بأن يؤمن سربهم، وأجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم، وقد علمت أن هواهم مع معاوية، فلست مكايدهم بأسر أهون من الذى أفعل بهم، وهم أسود العرب، منهم بسر بن أبى أرطاة، ومسلمة بن مخلد، ومعاوية بن حديج»، فأبى عليه إلا قتالهم فأبى قيس أن يقاتلهم، وكتب إلى على: «إن كنت تتهمنى فاعزلنى، وأبعث غيرى». فبعث الأشتر.

(١) كذا خ، ر. وفي الأصل، ك: حتى. تحريف.

(٢) زيادة عن خ، ن.

فظلم كثيرا وقتل منهم وطرده ونفا وقاسو منه
شدايد عظيمة، ولم يزل معهم هكذا مظلومين إلى
ان صارت المملكة للسادة المسلمين وإلى الان نحن
معهم متخاصمين.

هكذا يسير من كثير لما تضمنه كتاب الاب
الجليل أنبا خايل البطرك. واما الخلقدونيين فكتبوا
وقالوا: في البدايه كان الملك لنا والكنائس وجميع
مالها لنا وانما المسلمون سلموها للقبط عند
تغلبهم على ديار مصر.

حدثنا حسن المديني (١) قال: حدثنا يحيى بن بكير، عن الليث.
عن عبد الكريم بن الحارث قال: لما ثقل مكان قيس على معاوية كتب إلى بعض بني أمية
بالمدينة: «أن جزي الله قيس بن سعد خيرا، فإنه قد كف عن إخواننا من أهل مصر، الذين
قاتلوا في دم عثمان. واكتموا ذلك، فإني أخاف إن يعزله على إن بلغه ما بينه وبين شيعتنا»
حتى بلغ عليا. فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بدل قيس وتحول. فقال
علي: ويحكم! إنه لم يفعل، فدعوني. قالوا: لتعزله فإنه قد بدل. فلم يزالوا به حتى كتب
إليه: «إني قد احتجت إلى قربك، فاستخلف علي عمك، واقدم». فلما قرأ الكتاب قال:
هذا من مكر معاوية، ولولا الكذب لكنت بمعاوية مكرأ يدخل عليه بيته.
حدثنا أبو العلي قال: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا الجراح بن مليح قال: حدثنا أبو
رافع.

عن قيس بن سعد قال: لولا أن سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «المكر
والخدعة في النار» لكنت من أمكر الناس.

فوليها قيس بن سعد، إلى أن عزل عنها، أربعة أشهر وخمسة أيام صرف خمس خلون من
رجب سنة سبع وثلاثين.

(١) الأصل، ك: المديني.

وكان عيسى لأجل البرطيل الذى اخذه منهم
يريد ان يصدقهم ويكذب القبط، فقال: لا انتم ولا
هم اتيتم بحجة فامضوا واكتبوا غير هذين الكتاين
واحضروهم الينا. ففعلنا كقوله، فقال أيضا: ليس
هذا كلام فامضوا واكتبوا غير هذين الكتاين. ولم
يزل يدافعنا شهرا كاملا. فقال بعض الحاضرين
لأنبا مويسيس اسقف وسيم: الراى يدفع أيننا
البطرك لهذا شيا لينصفنا من هولا المقاومين
المعادين المعاندين. فقال له: يا ولدى ما يليق

٥. الأشتر(*)

مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث
ابن جذيمة^(١) بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن علة
ابن جلد^(٢) بن مذحج

ثم وليها الأشتر مالك بن الحارث النخعى، من قبل أمير المؤمنين على فسار إليها حتى نزل
القلزم، مستهل رجب سنة سبع وثلاثين.

فحدثنى على بن الحسن بن قديد قال: حدثنا هارون بن سعيد بن الهيثم قال: حدثنى خالد
بن نزار، عن مفيان بن عيينة، عن مجالد، عن الشعبي،

عن عبد الله بن جعفر قال: «كنت إذا أردت أن لا يمنعنى على شيئا قلت: بحق جعفر،
فقلت له: أسألك بحق جعفر ألا بعثت الأشتر إلى مصر، فإن ظفرت^(٣) فهو الذى تحب،
والا استرحمت منه».

(*) الخطط (١: ٣٠٠)، والنجوم (١: ١٠٢)، وحسن المحاضرة (٢: ٦).

(١) الأصل، ك: حزيمة. واختلف فى ولاية الأشتر أكانت قبل محمد بن أبى بكر أم بعده. انظر ن (١: ١٠٢).

(٢) كذا ت، ر. وفى الأصل، ك: خلد.

(٣) خ (٢: ٣٣٦): ظهرت.

بالبطاركة والأساقفة ان يدفعوا البرطيل لحد. كما
انهم لا يليق بهم اخذه من حد، وما أقمنا بعد سنه
ولا سنتين ولا تلتين سنة صابرين مثل اباينا ونحن
الان مقيمون فى مواضعنا وكنائسنا بيدنا، والله ما
يغفل عنا ولا يتخلى عن معونتنا.

وفى ذلك الأسبوع كافا الله أوليك المخالفين
(*) عزل عيسى الوالى وتولى أبا بصلوات أيينا، وعزل (*) ذلك الوالى عن كتابه
الحسن. وديوانه، وصار اخر عوضه رجل من اولاد قضاة
المسلمين يسمى أبا الحسين وكان شيخا وديعا لا

قال سفيان: وكان قد ثقل عليه وأبغضه وقلاه. قال: فولاه. وبعث معه طيرين لى
من العرب، فلما قدم قلزم مصر لقي بها بما يلقى به العمال هنالك، فشرب شربة غسل
فمات. فلما قدم طيراي أخبرانى. فدخلت على على، فأخبرته، فقال: لليدين وللهم (١)
قال سفيان، عن عمرو بن دينار: إن عمرو بن العاص قال، لما بلغه موته: إن لله جنوداً فى
عسل (٢).

حدثنا حسن بن محمد المدينى (٣) قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثنى
الليث.

عن عبد الكريم بن الحارث قال: وبعث على مالك الأشتر على مصر. فلما قدم القلزم
شرب شربة من عسل، فمات. فبلغ ذلك معاوية وعمراً، فقال عمرو: إن لله جنوداً من
العسل.

حدثنى محمد بن موسى الحضرمى، قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن عميرة، عن عبد الله
بن يوسف، عن ابن لهيعة.

(١) لليدين وللهم: دعاء عليه بمعنى كبه الله على وجهه.
(٢) كذا فى الأصل، ك. وفى نسخة، ن، ر: إن الله جنوداً من عسل، وإن لله جنوداً من العسل.
(٣) ك: الحسن. المدينى.

يحابى احدا ولا يأخذ برطيلا، وكان حكيما فى كلامه يقطع بالحق فى قوله، فسلمونا له ليحكم بيننا وكانت اول حكومته انه قال: من هو أبو اليعاقبة فيكم؟ فاشاروا الحاضرون إلى انبا خايل وقالو: هو ذا هو. ثم قال: [اين] أبو الملكيه. أوروه الاخر. فقال لانبا خايل: انت على امانة يعقوب اسقف اورشليم احد تلاميذ السيد المسيح؟ قال: نعم انا هو. ثم التفت إلى الاخر وقال: عرفنى أيها الشيخ من أبوك وما ملتك؟ قال له بطرك الملكيه:

عن يزيد بن أبى حبيب قال «بعث على مالك الأشرأمرأ على مصر. فسار يريد مصر حتى نزل جسر القلزم، فصلى حين نزل من راحلته. ودعا الله إن كان فى دخوله مصر خير أن يدخله إياها، والا لم يقض له بدخولها. فشرب شربة من عسل قمات. فبلغ عمرو بن العاص موته، فقال: إن لله جنوداً من العسل.

حدثنا على بن سعيد قال: حدثنا سلم بن جنادة^(١) قال: حدثنا أحمد بن بشير، عن مالك عن مجالد^(٢).

عن الشعبي قال: «لما بلغ علياً، رضى الله عنه، موت الأشر قال: لليدين و للقم». حدثنا موسى بن حسن بن موسى قال: حدثنا هارون بن أبى بردة قال: حدثنا نصر بن مزاحم قال: روى حديث عمر بن سعيد، عن فضيل بن خديج^(٣)، عن إبراهيم بن يزيد، عن علقمة بن قيس قال: «دخلت على على فى نفر من النخع، حين هلك الأشر. فلما

(١) أبو السائب سلم بن جنادة السوائى العامرى الكوفى، وفى ر: سالم.

(٢) مجالد بن سعيد الكوفى، اختلف فى توثيقه، مات سنة ١٤٤هـ. وفى ر: مالك بن مجالد، وذلك خطأ لأن الذى يروى عن الشعبي هو مجالد نفسه.

(٣) كذا فى ميزان الاعتدال للذهبي (٣٣٤)، وط. وفى ر: خديج.

انا على امانة مرقيان الملك. فقال له القاضي: انت
تومن بالملك وليس بالله؟ ثم قال له: قل لى أبو
مذهبك من هو؟ ومن أين هو؟ حتى اعلم واحكم
بينكم. فقال له: أبى الذى بدأ ووضع الأساس هو
نسطور جمع مجمع بافسس وكان المقدم فيه
كيرلس أبو هذا وكان معهم راهب من جبل ادريسا
من أعمال أخميم واخروجوه من البيعة وساعدتهم
الملكة فى ذلك الزمان، وبعد ذلك اقام الله مرقيان
بسرعه لاون البطرك واجتمعوا بنسطور ومن معه،

رأى قال: لله مالك ! لو كان جبلاً لكان من جبل فدا^(١) ، ولو كان من حجر لكان
صلداً! مثل مالك فلتبك البواكى! فهل موجود كمالك؟! فوالله ما زال متلهفاً عليه ومتأسفاً
حتى رأينا أنه المصاب دوننا وقالت سلمى أم الأسود بن الأسود النخعى ترثى مالكا:

نَبَا بِي مَضْجَعِي وَنَبَا بِي وَسَادِي	وَعَيْنِي مَا تَهَمُ إِلَى رُقَادِي
كَأَنَّ اللَّيْلَ أَوْثَقَ جَانِبَاهُ	وَأَوْسَطَهُ بِأَمْسِرَاسٍ شَدَادِ
أَبْعَدَ الْأَشْتَرِ النَّخْعَى نَرَجُو	مُكَائِرَةً وَنَقَطَعَ بَطْنَ وَادٍ ^(٢)
أَكْرَ إِذَا الْفَوَارِسُ مُحْجِمَاتُ	وَأَضْرَبُ حِينَ تَخْتَلِفُ الْهُوَادِي ^(٣)

فقال المثنى يرثيه:

أَلَا مَا لَضَوَى الصَّبْحِ أَسْوَدَ حَالِكُ	وَمَا لِلرَّوَاسِي زَعَزَعَتْهَا الدَّكَادِكُ ^(٤)
وَمَا لَهُمُومِ النَّفْسِ شَتَّى شُرُونُهَا	تَظَلَّ تُنَاجِيهَا النُّجُومُ الشَّوَابِكُ

(١) الفند: العظيم من الجبال.

(٢) كذا فى ص، ك. وجعله ر: ويقطع، ولا داعى لذلك.

(٣) هوادى الخيل. أعتاقها. وأراد باختلافها اختلاطها وهجومها بعضها على بعض فى الحرب واختلاف وجهة كل منها.

(٤) الرواسى: الجبال والدكدك: ما تكبس واستوى من الرمل ، أو ما التبذ منه بالأرض ، أو أرض فيها غلظ ، والجمع دكدك.

وملكا البيع في كل موضع وولو اساقفه عليها إلى
اليوم، واسقفنا باسكندريه كان ابروتاريوس قتلوه
اسكندرايون، فامر الملك بعسكر أتفذه إلى
الاسكندريه وامرهم ان يقتلوه بالسيف فقتلوا تلتين
ألف في ساعة واحدة. فلما سمع القاضي ذلك
دق يدا على يد وقال لمن كان حوله: ما اعظم هذا
الظلم فاجاب ابونا الروحاني قال للقاضي: هو ذا
لنا شهران ونحن في هذا الأمر، سلمنا الملك
لعيسى بن عامر كما علمت أيها القاضي الذي

على مالك فليبك ذو الليث معلولا
إذا ابتدر الخطي وانتدب الملا
إذا ابتدرت يوما قبائل مذحج
فلهفي عليه حين تختلف القنا
ولهفي عليه يوم دب له الردى
فلو بارزوه يوم ييغفون هلكه
ولو مارسوه مارسوا ليث غابة
فقل لابن هند: لو منيت بمالك
لألفيت هندا تشتكي علن الردى
إذا ذكرت في الفيلقنين الممارك
وكان غياث القوم نصر مواشك^(١)
ونودي بها أين المظفر مالك؟
ويوعش للموت الرجال الصعالك
وذيف له سم من الموت خالك^(٢)
لكانوا بإذن الله مسيت وهالك
له كالتى لا ترقد الليل، فاتك
وفي كفه ماضى الضريبة باتك^(٣)
تروح وتحبوها النساء العواتك^(٤)

واستخلف الأشتر على مصر حمام بن عامر اللخمى أبا الأكدر ابن حمام، وكان الأكدر
وأبوه من شيعة على، وحضرا الدار^(٥) جميعا.

- (١) ابتدر الخطي: أسرع إليه. والخطي: الرماح المنسوبة إلى ميناء الخط بالبحرين. وانتدب الملا: برزوا للقتال.
والمواشك: السريع.
(٢) ذيف: خلط. وحانك: أسود.
(٣) ماضى الضريبة: سيف حاد قاطع. وباتك: قاطع.
(٤) العواتك: الشريقات، أو الخمرات من الطيب، أو الناشزات على أزواجهن.
(٥) الدار: المراد بها دار عثمان، أى يوم مقتله.

يحبه الله من أجل أحكامه بالحق، وقد كتبنا كتباً
ودفعناها لعيسى ولم يفصل امرنا، وهو يطلب منا
ما لا نعرفه. فامر بإحضار كتب اليعاقبة والملكين
فقرأها وفهم مضمونها واستعظم ما كان بينهما
وأخذها ودخل بها إلى الملك، فقرأها وتعجب أيضاً
وامر بنفاذ الحكم، وامضاه فخرج القاضي وقال
لقسما: أنت رجل ليس لك دين ولا إله وهو ذا
كتبك تشهد عليك أن البيعة لآلنا خايل، وقد
عرفنا ما كتبتم فامضوا واكتبوا غير هذه الكتب

٦. محمد بن أبي بكر الصديق(*)

عبد الله^(١) بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد

ابن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب

ثم وليها محمد بن أبي بكر الصديق، ومن قبل أمير المؤمنين علي، وجمع له صلاتها وخراجها.
فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين. فجعل على شرطته عبد الله بن أبي
حرملة البلوي.

فذكر بعض أشياخ مصر: أن قيساً لقي محمد بن أبي بكر فقال له: إنه لا يمنعني نصحي
لك ولأمير المؤمنين عزله إياي، ولقد عزلني من غير وهن ولا عجز، فاحفظ عني ما أوصيك
به، يدم صلاح حالك: دع معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وبسر بن أبي أرطاة ومن
ضوى^(٢) إليهم على ما هم إليه، تكفهم^(٣) عن رأيهم، فإن أتوك ولم يفعلوا، فاقبلهم، وإن
تخلفوا عليك^(٤) فلا تطلبهم، وانظر هذا الحى من مضر، فإن أولى بهم مني: فالن لهم

(*) الخطط (١: ٣٠٠)، والنجوم (١: ١٠٦)، وحسن المحاضرة (٢: ٥).

(١) الأصل: ابن عبد الله. وهو خطأ لأن عبد الله اسم أبي بكر نفسه. وانظر (١: ١٠٦).

(٢) ضوى إليهم: انضم.

(٣) خد: لا تكفهم. وفي الأصل: تكشفهم.

(٤) كذا خد. وفي ر: تخلفوا. وفي الأصل: ك: يخلفوا عليك.

وايتونى بها. فخرجنا من عنده. فعلموا الخلق دونيون
انهم مغلوبون فقررو بينهم كلاما بمكر وانفذو إلينا
وفدا وكان معهم قسطنطين اسقف مصر، فقال
لانا خايل: أبوتك تعلم ما جرى علينا باسكندريه
بسبب الأمانه، ونحن نريد ان يكون بيتنا وبينك
اتفاق فى البيعه ونعاهدك ونصير جميعا قطيعا
واحدا، وارسل إلى الأب بذلك. فقال الطوباني انا
خايل للأساقفه: ماذا تقولون فى ذلك ننفذ رسولا
إليه ليسمع منطقه. فقالو: هو يفعل هذا بمكر

جناحك، وقرب عليهم مكانك، وارفع عنهم حجابك، وانظر هذا الحى من مدلج فدعهم وما
غلبوا عليه، يكفوا عنك شأنهم، وأنزل الناس من بعد على قدر منازلهم، وإن استطعت أن تعود
المرضى وتشهد الجنائز، فافعل، فإن هذا لا ينقصك، ولن تفعل، إنك والله ما علمت لتظهر
الخيلاء، وتحب الرياسة، وتسارع إلى ما هو ساقط عنك، والله موفقك.

فعمل محمد بخلاف ما أوصاه قيس. فكتب إلى ابن حديج والخارجة معه يدعوهم إلى
بيعتهم، فلم يجيبوه. فبعث بأبى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى دور الخارجة، فهدمها،
ونهب أموالهم، وسجن ذراريهم. فبلغهم ذلك فنصبوا له الحرب، وهموا بالنهوض إليه. فلما
علم أنه لا قوة له بهم، أمسك عنهم.

حدثنا الحسن بن محمد المدينى (١) قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، عن الليث.
عن عبد الكريم بن الحارث قال: «فصالحهم محمد على أن يسيرهم إلى معاوية، وأن
ينصب لهم جسراً بنقيوس» (٢): يجوزون عليه ولا يدخلون الفسطاط. ففعلوا، ولحقوا بمعاوية.

(١) ك: المدينى.

(٢) تختلف صور اسمها بين نقيوس، ونقو، وانطقيوس، ونيقوس، ونيكوس، وانكوس، ونيسيو، وذهب
جغرافيو الغرب إلى أنها البلدة التى تعرف اليوم باسم ابشادى، إحدى قرى مركز تلا بمحافظة الغربية،
وكانت قبلاً تابعة للمنوفية، وذهب السيد محمد رمزى (مادة نقيوس) إلى أنها قد زالت ومحلها اليوم
الكوم الأثرى الكائن بالجهة البحرية من سكن زاوية رزين بمركز منوف، المعروف عند الأهالى باسم كوم
مانوس أو دقيانوس الخرفين عن نقيوس.

وخديعه. فقال لهم انبا مويسيس: يا أبهاتي في قلوبكم سبعة افكار كما هو مكتوب، افكرو في أمور لم تستطيعوا اقامتها لكن نجربهم. فتقدم إلى قس كان كاتبه [اسمه مينا] وإلى انا الباس واضع هذه السيرة(*) وانفدنا إليه لنسمع كلامه فلما وصلنا إليهم خرجوا للقاءنا بفرح، فلما جلسنا وخاطبه القس مينا من كلام الكتب، لئه [لانه] كان عالماً فسمع منه كلام البطرك، وبدى بطرك الملكيه يتلو بأمانة ابائنا التلتماية والتثمانيه عشر

(*) واضع هذه السيرة هو أبا جرجه كما جاء في مقدمتها.

وحدثني محمد بن موسى الخضرى قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن عميرة قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنا عبد الله بن لهيعة.

عن يزيد بن أبى حبيب قال: «فبعث إلى ابن حديج حجر بن عدى الكندى بأمانه، وبعث محمد بن أبى بكر قيس بن سلامة التجيبى من بنى فهم بن أبذى^(١) فصنع لهم جسراً بنقيوس. فجاز منه ابن حديج وأصحابه، فلحقوا بمعاوية».

وحدثنا حسن المدينى^(٢) قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثني الليث.

عن عبد الكريم بن الحارث قال: «ولما أجمع على ومعاوية على الحكمين أغفل على أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر. فلما انصرف على إلى العراق، بعث معاوية عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام إلى مصر^(٣). فاقتلوا قتلاً شديداً. فقال عمرو: وشهدت ثمانية عشر زحفاً براكاء^(٤)، فلم أريوماً مثل المسناة. ثم انهزم أهل مصر. فدخل عمرو بأهل الشام الفسطاط. وتغيب محمد بن أبى بكر في غافق، فاواه رجل منهم. فأقبل معاوية بن

(١) ر. أذاء. وقال: غير واضح الكتابة في هذا الموضع، أثبتناه على ما وجدناه متكرراً فيما يأتى، ولعل أذاء هذا أبو البطن المسمى ببنى أنبا بن عدى بن تجيب، ذكر مرتين في هذا الكتاب والصحيح ما أثبتته.

(٢) ك: المدنى.

(٣) كذا في خ. وفي الأصل: في جيوش إلى أهل الشام وإلى مصر.

(٤) القتال البراكاء: الذى يجثرون فيه للركب ويقتلون.

واتناسيوس وكيرلس وقرر الحال بإيمان عظيمه
 مخوفه معه ومع قسطنطين اسقف مصر الملكي
 واعترفوا، وقال قسطنطين اسقف مصر الملكي: هذه
 امانتى قبل اليوم وأومن بها إلى النفس الأخير اتحاد
 واحد، الاله واحد، رب واحد، طبيعه واحد، وهو
 السيد يسوع المسيح ومن لا يؤمن هكذا فهو
 يهودى، ومن يقول طبيعتين(*) للواحد المسيح من
 بعد الاتحاد فهو غريب من الأب الابن والروح

(*) حول هذه الخلافات انظر الجزء
 الأول من ص ١٩٩ إلى ص
 ٤٣٤.

حديج، فى رهط من يعينه على من كان مشى فى عثمان، فطلب ابن أبى بكر. فوجدت
 أخت الرجل الغافقى الذى كان آواه، كانت ضعيفة العقل. فقالت: أى تلتمسون؟ ابن أبى
 بكر؟ أدلكم عليه ولا تقتلون أخى؟ فدلتهم عليه، فقال: احفظونى فى أبى بكر. فقال معاوية
 بن حديج: قتلت من قومى ثمانين رجلاً فى عثمان وأتركك، وأنت صاحبه؟ فقتله ثم جعله
 فى جيفة حمار ميت، فأحرقه بالنار.

حدثنى محمد بن موسى الحضرمى قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن عميرة قال: حدثنا عبد
 الله بن يوسف، عن ابن لهيعة.

عن يزيد بن أبى حبيب قال: «بعث معاوية عمرو بن العاص، فى سنة ثمان وثلاثين، إلى
 مصر ومعه أهل دمشق، عليهم يزيد بن أسد البجلي، وعلى أهل فلسطين رجل من خثعم،
 ومعاوية بن حديج على الخارجة، وأبو الأعور السلمى على أهل الأردن. فساروا حتى قدموا أهل
 مصر. فاقتتلوا بالمسناة، وعلى أهل مصر محمد بن أبى بكر. فهزم أهل مصر، بعد قتل شديد
 فى الفريقين جميعاً. قال عمرو: وشهدت أربعة وعشرين زحفاً، فلم أرى يوماً كيوم المسناة، ولم أر
 الأبطال إلا يومئذ. فلما هزم أهل مصر، تغيب محمد بن أبى بكر. فأخبر معاوية بن حديج
 بمكانه، فمشى إليه فقتله، وقال: يقتل كنانة بن بشر، ويترك محمد بن أبى بكر؟ وإنما أمرهما

القدس، ويكون نصيبه مع يودس الدافع، فهذه
امانتى. فلما سمع انسطاسيوس ذلك غضب ولم
يقدر ان يتكلم، وكان منتظرا لما يجرى بعد هذا.
فمضينا إلى الأبا قلنا لهم كلما جرى، فعادونا
إليهم وقالوا لنا: قولوا لهم هذا الذى قلموه تكتبونه
فى كتاب بخطوطكم. فلما عدنا إليهم لم يكتبوا
وقال قسما بطركهم: عندى كلمة أخرى أريد أن
أذكرها لكم. فقال له القس: لا تخف عنا شيا من

واحد. ثم أمر به معاوية بن حديج فجُرَّ فمر به على دار عمرو بن العاص، لما يعلم من كراهيته
لقتله، ثم أمر به بجادا^(١) التجيبى فأحرقه فى جيفة حمار.

وحدثنا ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه قال: «كان صاحب أمر الناس يوم المسناة قيس بن عدى بن خيمة اللخمي، من
راشدة. فلما انهزم أهل مصر، عاذوا بالحصن، فدخلوا فيه، وجعلوا أمرهم إلى قيس، وأغلقوا
الحصن. فقليل لعمر^(٢)، إن هؤلاء قد استقتلوا، ولن تصل إليهم حتى ينكروا من معك.
فأعطاهم عمرو ما أحبوا، فخرجوا على صلح».

حدثني أبو سلمة أسامة التجيبى قال: حدثني زيد بن أبي زيد، عن أحمد بن يحيى بن
وزير، من إسحاق بن الفرات، عن يحيى بن أيوب.

عن يزيد بن أبي حبيب قال: «بعث معاوية بن حديج بسليم مولاة إلى المدينة، بشيرا بقتل
محمد بن أبي بكر، ومعه قميص ابن أبي بكر. فدخل به دار عثمان، واجتمع آل عثمان من
رجال ونساء وأظهروا السرور بقتله. وأمرت أم حبيبة ابنة أبي سفيان بكبش فشوى، وبعثت به
إلى عائشة فقالت: هكذا شوى أخوك. قال: فلم تأكل عائشة شواء حتى لحقت بالله».

(١) كذا فى ر. وفى ك: محاد. والكلمة فى الأصل غير منقوطة.

(٢) فى الأصل: قليل لهم، وسياق العبارة يدل على أن القول موجه لعمر.

افكارك لان الله ينظر إلى القلب ليس إلى الوجه.
فقال : إذا استقر الاتحاد أى شى تفعلونه معى ؟ فقال
له القس مينا : عرفنا ما تريد . [قال] انا أريد إذا
استقر الاتحاد ان يكون بيعتى ويعتكم واحده
باسكندريه ، وإذا حضر ابوكم البطرك فى ايام
القداسات كنت معه ، فإذا اكمل الصلاة خرج كل
منا إلى موضعه ولا يمنعنى احد ان احضر كل
البيع كذلك هو هكذا . فقال له القس : هذا كلام

حدثنى موسى بن حسن بن موسى قال : حدثنا هارون بن أبى بردة قال : حدثنى نصر بن
مزاحم ، عن أبى مخنف قال :

حدثنى عبد الملك بن نوفل ، عن أبيه قال : « ما أكلت عائشة شواء بعد محمد حتى لحقت
بالله » .

حدثنى موسى بن حسن قال : حدثنا حرملة بن يحيى قال : حدثنى أبى ، عن رشدين
قال : حدثنى سعيد بن يزيد القتباني .

عن الحارث بن يزيد الحضرمي قال : حدثنى أمى هند بنت شمس الحضرمية : « أنها رأت
نائلة امرأة عثمان تقبل رجل معاوية بن حديج وتقول : بك أدركت ثارى من ابن الخثعمية . لعنى
محمد بن أبى بكر » .

حدثنا على بن سعيد قال : حدثنا إبراهيم بن عبد الله الهروى قال : حدثنا هشيم ، عن عبد
الرحمن بن يحيى .

عن سعيد بن عبد الرحمن : « أن أسماء ابنة عميس لما جاءها خبر محمد ابن أبى بكر أنه
قتل وأحرق بالنار فى جيفة حمار ، قامت إلى مسجدتها فجلست فيه ، وكظمت الغيظ حتى
نشحت لديها دماء » .

وكانت وقعة المسناة فى صفر سنة ثمان وثلاثين . فكانت ولاية محمد بن أبى بكر عليها
خمسة أشهر . وكان مقتله بها لأربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين .

فيه خديعه. فقال له قسما: ما تظن انت؟ فقال:
امضى إلى أبى وأعود لك بالجواب. فلما سمعو
الأساقفه ذلك صرخ ابا مويسيس وقال: سيدنا
المسيح يوصينا ان لا نسمى لنا ابا فى الأرض والان
ان كان [ما] قالوه ما يرضيكم فأنا أقول. فقال له
البطرك: قل. فقال: ان كان يرضى ان نجعله اسقفا
على كورة مصر كلها ويصير لنا أخا وليس ابا فإن
المسيح يحفظ لنا أبوتك لتحفظ بيعته المقدسه

٢. عمرو بن العاص (*)

الثانية (١)

ثم وليها عمرو بن العاص ولايته الثانية عليها، من قبل معاوية، استقبل بولايته شهر ربيع
الأول سنة ثمان وثلاثين، وجعل إليه الصلاة والخراج جميعاً وكانت مصر جعلت له طعمة بعد
عطاء جندهما، والنفقة على (٢) مصلحتها فجعل عمرو على شرطته خارجة بن حذافة بن غانم
العدوى. ثم خرج عمرو للحكومة، واستخلف على مصر ابنه عبد الله بن عمرو. ويقال:
استخلف خارجة بن حذافة. ورجع عمرو إلى مصر، فأقام بها.

وتعاقد بنو ملجم: عبد الرحمن، وقيس، ويزيد، على قتل على ومعاوية وعمرو، وتواعدوا
لليلة (٣) من شهر رمضان سنة أربعين. فمضى كل واحد منهم إلى صاحبه. وكان يزيد هو
صاحب عمرو. وعرضت لعمرو تلك الليلة علة منعت من حضور المسجد، فصلى خارجة
بالناس. فشد عليه يزيد فضربه حتى قتله. فدخل به على عمرو، فقال له: أنا والله (٤) ما

(*) الخطط (١: ٣٠٠)، والنحوم (١: ١١٣)، وحسن المحاضرة (٢: ٦).

(١) أى ولايته الثانية، وهذه عادة المؤلف فى التعبير عن تكرار الولاية.

(٢) خ (١: ٣٠٠): فى.

(٣) خ (١: ٣٠٠): ليلة، و (٢: ٣٣٧): على ليلة.

(٤) خ (١: ٣٠٠): أما والله.

فعلنا. فمضوا إلى قسما واعلموه بهذا ففرح
وطابت نفسه، فقال انسطاسيوس: ان تجعلوني انا
أيضا اسقفا على كرسى ما. فقال له القس مينا:
اليس تعلم ان كل انسان يطلب درجة ثانية لا
يصلح ان يكون اسقفا، وأهل مصر ما يساعدونك
على هذا الكلام. فقال له انسطاسيوس: أن كان ما
لا تفعلون فلا تعبوا ولا تتكلموا شيئا من هذا.
فخرجنا من عندهم.

أردت غيرك يا عمرو . قال عمرو: ولكن الله أراد خارجة . فجعل عمرو على شرطته بعد مقتل
خارجة زكريا بن جهم بن قيس العبدري.

وعقد عمرو بن العاص لشريك بن سمي الغطيفي على غزو لواتة من البربر. فغزاهم
شريك في سنة أربعين، فصالحهم. ثم انتقضوا بعد ذلك على عمرو بن العاص، فبعث إليهم
عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري في سنة إحدى وأربعين، فغزاهم.

فحدثني علي بن قديد، عن عبيد الله بن سعيد بن عفير، عن أبيه ، عن ابن لهيعة.
عن هيرة قال : « كانت لواتة قد صولخوا ، فكانوا على صلحهم حتى نقضوا زمن معاوية .
فغزاهم عقبة بن نافع . فتتحوا ناحية أطرابلس ، فقاتلهم عقبة حتى هزمهم . فسألوه أن
يصالحهم ويعاهدهم . فأبى عليهم وقال : إنه ليس لمشرك عهد عندنا ، إن الله ، عز وجل ، يقول
في كتابه : « كيف يكون للمشركين عهد » ولكن أبايعكم على أنكم تولفوني ذامتي^(١) ، إن شئنا
أقررناكم ، وإن شئنا بعناكم » .

وعقد عمرو لعقبة بن نافع على غزو هواة، ولشريك بن سمي على غزو لبدة^(٢) ،
فغزواهما^(٣) في سنة ثلاث وأربعين . فقفلا وعمرو شديد الدنف في مرض موته .

(١) ذامتي : كلمتي . وفي ر: ذابتي ، ولا معنى لها .

(٢) لبدة : بلدة بين برقة وافرقيّة (تونس) ، أو طرابلس وجبل نفوسة .

(٣) كذا في ر عن خ (١: ٣٠١) . وفي ص: فغزياها .

ثم حضرنا جميعا بعد هذا إلى «عبد الملك»
وكان قد كتب ذلك اليوم كتابا إلى مصر وأعمالها
يأمر أن يجمع إليه الكتاب والاراخته من كل بلد
واحضرهم، وكان القصر مشحونا بالناس حفلا
حتى لم يكن أحد يسمع شيئا من كثرة الأصوات،
فدخلنا نحن أيضا وحولنا خلق كثير. فلما جلسنا
أنفرد قسطنطين الأسقف عنهم وجلس مع اساقفتنا
وسألهم أن يقبلوه ويشركوه معهم ويعطوه كرسيًا.

حدثنا حسن المديني قال: حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثني ابن لهيعة.
عن يزيد بن أبي حبيب: أن عبد الرحمن بن شماسه حدثه: «أنه لما حضرت عمرو بن
العاص الوفاة بكى. فقال له ابنه عبد الله بن عمرو: لم تبكى؟ أجزعا عن الموت؟ قال: لا
والله ولكن مما بعده. فقال له: قد كنت على خير فجعل يذكره صحبة رسول الله، صلى الله
عليه وسلم، وفتوحه بالشام. فقال عمرو: تركت أفضل من ذلك كله: شهادة أن لا إله إلا
الله».

حدثنا علي بن قديد قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم قال: حدثنا أبو زرعة
وهب الله بن راشد قال: أخبرنا يونس عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن.
عن عبد الله بن عمرو: «أن عمرو بن العاص قال حين حضرته الوفاة: أي بني، إذا مت
فكفني في ثلاثة أثواب أزرنى في أحدها، ثم شقوا لي الأرض شقًا، ومنوا^(١) على التراب سنًا،
فإني مخاصم. قال: اللهم إنك أمرت بأمور ونهيت عن أمور، فتركنا كثيرًا مما أمرت به، ووقعنا
في كثير مما نهيت عنه، اللهم لا إله إلا أنت. فلم يزل يرددتها حتى قضى».

حدثنا علي بن سعيد قال: حدثني قعنب بن اخضر قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا
الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل.

(١) سنه: صبه تفريق.

وكانت الجموع وأهل البلاد حولنا متطلعيني لمعرفة
 ما يستقر وينظرون أساقفه الارتدكسيين
 والخلقدونيه، فوثبوا قوم من الصعيديين على
 قسطنطين لما علموا أنه خلقدونى ليطردوه، [فانشق
 ثوبه على تلتته قطع وكل الحاضرين يشاهدوه]
 حتى رمو الأساقفه الارتدكسيون شيا من لباسهم
 [عليه] واخلطوه معهم وألا كادوا الصعيديون
 يقتلونه، [وفيما هم كذلك وإذا واحد خلقدونى

عن أبى عقرب قال: «لما جد^(١) بعمر بن العاص وضع يده موضع الأغلال من رقبتة
 وقال: اللهم امرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك. فكانت تلك هجيرا حتى
 مات».

حدثنا أحمد بن الحارص بن مسكين قال: حدثنا ابن سعيد الهمداني قال: حدثنا ابن وهب
 قال: أخبرني حرملة بن عمران:

أن أبا فراس حدثه: «أن عمرو بن العاص توفى ليلة الفطر، فغسله عبد الله بن عمرو. ثم
 أخرجه حين صلى الصبح فوضعه بالمصلى. ثم جلس حتى إذا رأى الناس قد انقطعوا من
 الطرق: الرجال والنساء، قام فصلى عليه، ولم يبق أحد شهد العيد إلا صلى عليه، ثم صلى
 العيد بالناس، وكان أبوه استخلفه».

حدثنا ابن قديد قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح قال: حدثني نعيم بن حماد، عن
 ابن المبارك، عن حرملة بن عمران.

عن أبى فراس قال: «مات عمرو بن العاص ولم يترك إلا سبعة دنائير.. وكانت وفاة عمرو
 ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين، واستخلف ابنه عبد الله على صلاتها وخراجها».

(١) جد به: نزل به الموت.

تكلم كلمة تجديف] ثم صرخو الصعيدون قائلين:
أبعدو الدياب من وسط الخراف، أهربو من السباع
الضارية المفترسة للنفوس، اطرذو التعالب الذين
يهلكون كرم رب صباووت، أبعدو يودس من وسط
التلاميذ تلاميذ المسيح، لا تجعلو ثيابكم تخطط
بهولا الأنجاس يا عبيد المسيح.

فعند ذلك اختفى «قسما» إلى أن زال غضبهم
ثم بعد سؤال عظيم من أبائنا أقبلو هادين قليلا،

٨. عتبة بن أبي سفيان (*)

ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي

ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب

ثم وليها عتبة بن أبي سفيان، من قبل أخيه معاوية، على صلاحها. فقدمها في ذي القعدة
سنة ثلاث وأربعين. وجعل على شرطته زكريا بن جهم. وأقام بها شهرا ثم وفد على أخيه بوفاة
من أشرف أهل مصر. واستخلف على مصر عبد الله بن قيس بن الحارث بن عياش بن ضبيع
التجيبى، أحد بنى زميلة، وكانت أمه أخت أبي الأعور السلمى. وكانت فيه شدة على بعض
أهل مصر. فكرهوا ولايته عليهم، وامتنعوا منها. فبلغ ذلك عتبة، فرجع إلى مصر.

فحدثنا يموت بن المزرع قال: حدثنا أبو حاتم مهمل بن محمد قال:

أخبرنا العتبى، عن أبيه قال: «استخلف عتبة بن أبي سفيان ابن أخت لأبي الأعور السلمى
على أهل مصر. وكانت له شدة على بعض أهل مصر، فامتنعوا عليه. فكتب إلى عتبة. فقدمها
فدخل المسجد، ورقى على المنبر. فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «يا أهل مصر! قد كنتم
تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم. وقد وليكم من إن قال فعل، فإن أبيتم

(*) الخطط (١ ك ٣٠١)، والنجوم (١: ١٢٢)، وحسن المحاضرة (٢: ٧)، وغيرها من كتب الصحابة.

فلما عرفوهم أنه سأل ان يجعلوه تاودسيوسيا
فرحو وصرخو فى وسط القصر: أن قسطنطين
اعترف بالامانة المستقيمه أمانة أبائنا الارتدكسيين.
ثم حضر للوقت الأرخن متولى اسكندريه وإبراهيم
الماحكى لأنه كان جالسا فى ناحيه من القصر
ومعه جماعه من الهراطقه والشماس سرجيوس
ولد البطرك، ومعه اثنان من معلمى الهراطقه،
فجرو وارادو الهرب. وأن رجلا من أهل دمياط

دراكم^(١) بيده، فإن أيتيم دراكم بسيفه. ثم جاء فى الآخر ما أدرك فى الأول : إن البيعة شائعة
لنا، عليكم السمع، ولكم علينا العدل، وأينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه فناداه المصريون من
جنبات المسجد: سمعا، سمعا^(٢). فناداهم: عدلا، عدلا. ثم نزل^(٣).

حدثنى عمى الحسين بن يعقوب التجيبى قال: حدثنى أحمد بن يحيى بن وزير قال: حدثنى
عبد العزيز بن أبى ميسرة الحضرمى.

عن أبيه قال: لما وفد عتبة على معاوية فى وجوه الجند، استخلف عبد الله ابن قيس
التجيبى من بنى زميلة على الجند. وقدم عتبة على معاوية. فسأل عنه الوفد فقال: ما تقولون فى
أميركم؟ فقال أبو عبادة صل بن عوف المعافرى^(٣)، أحد بنى خليف: يا أمير المؤمنين، حوت
بحر، ووعل بر، فقال معاوية لعتبة: اسمع ما تقول فيك رعيتك! فقال: صدقوا يا أمير
المؤمنين^(٤)، وليتنى الصلاة، وزويت عنى الخراج، فأكره أن أظهر لهم فيسألونى عليها.

وعقد عتبة لعلقمة بن يزيد الغطيفى على الإسكندرية، فى اثنى عشر ألفاً من أهل الديوان،
يكونون بها رابطة. فكتب علقمة يشكى قلة من معه من الجند، وأنه يتخوف على نفسه

(١) درأ: دفع.

(٢) كذا خ (١: ٣٠)، ن (١: ١٢٤)، ر. وفى الأصل، ك: سمعنا سمعنا. وانظر العقد الفريد (٢: ٢١٩٤).

(٣) ف (٨٦): عبادة بن صل المعافرى.

(٤) ما بين القوسين عن ف، وهو ساقط من الأصل. وفى ر، ك: ووعل بر.

كان شريرا جدا فخاطبته أنا الخاطي بكلمه سمعتها
فوثب في وسط الجماعه ووقف وشتمنى وجدف
على التالوت المقدس، فحينذ شاهدته وكل
الحاضرين قد انشق التوب الذى عليه من فوق إلى
أسفل على تلت قطع، فصرخ كلمن فى القصر
المسلمون والنصارى: لا أمانه إلا أمانة الأب انبا
خايل. وكان صراخ عظيم فى القصر، وسعر الناس
لينظرو ما قد كان حتى أن الناس والعسكريه من

وعليهم. فخرج عتبة إلى الإسكندرية مرابطا، فى ذى الحجة سنة أربع وأربعين. فابتنى دار
الإمارة التى فى الحصن القديم. وتوفى بها، ودفن بمنية الزجاج^(١). واستخلف على مصر
عقبة بن عامر الجهنى. فكانت ولايته عليها سنة وشهرا.

٩. عقبة بن عامر(*)

ابن عباس بن عمرو^(٢) بن عدى بن عمرو بن رفاعه بن مودوعة

ابن عدى بن غنم بن الريعة بن رشدان بن قيس

ابن جهينة، يكنى أبا عباس وأبا حماد^(٣)

ثم وليها عقبة بن عامر، من قبل معاوية، وجمع له صلاتها وخراجها فجعل على

(١) منية الزجاج: كانت من ضواحي الإسكندرية، على ترعة المحمودية، فى المنطقة الواقعة بين فم ترعة
الفرخة وشارع الرصافة بقسم محرم بك، اشتهرت بدير الزجاج للآباء المصريين.

(*) المخطط (٣٠١: ١)، والنجوم (١٢٦: ١)، وحسن المحاضرة (٧: ٢)، وغيرها من كتب الصحابة.

(٢) الأصل: غنم. وما أثبتناه هو الموجود فى الإصاية (٢٥٠: ٤) والتجريد الذهبى (٤١٥) وتهذيب الأسماء
للنووى (٤٢٦) وأسد الغابة (٤١٧: ٣) وتهذيب التهذيب لابن حجر (٢٤٢: ٧).

(٣) يكنى أبا حماد، وقيل أبو ليث، وأبو عمرو، وأبو عباس، وأبو أسيد، وأبو أسد، وأبو سعاد، وأبو عامر، وأبو
الأسود، وأبو معاذ، وأبو عمار. وفى الأصل: أبا حفاف، ولم يذكرها أحد، ولعلها محرفة عما أثبتناه

كثرة زحامهم نالهم جراح وقتال، فأمر عبد الملك
بإخراج كل من فى القصر.

وبالغداة أمر القاضى أن يفصل النوبة وقال أنجز
حالهم ودعهم أن يمضوا، فجلس القاضى
وأصحاب الدواوين الكتاب ووجوه المملكة، فلما
جلسوا قال القاضى للبترك انبا خايل: تحلف أن
هذه البيعة لك ولا بايك ملك. فقال له البترك:
شرعى يأمرنى أن لا أحلف صادقا ولا كاذبا لكنى

شرطته.....^(١) وكان عقبة قارئاً، فقيهاً، مفرضاً^(٢)، شاعراً، له الهجرة والصحة
والسابقة.

حدثنا سعيد بن هاشم بن مرثد قال: حدثنا دحيم قال: أخبرنا الوليد بن مسلم قال: أخبرنا
هشام بن الغاز، عن يزيد بن يزيد جابر، عن القاسم بن عبد الرحمن.

عن عقبة بن عامر، وكان صاحب بغلة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الشهباء التى
يقودها فى الأسفار، وقال: «قدت برسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو على راحلته،
رسوة^(٣) من الليل، وإن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: أنخ. فأنخت، فنزل عن
راحلته ثم قال: اركب يا عقبة. فقلت: سبحان الله! أعلى مركبك يا رسول الله وعلى
راحلتك؟ فأمرنى فقال: اركب. فقلت أيضاً مثل ذلك، ورددت ذلك مراراً حتى خفت أن
أعصى رسول الله، صلى الله عليه وسلم فركبت راحلته ورحله. ثم زجر الناقة فقامت، ثم
قادنى رسول الله، صلى الله عليه وسلم».

ثم وفد مسلمة بن مخلد الأنصارى على معاوية، فولاه مصر، وأمره أن يكتم ذلك على
عقبة.

(٢) مفرضاً: عالماً بالفرائض. انظر ن ١٠٧: ١٢٧.

(١) ساقط من الأصل.

(٣) الرتوة: السويعة من الزمان.

أكتب مسطوراً وأزهر [أظهر] الحق لك فيه. فقال
القاضي للهراطقي قسماً: تحلف أنت أن هذه البيعة
لك واسلمها إليك. فقال: نعم أنا احلف. فحرك
القاضي رأسه كالمستهزئ به وقال له: أين لك
شاهد بها بانها لك إذا حلفت؟ ثم قال لأينا أنا
خايل: ألك شاهد بان هذه البيعة لآبائك: فقال:
نعم لي من يشهد لي بذلك من يوم عُمِرت إلى
الآن. فقال له: كم لها يوماً منذ بنيت؟ فقال:

فحدثني علي بن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه قال: حدثني رشدين، عن
الحجاج بن شداد، عن أبي صالح الغفاري: « أن معاوية بن أبي سفيان أمر مسلمة بن مخلد
على مصر، ونزع عقبة بن عامر، وقال لمسلمة: لا تعلم بهذا أحداً. وأرسل إلى عقبة فجعله
على البحر وأمره أن يسير إلى رودس. فقدم مسلمة، ولم يعلم بإمرته، وخرج معه إلى
الإسكندرية. فلما توجه سائراً، استوى مسلمة على سرير إمرته، فبلغ ذلك عقبة فقال:
أخلعانا^(١) وغربة».

وكان صرف عقبة عنها لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين. فكانت ولايته
عليها سنتين وثلاثة أشهر.

١٠. مسلمة بن مخلد (*)

ابن صامت بن نيار بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن

الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة

ثم وليها مسلمة بن مخلد الأنصاري، من قبل معاوية، وجمع له الصلاة والخراج والمغرب.

(١) كذا في الأصل، ر، وليست في معاجم اللغة. وفي ك، خـ (١: ٣٠١): أخلعنا.

(*) الخطط (١: ٣٠١)، والنجوم (١٣٢)، وحسن المحاضرة (٢: ٧)، وغيرها من كتب الصحابة.

تلتمايه وخمسون سنة. فقال له القاضي: والشهود يعيشون إلى اليوم من ذلك الزمان وأنت تخاطبني بامثال، عرَفني الحق. فأجاب وقال: أن أبي «تاوفيلس» و«طيماتاوس» الذي بعده الذين بنوها وهم الذين يشهدون لي أن تاوفيلس الذي أسسها ورتب أعمدتها وهذا اسمه مكتوبا عليها، وتنج وطيماتاوس اكملها واسمه مكتوب عليها هولا شهودي إلى اليوم. فأرسل القاضي ثقاته ومعهم الكتاب والتراجمه وقررو المكتوب عليها فوجدوه

فجعل على شرطته السائب بن هشام بن كنانة^(١) العامري، وإلى سنة تسع وأربعين. ثم صرفه وجعل مكانه عابس بن سعيد المرادي ثم الغطيفي. وانتظمت ولاؤه^(٢) وغزواته في البر والبحر. وفي امرته نزلت الروم البرلس، في سنة ثلاث وخمسين. واستشهد يومئذ وردان مولى عمرو بن العاص، وعائذ بن ثعلبة البلوي، وأبو رقية عمرو بن قيس اللخمي، في جمع من الناس كثير.

وأمر مسلمة بالزيادة في المسجد الجامع، فهدم ما كان عمرو بناه في سنة ثلاث وخمسين. وفيها أمر مسلمة بابتناء منار المساجد كلها، ودفع ذلك عن خولان وتجب وأمر المؤذنين أن يكون أذانهم في الليل في وقت واحد. فكان مؤذنو المسجد الجامع يؤذنون للفجر، فإذا فرغوا من أذانهم، أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد. فكان الأمر على ذلك إلى دخول المسودة^(٣).

ثم صرف مسلمة عابس بن سعيد عن الشرط، وولاه البحر. فغزا اسطادنة^(٤). ورد السائب

(١) انظر ما سبق.

(٢) الأصل. وانتصبت ولاية. وفي ر: وانتصبت ولاؤه. وفي ك: وانتصبت ولاية مسلمة (زادت مسلمة عن الهامش) وفي خ: (٣٠٩: ١)، ن: (١٣٣: ١): انتظمت غزواته (يحذف ولاية). والولاء: التولي والولاية.

(٣) المسودة. العباسيون، وشعارهم اللون الأسود.

(٤) رجح رفن أن المراد القمطنطينية، التي وجهت غزوة إليها عام ٤٩ (ن: ١٣٤). والكلمة محرفة عن الآستانة.

على ما ذكر أبا خايل . واستقضى القاضي صحة
الخبر جيداً وكرر السؤال فيه فوجده صحيحاً . فلما
وقف على صحة قوله وتحقق ذلك سلم البيعة لنا
وأطلقونا مبجلين مكرمين فتسلمنا بيعتنا .

وكان أبونا يوحنا البطرك بانطاكية الذى كان
اسقفا بينه وبين اساقفته مشاجره عدة أيام ولم
يستطيع الصلح وكتب إلى الملك كتباً، وكتب
سنوديقاً [للاب خايل] ما وجد سبيلاً لإنفاذها

بن هشام على شرطه، فكان على الشرط إلى سنة سبع وخمسين . فعزل السائب ورد
عابساً . وخرج مسلمة إلى الإسكندرية سنة ستين، واستخلف عابس بن سعيد على
الفسطاط .

وتوفي معاوية فى رجب سنة ستين، واستخلف يزيد بن معاوية، فأقر مسلمة ابن مخلد على
مصر: صلاتها وخراجها، ومسلمة يومئذ بالإسكندرية . فكتب إلى عابس بأخذ البيعة ليزيد،
فبايعه الجند إلا عبد الله بن عمرو ابن العاص، فدعا عابس بالنار ليحرق عليه . فلما رأى ذلك
عبد الله بن عمرو بايع ليزيد .

وقدم مسلمة من الإسكندرية، فجمع لعابس مع الشرط القضاء . وذلك فى أول سنة إحدى
وستين .

حدثنا على بن سعيد قال : حدثنا ابن أبى عمر^(١) قال : أخبرنا سفيان بن عيينة، عن
ابراهيم بن ميسرة قال : سمعت مجاهداً يقول : «صليت خلف مسلمة بن مخلد، فقرأ بسورة
البقرة فما ترك ألفاً ولا وائاً» .

(١) ز: ابن أبى عمر . خطأ . وهو محمد بن يحيى بن أبى عمر العدلى أبو عبد الله الحافظ، نزيل مكة، كان
غفلة، مات سنة ٢٤٣ .

إلا في ذلك الوقت. فلما وصلوا وتسلم الأب أنبا
خايل من الرسل السنوديقا والكتب فقراها وحزن
جدا لأجل الخلف الذي بينه وبين اساقفته لأنهم
قالوا أنه اسقف وليس هو بطرك، وانهم لم يقدر
أن يخاطبوه في أيام هشام بالبطرك. ثم أن أنبا
خايل أحضر جميع اكابر اساقفته بكورة مصر
وقرى عليهم الكتب، فقالوا: نحن ما نكتب إلى
هناك كتابا ولا تنفذه لأن هذا أمر فيه صعوبة، أن
أرادوا أن يخرجوه قال لهم السلطان لا لأنه اسقف،

حدثني ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه قال: حدثني ابن لهيعة.
عن الحارث بن يزيد قال: «كان مسلمة بن مخلد يصلي بنا، فيقوم في الظهر فربما قرأ
الرجل البقرة».

وتوفي مسلمة بن مخلد وهو وال عليها^(١)، خمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين.
كانت ولايته عليها خمس عشرة سنة وأربعة أشهر. واستخلف عابس بن سعيد عليها.

١١. سعيد بن يزيد (*)

ابن علقمة بن يزيد بن عوف الأزدي

ثم الفهري من أهل فلسطين

ثم وليها سعيد بن يزيد الأزدي على صلاتها، فقدمها لمستهل شهر رمضان سنة اثنتين
وستين، فأقر عابسا على الشرط.

فحدثني ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد بن عفير، عن أبيه.

(١) في حاشية بالأصل: «قال ابن يونس في تاريخ مصر: توفي مسلمة بالإسكندرية سنة الثنتين وستين في ذي
القعدة»

(*) الخطط (١: ٣٠)، والنجوم (١: ١٦٢)، وحسن المحاضرة (١: ٨).

وأن كتبنا إليهم أن لا يخرجوه انقسمت الأساقفة
كما قد كتبوا، بل أجعل يا أبانا الأمل باقيا على ما
هو عليه، ففعل ذلك.

وأنا أريد الآن أن أذكر يسيرا من كثير مما فعله
الرب على يد الأسقف أنبا موسى وما أعطاه
الرب من النبوه والشفاء من الأمراض فأمنوا بقولي
بقلب طاهر. كنا نحن سايرين إلى اسكندريه ليقبل
الكرسى المرقسى الإنجيلي الأب أنبا خايل وينزل

عن الليث قال: «لما قدم سعيد بن يزيد والياً على جند مصر، تلقاه عمرو ابن قحزم»^(١)
الحولائي، فقال: يغفر الله لأمير المؤمنين، أما كان فينا منة شاب كلهم مثلك، يولى علينا
أحدهم؟».

ولم نزل أهل مصر على الشنآن له والإعراض عنه والتكبر عليه، حتى توفي يزيد بن معاوية
سنة أربع وستين، ودعا ابن الزبير إلى نفسه، فقامت الخوارج الذين بمصر في أمره وأظهروا
دعوته. وكانوا يحسبونه على مذهبهم. ووفدوا منهم وفداً إليه، وسألوه أن يبعث إليهم بأمير
يقومون معه ويؤازرونه. فكان كريب بن أبرهة بن الصباح وغيره من أشرف أهل مصر
يقولون: ماذا نرى من العجب، إن هذه طائفة مكتتمة تأمر فينا وتنهى، ونحن لا نستطيع أن
نرد أمرهم؟ ولحق بابن الزبير ناس من أهل مصر، ومنهم أبو عبيدة وعياض ابنا عقبة بن نافع
بن عبد قيس الفهري، وأبو بكر بن القاسم بن قيس العذري، وحيان بن الأعين الحضرمي،
وحجوة بن الأسود الصدفى.

وبعث ابن الزبير إليها بعبد الرحمن بن جحدم الفهري، فقدمها في طائفة من الخوارج.
فوثبوا على سعيد بن يزيد فاعتزلهم. فكانت ولاية سعيد عليها سنتين إلا شهراً.

(١) كذا في خ (١: ٣٠١)، ر. وفي الأصل، ك: ابن محرم.

الجمع المقدس . ولما مشينا فى مدينة وسيم الحبة
للمسيح كان فى البيعة إنسان مفلوج اليدين
والرجلين مولود كذلك . كان عمره خمس عشرة
سنة ، فظهر له الشهيد مارى جرجس وقال له : ما
يكون شفاك إلا على يد الأسقف أبنا مويسيس .
فمسك ثياب أبى وكان الجمع حوله يسبقونه
فصرخ وقال : صلب يا أبى القديس على أعضاى
المفلوج ، فصلب على يديه ورجليه وسرنا فلما
عدنا بمشية الله خرج فى لقانا يمشى ويقفز مع

١٢ . عبد الرحمن بن عتبة (*)

ابن إياس بن الحارث بن عبد أسد^(١) بن جحدم^(٢) بن عمرو

ابن عائش بن ضرب^(٣) بن الحارث بن فهر

ثم وليها عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم ، من قبل عبد الله بن الزبير ، دخلها فى شعبان
سنة أربع وستين . فأقر عابس بن سعيد على الشرط والقضاء وقدم ابن جحدم بجمع كثير من
الخوارج الذين كانوا مع ابن الزبير بمكة ، من أهل مصر وغيرهم ، فيهم حوشب بن يزيد ، وأبو
الورد حجر بن عمرو ، وغيرهم ، فأظهروا التحكيم ودعوا إليه . فاستعظم الجند ذلك . وبايعه
الناس على غل فى قلوب ناس من شيعة بنى أمية ، منهم كريب بن أبرهة الأصبحى ، ومقسم
بن بجرة التجيبى ، وزباد بن حناطة التجيبى ، وعابس بن سعيد ، وغيرهم .

ثم بويع مروان بن الحكم بالشام فى ذى القعدة سنة أربع وستين . وكانت شيعته من أهل

(*) كذا فى الأصل . وفى ن ، خ : عقبة . وانظر الخطط (١ : ٣٠١) ، والنجوم (١ : ١٦٥) ، وحسن المحاضرة
(٢ : ٨) .

(١) ن : عبد [بن] أسد .

(٢) فى حسن المحاضرة : قحزم .

(٣) كذا فى ر . وفى الأصل ، ك : طرب .

اهل المدينة ويحدث بما كان فيه ويمجد الله
ويشكر عبده الصالح الأسقف. ونقى البرص
وأخرج الشياطين وفعل أفعالا عظيمة مثل التلاميذ.

وكان في تلك الأيام قلق عظيم بالمشرق من
أجل الأساقفة وجاءت حشود كثير على مروان(*)
والتقو وسفكت دما كثير بينهم، ثم أن عبد الملك
جمع بمصر مقدمي جيشه واعتقلهم سبعة ايام،
واعقل أيضا كتاب الدولة ومقدمي البلاد

(*) تعرضت الخلافة الأموية في
عهد مروان بن عبد الملك لعدة
هجمات من الأمبراطورية البيزنطية
والمنشقين على الخلافة في العراق
والحجاز. وفيما يلي سوف نتعرض
بإيجاز للعلاقات بين بيزنطة والمسلمين
بين عامي ٧١٧/٨٦٧ م.

مصر دعوه إليها، وهم في العلانية مع ابن جحدم. وسار مروان إلى مصر، ومعه خالد بن يزيد
بن معاوية، وعمرو بن سعيد، وعبد الرحمن بن الحكم، وزفر بن الحارث، وحسان بن بحدل،
ومالك بن هبيرة السكوني، في أشرف كثير. وبعث ابنه عبد العزيز في جيش إلى أبله، ورجا
أن يدخل مصر من تلك الناحية.

وأجمع ابن جحدم على حربه ومنعه. فأشار عليه الجند بحفر خندق يخندق به على
الفسطاط. فأمر بحفره، فحفر في شهر واحد. قال ابن أبي زمزمة الخشني:

وَمَا الْجَدُّ إِلَّا مِثْلُ جَدِّ ابْنِ حَجْدَمٍ وَمَا الْعَزْمُ إِلَّا عَزْمُهُ يَوْمَ خَنْدَقٍ
ثَلَاثُونَ أَلْفًا هُمْ أَثَارُوا ثَرَابَهُ وَخَنَدَوْهُ فِي شَهْرٍ، حَدِيثُ مُصَدَّقٍ

وهو الخندق الذي في مقبرة الفسطاط اليوم.

وبعث ابن جحدم بمراكب في البحر، ليخالف إلى عيال أهل الشام، عليها الأكدر بن
حمام اللخمي. وقطع بعثا في البر. استعمل عليهم السائب ابن هشام بن كنانة^(١) العامري.
وبعث بجيش آخر عليهم زهير بن قيس البلوي إلى أبله، ليمنع عبد العزيز من المسير إليها. فأما

(١) انظر ما سبق ١.

= العلاقات بين بيزنطة والمسلمين
من عام ٧١٧ إلى ٨٦٧ م (*)
أباطرة الأسرة الأيسورية
حكم ليون الثالث ٧١٧-٧٥١ م

تولى ليون - أو كما سماه العرب
اليون - عرش الامبراطورية في مارس
عام ٧١٧ ميلادية، مؤسساً أسرة
حاكمة جديدة عرفت باسم الأسرة
الأيسورية ظل اباطرتها يتوارثون العرش
حتى عام ٨٠٢ م ولقد وجدت
امبراطورية الروم في شخص هذا
الامبراطور الفذ، الرجل المنقذ لها من
برائن الزحف الاسلامي، فمنذ وفاة

والمواريث وطلب منهم رفع الحساب والقيام بما
عليهم. ثم أحضر الأب أنبا خايل إلى مصر لأجل
خراج بيعه، فلما وصلنا إليه طلب منا ما لا نقدر
عليه، فأمر أن نعتقل وأن ترمى في رجل البطرك
خشبه عظيمه وطوق حديد ثقيل في رقبتة ولم
يكن معه أحد إلا أنبا مويسيس أسقف وسيم وأنبا
تادرس أسقف مصر، وأنبا ايلياس بولس ولد أنبا
مويسيس بالروح، وجعلونا في خزانة مظلمة لا
ننظر منها الشمس وليس فيها طاق لأنها كانت

جيش السائب بن هشام، فإن روح بن زباع أخبر مروان أن السائب له ابن مسترضع
بفلسطين، فأخذه مروان. فلما التقوا أبرز إليه الصبي فقال: أتعرف هذا يا سائب؟ قال: هذا
ابني. قال: نعم، فوالله لئن لم ترجع عودك على بدنك لأرمينك برأسه. فرجع السائب بجيشه
ذلك ولم يقاتل. فسمى جيشه جيش الكرارين.

وأما المراكب فنزل عليها عاصف فغرقها، ونجا^(١) بعضها، ونجا أميرها الأكدر، وعاد إلى
الفسطاط.

وأما زهير بن قيس، فلقي عبد العزيز بن مروان ببصاق^(٢)، وهي سطح عقبة أيلة. فقاتله
فانهزم زهير ومن معه. قال نصيب^(٣) لعبد العزيز:

مَنَعْتَ بَصَاقًا وَالْبَطَاحَ فَلَمْ تُرَمَّ بَطَاحُكَ لَمَّا [أَنْ] ^(٤) حَمَيْتَ ذِمَارَكَ
قَسَرْتَ الْأَلَى وَلَوْ أَنَّ الْأَمْرَ بَعْدَمَا ارَادُوا عَلَيْهِ، فَأَعْلَمَنَ، اقْتَسَارَكَ

(١) كذا في خـ (٣٣٨: ٢). وفي ر، ك: فغرق. ولا معنى لها لتكررها.

(٢) جعلها ياقوت بالسین لا بالصاد.

(٣) كذا عند ياقوت. وفي الأصل: زهير. خطأ، لأنه لا يعقل أن يمدح المهزوم هازمه ويتغنى بانتصاره.

(٤) زيادة ضرورية عن ياقوت.

هرقل عام ٦٤١ ميلادية، لم تنجب الامبراطورية شخصية عظيمة، بل توالى على العرش أباطرة ضعاف، وسط مسلسل من الاغتيالات والثورات والحروب الأهلية، والدماس والمؤامرات بين المطالبين بالعرش وبين القصور الملكية. ومن ثم كان مجيء ليون نهاية لثمانية وسبعين عاما من الضعف والفوضى والانقسام، الذي كاد يعصف بالامبراطورية ويقتلعها من جذورها ولذلك يعتبر ليون الايسورى بحق هو المؤسس الثانى للأمبراطورية الرومية بعد جستنيان

نقرت فى حجر. وكان ابونا البطرك تحت ضيق عظيم من التكبيل بالحديد من الحادى عشر من توت إلى تانى عشر بابه. لم ينظر فى هذه المده شمساً. وكان فى الاعتقال معه تلتمايه رجل ونسا [ء] أيضا معتقلات فى ضيق أكثر من الرجال، والحزن والبكا والضيق العظيم عند انقضا النهار ويغلق المتولى السجن علينا ويمضى ولا يعود إلى سابع ساعه من النهار. وكانو المرضى والاعلا يجيون إلى الأب البطرك إلى السجن حتى يبارك

وسار مروان حتى نزل عين شمس. فخرج ابن جحدم فى أهل مصر. فتحاربوا يوماً أو يومين، ثم رجعوا إلى خندقهم، فصفوا عليه. كانت تلك الأيام تسمى أيام الخندق والتراويح، لأن أهل مصر كانوا يقاتلون نوباً؛ يخرج هؤلاء ثم يرجعون، ثم يخرج غيرهم. واستمر القتل فى المعافر، فقتل جمع منهم، وقتل كثير من أهل القبائل من أهل مصر. وقتل من أهل الشام أيضا جمع كثير. قال عبد الرحمن بن الحكم:

نَبِىَاءُ التَّـرَاوِيحِ وَالْخَنْدَقِ
بَعِيدُ السَّمُورِ لَمَنْ يَرْتَقَى (١)
بَحَائِي تَجِيْبَ وَمَنْ غَسَافِقِ
وَحَمِيْرَ كَسَالْتِهَبِ الْمُخْرِقِ
بِمُرْعَدِ جَيْشِ لَهَا مُبْرِقِ
فَحَتَّامَ حَتَّى وَلَا نَلْتَقَى
تَمَنِّيْتُ أَنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ

أَلَا هَلْ أُنَاهَا عَلَى نَائِهِيَا
بَلَعْنَا بِفَيْلَقِ يَغْشَى الظَّرَابِ
وَجَاشَتْ لَنَا الْأَرْضُ مِنْ نَحْوِهِمْ
وَأَحْيَاءُ مَذْحِجِ الْأَشْعَرِينَ
وَسَدَّتْ مَعَاوِرُ أَفْقِ الْبِلَادِ
وَنَادَى الْكُفْسَاءُ أَلَا فَاِبْرَزُوا
فَلَوْ كُنْتُ رَمْلَةً شَهِدْتُهِ

(١) الظراب : جمع ظرب ، وهو ما نأى من الحجارة، أو الجبل المنبسط ليس بالعالى أو الصغير.

الكبير. ولولا وجود نظام الشغور الحربية، لما بقي لأمبراطورية الروم أى ممتلكات فى آسيا الصغرى. ولقد ساعد على انقاز هذه الأمبراطورية اندلاع الحرب الأهلية فى الدولة الإسلامية بعد مقتل الخليفة عثمان، ثم على ابن أبى طالب عام ٦٦١ ميلادية، لكن هذه الحرب بين السنة والشيعة توقفت عام ٦٩٢ ميلادية عندما نجح الأمويون فى تأسيس دولة إسلامية سنية عام ٦٩٢ ميلادية، جعلوا عاصمتها دمشق، وتطلعت هذه الدولة الإسلامية الفتية لغزو أراضى

عليهم فيسرو، من النصارى والمسلمين حتى البربر كانوا يجيئون إليه ويعترفون له بذنوبهم التى فعلوها، وكان المسجونون منهم من يقول أن له فى السجن تلت سنين ومنهم قوم لهم أربع سنين. وكان يعزيهم ويصبرهم ويقول لهم أنكم أن نذرتم لله أنكم لا تعودون إلى فعلكم الأول فإن الله يقبل توبتكم ويخلصكم قبل فروغ هذه السنة. فحلفو له أنهم لا يعودون إلى خطاياهم فتخلصو كلهم من السجن قبل أن تفرغ السنة بصلواته.

ثم إن كريب بن أبرهة، وعابس بن سعيد، وزيادة بن حناطة، وعبد الرحمن بن موهب المعافرى، قاموا فى الصلح بين أهل مصر وبين مروان، على أن لا يكشف ابن جحدم على أمر جرى على يديه، ويدفع إليه مالا وكسوة^(١). فأجاب مروان إلى ذلك. وكتب لهم بيده كتاباً يؤمنهم على جميع ما أحدثوه.

ودخلها مروان لغرة جمادى الأولى سنة خمس وستين. فكانت مدة مقام ابن جحدم والياً عليها، من يوم دخلها إلى دخول مروان، تسعة أشهر^(٢). ونزل مروان دار الفلفل التى فى قبلة مسجد الجامع اليوم، وقال: إنه لا ينبغي لخليفة أن يكون يبلد ليس له فيه دار. فأمر بالدار البيضاء فبنيت له، ووضع العطاء، فبايعه الناس إلا نفر المعافرى، قالوا: لا نخلع بيعة ابن الزبير.

حدثنى ابن قديد قال: حدثنا يحيى بن عثمان قال: حدثنا أبو صالح.

عن الليث بن سعد قال: «قتل مروان ثمانين رجلاً من المعافرى، دعاهم إلى أن يبايعوا، فأبوا وقالوا: إنا قد بايعنا ابن الزبير طائعين، فلم نكن لتنكث بيعته. فقدمهم رجلاً رجلاً، فضرب

(١) ذكر المقرئى (خ-٢: ٤٥٨) أنه دفع إليه عشرة آلاف دينار، وثلاث مئة ثوب بقطرية، ومئة ربطة، وعشرة أفراس، وعشرين بغلاً، وخمسين بعيراً.

(٢) ن(١: ١٦٦): وكانت مدة ولايته عليها تسعة أشهر وأياماً.

الروم في آسيا الصغرى. وهكذا جاء وصول ليون الثالث الى الحكم في الوقت المناسب. فقد وضع مجيئه حدا للصراع على العرش، ولفوضى والاضطرابات، التي سادت الامبراطورية منذ وفاة قسطنطين الرابع عام ٦٨٥ ميلادية.

ولقد كان ليون في الأصل قائدا حربيا للثغر الاناضولى Anatolicon، اكبر ثغور آسيا الصغرى، ومن ثم فقد كان رجلا عسكريا خبيرا في شئون الدفاع. ولقد لقبه المؤرخون باسم الايسورى Isaurios نسبة الى اقليم

فاما آباؤنا الأساقفة فلم يغيرو تيابهم ولا قلائسهم مدة سبعة عشر يوما وهم ملازمون الأب البطرك. وكانو مربوطى النفوس معه عوضا من الحديد. وكان على مايدة الملك رجل مومن خير يهتم بالأب البطرك ويفتقدنا ويجيب لنا في السجن ما نحتاج إليه، وأنا الخاطى ملازم لخدمة هولا التلته شهدا بغير سفك دم ليلا ونهارا.

وكان قد نزل في تلك السنة وبا [ع] عظيم

اعناقهم. وضرب عنق الأكدر ابن حمام بن عامر بن صعب، وكان سيد لحم وشيخها، وحضر فتح مصر هو وأبوه، وكانا ممن سارا إلى عثمان.

فحدثني يحيى بن أبى معاوية التجيبى قال: حدثني خلف بن ربيعة الحضرمى قال: حدثني أبى ربيعة بن الوليد، عن موسى بن على بن رباح.

عن أبيه قال: «كنت واقفا بباب مروان، حين أتى بالأكدر ليس معه أحد من قومه. فادخل على مروان، فلم يكن شئ أسرع من قتله. وتنادى^(١) الجند قتل الأكدر، فلم يبق أحد حتى ليس سلاحه. فحضر باب مروان منهم زيادة على ثلاثين ألفا. وخشى مروان وأغلق بابه. ومضت طائفة منهم إلى كريب بن أبرهة، فلقوه وقد توفيت امرأته بسياسة بنت حمزة بن يشرح بن عبد كلال، فهو مشغول بجنائزها. فقالوا: يا أبا رشدين، أيقتل الأكدر؟ اركب معنا إلى مروان. قال: انتظرونى حتى أغيب هذه الجنازة. فغيبها ثم أقبل معهم، فدخل على مروان فقال: إلى يا أبا رشدين. فقال: بل إلى يا أمير المؤمنين. فاتاه مروان، فألقى عليه كريب رداءه، وقال للجنود: انصرفوا، أنا له جار. فوالله ما عطف أحد منهم، وانصرفوا إلى منازلهم. وكان

(١) كذا فى خـ. وفى الأصل: وتراوم.

على الأطفال المرضعين بمصر حتى مات جميعهم،
وفيما أنا نائم عند رجلى البطرك فى بعض الليالى
وهو يعلمنى من الكتب ويجيبنى عن كلما أسأله
عنه، فسأله عن موت الأطفال وقلت له: يا أبى
اترى الله ياخذهم لأجل ذنوب والديهم أم لأمر
آخر؟ فقال لى: لا تظن يا ولدى ذلك لكن نظر الله
جنس البشر وقد عمل أكثرهم أرادة الشيطان
باهتمام باطل والجحيم عامر، والتعيم الفردوس

ايساوريا Isauria فى جنوب شرق
آسيا الصغرى، غير أن هناك رأيا حديثا
يقول أنه سورى الأصل من أثناء بلدة
جرمانيكيا Cermanicia (بالقرب من
مرعش فى اقليم قبادوكيا بآسيا
الصغرى)، غير أن ذلك لا يغير من
الأمر شيئا، فكلا الرأيين يعترف بأنه
امبراطور شرقى الأصل.

وقفتوسع الدولة الاموية فى
المشرق والنقاد القسطنطينية،

منذ عام ٦٩٢ ميلادية كانت آسيا
الصغرى وجزر الأرخبيل اليونانى تحت
رحمة الدولة الأموية، التى كانت

قتل الأكدر للنصف من جمادى الآخرة سنة خمس وستين. ويؤمنذ توفى عبد الله بن عمرو بن
العاص، فلم يستطع أن يخرج بجنازته إلى المقبرة، لتشغب الجند على مروان، دفن فى داره.
قال زياد بن قائد اللخمى:

كَمَا لَقِيتَ لُخْمَ مَا سَاءَهَا
هُوَ السَّيْفُ أَجْرَدُ مِنْ غَمْدِهِ
فَلْهُفَى عَلَيْكَ غَدَاةَ الرَّدَى
وَأَنْتَ الْأَسِيرُ بِلا مَنَعَةٍ
بَاكُدِرْ، لَا يَتَفَعَدَنَّ أَكْدَرُ
فَلَا قَى الْمَنَايَا وَمَا يَشْعُرُ
وَقَدْ ضَاقَ وَرْدُكَ وَالْمَصْدَرُ
وَمَا كَانَ مِثْلَكَ يَسْتَسِيرُ

وجعل مروان صلاة مصر وخراجها إلى ابنه عبد العزيز بن مروان.

فحدثنى ابن قديد قال: حدثنى عبيد الله بن سعيد بن عفير، عن أبيه قال: أخبرنى المغيرة ابن
الحسن بن راشد.

عن حرملة بن عمران التجيبى قال: «أقام مروان بمصر شهرين ثم جعل ولاية مصر إلى
ابنه عبد العزيز، جعل إليه صلاتها وخراجها. فقال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، كيف المقام
بيلد ليس به أحد من بنى أبى؟ فقال له مروان: يا بنى، عمهم يا حسنك يكونوا كلهم بنى

تتطلع لاحتلال القسطنطينية ذاتها،
ففى السنة التى اعتلى فيها لئون
العرش، أى فى عام ٧١٧ (٩٨هـ)
أرسل الخليفة الأموى سليمان بن
عبد الملك جيشا كبيرا، يؤازره أسطول
قوى، لحصار القسطنطينية وفتحها،
وجعل قيادة هذا الجيش لشقيقه
مسلمة بن عبد الملك. وفى أغسطس
عام ٧١٧ ميلادية وصل الجيش
الأموى الى أسوار القسطنطينية،
وبعدها بقليل وصل الأسطول،
وضرب الأمويون الحصار حول
القسطنطينية برا وبحرا: وقطعوا

خال، فأخذ الأطفال الذين ليس لهم خطيه إلى
الفردوس موضع الرحمة.

ثم سأله وقلت: لماذا أخرج الله الشيطان من
السما من قبل أن يخلق العالم ولا الناس؟

فأجابنى وقال: يا ولدى ومن أنا البائس الحقير
عند هذا القول حتى تسألنى عنه. فأكثرت عليه
الدجاج والطلبة فى السؤال، فقال لى: قال
القديس اغريغوريوس التاولوغس، أن الشيطان كان

أبيك، واجعل وجهك طلقاً تصف لك مودتهم. وأوقع إلى كل ريس منهم أنه خاصتك دون
غيره يكن عيناً لك على غيره، وينقاد قومه إليك، وقد جعلت معكم أخاك بشراً مؤنساً،
وجعلت لك موسى بن نصير وزيراً ومشيراً، وما عليك يا بنى أن تكون أميراً^(١) بأقصى
الأرض، أليس ذلك أحسن من إغلاق بابك وخمولك فى منزلك؟

وقال أيمن بن خريم بن فاتك الأسدى:

إذا ما استبدلوا أرضاً بأرضٍ لذى العقب التداول والطواءُ
فبالأرضِ التى نزلوا منهاهم وبالأرضِ التى تركوا اللقساءُ

حدثنا موسى بن حسن بن موسى قال: أخبرنا حرملة بن عمران.

أن عبد العزيز بن مروان قال «أوصانى مروان حين ودعته مخرجه^(٢) من مصر إلى الشام،
لفقال: أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلايتك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون، وأوصيك أن لا تجعل لداعى الله عليك سبيلاً، فإن المؤذنين يدعون^(٣) إلى فريضة

(١) كذا فى خـ (٢٠٩: ١)، وفى الأصل: أميناً، تحريف.

(٢) أى فى وقت خروجه، وزادت ر: عند مخرجه، ولاداعى لها.

(٣) خـ (٢٠٩: ١): المؤذن يدعو.

المواصلات عنها، غير أنهم فشلوا في حصارها من ناحية البحر الأسود لشدة اندفاع الأمواج. وقد استغل ليون ذلك في استمرار نقل المؤن والعتاد إلى العاصمة المحاصرة، كما استطاع بكفاءة العسكرية أن يستخدم النار الأغريقية، لبث الذعر في جنود الأسطول العسيري، والذي لم يكن قائده يعرفون عنها شيئا حتى تلك اللحظة، بالإضافة إلى وصول النجدة البلغارية، التي جاءت إلى الامبراطور، وهو في أشد ساعات الحرج، غير أن الجيش الأموي ظل صامدا حتى وصل

منذ أول ما خلقه الله يسعى بأصحابه الملائكة إلى الله، وكان الله يمهله ويصبر عليه. فلما خلق الله سما جديده وأرضا جديده وخلق الإنسان بصورته ومثاله، وقد سبق في علم الله أن الشيطان محب للكبرياء، فامره أن ينظر إلى آدم وحسن منظره، فأخذ معه العسكر الذي قد جعله مقدما عليه ومضى إلى حيث آدم، فلما نظره تعجب منه وقال لأصحابه: أريد أن أنصب لي كرسيًا على السحب وتكون الجبال العاليه تحتي وأكون مثل العلي

افترضها الله عليك «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا»، وأوصيك ألا تعد الناس موعدا إلا أنفذه، وإن حملت^(١) على الأسنه، وأوصيك ألا تعجل في شيء من الحكم حتى تستشير، فإن الله، عز وجل، لو أغنى أحدا عن ذلك لأغنى نبيه محمدا، صلى الله عليه وسلم، عن ذلك بالوحي الذي يأتيه، قال الله، عز وجل: «وشاورهم في الأمر».

وخرج مروان من مصر لهلال رجب سنة خمس وستين. فكان مقامه بمصر، من يوم دخلها إلى خروجه عنها، شهرين. وكان على شرطه في مقامه بها عمرو ابن سعيد بن العاص.

١٣. عبد العزيز بن مروان(*)

ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد

شمس بن عبد مناف، يكنى أبا الأصم

ثم وليها عبد العزيز بن مروان، لهلال رجب سنة خمس وستين على صلاتها وخراجها. فجعل على شرطه عابس بن سعيد المرادي.

وتوفي مروان لهلال رمضان سنة خمس وستين، وبويع عبد الملك بن مروان، فأقر أخاه عبد

(١) أنفذه لهم وإن حملته

(*) الخطط (١: ٢٠٩، ٣٠٢)، والنجوم (١: ١٧١)، وحسن المحاضرة (٢: ٨).

للقائد العربي نبأ موت أخيه الخليفة سليمان، وتولى الخليفة عمر بن عبد العزيز عام ٧١٨ م (٩٩ هـ)، وعلى الفور أصدر الخليفة الجديد أمرا بعودة الجيش الى الشام، ورفع الحصار عن القسطنطينية. وهكذا انقذت عاصمة الامبراطورية من كارثة كانت محققة.

ويتغنى المؤرخون الأوروبيون بشجاعة ليون، ويقولون أنه لو نجح مسلمة بن عبد الملك في فتح القسطنطينية عامي ٧١٧ و ٧١٨ ميلادية لا تنشر الاسلام في شبه

فيكون العالم كله في قبضتي وأملك عليه. ثم أنه صعد إلى السما فقال الله له: أعجبك ما رأيت ورضيت بالعالم الخلق، لعلمه بضميره، ثم قال له: قد جعلتك ريسا عليه. وقال له هذا ليلا [اللا] يسقط من المجد الذي كان فيه. وكان هو يحفظ الشر وفكره فيه السو. ثم أنه الشيطان بعد ذلك تأمل فقال أنا أريد ان أعرف كيف اللاهوت لكي إذا نزلت أفعل ذلك ولا تبقى لي حاجه عند الله بعد هذا. وهذا ما كان يهتم به. واراد أن ينظر

العزیز علیها. فأمر عبد العزيز ببيان الدار المذهبة في سنة سبع وستين، وهي التي تدعى «المدينة»، بسوق الحمام، واهى [غربي المسجد الجامع. ووفد عبد العزيز على أخيه عبد الملك في سنة سبع وستين، وحضر مقتل عمرو بن سعيد. ففرض عابس فروضا، وزاد في أعطيات الناس من الجند. فلقي عبد العزيز بعد قدومه، فقال له: ما حملك على ذلك؟ قال: أردت أن أثبت وطأتك وطأة أخيك، فإذا أردت أن تنقصه فانقصه. فقال عبد العزيز: ما كنا لنرد عليك شيئا فعلته.

ثم توفي عابس بن سعيد في سنة ثمان وسبعين، فجعل مكانه على الشرطة زياد بن حناط بن سيف بن خلاوة^(١) التجيبي. وجعل على الحرم والأعوان والخیل جناب بن مرثد بن هاني الرعيبي.

فحدثني ابن قديد، عن عبيد الله.

عن أبيه قال: «ولم يشرك بينهما عبد العزيز حتى ولي جناب بن مرثد ابن زيد بن هاني الرعيبي حرسه، وضم إليه ثلاث مئة من الأمداد. فكان الرجل إذا أغلظ لعبد العزيز وخرج، تناوله جناب^(٢) ومن معه فضربوه وحبسوه.

(١) في الأصل: خلاوة تحريف، إلا أن خلاوة بطن من نجيب (الدهبي: المشتبه ١٨١).

(٢) كذا في خ (١: ٢١٠)، ر. وفي الأصل: كتاب تحريف

اللاهوت، فدخل في وسط الملايكة بسرعه فأمر الله جنود من قوات الملايكة السماويه أن تحطه إلى الجحيم الأسفل في الظلمه البرانيه هو وكلمن معه. هذا أظهره الله لاغريغوريس التاولوغس، وهو الذى وضع لنا ذلك، والمجد لله إلى أبد الابدين أمين. ثم أنى قلت له أيضا الله يصبر على هؤلاء الملوك الكفسرة الذين يفعلون بنا هذه القعمال في كل وقت، ولا يطلقونا من هذا الرباط فقال لى: تصبر يا ولدى وتقو إذا خرجنا من هاهنا وخلصنا

جزيرة البلقان: بين الصقالبة، والآفار، والبغار، حيث كانت الشعوب البلقانية، والسلافية، والروسية حتى تلك اللحظة لا تفقه عن المسيحية شيئا، ولا تدرى عن شعائرها وعقيدتها إلا القليل، ويقولون إذا كانت روسيا الحالية دولة مسيحية أرثوذكسية، لا دولة إسلامية شيعية، فمرجع ذلك لشجاعة الامبراطور ليون وصده لهجوم المسلمين على القسطنطينية، الأمر الذى لو تم لتغير وجه التاريخ، ولهذا يعتبرونه ليس منقادا لامبراطورية الروم فحسب، بل للعالم المسيحي

ووقع الطاعون بمصر في سنة سبعين. فخرج عبد العزيز منها إلى الشرقية متبديا . فنزل حلوان فأعجبته، فاتخذها وسكنها، وجعل بها الحرس والأعوان والشرط. فكان عليهم جناب بن مرثد بحلوان. وبنى عبد العزيز بحلوان الدور والمساجد وغيرها أحسن عمارة وأحكمها، وغرس كرمها ونخلها. قال ابن قيس الرقيات (١):

صَنَّفَ مِنْ تِينِهِ وَمِنْ عَنَبِهِ	سَقِيًّا لِحُلُوانَ ذِي الْكَرُومِ وَمَا
بَرَأْنِي يَهْتَزُّ ثُمَّ فِي سُرْبِهِ (٢)	نَخْلٌ مَوَاقِيرٌ بِالقَنَاءِ مِنْ أَلْ
يَنْفَكُ غِرْبَانُهُ عَلَى رُطْبِهِ	أَسْوَدَ سُكَّانِهِ الْحَمَامُ فَمَا

حدثني ابن قديد قال: حدثني على بن عمرو بن خالد قال: حدثني أسد بن ربيعة. عن أبيه: «أن عبد العزيز لما غرس نخل حلوان، وأطعم دخله والجنود معه، فجعل يطوف فيه، ووقف على غروسه ومساقيه. فقال له يزيد بن عروة الحملي (٣): ألا قلت أيها الأمير كما

(١) الديوان ٨٢ (طبع فينا ١٩٠٢). والخطط (١: ٢٠٩).

(٢) مواقير: محملات. والقناء: العلق بما فيه من الرطب. والبرلى: تمر أصفر مدور، وهو أجود التمر. والسرب: جمع سرية، وهي جماعة النخل.

(٣) كذا في الأصل. وفي خ (١: ٢٠٩): الحملي. ولعله الأصح، لأن «جمل» حي من مدحج، وهي من القبائل التي نزل بعض أفرادها مصر.

الارثوذكسى وحضارة أوروبا الشرقية، ولهذا فهى من وجهة نظرهم احدى المعارك الفاصلة فى تاريخ العالم.

وفى عام ٧٢٦ ميلادية عاود المسلمون الاغارة على حدود الأمبراطورية فى آسيا، فدمروا قيصرية، ووصلوا الى نيقية وشواطئ بحر مرمرة، غير أن ليون ألحق الهزيمة بالجيش الأموى عند أكروينون Acrionon التى تسميها المصادر العربية ريف أقرن (قرة حصار بالقرب من عمورية)، مما أدى الى انسحاب

فستقع فيما هو أعظم من هذا فتصبر الآن فليس يأخذ أحد أجره بغير تعب، ومن يصبر الى المنتهى يخلص، والذي يكون بعد هذا ستنظره، فليس فى هذين الملكين شئ من الخير. فلما تمت سبعة عشر يوما من الشهر المذكور أنفا ونحن فى ذلك الضيق فأمر الملك باحضاره فحضرنا، وطالبه بالمال وقال له: بيعك كلها بغير خراج وأنا مطالبك عنها بما يجب عليها. وضيق عليه. فقال له: إذا كان هكذا أيلن لى أن أمضى الى الصعيد [وا] مهما دفعوه

قال العبد الصالح: «ما شاء الله لا قوة إلا الله»؟ قال: ذكرتني شكرا، يا غلام، قل لأثيناس^(١) يزيد فى عطائه عشرة دنائير».

وعرف عبد العزيز بن مروان بمصر، وهو أول من عرف بها فى سنة إحدى وسبعين. حدثنا حسن المدينى قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثنى ابن لهيعة. عن يزيد بن أبى حبيب: «أن أول من أحدث القعود يوم عرفة فى المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان».

وفى سنة اثنتين وسبعين صرف بعث البحر الى مكة لقتال ابن الزبير، وجعل عليهم مالك بن شراحيل^(٢) الخولاني، وهم ثلاثة آلاف رجل، فيهم عبد الرحمن بن يحيى مولى بنى أبلدى بن عدى بن نجيب^(٣)، فهو الذى قتل ابن الزبير. ففرض له فى الشرف، وعرف على موالى نجيب. وكان قتل ابن الزبير فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين.

وخرج عبد العزيز الى الإسكندرية، واستخلف عليها ابنه الأصغر بن عبد العزيز، وذلك فى

(١) خ: لأثيناس. وفى الأصل: لأثناس. تحريف. وانظر ف(٩٨)، وفيه: أثناس.

(٢) كذا فى الأصل، ف(٣٦). وفى خ(١: ٢١٠) ك شرحيل.

(٣) ر: بحنس.. بنى أبلدى. وفى خ: بحنس.. بنى أيلوى. والتصحيح من تاج العروس (بلى).

المسلمين من غرب آسيا الصغرى،
وكان هذا بمثابة التوقف النهائي لهم
وانحسار موجة المد الاسلامي في آسيا
الصغرى.

اصلاحات ليون الثالث الادارية والتشريعية

وبالرغم من انشغاله بالمعارك
الشرسية بينه وبين الدولة الاموية
الاسلامية، الا أن ليون الثالث وجد
وقتها للقيام باصلاحات ادارية
وتشريعية، فلقد وجد أن مرافق الدولة
الادارية في حاجة الى تحسين وتطوير
لتسهيل الأمور للناس، ولا أحداث

لى النصارى [من الصدقات] وساعدوني به
أحضرتة لك. فاطلقه وخرجنا من عنده وسرنا إلى
الصعيد فلحقنا برد عظيم الثلج فى الليل والحر فى
النهار من الشمس. وكانت كورة مصر قد هلكو
أهلها من الظلم والخسائر والخراج، وتعب الأب أنبا
خايل فى طريقنا وشقى، ثم أنه اشفى مرضى واعلا
كتيرا بصليبه فقط، وأخرج الأرواح النجسه من
الناس، وأعاد خلقا كثيرا كانوا حادو عن الأمانه
الارتدكسيه، واعانه الله وعدنا إلى مصر ليلة الحادى

سنة أربع وسبعين. وقفل^(١) منها، واستخلف عليها جناب ابن مرثد، ولم يعزله عن الحرس
والأعوان لكنه استخلف عليها.

وخرج عبد العزيز إلى الشام وافداً على عبد الملك، فى سنة خمس وسبعين. واستخلف
على مصر زياد بن حناطة بن سيف^(٢). التجيبى فتوفى زياد بن حناطة فى شوال سنة خمس
وسبعين، فاستخلف على مصر الأصبع ابنه. ثم قدم عبد العزيز إلى القسطنطينية فى سنة ست
وسبعين فجعل على الشرط عبد الرحمن بن حسان بن عتاهية بن حزن التجيبى، أحد بنى
سعد.

وأمر عبد العزيز بالزيادة فى المسجد الجامع بمصر، فهدم كله، وزاد فيه من جوانبه كلها،
وذلك فى سنة سبع وسبعين.

قال ابن عفير: «كان لعبد العزيز ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره. وكانت له مئة جفنة
يطاف بها على القبائل، تحمل على العجل إلى قبائل مصر».

قال الشاعر:

(١) فى الأصل: ونقل. تحريف.

(٢) كذا فى ر وفى الأصل. منيف. وفى ن (١٩٣: ١): زياد حظلة التجيبى.

والعشرين من طوبه ليلة نياحة السيده العدار
مرتصم.

وفي تلك الليله حدث غضب عظيم من الله،
وكانت زلزاله عظيمه على الكوره وانهدمت دور
كثير في كل المدن ولم يخلص منها أحد ولا نفس
واحدة، وكذلك في البحور غرقت مراكب كثيره
تلك الليله في جميع بلاد الشرق من مدينة غزه
إلى آخر أعمال الفرس، واحصو المدن التي

التمية والتقدم اللازمين. كما عدل
من النظم الماليه للدولة بهدف الحد
من نفوذ وسيطرة الاقطاعيين على
الحياة العامة والرسمية، غير أن أعظم
أعماله السلمية هو اصداره عام
٧٢٦م باسمه وباسم ابنه وولى عهده
قسطنطين موسوعة قانونية، عرفت
باسم الأكلوجا Ekloga أى المختارات،
اشتملت على أهم مبادئ القانون
المدنى والجنايى الذى يطبق فى
المحاكم. ولقد أعطى فيها اهتماما
خاصا لقانون الأسرة والوراثة، يلى
ذلك قانون تنظيم وتسجيل الملكيات

عند عبد العزيز أو يوم فطر
كل يوم تمسدها ألف قدر

كل يوم كانه يوم أضحي
وله ألف جفنه مثرعات

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات (١):

ب اليون تغدو جفانه رذما (٢)

أعنى ابن ليلى عبد العزيز يا

وقال أيمن بن خريم بن فائق:

بعبد العزيز بن ليلى أميرا
يلقم بعبد الجزور الجزورا

لا يرهب الناس أن يغسلوا
ترى قدره معلنا بالفناء

وقال ابن قيس (٣):

فمصباح ومفتسق (٤)
جنت من دونهم رفق (٥)

تكون جفانه رذما
إذا ما أرحفت رفق

(١) ط (٢، ٧٩٠). الأغاني (٤: ١٦٢). الديوان ٢٥٥.

(٢) الرذم: الممتلئة تنصب جوابها. (٣) الديوان ٢٦٦.

(٤) الرذم: الممتلئة تنصب جوابها. المصباح: المشروب صباحا. والمفتسق: المشروب مساء. ولعله يريد أن من
هذه الجفاف ما يقدم ويؤكل صباحا، ومنها ما يقدم ويؤكل مساء.

(٥) الرفق: الجماعات. وفي الديوان: أتت من دونهم رفق.

انهدمت تلك الليلة فكانت ستمايه مدينه وقرية، ومات من الناس والبهائم ما لا يحصى عدده، وكانت كورة مصر وأعمالها سالمة سوى دمياط فقط، ولم يكن بمصر إلا خوف عظيم بغير موت ولا هدم، وكانت الأخشاب التي في الأبواب والحيطان تبرز من مواضعها تخرج وتعود بعد ساعتين. وشهد لنا من نأمن إليه وإلى قوله أنه لم يهلك من بيع الارتدكسيين ولا مساكنهم في المشرق شئ بالجمله. كان الأب أنبا خايل قد تقدم

الخاصة. ولقد كان الغرض من اصداره لهذا «الكلوج» هو تزويد القضاة بمواد تشريعية غائبة عن النصوص القانونية، وبأخرى موجزة تغني عن مواد القانون المطولة والمتشابكة في القوانين العتيقة والتي تعود الى عهد جستيان الكبير، والتي ظلت أساس القانون الرومي. ولقد تأثرت الكلوجا بتعاليم الكنيسة، وبالعرف والتقاليد الشرقية، فيما يختص بحقوق الزوجات والأبناء، وحماية عقود الزواج، واعتبارها من الأسرار المقدسة التي لا يجوز فسخها. كما استحدثت

وقدم حسان بن النعمان الغساني من الشام إلى مصر، بعهد إلى المغرب في سنة ثمان وسبعين. فسأله عبد العزيز أن لا يعرض لأطرابلس. فأبى حسان ذلك، فعزله عبد العزيز، وولى موسى بن نصير مولى غم أمر المغرب كله فسار موسى ففتح الله عليه الفتح بها. وخرج عبد العزيز إلى الإسكندرية خرجته الثالثة سنة إحدى وثمانين. وخرج معه إليها وجوه الناس من الأشراف والشعراء. فقال ابن قيس الرقيات (١):

غَدَوَا مِنْ مَدْرَجِ الْكَرِيَوِ	نَ حَيْثُ سَفِينُهُمْ حَزَقُ (٢)
فَلَمَّا أَنْ عَلَوَ النَّيْبُ	لَ وَالرَّايَاتُ تَخُفَّتْ
رَأَيْتُ الْجَسْرَ وَهَرَ الْحَكْمَى	وَالْدَيْبَ سَاجَ يَأْتَلِقُ
سَفْسَائِنُ غَيْرُ مَقْرِفَةٍ	إِلَى حُلُوانَ تَسْتَبِقُ (٣)

- (١) الديوان ٢٦٥، وهي من القصيدة التي منها البيتان السابقان. ومعجم البلدان لياقوت «كريون».
- (٢) المدرج: الملك. وكذا هي في الديوان، وفي الأصل: دورج. وكريون: موضع قرب الإسكندرية. الحزق: الجماعات. والبيت عند ياقوت:
- غَلَوَا مِنْ رِيحِ كَرِيَوِ نَ حَيْثُ سَفِينُهُمْ حَزَقُ
- (٣) مقرفة: خسيمة غير حسنة، ولعلها بفتح الراء بمعنى أنها مرمية بالشر في الديوان: مقلعة وعند ياقوت: مفرقة.

الأكلوجا عقوبات لم تكن معروفة من قبل، لتحل محل عقوبة الاعدام، مثل جدد الأنف، وهى عقوبة أو جدها المصريون القدماء وطبقوها منذ عهود الدولة الوسطى، كما أوجدت الأكلوجا عقوبات أخرى مثل شق اللسان، وقطع الأيدي، وسمل العيون، وحلق شعر الرأس. وأعلن ليون فى مقدمة هذه الموسوعة القانونية أنه يشن حرباً شعواء على الرشوة والفساد فى الجهاز الإدارى، وأنه من أجل ذلك وفّر الرواتب المناسبة لرجال القضاء من قبل الدولة.

إلى جميع سكان مصر ونواحيها بمداومة الصوم والصلاة. فلما نظر ذلك الكافر «عبد الملك» ما جرى من غضب الله أخذ الذى تصدق به النصارى على البطرك منه وأطلقه.

وقد تركت كثير لم اكتبه ليلاً تطول السيرة ويميل القارى ولكن قد اضطررتى الأمر أن أذكر شيئاً يسيراً لا تجب الغفلة عنه، وذلك أنه كان فى دونقلا (بلد من بلاد النوبة) ملك اسمه مرقوريس

مَحَلَّ قَدْ نَحَلَّ بِهِ لَذِيذَ عَيْشُهُ غَسَدُ (١)
يَحُلُّ بِهِ ابْنُ لَيْلَى وَالنَّ دى وَالْحُلْمُ وَالصُّدُقُ

وخرج عبد العزيز إلى الإسكندرية أيضاً خرجته الرابعة سنة ثلاث وثمانين. وفيها توفى جناب بن مرثد. فجعل مكانه على الحرس والأعوان والخيل عمرو ابن كريب بن صالح بن ثمامة الرعيسى. فتوفى عمرو بعد أربعين ليلة، فجعل مكانه سعيد بن يعقوب المعافى ثم الشعبانى. وتوفى عبد الرحمن بن حسان بن عتاهية التجيبى، فى جمادى الأولى سنة أربع وثمانين. فجعل على (٢) الشرط يونس بن عطية بن أوس بن عرفج بن اضممار بن مرثد بن رجب الحضرمى من الأشباء (٣). ثم صرف يونس لمستهل سنة ست وثمانين، فجعل على الشرط عبد الرحمن بن معاوية بن حديج التجيبى.

وكتب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز، يسأله أن يرفع (٤) له عن ولاية العهد، ليعهد إلى الوليد وسليمان، فأبى عبد العزيز ذلك.

(١) كذا فى الأصل والديوان. وفى ر: من يحل.
(٢) الاسم محرف وناقص فى ر، ص، فليس فيهما إلا: يونس بن عطية بن أوس بن أوفح بن.. الحضرمى من الأشياء. والتصحيح من تاج العروس: ضمراء، وف ١٢٣، ١٢٤.
(٤) كذا فى ر. وفى ص: يدفع. وفى خ: (٢١٠: ١) ينزل.

تزايد عبادة الايقونات؛

منذ قيام الامبراطورية الرومية
والديانة المسيحية تلعب دورا أساسيا
فى حياة وفكر المواطن، بصرف النظر
عن درجته الاجتماعية أو المالية؛ وحتى
القرن السابع الميلادى أى قبل دخول
فلسطين فى حوزة ديار الإسلام، كان
الزوار الروم يأتون برفات القديسين
والشهداء من الأرض المقدسة
ويحتفظون بها ويجعلونها، وذلك جريا
على تقليد قديم قامت به الامبراطورة
هيلانة عندما ادعت بأنها جاءت
بقطعة من الصلبوت الأصلى من

وكان يدعى قسطنطين الجديد لأنه صار بأفعاله
الجميلة كأحد التلاميذ. ووهب له الرب ولدا سماه
زخريا، فلما مات مرقوريس الملك لم يختار زخريا
أن يكون ملكا بل كان مشغولا بكلام الله وخلاص
نفسه، فرفض المملكة وقدم على المملكة قريبا له
اسمه سيمون، كان ارتد كسسيا فسلك طريق
مرقوريس الجيده، ومات سيمون فعمد زخريا إلى
شاب شجاع من القصر اسمه إبراهيم جعله ملكا،
وكان متكبرا شريرا. وكان أسقف مدينة الملك

فحدثني ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد بن عفير، عن أبيه،

عن القاسم بن الحسن بن راشد قال: «فكتب إليه عبد العزيز: إن يكن لك ولد فلنا أولاد،
ويقضى الله بما يشاء. فغضب عبد الملك، فبعث إليه عبد العزيز بعلى بن رباح اللخمى
يترضاه. فلما قدم على عبد الملك استعطفه على أخيه. فشكاه عبد الملك وقال: فرق الله بيني
وبينه. فلم يزل به حتى رضى. فقدم على عبد العزيز، فجعل يخبره عن عبد الملك وحاله، ثم
أخبره بدعوة عبد الملك. فقال: أفعل؟ أنا والله مفارقه، والله ما دعا دعوة قط إلا أجبت. قال
سعيد: وكان فى كتاب عبد العزيز إلى عبد الملك: إنك لو رأيت الأصبح لسرك، ولم تقدم
عليه أحدا».

وقال عبد العزيز بن مروان: «قدمت مصر فى إمرة مسلمة بن مخلد، فتمنيت بها أمانى
فأدركتها: تمنيت ولاية مصر، وأن أجمع بين امرأتى مسلمة، ويحجبني قيس بن كليب حاجبه». فتوفى مسلمة، فقدم مصر فوليتها، فحجبه قيس، وتزوج امرأتى مسلمة: وهما كلثوم الساعدية وأروى بنت راشد الخولاني.

وتوفى الأصبح بن عبد العزيز يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست
وثمانين. فمرض^(١) عبد العزيز بعد وفاة الأصبح ثم توفى ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت

(١) كذا فى خ ١٠: ٢١٠. وفى ر: مرض.

فلسطين، إبان رحلة لها إلى الأرض المقدسة، ومنذ ذلك الوقت تدفق الحجاج الروم على الأرض المقدسة بحثاً عن الرفات والآثار المباركة، وعندما كانوا يعودون إلى مدنتهم وقراهم يودعون ما جاءوا به في أديرتهم وكنائسهم الأقليمية، وبمرور الزمن أصبح في القسطنطينية عدد كبير من هذه الرفات والآثار المباركة. ولذا أقام سكانها معرضاً خاصاً، عرضوا فيه رداء ونطاقا (حزاماً) اعتقدوا أنهما كانا خاصين بالسيدة العذراء، وبأمر صادر من جستنيان

[كرياكس] يردعه ويعلمه فلا يلتفت إليه، ولأجل ذلك وقع بين الملك والأسقف خصومه فكتب كتاباً إلى الأب البطريرك أنبا خايل يقول فيه ويقسم: أنك إذا لم تقطع كرياكوس ولا جعلت كورتى كلها تعبد الأوثان. لأنه كتب عنه قولاً محالاً وشهادات زور. فلما وقف البطريرك على ذلك كتب له كتب سلامه، فلم يرض لكنه رجع كتب كتباً أخرى أشعر من الأولى بشهود زور وانفضها إلى اسكندريه مع كرياكوس الأسقف القديس. فجمع

من جمادى الأولى سنة وثمانين^(١) فحمل في الليل^(٢) من حلوان إلى القسطنطية، فدفن بها.

حدثنا علي بن سعيد قال: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي قال: حدثنا ابن حديج.

عن ابن أبي مليكة قال: رأيت عبد العزيز بن مروان حين حضره الموت يقول: «ألا ليتني لم أك شيئاً مذكوراً، ألا ليتني كنيسة^(٣) من الأرض، أو كراعى إبله^(٤) في طرف الحجاز، من بنى نصر بن معاوية أو بنى سعد بن بكر».

فاستخلف عبد العزيز علي مصر أخاه محمد بن مروان على الجند^(٥)، وجعل مالك بن شراحيل الخولاني يصلي بالناس.

(١) ن (١: ١٧٤)، كانت وفاة عبد العزيز في ثالث عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين من الهجرة، وقيل: سنة خمس وثمانين. وجعلها الطبري وابن سعد في ٨٥.

(٢) خـ (١: ٢١٠)، في النيل.

(٣) خـ: كناية.

(٤) خـ: إبل.

(٥) ف (٢٣٧): «فلما توفي عبد العزيز بن مروان، أمر عبد الملك بن مروان علي أهل مصر عمر بن مروان، فأقام شهراً إلا ليلة، ثم صرف وولى عبد الله بن عبد الملك. وهو الأصح لأن عمر يذكر بين من كان له قصور في مصر (ف ٩٨)، إما محمد فلا ذكر له في أخبار مصر، وإنما يذكر في ذلك الوقت في أخبار أرمينية (فهرس النجوم).

نفسه، حفظت هذه الأشياء في كيسة
القديسة مريم البلاخرنية، واعتقد
الناس أن رداء العذراء ونطاقها كفيلا
بحماية القسطنطينية من السقوط
واخطر، ومن ثم كانوا يلجأون إلى
حملهما، والطواف بهما حول أسوار
العاصمة كلما هددتها العدو.

كذلك كان الروم يقدمون
ويجلون بشدة المنديل المقدس، والذي
يعرف في الكنيسة اللاتينية باسم
منديل فيرونیکا Veronica والذي
طبقا للرواية، أن امرأة شاهدت المسيح

الأب الأساقفة وعمل سنودس بمدينة اسكندرية،
فلما اجتمعوا أخرج الكتب وقرت، فعلموا أن
كلما فيها محال، ثم انهم قالوا كلمه لأجل ملك
الكوره ليلا [لئلا] يكون فساد من الشيطان هناك،
فسألوا الأسقف «كرياكوس» أن يجلس في أحد
ديارات اسكندرية إلى أن يزول غضب الملك، فلم
يجب إلى ذلك، فلما رأوه لا يسمع منهم قالوا:
أمض إلى حيث تريد لتقيم هناك. ولم يطلقوا له
القداس في كنائس مصر واقسموا الذي أنفذه لهم

قال ابن عفير: «ولي عبد العزيز مصر، فكان خراجها وجبايتها إليه. فلم يوجد له مال
نض^(١) إلا سبعة آلاف».

وحدثنا أسامة قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح قال: حدثنا أبو صالح قال:
حدثني الليث: «أن عبد العزيز مات حين مات، وإنما ترك حلوان والقيسارية وثياباً كان
بعضها مرقوعاً وخيلاً ورقيقاً».
وكانت ولاية عبد العزيز عليها عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً. ولم يلها منذ
الإسلام إلى يومنا هذا أطول ولاية منه.
وقال ذو الشامة محمد بن عمر^(٢) بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، يرثي عبد العزيز وابنه
الأصبغ:

نَقُولُ غَدَاةَ قَطْعِنَا الْجَفَا رَوَّالْعَيْنُ بِالذَّمْعِ مُفْغَرُورِقُهُ
مَقَالَ أَمْرٍ كَارِهِ لَلْفَرَا قِ تَاعَ الْبِلَادِ وَبَاعَ الرُّقَّةَ^(٣)

(١) المال النض والناض: الدرهم والدينار. وفي خ: ناض.

(٢) كذا في ق، والتاء. وفي ر: عمرو.

(٣) تاع البلادك قطعها. والرقعة: الدراهم المضروبة.

وهو يحمل الصليب يتصبب عرقاً، فرق قلبها له، فاندفعت مختربة حصار الجنود الرومان لشمسح بمنديلها وجهه، وعندما عادت وجدت أن صورة المسيح قد طبعت على هذا المنديل، وأصبحت هذه الصورة تعرف عند الأرثوذكس باسم «صورة المسيح التي لم ترسمها يد إنسان». وهناك العديد من هذه البقايا المقدسة تتوالى حسب أهميتها، والتي حافظ الروم عليها بحماس شديد، وبلغ من كثرة الآثار أن بعض كنائس

الملك وكان اسمه «يوانس» وقالوا «لكرياكوس». إن كان هذا الأمر ليس هو من الله فسوف تنظر ما يكون وتعود إلى كرسيك دفعة أخرى لأننا لم نبعدك عن كرسيك بحرم لكن لأجل شر الملك وما اعتمده. فلما نهضو كل منهم إلى موضعه ظهرت أعجوبة عظيمة، كان لوح [أيقونه في إطار] عظيم فوق كرسي البطريرك أنبا خايل وفيه صورة يوحنا فم الذهب فبعد إزالتهم الأسقف عن كرسيه انقطعت الحبال من الصورة ونزلت في

وَأَهْلَ الصَّفَاءِ وَأَهْلَ الثَّقَةِ
وَبَعْدَ الْأَمِيرِ كَذَا وَابْقَهُ (١)
وَالْأَصْبَغِ الْخَمِيرِ بِالْمَوْلَقَةِ
وَأَهْلَ الْوَفَاءِ وَأَهْلَ الثَّقَةِ
وَمَا جَاوَرَا دِيمَةً مَغْدُوقَةً (٢)
إِلَى الشَّرِّ يَوْمًا يَدٌ مَسْبُوقَةٌ
نُ فِي لَذَّةِ الْعَيْشِ مَغْدُودَةٌ (٣)

وَفَارَقَ إِخْوَانَهُ كَسَارَهَا
أَبْعَدَ الْخَلِيفَةَ عَبْدَ الْعَزِيزِ
فَمَا مَضَى لِي بَعْدَ الْعَزِيزِ
إِسَامَى هَدَى وَهَدَى ثَقَى
سَقَى اللَّهَ قَبْرَيْهِمَا وَالصَّدَى
فَإِنْ تَكُ مَصْرًا أَشَارَتْ بِهَا
فَقَدْ مَاتَ تَقَرَّ بِمَصْرِ الْعُيُ

وقال سليمان بن أبان بن أبي حدير الأنصاري (٤) يرثي عبد العزيز والأصبع.

- (١) وابقة: مهلكة. وكذا الكلمة في ر، وكانت بغير نقط في الأصل.
(٢) الصدى: الجسد من آدمي بعد موته، وحشو الرأس. والديمة: المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق. والمغدقة: الكثيرة الماء.
(٣) مغدوقة: متزايدة. وفي الأصل: معدودة، فجعلها ر: محدودقة.
(٤) نسب السيوطي في حسن المحاضرة (٢: ٨) البيت الأول إلى عمر بن أبي الجدير. ونسب البلاذري في أنساب الأشراف ١٨٤ (تحقيق جويتين) الأبيات الثلاثة الأولى إلى أبي بكر بن أبي جهم بن حذيفة العدوي.

الروم أقامت ملحقاً خاصاً يعرف بدار
الشهيد Martyrion (المارتوريون) ،
وكان هذا الملحق يخصص لآثار
القديس الذي أقيمت من أجله
الكنيسة، وفي الذكرى السنوية
لأستشهاده، يقام قداس خاص على
روحه داخل هذا الملحق. ويرجع تاريخ
هذا التقليد إلى عصر الامبراطور
جستنيان، أول من أقام داراً للشهيد
في القسطنطينية. ولكن تدفق هذه
الآثار توقف بعد الفتح الإسلامي
لفلسطين، وأصبح من الصعب على

وسط الأساقفة ولم تزال تتحرك وتقفز حتى
خرجت من وسطهم، فمضوا وأخذوها وأعادوها
إلى مكانها الأول، ولم تزل هكذا تلت دفعات،
وكلما علقوها نزلت هكذا حتى مضت إلى موضع
من البيعة ووقفت هناك، وكان ذلك الأسقف يشبه
صورة يوحنا فم الذهب، لأن خديه كانا خاليين من
الشعر حتى كأنه بغير لحية وهذه من صفات يوحنا
فم الذهب أنه كان كذلك، وكان الأسقف شيخاً
ابن تمانين سنة في ذلك اليوم وكان منظره مثل

وَبَعْدَ أَبِي زَبَّانَ يَسْتَعْتَبُ^(١) الدَّهْرُ
وَلَا سَقِيَتْ بِالنَّيْلِ بَعْدَ كَمَا مِصْرًا^(٢)
يَمُوتُ بِهِ الْعُصْفُورُ وَانْحَرَفَ الْقَطْرُ^(٣)
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَهْدِي لَهُ بَعْدَكَ السُّفْرُ^(٤)
فَمَتْنٌ جَمِيعاً حِينَ غَيَّبَكَ الْقَبْرُ
وَبَعْدَكَ لَا يُرْجَى عَوَانٌ وَلَا بَكْرُ^(٥)

أَبْعَدَكَ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ لِحَادِثُ
أَفَلَا صَلَحَتْ مِصْرُ لِحَى سَوَاكُمَا
وَلَا زَالَ مَجَسْرَاهُ مِنَ الْأَرْضِ يَابِساً
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْنِي الْمَكَارِمَ وَالْعُلَى
فَكُنْتَ حَلِيفَ الْعُرْفِ وَالْغَيْرِ وَالنَّدَى
فَبَعْدَكَ لَا يُرْجَى وَلَيْدٌ لِنَفْعَةٍ

وقال نصيب يرثي عبد العزيز والأصمغ ابنه:

أَحَقَّ الْأَلَى أُمَسَّسُوا نَعَى بُكَاهُمَا
بِحَمْدٍ فَهَذَا لِلْفِرَاقِ أَخَاهُمَا
أَحَلَّ وَخَلَا فُسْطَهَا وَقَرَاهُمَا

بَكَيْتُ ابْنَ لَيْلَى وَأَبْنَاهُ وَرَأَيْتُنِي
هُمَا أَخَوَايَ الصَّالِحَانِ تَوَالِيَا
فَبِإِنْ نَزَعَا مِصْرًا فَبِالْجَدِّ فَارَقَا

(١) يستعتب: يطلب منه الرضا أو يعطاه. وكذا هي في س، والبلاذري، وفي ر: يشعب.

(٢) زيادة من س والبلاذري ليست في الأصل، وهي ضرورية لفهم البيت الآتي.

(٣) القطر: المطر. وفي ر: وانجذب القطر، ومال إلى أن صوابها: انجذب. وعند البلاذري: واستبطى.

(٤) يهدي: يسير على هدى. وربما كانت محرفة عن يهوى.

(٥) العوان: المرأة في منتصف عمرها.

الحجاج الروم أن يسافروا عبر أراضى الدولة الأموية إلى فلسطين، ومن ثم استغل الفنانون الروم الفرصة ليقوموا برسم أيقونات ملونة للمرسل والقديسين لتحل محل هذه الآثار الأصلية وبيعها للناس.

وفى وسط هذا المناخ الدينى نمت العقيدة المتشربة بحب الخيال والخرافات، وعلت مكانه رجال الدين، أحياؤهم وأمواتهم، وقصد الناس خلواتهم ومعتكفاتهم، بل وأضرحتهم، يلتمسون البركات، ويحج إليها أصحاب الحاجات،

ملك الله، ثم انصرفوا الأساقفة إلى كورهم ومضى كريكوس إلى دير من ديارات بلاد النوبة ويوانس الأسقف الجديد مضى إلى مدينة المملكة. وشهد لنا ثقات أن المطر لم ينزل على تلك الكورة مدة ما كان بقى من حياة كريكوس الأسقف، وفى كل سنة يأتى عليهم وبا [ء]، والذين شهدو عليه بالزور عميت عيونهم سريعاً. وكمل له من العمر مايه وأربع سنين ثم سأل الله أن ينقله من الجسد، فلما تنيح مضوا أهل كورته إلى قبره وسألوه بدموع

بَحْسَنَ الثَّنَا وَالْحَمْدُ فِي النَّاسِ فَارِقًا
فَمَا طَائِعًا إِنْ فَارِقًا الْعَيْشَ فَارِقًا
جَزَى خَيْرٌ [مَوْلَى] مَوْلَى وَلَا جَزَى
أَلَا بِأَبَى حَقًّا وَأَمَى فَنَا هُمَا
نَصِيبًا وَلَا وَاللَّهِ مَا إِنْ قَلَاهُمَا
مِنْ النَّاسِ خَيْرًا مِنْ أَحَبَّ رَدَاهُمَا

١٤ ، عبد الله بن عبد الملك (*)

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن

عبد شمس بن عبد مناف، يكنى أبا عمر

ثم وليها عبد الله بن عبد الملك، من قبل أبيه، على صلاتها وخراجها. فدخلها يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين، وهو يؤمئذ ابن سبع^(١) وعشرين سنة. وقد تقدم إليه أبوه أن يعفى آثار عمه عبد العزيز، لمكانه من ولاية العهد. فاستبدل^(٢) بالعمال عمالا، وبالأصحاب أصحاباً. وأراد عبد الله بن عبد الملك عزل عبد الرحمن بن معاوية بن حديج عن الشرط، فلم يجد عليه مقالاً ولا متعلقاً، فولاه مرابطة

(*) الخطط (٣٠٢: ١)، والنجوم (٢١٠: ١)، وحسن المحاضرة (٨٢).

(١) كذا الأصل، ن. وفى نسخة (٣٠٢: ١): تسع.

(٢) كذا فى نسخة. وفى ر: واستبدل.

غزيره بان يسأل الله أن ينزل عليهم المطر، فكان ذلك حتى اخصبت كورتهم وارتفع الوباء عنهم. فلما نظر «زخريا» الملك إلى هذه الأمور نفاه إبراهيم الملك إلى جزيره في وسط البحر واقام ملكا اسمه مرقس عوضا منه لأن زخريا كان قد صار أبا الملوك إلى الآن، ثم أن اصحاب مرقس مضوا سرا بمكر ليقتلو إبراهيم في النفي، فلما علموا أصدقا إبراهيم الملك بذلك مكرو بمرقس الملك وهو يصلى قدام الهيكل في البيعه فقتلوه في سادس شهر من

ليعودوا يأثر من آثارهم أو بصورة لهم، ليكون ذلك الأثر الملاك الحارس، والأب الروحي لهم ولأطفالهم وذويهم. وعلى هذا النحو ارتفع شأن القديس ديمثريوس في سالونيك، والقديس اندراوس في بتراس، وأحيطت صورهما بهالة من التقديس والأجلال، وخلع عليهما صفات ليست من صفات البشر كالعصمة من الخطيئة، والتنزيه عن الرذيلة، ونحو ذلك. كما احتلت صور المسيح والعذراء الأماكن الهامة في القسطنطينية وغيرها من مدن الروم،

الإسكندرية. وجعل على الشرط عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة، حليف بنى زهرة، وجمع له القضاء والشرط.

وتوفى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة ست وثمانين، وبويع الوليد بن عبد الملك فخرج عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وأخذ له بيعة أهل مصر. فأقر الوليد أخاه عبد الله على صلاة مصر وخراجها.

وأمر عبد الله بن عبد الملك بالدواوين، فنسخت بالعربية، وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية. وصرف عبد الله أثيناس^(١) عن الديوان، وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص. ومنع عبد الله من لباس البرانس، وذلك في سنة سبع وثلاثين. وابتنى عبد الله المسجد المعروف اليوم بمسجد عبد الله.

وفي ولايته غلت الأسعار بمصر وترعت^(٢)، فتشاءم به المصريون. وهى أول شدة رأوها. وزعموا أنه ارتشى، وكثروا عليه، وسموه مكيسا^(٣). ثم قدم عبد الله إلى أخيه الوليد في صفر

(١) ر: أشناس. (٢) كذا في ر، وليست في خ، ن.

(٣) المكس: النقص والظلم، ودراهم كانت تؤخذ من يائعى السلع في الأسواق في الجاهلية، ودرهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه من الصدقة والمكيس: المكث من فعل ذلك. وفي ف (١٢): مكيسا، بفتح الياء وتشديد ها. وفي س (٩: ٢): تكيس.

وأمامها كانوا يسجدون في خشوع، ومنها كانوا يستلهمون النصر ودفع المكروه، ومن خلالها كانوا يلتمسون البركات والشفاء وقضاء الحاجات، فهي تخفر البسوت، وتروج سلعة التاجر، وتحمي الفتاة من الحسد وتجلب لها فتي أحلامها. فقد كانت هذه الأيقونات تزود مريديها بقوة روحية لأحد لها. بل أشاعوا أن انتصار هرقل على الفرس عام ٦١٤م إنما كان بسبب بركة أيقونة للعدراء هبطت عليه من السماء. وامتلات الكنائس والأديرة بهذه الصور المقدسة، وعلقت بالدور والحصوات، وطرزت على الملابس، ونقشت على الكتب والأثاث وغيرها، وامتلات مبادئ القسطنطينية بسمائل المسيح والعدراء والحواريين، كما نصبت على أسوار القصور الملكية. وسرت شائعات حول صور تكلمت، وأخرى تحركت. ولقد كان في مصلحة رجال الدين تدعيم وتغذية هذا الخيال والاعتقاد، حتى يجنوا من صناعتها وبيعها الربح الوفير، معللين ذلك بأن هذه الصور ما هي إلا وسيلة إيضاح لتعليم العامة والبسطاء العقيدة، لأنهم لا يقدرُونَ على فهم الكتاب المقدس، ولا على إدراك واستيعاب قوانين الإيمان المسيحي ذات الطابع الفلسفي. غير أن الأمر قد أفلت من الحذر المرسوم، فاضحى زعماء الكنيسة

أشخاصا مقدسين، واستوى في نظر العامة الأحياء منهم والأموات. وقال الداعسون إلى عبادتها، أنها تخاطب العاطفة وحاسة البصر، كما تخاطب آيات الكتاب المقدس العقل وحاسة السمع، ومن أقوالهم «إن لم تعبد الصور، فقد كفرت بأبن الله ولم تعبده، فهو نفسه الصورة المحسوسة للرب الذي لا يراه أحد»، وقال القديس باسيليوس «أن تقديس الصور هو طريق الوصول إلى المثل العليا». ومما شجع على ذلك أن قسطنطين الكبير كان قد زين جميع المرافق العامة والكنائس في القسطنطينية بصور مقدسة، استلهمت موضوعاتها من الكتاب المقدس. فشرع الرسامون الروم يرسمون صوراً دينية شبيهة بتلك الصور التي تزين حوائط الكنائس، وأسقفها الداخلية منذ القرنين الخامس والسادس الميلاديين. وهذه الصور الصغيرة الحجم عرفت باسم الأيقونات، وبالرغم من أن المعنى الأصلي للكلمة الأغريقية يعنى «صورة»، إلا أن معناها اتسع ليطلق على جميع أنواع المصورات الدينية، خاصة تلك التي ترسم على قطع من الخشب. وفي المراحل المبكرة لهذا النوع من الفنون نجده قريب الشبه بالصور الخشبية التي وضعت كاقنعة في المومياءات المصرية وتعرف بـ Fayum Portraits (لأن أغلبها

وجد في مقابر اللاهون بالفيوم، وترجع إلى ما قبل القرن الأول الميلادي)، غسير أن أهل القسطنطينية ابتدعوا حكاية تقول أن أول من رسم أيقونة هو القديس لوقا Lucas أحد حوارى المسيح، الذين صاحوه في حياته، وكتبوا عنه بعد ذهابه، إذ رسم لوقا بنفسه صورة اعتبرت أول أيقونة للسيدة العذراء، وهناك صورة أخرى للمسيح التي ذهب بعض المغالين إلى القول بأنها من صنع الله.

وربما ساعد على نشر فن الأيقونات اهتمام الإباطرة مثل جستنيان بتزيين حوائط كاتدرائية أيا صوفيا المواجهة للمذبح بثلاثة مجموعات من المناظر المحفورة المعروفة باسم المسيح وحوارييه Icosis ومن بعد هذه المجموعات شاع استخدام الأيقونات في الكنائس الكبرى ذاتها، بالرغم من أن حوائطها كانت في العادة مغطاه بصور كبرى مرسومة أو مركبة من قطع الفسيفساء، أما بالنسبة للكنائس الصغرى المتواضعة فقد أقيمت على اقتناء الأيقونات، وتعليقها على جدران حوائطها الصماء، غير المرسومة أو المنحرفية، لأنها الوسيلة الوحيدة لتصوير العائلة المقدسة، وأهم الأحداث التي شهدتها. غير أن العامل المؤثر في ازدهار فن رسم الأيقونات البيزنطية ومن ثم الأوربية هو دخول فلسطين في حوزة الدولة الإسلامية، وتوقف

سبيل الآثار والتحف الدينية من الشرق، مما أحدث نقصا استغله الرسامون الدينيون لرسم المزيد من الأيقونات لسد النقص، وبمرور الوقت أصبحت هذه الأيقونات هي التي تحظى باهتمام المتعبدين، واكتسبت معنى عاطفيا عميقا، بحيث يستطيع المتعبد الاقترب منها بدرجة أكبر من اقترابه من رسومات الحيوانات الكبرى والقباب العالية، ونتيجة لذلك نشأت رابطة عاطفية، روحانية بين المتعبدين والأيقونات، بالرغم من أنهم كانوا يعرفون أن هذه الصور ليست صورا طبق الأصل للشخص الذي تصوره، بل اعتبروها أقرب شيئا إليه، وبمرور الوقت أصبح لكل قديس يظهر على الأيقونات ملامح مميزة يسهل التعرف عليه من خلالها.

كان المتعبدون للأيقونات يشعرون بأنها تقوم مقام الوسيط، فهي تساعد في حث ورجاء القديسين للصلاة من أجلهم، ومن أجل أن تتوسط لهم لدى الخالق القادر على كل شيء ليحقق لهم رغباتهم وأمانيتهم الدنيوية، وكان الروم يحرصون على التمييز بين عبادة الأيقونات المشروعة، وعبادة الأصنام الوثنية المحرمة. ففي الحالة الأولى يعلم المتعبد أنه يتوجه بصلواته للقديس المصنوع على الأيقونة، وليس للأيقونة في حد ذاتها، وبالرغم من ذلك اعتقد بعض الروم أن للأيقونات قدرة على الأتيان بالمعجزات والحوار، وعندما

شاع ذلك الاعتقاد ضاع الخط الذي كان يفصل بين عبادة الأيقونات، وعبادة الأصنام، ففي القرن الثامن الميلادي انتشرت عبادة الأيقونات Iconaltry بشكل لفت أنظار المثقفين، وجعلهم يشعرون بالقلق خوفا، من أن يؤدي ذلك إلى عبادة الوثنية الكامنة في نفوس الناس تحت قشور الإيمان.

غير أن فريقا من رجال الدين أثاروا تخوفا ومعارضة ازاء تفشي عبادة الصور والأيقونات، ودعوا إلى مقاومة هذه الظاهرة بحركة مضادة لايقونية، وذلك حتى قبل عصر الأسرة الأيسورية التي اقترنت تاريخها بمثل هذه الحركة. وترجع جذور الاعتراض إلى انكار بعض القديسين القدماء من أمثال كلمنت السكندري Clement لهذه البدعة، ثم تزايدت حدة المعارضة في القرن الخامس على يد بعض الاساقفة مثل الأسقف فيلومينوس في هيرابوليس (شمال غرب حلب بالقرب من ساحل الفرات)، وفي القرن السادس قامت حركة في أنطاكية ضد عبادة الأيقونات، امتدت حتى إقليم الرها (Edessa) حيث قذف الجنود الثائرون صور السيد المسيح بالأحجار، ومن الأباطرة الذين قاوموا عبادة الأيقونات الإمبراطور موريقي Mauricius (٥٨٢ - ٦٠٤ م). وفي الغرب أمر الأسقف سيرينيوس أسقف مرسيليا بتحطيم جميع الأيقونات في الكنائس مما جعل البابا

جريجوريوس يبعث إليه رسالة يلومه فيها على فعلته بالرغم من تبرمه مما آل إليه أمر الأيقونات من التقديس والعبادة، لكنه كان يرى أن لبقائنها فائدة وهو تعليم البسطاء، ولذلك كتب إلى سيرينيوس يشكره على حماسه وغيرته على دينه، ودعوته بأنه لا ينبغي عبادة شيء يصنعه مخلوق من خلق الله لكنه يوضح له أن عبادة الصورة شيء واتخاذها وسيلة للتعليم شيء آخر. كما أن هناك فرق أخرى أنكرت ما يقوم به الأيقونيون من السجود للصور المقدسة، واعتبرت ذلك ضربا من ضروب الوثنية، وقاومت عبادة الصليب والعذراء والمسيح مثل اتباع بولوس السميساطي في كوماجيني على نهر الفرات شمال غرب الشام، وجماعة مساليا في أرمينيا، وجماعة البوغول في بلغاريا، مما شجع فريق من رجال الدين ومن المثقفين على الدعوة علنا لحظر هذه البدعة.

وفي حقيقة الأمر، لم تكن الحركة اللايقونية هدفا في حد ذاتها، وإنما كانت بندا من برنامج اصلاحى كبير قصد به ليسون الثالث إعادة بناء الإمبراطورية بعد أن تدهور حالها في القرن السابع ومطلع القرن الثامن، نتيجة للفتن الداخلية الناتجة عن النزاع بين جستنيان الثاني والارستقراطية لاقطاعية، وبسبب هجوم المسلمين بقيادة مسلمة بن عبد الملك، كانت هذه

هي الاعتبار التي دارت في ذهن ليون الايسوري، حتى أنه يعتبر بحق المؤسس الثاني للإمبراطورية بعد جستنيان الكبير. ووصل الخلاف بين حزب اللايقونيين وحزب الايقونيين الى قمته على أثر انتهاء ليون الثالث من دفع المسلمين بعيدا عن القسطنطينية عام ٧١٧، ومن ثم استدار لحسم الخلاف بين الحزبين. وقد كان موقفه من عبادة الايقونات جزءا من برنامج أكبر للإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي للإمبراطورية. التي كانت مطعما من جانب المسلمين في الشرق، والبلغار في الغرب. فقد راع ليون كثرة عدد الاديرة للرهبان والمتسكين ايقونا للدعة، وطلب للمهاجرة والوفار، فقل عدد المفسلين على الجندية والوظائف العامة، فرارا من المسئوليات، وتحول الفلاحون من حياة الانتاج الايجابي الى حياة التنسك السلبي، مما أدى الى انحطاط الادارة والخدمات، وضعف الجيش، وتدهورت الزراعة، وضعف الانتاج، بينما ازداد ثراء الكنائس والاديرة، وسيطر رجال الدين على الفكر والشقافة والفنون، كما كان يدور في ذهن الاباطرة الرغبة القديمة في السيطرة على الكنيسة والأماك بالسلطين الدينية والديوية معا، فقد كتب ليون الثالث الى البابا جريجوري الثاني في هذا الصدد يقول «اننى امبراطور وكاهن، بينما كتب يوحنا الدمشقي معارضا يقول أن سلطة الكنيسة

يجب الا تدخل في سلطة الامبراطور».

صلور قنرل ليون الثالث بتحرير عبادة الايقونات ٧٢٦م

تضاربت الآراء حول الدوافع التي حدثت بالامبراطور ليون الثالث لاتخاذ مثل هذا القرار الجريء بتحرير عبادة الايقونات، وازالتها من الأماكن العامة، مضحيا بشعبية بين قطاع كبير من البسطاء، ورجال الاديرة والكنائس، والعاملين في مجال الفنون الدينية. فقد علل البعض ذلك بأن المقصود بهذا القرار هو تقليص اظافر سلطة الاديرة، التي كانت تشجع عبادة الايقونات، واغلاق بعضها بحجة خروجها عن حدود الدين، ويدعمون رأيهم بأن الامبراطور سبق له أن قلم اظافر ملاك الأراضي، وحد من سيطرتهم على الدولة، وأن قرار تحريم الايقونات هو القرار الموازي لذلك القرار الأول. ومن ناحية أخرى اتهمه المتطرفون من رجال الكنيسة بالوقوع تحت تأثير تعاليم اليهودية والإسلام. اذ يروي ثيوفانس Theophanes، أن يهوديا من مدينة اللاذقية، لفت أنظار الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك (٧٢٠ - ٧٢٤م) بأمر تكاثر الايقونات في كنائس النصارى، وتوجههم بالصلاة لها، وعلى أثر ذلك أصدر الخليفة قرارا عام ٧٢٣ ميلادية يقضى بازالة الايقونات من جميع كنائس النصارى في الدولة الاسلامية، وخاصة كنائس مصر. ويقول المقرئى ضمن حوادث ١٠٤هـ

(٧٢٣م) أنه بعد هذا القرار «محيت التماثيل وكسرت الأصنام بأجمعها، ولهذا يرى البعض أن الدعوة لتحطيم الايقونات والمصورات ما هي الا نتاج التأثير بالحضارة والعقيدة الاسلامية، خاصة أن الاباطرة، الذين دعوا الى ذلك، كانوا من أصول عربية، ولقد اتهم الامبراطور ليون الثالث بالذات بأنه «ذو عقلية اسلامية - saracen-minded»، بدليل أنه لم يكذب بمضى على قرار يزيد بن عبد الملك ثلاث سنوات، حتى أصدر مرسومه الجريء عام ٧٢٦م في السنة العاشرة من حكمه والقاضى بازالة جميع المصورات والتماثيل والايقونات الدينية، وذلك دون اعتبار لمشاعر عباده، ولا للنتائج التي ترتبت على ذلك القرار، بل أشيع أن أحد السحرة اليهود كان قد لقي ليون، وهو جندي بارز، وبشره بأنه سوف يصبح امبراطورا بشرط أن يعمل على ابطال عبادة الصور المقدسة. وعلى أثر ذلك القرار بدأ جنود الجيش المزيد للإمبراطور، والذي كان مثله أيضا من أصول شرقية، بتنفيذ القرار، برفع تمثال كبير للمسيح كان مقاما فوق بوابة الطباشير، أكبر وأهم بوابات القصر الامبراطوري، واستبداله برمز للمسيح، ولقد أثار منظر الجنود وهم ينهالون على التمثال تحطيمًا مشاعر الغوغاء وخاصة النساء، فتجمهروا حول القائد المكلف بتنفيذ الأمر، وانهالوا عليه ضربا حتى قتله، واعتُبر

الامبراطور ذلك اهانة له، فاطلق جنوده العنان للانتقام من عباد الايقونات Iconodules، وكانت تلك الشرارة التي عصفت بالامبراطورية لأكثر من مائة عام، فيما يعرف بالصراع حول نبذ عبادة الايقونات. Iconoclasm.

وبالرغم مما أثاره حادثة انزال صورة المسيح من على بوابة الطباشير من معارضة وتدمير، إلا أن العصيان والتدمير لم يتضح إلا منذ عام ٧٣٠ ميلادية، عندما أصدر ليون قرارا لاحقا يحرم استخدام الصورة البشرية، لتمثيل الرسل والأنبياء في الموضوعات الدينية. وعلى أثر صدور ذلك القرار، احتج بطريرك القسطنطينية جرمانوس بشدة، وانتقد القرار علنا لدرجة أن الامبراطور ليون الثالث فقد أعصابه، فأصدر قرارا باعفاء البطريرك جرمانوس من منصبه، وتعيين البطريرك أنسطاسيوس - المؤيد للقرار - مكانه. وتجاوبت مشاعر الغوغاء مع البطريرك المعزول، ووقف إلى جواره رهبان الدير، وانضم إلى جبهة المعارضة، كبار ملاك الأراضي، والنبلاء المعارضون أصلا للامبراطور، كسما أن صناع الايقونات والعاملين في مجال الفنون الدينية (خاصة من أهل افسوس) أعلنوا معارضتهم لهذا القرار، لما يسببه من كساد لمهتهم

التي يتعيشون منها. غير أن الايقونيين الذين انبروا للدفاع عن عبادة الصور هدفوا أيضا من وراء حملتهم إلى الحصول على امتيازات جديدة وحريات أوسع من أجل فصل سلطة الكنيسة عن سلطة الدولة، وإبطال ما يدعيه البابا الروم بأنهم وحدهم هم الحراس المدافعون عن العقيدة Fidem، وأنهم قبل أن يكونوا أباطرة فهم أيضا رؤساء للكنيسة على نحو ما كان عليه كل من قسطنطين الكبير، وجستيان العظيم الذي جمع بين السلطتين السياسية والدينية، فقد كان من القاب جستيان والامبراطور المقدس، Imperator Sanctus كما أراد الايقونيون فوق ذلك إبطال حق البابا في تعيين البطريرك والاساقفة ورأس الجامع الدينية. ومن المبكرين الذين نادوا بهذه الدعوة ثيودوروس رئيس دير مستوديون بالقرب من القسطنطينية حتى قبيل اندلاع الحركة اللايقونية وفي أثنائها. وعلى العموم كان في مطلع القرن الثامن معسكران أحدهما أيقوني والآخر لا أيقوني، أما الأول فيتزعّمه بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية بالعاصمة، وكان في ذلك الوقت اسمه جرمانوس وكذلك البابا،

ويؤيدهما كثير من الرهبان، وغالبية النعماء والعوام من الناس، فقد كان أغلب النساء متعصبات للايقونات وعبادتها، وذلك بسبب حرصهن على وجود الروح الحارسة لحماية أطفالهن، أما المعسكر اللايقوني فقد كان يتزعّمه الامبراطور ليون الثالث، وبعض رجال الدين الحاقدين على تزايد نفوذ وثراء الرهبان، وعلى رأسهم قسطنطين أسقف ناعوليا Naeolia، وتوماس أسقف كلاودوبوليس وثيودوسيوس أسقف برجي Perge في كيليكية، ومن الملاحظ أن هؤلاء الاساقفة الثلاثة انضموا إلى المعسكر اللايقوني خلال مرحلة الصراع. كما وقف إلى جانب الامبراطور أكبر المثقفين في عهده، وبعض كبار رجال الإدارة والوزراء، ووجوه الدولة، وبعض العامة الذين تقموا على تدخل الكنيسة ومشاركتها لهم في أرزاقهم.

وانتقل الجدل حول عبادة الايقونات من الكنيسة الشرقية إلى الكنيسة الغربية، ففي روما عارض البابا جريجوريوس الثاني قرار ليون، ومن بعده عارضه خليفته جريجوريوس الثالث، معربين عن احتجاجهم بنفس اللهجة الصارمة، التي اعترض بها جرمانوس بطريرك القسطنطينية على هذا الخطر، بل ذهب

جريجوريوس الثالث أبعد من سلفه، عندما أصدر عام ٧٣١ ميلادية قرار الحرمان من رحمة الكنيسة ضد جميع الرافضين لعبادة الايقونات، وعلى رأسهم الامبراطور ليون نفسه!. ومرة ثانية تصرف ليون بعصبية اذ أمر بالقبض على المندوب البابوي في القسطنطينية ووضعه في السجن، وأتبع ذلك بقرار جرد فيه البابوية من ممتلكاتها في صقلية وجنوب إيطاليا، وفصل كراسى الاسقفية في هذه المناطق عن سلطان البابا، مما أدى الى اتساع الهوة بين كنيسة القسطنطينية والكنيسة في روما، واستغل البابا تلك الخلافات وراح يعمل على الخروج من دائرة النفوذ والسلطان الامبراطوري الرومى، ومن هيمنة الكنيسة الشرقية اليونانية، ليدعم الكنيسة الغربية اللاتينية، وفي نفس الوقت بدأت الكنيسة اليونانية الشرقية تستعد تماما عن نفوذ وتأثير الكنيسة اللاتينية الغربية، وبذلك بدأ الشرخ الكبير يحدث منذها بانفصال الكنيسة الواحدة الجامعة التي نادى بها قسطنطين الكبير الى كنيستين متعاديتين، واحدة أرثوذكسية في القسطنطينية، وأخرى كاثوليكية في روما.

ولقد أدت المعارضة الى تحول ليون من سياسة اللين والمواذعة الى سياسة العنف والبطش

بالايقونيين، فكشرت أعمال التخريب واحراق الصور وتخطيم التماثيل، ومن بين المآخذ التي أخذت عليه احراق مكتبة كبرى كانت مجاورة لكنيسة أباصوفيا وكانت تحتوى على ٣٣٠٠٠ كتاب تقريبا، ولما احتج اساتذة جامعة القسطنطينية عاقبهم، وقيل أنه القى بهم في النار. كما ثارت عليه جزر الارخبيل اليوناني Cyclades، ونادوا بامبراطور جديد اسمه كوسماس Cosmas بعثوا به على رأس قوة بحرية غلغ ليون، غير أنه هزم، وتخطم اسطوله، وانقذت الامبراطورية من حرب أهلية مدمرة.

وبالرغم من ذلك فقد كان لقرار ليون الثالث نتائج ايجابية في مجال الفن البيزنطى، فخلال فترة الخطر التي امتدت من عام ٧٢٦م الى ٨٤٣ ميلادية اتجه الفنانون الى الرسومات الدينية المحاكية لجمال الطبيعة، وازدهر الفن الدينى المقلد للطبيعة، والذي كان مهجورا، ويطغى عليه الفن الدينى، مما أحيا الفنون الهلنستية والسكندرية القديمة، بل وبعث الحياة في روح الفن الكلاسيكى الأغريقى، وفي نفس الوقت فرت أعداد كبيرة من الرسامين الدينيين، الذين لم يقدروا على التحول من الدين الى الدنيا - الى مدن الغرب

اللاتينى، حيث وظفوا في أعمال تزيين الكنائس الغربية بالموضوعات التوراتية، سواء في روما أو فيرونا أو غيرهما من المدن، مما أحدث طفرة في فن التصوير وزخرفة الكنائس في إيطاليا، والولايات الغربية الأخرى، وبدأت روح الفن البيزنطى العريق، تغزو الفن اللاتينى وتبعث فيه الحياة.

حكم قسطنطين الخامس

الملقب بالنجس ٧٤١، ٧٧٥

وفى عام ٧٤١ ميلادية مات ليون الثالث، واعتلى العرش ابنه قسطنطين الخامس الملقب باسم كوبرونيموس Koprionymos. وتعنى النجس.

ولقد حاول كوبرونيموس ان يسير على سياسة أبه، ويتتبع خطواته، فلم يكد يمر عام واحد على توليه الحكم حتى قاد جيشه وعبر به ثغر الأيسيق لقتال المسلمين، غير أن زوج أخته ارتاباسدوس Artabados والذي يبدو من اسمه أنه كان فارسي الأصل، انتهز الفرصة، وهاجم مؤخرة جيش كوبرونيموس وشعته، وهرب الامبراطور لاجئا يتقل بين ثغور آسيا الصغرى، أما ارتابا سدوس فسقسد دخل القسطنطينية منتصرا، معلنا أنه قد هزم عدو الأيقونات، وذلك لكي يحظى بالشرعية القانونية، ولكي

يجد سندا شعبيا لحكمه بين الجماهير. ولقد أيد الرهبان هذا المغتصب، مما يؤكد أن الايقونيين كانوا وراء هذا الانقلاب.

أما قسطنطين كوبرونيموس، فقد أصروا في نفسه حقدا مريرا ضد رهبان الدير والايقونيين، وراح يتنقل من ثغر لآخر، يجمع أنصار أبيه من الجنود، حتى كون منهم فرقة صغيرة هاجم بها القسطنطينية، ودخلها عنوة ليسترد عرشه المغتصب عام ٧٤٣ ميلادية، وبعد أن طهر الإدارة من الذين خسانوه، من أنصار ارتاباسدوس، بدأ حملة انتقام ضد الرهبان واتباعهم الايقونيين، وجعل عدوه الأول ليس المسلمين ولكن الايقونيين، فاستدار ليقنطع الحركة الايقونية المعارضة من جذورها، حتى لا تعود مرة أخرى. وقاده ذكاؤه أن يعطى لانتقامه غلالة شرعية، إذ أمر في عام ٧٥٤ ميلادية بعقد مجمع مسكوني لرجال الدين للحصول على قرار شرعية سحق الايقونيين باعتبارهم مهرطقين، وتم عقد المجمع في قصر القديسات أو الاسرار القديسة (هيريا Hiera)، وحضره ٢٣٣ أسقفا من كبار رجال الدين المؤيدين له من كافة أقاليم وولايات الامبراطورية، ولم يحضره ممثلو البابا أو بطاركة انطاكية والاسكندرية والقدس،

انما اكتفى برجال الاكليروس الرومي، وعقد المؤتمر في قصر الاسرار القديسة الذي كان يقع على الشاطئ الأميوي المواجه للبوستور، مما يؤكد أن العناصر الشرقية كانت هي المؤيدة لحركة اللايقونية. غير أن بعض رجال الدين المتشددين، رفضوا حضور هذا المجمع، ووصفوه بأنه مجمع المهرطقين، وكان أول الرافضين هو بابا الكنيسة اللاتينية في روما، الذي أنزل اللعنة على كل من شارك في هذا المؤتمر، وكان للبابا أهداف سياسية وراء هذه الادانة، كما أعلن بطاركة مدينة الاسكندرية المونوفيزيون ادانتهم لهذا المؤتمر، وانضم اليهم بطاركة انطاكية والشام، وبطريك بيت المقدس في فلسطين، وقد تصادف أن كرسى البطركية في القسطنطينية كان شاغرا بعد موت أنطاسيوس، ولهذا اتخذ الايقونيون من ذلك حجة لإعلان أن هذا المجمع باطل، لأنه لا يمثل رجال الدين والاساقفة ولم يترأسه بطريك الكنيسة.

وبالرغم من هذا الهجموم الشرس على المجمع، إلا أنه استمر منعقدا لمدة ستة شهور، وراح قسطنطين يقدم البحوث تلو البحوث لكي يشرح الاسس التي تقوم عليها حركة تحريم الايقونات، وبعد أن تداول أساقفة

المؤتمر برئاسة الاسقف ثيودوسيوس أسقف افيسوس طويلا، أصدروا في نهاية شهرهم السادس قرارات تؤكد شرعية الحركة اللايقونية، وأفتوا بأن تصوير المسيح والأنبياء والقديسين في صور بشرية هرطقة، وأن التعبد للصور والايقونات ضرب من ضروب الوثنية ومن يعبدها سواء كان من المدنيين أو الرهبان سيعاقب قانونا باعتباره ثائرا ضد أوامر الله. كما اتخذ المؤتمر قرارا بطرد جميع الاساقفة، الذين يدعون إلى شرعية عبادة صور وتمثيل المسيح وأمه وحواريه، وعلى رأسهم البطريك السابق للقسطنطينية جرمانوس، وبطريك دمشق يوحنا. وعلى الفور شمر قسطنطين الخامس عن ساعديه لينفذ قرارات هذا المجمع، وأصدر أوامره بتدمير وتخطيم جميع الايقونات والصور والتماثيل الدينية، وأباح دم زعماء الايقونية، وتعقبهم وفتك بهم، وشرذ عددا كبيرا منهم، وصادر أملاكهم، وزج بعدد آخر منهم في غياهب السجون. وكان من الطبيعي ألا يترك الامبراطور أعداءه رهبان الدير، التي تحولت إلى مراكز للتأمر على حكم هذه الأسرة الحاكمة، فأصدر قرارات مهينة بحق هؤلاء الرهبان، فمثلا أصدر قرارا يفرض عليهم استبدال

أرديتهم السوداء بأردية يعضاء، وقراراً آخر يلزم الناس بالقسم بأنكار عبادة الصور ومن يرفض يقتل، وكان البطريك قسطنطين أول من أقسم على ذلك، ولذلك اعتبرت الفترة من سبتمبر ٧٦٤ إلى سبتمبر ٧٦٥ فترة الشهداء الأيقونيين، فقد قتل عدد كبير من الرهبان من أمثال اسطفانوس رئيس أحد الأديرة ليقوميليا، والراهب اندرياس، كما ألغى مبدأ العزوبة الأبدية للرهبان بإجبارهم على الزواج، واتخذ من حفلات الزواج الجماعي للرهبان حفلات صاخبة للترويح عن الجماهير الغلبة للهو والمرح. فاقام حفل زفاف صاحب في ملعب سباق الخيول الكبيرة، سار فيه الرهبان يتأبطون اذرع زوجاتهم، وسط سخيرة الجماهير ونكاتهم. وعلق المؤرخ ليوفانيس على ذلك بقوله «لقد عمل الامبراطور ضد من يغضبون الله بجنون» لأنه صادر املاك الأديرة والكنائس، وحطم ما بها من ايقونات وتماثيل، وحول بعضها الى مرافق عامة مثل كنيسة القديسة يوفينيا Euphenia التي تحولت الى دار للصناعة، وحول البعض الآخر الى مساكن عامة أو ثكنات للجند.

ولما كان الناس على دين ملوكهم، فقد تبارى حكام الثغور

في تقليد سلوك الامبراطور، بتهديد الرهبان بانهاء عزوفهم عن الزواج، والا وقعوا تحت طائلة العقاب، فتزوج من الرهبان من تزوج، وهرب الذين أصروا على العزوبة، فهجرت كثير من الأديرة، واحتل الجيش الامبراطوري هذه الأديرة، وحولها الى ثكنات للجند ومخازن للدخيرة. ومن الطريف في الأمر أن عددا كبيرا من الرهبان الأيقونيين فروا الى بغداد عاصمة الدولة الإسلامية الجديدة، إذ كانت الدولة الأموية قد سقطت، وقام مكانها الدولة العباسية عام ٧٤٩ ميلادية، حيث أسس الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور مدينة بغداد، لتكون عاصمة للدولة الإسلامية الجديدة بدلا من دمشق. واستقبلت الدولة العباسية هؤلاء الرهبان اللاجئين، لا حبا في مذهبهم، الذي يرفضه الاسلام، ولكن نكاية في امبراطور الروم. كما هربت أعداد كبيرة من الرهبان الأيقونيين للاحتباء بالبابا، وكنائس ايطاليا وأديرتها، مما كان له أكبر الأثر في ازهار الثقافة الدينية الكنسية في الغرب اللاتيني، فمقد أسس هؤلاء الرهبان المدارس الدينية مثل «مدارس الأحدة»، ذات الثقافة اليونانية وسط بحر من الثقافة اللاتينية، وهكذا للمرة الثانية،

ساهمت ثقافة اليونان في إثراء الثقافة اللاتينية، وكانت المرة الأولى في القرن الثاني قبل الميلاد عندما سقطت بلاد اليونان في حوزة الامبراطورية الرومانية الوثنية. كما هاجر عشرات من الرسامين والنحاتين الذين درجوا على التخصص في زخرفة وتزيين الكنائس بالصور الدينية الى الغرب اللاتيني، ووظفوا في مشروعات تشييد وزخرفة كنائس ايطاليا والغرب اللاتيني، فساهموا في تأسيس مدرسة جديدة للفن الديني، الذي أبدع في صنعته، وكسان بداية لمدارس الفن الأوروبي، التي وصلت الى ذروتها في عصر النهضة الأوروبية.

أما بقايا أنصار الأيقونات الذين بقوا داخل الامبراطورية ولم يغادروها، فقد بدأوا يكونون حركة مقاومة ضد حكم الأيسوريين، وتجمعت هذه المقاومة حول شخصية دينية كبيرة هي الاسقف اسطفان رئيس دير الاوكسمنتيوس Auximencios في آسيا الصغرى، وتزايد أنصار هذه الحركة بانضمام الجماهير اليها. ولما شعر قسطنطين الخامس بذلك، حاول في البداية أن يثنى الاسقف اسطفان عن عزمه باللين والحسنى، فلما فشل في ذلك دبر مؤامرة للتخلص منه، فقد دعاه للتشاور معه في العاصمة حتى

يخرجه من حصنه؛ وبينما كان اسطفان يسير في شوارع القسطنطينية مطمئنا، أوعز رجال الأمبراطور إلى الغوغاء المعادية للأيقونية، فأنقضت على اسطفان ومزقته أربا أربا، وكان لهذه الجريمة البشعة صدى سيء في نفوس شعب القسطنطينية فأعلن ادائته واستنكاره لهذه الجريمة البشعة وطالب بمعاينة الخرضين عليها، وتحول الناس تدريجيا إلى التعاطف مع الأيقونيين؛ كما ارتعد المثقفون من طغيان الأمبراطور وجنونه، وباتوا يدعون إلى التخلص منه. وبدأ الأمبراطور في أواخر أيامه يشك في ولاء حتى أقرب المقربين إليه، ففي عام ٧٦٦ ميلادية أصدر أمرا باعدام عدد كبير من القادة المدنيين والعسكريين. وكانت هذه بداية النهاية لحكم قسطنطين الخامس كوبرونيوس. فقد أصبح في نظر الناس طاغية ومهرطق يعشق سفك الدماء، ويهوى الحرق والدمار، وباتت النفوس معبأة ضده، تنتظر ساعة الخلاص منه، وتخلص الأمبراطورية من شروره وجنونه، كما أن علاقته بالجيش لم تعد كما كانت في أول عهده، وذلك بعد حركة اعدام القادة عام ٧٦٦م وبذلك أصبحت رأس الأمبراطور ناضجة تنتظر من يقطفها.

حروب قسطنطين الخامس ضد قبائل البلغار

وبالرغم من هذه الصورة الكريهة التي علفت بأذهان الناس عن قسطنطين الخامس، غير أن الباحثين العلمانيين لا ينكرون فضله وشجاعته في حماية حدود الأمبراطورية من خطر اعدائها المتربصين بها وخاصة البلغار. فقد استغل البلغار القلاقل التي سادت خلال تطبيق اللايقونية لتدعيم وجودهم في حوض الدانوب الأدنى، ووجدوا مراكزهم المتفرقة بانتخاب زعيم واحد يدعى باغان، وهو لقب أسيوى يعنى الملك. وكان أقوى «مخانات» البلغار زعيم يدعى اسباروخ Asparuch استطاع أن يوحد الصفوف، ويقضى على الفتن بين جماعات البلغار، بسبب التنافس على منصب البغان، وبعد أن وحد شملهم، قادهم في حروب ضد دولة الصقالبة والسلاف، الذين درجوا على مناهمة شبه جزيرة البلقان. ولمدة ثلاثين عاما ساد السلام بين الروم ورعاياهم البلغار، فقد كانت الأسيرة الأيسورية تشعر بالجميل، الذي أولوه لها عندما أرسلوا لمجدة أنقذت ليون الثالث من حصار مسلمة بن عبد الملك للقسطنطينية، ومن ثم تركوهم وشأنهم، مما ساعد على تقوية

شوكتهم وبناء مملكتهم حتى وصلت إلى درجة هددت الامبراطورية الرومية ذاتها، ولهذا كان على قسطنطين الخامس أن يقلم أظافرهم، قبل أن ينشبوها في لحم الامبراطورية. ومن ثم بدأ يتحرش بمملكة البلغار في أواخر حكمه، إذ كان في حاجة إلى حرب قومية ليمتص غضب الجماهير من الداخل، ويدعم عرشه الذي بدأ يهتز من تحته، وبدأ التحرش بهم عندما راح يبنى القلاع والحصون على طول حدود مملكة البلغار، لتأمين شعب الأرمن وغيرهم من الشعوب التي كان قسطنطين قد نقلها من الأقاليم الشرقية، ووطنها في إقليم تراقيا في شمال غرب البلقان، لابعاد البلغار عن الوصول إلى مياه بحر إيجه، وحاصرهم ليصبحوا مملكة داخلية مغلقة. وبالطبع لم يعجب ذلك البلغار، بالإضافة إلى ذلك حدث وأن عامل قسطنطين الخامس زعيم البلغار وممثلهم في القسطنطينية معاملة مهينة، كانت بمثابة اشغال الفتيل للحرب، وعلى أثر ذلك مزق البلغار هدوء السلام، بالعودة إلى سلوكهم القديم، وهو الاغارة على حدود الامبراطورية ولم يتعجل قسطنطين في الرد عليهم، حتى يشعر شعبه بالخطر، وبأنه القائد القادر على انقاذ

الامبراطورية من خطر البلغار، وبعد أن اطمأن الى تعبئة عواطف الشعب الوطنية وتناسى موقفهم منه، قاد قسطنطين كوبرونيموس جيشه في عدة حملات عسكرية لتأديب هذه القبائل بدأت عام ٧٥٩ ميلادية، واستمرت حتى عام ٧٧٥ ميلادية، أى لآخر يوم في حياته، ولقد حققت حملاته أهدافها إذ أرهقت دولة البلغار، وجعلتها تترخ وتكاد تسقط، لهذا لقبه شعبه باسم مفاح البلغار Bulgaro etonos وفي نفس الوقت وبين الفينة والفينة، كان يغير على حدود الدولة العباسية لشغل المسلمين عن مهاجمة دولته.

غير أن هذه الانتصارات، التي حققها قسطنطين في المشرق قابلتها خسائر لحقت بملككات الامبراطورية في الغرب اللاتيني، حيث ظلت أزمة فتكه بعباد الايقونات وبالرهبان تغلى تحت ليران العواطف الدينية الجياشة، وكان الرهبان الاجنوني يزكون ليرانها، كما استغل بابا الكنيسة اللاتينية في روما هذا الوضع، وراح يعمل على الانسلاخ تدريجيا من نفوذ الكنيسة اليونانية الشرقية ومن نفوذ القسطنطينية، مما أدى الى تدهور العلاقة بين الامبراطور في الشرق، والبابا في الغرب. ففي عام ٧٦٩ عقد البابا

اسطفان الثاني مجمعا دينيا في روما حضره ٤٤ أسقفا، نقض به قرارات مجلس قسطنطين الذي كان قد عقده عام ٧٥٤م. وقرر فيه تكفير اللايقونيين وحرمانهم من مغفرة الكنيسة. وبالإضافة الى ذلك، فإن السنوات الطويلة التي قضتها في حروب شرسة مع البلغار والمسلمين، أضعفت قبضة الامبراطورية العسكرية على ملككاتها في الغرب اللاتيني، وأصبح ممثل القسطنطينية في روما، مجرد رمز لا حول له ولا قوة؛ ومن ثم وجد البابوات الفرصة مواتية لتثبيت نفوذهم تنفيذاً للسياسة الاستقلالية، التي وضع قواعدها جريجوريوس الكبير أول بابوات روما. وإزاء هذا الضعف وعلى حسابه قويت ممالك الفرنجة خاصة مملكة اللومباردين، التي وصلت الى أوج قوتها في عهد ملكها أستولف (٧٤٩ - ٧٥٦م)، فقد وصلت هذه المملكة الى أقصى اتساع لها، حيث ضمت اليها أرخصونية ورافنا Ravenna عام ٧٥٠م، بل وصل الأمر الى تطلع أستولف الى اخضاع الملككات البابوية ذاتها، ولم يجد البابا من يحميه سوى أن يتجه الى دولة الفرنجة، التي كان نجمها بدأ يصعد في سماء القوة، لأن القسطنطينية لم تعد قادرة حتى

على حماية ملككاتها من اللومباردين؛ إذ لم يعد لها أى ملككات باقية شمال اقليم كالابريا. وفي ضوء ذلك أقدم البابا اسطفان الثاني على خطوة جريئة كانت نقطة التحول في مولد أوروبا العصور الوسطى وانفصال الغرب اللاتيني عن الشرق الهليني، إذ عبر هذا البابا جبال الألب وغم قسوة البرودة في السادس من يناير عام ٧٥٤ ميلادية من ايطاليا قاصدا بلاد الغال، حيث التقى في بونثيون Ponthion بملك الفرنجة بين القصير Pepin Brevis وعقد معه مباحثات انتهت بالتحالف المشترك بينهما عام ٧٥٣، واعترف البابا اسطفان بأن دولة الفرنجة هي القوة الجديدة والأمنية على حماية الكنيسة البابوية وملككاتها، والوريث الشرعي للامبراطورية الرومانية القديمة. ولقد تلقى قسطنطين الخامس هذه الضربة الموجهة قبل عام واحد من وفاته التي حدثت في عام ٧٧٥م.

حكم ليون الرابع الشهير

بالخزري ٧٧٥، ٧٨٠م

وربما كان من رضاء الله على قسطنطين الخامس أن توفاه وهو على سرير ملكا، تاركا عرش البلاد لأكبر أبنائه من زوجته ابنة ملك الخزر، وكان هذا الأبن

يسمى ليون ولذا لقبه المؤرخون باسم ليون اغزرى. ولم يكن ليون من عينه أبيه وجده، فقد كان ضعيفا يعانى من مرض السل، كما أن تأثير زوجته الجميلة ايرينى Irene - الاثينية المولدة - كان عليه كبيرا. وظهر هذا التأثير فى تهاونه مع أنصار الايقونات والرهبان، فقد كانت ايرينى من أشد المتحمسين لعبادة الايقونات بحكم الوطن الذى جاءت منه، والذى كان من أهم مراكز الفنون الدينية فى هذا العصر، ولهذا لم يلجأ ليون الى استخدام العنف ضد أنصار عبادة الايقونات، وتوقف عن سياسة ملاحقة الرهبان المتمردين، واغلاق الاديبة، مما جعل كثير من الرهبان يستردون نفوذهم المسلوب، ولهذا يعتبر المؤرخون المحدثون فترة حكمه بمثابة فترة انتقال بين عصر اللايقونية وعصر عودة الايقونيين، والذى جاء على يدى أرملة ايرينا عندما حكمت من بعده، وقد أنجب ليون من ايرينا ولدا سماه قسطنطين، ولم يكن هذا الأبن يبلغ العاشرة من عمره حين مات أبوه ليون من جراء مرض السل بعد خمس سنوات قضاهما فى الحكم، تاركا العرش لزوجته الجميلة طموحة وقاسية، ولولد لم يشب عن الطوق بعد، ومن ثم

حكمت ايرينا بصفقتها وصية على ولدها القاصر.

حكم ايرينا كوصية على الامبراطور القاصر قسطنطين السادس ٧٨٠-٧٩٠م

ما أن جلست ايرينا على عرش القسطنطينية كوصية على ولدها القاصر، حتى شغلت نفسها طوال السنوات الثلاث الأولى باغضاض الفتن والاضطرابات، التى أثارها أشقاء زوجها الراحل، وكان عددهم خمسة، ويتزعمهم شقيقهم الأكبر نقفور المطالب بحقه فى الحكم. كما سارعت بإرسال حملات خاطفة لتأديب الصقالبة السلافين، الذين كانوا يعيشون فى أرض البلقان فسادا. وكان تصرفها هذا بمثابة امعصاص للخطر، ولكن لم يكن كافيا للقضاء عليه، فقد كان هدفها الاساسى هو الحصول على فسحة من الوقت لتحقيق أمنية دفينه فى نفسها وهو إعادة الايقونية وعبادة الصور بطريقة شرعية، غير عابئة بمشاعر الجنود الذين كانت على أكتافهم تستند أركان الامبراطورية.

ولقد تجلّى ذكاء ايرينا فى الطريقة التى أعادت بها الشرعية الى عبادة الصور والايقونات؛ ففي عام ٧٨٤م قامت بعزل البطريرك اللايقونى باولوس وعينت مكانه

رجلا مدنيا من أنصارها اسمه طاراسيوس Tarasius فى كرسى البطريركية الشاغر، وكان ذلك أول سابقة فى تاريخ دولة الروم يعين فيها رجل مدنى فى منصب البطريرك.

ثم أوعزت اليه بالدعوة الى عقد مجمع مسكونى للنظر فى قضية تحرير الايقونية، وحرصت على أن يوجه دعوة الى بابا روما هادريانوس الأول لأرسال وفد يمثل الكنيسة اللاتينية، واستجاب البابا على الفور وكان هدف البابا هو حث البطريرك الجديد على إعادة السيادة الروحية لكنيسة روما، وارجاع الاملاك الموقوفة عليها، والتى كان ليون الايسورى قد صادرها. وبالفعل تجمع حوالى ثلاثمائة من كبار رجال الدين فى كنيسة الرسل فى القسطنطينية فى اليوم الأخير من شهر يوليو عام ٧٨٦ ميلادية معلنين عقد مجمع مسكونى، لكن ما كاد المجمع يفتتح جلساته، حتى افتحم جنود الحرس الامبراطورى قاعة المؤتمر شاهرين سيوفهم، وأجبروا المجتمعين على التفرق، ولم تستطع ايرينا أن تفعل أكثر من تسريح هؤلاء الحرس وتعيين آخرين موالين لها. وبقيت الوفود عاما كاملا حتى تم اعداد مجمع مسكونى آخر عام ٧٨٧ ميلادية.

وظهر ذكاء ايرينا مرة أخرى، عندما نقلت مقر الجمع المسكوني الى مدينة نيقية مهد أول مجمع مسكوني عقد برئاسة قنسطنطين المؤسس، حتى تضافى على هذا الجمع الصفة الشرعية والقداسة، ولسخرية التاريخ فقد كان هذا المجمع المسكوني هو السابع والأخير في تاريخ الجمع المسكونية. ولقد جاءت قرارات هذا المجمع بما تشعبى الامبراطورة، فقد أعلن بطلان الحجج التي قامت عليها حركة تحريم عبادة الصور والايقونات، وأقر شرعية الأسس التي قدمها أنصار الايقونية للملتمز، بأنها مجرد رموز لتبجيل من يظهرون مصورين عليها، وليس عبادة لها من دون الله. ومن ثم أعلن هذا المجمع إلغاء قرارات الجمع السابق، الذي عقد في عهد قنسطنطين الخامس عام ٧٥٤ ميلادية وإعلان تكفير اللايقونيين، وإعادة الايقونات الى سابق عهدها، وعلى الفور اتخذت الاجراءات لوضع هذا القرارات موضع التنفيذ فشغلت المناصب الحكومية بأنصارها الايقونيين، وابتعدت الجيش الى الحدود بحجة رد خطر المسلمين والبلغار، وأفرجت عن الرهبان المسجونين والمنفيين، ولاسيما رهبان دير مستوديون، وبهذه القرارات كسبت ايرينا حب

الجماهير لها، وعطف رجال الدين عليها، غير أنها خسرت تأييد الجيش لها، ووقوفه موقف العداء منها، فقد كان الجيش يتكون من العناصر الآسيوية الرافضة لعبادة الايقونات، والذين على مواعدهم نفذ ليون الثالث، ومن بعده ابنه قنسطنطين الخامس مذهبهم اللايقوني. كما أن الجيش كان منذ البداية ساخطاً على أن يتولى الحكم امرأة، إذ لم يتعود قادة جيش الامبراطورية أبداً أن يتلقوا أوامره من امرأة مثلاً، في وقت هم فيه في حاجة ماسة الى زعيم قوى يقودهم لانقاذ الامبراطورية من الأخطار، التي تتمثل في الدولة العباسية ومملكة البلغار. إذ يذكر الطبري أن الخليفة المهدي أرسل في عام ٧٨١ ميلادية حملة عسكرية بقيادة ابنه هارون الرشيد ضد أراضي الامبراطورية، وتوغلت حتى وصلت الى خليج البحر الذي على القسطنطينية، ويذكر ثيوفانس أن هذه الحملة قد وصلت حتى مدينة خرسوبوليس Chersopolis (أي مدينة الذهب على مدخل البحر الأسود على الجانب الأوروبي للبوسفور) ووقفت الامبراطورية عاجزة عن رد هذه الحملة العباسية، فالجنود عازفون على القتال، وحركات التمرد تنتشر في كافة ثغور آسيا

الصغرى مهد الحركة اللايقونية، ولم يكن أمام الامبراطورية غير أن تقبل شروط المسلمين المهينة، بأن تدفع لبغداد صاغرة جزية سنوية كبيرة تسدد على قسطنطين، شأنها في ذلك، شأن الجزية التي يدفعها رعايا الدولة العباسية من غير المسلمين.

ولم يكن خطر الدولة العباسية هو الخطر الأوحى الذي بات يهدد الامبراطورية، ففي الغرب، كان هناك خطر انفصال الكنيسة الكاثوليكية البابوية، وتعاظم قوة دولة الفرنجة في عهد ملكها العظيم شارلمان، وكان الروم قلقين بسبب قيام الصداقة بين شارلمان والدولة العباسية، وتحالفهما ضد الخلافة الأموية في الأندلس، وضد مصالح الامبراطورية في المشرق، ويقال أن بداية العلاقات بين البلاط العباسي، والبلاط الكارولنجي بدأت منذ حكم يمين الثالث والد شارلمان عام ٧٦٢ ميلادية. وكان على ايريني أن توقف هذا التحالف بأى وسيلة، ولقد كان شأنها شأن سائر النساء اللاتي جلسن على عرش الروم الامبراطوريات وهو استخدام الدهاء السياسي، بدلا من العنف الحربي. وكان البابا قد تلكا في التصديق على قرارات مجمع نيقية بسبب تلك الامبراطورة في

رد أملاك كنيسة بطرس، فأمرت بردها، عندئذ اعتمد البابا على الفور قرارات الجمع، فقد سعت إلى إرضاء البابا لأدراكها مدى نفوذه على الامبراطور الكارولنجي، خاصة أنها قد أصلحت ما أفسده الأيقونيون بإعادة عبادة الأيقونات، كما سعت إلى إقامة علاقات ودية مع شارلمان ملك الدولة الكارلنجية الفرنجية، فعرضت عليه في عام ٧٨١ أن يتزوج ابنها قنسطنطين القاصر الأميرة روترود Rotrud ابنة شارلمان الوحيدة، وقد قبل شارلمان على أمل أن تنجب ابنته ولدا يحكم الشرق والغرب معا، غير أن إيرينا كانت تدرك ما يدور في ذهن شارلمان، فعمدت إلى تعطيل اكمال اجراءات الخطبة والزواج، حتى تكسب الوقت، وبالفعل فسخت إيرينا خطبة ابنها عندما شعرت أنها في وضع أفضل.

انفرد قنسطنطين السادس بالحكم

وعزل أمه إيرينا ٧٩٠-٧٩٧م

وفي عام ٧٩٠ ميلادية بلغ قنسطنطين الواحدة والعشرين من عمره، وهي من انتهاء الرقاية، ونحت الخاح الجيش قام بعزل أمه، ولكنه ارتكب خطأ عندما لم يتخلص منها نهائيا كما فعل الامبراطور نيرون مع أمه من قبل، لأنه كان ضعيفا وجبالا، فسمح

لها بالبقاء في القصر، وبأنت الأم تبرص للتخلص من ابنها من أجل العودة إلى العرش بمساعدة أنصارها من رجال البلاط.

ولقد أساء قنسطنطين التصرف منذ البداية، فقد صدم مشاعر الناس بالطريقة البشعة التي تخلص فيها من أعمامه المطالين بالعرش، فقد سمل عيني عمه نقفور، وقطع السنة أعمامه الآخرين، وصدم مشاعر الجيش عندما سمل عيني قائد ثغر أرمينيا مما أدى إلى تمرد جنود ذلك الثغر عليه، وكان نعمة في الحروب، ففي عام ٧٩٢م ولي هاربا من معركة مع البلغار عند حصن ماركيللاي على الحدود، تاركا كبار قواده يقيمون في الأسر، وحقق البلغار نصرا سهلا على الامبراطورية الرومية ومهينا لكبريائها. فقد أجبر البلغار على دفع ائارة سنوية على نحو ما تدفع الامبراطورية للمسلمين.

وكلما زادت رعونته وضعفه طالب البلغار بزيادة الاثارة، وهكذا توالى النكبات والهزائم في عهده على الامبراطورية. ولقد بلغ السيل الزبى عندما أغضب الكنيسة بطلاق زوجته دون سند شرعي، وقيامه بالزواج من إحدى وصيفات القصر رغما عن أنف الكنيسة، وأعلنت الكنيسة أن هذا الزواج باطل، بالاضافة الى

ذلك، فقد كانت الوصيفة العروس مطلقا وطبقا لقوانين الكنيسة «فان من يتزوج بمطلقه فانما يزني بهاء» ومن ثم أضيفت إلى تهمة بطلان الزواج تهمة الزنا. وانتهزت الأم السخط على ابنها من جانب الجيش للعار الذي جلبه عليهم، والسخط الشعبي لجرائمه والبشعة ضد أعمامه، وسخط الكنيسة لطلاق زوجته والزواج من الوصيفة المطلقة، وأدركت أن ابنها يقف وحيدا بلا سند، فخرجت من جناحها بالقصر، وبمساعدة اثنين من كبار مستشاريها هما ستاوريكيوس Stauricios وأيتيسوس Aetios، استولت ورجالها على حجرة العرش، وألقت القبض على ابنها الامبراطور، وأمرت باقتياده إلى الخدع الذي ولد فيه، وبلا رحمة أمرت بسمل عيني، معلنة أنه غير مؤهل لحكم الامبراطورية، وأعلنت عودتها إلى الحكم منفردة مرة أخرى، ولكن ذلك لم يوقف الكوارث، فقد أصبح سقوط حكم الأسرة الأيسورية وشيكا.

حكم الامبراطورة إيرينا

منفردة ٧٩٧-٨٠٢م

ولم يكده يمضي سنوات ثلاث على جلوسها على العرش، حتى تلتق الامبراطورية في وقت خرج صفعة قوية من البابا ليو

الثالث، وحاميه الملك شارلمان ملك الفرنجة . ففي عام ٧٩٩م قامت ثورة في دوقية البابا في روما، ولم يجد البابا من يستجير به سوى شارلمان، الذي أسرع بقواته فقمع الثورة. وثبت أقدام البابا بقوة السلاح. واعترافا بهذا الجميل دعاه البابا لزيارة روما والصلاة في كنيسة القديس بطرس، لتتزامن مع قداس عيد الميلاد لعام ٨٠٠ ميلادية. وبعد القداس، ركع شارلمان على ركبته في حضرة البابا، وبالفراق بين الاثنين وضع البابا تاجا فوق رأس شارلمان مناديا، «انهض يا امبراطور الرومان الأوحده» *exurge, imperatore soli Romanum* وكانت هذه الصيغة بمثابة اعتراف شرعي من قبل البابا وبحق شارلمان في فرض سيادته على شطرى الامبراطورية الرومانية الشرقي والغربي، ولم يكن شارلمان في حاجة إلى اعتراف البابا بسيادته على الشطر الغربي، لأنه كان من الناحية الفعلية، هو صاحب السلطة العليا في أوروبا الغربية، انما كان في حاجة لفتوى شرعية بأحقيته في ضم الشطر الشرقي وتوحيد الامبراطورية، كما كان للبابا قصده من هذا الاعتراف، وهو تخليص الكنيسة اللاتينية من نفوذ القسطنطينية الديني والديوي بل جعل الكنيسة

البابوية في روما هي الكنيسة العليا على كافة كنائس الامبراطورية الموحدة بما في ذلك كنيسة القسطنطينية، كما أن رضا شارلمان بأن يتوجه البابا كان بمثابة تنازله عن السلطات الدينية والاكتفاء بالسلطة الزمنية، وهكذا أصبح من حق بابوات روما تنويع الأباطرة، مما سبب خلافات فيما بعد بين الأباطرة والبابوات، حول من له السلطة العليا على الآخر البابا أم الامبراطور؟، أو بمعنى من يعين الآخر الامبراطور أم البابا؟ ولقد قدم البابا لمر لهذا الحدث، بأن أعلن استنكار كنيسة روما للطريقة التي استولت بها الامبراطورة أيريني على العرش، وسلمها لعيني فلذة كبدها، كما رفض أن يعترف بجلوس امرأة اغريقية على عرش الامبراطورية الرومانية، كخليفة للقديس بطرس نائب المسيح، كما استنكر أن يدعن العالم المسيحي لسلطان امرأة قاتلة، وبناء على هذه الحثيات اعتبر البابا ليو الثالث عرش الامبراطورية شاغرا، وأن شارلمان الابن البار للكنيسة الكاثوليكية، وحامي حمى البابوية، وخادمها المطيع، هو الرجل المناسب للمنى كمرسى العرش، وبذلك يتوحد شمل الامبراطورية الرومانية بشطريها كما كانت على عهد قسطنطين الكبير.

ولقد سبب تنويع شارلمان امبراطورا قطيعة كبيرة بين الشرق الاغريقي والغرب اللاتيني، فقد شعرت كنيسة القسطنطينية الاغريقية أن تعديا قد وقع عليها، من جراء رفض البابا ليو الثالث، أن يعترف بحق الامبراطور الشرقي في فرض كلمته على الكنيسة اللاتينية الغربية، كما شعرت هذه الكنيسة أيضا، أن نفوذ البابا على كنائس غرب أوروبا يفوق نفوذ بطريرك القسطنطينية على هذه الكنائس. ولقد استقبلت الامبراطورة أيريني نبا تنويع شارلمان امبراطورا على يد البابا بانزعاج شديد، وفي نفس الوقت كان شارلمان قلقا من رفض القسطنطينية الاعتراف بتنويجه، واحتمال وصول امبراطور قوى يحل محل أيريني، يعمل على استرداد نفوذه بقوة السلاح، اذ لم يكن لشارلمان القوة العسكرية القادرة على صد قوات الجيش الامبراطوري الرومي المتمرس في فنون القتال، والمكونة من العناصر الشرقية الشرسية، ومن ثم لجأ شارلمان إلى سلاح السياسة، اذ بعث في عام ٨٠٢م بوفد إلى القسطنطينية ليعرض على أيريني الزواج، فرحبت به وبدأت تستعد للمعرس. ولقد استاء الحرس الامبراطوري لهذا التصرف، الذي أودى بها

الى الوقوع فى مصيدة شارلمان، فثار عليها، وأطاح بها من على العرش، وكان المدبر لهذا كله وزير خزانة نقفور الأول (Nicephoros)، وتم نفي أبريني الى احدى الجزر البعيدة، وبقيت فيها حتى ماتت، وقد تم ذلك فى نهاية عام ٨٠٢ ميلادية، وبذلك انتهى حكم الأسرة الأيسورية الفعلى عند هذا التاريخ، لأن العرش ذهب الى بعض المختصين له.

حكم نقفور الأول Nikephoros

٨٠٢ - ٨١١ م

كان نقفور من أصل أسوى مثل سائر الأباطرة الأيسوريين، واستمر حكمه تسع سنوات نهج خلالها نهج أباطرة هذه الأسرة، فقد كان كارها لعبادة الايقونات، ومتحرقا لتحطيم الصور والتماثيل الدينية، فأعاد الحظر القديم على عبادة الايقونات، واضطهد الايقونيين مما اكسبه حنى الرهبان، الذين كانوا يحتكرون كتابة تاريخ الدولة، فرسموا له صورة بشعة كريمة مليئة بالتجنيات والقلند، مثلما فعلوا مع ليون الثالث وولده قسطنطين الخامس.

فلقد برز فى عهده معارض وخصم عنيف هو الراهب ثيودوروس Theodoros رئيس رهبان دير مستوديون القريب من

القسطنطينية الذى انبرى للدفاع عن الايقونية مثلما فعل يوحنا الدمشقى فى عهد اسلاف الامبراطور، مطالبا بعودة الرهبان المشردين، وعندما ارسل اليه الامبراطور نقفور يستشير فى أمر تعيين بطريك جديد بعد وفاة البطريرك طاراسيوس Tarasios الذى توفى عام ٨٠٦ م، رد ثيودوروس (هبة الله) بخطاب تملق فيه الامبراطور، مبديا ما يفهم منه استعداداه لشغل ذلك المنصب لأن الشروط التى نصح بها تتوافر فيه وحده، مثل الخبرة، الاستقامة، والتدرج فى ملك الكنيسة من ادناه إلى أقصاه، غير أن الامبراطور تجاهله، وعين فى منصب البطريرك أحد المؤرخين من رجال الدين من المناصرين له اسمه أيضا نقفور، فحنق الراهب ثيودور على البطريرك نقفور واتهمه بأنه العموية فى ايدى الامبراطور نقفور، وانتهاز فرصة موافقة البطريرك على زواج الامبراطور للمرة الثانية بمقتضى قرار من مجلس كنسى، فجمع ثيودور مجلسا معارضا، واعلن أن مجلس البطريرك «جماعة من الزناة والمهرطقين»، وأن البطريرك قد ضحى بالقواعد الدينية فى سبيل ارضاء الامبراطور وانتهى الأمر بطرد ثيودور من رئاسة

الدير، ومعه زميله أفلاطون، عندئذ أعلن رهبان دير مستوديون «سوف نتحمل كل شئ».

ولقد واجه نقفور الأول عدة زوابع سياسية، وأزمات وأخطار عسكرية، فقد كانت امبراطورية الروم واقعة بين المطرقة العربية، والسندان البلغارى، فضلا عن استمرار الضغط النفسى من جانب شرلمان فى الغرب لينتزع اعترافا بلقب «امبراطور الروم»، فقد بدأ شارلمان يستخدم صداقته الحميمة مع الدولة العباسية فى عهد هارون الرشيد، لاجداث المزيد من الضغط النفسى على سلطات القسطنطينية، ولقد حاول نقفور تهدئة شارلمان، باجراء محادثات معه حول الاعتراف بلقبه، ولكن لم يكن فى يده الاعتراف بهذا اللقب، وإنما ارضاء لشارلمان وتهديده، وابطال مفعول الصداقة والتحالف بينه وبين الدولة العباسية.

وفى نفس الوقت، التفت المصالح والأهداف العباسية بالمصالح والأهداف الكارولنجية، فلقد كان هدف شرلمان من هذه الصداقة الحصول على تأييد العباسيين لتضييق الخناق على الحكم الاسلامى الأموى فى الأندلس، ونحن نعرف ما كان

بين العباسيين والأمويين من ثأر وعداء، كما كان هدفه أيضا من تلك الصداقة ضمان حسن معاملة الحجاج اللاتين الى بيت المقدس، والضغط النفسى على القسطنطينية لتستجيب الى طلبه، وهو الاعتراف به امبراطورا على الغرب اللاتينى. أما هدف العباسيين، فقد كان أيضا الضغط النفسى على القسطنطينية لجعلها تقع بين نارين، نارهم فى الشرق، ونار شارلمان فى الغرب، أملا فى أن يعجل ذلك بسقوطها الذى كان أملا عزيزا فى نفوس العباسيين. وفى نفس الوقت التعبير عن سخطهم على الخلافة الأموية القائمة فى الأندلس، حتى ولو أدى ذلك إلى وقوع الأندلس فى أيدي الفرنجة، أى أنها صداقة تقوم على مساومة ومبادلة (quid pro quo) القسطنطينية للمسلمين، مقابل الأندلس للفرنجة. ومن الطريف أن كلا من الحكم الأموى فى الأندلس، والرومى فى القسطنطينية أدركا هذه المؤامرة، فعملا على تقوية أواصر الصداقة بينهما بتبادل الوفود نكاية فى العباسيين، وبهدف خلق محذور رومى - أندلسى، فى مواجهة الخوارج العباسى - الكارولنجى.

وتحدث المؤلفات اللاتينية فى الغرب عن الصداقة الحميمة

بين هارون الرشيد وشارلمان، والزيارات التى لم تتوقف للوفود بين بغداد وأكس لا شابل، دون معرفة الأهداف الخفية لهذه الصداقة، وبلغ الكرم العربى أقصاه عام ٨٠٦م عندما أرسل هارون الرشيد وفدا يحمل هدايا تمثل بذخ الشرق وثرائه، فقد أرسل منسوجات حريرية مخملة، وأخرى قطنية، ولم يكن الغرب قد عرف المنسوجات القطنية بعد، كما أرسل مع الوفد فيلا أبيض اللون من فصيلة نادرة، وساعة من النحاس الأصفر تعمل بالماء، وقد حملت هذه الهدايا النفيسة، التى خلعت لب البلاط الكارولنجى فى مركب كبير سار من بغداد حتى مدينة أكسى لا شابل (آخن الحالية (Aachen))، وقدم الوفد الهدايا الى شارلمان ومعها خطاب يدوب رقة يقول فيه هارون الرشيد «أنه يضع مودة شارلمان فوق مودة كل الملوك الآخرين».

ولم يعلم هارون الرشيد أن هذه الصداقة مؤقتة، فقد كان شارلمان على استعداد أن يقلب ظهر الحن لهارون الرشيد، لو أن الامبراطور نقفور اعترف بحقه فى حمل لقب امبراطور الرومان، والدليل على ذلك أنه لم تكذب تمر بضعة قرون حتى جاء أحفاد شارلمان غازين لنيار الاسلام فى

حرب عدوانية، هى الحروب الصليبية، غير أن سياسة الروم كانت من الغباء لدرجة أنها رفضت بعناد الاعتراف بشارلمان امبراطورا. لما مات هارون الرشيد عام ٨٠٩ ميلادية، وتلى موته اندلاع الصراع بين ولديه الأمين والمأمون، فترت الصداقة العباسية الكارولنجية وتلاشت تماما، ولم يتم ذلك فى عهد نقفور باى حال من الأحوال.

ولما حاول نقفور أن يجرب حظّه فى ميدان الحرب، قاد حملة عسكرية مع ابنه وولى عهده ستاوراكيوس Staurakios ضد ملكة البلغار، انتهت بهزيمته ومصرعه، وهروب ابنه الى مدينة هادريا نوبوليس بعد أن تلقى جروحا بالغة تسبب عنها عجزه عن الحكم، ولم يبرز أحد من أسرة نقفور ليتولى العرش سوى زوج ابنته بروكوبيا Procopia ويدعى ميخائيل الرنجاى، ولذلك ساعدته مجموعة من النهازين من رجال البلاط، أملا فى الافادة المادية منه، حتى أوصلوه الى العرش بعد أن أجبروا ستاوراكيوس على دخول الدير، وذلك فى أواخر عام ٨١١م وقام البطريك نقفور بتتويج امبراطورا.

حكم ميخائيل الأول الرنجاى

٨١١-٨١٢م Rhangabe

كان ميخائيل الأول الشهير

بالرجائي Rhangabe ، ينحدر من سلالة يونانية تماما مثل الامبراطورة السابقة ايريني، أى أنه لم يكن مثل بقية أباطرة الأسرة الأيسورية الذين ينحدرون من سلالات شرقية، ومن ثم كان مثل ايريني متعاطفا مع أنصار الايقونية، كما كان قد تلقى تعليمه فى طفولته على يد الراهب ثيودورس Theodoros كبير الرهبان فى دير البحث الدينى الشهير، والمعروف عند الروم باسم الاستوديون Studion ، والذي كان الامبراطور نقفور قد عزله ثم لفاه مع زمرة من أصحابه الرهبان خارج البلاد أثناء حركة التطهير، التى قام بها ضد الايقونيين، ولذا فما أن جلس ميخائيل على العرش، حتى استدعى استاذ الراهب من المنفى هو ورفاقه، بل جعله مستشارا له فى أمور الدولة، وبناء على نصائح ثيودورس عزل ميخائيل القيادات العسكرية والادارية لجرد أنها كانت معادية للايقونيين، مما أدى إلى أسوأ النتائج، اذ خسرت الامبراطورية كفاءات نادرة فى وقت كان الأمة فى ميس الحاجة اليسهيا، ونمخص عن ذلك التصرف أن تعرضت الامبراطورية الرومية لسلسلة من الهزائهم المهينة على الصعيدين السياسى والعسكرى.

وعلى الصعيد السياسة الداخلية، تميز عهد ميخائيل الرجائي بموادعة الايقونيين، ولذلك يعتبر عهده حلما فاصلا بين فترتين تتسم كل منهما بالشدّة والعنف، فلسفه وصهره نقفور كان لا ايقونيين منهم المتطرف ومنهم المعتدل، فقد كان الامبراطور أداة طيعة فى يد البطريك نقفور خاصة فى سياسته ازاء الدين والكنيسة، كما أظهر الامبراطور ميخائيل تعاطفا مع عبادة الايقونات وأنصارها، فقد اعاد الرهبان المشردين والمنفيين، وأغدق بالهدايا والهبات النفيسة على الكنائس والاديرة والبيمارستانات، وغيرها من المؤسسات الخيرية. ولما حاول المصالحة والتوفيق بين البطريك نقفور وخصمه اللدود ثيودورس، انتهز هذا الأخير الفرصة، وطلب منه أن يعلن هرطقة اللا ايقونيين، واعداد زعمائهم حتى يعود اتباعهم الى الطريق الارثوذكسى السليم، ولذلك لم نسمع عن أى حركة لا ايقونيون، فقد انتهزوا فرصة الاستياء العام من سياسة الامبراطور المتسامحة مع الايقونيين، وحاولوا تخليص أبناء قنسطنطين الخامس من المنفى حيث كانت عيونهم قد سحلت وأطرافهم قد بترت، مستغلين ذلك لكى يستندوا

عطف الجيش وتأليبهم على الامبراطور، غير أن هذه المؤامرة كشفت، فشددت الرقابة على الامراء المشوهين، وقطعت السنة المتأمرين.

وعلى الصعيد السياسى، انتهت مفاوضاته مع شرلمان فى آكس لا شابيل باهانة كبرى، عندما رضح لمطلب شرلمان، واعترف به رسميا امبراطورا على الرومان عام ٨١٢م مقابل أن يتركه شرلمان يحتفظ بجزر البندقية، ذات الاهمية التجارية الكبرى، ومقابل تركه لسياسة الصداقة مع الدولة العباسية، وتحسين علاقاته مع القسطنطينية، وبالفعل توقفت العلاقات مع الدولة الاسلامية العباسية بعد ذلك التاريخ، الذى اعترف فيه الروم بشرلمان امبراطورا على الرومان فى الغرب. ولقد حاول ميخائيل أن يقلل من تأثير هذا الاعتراف بالمسارعة بتغيير لقبه من ملك Basileus إلى امبراطور Autokrator ، غير أن تغيير اللقب لم يجد من الأمر شيئا، فقد أصبح هناك امبراطوران فى وقت واحد لامبراطورية من المفروض أن تكون من الناحية النظرية واحدة. غير أنه على أثر هذا الاعتراف أصبح هناك من الناحية الفعلية امبراطوريتان واحدة شرقية، وأخرى غربية،

كما أصبح أيضا هناك كنيسة
واحدة أرثوذكسية يونانية شرقية،
وأخرى لاتينية كاثوليكية غربية.
وانتهت بذلك إلى الأبد أحلام
المؤسس قسطنطين الكبير، في
تحقيق الامبراطورية الواحدة
والكنيسة الجامعة.

وعلى الصعيد العسكري تلقى
الجيش الامبراطوري الرومي هزيمة
شنعاء على يد ملك البلغار القوى
كروم Krum ، الذي مرغ الشرف
العسكري للروم في الوحل في
احدى المعارك. وعندما عاد الجنود
الى القسطنطينية بقصون على
الشعب التفاصيل الكاملة لهذه
الهزيمة، فار الدم في عروقي
الناس، واستغل اللايقونيون
التحيز والقلق، فاعلنوا أن ما
أصاب الأمة من كوارث هو
غضب من الله، بسبب سياسة
الامبراطور المؤيدة لعبادة الصور
والتماثيل والايقونات، وتدفعوا في
عام ٨١٣م على قبر قسطنطين
الخامس ، سفاح البلغار، وأكثر
الاباطرة الايسوريين صرامة في
استئصال شافة الايقونيين، وراحوا
ينادون عليه، وهم يبكون، أن
ينفض من محبته، لينقذهم من
مذلة ملك البلغار الجبار، ولكي
يستلهموا من القيصر الراقد إلى
الابد روح النصر لانقساد
القسطنطينية من الخراب، حتى
الجماعات الساخطة على

قسطنطين الخامس لجرائمه
وطغيانه، نسوا مافعله بهم،
وانضموا إلى زمرة المعادين
للايقونية. وحسم الموقف عندما
انضم الجيش الى المظاهرة التي
تحولت الى انقلاب عسكري قاده
قائد عسكري أرمني الأصل اسمه
ليون، أعلن فيه عزل الامبراطور
ميخائيل . وهتف الجيش والشعب
بحياة ليون، وحملوه على
الاعناق الى القصر الامبراطوري،
وأجلسوه على العرش. وهكذا آل
العرش الى الامبراطور ليون
الخامس.

حكم ليون الخامس الأرمني ٨١٣، ٨٢٠
كان ليون ضابطا في الجيش،
ومن العناصر الشرقية، فقد كان
أرمني الأصل، ومن ثم فقد كان
متوقفا أن يتخذ خطا متشددا مع
الايقونيين جريا على عادة الاباطرة
العسكريين الشرقيين، واستجابة
لمشاعر الجماهير التي حملته الى
العرش، غير أنه فاجى الجماهير
والجيش باتباعه سياسة معتدلة
ومحايدة، تهدف الى ارضاء أنصار
الايقونية وأعدائها في وقت واحد،
اذ أمر ببقاء الصور والتماثيل
والايقونات بشرط أن تعلق عاليا،
وبحيث لاتصل اليها أيدي
المتعبدين، فلا يتسنى لهم
التمسح بها والصلاة لها طلبا
لبركاتهما، غير أن هذه السياسة
«الراقصة على الحبل» ، وجاءت

على عكس ما كان يتوقع لها
الامبراطور المنافق، فعندما شرع
الجنود الموالون له في زحزحة
التماثيل، ورفع الايقونات والصور
داخل الكنائس، هاج رجال
الدين والرهبان، وعلى رأسهم
البطريك نقفور نفسه، وهتفوا
بسقوط الامبراطور ليون الخامس .

وعلى الجانب الآخر شعر
أعداء الايقونية من العامة، ومن
الجنود الاسيويين أن الامبراطور قد
خان الأمانة، التي جاءوا به من
أجلها إلى العرش، وغسدر
بمشاعرهم، وخيب آمالهم، وأنه
رجل انتهازي لا مذهب له الا
الاحتفاظ بكرسى العرش،
فانطلقوا في تحذ سافر إلى
الكنائس، يحطمون التماثيل
المقدسة، ويحرقون الصور
والايقونات، ومن ثم عمت
الفوضى وأعمال الشغب كافة
أنحاء الامبراطورية، لكن
الامبراطور لم يغضب من
تصرفات اللايقونيين، بقدر ما
أثاره هتاف رجال الدين ضده،
فتحول الى عدو لدود لهم،
وهجر سياسة المصالحة، ليتبنى
سياسة التطرف والاضطهاد ضد
أنصار الايقونية، يعاونه في ذلك
أكبر المثقفين في عهده وهو يوحنا
النحوي أحد رؤساء الاديرة
المكروه من الكنيسة لهراطقته،
وكذلك الأسقف المستنير

أنطونيوس، وثيودوتوس كاسيثيرامس Theodotus Kassteras وهو ابن شقيق الزوجة الثالثة لقنسطنطين الخامس. وقد حرص هذا الفريق ليون الأرمني الخامس ضد الايقونات، فكلّف يوحنا النحوي أن يكتب بحثاً حول رأى الشرع والسلف الصالح فى عبادة الايقونات، وأجاز له دخول أى مكتبة والاستعانة بأى مرجع، وانتهى يوحنا من البحث عام ٨١٤م؛ وطلب من البطريك نففور ابداء رأى الكنيسة فيه، فاعترض عليه؛ خاصة بعد رفع الايقونات والصور الى علو شاهق حتى لا يتمسح بها الناس، ومن ثم فعل ليون الخامس الشهير بالارمنى مثلما فعل قنسطنطين الخامس من قبل، وهو أنه أمر بعقد مجمع دينى لرجال الدين الشرقيين، وتحت الحاحه اصدروا قرارا عام ٨١٥م يحرم عبادة الصور والايقونات والتماثيل، واعتبارها ضرباً من ضروب الهرطقة الوثنية؛ وما أن صدر ذلك القرار حتى بدأ ليون الخامس فى تصفية حساباته مع الرهبان ورجال الكنيسة، بادئا باصدار قرار يعاقب كل من يدعو الى عبادة هذه الأوثان، وطرده من رحمة كنيسة القسطنطينية، وانزال لعنتها عليه، وعلى رأسهم البطريك نففور وأعوانه من

الرهبان المتزعمين لحركة الايقونية. وفى الحقيقة لم يلجأ الامبراطور الى هذه القسوة الا بعد فشله فى اقناع الكنيسة بقبول حل وسط، فقبل عقد مجمع عام ٨١٥ حاول التوفيق بين الفريقين، فدعا زعماء كل منهما الى القصر لاجراء مناظرة، وخوفاً من تحول النقاش الى حرب أهلية، قام باستقدام البطريك ليلا الى القصر ومعه ثيودوروس رئيس دير ستوديون، غير أن هذا الأخير قال «ليس للامبراطور حق التدخل فى شؤون الكنيسة، فحكمه قاصر على الشئون الحربية والمدنية، وللكنيسة الحق فى أن تحكم نفسها بنفسها» عندئذ استشاط الامبراطور غضباً، وتحمس اللاأيقوليون، وهجم أنصارهم يساعدون جنود الجيش، وانتزعوا صورة المسيح المعلقة على باب القصر، والنى كانت ايرينى قد اعادتها الى مكانها وقذفوها بالطين والحجارة، وهنا قال الامبراطور: «دعونا نزيل هذه الصور حفظاً لها من الاهانات»، كأنه ليس مسئولاً عما حدث، وكثرت احتجاجات ومقالات ثيودوروس وكثير تحريضه للرهبان واثارتهم، ومن ثم قام الامبراطور بعزل البطريك نففور، وعين مكانه رجلاً علمانياً مدنياً هو ثيودوروس وذلك فى عام ٨١٥م،

وذلك رغماً عن انف الرهبان واحتجاج سلطات الكنيسة، لكنه تعلل بسابقة قانونية وهو أن الامبراطورة ايرينى سبق لها - وهى ايقونية متعصبة - أن عينت رجلاً مدنياً فى منصب البطريك. وبعد صدور قرارات مجمع عام ٨١٥ حاول تطبيقه فى أول الأمر باللين والحسنى، ولما حاول رئيس دير ستوديون ثيودوروس الاعتراض، سجنه ونفاه، فقد كان أشد ما أثار ليون الخامس هو محاولة هذا الراهب اللجوء الى البابا فى روما باعتباره السلطة الروحية العليا التى لا ينبغى أن يعترض عليها أحد، ولذا اعتبر ليون الخامس هذا التصرف من ثيودوروس جريمة لا تغتفر، فصديق على قرار نفيه وسجنه. ولقد امتنع هذا القرار غضب الجماهير والجنود، التى كانت آمالها قد خابت فيه، وهدأت الأحوال، وعساد الأمن والنظام، لكن الجنود الاسيويين، وزعماء اللاأيقولية، لم يغفروا له أبداً خطيئته وخيائته لمشاعرهم، وعزموا على التخلص منه عندما تلوح الفرصة، فبعد خمس سنوات من صدور قرار المجمع الدينى، وأثناء الاحتفالات بأعياد الميلاد، تمكن أحد رفاق الامبراطور من ضبط الجيش السابقين من أن يغمد خنجره فى

ظهره، فخر صريعا، مضرجا في دمهائه، ولم يحزن عليه أحد. وبموت ليون الخامس أسدل الستار على تاريخ الأسرة الأيمورية والمنتسبين لها، وبدأ حكم جديد لأسرة جديدة هي الأسرة العمورية.

حكم الأسرة العمورية (الفريجية)

٨٢٠، ٨٦٧ م

ميخائيل الثاني المتلعثم: ٨٢٠، ٨٩٢

بعد مقتل الامبراطور ليون الخامس الأرمني، جلس على العرش أحد قادة الحرس الامبراطوري اسمه ميخائيل، ولقد أطلق عليه تهكما لفظ المتلعثم «Baltos». ولقد كان ميخائيل الثاني ينتمي الى سلالة أسيوية تنسب إلى عمورية Amorion في ولاية فريجيا في آسيا الصغرى Phrygia، ولذا فقد عرف باسم العموري أو الفريجى، كما وصفت الأسرة باسم العموريين أو الفريجيين، وهو مؤسس هذه الأسرة.

وعلى النحو الذى سار عليه أسلافه الأباطرة الأسيويون من قبله، كان ميخائيل الثاني معاديا لعبادة الايقونات، ومن ثم جعل الحظر عليها مستمرا، غير أنه لكي يحقق الوحدة الوطنية بين أطراف الامبراطورية المنهوكة القوى، تظاهر بمظهر المحاييد فيما يختص بالصراع بين اللايقونيين والايقونيين. ومن ثم حظر على الناس الدخول فى مناظرات ومجادلات دينية فى العلن، وفى

الاماكن العامة حول هذا الموضوع ولارضاء الايقونيين وتهنتهم، أعاد الرهبان من الاديرة الثانية التى كان سلفه ليون الأرمنى قد نفاهم اليها، وأعلن على الملأ حرية كل فرد فى ممارسة عقيدته المسيحية بالطريقة التى تروق له. واختبارا لصديق نواباه، طالبه زعماء الايقونيين والرهبان، بأن يأمر باعادة التماثيل والايقونات الى أماكنها الأصلية التى كانت فيها قبل أن ينقلها جنود ليون الخامس، وشعر الامبراطور الجديد بأن الاستجابة الى هذا المطلب سوف يدفع اللايقونيين الى الثورة عليه، لأنهم احتملوا أكثر من اللازم، ولهذا رفض مطلب الايقونيين، مما أدى إلى عودة الصراع من جديد بين أنصار الايقونية وأعدائها. بالاضافة إلى ذلك فقد أثار ميخائيل غضب كنيسة القسطنطينية والمشايعين لها عندما اتخذ لنفسه زوجة ثانية، وهذا أمر مرفوض طبقا لتعاليم الكنيسة، وبأيت كان الأمر ينتهى عند هذا الحد، إذ كانت هذه الزوجة الثانية راهبة اسمها يوفروسوني Euphrosyne، وكانت ابنة الامبراطور قسطنطين السادس، وذلك لكي يعطى نفسه شرعية ورائة عرش الامبراطور.

وفى البداية، لم يشك ميخائيل فى أن ثيودوروس رئيس رهبان دير مستوديون كان على اتصال سرى بالبابا فى روما

خلال فترة الابعاد عن البلاد، لكن تأكد له ذلك عندما بعث البابا باسكاليس الأول برسول يطلب من الامبراطور «العودة الى الدين الصحيح»؛ ورد الامبراطور على هذه الرسالة بقوله «ان الاوتوقراطية الامبراطورية هي السلطة العليا فى المسائل الروحية والمدنية على السواء» ولكي يقطع الطريق على البابا، سارع ميخائيل بالكتابة الى الامبراطور الفرنجى لويس الطيب Louis le Debonnaire عام ٨٢٤ م، موضحا له خرافة عبادة الايقونات والصور، ومبيناً له أن بعض رجال الدين يأخذون دهان وزيت الصور ويمزجونه بالخمر والتبيل ويبيعونه للجمهور، كما طلب منه فى نهاية الرسالة التدخل لدى البابا لكي يتخلى عن حماية عباد الصور والايقونات اللاجئين الى بلاد البابا فى روما، لكن حدث ما لم يكن فى الحسبان؛ إذ وصلت اليه رسالة من البابا يطلب منه النجدة لحمايته من اللومباردين؛ عندئذ رأت الكنيسة الكاثوليكية الافرنجية (الفرنسية) أن تتخذ موقفا وسطا من ذلك الصراع، واستقر الراى على عقد مجلس دينى فى باريس عام ٨٢٥ م بأمر من الامبراطور الفرنجى لبحث قضية عبادة الايقونات بالتفصيل؛ ومن باب الجاملة والاحترام طلب لويس الطيب موافقة البابا الجديد يوجينيوس Eugenius الذى خلف باسكال، فوافق على قرار المجلس

الذي كان ينص على انكار عبادة الايقونات، وفي نفس الوقت يلوم من محطمتها، ويسمح ببقائها دون عبادتها. كما توسط لويس الطيب لعقد الصلح بين البابا الجديد والامبراطور ميخائيل من أجل وحدة الكنيسة.

الاحطارات التي واجهت

الامبراطورية في عهده:

١، ثورة توماس الصقلي،

كان توماس زعيما صقليا، ساءة أن يرى قومه السلافيين يعاملون معاملة سيئة من قبل سلطات الامبراطورية، وكما قاد سبارتاكوس التراقي العبيد ضد روما، قاد توماس السلاف ضد القسطنطينية. وسرعان ما لقيت دعوته استجابة من العناصر والقوميات المغبونة حقوقها في كافة أنحاء الامبراطورية، فانضم اليه الساخطون من الأقبان والعبيد، كما استجابت لدعوته عناصر من الفرس، والأرمن، وقبائل القوقاز، التي كانت تدخل في نطاق الامبراطورية، ثم انضمت اليه معظم قوات الجيوش العسكرية في آسيا الصغرى، والتي كانت تتكون من الصقلية والأرمن والاسيويين، كما انضمت اليه القوات البحرية بقطع من الأسطول ذاته، واستغل عاملو الضرائب في آسيا الفرصة فقاموا بأموالهم على نجاح ثورة توماس فايدوه، وانقسمت الامبراطورية الى شرقيين وغربيين؛ بل أن

توماس كسب الى جانبه شقا من الساخطين في الجزء الأوروبي من الامبراطورية، عندما أعلن تعاطفه مع الايقونيين. وأصبح للشوار قوات برية واسطول بحري، واتخذ توماس من مدينة أنطاكية مركزا له. ولما رأى الأحوال تتسردى، والاضطرابات الدينية تصاعد، لم يعد يطالب بتحرير السلاف وبقية الشعوب المقهورة، بل تحدى الامبراطور ميخائيل الثاني في عقر داره، وأعلن أن هدفه هو القسطنطينية. وبذلك تحولت هذه الثورة الى حرب أهلية تذر بالخطر.

ولم يكف توماس بتجديد الساخطين داخل الامبراطورية، بل سعى الى طلبى العون الخارجى من الدولة العباسية، فبعث بوفد من قبله الى بغداد يطلب المساعدة العسكرية من الخليفة المأمون، مقابل أن يتنازل عن بعض مناطق الحدود في آسيا الصغرى، ووجد الخليفة المأمون أنها صفقة رابحة تقربه من أمه وأهل المسلمين في احتلال القسطنطينية، وقد ساعد المأمون على ذلك استتجاب الأحوال والفتن داخل الدولة العباسية بعد مقتل الأمين عام ٨١٣م. والتي تسببت في وقف الزحف نحو القسطنطينية، واستجاب المأمون لطلب توماس، فأمده ببعض الفرق العسكرية التي انضمت الى قوات هذا الثائر الصقلي، وتوج توماس امبراطور

في أنطاكية على يد بطريركها الايقونى، وبمباركة الخليفة المأمون، وذلك في تحد سافر للامبراطور ميخائيل الثاني، وفي عام ٨٢١ تقدم توماس بقواته البرية والبحرية لحصار القسطنطينية حتى الاستسلام، غير أن العناصر الأوروبية في العاصمة والشرط الشرقي وقفت وراء الامبراطور، ونسيت خلافاتها الدينية خوفا على مصالحها، فقضى كسانوا هم الملاك للاقطاعات الشاسعة، والمتشرة في شطرى الامبراطورية، لأن توماس كان يستولى على هذه الاقطاعات، ويوزعها على الفقراء من أنصاره، وهرع خان البلغار الكبير أمورتاج Omurtag لنجدة ميخائيل وانقاذ الامبراطورية، وحدثت المعركة الفاصلة بين شرق الامبراطورية وغربها في مطلع خريف عام ٨٢٣ ميلادية، وسحقت قوات توماس وتشتت شملها، ووقع زعيم الثورة نفسه في الأسر حيث أعدم على الفور. وهكذا فشلت أحلام توماس محرر السلاف، وفشلت معها أحلام المأمون. وبالرغم من ذلك، أرسل الامبراطور ميخائيل الثاني وفدا إلى بغداد، ليبلغ الخليفة بأن ثورة توماس قد سحقت، وأنه يطلب عقد هدنة لكي يلتقط انفائه، ويصلح الخراب والدمار الذى سببته هذه الفتنة، غير أن الخليفة رفض رفضا باتا أن يهادن

الروم وامبراطوريتهم، وأصر على مواصلة الكفاح ضدها.

نتائج ثورة توماس،

أدت ثورة توماس الى ارهاق الامبراطورية واستنزافها عسكريا واقتصاديا، فقد ضعف الأسطول الرومى وخارت قواه، وأصبح غير قادر على التصدى للقوة البحرية الاسلامية فى شرق وغرب البحر المتوسط، بل حتى على حماية ما تبقى للامبراطورية المهترئة من ممتلكات فى جنوب ايطاليا وجزر البحر المتوسط.

وعلى الصعيد الداخلى، أدت ثورة توماس الى ارهاق الاقتصاد والتجارة بدرجة أثرت على التعبئة العسكرية والدفاعية، فقد اختفت طبقة صغار الملاك من المزارعين فى آسيا الصغرى، بسبب عجزهم عن الوفاء بالاعباء المالية والضريبية التى فرضها عليهم سواء الثوار أو القسطنطينية، فهجروا حقولهم، أو باعوها، أو تنازلوا عنها طواعية للاغنياء القادرين على تسديد الضرائب للدولة، كما أنه خلال فترة الحرب الأهلية ارتبكت الاسواق، وكسدت التجارة، بسبب ضياع الأمن وتعطيل القانون. وقد نتج عن ذلك ظهور الاقطاع الشرقى بشكل مخيف فى آسيا الصغرى، والذي تحول الى اخطبوط، هدد البلاد فى القرن العاشر، وظهرت خطورته وآثاره على الامبراطورية

فى القرن الحادى عشر. وكان بداية النهاية.

ضياع كريت وصقلية،

أصبح الأسطول الاسلامى هو القوة الحقيقية فى شرق البحر المتوسط، بل فى غربه لأول مرة منذ عهد الامويين. بعد أن فقد الروم قواعد بحرية هامة. ففي عام ٨٢٧ قام جماعة من سكان الربض، المنشقون على الحكم الاموى فى الاندلس، والمطرودون منها، بالبحث عن وطن لهم، فاتجهوا بتشجيع من الدولة العباسية الى كريت، يقودهم زعيمهم أبو حفص عمر بن عيسى البلوطى، والذي عرف فى المخطوطات الرومسية باسم أبو كابسو Apocypso واستولى الربضيون على كريت، دون مقاومة تذكر، بل على العكس ساعد سكانها الغزاة الربضيين نكابة فى الحكم اللايقونى فى القسطنطينية، فقد كان أهل كريت من أشد المتحمسين لعبادة الايقونات، كما ساعد رهبان أديرة كريت الربضيين، ودلوهم على الطرق والمدقات الهامة فى الجزيرة، والتى سهلت لهم احتلالها، مقابل ضمان حرية ممارسة عقيدتهم على النحو الذى يرتضونه، بالاضافة الى ذلك فقد كان كثير من أنصار توماس قد فروا الى كريت، وهؤلاء أيضا ساهموا فى تسهيل قدوم الربضيين نكابة فى الحكم الايقونى فى القسطنطينية، وساهموا فى احتلال المسلمين

للجزيرة. ولم يستطع اسطول الروم أن يفعل شيئا لضعفه. وبذلك فقدت الامبراطورية جزيرة كريت ذات الاهمية الاستراتيجية والبحرية.

وفى غرب البحر المتوسط، شكلت القوة المتعاضمة لدولة الاغالبية خطرا آخر على ممتلكات الامبراطورية سواء فى صقلية أو جنوب ايطاليا، ودولة الاغالبية هى احدى الدويلات الاسلامية التى استقلت عن الدولة العباسية فى المغرب العربى، ابان الصراع الذى تلى موت هارون الرشيد، والتى أسسها ابراهيم بن الأغلب، الذى جعل مدينة القيروان عاصمة لدولته، فقد انتهز زياد الله أمير الاغالبية تدهور أحوال وقوة الروم عقب ثورة توماس، فسير حملة بحرى بقيادة قاض وفقه شهير، اسمه أسد بن الفرات، لفتح جزيرة صقلية فى عام ٨٢٧م، تمكنت من النزول الى الجزيرة نحو الشرق حتى وصلت الى ميناء تاورمينيوم Tauremenium فى أقصى الساحل الشرقى لصقلية على البحر الأيونى، ومن هذا الميناء ابعدوا الى اقليم كالابريا (قلورية عند المسلمين)، المطل على بحر الأدرياتيک، واستولوا على ميناء باريوم Barium (بارى حاليا)، وبينما كانت هذه الحملة تشق طريقها لاكمال قبضتها على الجزيرة، جاءت الانباء بموت ميخائيل الثانى وتولى ابنه ثيوفيلوس.

تمسك الامبراطور ثيوفيلوس بنظرية السيادة العليا الشاملة التي حرص عليها أبوه، كما تمسك بنظرية الحق الالهي للملوك، ومن الناحية الدينية اشتط في مقاومة الايقونات لدرجة لا تقل عن ليون الايسورى وابنه قنسطنطين، بل أنه كان أكثر تطرفاً من سابقة الاثنين، رغم أن أباه حاول أن يخفف من غلواء ابنه في التعصب للحرب اللاأيقوني. ولقد بدأت هذه السيادة باصدار قرار عام ٨٣٢ بمنع «عبادة الصور وحذف كلمة مقدس» Hicros التي كانت تسبق اسم كل قديس، ولما رأى أن هذا القرار لم ينفذ بالشكل الذي أراد، أمر صديقه البطريك يوحنا - الذي كان قد عينه بطريكاً في نفس العام - أن يجمع مجلساً دينياً ليعلن من خلاله انكار عبادة الايقونات، وأشرف الامبراطور بنفسه على تنفيذ قراراته، فكثر في عهده حوادث الاعتقال والسجن والتعذيب لعدد كبير من الرهبان ورجال الدين. وبالرغم من ذلك فقد كان ثيوفيلوس محباً للثقافة والفنون، والعلم والعلماء، فلأول مرة منذ عصر جستنيان نجمد امبراطوراً يولي البحث العلمي اهتمامه، لأنه نفسه تلقى تعليماً راقياً، انعكس على طريقة تفكيره، واختياره لمستشاريه، فقد اختار أستاذه وهو

سنة ثمان وثمانين. واستخلف عليها عبد الرحمن بن عمرو بن قحزم الخولاني. وأهل مصر إذ ذاك في شدة عظيمة. فقال زرعة بن سعد الله بن أبي زمزمة الخشني:

إذا سار عبد الله من مصر خارجاً فلا رجعت تلك البغال الخوارج
أتى مصر والمكيال وأفي مغربل فما سار حتى سار والملة فالحج^(١)

فأهدر عبد الله بن عبد الملك دمه. فهرب إلى المغرب، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك:

ألا تنة عبيد الله عني كما قد قال يجمعني نكالا
ولم أشتم لعبد الله عرضاً ولم أكل لعبيد الله مالا

وسخط عبد الله بن عبد الملك على عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة، فصرفه عن الشرط والقضاء وسجنه، وذلك في صفر سنة تسع وثمانين. وجعل مكانه على الشرط عبد الأعلى بن خالد بن ثابت بن طاعن الفهمي^(٢)، وعلى القضاء عبد الواحد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج. وأمر عبد الله بسقف المسجد الجامع أن يرفع سمكه، وكان سقفه مطأطأ، وذلك في سنة تسع وثمانين.

(١) وال: تام كامل كثير. ومغربل: صاف نفى. وفالج: ناقص إلى نصفه.

(٢) كذا في ر، ف (٢٣٨). وفي الأصل: الفهرى. خطأ.

يوحنا النحوى - أشهر علماء القسطنطينية فى عهده - مستشارا له، وفيما بعد عينه بطريركا للكنيسة ليدخل التفكير العلمى الى قلعة اللاهوت. ولقد كان يوحنا النحوى عالما متفتح الذهن، عاشقا للمنطق والتفتيش عن سر الكون، ويشجع البحث العلمى، ولذا لم ترض عنه لا أجهزة الكنيسة، ولا رهبان الاديرة. واتهموه بتهمة كانت شائعة فى ذلك الوقت كانت توجهها

الكنيسة الى أى مفكر أو باحث يحاول أن يستخدم عقله فى البحث العلمى النحوى، وهذه التهمة هى ممارسة السحر الأسود. وبهذه التهمة كان العلماء يحرقون أحياء فى الكنيسة اللاتينية أو يطردون من رحمتها. غير أن الامبراطور لم يعر الرهبان اهتماما، فقد اوعز ثيوفيلوس الى يوحنا النحوى أن يصدر قرارا كنسيا يعتبر كل من يعارض الامبراطور فى مشروعاته متمردا على الكنيسة وخارجا على

أوامرها، وكان ذلك ردا على موقف الرهبان من سياسة التنوير العلمى. ولم يستخدم ثيوفيلوس عقوبة الموت ضد أعدائه ومعارضيه، انما لجأ الى توقيع عقوبات بديلة، مثل تقطيع أيديهم أو أرجلهم من خلاف أو نفيهم من البلاد، أو الزج بهم فى السجون، باعتبارهم مارقين يحاربون الله، والمسيح والامبراطور، الذى هو خليفته على الأرض. ونتيجة لهذه

حدثنا عاصم بن رازح بن رجب الخولاني قال: حدثنا محمد بن حميد بن هشام الرعيني قال:

حدثني أبى قال: حدثني الحسن بن معاوية النصيرى^(١) قال: حدثني ابن أبى ليلى التجيبى، عن عبد الحميد بن حميد الكاتب مولى خزاعة.

عن أبيه قال: وكان موسى بن نصير يكاتب عبد العزيز بن مروان. فلما هلك عبد العزيز، ولى عبد الملك عبد الله بن عبد الملك. فلم يكاتبه موسى، وكاتب عبد الملك. فكتب إليه عبد الله بن عبد الملك:

أما بعد.

فإنك كنت من عبد العزيز وبشرين مهادين، تعلقو عن الحضيض مهودهما، ويدفئك دثارهما، حتى عفا^(٢) مخبرك، وسمت بك نفسك. فلا تحسبنى. كمن كنت تخليه^(٣) وأعداء بيته، وتقول: اكفيانى أكفكما، ولا كأصبع^(٤) كنت تمينه^(٥) بكهانتك. وأيم الله

(١) كذا فى ر، وفى الأصل بعد . وفى الأصل هناك البصرى. وهو خطأ، لأنه يروى عن ابن نصير.

(٢) عفا: زاد وكثر.

(٣) تخليه: تخذعه.

(٤) أصبع بن عبد العزيز بن مروان. وفى رك كأصبع.

(٥) تمينه: تكذب عليه.

السياسة الجديدة المتحررة، فقد وضع ثيوفيلوس البذور الاولى لما عرف فيما بعد بعصر الازدهار الذهبي الثاني لحضارة الروم، اذ بدأت ملامح حضارة علمية وفنية تتخلق، وتميزت عن حضارة عصر الازهار الأول الذي بدأ في عصر جستنيان، وعرفت باسم العصر الذهبي الثاني.

الحرب على الجبهة الاسلامية

في آسيا الصغرى،

كان الخليفة المأمون قد رفض عقد هدنة عرضها عليه وقد جاء

الى بغداد من قبل الامبراطور ميخائيل الثاني، لأن خليفة المسلمين رأى أن أوضاع الامبراطور الرومية المتردية بعد ثورة توماس فرصة سانعة لتوسيع حدود الدولة العباسية في آسيا الصغرى، وما كاد ثيوفيلوس ابن ميخائيل الثاني يجلس على العرش، حتى سير الخليفة المأمون جيوشه لتعبر جبال طوروس، متقدمة نحو أرمينيا عبر اقليم قبادوقيا، ولم يكن ثيوفيلوس مستعدا للحرب، فبعث في عام

٨٢٣ ميلادية بوفد الى بغداد من أجل طلب الصلح مع الدولة العباسية بأي ثمن، ولم يصل الوفد الى نتيجة؛ فقد مات الخليفة المأمون في تلك السنة وتولى الخليفة المعتصم.

ولما علم ثيوفيلوس أن الخليفة الجديد المعتصم لم يدعم نفسه في الحكم بعد، فقد انتهز هذه الفرصة للقيام بهجوم على بعض مناطق الحدود الاسلامية، ليدمر بعض القلاع الحصينة من ناحية، ومن ناحية أخرى ليحتل

لأضعن منك ما رفعا، ولأقلن منك ما كثرا. فضح رويداً^(١)، فكان قد أصبحت سادماً^(٢)،
تعض أناملك نادماً . والسلام.

فكتب إليه موسى بن نصير:

أما بعد،

فقد قرأت كتابك، وفهمت ما وصفت فيه من إركاني إلى أبويك وعمك. ولعمري إن كنت لذلك أهلاً. ولو خبرت مني ما خبرا، لما صغرت مني ما عظما، ولا جهلت من أمرنا ما علما. فكيف أتاه الله لك؟ فأما انتقاصك لهما، فهما لك، وأنت منهما، ولهما منك ناصر لو قال وجد عليك مقالاً، وكفاك جزاء العاق. فأما ما نلت من عرضي، فذلك موهوب لحق أمير المؤمنين لا لك. وأما تهددك إياي بأنك واضح مني مرفعا، فليس ذلك بيدك ولا إليك، فارعد وأبرق لغيري. وأما ما ذكرت مما كنت أتى به عمك عبد العزيز، فلعمري إنني مما نسبتني إليه من الكهانة لبعيد، وإنني من غيرها من العلم لقريب. فعلى رسلك! فكأنك قد أظلك البدر الطالع، والسيف القاطع، والشهاب الساطع. فقد تم لها، وتمت له^(٣). ثم بعث إليك

(١) ضح رويداً: مثل بمعنى اصبر قليلا ولا تغر ولا تعجل.

(٢) السادم النادم الحزين لا يطيق ذهاباً ولا مجيئاً.

(٣) الضمير عائد على الخلافة.

بعض الاراضى، ليجبر الخليفة الجديد على قبول الهدنة، وحتى يقايض بها الاراضى الرومية التى احتلها المسلمون فى عهد المأمون، ومن ثم قاد ثيوفيلوس جيوشه ضد الحدود الاسلامية، وحقق بعض الانتصارات الهزيلة، اذ استولى مثلاً على حصن زابطرة Zapatra وهدمه وأسر من فيه، ثم تقدم نحو ملطية - فى اقليم كاريا فى جنوب غرب آسيا الصغرى فاغار عليها وعلى ما حولها من حصون وذلك فى عام ٨٣٧ ميلادية.

وعلى الفور قام الخليفة المعتصم بتجهيز جيش قاده بنفسه، انطلق به فى عام ٨٣٨ ميلادية نحو الشمال الغربى، جاعلاً وجهته اقليم فريجييا، وتوغل فيه حتى استولى على عمورية Anorion مسقط رأس هذه الأسرة الحاكمة. ولقد بلغت نشوة الاستيلاء على عمورية حدا جعل الخليفة المعتصم يعقد العزم للسير نحو القسطنطينية - أمل المسلمين منذ الأمويين - غير أن الأنباء حملت

اليه نبأ قيام الفتن فى الشام، فاستدار عائدا لآخمادها. الاغالبية يواصلون فتوحاتهم لمدن صقلية وجنوب ايطاليا، وفى الوقت الذى كان فيه الخليفة المأمون يقود حملاته نحو أرمينيا، كان الاغالبية يزيدون من فتوحاتهم فى صقلية، فزحفوا نحو بالرمو Palermo عاصمة صقلية، وحاصروها حتى استسلمت، عام ٨٣٩ م، وبفتحها انفتح الطريق أمام الاغالبية للاستيلاء على معظم مدن

الأعرابى الجلف الجافى، فلم تشعر به حتى يحل بعقوتك^(١) فيسلبك سلطانك، فلا يعود إليك ولا تعود إليه . فيومئذ تعلم أكاهن أم عالم، وتوقن أيننا النادم السادم. والسلام.

فلما قرأ عبد الله الكتاب ، كتب إلى عبد الملك كتاباً، وأدرج كتاب موسى فيه. فلم يصل الكتاب إلى عبد الملك حتى قبض، ووقع الكتاب فى يد الوليد بعد أن عزل عبد الله عن مصر، وولى قرّة شريك. فلما قرأه الوليد استضحك ثم قال: لله دره، وإن كان عنده لأثرة^(٢) من علم، ولقد كان عبد الله غنياً أن يتعرض له.

فحدثنى على بن قديد قال: حدثنى عبيد الله بن سعيد بن عفير قال: حدثنى أبى قال:

حدثنى القاسم بن الحسن بن راشد: «أن يحيى بن حنظلة مولى بنى سهم نزه عبد الله بن عبد الملك إلى منية له بالجيزة. فلما رأى طعاماً كان أكثر من طعامه، إن الرجل من الجند ليأخذ الخروف ما ينازعه أحد. فلما متع النهار^(٣)، أقبل قرّة بن شريك على أربع من دواب البريد، وإحداهن عليها الفرائق^(٤). فنزل بباب المسجد، ونزل صاحبه. فدخل فصلى عند القبلة وتحول، فجلس صاحبه عن يمينه ويساره. فاتاهم حرس المسجد، وكان له شرط يذبون عنه.

(٢) أثره: بقية

(١) العقوة: المحلة.

(٣) متع النهار: ارتفع قبل الزوال.

(٤) الفرائق: الذى يدل صاحب البريد على الطريق.

الجزيرة، وأصبح الاتصال البحري بين دولة الاغالبية في القيروان، وبين صقلية ميسورا ومؤمنا، وبذلك سهل نقل الموز والعتاد لجيوشهم عن طريقها لتكمل فتوحاتهم في جنوب ايطاليا. وقد جاءت الاغالبية الفرصة في عام ٨٣٧م عندما استعان بهم أهل نابلي Neapolis ضد عدوان دوق بينيفيتو Benevento، فعقدوا معاهدة صداقة وتعامل مع دوقية نابلي، وقد سهل ذلك التحالف للاغالبية الاغارة على ممتلكات القسطنطينية في كالابريا (فلورية)

وحول خليج تارنتوم Terentum، بل أغاروا على مدينة كابوا Capua في سهل كمبانيا، وخربوها عام ٨٣٩م. ثم كللوا انتصارهم بالاستيلاء على مدينة تارنتوم العريقة وذات التاريخ الحافل، وعندئذ شعر أهل البندقية باقتراب خطر الاغالبية، وخشوا ان يقطع اسطولهم الطريق على سفنهم التجارية، فتحالفوا مع القسطنطينية، وانضم اسطولهم الى بقايا القطع البحرية للإمبراطورية، غير أن اسطول الاغالبية أنزل بالخليفين هزيمة

ساحقة في خليج تارنتوم واستولى الاغالبية على حصن باريوم Barium (باري) المنيع عند مدخل بحر الادرياتيک وبالاستيلاء على تارنتوم وسهل كمبانيا من ناحية، وبالاستيلاء على ميناء باريوم من ناحية أخرى، أصبح الاغالبية يهددون روما نفسها

سياسة ثيوفيلوس في

غرب البحر المتوسط،

وازاء تفاقم الخطر الاسلامي في ايطاليا، فقد أسرع ثيوفيلوس بارسال وفود الى الامارات اللاتينية، فبعث بوفد الى اماره

فقالوا: إن هذا مجلس الوالى، ولكم فى المسجد سعة. قال: وأين الوالى؟ قالوا^(١): فى منزله. قال: فادع خليفته. فانطلق شرطى منهم إلى عبد الأعلى فأعلمه. فقال أصحابه: أرسل إليه يأتك صاغراً. قال: ما بعث إلى إلا وله على سلطان، أسرجوا. فركب حتى أتاه فسلم. قال: أنت خليفة الوالى؟ قال: نعم. قال: انطلق فاطبع الدواوين وبيت المال. قال: إن كنت والى خراج فلسنا أصحابك. قال: ممن أنت؟ قال: من فهم. فقال قرة:

لَنْ تَجِدَ الْفَهْمَ إِلَّا مُحَافِظًا عَلَى الْخَلْقِ الْأَعْلَى وَبِالْحَقِّ عَالِمًا^(٢)
سَأَتْنِى عَلَى فَهْمٍ ثَنَاءً يَسُرُّهَا أَوْافِى بِهِ أَهْلَ الْقُرَى وَالْمَوَاسِمَا

فقال: السلام عليك أيها الأمير. وكتب إلى عبد الله بن عبد الملك يعلمه. فأتاه الخبر، وقد أهديت له جارية. فبكى ولبس خفة قبل سراويله دهشاً.

قال: وكتب رجل من قریش إلى الوليد^(٣):

عَجَبًا مَا عَجِبْتُ حِينَ أَنَا أَنْ قَدَ امْسَرْتُ قُرَّةَ بَنِ شَرِيكَ
وَعَسَلْتُ الْفَتَى الْمُبَارَكَ عَنَّا ثُمَّ فَيَلَّتْ^(٤) فِيهِ رَأْيَ أَبِيكَ

(١) كذا فى ر. وفى الأصل: قال.

(٣) فى (١٣١)، س٢ك (٩). ن (١: ٢١٩).

(٢) جعله ف (٢٣٩) شعراً، ورثراً.

(٤) فى رأيه: قبحه وخطأه.

البندقية Venezia ، وهو الذي أسفر عن التحالف الفاشل بين البنادقة والروم لوقف زحف الأغالبة في خليج تارنتوم، كما بعث بوفد الى لويس الثقي ابن شارلمان، وقد أحسن لويس استقبال وفد القسطنطينية، ولكنه لم يكن يؤيد مناصرة الروم على العباسيين حلفاء أبيه شارلمان. ومن ثم خطر لثيوفيلوس أن يحيى الصداقة القديمة مع الخلافة الاموية في الأندلس، أملا في أن ينجح في استعادتهم على

العباسيين والريضيين، فأرسل وفدا الى عبد الرحمن الاوسط - أمير الأندلس - عام ٨٤٠ ميلادية. ولحسن الحظ أن المؤرخ الاسلامي أحمد بن محمد المقرئ (المتوفى عام ١٤٤٣م) ترك لنا في كتابه «نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب». شرحا لأهداف هذه البعثة، والتي هدفت الى ترغيب الأمير الأندلسي في أن يتحالف أو يتعاون مع الروم لضرب الدولة العباسية في عقر دارها، ويغريه على ذلك بتأكيد أن هذه الدولة

في طريقها الى الانهيار. ولقد طلب ثيوفيلوس عبر وقده عربونا للمصداقة وهو مساعدته في تخليص جزيرة كسريت من الريضيين، حلفاء الدولة العباسية، والمنشقين على الحكم الأموي في الأندلس. غير أن الأمير الأموي لم يستجب لهذا الاغراء، وأثر أن تستمر دبلوماسية تبادل الوفود والهدايا دون التحالف العسكري ضد العباسيين.

وفي عام ٨٤٢ ميلادية مات ثيوفيلوس تاركا من ورائه زوجته

يعنى بالمبارك هاهنا المشزوم.

وقال عبد الله بن الحجاج الثعلبي:

فَإِنْ بِمِصْرَ عَبْدَ اللَّهِ يَا شَوْ مَ عَسَيْدَ كُلِّ ذِي عَظْمٍ هَشَمَ

فكانت ولاية عبد الله عليها اثلاث سنين و(١) عشرة أشهر.

١٥. قرة بن شريك(*)

ابن مرثد [ابن الحارث] (٢) بن حبش بن سفيان بن عبد الله بن

ناشب بن هدم بن عوذ بن غاب بن قطيعة بن عبس

ابن يغيص بن ريث بن غطفان بن سعد بن

قيس بن عيلان بن مضر

ثم وليها قرة بن شريك العبسي للوليد على صلاتها وخراجها، فقدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة تسعين. فأقر عبد الأعلى ابن خالد على الشرط، وأخذ عبد الله بن عبد الملك باخروج من مصر. فخرج عبد الله بكل ما يملك، فلما بلغ

(١) زيادة عن خـ ١٠: ٣٠٢، ن(١: ٢١١)، وهي ساقطة من ر.

(*) الخطط (١: ٣٠٢)، والنجوم (١: ٢١٧)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

(٢) ن(١: ٢١٧) ك ابن مرثد بن حازم بن الحارث.

الشامة ثيودورا، وابنا قياصر لا يتعدى عمره ثمان سنوات وكان اسمه ميخائيل، ومن ثم أعلنت الامبراطورة ثيودورا نفسها وصية عليه.

حكم ثيودورا كوصية على ابنها ميخائيل الثالث، ٨٤٢، ٨٥٦م؛

ولقد ظلت ثيودورا تدير أمور الامبراطورية طول مدة أربعة عشر عاما، قبل أن تسلم الحكم لابنها ميخائيل الثالث في عام ٨٥٦ ميلادية، تفرغت خلالها لنصرة الايقونية، بينما تركت زمام شؤون

الامبراطورية لعشيق لها من رجال السياسة كان اسمه ثيوكتستوس Theoktistos ولشقيقها بارداس Bardas، والذي عـُرف في المصادر العربية باسم بطرناس، وكذلك لعمها عما نوئيل، الذي كان لا أيقونيا متعصبا، وتدعى المصادر الكنسية أن هذا العم وقع فريسة لمرض طويل كاد يقضي عليه لولا صلوات الكنيسة ودعوات الرهبان في دير ستوديون، حتى قام من مرضه سليما معافى، ومن ثم تحول الى

الايقونية وأصبح متحمسا لها، كما أصبح نفوذه قويا في مجلس الوصاية الامبراطوري، وتحت تحريض العم عما نوئيل استدعى مجلس الوصاية البطريرك يوحنا النحوي، وخيره بين أمرين اما أن يعقد مجلسا دينيا ينتقي جميع اساقفته من الايقونيين، أو الاستقالة، فرفض الأمرين معا، غير أنه حدث أن أصيب البطريرك في اشتباك مع أحد حراس القصر، فاشيع أنه كان ينوي الانتحار، وهو جريمة يعاقب عليها

الأردن تلتقاء رسل الوليد فأخذوا كل ما كان معه. ثم خرج قرة إلى رشيد، واستخلف عبد الأعلى بن خالد على الفسطاط وتوفي عبد الأعلى بن خالد بالفرما، وهو سائر إلى الوليد في ربيع الأول سنة إحدى وتسعين، فجعل على الشرط عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمي^(١) ابن أخى عبد الأعلى.

وخرج قرة إلى الإسكندرية، واستخلف على الشرط عبد الرحمن بن معاوية ابن حديج، في سنة إحدى وتسعين. فتعاقدت الشراة بسكندرية على الفتك بقرة. وكان رئيسهم المهاجر بن أبي المشي التجيبي، أحد بني فهم بن أبذى^(٢) بن عدى ابن تجيب، وفيهم ابن أبي أرطاة التجيبي. وكانت عدتهم نحواً من مئة. فعقدوا لابن أبي المشي عليهم، عند منارة الإسكندرية، وبالقرب منهم رجل يكنى أبا سليمان، فبلغ قرة ما عزموا عليه. فأتى بهم قبل أن يتفرقوا، فأمر بحبسهم في أصل منارة سكندرية. وأحضر قرة وجوه الجند وأحضرهم. فسألهم فأقروا، فقتلهم قرة^(٣).

ومضى رجل ممن يرى رأى الخوارج إلى أبي سليمان فقتله.

(١) كذا في ر. وفي صك القهري. تصحيف.

(٢) رد أذاة. وانظر ما سبق.

(٣) في الحاشية: «قال ابن يونس: كان قرة بن شريك خليعاً. قال: وكان من أظلم خلق الله، وهمت الأباضية بقتله والفتك به، وتبايعوا على ذلك، فبلغه ذلك فقتلهم». وانظر ن(١٨٩).

الشرع المسيحي، فانسحب الى أحد الدير، وبينما هو يصلي في المحراب، شاهد صورة لأحد القديسين تطل عليه، فقام بطمسها بالطين، فعوقب بسمل عينية، وعزل من منصبه، وعين مكانه ميثوديوس الايقوني، وكان شيخا طاعنا في السن لاقى الكثير من الاهوال والاضطهاد على يد ميخائيل الثاني لمواقفه المعارضة منه، ومثلما فعلت الامبراطورة ايريني من قبل، أوعزت ثيودورا الى البطريك الجديد أن يدعو

لعقد مجمع كنسي في نيقية، وبالفعل عقد هذا المجمع عام ٨٤٣ ميلادية، وتحت تأثير وسعي ثيودورا، أسفرت قراراته عن عودة عبادة الايقونات، ورفع الحظر عنها، والسماح باعادة التماثيل الكبرى والأيقونات الى مواضعها القديمة، التي كانت قائمة فيها قبل اندلاع الحركة اللايقونية، كما أقر المجلس شرعية تصوير الرسل، والأنبياء. والملائكة، بالشكل الانساني داخل الكنائس على أن تكون صورا ليس لها

ظل، أي أن لا تكون مجسمة او مصنوعة من حجر أو أي مادة صلبة. وقبل أن ينفذ المجلس، طلبت منه ثيودورا أن يصدر قرارا بالغفران لزوجها لما صدر منه في حق الايقونات، فرفض؛ عندئذ هددت بأنها سوف تتخلى عن سياستها المتعاطفة مع الايقونيين، وأخيرا توصلت الى حل لهذه الازمة، وهو أن تدلي الامبراطورة بشهادتها أمام المجلس بأن زوجها قبل أن يلفظ انفاسه، طلب منها أن يقبل أيقونه ووضعتها على

فكان يزيد بن أبي حبيب إذا أراد أن يتكلم ابشياً^(١) فيه تقية من السلطان، تلفت وقال: احذروا أبا سليمان. ثم قال يوماً من ذاك: الناس كلهم أبو سليمان^(٢).

وورد كتاب الوليد بالزيادة في المسجد الجامع. فابتدأ في هدم ما كان عبد العزيز بناه، لمستهل سنة الثنتين وتسعين. ووفد قرة إلى أمير المؤمنين الوليد بوفد أهل مصر، واستخلف عليها عبد الملك بن رفاعة الفهمي. وابتدأ في ببناء المسجد في شعبان سنة اثنتين وتسعين. وجعل على بنائه يحيى بن حنظلة من بني عامر بن لؤي. وكانوا يجمعون الجمعة في قيسارية العسل حتى فرغ من بنيانه^(٣). وقدم قرة من وفادته في سنة ثلاث وتسعين. فاستبطل الإصطبل لنفسه من الموات، وأحياه وغرسه قصبا فكان يسمى إصطبل قرة، ويسمى أيضاً إصطبل القامش^(٤) يعنون القصب كما يقولون قامش^(٤) مروان، ونصب المنبر الجديد في الجامع في سنة أربع

(١) زيادة من وعن خـ (٢: ٣٣٨).

(٢) خـ (٢: ٣٣٨): ثم قال: الناس كلهم من ذلك اليوم أبو سليمان.

(٣) في الهامش: وقال ابن يونس: قيل إن قرة بن شريك كان - إذا انصرف الصناعات من بناء المسجد - دخل المسجد، ودعا باخمر والطبل والمزمار، فيشرب ويقول: لنا الليل ولهم النهار. ومثله في ن (١: ٢١٨).

(٤) كذا في خـ (٢: ١٥٢). وفي خـ (١: ٣٠٢): القاش. وفي ر: القاس. وقامش كلمة تركية، معناها القصب.

صدره، وبناء على هذه الشهادة أصدر المجلس قراره بالغفران للامبراطور الراحل ثيرفيلوس، وبذلك حلت الازمة؛ وعندما انفض الجمع من أعماله، أقيم قداس كبير في كنيسة أيا صوفيا يوم الأحد الموافق الحادى عشر من شهر مارس عام ٨٤٣ ميلادية، قاده البطريرك ميثوديوس بنفسه، وفي حضور الامبراطورة الام، والامبراطور القاصر، وكبار أعضاء البلاط، وجمع غفير من رجال الكنيسة والرهبان والمصلين.

ولا يزال هذا الحدث تحتفل به الكنيسة الارثوذكسية حتى يومنا هذا وتسميه «عيد انتصار الارثوذكسية» فى أول يوم أحد يأتى بعد عيد القيامة، وبالطبع تلا ذلك حملة انتقام ضد زعماء اللايقونية، حتى قضى عليهم تماما.

ولقد استقبل الروم هذه القرارات بترحاب شديد، فقد كان العداء للايقونية قد انحسر نتيجة لتزايد الاعتقاد بين الناس، أن ما لا قوه من هزائم ما هو

الاعقاب من الله لتخطيمهم الصور والايقونات المباركة. كما أدى هذا القرار الى إعادة الوحدة الدينية المقسمة، والوحدة الوطنية المفككة بعد أن حسم الموقف، وبالتالي أعاد ذلك الاستقرار الى الروح المعنوية لجيوش الامبراطورية المنهارة؛ وفي انجال الكنسى، كانت هذه الأيام هي أعظم أيام شهدتها كنيسة القسطنطينية، إذ بدأ المبشرون، والرهبان المتجولون يعملون على توسيع نطاق

وتسعين. فيقال: إنه لا يعلم اليوم فى جند من الأجناد أقدم منه، بعد منبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

ودون قرة الديوان فى سنة خمس وتسعين، وهو المدون الثالث. ثم توفى قرة بن شريك بها وهو والى عليها ليلة الخميس لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين، ودفن فى مقبرتها، واستخلف على الجند والخراج عبد الملك ابن رفاعه بن خالد الفهمى. كانت ولاية قرة عليها ست سنين إلا أياماً^(١).

١٦. عبد الملك بن رفاعه^(*)

ابن خالد بن ثابت بن ظاغن بن العجلان بن عبد الله بن صبح

ابن والبة بن نصر بن صعصعة بن ثعلبة بن كنانة بن عمرو

ابن القين بن فهم بن عمرو بن سعيد بن قيس بن عيلان

ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

ثم ولى عبد الملك بن رفاعه [الفهمى، من قبل الوليد بن عبد الملك، على صلاتها. فجعل

(١) كذا فى ن (٢٢٠: ١) أيضاً. وفى خ (٣٠٢: ١): ست سنين وأياماً. وهو الأصح، لأنه قدم مصر فى ١٣ ربيع الأول ٩٠ هـ. ومات فى ٢٤ من ربيع الأول ٩٦ تقريباً.
(*) الخطط (٣٠٢: ١)، والنجوم (٢٣٩: ١)، وحسن الحاضرة (٩: ٢٠).

التبشير، ونشر المسيحية على المذهب الأرثوذكسى فى الاصقاع الأوروبية الشرقية والشمالية والتي كانت خارج الحزام الحضارى. وبالنسبة لحقل الثقافة والفنون يعتبر المتخصصون عام ٨٤٢م عام الانطلاق لتحقيق نهضة فكرية وفنية شاملة، استمرت نشطة ومبدعة حتى سقوط القسطنطينية على أيدي الغزو اللاتينى عام ١٢٠٤م، وبلغت ذروتها فى عصر الأسرة المقدونية، وعصر أسرة آل كومنين. فقد أدى الاستقرار الى الرخاء والثراء، حيث عاش الناس عيشة ميسورة، وانتشر بناء القصور الفارهة، وزخرفت بالصور وأعمال الفسيفساء، وانهالت على خزائن الكنائس الهدايا والنذور من القطع الفنية الرائعة والتحف النادرة، وأبدع الفنانون فى زخرفة النسيج، وفى أعمال نحت العاج والطلاء المذهب، وصياغة المعادن بدقة. ولهذا يطلق مؤرخو الفن على هذه الفترة التى تبلغ ثلاثة قرون وستين عاما تقريبا، اسم العصر الذهبى الثانى لحضارة الروم

نتائج الحركة اللايقونية وآثارها، لقد كان للشورة اللايقونية التى استمرت أكثر من قرن من الزمان (من ٧٢٦ - ٨٤٣م) نتائج متعددة الجوانب، تماما مثل المسببات التى انبعثت منها، فقد تركزت آثارها على الجانب الدينى والسياسى والاجتماعى والفكرى

أخاه الوليد بن رفاعه^(١) على شرطه. ثم توفى أمير المؤمنين الوليد، يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، واستخلف سليمان بن عبد الملك. فأقر عبد الملك بن رفاعه على صلاتها. وخرج بيعة أهل مصر إلى سليمان بن عبد الملك، عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيبة الخولاني. وتوفى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بمصر وأبو بكر بن عبد العزيز بن مروان بسكر من الشرقية^(٢). قال كثير:

أصبت يوم الصعيد من سكر مصيبة ليس لي بها قبل

توفيا^(٣) سنة ست وتسعين. ونزع الوليد بن رفاعه عن الشرط فى سنة سبع وتسعين، وجعل مكانه الشيخ ابن جرو الحضرمى.

وتوفى أمير المؤمنين سليمان فى صفر سنة تسع وتسعين، وبويع عمر بن عبد العزيز بن مروان. فعزل عبد الملك بن رفاعه عنها.

حدثنا عاصم بن رازح بن رجب قال: حدثنا أبو قره محمد بن حميد الرعيني قال: حدثني أبي قال حدثني الحسن بن معاوية النصيرى قال:

(١) زيادة ضرورية عن خ (٣٠٢: ١) ون (٢٣١: ١). وقد زاغت عن بصر الناسخ، لتكرر رفاعه.

(٢) ياقوت: معجم البلدان: سكر: موضع بشرقية الصعيد بينه وبين مصر يومان.. وبه مات عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وأبو بكر بن عبد الله بن مروان. ونسب البيت وأبياتا بعده إلى نصيب. وكذلك فعل صاحب الأغاني (١: ١٤٤).

(٣) ر: صم توفيا.

والفنى، ولقد بينا كيف أن المستفيد الأول من الثورة اللايقونية هو الفنون التي لقيت رواجاً وازدهاراً لم يسبق له مثيل، ففي خلال فترة الحظر وتحريم تصوير الأنبياء والرسل، تحول الفنانون إلى المناظر الطبيعية الخلابة، وتقديس الطبيعة، وراحوا ينهلون من التراث الهلليستي الرائد في هذا المجال؛ كما لجأوا إلى فن الزخرفة التجريدية سواء، النباتية أو الحيوانية أو مجرد الخطوط والأشكال الهندسية أو الصور الشخصية، كل ذلك أعطى دفعة ديناميكية للفن الرومى، وعمق من جذوره، ونوع من موضوعاته، وجدد في أساليبه، فوصل إلى درجة مذهلة، خلبت حتى عقول الرحالة والمؤرخين المسلمين. ولما عادت الايقونات بعد رفع الحظر والتحريم، عادت رسومها بشكل مختلف، وأسلوب جديد، واعتبرت القسطنطينية أعظم مراكز الفن في العالم. كما أنه في خلال فترة الاضطهاد الايقونى فر كثير من العاملين في مجال الرسم الدينى إلى مدن إيطاليا مثل روما، وفينيسيه وفلورنسا، وجنوا، وغيرها، حيث وظفوا هناك في زخرفة وتصوير الكنائس والكاتدرائيات، ومن ثم كان ذلك بداية لحدوث نهضة فنية كبرى كانت الارهاصة الأولى لمولد الفن الأوروبى فى عصر النهضة.

حدثنى ضمام^(١): أن عمر بن عبد العزيز قال: دلونى على رجل من أهل مصر له شرف وصلاح، أوليه صلاتها! ف قيل له بها رجلان: معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وأيوب بن شرحبيل. قال: أى الرجلين أقصد؟ قالوا: أيوب. قال فهذا أريد. فكتب إلى أيوب بن شرحبيل بولايته، وأمر البريد يكتم^(٢) ذلك، وأن تكون موافاته يوم الجمعة. فلما قدم الرسول، ودفع إليه الكتاب، وراح كما كان يروح، فرجع قريباً من المنبر، وابن رفاعه يومئذ أمير الجند. فلما أذن المؤذن صعد أيوب المنبر، فخطب الناس وصلى بهم الجمعة، وانصرفوا. أقبل ابن رفاعه راحاً، كان يروح ماشياً، وأخوه بين يديه على شرطه، فلقي أخوه أوائل المنصرفين، فقال: مه. ف قيل له: صلى بالناس أيوب بن شرحبيل. فوقف حتى أدركه أخوه فأعلمه فقال: انهم^(٣) فيه امض كما أنت. فدخل المسجد فصلى ثم مال إلى مجلس قيس. فلما صلى العصر دخل إلى أيوب، فهناه ثم انصرف. وكانت ولاية عبد الملك عليها ثلاث سنين.

١٧. أيوب بن شرحبيل (*)

ابن أكسوم^(٤) بن أبرهة بن الصباح بن لهيعة بن شرحبيل

(١) أبو اسماعيل ضمام بن اسماعيل المرادى المعافى، متعبد صلوق وكان يخطى، ولد ٩٧، ومات ١٨٥.

(٢) ر: [أن] يكتم. ولا داعى لزيادة أن. (٣) كذا فى ر.

(*) الخطط (١: ٣٠٢)، والنجوم (١: ٢٣٧)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

(٤) ن (١: ٢٣٧): أكثوم.

مملكته، ثم أقامو ملكا اسمه كرياكوس صديقا خيرا
وكان باقيا الى يوم وضع هذه السيره، وكان هذا
الملك قد كوتب وقت كون الأب أنبا خايل في
الحبس ونحن معه، ووصلت الكتب إليه وسمع
عبد الملك فأخذ [رسوله] واعتقله [مع البطرك]،
ثم سار الملك من بلاد النوبة يريد ديار مصر (*) في
عسكر عظيم فيه مائة ألف فارس بمائة ألف فرس
ومائة ألف جمل. ولقد شاهد من أخبرنا بعينه أن
الخيال التي تحتهم كانت تقاتل بأيديها وأرجلها في

(*) حملة عسكرية لملك دنقله على
مصر تصل إلى بركة الحبش
جنوب القسطنطينية بسبب اعتقال
البطرك خايل.

ابن مرثد بن الصباح بن معدى كرب بن يعفر بن ينوف
ابن شراحيل بن أبي شمربن شرحبيل بن ياشر (١) بن أشعر (٢) بن
ملكى كرب بن شراحيل بن يعفر بن عمى (٣) بن أبي كرب
ابن يعفر بن أسعد بن ملكى كرب بن شمرب (٤) بن أشعر بن ينوف
ابن أصبح، وأمه بنت مالك بن نويرة بن الصباح

ثم وليها أيوب بن شرحبيل، من قبل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على صلاتها، في ربيع
الأول سنة تسع وتسعين. فجعل على شرطه الحسن بن يزيد الرعيني ثم أحد عجلائ بن
سريح (٥) وورد كتاب أمير المؤمنين بالزيادة في أعطيات الناس عامة، وحرمت الخمر وكسرت،
وعطلت حاناتها (٦) وصرف الحسن بن يزيد عن الشروط في رجب سنة تسع وتسعين، وجعل
مكانه الحارث بن ذاخر بن بهشم الأصبحي (٧) أحمد ابني (٨) السمول وألحق لأهل مصر

(٢) ن: أشعر. وكلنا في جميع النسب

(٤) ر: سمر. ن: شمير.

(١) كذا في ر عن ن، وفي الأصل: ياسر.

(٣) لك عمير

(٥) كذا في ر.

(٦) كذا في ر عن ن (٣٠٢: ١)، ن (٢٣٨: ١). وفي ص: جنائياتها. تحريف.

(٧) كذا في تاج العروس (ذخر). وفي ر: الحارث بن ذاخر بن بهشم.

(٨) الزيادة لازمة.

الحرب كما يقاتل فرسانها فوقها، وكانو خيلا
قصارا مثل الحمير. فلما قربو إلى مصر ليسبوها
ونزلو في البركة المعروفه الى اليوم ببركة الحبش
نهبو وقتلو وسبو المسلمين، وقد كانوا فعلو ذلك
بمسلمى الصعيد. وكان الملك قبل وصوله إلى
مصر قد سير رسولا اسمه «الأبرخس» من كبرا
المملكة إلى عبد الملك يأمره أن يطلق البطرك
فأخذه عبد الملك واعتقله مع البطرك، فلما علم
بمجي الملك ووصوله إلى مصر ولم تكن له قدرة

خمسة آلاف في سنة مائة. حدثني ابن قديد عن عبيد الله بن سعيد عن أبيه عن ابن لهيعة
قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أيوب بن شرحبيل بفريضة للجند فقال:

أصق ذلك بأهل البيوتات الصالحة فإنما الناس معادن، واقسم للغارمين بخمسة وعشرين
الف دينار. وقفل أهل القسطنطينية وكان على أهل مصر أبو عبيدة ابن عقبة بن نافع الفهري.
ونزعت موازيت القبط^(١) عن الكور، واستعمل المسلمون عليهم، ومنع النساء الحمامات
وحدثني ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه.

عن الميسرى يعنى عبد العزيز بن أبي ميسرة، قال: شكى ضعف أيوب إلى عمر بن عبد
العزيز، فقال: إن أيوب زجرت به أعراف صالحة، فلان لين الأشراف وقصد قصد السيادة.

وتوفى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة، خمس بقين من رجب سنة إحدى ومئة
واستخلف يزيد بن عبد الملك. فأقر أيوب بن شرحبيل على صلاتها. قال عبد العزيز بن أبي
ميسرة: إلى أن توفى لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة إحدى ومئة. وقال الليث
بن سعد وأحمد بن يحيى بن وزير: نزع أيوب بن شرحبيل لسبع عشرة من شهر رمضان سنة
إحدى ومئة. فكانت ولاية أيوب عليها سنتين ونصفاً.

(١) الموازيت: رؤساء القرى، وفي ر: موازيت، ولا معنى لها هنا.

على محاربتته وخاف منه جداً أطلق رسوله
«الأبرخس» من السجن، فخرج في لقا الملك بعد
أن قرر معه [عبد الملك] واستحلفه أنه يرده
وعساكره إلى بلاده ولا يدعه أن يتقدم إلى حصونه
ولا يحاصره، ويعرفه أنه أفرج على البطرك، وكتب
له الأب البطرك كتاب يبارك عليه وعلى من معه
ويعرفه أنه يعود إلى بلاده بغير حرب، وكان ذلك
في سنة مائة وتلتين منذ ظهور ملك المسلمين.
وكانو المسلمون يسرقون أهالي النوبة ويسيعهم

١٨. بشر بن صفوان (*)

ابن تويل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شرحبيل بن
عَدَس^(١) بن أبي جابر بن زهير بن جناب بن عبد الله
ابن كنانة بن بكر بن عوف بن عنزة بن زيد اللات
ابن رفيدة بن ثور بن كلب

ثم وليها بشر بن صفوان الكلبي، من قبل يزيد بن عبد الملك؛ قدمها لسبع عشرة ليلة خلت
من شهر رمضان سنة إحدى ومئة. فجعل على شرطه شعيب بن حميد بن أبي الربداء^(٢)
البلوي من الموالي. وكانت لجده أبي الربداء صحبة. ثم نزع شعيب بعد أيام، وولاه
التابوت^(٣). وجعل بشر أخاه حنظلة بن صفوان على شرطه.

(*) الخطط (١: ٣٠)، والنجوم (١: ٢٤٤)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

(١) كذا في ر، وفي ن (١: ٤٤)، عرين.

(٢) كذا في تاج العروس (ريد) وفي ر: الربداء، تحريف.

(٣) قيل في كتاب القضاة للمؤلف: «سئل محمد بن يوسف عن هذا التابوت الذي ذكر، فقال: كان تجمع
فيه أموال اليتامي ومال من لا وارث له، وكان مودع القضاة بمصر». ولكنه قال أيضاً: «إن العمرى أول
من عمل تابوت القضاة الذي كان في بيت المال». وولي عبد الرحمن بن عبد الله العمرى المذكور
القضاء في صفر سنة ١٨٥، فإما أن التابوت المذكور فوق غير التابوت المذكور في كتاب القضاة، أو أنه
لم يكن في بيت المال ثم جعله العمرى فيه، أو أن نسبة أوليته للعمرى خاطئة.

بمصر، فعاد بعسكره بعد أن نهب من المسلمين
شيا كثيرا لأنه أعلمه الأبرخس أن البطرك قد أفرج
عنه، وأحسن «عبد الملك» إليه وهو يأمره أن يعود
ويبارك عليه.

وكانو جماعة من أولاد القيس(*) يعبدون وثنا
يسمى سلقيطا(*) فظفر بهم ملك النوبة ونهبهم
وغنمهم عسكره.
(*) القيس: من المدن القديمة
بمركز بن مزارا المنيا.
(*) كانت العبادات الفرعونية
ما زالت قائمة حتى ذلك الوقت.

وكان تحت يد كريكوس ملك النوبة ثلثه عشر
ملكا ضابطين المملكة والبلاد. وكان ملك المقره(*)
(*) المقره: من ممالك النوبة.

وفي أمره نزلت الروم تنيس عليهم رين^(١). فقتل مزاحم بن مسلمة المرادي^(٢) أميرها في
جمع من الموالي، ولهم يقول الشاعر:

أَلَمْ تَرَبَّعْ فَتُخَبِّرَكَ الرِّجَالُ بِمَا لَاقَى بِنْتَيْسَ الْمَوَالِي
وكتب يزيد بن عبد الملك بمنع الزيادة التي كان عمر بن عبد العزيز أمر لأهل الديوان بها،
فمنعوها.

ولما رأى بشر بن صفوان افتراق قضاة في القبائل، كتب إلى يزيد بن عبد الملك يسأله
الإذن له في استخراج من كان في القبائل منهم، فيجعلهم دعوة مفردة. فأذن له يزيد بن
عبد الملك في ذلك. فأخرج مهرة من كندة وأخرج تنوخا من الأزد، وأخرج آل كعب بن عدى
التنوخى من قريش، وأخرج جهينة من أهل الراية، وأخرج خثينا^(٣) من غم، فجعلهم مع
سائر قضاة دعوة مفردة. [و] تدوين بشر بن صفوان هذا هو التدوين الرابع لأن الأول تدوين
عمرو بن العاص، والثاني تدوين عمر بن عبد العزيز بن مروان^(٤)، والثالث تدوين قرعة بن

(١) كذا في ص.

(٢) كذا في خه (١: ١٧٧). وفي ص: ابن أحمر بن مسلمة المرادي.

(٣) رك خثينا. تحريف. وانظر ف ١٤٢.

(٤) كذا في ر. والغالب أنه عبد العزيز بن مروان لا ابنه، إذ لم يل هذا مصر.

الحبشي ارتد كسى وهو الملك العظيم الذى نزل
عليه التاج من السما وملك إلى أقاصى الأرض
القبليه لأنه هو الملك اليونانى رابع ملوك الأرض، لا
تقاومه مملكة ولا ملك يروح عنده، وهو تحت
سلطان مرقس الإنجيلي، وحكم بطرك اليعاقبه
بمصر عليه وعلى ملوك الحبش والنوبه جميعهم.
وعنده فى بلاده أسقف ارتد كسى قسمه البطرك
مطراناً، فصار يقسم له الأساقفه والكهنه فى تلك

شريك، والرابع هو هذا، ولم يكن بعد هذا فى الديوان شئ له ذكر، إلا ما كان من إلحاق
قيس فيه زمن هشام، وأشياء أحدثها المسودة من أرباعهم التى أحدثوها منه.

ثم ورد كتاب يزيد بن عبد الملك على بشر بن صفوان بتأميره على إفريقية. فخرج إليها فى
شوال سنة اثنين ومئة، واستخلف أخاه حنظلة بن صفوان على مصر.

١٩. حنظلة بن صفوان (*)

ابن تويل بن بشر الكلبى

ثم وليها حنظلة بن صفوان باستخلاف أخيه بشر له عليها، فأقره يزيد بن عبد الملك. فجعل
على شرطه محمد بن مطير البلوى، ثم عزله فى سنة ثلاث ومائة، وجعل على شرطه القاسم
ابن أبى القاسم بن زر السبئى، ومولى لهم. وخرج حنظلة إلى الإسكندرية فى سنة ثلاث ومئة
واستخلف على الفسطاط عقبة بن مسلم التجيبى حليف بنى أيدعان^(١) بن سعد بن تجيب
وكتب يزيد ابن عبد الملك فى سنة أربع ومئة، يأمر بكسر الأصنام، فكسرت كلها، ومحيت
التمائيل، وكسر فيها صنم حمام زيان بن عبد العزيز الذى يقال له حمام أبى مرة، وله يقول
كريب بن مخلد الجيشانى.

(*) الخطط (٣٠٢: ١)، والنجوم (٢٥٠: ١)، وحسن المحاضرة (٩: ٢).

(١) فى ربدون نقط.

الكوره واذا مات المطران قسم لهم بطرك اسكندريه
غيره ممن يختاره ويقسمه لهم.

وكان عند خروجنا من الاعتقال اجتمع إلينا من
الناس خلق كثير وسألو الأب البطرك أن يقدس
لهم ويقربهم من يده المقدسه بالجسد والدم
العظيم، ومضو معه إلى بيعة الشهيدين سرجيوس
وواخس وقدس لهم ذلك اليوم وناولهم من السراير
المقدسه وأوصاهم وعلمهم.

مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ لِلْبَيْضِ مَنَزَلَةٌ فَلَيْسَاتِ أَبْيَضَ فِي حَمَامِ زَبَانٍ
عَبْلٌ لَطِيفٌ هَضِيمٌ الْكَشْحُ مُعْتَدِلٌ عَلَى تَرَائِبِهِ فِي الصَّدْرِ ثَدْيَانِ^(١)

وقدم بشر بن صفوان من إفريقية وافداً إلى أمير المؤمنين يزيد، في سنة خمس ومئة. فلما
صار في أرض مصر، بلغه أن يزيد قد توفي، فرجع إلى إفريقية وكانت وفاة يزيد بن عبد الملك
في شعبان سنة خمس ومئة.

وبويع هشام بن عبد الملك، فاستقبل بخلافته شهر رمضان، ثم صرف حنظلة بن صفوان
عنها، في شوال سنة خمس ومئة، فكانت ولايته ثلاث سنين.

٢٠. محمد بن عبد الملك (*)

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

ابن عبد شمس بن عبد مناف

ثم وليها محمد بن عبد الملك من قبل أخيه هشام على صلاحها، دخلها يوم الإربعاء لإحدى

(١) البيتان في ف (١١٤). والعبل: الغليظ الأبيض. والكشح الخصر. وهضيمه: دقيقه والترايب عظام
الصدر، أو ما ولي الترقوتين منه، أو ما بين الثديين والترقوتين، أو موضع القلادة، وكل ذلك وصف
للمثال.

(*) الخطوط (١: ٣٠٢)، والنجوم (١: ٢٥٧)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

وجا رجل يطلب أن يتناول القربان من أول ما
تقربوا الأخوة وهو يمنعه ويعود ولا يدفع له قربانا،
ولما سرح الشعب وصرف الناس بسلام حضر ذلك
الرجل إلى الأب وهو يكي فقال: أريد أن تعلمني
لأى سبب يا أبى منعتى من القربان؟ فأجابه الأب
الروحاني وقال له: يا ولدى أنا أيضا خاطى، ما
منعك القربان إلا السيد المسيح هو الذى منعك أن
تأخذ، فأظهر الآن ما قد فعلته فى وسط هذه
الجماعة أخوتك ليلا [لئلا] يفعل احد منهم مثلك.

عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس ومئة. فجعل على شرطه حفص بن الوليد بن سيف
الحضرمى. ووقع بمصر وباء شديد، فترفع محمد بن عبد الملك إلى الصعيد هاربا من الوباء
أياماً. ثم قدم من الصعيد. وخرج من مصر، لم يلها إلا نحواً من شهر.
حدثنا أبو بشر الدولابى قال: حدثنى معاوية بن صالح الأشعرى قال: أخبرنى منصور بن
أبى مزاحم قال:

سمعت أبا عبيد الله يقول: ولى هشام أخاه محمداً مصر، فقال له: أنا أليها على أنك إن
أمرتنى بخلاف الحق تركتها. فقال: ذلك لك. فوليها شهراً، فأتاه كتاب لم يعجبه فرفض
العمل، وانصرف إلى الأردن. وكان منزله بها فى قرية يقال لها ريسون^(١). فكتب:

أترك [لى] مصر لريسون؟ حسرة! متعلم يوماً أى بيعك أربح^(٢)
قد أدرك هشام مثل هذا^(٣). فأجابه محمد: إني لست أشك فى أن أربح البيعتين ما
صنعت.

(١) ريسون: قرية بالأردن.

(٢) نثرت والبيت، وجعله ياقوت (معجم البلدان، وريسون) شعراً. لى: زيادة عن ياقوت. وفى ر. بيعتك.
تحريف.

(٣) موضع هذا العبارة فيه بعض القلق.

فعند ذلك صرخ وقال : أنا أسلك يا سيدى الأب
أن كانت خطيه قد فعلتها فاغفرها لي فما أعود
إليها. فقال له الأب: لابد أن تعترف بها فقال له:
أنا كنت أفطر في بيتي واجي بعد إفطاري إلى
الكنيسة أتقرب وكذلك فعلت اليوم، فلما سمعت
بك تقرب الشعب الارتد كسي قلت في قلبي
أمضى أخذ القربان من يده المقدسه وكان ذلك
مني محبه مستحييه، والآن فقد اظهرت لك ذلك
ومنعتني، وفي صعيد مصر قوم كثير يفعلون هذا
ولا يعلمون انها خطيه. فلما سمع الاب ذلك

٢١. الحري بن يوسف (*)

ابن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

ابن عبد شمس بن عبد مناف

ثم وليها الحر بن يوسف من قبل هشام على صلاتها، دخلها لثلاث خلون من ذى الحجة سنة
خمس ومئة فأقر حفص بن الوليد على شرطه.

وفي إمرة الحر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراجها إلى هشام، بأن أرض مصر
تحتل الزيادة. فزاد على كل دينار قيراطاً فانتقضت كورة نتو، ونمي، وقريط، وطراية^(١)،
وعامة الخوف الشرقي. فبعث إليهم الحر بأهل الديوان، فحاربوهم فقتل منهم بشر كثير. وذلك
أول انتقاض القبط بمصر. وكان انتقاضهم في سنة سبع ومئة. ورابط الحر بن يوسف بدمياط
ثلاثة أشهر من سنة سبع ومئة. واستخلف عليها حفص ابن الوليد.

ثم وفد الحر إلى هشام في شوال سنة سبع ومئة، واستخلف على الفسطاط حفص بن
الوليد، وقدم في ذى القعدة.

(*) الخطط (١: ٣٠٢)، والنجوم (١: ٢٥٨)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

(١) نتون: منه الفرماري، فصل منها في ١٢٢٨ هـ كفر المقدام، فدخل في زمامه تل المقدام. ونمي: من
أعمال الجيزة. وقريط: من الوجه البحري. وطراية: من نواحي الخوف. وكانت فاقوس قاعدتها. والأسماء
محرفة ومهملة النقط في الأصل. وانظر خـ ١: ٧٩.

كتب الكتب إلى كل مكان بان لا يتقرب أحد من
المومنين إلا وهو صائم، ولا يتقرب دفعتين في يوم
واحد. ثم بارك على ذلك الرجل ومضى يمجّد الله
صانع العجايب بقديسيه.

ولم تجد ديار مصر طمانينه ولا راحه في أيام
مملكة عبد الملك لأنه لم يكن من جنس ملوك
الاسماعيليين [المسلمين] الذين ملكو عليهم مثله.
وصنع مع الديارات ما لا يجوز لبغضته في
النصارى، وكما كان يشا أن يعمل كذلك فعل،

وكتب الحر إلى هشام، يعلمه أن النيل قد انكشف عن أرض ليست لمسلم ولا لمعاهد، فإن
رأى أمير المؤمنين أن يأذن بالبناء فيها، فإن الناس مضطرون إليها. فأذن له في بنائها قيسارية.
فابتدأ في بنائها في رجب سنة سبع ومئة، وفرغ منها في سنة ثمان ومئة، وهي قيسارية هشام
التي عند الجسر.

وفي سنة ثمان ومئة تباعد ما بين الحر بن يوسف وعبيد الله بن الحبحاب صاحب الخراج.
وكتب عبيد الله إلى هشام يشتكى الحر. وكتب الحر^(١) يستعفى من ولايتها، فصرفه هشام
في ذي القعدة سنة ثمان ومئة. فكانت ولاية الحر عليها ثلاث سنين سواء.

٢٢. حفص بن الوليد (*)

ابن سيف^(٢) بن عبد الله بن العارث بن جبل بن كليب

ابن عوف بن معاهرين عمرو بن زيد بن مالك بن زيد

ابن العارث بن عمرو بن حجر بن قيس بن كعب بن

سهل بن زيد بن حضرموت

(١) زيادة يقتضيها السياق، وتفهم من خ. (٣٠٢: ١)، ن (٢٥٩: ١)، وليست في ر.

(*) الخطط (٣٠٣: ١)، والنجوم (٢٦٣: ١)، وحسن المحاضرة (٩: ٢).

(٢) كذا في خ، ن، وتهذيب التهذيب، الخلاصة في أسماء الرجال، وتقريب التهذيب. وفي ر: يوسف.

والسيد المسيح الذى قلوب الملوك بيده رد قلبه لمحبة
أبا خايل البطرك، وكان يدعو به إلى قصره ونحن
معه ويطلب منه أن يدعو له. وكانت ابنته قد
سكن فيها روح نجس وكان عمرها أربع سنين
فسأل الأب البطرك أن يصلى عليها فأخذ زيتا
وصلى عليه ودهنها به، فخرج الشيطان منها
للوقت فصار يحب النصراني لأجل محبته للأب
البطرك، كان أيضا يحب الأساقفة ويكرمهم،
وكان أبونا أنبا خايل حلوا الكلام حسن المنظر تام

ثم وليها حفص بن الوليد من قبل هشام على صلاتها، فجعل على شرطه: (١)

حدثني ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد بن عفير.

عن أبيه قال: كان حفص بن الوليد على شرط الحر بن يوسف، فشكاه عبيد الله بن
الحبحاب إلى هشام، فعزل الحر وولى (٢) حفص بن الوليد، فكتب عبيد الله إلى هشام: إنك
لم تعزل الحر إذ وليت حفصاً، فجعل الاختيار إلى عبيد الله. فاختر عبد الملك بن رفاعه.

قال عبد العزيز بن أبي ميسرة: فصرف حفص يوم الأضحى، لم يمكث إلا جمعيتين.

قال الليث وأبو ربيعة العامري وابن وزير: إن حفصاً صرف سلخ ذى الحجة سنة ثمان ومئة.

٢٣. عبد الملك بن رفاعه (*)

ابن خالد بن ثابت بن ظاغن

الثانية

ثم وليها عبد الملك بن رفاعه من قبل هشام على صلاتها، وعبيد الله يومئذ بالشام. ثم

(٢) ر: وولاه.

(١) ساقط من الأصل.

(*) الخطوط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٢٦٤)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

القامه نظيف اللباس ذا هيبه ووقار، وكان كلامه
مثل السيف على أهل المعاصي وتعليمه مثل الملح
لأهل الصلاح والعفاف، وكانت يد الله معه في
هذه الشدايد التي فعلها عبد الملك وكانت بيعة
اسكندريه تحت بلا عظيم في زمان الاكسندروس
البطرك، وكان لما نزع منها رخامها وخشبها الجليل
الذي ليس له ثمن، فاهتم بها الأب خايل وجدها
وأصلحها وبني غيرها من شرقي البلد ومن غربيها،
وتم ما بناه في أيام حياته.

قدم^(١) وهو عليل^(٢)، ليلة الجمعة لثني عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة تسع ومئة^(٣)، وكان
أخوه يخلفه عليها من أول المحرم. هذا قول ابن أبي ميسرة. وقيل: بل ولي أول المحرم، ومات
للنصف منه. وكانت ولايته خمس عشرة ليلة^(٤).

٢٤. الوليد بن رفاعه(*)

ابن خالد بن ثابت بن طاعن الفهمي

ثم وليها الوليد بن رفاعه من قبل أمير المؤمنين هشام على صلاتها. فاستقبل الوليد بولايته سنة
تسع، وجعل على شرطه عبد الله بن أبي سمير الفهمي، ثم عزله وولي عبد الرحمن بن
خالد^(٥) بن مسافر بن خالد بن ثابت ابن طاعن الفهمي.

(١) القادم من الشام هو عبد الملك بن رفاعه، لا عبيد الله بن الجحاب، كما قد يفهم من العبارة. ولعل
عبيد الله محرفة عن عبد الملك. وانظر خـ (٣٠٣: ١)، ن (٢٦٥: ١).

(٢) كذا في ر، خـ، ن. وفي ص: عامل.

(٣) ن: «فقدم عبد الملك.. في أول المحرم، وقيل: اثني عشرة ليلة خلت من المحرم سنة تسع ومئة والأول
أصح».

(٤) زيادة عن خـ. وقد زادت ركلمة «ومات» بعد «تسع ومئة»، ولكني آثرت وضع الزيادة هنا تبعاً للخطط

(*) الخطط (٣٠٣: ١)، والنجوم (٢٦٥: ١)، وحسن الحاضرة (٢: ٩).

(٥) ن (٢٦٥: ١): خالد بن عبد الرحمن الفهمي. وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة عبد الرحمن
ابن خالد.

ولما كان فى بعض الأيام أراد الوالى باسكندريه
أن يرمى [ينزل] مراكب الأسطول [الجديد] إلى
البحر [لخسارة الروم]. وكانو جماعة من
الارتدكسين فى بيعة السيده العدى مرتيم نحو
من عشرة الاف إنسان، فنظر شاب من المسلمين
مثال صورة السيد المسيح على الصليب مصورا
على الخائط وصاحب الحربه يطعنه، فقال للنصارى
يجربهم: أى شى هو هذا الذى على الصليب ؟
فقالو له: هى علامة الهنا المسيح على الصليب

وفى ولاية الوليد نقلت قيس إلى مصر، فى سنة تسع ومئة، ولم يكن بها^(١) منهم أحد
قبل ذلك، إلا من كان من فهم وعدوان. فوفد ابن الجحاب على هشام، فسأله أن ينقل إليها
منهم أبيتا. فأذن له هشام فى إلحاق ثلاثة آلاف منهم، وتحويل ديوانهم إلى مصر، على أن لا
ينزلهم الفسطاط. ففرض لهم ابن الجحاب، وقدم بهم، فأنزلهم الخوف الشرقى، وفرقهم فيه.

فحدثنى يحيى، عن ابن الوزير، عن أبى زيد، عن الهيثم بن عدى، قال:

حدثنى غير واحد أن عبيد الله بن الجحاب، لما ولاه هشام مصر، قال: ما أرى لقيس فيها
حظا إلا لناس من جديلة، وهم فهم وعدوان، فكتب إلى هشام: «إن أمير المؤمنين - أطل الله
بقائه - قد شرف هذا الحى من قيس، ونعشهم ورفع من ذكرهم، وإنى قدمت مصر فلم أر
لهم فيها حظا إلا أبيتا من فهم. وفيها كور ليس فيها أحد، وليس يضر بأهلها نزولهم معهم،
ولا يكسر ذلك خراجا، وهى بلبس. فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس،
فليفعل» فكتب إليه هشام: أنت وذلك. فبعث إلى البادية، فقدم عليه مئة أهل بيت من بنى
نصر^(٢) ومئة أهل بيت من بنى عامر، ومئة أهل بيت من أفناء هوازن، ومئة أهل بيت من بنى
سليم فأنزلهم بلبس، وأمرهم بالزروع. ونظر إلى الصدقة من العشور، فصرفها إليهم. فاشترؤا

(٢) خك نصر. ر: مضر.

(١) كذا فى خ (٨٠: ١). وفى ر: لها.

خلاص العالم. فعند ذلك اخذ قصبه وصعد على
الأسطوان الفوقاني وطعن الصورة في الجانب الآخر
الأيسر وهو مستهزئ بكلامه ويجدف، وللوقت
صارت صورة الشاب مبسوطة كأنه مصلوب على
مثال شبه الصورة التي طعنها، ولحقه وجع عظيم
حتى كأنه قد طعن في جنبه مثلها، والتصقت يده
على القصبة التي طعن بها، ولم يقدر أحد
يخلصها من يده، وصار معلقا في وسط الشعب
بين السما والأرض. فلم يزل كذلك نهاره أجمع

إبلاً، فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم. وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير وأكثر
وأقل. ثم أمرهم باشتراء الخيول. فجعل الرجل يشتري المهر، فلا يمكث إلا شهراً حتى يركب،
وليس عليهم مؤونة في إعلاف إبلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم. فلما بلغ ذلك عامة قومهم
تحمل إليهم خمس مئة أهل بيت من البادية. فكانوا على مثل ذلك، فأقاموا سنة. فأتاهم نحو
من خمس مئة أهل بيت. فمات هشام وبليس ألف وخمس مئة أهل بيت من قيس. حتى إذا
كان في زمن^(١) مروان بن محمد، وولى الخوثر بن سهيل^(٢) الباهلي مصر، مالت^(٣) إليه
قيس، فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت، ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم.
قال الهيثم: فحدثني أبو عبد العزيز قال: أحصيناهم في ولاية محمد بن سعيد على مصر،
فوجدناهم صغيرهم وكبيرهم وكل من جمعت الدار منهم خمسة آلاف إلا مئة أو مئتين.
وفي أمرته خرج وهيب اليحصبي شارد^(٤) بالفسطاط في سنة سبع عشرة ومئة. وذلك أن
الوليد بن رفاعة أذن للنصارى في ابتناء كنيسة بالحمراء، تعرف اليوم بأبي مينا^(٥)، فخرج

(٢) كذا ر، خ. وفي صك سهل. خطأ

(١) خ: كان زمن. وهي أفصح.

(٣) كذا ر، خ وفي ص: فمالت.

(٤) كذا في خ (١: ٣٠٣)، وفي رك شارباً.

(٥) بين القاهرة ومصر القديمة.

وهو يصرخ ويقول: يا قوم طعنت في جنبى.
فصرخو المسلمون على النصارى بصوت عظيم
مجددين لله صانع العجايب وسالوهم ان يدعوا الله
لخلاصه فدعوا النصارى وقالو «كيرياليسون»
[أرحم يا رب] عدة دفعوع فلم ينزل من مكانه إلى
أن قال واحد من المسلمين له: انك أن لم تعترف
بأمانة النصارى وتقول أن هذه الصورة صورة
المسيح ابن الله وتكلم بما يقولونه ويعتقدونه
مثلهم وألا فما يخليك تنزل أبدا. فقبل قول ذلك

وهيب غضباً لذلك. فأتى إلى ابن^(١) رفاعه ليفتك به. فاخذ وقتل، وهو الذى يقال له: «أين
صلاتك يا وهيب؟» وكان وهيب مدرياً^(٢) من اليمن، قدم إلى مصر. ثم خرج القراء على
الوليد ابن رفاعه غضباً لوhib. فقاتلوا الوليد بن رفاعه بجزيرة الفسطاط التى بين الجسرين،
وعليهم شريح بن صفوان التجيبى أبو حيوه بن شريح الفقيه.

حدثنى عمى قال: حدثنا ابن قديد عن أبى زيد، يخبر.
عن أبيه قال: [إنه] رأى معونة^(٣) امرأة وهيب الشارد^(٤) تطوف بالليل على منازل القراء
تعرضهم على الطلب بدم [وهيب وكانت]^(٥) امرأة جزلة مخلوقة الرأس.
وحدثنى ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه قال: أخذ أبو عيسى مروان بن عبد الرحمن الحصبى بوهيب فى نفر فقال مروان
إنما هو داف دف علينا^(٦) لا علم لنا به، وقد كان إبليس مع الملائكة فعصى فلم يؤاخذهم
الله بمعصيته. فخلي ابن رفاعه سيلهم.

(١) كذا فى خ (٥١٢: ٢). وفى ر: فأتى إلى أثر [ابن] رفاعه.

(٢) كذا فى ر عن خ (٥١٢: ٢). وفى ص: مودياً. ومدر: بلدة باليمن.

(٣) كذا فى خ (٥١٢: ٢) وفى ر: معوفة. (٤) انظر ما سبق.

(٥) زيادة فى ر عن خ (٥١٢: ٢). (٦) أى قادم قدم علينا.

الرجل المسلم واعترف أنها صورة المسيح وقال : انا
نصراني وعلى دين المسيح أموت . فحينذ نزل
وسط الجماعة ومضى إلى الديارات وتعمد هناك .

وكان الملك ذلك الزمان مروان وكانت يده
ثقيله جدا على جنده وأقامو زمانا يتحاربون
ويسفكون دما بعضهم بعضا حتى كان يموت في
يوم عشرون ألفا وتلتون ألفا إلى سبعين ألفا ولا
يهدون من الحرب مدة سبع سنين التي ملكها

وبعث أمير المؤمنين هشام بالمُدى مكابيل إلى مصر ، وأمرهم أن يتعاملوا بها فأمر
ابن رفاعه فطيف به على القبائل ، وأخبرهم أن أمير المؤمنين أمر به . فكل الناس مسلم لذلك ،
حتى أتى به إلى المعافر ، فعرض عليهم . وأتى به إلى عبد الرحمن بن حيويل بن ناشرة
المعافري ، وأخذه فضرب به الحجر فكسره ، ثم قال : إن لنا وية وإردبا قد عرفناهما ، ولنا
نحتاج إلى هذا فليل له : كاسر المدى ، وصار هذا نسباً لبنيه إلى اليوم ، يقال بنو كاسر المدى
قال شاعرهم :

قَسُومِي الَّذِينَ تَبَسَّادَرُوا	مُدَى الْخَلِيفَةِ بِالْحَجَرِ ^(١)
وَتَحَزَبُوا وَتَعَصَّبُوا	وَجَشَّسُوا عَلَيْهِ فَمَا تَكْسَرُ
مِنْ بَعْدِ مَا ذَكَرْتُ لَهُ	أَعْنَاقُ يَعْصَرُ بَلْ مُضَرُّ

وتوفي الوليد بن رفاعه ، وهو والد عليها ، يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة ، سنة سبع
عشرة ومئة . فاستخلف عليها عبد الرحمن بن خالد بن مسافر . فكانت إمرة الوليد عليها تسع
سنين وخمسة أشهر^(٢)

(١) في ص فوqe : بالمدى ، ولعلها رواية أخرى .

(٢) كذا في خـ ، نـ ، وهو الصحيح ، لأنه تولى ١٠٩ . وفي ر : سبع سنين وخمسة أشهر .

مروان لأجل انه أخذ مملكتهم، وفي السنة السابعة
 نظر شاب اسمه عبد الله (*) مناما وصوت من
 شخص يقول له تلت دفعات: قاتل مروان قاتل
 بالله تغلبه. وكان الشاب عبد الله من البادية
 يسكن البرية في الخيم وكان أبوه شيخا اسمه أبو
 مسلم [الخراساني]، فظهر له في المنام كما ظهر
 للشاب عبد الله وكتب الشيخ المنام وعلقه على
 باب الخيمة، فلما رأوه المسلمون اجتمعوا له ليعرفوا
 الخبر فأعلمهم ، فقالوا له: نحن نساعدك وإذا

٢٥. عبد الرحمن بن خالد (*)

ابن مسافر بن خالد بن ثابت بن طاعن

الفهمي، يكنى أبا الوليد (١)

ثم وليها عبد الرحمن بن خالد بن مسافر من قبل هشام على صلاتها، فجعل على شرطه
 عبد الله بن يسار (٢) الفهمي.

فحدثني ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد بن عفير.

عن أبيه: أن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، كان على بحر أهل مصر سنة
 ثمانى عشرة ومئة. [فجاء الروم] فنزلوا على تروجة (٣) فحاصروها، ثم انصرفوا. وأقبلت
 سفن الروم فأسروا نعيم بن العجلان وعبد العزيز بن مروان (٤). فلما قدموا ألفوا على مصر

(*) الخطط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٢٧٧)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

(١) وقيل: أبا خالد. (٢) ن: يشار.

(٣) تروجة: كانت قرية، موضعها اليوم كوم تروجة، الواقع بحوض تروجة، بأراضي ناحية زاوية صقر، بمركز
 أبي المطامير من مديرية البحيرة. وكلنا جاء الأسم في خ (١: ٣٠٣) وفي ر: قمرجة. وزدت ما بين
 قوسين، استيحاء من الخطط، إذ غير معقول أن يكون المصريون النازلين والخاصين.

(٤) كذا في ر، وهو إما غير الرأى السابق ذكره، وإما اسم محرف.

نصرك الله نحن نملكك علينا فاجتمع له عده
كثيره من القبائل لما سمعوا بذلك وصار معه
عشرون ألف فارس، ولكن لم يكن معهم سلاح
فقطعو جرايد من النخل وجعلوا عليها الأسنة
وخرجوا للقتال وقوة الله معهم فخرج إليهم
مروان ومعه مائة ألف مقاتل بالعدد والسلاح
والزروء واخوذوا التقو، فقسم عبد الله جيشه على
فرقتين، فلما رأهم مروان قال لهم كما قال جليات
الجبار لداود خرجت للقتال مثل الكلب. فاخرج

عبد الرحمن بن خالد بن مسافر. فكتب إلى هشام يخبره بمصائبهم. وكان سالم أبو العلاء
يقرأ الكتب، فلا يدخل على هشام إلا ما يسره. فقال عبد الرحمن بن مسافر لرسوله:
أدخل هذا الكتاب في خفك^(١) وأظهر هذا - يذكر فيه الفتح والسلامة - فإذا دخلت
فأخبر بالكتاب الذي في خفك. ففعل فغضب هشام، وقال: اكتم مثل هذا. فقبل له هشام:
يا أمير المؤمنين، إنه لين وهو حدث لا يستطيع بما هو فيه. فأرسل هشام إلى حنظلة بن
صفوان فسأله عنه، فلم يعرفه، فقال: إن امرأ لا يعرفه، وهو والى مصر، جدير أن لا يستأهل
ولايتها. فعزله وولى حنظلة. فقدمها يوم الرهان، وقد فرش الابن مسافر في منبر الخيل.
فجلس حنظلة في مجلسه. وقدم ابن مسافر حتى بلغ جبل يشكر^(٢)، فأخبر أن أميراً قد
قدم، وجلس في منبر الخيل. فقال: لا إله إلا الله، هكذا تقوم الساعة. ومضى كما هو إلى منبر
الخيل. فلما رآه حنظلة اعتذر إليه، وقال: لو علمت أنك هو ما وليت عليك. فكانت ولاية ابن
مسافر عليها سبعة أشهر وخمسة أيام.

(١) في ص بعد هذا: ففعل فغضب. وواضح أن موضعها الحقيقي بعد كلمة «خفك» الآتية، وإنما زاغت
عن بصر الناسخ.

(٢) جبل يشكر: بين القاهرة ومصر القديمة، وعليه جامع أحمد بن طولون.

مروان له أربعين ألف فارس بشياب ملونه مدرعين
لابسين الحديد، وكان أكثر عسكر عبد الله رجاله
[مشاة] فقتلوهم بنصر الله حتى لم يسلم واحد
منهم ونصرهم الله عليهم كقول موسى النبي: أن
واحدا ينصر الله له يهزم ألفا، واتان يرعبان
عسكرا. ونظر ابو مسلم ملاك الرب ويده قضيب
ذهب وباعلاه صليب(*) فهزم أعداءه وكان
ينظر الموضع الذى يدنو منه الصليب يسقطون بين
يديه أمواتا فيأخذ اصحاب عبد الله وأبى مسلم

(*) راجع نفس القصة أثناء حروب
قسطنطين فى الجزء الأول وهى
هنا قصة عجيبة لا ترد فى كتب
المؤرخين المسلمين.

٢٦. حنظلة بن صفوان(*)

ابن تويل بن بشر

الثانية

ثم وليها حنظلة بن صفوان ولايته الثانية على صلاتها، فقدمها يوم الخميس لخمس ليال خلون
من المحرم سنة تسع عشرة ومئة. فجعل على شرطه عياض ابن حريشة^(١) بن سعيد بن الأصبغ
الكلبي. ثم انتقض أهل الصعيد، وحارب القبط عمالهم فى سنة إحدى وعشرين ومئة. فبعث
حنظلة بأهل الديوان، فقتلوا من القبط ناساً كثيراً، وظفر بهم.

وقدم إلى مصر فى سنة اثنتين وعشرين ومئة، أبو الحكم بن أبى الأبيض العيسى^(٢) خطيباً
برأس زيد بن على، رضى الله عنه، يوم الأحد لعشر خلون من جمادى الآخرة، واجتمع الناس
إليه فى المسجد الجامع، وشكى عياض بن حريشة إلى حنظلة، ولم يحمد.

فحدثنى ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد.

(*) الخطط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٢٨٠)، وحسن الخاضرة (٢: ٩).

(١) ن (١: ٢٨١): ختمة.

(٢) خ (٢: ٤٣٦): القيسى

خيلهم وسلاحهم. ثم أخرج لهم أيضا مروان
أربعين ألف فارس أخرى فى رابع ساعه من النهار
من خلف الحجر، فأسلمهم الله فى أيديهم وأخذو
خيلهم وسلاحهم. فلما نظر مروان ذلك انهزم
وفعل خديعه وهوانه أخرج ماله وما يملكه من
الاموال والأواني والمتاع وجعل الذهب فى مزاد
وصار يبدده فى الطريق وهو منهزم، ومعه عشرون
ألف فارس التى بقيت معه ولم يعرف عبد الله وأبو
مسلم خديعته، فلما تبعوه اشتغلوا بنهب المال

عن أبيه قال: قال حنظلة حفص بن الوليد: إن عياضا قد شكى، فأشر على من أولى
الشرط. [قال] (١): قول قيس بن الأشعث التجيبي. قال: هو على الإسكندرية. قال: قد لحيت
عبد الله بن عبد الرحمن بن خديج عنها، فردده إليها، فهو يكفيكها، واضمم قيساً إليك. ففعل
حنظلة وولاه الشرط، وصرف عياض بن حريه، وذلك فى سنة اثنتين وعشرين ومئة.

ثم توفى قيس بن الأشعث، مستهل ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومئة، فجعل على
الشرطة عقبة بن نعيم بن صابر الرعيني، ثم أحد بنى زباع بن مرثد.

قال سعيد بن عفير: كانت لحنظلة بن صفوان ربطة مشية، يلبسها ويصلى فيها، فإذا كان
يوم الجمعة احتزم بها على قباء أبيض، وتقلد السيف، ثم يصعد المنبر فيخطب.

ثم ورد كتاب هشام على حنظلة بولايته إفريقية، وأمره بالمسير إليها وأن يستخلف على
مصر. فاستخلف حفص بن الوليد الحضرمي عليها. وخرج حنظلة إلى إفريقية، يوم الاثنين
لسبع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومئة. فكانت ولاية حنظلة عليها خمس سنين
وثلاثة أشهر (٢).

(١) زيادة عن ر.

(٢) نك خمس سنين وثمانية أشهر. وهو خطأ، لأنه تولى فى الحرم.

والسلاح سبعة أيام، فمضى مروان وعدى الفرات وغرق جماعه من أصحابه وطرح النيران في المراكب ولم يصل إلى البر إلا وهو في تمية آلاف رجل. فتقدم الشيخ أبو مسلم لعسكره بان يعملو صلبانا(*) من كل نوع ويجعلوهم قدامهم، وقال لهم: أن هذا هو الذي أعطانا الله الغلبة به وهو الذي أخذ لنا المملكة. وكانوا يزدادو كثرة ويجتمع الناس إليهم من كل موضع يصلون إليه من خراسان وبيت صيدا والفرات وبلاد الروم كل من

(*) وهذه من القصص النادر في كتب التاريخ.

٢٧. حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمي(*)

الثانية

ثم وليها حفص بن الوليد باستخلاف حنظلة على الصلاة، فأقره هشام عليها إلى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة أربع وعشرين. فجمع له هشام الصلاة والخراج جميعاً. فجعل على شرطه عقبة بن نعيم الرعيني يوم السبت لثمانى عشرة بقين من شعبان سنة أربع وعشرين. وجعل على الديوان يحيى بن عمرو من أهل عمقلاق، وعلى الزمام^(١) عيسى بن عمرو.

حدثني ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه.

عن ابن لهيعة: أن أرزاق المسلمين كانت اثني عشر إردباً في كل سنة فنقص إردبين، فصار كل رجل إلى عشرة. فلما ولي حفص بن الوليد صيرهم إلى اثني عشر اثني عشر.

حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن يحيى بن وزير قال: حدثني ابن وهب قال:

أخبرني بكر بن مضر قال: رأيت حفص بن الوليد استسقى بالناس في إمارة هشام بن عبد

(*) الخطط (٣٠٣: ١)، والنجوم (٢٩١: ١)، وحسن المحاضرة (٩: ٢).

(١) كذا وفي ن (٢٩١: ١). وفي ر: الشرط.

سمع من البلاد البعيدة وكل مدينته يملكونها
يركزون [يتحصن] أصحابهم فيها. فاما مروان
فكان يطرح النار (*) في كل موضع يصله وهو
منهزم، فلما وصل أبو مسلم وعبد الله إلى الفرات
ونظروا الحريق في المراكب لبسوا ثيابا سودا ولم
يحلقو رؤسهم ولا يجتمعوا بنسأهم ولزموا الصوم
والصلاة ستة شهور إلى أن أسلم الله عدوهم في
أيديهم. ثم انهم استخدموا مراكب وعبروا الفرات
وتبعوا مروان، وكانوا إذا وصلوا موضعا فيه نصارى

(*) مروان يحرق كل البلاد التي
ينسحب منها حتى لا يستفيد
منها أبو مسلم الخراساني.

الملك، قال: فرأيت رقي المنبر، واستقبل الناس بوجهه يخطب ودعا، ثم حول إلى الناس ظهره،
واستقبل القبلة يدعو، وحول رداءه ودعا الله، ثم حول وجهه إلى الناس، ثم نزل فصلى
ركعتين.

ثم توفي هشام يوم الاربعاء لعشر خلون من ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومئة.

حدثنا علي بن سعيد قال: حدثنا سويد بن سعيد قال:

حدثنا ضمام قال: لما بلغ أبا قبيل موت هشام، وضع يده على خده حزينا وفرح الناس.
ف قيل له: قد تباشر الناس وأنت حزين. قال: أو شك أن يتمنوا حياته.

واستخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فأقر حفصا على صلاتها وخراجها، وأمر بإخراج
أهل الشام الذين بمصر إلى أجنادهم. فأمرهم حفص بالخروج. فامتنعوا وحاصروا حفصا في
داره، فقاتلهم لعصر يوم الثلاثاء للنصف من رجب سنة خمس وعشرين ومئة. فظفر بصاحبهم
ربيعة من موالى أهل حمص فقتله، وأخرج أصحابه إلى أجنادهم. وقدم عيسى بن أبي (١)
عطاء على أرض لمصر وخراجها، يوم الثلاثاء لتسع (٢) بقين من شوال سنة خمس وعشرين
ومئة، وصرف حفص عن الخراج وانفرد بالصلاة.

(١) زيادة عن خ، ن.

(٢) خ، ن: لسبع.

يصلحون [يضعون] عليه علامة الصليب وكانو
يعملونه على خيامهم وتيابهم والمسلمون يلبسون
ثيابا سودا، ومن لم يكن بهاذه العلامات قتلوه،
لان أصحاب مروان كانوا لا يرون بذلك، فكانوا إذا
وجدوهم قتلوهم وشقرو بطونهم ويطون نسايم
الحبالى ويقتلون الأطفال ويقولون ما ندع لهم من
نسل على الأرض.

ثم دخل مروان إلى بيت مال المملكة، يعنى

ووفد حفص بن الوليد على الوليد بن يزيد، واستخلف على مصر عقبة ابن نعيم الرعينى.
وقتل الوليد بن يزيد لسلخ جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومئة، وحفص بالشام. ثم بويع
يزيد بن الوليد، فأمر حفص بن الوليد باللاحاق بجنده، وأمره [أن] يفرض الثلاثين^(١) ألفاً.
فدخلها ففرض الفروض، وخرج بيعة أهل مصر إلى يزيد بن الوليد عقبة بن نعيم الرعينى،
والربيع بن عون بن خارجة بن حذافة العدوى وحواش بن حميد الحمصى، وهانى بن المنذر
الكلاعى، وعمرو بن الحارث الفقيه مولى الأنصار. وجعل حفص بن الوليد على فروضه قواداً،
وسمايم أصحاب الندبة. وفرض حفص لفروضه فى عشرين وخمسة وعشرين فهم الذين
يقال لهم الحفصية والمقامصة والموالى. وجعل حفص على الصعيد رجاء بن الأشيم، وعلى
أسفل الأرض فهد بن مهدى الحضرمى.

ثم توفى يزيد بن الوليد لهلال ذى الحجة سنة ست وعشرين ومئة، وبويع إبراهيم بن
الوليد، فولى ذا الحجة والمحرم من سنة سبع وعشرين ومئة. وخلعه مروان بن محمد بن مروان
بن الحكم فبويع، فاستقبل بخلافته صفراً من سنة سبع وعشرين ومئة. فكتب حفص بن
الوليد إلى مروان، يستعفيه من ولايته على مصر، فأعفاه مروان. فكانت ولاية حفص هذه
الثانية عليها ثلاث سنين إلا شهراً^(٢).

(٢) خد: إلا شهراً.

(١) كذا فى ن. وفى ر: وأمره بفرض ثلاثين.

دمشق لأنها كانت كرسى مملكة بنى أمية، وأخرج منه مالا كثيرا وجواهر وذخاير وأحرق الباقي بالنار. وكان يفعل هذا حتى أحرق سبع كور. فلما سمع عبد الملك صاحب مصر الخبر خاف أن يخرج به مروان إلى الحرب^(*)، فكتب إليه كتابا بمكر يدعو به إلى مصر ويقول له فيه: ليس لأعدائك مدخل إليها فسار وكان يقتل مقدمى البلاد والكور التى يعبر عليها، ويأخذ أموالهم، وكذلك كان يفعل فى ديارات الرهبان أخربها وأخذ أموالهم.

(*) عبد الملك والى مصر الأموى يطلب من مروان الحضور إلى مصر والتحصن فيها خدعة منه حتى لا يطلبه مروان للدفاع عن دمشق.

٢٨. حسان بن عتاهية^(*)

ابن عبد الرحمن بن حسان بن عتاهية بن خنذ^(١) بن سعيد^(٢) بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد
ابن نجيب

ثم وليها حسان بن عتاهية من قبل مروان بن محمد، وحسان يومئذ بالشام. فكتب حسان إلى خير^(٣) بن نعيم الحضرمي باستخلافه عليها إلى قدومه. فسلم حفص إلى خير^(٣). ثم قدم حسان يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومئة، فأسقط حسان فروض حفص كلها فحدثني ابن قديد عن عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه: أن مروان ولي عيسى بن أبي عطاء الخراج، وحسان^(٤) على الصلاة. فلما استقر

(*) المخطوط (٣٠٣: ١)، والنجوم (٣٠٠: ١)، وحسن المحاضرة (٩: ٢).

(١) كذا فى ن، ق، ر. وفى ص: حزن.

(٢) ن: سعيد.

(٣) كذا فى خ، ف (١١٤، ٢٤٠، ٢٨٢)، ر. وفى ص: جبير.

(٤) كذا فى ر. وفى الأصل: عيسى. خطأ.

وكان بأعمال فلسطين دير طاهر نظيف يقرى
 [يعول] ويخدم الافا من عابري الطريق، وكان فيه
 ألف راهب كان اسم ذلك الدير «دير موت»
 ويسمى بلغة القبط دير «ابا هرمانوس» وهو الذى
 اصلح فيه «مكسيموس» ودوماديوس «اخوه هناك
 اولاً، وهو [ابا هرمانوس] الذى اخذ «طومس لاون»
 ومضى إلى قبور آبائه ومعه جند الامير وصاح على
 قبورهم بصوت عظيم وقال: لا تظنوا انكم نيام
 وليس لكم امر، حى هو الرب ان لم تجاوبونى

 حسان على ولايته وثب به قواد الفروض^(١)، وقالوا: لا نرضى إلا بحفص. ورجعوا إلى دار
 حسان. قال سعيد وأحمد بن سماك بن نعيم: إن ثابت بن نعيم الجذامي^(٢)، ممن خالف على
 مروان، كتب إلى حفص بن الوليد، مع عبد العزيز بن سماك الجذامي^(٣). وقدم معه نفر من
 اليمانية، فخطبوا فى مسجد مصر، ودعوا الناس إلى خلع مروان. فلم يخالفهم أحد إلا يزيد
 بن أبى أمية المعافى فقال: تفسدون جندنا وتشيعون^(٤) أمرنا. وقدم عليهم أيضاً رسول زامل
 بن عمرو من حمص^(٥)، وقد خلع مروان بها، فدعاهم إلى مثل ما دعاهم إليه ثابت بن نعيم.
 وحدثنى يحيى بن أبى معاوية قال: حدثنى خلف بن ربيعة، عن أبيه.

عن جده قال: لما ورد كتاب ثابت بن نعيم، أجابه أهل مصر إلى ما سأل، وركب رجاء بن
 الأشيم^(٥) فى أصحاب الندبة إلى دار حسان ابن عتاهية، فحاصروه فيها، وقالوا: اخرج عنا

(١) لأنه أسقط فروضهم كما سبق.

(٢) كذا فى ر، عن ن، ط. وفى صك الخزامى.

(٣) كذا فى ر، ص، ولعله يريد تفرقون، وذهبت ر إلى أن: لعل صوابه: تشتتون.

(٤) ذهب الطبرى (٢: ١٨٩٢، ١٨٩٤) وابن الأثير (٥: ٢٥٠) إلى أن زامل بن عمرو الجبرائى كان أميراً
 على دمشق (لا حمص)، وأنه لم يخلع مروان، وإنما ثار أهل الغوطة عليه وحاصروه، فحاربهم وأتته
 النجدات من مروان، فهزم الثائرين.

(٥) ر: جابر بن الأشيم. وأثرت تصحيحه بحسب ما مضى وما يأتى.

لأخرجن عظامكم واحرقها بالنار، عرفوني ما ترون
هل اقبل «طومس لاون» أو امانة نيقية، فقولوا لي
علانية سرعه. فاجابوه كلهم من فم واحد وصرخو
وقالو: ملعون لاون الكافر الأسد المفترس الكافر،
وبلخاريه المرذولة، وملعون مجمع خلقدونيه
الستمايه وتلتون اسقفا الخالفين، وملعون كل من
يقبلهم، وملعون من يجعل للمسيح ابن الله
طبيعتين بعد الاتحاد. فلما سمع الطوباني «ابا
هرمانوس» سقط على الأرض، فلما نظره الأمير

حيث شئت، فإنك لا تقيم معنا ببلد. وأخرجوا عيسى بن أبي عطاء صاحب الخراج، وذلك
ليومين بقيا من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومئة.
وحدثني ابن قديد، عن عبيد الله، عن أبيه.

عن عمرو بن يحيى^(١) قال: لما رأى ذلك حسان، نقض ولايتهم، وهرب حفص بن الوليد
إلى خراب حمير. فانطلقوا فاستخرجوه وأعادوه، فسكن الناس. فكانت ولاية حسان عليها
سنة عشر يوماً.

٢٩. حفص بن الوليد(*)

الثالثة

ثم وليها حفص بن الوليد كرها، أخذه^(٢) قواد الفروض بذاك. فأقام عليها رجب وشعبان،
وعلى شرطه عقبة بن نعيم. ولحق حسان بن عتاهية بمروان.

وقدم حنظلة بن صفوان الكلبي من إفريقية، قد أخرجه أهلها، فنزل الجيزة. فكتب مروان
إلى أهل مصر: «أما إذ أيتم ولاية حسان، فقد أمرت عليكم حنظلة بن صفوان». فامتنع

(١) كذا في ن (٣٠١: ١). وفي ر: بحرى.

(*) الخطط (٣٠٣: ١)، والنجوم (٣٠٢: ١)، وحسن المحاضرة (٩: ٢).

(٢) كذا في خ. وفي ر: أخذه.

الواصل «بالطومس» وسمع كلامهم له حلق رأسه وصار راهبا وجماعة معه، ثم استحق الشهادة بعد ذلك لن [لأن] «مرقيان» الملك لما بلغه عنه ما فعل انفذ فقتله. ومن ذلك الزمان جماعة من الأرتدكسيين باقون في هذا الدير الجليل، ولما وصل مروان إلى هذا الدير المذكور طالبهم بمال مبلغه تلت وزنات مال، وانزل على ريس الدير والذي معه عذابا شديدا وقتلهما ونهب الدير وخرج ومعه جيشه. فلما بعدو عن الدير قليلا كان هناك حبيس

المصريون وأظهروا الخلع. ومضى رجاء ابن الأشيم في الفروض إلى حنظلة، فأخرجته إلى الخوف الشرقي، ومنعوه من المقام في القسطاط. وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين، يريد مصر. فبعث إليه حفص بشرحيل بن قليب الحجري يمنعه من دخولها. وخرج إليه زيان بن عبد العزيز بن مروان، بنى إليه ومواليه من أرض مصر. ومع زيان جمع من قيس فقاتلوا فهزموه. قال الغطريف الحميري:

وَمَنْ زَامِلٌ لَا قَدَسَ إِلَهُ زَامِلًا وَمَنْ أَعْبَدَ لَمَّا بَتَلَكَ الْمَرَاغِلُ (١)
وَمِنْ شَيْخٍ سَوَّءٍ خَرَّقَ إِلَهُ عَظْمَهُ حَفِصٌ وَأَبَاعَ لَهُ غَيْرَ طَائِلِ

وقال سعيد بن شريح مولى نجيب يهجو حفصا، وكان سعيد منقطعا إلى زيان بن عبد العزيز بن مروان:

يَا بَاعَثَ الْخَيْلَ تَرْدَى فِي ضَلَالَتِهَا مِنْ الْمُقْطَمِ فِي أَكْنَافِ حُلَوَانٍ (٢)
لَا زَالَ بَغْضَى يَنْمَى فِي صُدُورِكُمْ إِذْ كَانَ ذَلِكَ مِثْنَ حَبَى لَزْيَانِ

(١) أعبد: عبّد رقيق. ولما: جمعا. المراغل: المواضع التي تثبت الرغل، وهو نبت قاتل. يريد أن زاملا وعبده جميعا اجتمعوا على هذا النبات يأكلونه في شراهة. والشطر الثاني محرف كل التحريف في ر. ويفهم من الشطر الأول أن زاملا ثار على مروان، وبخلاف ما عند الطبري، كما سبقت الإشارة.

(٢) تردى: تعدو. والشطر الثاني في ر: من المعظم في اكناف جاوان. وينمى: يزيد.

على عمود شيخ كبير له فيه عدة سنين، وكان ارتد كسيا تاودوسيوسيا، فقال بعض اصحاب «مروان» ان هذا الشيخ الراهب كلما يقوله حق ويصح، وجا إليه فقال له: ما ذا يجرى على؟ فقال له الشيخ بصوت خفى كصوت ارميا النبي: إذا قلت لك الحق انت تقتلني، ولكن انا أقول ما اظهره الله لي والذي قال الله لي عنك، بالكيل الذي كلت به يكال لك، كما انك جعلت الأمهات بغير اولاد كذلك تصير امك بغير اولاد،

وسكت مروان عن أهل مصر، بقية سنة سبع وعشرين . ثم عزل حفصاً مستهل سنة ثمان وعشرين ومئة.

٣٠. الحوثة بن سهيل (*)

ابن (١) العجلان بن سهيل بن كعب بن عامر بن عمير

ابن رياح بن عبد الله بن عبد بن قراص (٢) بن باهلة

ثم وليها حوثة بن سهيل الباهلي من قبل مروان. فسار إليها ومعه عمرو ابن الوضاح في الوضاحية، وهم سبعة آلاف. وعلى أهل حمص نمير بن يزيد ابن حصين بن نمير الكندي، وعلى أهل الجزيرة موسى بن عبد الله الثعلبي، وعلى أهل قنسرين أبو جمل بن عمرو بن قيس الكندي . وبعث حوثة بأبي الجراح الجرشي بشر بن أوس إلى مصر. فقدمها يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرم سنة ثمان وعشرين ومئة. واجتمع الجند إلى حفص، وسأله أن يمانع الحوثة.

(*) الخطط (٣٠٣: ١)، والنجوم (٣٠٥: ١)، وحسن المحاضرة (٩: ٢).

(١) كذا في ص، خـ (٣٠٣: ١)، والتاج، واحدى نسخ ن، وفي ر عن ن وحاشية في صك أخو، وتقول الحاشية: «ابن يونس في تاريخ الغرباء: حوثة بن سهيل الباهلي، أخو العجلان ابن سهيل، من أهل قنسرين، أمير مصر لمروان بن محمد، كان رجل سوء سفاكاً للدماء، يحكى عنه حكايات في هذا».

(٢) كذا في ق. وفي ر: فراض.

ويكون ملكك مخوفا جدا لكلمن يشاهدك
ويستاسرون اولادك وكلمن لك، وياخذ ملكك
الذى يتبعك الان [اى ابو مسلم وعبد الله] ولا
ياخذ احد من جنسك الملك إلى الأبد، ويهزمونك
اعداك إلى ان تصل إلى «ارمنويتس» (*) إلى
«الكلاوبطره»، ويحل بك هذا كله فى هذه السنه
فى شهر مسرى. فلما سمع ذلك مروان امر بهدم
العمود وانزل الشيخ منه فاحرقه بالنار وهو حى.

(*) قتل مروان الحمار ببوصير فى
يوليو ٧٥٠ م = مسرى ٤٦٦
قبطية = ذى الحجة ١٣٢ هـ
وارسلت رأسه إلى عبدالله السفاح
الخليفة العباسى: انظر الهامش
السفلى ص ٣٩٨.

فامتنع وقال لأبى الجراح: قد سلمت إليك ما يبدى . فعزل حفص يومئذ . وأمر عبد الرحمن
بن سالم بن أبى سالم الجيشانى بالصلاة بالناس إلى قدوم الخوثره . وختم على الدواوين وبيت
المال .

وخشى أهل مصر من خوثره، فبعثوا إليه يزيد بن مسروق الحضرمى . فتلقاه بالعريش،
فسأله أن يؤمنهم على ما أحدثوا. فأجابه الخوثره إلى ما سأل، وكتب لهم كتاباً بعهد وأمان .
فاتاهم به يزيد فاطمأنوا إلى ذلك. ثم بعث إليهم خوثره، يستأذنهم فى المسير إليهم والدخول
إلى مصر، فأذنوا له. وسار إليها حتى نزل المسناة، وبعث إليهم: إن كنتم فى الطاعة فالقونى
فى الأردية. فقال رجاء بن الأشيم الحضرمى لحفص بن الوليد: أطننى أيها الأمير وامنعهم.
قال: أكره الرياء. قال: فدعنى أقف فى جبل، فإن رأيت ما تحب تطرفنا، وإن كان غير ذلك
استقلناك منهم. قال: قد أعطانى ما ترى من العهد، ولن أستظهر بغير الله. فقال رجاء: والله
لا رغبت نفسى عن نفسك. فخرج إليه حفص ووجوه الجند حتى دخلوا عليه فسطاطه، فقال
لحفص ورجاء: ما أنتما؟ قالا: حفص ورجاء. قال: قيدوهما، فقيدوا^(١). وانهزم أهل مصر.

وكان دخول الخوثره على الصلاة، وعيسى بن أبى عطاء على الخراج، يوم الاربعاء لاثنى

(١) كذا فى ص بصيغة الجمع.

(*) وصول مروان إلى مصر هارباً
من العباسيين

ثم وصل إلى مصر (*) في عشرين يوماً من
شهر بوونه في سنة أربع مائة وسبع وستين للشهداء،
وكان قبل أن تجرى هذه الأمور قد عصى على
«عبد الملك» قوم من «البشمور» (*) ومقدمهم
«مينا بن بكيره» وقوم آخر من «شبرا» بسنبوط،
ومسكو تلك الكورة ولم يعطوه خراجاً ولا
لصاحب ديوان مصر إلى أن افتقدتهم الرب وكان
يعطيهم الظفر، فخرج إليهم «عبد الملك» بعسكر

(*) هذه هي المرة الأولى التي يرد
فيها ذكر ثورات البشمور بشكل
واضح، وقد تنابعت ثوراتهم بعد
ذلك في ظل العباسيين وخاصة
في عهد الخليفة المأمون.

عشرة ليلة نزلت من المحرم سنة ثمان وعشرين ومئة. فجعل حوثة على شرطه حسان بن
عتاهية.

حدثني ابن قديد قال: حدثني أبو نصر أحمد بن علي بن صالح قال: حدثنا يحيى بن
عثمان بن صالح.

عن أبيه قال: سمعت بكر بن مضر^(١) يقول: قدم علينا كتاب أمير المؤمنين مروان في
حوثة بن سهيل، أن قد بعثت إليكم رجلاً أعرايياً بدوياً فصيح اللسان، وحاله ومن حاله
[كذا] (٢) فاجمعوا له رجلاً فيه مثل فضاله يسدده في القضاء، ويصوبه في النظر، ويسدد في
كذا و كذا. قال بكر بن مضر: فأجمع الناس كلهم يوماً على الليث بن سعد، وفيهم
معلماه يزيد بن أبي حبيب وعمرو بن الحارث. وجمع الجند إلى المسجد فخطبهم الحوثة
بشعر بليغ:

برأى أصـيـلٍ أو يـرّة إلى حلـمٍ
فَقُلْتُ لَهُ مَهْلاً هَلُمَّ إِلَى السَّلَامِ

دَعَوْتُ أبا لَيْلى إلى الصَّلَاحِ كَيْ يَبُو
دَعَانِي لِشَبِّ الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ

(١) أبو محمد أو أبو عبد الملك مولى ربيعة بن شرحبيل، وفي رك منصور. خطأ.

(٢) زيادة عن ر.

(*) هزيمة عبد الملك على يد مينا
ابن بكيرة قائد ثورة البشمور، انظر
ص ٤٠٤ الجزء السفلى ولاية أبو
عون عبد الملك بن يزيد.
(*) هروب مروان إلى مصر أمام
جيوش العباسيين

فهزموه(*) بقوة الله وقتلوهم بحد السيف. وانفذ
عسكرا آخر واسطولا في البحر، وبقوة الله
هزموهم وقتلوهم. ولما وصل مروان إلى مصر(*)
عرفوه جميع ذلك فكتب لهم كتباً وأماناً فلم
يقبلوه، فانفذ لهم عسكراً كثيراً من مسلمي مصر
ومن وصل صحبته من الشام، فلم يقدر العسكر
ان يصل إليهم بالجملة لنهم [لأنهم] تحصنوا في
مواضع الوحلات التي لا يقدر ان يصل إليها سوى

وبعث حوثة الخيل في طلب رؤساء الفتنة ووجوههم، وهم محمد بن شريح بن ميمون
المهري، وعمرو بن يزيد الشيباني، وعقبة بن نعيم الرعيني، ويزيد بن مسروق الحضرمي،
ومحمود بن سليط الجذامي، وأيوب ابن برغوث اللخمي. فجمعوا له وعامتهم. ثم ضرب عنق
رجاء بن الأشيم، وعمرو بن سليط، وابن برغوث، في جمع منهم، يوم الثلاثاء لاثني^(١)
عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمان وعشرين ومئة. وقتل محمد بن شريح بن ميمون المهري،
ثم قتل عقبة بن نعيم، وفهد بن مهدي^(٢). وقال حسان بن عتاهية لحوثة: لم يبق
لحضر موت إلا هذا القرن فإن قطعت قطعتها. يعني خير بن نعيم، كان على القضاء، فعزله
حوثة. وفرض الحوثة لشيعه مروان، ومن كان يكاتبه، ففرض لزبان بن
عبد العزيز في موالى بنى أمية ألفاً، وفي قيس ألفاً، وفرض لزيد بن أبي أمية الماعري ثلاث
مئة. وعقد الحوثة ل محمد بن زيان بن عبد العزيز على الجند. وأنفذ معه أهل الديوان إلى
العريش. فقتل عوف بن حراب الحروي^(٣). وطلبوا ثابت بن نعيم الجذامي، حتى أسروه وبعثوا
به إلى مروان ثم قتل الحوثة حفص بن الوليد، ويزيد ابن موسى بن وردان، يوم الثلاثاء
لثلاثين خلعتا من شوال سنة ثمان وعشرين ومئة.

(٢) ص: مهري.

(١) ر: اثني.

(٣) كذا في ر، ولعله عون بن خارجة العدوي (ف ٨٤).

راجل راجل فاذا ذلت رجله عن الطريق غطس في اللوق وهلك. وكانوا العساكر يحرسونهم من بره، فيخرجون لهم في الليل «البشامره» من طرق يعرفونها يتلصصون عليهم ويقتلون من قدروا على قتله ويسرقون اموالهم وخيلهم فيطول عليهم الأمر فيرحلون عنهم(*) هزيمة قوات مروان على يد البشمو.

ثم وصل عبد الملك بعساكر عظيمه إلى اعمال دمشق فقسم عسكره مع اميرين شجاعين يسمى احدهما صالحا بن على والاخر ابا عون صديقه،

وكان زبان بن عبد العزيز شديد التحريض على حفص بن الوليد حتى قتل فكانت حضر موت (١) ... وكان.... (٢) عورات زبان أيام المسودة. وقال مسرور (٣) الخولاني:

فإياك لا تجنى من الشر غلطة فتودى كحفص أو رجا بن الأشيم (٤)
فلا خير في الدنيا ولا العيش بعدهم فكيف وقد أضحوا بسيف المقطم

وقال ابن ميادة المرى:

لقد سررتي إن كان شي يسرني مغازد ابن صبار على بلخ والسفر
وحوثة المهدي بمصر جياده وأسيافه حتى استقامت له مصر

وقال مرسل بن حمير يكي حفصا وأصحابه

يا عسين لا تبقي من العيسرات جسودى على الأحياء والأموات
بكي الذين مضوا فهم (قدا) صاد فوا صدقات (شدا) أبطلت ثارات (٥)

(١) كذا في ر، وقال : ليست بينة في الأصل كأن الكلمة «خصرموك».

(٢) كذا في ر، وقال : بياض قدر الكلمة الواحدت في الأصل.

(٣) ن (١: ٢٩٣): المسور (٤) كذا في ن. وفي ر: غلظة فتودى.

(٥) البيت محرف وناقص في ر، ولعل الصواب ما أثبتته

وقال لهما: إذا وجدتما مروان واخذتماه قدمتما
ملوكا، وابو عون اعطيه مصر. ثم سير مع صالح
ستين ألف فارس وستين اميرا، وسلم لأبي عون
اربعين ألف فارس واربع مائة قائد. فوصلا إلى
دمشق، وكان واليها صهر مروان زوج ابنته الكبيرة
فخرج اليهما طائعا فابقياه على ولايته وتوجها إلى
مصر. وعند وصولهما إلى غزة قالو لهما اهلهما: لم
يلبسو اهل دمشق السواد ولا ادوا لكم طاعة. فعادو
بغضب وقتلو جماعة كثيرة من اكابر اهل دمشق،

يا حَفْصُ يا كَهْفَ العَشِيرَةِ كُلِّهَا
إِما قُتِلْتَ فَأَنْتَ كُنْتَ عَمِيدَهُمْ
أَوْ دَى رَجَاءٍ لَا كَمِثْلَ رَجَائِنَا
وَشَبَابُنَا عَمَرُوا وَقَهْدُ ذُو النَّدَى
قُتِلُوا وَلَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ مُصَابِهِمْ
طَلْتُ دِمَارَهُمْ فَلَمْ يُعْرِجْ لَهُمْ
يا أَخِي النُّوَالِ وَسَائِرَ العَوْرَاتِ
وَالْكَهْفَ لِلأَيْتَامِ وَالْجَارَاتِ
رَجُلٌ وَعَقْبَةٌ فَارِجُ الكُرْبَاتِ
وَأَبْنُ السَّلِيطِ وَعَامِرُ الْغَارَاتِ
سَرَوَاتُ أَقْصَامِ بَنِي سَرَوَاتِ
بَيْنَ وَلَمْ يُطْلَبْ لَهُمْ بِجُنَاةِ

وقدم إلى مصر داعية عبد الله بن يحيى طالب الحق، فدعاهم . فبايع له ناس من نجيب
وغيرهم. فبلغ ذلك حسان بن عتاهية ، فاستخرجهم فقتلهم خوثة.

ثم صرف الخوثة عنها في جمادى الأولى^(١) سنة إحدى، وثلاثين ومئة. وبعث به مروان
مددا إلى يزيد بن عمر^(٢) بن هبيرة بالعراق. فحضر الحصار بواسط، ثم قتل مع يزيد بن
هبيرة. واستخلف الخوثة على مصر حسان ابن عتاهية.

وقال ابن أبي ميسرة: استخلف عليها أبا الجراح الحرشي^(٣). فكانت ولايته عليها ثلاث
سنين وستة أشهر.

(١) وقيل: إنه خرج لعشر خلون من رجب. (ن، خ).

(٢) كذا في خ، ن. وفي ر: الجرشي.

(٣) ر: عمرو خطأ.

وقتلوا وإليها صهر مروان واسرو ابنة مروان. ولما بلغ
الخبر مروان عرض عسكره فوجد من وصل معه
تمينة الاف فامر الرعية قايلًا: كل من لا يدخل في
ديني ويصلي صلاتي ويتبع رأيي من اهل مصر
قتلته وصلبته، ومن دخل معي في ديني خلعت
عليه واركبته واثبت اسمه في ديواني واغنيته. فتبعه
الف انسان سرعه وصلو صلاته، فدفع لكل واحد
عشرة دنائير. ثم اجتمع إليه الفان من مسلمي
مصر سوى من اطلقه من الحبس ومن كان خدمه

٢١. المغيرة بن عبيد الله (*)

ابن المغيرة بن عبد الله بن مسعدة بن حكمة (١) بن مالك بن

حذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية بن لؤذان بن ثعلبة

ابن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض

ابن ريث بن غطفان

ثم وليها المغيرة بن عبيد الله الفزاري من قبل مروان على صلاتها ، قدمها يوم الاربعاء لست
بقيين من رجب سنة إحدى وثلاثين ومئة (٢) ، فجعل على شرطه ابنه أبا مسعدة عبد الله بن
المغيرة ، وكان لينا محبا إلى الناس .

وخرج المغيرة إلى الإسكندرية في رمضان ، واستخلف عليها أبا الجراح الحرشي على الجند
والشرط . ثم هلك أبو مسعدة فجزع عليه أبوه ، ثم توفي بعده لثنتي عشرة ليلة ، كانت وفاته
يوم السبت لثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين ومئة . فكانت ولايته

(*) الخطط (١: ٣٠٣) ، والنجوم (١: ٣١٤) ، وحسن المحاضرة (٢: ٩) .

(١) كذا في ر ، وتاج العروس «حكم» وفي ن : عبيد الله بن سعد بن حكيم ، تحريف .

(٢) وقيل إنه قدم في السادس عشر من شهر رجب .

من اجناد عسكر المملكة، وانفذ ابن اخته إلى
اسكندرية ومعه مقدم من مقدمى عسكره وأمر ان
ياخذ الإسماعيليين بان يصلو صلاته. وكان
باسكندرية ريس مقدم أسمه الأسود قد اجتمع له
خلق كثير عند ما كانوا المسلمون يقاتلون الروم،
وكان قد تقدم مروان إلى الذين انفذهم إليها بان
يقتلوه هو وعشر مقدمين له من أجل انه لم يصل
إليه إلى مصر، وكان للأسود صديق بمصر عند
مروان جليسا له. فسمع ذلك فكتب إلى الأسود
يعرفه بما كان قبل وصولهم إلى اسكندرية فلما

عليها عشرة أشهر^(١) واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة وأجمع الجند على أن يولوا عبد الله بن
عبد الرحمن بن حديج الشرط، إلى أن يأتي رأى مروان. ثم صرف الوليد في النصف من
جمادى الآخرة.

٣٢. عبد الملك بن مروان(*)

ابن موسى بن نصير مولى لخم

ثم وليها عبد الملك بن مروان النصيرى من قبل مروان، وجمع له صلاتها وخراجها. وكان
والياً على خراجها قبل أن يولى الصلاة. فجعل أخاه معاوية بن مروان على الشرط. وليها في
جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

ثم إن معاوية استعفى أخاه من الشرط بعد أشهر. فأعفاه وجعل مكانه عكرمة بن عبد الله
بن عمرو بن قحزم الخولاني. وإن عبد الملك أمر باتخاذ الناس المنابر في الكور، ولم تكن قبله،
إنما كان ولاة الكور يخطبون على العصى إلى جانب القبلة.

وخرج رجل من القبط يقال له يحنس بسمنود. فبعث إليه عبد الملك بعبد الرحمن بن

(١) ن: عشرة أشهر إلا أياماً ثلاثة، وفي إحدى مخطوطات ن: إلا أياماً قليلة، وهو الأصح.

(*) الخطط (٣٠٤: ١)، والنجوم (٣١٦: ١)، وحسن المحاضرة (٩: ٢).

علموا أهل اسكندرية ذلك حلفوا للأسود وصاروا
هو وهم قلبا واحدا، فلما وصل رسول مروان ومن
معه قبضوهم ورموهم فى السجن، وحشد الأسود
جمعا كثيرا من اسكندرية ومريوط والبحيرة من
المسلمين الذين فى تلك النواحي وجعلوهم خارجا
عن صور اسكندرية لحفظ الطرقات، فلما اعلموا
مروان ذلك انفذ عسكريا عظيما صحبة امير مقدم
اسمه كوزارا(*) وكان يشبه الوحش فى خلقه
وكان شجاعا ومعه خمس مائة مقاتل، وتقدم

(*) كوزارا : هو الحوثة أو الكوثر
بن سهيل الباهلى. انظر الجزء
السفلى ص ٣٩٧.

عتبة المعافى. فقتل يحنس فى كثير من أصحابه. وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن
مروان على مروان أمير المؤمنين، وتابعه على ذلك الرماحس بن اعيدا^(١) العزى الكنانى فى
جمع من قيس . فنزلوا الخوف الشرقى وأظهروا الفساد. فبدر عبد الملك بن مروان أهل الديوان
إليهم، وجعل على جماعتهم موسى بن المهند بن داود بن نصير. فساروا فى سبعة آلاف إلى
بليس. فلما التقوا دعوا إلى الصلح، على أنهم يخرجون عمرو بن سهيل والرماحس إلى أى
أرض شاءا. فأجابهم موسى بن المهند إلى الصلح وانصرفوا . ثم ظفر بعد ذلك بعمرو بن
سهيل فحبس بالفسطاط.

قدوم مروان بن محمد إلى مصر

وأجمع جند مصر على منع مروان إن هو سار إليهم، وجعلوا على أمرهم ذلك عبيد الله
بن عبد الرحمن بن عميرة الحضرمي. فقدم عبيد الله بن مروان على مقدمة أبيه، فدعاهم ابن
عميرة إلى النهوض معه، فتأقلوا عنه، فرفض أمرهم.

وقدم مروان بن محمد مصر يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومئة^(٢).

(١) كذا فى القاموس المحيط (رمحس) . وفى ر: الدماحس بن اعيدا العزيز. وفى طك الرماحس ابن
عبد العزيز.

(٢) ن : وقيل لثلاث بقين من شوال.

إليهم بان يخربو اسكندريه فنزلو فى موضع يسمى «باقوم» بعيدا عن اسكندريه، فلما سمع الأسود ارسل إليهم اخاه ومعه خمس مائه رجل ليتحققو الخبر، فلما نظروهم اصحاب مروان ظنوا انه عسكر من البلد وليس فيها من يقاتلهم سواهم فنهضو إليهم وقتلوا اكثرهم وانهزم بقيتهم عابدين إلى البلد وهم يتبعونهم، فلما وصلو إلى الأسود ومن معه صرخو قائلين: قد اخذت مدينتنا فانهزمو جميعهم وكان عددهم ثلثين ألفا وهرب الأسود

وسود أهل الحوف الشرقى، وأول من سود هناك شرحيل ابن مذيلفة^(١) الكلبي الزهيرى. ولحق الأسود بن نافع بن أبى عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهرى بالإسكندرية فسود بها. وسود عبد الأعلى بن سعيد بن عبد الله ابن مسروق الجيشانى بصعيد مصر. وسود يحيى بن مسلم بن الأشج مولى بنى زهرة بأسوان. وعزم مروان على تعدية النيل فأمر بدار آل مروان المذهبة فأحرقت. فقال له زبان بن عبد العزيز: إنها دار بنى عبد العزيز، وقد أعظمت فيها النفقة. فقال مروان: إن أبى أبى لينة من ذهب ولينة من فضة، وإلا فما تصاب به من نفسك أعظم. ثم دخل مروان إلى الجيزة، وحرق الجسرين. فقال عيسى بن شافع يكى الدار المذهبة:

يَا طَلَلَا أَقْـسَوَى وَحَلَّ الْبَلَى	مِنْهُ لَدَى الْعُلُوِّ وَفَى السُّـفْلِ
قَدْ كُنْتَ مَغْنَى لِعُيُونِ الْمَهَا	وَكُنْتَ مَسَاوَى لَطَبَى الرَّمْلِ
وَكَمَانَ أَرْبَابِكَ مَا إِنَّ لَهُمْ	فِي النَّاسِ مِنْ نَوْعٍ وَلَا شَكْلِ

وبعث مروان الكوثر بن الأسود الغنوى، وعثمان بن أبى نسعة الخثعمى، إلى الأسود بن نافع الفهرى. فالتقوا بالكريون فى ذى القعدة. فقتل عيسى بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع.

(١) كذا فى ر. وفى ص هنا: شرحيل بن مذيلفة، وبعد هذا: شرحيل بن بدرانة، وشرحيل بن مذيلفة. وفى معجم البلدان لياقوت شرحيل بن مذيلفة.

واختفى ودخل عسكر مروان المدينة مع كوزارا

وملكها (*) وقتل منها جماعه ونهب اراختها

واستاسر اولادهم ونسأهم واخذ كلما لهم، واخذ

الأب انبا خايل وقال له: كيف مكنت اولادك

النصارى ان يقاتلونا، يعنى عن «البشامره»،

وخاطبه بكلام كثير، والتمس منه مالا فلم يكن

معه شى فاودعه السجن وجعل رجله فيها طوبه

حديد (*) . وكان تلاميذه وبعض كهنته لما جرى

باسكندريه هربو ولم يبق منهم سوى انبا مينا القس

(*) احتلال اسكندريه بواسطة

جيوش مروان بقيادة حوثة

الباهلى وهروب الأسود.

(*) حوثة يقبض على البطرك

خايل ويضعه فى السجن. وقد

ودخل الكوثر الإسكندرية، فقتل عبد الأعلى بن الهجرس مولى مراد، كان على الموالى. وخالفت القبط برشيد. فبعث إليهم عثمان بن أبى نسة فى المصصة^(١) فهزمهم. وبعث زيان بن عبد العزيز إلى الصعيد. فأتى عبد الأعلى بن سعيد فقاتله. فهزمه زيان ونجا عبد الأعلى. وجعل مروان معه عمرو بن سهيل بن عبد العزيز مقيداً. فلما قتل مروان هرب عمرو بن سهيل على وجهه.

وقدم صالح بن على بن عبد الله بن عباس، وأبو عون عبد الملك بن يزيد إلى مصر يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة. وسار مروان إلى بوصير من كورة الأشمونين، فنزلها ومعه عبد الملك صاحب مصر، فوافى^(٢) صالح بن على فى جيوشه، وعلى مقدمته عامر بن إسماعيل. واستخلف صالح على القسطنطينية محمد ابن معاوية بن بحير بن ريسان، أشار عليه به عياش بن عقبة الحضرمي.

وقتل مروان ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين^(٣) من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وقتل معه زيان بن عبد العزيز. بن مروان، وإبراهيم بن زيان، وعبد العزيز بن جزى^(٤) بن

(١) كذا فى ر، وقال: كأنه مصحف وفيه نظر إلى المقامصة المتقدم ذكرهم.

(٢) زيادة ضرورية عن ن.

(٣) ن: لتسع.

(٤) كذا فى ر عن المشتبه. وفى ص: حرى.

الأقنوم الذى لبعة ماري مرقس الأنجيلي التلميذ،
وولاتينوس الشماس كاتب القلايه، وبارتولوماوس
الراهب السمنودي، لنهم [لأنهم] كانوا قد ربطوه
معه . ثم أنه اخذ «قسما» بطرك الملكيه وجعل
رجليه مع رجلى ابينا البطرك فى الحديد، فبعد
خمسة ايام احضر «قسما» من شعبه وبيعه الف
دينار ودفعها لكوزار فخلاه. وانفذ إلى ابينا وقال له
أفعل هكذا واخليك. فاجابه: ان ما فى بيعتى شى
وانا اجعل نفسى عوض المال فما اردت فافعل فى.
وضيق عليه حينئذ إلى تمام تسعة ايام، فاحضره إليه

ظل البطرك منذ هذه اللحظة
وحتى الافراج عنه من قس
العباسيين ينقل مسجوناً مربوطاً
بالسلاسل الحديد فى كل مكان
ذهب إليه مروان.

عبد العزيز. وأفلت^(١) جزى^(٢) واسماعيل ابنا زيان، فذهبا إلى الأندلس. وقتل بالصعيد بعد
قتل مروان محمد بن زيان، والطفيل بن زيان، ومروان بن الأصبغ بن عبد العزيز وابنه. ويقال:
إن محمد ابن زيان ذهب هارباً، فلم يعرف به أحد ولا عرف له خبر.
ودخل صالح بن على الفسطاط يوم الأحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين
ومئة. وبعث برأس مروان بن محمد إلى العراق.

الدولة العباسية

٣٢. صالح بن على (*)

ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم

ثم وليها صالح بن على، من قبل أمير المؤمنين أبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن
عبد الله بن عباس. فاستقبل صالح بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومئة. وبعث بوفد أهل مصر
إلى أبى العباس ببيعة أهل مصر، عليهم الوليد بن عبد العزيز بن المطلب، وفيهم عيسى بن

(١) كذا فى رد وفى ص: قتل . خطأ للقرينة.

(٢) كذا فى ربيعاً لاسم عمه. وفى ص: حرى.

(*) الخطط (١: ٣٠٤)، والنجوم (١: ٣٢٣)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

وأمسك بيده وجذبه على وجهه وطرحه على
ركبته، وكان فى يده قضيب فضربه به مايتى دفعه
على راسه بكل قوته وحيله، وكان السيد المسيح
معينه وحافظه لم ينله من ذلك شى ثم امر بضرب
عنقه، وكانو يجذبونه مثل الخروف الساكت، فلما
بعدو عن ذلك الكافر قليلا انزل قلنسوته على
وجهه حتى تؤخذ رأسه، ثم انه مد رقبته سرعه
بفرح ومد السياف يده وجرد السياف وصاح قايلا:
اخذ رأسه. كما جرت عادته ان يستأذن عليه

شافع بن السائب^(١)، ومحمد ابن معاوية بن بحير بن ريسان، وعبد الأعلى بن سعيد،
ومعاوية بن الزبير ابن عبد كلال، وعبد العزيز بن ودعة الحميرى، ومحمد بن مشهور الأزدي.
وأسر عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، ومعاوية بن مروان، وموسى بن المهند بن
داود بن نصير، فسجنوا. وأخذ حسان بن عتاهية الكندى الصغير، فأتى به إلى الفسطاط.
فضربه صالح بن على بالسياط، ثم قال: أستبقيك؟^(٢). قال له: مافى البقاء خير بعد هذا.
فضرب عنقه. وضرب عنق عثمان بن أبى نسة الخثعمى. ثم خلى موسى بن المهند^(٣)
واستعمل على ديوان الجند.

وجعل على شرطه محصن بن هانى الكندى، من أهل جرجان، أخا يزيد بن هانى، أياماً ثم
عزله وجعل مكانه عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية ابن خديج أياماً، ثم صرفه.
ونجا عاصم بن أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان إلى قفط، من صعيد مصر، ومعه أخوه
عمر^(٤) بن أبى بكر، وبنوه عبد الملك وأبان ومسلمة بنو عاصم. فكتب إليهم صالح يؤمنهم،
فقدموا الفسطاط.

(١) كذا فى ر فى حاشية فى الأصل. وفى ص: الوليد بن عبد الملك بن على بن السائب.

(٢) ر: [أ] أستبقيك. ولا داعى للزيادة.

(٣) كذا فى ر. وفى ص: الهنيد.

(٤) ياقوت (فلنسة): عمرو.

[الحاكم] تلت دفعات، ثم استأذن تانى دفعه وهو
ياذن له، ثم طرح الله فى قلبه [هدوا] وقال ما
فايدتنا فى قتل هذا الشيخ انبا خايل، وقد كان منع
«البشامره» عن قتالنا وكتب اليهم فما قبلوه منه،
لكن نحمله معنا إلى رشيد وندعه أيضا ان يكتب
لهم ويقول ان كلما حل بى لأجلكم فامر بتخليته.

فلما بلغ الخبر «البشامره» خرجوا لأوليك الذين
كانو يحاصرونهم فقتلوهم وطردهم وهو مسيرة

فحدثنى ابن قديد قال: حدثنا عبيد الله بن سعيد، عن أبيه قال: حدثنى العباس بن الوليد.
عن موسى بن صالح قال: قدم عاصم بن أبى بكر بثلاثة أولاد ذكور من قفط، قد أعطوا
أماناً من صالح. فكتب فيهم إلى أبى العباس. قال سعيد: وكان عاصم مواسل بنى العباس.
فكتب أبو العباس يأمره أن يشخصهم. فحملوا فى محامل أغراء - وخرجت مع النظارة -
فمروا بصالح، (لم يكنه) ما بالنا ننقل من بلد إلى بلد، والله ما نحن بأرقاء فملك، ولا نساء
فيستمتع بنا. فما أجابه صالح. قال سعيد: فمضى بهم إلى قلنسوة^(١) من أرض فلسطين،
فقتلوا بها. وقتل معهم عيسى بن الوليد بن عمر بن عبد العزيز. وأما عمرو بن سهيل بن عبد
العزيز فتغيب ثم سود. وأتى شعبة بن عثمان التميمى، وكان على المضرية^(٢) وهو لا يعرفه،
فقال: أنا عمرو بن سهيل جئت لأخذ لى أماناً من الأمير وأدخل فى دولته. فقال: النجاء! إن
ظفر بك قتلك. فأنطلق فتغيب^(٣).

ثم خرج إلى جبل ألاق بالتيه من ناحية الهامة فكان فيه. وكان يكاتب سعيد ابن سعد بن
اسطس^(٤) ويزيد بن مقسم مولى حضر موت. فضرب شعبة خصياً له، قد كان رأى كتاب

(١) قلنسوة: حصن قرب الرملة من أرض فلسطين.

(٢) كذا فى ر. وفى ص، ن (١: ٣٠١): المصرية، وقيل فى الذيل: والمضرية أقرب للطن

(٣) ص: فبح، ورجحت ر ما أثبتاه.

(٤) كذا فى ر.

(*) هزيمة أخرى لجنود مروان على يد البشامرة.

يومين(*)، والذي خلص من الموت مضى إلى مروان وعرفه التي جرى عليهم، ووصل الخبر إلى مروان بأن أعداءه قد قربوا منه وقتلوا صهره زوج ابنته وإلى دمشق. فكتب مع الذين انهزموا إليه من عند البشاموريين كتاباً يقول لهم تعالوا إلى بسرعه فقد احتججت اليكم وكل بلد تصلون إليه انهبوه واقتلوا أهله، فساروا أوليك الكفرة إلى الصعيد وقتلوا جماعه من الأراخنة ونهبوا أموالهم وسبوا

عمرو بن سهيل إليه. فدخل على صالح فأخبره، فأرسل إلى سراقه فوجد الكتاب. فضرب صالح عنق شعبة، وأرسل صالح يزيد بن هانئ إلى جبل ألق. فوجدوا عمراً يحقب جمالاً له. فأحيط به فأخذ هو وإبراهيم ومحمد وعبد الرحمن بنو سهيل بن عبد العزيز فمضى بهم إلى قلندسة، فقتلوا بها. قال ابن عفير: وقتل معه يزيد، وأبان ومروان وعبد العزيز والأصبع بنوه، وقتل عثمان بن سهيل في مرسه دات نفل^(١).

وقال ابن عفير في موضع آخر: كان عبد الملك بن أبي بكر بن عبد العزيز، والأصبع بن ريان أخذاً بالهامة فقتلوا بنهر أبي فطرس^(٢). قال: فكتب أبو العباس أن تشخص نساؤهم وصياليهم إلى المدينة. ثم أمنهم أبو جعفر، فقدم من إفريقية زيد بن الأصبع بن عبد العزيز وهو أبو وفاء، ومحمد بن الحكم ابن أبي بكر بن العزيز، وإبراهيم بن سهيل، وعبد العزيز بن مروان بن الأصبع، وهو يومئذ حدث.

وقال ابن عفير في موضع آخر: قتل مروان بن الأصبع بنهر أبي فطرس، وعبد العزيز ووفاء ابنا مروان بن الأصبع، قتلاً مع أبيهما. وترك منصور ابن الأصبع. وهرب إسماعيل بن سهيل،

(١) كذا في ر.

(٢) نهر أبي فطرس: على النى عشر ميلاً من الرملة في سمت الشمال، ومخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس، ويصب في البحر المتوسط بين مديني أرسوف ويافا.

حریمهم واهالیهم واولادهم واحرقو ديارات
الرهبان وأخذو الرهبانات حتى وصلوا إلى الشرق.

وكان هناك دير رهبانات عذارى كن فيه عرايس
للمسيح وعدتهن تلتون عدرا، فملكوهن عسكر
مروان، وكان فيهم صبيه عدرا دخلت إلى الدير
وهي ابنة تلت سنين فلما نظروها بهتو من حسننها
وقالو ما شاهدنا قط في بنى ادم صوره مثل هذه،
فاخذوها واخرجوها من وسط اخواتها وتشاورو

وعمرو بن محمد بن عمارة المعطى، وحميد كاتب زبان، على أرجلهم إلى الأندلس. وضربت
عنق يزيد بن مقسم، مولى حضر موت، وعنق ابن أسطس. وهذا كله في سنة ثلاث وثلاثين
ومئة.

وفيهما أمر للناس بأعطياتهم^(١) للمقاتلة والعيال، وقسمت الصدقات على اليتامى
والمساكين. وزاد صالح بن على فى مؤخر المسجد الجامع بالفسطاط أربعة أساطين.
وورد كتاب أبى العباس أمير المؤمنين على صالح بن على، بإمارته على فلسطين، وبأمره
بالاستخلاف على مصر. فاستخلف^(٢) عليها أبا عون عبد الملك ابن يزيد، مستهل شعبان
سنة ثلاث وثلاثين ومئة.

وسار صالح بن على، ومعه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، وأخوه معاوية بن
مروان، فى أحسن حال، وأرفع منزلة، وخرج صالح معه برجال من أهل مصر، صحابة لأمر
المؤمنين أبى العباس. ومنهم الأسود بن نافع بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى، وعبد
الرحمن بن عتبة المعافى، وعياض بن حريية الكلبي، ومحمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن
حديج، فى عشرة منهم. وأقطع صالح بن على الذين سودوا، وأقطع منهم شرحبيل ابن

(١) كذا فى خ، ن، ر. وفى ص: بعطياتهم.

(٢) كذا فى خ، ن. وفى ر: واستخلف.

فيما يفعلونه فيها، فمنهم من قال نتقارع عليها،
ومنهم من قال نمضي بها إلى الملك. وفيما هم
يقولون هذا قالت لهم الصبية(*) : اين هو مقدمكم
اعلمه بشئ يساوى اموالا وتخلونى فانا عابده لله
وما يحل لكم ان تفسدو عبادتى، بل إذا علمتكم
بذلك الشئ الذى يحصل لكم فيه اموال تردونى
إلى ديرى. فقال لها مقدمهم: انا هو. فقالت له:
آبائى كانوا قوما مقاتلين شجعانا اقويا دفعوا لى دوا
كانوا يدهنون به [اجسادهم] إذا خرجوا للقتال فلا

(*) معجزة عذراء الدير .

مذيلفة الكلبى، أقطعه منبوبة^(١)، والأسود بن نافع الفهرى أقطعه منية بولاق ومنازل زيان
بالإسكندرية. وأقطع عبد الأعلى بن سعيد قطائع بالميمون^(٢) وقرى أهنا^(٣).

٣٤. أبو عون عبد الملك بن يزيد(*)

مولى هتاعة من الأزد، وهو من أهل جرجان

ثم وليها أبو عون عبد الملك بن يزيد على صلاتها وخراجها، باستخلاف صالح مستهل
شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومئة. فجعل على شرطه عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم
الخلولانى. ووقع الوباء بمصر فهرب أبو عون إلى يشكر^(٤)، واستخلف عكرمة على القسطاط.
وخرج أبو عون إلى دمياط فى شوال سنة خمس وثلاثين ومئة، واستخلف عليها عكرمة بن
قحزم، وعلى الخراج عطاء بن شرحبيل مولى مراد. وخرج أبو مينا القبطى بسمنود. فبعث
إليه بعبد الرحمن بن عقبة، فقتل أبو مينا. وورد الكتاب بولاية صالح بن على على مصر

(١) منبوبة: قرية من قرى مصر هى غالباً امبابه، أقطعها صالح بن على شرحبيل بن مذيلفة الكلبى، لما سود
ودعا إلى بنى العباس. كذا قال ياقوت فى معجم البلدان، وفى ر: سويد.

(٢) الميمون: فى الواحات الخارجة.

(٣) أهنا: بالصعيد الأدنى من أعمال البهنسا.

(*) الخطط (١: ٣٠٦) والنجوم (١: ٣٢٥)، وحسن الخاضرة (٢: ١٠).

(٤) كذا فى خ: (١: ٣٠٦)، يريد جيل يشكر. وموضعها فى ر، وص: بياض.

يعمل الحديد فيهم شيا، وتصير السيوف والرماح
مثل الشمع قدامهم، فان خليت سيلي دفعته لك
وان كنت لا تصدق كلامي فانا ادهن رقبتى
قدامكم وجب اجود سيف يكون مع رجالك ودع
اقوى من فيهم ان يضربنى فلا يقطع فى شى
فتعلم صحة قولى. وانما قالت ذلك لها [لأنها]
رات ان تموت بالسيف ولا تلتصق بها نجاسات
الكفار ولا يتنجس جسدها الطاهر بهم. ثم دخلت
بيتها فاخرجت برنيه(*) فيها زيت قد صلى عليه

(*) البرنيه: إناء غويط من الفخار.

وفلسطين وإفريقية، جمعوا له. ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين أبى العباس لغزو
[المغرب]^(١)، عليهم عامر بن إسماعيل.

٣٥. صالح بن على بن عبد الله بن عباس(*)

الثانية

ثم وليها صالح بن على بن عبد الله ولايته الثانية على صلاتها وخراجها. فدخلها خمس
خلون من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومئة. فجعل على شرطه بالفسطاط عكرمة بن عبد
الله بن قحزم، وعلى شرطه بالعسكر يزيد بن هانى الكندى، من أهل جرجان.

وولى أبا عون عبد الملك بن يزيد جيوش المغرب، وقدم أمامه رجالاً من أشرف أهل مصر،
دعاة لأهل إفريقية، منهم قبيرة بن بحرته^(٢) بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وعثمان
ابن عبيد الله بن موسى بن نصير^(٣)، والضحاك بن محمد اللخمي، ووحوح بن ثابت

(١) زيادة فى ر عن خ فى الغالب.

(*) الخطط. (١: ٣٠٦)، والنجوم (١: ٣٣٩)، وحسن المحاضرة (٢: ١٠).

(٢) كذا فى ر، وقالك فى الأصل بعد نصير «بن» حذفه.

(٣) زيادة من خ، ن.

القديسون وكان محفوظاً عندها، فدهنت به رقبتها
ووجهها وجميع جسدها وصلت وركعت على
ركبها ومدت عنقها فظنوا الجهاد ان الأمر صحيح
ولم يعلموا ما في قلبها. ثم قالت لهم: من كان
فيكم قويا وسيفه ماض قاطع فيظهر قوته فيّ
فانكم ترون مجد الله في هذا الدوا. عند ذلك
وثب شاب شجاع بسيف يفتخر به فسترت وجهها
ببليتها وطأمت أطأأت رأسها وقالت له: اضرب
بقوتك كلها ولا تبال. فضرب القديسه الشهيده

البلوى. فخرجوا أمام أبي عون. وكان خروج أبي عون في^(١) جمادى الآخرة سنة ست
وثلاثين ومئة.

وخرج عامر بن إسماعيل في جيوشه، على مقدمة أبي عون. وبعث بالمشى ابن زياد
الخنعمي، في شوال سنة ست إلى الإسكندرية، ليجهز المراكب إلى طرابلس. وبعث بعياش بن
عقبة الحضرمي في حمل الطعام لجيش أبي عون وعامر بن إسماعيل.

وتوفي أمير المؤمنين أبو العباس في ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومئة، واستخلف أبا جعفر
عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فاستقبل بخلافته سنة سبع وثلاثين ومئة.
فأقر صالح بن علي صلواتها وخراجها. وكتب صالح إلى أبي عون يأمره بالرجوع، وبرد
الدعاة من أهل مصر، وقد بلغوا سرت^(٢). وبلغ أبو عون برقة، فأقام بها أحد عشر شهرا^(٣).
واتخذ بها مصلى وتركه^(٣). ثم رجع أبو عون في جيشه إلى مصر، وألحق صالح بن علي في
أهل مصر ألفي مقاتل، وزاد أهل مصر عشرة عشرة في أعطياتهم.

(١) سرت : مدينة على ساحل البحر المتوسط بين برقة وطرابلس، في شمال أجنادية، وفي حد: شبرت

(٢) كذا في ن أيضا. وفي خحك يوما.

(٣) كذا في ص، ر، ورجح أنها محرفة عن نزلة.

فطارت رأسها، فعلمو حينذ ما فعلت وأنها
خدعتهم فندمو وحزنو حزنا عظيما ووقع عليهم
خوف شديد ولم يلتفتو بعدها لأحد من الرهائنات
العداري بل تركوهن ومضو وهم يمجدون الله.

ثم كتب مروان إلى كوزارا [حوثره] الذي كان
قد انقذه إلى اسكندرية بان يسرع إليه ولا يتأخر
عنه، فلما سار إلى رشيد أعلموه ان البشامره قد
قتلو المسلمين الذين كانوا فيها واءخربوها واءحرقوها

ثم خلع الحكم بن ضبعان الجذامي بفلسطين. فبعث صالح من مصر أبا عون، ومحمد بن
الأشعث الخزاعي، وأبان سعيد بن معاوية بن يزيد بن المهلب، فلقوا الحكم بن ضبعان فهزموه.
وبعث أبو عون إلى مصر بثلاثة آلاف رأس من أصحاب الحكم. وندب^(١) صالح بن علي
الناس إلى فلسطين، وعقد عليهم لوحوح بن ثابت البلوي، والضحاك بن محمد اللخمي،
ويزيد بن الزبرقان^(٢) القيسي. ثم رأى صالح أن يخرج فيهم، فخرج متوجهاً إلى فلسطين،
واستخلف عليها ابنه الفضل بن صالح فبلغ صالح إلى بليس ثم تراخى عن المسير حتى بلغه
الفتح. ورجع إلى مصر^(٣).

فحدثني ابن قديد قال: حدثني عبيد الله بن سعيد بن عفير:

عن أبيه قال: لما خرج الحكم بن ضبعان بفلسطين، طلب صالح بن علي [من]^(٤) في
عسكره بمصر، من بني روح بن زنباع. فاخفى رجاء بن روح عند محمد بن معاوية بن بحير
بن ريسان. واخفى روح بن روح عند خالد بن سعيد بن ربيعة الصده في. وأخذ سلامة بن

(١) ص، ر: نذر، وظن أن صوابها بدر.

(٢) الكلمة غير منقوطة في ص، ر، وظن أن صوابه كما أثبت.

(٣) كذا في خ، ن. وفي ر: فلسطين. خطأ، لأنه عاد إلى مصر أولاً ثم خرج إلى فلسطين.

(٤) زيادة في ر.

بالنار، وإن العدو قد قرب، فسلم الأب البطرك
لاحدا الامرا ليوصله إلى مروان.

(*) المتحدث هنا هو أبو جرجه
كاتب هذه السيرة .
ثم اني (*) سرت واعلمت أبي ابا موسىس الخبر
لما فيه من النبوه التي اعطاه الله اياها والعجائب،
فصدقوني فيما اقول فقد ابصرته بعيني، وذلك ان
قبل وصول مروان إلى مصر لم يكن هناك قتال،
اعلم [الانبا خايل] بنبوه من الله ما يكون من
الملوك وما يجرى على البيع والشعب المومن

سعيد بن روح وزباع بن ضبعان. فقتل سلامة بن سعيد. قال أبو ميسرة الحضرمي: فخرجت
مع خالده بن حيان ابن الأعين، فدخل على صالح بن علي في سرادقه عندا^(١) المصلى.
فاقمت انتظره، فأتى برجل أفطس في الحديد فقال: أيها الناس، أنا زباع بن ضبعان، قتل ابن
عمي أمس، واقتل اليوم. فدخل به على صالح فقتله. وبني^(٢) محمد بن بحير عند صالح بن
علي، بأمر رجاء بن روح. فأتى محمد بن معاوية^(٣) مسلما. فقال له: اقعد. فقعد حتى إذا
خلا قال: يا ابن بحير، ألم أكرمك؟ ألم أشرفك؟ ! فكان ثوابي أن آريت أعدائي. قال: وما
ذاك؟ قال: رجاء بن روح عندك قال: أصلح الله الأمير! اختر واحدة من اثنتين، فيها لي براءة
ولك شفاء مما اتهمتنى: إما أن ترسل الخيل على غرتي فتفتش منازلتي، وإما أن أبرئ صدقك
بيمينتي. قال: فسم امرأتك. قال: ابنة فهد بن كثير المعافري. قال: فهي طالق، وكل مملوك لك
حر، وعليك المشي إلى بيت الله إن كان عندك ولا تعلم مكانه، فحلف. فقال: انصرف! قال
محمد بن معاوية^(٤): فانصرفت فأعلمت امرأتني بنت فهد قالت: فلا تظهر ذلك فيعرف، فلا
ننجو من القوم، ولكن ادخل على واعتزل مضجعي. فكان يفعل ذلك، حتى إذا سار صالح،
أظهر طلاقها وأعتق رقيقه، ومشى إلى بيت الله.

(٢) كذا في ر. وفي ص: بقي.

(١) زيادة في ر.

(٣) هو محمد بن معاوية بن بحير، كما مضى ذكره.

(٤) زيادة في ر

المسيحي، وقالوا له في الرؤيا: استعد فانك تكون
مع الابرار في القتال.

وفي تلك السنة كان يكثر صلواته وتعبده ونومه
على الأرض نهارا وليلا ومداومة الصلاة والحزن
والبكاء والدموع الغزيرة. فلما رأته أنا البائس
كنت اسأله واتضرع إليه ان يعلمني السبب الذي
يفعل ذلك بنفسه لجله، وكان ذلك الأب القديس
يغض الجهد الفارغ ويقول لي : يا ولدي ذنوبي

ثم صار صالح إلى فلسطين، وكتب إلى أبي عون بالمسير إليه. كان خروج صالح لأربع
خلون من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ومئة. فلقية أبو عون بالفرما، فأمره على مصر
صلاتها وخراجها. ومضى صالح إلى فلسطين، ودخل أبو عون القسطنطينية^(١) لأربع بقين من
شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ومئة.

وحدثني ابن قديد، عن عبيد الله، عن أبيه قال: حدثني عمرو بن بحري السبئي: أن صالحاً
لما خرج عن مصر إلى الشام، خرج بنفر من وجوه أهل مصر، منهم معاوية بن عبد الرحمن
بن قحزم الخولاني، وخالد^(٢) بن حيان الأعين الحضرمي وشرحبيل بن مذيلفة الكلبي، وغوث
بن سليمان الحضرمي، وعمرو بن الحارث الفقيه.

٣٦. أبو عون عبد الملك بن يزيد(*)

الثانية

ثم وليها أبو عون عبد الملك بن يزيد الثانية على صلاتها وخراجها، باستخلاف صالح

(١) ر ودخل صالح فلسطين، ودخل أبو عون القسطنطينية. وفي ص: ودخل أبو عون فلسطين، ودخل أبو عون
القسطنطينية. والعبارة محرفة.

(٢) كذا في ر وقال: في الأصل: خلف. وقد أعيدت هذه الرواية في كتاب القضاة وسمى هناك خالداً.

(*) الخطط (١: ٣٠٦)، والنجوم (١: ٣٣٦)، وحسن المحاضرة (٢: ١٠).

كثيره وإذا ذكرتها بكيت وندمت وقدمت الصلاة
لله اسأله الغفران. وكان فيّ أنا الخاطي يسير من
الادلال [الادلال] عليه لملازمتي له ليلا ونهارا،
ولاجل ذلك مسكت قدميه وقبلتهما ودموعى
تجرى عليهما وقلت: ما أقوم ولا أرفع وجهى حتى
تعرفنى حقيقة هذا الأمر. فقال لى: إذا كان لابد
لك من ذلك فتكون مشاركا لى انت أيضا لانه
[لأنه] لم يبق لأحد فى أيام هذه المملكة خلاص
وخاصه ما يجرى على البيعة من الشعب، لكن

ابن على إياه عليها، وذلك فى شهر رمضان سنة سبع وثلاثين. فجعل على شرطه عكرمة بن
عبد الله بن قحزم، وعلى الدواوين عطاء بن شرحبيل. ثم أفرد أبو جعفر بولايتها.
وقدم أمير المؤمنين أبو جعفر بيت المقدس، وكتب إلى أبى عون بأن يستخلف على مصر
ويخرج إليه. فاستخلف عليها عكرمة بن عبد الله^(١)، وعلى الخراج عطاء بن شرحبيل مولى
مراد. وخرج أبو عون للنصف من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومئة.
حدثنى ابن قديد قال: حدثنى عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه قال: لما أراد أبو جعفر عزل صالح بن على مصر، ضم إليه فلسطين، وأمره
بالشخص إليها، وأن لا يستخلف على مصر. فلما استقر بها عزله عن مصر، وضم إليه
الأردن، وأمره أن يصير إليها. فلما استقر بها عزله عن فلسطين، وضم إليه دمشق. فلم ينزل
ينقله حتى صار إلى الجزيرة.

ولما صار أبو عون ببيت المقدس، بعث أبو جعفر موسى بن كعب عليها. فكانت ولاية أبى
عون عليها هذه المدة الثانية ثلاث سنين وستة أشهر.

(١) على الصلاة، كما فى الخطط والنجوم.

اعلم ان السيد المسيح ما يتركها إلى التمام، وإنها
تخلص من التعب، وهذه المملكة تبيد(*) وجميع
جيوشها وتكون بعدها مملكة جديدة. فسمعت منه
من هذا وغيره كثيرا وأنا اعلم ان كل كلمة يقولها
حق وتتم في وقتها، وبقيت متطلعا لذلك، ولما
يأتى بعده، ومن بعد ذلك اليوم وقع الطرد على
مروان ومملكته، ووصل إلى مصر كما تقدم القول،
وكنت متفكرا وقائلا: ما الذى يجرى على بيعه
الله فى زمان الصلح والهدوء وغيره.

(*) نبوة أبا موسى نزال الخلافة
الأموية.

٣٧. موسى بن كعب(*)

ابن عيينة بن عائشة بن عمرو بن سري بن عائذة بن الحارث

ابن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد

ابن طابخة بن اليأس بن مضر

ثم وليها موسى بن كعب من قبل أمير المؤمنين أبى جعفر، وكان موسى من نقباء بنى العباس.
فدخلها لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومئة على صلاتها
وخراجها، فجعل على شرطه عكرمة بن عبد الله بن قحزم.

فحدثني ابن قديده قال: حدثني عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه: أن موسى بن كعب لما ولى مصر نزل العسكر، فجعل وجوه الجند يغدون عليه
ويروحون. فقال: ألكم حاجة؟ أتشكون ظلاما؟ قالوا: لا. قال: فما هذا الاختلاف؟ قالوا:
كنا نفعل ذلك بأمرائنا قبلك. فقال: قد وضعه الله عنكم، فأقيموا فى منازلكم. فأنتهى الناس،
ولزمه الفضل بن مسكين بن الحارث بالغدو والرواح. فسأل يوما من ببابه، فأخبر به، فدعا به.

(*) ترجمته فى الخطوط (٣٠٦: ١)، والنجوم (٣٤٢: ١)، وحسن المحاضرة (١٠: ٢).

وفيما هو يحدثني وإذا الأب البطرك قد وصل
وصحبته الجند إلى باب البيعة المقدسة بمدينة
وسيم [بالجيزة] صباح يوم الأحد العاشر من ايب،
فلما ابصرهم ابي القديس مويسيس قال لي: يا
ولدي هذا اليوم الذي انا منتظره الذي قلت لك قد
حضر والعيان اجود من السماع، الان من اراد ان
يبدل نفسه فيتبعني وانا أفرح اليوم لن [الآن] لي
زمان اشتهى هذا وأقول اننى ما استحق ان أسفك
دمى الدنس عوضاً من الدم الزكى المسفوك عنا.

فقال: لك حاجة؟ أتشكو^(١) ظلاماً؟ قال: لا. قال فما لزومك بابي، وقد أمرت بالكف عن
ذلك؟ قال: أنت تريد أن ترى فينا أمراً تبغينا به. فحبسه حتى عزل.

حدثني ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه.

عن الميسرى عبد العزيز بن أبى ميسرة قال: كان موسى بن كعب يقول في خطبته: من
كان يريد جارية فارهة، أو غلاماً فارهاً، فليرفع يديه إلى الله وقال في خطبته: هذا اخوكم
عبد الغفار الأزدي كان معكم منذ ثلاث ثم مات، فلا تغفلوا عما نزل به.

وحدثني ابن قديد: أنه انتسخ من رقاع يحيى بن عثمان بن صالح بخطه:

حدثني أشياخنا: أن أسد بن عبد الله البجلي كان والياً على خراسان، فاتهم موسى بن
كعب بأمر المسودة، فالجم بلجام ثم كسرت أسنانه. فلما صار الأمر إلى بني هاشم أمالوا على
موسى الدنيا. فكان موسى يقول: كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز^(٢)، فلما جاء الخبز^(٣)
ذهبت الأسنان.

وذكر أشياخ مصر أن أبا جعفر كتب إلى موسى بن كعب حين عزله: إنى عزلتك عن غير
سخط، ولكن بلغنى أن عاملاً يقتل بمصر يقال له موسى، وكرهت أن تكون هو فكان ذلك

(١) ر. أتشكون. تصحيف.

(٢) فى ص بالراء، وأصلحها ر عن خ، ن.

لكن عظيم هو الحزن الذى فى قلبى لن [لأن]
جيل القديسين قد اضمحل وافتقرنا جدا إذ لا نجد
انسانا يشاركنا فى هذه الخدمة. هكذا كما شهدت
فى زمان الجمع.

وكان أبى موسى مع ما كان عليه من الصوم
والصلاه والصالح الكثير يقول: ويلي انا الخاطي
انا اعتقد ان المسيح ما يتخلى عني لكن يعينني. ثم
تقربنا [تناول القربان] من يد الاب الجليل ابا خايل

موسى بن مصعب زمن المهدي. فوليها موسى. ابن كعب سبعة أشهر^(١)، وصرف فى ذى
القعدة سنة إحدى وأربعين ومائة.

واستخلف على الجند خالد بن حبيب^(٢) وعلى الخراج نوفل بن الفرات. وخرج من مصر
يوم الإربعاء لست بقين من ذى القعدة سنة إحدى وأربعين ومئة.

٣٨. محمد بن الأشعث*

ابن عقبة بن أهبان بن عياذ^(٣) بن ربيعة بن كعب

ابن أمية بن يقظة بن خزيمة بن مالك بن سلامات

ابن أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو^(٤) بن عامر

فوليها محمد بن الأشعث الخزاعي، وهو من ولد عقبة مكرم الذئب، من قبل أمير المؤمنين
أبى جعفر على صلاتها وخراجها، قدمها يوم الاثنين لخمس خلون من ذى الحجة سنة إحدى

(١) ن: وأياما.

(٢) كذا فى ر، ن. وقيل فى ر: خرجت هذه الصفحة عن محلها باختلال فى التجليد. وفى ن: ابن خاله
بن حبيب.

(*) الخطط (١: ٣٠٦)، والنجوم (١: ٣٤٦)، وحسن المحاضرة (٢: ١٠).

(٣) كذا فى أسد الغابة وتاج العروس. وفى ر: عباد.

(٤) كذا فى ر عن الجدول، وفى ص: عمر.

البطرك القديس والشهيد المختار، ونظرنا النار
صاعدة في الفسقاط، واخبرونا ان مروان احرق
مخازن غله وقطن وتبن ومخازن الشعير. فلما
علموا الجند بهذا اقلقونا كثيرا وصرخو علينا
بضجر عظيم، وجعل أبى موسى يده على يدي
ولبس ثوبا ووزرته وترك جميع ما فى بيعته وخرج .
ولم يكن احد مع البطرك من الأساقفة ولا من
اولاد البيعة سوى وحدي وقارى واحد من بيعة

واربعين ومئة. وولى على شرطته المهاجر بن عثمان الخزاعى، ثم عزله^(١) وجعل مكانه على
الشرط محمد بن معاوية بن بحير بن ريسان الكلاعى. فلما استقر محمد بن الأشعث بها،
بعث أبو جعفر إلى نوفل بن الفرات: أن اعرض على محمد بن الأشعث ضمان خراج مصر،
فإن ضمنه فأشهد عليه وأشخص إلى، وإن أبى فاعمل على الخراج. فعرض عليه ذلك^(٢)
فاستشار محمد بن الأشعث كاتبه، فأشار عليه أن لا يفعل. فانتقل نوفل بالدواوين إلى دار
الرميل. فافتقد^(٣) ابن الأشعث الناس، فقليل له: هم عند صاحب الخراج. فندم على تسليمه.

وعقد محمد بن الأشعث لأبى الأحوص عمرو بن الأحوص على جيش، وبعث به إلى
المغرب، لقتال أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح الإباضى^(٤) مولى المعافر. فلقيه أبو الخطاب
بمغمداش^(٥) فهزم أبا الأحوص وقتل عسكره. فبلغ ابن الأشعث ذلك، فعسكر بالجيزة،
وصلى بها يوم الأضحى سنة اثنتين وأربعين ومئة. وتوجه إلى الاسكندرية، واستخلف على مصر
محمد بن معاوية ابن بحير بن ريسان.

- (١) زيادة ضرورية عن ن.
(٢) كلما فى ر عن خـ. وفى صك قال:
(٣) ر: فانتقل نوفل الدواوين إلى دار الرمل فافتقد. وفى خـ: فانتقل نوفل الدواوين فافتقد. وفى ن: فانتقل
نوفل إلى الدواوين فافتقد. وأظن أن الصواب ما أثبتته.
(٤) كذا فى ث (٢٤٠: ٥) والبيان المغرب (٦٠: ١) ومعجم البلدان لياقوت (٧١١: ١، ٨١٥، ٧٩٧: ٢)
وفى ر: بن الشيخ. وفى ص: بن السيج. وفى ن: أبو الخطاب الأنماطى.
(٥) مغمداش: بجوار سرت. (أحسن التقاسيم للمقدسى ٢٤٥).

القديس أبى مقار اسمه يعقوب كان من أهل
بلييس .

وأمر مروان أن يضرب البوق بمصر والندا تلتة
أيام ويقول : انه بعد تلتة أيام ان وجدت بمصر
[الفسطاط] انسانا او دابة متخلفه قتله لنى [لأنى]
أضرب جميع الفسطاط بالنار. فعدو الناس كلهم
إلى الجزيره والجزيره(*) [الروضه] وغيرها، وهرب
جميع الناس فى المراكب حتى البنات المخدرات
اللاتى لم يخرجن قط [من بيوتهن] خرجن إليها

(*) مروان يحرق الفسطاط حتى لا
تقع فى يد العباسيين اموالها
وقصورها وبنائاتها.

حدثنى ابن قديد قال : حدثنى عبيد الله بن سعيد .

عن أبيه قال : كان محمد بن معاوية بن بحير قد سعى ا به (١) عند أبى عون، وقيل : إنه
يشتمه . فضربه أبو عون، وحط عطاءه إلى عشرين ومئة، وكان فى المنتين . فلما قدم محمد بن
الأشعث، ولاه الشرط . فكان يصعد المنبر فيشتم أبى عون، ويقول : النخاس الكذاب . فشتمه
يوماً عند محمد بن سعيد صاحب اخراج . فقال له سالم بن سليمان الحربى القائد : أتشتمه
وهو قائد أمير المؤمنين ؟ قال : وأشتمك، فعليك وعليه لعنة الله ! فكانت ولاية ابن الأشعث
عليها سنة وشهراً .

٣٩ . حميد بن قحطبة (*)

ابن شبيب بن خالد بن معلان بن شمس بن قيس بن أكلب

ابن سعد بن عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان

ابن ثعل (٢) بن عمرو بن الغوث بن طلي

ثم وليها حميد بن قحطبة من قبل أبى جعفر على صلاتها وخراجها، فدخلها فى عشرين

(١) زيادة ضرورية . وفى ر : بغى . وفى ص : نعى ، بدون فقط .

(*) الخطط (١ : ٣٠٦) ، والنجوم (١ : ٣٤٩) وحسن المحاضرة (٢ : ١٠) .

(٢) ر : نبهان بن فعل ، ورجح ثعل ، والذي فى كتب الأنساب واللغة أن نبهان وثعل أخوان ، فثعل إذن
مقحمة . انظر نهاية الأرب للنويرى (٢ : ٢٩٩) .

مع اهاليهن. وتركوا الناس جميع اموالهم، وضرب النار من قبلى مصر [الفسطاط] إلى بحريها حتى انتهت إلى الجامع الكبير. [جامع عمرو] الذى للمسلمين، ووقع فى البحر من الناس والبهايم ما لا يحصى عدده بحسب انهم لم يجدوا من يعدو بهم لما هربوا من النار، وكان الأخ يهرب من أخيه، والصديق من صديقه، والاعمى لا يجد من يقوده، والمقعد والمفلوج والضعيف والشيخ الفانى والعجوز التى لا نهضة لها، جميع هولا احترقوا

ألفاً من الجند، يوم الجمعة خمس خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين ومئة. فجعل على شرطه محمد بن معاوية بن بحير. ثم قدم عامر بن إسماعيل فى عسكر، لست خلون من شوال. وقدم معه الأغلب ابن سالم، ومحمد بن بحير على الشرط.

فحدثنى ابن قديد قال: حدثنى عبيد الله بن سعيد، عن أبيه قال: أخبرنى الميسرى.

عن أبيه: أن عمر بن حبيب المؤذن أتى ابن بحير^(١) بالصبح، وهو فى دار الفلفل. فرأى شيئاً كرهه. فبلغ ذلك حميداً فاستشار الجند فى رجل يوليه الشرط، ف قيل له: عليك بعبد الله بن عبد الرحمن معاوية بن حديج. فولاه من يومه فكان مقام ابن بحير على شرط^(٢) حميد ستة أشهر.

وحدثنى [ابن قديد]^(٣) عن عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه قال: وقدم إلى مصر على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، فى إمرة حميد بن قحطبة، داعية لأبيه وعمه. فنزل على عسامة بن عمرو المعافى. فذكر ذلك صاحب

(١) كذا فى ر. وفى ص: أبو بحير.

(٢) كذا فى ر. وفى ص: الشرط.

(٣) زيادة فى ر.

بالنار، وكانو الناس مطروحين فى الشوارع والأزقه
والغيطان فى اعمال الجيزه كالموات مما حل بهم
تحت شقا عظيم وجوع وعطش ولا يجدون ما
يقتاتون به من كثره الخلق. وكانت الغلات التى
بمصر قد احرقها مروان فمضو الجند الى كوزارا،
واسمه فى نسخه اخرى «حوثره» فاعلموه بوصول
الابهات فامر واحدا اسمه ازرق ان ياخذنا عنده
حتى يدبر رأيه، ثم علم مروان ان اعداه الخراسانيين
[العباسيين] قد وصلو إلى القرما، فانفذ قوما إلى

السكة حميد بن قحطبة، وقال : ابعث إلى فخذه. فقال حميد: هذا كذب. ودس إليه^(١)
فتغيب.

ثم بعث إليه من الغد فلم يجده. فقال لصاحب السكة: ألم أعلمك أنه كذب؟ وكتب
بذلك صاحب السكة إلى أبى جعفر، فعزله وسخط عليه. ثم صرف^(٢) حميد عنها فى ذى
القعدة سنة أربع وأربعين ومئة. وخرج منها يوم الاثنين لثمان بقين من ذى القعدة سنة أربع
وأربعين ومئة^(٣).

٤٠، يزيد بن حاتم(*)

ابن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة

ثم وليها يزيد بن حاتم المهلبى، من قبل أمير المؤمنين أبى جعفر، على صلاتها وخراجها.
فقدمها يزيد يوم الاثنين للنصف من ذى القعدة سنة أربع وأربعين ومئة. فجعل على شرطه عبد

(١) كذا فى خ. وفى ر: عليه. وفى خـ (٣٢٨: ٢): ودس إليه أن تغيب.

(٢) واضح أن العبارة ركبة. وفى خـ: فكتب بذلك إلى أبى جعفر، فصرفه فى ذى القعدة وفى ن: فكتب
ذلك لأبى جعفر المنصور فغضب وصرفه عن إمرة مصر فى ذى القعدة.

(٣) ن: وكانت ولايته على مصر سنة واحدة وشهرين إلا أياماً.

(*) الخطط (١: ٣٠٧)، النجوم (١: ٢)، وحسن المحاضرة (٢: ١٠).

بحرى فى المراكب إلى كل كوره ليحرقو كل
مركب يجدونه فى البحر ففعلو ذلك(*)، وأرسل
قوما آخرين فى البر وتقدم إليهم يحرق المدن
والكور والكروم والسواقي وكلما يجدونه، فسارو
حتى وصلو أتريب فهمو بحرقها، وكان هناك
خمسة بحور ما [ء] تجرى إلى الغرب سوى
خلجان كانت تجرى من البحر المسمى «جیحون»
وهو بحر النيل، وظن مروان انه يقيم فى الوجه
الغربى واخراسانيون فى الوجه الشرقى، وأنهم إذا

(*) مروان يعث بعض جنوده لحرق
المراكب فى كل مناطق مصر
حتى لا يستغلها العباسيين فى
مطاردته وعبور النيل. ويرسل
غيرهم لحرق المدن والحقول
والحيوانات.

الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، واستخلف على الخراج معاوية بن مروان بن موسى
بن نصير^(١).

وفى ولايته ظهرت دعوة بنى حسن بن على بمصر، وتكلم بها الناس. وباع كثير منهم
لعلى بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن^(٢). وهو أول علوى قدم مصر. وقام بأمر
دعوته خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبش الصدقى. وكان جده ربيعة بن حبش من خاصة
على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وشيعته، وحضر الدار^(٣). فاستشار خالد بن سعيد أصحابه
الذين بايعوا له. وفيهم دحية ابن المعصب^(٤) بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، ومنصور
الأشل بن الأصبغ بن عبد العزيز، وزيد بن الأصبغ بن عبد العزيز. فقال لهم: ما ترون؟ فأشار
عليه دحية أن يبيت يزيد بن حاتم فى العسكر، فيضرم عليه نارا. وقال أهل الديوان: نرى أن
تحوذ بيت المال، وأن يكون ظهورنا وخروجنا فى المسجد الجامع. فكره خالد بن سعيد أن يبيت
يزيد بن حاتم وخشى عليه اليمانية. وخرج منهم رجل من الصدق، قد شهد أمرهم كله، حتى

(١) كذا فى خـ (٣٠٧: ١)، ن (١: ٢). وفى ر: سعيد.

(٢) أقحم ر عبارة «عبد الله» بين الحسنين، خطأ. وانظر مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصبهاني ٢٠١.

(٣) كذا فى ر عن خـ ٢٠ (٣٢٨). وفى ص: الراى. تحريف.

(٤) كذا فى ص، خـ (٣٠٧: ١٠)، ن (٤٩: ٢). وفى ر، ي (١: ٤١٠، ٧٦٦)، والمعارف لابن قتيبة (١٨٤)،
وأنساب الأشراف (القدم ١٨٥): مصعب.

وجدوه خرابا رجعو لكونه خاليا من الناس والبهايم
والغلات والمستغلات، ولا يجدون فيه ما يقوم
باودهم ولا مراكب يعدون فيها إليه فلا يستقر بهم
المقام فيرجعون على اعقابهم. فاعلموه بقرب
وصول أعداءه وإن في البحر مواضع مخاضات
يتواصلون فيها إليه، فعرفوه فانفذ أعاد الذين
سيرهم إلى أتريب ولم يحرقوها لنهم [لأنهم]
عادو إليه سرعه.

أتى إلى عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وهو يومئذ على الفسطاط. فخبّره^(١)
أنهم الليلة يخرجون. فمضى عبد الله بن عبد الرحمن إلى يزيد، وهو بالعسكر، ليخبره وكان
ذلك لعشر خلون من شوال سنة خمس وأربعين ومئة.

وسار خالد بن سعيد في الذين معه، وعليه قباء خز أصفر وعمامة خز صفراء، وقد سوم
فرسه بعمامة، وعمد إلى المسجد الجامع في نصف الليل. فانتهبوا بيت المال ثم تضاربوا عليه
بسيوفهم. فلم يصل منهم إليه إلا اليسير. وبعث يزيد بن حاتم مع ابن حديج بنوبة بن غريب
الخلواني، وبأبي الأشهل سعيد بن الحكم الأزدي من أهل الموصل، ودفيق بن راشد مولى يزيد
بن حاتم. وقال لهم يزيد: إن رأيتم المصاييح في الدور فهو أمر عام، فانصرفوا إلى، وإلا فأتوا
المسجد فاعلموا الخبر. فلما انتهوا قالوا: نرجع. قال نوبة: أما أنا فلا أبرح حتى يأتى أمره، لأنه
قال لكما: أرجعا ولم يقل لي. فقال له ابن حديج: فقف إذا عند دور بنى مسكين، فإنه مفروق
طرق. قال: أما هذا فأفعل. وثاب إلى يزيد بن حاتم نفر من أهل مصر، وأتاه المنتظر بن
إسماعيل الرعيني من الصحراء. فقال ابن حاتم: ما فعل ابن عمير الحضرمي؟ قالوا: لم
يخرج معهم. قال: وأبو حزن^(٢) المعافري؟ قالوا: بالباب. قال: فالأمر يسير. وأرسل ابن حاتم

(١) كذا في خ (٢: ٣٣٨). وفي ر: فخبّره.

(٢) كذا في ر. وقال: غير واضح الكتابة في الأصل.

وفى ثامن عشر يوم من ابيب اربع وسبعين
للسهدها احرق حصن مصر [بابلون] فى تلك
الليلة لأنه عدا فى المركب هو وجميع عسكره،
فنزل على شط البحر حتى احرق الحصن ولم
يحرق المراكب التى كانت معه فى بر الغرب،
وكانو الجند يحضرون إليه فى كل يوم فيقول لهم
احتفظو بالمراكب، وفى كل موضع يمضى إليه
يسوقنا معه ونحن تحت تعب عظيم من كثرة الخلق
والدواب والزحام والضغوطات.

إلى أصحابه، فجعلوا يأتونه سكارى. فقال: إن نضوحكم الليلة لكثير. وكان ممن حضر ليلته
من وجوه قواده العلاء ابن رزين الأزدي من سليمة، ويحيى بن عبد الله بن العباس الكندي،
وأبو الهزهاز النخعي، وأبو كندة بن عبيد بن مالك الكلبي. فساروا جميعاً، ثم وجه دفيفاً فى
جمع منهم من قبل سوق وردان. ومضى ابن حديج، وكان بسوق الحمام. ووقف أبو الأشهل
فى السراجين. وأقبل نصر بن حبيب فى الجموع من نحو دور بنى مسكين. فوقف ابن حديج
على الباب الذى من ناحية بيت المال، فكلم خالد بن سعيد، وهو فوق ظهر المسج، كلمة
قبطية^(١) فقال: انسل. فخرج على وجهه ورمى مسود بسهم فى الظلمة نحو مخرج الكلام،
فأصاب خد خالد بنشأته. وخرج من نحو سوق الحمام، وخرج ابنه إبراهيم وهديبة من نحو
المرحاض الذى إلى دار بنى سهم. ومضى خالد بن سعيد إلى إسماعيل بن حيوة بن عقبة بن
كليب الحضرمي فسأله أن يخفيه فقال: لقد هممت أن أوبقك وأذهب بك إلى الأمير. ثم أتى
عياش بن عقبة بن كليب فقال: أخاف اليمين. فأتى يحيى بن جابر أبا كنانة الحضرمي، فأواه
سبعين ليلة حتى سكن الطلب، وهذا أمره. وقتل تلك الليلة كلثم بن المنذر الكلبي ثم أحد بين
عامر، ممن كان مع خالد بن سعيد، ولم يكن هذا مذهبه، وإنما كان غضب على يزيد بن
حاتم، فخرج عليه مع خالد. وأمر يزيد بن حاتم عبد الله بن حديج بإطلاق الأسارى. فقال:
حتى أودبهم. فضربهم وخلاهم.

(١) كذا فى ر، وقال: فى الأصل: نطية، ويحتمل نبطية إلا أن (قبطية) أقرب للتصور.

ونزل مروان ساعه في ليلة العشرين من ابيب
وكان سايرا على الطريق وأمر باحضارنا لانه كان
ممتليا حنقا وغضبا علينا مما حكى له عنا حوثره،
فما اعظم الحزن والههم اللذين نزلا بنا في تلك
الساعه، وأنا إذا تفكرت فيما كان اخاف وارتعد
ممن لا ييكي إذا نظر ماجرى علينا ومن لا يحزن لما
اصابنا [لأنه] تم علينا قول داود النبي في المزمور
٣٨ اذ يقول : معارفى وقفو منى بعيدا. وهرب
كل من كان معنا وحولنا من التلاميذ وغيرهم ولم

فمات ودفن بها. وحمل عسامة إلى العراق فحبس زمانا. فلما صار الأمر إلى المهدي، قام أبو
عبيد الله الأشعري كاتب المهدي في أمر عسامة، لما بين المعافر والأشعرين. فأدخله إلى المهدي
وشفع فيه. فأمنه المهدي، على أن يصدقه عن علي بن محمد فقال: مات والله يا أمير المؤمنين
في بيتي لا شك فيه. فصدق المهدي، وفرض له متين، ورده إلى مصر.

وأما خالد بن سعيد فاستخفى زمانا طويلا، ثم مات في زمن المهدي بعد الستين ومئة في
سكندرية.

وشكت المعافر إلى يزيد بن حاتم بعد الماء عنهم. فابتنى يزيد بن حاتم فسقية المعافر، وأجرى
إليها الماء من ساقية أبي عون، وأنفق فيها مالا عظيما. فقال له أبو جعفر: لم أنفقت مالى على
قومك؟

وورد كتاب أبي جعفر على يزيد بن حاتم، يأمره بالتحويل من العسكر إلى الفسطاط، وأن
يجعل الدواوين في كنائس القصر^(١)؛ وذلك في سنة ست وأربعين ومئة. أو منع يزيد أهل
مصر من الحج سنة خمس وأربعين^(٢) فلم يحجّ منهم أحد ولا من أهل الشام^(٣)، لما كان

(١) يعنى قصر الشمع، وهو حصن بناء الفرس أيام تملكهم لمصر، وكان على الضفة الشرقية من النيل قرب
الكنيسة المعلقة في مصر القديمة.

(٢) زيادة عن نحو (١: ٣٠٧).

(٣) كذا في نحو (١: ٣٠٧)، ن (٢: ٣). وفي ر: إلا من أهل الشام.

ييق معنا سوى القس مينا ارشيبابا بيعة ابي سرجه
والاغومنس ثيدر الذى استحق الاسقفيه بعد ذلك،
والشماس كاتب البطرك لانه كان بمصر، وهولا
تركوا نساھم واولادھم ومالھم وتبعونا قايلين: نحن
نموت معكم. فلما رأى الأب خايل حسن
سريوتھم بارك عليهم وأمرھم أن يعودو ولا يتبعونا
فلم يفعلو، ثم مشو معنا، وكنت أنا لابسا أسكيم
الرهبان بغير استحقاق، كان أبى موسىس الأسقف
يمسك يد الأب الشمال وأنا أمسك يده اليمين،

بالحجاز من الاضطراب بأمر ابن حسن. ثم حج يزيد بن حاتم سنة سبع وأربعين، واستخلف
على مصر عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج.

وعقد يزيد بن حاتم لعبد الأعلى بن سعيد الجيشاني على خيل، ووجههم إلى بلاد الحبشة،
وكانت خارجة خرجت بهم، عليهم أبو ميمون. فقتله عبد الأعلى، وخرج برأسه ورؤوس
أصحابه إلى أمير المؤمنين المنصور المهلب بن داود بن يزيد بن حاتم.

وضمّ يزيد بن حاتم برقة إلى عمل مصر، وهو أول من ضمها إليه. وأمر عليها عبدالسلام
بن عبدالله بن هيرة الشيباني وذلك في سنة ثمان وأربعين ومئة^(١).

وخرج القبط على يزيد بن حاتم بسخا، ونابدوا العمال وأخرجوهم^(٢). وكان أميرها
عبدالجبار بن عبدالرحمن الأزدي، وذلك في سنة خمسين ومائة. وصاروا إلى شبرا
سنباط^(٣)، فقاتلوا [ابن] عبدالرحمن. وانضمّ إليهم أهل البشرود^(٤)، والأوسية^(٥)،

(١) ن. وكان ذلك في سنة تسع وأربعين ومئة.

(٢) كذا في خ (١ : ٧٩). وفي ر: ونابدوا وخرج العمال.

(٣) سنباط: بلدة من أعمال المحلة الكبرى.

(٤) البشرود: كورة كانت في أراضي ناحية سيدى غازى (الكفر الغربى سابقا) بمركز كفر الشيخ بمديرية
الغربية، ويدل عليها حوض البشرود.

(٥) الأوسية: واسمها الفرعوني تاميرى ومنها صارت دميرة القرية من دمياط ومعنى اسمها «مصر».

فلما وصلنا إلى خيمته خرج إلينا السياف وهو
مخوف جدا فعاد معنا بأمر الملك، فلما نظر إلينا
قال: من هو فيكم البطرك؟ فقل له هذا، فأمر أن
يقدموه إليه، وسلموا أبى إلى جند يأكلون لحوم
الناس، وأفردونا ناحيه. ثم طرح الأب أنبا موسى
على ركبته ورفعوا رجله إلى فوق وضربوه بدبابيس
نحاس على أجنابه وعلى رقبتة، وكانوا يقولون له:
أعطنا برطيلا ونخليك. فلم يقل لهم كلمة واحدة
لنه [لأنه] ما يعرف ما يقولون إلا ما كنت أنا أفهمه

والبحوم^(١). فأتى الخبر يزيد بن حاتم، فعقد لنصر بن حبيب المهلى على أهل الديوان ووجوه
أهل مصر. فخرجوا إليهم فقتلتهم^(٢) القبط. فطعن محمد بن عبدالرحمن بن معاوية بن
حديج حتى سقط. وطعن نصر بن حبيب طعنتين. وقتل عبدالجبار بن عبدالرحمن. وألقى توبة
الحوالاني النار في عسكر القبط. وانصرف الجيش إلى القسطنطينية منهزمين.

ثم صرف يزيد بن حاتم عنها. ورد عليه كتاب أبى جعفر بذلك فى شهر ربيع الآخر^(٣) سنة
اثنين وخمسين ومئة. فكانت ولايته عليها سبع سنين وأربعة أشهر.

٤١. عبدالله بن عبدالرحمن(*)

ابن معاوية بن حديج بن جفنة بن قنبرة بن حارثة

ابن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد ابن نجيب

ثم وليها عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج، من قبل أمير المؤمنين أبى جعفر،
على صلاتها، يوم السبت لثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة اثنين وخمسين

(١) البجوم: من أعمال الدنجاوية من مصر السفلى، وأرض كانت بقرب أدكو. ويعمل «ر» إلى أنها التخوم.
وهى كلمة قبطية تعنى مصر، فيما يقول ياقوت.

(٢) كذا فى ص. وفى ر: فيقتلهم وفى خ: فقتلهم.

(٣) ن: ربيع الأول.

(*) الخطط ١: ٣٠٧، والنجوم ٢: ١٧، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

من كلامهم وأقوله له كلمه بعد كلمه، وكان
ساجدا على الأرض يصلى ويشكر ويدعو إلى الله
أن يجعله مستحقا أن يتألم من أجل بيعة الله. ولم
يخاطبوني أنا بلفظه واحده لأنهم كانوا ينظرون
لباسي زريا.

وكان الأب القديس أنبا «خايل» البطرك قايفا
ووجهه إلى مروان وكان ينظر نحو مصر
[الفسطاط] وينظر أعداءه والخراسانيون ينظرون إليه

ومنة. فلم يؤل على الشرط أحدا، ولكن جعل على التابوت على بن زيدان التجيبي، ثم عزله
فولاه محمد بن يعفر المعافري، ثم عزله فولاه عمران بن سعيد الحجري^(١)، ثم عزله فولاه
رجلا من الموالي يكنى أبا الجيب^(٢).

وحدثني ابن قديد قال: حدثني عبيد الله بن سعيد، عن أبيه قال:
قال الميسري: كان عكرمة بن قحزم على شرطة أبي عون، فخطب وعليه رداء نارنجي^(٣).
وكان ابن بحير على شرطة ابن الأشعث يخطب في قميص وساج^(٤). فأول من خطب في
السواد عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية ابن حذيج.
وخرج عبد الله بن حذيج إلى أمير المؤمنين أبي جعفر، لعشر بقين من شهر رمضان سنة أربع
 وخمسين ومئة، واستخلف أخاه محمدا عليها. ورجع في آخر سنة أربع.
وتوفي عبد الله بن عبد الرحمن، وهو واليها، يوم الأحد مستهل صفر سنة خمس وخمسين
 ومئة، واستخلف أخاه محمدا. فكانت ولايته عليها سنتين وشهرين^(٥).

(١) كذا في ر، وبلا نقط في ص، وإنما فقط تخميناً.

(٢) بلا نقط في ص. (٣) نارنجي، بلون النارج.

(٤) الساج: الطيلسان الأخضر. وفي ر: ساج (٢).

(٥) ن: ثلاث سنين تنقص أياماً.

والمصريون على شاطئ البحر جميعهم يشتمون مروان كما قلنا انفا، وإذا بواحد من الخراسانيين رمى بنشابه إلى البر الغربي ونحن ننظره، وكانو بقية النصارى بمصر قالو للخراسانيين: هذا أبونا البطرك عند مروان الكافر وما تدري ما يصنع به. وكانو البشامره قد لقوهم من الفرما وقالو للخراسانيين: أن بطركنا قد أخذه مروان ليقتله بسبب اننا قاتلناه وقتلنا عسكره قبل مجيكم وكان

٤٢. محمد بن عبدالرحمن(*)

ابن معاوية بن حليج بن جفنة بن قنبرة

ثم وليها محمد بن عبدالرحمن، باستخلاف أخيه له. فأقره أمير المؤمنين أبو جعفر على صلاتها^(١). فجعل على شرطه العباس بن عبدالرحمن التجيبي، من بني الفصالح. وجعل أبا ميسرة عبدالرحمن بن ميسرة مولى حضر موت على التابوت. ثم توفي محمد بن عبدالرحمن، وهو واليها، ليلة السبت للنصف من شوال سنة خمس وخمسين ومئة. فكانت ولايته عليها ثمانية أشهر ونصفاً. واستخلف موسى بن علي بن رباح.

٤٣. موسى بن علي بن رباح اللخمي(*)

ثم وليها موسى بن علي بن رباح باستخلاف محمد بن حذيج له. فأقره أبو جعفر على صلاتها. فجعل على شرطه أبا الصهباء محمد بن حسان الكلبي.

(*) الخطط ١: ٣٠٧، والنجوم ٢: ٢٣، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

(١) ن (٢٣: ٢): والخراج.

(*) ذكر ابن حجر في التهذيب أن علي بن رباح كان يميل إلى تصغير اسمه، وذكر الذهبي (المشبه ٣٧٠) في المشبه أن ابنه موسى كان يكره تصغير ابنه، وقيل في هامشه: «قال الخطيب: يقال: إن أهل العراق كانوا يضمون علي بن رباح، وأهل مصر يفتحونها...» وترجمته في الخطط ١: ٣٠٧، والنجوم ٢: ٢٥، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

حوثره الكافر عند مروان يقول له: هذا البطرك
كان يقول [لنصارى] تقوون الله ينزع المملكة
من مروان ويسلمها لأعدائه، ومثل هذا كثيرا.

فلما سمع مروان هذا قال [على لسان]
ترجمانه للأب البطرك: انت بطرك اسكندرية؟
وذلك عن قول مروان فقال: أنا عبدك نعم. وأنا
سمعت منه هذا لأنى كنت قريبا منه. فقال له
مروان: قل لى أنت ريس أعداء مذهبنا. فأجابه
البطرك القديس وقال: ما أنا ريس أشرار بل اخيار

وفى ولايته خرج القبط ببلهيب^(١). فى سنة ست وخمسين. فعقد موسى لعبدالله بن
المهاجر بن على... حليف بنى عامر بن عدى بن تجيب. فخرج فى الجند إلى بلهيب فهزم
القبط.

واخبرنى ابن قديد، عن يحيى بن عثمان قال:

أخبرنى أبو يحيى الصدقى قال: رأيت موسى بن على يخطب على منبر صغير خارج من
المقصورة. قال: وكان موسى بن على يروح إلى المسجد ماشيا، وأبو الصهباء صاحب شرطه
بين يديه يحمل حربته. قال: وكان أبو الصهباء إذا أقام الحدود على من تجب عليه. يطلع عليه
موسى بن على، فيقول له: يا أبا الصهباء، ارحم أهل البلاء. فيقول: أيها الأمير. إنه لا يصلح
الناس إلا بما يفعل بهم.

حدثنا أسامة قال: حدثنا أحمد بن سعد^(٢) بن أبى مریم قال:

سمعت الفضل بن دكين قال: أتينا موسى بن على بمنى. فلما دخلت عليه قلت: بلغنى
أنك وليت لأبى جعفر؟ قال: نعم، والله ما رأيت أبا جعفر قط، ولا فرقت أحدا فرقى منه،
وان لله على ألا ألى ولاية أبدا.

(١) محلها اليوم فزارة التى بمركز الحمودية من البحيرة. وكلنا هى فى خـ (١: ٧٩)، ر. وهو الصواب
وجاءت محرفة فى الأصل وغيره من الكتب. وانظر فتح العرب لمصر بتلر ٢٨٩.

(٢) كذا فى ر، م، ورواة ابن إسحاق ١٩. وفى ص: سعيد.

وشعبي ليس يعمل سو لكن التعب اهلكهم حتى
أباعوا اولادهم. ولم اسمع بعد هذا كلمه أخرى
من قمه. ثم أمر مروان الأعوان الذين يمسكونه أن
يمد إليه أيديهم بسرعه وينتفوشعر لحيته من
عارضيه ورموشعره في البحر، وأنا أنظره بعيني
يعوم على الماء، وكانت لحيته كبيره حسنه نازله على
صدره مثل حية يعقوب إسرائيل. وكانوا الخراسانيون
في البر الشرقي ينظرون ما يعمل به، فلو وجدوا
سبيلا يعدون إلى مروان لكانوا يقتلونه لما راوه من

حدثنا أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي قال: حدثنا نصر بن مرزوق قال:

حدثنا عبدالله بن صالح قال: كان موسى بن عليّ يحدثنا، وهو أمير مصر، وهو داخل
المقصورة، ونحن من ورائها، إذ جاءه غلام أسود فقال: أصلح الله الأمير! إن مولاي ضربني
البارحة، فقلت: والله لأتينا الأمير موسى ابن عليّ. فقال له موسى ابن عليّ: رحمك الله! فجعل
الأسود يكرّر عليه: ابن عليّ، وهو يقول: ابن عليّ، لايزيده على ذلك.

وتوفي أمير المؤمنين أبو جعفر يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين
ومئة، وبويع محمد بن عبدالله المهدي. فأقر موسى بن عليّ عليها، إلى يوم الاثنين لثلاث
عشرة بقيت من ذي الحجة^(١) سنة إحدى وستين ومئة. فكانت ولاية موسى بن عليّ عليها
ست سنين وشهرين.

٤٤. عيسى بن لقمان الجمحي(*)

ثم وليها عيسى بن لقمان الجمحي، من قبل أمير المؤمنين المهدي، على صلاتها وخراجها.
فقدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة سنة إحدى وستين ومئة. فجعل على
شرطه ابن عم له يقال له الحارث بن الحارث من بني جمح.

(١) ن (٢: ٢٧): ذي القعدة.

(*) الخطط ١: ٣٠٧، والنجوم ٢: ٣٧، وحسن المحاضر ٢: ١٠.

ظلمه وقساوة قلبه، ولكن لم يجدو مراكب يعدون فيها بالجملة.

ولم يكن البحر زاد شيا إلى أول مسرى وكان البحر الغربى قد نشف بغير ماء [ء] والبحر الآخر الشرقى كان فيه مواضع قله مخاضات ولم يكونوا الخراسانيون يعرفونهم، وكان مروان قد حرس عليها لمعرفته بها ولا يقرب مركب من ناحية الغرب إلى مصر. ثم جازت الساعة السادسة ذلك

حدثنا ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد،

عن أبيه قال: كان الحارث بن الحارث الجمحى عاملاً مع أبى ضمرة صاحب الخراج فحبسه، فقدم عيسى بن لقمان فخلاه واستعمله على شرطه. فكان خليفة أبى ميسرة مولى حضر موت. قال: وقال عيسى بن لقمان: قال لى المهدي حين ولانى مصر: قد وليتك عمل عبد العزيز بن مروان وصالح ابن على.

فوليها عيسى إلى أن صرف عنها لثتى عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة الثنتين وستين ومئة، وليها أربعة أشهر^(١).

٤٥. واضح مولى أبى جعفر(*).

ثم وليها واضح مولى أبى جعفر. من قبل المهدي. على صلاتها وخراجها، دخلها يوم الثلاثاء لست بقين من جمادى الآخرة^(٢) سنة اثنتين وستين ومئة. فجعل على شرطه موسى بن زريق^(٣). مولى بنى تميم. ثم صرف فى شهر رمضان سنة اثنتين وستين ومئة^(٤).

(١) ن: فكانت ولاية عيسى هذا على مصر نحو خمسة أشهر. وهو الأصح.

(*) المخطوط ٣٠٧: ١، والنجوم ٤٠: ٢، وحسن المحاضرة ١٠: ٢.

(٢) ن: جمادى الأولى، وهو أصح. (٣) كذا فى ر عن ن. وفى ص: زريق.

(٤) ن: فكانت ولاية واضح هذا على مصر نحو أربعة أشهر، وقال صاحب البغية: ثلاثة شهور والحق أنها نحو ثلاثة أشهر ونصف.

اليوم والأب البطرك قايم بين يديه أمرد بغير حيه،
 وأبى موسى في العقوبة التي ذكرناها أولا إلى
 الوقت المذكور. وفتح الرب محب البشر عينى قلبه
 ونظر [أبا موسى] الشهيدين سرجيوس وواخس
 ونعمة الله حايطه بهما فى شبه فارسين من جند
 الملك عدو البحر وهما راكبان خيولهما، ولم
 يشاهدهما أحد سواه وحده حتى وقفا مقابل وجه
 مروان فقالا له: ما قعادك هاهنا وقد عدو أعداك
 إلى الغرب؟. ولم يشاهدهما أحد إلا أبى الاسقف



٤٦. منصور بن يزيد بن منصور الرعينى (*)

ثم وليها منصور بن يزيد الرعينى، وهو ابن خال المهدي، من قبل المهدي، على صلاتها.
 فوليها يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اثنين وستين ومئة. فجعل
 على شرطه هاشم بن عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج، ثم صرفه وولي عبدالأعلى
 بن سعيد الجيثناني، ثم عزله وولي عسامة بن عمرو المعافري. ثم خرج منصور إلى
 الإسكندرية، واستخلف عليها عسامة بن عمرو.

فحدثني ابن قديد، عن عبيدالله بن سعيد،

عن أبيه قال: لما ولي عسامة شرط ابن يزيد بن منصور، ذكر ذلك لابن بحير فقال: خليفة
 صاحب الشرط؟ فقالوا: لا، ولكن على الشرط. فاستعظم ذلك.

ثم صرف منصور عنها للنصف من ذى القعدة^(١). سنة اثنين وستين ومئة؛ كان مقامه
 عليها شهرين وثلاثة أيام.

(*) الخطط ١: ٣٠٧، والنجوم ٢: ٤١، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

(١) خ: ذى الحجة. خطأ، لأنه تولى شهرين، من ١١ رمضان (وشوال) إلى نصف ذى القعدة.

أنبا مويسيس ومروان لا غير، وكان الأب البطرك
مع الأعوان يعذبونه، ثم ذهب الشهيدان القديسان.

ورحل مروان وأمر الحشود أن تلحقه وأمر أن
نحفظ إلى الغداه، فاقمنا بقية ذلك اليوم على
شاطئ النيل ونحن في الشمس كما أمر الجند حتى
ظننت أن أبي مايعيش إلى مغيب الشمس من شدة
العذاب الذي عذبوه. فلما كان بالغداة باكرا كان
معنا أساقفه ورهبان من وادي هبيب جاءوا

٤٧. يحيى بن داود الخرسى (*)

الشهير بابن مفلود

ثم وليها أبو صالح الخرسى يحيى بن داود، من قبل المهدي، على صلاتها وخراجها. قدمها
في ذي الحجة سنة اثنين وستين ومئة. فجعل على شرطه عمامة بن عمرو. وكان أبو صالح
وأخوه سعيد وأبو قدامة عبيداً لزياد بن عبدالرحمن القشيري. وكان أبوه داود تركياً، وأمهم
نخالة ملك طبرستان. وكان أبو صالح من أشد الناس سلطاناً، وأعظمهم هيبة، وأقدمهم على
دم، وأنهكهم عقوبة. ولما ولي مصر منع من يغلّق الأبواب بالليل، ومنع أهل الخوانيت من
غلقها، حتى سطوا عليها شرائج^(١). القصب تمنع الكلاب منها. ومنع حراس الحمامات أن
يجلسوا فيها. وقال: من ضاع له شيء فعلى أداؤه. فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه،
ويقول: يا أبا صالح، احفظها. فكانت الأمور على هذا مدة ولايته.

وحدثني ابن قديد قال: حدثني يحيى بن عثمان قال:

(*) كذا في ر، ن عن المشقبه للذهبي نسبة إلى خراسان. وفي ص: الجرشي. وفي ط، ث. الحرشي. وترجمته
في الخطط ١: ٣٠٧، والنجوم ٢: ٤٤٠، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.
(١) الشرائج: جمع شريحة، وهي باب من القصب يعمل للدكاكين.

لينظروا ما فعلوا بنا، فجاءوا الآخر كذلك! معنا،
ثم جاء مروان لأنه كان راكباً وجلس وأمر
بأحضارنا باكراً، فلما طلعت الشمس أحضر سيافاً
وأحضر ابانا أنبا خايل وحده ليدخل به إليه،
فمسك السياف يده ودخل به وقال لنا: قفوا حتى
يستدعيكم. فصرخ أبي أبا مويسيس وقال: حي هو
الرب لا فارقت أبي أبداً لكن اتبعه إلى كل مكان
يمضون به إليه. فأسرعت أنا أيضاً معهما لأعلم ما
يعمل فيهما. فلما رأى السياف قال له: ما أمر

حدثني حرملة بن يحيى قال: كان الذي أخذ أهل مصر بلبس القلايس الطوال، في
الدخول فيها على السلطان^(١)، يوم الاثنين والخميس. قال: يحيى ابن داود الخرسى أخذ بذلك
الفقهاء والأشراف وأهل البيوتات^(٢). قال يحيى: وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكر الخرسى
قال: هو رجل يخافنى^(٣). ولا يخاف الله.

فوليها أبو صالح إلى الحرم سنة أربع وستين ومئة^(٤).

٤٨. سالم بن سودة التميمي (*)

ثم وليها سالم بن سودة التميمي، من قبل المهدي، على الصلاة. وقدم معه أبو قطيفة^(٥).
إسماعيل بن إبراهيم مولى لبني أسد على الخراج، وذلك يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت
من الحرم سنة أربع وستين ومئة. وإنما ذكرنا إسماعيل هاهنا لأن كثيراً من الناس يظنونه ولي
صلاتها. فجعل سالم على شرطه الأخضر بن مروان البصرى.

(١) خ: والدخول بها على السلطان... بلا أردية. وكذا في ن.

(٢) خ: وأهل النوبات.

(٣) كذا في ن، وعن خ. وفي ص: جافى.

(٤) ن: فكانت ولايته على مصر سنة وشهراً إلا أياماً، وقال صاحب البغية: ستين وشهراً، والأول أثبت.

(*) الخطط ١: ٣٠٧، والنجوم ٢: ٤٦، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

(٥) وكذا في ن. في خ: أبو قطيفة.

الملك الا بدخول البطرك وحده. فقال له الأسقف:
قد قلت لك انى ما أقدر أن أفارق أبى بالجمله
وانما جيت هاهنا بسببه فمهما أردت أفعل فما
أفارقه. فغضب السياف وقال له بحق: ما يجوز
مخالفة الملك، وأنت فما تسمع؟ و كان فى يده
دبوس نحاس يكون وزنه عشرين رطلا فشال
الدبوس ليضرب أبى على رأسه، فقدم رأسه إليه،
فلما أراد أن يضربه صاحو عليه جماعه من
أصحابه المستخدمين ولم يدعوه ان يضربه، وكان

ثم صُرفَ سالم بن سواده عنها سلخ ذى الحجة سنة أربع وستين ومئة. وليها سنة (١).

حدثنى ابن قديد، عن عبيدالله،

عن أبيه قال: كان يقال لسالم بن سواده: سالم بن الذؤابة، وكان أجذع جدعته (٢).
اليمانية.

٤٩ . إبراهيم بن صالح (*).

ابن على بن عبدالله بن عباس

ثم وليها إبراهيم بن صالح بن عبدالله بن عباس، من قبل المهدي، على صلاتها وخراجها.
قدمها يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وستين ومئة. فجعل على شرطه
عسامة بن عمرو. فاستخلف عسامة على الشرط يزيد بن خالد بن مسعود النخلائي (٣). من

(١) ن: فكان مقامه بمصر سنة إلا ثمانية عشر يوماً.

(٢) كذا فى ر، وقال: فى الأصل: أجذع جدعته. وليس بصواب.

(*) الخطط ١، ٣٠٧، والنجوم ٢: ٤٩، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

(٣) ر: الخلائي: بدون نقط.

جميع العسكر يقولون بلسانهم ولغتهم: حقا أن
هذا الأسقف نعم الخادم لربه. ثم جاءوا رسول آخر
قائلا: أدخلوا بجميعهم فقد استدعاهم الملك،
فدخلنا جميعا فكان مروان جالسا على شاطئ
البحر فتقدم أولا الأب الطوباني وحده كما أمر
مروان وأوقفه بين يديه نهاره أجمع نحو عشر
ساعات ووجهه إليه، وكان قلبه عند المسيح ويداه
مبسوطتان و جوارحه تدعو ويصلب على وجهه ولا
يخاف من الملك لبغضه لعلامة الصليب فلم

الكلأع. فمات يزيد، فاستخلف عليها عسامة على الشرط أيضا محمد بن سعيد بن عامر
الصدفي. فمات، فاستخلف عسامة أيضا عمار بن مسلم بن عبدالله بن مسرة الطائي منى
الغوث.

وابتى إبراهيم بن صالح داره العظمى، المعروفة اليوم بدار عبدالعزيز التي في الموقف^(١).
ثم وهبها عند خروجه لآل عبدالرحمن بن عبدالجبار.

وخرج دحية بن معصب^(٢) بن الأصبح بن عبدالعزيز بن مروان، بصعيد مصر، ونابد،
ومنع الأموال، ودعا إلى نفسه بالخلافة^(٣). فبلغ ذلك إبراهيم ابن صالح فتراخى عنه ولم
يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد. فبلغ ذلك المهدي فسخط على إبراهيم بن صالح،
وعزله عزلا قبيحا. فولىها إبراهيم إلى أن صُرف عنها يوم السبت لسبع خلون من ذي الحجة
سنة سبع وستين ومئة، وليها ثلاث سنين^(٤).

(١) كذا في ن، ر. وهي بقعة مشهورة في خطط الفسطاط. وفي ص: الوقت.

(٢) كذا في ن، ر. ومضى. وفي ر هتا: مصعب.

(٣) كذا في ر. وفي ص: الخلافة.

(٤) ن: إلا أياما.

يخاطبه بكلمة واحدة، وكان حوله عدة سيوف مسلولة والأت الحرب. فأما نحن فأمر أن يجعلونا على يساره في ناحية مفردة، وأمر أيضا باحضارنا وتسليمنا إلى قوم آخرين غير الذين جابونا من اسكندرية، فسلمونا إلى قوم كأنهم الوحوش. وأمر رجلا من أصحابه مقدم رجال عنده اسمه يزيد كان شجاعا أكثر من كل من عنده ان يتسلمنا. وكان عددنا في ذلك اليوم عشرة سوى الأب البطرك انبا خايل، فجعل مع كل واحد منا ثلاثة

٥٠. موسى بن مصعب الخثعمي(*)

ثم وليها موسى بن مصعب. من قبل المهدي، على صلاتها وخراجها. قدمها يوم السبت لسبع خلون من ذي الحجة سنة سبع وستين. فجعل على شرطه عسامة بن عمرو. وأمر موسى إبراهيم بن صالح أن يرد إلى مصر. فرد إليه من الطريق. وكان المهدي قد أمره بإصفاء^(١). أموال إبراهيم، وأخذ عماله. فاستخرج منهم ثلاث مئة ألف دينار. ولم يزل إبراهيم مقيما بمصر حتى لم يبق له عامل إلا صار في يدي موسى بن مصعب. ثم كتب المهدي يأذن لإبراهيم في الانصراف إلى بغداد.

وتشدد موسى بن مصعب في استخراج الخراج. وزاد على كل فدان ضعف ما تقبل به^(٢). ثم عاد موسى إلى الرشوة في الأحكام. وجعل خرجا^(٣). على أهل الأسواق وعلى الدواب. وقال الشاعر:

(*) الخطط ١: ٣٠٨، والنجوم ٢: ٥٤، وحسن الخاضر ٢: ١٠.

(١) إصفاء أمواله: مصادرتها.

(٢) كذا في ر. وفي ص بدون نقط التاء. وفي خ: يقبل به. وفي ن: وزاد على كل فدان ضعف ما كان أولا. وفي العبارة نظر إلى كلام الخطط عن متقبل البلاد (خ: ١: ٨٢).

(٣) كذا في خ: وفي ر: خرجا. وفي ص: خراجها. وفي ن: ثم رتب دراهم على أهل الأسواق وعلى الدواب.

من الجند وضيقو علينا جداً، فلما حميت الشمس
أعد لنا ذلك الأمير آلات العذاب مختلفات لأنهم
لم يتفقو على قتله يقتلونا بها، ثم سألنا انا وأبى
موسيس الأب البطرك أن يقول علينا صلاة
التحليل كقانون البيعة ففعل ذلك، ثم قلنا على
بعضنا بعضاً وصغيرنا يقول للكبير: أن وجدت
رحمة عند المسيح أذكرنى . وحولنا وجوهنا إلى
الشرق وصلينا والناس ينظرون إلينا من البر الشرقي
والغربي وجماعه من المسلمين يكون علينا. وكان

لَوْ يَعْلَمُ الْمَهْدِيُّ مَاذَا الَّذِي
بِأَرْضِ مِصْرَ حِينَ حَلَّ بِهَا
يَفْسَعُهُ مُوسَى وَأَيُّوبُ
لَمْ يُشْهِمْ فِي النَّصْحِ يَعْقُوبُ

كاتبه ابن داود^(١).

وأظهر الجند لموسى الكراهة والشنآن. وبعث عمالاً على الخوف. فأخرجهم أهل الخوف.
ونابذوه. وعقدت قيس واليمانية حلفاً فيما بينهم. وولوا عليهم معاوية بن مالك بن ضمضم
الجلداني ثم الجروى^(٢). وكلموا^(٣). أهل الفسطاط من الجند، وخوفوهم الله، وذكروا لهم ما
أتى موسى إليهم. فأعطاهم الجند من أهل مصر العهود والمواثيق: أن ينهزموا^(٤). عنه إذا خرج
إليهم، فلا يقاتلون معه. وتحالفوا هم وأهل الفسطاط على ذلك.

وعقد موسى بن مصعب لعبدالرحمن بن موسى بن علي بن رباح اللخمي، في خمسة
آلاف من أهل الديوان. وبعث بهم إلى الصعيد في طلب دحية بن معصب. وأمره أن ينزل

(١) يريد كاتب المهدي يعقوب بن داود.

(٢) كذا في رتبة إلى جرى بن عوف، المنسوب إليه عبدالعزیز بن الوزير الذي يكثر ذكره فيما يأتي. وفي
ص: الجروى.

(٣) خ، ن: وكاتبوا. ولعلها أصح.

(٤) ر: أنهم ينهزموا.

ولد مروان الكبير اسمه عبد الله باكيا علينا أيضا
مع الناس فتطلع مروان إلى البر الشرقي فرأى
الخراسانيين في كثره فقلق لذلك، وكان يقول:
كيف أقاتلهم؟ ولم يدر ما يفعل وكان عبد الرحيم
الكافر المذكور أنفا عرف [الاطن والدهانات] الذى
لطخ به المراكب فامتنعت النار عنها(*)، فلطخ
المراكب [وفعل هذا أيضا عدة مراكب] وحمل
على كل مركب تمانين رجلا وأمر أن يقاتلو الناس
فرمو عليهم النيران ومهما وجدو من المراكب

(*) اختراع دهان للمراكب يمنع
النيران الاغريقية من حرقها.

بالشرقية^(١)، وكان دحية بها. فلما سار عبدالرحمن، عدى دحية النيل وصار في غربيته، وملك
أكثره. وولى دحية على الشرقية يوسف ابن نصير بن معاوية بن يزيد بن عبدالله بن قيس
التجيبى. فكان يوسف يغير على عبدالرحمن بن موسى بن علفى. فاستخلف عبدالرحمن على
جيشه بكار بن عمرو، أخا عسامة بن عمرو. وسأل أن يعفى. فأعفى^(٢).

ومضى موسى بن مصعب فى جند مصر كلهم، وفيه وجوه الناس. فساروا حتى نزلوا
الغرياء^(٣). وأقبل إليهم أهل الخوف يمنها وقيسها. فلما اصطفوا ونشبت بينهم الحرب، انهزم
أهل مصر بأجمعهم، وأسلموا موسى ابن مصعب. فبقى فى طائفة يسيرة ممن كان قدم بهم
فلم يثبت معه أحد من أهل مصر إلا خالد بن يزيد بن إسماعيل التجيبى، وكان صاحب أمره
والمستولى عليه. وأقتل^(٤) موسى بن مصعب، قتله مهدي بن زياد المهري ثم أحد
الصيعة^(٥). وعاد أهل مصر [إلى]^(٦) الفسطاط لم يكلم منهم أحد^(٧). وبلغ المهدي مقتله

(١) يريد الضفة الشرقية من النيل.

(٢) ر: فعفى.

(٣) كذا فى ي، وهى من الخوف، وفى ر: العرياء.

(٤) زيادة ضرورية عن ر. (٥) ر: الصعر، ولعلها كما أثبتته.

(٦) زيادة عن ر.

(٧) خ: من غير أن يتكلم أحد من أهل مصر. ومثله فى ن. وهو تحريف.

[الآخرى] أحرقوها ووصل مركب إلى البر الشرقى
كان فيه صالح وأبو عون ومن معهما فانقلب به
المركب فغرق جميع من فيه خلا رجلا واحدا،
ويلقظون المصريون [البشامره] الموتى [الغرقى]
واخذوا ما عليهم وما كان لهم من عدة ومال،
والأحيا الذين لم يغرقوا استأسروهم وربطوهم
بسلاسل الحديد فى حلوقهم وجذبوهم الى البر
وسلموهم إلى الخراسانيين. وكانوا الخراسانيوس قد
جأبو مراكب عده إلى مصر. فلما جازت عشر

فقال: نُفِيت من العباس [أو] لأفعلن بمهدى^(١). ولأفعلن بأهل الخوف كذا وكذا. فمات
المهدى قبل أن يبلغ فيهم شيئا.

وكان قتل موسى بن مصعب بالغريراء يوم الأحد لتسع^(٢) خلون من شوال سنة ثمان
وستين ومئة. فكانت ولايته عليها عشرة أشهر. قال سعيد بن عفير، يذكر أهل الخوف:

أَلَمْ تَرَهُمُ الْوَتَّ بِمُوسَى سَيُوفِهِمْ	وَكُنَّاتٍ سَيُوفًا لَا تَدِينُ لِمُتَرَفٍ
فَمَا بَرَحَتْ فِيهِ تَعُودُ وَتَبْتَدِي	إِلَى أَنْ تَرَوِي مِنْ حِمَامٍ مَذْنَفٍ ^(٣)
فَأَصْبَحَ مِنْ مَصْرٍ وَمَا كَانَ قَدْ حَوَى	بِمَصْرِ مِنَ الدُّنْيَا سَلِيْبًا بِنَفْنَفٍ ^(٤)
وَلَكِنَّ أَهْلَ الْخَوْفِ لَهْ فِيهِمْ	ذَخَائِرُ إِنْ لَا يَنْفِدُ الدَّهْرُ تُعْرِفُ

وقُتِلَ معه خالد بن يزيد التجيبى، وكان ظالما. قال له عبد الحميد بن كعب ابن علقمة:
تحب أن لك مئة ألف دينار وأنت من أهل النار؟ قال: لا. قال: فأنت من أهل النار وليس لك
مئة ألف دينار.

(١) كذا فى ر. (٢) ن: لسبع.

(٣) الحمام: قضاء الموت وقدره. ومذنف: مقرب للموت، ولعلها محرفة عن: مذفف، أى مجهز على
المريض. ومال ر إلى أن العبارة محرفة عن: جمام مذرف.

(٤) الننف: كل مهوى بين جبلين. وصقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو.

ساعات من ذلك اليوم تقدم إلى يزيد الذى نحن
عنده أن [ياخذ الابهات الى بحرى] إلى جزيرة
النزهات(*) [فى الاعتقال] فصلينا على حافه البحر
فى الغيط، فلما مضو بنا يجروننا بحنق عظيم فنظر
الرب سريرتنا وأمانتنا فالقا [الله تعالى] فى قلب
عبد الله ولد مروان الكبير [رحمه فسال] أباه
مروان وهو يبكى بدموع غزيره وساله أن يخلينا
وقال: هو ذا ترى اعدانا محتاطين بنا ونحن
مستعدون إذا اشتد بنا الأمر لأن نمضى إلى بلاد

(*) جزيرة النزهات : هى جزيرة
الروضة.

وحدثني ابن قديد، عن أبى نصر أحمد بن صالح، عن على بن سعيد،
عن سعيد بن أبى مریم قال: سمعتُ الليث بن سعد، وموسى بن مصعب يخطبُ الناس،
وكان ظالماً غاشماً، فمرَّ بهذه الآية: «إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سُرَادقُها». فقال الليث،
وموسى يخطب: اللهم لا تقه منها^(١).

٥١. عسامة بن عمرو المعافري(*)

ثم وليها عسامة بن عمرو باستخلاف موسى بن مصعب إياه. فكتب دحية ابن مُعصَّب^(٢)
إلى يوسف بن نصير بن معاوية التجيبى، يأمره بالمسير فى الشرقية إلى الفسطاط. فبعث إليه
عسامة بأخيه بكار بن عمرو. فالتقوا بِرُكُوت من الشرقية، فتحاربوا يومهم أجمع. فنادى
يوسف بن نصير بكاراً: يا ابن أم القاسم، اخرج إلى. فقال: ها أناذا، يا ابن وهبة. فقال: قد
ترى ما الذى قُتل بيننا من الناس، ابرز إلى وأبرز إليك، فأينا قتل صاحبه كان الفتح له. فبرز
بكار، فوضع يوسف الرمح فى خاصرته، ووضع بكار الرمح فى خاصرة يوسف. فقتل يوسف

(١) كذا فى ن. وفى ر، خ: اللهم لا تمقتنا.

(*) الخطط ١: ٣٠٨، والنجوم ٢: ٥٧، ولم يذكره حسن المحاضرة.

(٢) ر: مصعب.

السودان وهم على ما قيل لنا أولاد [أتباع] هذا
 الشيخ [البطرك] فان قتلته فما يقبلونا بل يقومون
 علينا هم أيضا ويقتلوننا. فلما سمع منه أعادونا إلى
 الاعتقال . وكان في ذلك الموضع أربع حبوس فلما
 دخلو بنا لحبس استوثقوا منا بالخشب والحديد
 ونحن تحت ضيق عظيم، وأول من قيد بالحديد
 الأب القديس البطرك وبعده الأسقف أنبا مويسيس
 وأنا ولده يحنس(*) الراوى هنا هو الشماس يحنس
 (يوحنا). وضع يده المقدسه على بغير استحقاق، ثم أسقف

بكاراً، وقتل بكار يوسف. ورجع الفلّ من الجيشين جميعاً، وذلك لثلاث بقين من ذى الحجة
 سنة ثمان وستين ومئة.

وقد كانت ولاية الفضل بن صالح بن على وردت مصر. فصُرف عسامة عنها لثلاث عشرة
 خلت من ذى القعدة^(١). سنة ثمان وستين ومئة. وورد كتاب الفضل باستخلاف عسامة
 عليها، فخلفه إلى سلخ المحرم سنة تسع وستين^(٢). ومئة^(٣).

٥٢. الفضل بن صالح بن على العباسي(*)

ثم وليها الفضل بن صالح، من قبل المهدي، على صلاتها وخراجها. دخلها يوم الخميس
 سلخ المحرم سنة تسع وستين ومئة. فجعل على شرطه عسامة ابن عمرو. وكان مع الفضل
 عسكر من الجند عظيم، أتى بهم من الشام، على أهل قنسرين عنيسة بن سعيد الجرشي،
 وعلى أهل حمص جهم بن عبدالعزيز البهراني، وعلى أهل دمشق عاصم بن محمد بن سعيد،

(١) ن: ذى الحجة. وذهب صاحب النجوم إلى أن العزل كان بعد المعركة بأيام يسيرة، لا قبلها، كما
 يفهم من عبارة المؤلف.

(٢) ص: وثمانين. سهو.

(٣) ن: فكانت ولاية عسامة على مصر ثلاثة أشهر إلا أياماً.

(*) الخطط ١: ٣٠٨، والنجوم ٢: ٦٠، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

طنبدا أنبا مينا كاتبه وأنبا زخارياس أسقف أثريب،
 وولده الروحاني أسقف بوصير واسمه بطرس الذي
 أخذ الكرسي في تلك الأيام، والشماس جرجه ولد
 الأب الروحاني الذي أخذ كرسي البسراط(*)،
 واتناسيوس اراشيبابا بيعة أبي مقار، وأبا يعقوب
 الذي استحق أيضا أسقفية سنجار(*)، وأخوه
 الروحاني ولد الأب بطرس من سمند، ونحن
 الأحد عشر جعلو في رجل كل واحد منا طوبه
 حديد ثقيله جدا يكون وزنها نصف خنجور

(*) البسراط: من المدن القديمة
 قرب فارسكور من ناحية المنزلة
 تكتب أحينا البصرراط
 والبسراطين.
 (*) منجسار: اسم لمدينة بائدة
 اشتهرت باللحن السنجاري، وهو
 اسم لمدينة أخرى خربها العرب
 بعد ثورات البشموور ثم أعيد
 تأسيسها في العهد المملوكي
 تحت اسم النجار أو كوم النجار.

وعلى أهل الأرذن قطبة بن سعيد القيسني^(١)، وعلى أهل فلسطين زيادة بن فائد اللخمي.
 [و]^(٢) توفي المهدي في المحرم سنة تسع وستين ومئة، وبويع موسى بن المهدي، فأقر الفضل
 بن صالح بن علي عليها.

وقدم الفضل وهي تضطرم، لما كان من أهل الحوف، وغروج دحية بن معصب^(٣).
 وذلك أن الناس تسرعوا إلى دحية وكاتبوه، ودعوه إلى دخول الفسطاط. فعقد الفضيل بن
 صالح لسفيان القائد على الجند. وعقد لابن ذي هجران السيباني^(٤). على أهل مصر، فأقام
 بالجيزة. وعقد لابن زبّان على القيسية. وبعث بالزهرى في البحر. فالتقى سفيان مع دحية
 بسويط^(٥). وكان صاحب أمر دحية كله فتح بن الصلت بن المغيرة بن ناشر الأزدي، من بني
 الحارث بن زهران؛ كان جده ناشر حضر فتح مصر. وأقبل فتح يكرّ ويفرّ، لا يعرض له شيء
 إلا هده^(٦). فوقف له إبراهيم بن الأومر بن علي التجيبي^(٧)، من بني سؤم ابن عدي بن

(١) كذا في ر، وهو بدون فقط في ص.

(٢) زيادة عن ر. (٣) ر: معصب.

(٤) قال ر: لعله: الشيباني. والسيباني بالمهملة نسبة إلى بطن من مراد.

(٥) قرية بالصعيد قرب بوصير من مديرية بني سويف الآن.

(٦) هذه: قطعة. وربما كانت محرفة عن هذه أو هزه، وشك وأنها محرفة عن هزمه.

(٧) كذا في ر، وقال: في الأصل: اللخمي، ينافيه ما بعده. ولعله محرف عن: إبراهيم بن الأوس.

وجعلونا خلف تلتة أبواب خشب ليس ضوء ولا هوا
ولا راحه، وكنا واحد ينظر إلى الشرق وواحد ينظر
إلى الغرب، وكان يغشانا الضيق أكثر من القيود
الحديد حتى قاربنا الموت من الضغطه والرباط بغير
رحمه. وأمر ذلك الملك الكافر مروان أن يضيق
علينا. وكان الأب البطريرك حزيننا علينا أكثر من
همه بنفسه، وكان يشجعنا بكلام الله والقوانين
المقدسه التي لا باينا المقدمين. وكذلك ما كان أحد
منا يخفى عن الآخر شيا وكنا كلنا نفسا واحده

تجيب، وحر بن شراحيل التجيبى وهياج الأنبارى. فحملوا على فتح فقتلوه. فقهقر
أصحاب دحية لمقتل فتح. ومضى دحية على حامية فى طائفة معه إلى طريق الواحات.
فبعث إلى أهلها يدعوهم إلى القيام معه، وكانوا من المسالة^(١) والبربر يتدينون بالشراية^(٢)،
فقالوا: لا نقاتل إلا مع أهل دعوتنا. فبعث إليهم دحية: إنا على مذهبكم. فخرجوا إليه وقاتلوا
معه يوم الدير.

وأقبل عبدالله بن على الحمى^(٣)، فى جمع كثير بعثه الفضل بن صالح. فخرج إليه دحية
فى أهل الواحات، فهزموا عبدالله بن على. وقتل يومئذ عبدالعزيز بن مروان بن الأصبع بن
عبدالعزیز بن مروان. ووجد أهل الواحات على دحية فى إثارة العرب على الموالى، وتقديمهم
على البربر. فقالوا له: هذا ظلم، والإسلام واحد، ولسنا نقاتل معك حتى نمتحنك بالبراءة من
عثمان. فامتنع دحية وقال لهم: والله ما أرجو الجنة إلا بالرحم بينى وبين عثمان. فانصرفوا عنه
وتركوه. فعاد إليه عبدالله بن على الجنى لما علم انصرفهم عنه. فحاربهم^(٤)، فقتل يومئذ

(١) كذا فى ر.

(٢) الشراية: يريد مذهب الخوارج.

(٣) نال ر: مهمل فى الأصل ويحتمل: الجنى، نسبة إلى بطن من مراد.

(٤) كذا فى ر. وفى ص: فجعل بهم. تحريف.

كما قال بولس ، ومنتظرين الأجل ونسل الله أن
يأتى به سرعه لنجعل نفوسنا عن الشعب ليلا
[لئلا] يهلك واحد منهم. وكان الأب إذا تكلم
يتكلم بمنطق روحانى كأنها قيتاره يخرج من فيه
نسيم الحياه بتسايح روحانيه، وكان مواصلا
الصيام والصلاه نهارا وليلا.

فاما أبى موسى فأول ساعة دخلوا بنا السجن
وقيدونا تنبى لنا وقال : ما يقتلوننا فى هذه الدفعة

مروان بن عبد الملك بن أبى بكر بن عبدالعزيز بن مروان. وكانت نعم أم ولد دحية تقاتل قتالا
شديداً. فقال شاعر من أصحاب دحية^(١) :

فلا ترجعنى يا نعم عن جيش ظالم	يَقُودُ جُيُوشَ الظَّالِمِينَ وَيَجْنُبُ
وَكُفِّرْ بِنَا طَرْدًا عَلَى كُلِّ سَانِحٍ	إِلَيْنَا مَنَآيَا الْكَافِرِينَ ثَقَرُبُ
كَيَوْمٍ لَنَا لَازِلَتْ أَذْكَرُ يَوْمَنَا	بِفَاوٍ، وَيَوْمَ فِي بَوَيْطٍ عَصَبُ
وَيَوْمَ بِأَعْلَى الدَّيْرِ كَانَتْ نَحْوُسُهُ	عَلَى فَيْفَةِ الْفَضْلِ بْنِ صَالِحٍ تَنْعَبُ

٥٣. على بن سليمان العباسى (*)

ثم وليها على بن سليمان، من قبل موسى الهادى، على الصلاة والخراج. دخلها فى شوال
سنة تسع وستين ومئة. فجعل على شرطه عبدالرحمن بن موسى ابن على بن رباح اللخمي،

(١) سقط من الأصل الشعر، فألبته عن معجم البلدان لياقوت. وتكملة الأخبار عن الخطط: «فسير العساكر
حتى هزم دحية، وأسر، وسبق إلى القسطنطينية. فضربت عنقه، وصلب في جمادى الآخرة سنة تسع وستين.
فكان الفضل يقول: أنا أولى الناس بولاية مصر، لقيامى فى أمر دحية وقد عجز عنه غيرى. فعزل وندم
على قتل دحية. والفضل هو الذى بنى الجامع بالعسكر، فى سنة تسع وستين، فكانوا يجمعون فيه». وقيل
فى النجوم: «وكان عزل الفضل عن إمرة مصر فى أواخر سنة تسع وستين ومئة المذكورة، فكانت ولايته
على مصر دون السنة».

(*) الخطط ١: ٣٠٨، والنجوم ٢: ٦١، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

ولا نخرج من الاعتقال ومروان فى الحياه وكان
كما قال.

وكنا إذا أردنا أن نفطر كان انسان يعرف بابن
يسطس الشماس من بلبس ا ينفذ لنا ما نفطر
عليه، وليس عندنا معه ناكل ولا نقدر أن نلتفت
يمينا ولا شمالا من الضيق.

وكان غلا عظيم فى بر الجيزه من كثرة الخلق،
وكان القمح لا يوجد بالجملة والشعير كذلك بعد

[ثم عزله]^(١) فولى الحسن بن يزد بن هانىء الكندى. وتوفى موسى الهادى فى النصف من
ربيع الأول سنة سبعين ومئة، وبويع هارون بن محمد الرشيد. فأقر على بن سليمان عليها
وأظهر على بن سليمان فى ولايته عليها الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، ومنع الملاحى
والخمور. وهدم الكنائس المحدثه بمصر، فهدم كنيسة مريم الملاصقة لأبى شنودة، وهدم كنائس
مَحْرَس قسطنطين. وبذل له خمسون ألف دينار فى تركها فامتنع^(٢). وكان كثير الصدقة فى
الليل. وكان أهل مصر مع هذا يرمونه بالقدر، وذلك أنه استخلص^(٣) رجلين متهمين بالقدر،
وهما عبد الحميد ابن كعب بن علقمة التوخى، وهرم بن سليم بن عياض العامرى من قرش.
وقال يحيى بن عثمان بن صالح: قدم إدريس بن عبدالله بن حسن بن حسن إلى مصر،
وعلى بن سليمان عليها. فعلم بمكانه ولقيه سرًا، فسأله بالله والرحم إلا ستر عليه، فإنه خارج
إلى المغرب. فستر عليه، وأظهر على بن سليمان أنه تصلح له الخلافة، وطمع فيها. فسخط
عليه هارون. فعزله عنها يوم جمعة لأربع بقين من ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومئة^(٤).

(١) زيادة عن ن (٢: ٦٢).

(٢) أى امتنع عن أخذ الدناير، وأصر على هدم الكنائس، كما يتضح من النجوم.

(٣) استخلص: أى اصطفاهما صديقين.

(٤) ن: فكانت ولاية على بن سليمان هذا على مصر نحو سنة وثلاثة أشهر، وقيل: أكثر مره.

أن كان بيع الوبيه بتمن عظيم وعند الضيقه صار
الملح بسعره الأول.

ثم أن مروان بعد تلك البلايا التي فعلها في كل
مكان أمر من معه أن يقتلو ويأسرو وينهبو
[الناس]، ففعلو ذلك وانفذ إلى الصعيد وقتل
جماعة النصاري. وكان المتولى لهذا الأمر من قبله
رجلا يسمى مروان بن عبد العزيز الذي بنى حلوان
وأخربو من منف إلى مدينة تاوضوسيا.

٥٤، موسى بن عيسى بن موسى العباسي(*)

ثم وليها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد^(١)، من قبل أمير المؤمنين هارون
الرشيد، على صلاتها^(٢). فجعل على شرطه أخاه إسماعيل بن عيسى فسخط^(٣) ذلك
فعرّله، وولى عسامة بن عمرو. ثم أذن موسى بن عيسى للنصارى في بنيان الكنائس التي
هدمها علي بن سليمان. فبُنيت كلها بمشورة الليث بن سعد، وعبدالله بن لهيعة، وقالوا: هو من
عمارة البلاد. واحتجوا أن عامة الكنائس التي بمصر لم تُبن إلا في الإسلام في زمن الصحابة
والتابعين.

ثم صُرف موسى عنها يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين
وسبعين ومئة. فكانت ولايته عليها سنة وخمسة أشهر ونصفاً.

(*) الخطط ١، ٣٠٨، والنجوم ٢: ٦٦، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

(١) وكذا في خ، ن. وفي حاشية بخط غير الناقل: «هو موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبدالله ابن
عباس الهاشمي، كنا نسبه القضاة في خطه».

(٢) ن: فقدم موسى إلى مصر في أحد الربيعين من سنة إحدى وسبعين ومئة.

(٣) قال ر: يظهر أنه سقط بعد هذه لفظة نحو «الجنده» أو غيرها. وليس ذلك بضروري، فحتى أن يكون المراد
أن موسى سخط سيرة أخيه، أو أن إسماعيل سخط تولى الشرطة.

فلما أراد الرب ينتقم منهم لم يصبر عليهم بعد
ما افسدوا واستباحوا من النساء وافسدوا من العذارى
كثير، فجاء قوم يعرفون مخاض البحر النيل
فعرفوا الخراسانيين بها ودلوهم عليها وعدو بهم إلى
بر الغرب، وجعلو عسكرهم أربعة أجزاء أجزاء
مع رجل يسمى صالحا يحفظ مصر وجزءا مع
رجل اسمه أبو الحكم وكان كبيرا عند الملك،
و[جزءا] في أسفل شطونف(*) ونواحيها يمنع من
يعدوه، وجزءا مع أبي عون نازلا على مخاضه قد

(*) شطونف: كانت عند رأس الدلتا
في ذلك الوقت. وقد ذكرها =

٥٥. مسلمة بن يحيى البجلي(*)

ثم وليها مسلمة بن يحيى البجلي، أخو جبريل بن يحيى، من قبل هارون الرشيد، على
صلاتها^(١). دخلها في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين ومئة. في عشرة آلاف من الجند. فجعل
على شرطه ابنه عبدالرحمن بن مسلمة بن يحيى ثم صرف مسلمة عنها في شعبان سنة ثلاث
وسبعين ومئة^(٢)، وليها أحد عشر شهرا.

٥٦. محمد بن زهير الأزدي(**)

ثم وليها محمد بن زهير الأزدي، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها، خمس خلون
من شعبان سنة ثلاث وسبعين ومئة. فجعل على شرطه جنك^(٣) ابن العلاء، ثم عزله فولى
عمار بن مسلم بن عبدالله الطائي أياما^(٤)، ثم عزله وولى حبيب بن أبان بن الوليد
البجلي. وثار الجند الذين^(٥) يقال لهم «القديديّة»^(٦). بصاحب الخراج عمر بن غيلان^(٧).

(*) الخطط ١: ٣٠٨، والنجوم ٢: ٧١، وحسن المحاضر ٢: ١٠.

(١) ن (٧١: ٢): وخراجها. (٢) لكثرة الفتن في عهده (ن).

(**) ترجمته في الخطط ١: ٣٠٨، والنجوم ٢: ٧٤، وحسن المحاضر ٢: ١٠.

(٣) كذا في ر عن أمراء مصر لو مستقلدت. وفي ص: خنك. وفي ن: حنك.

(٤) لم يذكره النجوم. (٥) ر: الذي.

(٦) الذي في التاج: القديديون: تباع العساكر من الصنائع كالخداد والبيطار وأمثالهم.

(٧) كذا في ر، خ، ن، ق. وفي ص: عمرو بن غيلان.

نشفت، ثم أن مروان انفذ حوثره ورجاله [اربعة
مايه فقط] مقابلهم ليلا [ثلاثا] يعدو. فأما مراكب
مروان فأخذوها الخراسانيون اللابسون التياب
السود الذين هدمو بيعه بدير الشهيد.

ونحن مع هذا كله فى سجن الجيزه فى
الاعتقال والضيق مع من هو معنا. ولم يدع أحدا
الخوف أن يسأل عنا ليلا يعاقبونا، لكن إذا أراد
انسان أن يجرى إلينا ليأخذ بركة الابا يدفع للموكل

=أملينو فى جغرافيته فقال: إن
اسمها القبطى Schentnoufi
وأنها وردت أيضاً فى كتب القبط
باسم Schentouf، ووردت فى
كتاب المسالك والممالك لابن
خردادبه، وفى كتاب المسالك
لابن حوقل ذكرها على رأس
الطريق البسرى الموصل من
شطونف إلى رشيد، ووردت فى
نزهة المشتاق شطونف وفى نسخ
أخرى شنطوف، وقال: إن مدينة
شطونف واقعة على رأس الخليج
(أى فرع النيل) الذى ينزل إلى

فى أعطيائهم، فصلبوه ودخنوا عليه حتى دفع إليهم أعطيائهم. ولم يدافع عنه محمد بن
زهير، فصرف عنها فى سلخ ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومئة؛ وليها خمسة أشهر^(١).

٥٧. داود بن يزيد المهلبى(*)

ثم وليها داود بن يزيد المهلبى، فقدمها هو وإبراهيم بن صالح بن على جميعاً، ولى داود
صلاتها، من قبل الرشيد، وبعث إبراهيم بن صالح فى إخراج القديديّة عن مصر، دخلاها
لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة أربع وسبعين ومئة. فجعل على شرطه عمار بن مسلم
الطائى. وأخرج إبراهيم القديديّة^(٢) من القسطنطينية إلى المغرب والمشرق. وجعل منهم عالماً فى
البحر إلى الشام^(٣). فظفرت بهم الروم فأسرّتهم.

وفى ولاية داود بن يزيد توفى عبدالله بن لهيعة يوم الأحد خمس خلون من جمادى الآخرة،
فصلّى عليه داود. وتوفى بكر بن مضر يوم عرفة. فصلّى عليه داود أيضاً.

فوليها داود إلى أن صرف عنها لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين ومئة، فكانت
ولايته عليها سنة ونصف شهر.

(١) ن: تنقص أياماً.

(*) الخطط ١: ٣٠٨، والنجوم ٢: ٧٥، وحسن الخاضرة ٢: ١٠.

(٢) غ: العديدة. (٣) ن: المغرب.

دمياط، ثم قال: وعندها ينقسم النيل إلى قسمين ينزلان إلى أسفل ويتصلان بالبحر (المتوسط)، ومن هذا يتبين: أن شطونف كانت على رأس الدلتا في ذلك الوقت. وقال ياقوت في معجم البلدان: هي بلد بمصر على بعد فرسخين من القاهرة، وعندها يفترق النيل إلى فرقتين، ثم قال: هو اسم مركب. وكان رأس الدلتا ينتهى عندها حتى منتصف القرن ١٦م حيث كان النيل يتفرع عندها إلى فرعين

بنا برطيلا [ارشوه] كبيرا فيضيقون علينا أكثر كما فعلو باغناطيوس القديس الشهيد لما سلموه إلى عشره من الأسد. كذلك كانوا إذا فعلوا أخونا معهم خيرا قد عذبونا أكثر. ثم أقمنا معه عشرة أيام وعشرة ليال هكذا، فلما نظر الشماس [يسطس] القارى الذى من بليس ما نحن فيه من الضيق اسرع ومضى إلى دير أبى مقار القديس بوادى هبيب وجميع الابرار الرهبان القديسين وانتصبو للصوم والصلاه فى البيعه ليلا ونهارا

٥٨. موسى بن عيسى العباسي (*)

الثانية

ثم وليها موسى بن عيسى الثانية، على صلاتها وخراجها. من قبل الرشيد، دخلها يوم الاثنين لسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومئة. فجعل على شرطه عبدالرحمن بن موسى بن علي بن رباح.

وأمر موسى بالزيادة فى المسجد الجامع، زاد فيه الرحبة التى تقابل الصيافة اليوم، وهو نصف الرحبة المنسوبة إلى أبى أيوب، وذلك فى شعبان سنة خمس وسبعين ومئة.

وتوفى الليث بن سعد يوم الجمعة للنصف من شعبان سنة خمس وسبعين، وصلى عليه موسى بن عيسى (١).

فوليكها موسى إلى أن صرف عنها الليلتين بقيتا من صفر سنة ست وسبعين ومئة، وليها سنة واحدة (٢).

(*) الخطط ١ : ٣٠٨، والنجوم ٢ : ٧٨، وحسن المحاضرة ٢ : ١٠.

(١) فى حاشية. « وفاة الليث بن سعد: وذكر ابن يونس فى تاريخه بسنده إلى يحيى بن بكير قال: سمعت الليث بن سعد يقول: ولدت فى شعبان سنة أربع وتسعين. قال: ومولده بقرقشدة ».

(٢) ن (٢ : ٨٠) : إلا أياماً قليلة. وسبب عزله أنه هم بالخروج على الرشيد.

صارخين للسيد المسيح أن ينظر إلينا ويكشف ضررنا وما الناس فيه من السبى والقتل والنهب وضجيج الصغار والكبار. فسمعهم الله الكريم وأثار عليهم الخراسانيين فعدا أبو عون وجيشه الى بر الغرب فلما نظره حوثره وجيشه اصحاب مروان انهزموا فتبعوهم وقاتلوهم ولم يزالو يقتلون منهم الى أن وصلو وادي هبيب بصلوات القديسين، وعدا عسكر الخراسانيين في اليوم الذي اجتمعو فيه الرهبان الى البيعة، كان يوم سبت آخر يوم من

شرقى الى دمياط وغربى الى رشيد، وبعد ذلك اتصلت جزيرة بأرض شطنوف فأصبح رأس الدلتا عند القناطر الخيرية، وفي سنة ١٩١٠ اتصلت جزيرة الشعير الواقعة في وسط النيل من جهتها البحرية بأراضى دروه فأصبح رأس الدلتا واقعاً جنوبى القناطر الخيرية وعلى بعد كيلو مترين منها.

٥٩. إبراهيم بن صالح العباسي^(١)

الثانية

ثم وليها إبراهيم بن صالح الثانية، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها، فكتب إلى عسامة بن عمرو فاستخلفه. وقدم نصر بن كلثوم خليفة على الخراج مستهل ربيع الأول سنة ست. وتوفي عسامة بن عمرو لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين ومئة. ثم قدم روح بن روح بن زنباع^(٢) خليفة لإبراهيم على الصلاة والخراج الخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين ومئة. فجعل على شرطه خالد بن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة.

(١) ذكر أبو المظفر بن قز أو غلى في مرآة الزمان أن الرشيد ولى على مصر عمر بن مهران، بعد عزل موسى بن عيسى. وقال ابن الأثير في الكامل (٦: ٨٥): «عزل الرشيد موسى بن عيسى عن مصر، ورد أمرها إلى جعفر بن يحيى بن خالد، فاستعمل عليها جعفر عمر بن مهران». وحاول ابن تغرى بردى التوفيق بين من أهمل عمر بن مهران ومن ذكره، فقال: «لعل الرشيد لم يرسل عمر هذا إلا لنكاية موسى كما تقول الأخبار»، ثم أقر الرشيد إبراهيم بعد خروج المذكور من بغداد، فكانت ولاية عمر على مصر شبه الاستخلاف من إبراهيم بن صالح، ولهذا أبطأ إبراهيم بن صالح عن الحضور إلى الديار المصرية، بعد ولايته مصر عن موسى المذكور، أو كانت ولاية عمران بن مهران على خراج مصر وإبراهيم على الصلاة. وهذا أرجح من الأول. ويتضح من بعض أوراق البردى التي عثر عليها في مصر أن عمر بن مهران تولى مصر فعلاً. انظر النجوم ٢: ٧٨ - ٨١. وترجمة إبراهيم في الخطط ١: ٣٠٨، والنجوم ٢: ٨٣، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(٢) وكذا في خ: أيضاً. وفي ن: روح بن زنباع... [و] أبوه حفيد روح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان.

أيب وقتلو خلقا كثيرا من عسكر مروان ولم يبق
معه من ثمانيه آلاف خرج بها من مصر سوى أربع
مايه رجل فقط.

فلما علم مروان أن عسكرهم قد انقسم على
أربعة أجزا انهزم قبل تعديتهم بيومين وحمل نساها
وأمواله وهرب في خفيه، وقتل من أصحاب يزيد
ثلثمايه، لأنه انهزم من شطنوف اوهربا يريد
جبل وسيم فقتلوه رجاله وقتلو فرسه الذي كان

ثم قدم إبراهيم للنصف من جمادى الأولى،^(١) وتوفي إبراهيم بن صالح بها، وهو
واليها، يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان سنة ست وسبعين ومئة؛ كان مقامه بها شهرين
وثمانية عشر يوما. فكان قبره أول قبر يئض في مقبرة مصر. وقام بالأمر بعده ابنه^(٢) صالح بن
إبراهيم، مع صاحب شرطه خالد بن يزيد.

٦٠. عبدالله بن المسيب بن زهير الضبي(*)

ثم وليها عبدالله بن المسيب بن زهير الضبي، من قبل الرشيد، على صلاتها، لإحدى عشرة
ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ست وسبعين ومئة. فجعل على شرطه الأمكيس^(٣). ثم
صرف عنها في رجب سنة سبع وسبعين ومئة^(٤).

٦١. إسحاق بن سليمان(*)

ثم وليها إسحاق بن سليمان، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها، مستهل رجب سنة

(١) زيادة عن نص، وهي في ن بالمعنى.

(٢) كذا في نص، وفي ر: وقام بالأمر بعد أبيه صالح بن إبراهيم.

(*) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ٨٥، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

(٣) كذا في ر. وفي ن: أبا المكيس.

(٤) ن: فكانت ولايته على إمرة مصر نحو عشرة أشهر.

(*) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ٨٧، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

تحتة، ومضوا إلى أوليك [العباسيين] وحالفوهم.
وكان ولدا مروان في الجيزة لما هرب أبوهما ولم
يعلما أى وجه توجه إليه لأنه كان أنفد الصغير
بحرى جزيرة النزهات [الروضة] وكان كثير الشر
مثل أبيه. وأما الكبير عبد الله فإن ابهاتنا كانوا
يدعون له أن لا يقع فى تجربته ولا بلا [ء] لأجل ما
فعله معهم، وهكذا كان. وأما الصغير فكان عمره
خمس عشرة سنة فانهزم إلى النزهات ومعه أربع

سبع وسبعين ومئة. فجعل على شرطه مسلم بن بكار بن مسلم العُقيلي، واستخلف معاوية بن
صرد البكائي. فكشف إسحاق أمر الخراج، وزاد على المزارعين زيادة أجحفت^(١) بهم. فخرج
عليه^(٢) أهل الحوف وعسكروا. فبعث الجيوش فحاربهم. فقتل كرمين بن يحيى، وكان من
كبار أصحابه، فى جمع منهم. وكتب إسحاق إلى هارون الرشيد يخبره بذلك. فعقد هارون
لهرثمة بن أعين فى جيش عظيم، وبعث به إلى مصر، فنزل الحوف. فلقى أهله بالطاعة،
وأذعنوا بأداء الخراج. فقبل هرثمة منهم، واستخرج خراجه كله.

فلولها إلى أن صرف عنها فى رجب سنة ثمان وسبعين ومئة^(٣).

٦٢. هرثمة بن أعين (*)

ثم وليها هرثمة بن أعين، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها، لليلتين خلتا^(٤) من
شعبان سنة ثمان وسبعين. فجعل على شرطه ابنه حاتم بن هرثمة. ثم سار هرثمة إلى إفريقية،

(١) كذا فى ر. وفى ر. أجحفت. ويريد أنه كشف أمر خراجها، فلم يرض بما كان يأخذه قبله الأمراء،
فزاده (ن).

(٢) كذا فى ر. وفى ص: عليهم. تحريف.

(٣) ن: فكانت ولايته على مصر سنة واحدة وأياما.

(*) الخطط ١: ٣٠٩، والنجوم ٢: ٨٨، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(٤) كذا فى ر. وفى ر: ليومين خلتا.

ماية فارس (ولم يطلق الابهات) فوجد زيتا يسمى
 زيت الكلاب في خوابي رخام فاقلبه على البحر
 وأطلق النار على النزهات، ولحق مروان أباه وأطلق
 كل من في الحبوس التي كانت هناك، ولم يطلقونا
 بل اراد أن يحرقنا بالنار فدخل في وسط مراكب
 الاسطول ليحرقها وإذا بصوت يصرخ بقوة: هو ذا
 اعداك قد جاءءاو. فهرب سرعه هو ومن معه،
 والذين بقوا في النزهات من أهلها أطفوا النار
 واطلقونا عند غروب الشمس من الاعتقال والحديد

هو ومنصور بن زياد، لاثني عشرة خلت من شوال سنة ثمان وسبعين ومئة. أقام شهرين^(١)
 ونصفاً.

٦٣. عبد الملك بن صالح بن علي العباسي(*)

ثم وليها عبد الملك بن صالح، من قبل الرشيد، على الصلاة والخراج. ولم يدخلها،
 واستخلف عليها عبدالله بن المسيب الضبي. فجعل على شرطه عمار بن مسلم. فوليها إلى
 سلخ سنة ثمان وسبعين ومئة.

٦٤. عبيد الله بن المهدي العباسي(**)

ثم وليها عبيد الله بن المهدي، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها، يوم الاثنين لاثني
 عشرة ليلة خلت من المحرم سنة تسع وسبعين ومئة. فاستخلف عبدالله ابن المسيب^(٢) عليها.

(١) كذا في خـ، ن، ر. وفي ص: شهراً. وكذا في ث. ويفهم من النجوم أن الرشيد ولي هرثمة على مصر
 قبل بعثه إلى مصر، لما بلغه ما وقع لإسحاق بن سليمان العباسي مع أهل مصر.

(*) الخطط ١: ٣٠٩، والنجوم ٢: ٩٠، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(**) الخطط ١: ٣٠٩، والنجوم ٢: ٩٣، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(٢) زيادة في ر عن خـ.

فى أرجلنا. وا لله يشهد أن قوما من المسلمين كانوا
ركاب خيلهم نزلو من عليها وفكو الحديد عنا
واخذو ثياب النساء لبسوها واخفوا فى الخازن
والخادع من خوف ذلك الصوت المهول الذى
سمعوه، وأخذونا نحن مضو بنا إلى [كنيسة] مارى
بطرس فى الجيزة وكان يمشى معنا قوم مومنون
وكانت ليلة الأحد الأول من مسرى.

ولم يكن فى بحر الجيزة ما [ء] بالجمله لأنه

ثم قدم عبيدالله^(١) يوم الاربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول^(٢) سنة تسع
وسبعين ومئة. فجعل على شرطه معاوية بن صرد البكاني^(٣). فوليها إلى أن صُرف عنها فى
شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومئة. وليها سبعة أشهر^(٤)، وخرج منها ثانى شوال.

٦٥. موسى بن عيسى(*)

الثالثة

ثم وليها موسى بن عيسى الثالثة، من قبل الرشيد، على صلاتها. وقدم يحيى بن موسى بن
عيسى خليفة لأبيه عليها، لثلاث خلون من شهر رمضان. ثم قدمها موسى بن عيسى فى آخر
ذى القعدة. فوليها إلى أن صُرف عنها فى جمادى الآخرة سنة ثمانين ومئة^(٥).

(١) كذا فى ر. وفى ص: عبدالله. خطأ.

(٢) ن: ثم قدمها عبيدالله المذكور بعده فى يوم الثلاثاء لأربع خلون من شعبان.. قاله صاحب البغية، وقال
غيره. قدمها عبيدالله فى يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة خلت من المحرم. ويدور أن المؤرخين خلطوا بين
تواريخ تعيينه وقدمه.

(٣) ن: وجعل على شرطه معاوية بن صرد ثم عمار بن مسلم.

(٤) خ، ن: تسعة أشهر إلا أياماً. والاختلاف آت من احتساب بعض المؤرخين مدة ولايته على مصر دون أن
يقدم، وبعضهم المدة منذ قدومه فقط.

(*) الخطط ١: ٣٠٩، والنجوم ٢: ٩٨، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(٥) ن: فكانت ولاية موسى على مصر فى هذه المرة الثالثة نحواً من عشرة أشهر.

نشف بأمر الله ولم يزد الماء ولم يتحرك بالجمله
إلى يوم عدونا فيه بارجلنا، فلما علموا الخراسانيون
أن أولايك أنهزموا ركبوا خيلهم وتبعوا مروان وكل من
لقوا بغير اللباس الأسود قتلوه. وفي تلك الليلة جا
الى القبلة [الوجه القبلى] أول الجيش الذين عدوا
مع ابي عون من شطونوف وسيوفهم مجردة فى
أيديهم وهم مدرعين بالحديد كلهم يقاتلون مروان
ليأخذوه فلم ننم نحن ولا غفونا فى تلك الليلة.
فأقاموا ثلاثة أيام وثلاثة ليال يتواصلون حتى أول

٦٦. عبيد الله بن المهدي (*)

الثانية

ثم وليها عبيد الله بن المهدي الثانية. من قبل الرشيد، على صلاتها. فقدم داود بن حياش (١)
خليفة عليها لسبع خلون من جمادى الآخرة. وقدمها عبيد الله يوم الثلاثاء لأربع خلون من
شعبان سنة ثمانين ومئة. فجعل على شرطه معاوية ابن صرد، ثم عزله فولى عمار بن مسلم.
فولّيتها إلى أن صُرف عنها لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومئة (٢).

٦٧. إسماعيل بن صالح العباسي (**)

ثم وليها إسماعيل بن صالح، من قبل الرشيد. على صلاتها، يوم الخميس لسبع خلون من
شهر رمضان. فاستخلف عرف بن وهب الخزاعي (٣). ثم قدمها إسماعيل يوم الخميس خمس
بقين من شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومئة، فجعل على شرطه سليمان بن الصمة المهلبى،
ثم عزله فولى يزيد بن عبد العزيز الغساني (٤).

(*) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ١٠١، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

(١) ح : حياش. ن : حيش. وقد سمي بكل هذه الأسماء كما فى القاموس والمشتبه للذهبي.

(٢) ن : فكانت ولاية عبيد الله بن المهدي فى هذه المرة الثانية على إمرة مصر سنة واحدة وشهرين تقريباً.

(**) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ١٠٥، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

(٣) كذا فى ن أيضاً. وفى ح : عون.

(٤) ن : زيد بن عبد العزيز الغساني.

مسرى ويسیرون ونحن ننظرهم عسکرا [طابورا]
واحدًا من الجبل إلى البحر. فطلب حوثره أمانًا فلم
يقبلوه، وقالو: إذا لم تعطنا عدو الله مروان وألا
فما لك منا أمان. فمضى ليقبض [على] مروان
ومكر به وقال له: هوذا أعدانا قد قربوا منا قم نأخذ
نسائنا وأولادنا وأموالنا ونركب المراكب سرا
وتنحدر في البحر ونمضي إلى الروم فإن وقعنا في
يد هذا فهو يهلكنا. فقال له مروان: يا حوثره أنت

قال ابن عفير: ما رأيت أحداً على هذه الأعواد أخطب من إسماعيل بن صالح بن علي.
فوليها إلى أن صرف عنها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومئة^(١).

٦٨. إسماعيل بن عيسى العباسي^(٢)

ثم وليها إسماعيل بن عيسى، من قبل الرشيد، على صلاتها، قدمها يوم الجمعة لأربع
عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومئة^(٣). فجعل على شرطه المصكك بن
مسكين الجرشي، ثم عزله وولى عبدالوهاب ابن موسى بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن
بن عوف. فوليها إلى أن صرف عنها في شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ومئة^(٤).

٦٩. الليث بن الفضل^(*)

ثم وليها الليث بن الفضل، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها. قدمها خمس خلون

(١) وكذا في نسخة أيضاً. وفي ن: سنة ثلاث وثمانين ومئة. وكانت ملته على إمرة مصر ثمانية أشهر وعدة
أيام تقارب شهراً.

(٢) ذكر صاحب البغية أن الذي تولى على مصر بعد إسماعيل بن صالح هو الليث بن الفضل، وأن
إسماعيل بن عيسى تولى بعده. وأكثر المؤلفين على ترتيب الكندي. ترجمته في الخطط ١: ٣٠٩،
والنجوم ٢: ١٠٩، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(٣) ن: سنة ثلاث وثمانين ومئة.

(٤) ن: سنة ثلاث وثمانين ومئة، فكانت ولايته على مصر ثلاثة أشهر تقص أياماً.

(*) الخطط ١: ٣٠٩، والنجوم ٢: ١١٣، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

تمكر بمولاه. عند ذلك أخذ مروان سيفه وضرب
رقبة حوثره بيده فقلته.

والخراسانيون ما كان أحد يقاومهم ولا يقف
قدامهم بعد أن قتل حوثره. ثم أنهم [الخراسانيون]
نادو من كان نصرانيا يعلق مثال الصلب من
الذهب والفضة والنحاس على جبهته وعلى ثوبه
وعلى باب بيته، ومن لم يعمل ذلك فلا ذنب
علينا منه. وكانوا للخراسانيين أيضا في حلق
خيولهم صلبان ذهب وفضة. ثم لحقوا مروان وولده

من شوال سنة اثنتين وثمانين ومئة. فجعل أخاه علي بن الفضل على شرطه. واستخلف
عبد الغنى^(١) بن عدى الحجرى، من حجر حمير. ثم مات عبد الغنى، فاستخلف على الشرط
عمرو بن عبدالعزيز بن يريم^(٢) الحجرى، ثم عبد الوهاب بن موسى بن عبدالعزيز الزهرى. ثم
رد عمرو بن عبدالعزيز بن يريم.

فوليها الليث ثم خرج إلى الرشيد لسبع خلون^(٣) من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين
ومئة بالمال والهدايا، وهو على ولايته، واستخلف أخاه علي بن الفضل عليها. ثم عاد الليث
إليها في آخر سنة ثلاث وثمانين ومئة. وخرج ليث أيضا بالمال لسبع^(٤) بقين من شهر رمضان
سنة خمس وثمانين ومئة. ثم استخلف عليها هاشم^(٥) بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية
بن حديج. وقدم ليث يوم السبت لأربع عشرة خلت من المحرم سنة ست وثمانين ومئة.
وأخبرني ابن قديد قال: كان ليث بن الفضل كلما أغلق خراج سنة^(٦) وفرغ من حسابها،

(١) كذا في ر وقاء في الأصل: على، وينافيه الذى بعده.

(٢) كذا في ر وقال في الأصل قادرة ذكر: يريم، وطورا: يريم، وقد ذكر يريم في المشتبه.

(٣) خ: لسبع بقين من رمضان.

(٤) خ: تسع. وفي ن: في اليوم الحادى والعشرين من رمضان.

(٥) ن: هشام.

(٦) كذا في ر. وفي خ، ن: كلما غلق خراج سنة. بمعنى استحق.

والعسكر الذى مقدمه صالح وكانو قد طاردوه يوما كاملا، فالتقو ولم يزل القتال بينهم من الليل إلى الغداه حتى قتل خلايق كثير، وتبعوه إلى جبل «أبه» غربى كلاو بطرة(*) المدينة التى بناها الإسكندر المقدونى [وهو] الموضع الذى تنبى عليه الشيخ الحبيس القديس الذى أحرقه مروان بالنار وهو حى وقال له قبل أن يحرقه: أنه يقتل هناك. وقتل(*) معه أيضا مروان بن عبد العزيز، وهرب ولدا مروان وملكوا الخراسانيون حلوان وكلما كان

(*) انظر ص ٢٨٩ من متن ساويرس.

(*) هزيمة مروان أمام الخرسانيين وقتله هو واتباعه. انظر الهامش السفلى ص ٦٨٩.

خرج بالمال والحساب إلى أمير المؤمنين هارون. قال ابن قديد: وهو أول من استعمل إبراهيم بن تميم فى كتاب الخراج.

ثم إن أهل الحوف خرجوا على ليث بن الفضل. فكان السبب فى ذلك أن ليثاً بعث بمساح يمسحون عليهم أراضى زرعهم. فانتقصوا من القصبة^(١) أصابع. فتظلم الناس إلى الليث، فلم يسمع منهم. فعسكروا وساروا إلى الفسطاط. فخرج إليهم ليث بن الفضل فى أربعة آلاف من جند مصر؛ كان خروجه يوم الخميس ليومين بقيا من شعبان سنة ست وثمانين ومئة. واستخلف عليها عبدالرحمن بن موسى بن علقم بن رباح على الجند وعلى الخراج. فالتقى ليث مع أهل الحوف لثنى عشرة خلت من شهر رمضان سنة ست وثمانين. فانهزم الجند عن ليث، وبقي فى متين أو نحوها. فحمل عليهم بمن معه، فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة^(٢). وكان التقاؤهم فى أرض جب عميرة^(٣). وبعث ليث إلى الفسطاط ثمانين رأساً من القيسية^(٤) ورجع ليث إلى الفسطاط. ورجع أهل الحوف إلى منازلهم ومنعوا الخراج.

(١) كذا فى ر عن نح (١: ٨٠). وفى ص: القصب.

(٢) غيفة: ضيقة تقارب بليس.

(٣) جب عميرة: موضع بينه وبين الفسطاط ستة أميال.

(٤) كذا فى ر عن نح (١: ٨٠). وفى ر: العبية.

ففيها وشقو بطون النسا وأخذو كلما كان في
حلوان من أموال مصر، وقتل الفرسيون
[الخراسانيون = العباسيون] أصحاب مروان
بالسيف وأخذو كلما لهم وحملوه في مراكب
الملك وزاد النيل بعد أن كان البحر قد نشف حتى
عدو الخراسانيون إلى بر الجيزة وأهلكو مروان، ثم
رجع زاد من أول يوم من مسرى، وكان يزيد في
كل يوم نحو الذراع حتى انتهى إلى ثمانى عشره
ذراعا تلك السنة. ولأجل ذلك كانوا الناس يقولون

وخرج ليث إلى أمير المؤمنين هارون المستهلّ المحرم سنة سبع وثمانين ومئة. فسأل أمير
المؤمنين^(١) أن يبعث معه بالجيش إليها، وذكر أنه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل
الحواف إلا بجيش يبعث به معه. وكان محفوظ بن سليمان بباب الرشيد. فرفع محفوظ إلى
أمير المؤمنين يضمن له جباية خراجها عن آخره بلا سوط ولا عصا. فولاه أمير المؤمنين الخراج،
وصرف ليث بن الفضل عن صلاتها وخراجها^(٢). وبعث أحمد بن إسماعيل على صلاتها،
مع محفوظ. فكانت ولاية ليث عليها أربع سنين وسبعة أشهر.

٧٠. أحمد بن إسماعيل العباسي(*)

ثم وليها أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس، من قبل الرشيد، على
صلاتها^(٣). فدخلها يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومئة. فجعل
على شرطه معاوية بن صرد.

حدثنا أبو سلمة التجيبي، قال: أخبرني أحمد بن أحمد بن عمرو بن سرح قال: حضرت
القسامة في وال من بنى هاشم يقال له «أحمد بن إسماعيل»، في سنة سبع وثمانين أو سنة

(١) كذا في د وقال: في الأصل: فرفع محفوظ فولاه أمير المؤمنين يضمن له جناية، والمقصود ظاهر.

(٢) ن: في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومئة.

(*) الخطط ١: ٣٠٩، والنجوم ٢: ١٢٤، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(٣) خ: وخراجها. خطأ، كما يتبين من مراجعة الولاية السابقة.

أن يد الرب مع الخراسانيين. وكانوا إذا وجدوا قوما
عليهم علامة الصليب يخففون عنهم الخراج
ويرفقون بهم ويعملون معهم الخير في جميع
البلاد.

وصلبو مروان(*) منكسا بعد أن قتلوه لأنهم
أخذوه في موضع يسمى «دواتون» ونحن نشاهده،
وقطعوا رأس وزيره.

ولما ساءلوا عنا الملوك ومقدمو الخراسانيين

ثمان وثمانين. وقال: أحضر أولياء المقتول المسجد الجامع. فحلفوا بعد العصر عند القبلة قياماً.
ورأيت مع رسول السلطان خطاً عبدالله بن وهب في كتاب قد كتبه لهم كيف يحلفون.
فوليها أحمد بن إسماعيل إلى أن صُرف عنها يوم الاثنين لثمانى عشرة خلت من شعبان
سنة تسع وثمانين ومئة، وليها سنتين وشهراً ونصفاً.

٧١. عبدالله بن محمد العباسي(*)

ثم وليها عبدالله^(١) بن محمد بن إبراهيم، الذى يقال له «ابن زينب»، من قبل الرشيد،
على صلاتها. فاستخلف عليها لهيعة بن عيسى^(٢) بن لهيعة الحضرمي، إلى يوم السبت
للنصف من شوال سنة تسع وثمانين، فقدمها عبدالله بن محمد. فجعل على شرطه أحمد بن
حوى بن حوى العذري^(٣)، ثم عزله فولى محمد بن عسامة بن عمرو. فوليها عبدالله بن
محمد إلى أن صُرف عنها لإحدى عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومئة. فخرج عنها
واستخلف عليها هاشم بن عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج^(٤).

(*) الخطط ١ : ٣٠٩ ، والنجوم ٢ : ١٣١ ، وحسن المحاضرة ٢ : ١١ .

(١) كذا في ن أيضاً. وفي خـ: عيلالله.

(٢) كذا في ن أيضاً. وفي ن: موسى.

(٣) كذا في ر، وصفحته ص في المواضع المختلفة.

(٤) ن: فكانت مدة ولاية عبدالله هذا على مصر ثمانية أشهر وتسعة عشر يوماً.

(*) اطلاق سراح البطرك خايل
ومن معه.

ومضينا إليهم فيخلون(*) الأب القديس الشهيد أنبا
خايل وأكرموا كرامه عظيمه اودفعوا له امر بجميع
البيع في كل الكور وسامحوا(*) البشامره من
الخراج وكانت لحيته قد تجددت وطلعت أحسن
مما كانت عليه بقدرة السيد المسيح، ومجدنا الله
وجميع من نظر وشهد الخبر.

(*) سامحوا رفعوا عنهم الخراج.
وهذه واقعة لا تذكر في المصادر
التاريخية الاسلامية.

وقال الأب أنبا خايل: أننى رأيت شخصا وأنا
فى الاعتقال مسح يده على وجهى فطلعت لحيتى
أحسن مما كانت.

٧٢. الحسين بن جميل(*)

ثم وليها الحسين بن جميل، من قبل الرشيد، على صلاتها، قدمها يوم الخميس لعشر خلون
من شهر رمضان سنة تسعين ومئة. فجعل على شرطه كاملاً الهنائي، ثم عزله فولى معاوية بن
صرد. فأقام على صلاتها إلى يوم الجمعة^(١) لسبع خلون من رجب سنة إحدى وتسعين ومئة.
فجمعت له الصلاة والخراج جميعاً. قال سعيد بن عفير:

أَمْسَى بِمَضْرٍ مِنَ الْأَنْدَالِ فِي الْإِمْرِ
عَلَى الْخَرَاجِ سَوَادَى مِنَ الْأَكْرِ
وَالْبَاهِلَى عَلَى أَعْمَالِهِ الْآخِرِ^(٢)
فَهُمْ سَوَاسِيَّةٌ فِي اللَّؤْمِ كَالْحُمُرِ
وَالْبَاهِلِيُّونَ مَأْوَى اللَّؤْمِ مِنْ مُضَرٍ
مَعَ مَا نَرَى لَهُمْ مِنْ رِقَّةٍ الْخَطَرِ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْحِينَ يَجْمَعُ مَا
أَمَّا الْأَمِيرُ فَحَنَاجٌ وَصَاحِبُهُ
هَذَا الْهَنَائِيُّ مِنَ الْفُسْطَاطِ يَخْلُفُهُ
كُلٌّ لَصَاحِبِهِ شَكْلٌ يَلَانِمُهُ
وَمَسَا هِنَاءَةٌ إِلَّا ظَلْفٌ ذِي يَمَنِ
فَمَا يَسُورُ لَنَا عَيْشٌ فَيَنْفَعَنَا

(*) الخطط ١، ٣٠٩، والنجوم ٢: ١٣٤، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(١) ن: الاربعاء.

(٢) الإمير: جمع إمرة. وحناج: مخنث. وسوادى: من سواد العراق، وهو ريفه. والأكبر: الحفر، ويريد بها ما
يشقه الزارع فى أرضه للزراعة. وفى ص: العاملى، فى موضع: الباهلى، ومال ر إلى أنها محرفة عن
الباهلى، نظراً للبيت الخامس.

ولما التمس الأب أنبا خايل من الملك رزق
[أوقاف] البيع في جميع الكور فعل له ما طلبه
منه. وأما البشامره فإنه سامحهم بالخراج ودفع لهم
خراجا آخر.

وكان مروان قد احرق جميع الكتب وحساب
الدواوين. ولم يكونوا يعرفون مبلغ الارتفاعات
[العوايد] ولا الغيره [المقايسات] وكان بمصر في
أيامهم أمر عظيم ومضى صالح وجيشه إلى
فلسطين.

وفي ولايته امتنع أهل الخوف من أداء الخراج. وخرج أبو النداء^(١) مولى بلى في نحو من
ألف رجل، يقطع الطريق بأيلة وبدا وشغب ومدّين^(٢). ثم أغار على بعض قرى الشام. ثم
ضوى إليه^(٣). رجل من جذام، يقال له المنذر ابن عابس بن غطفان، ومعه سلام النوبى^(٤).
فبلغوا مبلغاً عظيماً من النهب والقتل. فبعث أمير المؤمنين هارون يحيى بن معاذ في أمرهم.
فسار يحيى^(٥) إلى فلسطين، فبعث قائداً من قواده في طلب أبي النداء وابن عابس. وبعث
الحسين بن جميل من مصر بعبدة العزيز بن الوزير بن ضايب^(٦) الجروى في عسكر. فالتقى
العسكران بأيلة^(٧)، فظفر بعبدة العزيز بأبي النداء^(٨) [وفر]^(٩) سلام النوبى^(١٠) ثم أدرك
فأخذ. وكان أبو النداء^(١١) يقول:

- (١) كذا في خ، ن، ط (٧١١: ٢). وفي ر: الندى. وفي ص، ث: الوليد.
(٢) أيلة: هي المعروفة اليوم باسم العقبة في شمال خليج العقبة من البحر الأحمر، على الحدود بين مصر
وشرق الأردن. وبدا: من كور مصر المجاورة لبلاد الحجاز. وشغب: منهل بين مصر والشام.
(٣) ضوى إليه: انضم إليه.
(٤) ر: النوى. ورجح النوبى.
(٥) كذا في ر. وفي ص: رجابن. تحريف.
(٦) ر: ضانى، ومال إلى: ضانى.
(٧) كذا في ر عن خ، ن. وفي ص: بايه. تحريف.
(٨) كذا في خ، ن. والعبارة محرفة في ص.
(٩) زيادة يقتضيها السياق.
(١٠) ر: النوى.
(١١) ر: أبو الندى. ص: أبو الوليد.

(*) أبو عون عبد الملك بن يزيد يتولى مصر من قبل الخرسانيين على صلاتها وخراجها. وفي وقته حدثت أوبئة شديدة وغلت الأسعار، كما ثار أبو مينا بسمند فأرسل إليه الجيوش التي قتلتها ومن معه على يد عبد الرحمن بن عقبة تولى سنة ١٣٣ هـ - ٧٥٠ م. انظر الهامش السفلي ص ٤٠٤.

ولما أطلقنا مضى كل واحد منا إلى موضعه وأبو عون تولى مصر(*)، وبعد قليل وصل رجالان من أصحاب الدواوين إلى مصر من عند الملك، وكانا مسلمين، كان اسم أحدهما عطا بن شر حبل والأخر صفى وكانا بعيدين من معرفة الله اقليلين الرحمة] فاحضر لهما أبو عون جميع حساب مصر واعادها إلى ما كانت عليه مع مروان، وبعد أن كانا قد طردا من القصر أعادهما الملك فجعلهما مكسين [أصحاب المكوس] على الوجه البحري

أَقُولُ إِذَا^(١) الرِّفَاقُ بَدَتْ لَوَجْهِي
وَأَنْ لَمْ تَشْرُكْهُمَا فَاَسْتَعْدُوا
أَقُولُ لَصُحْبَتِي: كُتُّوا عَلَيْهِمْ
أَلَا حُلُّوا رَحِمَالَكُمْ وَطَيَّرُوا
حَرْبٍ مِثْلَ جَابِيَةِ تَقُورٍ^(٢)
فَلَيْسَ يَهْـؤُرُهُمْ إِلَّا الْكُرُورُ

ثم سار يحيى بن معاذ في جيشه ذلك فنزل بلبس. فاذعن أهل الخوف بالخراج. وكان نزوله بلبس لإحدى عشرة خلت من شوال سنة إحدى وتسعين ومئة. ثم صرف الحسين بن جميل لثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الآخر^(٣) سنة اثنتين^(٤) وتسعين ومئة.

٧٣. مالك بن دلهم الكلبي(*)

ثم وليها مالك بن دلهم بن عمير^(٥) بن مالك، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها، قدمها يوم الخميس لسبع بقين من شهر ربيع الآخر^(٦) سنة اثنتين وتسعين ومئة. فجعل على

(١) كذا في ر. وفي ص: أخوا.

(٢) الجابية: الخرض العظيم. وكذا صحح العبارة. وفي ص: حاسه تعور.

(٣) كذا في خ. أيضاً. وفي ن: ربيع الأول.

(٤) زيادة ضرورية في ر عن خ، ن. وكانت ولايته على مصر سنة واحدة وسبعة أشهر وأياماً

(*) الخطط ١: ٣١٠، والنجوم ٢: ١٣٧، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(٥) كذا في خ. أيضاً. وفي ن: عيسى.

(٦) ن: ربيع الأول.

ومكسا واحدا على الوجه القبلى وذلك فى تانى
سنه [من] الأمن والصلاح فى المملكة ، وعلما
الملك وعرفاه بلايا عظيمه من أجل بغضهما لنا
نحن النصارى ومحبتهما للفضه ، فاعطيا [فأعطيا]
السلطان [السلطة] ليفعلا ما أرادا. وكان ارتفاع
[عوايد] مصر، بعد اقطاعات الأجناد، ونفقات دار
السلطان، وما يحتاج إليه لتدبير المملكة، وكل ما
يفضل بعد ذلك ويحمل إلى بيت المال مالا جملة

شرطه محمد بن يزيد^(١) بن آدم الأودى، من أهل حمص. وفرغ يحيى بن معاذ من أمر
الحواف. وقدم الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين ومئة. فنزل دار أبى
عون، ومعه أبو النداء^(٢) وابن عابس وغيرهما من أصحابهما. قال أبو عثمان السكرى أمام
يحيى ابن معاذ:

وقال أيضا:

قَدْ جَبَيْنَا قَيْسًا وَلَمْ تَكْ^(٣) تُجَبِّى
وَتَرَكْنَا لَخُمًا وَخَيْيَ جُلَامٍ
أَمَّنَ اللَّهُ بِأَلْمَبَارَكِ يَحْجَبِي
وَأَبَادَ الْخُلَاعَ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ

وَقَتَلْنَا أَبَا النَّدَا وَابْنَ عَابِسٍ
لَا يُطِيقُونَ دَفْعَ^(٤) كَفِّ تَلَامِسٍ
خَوْفَ مِصْرَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَالِسِ^(٥)
بَعْدَ مَا جَاءَ عَنْهُمْ كُلِّ فَارِسٍ

وقال أيضا:

(١) ن: محمد بن توبة.

(٢) ر: أبو الندى.

(٣) كذا فى ر. وفى ص: تكن.

(٤) يطيقون: كذا فى ر. وفى ص: يطيعون. وفى ر أيضا: رفع.

(٥) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقه.

فى كل سنة مايتى ألف دينار سوى النفقات
والكلف وما قدمنا ذكره.

ولما كان فى ثالث سنة من مملكة افراسانيين
أضعفوا [ضعفوا] الخراج وأكملوه على النصارى
ولم يوفو لهم بما وعدوهم ونسي الكاتبان
المذكوران هما واخراسانيون أن الله الذى أعطاهم
الملك، ورفضوا الصليب المقدس الذى أعطاهم
الظفر.

يا قيس عيلان إني ناصح لكم
إني أحذركم يحيى وصولته
أدوا الخراج وخافوا القتل والحرب^(١)
فما رأيت له تقياً إذا غضباً

[و]^(٢) ورد كتاب الرشيد على يحيى بن معاذ، يأمره بالخروج إليه. فكتب إلى أهل
الأحواف: أن أقدموا حتى أوصى بكم^(٣) مالك بن دلهم، وأدخل فيما بينكم وبينه فى أمر
خراجكم. فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية، وقد أعد لهم القيود. فأمر بالأبواب
فأُخذت، ثم دعا بالحديد فقيدهم. وتوجه بهم للنصف من رجب سنة اثنتين وتسعين ومئة.
فوليها مالك بن دلهم إلى يوم الأحد لأربع خلون من صفر سنة ثلاث وتسعين ومئة^(٤).

٧٤. الحسن بن التختاخ^(٥)

ثم وليها الحسن بن التختاخ، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها. واستخلف أبا رجب
العلاء بن عاصم الخولانى. ثم قدمها يوم الاثنين لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث

(١) الحرب: سلب المال.

(٢) زيادة فى ر.

(٣) كذا فى ن، وفى ر: أوصيكم.

(٤) ن: فكانت ولايته على مصر سنة واحدة وخمسة أشهر، تنقص أياماً لدخوله مصر، وتزيد أياماً لولايته
ببغداد من الرشيد.

(٥) ن: البهبحاح. وترجمته فى الخطوط ١: ٣١٠، والنجوم ٢: ١٤١، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

وكتب عبد الله الملك إلى جميع مملكته أن
كل من يصير على دينه ويصلي كصلاته يكون بغير
جزى [جزية]، فمن عظم الخراج والكلف عليهم
أنكر كثير من الأغنيا والفقرا دين المسيح وتبعوه
فمضى الأب البطرك أنبا خايل إلى أبي عون الوالى
وخاطبه بسبب البلايا التى فعلت بمصر من بعد
فعل الخير الذى أضمره ، فقال له : الملك أمر
بذلك لأن قوم سو شهدو له قايلين أن وجدو أهل
مصر راحه سنه واحده نافقو عليك وحاربوك كما

وتسعين ومئة. فجعل على شرطه محمد بن خالد، ثم عزله وولى أبا شعيب صالح بن
عبدالكريم، ثم عزله فولى سليمان بن غالب بن جبريل.

وفى ولايته قدم عليه ابن جبيل ينعى الرشيد. واستخلف محمد بن هارون. [فشار الجند
بمصر] (١) فأعطاهم ابن التختاخ العطاء كاملاً: ثلثاً عيناً، وثلثاً بزاً، وثلثاً قمحاً (٢). ووقعت
فى ذلك فتنة عظيمة حتى قتل ناس من الجند وناس من أهل مصر، فى المسجد الجامع.

وكتب الفضل بن الربيع إلى ابن التختاخ فى حمل الأموال. فلما صارت بفلسطين، وثب
أهل الرملة على المال، فقالوا: هذا عطاؤنا قد ساقه الله إلينا. فأخذوا من ذلك المال عطاءهم
كاملاً، وأدخلوا الباقي بيت المال.

فوليها ابن التختاخ إلى أن عزل عنها (٣)، فسار متوجّهاً فى طريق الحجاز لفساد طريق
الشام؛ وذلك يوم السبت لثمان بقين من ربيع الأول سنة أربع وتسعين ومئة. واستخلف عليها
عوف بن وهب (٤) على الصلاة، ومحمد بن زياد ابن طبق القيسى على الخراج (٥).

(١) زيادة محتملة عن نسخة.

(٢) كذا فى ر. وفى ص: فحاً، بدون نقط. والبز: الثياب.

(٣) كذا فى أكثر المواضع من الكتاب. وفى ر هنا: عزله عنها.

(٤) ن: وهيب.

(٥) ن: فكانت ولايته على مصر سنة واحدة وشهراً وثمانية وعشرين يوماً.

حاربو البشامره مروان فسأله أن يفعل خيرا مع بيع الاسكندريه فى خراج ما يزرع برسمها فقط فأمر أبو عون الوالى ذينك الكاتين وقال لهما: ما أرادہ البطرك أفعلاه له فلم يقبلا منه، وكانا يميلان قلبه إلى السور. فأقام الأب البطرك وأبى أنبا موسى معه وأنا الحقيير أكثر من شهر ملازمين القصر نرا[ء]ى [نفاوض] هولا الكافرين. وكان هناك شيخ عربى ينظر إلينا فى كل يوم على تلك القضية وكان خائفا من الله فحدث أبانا أنبا خايل

٧٥. حاتم بن هرثمة بن أعين(*)

ثم وليها حاتم بن هرثمة، من قبل محمد بن هارون الأمين، على الصلاة والخراج. وفرض فى ألف من الأبناء قدم بهم إليها. فسار حتى نزل بليس، فصالحه أهل الخوف على خراجهم. وثار عليه أهل ثو وثمى، وعسكروا، وعقدوا عليهم لعثمان بن مستير الجذامى. فبعث إليهم حاتم بالسرى بن الحكم، وعبد العزيز بن عبد الجبار الأزدي، وعبد العزيز بن الوزير الجروى^(١). فاقتتلوا للنصف من شهر رمضان. فانهزم ابن مستير، وقتل أخوه. ودخل حاتم القسطنطينية، ومعه مئة من وجوه اليمانية رهائن، وذلك يوم الاربعاء لأربع خلون من شوال سنة أربع وتسعين ومئة. فجعل على شرطه ابنه، ثم عزله فولى على بن المشنى، ثم عزله وولى عبيد الله الطرسوسى. وابتنى حاتم بن هرثمة القبة التى تعرف بقبة الهواء، وهو أول من ابتناها.

فوليها حاتم إلى أن صُرف عنها فى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومئة^(٢).

(*) الخطط ١ : ٣١٠، والنجوم ٢ : ١٤٤، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

(١) كذا فى ر، خ (١ : ١٧٨). وفى ص: الخروج.

(٢) ن: فكانت ولاية حاتم هذا على إمرة مصر سنة واحدة ونصف سنة تنقص أياما.

حديثاً قايلاً : مثل ما افتقدنا نحن العباد المسلمون
أنا أعلم أنكم سوف تكونون مثلنا، فقال له الأب:
صدقت وأنا أريدك أن تعلمنى معنى قولك. فقال
له الشيخ: كنت وأنا صبى قد سلمنى أبواى إلى
صديقين تاجرين إسماعيليين لامضى معهما بتجاره
إلى تونس أبيعهما، فلما سرنا إلى الخمس مدن
[بنتابولس] وكانت الجمال موقره [محملة] بتحف
مصر والمشرق نزلنا على بركة ماء [عميقه جدا
وكان فى وسط كل واحد منا كيس فيه أربع ماية

٧٦. جابر بن الأشعث الطائى (*)

ثم وليها جابر بن الأشعث الطائى. من قبل محمد الأمين، على صلاتها وخراجها؛ وليها
يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومئة^(١). واستخلف على
الشرط عبدالله بن إبراهيم الطائى، واستخلف على الصلاة أبا شريك يحيى بن يزيد بن
حماد^(٢) المرادى. ثم قدمها جابر فأقر عبدالله بن إبراهيم على الشرط، ثم عزله فولى سليمان
بن غالب بن جبريل.

وكان جابر بن الأشعث ليتاً محبباً إلى الناس من العامة والخاصة، حتى تباعد ما بين محمد
الأمين وبين أخيه المأمون، وخلع محمد أخاه من ولاية العهد، وترك الدعاء له على المنابر،
وعهد محمد إلى ابنه موسى الذى يقال له «الشديد» ودعا له. فتكلم الجند بينهم فى خلع
محمد غضباً للمأمون. فأول من تكلم فيه منهم بمصر محمد بن صعيّر والسري بن الحكم بن
يوسف. ودنا إلى أهل خراسان فى خلع محمد، والعقد للمأمون. فبايعهما على ذلك نفر يسير.
ثم تكلم بذلك من أهل مصر زُرعة بن معاوية بن قحزَم الخولاني، وابنه الحارث، وهاشم بن

(*) الخطط ١ : ٣١٠، والنجوم ٢ : ١٤٨، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

(١) جعلت ن هذا التاريخ لقدمه لا لولايته.

(٢) كذا فى ي (٤ : ٣٣٠). وفى ر: صاد، تحريف.

دينار، فمن تعب الطريق والحر تعرى أحدنا لينزل
 الماء] يستحم، فطرح هميانه [كيسه] إلى رفيقه
 ليمسكه إلى حين صعوده من الماء] فسقط
 الهميان من يده في الماء] ولم يعلم بذلك أحد.
 فتعرى الرجل الذى وقع منه ونزل فى طلبه فلم
 يجده فطلع ذلك الرجل ودفع لرفيقه هيمانه
 عوضه ولم يعلمه أنه ضاع منه. ومضينا إلى
 أفريقيه وابعنا تجارتنا واشترينا غيرها مما يصلح
 لمصر. فقال الكبير للصغير: اعطنى الأربع مايه

عبدالله بن حديج، وابنه هُبيرة. فبعث إليهم جابر بن الأشعث ينهاهم عن ذلك، ويخوفهم
 عواقب الفتن. وأقبل السرى بن الحكم يدعو الناس إلى خلع محمد.

فأخبرنى ابن قديد: أن السرى بن الحكم كان أول دخوله إلى مصر أنه كان من جند الليث
 بن الفضل، دخلها فى أيام الرشيد. قال: وكان قليل الأمر فارتفع ذكره بقيامه فى خلع محمد.
 وكتب المأمون إلى أشراف أهل مصر يدعوهم إلى القيام بدعوته. فكلهم أجابوا سرّاً. وأتى
 كتاب هرثمة بن أعين إلى عباد بن محمد بن حيان مولى كندة، وكان وكيلاً لهرثمة على
 ضياعه بمصر. فأظهر عباد كتاب هرثمة، وأحضر الجند إلى المسجد الجامع، وقرأ عليهم،
 ودعاهم إلى خلع محمد. فأجابه عظيم الناس إلى ذلك. فأعطاهم عباد رزقاً يسيراً، وبايعوا
 للمأمون. وكان خلع محمد بمصر لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومئة.
 وبويع عباد بن محمد للمأمون بيعة عامة لثمان خلون من رجب سنة ست وتسعين ومئة.
 ووثب الجند بجابر بن الأشعث فأخرجوه. فكانت ولايته عليها سنة.

٧٧. عباد بن محمد بن حيان (*)

ثم وليها عباد بن محمد، من قبل المأمون، على صلاتها وخراجها. لثمان خلون من رجب
 سنة ست وتسعين ومئة. فجعل على شرطه هُبيرة بن هاشم ابن حديج. وبلغ محمداً ما فعله

(*) الخطط ١ : ٣١٠، والنجوم ٢ : ١٥٣، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

دينار التي معك لابتاع بها تجاره. فقال له: ما ابتعناه
يكفيينا في هذه الدفعة. ولح عليه فلم يقل له
الخبر، فاشترى بالأربع مائة دينار التي كانت معه
بضاعه، فلما عدنا إلى البركه فعل ما فعل أولا
وتعري الكبير الذي كانت له الدنانير وضاعت منه
ونزل يستحم فوجد الهميان الذي كان ضاع منه.
فلما نظر إليه عرف أنه هيمانه، فقال لصديقه:
أعلمني ما جرى عليك. فعرفه ما كان من حديثه
وكيف ضاع منه، فلم يقل له الأخر أنني وجدته

المصريون من خلعه وإخراج عامله جابر بن الأشعث، فكتب محمد إلى ربيعة بن قيس بن
الزبير^(١) الجرشي، وكان رئيس قيس بالخوف، بولايته على مصر. وكتب إلى عبدالصمد بن
مسلم بن عمارة الجرشي، وإلى يزيد بن الخطاب الكلبي، وإلى عثمان بن مستنير الجذامي،
يأمرهم بمعاونة ربيعة بن قيس، وإنفاذ^(٢) أهل الخوف كلهم معه يمينها وقيسها. وأظهروا دعوة
محمد، وخلعوا المأمون، وساروا إلى الفسطاط لمحاربة أهلها. فخندق عباد على الفسطاط.
وخرج أهل الفسطاط من مسيرهم. وعقد عباد لإبراهيم بن حوى بن معاذ العذري، على
بنا^(٣). وسنهور^(٤). وسندفا^(٥). فخشي يزيد بن الخطاب على ماله هناك، فسار إلى إبراهيم بن
حوى. فالتقوا بدمرو، فقتل إبراهيم بن حوى. قال سعيد بن عفير ليزيد بن الخطاب بن طلاب
الكلبي:

(١) كذا في خـ (١: ٣٩٠)، وفي ر: البرن.

(٢) كذا في ر. وفي خـ (١: ١٧٨): وانقاد.

(٣) بنا: مدينة قديمة بينها وبين سمند ميلان.

(٤) سنهور: مكانها اليوم تل سنهور، في شمال أراضي ناحية المناجاة، التي بمركز فاقوس، من مديرية
الشرقية، وبالقرب من بحيرة المنزلة. وكلنا هي في ر. وفي ص: سور.

(٥) سندفا: كانت في القسم الجنوبي من المحلة الكبرى القديمة، وهي الآن جزء منها ولا يفصل بينهما غير
الشارع الذي حل محل الخليج.

حتى وصلوا إلى مصر وباعوا التجاره فدفع الكبير
للصغير ربع الأربع ما به دينار وأوصلها إليه وقال
له: الله أعطاك هذا المال لك والربح يجب أن
يكون لك. فلما فعل ذلك خاطبه رفيقه فيما بينهما
واشتهر الأمر إلى الحاكم وجماعة الناس تعجبوا من
ذلك، وأخذ كل واحد منهما شيئا من ماله وصدقه
على الفقرا وانفردا للعباده وتبعتهما أنا ولم يبع
واحد منا ولم نشتر. والآن ايها الرجل القديس فهو
ذا ترى كل احد كيف هو محب للظلم وقد جعلوا

عَنْ غَيْرِ نَائِرَةٍ وَلَا إِجْرَامٍ
وَبَنُو الْجَرِيشِ سَوَافِرَ الْإِظْلَامِ
بِكُتَيْبَةِ حَشْنَاءَ ذَاتِ عُرَامٍ^(١)
لِلنَّائِبَاتِ وَمَا هُمْ بِكِرَامِ

قَتَلُوا ابْنَ مَيْدِهِمْ وَفَارِسَ حَزْبِهِمْ
أَصْحَتْ قُضَاعَةٌ قَدْ عَلَتْهَا كَابَةٌ
فَلَنْ قُضَاعَةٌ لَمْ تُطَالِبْ نَارَهُ
مَا فِي قُضَاعَةٍ بَعْدَهَا مَا يَرْتَجَى

وسار ربيعة بن قيس إلى الفسطاط، فنزل على الخندق سلخ ربيع الآخر سنة سبع وتسعين
ومئة. فتناوشوا شيئا من حرب. وكانت بينهم قتلى ثم انصرفوا. وأقبل عثمان بن بلادة
القيسي^(٢). من قبل ربيعة، إلى الخندق^(٣) في جمادى الأولى سنة سبع وتسعين فتحاربوا. ثم
انهزم ابن بلادة يومئذ من عباد. اثم أقبل^(٤) عثمان بن بلادة إلى الخندق في شوال سنة سبع
وتسعين. فاقتتلوا أياما، وعلى أهل الفسطاط أبو الكرم بن حوى بن حوى^(٥)، فقتل أبو الكرم.
ثم رأى عباد أن يبعث إليهم بجيش، فيحاربهم في ديارهم. فعقد لعبد العزيز الجروى، فالتقى

(١) النائرة: الهالجة. والجريش: كذا يظنهار، وفي ص: الحرس: وعرام: حدة وشدة وكثرة. وفي ر: غرام
تحريف.

(٢) ر: العيسى.

(٣) كذا في ر. وفي ص: الجند.

(٤) زيادة في ر، لافتقار الأصل إليها.

(٥) كذا في ر، وقال: في الأصل: حوى بن حوى وليراجع ابراهيم بن حوى.

السو تاجا على روسهم وانت مشاهد هذا وتعلم انه
صحيح [فلما سمعوا الابهات هذا رجعوا تفرقنا
إلى مواضعنا فلم يصبر الله على الخراسانيين، فآثار
عليهم الحروب من كل موضع فالاول عبد
الرحمن بن حبيب اخو الأسود المذكور اولا ملك
افريقيه، وانفذ عبد الملك عساكر إلى افريقيه
ليأخذوها وذلك في السنة الرابعة من مملكته.

وفي سنة أربع مائه وسبعين للشهدا سارو من

معهم بعمریط^(١)، في ذى القعدة سنة سبع وتسعين. فانهزم الجروى ومضى في قومه من لحم
وجدام إلى فاقوس. فعذله قومه وقالوا: لم لا تدعو لنفسك؟ فما أنت بدون هؤلاء الذين غلبوا
على الأرض. فمضى فيهم^(٢) إلى بلبيس^(٣) فنزلها ثم بعث عماله يجبون الخراج من أسفل
الأرض. فبعث إليه ربيعة بن قيس بعثمان بن بلادة يمنعه من الجباية.

وسار أهل الخوف أيضا في المحرم سنة ثمان وتسعين ومئة إلى الخندق. فعقد عباد للسرى بن
الحكم على حربهم. فاقتتلوا وقتل جمع من الفريقين، وقتل فيهم محمد بن حوى^(٤).
فانكشف أهل الخوف، وبلغهم مقتل محمد الأمين وبيعة المأمون فتفرقوا.

وكان مقتل محمد في المحرم سنة ثمان وتسعين ومئة. وصرف عباد^(٥) عنها في صفر سنة
ثمان، فكانت ولايته عليها سنة وسبعة أشهر.

(١) عمریط: قرية بشرقية مصر. وكذا هي في ر، خـ (١: ١٧٨). وفي ص: عبريط.

(٢) كذا في خـ. وفي ر: منهم.

(٣) خـ (١: ١٧٨): تيس. وهو الأرجح.

(٤) لعل صوابه حوى.

(٥) ذكر صاحب النجوم خطأ أن عباداً أسر في حروبه وحمل إلى الأمين فقتله في صفر سنة ثمان وتسعين
ومئة. وذلك محال لأن الأمين كان قد قتل قبل ذلك بشهور، منذ المحرم.

مصر من اول شهر ايب. ولم يجسرو على
الوصول إلى افريقيه بل أقاموا في البريه وهلك
اكثرهم بالعطش، اهلك الله عبد الله في تلك
السنه وجلس ولده مكانه ووقع بمصر قتال عظيم
بين صالح وبين اخيه الذي جلس ملكا. ثم انفذ
صالحا إلى مصر يطلب عسكره ويستنقذه من يد
أخيه، ثم انه اعاد العسكر الذي كان سيره إلى
افريقيه ودخل إلى مصر في تاسع عشر يوم من
بابه. وسار إلى فلسطين ليقاتلوا اخا صالح، وكان

٧٨. المطلب بن عبدالله الخزاعي(*)

ثم وليها المطلب بن عبدالله الخزاعي، من قبل المأمون، على صلاتها وخراجها، دخلها من
مكة للنصف من ربيع الأول سنة ثمان وتسعين. فأقر هبيرة بن هاشم بن حديج على شرطه،
ثم عزله فولى محمد بن عسامة بن عمرو المَعافري، ثم عزله فولى عبدالعزیز بن الوزير
الجرى، ثم عزله فولى إبراهيم بن عبدالسلام بن إبراهيم بن الهيثم الخزاعي، ثم عزله فولى
هبيرة بن هاشم بن حديج.

وقد كان السرى بن الحكم تلقاه فأغراه بأهل مصر، وخبره بتسريعهم إلى أهل خراسان،
وخوفه من إبراهيم بن نافع الطائي، وكان مابعدا للسرى. فطلب المطلب إبراهيم الطائي، فلم
يظهر له، فجد في طلبه. واتهم زُرعة ابن قُحزَم، وهبيرة بن هاشم، وجنادة بن عيسى،
وجزى^(١) بن عمرو بن سهيل بن عبدالعزیز بن مروان، فسجنهم ليُظهروه عليه. ثم ظهر له أنه
عند هبيرة بن هاشم، فعرضه على السيف أو يأتيه بالطائي. فامتنع هبيرة من إظهاره. فلما
سكن المطلب^(٢) عن الطائي، أخرجه هبيرة إلى الصعيد، فأفلت. قال سعيد بن عفير:

(*) الخطط ١: ٣١٠، والنجوم ٢: ١٥٧، وحسن المحاضر ٢: ١١.

(١) كذا في المشتبه للذهبي ١٠٤، وفي ر: جرى.

(٢) قال ر: يكون الصواب: الطلب.

أبو عون هنا فقتل من عسكره خلق كثير وكانت
الحروب بينهم قائمه لم تنقطع وجازاهم الله عوض
السو الذي فعلوه بارض مصر، وافنى بعضهم
بعضاً بغير يد غريبه، ولم يزالا يقتتلا حتى مضى
صالح إلى الملك الكبير في العراق ورجع أبو عون
إلى مصر وهرب اخو صالح فلم يظهر بعد ان افنو
العساكر بينهم.

ثم تنيح انبا يوحنا بطرك انطاكيه بعد ان اقام

لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْفَى وَفَاقَ وَفَاؤُهُ
وَقَاهُ الْمَنَآيَا إِذْ أَتَاهُ بِنَفْسِهِ
فَمَا أَنْفَكَ مَحْبُوسًا وَمَطْلَبًا لَهُ
فَمَا زَادَهُ الْإِيْعَادُ إِلَّا تَوَقُّرًا
إِلَى أَنْ تَجَلَّتْ عَنْهُ أَيْضَ مَا جَدَا
هَبِيرَةٌ فِي الطَّائِي وَفَاءَ السَّمَوَالِ
وَقَدْ بَرَقَتْ فِي عَارِضٍ مُتَهَلِّلٍ^(١)
عَلَيْهِ قَصِيفٌ بِالْوَعِيدِ الْمُهَوَّلِ
وَصَبْرًا، وَلَمْ يَخْشَعْ وَلَمْ يَتَفَكَّرْ
كَرِيمَ النَّشَا فِي الْمَشْهَدِ الْمُتَدَخِّلِ

وبلغ المطلب مسير ربيعة بن قيس إلى يزيد بن خطاب، ليجتمعا على حربه بأسفل الأرض.
فعقد لعبد العزيز الجروى وبعثه إليهم. فالتقوا بشطنوف^(٢)، وكانت بينهم قتلى. وبعث المطلب
بالسرى بن الحكم، فكان مقيماً بالخوف. وتفرقت قيس وسكن أمرهم. وكان بهلول اللخمي
قد تغلب على الإسكندرية في ولاية عباد، فلما قدم المطلب ولّى على الإسكندرية حديج بن
عبدالواحد ابن محمد بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج. فخرجت بنو مدلج بالإسكندرية.
فبعث إليهم المطلب بأخيه هارون. فانهزم هارون.

(١) العارض: السحاب المعترض في الأفق. والمتهلل: المتألليء. والقصيف: الصوت الشديد. ورواية الشطر
الأول من البيت الرابع في ر: «فما زاده الابعاد إلا توقراً» تحريف. ويتفكل: لعل معناها يرتعد ويرتعش من
الافكل وهي الرعدة، ومال ر إلى أنها محرفة عن يتوكل. والثنا: الذكر.
(٢) شطنوف: بلد من كورة الغريبة، يفترق النيل عنده فرقتين، فرقة تمضى شرقياً إلى تنيس، وفرقة تمضى
غربياً إلى رشيد، على فرسخين من القاهرة.

مصالحا الأساقفة تلت سنين. ومنع الله الماء أن
يطلع [فيضان النيل] وأبو عون بمصر، وجميعا ما
وصل [الماء] إلى أربع عشره دراعا ووقف. وكان
الماء الذي يستحبه السلطان للخراج ست عشره
دراعا، وإنما منع الله الماء من أجل ذينك
الرجلين الكاتبين اللذين يشبهان الدجال في أفعاله.
وكان منع الماء بإرادة الله ليظهر عجايبه التي ظهرها
كل زمان وصحة دين النصرانية.

ثم صُرف المطلب عنها في شوال سنة ثمان وتسعين، وكانت ولايته عليها سبعة أشهر
ونصفاً.

٢٩. العباس بن موسى بن عيسى العباسي(*)

ثم وليها العباس بن موسى، من قبل المأمون، على صلاتها وخراجها، فقلصها ابنه عبدالله
بن العباس، ومعه أبو بشر الحسن^(١) بن عبيد بن لوط ابن عبيد بن عازب^(٢) الأنصاري،
قدمها ليلتين بقيتا من شوال سنة ثمان، فعزلا المطلب ومسجناه، وجعلا على الشرط محمد بن
عسامة المعافري. ثم عزلاه وجعلا مكانه عبدالعزیز بن الوزير الجروى.

وثاور الأنصاري^(٣) الجند مرة بعد مرة، ومنعهم أعطياتهم. وتهددهم. وتحامل على الرعية
وعسفاها، وتهددهم بقدوم العباس بن موسى. فأوحش الجميع ذلك من فعله.

واستصحب عبدالله بن العباس، في مسيره إلى مصر، محمد بن إدريس الشافعى الفقيه،
رحمه الله، فذلك سبب قدوم الشافعى إلى مصر.

(*) الخطط ١ : ٣١٠، والنجوم ٢ : ١٦١، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

(١) كذا في ن أيضاً. وفي ن: الحسين.

(٢) ر: عازب، خطأ.

(٣) ثاوره: وألبه. وفي ن: ثار الجند مرارا.

وكانو الأساقفة وصلو من كراسيهم إلى البطرك
ليجتمعو عند البطرك في عيد الصليب(*) كما
جرى العادة ان يجتمعو عنده ويكون لهم مجمع
دفعتين في السنة، ومضى اسقف مصر وغيره
واظهر الله ذلك لأبى الأسقف أنبا موسى وامرو
ان لا يمضى إلى المجمع باسكندرية احد كما جرت
العادة تلك السنة. فجمع الأساقفة بها عند
البطرك.

(*) عيد الصليب: تحتفل الكنيسة
المصرية بظهور الصليب احتفالين:
الأول في اليوم السابع عشر من
شهر توت سنة ٣٢٦م على يد
الملكة هيلانة والدة الامبراطور
قسطنطين (الذى اعلن المسيحية
ديانة رسمية للامبراطورية
الرومانية). وقد كشفت الملكة
عن مكان الصليب بأن احضرت
عند وصولها لأورشليم شيخاً من
اليهود وضيق عليه بالجوع
والعطش حتى اضطر إلى الإرشاد

ولما كان السابع عشر من توت يوم عيد

ونخدع عبدالعزیز الجروى عثمان بن بلادة. وشكلاً، وعابساً، وهم من وجوه قيس،
فأسرهم. فقتلهم ابن العباس يوم النحر سنة ثمان وتسعين^(١).

وعاد الأنصارى إلى التحامل على الجند والرعية. فثاروه ودعوا إلى ولاية المطلب، وهو
يومئذ في حبس ابن العباس، وذلك في المحرم سنة تسع وتسعين ومئة. فكانت مدة مقام ابن
العباس خليفة لأبيه عليها شهرين ونصفاً.

٨٠. المطلب بن عبدالله (*)

الثانية

ثم وليها المطلب بن عبدالله الثانية، بإجماع الجند عليه لأربع عشرة خلت من المحرم سنة
تسع وتسعين ومئة. فبايعوه فجعل على شرطه أحمد بن حوى ابن حوى، ثم عزله وولى هبيرة
بن هاشم بن حديج. وهرب الجروى إلى تيس. وانضم عبدالله بن العباس بن موسى إلى عباد
بن محمد، فأواه ومنع منه. وانضم الأنصارى إلى المطلب. وأقبل العباس^(٢) بن موسى بن

(١) ذهب النجوم إلى أن صاحب البغية قال: إن الجند قتلت عبدالله بن العباس في ذلك اليوم، بخلاف ما
يذكره الكندى.

(*) الخطوط ١: ٣١٠، والنجوم ٢: ١٦٢، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(٢) كذا في ر عن خ، ن. وفي ص: أبو العباس.

عن المكان الذي يوجد الصليب فيه بكيمان الجلجثة. والاحتفال الثاني في اليوم العاشر من شهر برمهايات، وكان على يد الامبراطور هرقل سنة ٦٢٧ م. وذلك أنه لما أرتد الفرس عن مصر إلى بلادهم أخذوا معهم بقايا الصليب المقدس من كنيسة الملكة هيكلانه فقام هرقل بغزو بلاد الفرس وحمل بقايا الصليب معه إلى القسطنطينية حيث حفظها بكنيستها. ولأن اليوم العاشر من برمهايات يكون في

الصليب المجيد جمع كهنة الجيزة والنزهات واكثر اهل القساط والكبير والصغير من شعبه، وحملوا الأنجيل ومباخر البخور ودخلنا إلى البيعة الكبيرة (القتاليكون) التي على اسم القديس بطرس وكان اساسها في البحر ولم تكن البيعة تسع الناس من كثرتهم حتى انهم كانوا في الغيطان والمواضع. ورفع البطريرك الصليب وكان معه انبا مينا اسقف (منف) والأنجيل المقدس معه، وخرجنا جميعنا ونحن حاملون الصليب والأنجيل المقدس ووقفنا

عيسى من مكة إلى الحرف. فنزل بلبس ودعا قيساً إلى نصرته. ثم مضى إلى الجروى بتنيس^(١) فشاوره. فأشار عليه أن ينزل دار قيس. فرجع العباس إلى بلبس يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين ومئة^(٢).

فيقال: إن المطلب دس إلى قيس فسموا العباس في طعامه، فمات بلبس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين ومئة. وعاد إبراهيم الطائي إلى المطلب في ولايته الثانية فكان معه. وظهر المطلب على كتب من العباس إلى الطائي والأنصارى. فبعث المطلب بهبيرة بن هاشم فقتل الطائي. وسلط الجند على الأنصارى فقتلوه. قال معلى الطائي يمدح المطلب:

كَفَّاهُمْ مِنَ الْعَبَّاسِ مَا لَوْ عَنَّا بِهِ لَأَحْيَا لَهُمْ مِنْ جَوْرِ فِرْعَوْنَ مَا عَدَلَ^(٣)
فَمَنْ مُبْلَغُ الْمَأْمُونِ عَنِّي نَصِيحَةً وَمَا عَالَمٌ شَيْئاً سِوَاءَ وَمَنْ جَهِلٌ
بِأَنَّ ابْنَ عَهْدِ اللَّهِ لَوْلَا مَكَانَهُ لَعَرَفْتُ^(٤) لِلْعَبَّاسِ دَاهِيَةً جَلَّتْ

(١) كذا في ر، خ. وفي ص: بلبس. خطأ.

(٢) جعل خ. ن هذا التاريخ لوفاة العباس لا لرجوعه.

(٣) عدل: عدله وكافاه. وكذا مال ر إلى إصلاح البيت، وهو محرف في الأصل.

(٤) ر: فعرفت.

على شاطئ البحر قبل طلوع الشمس. وصلى
الأب البطريك واتباءه من الإسقف ولم يزال الشعب
صارخين كيريا ليصون إلى تلت ساعات من النهار
حتى بهت جميع الجموع من اليهود والمسلمين
وغيرهم من صراخنا إلى الله سبحانه وتعالى،
فسمع جل اسمه الكريم [دعائنا] وطلع البحر
[النيل] وزاد دراعاً واحده ومجد كل أحد الله
وشكره.

ولما اتصل الخبر بابي عون. تعجب وخاف هو

الصوم فقد استقرت الكنيسة على
يوم ١٧ توت للاحتفال بظهور
الصليب. انظر السنكسار جـ ١
ص ٣٧ وجـ ٢ ص ٢٩
أما عن وفاء النيل والاحتفاء به
فكان يقام عند بلوغ ارتفاع ماء
النيل في القياس كما سبق وذكر
الستة عشر ذراعاً. وتسمى ليلة
الاحتفال بجبر [كسر] السد الذي
يقام عند المقياس بمصر عتيقة
بليلة النقطة، إذ يعتقد أن نقطة
عجيبة تسقط حينئذ في النيل
وتسبب ارتفاعه. ويعلن ارتفاع
النيل في شوارع العاصمة يومياً

وقال سعيد بن عفير في مقتل أبي بشر الأنصاري، ويدم مطلباً فيما فعل:

أَرَى كُلَّ جَارٍ قَدْ وَفَى ^(١) بِجَوَارِهِ
أَمْطَلَبٌ هَلَا مَنَعْتَ ابْنَ عَازِبٍ
فَيَأْخُذُ حَبْلًا مِنْ سِوَاكَ بَعْزَةً
كَحَبْلِ حَوَى ^(٢) أَوْ كَحَبْلِ ابْنِ قَحْزَمٍ
وقال أيضاً:

أَخْبِرْ بَنِي قَحْطَانَ فِي مِصْرَ أُنْتَى
رَأَيْتَهُمْ لَا يَحْفَظُونَ لَهُمْ إِصْرًا ^(٣)

وكانت مطلب أهل الأحواف بعد موت العباس، فانطاعوا له وبايعوه. وساروا إلى جبّة
عميرة فلقوا مطلباً. وسألوه فولّى المطلب يزيد بن خطاب الكلبي على أسفل الأرض. وبعث

(١) ر: رمى، خطأ.

(٢) ر: ابن غادر وأذيته.

(٣) التبل، الثار. وهالك: مهلك. وفي ر: من كل طبل ومالك، ولا معنى له.

(٤) ر: نوى، ولعل صوابه ما أثبتته.

(٥) الإصر: العهد.

ابتداء من السابع والعشرين من
بؤنه أو ما يقرب من ذلك.
وعندما يصل الارتفاع إلى ستة
عشر ذراعاً يعلن ذلك في كل
انحاء البلاد وذلك غالباً بين
الأول والحادى عشر من مسرى
ثم يكسر السد المقام عند
المقياس. وعن الاحتفالات التى
تقام بهذه المناسبة انظر: الجبرتي،
عجائب الآثار جـ ٥ ص ١٠٥ وما
بعدها. تحقيق وإعداد عبد العزيز
جمال الدين - مكتبة مدبولي -
القاهرة.

وجميع عسكره وطرح الله فى قلبه ان قال لجيشه
ولأهل مصر. يريد ان نعرف أى الأديان هو الدين
الصحيح. فامر ان يجتمعوا المسلمون المقيمون
بمصر ويخرجوا إلى الجبل الشرقى بمصر، فاجتمعوا
الصغار والكبار والشيوخ والشباب والعبيد
والأحرار، ولم يبق احد من اهل دينه وملتته، واقاموا
الناس مجتمعين نصف الليل إلى اربع ساعات من
النهار وصلوا وتضرعوا إلى الله ويقولون هكذا: يا
الله الواحد الذى لا نظير له يا خالق السما والأرض

إلى الجروى بعقده على تنيس، وأمره بالشخص إلى الفسطاط. فامتنع الجروى من ذلك.
فبعث المطلب بوالى على تنيس. وأخرجه الجروى منها. ثم سار الجروى فى مراكبه حتى نزل
شطنوف. فبعث إليه المطلب بالسرى بن الحكم فى جمع من الجند، يسألونه الصلح. فأجابهم
إليه. ثم اجتهد فى الغدر بهم فتيقظوا له. فمضى راجعاً إلى بنا. وأتبعوه فحاربوه. ثم عاد
فدعاهم إلى الصلح، ولا طف السرى. فخرج إليه فى زلاج، وخرج الجروى فى مثله. فالتقيا
وسط النيل مقابل سندفا، والسرى بشرقيون^(١). وقد أعد الجروى فى باطن زلاجه الحبال، وأمر
أصحابه بسندفا، إذا لاصق بزلاج السرى، أن يجرفوا الحبال إليهم. فلصق الجروى بزلاج
السرى، فربطه إلى زلاجه. وجر الحبال الرجال فأسروا السرى. ومضى به الجروى إلى تنيس
فسجنه بها، وذلك فى جمادى الأولى سنة تسع وتسعين.

ثم كرّ الجروى على يزيد بن خطاب فقاتله فهزمه. فعقد المطلب لابن عبد الغفار الجمحى،
وبعشه إلى الجروى، وأيده بالرجال. فلقىهم الجروى فهزمهم. وأسر ابن عبد الغفار ووجوه
أصحابه. وكانت وقعتهم بسفط سلبط^(٢)، أول يوم من رجب سنة تسع وتسعين ومئة.

(١) شريقيون: مدينة شمال الحلة الكبرى.

(٢) سفط سلبط: قرية بالمنوفية.

انت تعلم اننا لا نشرك بك ولا نعبد معك احدا ولا
نقول مثل النصارى ان لك ولد ولا أنك مولود بل
نوحّدك ونعبدك بالتوحيد، نريد ان ننظر عجايك
اليوم التى انت عاملها لنعلم ونتحقق انه ليس دين
مثل ديننا الذى ورثناه من آباينا، ونسالك ان تفعل
معنا اعجوبه كما فعلت بالنصارى امس الذين
هم اعدانا واعداء مذهبنا، الذين يجعلون
معك الالهة اخر مولودا منك من البدى ويسمون
المسيح المولود من مريم، يقولون انه ابنك وروح

وعقد المطلب على الإسكندرية لحمد بن هبيرة بن هاشم بن حديج^(١). فاستخلف محمد
عمر بن عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، الذى يقال له «عمر بن
ملال»^(٢). فوليها عمر بن عبد الملك ثلاثة أشهر، ثم عزله المطلب بأخيه الفضل بن عبد الله بن
مالك. وكانت بالإسكندرية مراكب الأندلسيين، قد قفلوا من غزوهم، فنزلوا الإسكندرية
ليبتاعوا ما يصلحهم؛ وكذلك كانوا على الزمان. وكانت الأمراء لا تمكنهم [من]^(٣) دخول
الإسكندرية، إنما كان الناس يخرجون إليهم فيبايعونهم. فلما عزل عمر بن ملال، كتب إليه
عبد العزيز الجروى، يأمره بالوثب على الإسكندرية والدعاء له بها، وأن^(٤) يخرج الفضل بن
عبد الله منها. فبعث عمر بن ملال إلى الأندلسيين، فدعاهم إلى القيام معه فى إخراج الفضل
عنها، فساروا معه. فأخرج الفضل منها ودعا إلى الجروى. فوثب أهل الإسكندرية على
الأندلسيين فأخرجوهم، وردوا الفضل عليهم. وقتل من الأندلسيين نفر وانهزموا إلى مراكبهم.
ثم عزل المطلب أخاه، وولى عليها إسحاق بن أبرهة بن الصباح بن الوليد بن أبى شمر^(٥) بن

(١) كذا فى ر، خـ (١ : ١٧٢). وفى ص، جديد. تحريف.

(٢) كذا فى ثلاثة مواضع من ص، خـ. وفى ر: هلال. ويؤخذ من الشعر الآتى أن ثاليه مشدد.

(٣) زيادة تقتضيها العبارة. وفى خـ (١ : ١٧٢) : لا تبيحهم دخول.

(٤) زيادة عن ر.

(٥) ر: سمر. خطأ. كما اتضح آنفاً.

القدس وانت تالتهم، وكلاما كثيرا، ونسألك أن
تصنع لنا علامه وآيه فى هذا الماء]. وفيما هم
فى ذلك وإذا رجل من قياسى الماءا يجرى
فقال لهم: الذى زاد الماءا أمس نقصه اليوم.
فلحقهم حزن عظيم ولم يعلمو ما يقول. ومضو
الناس إلى مواضعهم بكابه عظيمه. ثم أمر أن
يجرب أهل مصر فامر المنادى أن ينادى
بمخرج المسلمين إلى الجبل ليصلو وبالغداة خرج
جميعهم. واليهود والسامرية خرجو ثانى يوم فلم

أبرهه بن الصبّاح الأصبحى. فسار إليه عمر بن ملال، وذلك فى شهر رمضان سنة تسع
وتسعين ومئة. ثم عزله المطلب وولاها أبا بكر بن جنادة بن عيسى المعافى.

وأقبل عبدالله بن موسى إلى مصر، طالبا بدم أخيه العباس، فى المحرم سنة مئتين. فنزل على
عبدالعزیز بن الوزير الجروى. فسار معه فى جيوش له كثيرة العدد فى البر والبحر حتى نزل
الجيزة. فخرج إليه المطلب فى أهل مصر، فحاربوه فى صفر سنة مئتين. فرجع الجروى إلى
شرقيون^(١). ومضى عبدالله بن موسى إلى الحجاز. وظهر للمطلب أن أبا حرملة^(٢) فرجا^(٣)
الأسود الذى كاتب عبدالله بن موسى. وحرّضه على المسير، فطلبه المطلب. فهرب فرج إلى
الجروى. فهدم المطلب دوره كلها. فدفع إليه الجروى من الأموال ما أعاد بناءها.

وجده المطلب فى أمر عبدالعزیز الجروى. فبلغ الجروى ذلك، فأخرج السرى بن الحكم من
السجن. فعاهده وعاقده أنه يطلقه من سجنه، ويلقى إلى أهل مصر أن كتاباً ورد بولايته على
أن يثور بالمطلب ويخلعه. فعاهده السرى على ذلك، واتفقا جميعاً على عقد بينهما. فأطلقه

(١) شرقيون: القسم الشمالى من الخلة الكبرى.

(٢) كذا فى ر عن خـ (١: ١٧٨) ومواضع أخرى من الأصل، وهنا فى ص: أبا حرمه.

(٣) كذا فى خـ. وفى ص: فرج. وقال ر: وفى الانتصار يظهر أنه صاحب السقيفة والدار المذكورتين فى هذا
الكتاب وفى غيره، ولعله هو الذى سمى بعد فرج بن حرملة.

يزد الما ولا نقص بل ثبت على ما كان عليه، فبقى
أبو عون الوالى تحت كآبه ولم يومن وقال: حتى
انظر اخر الأمر. وبقي حائرا يقول: بصلاة النصارى
زاد الما وبصلاتنا نقص. فتقدم فى اليوم الثالث ان
لا يخرج احد بالجمله ولا يطلع أحد الى الجبل ولا
يصلى. ولم يزد الما فى الثلاثة أيام شيئا. وبعد ذلك
امر باحضار النصارى الذين بالفسطاط وقبايل لم
نذكر اسماءهم، وتقدم الى انبا مويسيس ان يصلى
هو وشعبه [وامرهم ان يصلوا، فتوجهوا الى ساحل

الجرى، وألقى ذكر ولايته إلى الجند. فاستقبله الجند من أهل خراسان وعقدوا له عليهم.
وامتنع المصريون من ولايته. فنزل داره بالخمراء^(١). فبعث إليه المطلب بالجند يحاربونه فى كل
ناحية من الفسطاط، فأجؤوه فى منزله لا يخرج منه وأحاطوا به. ثم سار إليه هبيرة بن هاشم
بن حديج، سلخ شعبان سنة متين. فتحاربوا بسوق وردان وفى أصحاب القرط. وثار غيرة لا
يرى منها أحد شيئا، وتحير بهبيرة فرسه عند حيز الإوز. فسقط فى حفرة فأنكسرت رجله.
وأدركه جمع من أصحاب السرى فقتلوه، وهم لا يعرفونه، واحتزوا رأسه. فأتوا به السرى،
فعظم عليه مقتله. وانصرفت الفئتان، وقد أظهروا الجزع والوجد بقتل هبيرة. وانكسر
المصريون لذلك، وعلاهم السرى وأهل خراسان. قال سعيد بن عفير:

بأفضل ما تلقى الختوف السوارعُ
وعرض نقي لم تشنه المطامعُ
به ضاق ذرعاً والمنايا كوارعُ
له جنة حنى اختوته المصارعُ
وفى الكف مأثور من الهند قاطعُ

لعمري لقد لاقى هبيرة حتفه
بأنف حسمى لم تخالطه ذلة
عشية يستكفيه مطلب الذى
فما أنفك يحميه ويجعل نفسه
فلاقى المنايا فوق أجرد سابح

(١) كذا فى ر عن خ، وقال: فى الأصل: داره الخمراء، وهو غلط، لأن الخمراء موضع معروف بمصر.

البحر [النيل] وصلو وطلبو من الله الرحمة
 والتحنن]، فصلو الصلاة وشكرو الله إلى سادس
 ساعه من النهار ونزلو طافو بمصر واتو إلى ساحل
 البحر وصلو بقية النهار. وفي تلك الليلة زاد البحر
 تلت ادرع حتى صار على رأس سبع عشره دراعا
 ففرحو الناس كلهم فرحا عظيما وشكرو الله
 ومجدو اسمه.

واما ابو عون فلاجل ذلك زاد في فعل الخير مع
 النصرى وكنائسهم وخفف عنهم الخراج.

فَبَيْنَا يَخُوضُ الْهَوْلَ مِنْ غَمَرَاتِهِ
 تَقَطَّرَ فِي أَهْوِيَةٍ عَنْ جِسْوَادِهِ
 فَلَمْ أَرْ مَقْتُولًا أَجَلَ مُصَابِهِ
 مِنْ ابْنِ حُدَيْجٍ يَوْمَ أَعْلَنَ نَعْيَهُ
 كَلَّا الْفَسِيلَقِينَ.....
 فَوَلُّوا قُلُوبًا قَدْ عَلَتْهُمْ كِتَابَةٌ
 وَأَعْدَاؤُهُ مِنْ حَوْلِهِ قَدْ تَجَاشَعُوا
 فَصَادَفَهُ حَيْنٌ مِنَ الْمَوْتِ وَقَعَ^(١)
 عَلَى مَنْ يُعْسَادِي وَالَّذِينَ يُجَامِعُ
 وَقَسَامَ بِهِ فِي النَّاسِ رَأَى وَسَامِعُ
 مَقَامًا عَلَى مَا كَانَ فِيهِ يَمَاصِعُ^(٢)
 وَكُلُّهُمْ بَادَى التَّلَهْفِ جَارِعُ

وطلبَ المطلب الأمان من السرى، على أن يسلم إليه الأمر ويخرج عن مصر. ففعل ذلك
 السرى، وسلم إليه المطلب. وخرج المطلب في بحر القلزم إلى مكة. قال دُعْبِل للمطلب:

فَكَيْفَ رَأَيْتَ سُيُوفَ الْجَرِيشِ
 أَحَجَّتْكَ أَسْيَافُهُمْ كَارَهَا
 وَوَقَعْتَ مَوْلَى بَنِي ضَبَّةٍ
 وَمَا لَكَ فِي الْحِجِّ مِنْ رَغْبَةٍ^(٣)

- (١) كوارع: جمع كارعة، وهي التي تصوب رأسها في الماء من الحيوانات لتشرب، يريد أن المنايا متهينة.
 والجنة: الوقاية والدرع. والأجرد: القصير الشعر من الأفراض. والسابع: الذي يسبح في جريده. ومأثور من
 الهند: سيف هندي كريم. وتجاشعوا: تزاحموا. وتقطر: سقط. وأهوية: حفرة.
 (٢) يماصع: يقاتل ويجالد. وكلنا ورد البيت في ر.
 (٣) مولى بنى ضبة هو السرى بن الحكم. انظر النجوم ٢: ١٦٥. وفي ص فوق «رغبة»: رقة، ويبدو أنها
 رواية أخرى.

ومن ذلك اليوم كان الأب البطرك والأساقفة بنو المعمودية والبيعة تحت امن وسلامه بفرح وابتهاج عظيم بارض مصر والخمس مدن وكل المواضع التى فى كرسى الأب البشير مارى مرقس الأنجيلى لما شاهدته السلطان من عجائب البيعة وقوة فعلها، وكان السلطان يقول ان النصارى قلب واحد ومتفقون. وكانت الأبا فى ذلك الجيل افعالهم مثل الملائكة الروحانيين، واحد يشفى المرضى، وآخر يظهر العجائب، وآخر يفسر الكتب ويعلم ويعظ،

فكانت ولاية المطلب هذه الثانية^(١) عليها سنة وثمانية أشهر^(٢).

٨١. السرى بن الحكم^(*)

ثم وليها السرى بن الحكم بإجماع الجند عليه، على صلاتها وخراجها، لمستهل شهر رمضان سنة متين. فجعل على شرطه محمد بن عسامة بن عمرو. ورثب عمر بن ملال على أبى بكر بن جنادة بن عيسى المعافرى، خليفة مطلب بالإسكندرية. فأخرجها منها، ودعا للجروى بها، والجروى والسرى متسالمان. وأقبل الأندلسيون إلى ابن ملان. فكان بلغه^(٣) عنهم بعض الفساد. فأمر عمر بإخراجهم من الإسكندرية والحقاقهم بمراكبهم، فاضطفئوا ذلك عليه. وظهرت بالإسكندرية طائفة يسمون الصوفية^(٤)، يأمرؤن بالمعروف - فيما زعموا - ويعارضون السلطان فى أمره. فترأس عليهم رجل منهم يقال له «أبو عبدالرحمن الصوفى». فصاروا مع الأندلسيين يداً واحدة. واعتضدوا بلخم - وكانت غم أعز من فى ناحية

(١) ر: الثالثة، خطأ.

(٢) ن: سنة واحدة وسبعة أشهر.

(*) الخطط ١: ٣١٠، والنجوم ٢: ١٦٥، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(٣) كذا فى ر. وفى ص: فكانوا فيلعه.

(٤) كذا فى ص. وفى ر عن خ: بالصوفية.

واخر يتعب جسمه بالعمل والكد. وكان جميع الشعب يتعجبون منهم ويطلبون بركتهم ، وكان الأب ابا خايل لاجل ذلك مسرورا باساقفته وجميع رعيته . وكان يطوف عليهم يتفقد جميع احوالهم باهتمام يعظهم بكلامه المحيى مثل الحوارين الابا اولاء، ومثل سكان البرارى و المغاير يتبتهم ويعلمهم مقاتله الارواح الشيطانية، ورهبان الديارات يعلمهم التواضع والمحبة تكون بينهم والشعب المومن يهديهم إلى ما يرضى الله،

الإسكندرية^(١). فخصوص^(٢) أبو عبدالرحمن الصوفى إلى عمر بن ملال فى امرأة، فقضى على أبى عبدالرحمن. فوجد فى نفسه من ذلك، وخرج إلى الأندلسيين، وألف بينهم وبين لحم. ورجا اهل لحم أن يدركوا اثارا^(٣) من عمر بن ملال. فساروا إلى عمر، وهم زهاء عشرة آلاف من لحم، ومن الأندلسيين، ومن ضوى إليهم، فحصره فى قصره. فعلم عمر أن القصر لا يمنعهم، وخاف أن يدخل عليه عنوة، فيفضح فى حرمة. فاغتسل وتحنط وتكفن، وأمر أهله أن يدكوه إليهم. فدلى فأخذته السيوف فقتل. ثم دلى إليهم أخوه محمد بن عبدالملك بن محمد بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج، فقتل. ثم دلى عليهم عبدالله البطال بن عبدالواحد ابن محمد بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج، فقتل^(٤). ثم دلى إليهم أخوه^(٥) أبو هبيرة الحارث بن عبدالواحد فقتل. ثم دلى إليهم حديج بن عبدالواحد فقتل. وانصرف القوم. قال سعيد بن عفير:

(١) كذا فى خـ (١: ١٧٣). وفى ر: وكانت لحم أحد من ناحية الإسكندرية.

(٢) كذا فى ر عن خـ. وفى ص: فحرضهم.

(٣) زيادة ضرورية عن خـ.

(٤) زيادة ضرورية عن خـ، بدليل كلمة «أخوه» الآتية.

(٥) كذا فى ص، وجعلها ر: ابن عمه، حين لم يذكر عبدالله البطال.

والقليلي الايمان يعلمهم التعاليم الأنجيليه، والذين
هم متخاصمون يصلح بينهم ويهدى شرهم
ويسكن حقدهم بتعاليمه من الكتب المقدسه.

ولو لا غرضنا الاختصار لضاقت الكتب عن
أفعال هذا الأب القديس انبا خايل.

وكانت فرقتا هارسيس اصحاب مليتس قديما
ويوليانوس، فراسلهم الأب برسل وكاتبهم فلم
يجيبوه فمضى بنفسه إليهم [فى البرارى] فلم يقدر

لا يَعدَن ابن مَلاَلٍ فَقدَ ذَهِبَ
لا يَراَمُ الضَيِّمَ من حَبِّ الحَيَاةِ ولا
ولا يَزَالُ لَهُ من مَجْدِهِ طَرفٌ
ما انفَكَ يَحْمى ذِمَارَ اسكَنْدَريَّةِ فى
حَتَّى إذا جَاءَهُ من كان يَأْمَنُهُ
خَاضَ الأَمِنَةَ وَالْهِنْدَى مُحْتَسِباً
منهُ المَنُونُ بعَلِمَ طَيِّبِ النَسَمِ
يَقْبَلُ دونَ فِعَالِ الخَيْرِ بالقَسَمِ
يَسْتَدُ ما حَارَ عَنْ آبائِهِ القَدَمِ
هَذِهِ حَمِيدٌ وَعِزٌّ غيرَ مَهْتَضَمٍ (١)
وَصَرَخَ المَوْتُ جَهْراً غيرَ مُكْتَمِ
حَتَّى تَجَرَّعَ كَأْسَ المَوْتِ من أُمِّ

وكان مقتل عمر بن ملال وأهله فى ذى القعدة سنة مئتين.

ثم فسد أمر عجم والأندلسيين عند مقتل عمر بن ملال. وقام بأمر عجم رباح (٢)، فحاربهم.
فانهزمت عجم، وظهر (٣) الأندلسيون بالإسكندرية عنوة فى ذى الحجة سنة مئتين. فولوها أبا
عبدالرحمن الصوفى. فبلغ من الفساد بالإسكندرية والقتل والنهب ما لم يسمع بمثله. فعزله
الأندلسيون عنها وولوا رجلاً منهم يعرف «بالكنانى». ثم حاربت بنو مدلج أهل الأندلس، فظفر

(١) النسم: الروح. وعلم: كذا بالكسر فى ر، ولعله يريد بها عالماً. وربما كان ضبطه بفتح العين، يريد علماً
أى سيداً، ثم خفف اللام يأسكانها. وبرام: يحب ويألف. والآباء القدم: ذور السابقة من الخير والفضل
والهدء: السيرة. وأم: قريب.

(٢) قال ر: يحتمل رباح، لأن ثانية مهمل فى الأصل.

(٣) كذا فى ر. وفى ص: أظهر، تحريف. وفى خ: ظفر.

ان يعيدهم بقلب مستقيم لانهم انكرو خلفهم،
 وكانو معتزلين فى الديارات منهم وفى البرارى (*) .
 فرفع يده إلى السما وقال: أن كان هولا الذين
 جحدو قدامك وفعلو رديه فاطهر فيهم اية قريبا
 غير بعيد لينظرهم كل احد ويمجد اسمكم . فبعد
 قليل اهلكهم الرب وافناهم كما اهلك سدوم .
 والدير الذى كان فيه تلتة الاف انسان لم يبق فيه
 سوى عشرة انفس مومنين ولم يسلكو طريقهم ،
 ونخاطبتهم انا الحقير ونظرتهم وقد سكنت الوحوش

(*) موقوف البطرك خايل من ثورة
 سكان البرارى (البشمور) .

بهم الأندلسيون، فنفوهم عن البلاد. ولم يقدر أحد من بنى مدلج (١)، يرجع إلى أرض
 الإسكندرية إلا بطلبة من السرى ابن الحكم إلى أهل الأندلس فيهم، حتى أدنوا لهم فرجعوا.
 حدثنى عبيدالله بن عمر بن السارح (٢)، قال: حدثنى عبدالرحمن بن أبى الخطاب قال:
 حدثنى أبى وهانىء بن المتوكل، ومحمد بن خلاد، عن ضمام بن اسماعيل.
 عن أبى قبيل قال: إني على الإسكندرية من (٣) أربعين مركباً مسلمين وليسوا بمسلمين،
 تأتي على (٤)، آخر الصيف، أخوف منى عليها من الروم. قال ابن أبى الخطاب: وحدثنى ابن
 حسيوة قال: لما ذكر ضمام هذه (٥)، الأربعين مركباً، وطال اعتناؤه بها وذكره إياها، قلت له: يا
 أبا إسماعيل، ما هذه الأربعون مركباً فى هذا الخلق، لو كانت نيراناً تضطرم؟ فقال: اسكت،
 ويلك! منها وتمن يكون فيها يكون خراب سكندرية وما حولها.

وبلغ الجروى ما فعله الأندلسيون وقتلهم ابن ملال. فسار إليهم فى خمسين ألفاً حتى نزل
 على حصنها، فحاصرها، ثم أجهدهم وكاد أن يفتحها. فخشى السرى بن الحكم أن يفتحها

(١) زيادة فى ر.

(٢) كذا فى ر ولعله عبيدالله بن عمرو بن السرح، المتوفى ٣٠٧ هـ.

(٣) زيادة فى ر عن خـ.

(٤) خـ، فى.

(٥) كذا فى ر. وفى ص: هذا.

مساكنهم بصلوات الالب القديس أنبا وخايل فى
أيام ولاية عبد الله.

فان قال قايل لا يعرف الخبر ماجرم هولا حتى
هلكو فاننا اقول لكم بمعونة الله، لما كان
ديونوسيوس الحكيم بطركا على اسكندريه ظهر
الكافر بوله السميساطى [الكافر الذى لا ينبغي
ذكره بخيرا] وكان بطرك انطاكيه، فاغضب الله
بافعاله النجسه، فلما سمع ديونوسيوس كتب إلى
الملوك المحبين لله المومنين يعلمهم ما انتهى إليه عن

ويملكها، فبعث عمرو بن وهب الخزاعى إلى تنيس ليخالف الجروى إلى منزله. فبلغ ذلك
الجروى، فكر راجعا إلى تنيس، وفسد ما بينه وبين السرى. وقال ابن عفير للجروى:

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ الْجُرُوى عَنى	مُغْلَغَلَةٌ يُعَسِّبُ أَوْ يَلُومُ
أَقَمْتُ تُنَازِلُ الْأَبْطَالَ حَتى	تَمَيَّزَ ذُو الْحَفِيطَةِ وَالسُّرُومُ
وَصَلَّتْ بِهِمْ فَمَا رَهَتْ قُورَاهُمْ	وَطَيَّسَ الْمَوْتَ دَائِرَةَ نَحُومُ
وَلَوْ هَجَمَتْ جَمُوعُكَ حِينَ حَلُوا	عَلَيْهِمْ، بَادَ جَمْعُهُمُ الْمُقِيمُ
وَكَيْفَ رَأَيْتَ دَائِرَةَ التَّسْوَانى	أَتَتَكَ بِصَاحِبِ نَحْسٍ لَا يُقِيمُ
أَتَاكَ وَقَدْ أَمِنْتَ وَنَمْتَ كَسَيْدُ	لِصِيلٍ لَا يَنَسَامُ وَلَا يَنِيمُ

وكان مسير عبدالعزیز الجروى إلى الإسكندرية وانصرافه عنها فى الحرم سنة إحدى ومئتين.
ودعا الأندلسيون بها للسرى بن الحكم. ثم فسد ما بين السرى وآل عبدالجبار بن عبدالرحمن
الأزدى - وكانوا وجوه أهل خراسان بمصر - فدنوا من الفساد على السرى، وبايعهم الجند
على ذلك. وأظهروا كتابا من طاهر بن الحسين، بولايته سليمان بن غالب بن جبريل عليها.
فوثبوا إلى السرى لمستهل ربيع الأول سنة إحدى ومئتين، فكانت ولايته عليها ستة أشهر.

بوله المخالف و طردوه ولم علم احد كيف كان
هروبه، وكلمن اراد ان يعرف فعله الطمث فهو
يجده في رسالة اتناسيوس الرسولى التى كتبها من
اجله فانه يفهم ذلك ويعرفه.

ولما كان فى اول قسمة ابا مويسيس كان هناك

ديارات كثير فى كرسية بوسيم (*) لهولا اصحاب
مليتس وكانو سكانا فيها فنفى جميعهم فمنهم من
لبس الأسكيم من يده وسارو متحدين بنا، وكان

(*) انتشار الباع مليتس فى ديارات
اوسيم حول الجيزة ومنف
(الفسطاط) انظر الجزء الأول
ص ٣٥٧، ٤٢٦.

٨٢. سليمان بن غالب بن جبريل (١) البجلي

ثم وليها سليمان بن غالب بن جبريل البجلي، على صلاتها وخراجها؛ بايعه الجند يوم
الثلاثاء لأربع خلون من شهر ربيع الأول سنة إحدى ومنتين. فجعل على شرطه أبا بكر (٢) بن
جفادة بن عيسى المعافري. ثم عزله وولى عباس ابن لهيعة بن عيسى الحضرمي.

وانتهب الجند منزل السرى. فهرب منهم فلجز إلى دار عسامة بن عمرو. ثم سيره سليمان
بن غالب بن جبريل إلى إخميم من صعيد مصر. فكتب السرى إلى بنى مدليج، فلحقوا به هم
وكثير من الناس. وأقبل السرى سائرا فيهم إلى الفسطاط. فبلغ ذلك سليمان بن غالب، فبعث
إليه بجيش. فالتقوا بقمين (٣) فحاربوه. فانهزم السرى، وأسر هو وابنه ميمون. فأمر سليمان
بردّهما إلى إخميم وقيدّهما وسجنهما. وكانت هذه الواقعة فى جمادى الأولى سنة إحدى
ومنتين. قال معلقى الطائى:

أثَارَ بِهَا نَقْعًا كَثِيرَ الْمَصَائِبِ
عَلَى حِينٍ دَانَتْ لِلْعَدُوِّ الْمُنَاصِبِ

إِذَا شَنَّ فِي أَرْضِ سُلَيْمَانَ غَارَةً
أَلَمْ تَرِ مِصْرًا: كَيْفَ دَاوَى سَقِيمَهَا

(١) ن: جميل. وترجمته فى المخطوط ٣١٠: ١، والنجوم ١٦٨: ٢، وحسن المحاضرة ١١: ٢.

(٢) ن: أبا بكر.

(٣) قمن: قرية من أعمال البهنسا.

من اجل ذلك بينى وبينهم مصادقه زمانا كنت فيه علمانيا، فلما نزعو عنهم ذلك الأسكيم الروحاني الذي من يد أبى لم ترجع تكون بينى وبين أحد منهم موده فسأله عن فعلهم اولا وكان يسميهم السحرة بنى الشيطان فقال لى : اريد ان أقول لك شيا آخر يفعلونه الغير متاهلون للدخول فى شعب الله ولا ملكوته ، وهو انهم يسحرون اولاد الناس ويخرجونهم إلى البريه يربطونهم بحيث لا يراهم احد ويجلسون قريبا منهم يحرسونهم، فإذا شكرو

حَمَاهَا وَلَوْلَا مَا تَقَلَّدَ أَصْبَحَتْ حَبِيسًا عَلَى حُكْمِ الْقَنَّا وَالْمَقَابِ (١)

قال : واستفسد سليمان بن غالب أهل خراسان، وقدم عليهم أتباعه وبطانته. ففسدوا عليه وتكبروا له. وهم سليمان بالفتك فيهم (٢)، ليقوى أمره. فأكب عباد بن محمد عليه فخلعه (٣)، وقام بالأمر على بن حمزة بن جعفر بن سليمان بن على بن عبدالله بن عباس، وذلك لمسهل شعبان سنة إحدى ومئتين. وسأل الجند عباداً أن يبايع، فامتنع ولحق بالجرى. وقال لهم عباد: هذا الرسول قادم عليكم بولاية السرى. فانطاعوا إلى ذلك. ولحق سليمان بن غالب بالجرى فكان معه. فكانت ولايته خمسة أشهر.

٨٣. السرى بن الحكم (*)

الثانية

ثم وليها السرى بن الحكم، الثانية، من قبل المأمون، على صلاتها وخراجها. قدم بولايته

(١) دالت: خضعت، وناصبه العداوة: جاهره بها. والمقائب: جمع مقنب، وهو الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء الثلاث مئة.

(٢) كذا فى ر، ولعلها: بهم.

(٣) خـ (١: ١٧٩): قام عباد بن محمد وخلعه. وفي ر: فخلعه.

(*) الخطط ١: ٣١٠، والنجوم ٢: ١٧١، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

العطش لا يسقونهم فإذا اشتد بهم العطش سكبوا
الماء] على رؤسهم وبطونهم، فإذا قارب أحد منهم
الموت وبدرت عيناه ولصق لسانه بحنكه قطعوا
رأسه بسكين قبل أن يموت، فيتكلم الشيطان في
تلك الرأس بغير كذب فيضلون الناس بأفعالهم
الشیطانية المردولة.

وكان قس قديس مشاركا مقيما في قلالية وسيم
فلما كان يوم الجمعة، من أيام الصوم وكنت معه

عمر أخو هرثمة، فبعث الجند إلى إخميم، فاستخرجوا السرى من الحبس. فدخل الفسطاط يوم
الأربعاء لفتى عشرة خلعت من شعبان سنة إحدى ومئتين. فسلم إليه جميع الجند الولاية. فجعل
على شرطه محمد بن عسامة أياما. ثم عزله وولى الحارث بن زرعة بن قحزم أياما. ثم عزله
فولى ابنه ميمون ابن السرى، ثم عزله وولى أبا بكر بن جنادة بن عيسى المعافري. ثم عزله
فولى أبا صالح حماد بن الخارق التميمي^(١). ثم عزله فولى أخاه إسماعيل ابن الحكم. ثم عزله
فولى أخاه صالح بن الحكم. ثم عزله فولى أخاه داود^(٢).

وتتبع السرى كل من كان له حاربه^(٣) أو انتهبه، فجعل يقتلهم ويصلبهم. فعز وانتظم
سلطانه وقوى أمره. ثم ورد عليه كتاب المأمون يأمره بالبيعة لولى عهده على بن موسى بن
جعفر بن على بن أبى طالب. رضوان الله عليهم، العلوى.. وسماه الرضا. ورد الكتاب بذلك
فى الحرم سنة اثنتين، فبويع له بمصر. وقام فى فساد ذلك إبراهيم بن المهدي ببغداد.

فأخبرنى أحمد بن يوسف بن إبراهيم، عن أبيه: أن إبراهيم بن المهدي قال:

- (١) ن (٢: ١٧١): أبا ذكر بن الخارق. والحق أن فيه سقطا، وصحة الكلام: أبا ذكر ابن جنادة بن عيسى
المعافري. ثم عزله فولى أبا صالح حماد بن الخارق. وفيه: أبو ذكر، فى موضع: أبو بكر.
(٢) ذكرت النجوم أن سبب كل هذا العزل تغلب أهل مصر عليه، واصغافوه إلى أقوالهم، ليستفحل أمره.
(٣) زيادة فى ر عن خ، ويحتمل أيضا: عاداه، كما فى ن.

فى القلاية وكان أبى موسى الأسقف لا يرى
احدا من الناس على شغله بالصلاة وعذاب نفسه
إلا يومى السبت والاحد، فنظر ذلك القس تينا
عظيما فى قلايته فعمل صليبا فضه وجعله فى
موضع راه فيه، فلما كان الغد وجد الثين ميتا
تحت الصليب، فهل قوه اعظم من قوه الذين
يعبدون الله بنيه خالصه صادقه وأمانه قويه.

وكان فى تلك الأيام غلا عظيم فدخل رجل

فَلا جُزيتَ بَدْو العَبَّاسِ خيرا
أَتَوْنِي مُهْطَعِينَ^(١) وَقَدْ أَتَاهُمْ
وَحُلٌّ عَصَائِبُ الْأَمْلاكِ مِنْهَا
فَضَجَّتْ أَنْ تُشَدَّ عَلَى رُؤُوسِ
عَلَى رَغْمِي وَلَا اغْتَبَطْتُ بِرَى
بَوَارِ الدَّهْرِ بِالْغَسْبِ الْجَلِيِّ
وَشَسِدَتْ فِي رُؤُوسِ بَنِي عَلِيٍّ
تُطَالِبُهُمَا بِمِيرَاثِ النَّبِيِّ^(٢)

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى وجوه الجند بمصر، يأمرهم بخلع المأمون وولى عهده،
وبالوثوب بالسرى^(٣). فقام فى ذلك الحارث بن زُرعة بن قَحَزَم^(٤) بالفسطاط. وعبد العزيز بن
الوزير الجروى بأسفل الأرض، وسلمة^(٥) بن عبد الملك الأزدي الطحاوى بالصعيد، وسليمان
بن غالب بن جبريل وهو إذ ذاك مع الجروى. وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الجبار الأزدي.
فخالفوا السرى، ودعوا لإبراهيم بن المهدي، وعقدوا على ذلك الأمر لعبد العزيز بن
عبد الرحمن الأزدي، وأجمعوا على ولايته. فحاربه السرى، فظفر السرى بعبد العزيز الأزدي،

(١) ر: منقطعين.

(٢) ر: فصحت، ولا معنى لها. والأملاك: الملوك.

(٣) خ: (١: ١٧٩): على السرى.

(٤) خ: (١: ١٧٩): محرم.

(٥) خ: (١: ١٧٩): مسلمة. ر: سلامة، وهو ابن سلامة. وانظر معجم البلدان لياقوت «طحا» وأنساب

السماعى «طحاوى».

إلى النزهات يطلب صدقه فسرق منها شيا فرآه رجل آخر كان رجلا مومنا فاراد ان يوبخه لكي يتوب من السرقة فمنعه من ذلك صلاحه وأفكاره في الخير ، ثم مضى أيضا ذلك الرجل السارق فسرق من زرع جيرانه ودفنه حتى يأخذه فيأكله ، فحضر صاحب الزرع عند ابي مويسيس ، فقرا عليه من الكتب واوصاه ان لا يجازى شرًا بشر لكن يجازى الشر بالخير، ففعل ذلك وسمع منه فوسع الله ماله حتى تعجب منه كل من يعرفه.

وبجمع من أهل بيته. فقتل بعضهم، وبعث بعضهم مع ابنه عبدالصمد فقتلهم هناك^(١). وذلك في صفر سنة اثنتين ومئتين ولحق كل من كره بيعة علي بن موسى بالجروى لمنعته^(٢) وشدة سلطانه.

ثم أقبل عبيد بن السرى إلى القسقاط، فعارضه سلمة الطحاوى بطحًا. واقتتلوا فانهزم سلمة. وأسر عبيد، فبعث به إلى القسقاط، فأطلقه السرى، فهرب سلمة إلى الجروى. وسار الجروى إلى الإسكندرية مسيره الثانى. فحصر الأندلسيين بها، ثم اصطبلحوا على فتح حصنها. فدخلها سلمة^(٣) الطحاوى، وعلي بن عبدالعزيز الجروى، ودعوا للجروى بها. ومضى سلمة^(٣) منها إلى الصعيد فى جمع كثير من الجند. فأخرج عمال السرى، ودعا إلى الجروى.

وسار الجروى فى جموعه لمحاربة السرى. واستعد كل واحد منهما لصاحبه بأعظم ما قدر عليه. فبعث السرى ابنه ميمونا على تلك الجيوش. فنزل ميمون بشطنوف، وسار معه مراكبه فى البحر، قد شحنها بالرجال والسلاح. وأتاه عبدالعزيز الجروى فى البر والبحر. فالتقوا

(١) لا يتضح من السياق إلام تشير كلمة «هناك»، ولعل فى العبارة سقطاً.

(٢) كذا فى خ (١: ١٧٩). وفى ر: منعه.

(٣) ص: مسلمة. ر: سلامة.

وذكرت لكم أيها الأخوة حال أهل فلسطين
 الملعونين لتبعدو عن معرفتهم . وأريد اذكر اعجوبه
 اخرى ظهرت من الأب ايماخس الأسقف، كان
 فى بعض الأيام يعلم شعبه فى مدينة الفرما
 ويوصيهم ان يبعدو عن المخالفين ولا يشاركون فى
 شىء، وإذا قس قد حضر عنده من الخلق دونيين
 ليجربه بمكر فقال الأسقف كلاما كثيرا ثم قاله
 له: انا اومن بامانتك واعترف . واخذ الأسقف
 ايماخس زيتا مقدسا من جسد القديس ساويرس

بشطنوف، فقتل ميمون بن السرى، وانهزم عسكره. وذلك فى جمادى الآخرة سنة ثلاث
 وميتين. قال أبو بجاد الحارثى^(١)، من بنى الحارث بن كعب:

جَمْعَ رَعَاكَ يَا سَرَى فِإِنَّهَا	حَرْبٌ تُحْسِنُ سَمِيرَهَا قَحْطَانُ
قَتَلُوا أَبَا حَسَنٍ وَجَرُّوا شُلُوهُ	كَالْكَلْبِ جَرَّ بِشْلُوهُ الصَّبِيَانُ ^(٢)
وَلَتِ تَجِيبُ وَأَسْلَمَتْهُ جِيَادُهَا	عَيْلَانُ يَوْمَ تَوَاكَلَتْ عَيْلَانُ
فَاسْتَخْرَجُوهُ مُلَبًّا فَأَتَى بِهِ	يَجْرَى وَيَهْرَجُ حَوْلَهُ السُّودَانُ ^(٣)
أَبْشُرُ فَإِنْ [طُلُوع] نَجْمِكَ بَعْدَهُ	عَرَضَ السَّمَاءِ وَنَجْمُكَ الدَّبْرَانُ ^(٤)
لَا تَبْكِ فَالْعُقْبَى لِأَخَوْتِهِ غَدًا	أَوْ بَعْدَهُ، فَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ

وقال معلى الطائى يرثى ميمونا:

(١) ر: أبو بجاد الحارثى.. وفى ص: الواحد الحارلى.

(٢) الشلو: الجسد.

(٣) ملب: أى جمعت ثيابه عند نحره فى الخصومة وجر منها. وهرج يهرج: وقع فى فتنة واختلاط وقتل.

(٤) طلوع زيادة ضرورية لإقامة الوزن والمعنى. ويسلو أنه يريد أن يقول له أبشر بأن نجمك سيطلع بعد نجم
 ابنك، ولكنه سيطلع مقترنا بالدبران، الذى هو نذير الإديار والهزيمة. والدبران: نجم بين الشريا والجوزاء،
 وهو تابع للثريا.

البطرك ودهن وجه القس الهراطقي وقال له أن
كنت تهزأ الرب يظهر فيك قوته، و للوقت بسرعته
وثب عليه روح شيطان نجس فصرعه وخنقه وعذبه
فازيد ولم يزل عليه يعذبه إلى يوم وفاته.

ثم تقدم الأسقف بان لا يكون لاحد من رعيته
اشبين غريب الا من اهلهم وابايهم، وكان هناك
قوم مخالفون لم يسمعو منه فجازاهم الله بسرعته
حتى تعجب كل احد من تعاليم الرب.

لَو رَدَّ غَرْبَ مَنِيَّةٍ بِشَجَاعَةٍ	أَحَدٌ لِدَافِعِ رُكْنِهَا مَيِّمُونَ ^(١)
لَوْ كَانَ تَجَرِيدُ السَّيُوفِ يَرُدُّهَا	لَحِمَاهُ مِنْهَا مُنْصَلٌ وَثَمِينٌ ^(٢)
مَا زِلْتُ أَطْمَعُ فِي رُجُوعِكَ سَالِمًا	وَيَرُوعُنِي شَفَقًا عَلَيْكَ ظَنُونٌ ^(٣)
فَلْيَفْجَعَنَّ غَدًا بِقَتْلِكَ طَاهِرٌ	وَلْيَفْجَعَنَّ بِقَتْلِكَ الْمَأمُونُ

وأقبل الجروى فى مراكبه بعد قتل ميمون إلى القسطنطينية ليحرقها. فخرج إليه أهل المسجد،
وسألوه الكف. فانصرف عنها. ثم ظهر للجند موت على ابن موسى العلوى، وانخدال إبراهيم
بن المهدي، فأظهروا بيعة المأمون، ودعوا إليه، وورد كتاب المأمون إلى السرى بذلك، وبغسل
المنابر التى دعى عليها لعلى بن موسى، فغسلت.

ثم إن الأندلسيين أخرجوا عامل الجروى من الإسكندرية، وهو معاوية ابن عبدالواحد بن
محمد بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج، وغلقوا الحصن دونه. وخلعوا الجروى ودعوا إلى
السرى. فسار إليهم الجروى فى شهر رمضان سنة ثلاث ومئتين. فعارضته القبط بسخا. وأمدتهم

(١) غرب المنية: حدثها.

(٢) المنصل: السيف. والثمين: الغالى الثمن والمخلى، ولعله يريد سيفاً أو رمحاً بهذه الصفة.

(٣) ر: ظنوني.

وكانت امرأه موسره اخذت رجلا كان يزنى بها
 جعلته لها اشبينا [وكان معها طفل ارادت تعمده،
 فتوجهت هي و اشبينها الى دير فى البريه فعمدوا
 الطفل ورجعوا فلما عادا إلى بلدهما وهما فى
 الطريق وصلا إلى بويه تحرك فيهما الاثم كعادتها
 فاضجعوا الصبي وعليه ثياب المعموديه، وكان فى
 الطريق فندق فدخلوا إليه وفعلا فضيحتهما فوقع
 عليهما البيت فماتا ، وشهد لنا الاسقف انه
 شاهدهما مجتمعين لما قلعت الحجاره عنهما

بنو مدلج، وهو نحو من ثمانين ألفاً^(١). فخرج إليهم الجروى فهزمهم، وهربت بنو مدلج. قال
 المعلى الطائى:

فَقُلْ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَصِيحَةٌ وَمَا حَاضِرُ شَيْئًا كَأَخَرِ غَائِبٍ
 لَقَدْ حَاطْنَا عَبْدَ الْعَزِيزِ بِسَيْفِهِ. وَلَوْلَاهُ كُنَّا بَيْنَ قَتْلِ وَنَاهِبٍ^(٢)

وبعث الجروى بجيوشه إلى الإسكندرية فحاصروها. وعقد السرى لأخيه داود فى ذى
 القعدة سنة ثلاث ومئتين على جيش إلى الصعيد، بعثه إلى سلمة ابن عبد الملك الطحاوى.
 فالتقوا، فانهزم سلمة، وأسر هو وابنه إبراهيم. فبعث بهما إلى القسطنطين، فقتلا يوم السبت
 تسع عشرة خلت من المحرم سنة أربع ومئتين. قال المعلى الطائى:

أَرَادَ الطَّحَاوِيُّ الَّتِي لَا شَوَى لَهَا فَأَوْقَدَ نَارًا، كَانَ بِالنَّارِ صَالِيًا^(٣)
 وَدَبَّ لِأَقْطَارِ الْبِيسَلَادِ بِفِئْتَنَةٍ فَجَاشَتْ بِسُقْمٍ لَا يُجِيبُ الْمُدَاوِيَا^(٤)

(١) نحو (١: ١٧٣): وهم فى نحو من مئى ألف.

(٢) القتل، بكسر القاف: العدو والمقاتل والشجاع، وبضمها: جمع قتل، وهو الكثير القتل.

(٣) الشوى: الأطراف، وما لا يقتل صاحبه إذا أصيب فيه. والى لا شوى لها: أى التى كلها مهم، يريد الإمارة.

(٤) لا يجيب المداوى: أى لا يطيعه ويشفى على يديه.

وروسهما كما كانا وجه الرجل فوق وجه المراه،
ونظروهما جماعه من الناس وخافو وشاع الخبر
عند كل احد، واشاعو الناس ذلك فثبت علمه
عند [ابھاتنا] فمنعو من ذلك اليوم ان يشابن احد
غريبا بل من اھله، ولم يبق احد ياخذ اشينا غريبا.
وأنا في صغرى رأيت جماعة زنو مع اشابینهم وأنا
في الحياه حتى انقطعت اعمارهم وخربت
مساكنهم.

وَرَأْسُهُ مَنْ كَانَ يَخْفَى بِفَاقَةٍ وَأَصْبَحَ ذَا مِيلٍ إِلَيْهِ مَمَالِيَا
جَنَّتْ مَا اسْتَحَقَّ الْقَتْلَ - يَا صَاحَ - كَفُّهُ وَكُلَّ امْرِئٍ يُجْزَى بِمَا كَانَ جَانِيَا

وأجمع السرى على الغدر بوجوه الجند الذين معه، وكان يخافهم. فجمعهم إليه، وأخبرهم
ان رسولا قد قدم من قبل طاهر بن الحسين، وأشار عليهم أن يتلقوه. فخرجوا في الليل، وخرج
معهم لى مركب غير مركبهم. وهم عباد ابن محمد، وعوف بن وهب الخزاعى. وعلى بن أبى
عون، وعلى بن إبراهيم، وأخو الرافقى. وحمل معهم أخاه إسماعيل بن الحكم. وجعل فى
باطن المركب غلاماً له، وأمره أن يخرق المركب. ففعل الغلام ذلك، ففرقوا ومعهم أخوه.
وأخرجوا أمواتاً.

ثم إن عبدالعزیز الجروى سار إلى الإسكندرية مسيره الرابع. فأغلق الأندلسيون حصنها.
فحاصروهم الجروى أشد الحصار، ونصب عليهم المنجنيقات. وأقام على ذلك سبعة أشهر،
من مستهل شعبان سنة أربع ومنتين إلى سلخ صفر سنة خمس. فأصاب الجروى فُلُقَةً من حجر
منجنيقه، فمات سلخ صفر سنة خمس ومنتين.

ومات السرى بن الحكم بالفسطاط بعده بثلاثة أشهر. يوم السبت لسلخ جمادى الأولى (١)
سنة خمس ومنتين. فكانت ولايته عليها ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً.

(١) ن: قال صاحب البغية: ربيع الأول.

وكان الأسقف انبا يوحنا اسقف سرسنا يخرج
الأرواح النجسه بما أعطى من النعمه لبتوليته
وجهاده له [لأنه] اقام راهبا واسقفا عمره جميعه
وتنيح بشيوخه حسنه ، وكذلك أبا قيصره اسقف
طانه فى وقت رهبانيته ظهر له عجب، وهو ان
انسانا هراطقيا جادله بسبب الأمانه فمسك يده
وأراد ان يدخل به إلى داخل بيت النار فمما قدر
وهرب من يده فبأخذ الأسقف ازاره وهو راهب
ورماة فى النار ولم يحترق.

٨٤. ابو النصر بن السرى (*)

ثم وليها أبو نصر بن السرى^(١)، بويج يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة سنة خمس
ومتين، وهو على الصلاة والخراج. فجعل على شرطه محمد بن قشاش^(٢)، ثم عزله وولى
أخاه عبيد الله بن السرى. فاستخلف محمد بن عتبة ابن يعقوب المعافى. فالذى كان بيد أبى
نصر من أرض مصر فسطاطها وصعيدها وغريتها. وأما أسفل الأرض كله فكان بيد على بن
عبد العزيز الجروى، مع الحوف الشرقى.

ثم سار أحدهما إلى صاحبه فى النيل. فالتقوا بشطنوف فاقتتلوا، وعلى جيش أبى نصر
أخوه أحمد بن السرى. فانهزم أحمد بن السرى، وأحسن على ابن الجروى فيه الظفر فلم
يتبعه. فقال سعيد بن عفير لعلى بن الجروى^(٣) :

الْأَمِنْ مُبْلَغٌ عَنِّي عَلِيًّا رِسَالَةٌ مِّنْ يَلُومُ عَلَى الرُّكُوكِ^(٤)
عَلَامٌ حَبَسَتْ جَمْعَكَ مَسْتَكْفًا بِشَطِّ يَنْوُفٍ^(٥) فِي ضَنْكِ ضَنْيِكَ

(*) الخطط ١ : ٣١٠ ، والنجوم ٢ : ١٧٨ ، وحسن المحاضرة ٢ : ١١ .

(١) اسمه محمد . (٢) ن (٢ : ١٧٨) : قابس .

(٣) الشعر فى معجم البلدان لياقوت «شطنوف» .

(٤) الركوك : الضعف . (٥) معجم البلدان : شط النون .

وأنا اعلم أنى قد طولت الكلام ولم أقصد
بذلك الا اعلامكم بما كان لتفهّموه. وإما القول
فى فعال انبا زخارياس اسقف اتريب فانه كان من
صغره فى البريه مواظب الصلوات ودموعه تجرى
مثل مجارى المياه، وكان البكا عنده حلو وكان
كثير الصدقه على المنقطعين، وكل احد يحبه
واولاده الروحانيون سالكون طرقه. وكذلك
الطوباني استفانوس اسقف شطب وآبايه الذين
كانو قبله على هذا الكرسي الذين كانت طرايقهم

وَقَدْ سَنَحْتَ لَكَ الْعَفَرَاتُ مَن
أَمِنُ بَقِيًّا؟ فَلَا بَقِيًّا لَمَن لَا
رَمَاكَ بِجَيْشِهِ، الْوَهْنُ الرَّكِيكَ (١)
يَرَاهَا عِنْدَ قَرْصِيَّتِهِ عَلَيْكَ

ثم بعث أبو نصر أيضاً بمراكبه، عليها أحمد بن السرى. فأثاه على بن الجروى فى مراكبه.
فالتفوا بدمهور، فيقال: إن القتلى بينهما كانوا يومئذ سبعة آلاف. وانصرف أحمد بن السرى
إلى الفسطاط. وتبعه أبو ثور اللخمى فى مراكب على بن الجروى إلى الفسطاط، وعزم على
حرق الفسطاط. فخرج إليه أهل مصر وسألوه الكف. ومضى فرج أبو حرملة إلى على بن
الجروى، فسأله الصلح، فاصطلحا على أن يكف أحدهما عن الآخرة.

ثم توفى أبو نصر ليلة الاثنين لثمان خلون من شعبان سنة ست ومئتين. وكانت ولايته عليها
أربعة عشر شهراً (٢).

٨٥. عبيدالله بن السرى (*)

ثم وليها عبيدالله بن السرى، بايعه الجند يوم الثلاثاء لتسع خلون من شعبان سنة ست

(١) العفرات: جمع عفرة، وهى بالدوس فى التراب، يريد به الإذلال. وفى ر: الغفران، تحريف.

(٢) ن (٢: ١٧٨): فكانت ولايته على مصر استقلالاً سنة واحدة وشهرين وثمانية أيام.

(*) الخطط ١: ٣١١، والنجوم ٢: ١٨١، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

الجيدة. [و] أكثر من اساقفه مصر الذين منهم
الأسقف أبا هزوكس التاومنتس العظيم المعترف
المتكلم بالالهيات، واستافانوس الذى سلك طريقه
ووهب الله له ان يشفى الاعلاء [و] يعرف ما يكون
قبل ان يكون، واظهر عجائب كثيرة. وكان فى
كرسيه قس حبلت زوجته قبل وفاته وكانت
طاهرة، وبعد موته طردوها أولادها الكبار وقالوا انها
حبلت من غيره فقال لهم الأسقف: دعوها إلى ان
تلد. فلما ولدت اخذ الطفل عمده وحمله على

ومتين، وهو على صلاتها وخراجها. فجعل على شرطه محمد بن عتبة ابن يعفر المعافى^(١).
وكف عبيد الله عن على بن الجروى. فكف على عنه حتى انسلخت سنة ست ومنتين. وعقد
المأمون خالده^(٢) بن يزيد بن مزيد الشيبانى على صلاتها. وبعثه فى جيش من ربيعة وأفناء
الناس^(٣) حتى دخل أرضها، وراسل عبيدا. فامتنع عبيد من التسليم له، واحتج عبيد ان كتاب
امير المؤمنين المأمون ورد عليه بولايته. وبعث عبيد بأخيه أحمد بن السرى يمانع خالد بن يزيد
من المسير. فالتقوا بفاقوس من خوف مصر الشرقى، فاقتتلوا ثم تحاجزوا. وانضم على بن
الجروى إلى خالد بن يزيد، وأقام له الأنزال^(٤)، ودله على الطريق. وحفر عبيد الله خندقاً
وفرض فروضاً، وخالد مجدة فى جباية ما مر عليه من القرى. ثم سار خالد حتى نزل دمنهور،
على أميال من الفسطاط. ثم سار أيضاً إلى خندق عبيد. فاقتتلوا خمس خلون من ربيع الأول
سنة سبع ومنتين، اقتتلوا ثلاثة أيام. وأسر خالد شماس بن داود بن الحكم فقتله صبراً. ثم
صباحهم عبيد الله اليوم الرابع، فكر عليهم بنفسه، فانهزموا عنه. قال معلى الطائى:

(١) ن (٢: ١٨١): محمد بن عتبة. والمعافى، كذا فى ر عن ن، وهو الصواب كما تقدم. وفى ص هنا:
المرادى.

(٢) خ (١: ١٧٩) هنا فقط: مخلد، وفى المواضع الأخرى: خالد.

(٣) أفناء الناس: الجماعات المختلطة منهم.

(٤) الأنزال: جمع نزل، وهو المنزل وما هبء للمضيف ليتنزل عليه.

كتفه وكلمن في كرسيه حاضر، وأمر الطفل ان يتكلم قدام الشعب ويقول من هو أبوه، وللوقت تكلم بلسانه كأنه شبل الأسد وقال: انا ولد فلان القس حبلت بي أمي منه قبل وفاته بتسعة ايام ولم يعلم احد بهذا إلا الله الذي خلقني وأرادو اخوتي ان يطردو امي ظلما. فصلب الأسقف على شفتيه وامره ان لا يتكلم بعدا إلى اوان الكلام فكان كذلك.

فِيَا مَنْ رَأَى جَيْشًا مَلَأَ الْأَرْضَ فَيْضُهُ
تَبَوًّا دَمْنَهُورًا قَدْ دَمَّرَ جَيْشُهُ
أَطْلَ عَلَيْهِمُ بِالْهَزِيمَةِ وَاحِدُ
وَعَرَدَ جَيْشُ اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ رَاكِدٌ^(١)

ونزل خالد بدمنهور، ووافقه عبيد بها. وسفر بينهما رجال من الجند، فكان يحتج بكتاب أمير المؤمنين المأمون وولايته إياه عليها. قال سعيد بن عفيرة:

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَارِبَانِ وَأَيُّمَا
هَلْ تَرْجِعَانِ إِلَى التَّقِيَّةِ وَالتَّقِي
حَتَّى يَبْجِيءَ مِنْ الْخَلِيفَةِ أَمْرُهُ
دَعَوَاهُمَا الْمَأْمُونُ فِي الصَّدَقَاتِ
وَتَسَارُكُانِ تَغْشَاوَرِ الْغَسَارَاتِ
فَيَمِيزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالشُّبُهَاتِ

ثم التقوا صبيحة الاثنين لمستهل ربيع الآخر سنة سبع ومئتين فاقتتلوا. وأسرع القتل في الفريقين جميعا. ثم عدوا عن^(٢) الحرب، ففهر^(٣) أصحاب خالد، وملوا الحرب، وكرهها أصحاب عبيد أيضا.

وأقبل النيل، فترفع خالد إلى أرض الخوف. فلما رأى ذلك علي بن الجروى، مكر^(٤) بخالد

(١) عود: هرب.

(٢) كذا في ر. وفي ص: علي.

(٣) كذا في ص، وجعلها ر: فقهقر.

(٤) كذا في ر عن ن. وفي ص: وفكر.

وكذلك الشيخ ابا بولة اسقف اخميم وهو كان
 الرئيس الثانى فى دير أبى شنوده القديس كوكب
 البريه، كان انسان ساحرا أخذ صبية جعلها حماره
 بفعله سو[ء] قدام كل من ينظرها ، واقامت هى
 معه ثلث سنين كما ذكرت هى، فإذا خرج بها إلى
 البريه صيرها امرأه تخدمه ويزنى بها، وإذا دخل
 المدينه ركبها كأنها حماره، فلما كان السابع من
 ايب عيد القديس أبى شنوده(*) النبى الفاضل
 اجتمع به الشيخ ابا بولة وهى معه فاخذها منه ولم

(*) أحد رؤساء الرهبنة المسيحية فى
 مصر سار على خطى ابو الرهبان
 باخوميوس. أسس عدة أديرة =

حتى أخرجه عن عمله، فقال خالده: إني لا أرى لك أن تقيم فى بلاد قيس، وهم جند الخوف،
 وهذا النيل قد مدّ، فتصير أسيراً فى أيديهم؛ وقد رايت أن أقدم إليك^(١) سفناً تجوز فيها إلى
 غربى^(٢) النيل، وأمدك بالطعام والعلف، فإذا انكشف النيل عدت إلى موضعك. فأجابه خالده،
 فقدم إليه على بن الجروى مراكبه، فعذى فيها النيل حتى صار إلى نهياً^(٣)، فنزل فى رملها.
 وانصرف على بن الجروى، وتركه بها فى ضرّ وجهه. قال معلى الطائى:

سَلا خَالِدًا لَمَّا أَنْجَلَى عَنْهُ شَكُّهُ وَأَسْلَمَهُ فِى عُدْوَةِ الْبَحْرِ خَاذِي لُهُ
 فَزَالَتْ أَمَانِيهِ غَدَاةَ سَمَاءٍ لَنَا بِعَارِضِ جَيْشٍ يَمْطُرُ الْمَوْتَ وَأَبْلُهُ

فلما انكشف النيل، عسكر عبيد بالجيزة لعشر خلون من شهر رمضان سنة سبع، ثم سار
 إلى خالده بنهياً^(٤). فحاربه فأمر خالده بن يزيد، واستأمن عظم^(٥) جيشه. ودخل به إلى
 القسطنطين يوم الاثنين خمس خلون من شوال سنة سبع. قال معلى الطائى:

(١) ص: إلى. ر: لك.

(٢) ر: عدى.

(٣) نهيا: بلدة من نواحي الجيزة.

(٤) عظم جيشه: معظمه. وفى ر: عظيم.

(٥) المعصد: ذو الأعوان والأنصار. العبل: الغليظ.

—منها دير الانبا بشوى غرب
سوهاج ودير الانبا شنودة. انظر:
الجزء الأول الملحق الخاص
بالديرية والرهبة في مصر.
ص ٨٥٤ كذلك المنكسار
القبلى جـ ٢، ص ٢٩٢.

يعلم بها احد سوى الساحر الملعون الكافر ومسكه
واسلمه إلى السلطان فاحرقه بالنار بعد قتله ، ثم
حلها من رباط الشيطان وسلمها لريسة دير
الرهبانات ، وكان عندهن من العلمانيات نسا كثير
يعشن معهن.

فهولا الابا الذين رأيناهم وسمعنا كلامهم لا
تخصى اعمالهم الحسنة.

(*) جوجر: مدينة قديمة على
الضفة الغربية لفرع دمياط قرب
طلخا.

ومنهم ابا كيره الذى من جوجر(*) الذى رأس

وَأَجِنَ فِي الْهَيْجَاءِ مِنْ خَيْلِ خَالِدٍ
تَمَالَوْا عَلَى إِسْلَامِهِ فِي الشَّدَائِدِ
وَلَكِنْ أَبَا شَبْلِينَ غِبْلَ السَّوَاعِدِ
شَجَاعًا جَوَادًا مَاجِدًا وَأَبْنِ مَاجِدٍ
لَا لَ مَسْرِيٍّ فِي مَنَاطِ الْقِلَابِدِ

أَلَا لَا أَرَى خَيْلًا أَضْرَلَهُ الْوَعْيُ
وَقَوَادُهُ أَشْرَارُ كُلِّ قَبِيلَةٍ
فَمَا أَسْرَوْ مِنْهُ جَبَانًا مُعْضِدًا
فَإِنْ يَقْتُلُوهُ يَقْتُلُوهُ مِنْهُ سَيِّدًا
وَأَنْ كَفَفُوا عَنْ قَتْلِهِ فَهِيَ مِنْهُ

ودعا عبيد بن السرى بخالد بن يزيد فسأله عما ذهب له من مال. فخبره به، فدفع إليه
عبيد أضعافه، ومضنّ عليه، وخيّره بين المقام عنده أو يخرج حيث شاء. فاختار ركوب البحر
من القلزم إلى مكة، فخرج من مصر. وقدم حماد ابن أبى سمين^(١) رسولاً من أمير المؤمنين
المأمون، بولاية عبيد على ما فى يديه وضمّنه خراج، وبولاية على بن الجروى على ما فى يديه
وضمّنه خراج.

وأقبل على بن الجروى على استخراج خراج. فمانعه قوم من أهل الخوف، وكتبوا إلى عبيد
يستمدونه^(٢) على. فأمدّهم وبعث بأخيه أحمد بن السرى إليهم. فسار على بن الجروى

(١) كذا فى ر، وقال: «غير منقط فى الأصل ولعل صوابه سمير».

(٢) كذا فى ر، وفى ص: يستمدّهم. خطأ.



على أربعة كراسى، كان قد تزوج من صباه وعاش
مع زوجته زمانا كثيرا وبلغ مايه وخمس سنين وهما
بكران طاهران نايمان على فراش واحد زمانا
طويلا، وطعامهما خبز شعير وملح بعباده عظيمه،
وكلمما لهم وكلمما يجردانه يصدقانه على
المستورين، فلمما طعنا فى السن سلك [أرسل]
أبا كيره زوجته الطاهره لدير الرهبانات.

والأب ابا اسحق اسقف كرسى سمند وما لقيه

إليه. فالتقوا بالبُوب^(١) من كورة بنا^(٢)، وهو الموضع الذى يقال له
«بَلْقِينَة». فاقتلوا يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع
ومئتين. وخرج عبيد من الفسطاط فعسكر بالبتون^(٣) ثم عسكر
بدفري. وعاد ابن الجروى أحمد بن السرى الحرب بمحلة أبى
الهيثم، سلخ صفر، وعادوه أيضا لثلاث خلون من ربيع الأول؛ وهم
منتصفون. ثم انصرف ابن الجروى فتحمل فيمن معه، ومضى إلى
دمياط. قال معلى الطائى:

ألا هل أتى أهل العراق وقعة
وما كان منا قتلهم عن جهالة
ولمّا تبسّنت النيسة فى القنا
فسوليت عن ربيع المحلة هاربا
لنا بحمى بلقين شيسبت الولدا
خطاء ولكننا قستلناهم عمدا
نكصت تنادى حين ضلّ النداء سعدا
على أيلة ما تركب الجور والقصد^(٤)

قنيس يحمل صليب حفر على
الخشب بالمتحف القبطى. القاهرة

(١) كذا فى (١، ٧٢٩، ٧٥٥). وفى ر: النوب. وقال: «غير منقط الأول فى الأصل، ضبطناه بالتخمين
لأنه لم يسم فى رواية الخطط، وهذا الموضع غير النوب الموجودة اليوم بالدقهلية».
(٢) بنا: بلدة قديمة بينها وبين سمند ميلان.
(٣) البتون: من الغرية.
(٤) ما تركب الجور والقصد: أى لا تأخذ الطريق القويم أو تحيد عنه، أى فى حيرة لا تدرى ما تفعل، أو تسير
فيه تارة وتحرف عنه أخرى. والشطر الثانى فى ر: على أبله.

من العذاب والجهاد مع البرسنوفيين حتى اعادهم
إلى الأيمان بكبرى ماري مرقس الرسول.

وكانت بيعه انطاكية أرملة بغير بطرك. وملك
انسان اسمه عبد الله ابو جعفر من جنس الملوك
الاولى قبل ابو مسلم عمه، وكان أبو عون بمصر
وصالح مع عبد الله، وكانت البيعة هادية تحت
سلامه في أيام الأب البطرك القديس ابا خايل
على ما ناله من التعب والجهاد الذي ذكرنا بعضه،

لَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ أَنْزَلَ نَصْرَهُ
سَنَهْدِي إِلَى الْمَأْمُونِ مَنَا نَصَانِحًا
بِفِعْلٍ (١) عَلَى وَالِدِي كَانَ مُجْمِعًا
عَلَيْنَا وَوَلَاكَ الْمَذَلَّةَ وَالطَّرْدَا
نُضَمَّتْهَا طَى الصَّحَائِفِ وَالْبُرْدَا
عَلَيْهِ بِإِظْهَارِ الْخِلَافِ الَّذِي أَهْدَى

ومضى أحمد بن السرى إلى محلة شريقيون، فدخلها وأمر بنهبها، فكان من أعظم ما أتاه.
ومضى على بن الجروى إلى طنّاح (٢). ومضى أصحاب عبيد إلى تنيس ودمياط فدخلوها.
ومضى عبيد فدخل تنيس لإحدى عشرة بقية من ربيع الأول سنة تسع. ولحق ابن الجروى
بالفرما ثم إلى العريش، فنزل فيما بينهما وبين غزة. قال سعيد بن عفير:

أَلَا يَا عَلَى بْنَ عَسِيدِ الْعَزِيزِ
فَلَسْتُ بِأَوَّلَى مَنْ كَسَسَادَهُ
وَأَجْرُ مَصِيرِكَ أَنْ يَسْحَبُوا
إِلَى أَيْنَ اصْرُتَ (٣) تَرِيدُ الْفِرَارَا
عَسَدُوا فَكَّرَ عَلَيْهِ اعْتِكَارَا (٤)
إِلَيْكَ فَتُوحَا عِظَامَا كِبَارَا

(١) كذا فى ر. وفى ص: بعقل.

(٢) طنّاح: قرب دمياط. وفى ر: طنطاح، تحريف.

(٣) زيادة فى ر.

(٤) اعتكار: كروحم على العدو.

إلى ان تم خدمته وتنيح ومضى بسلام إلى السيد
المسيح الرءاوف كما نذكر في اخر هذه السيره.

ولم تزل بيعة انطاكيه بغير بطرك بعد انبا يوحنا
المتنيح لأجل الحروب والعساكر إلى ان ملكو
الخراسانيون.

وفي أول ملكهم مضى اسحق اسقف حران
الى عبد الله فسأله في بطركية انطاكيه لأن انبا
يوحنا كان قد تنيح كما اعلما ولداه اللذان جايا

قَسْدَرِكَ ثَارَكَ مِنْ أَهْلِهِ وَتَلَبَسَ بَعْدَ الْكِبُو الْفَسَارَا^(١)

وعاد على بن الجروى فأغار على الفرما مستهل جمادى الآخرة سنة تسع. وهرب أصحاب
عبيد من تيس ودمياط فلاحقوا بالفسطاط. وأقبل ابن الجروى إلى شَطْنُوف^(٢). فجمع له عبيد
واستعد، وعقد لحمد بن سليمان بن الحكم عليهم. فالتقوا بشطنوف، فكانت لابن الجروى أول
النهار، ثم أتاه كمين عبيد فانهزم، وذلك يوم الاثنين لثمانى عشرة خلت من رجب سنة تسع.
ومضى عبيد ابن السرى إلى تيس ودمياط. ولحق على بن الجروى بالعريش. قال معلى الطائى:

أَلَمْ تَرَ خَيْلَهُ صَبَحَتْ عَلِيًّا تَلَفَّ عَلَى مَنَاسِجِهَا النَّسَاعَا^(٣)
فَلَوْلَى عَنْ عَسَاكِرِهِ وَخَلَى عَلَى الْأَسَلِ الْمَدَائِنَ وَالرَّبَاعَا^(٤)

- (١) كذا فى ر، وقال: «فى الأصل: انفسار. والذى يظهر أنه معرب أفسر بمعنى التاج بالفارسي».
- (٢) شطنوف: من الغربية، على فرسخين من القاهرة، ويفترق النيل عنده إلى فرعين، فرع شرقى إلى تيس ودمياط، وفرع غربى إلى رشيد.
- (٣) النساع: جمع نسعة، وهى السير المضفور يجعل زماماً للبعير وغيره. والمنسج: ما بين العرف وموضع اللبد أو ما شخص من فروع الكتفين إلى أصل العنق إلى مستوى الظهر، يريد أنها فى مرعتها تفعل ذلك. وفى ر: تدف. وفى ص: لوف.
- (٤) الأسل: الرماح.

(*) انظر في بقية هذه القصة ص ٥٣٦ وما بعدها من متن ساويرس.

الينا، وذلك ان عبد الله الملك(*) كان من اهل حران وكانت زوجته عاقر فرأت في منامها هاتفا يقول لها: اطلبي اسحق الأسقف ان يصلي عليك والرب يعطيك ولدا. وكانت هذه المرأة عابده لله خائفة منه، وكان لما خطبها عبد الله ليتزوج بها شرطت عليه ان لا يتزوج بغيرها عليها ولا يتسرى، وقالت له: قد عرفنا ان الله خلقنا في البدء ا ذكرا وأنثى فان لم تعاهدني على ذلك فما اتزوج بك. فعاهدها وحفظ لها العهد إلى يوم فراقها. فلما

وَلَكِنْ فَاتَ فَرَّقَ أَقْبَ نَهْسِدِ
فَحَسِبُكَ أَنْ قَوْمَكَ مِنْ جُذَامِ
دَعَتْهُمْ طَاعَةً لَكَ فَاسْتَجَابُوا
كَرَجَعَ الطَّرْفَ لَا يَخْشَى اضْطِلَاعًا^(١)
وَسَعِيدٍ لَا تَرَى لَهُمْ اجْتِمَاعًا
وَمَنْ عَسَجِبَ لِمِثْلِكَ أَنْ يَطَاعَا

وأقبل على بن الجروى أيضا في الحرم سنة عشر ومئتين. فدخل تنيس ودمياط بغير قتال. وأتى محلة شرقيون. فبعث عبيد بمحمد بن سليمان بن الحكم في المراكب، فنزل طوخ. فبعث إليه ابن الجروى بآبن غصين السعدى. فقاتله فانهزم ابن غصين. فبلغ ذلك عليا، فمضى إلى الهوارين^(٢) ثم دخل منها إلى جرجير^(٣).

٨٦. عبدالله بن طاهر(*)

وأقبل عبدالله بن طاهر بن الحسين إلى الشام. فظفر بنصر بن شيبث في سنة عشر ومئتين. وأقبل سائرا إلى مصر فتلقيه على بن الجروى بالأموال والأنزال وانضم إليه. وبعث عبدالله بن

(١) الأقب. الضامر البطن الدقيق الخصر من الخيل. والنهد: الفرس الحسن الجميل الجسم.

(٢) كذا في ر. وهورين: قرية من أعمال قويسنا، تعرف بنطابة.

(٣) جرجير: قرية اندلرت كانت في الشمال الشرقى من ناحية منشية أبى عامر، على بعد ثلاثة كيلو مترات من سكنها بأراضى ناحية المناجاة، بمركز فاقوس من مديرية الشرقية.

(*) الخطط: ١، ٣١١، والنجوم ٢: ١٩١، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

رأت ذلك المنام طلبت الاسقف المذكوراً فاحضرو
الأسقف انبا اسحق إليها في صباح الغد فعرفته ما
رات في منامها فجعل بينه وبينها أسبوعاً وسأل
الله ان يتم ما طلبته، ثم مضى الى الدير الذي
كان فيه راهباً فاعلم الأخوه بالخبر فاجتمعوا إلى
البيعه على جسد [صاحب] الدير واستشفعوا به
إلى الله بسببها. ولما كان بعد ثلاثة أيام وهم صيام
نظرت المراه إلى رجلين قائمين على موضع فراشها
يشبهان أنبا اسحق الأسقف وانا الدير قائلين لها:

طاهر إلى عبيد يدعوهُ إلى السمع والطاعة، فلم يَنَحْشَ^(١). عبيد إلى ذلك. وسار ابن طاهر
فنزل بلبس، فراسل عبيداً أيضاً وخوفه ومناه وأرهبه. فلم يجنح إلى شيء من ذلك. وبعث
عبيد أيضاً أبا صالح حماد بن المخارق إلى أمير المؤمنين المأمون، وجعل يدافع ابن طاهر،
ويُحْكِمُ أموره، ويحفر خندقه، ويشحن سفنه، وجعل عليها ابن الأكشف. وابن طاهر يتراخى
عنه، غير أنه قد بعث عَمَّالَه يجبون الخراج. وسار ابن طاهر من بلبس حتى نزل زَفَيَّتَا^(٢)
وعقد بها جسراً. وبعث عيسى بن يزيد الجلودى إلى شَطْنُوف. وأقبلت سفن ابن طاهر من
الشام، فجعل عليها على بن الجروى لمعرفته بالحرب فى البحر. وبعث عبيد أيضاً مراكبه،
عليها أبو السَّرْد^(٣) عسامة ابن الوزير الشيبانى. فالتقوا فانهزم أصحاب عبيد. وأقبل ابن طاهر
إلى خندق عبيد الذى احتفروه، فنزل عليه يوم الجمعة خمس خلون من المحرم سنة إحدى
عشرة. فتقاتلوا فاستأمن أبو السَّرْد فى جمع كبير إلى ابن طاهر ثم تخامروا^(٤) قال أبو تمام
حبيب بن أوس الطائى:

(١) ر: فلم يتحاش.

(٢) خ (١٧٩. ١): زفتا. وهما بلدة واحدة، كما يظهر من معجم البلدان لياقوت.

(٣) ر: أبو السرور، وانظر الشعر.

(٤) تخامروا: اختلطوا وتقاربوا.

ان الله قد سمع الدعاء، وفي هذه الليلة تحبلين بولد
 ذكر، ثم غابا عنها، فقالت لبعليها ذلك ففرحا جدا
 ثم حبلت وولدت غلاما، ولجل ذلك كانا يحبان
 الأسقف انبا اسحق إلى ان اعطاه الله المملكة
 فاعطا عبدا لله الملك السلطان ان يكون بطرك
 انطاكيه والمشرق، وامر انه متى قاومه احد يقتل
 بالسيف . ثم انه قتل مطرانين كبيرين من تلك
 الكوره لجل انهما قالاه : أنت اسقف حران كيف
 تخالف القوانين وتقوي يد السلطان على ان تاخذ

أَقَامَتْ عَلَى قَصْدِ الْهُدَى كُلِّ مَائِلٍ
 وَمَا قَدْ يَلِيهِ مِنْ فُضَاءٍ وَسَاحِلٍ
 وَأَوْدَى بَلِيْثٍ مِنْ أَبِي السَّرْدِ بَاسِلٍ
 شَمَاطِيْطٌ تَتَرَى كَالنَّعَامِ الْجَوَافِلِ (١)
 كَفَاحُ الرَّدَى فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ
 فَمِنْ فَارِسٍ يَأْتِيهِ طَوْعًا وَرَاجِلٍ

لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ بِمِصْرَ وَقِيْعَةً
 عَلَى الْخَنْدَقِ الْأَقْصَى وَمَا كَانَ حَوْلَهُ
 رَأَى ابْنُ السَّرِيِّ التَّصَرَّأُولَ يَوْمَهُ
 لَوَيْنَ جُمُوعَ ابْنِ السَّرِيِّ وَخَيْلَهُ
 فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَا مَسْحِيصَ وَأَنَّهُ
 تَوَخَّسُوا أَمَانَ الْأَرَيْحِيِّ ابْنَ طَاهِرٍ

وقدم أبو صالح التميمي بأمان عبيد من قبل أمير المؤمنين يوم الثلاثاء لأربع بقين من المحرم
 سنة إحدى عشرة. وتوقيع المأمون إلى ابن طاهر في طي كتابه، الذي كتب به ابن طاهر يسأل
 فيه أمان عبيد، بهذه الأبيات (٢) :

ذِي أَحْضَفَظْ نَعْمَ مَسَاءُ
 فَإِنِّي مَسْجُوفٌ أَهْوَاهُ
 فَسَسَانِي لَسْتُ أَرْضُ مَسَاءُ
 لَسْتُكَ اللَّهُ لَسْتُكَ اللَّهُ

أَخِي أَنْتَ مَسْجُوفٌ أَلَيْسَ
 فَمَّا تَهْوَى مِنِّي الْأَمْرُ
 وَمَا تَسْخَطُ مِنْ شَيْءٍ
 لَسْتُكَ اللَّهُ عَلَيَّ ذَاكَ

(١) شماطيط: متفرقة، تترى: بعضها وراء بعض. الجوافل: الهاربة.

(٢) وردت هذه الأبيات في النجوم الزاهرة (٢: ١٩٢) مع اختلاف يسير عما هنا.

كرسى البطركيه غضبا، وأنت فقد وجب قطعك
لأن القوانين تأمر ان كل من يعتز بالسلطان يقطع.
فشكا ذلك للملك فامر بقتلهما. وكان هناك قلق
عظيم فى ذلك المكان. ثم اخذ انبا اسحق سجلا
من الملك إلى أبى عون الوالى بمصر يقول فيه
كلما يكاتبك به البطرك انبا اسحق فاسمع منه
وافعل له. ثم كتب كتابا عن نفسه إلى الأب
المغبوط أنبا خايل بطرك مدينه اسكندريه سنوديقا
وارسلها بكرامات مع ولدين له قس وشماس كانا

وقام بالصلح محمد بن أسباط كاتب عبيد بن السرى على الخراج، واشترط لعبيد شروطا.
فكتب عبدالله بن طاهر لعبيد كتاب أمان، وأشهد فيه شهودا من الجند والفقهاء وأشراف أهل
مصر وجمعا ممن ينسب إلى العدالة؛ وذلك فى صفر سنة إحدى عشرة ومئتين. وتوجه عبيد فى
أهل بيته على عبدالله بن طاهر يوم الاثنين لست بقين من صفر. فخلع عليه ابن طاهر وأجازه
بعشرة آلاف دينار، وأمره بالخروج إلى المأمون.

حدثني ابن قديد قال: حدثني أبو نصر أحمد بن على بن صالح قال: أخبرني ياسين بن
عبدالأحد قال: سمعت أبى يقول: لما دخل عبدالله بن طاهر مصر، كنت فيمن دخل عليه،
فقلت: حدثنا ابن لهيعة، عن أبى قبيل، عن تبيع^(١)، قال: يا أهل مصر^(٢)، كيف بكم إذا
كان [فى] ^(٣) بلدكم فتنة، فوليكم فيها الأعرج، ثم الأصفر، ثم الأمر؛ ثم يأتى رجل من ولد
الحسين لا يدفع ولا يمنع، تبلغ رايته البحر الأخضر، يملأها عدلا. فقد^(٤)، كان ذلك: كانت
الفتنة فوليها السرى وهو الأعرج، والأصفر ابنه أبو نصر، والأمر عبيد بن السرى، وأنت
عبدالله بن طاهر بن الحسين. قال أحمد الحمراوى:

(١) كذا فى ر عن المشتبه. وفى خـ (١، ١٨٠)، ص: سبيع.

(٢) كذا فى ر عن خـ. وفى ص: قبيع يا مصرى.

(٣) زيادة فى ر عن خـ.

(٤) كذا فى ص. وفى ر عن خـ: فقلت.

كاتبه، ومطرانين من الكبار احدهما مطران دمشق
والاخر مطران حمص لياخذوا له الجواب، وكتب
السلامه مع بطرك مصر واساقفته بان يرفع اسمه
عندهم كالعاده والاتحاد. وكتب كتابا عن نفسه إلى
أبى عون الوالى بانه ان لم يفعل البطرك ذلك
فليحضر إلى عند عبد الله الملك . فلما وصلوا
الكتب إلى أبى عون انفذ إلى اسكندريه واحضر
انبا خايل البطرك إلى مصر وحده وقرا عليه الكتب
والسجل فاجابه وقال له: لا تلزمنى بهذا حتى

اتَرْجُو مَهَاةَ دَفْعِ ضَرْغَامِ غَابَةٍ
وَأَنْ أَحَقَّ النَّاسُ أَنْ يَشْهَدَ الْوَعَى
لَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الرَّوْعِ فِي رِيَّ غَادَةٍ
لَشَعْنَانِ مَا بَيْنَ الْمَهَا وَالْهَزَابِ (١)
وَيَقْصِفُ أَصْلَابَ الْمُلُوكِ الْجَبَابِرِ
وَلَمْ يَحْتَجِبْ صَبْحًا لَمْشَطِ الضَّفَائِرِ

ثم وليها عبدالله بن طاهر بن الحسين، من قبل المأمون، على صلاتها وخراجها. دخلها يوم
الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة إحدى عشرة، فجعل على شرطه معاذ بن عزيز أياماً،
ثم جعل مكانه عبدة بن جبلة من الأبناء. وأقام عبدالله بن طاهر في معسكره حتى خرج
عبيد بن السرى إلى بغداد، يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة. قال
حبيب ابن أوس الطائى:

فَأُورِدَهُ بَغْدَادَ يَهْـؤَى بِرِجْلِهِ
فَأَصْبَحَ قَدْ زَالَتْ ظِلَالُ نَعِيمِهِ
ذَمُولٌ تَرَامَى فِي قِلَاصٍ ذَوَامِلِ (٢)
وَأَيَّ نَعِيمٍ لَيْسَ يَوْمًا بِزَائِلِ

حدثنى نصر بن عبدالله بن عبيد بن السرى: أن عبداً عاش بعد خروجه من مصر زماناً،
وأنه مات بسرٍّ من رأى سنة إحدى وخمسين ومئتين.

(١) المهاة: البقرة الوحشية، والضرغام: الأسد، والهزابر: الأسود.

(٢) الذمول: الناقة التى تسير سيراً لينا كالعنق أو فوقه. والقلاص: النوق الشابة أو الباقية على السير أو الطويلة القوائم.

اجمع الاساقفه ويتشاورون على هذا الأمر حسب
قوانيننا وشريعتنا، ففسح له في ذلك وأمهله فيه.
ثم جلس [البطرك] بمصر وكتب إلى اساقفة
بحرى وقبلى والصعيد الاعلى والأدنى يحضروا إليه
جميع الأساقفه وينظروا في ذلك ويكتبوا إليه
الجواب . فلما حضروا اجابوا قايلين للبطرك هو
مماثلك يا ابانا وشريكك في الخدمة فافعل ما تراه
انت معه فاما نحن فما لنا في هذا شئ. وصار
بينهم سجس عظيم، كان معه انبا تاودرس أسقف

وأجمع^(١) عبدالله بن طاهر على السير إلى الاسكندرية. فبعث على مقدمته العباس
وهاشمًا من قواد العجم من أهل خراسان، وذلك لمستههل صفر سنة اثنتى عشرة، واستخلف
عليها عيسى بن يزيد الجلودى. ونزل عبدالله بن طاهر على حصن الإسكندرية؛ قصدها^(٢) فى
ربيع الأول سنة اثنتى عشرة، او^(٣) حصرها بضع عشرة ليلة. فخرج إليه أهلها بأمان.
وصالح الأندلسيين على أن يسيرهم من الإسكندرية حيث أحبوا، على أن لا يخرجوا فى
مراكبهم أحداً من مصر، ولا عبداً، ولا أبقا؛ فإن فعلوا فقد حلت له دماؤهم ونكث عهدهم.
وتوجهوا فبعث ابن طاهر من يفتش عليهم مراكبهم. فوجد فيها جمعاً من الذين اشترط عليهم
أن لا يخرجوهم. فأمر ابن طاهر بإحراق مراكبهم. فسألوه أن يردّهم إلى شرطهم، ففعل. وولى
على الإسكندرية إلياس بن أسد ابن سامان^(٤)، خدًا من ولد بهرام شوبين^(٥).

ورجع ابن طاهر إلى الفسطاط فى جمادى الآخرة سنة ثنتى عشرة. فولى عيسى بن المنكدر
القرشى القضاء. وأمر بالزيادة فى المسجد الجامع، فزيد فيه مثله. ثم ركب النيل متوجّهاً إلى

(١) ر: جمع.

(٢) كذا فى ر، وهو يناقض قول المؤلف السابق إنه خرج إليها فى مستهل صفر، وهو ما يوافق أقوال ابن
تغرى بردى والمقرئى. ولعل الكلمة محرفة عن «فحصرها».

(٣) زيادة عن ر.

(٤) كذا فى ر عن خ (١٧٣/١). وفى ص: سليمان. تحريف.

(٥) كذا فى ر عن ط (١: ٩٩٢) وهو بهرام جشنس المعروف بجوين أو شوبين. وفى ص: سونين.

مصر الثاني الذي كان اغومنس الفسطاط وقس
يعة أبى سرجه هو وأبى انبا مويسيس اسقف وسيم
فقط، فانفذو إلى أنا الخاطى [يوحنا = يونس] لنهم
[لأنهم] يعلمون أنى عضو من اعضاهم كما هو
مكتوب ليس بمعرفتى لكن بمحبته روحانيه
فمضيت إليهم كالولد من بعد شهر وهم ملازمون
لهم لطلب الأجوبة والتقليد الذى هو السستاتيكا.
وكانو قوما فيهم دين ومحبته، فلما نظرونى
المشركون الرسل وانا بلباس الرهبان وافعالى بعيدة

العراق خمس بقين من رجب سنة ثنى عشرة. فكان مقامه بمصر، بعد أن صحت له الولاية
إلى أن خرج عنها، سبعة عشر شهراً وعشرة أيام.

٨٧. عيسى بن يزيد الجلودى (*)

ثم وليها عيسى بن يزيد الجلودى، باستخلاف ابن طاهر له على صلاتها. فجعل على
شرطه ابنه محمداً، وعلى المظالم إسحاق بن متوكل. فكانت ولاية عيسى من قبل ابن طاهر
إلى يوم الجمعة لسبع عشرة من ذى القعدة سنة ثلاث عشرة ومئتين. فقدم أبو الخير بشر بن
برد، رسول أبى إسحاق بن هارون الرشيد^(١)، بولاية الأمير أبى إسحاق على مصر وعزل
عبدالله بن طاهر عنها، وذلك لوفاء ثلاثة وثلاثين شهراً لولاية عبدالله بن طاهر وخلفائه. فأقر
أبو إسحاق الجلودى على الصلاة فقط، وعلى خراجها صالح بن شيرزاد، فظلم الناس وزاد
عليهم فى خراجهم. فانتفض أسفل الأرض وعسكروا. فبعث عيسى بن يزيد بابنه محمد فى
جيش لقتال أهل الخوف. فنزل ببليس، فلقية بها جمع منهم فحاربوه وهزموه. فنجا محمد
بن عيسى، ولم ينبج من أصحابه أحد، وذلك فى صفر سنة أربع عشرة ومئتين^(٢).

(*) الخطط ١ : ٣١١، والنجوم ٢ : ٢٠٤، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

(١) المعتصم الخليفة بعد.

(٢) ن (٢ : ٢٠٥) : «فكانت ولاية عيسى على مصر، فى هذه المرة، سنة وسبعة أشهر وأياماً».

من الرهينة فاشارو إلى ابهاتي قايلين: انت الذى حضرت معنا وحدك تكون نايًا عن أخوتك؟ فلما نظرونى جالسا مع الأساقفة واراددهم فى الخطاب تعجبوا وقالوا: ما رأينا قط راهبا يرادد البطرك مثل هذا . فقالوا المطارنه: ان لسانه مثل السيف [الحاد] ما يقاوم. فقال لهم ابهاتي هو بمنزلة اسقف، فتعجبوا فقال واحد من المطارنه لى: كم لك من الولاد فى كرسيك وبلادك فقلت له: لى عشر منا [قرى] فيها [فى كل منها] عشرة

٨٨. عمير بن الوليد(*)

ثم وليها عمير بن الوليد، باستخلاف أبى إسحاق بن الرشيد على صلاتها. وورد عليه كتاب أبى إسحاق بولايته عليها يوم الأحد لتسع عشرة^(١) نخلت من صفر سنة أربع عشرة. فجعل على شرطه ابنه محمداً، فاستخلف محمد رجلاً يدعى السليل بن ربيعة. وفرض عمير الفروض، واستعدت لحرب أهل الحوف. وبعث بعبد الله بن حليس^(٢) الهلالي إلى الحوف، ليصلح أمر قيس ويردهم إلى الطاعة. فمضى إليهم [ابن] حليس^(٣)، فاتاهم وحرّضهم، فعقدوا له عليهم. وقام^(٤) بأمر اليمانية عبدالسلام بن أبى الماضى الجذامى ثم الجروى. فسار إليهم عمير فى جيوشه وفروضة، وتبعه عيسى بن يزيد الجلودى؛ كان خروجه من القسطنطينية يوم الثلاثاء لست عشرة من ربيع [الأول]^(٥) سنة أربع عشرة ومئتين. واستخلف على

(*) الخطط ١: ٣١١، والنجوم ٢: ٢٠٧، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.

(١) كذا فى ر. وفى خـ (١: ٣١١)، ن (٢: ٢٠٧): لسبع عشرة.

(٢) ن، ابن الجليس.

(٣) زيادة ضرورية عن ر.

(٤) ر: واقام.

(٥) زيادة فى ر، وهى فى خـ، ن.

اواسى [كل] خمسه تكون [تطعم] فى كل سنه
نحو خمسين نسمة . فقالوا: بالحقيقه نحن نراك
متعوبا ضعيف الجسم . فقال احدهما: انا عندى فى
كرسى تسع مايه ضيعه سوى المدن والمنا [القرى]
وكراسى لطاف، وكورونا قليل اسكانها ومضى
بينى وبينهم كلام كثير وهم قوم فيهم دين ومحبه .
فلما كان فى الشهر الثانى اجتمعوا فى بيعة
السيدة استقر الأمر مع البطرك ابا خايل . قال:

الفسطاط ابنه محمداً. وقدم أبو خالد المهلبى من قبل المأمون إلى اليمانية، ومحمد بن ذواله
القيسى إلى القيسية^(١). فبذلا لهم ما شاوروا، فلم ينههم ذلك عن الحرب. وزحفوا إلى عمير،
وعلى اليمانية عبدالسلام بن أبى الماضى، وعلى قيس عبدالله بن حليس الهلالى. فالتقوا بمنية
مسال الله^(٢)، فاقتلوا، فقتل من أهل الحوف جمع كثير، وانهزموا. فتبعهم عمير فى نفر من
أصحابه. فعطف عليه كمين لأهل الحوف، فقتلوه باليهودية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة^(٣) من
ربيع الآخر. وكان الذى قتله مبارك الأسود مولى حميد ابن كوثر الحرشى. فكان مقام عمير
على امرتها إلى أن قتل ستين يوماً. قال حبيب بن أوس الطائى^(٤):

أَلَا رَزَّيْتُ خُرَاسَانَ فَتَّاهَا غَسَدَاةَ ثَوَى عُمَيْرِ بْنِ الْوَلِيدِ
فَيَا يَوْمَ الثَّلَاثَا كَمْ كَسِيبِ رَمَاهُ الْحَزْنَ فِيكَ وَكَمْ عَمِيدِ^(٥)

(١) ر: محمد بن دواله العيسى إلى العيسية. خطأ.

(٢) من مديرية الشرقية. وفى ت: منية يالله. وانظر سيرة أحمد بن طولون للبلوى ١٥١، ٢٧٣.

(٣) ن: لست عشرة خلعت.

(٤) ديوان أبى تمام، تحقيق شاهين عطية، بيروت ١٨٨٩، ص ٣٢١.

(٥) العميد: المريض لا يستطيع الجلوس من مرضه، ولعله يريد من هذه الخبر فصار لا يستطيع القيام
كالمريض

السيف او النار او الرمي إلى الأسد او النفي او
السبي ما يقلقني ، ولست ادخل تحت ما لا يجب
ولا ادخل تحت حرمي الذي كتبته بخطي وبدات
به بان لا يصير اسقف بطركا ، والأبا الفضلا
احرمو من ياخذ رتبة من رتب الكهنوت بيد
السلطان او عنايته ، لن [لان] الاساقفة كانوا كتبوا
إلى من انطاكيه في زمان انبا يوحنا البطرك ان
كلمن ثبت بعده من الاساقفة على الكرسي يكون

وَكَمْ أَغْشَرْتَ فِينَا مِنْ جُدُودٍ (١)
وَلَا طَلَعْتَ نَجْمُوكَ بِالسَّعُودِ (٢)

لَكُمْ مَخْتَتَ فِينَا مِنْ عَيُونِ
فَمَا زَجَرْتَ طَيُورَكَ عَنْ سَيْحِ
وقال أيضا (٣) :

بَكْرٍ مِنَ الْغَارَاتِ أَوْ لَعْوَانِ
قَوْلِي وَأَنْعَى فَارِسَ الْفُرْسَانِ

أَنْعَى عُمَيْرَ بْنِ الْوَلِيدِ لَغَارَةِ
أَنْعَى فَتَى الْفَتَيَانِ غَيْرَ مَكْذَبِ
وقال سعيد بن عفير :

بِأَمْرَةٍ لَمْ يَكُنْ لَهَا بِمَسْعُودِ
ثَوْبَيْنِ مِنْ حَبَرَاتِ الْبَاسِ وَالْجُودِ
يَوْمًا وَإِنْ كَرِهْتَ أَعْمَالَهُ يُودَى

سَاقَتْ عُمَيْرَ إِلَى مَصْرِ مَيِّتُهُ
حَتَّى أَتَتْهُ الْمَنَآيَا وَهَوَّ مَلْتَحَفُ
فَازْهَبْ حَمِيدًا فَلَا تَبْعُدْ فَكُلَّ فَتَى

واقام محمد بن عمير خليفة لأبيه عليها شهراً، ثم أظهر الجلودى كتاباً بولايته، فسلم إليه
محمد.

(١) الجدود الحظوظ. وأعثرها: جعلها عائرة تعسة. وكذا روى هذا الشطر في الديوان. وفي ر. وكم أعبرت
فينا من حدود.

(٢) السنيح: الظبي إذا مر من مياسرك إلى ميامنك، وهم يتفألون به.

(٣) الديوان ٣٤٨.

محروما، فكتبت هذا بخطي فكيف يجب أن
احرم نفسي واحلل اليوم ما حرمته بالأمس ، وما
انكرته امس ارضى به اليوم، وما انكروه الأبا
القديسيون قبلي. وقطع الخطاب. فتقدموا إلى أبي
عون الوالي وقالوا له: تنفذ معنا البطرك إلى بلادنا
كما امر الملك. ولم يكن ابو عون يريد ان يسير
الأب لأجل محبته له والنصارى، وكان له عناية
عند الله بهم وقبوله دعاهم له. فقال : للبطرك :

٨٩. عيسى بن يزيد الجلودى (*)

الثانية

ثم وليها عيسى بن يزيد، خليفة لأبي إسحاق، على صلاتها. فجعل على شرطه رجلاً من
أهل خراسان يقال له مطهر. ثم سار عيسى إلى أهل الخوف، فلقى بهم بمنية مطر^(١). فكانت
بينهم وقعة. ثم انصرف أهل الخوف على حامية. ومضى الجلودى حتى نزل النوية، فخندق
على نفسه وجيشه خندقاً، وأقام أياماً. فأتاه أهل الخوف فصبحوه. فهاه أمرهم، فلما أمسى
تحمل منهزماً إلى الفسطاط، وأحرق. ما ثقل عليه من رحله، وخندق على الفسطاط؛ وذلك
يوم الثلاثاء لأربع خلون من رجب سنة أربع عشرة. قال حبيب بن أوس الطائي يهجو
الجلودى:

جَبَلْتِكَ^(٢) أَحِبَالُ الرَّدَى جَذْبًا
أَنْهَبْنَ رُوحَكَ فِي الْوَعَى نَهَبًا

اللَّهُ أَرْهَقَكَ الْهَزِيمَةَ إِذْ
وَأَتَتْكَ خَيْلٌ لَوْ صَبَرْتَ لَهَا

(*) الخطط ١: ٣١١، والنجوم ٢: ٢٠٨، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.

(١) هي المطرية. انظر ن (٢: ٢٠٨).

(٢) ص: جَبَلْتِكَ. ر: جَذَبْتِكَ. وهما بمعنى واحد.

انت قد طعنت في السن والطريق بعيده جدا،
وامض وشاور نفسك أياما قلائل فان سهل عليك
الامر والا فالمسير بيدك. فخرجنا من عنده فاقلقونا
المطارنه والرسل وخاطبو البطرك في نجاز الأمر
بالمسير معهم ولم يدعونا فاهتم الأب البطرك
بالسفر وهو وجع القلب قايلا لأبي موسى :
تصحبني في هذه الطريق الصعبة. فاستعد أبي
موسيس للمسير معه، وأبا تاودرس اسقف مصر،

فَحُطَّانَ لَا مِيلًا وَلَا نُكْبًا ^(١)	مِنْ حَتَّى عَدْنَانِ وَأَخْصَوْتَهُمْ
أَلْقَى عَلَيْكَ ظِلَامَهُ حُجَبًا	أَغْصَمْتَ بِاللَّيْلِ الْبَهِيمِ وَقَدْ
وَالْبَيْضُ تَخْدُبُ هَامَهُمْ خَدْبًا ^(٢)	وَتَرَكْتَ جُنْدَكَ لِلْقَنَا جُزْرًا
لَكَ بِالْبَقَا فَرَكِبَتْهَا رَكْبًا	فَأَشْكُرُ أَيَادِي لَيْلَةٍ مَنَحَتْ

واقبل أبو إسحاق بن هارون سائرا إلى مصر، في أربعة آلاف من أتراكه. فامتنعو عليه،
فقاتلهم يوم السبت لعشر بقين من شعبان سنة أربع عشرة، فهزمهم. ونزل أبو إسحاق ببلييس
يوم الأحد لتسع بقين من شعبان. وبعث في طلب عبدالله بن حليس، وعبدالسلام بن أبي
الماضي. فأتى بهما، مستهل شهر رمضان، فقيدهما وسجنهما، ثم أقامهما للناس. ودخل أبو
إسحاق القسطنطينية يوم الخميس لثمان خلون من رمضان سنة أربع عشرة ومئتين. ثم خرج أبو
إسحاق إلى الجيزة، فدعا بابن حليس وعبدالسلام، فضرب أعناقهما، وصلبهما يوم الاثنين
لثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة أربع عشرة ومئتين. قال معلى الطائي:

(١) الميل: جمع أميل، وهو من يميل على السرج ولا يستوى عليه، ومن لا سلاح معه، والجبان. والنكب:
جمع أنكب، وهو المائل عن الحق والحائد عن المحصم.
(٢) الجزر: جمع جزور، وهي الشاة المنبوحة، ويريد تركهم للقتل. والبيض: السيوف. وتخذبهم: تضربهم.
وكذا الشطر الثاني في ر. وفي ص: تجذب مامهم جذبا.

وانا البايس يونس [يحنس = يوحنا] فلما استعدينا
 للمسير وصل الخبر إلى مصر في تلك الليلة ان
 اسحق الأسقف الذى وثب على كرسى انطاكيه
 بيد السلطان قد توفي بانطاكيه وقد ناب على
 الكرسى انسان اسمه اتناسيوس وجلس في اليوم
 بعينه قبل مغيب الشمس، فمات الاخر في ثالث
 يوم ودفنوهما. فلما سمع ذلك المطارنه [والرسل]
 ومن معهم من الكهنة هربو ولم نعلم كيف مضو
 إلا انا لم نشاهدهم بعد ذلك اليوم.

في حلبة الجسرين قد قصبنا^(١)
 من صنعة النجار قد شذبنا^(٢)
 من أنفر الطرف ومن لبنا^(٣)
 يأنف ان ياكل او يشربنا
 مسا جاوز الجسر ولا قربنا
 كان أبو القاسم قد أرطبنا
 أبيض لا يعتب من أغضبنا^(٥)
 فكيف بالله اذا جسرنا

إن الحلبي غداً سابقاً
 على طمر مسالته أرجل
 وليس يدرى عند إجمامه
 مسمر الخلق أمون الشوى^(٤)
 ولو مري ليلته كلها
 لو كان من بعض نخيل القرى
 كسا أبو إسحاق أوداجه
 وقد مقي عبدالسلام الردى

وخرج أبو إسحاق، متوجهاً إلى الشام، لغرة الحرم سنة خمس عشرة ومئتين في أترাকে،
 وجمع من الأسارى في ضر وجهد شديد، وولى على مصر عبدويه بن جبلة من الأبناء.

(١) قصب: أحرز قصب السبق.

(٢) الطمر: الفرس الجواد أو الطويل القوائم الخفيف، ويعنى به الخشبة التي صلب عليها.

(٣) أنفر الفرش: عمل له ثقراً أو شدة به، والثفر: السير في مؤخر السرج. والطرف: الكريم من الخيل. ولبب
 الدابة: جعل لها لبياً، وهو ما يشد من سيور السرج في صدر الدابة ليمنع استئخار الرجل.

(٤) الشوى: الطرف.

(٥) الأوداج: العروق في العتق. وأعتبه: أراضه.

وانا اقول لكم ما قد قيل لنا من اجل هذا
 اتناسيوس كان من الأساقفة القدم ومطراننا وتولى
 من حد حران إلى داخل، وكان كرسية بعيدا جدا
 حتى انه كان يسير على الجبال والصخور والحجارة
 الحادة برجيلة وفيهما مداس حديد حتى يطوف
 على كل كوره، وحدثونا أنه كان شديد القوة
 طويل القامة ممتلى الجسم، وكان قد أعطى في
 الجمع ان يقسم الأساقفة لبعده الكوره فلما وثب
 على الكرسي مات.

٩٠. عبدويه بن جبلة (*)

ثم وليها عبدويه بن جبلة، من قبل أبي إسحاق، على صلاتها؛ وليها مستهل المحرم سنة
 خمس عشرة ومئتين. فجعل على شرطه ابنه، وعلى المظالم إسحاق بن إسماعيل بن
 حمدان^(١) بن زيد. وخرج ناس من لخم بالحواف، فحاربوا في شعبان سنة خمس عشرة.
 فبعث إليهم عيسى بن منصور الرافقي^(٢)، وهو والي الحواف، فقاتلهم فظفر بهم. ثم قدم
 الأفشين حيدر^(٣) بن كارس^(٤) الصنفدي إلى مصر، ومعه علي بن عبدالعزيز الجروني، قدما
 لثلاث خلون من ذي القعدة^(٥) سنة خمس عشرة، وقد أمر الأفشين أن يطالب^(٦) عليا
 بالأموال التي عنده، فإن هو دفعها إليه والّا قتله. فطالبه الأفشين، فلم يدفع إليه شيئا. فقدمه

(*) المخطوط ٣١١: ١، والنجوم ٢: ٢١٢، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.

(١) ن (٢١٢/٢): حماد.

(٢) كذا في ر، وقال: في الأصل: والرافقي. حذفنا الواو لأنه ظهر أن الرافقي نسبة عيسى بن منصور، فإن
 عيسى ذكر بهذه النسبة في بعض نسخ النجوم (النظر فهرس الأعلام) وقيل له في بعضها الرافقي كما في
 المخطوط (٣١١: ١).

(٣) ص: كهادر. خطأ. (٤) ر: كاوروس.

(٥) غ (٣١١: ١)، ن: ذي الحجة.

(٦) كذا في ر. وفي ص: يطلب.

وجا إلينا انسان من الخلقدونيين اسمه جرجه
 وكان خيرا ودخل معنا فى الأمانه الارتدكسيه فوق
 اختيار الجمع عليه فصيروه بطركا على انطاكيه
 فلم يمر عليه إلا قليل حتى وثب عليه اسقف من
 اساقفته يسمى ابا داود وكانت امه دايه لابي جعفر
 المنصور ملك المسلمين، فسعى به بكلام لا يجب
 ذكره فى سيره البيع وافعالنا وذنوبنا ما تحتاج إلى
 زياده، ثم اخذ الملك هذا جرجه وكبله بالحديد

بعد الأضحى بثلاث فقتله، وصرف الأفشين عبدويه بن جبلة عنها. وخرج الأفشين إلى برقة
 ومعه عبدويه، وولى عليها عيسى بن منصور لسلخ سنة خمس عشرة^(١).

٩١. عيسى بن منصور(*)

ثم وليها عيسى بن منصور، من قبل أبى إسحاق، وليها مستهل سنة ست عشرة ومئتين
 على صلاتها. فجعل على شرطه أبا مغيث موسى^(٢) بن إبراهيم ابن عمه. ثم انتقضت أسفل
 الأرض كلها، عربها وقبطها^(٣)، فى جمادى الأولى سنة ست عشرة، وأخرجوا العمال، وخالفوا
 الطاعة. وكان ذلك لسوء سيرة العمال فيهم. ثم قدم الأفشين من برقة، للنصف من جمادى
 الآخرة سنة ست عشرة، فأقام بالفسطاط لأن النيل فى مده قد حال بينه وبينهم. ثم خرج
 الأفشين وعيسى بن منصور جميعاً، فعكسرو فى شوال سنة ست عشرة. فحاربه أهل تنو
 وتمى، وقد اجتمعوا بإشليم^(٤)، وعقدوا عليهم لان عبيدس^(٥) الفهرى من ولد عقبة بن نافع.

(١) ن: فكانت ولاية عبدويه بن جبلة على مصر، نيابة عن أبى إسحاق محمد المعتصم، سنة واحدة.

(*) الخطط ١: ٣١١، والنجوم ٢: ٢١٥، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.

(٢) ن (٢: ٢١٦): يونس.

(٣) كذا فى ر، خـ (١: ٣١١). وفى ص: وقبطها.

(٤) إشليم: قرية بالحوف الغربى.

(٥) كذا فى ر. وفى ن، ط (٣: ١١٠٥): عبوس الفهرى.

والخشب واودعه السجن في السنة الثامنة من ملكه. ومن بعد ذلك الوقت وإلى الآن لم تصلنا سنوديقا [إلى مصر] ولا مضي من عندنا كتاب.

واذكر لكم اعجوبة بطرك القسطنطينيه والملك وانسان خلقه دوني في سنة أربع مائه وثمانين للشهدا ، كان انسان مقدم من القسطنطينيه اسمه فيلبس قد حسن له البطرك ان يقاتل الملك وقال له: انك إذا قاتلته ظفرت به واخذت الملكة. فلما

فواقعهم الأفشين بأشليم، فهزمهم وأسر منهم كثيراً فقتلهم. ورجع عيسى بن منصور إلى القسطنطاط، ومضى الأفشين إلى الخوف فقل جماعتهم.

وبعث الأفشين عبدالله بن يزيد^(١) إلى [الغربية، فانهزم إلى]^(٢) الإسكندرية، واستجاشت عليه بنو مدلج فحاصروه في حصن الإسكندرية، وذلك في شوال سنة ست عشرة. ومضى الأفشين إلى شرقيون، فلقى من هناك بمحلة أبي الهيثم، فاقتتلوا. فظفر بهم الأفشين، وقتل صاحبهم أبا ثور اللخمي. ومضى الأفشين أيضاً إلى دمية^(٣)، فحاربهم في ذي القعدة سنة ست عشرة، فظفر بهم. وخرج عيسى بن منصور من القسطنطاط إلى نمي، فقاتل أهلها، فانهزم أهل نمي. وأقبل الأفشين في جنوده إلى الإسكندرية، فلقى طائفة من بني مدلج بخربت، فهزمهم. وأتوه أيضاً بمحلة الخلفاء^(٤)، فهزمهم وأسر أكثرهم، فنزل بهم قرطساً^(٥)، فضرب أعناقهم بها. وأتى الإسكندرية فدخلها. وهرب منه رؤساؤهم، وهم بحر بن علي اللخمي، وابن عقاب اللخمي. وكان رئيس جماعتهم معاوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن

(١) هو عبدالله بن يزيد بن يزيد الشيباني (خ ١٧٣). وفي ر: عبدالله.

(٢) زيارة عن خ (١٧٣)، وهي ماقطة من ر.

(٣) دمية: قرية كبيرة على شاطئ النيل قرب دمياط.

(٤) محلة الخلفاء: من مديرية البحيرة.

(٥) كذا عند ياقوت، وفي القاموس: قرطس، وفي التاج: قرطسة، وهي من قرى البحيرة.

بلغ الخبر الملك نفاه إلى بلد غربه، وطرحه في
مواضع ضيقه وأقام بطركا غيره. وكان الملك
يفعل فعلا لا تحسن ذكرها ويمحي الصور من
البيع (*)

(*) انظر الهامش العلوي ص ٣٢٣
خاصة الجزء المتعلق بحرب
الايقونات

وما ذكرت لكم هذا ألا لتعلموا أن هذه الأمور
كانت عامه ليس بانطاكية فقط بل وفي جميع
المملكة ، والبطركان القسطنطيني والانطاكي
اعتقلوا في زمان واحد.

معاوية بن حُديج. وكان دخول الأفشين الإسكندرية لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست
عشرة. ومضى الأفشين بعد فتح الإسكندرية إلى أهل البشرو^(١)، فكان مواقفهم وقد
امتنعوا حتى قدم المأمون.

قدوم امير المؤمنين المأمون الفسطاط

قدم لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومئتين، فسخط على عيسى ابن منصور، وأمر
بحلّ لوائه بلباس البياض، قال: لم يكن هذا الحدث العظيم إلا عن فعلك وفعل عمالك،
حملتم الناس ما لا يطيقون، وكنتمونى الخبر حتى تفاقم الأمر واضطرب البلد. وضم أصحابه
إلى ابن عمه موسى بن إبراهيم. وولى المأمون على شرط الفسطاط أحمد بن بسطام الأزدى
من أهل بخارا. وركب أمير المؤمنين، فنظر إلى المقياس^(٢)، وأمر بإقامة جسر آخر لعمل له هذا
الجسر القائم بالفسطاط اليوم، وترك القديم. وعقد لأبي مغيث موسى بن إبراهيم على جيش
بعثه إلى الصعيد، في طلب ابن عبيدس الفهرى، ومعه رشيد التركي. فظفرو بالفهرى بطحا.
وارتحل المأمون إلى سخا، سلخ المحرم سنة سبع عشرة. ثم صار إلى البشرد، والأفشين قد أوقع
القبط بها، فنزلوا على حكم أمير المؤمنين. فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والأطفال. فيبيعو

(١) كذا في ر عن خ (١: ١٧٤). وفي ص: الشرور. تحريف.

(٢) وأمر بتعميره. (ن ٢: ٢١٦).

وقد ذكرنا يسيراً مما قد لقيه الأب البطرك أنبا
خايل من الجهاد ولم يكن معه أحد مقيماً في
شدايده ولا يساعده إلا الأب الأسقف أنبا تادرس
أسقف مصر وأنبا مويسيس أسقف وسيم. ولما
طعن في السن سأل الله الرحوم أن ينقله من هذا
العالم ليتنيح مع القديسين فأجابه وأسلم نفسه بعد
ما جاهد وعمل من الأعمال الحسنة في اليوم
السادس عشر من برمهاث . وكان مدة مقامه

وسبى أكثرهم. وأتى بالفهري إلى سخا فقتله، وتبع كل من يؤمأ إليه بخلاف فقتله، فقتل
ناساً كثيراً.

ورجع إلى الفسطاط يوم السبت لست عشرة من صفر سنة سبع عشرة. ومضى إلى حلوان
فنظر إليها، وأقام بها ثلاثاً. ورجع إلى الفسطاط، فخرج على مقدمته أشناس. وارتحل المأمون
يوم الخميس لثمانى عشرة من صفر. فكان مقامه بالفسطاط وسخاً وحلوان تسعة وأربعين يوماً.

٩٢. كيدر نصر بن عبد الله (*)

ثم وليها كيدر واسمه نصر، من قبل المأمون، على صلاتها. فجعل على شرطه إسبنديار^(١).
ثم بعث المأمون برجل من العجم، يقال له [ابن]^(٢)، بسطام، فولاه الشرط. فعزله كيدر
لرشوة ارتشاها، وأمر بضربه بالسوط في صحن المسجد الجامع، وولى رجلاً بخاريّاً يقال له
ذاوه^(٣)، ثم عزله وولى ابنه مظفر بن كيدر باستخلاف مظفر ذاه على الشرط. وورد كتاب

(*) الخطط ١ : ٣١١، والتجوم ٢ : ٢١٨، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.

(١) ن (٢ : ٢١٨) : ابن اسبنديار.

(٢) زيادة في عن ن، ويظهر أنه أحمد بن بسطام، المذكور حالا.

(٣) لم يذكره ن.

على الكرسي الإنجيلي على ما وجدنا في اولياكي
بدير القديس أبي مقار ثلثا وعشرين سنة ونصفا .
ووضع جسده المقدس مع أجساد أبائنا القديسين
بمجد وكرامه، صلواته تكون معنا آمين .

[كملت السيرة السادسة (*) عشر من سير البيعة
المقدسة وانبأ خيال (خايل) البطرك الذي هو
السادس والاربعين نفعنا الله تعالى بمقبول صلواته
امين امين] .

أبي إسحاق بن الرشيد^(١) على كيدر بأخذ^(٢) الناس بالحنة، ورد الكتاب في جمادى الآخرة .
سنة ثمانى عشرة ومئتين، والقاضى بمصر هارون بن عبدالله الزهرى . فأخذه كيدر بذلك
فأجاب، وأخذ الشهود به فأجابوا . فمن وقف منهم سقطت شهادته . وأخذ بها الفقهاء والمحدثين
والمؤذنين . فكان الناس على ذلك من سنة ثمانى عشرة إلى أن قام المتوكل سنة الثنتين وثلاثين
ومئتين .

وتوفى المأمون بأرض الروم لسبع خلون من رجب سنة ثمانى عشرة ومئتين، وباع الناس أبا
إسحاق المعتصم . فورد كتابه إلى كيدر ببيعه، وأمره بإسقاط من فى الديوان من العرب، وقطع
أعطياتهم . ففعل ذلك كيدر .

حدثني ابن قديد قال : حدثني على بن أحمد بن سليمان قال : حدثني سعيد الهمداني
عن طلق بن السمح قال :

حدثنا نافع بن يزيد قال : قطع مروان بن محمد العطاء سنة ، ثم كتب إليهم كتابا يعتذر
إليهم ، فيه «إني إنما حبست عنكم العطاء فى السنة الماضية ، لعدو حضرني ، فاحتجت فيه إلى

(١) كذا فى ر ، والأصح أنه كتاب المأمون ، كما فى ن ، خ (١ : ٣١١) .

(٢) كذا فى خ . وفى ص : [بأن] يأخذ .

السيرة التاسعة عشرة من سيرة البيعة

أنبا مينا البطرك وهو السابع

والأربعون من العدد

(٧٦٧ / ٧٧٥)

أنه لواجب علينا الاستقصا والبحث عن جميع
سير البيعة كما كان ابهاتنا المتقدمون يفعلون. فأما
فيلون ويستس ويوسابوس من اليهود فانهم كتبوا
سيرة ما جرى بيروشلیم من أجل المسيح، والذي

المال، وقد وجهت إليكم بعتاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة. فكلُّو هنيئاً مريئاً، وأعوذ بالله
أن أكون أنا الذي يجرى الله قطع العطاء على يديه.

ولما قطع العطاء، خرج يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من لحم وجدام، قال: هذا الأمر
لا نقوم فى أفضل منه، لأنّه منعنا حقنا وفيتنا. واستمع إليه نحو من خمس مئة رجل. ومات
كيدر فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومئتين^(١).

٩٣. مظفر بن كيدر(*)

ثمّ وليها مظفر بن كيدر، باستخلاف أبيه له. فجعل على شرطه ذاه. وخرج مظفر بن
كيدر إلى يحيى بن الوزير، فقاتله فى بحيرة تيس. فأسر يحيى ابن الوزير، وتفرّق عنه أصحابه،
وذلك فى جمادى الأولى^(٢) سنة تسع عشرة. ثمّ صرّفت مصر إلى أبى جعفر أشناس، فدعى
له بها.

وحدثنى ابن قديد، عن أبى نصر بن صالح، عن أشياخه، قالوا: أوّل من أمر بالتكبير بعد
صلاة الجمعة مظفر بن كيدر. فولىها مظفر إلى شعبان سنة تسع عشرة^(٣).

(١) ن: فكانت ولايته على مصر سنتين وشهرين تنقص أياماً.

(*) الخطط ١، ٣١١، والنجوم ٢: ٢٢٩، وحسن الخاضرة ٢: ١٢.

(٢) غ (١: ٣١١)، ن (٢: ٢٢٩): جمادى الآخرة.

(٣) ن: وكانت ولاية المظفر على مصر نحواً من أربعة أشهر تخميناً.

كتب سير البيعه الارتدكسيه أفريقانوس،
وأوساييوس، وسوزمانوس وبعدهم أيضا مينا
الكاتب. هولا كتبوا ماجرى على البيعه إلى
ديسقرس الأب العظيم المعترف بالمسيح، وقايل
الحق الذى خلصنا من الطوفان الثانى ومن غرق
العمق الذى ليس له نهاية. ومن الستمايه وتلتين
النجتمعين يخلقدونيه ولاون الكافر صاحب روميه،
وهذا قد كتب لنا فى الثانى عشر سيره للبيعه

٩٤. موسى بن أبى العباس (*)

ثم وليها موسى بن أبى العباس، من قبل أبى جعفر أشناس، على صلاتها^(١)، مستهل
رمضان سنة تسع عشرة. فجعل على شرطه أخاه الحسن بن أبى العباس.
أخبرنى ابن قديد، عن يحيى بن عثمان، قال: كان المؤذنون على الزمان يؤذنون بين يدى
الإمام يوم الجمعة، من داخل المقصورة، فأول من أخرجهم منها موسى بن أبى العباس فى
ولايته على مصر.
فوليها موسى إلى ربيع الأول^(٢) سنة أربع وعشرين ومشتين. فكانت ولايته أربع سنين
وسبعة^(٣) أشهر.

٩٥. مالك بن كيلر (**)

ثم وليها مالك بن كيلر، من قبل أشناس، على صلاتها؛ قدمها يوم الاثنين لسبع بقين من

(*) الخطط ١: ٣١١، والنجوم ٢: ٢٣١، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.

(١) ن (٢: ٢٣٢)؛ وجمع له الخراج فى بعض الأحيان.

(٢) ن، خ (١: ٣١١)؛ ربيع الآخر.

(٣) كذا فى خ، ن، وهو الصحيح (من رمضان إلى ربيع الأول أو الثانى). وفى ر: وتسعة.

(**) الخطط ١: ٣١١، والنجوم ٢: ٢٣٩، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.

الذين ذكرنا اسماءهم لأنهم كانوا قد عنوا بهذا الأمر، وكذلك في كل جيل لم يدعنا الله هكذا الأرشيدياقن والد أيينا الأب القديس أبنا قسما بطرك اسكندريه الذى هو قريه، وأبا مقاره أيضا ومقاره الراهب، وبعدهما يوحنا [يونس] ابن أبا مويسيس أسقف وسيم.

وأنا الفقير الزمت من أبى الراهب بمنام رآه، لأنه كان شيخا قديسا، فتقدم إلى وأمرنى أن اكتب

شهر ربيع الأول^(١) سنة أربع وعشرين ومئتين. فجعل على شرطه ذاوه. فوليها مالك إلى يوم الأحد لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين، وقدم يومئذ خليفة على بن يحيى الأرمنى. وليها مالك سنتين وأحد عشر يوما. وتوفى مالك بن كيدر بالإسكندرية، يوم الأحد لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث ومئتين وثلاثين.

٩٦. على بن يحيى الأرمنى(*)

ثم وليها على بن يحيى الأرمنى، من قبل أشناس، على صلاتها؛ قدمها يومى الخميس لسبع^(٢) خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين ومئتين. فجعل على شرطه معاوية بن معاوية بن نعيم بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج. فوليها على بن يحيى إلى وفاة أبى إسحاق المعتصم، وكانت وفاته للنصف من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومئتين. وبويع أمير المؤمنين هارون الواثق بالله. فأقره عليها إلى يوم الخميس لسبع خلون من ذى الحجة سنة ثمان وعشرين ومئتين. وكانت ولايته عليها سنتين وثمانية أشهر^(٣).

(١) خـ (١: ٣١١)، ن (٢: ٢٣٩): ربيع الآخر.

(*) الخطط ١: ٣١٢، والنجوم ٢: ٢٤٥. وأسقط السيوطى الأرمنى فلم يذكره.

(٢) كذا فى خـ (١: ٣١٢)، ن (٢: ٢٤٥). وفى ر. لتسع.

(٣) خـ: وثلاثة أشهر. ن: فكانت ولاية على بن يحيى هذا على مصر سنتين وثمانية أشهر، وقيل: وثلاثة أشهر، والأول أصح.

سيره أبابى الطوبانيين، وما شاهدته ونقله لى قوم
ثقات. وكنت خادما لأبى أبا يوسف وعند رجله
أنام، وهو الأب الروحانى الذى طعن فى السن.
وكذلك الأب البطرك أبا شنودة، فسألت الرب
الكريم وقلت كما قال داود: يارب افتح شفتى
حتى أقص ما جرى على الأبا المغبوطين ربنا لمن
قراه وشجاعة لمن سمعه.

لما وصب [مرض] أبونا المغبوط أبنا خايل من

٩٧. عيسى بن منصور(*)

الثانية

فوليها عيسى بن منصور الثانية، من قبل أشناس، على صلاتها؛ دخلها يوم الجمعة لسبع
خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومئتين. فجعل على شرطه ابنه. وتوفي أشناس سنة ثلاثين
ومئتين، وجعل مكانه إيتاخ، فأقره عليها. وسجن عيسى بن منصور على بن يحيى الأرمنى
وضيق عليه ثم أطلقه. فوليها عيسى إلى وفاة الوائق.

وقدّمت بيعة المتوكل إلى مصر يوم الجمعة لثنى عشرة خلت من المحرم سنة ثلاث وثلاثين
ومئتين. فأقام عيسى عليها إلى يوم السبت للنصف من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومئتين.
فصرف عنها، وقدم يومئذ على بن مَهْرَوَيْه، خليفة هرثمة بن النضر. ثم مات عيسى بن
منصور فى قبة الهواء بعد عزله، لإحدى عشرة خلت من ربيع الأول^(١) سنة ثلاث وثلاثين
ومئتين^(٢).

(*) اخطط ١: ٣١٢، والنجوم ٢: ٢٥٥، وحسن المحاضرة ١٢.

(١) خـ (١: ٣١٢)، ن (٢: ٢٥٥): ربيع الآخر.

(٢) ن: فكانت ولايته على مصر أربع سنين وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً.

شيخوخته وتبيح بمجد وكرامه أصددو جسده عند
أجساد أبائه في اسكندرية في بيعة ماري مرقس
الإنجيلي بمجد وتعظيم، وبكى عليه جميع الشعب
وسالو من يقيم لهم بطركا بعده مدبرا مثله،
فاجتمعوا الجماعة والأببا الأساقفة لتقدمة من يختاره
الله الذي يعرف خفايا القلوب ويعطي النعمة
لمستحقيها، فذكر القس مينا الراهب بيعة القديس
أبي مقار، رجل يعجب الناس بقلبه وطريقته وكان

٩٨. هرثمة بن النضر الجبلي^(١)

ثم وليها هرثمة بن النضر الجبلي، من قبل إيتاخ، على صلاتها؛ قدمها يوم الاربعاء لست
خلون من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومئتين. فجعل على شرطه أبا قتيبة. وورد كتاب المتوكل
على هرثمة يأمر بترك الجدال في القرآن، يوم الجمعة خمس خلون من جمادى الآخرة سنة
أربع وثلاثين ومئتين. (ومات هرثمة، وهو وال، لسبع بقين من رجب سنة أربع^(٢))، واستخلف
ابنه حاتم ابن هرثمة^(٣).

٩٩. حاتم بن هرثمة بن النضر^(*)

ثم وليها حاتم بن هرثمة، باستخلاف أبيه، على صلاتها. فجعل على شرطه محمد بن
سويد. فوليا حاتم بن هرثمة، إلى يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة أربع وثلاثين
ومئتين، وليها شهرا واحدا^(٤).

(١) كذا في ر، خ، ن. وفي ص: الجبلي. ط (١٢٦٧: ٣): الختلي. وترجمته في الخطط ١: ٣١٢، والنجوم

٢٦٥: ٢، والسيوطي ١٢: ٢.

(٢) زيادة عن خ، وزادت ر عبارة «ومات هرثمة» فقط.

(٣) ن: وكانت ولاية هرثمة المذكور على مصر سنة واحدة وثلاثة أشهر وثمانية أيام.

(*) الخطط ١: ٣١٢، والنجوم ٢: ٢٧٤، وحسن المحاضرة ١٢: ٢.

(٤) ن (٢: ٢٣٤): فكانت ولاية حاتم هذا على مصر، من يوم مات أبوه، شهرا واحدا وثلاثة عشر يوما.

راهبا من صباه، وكان ولد الأب أنبا ميخايل وقيم
منشويته في دير أبي مقار، فقدم بتدبير الله بفرح
وانعم الله على بيعته بهذا الراعي المأمون [أنبا مينا]
الذى كان مع أنبا خايل يشاهد أعماله لكونه معه
من صباه.

فلما جلس على الكرسي الرسولي علم التعليم
الروحاني حتى أن كل أحد عجب من النعمة
الحالة عليه وحسن تعليمه، والرب الذى اصطفاه

١٠٠. على بن يحيى الأرمنى (*)

الثانية

ثم وليها على بن يحيى الأرمنى الثانية، من قبل إيتاخ، على صلاتها لست خلون من شهر
رمضان. فجعل على شرطه معاوية بن نعيم. ثم صُرف إيتاخ في المحرم سنة خمس وثلاثين،
واستُصِفَّت أمواله بمصر، وترك الدعاء له، ودعى للمنتصر مكانه.

وليها [حاتم] (١) إلى أن صُرف عنها في ذى القعدة (٢) سنة خمس وثلاثين ومائتين (٣).

١٠١. إسحاق بن يحيى بن معاذ (**)

ثم وليها إسحاق بن يحيى بن معاذ، من قبل المنتصر ولي عهد أبيه المتوكل على الله، على
صلاتها وخراجها، قدمها لإحدى عشرة خلت من ذى القعدة سنة خمس وثلاثين (٤). فجعل

(*) الخطط ١ : ٣١٢، والنجوم ٢ : ٢٧٨، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.

(١) زيادة ضرورية للسياق.

(٢) نحو (٣١٢/١)، ن (٢ : ٢٧٩) : ذى الحجة.

(٣) ن : فكانت ولايته على مصر في هذه المرة الثانية سنة واحدة وثلاثة أشهر تنقص أياما.

(**) الخطط ١ : ٣١٢، والنجوم ٢ : ٢٨٣، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.

(٤) ن : وقدم إلى مصر لإحدى عشرة خلت من ذى الحجة من سنة خمس وثلاثين ومئتين المذكورة. وقال
صاحب البغية والاحتياط : إنه وصل إلى مصر لإحدى عشرة خلت من ذى القعدة.

جعل للبيعه نمو وحفظاً في جميع أعمالها حتى
نسو الناس جميع ما جرى عليهم في أيام أنبا خايل
المتنيح ودامت السلامه في البيعه.

فأقام الشيطان مبغض الخير تجربته على الأب
المغبوط فتكلم الشيطان على لسان إنسان جعله له
مسكناً، وكان شماساً راهباً اسمه بطرس، أن
يتكلم في قلبه بالعظايم عن أنبا مينا والأساقفه
الذين في كرسيه، وكان هذا الشماس من قرية

على شرطه الهياجى، وجعل على المظالم عيسى ابن لهيعة بن عيسى الحضرمى. وورد كتاب
المتوكل والمنتصر إلى إسحاق [ياخراج الطالبين من مصر إلى العراق، فأخرجوا] (١)، وفرق
فيهم (٢) الأموال ليتحملو بها، فأعطى كل واحد منهم ثلاثين ديناراً، والمرأة خمسة عشر
ديناراً. وفُرقت فيهم الثياب. ثم خرجوا من القسطنطينية يوم الاثنين لعشر خلون من رجب سنة
ست وثلاثين ومئتين. فقدموا إلى العراق، وأمروا بالخروج إلى المدينة في شوال سنة ست
وثلاثين.

فوليها إسحاق بن يحيى إلى ذى القعدة سنة ست وثلاثين ومئتين (٣) [ومات إسحاق. بعد
عزله، أول ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومئتين] (٤). قال الشاعر (٥):

سَقَى اللهُ مَا بَيْنَ الْمُقْطَمِ وَالصَّافَا صَفَا النَّيْلِ صَوْبَ الْمَزْنِ حِينَ يَصُوبُ (٦)

(١) زيادة في ر عن خـ (١ : ٣١٢)، ومثلها في ن (٢ : ٢٨٣).

(٢) كذا في خـ (٢ : ٣٣٩). وفي ر: وفرض.

(٣) ن: فكانت ولاية إسحاق على مصر سنة واحدة تنقص عشرين يوماً.

(٤) زيادة عن خـ، تمهد للأبيات.

(٥) ن: بعض شعراء البصرة.

(٦) الصوب: المطر. والمزن: السحاب ذو الماء. ويصوب: ينصب.

تسمى دسيمه، وكان هذا الراهب ولدا لأبنا خايل
المتيخ تربي في قلايته، وطرح مبغض الخير في
قلبه أن يطلب اسقفية وليس هو مستحقها من أبينا
أبنا مينا فقال له الأب كما قال بطرس السليح
لسيمون الساحر: أن ليس له معنا نصيب . فلم
يصبر فركب المراكب ومضى إلى الشام فلما وصل
إلى هناك عمل كتبا مزوره عن أبنا مينا إلى بطرك
السريان أبنا جرجه بطرك انطاكية وأساقفته
ومطارنته يقول في الكتب: ان البيعه بمصر قد

وَمَا بِي أَنْ أَسْقِيَ الْبِلَادَ وَأَنْمَأَ أَحَارُلُ أَنْ يُسْقَى هُنَاكَ حَسِيبُ^(١)
فَإِنْ تَكُ يَا إِسْحَاقُ غَبْتُ فَلَمْ تَوْبُ إِلَيْنَا وَسَفَرُ الْمَوْتِ لَيْسَ يَرْوُبُ
فَلَا يَبْعَدُكَ اللَّهُ سَاكِنَ حُفْرَةٍ بِمِصْرَ عَلَيْهَا جَنْدَلٌ وَجَبُوبُ^(٢)

حدثني ابن قديد، عن يحيى بن^(٣) عثمان، عن هارون بن سعيد، قال: كان الناس قد
تحدثوا أن إسحاق بن يحيى عزم أن يثور بمصر، فدخلت عليه، فقال: أبلغك أنه من أراد مصر
بسوء أكبه الله لنخريه؟ فقلت: قد روى. قال: فلم يلبث إلا يسيراً حتى عُزل، ومات بها بعد
عزله.

١٠٢. خوط عبد الواحد بن يحيى(*)

ثم وليها خوط عبد الواحد بن يحيى، من قبل المنتصر^(٤)، على صلاتها وخراجها؛ قدمها

(١) ن: وما بى أن يسقى البلاد وإنما مرادى.

(٢) السفر، المسافرون. والجبوب: التراب، أو الأرض الصلبة من الصخر، أو الأرض عامة سميت بذلك لأنها
تجب أى تحفر أو تجب من يدفن فيها أى تقطعه، ومنه قيل جبان وجبانة للأرض التى يدفن فيها الموتى.
وفى ر: جنوب، ولا معنى لها هنا.

(٣) كذا فى ر. وفى ص: عن، تحريف.

(*) الخطط ١: ٣١٢، والنجوم ٢: ٢٨٨، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.

(٤) كذا فى ر. وفى ص: المنصور، خطأ.

جرى عليها تعب عظيم واضطهاد وشدة من
الولاه، وكان عارفا بمكاتبة البطاركة والمطارنه
والأساقفه. فلما وقف بطرك انطاكيه على الكتب
قبله بفرح عظيم لقوله أنه رسول أخيه بطرك
اسكندريه وجمع له مالا ودفع له كتباً إلى ساير
مطارنته وأساقفته ليجمعوه ويكرموه باجتهد
عظيم لفعله معه. فلما حصل له ما يستعين به على
فعله الردى وما يتوصل به إلى الملوك، فمشى معه
مبغض الخير، وبعد أيام وصل إلى مدينة الملك وبدا

يوم الاربعاء لسبع بقين^(١) من ذى القعدة سنة ست وثلاثين. فجعل على شرطه محمد بن
سليمان بن غالب بن جبريل البجلي. ثم صُرفَ خوط عن خراجها يوم الثلاثاء لسبع^(٢)
خلون من صفر سنة سبع وثلاثين، وأقر على الصلاة.

ورود كتاب المتوكل والمنتصر يوم الاربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة سبع وثلاثين
ومنتين، بأخذ^(٣) بنى عبدالحكم، وزكرياء كاتب العمرى، وحمزة بن المغيرة، ويزيد بن سنان،
في أموال الجروى، فحبسوا فيها مع اللصوص، وتبعت أموالهم، ونهبت منازلهم. وقدم يزيد
التركى ليلة الاربعاء لليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وثلاثين فى طلب أموال الجروى،
وأخذها ممن هى عنده، وقدم معه عبدالله بن على بن عبدالعزيز الجروى. فأطلق يزيد التركى
محمد بن أبى الليث القاضى من السجن، وأمره بالحكم على بنى عبدالحكم. فحكم عليهم
بألف ألف وأربعة آلاف دينار، وعلى زكرياء بثمانية آلاف دينار، وذلك يوم السبت لثمان خلون
من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين. ورفع القضية إلى يزيد التركى. فألزم بنى عبدالحكم
وزكرياء بالمال. وحكم على محمد بن هلال، ويزيد بن سنان، وحمزة بن المغيرة. ونودى فى
الناس: من كتم شيئاً من أموال الجروى حلّ به وحلّ. فالتوى بنو عبدالحكم، فأخذ يزيد

(١) خـ (١: ٣١٢): لتسع. ومثله فى ن (٢٨٨/٢).

(٢) وكلنا فى ن. خـ: لتسع.

(٣) ر: فأخذ.

يكتب قصص في البطرك أنبا مينا وقلبه مملو حنقا
ومكرا ويقول فيها: أن بيت مال الملك خال من
المال مع حاجته للنفقة للأجناد وتدير المملكة،
وبمصر إنسان بطرك كبير في النصارى يعرف
بعمل كيميا الذهب وفضه اللاتى يقدمون فيهن
القرايين، وأنت أيها الملك السيد مستحق أن تكون
فى خزانتك هولا الآلات العظيمات اللاتى هى فى
كنائس مصر من الذهب اللاتى يعلمون فيهن ما
لا يرضى الله. فلما كتب هذا النجس هذه القصه

عبدالحكم بن عبدالله بن عبدالحكم فعليه، فمات فى عذابه يوم الأحد لأربع بقين من جمادى
الأولى سنة سبع وثلاثين. وتبع الناس وطولبوا. وورد كتاب المتوكل بإطلاقهم فى رجب سنة
سبع فأطلقهم خوط.

فوليها إلى سلخ صفر سنة ثمان وثلاثين ومئتين. وقدم خليفة عنيسة على صلاتها، والشركة
فى الخراج، مستهل ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين^(١).

١٠٢. عنيسة بن إسحاق الضبى(*)

ثم وليها عنيسة بن إسحاق، من قبل المنتصر، على صلاتها. وجعل شريكاً لأحمد بن خالد
صاحب الخراج، قدمها يوم السبت خمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومئتين.
فجعل على شرطه أبا أحمد القمى محمد بن عبدالله. وأخذ عنيسة العمال برء المظالم،
وأقامهم للناس. وأنصف منهم. وظهر^(٢) بالخوف من العدل ما لم يسمع بمثله فى زمانه.
وكان يروح إلى المسجد ماشياً من العسكر. وكان ينادى فى شهر رمضان بالسحور. وكان
مشهوراً بمذهب الخوارج. قال يحيى بن الفضل^(٣):

(١) ن: فكانت ولايته على مصر سنة واحدة وثلاثة أشهر وسبعة أيام.

(*) الخطط ١: ٣١٢، والنجوم ٢: ٢٩٣، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.

(٢) قال ر: لعله: أظهر، كما فى الخطط (٢: ٣١٢).

(٣) خ: (١: ٢١٤): يحيى بن الفضل.

وقف ينتظر يوما يجد فيه الوسيلة لدفعها، ودفع
لكل حاشية الملك مصانعات برطيل حتى يقدموه،
وفعل له الشيطان كما يعمل غواصه واتباعه عجبا
عظيما، مثل ما عملت المرأة العرافة في إقامة
صمويل النبي من القبر لشاول، وحاشا صمويل من
هذا التشبيه، ولكن عرفناكم ما يفعل الشيطان في
كل زمان من التشبيه والخيالات.

وكان في ذلك الزمان أبو جعفر عبد الله ابن

من فَتَى يُبْلِغُ الْإِمَامَ كِتَابًا
بِئْسَ وَاللَّهِ مَا صَنَعْتَ إِلَيْنَا
خَارِجِيًّا يَدِينُ بِالسَّيْفِ فِينَا
مَرَّيْمَشِي إِلَى الصَّلَاةِ نَهَارًا
عَرَبِيًّا وَيَقْضِيهِ الْجَوَابَا
حِينَ وَلَيْتَنَا أَمِيرًا مُصَابَا
وَيَرَى قَتَلْنَا جَمِيعًا صَوَابَا
وَيُنَادِي السَّحُورَ ضَلَّ (١) وَخَابَا

وفي ولايته نزلت الروم دمياط يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومئتين، فملكوها وما فيها، وقتلو
بها جمعا كثيرا من المسلمين، وسبى (٢) النساء والأطفال وأهل الدمة. فنفر إليهم عنبسة بن
إسحاق يوم النحر (٣) في جيشه، ونفر كثير من الناس إليهم، فلم يدركوهم. ومضى الروم إلى
تنيس، فأقاموا بأشترهمها، فلم يتبعهم عنبسة. فقال (٤) يحيى بن الفضل (٥) للمتوكل:

أَتَرْضَى بَأَن تَوَطَّا حَسْرِيْمَكَ عَنَوَةً وَأَنْ يَسْتَبَاحَ الْمُسْلِمُونَ وَيُحَرِّبُوا (٦)

(١) ر: ظل تصحيف.

(٢) خ: (٢١٤: ١)، ن: (٢٩٤: ٢): وسبوا.

(٣) كذا في خ: ن. وفي ر: فغشى، وهي غير متسقة مع السياق.

(٤) كذا في خ: وفي ر: قال.

(٥) خ: الفضيل.

(٦) حربه: سلبه ماله.

أخى أبى مسلم، وهو الذى قدمنا ذكره فى السيره
التامنه عشره للبيعه^(*)، وهو أول من ملك
(*) أنظر ص ٥٠٦ وما بعدها.

خراسان، وكان قد تزوج بامرأه ذى عفاف وهو فى
حران قبل مملكته، فلما ملك سكن دمشق، وكانت
هذه المرأة خايفه من الله جليلة القدر فى سبطها
وجنسها، وكانت قد استحلقت عند تزويجها له أنه
لا يتزوج غيرها عليها لكى تحفظ ناموس الله،
فلما تزوجها لم يعطه الله ولدا عدة سنين، وبعد

حمار أتى^(١) دمياط والرّوم وثب^(٢)
مقيمون بالأشتوم يغنون مثل ما
فلا تنسنا إنا بدار مضيعه
بتنيس منه رأى عين وأقرب
أصابوه من دمياط والحرب ترتب^(٣)
بمصر وأن الدين قد كاد يذهب

فأمر المتوكل بابتناء حصن دمياط، فابتدىء فى بنائه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر
رمضان سنة تسع وثلاثين ومئتين.

وأفرد عبسة باخراج مع الصلاة. وأمر عبسة بابتناء المصلى الجديد، وذلك أن المصلى
القديم ضاق بالناس، فابتدأ فى بنائه يومى الثلاثاء لعشر بقين من شهر رمضان سنة أربعين
ومئتين. فصلى فيه يوم النحر سنة أربعين ومئتين.

ثم صرف عبسة عن اخراج لمستهل جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين ومئتين، وأفرد
بالصلاة.

وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان فى ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين، فدعى له.

(١) مكان الكلمتين بياض فى ص، وأكملها ر عن خـ.

(٢) كذا فى ر عن خـ. وفى ص: زينت.

(٣) ترتب: مقيمة ثابتة.

ذلك نظرت مناما وشخصا يقول لها: أحضري
أسحق أسقف حران حتى يصلى عليك فإن الله
يقبل صلاته بسببك ويعطيك ولدا ففعلت ذلك
بأمانه وجعلت لعبد الله زوجها أن ينفذ يحضر
الأسقف. وقبل وصوله رأت مناما تانيا شخصا
يقول لها قد سمع الله طلبتك وتمم أراذك
بصلوات الأسقف أسحق، فلما وصل صلى عليها
وباركها فحبلت وولدت ولدين. ومن أجل ذلك
كان الأسقف عندها فى منزلة عظيمة. فلما ملك

وكان عبسة آخر من وليها من العرب، وآخر أمير صلى بالناس فى المسجد الجامع. فوليها
إلى مستهل رجب سنة اثنتين وأربعين ومئتين. فقدم العباس ابن عبد الله بن دينار خليفة يزيد بن
عبد الله، بولاية يزيد عليها. وليها عبسة أربع سنين وأربعة أشهر. وخرج منها إلى العراق فى
شهر رمضان سنة أربع وأربعين.

١٠٤. يزيد بن عبد الله التركى (*)

فوليها يزيد بن عبد الله، من قبل المنتصر ولّى عهد أبيه، على صلاتها، قدمها يوم الاثنين
لعشر بقين من رجب سنة اثنتين وأربعين ومئتين. فجعل على شرطه ابنه خالد، وجعل خالد
عليها على بن إسحاق المؤنسى. ثم ولّى على الشرطة يحيى بن أحمد بن عبد الله بن دينار.
فأمر يزيد بن عبد الله حين قدمها [ياخراج] ^(١) المؤنثين من مصر وضربهم ونفيهم،
و[أن] ^(٢) يطاف بهم. ومنع من النداء على الجنائر وضرب فيه.
وأمر بالختارين فجعلوا فى الكور، وهو أول من جعلهم [فيها] ^(٣). وأمر يزيد بضرب رجل

(*) الخطط ٣١٢: ١، والنجوم ٣٠٨: ٢، وحسن المحاضرة ١٢: ٢.

(١) زيادة فى ر عن خ (٣١٢: ١)، ن (٣٠٨: ٢).

(٢) زيادة فى ر. (٣) زيادة فى ر.

عبد الله سألَه الأب الأسقف أسحق أن يعطيه على
بطركية انطاكية والمشرق ففعل له ذلك، وكان
ذلك سبب سقوطه بخلافه القوانين. ولما لم يصبر
الله عليه أن يدعه على الكرسي كما قال الإنجيل
المقدس: هو ذا الفأس موضوع على أصول الشجر،
فكل شجره لا تثمر ثمرة صالحة تقطع وتلقى في
النار^(*). كذلك حل بهذا أسحق لما جهل وخالف
شريعة الله وجلس بطركاً بيد السلطان وتعدى
وصايا آبائه قطع الله حياته من على الأرض فمات

(*) لوقا: اصحاح ٣ / ٩

متى: اصحاح ٣ / ١٠

من الجند في شيء وجب عليه، فضربه عشرة. فاستحلف يزيد بحق الحسن والحسين إلا عفا
عنه، فزاده ثلاثين درّة، ورفع ذلك صاحب البريد إلى المتوكل. فورد كتاب المتوكل على يزيد
بضرب ذلك الجندى مئة سوط، فضربها وحمل الجندى إلى العراق لثمان خلون من شوال
سنة ثلاث وأربعين.

وخرج يزيد بن عبدالله إلى دمياط مُرابطاً في المحرم سنة خمس وأربعين. ورجع إلى
الفسطاط في ربيع الأول. فلما كان بينها بلغه أن الروم نزلوا القرم^(١)، فرجع في جيشه إلى
القرم، فلم يلقهم.

وأمر يزيد في شوال ببيع الخيل التي تُتخذ للسلطان، وعطل الرّهان، فلم تجر إلى سنة تسع
وأربعين. وتبع يزيد بن عبدالله الروافض، فحملهم إلى العراق. وورد كتاب المتوكل بابتناء^(٢)
المقياس الهاشمي للنيل، وبغزل النصارى عن قياسه. فجعل يزيد عليها^(٣) أبا الرّدّاد المَعْلَم،
وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخراج سبعة دنائير، وذلك في سنة سبع وأربعين
ومئتين.

(١) وكذا في خـ. وفي ن: دمياط.

(٢) بالهامش بخط غير النسخ: «أى بإتمام بنائه، إذ من المقرر أن المأمون هو الذى أسسه، ولم يتمه».

(٣) لعله يريد بالضمير (ها) عملية البناء.



ناوس على قبر طفل من الحجر الجيري.
فن قبطي

عاجلاً قبل كمال السنه، وجلس على الكرسي
إنسان آخر اسمه اثناسيوس غصبا في يوم وفاة
أسحق فمات أيضا ليلته كما ذكر في [السيرة]
الثامن عشر [وجلس آخر اسمه انبا جرجه].

فلما كبر الولدان اللذان لعبد الله من المراه
العفيفه الخيره المذكوره أنفا مات أحدهما فحزن
الملك عليه حزنا عظيما وحزنت امه وجماعة أهل
القصر وأصابهم عليه حزن شديد وأمر عظيم،

وظهر يزيد في شعبان سنة ثمان وأربعين على رجل، يقال له محمد بن علي [ابن
الحسن]^(١) بن علي بن الحسين [ابن علي]^(٢) بن أبي طالب يعرف بأبي حفص، بوبع له.
فبعث يزيد إلى الموضع الذي كان فيه [فأحرقه]^(٣)، فأخذه، وأقر [علي]^(٤) جمع من الناس
بإيعوه. فأخذ بعضهم، فضربوه بالسياط. ثم أخرج العلوي^(٥) هو وجمع من آل أبي طالب إلى
العراق في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين.

وتوفي المتوكل ليلة الخميس خمس خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومئتين، وبوبع
محمد المنتصر. وتوفي الفتح بن خاقان، وأقر المنتصر يزيد بن عبدالله عليها. ثم ورد كتاب
المنتصر [بأن لا يقبل علوي]^(٦) ضيعة، ولا يركب فرسا، ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف
من أطرافها، وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد، ومن^(٧) كانت بينه وبين أحد من
الطالبين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة. وكتب المنتصر إلى
العمال بذلك.

(١) زيادة عن خـ (٢: ٣٣٩).

(٢) كذا في خـ (٢: ٢٣٩). وفي ر: بالعلوي.

(٣) كذا في ر عن خـ (٢: ٣٣٩). وفي ص ثلاث كلمات محوطة لا تقرأ.

(٤) كذا في خـ (٢: ٣٣٩). وفي ر: وان.

وكانو أهل القصر يعلمون محبة أمه له حتى أنها
لم تسكت ساعه من البكا عليه ليلا ونهارا، والملك
فى حزن عظيم.

وكان وفاة الصبى ابن الملك قبل وصول
الشماس بطرس الغير مستحق لهذا الاسم، فخرج
الملك ذات يوم من القصر وعسكره حول المدينة
ليتسلى عن ولده كعادة الناس والملوك فتطلع ونظر
بطرس الغير مستحق قد جعله الشيطان فى عينه

وتوفى المنتصر فى ربيع الآخر^(١) سنة ثمان وأربعين وميتين. وبويع المستعين فى ربيع الآخر.
وررد الكتاب إلى مصر بذلك يوم السبت لست بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين. وورد
كتاب المستعين إلى يزيد بن عبدالله، يأمره [أن]^(٢) يستقى الناس لقحط كان بالعراق. وكتب
بذلك إلى الآفاق. فخرج الناس معه يوم الاربعاء لسبع عشرة خلت من ذى القعدة سنة ثمان
وأربعين فاستسقوا، واستسقى أهل الآفاق فى يوم واحد.

وأخرج يزيد ستة رجال من الطالبين إلى العراق فى شهر رمضان سنة خمسين وميتين، ثم
أخرج ثمانية^(٣) منهم فى رجب سنة إحدى^(٤) وخمسين.

وعزل المؤنسى عن الشرط فى رجب سنة إحدى وخمسين، وولى محمد ابن إسنديار.
وغُلِعَ المستعين فى الحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وبويع المعتز خمس خلون من المحرم.
وكانت بيعته بمصر يوم الأحد لثلاث خلون من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين.
وأخرج جابر بن الوليد المدلجى، من بنى الهُجيم بن عَشْوَرة بن عمرو ابن مُدَلج، بأرض

(١) كذا فى خـ (٣٣٩: ٢)، ط (١٤٩٥: ٣)، ث (٧٤: ٧). وفى ر: ربيع الأول، خطأ.

(٢) زيادة عن ر.

(٣) كذا فى خـ (٣٣٩: ٢). وفى ر: بشمانية.

(٤) كذا فى خـ (٣٣٩: ٢). وفى ر: خمس. وهو خطأ، لأن يزيد عزل سنة ثلاث وخمسين وميتين.

يشبه صورة ولده الميت حتى كأنه أياه لم يعجز
[ينقص] من صورته شيا بالجمله حتى شعر رأسه،
فلما رآه الملك استدعاه بفرح وعانقه وقبل فاه
وعينيه كأنه ولده حقيقا، ومن فرط فرحه عاد إلى
القصر ودخل إلى زوجته سرعه وقال لها: إذا رأيت
شبه ولدك حيا تتخلين عن هذا البكا والحزن.
فقالت: ومن اين لى هذا ؟ حينذ أمر الملك ان
يدخل لها بالشماس الذى قد سكن فيه الشيطان
وجعله فى عينها كهيئة ولدها سوا، فلما رآته

الإسكندرية فى ربيع الآخر سنة اثنى وخمسين. واجتمع إليه جمع كثير من بنى مدلج
الصلبية^(١)، والموالى. فبلغ ذلك والى الإسكندرية محمد بن عبيدالله^(٢) بن يزيد بن مزيد
الشييبانى، فبعث إليه برجل من أصحابه يقال له نصر الطحاوى. وعقد له على ثلاث مئة
رجل، فنزلو الكريون وسأل^(٣) عن جابر وأصحابه، فأخبر بأنهم بأرض «صا»^(٤). فزحف
إليهم. فقاتلهم جابر. فرجع نصر إلى جنبيه^(٥) فنزلها. وأتاهم جابر إليها. فحاربهم، فهزمهم
أيضا وبعث نصر إلى الإسكندرية يسأل المدد. ففرض محمد بن عبيدالله فروضا، وبعث عليهم
برد بن عبدالله وأبا العواء، وهو مقيم بالكريون. فساروا جميعا إلى دسونس^(٦). فأتاهم جابر
فقاتلهم قتالا شديدا. فانهزم نصر وبرد، وظفر جابر بعسكرهم وجميع ما فيه. ورجع الفل إلى
الإسكندرية فتحصنوا بها.

وقوى أمر جابر بن الوليد، وأتاه الناس من كل ناحية، وضوى إليه كل من يومى إليه بشدة

(١) الصلبة: أى الخلفاء الذين من القبيلة نفسها لا من موالىها.

(٢) كذا فى ر عن خ (٣٣٩: ٢)، وفى ص هنا فقط: عبدالله.

(٣) كذا فى ر. وفى ص: فعال. تحريف.

(٤) خ (٣٣٩: ٢): لصا. و صا: من مدن الغرية.

(٥) جنوبية: من مركز إنياء البارود من مديرية البحيرة.

(٦) دسونس: قرية بالبحيرة.

قامت مسرعة واستقبلته مستبشرة وظنت أنه ولدها، واعظم من هذا أن الشيطان أزال الحزن من قلبها على ولدها، فأقام عندهما في القصر عدة شهور ينظران وجهه ويتسليان به، ورزقه الله عندهما نعمة، حتى أن الملك قال له: أن كان لك حاجة عرفني بها لأقضيها لك. فعرفه ما قد بدينا بذكره، وبعد ثلاثة شهور سأل الملك أن ينفذه إلى مصر وأن يكتب له بإصلاحه بطركا على مصر، وأن يسلطه على أنبا مينا البطرك وأساقفته ليعمل

ولجدة. فكان ممن أتاه عبدالله المريسى، وكان رجلاً خبيثاً. ولحق به جريج النصراني الحارسي، وكان من سراير النصارى. ولحق به أبو حرملة النوبى^(١)، وكان رجلاً فاتكاً. فعقد له جابر على ستهور وسخاً وشرقيون وبنّا. فمضى أبو حرملة في جيش عظيم، فضم هذه الأعمال، وأخرج منها العمال، وجبى خراجها. ولحق به عبدالله بن أحمد ابن محمد^(٢) بن إسماعيل بن محمد بن عبدالله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(٣)، الذي يقال له ابن الأرقط. فقوده^(٤) أبو حرملة، وضم إليه كثيراً من الأعراب ووجوه أصحابه، وضم إليه ابن^(٥) عسامة المعافى، وولاه بنّا وبوصير وسمنود. وأبو حرملة مقيم بشرقيون.

فبعث يزيد بن عبدالله بأبي أحمد محمد بن عبدالله الدبراني في جمع كثير من الأتراك، فنزل بدمسيس^(٦) في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين ومائتين. وبعث رجلاً من الترك

(١) نخ (٣٣٩، ٢): أبو حرملة فرج النوبى، ولعله الذى مضى ذكره.

(٢) كذا فى ر عن نخ (٣٣٩: ٢)، وعملة الطالب (٢٤٣). وفى ص: محمود.

(٣) كذا فى ر، وقال: «فى الأصل: طباطبا. وهو غلط، والأرقط هو عبدالله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فى قول ابن خلدون (٤: ١١٤)».

(٤) قوده: جعله قائداً.

(٥) زيادة ضرورية عن ر.

(٦) دمسيس: كانت واقعة على شاطئ النيل الغربى تجاه منية دمسيس بالدقهلية، ومحلها كفر شبرا اليمن بمركز زفتى. وكذا هى فى ر. وفى ص: بمسيس.

فيهم ما يحب. فكتب له سجلاً إلى والى مصر فى ذلك الزمان وكان اسمه ابن عبدالرحمن يفعل له ما يأمر به. ثم أمر أن تعمل له قلنسوة من ثوب جليل ليس له قيمة [لا يقدر بثمن] عليها بالقلم العربى اسمه وهو: هذا بطرس بطرك مصر. وكتب أيضاً اسم الملك معه عليها، فقال من جهله بعد أن قدم اسمه وعبد الملك.

فلما وصل إلى مصر دفع الكتب للوالى فلما

يقال له غلبك، ومعه محمد بن العباس بن مسلم بن السراج^(١). فلقى عبدالله بن الأرقط فيما بين بوصير وبنا. فقتل ابن الأرقط من أصحاب غلبك نحواً من عشرين رجلاً. وثبت غلبك ومحمد ريش، فقاتلاه فهزمناه مسلخ جمادى الآخرة. وقتل من أصحاب ابن الأرقط مقتلة عظيمة، وأسر منهم كثير. فبعث الدبرائى بالأسرى والرؤوس إلى الفسطاط. ومضى ابن الأرقط إلى شريقون، فلحق بأبى حرملة.

ونزل الدبرائى مدينة بنا، وترك عسكره فيما بين بنا وسمنود. وأقبل أبو حرملة ومعه ابن الأرقط قاصداً من شريقون إلى بنا. وبعث أبو حرملة بكمين له، فهجموا على عسكر الدبرائى مع المغرب. فحمل عليهم أصحاب الدبرائى، فانهزم أبو حرملة ومن معه إلى شريقون. ومضى الدبرائى فنزل سندفا، وضربها بالنار، ونهب أهلها. وانهزم أبو حرملة فيمن معه. وتشاغل أصحاب الدبرائى بالنهب، فكرر أبو حرملة فقتل أبا حامد الدبرائى. ورجع أصحاب الدبرائى إلى سندفا.

وبعث من العراق^(٢)، بمزاحم بن خاقان، معينا ليزيد بن عبدالله. فقدمها فى جيش كثير يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة الثنتين وخمسين ومئتين. فبعث برسل من

(١) ر: السراج، وصبو الجيم.

(٢) كذا فى ر عن خ (٢: ٣٣٩). وفى ص: العدوا.

وقف عليها انفذ احضر البطرك القديس أنبا مينا
وجماعته، فلما وصلت الرسل إلى ثغر اسكندريه
وأعلمو البطرق ما جرى حزن وصرخ إلى الرب
من عمق قلبه وقال: يارب أخرجني من هذا الفخ
الذى اخفى لى لأنك أنت الهى لا تسلمنى إلى
المضطهدين لى لأنه قام على شهود الزور، وهوذا
عيناك يارب على خائفين المتوكلين على رحمتك
لتخلص نفوسهم من الموت . ولم يفتر من الصلاة
والبكا ليله أجمع إلى الغداه، فحضرو الرسل

أصحابه إلى جابر بن الوليد، يأمره بالرجوع إلى طاعة السلطان. فاحتبس رسله أياماً ثم أجازهم
بجوائز عظيمة وردّهم. وقَدَمَ وأخَرُ^(١) فى كتابه، ولم يُجَمِّع على امر واحد.

ومضى الدبرانى فى طلب أبى حرملة لمستهلّ شعبان. فالتقى مع أبى حرملة بسمنود.
فانهزم أبو حرملة، وعاد إلى شريقيون ثم رجع إلى سندفا. وأتاه الدبرانى بسندفا فواقعه. ففترق
عن أبى حرملة أكثر أصحابه، ولحقوا بجابر بن الوليد. وبعث ابن عسّامة ابنه يطلب الأمان.
فأمنه يزيد، فقدم الفسطاط، ولبس السواد. وبعث الدبرانى برأس نصر بن حكيمة، وبرأس أبى
هانى. وعاد الدبرانى إلى محاربة أبى حرملة. فأسر أبو حرملة ثم أدخل به الفسطاط، وجمع
كثير من الأسرى، فى شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين ومئتين. وأوقع^(٢) سلتق التركى بمن
فى صا وشبّاس^(٣) من أصحاب جابر، فقتلهم ونفاهم عن تلك البلاد. ثم أستاذن عبدالله بن
أحمد بن الأرقط العلوى، وأومن^(٤) فى شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين، ودخل إلى مزاحم.
فبعث به مزاحم إلى عرق صاحب البُرد، فكان عنده. ثم أمر مزاحم بإخراجه فى جمع معه
إلى العراق. فأخرج بهم لمستهلّ ربيع الأوّل سنة ثلاث وخمسين، مع أخى مزاحم. فهرب
عبدالله بن الأرقط. ورجع أخو مزاحم لسبع خلون من ربيع الأوّل. ثم ظفر به بعد ذلك

(١) ر: وأخذ. ولا معنى لها.

(٢) ر: وواقع.

(٣) شبّاس: قرية قرب الإسكندرية، وقيل إنها من الحوف الغربى.

(٤) كذا فى ر. وفى ص: وأوس.

واقلقوه إلى المسير فقام وقال بقلب منشرح: يارب
أجعلني مستحقاً أن اتعب منجل [من اجل] اسمك
فإنك وحدك رجاءى، يارب يا إلهى فلاجل ذلك لا
أخاف ماذا يفعل بى الإنسان. وكان يقول هذا من
اسكندريه حتى وصل إلى فسطاط مصر، فأعلموا
الوالى بوصوليه فأمر أن يحضر بين يديه، فلما نظر
إليه فرح لأنه كان يحب النصرانى، ويراعى الأب
القديس أنبا خايل البطرك المتبحر فقال للأب أنبا
مينا: أن ينالك منى كل خير كما كنت أفعل مع

فحبس، ثم حمل^(١) بكتاب ورد على أحمد بن طولون فى صفر سنة خمس وخمسين ومئتين.
وخرج [ابن] عزير بالحواف، فخرج إليه مزاحم بن خاقان، لمستهل ربيع الأول سنة
ثلاث وخمسين. ثم ورد كتاب المعتز^(٢)، بصرف يزيد بن عبدالله عنها. فكانت ولايته عليها
عشر سنين وسبعة أشهر وعشرة أيام. وخرج يزيد عنها يومى الاثنين لثلاث عشرة خلت من
شوال سنة خمس وخمسين ومائتين.

١٠٥. مزاحم بن خاقان (*)

ثم وليها مزاحم بن خاقان لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومئتين، وليها
من قبل المعتز، على صلاتها. فجعل على شرطه أزجور^(٤)، واستخلف ابن إسبنديار.
وعقد مزاحم ليزيد بن عبدالله فى طلب جابر بن الوليد. فخرج يزيد فى طلبه إلى ناحية
الإسكندرية، وجابر يومئذ مقيم بتروجة. وأقام يزيد بالشراك^(٥)، وسار مزاحم بالحواف الشرقى

(١) أى حمل إلى العراق (خـ: ٢: ٣٣٩).

(٢) زيادة فى ر.

(٣) ر: نصر. والخليفة إذ ذاك هو المعتز.

(*) المخطوط ١: ٣١٢، والنجوم ٢: ٣٣٧، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.

(٤) ط (٣: ١٩٣٠)، ث (٧: ٢١٤، ٢٢٧): أرخوز. خـ: أرخوز.

(٥) الشراك: قرية من أعمال البحيرة.

البطرك الذى مات قبلك، لكن قد وصل أمر الملك
بأن تطيع الواصل به وهو على دينك ومذهبك ولا
تخالفه فيما يأمر بك به. فتطلع الشجاع الذى لا
يخاف هيبة ملوك الأرض المتكلم بالحق أنبا مينا فى
وجه يودس الجديد، اعنى بطرس الشماس الذى
وثق به السلطان وظن أنه قد أعطى سلطان
البطركيه فقال له: نعم ما قال فيك الإنجيل
الصادق، «لا يأخذ أحد كرامه من ذاته الا أن
تعطى من السما من عند الله» ولكن اسمع ما

لقتال عمال ابن عزيز وابن ضوء ومن معهما. ومات أبو حرمة فى السجن يوم الأحد لأربع
بقين من ربيع الآخر، وصلب بالمصلى. وقدم مزاحم بن خاقان من الخوف بابن عزيز وابن ضوء
وبمئة رجل من الأسرى، يوم الأحد لعشر خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين.

وعسكر مزاحم بن خاقان يوم السبت للنصف من جمادى الأولى بالجيزة، وتوجه سائراً إلى
جابر. فلقية بتروجة، فهرب جابر، وأسر جمع كثير من أصحابه. ومضى جابر إلى نهيا من
أرض الجيزة لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة. فخرج إليهم أزجور فحاربهم، فظفر منهم
بأربعين رجلاً. ومضى جابر إلى الفيوم، فنزل البطس^(١). وواقع الأعراب بتهمت، فقتل كثيراً
منهم. ورجع مزاحم بن خاقان فى إثره، فنزل نهيا بعد مسير جابر منها بأربعة أيام. ورحل
مزاحم إلى الفيوم، فواقع جابر فيما بين تهمت وأقنى^(٢). وأسر ابن عم جابر، يقال له
أصبغ^(٣). وانهزم جابر، فرجع إلى جنوبه من كورة البدقون^(٤)، ورجع مزاحم إلى القسطنطينية

(١) البطس: تعرف اليوم بطامية من مركز سنورس.

(٢) أقنى: كانت فى المكان الذى يعرف اليوم بأسم أطلال مدينة يوهميريا الشهيرة بقصر البنات، بأراضى
ناحية المشرك، من مركز أبشواى بمديرية الفيوم وتعرف تهمت الآن باسم تهمت السدر وهى من نواحي
الجبال بالفيوم.

(٣) ر: أصبع.

(٤) فى كتاب المسالك لابن خردادويه (٨٢، ٨٣) أنها من كور البحيرة، وجعلها ياقوت بالذال، من كور
الخوف الغربى.

يقول الله عليك وعلى من يسلك مسلكك ويقطع عليك بالأمر الذى تستحقه، إذ قال سيدنا المسيح من فيه الطاهر « كل شجره لا يفرسها الأب السماوى تقطع وتقلع من أصلها ». كذلك أنت يزول عنك هذا الاسم وتموت مودة فقر، مودة مو. فأجابه ذلك الجاهل وقال للأب القديس: أفعل الآن ما أمرك به لتخلص من العذاب الذى أنزله عليك حتى أعلم أنك [لا] تقاوم أمر الملك. وألقت المرذول فقال للوالى: عوض ما يجيب

يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب. [و] (١) طلب جابر الأمان، فأمنه مزاحم، هو وستة نفر من قومه. فدخلوا الفسطاط بأمان. فسجن جابر خوفاً من الأندال أن يفتالوه. ثم بعث به إلى العراق مع رخش سنة أربع وخمسين فى ولاية أزجور.

وأمر أزجور، فى ولايته على الشرط، بمنع النساء من الحمامات والمقابر وسجن المؤثنين (٢)، والنوائح. ومنع من الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم فى الصلوات بالمسجد الجامع، وأمر الحسن بن الربيع إمام المسجد الجامع بتركها، وذلك فى رجب سنة ثلاث وخمسين، ولم يزل أهل مصر على الجهر بها فى المسجد الجامع منذ الإسلام إلى أن منع منها أزجور. وأخذ أهل المسجد الجامع بتمام الصفوف، ووجه بذلك رجلاً من العجم يكنى أبا داود (٣)، فكان يقدم من مؤخر المسجد بالسوط. وأمر أهل الحلق (٤) بتحويل وجوههم إلى القبلة قبل إقامة الصلاة. ومنع من المساند التى يستند إليها. ومنع من الحصر التى يجعلها الناس لمجالسهم فى المسجد. وأمر أن تُصلّى التراويح فى شهر رمضان خمس تراويح، ولم تزل أهل مصر يصلون ست

(١) زيادة فى ر.

(٢) كذا فى عن خ (١: ٣١٣). وفى ر: الموسر.

(٣) لعله أبا ذؤاد، بالذال، كالرجل الذى مر.

(٤) الحلق: جمع حلقة.

بالسمع والطاعة لأمر الملك هوذا هو يقول كلاما
أنه يسأل الله أن ينزع مني السلطان الذي يسلمه
لي الملك. فأجاب الوالي وقال للبترك: لا تقاوم
أمر الملك لكن تتم ما أمر. حينذ قال له: أنا أفعل
ذلك بفرح لأتمم الناموس الذي أمرني بطاعة
الملك كطاعة الله لأنه يقول: من قاوم السلطان
وخالفه فقد قاوم الله ربه. فلما سمع الوالي ذلك
فرح بجواب البترك وقال للمردول: مهما أردت
مره به. فقال: ينفذ ويحضر جميع الأساقفة الذين

تراويح، حتى جعلها أزجور خمسا في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومئتين. ومنع أزجور
من التشويب^(١)، وأمر بالأذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد.

ثم صُرف أزجور عن الشرط في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين ومئتين، وأُفرد بها محمد
بن إسنديار، وأزجور الأمر والنهي. فأمر أزجور بالتغليس^(٢) بصلاة الصبح، وذلك أنهم أسفرو
بها^(٣) في ولاية يزيد. وأمر أزجور أن لا يُشَقَّ على ميت ثوب، ولا يُسَوَّد وجهه، ولا يحلق شعر.
ومنع من الخَلْق الذي يجعل على الثياب مع السوار، وكان أحدث في ولاية يزيد بن عبدالله،
ومنع النساء من الصياح، وعاقب فيه وتشدّد. ومرض مزاحم بن خاقان، فاستخلف ابنه
أحمد. [و]^(٤) توفي مزاحم ليلة الاثنين خمس خلون من المحرم سنة أربع وخمسين ومئتين^(٥).

١٠٦. أحمد بن مزاحم بن خاقان (*)

ثم وليها أحمد بن مزاحم، باستخلاف أبيه له، على صلاتها، فجعل على شرطه أزجور.

(١) التشويب: تكرير الأذان.

(٢) التغليس: أي أن يصلو في الغلس، وهي ظلمة آخر الليل.

(٣) أسفرو بها: صلوها في الضوء.

(٤) زيادة في ر.

(٥) ن (٢: ٣٣٨). فكانت ولاية مزاحم هنا على مصر سنة واحدة وعشرة أشهر ويومين.

(*) الخطط ١: ٣١٣، والنجوم ٢: ٣٤١، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.

تحت حكمه لأمرهم معه بما يجب. فسأل الأب
الوالى أن يمهلهم أياماً إلى أن يجمعهم. فقال
المخالف: نمضى به إلى الاعتقال حتى أدخل
الكنائس بمصر واصعد مذابحها كفعل البطاركه
فاعتقل البطرك واسقف مصر ٥٤٨ هـ
[تأدرس] وتقدم إلى الكتاب بمكاتبة جميع
الأساقفة لكي يحضروا، وظن هذا المخالف أنهم
يطيعونه ويفعلون له ما قد اضر خارجاً عن قوانين

فوليها أحمد إلى أن توفي بها لتسع^(١) خلون من ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وميتين، وليها
شهرين ويوماً، واستخلف عليها أرجور.

١٠٧. أرجور التركي (*)

ثم وليها أرجور، باستخلاف أحمد بن مزاحم، على صلاتها^(٢). فجعل على شرطه بولغيا.
وخرج في أمره رجل من العلويين، يقال له بغا الأكبر، وهو أحمد [بن إبراهيم]^(٣) بن عبدالله
بن طباطبا إبراهيم^(٤) بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن، خرج بالسانه من الصعيد.
فبعث إليه أرجور بأربع مئة رجل لمحاربتة، فهرب بغا منهم ومات.

فوليها أرجور إلى شهر رمضان سنة أربع وخمسين وميتين، وليها خمسة أشهر ونصفاً، ثم
خرج منها إلى الحاج لمستهل ذى القعدة سنة أربع وخمسين وميتين.

(١) خـ (٣١٣: ١)، ن (٣٤١: ٢): لسبع. وهو الأصح، لأنه تولى شهرين ويوماً واحداً.
(*) المخطوط ٣١٣: ١، والنجوم ٣٤١: ٢، وحسن المحاضرة ١٧: ٢. واسعه في خـ: أرجوز. وفي ن: أرخوز
وفي س: أرجور.

(٢) قال بعض المؤرخين إن المعتز جعل له أمر مصر جميعه لا الصلاة وحدها (ن ٢: ٢٤١، ٣٤٢).

(٣) زيادة في ر عن خـ (٣٣٩: ٢).

(٤) كذا في ر. وفي ص: طباطبا بن إبراهيم. وذلك خطأ لأن طباطبا لقب إبراهيم أو أبيه إسماعيل. انظر
مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصبهاني ١٩٩.

الأب البطرك كتابا مملو حزنا وغما ولم يشرح فيه
 خبرا ليلا [لئلا] يضعف قلوبهم أن لا يجاهدوا،
 مكتوب فيه هكذا : فى كل زمان لا يدع الشيطان
 عروسة المسيح البيعة الجامعة بغير مقاوم لها ويقم
 اضطرابا وشعثا لكى يغلبها بمناصبته، وعريسها
 المسيح الحق يحطم قوته بالقول الذى قاله لريس
 الخواريين بطرس : أن أبواب الجحيم لا يقهرونها^(*).
 وقد عرفتم الآن ان السيد المسيح هو الغالب
 فتقدموا إلى الجهاد ولا تخالفوا وتوكلوا على الرب

(*) «وعلى هذه الصخرة أبني
 كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى
 عليها» انجيل متى ١٦ : ١٨ .

مصر ونظم الحكم تحت العرب والعباسيين

تحدد مركز مصر السياسى بمقتضى معاهدة بابلون الأولى التى عقدت عقب استيلاء
 المسلمين على حصن بابلون سنة ٢٠هـ (٦٤١م). وقد أورد الطبرى^(١) ومن نقل عنه من
 المؤرخين مثل ابن خلدون^(٢) والقلقشندي^(٣) وأبى الحامس^(٤) هذا الصلح، وهاك نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على
 أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم بحرهم^(٥) لا يدخل عليهم شئ من
 ذلك ولا ينقص ولا يساكنهم النوب^(٦). وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا
 الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما جنى لصوتهم^(٧). فإن أبى أحد

(١) تاريخ الأمم والملوك جـ ٤ ص ٢٢٩.

(٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٢ ص ١١٥.

(٣) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٣٢٤.

(٤) النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٤ - ٢٥.

(٥) يقصد ببرهم أراضيهم الزراعية ويقصد ببحرهم نهر النيل. يقول المسعودى فى مروج الذهب (طبعة
 القاهرة جـ ١ ص ٢١١): «وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره ولا زلنا
 فى كلامنا الدارج نطلق على نهر النيل اسم البحر».

(٦) النوب أهل النوبة.

(٧) اللصوت: اللصوص.

فهو يذله ويطل موامرتة ويمجد بيعته عروسته ،
ونحن أيضا نفرح لأننا قد تسلحنا كالجند للمقتال
في الحرب لنال الأكليل السماوي، كما أنه يدعونا
في كل زمان كقول لسان العطر بولس: أن
الإنسان لا ينال الأكليل إلا أن يقاتل، فأسرعوا الآن
لتنالو ذلك يا أحباي [أحبائي] الذين أنا أحبهم
بالرب.

فلما وقفوا الأساقفة على كتابه وهو يعزيهم،
أسرعوا وساروا واجتمعوا بفسطاط مصر. فلما علم

منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم، وذمتنا نحن أبي بريئة، وإن نقص نهرهم منغايتة
إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل مالهم
وعليه مثل ما عليهم، ومن أبي واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطانتنا.
عليهم أثلاثا، في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب، عهد الله وذمته وذمة
رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذم المؤمنين. وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا
وكذا رأسا وكذا وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة.
شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابنه. وكتب وردان (١) وحضر. فدخل في ذلك أهل مصر
كلهم وقبلوا الصلح.

نرى من هذا الصلح أن المصريين صاروا أهل ذمة يؤدون الجزية، وأن قيمة الجزية (٢) كانت
تتوقف على مقدار ارتفاع أو انخفاض ماء النيل في كل عام، كما أنها كانت تدفع على ثلاثة

(١) وردان مولى عمرو بن العاص وحامل لوائه (ابن عبد الحكم: فتوح مصر - طبعة تورى - ص ٩٣).
(٢) نفهم من لفظ الجزية الذي ورد في هذا الصلح أنه يعني الجزية والخراج معا أي جزية الرؤوس وأحيانا
تعني الجزية والخراج معا أي جزية الرؤوس والضريبة العقارية ويلاحظ Van Berchem أن كلمة خراج
كانت تعني أحيانا جزية الرؤوس وأحيانا تعني ضرائب أخرى تختلف في طبيعتها عن ضريبة الرؤوس
والعقار. انظر: M. Van Berchem

ذلك الضال ولد الشيطان أنهم قد اجتمعوا في
البيعه يوم الاحد، قام بشيطنه ومعه جند من عند
الوالى وتقدم بغير خوف وصعد على الهيكل
ليقول صلاة الشكر والسلامة كالبطرك والقلنسوة
التي عليها مكتوب اسم الملك على رأسه، فلما
راوه الأبأ الأساقفة وقد فعل هذا الفعل اجتمعوا
بروح القدس فوثب إليه أنبا مينا أسقف صنبو، وأبا
مويسيس أسقف وسيم ومسكا القلنسوة ورمياها،
ورميا به من على الهيكل. وقالوا له: يا يوليانوس

أقساط في السنة. وفيما يختص بالروم في هذا الصلح عرفنا أن أمرهم كان معلقاً بموافقة
الأمبراطور، ولذا ترك لهم عمرو الخيار في قبول هذا الصلح. وأما أهل النوب فكانت
مسألتهم تختلف عن مسألة الروم إذ كانت النوبة أثناء فتح العرب لمصر مملكة قوية مستقلة
ولربما كانت الإشارة هنا إلى من كان يقيم في مصر من النوبيين.

ويجدر أن نشير هنا إلى ما يراه بتلر من أن صلح بابليون كان يختص بأهل مدينة مصر
(بابليون) لا القطر المصري كله. ويؤيد بتلر وجهة نظره هذه بأنه من عادة العرب عند فتحهم
لمدينة مهمة مثل دمشق أو القدس أن يعقدوا صلحاً مع أهلها، كما أنه في الوقت الذي عقد
فيه هذا الصلح لم يكن قد تم استيلاء العرب على الصعيد أو الوجه البحري. أما مقدار الجزية
الذي جاء في الصلح وهو ٥٠ مليون دينار^(١) فهذا ما يجب استبعاده^(٢). ولكن رأى بتلر
يخالف ما ذكرته المصادر القديمة التي أوردت نص هذا الصلح إذ ذكرت هذه المصادر أن أهل
مصر كلهم قبلوا هذا الصلح ودخلوا فيه. ونحن نوافق بتلر في أن مقدار الجزية كان على

(١) لم يذكر في نص الصلح إذا كانت الجزية بالدينار أو الدرهم وإنما ذكر الرقم فقط وهو ٥٠ مليون ولكننا
نعلم أن العرب كانوا يجبون الضرائب من مصر بالدينار لا بالدرهم (انظر المقرئى: النقود الإسلامية
ص ٩١).

(2) Butler: the Treaty of Misr. PP. 25 - 26, 47 - 48.

الجديد ما تستحق بيع مصر أن تتنجس بك. فامتلا
خزياً ذلك النجس ثم غضب جداً وأمر الذين معه
أن يمضوا بجميع الأساقفة إلى الحبس ويعملوا في
رقابهم وأرجلهم الحديد. فلما نظرهم الأب البطرك
القديس قبلهم وعزاهم وقال: يا أحبائي الذي يقاتل
عنا أعظم ممن يقاتلنا والرب ينجيننا من أعدائنا
وينقذنا ممن قام علينا ويخلصنا من عمال الأثم .
فلما سمعوا ذلك قالوا: يا أبانا نحن مستعدون

القطر كله لا على مدينة مصر وقد رأينا أيضاً ما كان لبابلون من الأهمية، وأنها كانت بمثابة
قلب مصر.

١. النظام الإداري

لما فتح العرب مصر وجدوا بها نظاماً قامت منذ أقدم الأزمنة ونمت وترعرعت في خلال
العصور المختلفة، فقضت عليهم الحنكة السياسية ألا يمسوا تلك النظم، بل أبقوا عليها كما
فعل الرومان من قبلهم عندما كانوا يحتلون بلاداً راقية في نظمها متقدمة في حضارتها. واكتفى
العرب بشغل بعض المناصب الرئيسية، ليشرفوا على الإدارة وجباية الأموال بوجه عام.

كان الخليفة يعين في مصر والياً يمثله، ويقال ولاية عمرو بن العاص مثلاً أو ولاية عبد
العزیز بن مروان، ويقال للوالى أيضاً «أمير مصر» وللدار التي يقيم فيها والى مصر «دار
الإمارة». ونجد في أوراق البردى اليونانية اسم آخر للوالى هو سيمبولس^(١).

وكان الوالى يؤم المسلمين في المسجد الجامع في صلاة الجمع والأعياد بوصفه نائباً عن
الخليفة، ولذا يطلق عليه أمير الصلاة، ويقال عن ولايته ولاية الصلاة. وإذا كان المسلمون
يعتبرون أن إمامة الصلاة مما يختص به الخلفاء، يطلقون على الخليفة لفظ إمام، كانت إمامه

(١) Grohmann: Arabic Papyri vol. 111. P. 62.

للموت معك ونحن نومن وتوكل أننا نال
الخلاص بصلواتك.

فلما مضت لهم فى السجن أيام قلائل وذلك
النفس يتفكر فيما عمله بهم من السوء وبالبطرك،
فتقدم إلى الوالى بأن يخرجهم من السجن
ويوقفهم بين يديه ففعل، فقال الكافر للأب
البطرك : أنا ما أفعل بك شيا تخاف منه كما كان
غيرى يفعل بغيرك ممن هو قبلك، من زمان أبا

الوالى فى الصلاة نيابة عن الخليفة تدل على عظم سلطة الوالى وعلى رئاسته العليا السياسية
فى الدولة. ولم يكن الوالى مسئولا أمام أحد عن عمله إلا أمام الخليفة. وكان يجمع أحيانا إلى
سلطته إدارة المالية المعبر عنها بالخراج مما يجعله مطلق التصرف فى الدولة، وأحيانا يسند
الخليفة عمل الخراج إلى شخص آخر يكون مسئولا أمام الخليفة مباشرة لا أمام الوالى، وكان
هذا يحد سلطة الوالى كثيرا إذ يصبح عاجزا عن التصرف فى الأمور المالية كما يشاء. ولذا
كان لعامل الخراج أهمية كبيرة وكثيرا ما يكون منافسا للوالى مع أن الوالى هو رئيس الولاية
بالنيابة عن الخليفة. وحسبنا دليل على أهمية عامل الخراج من أنه عندما هزم عمرو بن العاص
الروم وطردهم من الإسكندرية سنة ٢٥هـ أراد الخليفة عثمان بن عفان أن يولى عمرا على
الحرب (أى يوليه على الصلاة) وأن يولى عبد الله بن سعد على الخراج فقال عمرو وأنا
كما سك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها^(١). ورفض ما أراد عثمان بن عفان وترك ولاية مصر.

ونتين أيضا تلك الأهمية التى كانت لعامل الخراج من أنه بعد وفاة عمرو ابن العاص، عين
معاوية بن أبى سفيان (٤٠ - ٦٠هـ = ٦٦٠ - ٦٨٠م) أخاه عتبة بن أبى سفيان (٤٣ -
٤٤هـ) واليا على الصلاة فى مصر وولى وردان الخراج، ثم خرج عتبة بن أبى سفيان إلى
معاوية فى نفر من عرب مصر، فسأل معاوية الوفد عن عتبة، فقال أحدهم وحوت بحريا أمير

(١) ابن عبد الحكم - فتوح مصر - طبعة تورى - ص ١٧٨

أغاثون البطرك انه كان يلزم يعمل بمراكب
الأسطول(*) كما كان تاودوروس الخلقدونى رئيس
الاسكندرية يعمل باغاثون فى مملكة يزيد بن
معاوية الملك، قم أخرج من البيعه الأنبياء الذهب
والفضة ليحملوا إلى بيت مال الملك فلهذا جيت.
فلما سمع منه الأب البطرك قال فى نفسه: أحاط
بى مخاض الموت واهوال الجحيم حدثنى. قال
هذا لعلمه بأن ليس شئ فى البيع مما يطلبه منه.
وقد كان جرى على الآباء قبله أمور مشهورة لم

(*) من الواضح أن الكنيسة المصرية
كانت تدعم الأسطول الإسلامى
فى مصر بالمال والعتاد والخبرات
والعاملين فيه.

المؤمنين على بر». فقال معاوية لعتبة: اسمع ما يقوله فىك رعيته. فقال: صدقوا يا أمير
المؤمنين حجبتى عن الخراج ولهم على حقوق وأكره أن أجلس فأسال فلا أفعل فأبخل. فضم
إليه معاوية الخراج^(١).

ولعل أبلغ مثل يربنا مدى ما وصلت إليه سلطة عامل الخراج، هو عبيد الله بن الحبحاب
عامل الخراج فى مصر زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ)، فقد ظل عاملا
على خراج مصر منذ ولى هشام الخلافة حتى خرج إلى إمارة أفريقية فى سنة ١١٦ هـ^(٢) أو
سنة ١١٤ هـ^(٣) وفى خلال هذه المدة تابع على حكم مصر خمسة ولاة^(٤)، وقد امتد
نفوذه إلى عزل الولاة وتوليهم برضى الخليفة. فنراه عندما تنازع مع الحر بن يوسف وإلى مصر
سنة ١٠٨ هـ يكتب إلى الخليفة هشام يشتكيه؛ وسرعان ما عزل الخليفة الحر عن ولاية
مصر، وولى بدله حفصا بن الوليد على الصلاة، ولكن عبيد الله بن الحبحاب كتب إلى
الخليفة يقول: «إنك لم تعزل الحر إذ وليت حفصا». فجعل الخليفة الاختيار إلى عبيد الله فاختر

(١) ابن عبد الحكم - طبعة المعهد العلمى الفرنسى - ص ٧٨.

(٢) المقرئى : خطط ج-١ ص ٢٠٨.

(٣) أبو الحامس : النجوم الزاهرة ج-١ ص ٢٧٣.

(٤) الكندى: كتاب الولاة والقضاة ص ٧٢-٧٦.

يتركوا شيئا من أواني البيع مع أموالهم حتى أخذوه
منهم الخالفون المبغضون في زمان بعد زمان، ولما
كرز هذا الأب الجليل على الكرسي لم يجد شي
حتى أنهم في مدينة اسكندرية لم يجدوا ما يتقربون
فيه إلا كاس زجاج وكاس خشب. فقال الأب
القديس لذلك الكافر: أنت ما تعرف حال البيعة
من ذلك الزمان وإلى الآن. فقال له الكافر الشقي:
هوذا أعرف عندك كتابا تقدر أن تصير غنيا بسرعة
فيه صنعة عمل الذهب: فأجاب الأب الروحاني

عبد الملك بن رفاعه^(١). وقد ولي مصر بعد عبد الملك بن رفاعه هذا، أخوه الوليد بن رفاعه،
(١٠٩ - ١١٧ هـ) ويقول أبو المحاسن^(٢): «ولم تطل مدة الوليد هذا على مصر إلا لخروج
عبيد الله بن الحبحاب المتولي على خراج مصر منها، وقد تقدم عزل جماعة كبيرة من العمال
بمصر بسبب عبيد الله المذكور، فدبر عليه الوليد هذا حتى أخرجه هشام من مصر واستعمله
على أفريقية، فسار إليها عبيد الله بن الحبحاب واشتغل بها عن خراج مصر». ولعل من
أسباب نفوذ ابن الحبحاب أنه كان يمثل سياسة الخليفة المالية أحسن تمثيل.

وكان بيد الوالي أيضا الحرب أي الرئاسة على الجيش في الولاية، ولأهمية ذلك كان يقال
أحيانا: ولي فلان الحرب كناية عن ولايته لمصر^(٣). وفوالى مصر كان يشرف على شئون
الحامية الموجودة في مصر، وكان يقود بنفسه الجيش في الحملات التأمينية لمصر أو لصد
الأعداء عنها، أو يرسل من يقوده نيابة عنه. ومثل تلك الحملات كانت بوجه خاص في
السنوات الأولى بعد الفتح، فقد قاد عمرو بن العاص الحملات لفتح برقة وطرابلس، كما
أرسل عبد الله بن سعد لفتح النوبة، وكذلك خرج عبد الله بن سعد أثناء ولايته على مصر

(١) الكندي ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٦.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر - طبعة توري - ص ١٧٨ وطبعة المعهد ص ٧٨.

وقال له: ما أعرف شيئا مما تقول لكن أفعل ما تريد
وتوكل على الله لأنى عارف أن مافى البيعه شيئا
مما تذكر وقد قلت للملك الكذب، فأجاب وقال
للبطرك: أنا أفعل معك جميلا ولا ألزمك بأن
تنفق شيئا على المراكب لكن بحق الملك لا عمل
[يعمل] أحد المشاق [غزل الكتان] بالزفت غيرك
وأساقفتك بأيديكم. فقال له: أنا أفعل هذا مسرورا
واتشبه بقول بولس الرسول الذى قال: «أنا أعمل

على رأس الحملات التى مارت لغزو أفريقية والنوبة^(١) كما غزا الروم فى غزوة ذى الصوارى.
وفى ولاية عتبة بن أبى سفيان (٤٣ - ٤٤ هـ) عندما شكّا قائد رباط الإسكندرية من قلة من
معه من الجنود خرج عتبة ورابط فيها وذلك فى سنة ٤٤ هـ^(٢) كذلك خرج الحر بن يوسف
فى ولايته على مصر مرابطا فى دمياط ثلاثة أشهر من سنة ١٠٧ هـ^(٣). كما لرى قررة بن
شريك يطلب من صاحب كورة كوم اشقاو أن يعجل فى إرسال المال المفروض على كورته
ليأمر للجند بعطائهم^(٤)، ونجده أيضا يهتم بالإشراف على الأدوات اللازمة لتنظيف وتجهيز
مراكب الأسطول ويهتم بالمؤن التى يحتاجها الأسطول^(٥) كما يشرف على أجور الجند
الذين يخرجون مع الأسطول للغزو^(٦).

وللوالى أيضا الإشراف على الشرطة، وكان مقرها مدينة الفسطاط التى بناها عمرو بن
العاص. ولما بنى العباسيون مدينة العسكر التى كانت تقع شمالى الفسطاط عملت شرطة

(٢) الكندى ص ٣٦.

(١) الكندى ص ١٢.

(٣) الكندى ص ٧٤.

(4)Grohmann: Arabic papyri. vol. 111. PP. 12 - 13- Becker: Neue Arabische papyri Der Islam- 11. PP. 251 - 252.

(5)Bell: Tramlations of the Greek Aphrodito Papyri. 11. P. 277

(6)Bell: op Cet. 11. PP. 375- 376.

(*) رسالة بولس الرسول الأولى
اصحاح: ٤ / ١٢، ١٣.

بيدي (*) ثم قال يشتمونا ونحن نبارك عليهم
ويطردونا ونحن نصبر عليهم ويسبوننا ونسالهم.

فخرج الأب أنبا مينا والأساقفة الذين معه
ليفعلوا ما أمر به كل يوم في صناعة المراكب
بمصر يعملون بأيديهم كلما تحتاج إليه المراكب
في مدة سنة، ووجوههم في الشمس النهار كله في
أيام الصيف، والبطرك والأساقفة في وسط الناس،
والرمادية (*) في فسطاط مصر يكون بتنهد.

(*) الرمادية: الجماهير الفقيرة
المغلوبة على أمرها.

أيضا في العسكر وقيل لها الشرطة العليا (١) وصفت بالعليا لأهميتها. وكان الوالي هو الذي
يعين صاحب الشرطة كما ورد في المصادر القديمة، مثل كتاب الولاة والقضاة للكندى وكتاب
النجوم الزاهرة لأبي المحاسن. وفي حالات نادرة جدا كان الخليفة هو الذي يعين صاحب
الشرطة، ومن ذلك ما كان من الخليفة المأمون حين عين صاحب الشرطة بمصر بعد ما قضى
على ثورة البشمور التي كانت فيها سنة ٣١٧هـ (٢) وصاحب الشرطة هذا كان بمثابة نائب
للوالي يؤم الناس في الصلاة إذا مرض الوالي، ويحكم الولاية إذا خرج الوالي من مقر ولايته.
فهرى خارجة بن حذافة صاحب الشرطة يؤم الناس في الصلاة أثناء مرض عمرو بن
العاص (٣)، ونرى عابس بن سعيد المرادى صاحب الشرطة ينوب عن عبد العزيز بن مروان
والى مصر فى حكم البلاد عند خروجه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٦٧هـ (٤). ولذا
نجد أن صاحب الشرطة كثيرا ما يعينه الخليفة واليا على البلاد إذا ما عزل الوالي أو مات أو
تنحى عن أمور الولاية. فمثلا كان حفص بن الوليد على شرطة مصر قبل أن يلى على صلاة

(١) المقرئى: نخط جـ ١ ص ٣٠٤.

(٢) الكندى: كتاب الولاة ص ١٩٢ وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢١٦.

(٣) ابن عبد الحكم: طبعة تورى - ص ١٠٥ والكندى ص ٣١ - ٢٢.

(٤) كتاب الولاة للكندى ص ٤٩.

وبعد هذا أعيد الأب وجماعة الأساقفة إلى الحبس وكان يطالبهم بأنية البيع ويقول لهم: أنى ما وصلت من عند الملك إلا لأجل ذلك. فلما جازت أيام وهم فى الحبس وكان يطالبهم، فنظر الرب إلى تنهد اصفياه ففعل اعجوبه وانتقم الذى يقدر على الانتقام. وقد كنا قلنا فيما تقدم أن الوالى كان محبا للنصارى، وكان إذا رأى هذا الإنسان المردول يقلق البطرك والاساقفة ولا يتمكن من ارداعه لخوفه من الملك، فكان يقول له : لا

مصر من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك^(١). وتكاد المراجع العربية لا تذكر شيئا عن أعمال الشرطة فى مصر، ولكن لابد أن الولاة كانوا يعهدون إلى صاحب الشرطة بتنفيذ العقوبات التأديبية التى يفرضونها، كما كانت وظيفة صاحب الشرطة فى الخلافة نفسها، ولابد أنه كان لصاحب الشرطة عمال فى العاصمة وفى الأقاليم لتنفيذ أوامره وفلاحظ أن استتباب الأمن فى مصر وتطبيق القوانين فيها وتنفيذ الأحكام القضائية ومنع الجرائم، كل ذلك كان يضمن للخلافة استغلال موارد البلاد على أتم وجه ويضمن لها أكثر ما يمكن من الضرائب. ويظهر أن المصادر القديمة ترجع دائما استتباب الأمن فى البلاد إلى الولاة لا إلى أصحاب الشرطة لأن الوالى هو الرئيس الأعلى فى الولاية وهو الذى يأمر صاحب الشرطة بذلك، فمثلا نسمع فى عهد ولاية يحيى بن داود الخرسى الشهير بابن ممدود والذى يعرف بأبى صالح (١٦٢ - ١٦٤هـ) أنه لما قدم إلى مصر وجد بها السبل مخيفة، لكثرة المفسدين وقطاع الطرق، فأخذ فى قمع المفسدين وأبادهم وقتل منهم جماعة كثيرة. وقد بلغ من استتباب الأمن أنه منع غلق الأبواب والخوانيت ليلا حتى جعلوا عليها شرائج^(٢) القصب والشباك لمنع الكلاب من دخولها ليلا^(٣).

(١) الكندى ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) شرائج جمع شريحة وهى باب من القصب يعمل للدكاكين.

(٣) الكندى ص ١٢٢ وأبو الخاسن: النجوم الزاهرة ج١ ص ٤٤.

يجوز لك ان تفعل هذا بمقدم النصارى. فيقول له:
وأنت أيضا تقول أنه كبير النصارى وترفض امر
الملك، فانا أمضى إلى الملك فأعرفه أنك نزع
منى ما جعله لى الملك. فعند ذلك كمل فيه قول
سليمان الحكيم: لسان الجاهل فخ له^(*). فقال له
الوالى: أنت تريد ان تمضى إلى الملك وتكذب
على وترفع على كما قلت وفعلت مع هذه الشيخ
الخائف من الله، أنا الآن بعد يومى هذا لا ادعك
تشاهد الضور، ويعلم كل أحد أن الله قد أخذ لهذا

(*) الأمثال ١٧ / ٢٠ .

وبالطبع كل هذه الأشياء لم يقم بها أبو صالح، وإنما قام بها صاحب الشرطة وأعوانه،
ولكن الوالى كان هو الأمر الناهى، وكانت الأحوال فى مصر تتوقف على درجة حزمه وشده
أو لينه وضعفه.

ومن الوظائف الرئيسية الهامة فى تلك الفترة أيضا وظيفة صاحب البريد ولم تكن تلك
الوظيفة قائمة فى عهد الخلفاء الراشدين، وإنما بدأتها الدولة الأموية ثم تقدم نظام البريد فى
عهد الدولة العباسية. ويقال إن معاوية بن أبى سفيان هو أول من وضع البريد لوصول الأخبار
بسرعة، وتبعه فى ذلك الأمويون ومن بعده العباسيون، ولذا نجد أنهم يهتمون بعمارة الطرق
لتقصير المسافات ولوصول الأخبار بسرعة.

وقد وصلت إلينا نقوش معاصرة لعبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ)، كشفت بالقرب
من بيت المقدس وتشير إلى أو امره بصنعة الأميال^(١) وبعمارة أربعة طرق تخرج من إيلياء^(٢)
ومن دمشق^(٣) وقد اهتم العباسيون اهتماماً كبيراً بالطرق حتى أصبحت بغداد مركزاً تتشعب

(١) صنعة الأميال هى مسح الأراضى لوضع انصاب حجرية ثابتة على كل مسافة قدرها ميل

(٢) إيليا هى بيت المقدس (معجم البلدان لياقوت جـ ١ ص ٤٢٤).

(3) van Berchem, Matériaux Pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum (Jéperroire
Chronologique d'épigraphie Arabe. t. I. PP. 13-16.

الشيخ حقه منك. فامر في تلك الساعة أن يمضو
به إلى الحبس ويطرحوه في المطبق [السجن]
ويكبل بالحديد في يديه ورجليه ويحتفظ به في
موضع ضيق. فأقام هكذا ثلث سنين وتقدم للوقت
بالافراج عن البطرك والأساقفة المجاهدين عن الحق،
وكانو يسبحون الله ويقولون كما قال اشعيا
النبي: أن الله يهلك مؤامرة المخالفين المنافقين ولا
يخلي الرب المتوكلين عليه الخافين الله، وقد تمت
الآن كلمة ملاخيا النبي فينا: انتم الخافين من

منه الطرق إلى جميع الجهات، فكانت جميع الطرق تؤدي إلى بغداد كما كانت جميع الطرق
تؤدي إلى روما. هذا ولم يكن البريد نظاماً يستعمله الشعب إنما كان نظاماً رسمياً حكومياً،
ويظهر أن الخلفاء استعملوا نظام البريد في أول الأمر لنقل الأخبار بسرعة من مقر خلافتهم إلى
الولايات المختلفة ولتلقى الأخبار ثم ما لبث هذا النظام أن تطور واستعمله الخلفاء العباسيون
للتجسس على ولاية الأقاليم وعمالها^(١). ولم يرد في المصادر القديمة ذكراً لأصحاب البريد
الموفدين من الخلفاء إلى مصر اللهم إلا في موضع أو موضعين، فيذكر الكندي في كتابه
الولاية والقضاة أن صاحب البريد بمصر كتب إلى الخليفة المتوكل بأمر يتعلق بأحد الجنود^(٢)،
وفي موضع آخر يذكر أن صاحب البريد في مصر في ولاية داود بن يزيد بن حاتم (١٧٤ -

(١) كان أبو جعفر المنصور يقول. ما كان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون في بابي أعف
منهم فقيل له يا أمير المؤمنين من هم قال. هم أركان الملك ولا يصلح الملك إلا بهم، كما أن البريد لا
يصلح إلا بأربعة قوائم إن نقصت واحدة وهي، أما أحدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر
صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى، والثالث صاحب خراج يتقص ولا يظلم الرعية فإني عن
ظلمها غني، والرابع ثم عض على أصبعه العيابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه آه قيل له من هو يا
أمير المؤمنين ؟ قال. صاحب بريد يكتب إلى بخير هؤلاء على الصحة. الطبري ج٩ ص ٢٩٧ - ويقول
قدامه بن جعفر في كتاب الخراج عند كلامه على ديوان البريد ص ١٨٤ - ١٨٥: «والذي يحتاج إليه
في صاحب هذا الديوان هو أن يكون ثقة إما في نفسه أو عند الخليفة القائم بالأمر في وقته، لأن هذا
الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافي المتصفح وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ».

(٢) ص ٢٠٣.

اسمى تضى عليكم شمس البر، اخرجو وانتم
مسرورون مثل العجول التى تنطلق لامهاتها
وتدوسون المنافقين.

فمضى الأب إلى اسكندرية ودخل إلى البيعه
بفرح ومجدو الله علانيه وكان مهتما بقطيع
المسيح وتدير الكرسي الانجيلي بالنعمة التى معه.
وكان مع هذا كله حزيناً على ذلك المسكين
البائس الخاطى الذى اسلم نفسه للموت باخطيه
وصلى إلى الله قايلاً: أنت الله الرحوم الذى قلت

١٧٥هـ) أراد أن يتدخل فى عمل قاضى مصر إذ ذاك أبو الطاهر عبد الملك بن محمد
الحزمى فلم يكن من القاضى إلا أن استعفى عن القضاء^(١) ويظهر أن إغفال ذكر أصحاب
البريد فى تلك المصادر راجع إلى أن مهام وظيفتهم كانت تعنى الخلافة وتعنى عمال الخليفة
أكثر مما تعنى مصر نفسها.

تحدثنا حتى الآن عن الوظائف الرئيسية التى كانت وقفاً على الفاتحين، وستحدث عن
وظيفة القاضى فى فصل آخر، وفيما عدا ذلك أبقى الفاتحون معظم الأنظمة الموجودة كما
تركوا الوظائف والأعمال فى يد أهل البلاد.

وكانت مصر بعد الفتح مباشرة مقسمة إدارياً إلى قسمين رئيسين مصر العليا، ومصر
السفلى. فيذكر ابن عبد الحكم^(٢) أن الخليفة عمر بن الخطاب توفى وعلى مصر أميران عمرو
بن العاص بأسفل الأرض^(٣)، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح على الصعيد. ولنا نظن أن
هذا البعد عن الدقة من ابن عبد الحكم ينقض ما نعرفه من أن عمرو بن العاص كان الرئيس

(١) ص ٣٨٤.

(٢) فتوح مصر وأخبارها - طبعة تورى - ص ١٧٣.

(٣) أسفل الأرض أى مصر السفلى أو الوجه البحرى. وكان مقسماً جغرافياً إلى الحوف الشرقى شرقى فرع
دمياط والحوف الغربى غربى فرع رشيد وبطن الريف بين فرع رشيد ودمياط (القلقشندي: صبح الأعشى
ج ٢ ص ٣٨٠ - ٣٩٠)

أنى لا أحب موت الخاطى مثل ما يرجع ويتوب،
وانت يا رب تحفظ نفس هذا الآخر ليلا [لئلا]
يموت فى الخطيه لكن خلصه لكى يندم ويكى
على غلطه حتى تحى نفسه، لأن الشيطان فى كل
حين يجذب الناس إلى الجحيم الذين يطيعونه.
والشيطان مبغض الخير ملا [نفس] الذى فى
الحبس موامره وفكر سوو وكان يقول فى قلبه
النجس منه ومن الأساقفه والبيعه لأجله.

ولما تمت تلت سنين وهو فى الحبس عزل الوالى

الأعلى وكانت له ولاية مصر كلها. ويذكر الكندى^(١) أنه فى ولاية حفص بن الوليد الثانية
على مصر (١٢٤ - ١٢٧هـ) جعل على الصعيد رجاء بن أشيم وعلى أسفل الأرض فهد بن
مهدى الحضرمى.

من هذا يتبين أن مصر كانت مقسمة إداريا إلى مصر العليا والسفلى، وهذان القسمان
الرئيسيان كانا مقسمين إلى أقسام أو كور، ويقال إنه كان بها ثمانون كورة^(٢)، وهذه كانت
مقسمة بدورها إلى قرى. ولفظ كورة مشتق من الاسم اليونانى كورة التى لم تكن شيئا آخر
سوى الأقاليم المعروفة فى العهد البيزنطى باسم بجارشى Pagarchie أى أن العرب احتفظوا
بنظم البيزنطيين الإدارية وكان على رأس الكورة صاحب الكورة وهذا اللقب ترجمة مضبوطة
للفظ اليونانى بجاركوس^(٣) فنجد مثلاً قرّة بن شريك والى مصر زمن الوليد بن عبد الملك
(٩٠ - ٩٦هـ) يرسل كتابا إلى بسيل صاحب اشقوه^(٤) وفى كتاب آخر يخبر صاحب

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٨٤.

(٢) ابن دقماق: الانتصار بواسطة عقد الأمصار ج ٤ ص ٢ والمقرئى ك خطط ج ١ ص ٢٦.

(3)Wiet: Précis de l'hist. d'Egypte t. 11, n. 127

(4)Becler: Neue Arabische Papyri PP. 251 - 252, Grohmann, Arabic Papyi, vol. III p. 12.

اشقوه كانت كورة من كور الصعيد وهى الآن كوم اشقاوين أبو تيج وطهطا فى محافظة أسيوط وقد عثر
فيها سنة ١٩٠١م على مجموعة من الأوراق البردية التى ألقت شعاعا من النور على استبداد حكم قرّة بن
شريك فى مصر.

ابن عبدالرحمن عن مصر، وانفذ غيره إلى مصر،
وعند وصوله الفسطاط كشف عن الحبوس ليعلم
جريرة كل معتقل، فلما أعرض عليه خبر بطرس
أمر باحضاره فلما نظره عرفه فقال له : أليس أنت
الذى انفضه الملك إلى مصر فى ذلك الزمان ؟
فقال له : نعم فسأله : ما الذى لحقك وقطع ذكرك
من عند الملك وصرت مع الموتى . فأجاب وقال
عن البطرك العظام والوالى ابن عبدالرحمن
المعزول ، فانه عطل أمر الملك واعتقلنى ثلث سنين .

الكورة بأن يرسل التعليمات الخاصة بدفع الجزية إلى جسطل كورته وإلى موازيت القرى (١).
وهنا مرة أخرى نجد كلمتين غريبتين على اللغة العربية! فكلمة جسطل هنا بمعنى الموظف
المشرف على مالية الكورة أى مندوب ديوان الخراج والأموال، أما موازيت فمعناها رؤساء أو
مشايخ القرى. ويرى الأستاذ جاستون فييت (٢) G. Wiet أن كلمة جسطل مقابلة للكلمة
البنزنطية أو جسعالىوس ، وأن كلمة ما زوت مقابلة للكلمة البنزنطية ميزوتروس .

وما سبق تبين إلى أى حد أبقى العرب على النظم التى وجدوها فى البلاد، بل أبقوا على
الأسماء كما كانت من قبلهم. ومع أن مصر كانت مقسمة إدارياً إلى هذه الأقسام، فقد
كانت جميعها تحت سلطة الوالى العليا مباشرة، ولم يعط الولاة فرصة لعمال الأقاليم للتمكين
لأنفسهم وللإستقلال محلياً بأمور إقليمهم، فكان الحكم فى مصر مركزياً إلى أقصى حد،
كانت اللامر كزية معدومة فى البلاد، فكما أن الوالى كان تحت سلطة الخليفة مباشرة نرى
الوالى بدوره يضع رؤساء الأقاليم المختلفة تحت سلطته مباشرة. ولقد ألقت أوراق البردى التى
كشفت فى كوم أشقاو شعاعاً من النور على حكم الولاة فى مصر، وخاصة فى العهد الأموى،
وبوجه أخص فى عهد ولاية قره بن شريك (٩٠ - ٩٦هـ) إذ عرفنا من تلك الأوراق إلى أى

(1) Becker: op. cit. pp. 254. Grohmann, op. Cit. p. 17

(2) Précis de l'hist. d'Egypte. t. 11; P. 127.

وقال كلاما كثيرا عن النصارى وعن البيعة. قال له
الوالى: تمضى إلى عند الملك انفذك إليه. قال له :
نعم هذا غرضى لا تتم ما فى قلبى.

فانفذه الوالى سرعه واصحبه كتابا يشرح فيه ما
جرى عليه . فاعاده الشيطان مبغض الخير إلى ما
كان فيه أولا، وجعل فى قلب الملك له محبة أكثر
من الأولى، سيما وقد قال له أننى أريد أن أدخل
فى دينك وأعود إلى مصر و اخذ حقى من

حد كانت تمتد سلطة الوالى فى الأقاليم، فنراه يرسل كتباً كثيرة إلى عماله يطلب منهم ما
تجمع من الضرائب، وفى الوقت نفسه يطلب من صاحب الكورة أن يعدل بين الناس ولا يفعل
شيئاً يكرهونه^(١)، ثم نرى الوالى يرسل إلى صاحب الكورة يذكر له أن صاحب البريد أخبره
بأنه أوقع الغرامة على بعض القرى ويطلب من صاحب الكورة أن يرد ما كان قد عمله حتى
يكلمه فى هذا الأمر^(٢). وهنا مرة أخرى نرى أنه كما كان للخليفة صاحب بريد يخبره
بأعمال الوالى، كان للوالى أيضاً صاحب بريد يخبره بأعمال عمال الأقاليم فى مصر. وفى
كتاب آخر نجد قرة بن شريك يرسل إلى صاحب كورة اشقوه بشأن أحد الأفراد الذى أعطى
مالاً لآخر، يطلب منه أن ينظر فى أمر تسديد الدين الذى لأحدهما على الآخر^(٣). ونجد أيضاً
كتاباً لقررة يأمر فيه بالقبض على أحد المجرمين^(٤). وفى كتاب آخر نراه يحدد أجور الصناع
الذين يعملون فى بناء السفن ولا يترك تحديد ذلك لصاحب الكورة التى منها الصناع^(٥).

(1)Becker: Neue Arabische Papyri. PP. 247 _ 248, Grohman : Arabic Papyri vol. III. PP. -5.

(2) Grohmann: Arabic Papyri. vol. III. p. 28.

(3)op. cit. pp. 30 - 31.

(4)van Berchem: Une Page Nouvelle de l'Histoire d' Egypte. p. 161.

(5)Bell: Translations of the Greek Aphrodito Papyri (Der Islam, Band II) p. 271.

اعدائي . ففرح الملك بذلك ، فانكر النجس اسم
المسيح المخلص واعترف بدين الإسلام ، فدفع له
الملك كرامات كثيرات في ذلك اليوم ثيابا ومالا
وخيلا وسراى ومماه أبا الخير .

فأراد الرب تبارك اسمه أن يريح الأب القديس
أنا مينا ليلا [لثلا] ينظر إلى شى من العذاب من
هذا الرجل الجاحد ، فأظهر الله اعجوبه ، لما نظر
الذى سمى أبا الخير وهو أبو كل الشرور والمكر ،

هذه كلها أمثلة ترينا إلى أى حد تغلغت سلطة الوالى فى شئون البلاد المختلفة وحتى فى
أمر القضاء الذى كان يعتبر مستقلا ، كان الوالى فى أوقات كثيرة هو الذى يعين القاضى
وبصدق الخليفة على هذا التعيين . وقد احتاج الوالى تبعاً لذلك إلى كتبة كثيرين ليستعين بهم
فى تحرير رسائله إلى مختلف الجهات فى مصر وإلى الخليفة نفسه . ولذا نرى فى آخر الكتب
التي كان يرسلها الولاة أسماء الكتبة الذين كانوا يحررونها ^(١) ، مما يدل على أنه كان بمصر
فى ذلك العهد ديوان رسائل أو ديوان إنشاء . ويشير القلقشندي ^(٢) إلى وجود ديوان إنشاء فى
ذلك العهد من الفتح إلى بداية الدولة الطولونية ، إلا أنه يذكر أنه كان قليل الأهمية فيقول :
« ولم يكن لديوان الإنشاء بالديار المصرية فى هذه المدة صرف عناية تقاصراً عن التشبه بديوان
الخلافة إذ كانت الخلافة يومئذ فى غاية العز ورفعة السلطان ، ونيابة مصر بل سائر النيابات
مضمحلة فى جانبها ، والولايات الصادرة عن النواب فى نياباتهم متصاغرة متضائلة بالنسبة
إلى ما يصدر من أبواب الخلافة ، فلذلك لم يقع مما كتب منها ما تتوفر الدواعى على نقله ولا
تنصرف الهمم لتدوينه » .

وقد كان والى مصر بعد الفتح ومنذ ولاية عمرو بن العاص الأولى عليها يشرف أحيانا على

(١) Grohmann; op. cit. pp. 5,8, 13, 20, etc.

(٢) صبح الأعشى جـ ١١ ص ٢٨ .

فدفع له الملك ما طلبه منه من الكتب للوالى
بمصر، فسار إلى مصر واعتقد أنه يفعل بالبطرك
كل سو تصل قدرته إليه، فمن قبل أن يصل إلى
مصر مات عبد الله الملك، فلما علم الشقى أن
رجاه قد بطل تم عليه قول النبى: مرذول الانسان
الذى يتوكل على انسان. فخزى ومضى الى بلده
التي ولد فيها فنظره أهله وأقاربه ومعارفه فصار
عندهم مبغوضا ممقوتا كمثل اليهود الذين قتلوا
ربهم، وكانو يكتونه قايلين له: يامن صار ولد

بلاد برقة وما يليها من شمال أفريقية، إذ نجد إشارات كثيرة خلال المصادر القديمة تبين
سلطة والى مصر وإشرافه على عمال برقة والمغرب وعلى الجيوش المرسلة إلى هناك، فبرى
مثلا أن عبد العزيز ابن مروان والى مصر (٦٥ - ٨٦هـ) يقع سوء تفاهم بينه وبين حسان ابن
النعمان الغساني الذى قدم من الشام ليتولى أمر جيوش المغرب، فيعزله ويولى موسى بن نصير
أمر المغرب^(١) وكذلك نرى صالح بن على بن عبد الله العباسى فى ولايته الثانية على مصر
(١٣٦ - ١٣٧هـ) يولى أبا عون على جيوش المغرب^(٢).

على أن هذا الإشراف الذى كان لولاة مصر لم يمنع من أن يكون لبرقة والمغرب عمالها
وولاتها. ولكن كانت تضم برقة والمغرب أحيانا تحت سلطة والى مصر مباشرة، فقد جمع
لمسلمة بن مخلد والى مصر (٤٧ - ٦٢هـ) أمر مصر والمغرب^(٣)، كما امتدت سلطة صالح
بن على فى ولايته الثانية على مصر إلى المغرب وفلسطين^(٤)، ونجد الخليفة أبا جعفر المنصور
يضم إلى والى مصر يزيد بن حاتم (١٤٤ - ١٥٢هـ) برقة بالإضافة إلى مصر^(٥).

(١) الكندى كتاب الولاة والقضاة ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) الكندى ص ١٠٢. (٣) الكندى ص ٣٨.

(٤) الكندى ص ١٠٢ وأبو الحسن: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٢٨.

(٥) الكندى ص ١٠٢ وأبو الحسن ج ٢ ص ٣.

- الشیطان وزاغ عن طریق الحیاة این ترکت خوف
الله والجحیم وصوت خالقنا الذی یقطع بالأمر
الهایل «أن کلمن جحدنی قدام الناس أنا اججده
قدام الأب الذی فی السموات»^(١)، انکرت هذا
الصوت الحق فانک تسمع عوضه : اذهبو به إلى
النار التي لا تطفأ والدود الذی لا ینام جزاً
مخالفتک^(٢) وقوله أيضاً لمن هو مثلك : تباعدو
عنی یا ملاعین إلى النار الموقده المعدة لابلیس
وجنوده^(٣). ثم یقال لك : أن عوض الأسقفیه
- (١) متى : اصحاح ١٠ / ٣٣ .
(٢) مرقس : اصحاح ٩ / ٤٤ .
(٣) متى : اصحاح ٢٥ / ٤١ .

ونلاحظ أن ولاة مصر فی عهد الخلفاء الراشدين والأمویین كانوا من العرب ، ولا عجب
فقد كان معظم الوظائف الکبری فی الدولة الإسلامية حینئذ للعرب دون سواهم .
وقد أعطى الخلفاء الأمویون لعمالهم على الولايات قسطاً كبيراً من الحرية ولذا ظهر فی
الدولة الأموية شخصیات بارزة مثل عمرو بن العاص ویزید بن أبیه والحجاج بن یوسف الثقفی
وخالد بن عبد الله القرى وعبد العزیز بن مروان وموسى بن نصیر وغيرهم . وفى عهد الدولة
الأموية فی مصر نجد معاوية یولی عمرو بن العاص صلاة مصر وخراجها ویجعلها طعمة له
بعد عطاء جندها والنفقة على إدارتها ، فظل عمرو من سنة ٣٨هـ إلى سنة ٤٣هـ حین وفاته .
ونجد مثلاً مسلمة بن مخلد یظل والياً على مصر خمس عشرة سنة (٤٧ - ٦٢) وتوفى هو
وال عليها ، وكذلك عبد العزیز بن مروان یظل فی ولايته على مصر حوالی إحدى وعشرين
سنة (٦٥ - ٨٦هـ) وتوفى وهو وال عليها ، وكان عبد العزیز شبه ملك مستقل فی حکم
البلاد من مقره فی القسطنطین أولاً ثم فی حلوان التي أمر ببنائها فی سنة ٧٠هـ ، واتخذها
عاصمة له على أثر وقوع الطاعون بمصر^(١) أو على أثر مرضه بالجذام^(٢) .

وفی العصر العباسی بتغیر الحال ، فالدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس ولذا نجد بین

(١) الکندی ص ٤٩ وخطط المقریزی ج ١ ص ٢٠٩ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧٣ .

(٢) أبو صالح الأرمني : کناس وأدیرة مصر ص ٦٦ وسعيد بن بطریق : التاريخ المجموع ج ٢ ص ٤٠ .

التي طلبتها اكتسبت اغتلاف وعوض النعيم
الروحاني اكتسبت نجاسة الجحود. ويسمع من هذا
كثيرا وهو ممتلى حزنا وخجلا كل يوم. ثم أنه
مضى إلى أساقفة كورة مصر الذين أبلاهم بذلك
العذاب وسال أن يسألوا الله فيه أن ينقذه من تلك
الضلالة. وكأن قلبه مستقيم . وكان يسمع من فم
الأساقفة كما قل الرب لتلاميذه في ذلك الزمان:
من أجل يهودا الاسخريوطى انه لا يهلك إلا ابن
الهلاك.

ولاية مصر من قبل خلفائها عناصر فارسية. وكان آخر وال عربي على مصر عنبسة بن إسحق
(٢٣٨ - ٢٤٢ هـ) (١) على أنه ظهر عنصر جديد في الدولة العباسية اعتمد عليه الخلفاء وهو
عنصر الأتراك. وقد بدأ الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) سياسة الاعتماد على الأتراك .
والاستكثار منهم، إذ رأى فيهم قوما يحبون القتال والحرب وليست لهم عصبية العرب وليس
لهم وطن قديم يريدون إحياءه كالفرس. وسرعان ما تغلغل الأتراك في الدولة وأصبحت بيدهم
شؤونها الحربية والمدينة. ونجد مصر تتأثر بتلك السياسة أيضاً فليها ولاية من الترك كان أولهم
يزيد بن عبد الله التركي (٢٤٢ - ٢٥٣ هـ) (٢).

وأهم ما نلاحظ في حكم مصر في العصر العباسي كثرة تغيير الولاة، وقد يكون هذا
راجعاً إلى بعد مقر الخلفاء العباسية (أعني بغناد وسامرا) عن مصر، فلم يأمن الخلفاء أن
يتركوا ولاية مصر في الحكم طويلاً لئلا يطمعوا في الاستقلال بالبلاد. وقد يكون ذلك راجعاً
أيضاً إلى ضعف الخلفاء العباسيين الحقيقي بالرغم من مظاهر العظمة الخارجية، وخاصة منذ
عهد المعتصم، ولذا عني هؤلاء الخلفاء بتولية ولاية كثيرين في مدد متقاربة قصيرة كيلا يتمكن

(١) الكندي : كتاب الولاة والقضاة ص ٢٠٢ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٢٩٤ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة
ج ٢ ص ٣٠٠.

(٢) الكندي: كتاب الولاة والقضاة ص ٢٠٢ وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٠٨.

ثم بعد ذلك أراد الرب أن ينيح الأب أنبا مينا وينقله إلى أورشليم العليا من هذا العالم المملو نصبا وتعبا وتنيح. وكان مدة مقامه على الكرسي سبع سنين في آخر يوم من طوبه. وتتم تعاليمه حافظا لأمانة أبيه ومضى إلى السيد المسيح بسلام، إلى الرب الذي أحبه، واخذ أكليل الغلبه من جماعة أخوته المجاهدين وتنعم معهم في كورة الاحيا.



أحدهم من الاستقلال بها أو التمكين لنفسه فيها، كما استخدموا البريد للتجسس على أعمال هؤلاء الولاة.

على أن ما كانت تخشاه الدولة العباسية من استقلال الولاة قد تحقق نتيجة لسياسة الإقطاع التي اتبعتها، فمنذ عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ) إتبع الخلفاء العباسيون سياسة إقطاع بعض أقاليم الدولة العباسية لبعض الشخصيات على أن يؤدوا مالا معيناً للخلافة.

ولا ريب في أن النظام الإقطاعي في الشرق كان يختلف اختلافا كبيرا عنه في الغرب، ولعل أكبر فرق بين النظامين الشرقي والغربي أن الإقطاع الأوروبي كان يتوارث في أسرة صاحب الإقطاع وفق تقاليد وراثية معروفة أما في الشرق فلم يكن من حق صاحب الإقطاع أن يورث إقطاعه، كذلك كان السكان في الغرب يقطعون مع الأرض بعكس النظام في الشرق. وقد أقطع الخليفة الرشيد إفريقية (تونس الحالية) لا إبراهيم بن الأغلب في سنة ١٨٤ هـ^(١) وربما تكون قسمة العالم الإسلامي إلى قسمين إقطاعيين في عهد الخليفة المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) الذي عاصره أحمد بن طولون، والذي قسم الدولة العباسية إلى إقطاعيين:

(١) الطبري ج ١٠ ص ٧١.

وبعد نياحته مضى ذلك الشيطان [بطرس] الى
البلد التى ولد فيها ومات هناك بموت مرو هو
موت الخطيه والفقر كما تنبأ عليه أبونا أنبا مينا.
وتعجب كل من شاهده ومجد الله وقال: لقد تم ما
تنبأ به عليه الأب أنبا مينا بروح القدس . وقال كما
قال داوود عبد الله فى المزمور: أنه يذل المتكبر مثل
الجريح . وقال ايضا فى المزمور ١١٨ : ملعون
كل من يحدد عن وصاياك .

شرقى وغربى، على أن يحكم القسم الشرقى أخوه الموفق ويحكم القسم الغربى ابنه المفوض
إلى الله، ربما تكون هذه القسمة قد سبقتها قسمة أخرى فى عهد الخليفة المأمون، فيذكر
الطبرى^(١) أنه فى سنة ٢١٣هـ ولى المأمون أخاه المعتصم الشام ومصر، وولى ابنه العباس بن
المأمون الجزيرة والثغور والعواصم وقد ثبت المعتصم من الحكام من ثبت وعزل من عزل فى
البلاد الخاضعة لحكمه. وتدل أوراق البردى على أنه فى سنة ٢١٧هـ كانت الأوامر والرسائل
التي تصدر إلى الولاة باسم الخليفة المأمون يذكر فيها اسم المعتصم بجانبه^(٢). وقد علمنا من
نص «بروتوكول»^(٣) تاريخه ٢١٧ - ٢١٨هـ أن الأمير المعتصم كتب اسمه بعد الخليفة
المأمون مع كيدر الذى كان واليا على مصر فى سنة ٢١٧ - ٢١٩هـ فى حين أن كيدر هذا
كان الولى الذى أقامه الخليفة مباشرة^(٤).

ولما ولى المعتصم الخلافة (٢١٨ - ٢٢٧هـ) حذو الرشيد والمأمون فاقطع أشناس

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ١٠ ص ٢٧٩.

(٢) جروهمان: المحاضرة الثالثة عن الأوراق البردية العربية ص ١١.

(٣) كان درج البردى يتألف من عشرين ورقة ملصق بعضها ببعض وتسمى الورقة الأولى من هذه الأوراق
باليونانية Protocol وكانت تشمل على الكتابة الرسمية التي تسمى الآن الطراز (جروهمان: أوراق البردى
العربية بدار الكتب المصرية ج ١ ص ٤).

(٤) جروهمان: المحاضرة الثالثة عن الأوراق البردية ص ١١.

وبقيت البيعة أرملة بلا راع [وخلى الكرسي
بعده سنة واحدة] وافترق الرب خرافه الذين
اشتراهم بدمه، واجتمعوا لاساقفه الى مدينة
الاسكندرية وتشاوروا وسألوا الرب أن يظهر لهم
راعيا أميناً وذكر اسم كثير وأقاموا عدة أيام في
هذا والرب يحفظ مصطفىاه الذى يصطفيه
ويمسحه بدهن رحمته ليدعوه للبطركية لأنها
كانت له . وكانوا أبانوا إذا اجتمعوا للاتفاق على

التركي ولاية مصر. وقد علمنا من أوراق البردى أن القائد أبا جعفر أشناس تولى الأمانة على
مصر في سنة ٢١٩ هـ من قبل المعتصم ثم أذن له بأن يولى الحكام بنفسه وهذا يدل على
مكانه أشناس، فقد كان يذكر اسمه في خطبة الجمعة مع الخليفة. ومنذ سنة ٢٢٧ هـ كان
تحت حكمه دولة تمتد من بغداد إلى آخر حدود المغرب. كما ضربت السكة باسمه الذى نقش
على الموازين والمكايل^(١)، وقد ظل أشناس صاحب إقطاع مصر ويعين ولايتها من قبله إلى أن
توفي سنة ٢٣٠ هـ.

ثم أعطى الخليفة الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) مصر لإيتاخ التركي إقطاعاً^(٢) ولم تقتصر
سلطة إيتاخ على مصر، بل نرى الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) يفوض إليه في سنة
٢٣٤ هـ أمر الكوفة والحجاز وتهامة ومكة والمدينة مضافاً إلى مصر^(٣). ولكن لم يلبث
المتوكل أن أمر بالقبض على إيتاخ في المحرم سنة ٢٣٥ هـ وأقطع مصر ابنه وولى عهده
المنتصر^(٤) الذى ظل يولى ولاية مصر إلى أن توفي المتوكل وولى المنتصر الخلافة (٢٤٧ -
٢٤٨ هـ). وفي سنة ٢٥٤ ولى ابن طولون بالنيابة عن باكيك التركي صاحب إقطاع
مصر^(٥).

(١) جروهمان: المحاضرة الثالثة عن الأوراق البردية العربية ص ١٢.

(٢) أبو الحاسن: النجوم ج ٢ ص ٢٥٥.

(٣) أبو الحاسن ج ٢ ص ٢٧٥.

(٤) أبو الحاسن ج ٢ ص ٢٧٨.

(٥) المقرئى: خطط ج ١ ص ٣١٣.

إقامة بطرك يكتبون اسما كثير فى رقاع صغار
ويضعونها على الهيكل ويصلون الأساقفة والكهنة
والشعب الارتد كسى الى الرب بنيه خالصه
ويصيحون « كيريا ليسن » ، ثم يجعلون طفلا لم
يعرف خطيه يمد يده ياخذ رقعه من جملة الرقاع ،
فالذى يخرج اسمه يقدمونه على البطركيه . فلما
فعلوا ذلك وكان قيما لبيعة القديس أبى مينا قس
اسمه يوحنا ولد الأب انبا خايل [خايل] ومولده
فى « بنا بوصير » وترهب بوادى هبيب فاتمنوه على

على أن سياسة إقطاع الأتراك ولاية مصر ادت إلى نتيجة لم تكن فى الحسبان . إذ كان
هؤلاء القواد الترك يؤثرون البقاء فى عاصمة الخلافة خشية أن تدبر ضدهم الدسائس ، كما
كان الخليفة نفسه يرحب ببقائهم فى العاصمة خوفا من أن يستقلوا بالبلاد التى كانوا
يحكمونها فكان هؤلاء الأتراك لا يحكمون بأنفسهم بل يستخلفون من يقوم بالأمر نيابة
عنهم على أن يحمل إليهم هؤلاء النواب الأموال ويدعون لهم على المنابر كما يدعى
للخليفة^(١) .

وتدل الوثائق البردية على أنه كان يدعى للخليفة وللوالى معا فى خطبة الجمعة^(٢) . وإذا
كان الخلفاء يراقبون أصحاب الإقطاع لئلا يستقلوا بالبلاد ، فإنه لم يكن فى استطاعتهم أو لم
يدر بخلداهم أن يراقبوا نوابهم ، ولم يكن من العسير على نائب وال له شخصية بارزة وله آمال
واسعة أن يستقل بأمور البلاد بعد أن تطرق الضعف إلى مركز الخلافة نفسها . وهذا ما حدث
فى عهد أحمد بن طولون الذى استقل بمصر عن الخلافة وأسس بها دولة مستقلة عرفت
باسم الدولة الطولونية كانت أول دولة مستقلة فى تاريخ مصر وقتها .

(١) الدكتور زكى محمد حسن : مصر والحضارة الإسلامية ص ٤ .

(٢) جروهمان : المحاضرة الثالثة عن الأوراق البردية العربية ص ١٢ .

الأقنوميه . من قبل الأب انبا مينا المتنيح فذكره
شيخ شماس دين من كهنة اسكندريه فقال لهم:
هل ذكرتم القس يوحنا قيم بيعة أبى مينا لتكتبو
اسمه؟ ولم يكونو ذكروه بل الرب ذكره على فم
الشيخ الكاهن، فكتبو اسمه وصلو وفعلو ما قدمنا
ذكره تلت دفعات فخرج اسمه فيها التلت
[مرات] فتعجبوا الناس الحاضرون وصرخو وقالو
بالحقيقه انه مستحق فقدموه وجلس على الكرسي.

٢. النظام المالى

الجزية والزكاة

قبل أن نبدأ بتفصيل الكلام على النظام المالى للعرب فى مصر يجدر بنا أن نشير أولاً إلى
معنى الجزية والخراج. فالمعروف أن الجزية هى الضرائب المفروضة على الرؤوس أما الخراج فهو
ضريبة الأرض، ولكننا كثيراً ما نجد فى المراجع خلطاً بين هاتين الضريبتين فرى الجزية تعنى
ضريبة الرؤوس وضريبة الأراضى معاً. ويلاحظ Van Berchem^(١) أن كلمة خراج يقصد بها
الضريبة العقارية، وأيضاً جزية الرؤوس، وأحياناً تطلق على ضرائب أخرى تختلف فى طبيعتها
عن هاتين الضريبتين.

بعد غزو العرب لمصر، وأعنى هنا بعد معاهدة بابلون الأولى، فرض العرب على أهل مصر
الجزية، وهاك نص ما ذكره المؤرخون. «فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض
على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها^(٢) من القبط دينارين عن كل نفس شريفهم ووضعهم
ومن بلغ الحلم منهم، ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على
النساء شئ... وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض عليهم الديناران

(١) La Propriété territoriale et l'impôt p. 21.

(٢) أعلاها وأسفلها أى الوجه القبلى والوجه البحرى.

السيرة العشرون من سير البيعة المقدسة

الاب الجليل أنبا يوحنا [الرابع] البطريرك وهو

من العدد الثامن والأربعون

[٧٧٥ / ٧٩٩]

وبعد جلوس الأب أنبا يوحنا كتب سنوديقا
ممتليه حكمه إلى الأب المغبوط جرجه بطرك
انطاكية يعلمه اتحاده معه بالامانة وسبب جلوسه
على الكرسي، وجرجه هذا الذي ذكرناه كان

رفع ذلك عرفاؤهم^(١) بالأيمان المؤكدة، فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها
من جميع القبط فيها أحصوا وكتبوا ورفعوا أكثر من ستة آلاف نفس وكانت فريضتهم يومئذ
إثنى عشر ألف ألف دينار في كل سنة^(٢).

هذا فيما يتعلق بالجزية التي فرضت على أهل الذمة في مصر. كما ذكرها بعض المؤرخين.
ويذكر البلاذري^(٣) في رواية له عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه وضع على كل حالم
دينارين جزية إلا أن يكون فقيرا. ولا نفهم من هذا النص إذا كان الفقراء قد أعفوا من الجزية
أم قدرت عليهم جزية أقل من غيرهم. أي أنه إذا استثنينا النص الذي ذكره البلاذري بأن
الفقراء لم يدفعوا الدينارين نفهم مما ذكره المؤرخون أن المصريين تساوا في دفع الجزية.

وقد أثبتت أوراق البردي فساد الرأي الذي يقول بمساواة الذميين في دفع الجزية وأثبتت أن
الجزية كانت تتناسب مع ثروة الشخص. ففي كتاب من قرة شريك إلى صاحب كورة أشقوه.

(١) العريف: العالم بالشئ ومن يعرف أصحابه والجمع عرفاء. ويذكر De Sacy أن العريف معناها كاتب
وهي المقابلة للكلمة اليونانية جرافس أي كاتب "Sur la Nature et les

Révolutions du droit de Propriété P. 179.

(٢) ابن عبد الحكم (طبعة المعهد الفرنسي) ص ٦٣ - ٦٤ وخطط المقرئ ج ١ ص ٢٩٢ - ٢٩٣
والسيوطي: بن حسن الخاضرة ج ١ ص ٥١.

(٣) فتح البلدان ص ٢١٤.

قد قام واحد من أساقفته ورفع عليه [طعون] عند الملك حتى أخذه وقيده وحبسه وجلس الأسقف الرافع عليه على الكرسي، ولم يكن كتب رساله إلى بطرك اسكندريه ولا تقليدا، فمات وعاد جرجه وافرغ عنه وجلس على كرسي انطاكيه بعد عشر سنين بمجد وكرامه. فلما وقف على كتب المغبوط أنبا يوحنا عند وصول رسله إلى انطاكيه قبلهم وفرح بهم وكذلك جماعة المطارنة

نجده يأمره بأن يرسل كشفاً بالأماكن المختلفة لمعرفة عدد الرجال في كل مكان، والجزية الواجب عليهم أداؤها وما يملكه كل رجل من الأراضي وما يقوم به من الأعمال. ويطلب من صاحب الكورة ألا يوجد أى مجال للشكوى أو الاستياء منه ويذكره بأنه مصمم على مكافأة من يسير سيراً حسناً ومعاقبة من يتكبد عن طريق العدل^(١) ونحن نرى من هذا الكتاب أنه لو كان كل فرد يدفع جزية مساوية لما يدفعه الآخر لما طلب والى مصر كشفاً بما يملكه كل شخص وما يقوم به من عمل وبالجزية الواجبة عليهم، ولما طلب من صاحب الكورة أن يكون متنبهاً في عمله، وقد حفظت لنا أوراق البردى أيضاً كشفاً من القرن الثالث الهجرى دونت فيها أسماء أشخاص مختلفين، وذكرت فيها مقدار الجزية الواجبة على كل، وقد اختلفت هذه الجزية باختلاف كل شخص وقلما نجد شخصين يدفعان جزية متساوية؛ فشخص يدفع ديناراً، وآخر ديناراً ونصفاً، وثالث ثلثي دينار، ورابع ديناراً وثلثاً وهكذا^(٢). وهذا بلا شك راجع إلى تقدير الجزية على أساس ثروة كل شخص. ويجمع الفقهاء أيضاً على أن الجزية

(1) Bell. Translations of the Greec Aphrodito, der Islam, II, P. 272.

(2) Grohmann: Arabic Papyri in the Egyptian Library. vol. III pp. 197 - 178, 201 - 203, 217, 219, 220 - 221.

والأساقفة المجتمعين عنده مجدو السيد المسيح على
اتفاق كلمتهما على الأمانة الارتدكسية واجتماعها
بعد الأيام التي جازت بفرح عظيم وبهجه
روحانيه، وكتب جرجه ومطارنته وأساقفته جواب
السنوديقا إلى الأب أنبا يوحنا كالقوانين البيعية
السالمه من الزوجان.

وكان أنبا يوحنا حسن الهيئة تام القامة مويدا
من الله في جميع اموره، وكان كل أحد يشتهي

كانت تناسب إلى حد ما مع ثروة الشخص فيؤخذ من الموسر ثمانية وأربعون درهما ومن
الوسط أربعة وعشرون ومن دون الوسط إثنا عشر درهما^(٢) وعن هشام بن أبي رقية اللخمي
أن صاحب إخنا^(٣) قدم على عمرو بن العاص فقال له «أخبرنا ما على أحدنا من الجزية
فيصبر»^(٤) لها فقال عمرو وهو يشير إلى ركن الكنيسة. ولو أعطيتني من الأرض إلى
السقف ما أخبرتك ما عليك إنما أنتم خزانة لنا إن كثر علينا كثرنا عليكم وإن خفف عنا
خففنا عنكم^(٥)، وهذا يبين لنا أن العرب لم يحددوا الجزية على أهل الدمة في مصر، وإنما
كتفوا بفرضها عليهم كما يظهر ذلك من نص معاهدة بابليون، وترك تقديرها للوالي أو

.....
(١) أبو يوسف: كتاب الخراج ص ٦٩ ويحيى بن آدم القرشي: كتاب الخراج ص ٥١ والماوردي: الأحكام
السلطانية ص ١٣٨.

(٢) إخنا بالكسر والنون مقصور وبعض الناس يقول إخنو ووجدته في غير نسخة من كتاب فتوح مصر
بالجيم واحفيت في السؤال عنه بمصر فلم أجد من يعرفه إلا بالهاء وقال القضاعي وهو يعدد كور الحوف
الغربي وكورتا إخنا ورشيد والبحيرة وجمع ذلك قرب الاسكندرية وأخبار الفتوح تدل على أنها مدينة
قديمة (معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ١٦٦).

(٣) في الخطط للمقريزي ج ١ ص ٧٧ «فصيرلها».

(٤) ابن عبدالحكم: فتوح مصر (طبعة تورى) ص ١٥٣ - ١٥٤ وخطط المقريزي ج ١ ص ٧٧.

أن ينظر صورته المقبولة [المباركة] ورزق قبولاً عند
كل الملوك والولاة مثل يوسف الصديق الذي
كانت يد الله معه وخلصه من جميع أحزانه
وأعطاه نعمه وحكمه أمام فرعون.

وكان الأب يوحنا مداوماً على فعل الخير، واهتم
ببنا [ء] بيعة ومسكن بطريركتي وزينه بكل زينة
حسنة، وزين [كذلك] البيع بأسكندرية بكل زينة
وجمال، وكان الزمان مساعداً له وكانت

الخليفة. ويذكر ابن عبد الحكم^(١) في رواية له عن عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهبة عن
يونس عن ابن شهاب «أن عمر بن الخطاب كان يأخذ من صالحه من المعاهدتين ما سمي على
نفسه لا يضع من ذلك شيئاً ولا يزيد عليه، ومن نزل منهم على الجزية ولم يسم شيئاً نظر عمر
في أمره فإذا احتاجوا خفف عنهم وإن استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم».

وكانت الجزية في مصر تدفع نقداً بالدنانير الذهب وكسور الدنانير، وكان المصريون
يعرفون تلك الضريبة حسب ما ورد في قطع «الاستراكا» وفي أوراق البردي المكتوبة باليونانية
باسم دمزيا أما في أوراق البردي العربية فتعرف باسم الجزية^(٢).

ضرائب الصناعة والتجارة

كانت حكومة العرب منذ الغزو تفرض ضرائب على الصناع والأجراء^(٣).

وكان العرب في مصر - كالبيزنطيين - يفرضون ضرائب على التجارة وتعرف هذه
الضرائب بالمكوس^(٤).

(١) المرجع نفسه ص ١٥٣. (٢) الأحكام السلطانية ص ١٣١ - ١٣٢ و ١٤٠.

(٣) ابن عبد الحكم : طبعة تورى ١ ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٤) كلمة مكس مشتقة من اللفظ المصرية القديمة «مكس» وهو صك خراج مصر الذي نراه دوماً في -

السلطين تهابه وتبلغه أغراضه وتقبل قوله ولا تمنعه من شى يريد، وكان الشعب الارتد كسى يطيعه وكان فى البيعه فى أيامه هدو وسلامه وما يفتر من فعل الخير. وأكثر اهتمامه بعمارة بيع اسكندريه حتى أنه عمل تذكارا عظيما له بهذه المدينة. وكانت سيرته جميله حتى أن المخالفين الذين بمدينة اسكندريه حسدوه كعادتهم الملاحين مع الارتد كسين حتى فى الأمانه وخاصه فى أيام هذا القديس يوحنا لنظرهم لأعماله الحسنه فى

كما فرضت ضرائب على التجارة الخارجيه التى تمر بشغور مصر أو التى ترد إليها أو تُصدر منها، فيذكر المقرئى فى خطظه جـ ١ ص ١٠٩ أنه كان يجبى من التجار فى الشغور المصريه، وهى دمياط وتيس ورشيد وعيذاب وأسوان والاسكندريه، ضرائب مقرر.

الضرائب الأخرى

كانت حكومة العرب فى مصر تفرض على المصريين ضرائب أخرى غير تلك التى ذكرناها، ويمكننا اعتبار واجب الضيافة على أهل البلاد للجنود المسلمين وغيرهم الذين يمرون فى البلاد من هذه الضرائب، فقد اشترط على القبط بعد غزو العرب لمصر أن من نزل عليه ضيف واحد أو أكثر من المسلمين وجبت عليه الضيافة لهم ثلاثة أيام^(٢).

وقد ورد فى نصوص أوراق البردى ذكر الضرائب غير عادية. فنرى قره بن شريك يطالب

بـ ٥٠٠ ناثيل ملوك الفراعنه. ويذكر المقرئى أن أصل المكس فى اللغة الجباية يقال مكسه يمكسه مكسا، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق فى الجاهلية، والمكس هو العشار ويقال للعشار صاحب مكس والمكس أيضا انتقاص الثمن فى البياعة ومكس درهم معناه انتقاص درهم فى بيع ونحوه وعشر القوم معناه أخذ عشر أموالهم، العشار هو قابض العشر (المخطوط جـ ٢ ص ١٢١).

(٢) ابن عبد الحكم، طبعة المعهد ص ٦٤ وخطوط المقرئى : جـ ١ ص ٢٩٢ والسيوطى: حسن المحاضرة جـ ١ ص ٥١.

البيعه وفي جميع البيع باسكندريه بالمجد
والكرامه.

والكذاب الذى كان فى ذلك الزمان ابا
الهراطقه انسان يسمى يوليانوس كان رجلا طيبا
ماهرا، وكان ملوك الإسلام تراعيه لأجل صناعته
ولم يفتر من ذكر ابينا البطرك أنبا يوحنا بكلام
الحسد.

وكان الله الذى يعرف اخفايا يرفع هذا الإنسان

فى رسائله إلى صاحب أشقوه بجمع تلك الضرائب العادية أو بجبايتها من الناس^(١). ونعرف
أنه فى ولاية موسى بن مصعب الخثعمى على مصر (١٦٧ - ١٦٨ هـ) فرضت ضرائب على
أهل الأسواق والدواب^(٢).

لما ولى ابن طولون مصر ألغى ضرائب كان قد ابتدعها ابن المدبر^(٣) ويحدثنا المقرئى^(٤)
عن هذه الضرائب فيقول: إن أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين
ومائتين ابتدع فى مصر بدعا صارت مستمرة من بعده فأحاط بالنظرون وحجر عليه بعد ما
كان مباحا لجميع الناس وقرر على الكل الذى ترعاه البهائم مالا سماه المراعى، وقرر على ما
يطعم الله من البحر مالا سماه المصايد إلى غير ذلك، فانقسم حينئذ مال مصر إلى خراجى
وهلالى. والخراجى ما يجبى مسانهة، أما الهلالى فهو ما يجبى مشاهرة. وكان الهلالى يعرف
فى زمن ابن المدبر وما بعده بالمرافق والمعاون وهى التى ألغها ابن طولون. ويلاحظ بيكر
Becker حسب ما ورد فى أوراق البردى أن ابن المدبر ولى خراج مصر منذ سنة ٢٤٧ هـ لا

(١) Bell: op. cit. pp. 272, 281 - 282.

(٢) الكندى: الولاة والقضاة ص ١٢٥.

(٣) الكندى: ص ٢٠٥ - ٢١١ والمقرئى: ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٣. Zaky M. Hassan: les Tulinides. P. 38.

(٤) خطط ج ١ ص ١٠٣ و ١٠٧ - ١٠٩ وج ٢ ص ٢٦٧. Zaky Hassan. op. Cit. pp. 244 - 246.

يوما بعد يوم، وكانت روايح طيب تعاليمه قد بلغت إلى كل أحد، ولأجل هذا كانوا محبو الله يفتكرون ويقولون نحن نسلم إليه أموالنا لينى بها بيع اسكندريه تذكارا لنا ولمن يجرى بعدنا . وهكذا كانوا يحملون إليه، المزين بالفضايل، مالا جزيلا وكرامات ويسيلونه [يسئلونه] أن يهتم فى عمارة البيع، حتى تم ما قيل فى النبي داود: غيره بيتك اكلتى. فقبل ذلك منهم لعلمه بمحبتهم وابداهم مالهم وخيرهم وامانتهم المستقيمة بالله.

كما يذكر المقرئى بعد سنة ٢٥٠هـ^(١) وتبين من أوراق البردى أنه فرضت ضريبة مراعى المواشى وضريبة الصيد بين سنتى ٢٤٧ و٢٥٣هـ^(٢).

ونلاحظ على وجه الإجمال أن النظام المالى العربى كان مأخوذاً إلى حد كبير من النظام البيزنطى، ولم يكن أخف منه وطأة فكان النظام المالى فى مجمله صورة مماثلة للنظام البيزنطى. وقد زادت وطأة هذا النظام خاصة فى عهد أصحاب إقطاع مصر من الترك كما يتبين من أوراق البردى.

الفلاح والأرض الزراعية

لتفهم وضع الفلاح والملكية الزراعية يجب أن نرجع إلى مصدرين: كتابات المؤرخين وإن كان أغلبهم قد كتب بعد الفتح بثلاثة قرون، وهى اما كتب تتناول الفتح وأحداثه، أو كتب تتناول الخراج وموارد الدولة الاسلامية، وهذه تصور الجانب المالى فالأمر يختلف عند التطبيق، ثم أوراق البردى العربية والقبطية أو الصورة الحقيقية لما كانت عليها الادارة. فكما ذكر المؤرخون أن العرب أقروا كل اقليم مفتوح على جبايته السابقة وجعلت الأرض فى مصر

(١) Zaky Hassan op. Cit. p. 37.

(٢) جروهمان : المحاضرة الرابعة عن الأوراق البردية العربية ص ٧.

وكان قد صحبه شماس محب لله مستيقظ
جدا ممتلى امانه وحكمه روحانيه اسمه مرقس،
وهذا كان اسكندرانيا، وقد مسك رجل [قيادة]
السفينه التى هى البيعه ، سفينة النجاة من طوفان
الشياطين باجتهاد ، وكان أبونا أنبا يوحنا يعرفه من
صباه، وكان قيّم بيعة أبى مينا، وبحكم معرفته له
ولأهله جعله شماسا، وكان يقرأ الإنجيل فى كل
موضع يقدس فيه ويحضره بصوت حنين والحنان
مطربة تخشع لسماعها القلوب. ولأجل هذا كان

خراجية وتركت بيد أصابها، وهذا يدفعنا إلى التساؤل هل أبقى العرب على طرق الجباية وعلى
الملكية بصورتها السابقة فى القرن السادس والسابع ؟ فمن واقع البرديات احتفظ العرب
بالعديد من الأوضاع السابقة وان كانوا فى نفس الوقت نبذوا البعض الآخر. فقد احتفظوا
بتقدير الخراج وفقا لنوعية الأرض وخصوبتها ولكنهم تركوا نظام الجباية الذاتية واحتفظوا
بالموظفين الأقباط، وان كانت صورة توزيع الملكية الموجودة فى أواخر العصر البيزنطى لم تعد
كما هى. ففي الفترة البيزنطية كانت الملكية الزراعية فى مصر كما يلى: أرض تتبع الكنيسة
التى تحولت إلى أحد كبار الملاك - أرض اقطاع - القرى المتمتعة بالجباية الذاتية - أراضى صغار
الملاك - أراض تتبع الدولة. الثلاث الأول تمتعوا بالجباية الذاتية وكان لهم موظفونهم الذين
يتسلمون الضرائب النقدية والعينية ويقومون بتسليمها مباشرة لمسئول البنك التابع للولاية هذا
فى حالة الضرائب المالية، أما المحاصيل العينية فكانوا يتولون ارسالها الى الاسكندرية.

وكان صغار الملاك هم الفئة الوحيدة التى خضعت للاشراف المباشر من الادارة فى
الباچاريه (القسم الادارى الالاقليم) وموظفيها فهل ظل هذا التوزيع قائما وتلك الاقطاعات
بكيفها وكمها قائمة فى العصر الاسلامى ؟ بلاشك اختلف الوضع كثيرا وسنعرض لكل منها
على حدة بالتفصيل.

الشعوب يكرون إلى البيعه ليسمعوا قراءاته
وحسن صوته، ولمعرفته بالقراءة وحسن منظره.
وعند قراءته، يجعل كل كلمة في موضعها وكان
عالما بالكتب وقراءة جميع المسطاغوجي. وكانوا
يقولون مبارك هو الرب الإله الذي دفع ولدا
حكيمًا لداود كما قيل . كذلك كان الشعب
المؤمن يقول يتمجد الله مبارك هو الله الذي أقام
لنا هذا الشماس المحب لله مرقس، مبارك هو الرب
الذي جعل هذا الغصن يزهر لنا من هذه الشجرة

أولاً، نلاحظ اختفاء نظام الجباية الذاتية وقد خضعت جميع أراضي الدولة لنفس الإدارة
وكما ذكر ابن عبد الحكم (يجمع عرفاء كل قرية ومازوتها ورؤساء أهلها، فيتناظرون في
العمارة والخراب حتى إذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور، ثم
اجتمعوا هم ورؤساء القرى، فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع^(١) «أى أنهم
أعتمدوا على القرية كوحدة رئيسية واحتفظوا بمجلسها القديم بل بنفس الأسماء فالمازوت
تحريف لاسم الميزون البيزنطي (أحد أعيان القرية والمشراف على الجبايات المالية) وعلى أساس
تقديرهم لنوعية الأرض والمساحات المنزرعة ترفع إلى ديوان الخراج بالكورة Curia وهو تعبير
يوناني بمعنى القسم وتعادل الباجاركية. وفي عدد من البرديات القبطية استعمل لفظ
الباجاركية بدلا من الكورة. وبعد استشارة المسئولين هناك وتحديد نصيب كل فرد في الاقليم
يعود رؤساء القرى لتوزيع الأنصبة عليهم اذ تساوت الجباية في العصر الاسلامي ولم يعد هناك
فرق بين أرض وأخرى في الجباية.

ثانياً، بالنسبة للاقطاعات الكبرى كاقطاعات أيون وايميانوس وكريستيدورا فلا توجد
إشارة إليها في البرديات العربية أو القبطية المعاصرة للغزو وبعده وليست هناك إشارة إلى
الملكيات الكبرى والتي عرفها العرب فيما بعد باسم الأوسية، بل جميعها تشير إلى ملكيات

(١) ابن عبد الحكم : ص ٢٠٦.

المباركه أبانا القديس يوحنا وولده مرقس . طوبى
لمدينتنا التى استحققت هذه النعمة . وكان أبونا
البطرك إذا شاهد هذا الشماس وأفعاله يفرح به
ويشكر الله الذى وهب له هذه الموهبة للبيعه
فتركه له مشيراً فى جميع أحواله . كان مرقس
كلما قدمه البطرك ازداد تواضعاً لكل أحد من
صغير وكبير، وأفضل من هذا طاعته للأب فى
كلما يأمره به . فلما امتلا من النعمة طلب من
أبينا أن يجعله مستحق الاسكيم الملايكى الذى هو

صغرى وخاصة أن سجلات أيون توقفت عند ٦٢٠م فهل صودرت أملاكهم أم تركت فى
أيديهم؟ انها تحولت فى الغالب الى اقطاعات خاصة بالخلافة فان أيون وإيميانوس كانا من
كبار موظفى الدولة البيزنطية فربما صودرت أملاكهم على هذا الأساس .

وتشير المراجع إلى أن عمر بن الخطاب أقطع ابن سندر ١٠٠٠ فدان فى منية الأصبع وبعد
وفاته اشتراها الأصبع بن عبد العزيز^(١) والفدان يعادل ٢ أرورة أى أن ماحازه ابن سندر يقرب
من ألفى أرورة، وهى مساحة واسعة اذا قيست بما كان يملكه الكونت إيميانوس، فمن أين
جاءت تلك الأراضى والمعروف أنها أرض زراعية خصبة، حقيقة أن كل ما يخص الأباطرة من
أرض آل إلى الخلفاء ولكن الضياع الامبراطورية كانت قليلة جداً وما وصلنا من القرن السادس
نادر فغالبا كانت الأراضى التى وهبتها الخلافة نتيجة مصادرات كبار الموظفين والاقطاعيين أو
هروب اصحابها.

أما عن الأراضى التى تتبع الدولة فى العصر البيزنطى فنادر ما نجد إشارة الى أراض تتبع
الاقليم فغالبيتها كانت أرض أفراد، ولكن فى القرن الثانى الهجرى الثامن الميلادى بدأت تنمو
اقطاعيات جديدة وان كان أصحابها هذه المرة من العرب . وذكر المقرئى أن خلفاء بنى أمية
وبنى العباس كانوا يمنحون الاقطاعات للمقرئين اليهم ويشير ساويرس بن المقفع إلى أن أحد

(١) ابن عبد الحكم: ص ١٨٦ .

الرهبنه، فأخذه معه إلى البريه عند نظره لشهوته
إلى دير الأب المضى [ع] أبى مقار، مجمع الرهبان
وموضع الحكم العاليه والصلاة الدايمة ليلا ونهارا
بتمجيد الثالوث المقدس فى السابع والعشرين من
برمهاث، وهو يوم نياح القديس أبى مقار. فلما
لبس الاسكيم نظر إليه إنسان شيخ راهب مضا[ء]
بروح القدس. فقال هذا الشماس الذى اسمه
مرقس هو مستحق أن يجلس على كرسي ابيه

الأفراد فى عهد يزيد بن معاوية كان له دخل خارج أواسيه ٧ آلاف دينار، وفى عدد من
برديات القرن الثانى والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين اشارة الى أواسى ومصاريفها
وأجور عمالها ومزارعيها وهى غالبا قد تكونت من الهبات والشراء وازداد حجمها فى العصر
العباسى بعد شيوع نظام المقابلة حيث يتولى شخص مسئولية جمع الضرائب عن الاقليم وهو
قريب من نظام الجباية الذاتية البيزنطى.

ثالثا، بالنسبة لأرض الكنائس: تمتعت الكنائس بأراض زراعية ممتدة المساحة بل كان لها
حق الحماية الذى حرم منه الأقطاعيون فأصبحت تملك قرى بأسرها، وكانت الكنائس تدفع
الضرائب للدولة كما ثبت من برديات كوم أشقوه^(١) فيما عدا ما حصلت عليه عن طريق
الهبة الامبراطورية، ولكن ما اشترته وما وهبه أفراد وما استصلحته فرضت عليه ضرائب وقد
حدد الحكم الاسلامى موقفه، بأنه لا تؤخذ جزية ممن ترهب أو يتل فاذا كانوا قد أعفوا من
جزية الرؤوس فهل أعفت أراضيهم من الخراج الذى كان يفرض عليهم فى العصر البيزنطى؟
خاصة أن جميع أراضيهم كانت مؤجرة لمزارعين.

فى مجموعة البردى القبطية اشارة إلى ايصالات ضرائب دفعت بواسطة ديراوتوماس
أصدرها أبو للوس وباخوم إلى أبى جورج رئيس الدير السابق. وايصالات أخرى لدير من أجل

(١) المقربرى : الخطط ج ١ ص ١٧٨.

مرقس الإنجيلي. وبدا ان يزيد في التواضع والطهارة
والقدس حتى تم فيه ما قال الله: لمن انظر إلا على
المتواضع القلب الخائف مني.

فإذا سمعتم يا أخوه مني هذا الكلام فلا
تواخذوا عليّ انني تركت عنى كلام الأبأ المغبوطين
وبنا [ء] البيعه بمدينة اسكندرية وذكرهم مع لزومه
لنا، وهكذا يجب علينا أن نذكر النبيين المتواضعين
الذين فازوا بالاعمال وارضوا الابأ [ء] بتقبلهم حتى

ضريبة النقود ومن الدير البحري ذكرت في الاسترواكا اسم رهبان دير في جيما ودير القديس
فيبيون حيث وجد أرشيف كامل خاص بالدير ذكر فيه أنه دفع شعير وكتان للقسم السابع
والثامن، ودفع كرياكوس القس ميزانا من الشعير، وفي بردية أخرى يبدو فيها قس متوليا
لوظيفة كاتب العدل ويشرف على الجبايات حيث أرسل أحد الأشخاص إلى الشمساس يطلب
منه تحرير من أعباء الأرض في قريته ورفع جزء من الحقول المفروضة عليه لعدم استطاعته
دفع الضريبة، وفي خطاب آخر قس ينصح أحد الأفراد بدفع ما عليه من الضرائب، وجميع
تلك الوثائق مؤرخة في القرن الثامن فلا نستطيع التأكد هل صدرت بعد قرار عبد العزيز بن
مروان بفرض الجزية على الرهبان أم قبلها؟ فقد أرسل عبد العزيز شخصا يدعى يزيد ومعه
آخرون فأحصوا كل الرهبان في كل وادي هبيب وجبل حراء وفرضوا على كل منهم جزية
دينارا وأمروا ألا يرهبوا أحدا بعد من أحصاه ويذكر أبو صالح الأرمني (أن الأساقفة بالكور
الزمهم بأن يفوا بألف دينار خارج عن خراج أو اميهم) (١).

وفي بردية تعود لعام ٦٩٧م / ٧٦هـ من دير أبو بولس في بلدة جيما بالأقصر طلب رؤساء
الدير مسئول الأقليم الذي يخاطبونه بالأمير السماح لثلاثة رهبان من الدير بالسفر من القيوم
إلى القسطنطينية لبيع أثواب من انتاجهم ويطلبون التصريح لهم بثلاثة أشهر حيث كانت الدولة

(١) أبو صالح الأرمني : تاريخ . ص ١٦٣ .

تسمع الاجيال والقبائل الآتية فينمو هم أيضا بنعمه
روح القدس كمثل ما كتب لسان العطر بولس
وقال : انى غيور بالروح ولا أدع عنى هذا. وتفسير
انى غيور يعنى بالاعمال الروحانية. اسمعو كيف
بدا ابونا البطرك انبا يوحنا ان يهتم بنا [ء] البيعه
مثل ما طلبا منه المحبان لله الطوبانيان كورا [كوريا]
وبرنابا لما رأيا شهوة شعب المسيح فى هذا. وكان
للبيع وصايا فدعا الشماس مرقس وقال له: يا

تخطر ترك الفرد موطنه بدون تصريح ويذكرون بأنهم قاموا بأعباء ما عليهم من الضرائب
تختص بالقسم الثانى عشر وغالبا المقصود ضرائب الجزية. وهناك عدد من ايصالات الخراج
والجزية دفعها رهبان، فجورج الراهب دفع صولدا لمدفوعات القسم الثانى من العام الأول فى
شهر برمودة .

رابعاً، الأراضي الامبراطورية وقد ألحقت هى والأرض الموات وأراضى كبار موظفى بيزنطة
بالخلافة، وكانت مساحتها عامة صغيرة. فغالبية الأرض ملكها صغار الملاك وقد أقيمت فى
أيدي اصحابها على أن يدفعوا عنها الخراج، ولكن يلاحظ أنه منذ القرن الأول الاسلامى
حوث قوائم الخراج أسماء عربية كمستأجرين وملاك، وأشارت إلى إيجارات أراض بالمقاسمة
بين مسلم ومسيحى رغم أن عمر بن الخطاب منع الجند من امتلاك الأرض بل أصدر أمرا إلى
أمراء الأجناد أن يلغوا الجند أن عطاءهم قائم ورزق عيالهم سائل، فلا يزرعون ولا
يزارعون^(١) وذكر ابن تيمية (إذا احتاج الجند المرصدون للجهاد إلى فلاحه أرضهم ألزم من
صناعته الفلاحة بأن يصنعها لهم دون مقابل كما ألزم الفلاح أن يقلح للجند^(٢) دون مقابل.
بل ان أحد الجنود قام بزراعة أرض فى مصر مخالفا أمر عمر فأرسله عمر إلى مكة ونزع منه
الأرض.

(١) ابن عبدالحكم : ص ٢١٧.

(٢) ابن تيمية: الحسبه فى الاسلام ص ١٦.

ولدى يكون لك أجر من الله أن تقف على بناء
البيع [باسكندرية] لأنك عارف بالمدينه والصناع
واعمالهم، وأنا أعلم أن الله معك واعتقد وآمن أن
الذى تهتم به والخير بامانتك يكون لك ويتم .
فقال: قدسك يعرف أن حجج المخالفين الملاعين
كثيره التى يقاومونا بها وهو خطيه على إن قاومت
روح القدس الساكنه فيك، والآن فأنت يا أبى قد
أردت فعل الخير. ثم ضرب له المطانوه (*) وقال له:
صلى على يا أبى. فقال له: الرب يبارك عليك

(*) الميطانية : الحناء مع رسم
الشخص ذاته بالصليب. وهى من
طقوس العبادة فى الكنيسة كما =

ولقد بدت الحاجة ماسة إلى استخدام القبائل العربية نتيجة لهروب الفلاحين من الأرض
بسبب التعسف فى جمع الاموال منهم والزمامهم بزراعة الأرض التى اغتصبها العرب دون
مقابل. وبدأ ذلك واضحاً مع بداية القرن الثانى الهجرى الثامن الميلادى. وفى عهد هشام بن
عبد الملك أرسل عامل الخراج ابن الجحباب إلى الخليفة يطلب ارسال ثلاثة آلاف من قيس إلى
اللجون الشرقى،^(١) وقد وصل بنى نصر وبنى سليم ومنحتهم الدولة مالا اشتروا به ابلا
لمعاونتهم على الاستقرار وكان دخل الواحد منهم كما ذكر المقرئى ١٠ دنانير فى الشهر
وأدى هذا إلى انشغال العرب على مصر فنزل بنو أمية وخاصة بنو أبان بن عثمان بن عفان
وخالد بن يزيد بن معاوية، ومسلمة ابن عبد الملك بن مروان، وحبيب بن عبد الملك، وبنو
مروان بن الحكم للصعيد فى كورة الأشمونيين^(٢).

وكانت الأرض التى يزرعها العرب تعتبر فى البداية أرضاً عشرية أى لا يدفع عنها خراج،
ولقد ازدادت أعداد الملاك العرب وما امتلكوه من أراض عن طريق شراء الأرض الخراجية
أوالهبة من الدولة أو احياء الأرض الموات^(٣) وامتلاك أراضى المصريين الهاريين. وكان العرب

(١) المقرئى: الخطط ١٤٥ - ١٤٦.

(٢) القلقشندى: قلائد الجمال تحقيق: ابراهيم الايارى ص ١٩٦.

(٤) أبو يوسف: كتاب الخراج ص ٧٥. الماوردى: الاحكام السلطانية ص ١٧٧.

- أنها تقدم تعبيراً عن التوقير
والاحترام للرتب الكنسية الرفيعة
مثل البابا أو الأسقف.

ويكون معك حتى تكمل عمارة بيته المقدس
لتفتخر به بعدنا. فقال للبطررك: تأمرني أبوتك ان
أضع الأساس كما ينور الله على.

فاهتم البطررك بكلما يحتاج إليه البناء [ء] وجمع
الفعله والرويسا وصلى ووضع أساس البيعه
والمساكن المحيطة بها ، وسلم كلما تحتاج إليه في
يد الشماس مرقس المحب لله ليهتم بالبناء [ء]
وهكذا اوتمن على بنا [ء] البيعه المقدسه وكان الله

يرحبون بامتلاك تلك الأرض ففي بردية تعود لأواخر القرن الأول أو أوائل الثاني الهجري
السابع والثامن الميلادي: (أما بعد فإن الأمير أصلحه الله بعثنا إلى أرض ماوها... فيها جائع،
والكبير فيها ضائع فنحن على اليقين في بلد حزين نمسى جائعين نصبح ضائعين). وبدخول
أهل الذمة في الاسلام أصبح من الصعب التمييز بين المسلمين من المصريين والعرب في
القوائم البردية ولو أن عدد من أسلم في البداية كان قليلا فذكرت في إحدى قوائم الخراج
١٣٠ اسما مسيحيا واسما واحدا اسلاميا ولكن الدولة وجدت أن مساحات من الأرض
الخراجية تحولت إلى أرض عشيرة اما بالاسلام أو بشراء العرب لها، ونفس الشيء حدث في
العراق مما أدى بالخرجا بن يوسف إلى أن يجعل جميع الأرض خراجية وكان ذلك في عهد
الوليد بن عبد الملك ومنها امتد إلى بقية الأقطار، وبرديات القرن الثاني الهجري تشير إلى
تحول مصر إلى أرض خراجية، ففي بردية ترجع لنفس الفترة يخاطب المسئول للضرائب امرأة
تدعى رضا رفضت أن تدفع ما عليها من الخراج ووليت أحد الأقباط كوكيل لها وكانت
تمتلك ضيعة واسعة فالضريبة عليها كانت ٢٠٠ دينار وبما أن ضريبة الفدان دينار واحد فإنها
كانت تمتلك ما يقرب من مائتي فدان، ولم تكن الضريبة ثابتة فرجل يرسل إلى الأمير يطلب
رقيمة بما عليه من الخراج وهذا يعني أنه لا يعرف مقدار الخراج الذي عليه مسبقا أو أن هناك
قيمة ثابتة.

معينا له بالنعمه، والبناء] كل يوم ينمو ويتقدم ،
فوسوس الشيطان فى قلب الكذاب الخالف
صاحب الطبيعتين [يوليانوس] أن يذكر الأب أنبا
يوحنا عند السلطان أنه أخذ مواضع للسلطان بناها
كنائس، وفعل هذا حسدا لكى يطل البناء]، مثل
الكلدانين الذين ارادو تبطيل بنا] بيت الله
المقدس. فصبر الأب انبا يوحنا واحتمل أمرا عظيما
مما لحقه من الكذاب وخسر لأجل ذلك للسلطان
مالا كثيرا ، وكان النجس يفرح بهذا، وكان يذكر

ولقد امتلك العرب منذ القرن الثامن الميلادى/ الثانى الهجرى مساحات كبيرة من الأرض
وأشرف بعضهم على زراعتها. فيذكر شخص يدعى محمد بن المنذر مقدار ما بذره من القمح
والشعير والجذور فيذكرن أنه بذر من القمح مائة أردب، وثمانى أرادب وويبة ومن الشعير ١٥
أردبا ونصف وبذر من اللساسة مائة وأربعين أردبا.

موقف الدولة من أهل البلاد من الأقباط،

كان أهم ما فرض على المصريين الجزية والخراج الى جانب ضرائب أخرى، ولقد حددت
الشريعة ومعاهدات الفتح مقدار الجزية: تذكر الآية «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى
يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»، وقد اختلف الفقهاء فى مقدار الجزية فذهب أبو حنيفة
إلى أنها ٤٠ درهما للاغنياء ٢٤ للأوسط ١٢ للفقراء وجعلها الشافعى دينارا .

ولقد أمر عمر المصريين الا يتشبهوا بالعرب فى لبوسهم، وأمر بالجزية أن تكون ٤٠ درهما
على أهل الورق (الفضة)، و٤ دنائير على أهل الذهب، وذكر ابن عبد الحكم أن الجزية
كانت على مصر ديناران ونفس المقدار ذكره البلاذرى. من الواضح أن مقدار الجزية لم يكن
ثابتا فى العصر الاسلامى، فالبرديات تذكر جزية مقدارها ١ صولد وفى بردية أخرى دفع ٣

أنبا يوحنا بكل سو وكذب وكلما شاهدوه كل يوم
فى نمو وزياده وشعبه مستقيم وتعاليمه دايمة وييعه
مثمره، وهو أيضا يبنى ويجدد فى البيع، قد ازدادو
غيظا فلم يقدرّو على مقاومة قوة الله كمثّل فعل
الكلدانين فى هيكل أورشليم، وبدد الله أمرهم،
وكذلك فعل هكذا هاهنا. بدد مؤامرة المخالفين
اليهود الجدد. وبرأفة السيد المسيح جعل فى قلب
السلطان أن يأمر الأب أنبا يوحنا بكمال البيعه
وترتيبها كما يريد. وكمّلها فى مدة خمس سنين

أفراد ٣ صولدات للخزّانة عن جزيتهم، وكذلك فى إحدى البرديات القبطية التى تعود لأول
العصر الاسلامى دفعت ضريبة مقدارها ١٤٥ قيراط للقسم الأول و ٣٥ قيراطا للقسم الثانى.
وفى إيصال آخر ذكرت أموال تتراوح بين قيراطين وصولد وفى إيصال عربى يعود إلى ٧٣١م
/ ١١٣ هـ دفع رجل جزيته ديناراً وسدساً وثماناً ونصف قيراط. وفى بردية ترجع إلى القرن
الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ذكر للجزية ومقدارها (سدس وثمان دفعها شنودة ودينار
سوير ابلوا، جرجه بلودنبر وثلث وربع مرقورة يحنس ربع وسدس) (٣٣) ولقد اعتادت الدولة
القيام بمسح شامل وتعداد للسكان لتقدير الجزية، فذكر المقرئى: أن عمرا أحصى من عليه
الجزية فكانوا ٨ ملايين وذكر البعض ٦ ملايين.

وفى عهد هشام بن عبد الملك قام الوليد بن رفاعه بإحصاء السكان والأرض استغرق منه
٦ أشهر بالصعيد وثلاثة بالدلتا فيقال أنه أحصى فوق العشرة آلاف قرية أصغر قرية فيها ٥٠٠
من القبط وذكر أن جملة ذلك ٥ مليون،

وكانت الجزية تفرض على ضريين: على الرؤوس أى على الأفراد بأسمائهم أو على القرية
ككل، وفى هذه الحالة إذا توفى أحدهم عليها أن تدفع القرية جزيته. وفى مجموعة بردى كوم
اشقوه كتب قرة بن شريك لأهالى شبرا أبسيرو من نفس الكورة «أنه أصابكم من جزية سنة
خمس وثمان مائة دينار وأربعة دينار وثلث دينار».

وكرزها باسم ريس الملايكة ميخايل ، وهذه البيعة
تسمى اليوم بمدينة اسكندرية بيعة التوبة.

وكان مع ابينا البطرك كاتب اسمه يوحنا
شماس وهو الذى استحق أسقفية كرسى سخا بعد
وفاة الأب أنبا يوحنا.

فلما كان بعد تمام بيعة الملاك ميخايل باحكام
الرب الغير مدروكة نزل غلا عظيم على مدينة
اسكندرية وصعيد مصر، حتى أن القمح بلغ ثلث

ولقد أمر عمر بن عبد العزيز عامل الخراج حيان ابن سريج (٩٩ - ١٠٥ هـ) ان يجعل
جزية موتى القبط على أحيائهم، حتى اذا مات فرد من أهل القرية كانت تلك الجزية ثابتة
عليهم، مما يؤكد أن الجزية تكون مسئولية القرية ككل. وفى احدى البرديات القبطية يتكاتف
مجلس القرية ويقوم بتسديد الأعباء والخدمات الاجبارية ولقد وضع الحجاج الجزية عمن
اسلم، ويبدو أن هذا امتد إلى الأقطار الأخرى أيضا فطلب عبد الملك بن مروان من واليه عبد
العزيز بن مروان أن يضع الجزية عمن أسلم فنصحه ألا يفعل فاستجاب له (أن أهل الذمة لا
يتحملون جزية من ترهب منهم، فكيف نضعها على من أسلم).

وكانت الجزية تفرض فى شهر محرم من كل سنة، ولكن أوراق البردى تثبت أنها جبيت
فى فترات مختلفة فخضعت لأهواء وأمزجة الوالى والجباة مما أرهق الفلاح ودفعه للهرب.

وكانت قوائم الجزية تتضمن أسماء الأفراد ومقدار جزيتهم، وأحيانا صفاتهم الجسدية
المميزة. وكان على الشخص الذى يغى ترك قريته أن يخبر موظف الاحصاء فى بلده
الأصلية بمحل اقامته أو كتابة اقرار يرسل إلى ديوان الضرائب بالمدينة، وان كان فى نهاية
القرن الأول لم يعد مسموحا بترك الفرد لموطنه والاستقرار فى منطقة أخرى بل أصبح عليه
الحصول على تصريح تحدد فيه مدة الإقامة لضمان دفع ما عليه من الجزية فى منطقته الأصلية
كما حدث فى الالتماس الذى قدمه الرهبان إلى الوالى.

وبيات بدينار وفنيت أنفس كثير، وكان أبونا حزينا
لما يرى من الموتى والفناء ويدعو بدموع ويقول
كاشعيا النبي: صرقت وجهك عنا واسلمتنا لأجل
أثامنا، والآن يارب فسانت أبونا ونحن كلنا تراب
وعمل يديك لا تصنع بنا مثل خطايانا ولا تغضب
علينا إلى التمام، ولا تذكر خطايانا، والتفت لنا
يارب لأنا شعبك. وكان يواصل الصلاة ليلا ونهارا
قائلا: يارب أرحم خليفتك وعمل يديك لا تصنع
بنا مثل خطايانا فنحن مستحقون لكل أدب لأننا لم

الخراج:

كان الخراج الذى يجبى من البلدان التى غزاها المسلمون يمثل المورد الأساسى للدولة
الاسلامية وقد عرف العرب أهمية أرض مصر وخصوبتها وما يمكن أن تدره ولقد بدأ تفهمهم
لهذا الامر من خلال معاهدة الفتح التى نصت على عدم جمع خراج مصر الا اذا وصلت
زيادة نهرهم إلى الخد المطلوب، فان نقص رفع عنهم بقدر النقص، ولقد ذكر البلاذرى أن
ضريبة الأرض على كل جريب دينار وثلاثة أرباب طعاما، وأورد ابن عبد الحكم فى كتابة
(فتوح مصر والمغرب) أن الضريبة على كل فدان نصف أردب وويتان من الشعير فى حين
ذكر اليعقوبى أن مقدار الخراج كان على كل ١٠٠ أردب أردبان.

أما بالنسبة لمساحة أرض مصر فكانت فى العصر البيزنطى لا تتجاوز ٦ ملايين فدان الا
بقليل. وذكر ابن حوقل أن أرض مصر على عهد ابن المذبر ٦٨١م - ٢٤٧هـ كانت ٢
مليون فدان يسبب هروب الفلاحين.

الزراعة:

وفقا لشروط الفتح كان من المفروض أن تتم الجباية على ثلاثة أقساط كما كان الأمر فى
العصر البيزنطى، ولكن الواقع اختلف اذا أثبتت البرديات أنها تمت على أقساط عدة وفى

نسلك فى طريق وصاياك. والآن فيارب لا تودبنا
بقضيب غضبك ولا تذكر أثامنا أمامك.

وكان ينظر إلى ضيق الناس من عظيم الغلا
وكانت الرحمة تقلقه إلى الدعا، فدعا ولده
الشماس مرقس ومشاركه فى أفعاله، وأعطاه
السلطان أن يفعل رحمة مع كل من فى المدينة.
وكانت مخازن البيعة وحسابها تحت يده أيتمنه
الأب أنبا يوحنا عليها عند تجربته لطريقه. وكان

شهور مختلفة وفى البرديات القبطية التى تعود للقرن السابع والثامن الميلاديين الأول والثانى
من الهجرة، نجد الايصالات والعقود تستعمل الدورة الضريبة البيزنطية Indiction التى
كانت تقوم على تقدير الضريبة كل ١٥ عاماً، فجميع ايصالات السداد القبطية يذكر فيها
العام الثانى أو الثالث أو الخامس أو الحادى عشر وهكذا الى جانب استعمالهم الشهور القبطية
بل ان عددا من الايصالات الاسلامية نفسها استعمل النموذج نفسه.

وكان البيزنطيون يستعملون السنة الشمسية فيكبسون الربع كل ٤ سنوات وعلى أساسه
يحسب فيضان النيل وتوزيع الزراعات، فى حين كان العرب يتبعون السنة الهلالية. ولما رأوا
تداخل السنين القمرية فى السنين الشمسية أسقطوا عند رأس كل ٣٢ سنة قمرية سنة وسموا
ذلك الازدلاق لأن كل ٣٣ سنة قمرية باثنتين وثلاثين شمسية، ولكن استعمال التقدير
الضرائبى أو دورة ال ١٥ عاماً وفقاً للتقدير الشمسى ظل سائداً فى الفترة الأولى.

وكان استيفاء الخراج مرتبطاً بالنيل ووفائه، فالدرجة العليا كانت تسعة عشر ذراعاً
والصغرى اثني عشر ذراعاً كما كان فى العصر البيزنطى، وكان العرب يعتبرون تمام الخراج
حينما يصل النيل إلى ستة عشر ذراعاً وكانت الأرض تروى فى شهر توت ويرتب من يحفظ
الجسور والترع من أهل البلاد. وكان النيل يصل إلى نهايته فى شهر بابه وتبدأ الزيادة عادة

يغيت كل جايح ويدفع لهم طعامهم بكرة وعشيه
فى كل يوم.

وكان يشاهد على باب البطرك خلقا كثيرا من
كل جنس هو يقوم بهم [يعطيهم] من [شون]
البيعة لأنها كانت ذلك الزمان مملوه خيرات، حتى
ان ريحة طيب أعماله الحسنه فاحت وملت
المواضع. وبسيلوس وأوسايوس الأسقفان هذان
اللذان جعللا لها الصدقه اهتماما لا يقطعانها أكثر

خلال شهر أبيب وتستمر إلى مسرى وتوت حتى ان بعض القرى يصعب الوصول إليها
بواسطة القوارب وينحسر الماء فى شهر هاتور وكيالك فتبذر البذور ويزرع القرط والكتان والقمح
ويبدأ تقدير الخراج، ففي هاتور يبدأ الحرث وزرع النباتات غير السمس وبطالب الناس بأول
قسط من الخراج ويبلغ حوالى الثمن وفى أمشير يتم الربع وفى برمهاث الثمن الثالث.
وبعض المحاصيل تزرع متأخرة كقصب السكر الذى يزرع فى برمودة وبطالب المزارعون بسداد
نصف الخراج وفى بشنس يعاد المسح لأن المزروعات قد اكتمل نضجها، فالتقرير النهائى على
الخراج من واقع المحصول ومقدار الفيضان ويدفع الربع الثالث من الخراج تضاف إليه
مصاريف الصرف والجهيزة (أى مصاريف الجبابة) وحق القرط البرسيم الذى يؤخذ لحيوانات
الغزاة والكتاب وفقا لكشوف خاصة ويبدو أن هناك ضريبة أصبحت مفروضة على القرط
الذى كان معفيا من قبل. وفى بؤونة يؤخذ جزء من متأخرات الجبابة. وفى أبيب يستكمل
جزء من الخراج ويذكر ابن حوقل أن أرض الفيوم تزرع فى أبيب وتحصد فى هاتور وكيالك،
وكذلك يتأخر حصد الكتان إلى مسرى وأبيب ويبدو أن الخراج كان يدفع وفقا لوقت نضج
المحصول فالمحاصيل كما هو واضح اختلف وقت حصادها وتعدد خلال شهور السنة فجبابة
الخراج كانت فى شهر توت ومسرى وطوبة وبشنس وبرمودة وأبيب كما ثبت من ايصالات
القرن السابع والثامنى الميلاديين.

من كل وصيه. هكذا هذا القديس فعل مثلهما
حسدا لفضلهما حتى يشاكلهما فى ذلك، ومع
فعله هذا لم يخل بشى من الوصايا ويحضر الريسا
والأغنيا ويقول لهم : كونوا رحومين للضعفا
ويحثهم على الصدقات [بكلام] من الكتب
المقدسه ويقول لهم: اغتتمو هذا الوقت وهذه
النعمه التى هى جليله عند الله. وكان يعظم بما
قاله داود النبى لولده: لا تصرف وجهه عنك .
وقول غيره من الانبيا: أن الصدقه تخلص من

سياسة الدولة الاسلاميه تجاه الخراج وجبايته،

اهتم الخلفاء بجباية الخراج اهتماما كبيرا، وحرصوا على الحصول على نفس النسب التى
كانت تجبى فى العصر البيزنطى وزيادتها. ومن الخطابات المتبادلة بين عمرو وعمرو نلاحظ
اهتمام الخليفة بخراج مصر ولومه عمرا لأن الفراعنة والمقوقس جبوها أكثر مما جباها عمرو
واتهمه بأن عماله الذين وصفهم بعمال السوء هم المسئولون عن هذا، ولكن عمرا كان
متفهما لطبيعة مصر واحتياجاتها وأن الانتقال على أهلها سيؤدى إلى خرابها فذكر للخليفة أن
الفراعنة جبوها أكثر منه لأنهم كانوا أرغب فى عمارة أرضهم منه، وأن النهر يخرج الدر
وحلبها حلبا يقطع درها ولن تفيد منه الدولة الاسلاميه خيرا فانه سيضر بالأرض ومزارعيها .
وفى خطاب آخر لعمرو الى الخليفة (أهل الأرض انتظرونى الى أن تدرك غلتهم . فنظرت
للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من أن نخرج بهم).

ويقال انه أرسل أحد المصريين إلى مكة بناء على طلب الخليفة حيث ذكر الرجل أن
محاولة أخذ الخراج قبل تمام الزرع يعنى الأضرار بالمزارع والعجز فى الجباية فيما تلى ذلك من
أعوام.

ويبدو أن عمرا اتخذ هذا الموقف بناء على نصيحة المقوقس (كيرس) حيث ذكر له أن
خراب الأرض وعمارتها يأتى من خمسة وجوه: أن يستخرج الخراج فى آن واحد عند فراغ

الموت وتصعد من الحجيم ولا تدع انسانا أن
يدخل الظلمه. وكان يذكرهم أيضا ما كان بولس
يكاتب به طيماتاوس ولده إذ يقول له: أغنيا هذا
الزمان أوصيهم أن لا يتكبرو بل يجعلو توكلهم
على الله الذى يعطى الغنا لكل أحد لكي يستغنو
فى كل شئ ويجعلو لهم أساسا لىتمسكو بحياة
الحق.

وكان يوصيهم بهذا وغيره حتى حسدو أفعاله
الأغنيا والريسا وصارو يفعلون كما أوصاهم من

أهلها من زرعها، ويدفع خراجها فى آن واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومها، ويحفر فى
كل سنة خلوجها، وتسد ترعها وجسورها، ولا يقبل محل أهلها.

ولقد عهد العرب الى الأقباط والجباة السابقين بأمور الجباية لمعرفتهم بأحوال بلادهم. وأن
هؤلاء الجباة لم يختلفوا فى أساليبهم وطرقهم عما اعتادوه فى العصر البيزنطى من عسف
وجور تجاه الأهالى وبخاصة أن الولاة حرصوا على جباية الخراج وتخوفوا من نقصانه حتى لا
يتهمهم الخلفاء بالاهمال كما حدث مع عمرو حين جباها عبد الله بن سعد عندما استعمله
عثمان ١٤ مليوناً فقال لعمرو (يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الأول فرد عليه
عمرو أضررتم بوليدها (٠٠) وقد حرص الولاة على الخراج فمصيبرهم ومصيبر عمالهم مرتين
بتأديته، وأدى هذا بدوره الى الشدة فى الجباية فسلیمان بن عبد الملك أرسل الى متولى خراج
أسامة بن زيد وأمره بأن يحلب الدر حتى يقطع ويحلب الدم حتى ينصرم^(١). وأراد معاوية
أن يزيد على المصرين قيراطا فى خراج أراضيهم ولكن وردان عامل خراج كعب اليه (أن
عهدكم ينص على ألا يزداد عليهم) فعزله معاوية^(٢) وزاد من الخراج.

وقد أدت الشدة فى الجباية الى محاولة المصرين هجر أراضيهم، وزاد عدد القرى التى
خلت من أصحابها وهذا أدى بالولاة الى محاولة ربط الفلاح بالأرض عن طريق عدم السماح

(١) الكندى: فضائل مصر ص ٤٥.

(٢) المقرئى: الخطط ج ١ ص ١٤٥.

مالهم، ولم يتأخر أحد منهم عن الصدقة والافتقار
للأرامل والأيتام والحبوس بالطعام والكسوة،
وكذلك الكهنة والفقراء. وكان جماعة من الريسا
فى ذلك الزمان ينزل عليهم الفقراء وكان
يساعدونهم أيضا، وكان يأوى الغربا حتى رحم
الرب شعبه ورفع عنهم الغلا بصلاة الأب القديس
أنبا يوحنا.

ثم تتيح بطرك انطاكية أنبا جرجه واوسم عوضه

له بترك قريته الا بتصريح وهذا يعود غالبا الى ولاية عبد العزيز بن مروان فى خلافة عبد
الملك، وان كانت أغلب البرديات التى وصلتنا وخاصة فيما يتعلق بتصريحات الاقامة واعادة
المزارعين تعود لعهد قرة بن شريك. وفى عهد الوليد بن عبد الملك قام أخوه عبد الله والى
مصر بزيادة الخراج فكان من يدفع دينارا يلزمه بدفع دينار وثلثين رغم انخفاض النيل سنة
٨٧هـ^(١). وفى امرة الحر بن يوسف أرسل عامل الخراج عبيد الله بن الحبحاب الى هشام بن
عبد الملك أن أرض مصر تحمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا وثارت عليه كورة بتمى
وقرنيط وطرايبا والخوف الشرقى فبعث اليهم بجنود فأخضعوا ثورتهم عام ٨٧هـ فى نفس
الوقت الذى ثار فيه أهل الصعيد وقامت ثورة ثالثة فى عهد هشام ابن عبد الملك فى عام
١٢٠هـ فأرسل حنظلة بن صفوان أمير مصر الجند فأخمدوها أيضا^(٢) وتكررت، ثوراتهم فى
عهد الأمويين فثاروا سنة ١٢٢هـ فى عهد الملك بن مروان فأرسل اليهم موسى ابن نصير
حيث أخمد ثورة قام بها يحيى القبطى فى سمند. وتجددت الثورة فى رشيد فى عهد مروان
بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وتمكنوا من أخضاعها هى الأخرى. فالدافع الى تلك الثورات
هو تعسف الولاة فى جمع الاموال الزائدة وقد كشفت هذه الاحداث عن أن العلاقة بين

(١) المقرئى: اغالة الأمة بكشف الغمة ص ١١.

(٢) المقرئى: الخطط ص ١٤٥ - ١٤٦.

انسان قديس اسمه كيرياكوس بتديير من الله
واجتماع كلمة المطارته والاساقفه وجميع شعب
الشام والمشرق، وكان ملو من نعمة الروح القدس.
فلما اتصلت به أعمال الأب القديس أنبا يوحنا
أحضر مطارته وأساقفته وقال لهم ما يجب أن
نتأخر عن مكاتبة الأب أنبا يوحنا صاحب الكرسي
الإنجيلي بمدينة اسكندرية العظمى التى هى لنا
ميراث من أبائنا من زمان الأب ساويرس
وتاودوسيوس الجاهدين على الأمانة الارتدكسيه.

معظم الحكام المسلمين والبلدان التى تم احتلالها لم تكن إلا حليها حتى تدر الدم والبطش
بكل من يحاول الاعتراض على ذلك.

وقد استغل بعض الولاة عدم وجود تقدير ثابت للجزية كما هو واضح من قول عمرو فى
البرديات لتحميل البعض فوق ما يحتملونه. ولقد استبدل العرب بالأقباط جباة مسلمين فى
عام ٨٧هـ فى عهد عبد الملك لزيادة طرق الجباية السابقة ووسائلها.

الضرائب التى على الأرض الزراعية:

فرض على الأرض غداة الغزو عدد من الضرائب كان أهمها ضريبة الخراج حيث فرض
دينار على كل جريب وثلاثة أراذب طعاماً. ويقال ان أهل مصر صولخوا بعد المعاهدة فى مكان
الحنطة والزيت والعسل واغل على دينارين آخرين، ولكن الحقيقة أن الضرائب التى فرضت
على الأرض كانت ضرائب نقدية وعينية وفرضت على الأرض الزراعية وفقاً لحصولها ضريبة
مالية الى جانب ضريبة تعرف بضريبة الطعام على القمح وعدد من المحاصيل الأخرى
خصصت للقوات الغازية، وبعض المؤرخين يعدها جزءاً من ضريبة الخراج اعتماداً على أن
المعاهدات ذكرت دينارا على الفدان وثلاثة أراذب قمحا ولكن نستطيع القول وفقاً للبرديات
ان كلا من الضريبتين أصبحت تجبى منفصلة عن الأخرى، فالخراج كان يجبى نقداً ويمكن
أن يتغاضى عن النقد فى بعض الأحيان بالنصيب العيني ولكن ضريبة الطعام كانت تجبى دائماً
عينا.

وقد كنت بدأت بذكر الأب أنبا جرجه المتنيح
أذ كان في السنين الماضية التي اعتقل فيها لم
تصل سنوديقا من ناحيته إلى مصر إلى الأب مينا
لأجل اضطهاده واعتقاله. ولأن أنبا مينا لم يكتب
أيضا لاشتغاله فيما جرى عليه من الشماس المحروم
بطرس الجاحد الغير مستحق الاسم، إلى حين
خروجه هو والأساقفة من الحبس ومكاتبتهم التي
ذكرناها آنفا، فقال الأب أنبا كيرياكوس: أن نحن
لم نكتب كان علينا اثم وخطيه لأجل الاتفاق

ضريبة الخراج:

كان الخراج يتوقف على حالة الفيضان وعلى نوع الأرض وقد اعتاد العرب القيام بمسح شامل للأرض لتقدير الخراج، ومسحها عبد الله بن الحبحاب الهشام بن عبد الملك، والوليد بن رفاعة في عهد عبد الملك ويبدو أن كل إقليم كان له مساحوه. ورغم أن أغلب الوثائق التي وصلتنا عن كيفية مسح الأرض وتقدير الخراج تعود للقرن الثالث الهجري فإنها تدل على ما كان معروفا من قبل، ففي بردية تعود إلى ٨١٣م / ٢٦٢هـ عن مسح الإقليم ورد فيها نوع المحصول ومساحته فذكر السلجم والكروم وحددت الأرض البور ومقدارها، والأرض غير المخصصة للزراعة^(١).

وفي تقرير آخر للمساحين عن أرض أسفل أشمون تزرع خضرا وكروما أوردوا المساحة وما هو مؤجر منها، وفي تقرير مساحة من كورة طحا والتقارير مرفوع لموظف خراج ذكر فيه اسم صاحب الأرض ومساحة الأرض والمحصول. وكانت تقارير المساحة عادة تضمن ذكر اسم القرية وما يزرع والأرض البور وكانت الأرض البور تضاف إلى أملاك بعض المزارعين أو القرية

(١) جروهمان: ج٦ ص ٣٧٩.

الذى بيننا والاتحاد. وكانو زمان ابائنا السالفين
متفقين على الامانة الحق والمحبة، ويذكرون اسما
آباينا على هياكل كورة مصر جميعها، فلا نقطع
ما بيننا وبينهم من المحبة المسيحية والاتفاق
الروحانى، فكتب أبونا أنبا كيرياكوس بطرك
انطاكية إلى انبا يوحنا بطرك اسكندرية سنوديقا
مملو من نعمة روح القدس وانفذها على يد مطران
دمشق انسطاسيوس ومعه أسقفان من كرسية،
ويذكر فيها ما بين الكرسين، انطاكية واسكندرية،

القرية لاستصلاحها وتعفى من الضرائب إلى أن تستصلح فتفرض عليها الضرائب، وفي
احدى الاحصائيات ذكر للترع والقنوات الموجودة فى الأرض، وهناك موظف يدعى الدليل
كان يقوم بكتابة سجلات أملاك الأراضى وتقدير قيمتها لتحديد مقدار الضريبة المفروضة
عليها وارسال الأوامر الرسمية للحضور مع وصف تفصيلى للأنواع المختلفة للأراضى الصالحة
للزراعة ومهورة بامضائه لاثبات صحة ما ورد فيها^(١). ولقد اختلفت الضريبة وفقا لنوع
الحصول فكان يؤخذ فى الفترة الأولى على فدان القمح نصف أردب وويتين شعيرا ولكنها
أصبحت تدفع نقدا فكان يجبى على القمح دينار والشعير من نصف دينار إلى دينار والنخيل
تؤخذ عليه ضريبة مقدارها قيراط وسدس قيراط = $\frac{1}{4} + \frac{1}{4}$ دينار وعلى الفجل دينار
والسلجم من دينار إلى دينارين^(٢) أما القرط [البرسيم] وهو مستخدم فى غذاء الماشية فلم
تكن عليه ضريبة ولكن فرضت عليه بعد ذلك ضريبة دينار. وفى عدد من البرديات نجد اشارة
الى ضرائب على الأرز ثمن قيراط وعلى القرط ٧ والجزر ثلث + $\frac{1}{14}$ ويبدو أن الضريبة لم
تكن ثابتة فى كل الأقاليم.

(١) جروهمان: ج ٤ ص ١٩٦.

(٢) جروهمان: ج ٤ ص ٢٣١.

من الاتحاد الارتدكسى وكيف جلس على كرسى
اغناطيوس اللابس الالهوت. فلما وصلت الى انبا
يوحنا ووقف عليها فرح فرحا عظيما ومجد السيد
يسوع المسيح الذى يهتم ببيعته وشعبه فى كل
زمان الذى اشتراهم بدمه الكريم، فأمر أبونا أنبا
يوحنا بقراءة الكتب على الشعب، فتعجبوا عند
سماعهم ما فيها من الألفاظ لبعدهم بوصول
سنوديقا وشكروا الله على ذلك، فلما شاهدوا
الرسل انسطايوس والأسقفان بيعة اسكندرية عجبوا

وكانت هناك مشكلة الكروم والنبذ، فالنبذ كان المشروب المفضل لدى المصريين وزرعت
مساحات كبيرة من الأرض بالكروم وكان المصريون يتولون عصرها بعد جنيها، وفى إحدى
البرديات القبطية التى تعود للقرن الثامن «تطلب جرتان من النبذ من أجل الجنود» وهذا يشير
تساؤلا: هل كان العرب يتسلمون ضرائب من النبذ؟ ونفس الأمر بالنسبة للخنازير ويقال أن
أبا عبيدة سأل عمر (أن عمالك يأخذون الخمر فى الخراج، فقال لا تأخذوا منهم، ولكن
ولوهم بيعها وخذوا أنتم الثمن. فأصبح المصريون يبيعونها ويدفعون خراجها مالا وعليها عشر
أثمانها (١).

وكذلك لا نعرف بالضبط هل كانت تؤخذ على الماشية ضرائب فى الفترة الأولى، فالوليد
بن الرفاعة أحصى الحيوانات أثناء قيامه بمسح أرض مصر وفى كشوف القرن الثالث ذكر
لكل كورة وعدد المواشى وأسماء أصحابها وأوصافها من أجل ضريبة المراعى.

وفى إحدى البرديات القبطية إشارة إلى جمع خشب نخيل acacia ونصيب مفروض على
كل قرية «ففى رسالة لموظف كبير أنه حمل خشب نخيل فى ٢ هاتور لصالح الشحنة الكبرى
وقائمة بالقرى التى جمعت منها. ولقد ذكر المقرئى أشجار منط فى بعض مناطق النيل بها
حراس يحمونها حتى يصنع منها مراكب الأسطول فلا يقطع منها الا ما تدعو الحاجة إليه.

(١) أبو عبيد القاسم: الاموال ص ٦٢.

من نقوشها وزينتها وطقس البطرك والأساقفة
والكهنة والسبع طغمت البيعه ووقار جميعهم
والسكينه التي عليهم وخوفهم من الله، فبهتو
ومجدو الله على عظم النعمة عليهم من نعمة
مارى مرقس الانجيلي المقدسه . فلما شاهدو ذلك
قالوا ما قاله داود فى المزمور (*) : كما سمعنا كذلك
رأينا . وفرحوا فرحا عظيما روحانيا كما كتب فى
الأبركسيس (*) : ان الكلام يصل الى مسامع البيعه (*) رؤيا يوحنا اللاهوتى .



الصفحتان الأولى والثانية من مخطوط لرؤيا يوحنا اللاهوتى يعود إلى ٢٥ طوبة سنة ١٤٥٧ قبطية

بيروشليم من أجلهم. فانفذو برنابا إلى انطاكيه .
فلما وصل وراى نعمة الله فرح.

وأقامو عند الأب القديس يوحنا أياما قليلا
وودعهم بمجد وكرامه بعد أن كتب لهم جواب
كتبهم، فمضو إلى كورثهم ممجدين الله على ما
عائنو.

أردت يا أبابى القديسين ان اتمم الخطاب بافعال
أبيننا المبارك انبا يوحنا، غير ان لسانى الناقص لا

ضرية الطعام:

ويعود الشاؤها للضرائب العينية التى قررت على الحنطة والزيت حيث قرر مدان من الحنطة
وثلاثة أقساط من الزيت فى كل شهر، لكل انسان من أهل الشام والجزيرة. وأما عرب مصر
وجنودهم فأردب كل شهر لكل انسان وذكر مؤرخون آخرون وثلاثة أردب قمحا. وذكر
اليعقوبى أردبين عن كل مائة أردب وتحولت تلك الجبايات إلى ما يعرف بضرية الطعام وهى
ضرية عينية أهم ما يجبى فيها القمح وهى تشبه الأنونة الأهلية، وهى الشحنة السعيدة التى
تحمل إلى القسطنطينية وكان أول ارسالها إلى مكة فى عهد عمر فى عام الرمادة ٢١ هـ
حيث حدث لديه قحط شديد فأرسل إلى عمرو ليعث إليه بطعام فأرسل إليه عمرو ما أراد.
ويقال أنه دفع إلى كل بيت بالمدينة بعيرا عليه طعام مما يوضح مدى ما نهب من مصر.

ولقد أمر عمر بحفر خليج فى النيل إلى القلزم الذى عرف بخليج أمير المؤمنين لتسهيل
نقل الطعام إلى المدينة ومكة وظل يحمل فيه الطعام بعد عهد عمر بن عبد العزيز إلى أن
قضى عليه اهمال الولاة فحمل الطعام والمال وكسوة الكعبة على القوافل والبحر الأحمر حتى
عهد قريب.

وكان يحمل معه كذلك الزيت وانقطع فى الفتنة الأولى ثم عاد فى أيام معاوية ويزيد، ثم
انقطع إلى زمن عبد الملك بن مروان ثم لم يزل يحمل إلى خلافة أبى جعفر المنصور،

يستطيع ان يقول يسيرا من أفعاله، لكن عندي
ذكرى للناس القديسين الذين كانوا في زمانه يجب
ان أذكر لآبوتكم حسن الأفعال ونبوتهم لتسر
قلوبكم كما هو مكتوب إذا ذكر الصديق فرحت
الشعوب.

كان في ذلك الزمان شيخ قديس في البرلس
اسمه جرجس وكان حسن الأفعال وينظر من البعد
بروح القدس اسراراً عظيمة قبل ان يكون الشئ

والبرديات تشير إلى أنه كانت تجبى إلى جانب القمح محصولات أخرى. وفي بردية تعود لآخر
القرن السابع من حساب ثودورا من القسم الأول ٣٢ أردبا وفي القسم الثاني ١٢٠ أردبا وفي
القسم الثالث ٥ أرادب من التبن و ٩ مقاييس (قدح) و ١٤ مقياساً من السمسم و ١٥ مقياساً
من الشعير. وفي الكرنك من القرن الثامن الميلادي بردية تذكر مدفوعات من الشعير والفول
تتراوح بين أردب وأربعة.

وفي خطاب آخر يأمر الوالي كاتبه أن يتجه إلى شنشور (في المنوفية) ويخرج الأقباط (أى
يجمع منهم الخراج) ويرسل إليه مائة أردب قمحا. وفي أمر لقرة بن شريك إلى أهالى كوم
أشقوه أنهم أصابهم من ضريبة الطعام أحد عشر أردبا قمحا وثلاث وثلاث فى صفر احدى
وتسعين. وفي خطاب مرسل الى أبو الياس القس لاقتاع شخص يدعى اندرياس الراعى بأن
يدفع الضريبة التى عليه وهى ١٨ كيلة قمحا ويذكر أن عليه أن يدفع ضريبته قمحا، وأنه لن
يقبل أى شئ خلافه، وكان القمح ينقل بالسفن الى الأهراء فى القسطاط لنقله بالسفن إلى
مقر الخلافة.

وفي بردية أخرى ترجع للقرن الثالث نقل ٣٣٠ أردبا الى القسطاط مع ايراد ١٠ أرادب
للمنفقات . وورد فى حسابات أوسية فى القرن الثانى الهجرى (والى حسن النوتى مائة وسعيد

ليعلم به لجودة أعماله. وكان قد تنيح انبا جرجه
أسقف مصر في ذلك الزمان وكان رجلا قديسا
رحوما محبا للصدقة، وأقام عندهم زمانا عظيما
يرعاهم بطهر وصدق فحزن عليه الشعب المومن
 واجتمعوا وتشاوروا وكاتبوا للأب انبا يوحنا وسألوه أن
يجعل ولده مرقس الشماس اسقفا عليهم بمصر
عوضا من جرجه المتنيح، فلما وقف على الكتب
اراد بلوغهم غرضهم لمراعاته قلوبهم، وأمر ان يقدم

بن... الفسطاط المائة بدينار) أى أنه كان يتقاضى على نقل ١٠٠ أردب قمحا دينارا . وكان
صاحب الاقطاع يتحمل النفقات وفي نفس البردية يذكر أنه دفع مالا إلى ابراهيم النوتى
لحمل ١٥٠ أردبا وتوصيلها الى الفسطاط . وقد نقلت غلات أخرى بخلاف القمح والعدس
والقرط وأصناف أخرى من الغلال و وفى اىصال يعود لعام ٨٧هـ - ١٣ - ١٤ أكتوبر ٧٠٦
وهو اىصال من لغتين صادر من موظفين باهراء باب ليون لدفع الضريبة (من أهل مدينة
...وكتبوا عبد الله بن جرير فى ذى القعدة سنة سبع وثمانين ... ومبلغها ستمائة وسبعة عشر
وثلث وأردب قمحا^(١) .

وكانت الأهراء لقمح مصر السفلى، يخزن بها القمح الذى ينقل الى بلاد العرب والقمح
الذى تؤخذ منه المؤن العينية للجند العرب وأسرههم فى مصر.

وفى نهاية القرن السابع وأوائل الثامن ذكر لشخص يدعى أبو مزيل باعتباره محتسب
الأهراء فاضطلع بأعباء جمع الأهراء فى الفسطاط. وذكر فى بردية أخرى أثنان من المشرفين
وأهل كوم أشقوة سلموا ألف أردب قمحا ضريبة للطعام الى اهراء بابليون وسألوا مشرف
الاهراء أن يعطيهم اىصالا يفيد تسلمه القمح. وفى احدى البرديات القبطية يذكر أن البحارة

(١) جروهمان : ج ٤ ص ٢٨٦.

لهم مرقس الشماس . وخاطبه فلم يفعل وطرح في
رجليه قيودا حديدا . واقسمه قسا ليتمه اسقفا وهذا
بغير اختياره ، وكان باكيا حزينا ويقول : انت يارب
تعلم اننى لا اصلح لهذا الأمر فاسلك يا سيدى ان
تخلصنى من هذا الذى لا أقدر عليه ، فسمع الرب
محب البشر الذى يصطفى من يختاره لنعمته قبل
ولاده ، فقال لذلك المومن : قم اخرج من هذا
الموضع الذى انت فيه . فقام فى تلك الساعة فوق

تسلموا اجرهم نيذا . وكان على أهل القرى واجبات تتعلق بالخدمة فى الأسطول كما ورد فى
احدى البرديات القبطية .

والى جانب الضريتين . الرئيسيتين على المزارعين كان هناك عدد من الضرائب الأخرى
كضريبة الجسور ، وفى احدى برديات القرن الثالث ذكر أنها ربع دينار ، وفى وثيقة أخرى اشارة
إلى ضريبة تخص البحرية فرضت على القرى مقدارها نصف صولد . ثم نفقات الجباية
وكانت حوالى ربع دينار كما جاء فى وثيقة حساب يرجع تاريخها الى القرن الثانى الهجرى
ومما فرض على المصريين ضيافات العرب ويرد فى احدى البرديات ذكر ضريبة النزل .

نظام الجباية :

كان التقسيم الادارى فى مصر على قمته الوالى وكانت له سلطات ادارية واسعة بوصفه
نائبا عن الخليفة ، وكان يجمع فى بعض الأحيان بين السلطة الادارية والمالية المتمثلة فى ولاية
الخراج وان كان الخليفة فى أحيان أخرى يعين عاملا مستقلا مسئولا مسئولية مباشرة أمامه عن
الخراج وكان معنى انفصال الخراج عن الولاية أن تصبح يد الوالى مغلولة ، فعمرو احتج على
هذا وترك الولاية حين ولى عثمان عبد الله بن أبى سعد الخراج أثناء ولايته لمصر .

وقسمت مصر الى قسمين : مصر العليا ومصر السفلى ، وان كان يوحنا النقيوسى ذكر أنها

الحديد من رجليه وانفتح له الباب وخرج ولم
يستيقظ له أحد ممن كان يحفظه، فلما أصبح طلبه
فلم يجد، فامر بالبحث عنه فما قدر عليه فصعب
عليه، ثم انه قدّم ولدا له اسمه قسما وارسمه
للمصريين فاقام أياما ومات.

وكان انسان يسمى ميخايل حسن الفعال
اقسمه لهم اسقفا. وكان البطرك قد وجد على

قسمت غداة الغزو الى ثلاثة أقسام هي مصر السفلى والريف واركانيا، وقسمت بدورها الى
كور وهي تعادل الباجارية القديمة فكان يرأسها وفقا للبرديات باجارك وقمص، وذكر أحيانا
بلفظ دوق، وقسمت تلك بدورها الى قرى يرأسها المازوت، وكان عمله ذا اختصاصات مالية
وإدارية.

وكان لديوان الخراج العام إدارات في الباجارية يتولاها موظف يطلق عليه الجسطال ويرد
في بعض البرديات لفظ تولاريوس وهو كاتب السجل. وظلت الوظيفة قائمة في العصر
الإسلامي الأول، والبرديات القبطية التي تعود الى القرن السابع والثامن احتفظت بأسماء
وظائف يزنطية كرؤساء القرى الذين عهد لهم بالإشراف على الجباية، لكن بعد فترة حلت
محلها أسماء إسلامية فجاءى الضرائب العينية حمل لقب القبال.

وكان يتبع ديوان الخراج بحارة السفن المصريين الذين كانوا يجنبون على العمل في
الأسطول كجنود ومجدفين تحت ظروف بالغة السوء بعيدا عن أهلهم وبلدانهم لفترات طويلة
قد تستغرق حياتهم كلها، ويبدو أن المزارعين كانوا يدفعون نفقاتهم. وكذلك ظهرت وظيفة
محتسب الأهراء أو المشرف على مخازن القمح. أما الضريبة النقدية فإن الجباة كانوا يسلمونها
لمسئولى القرى وهؤلاء بدورهم يسلمونها لفروع ديوان الخراج بالكورة التابعة لهم، وكانت

الشماس مرقس لهروبته ومخالفته لأمره، فكتب
كتاباً إلى الأب القديس جرجه في البرلس الذى
ذكرناه انفا يعلمه انه واجد [حزين] على ولده
مرقس لمخالفته أياه وهروبته منه وانه وكس [خاب]
جابه عند المصريين . فاجابه جرجه القديس النبى
وقال له : لا تواخذ ابوتك ولدك لاجل مخالفته لك
فانت اردت ان تقاوم امر الله بل الله قد حفظه
ليأخذ كرسيك ورياستك بعدك . فلما سمع الاب

الأعمال تجرى فى ديوان الخراج باليونانية والقبطية الى أن عريت سنة ٨٧هـ فى عهد
عبد الملك ابن مروان فكتبت بالحروف النبطية، وكما ذكر ابن عبد الحكم (يجتمع عرفاء القرية
ومازوتها ورؤساء أهلها فيتناظرون فى العمارة والخراب حتى اذا أقروا فى القسم بالزيادة انصرفوا
بتلك القسمة الى الكور ثم يذهبون الى رؤساء الكورة ويوزعون الأنصبة على احتمال كل قرية
وسعة المزارع ومساحة الأرض الشاغرة فيبدرون، وأما بعد الحصاد فانهم يأخذون نصيبا
لكتابهم ولعمال الجباية). فالواضح أن التقدير الاجمالى يأتى من ديوان الخراج الى الكور التى
تحدد نصيب كل قرية ، أما التخصيص فانه يرجع لمجالس القرى حيث يبدأ توزيع الخراج وفقا
للمساحة والمحصول. ويذكر ابن عبد الحكم أن من يعجز عن زراعة الأرض يتولى الآخرون عنه
ومن أراد الاستزادة أخذ ويبدو أن القرية تحملت مسؤولية الخراج ككل فمن ترك الأرض تكفل
الباقون بزراعتها، ويؤكد هذا بردية تعود الى القرن الثامن الميلادى ٧٢٢م ١١٤هـ فالقرية
كونت ما يشبه المجلس البلدى تولى دفع الأعباء والضرائب، وهذا الاتفاق وقعه سبعة عشر من
أعيان القرية، ونص على أن من يرفض القيام بأعبائه عليه أن يدفع مقابلا ماليا.

وكان على المواطنين المقيمين فى الكورة اذا رغبوا فى الرحيل الى مكان آخر أن يحصلوا
على تصريح من المدن المسجلين بها ليعرف الموظفون أماكنهم، وكان هناك عمال بريد فى

البطرك هذه النبوه تعجب له [لأنه] كان يصدق
بكلما يقول له الشيخ القديس السايح.

فلما علم بهذا مرقس عاد إلى البطرك وسجد
له واستغفر منه فلم يجد عليه بعد. وكان عنده من
ذلك اليوم جليل القدر ولم يرجع يفارقه في كل
موضع كان يمضي إليه.

ثم توجه البطرك إلى الفسطاط مصر لاجل
الخراج الذي كان على الاواصي البيعية وهذه اخر

الكورة لابلاغ الوالى عن أعمال الباجاركات كما ورد في احدى برديات كوم أشقوة وهى
رسالة من قره بن شريك الى باجارك أنصنا. والايصالات الصادرة الى الأهالى فى القرن الأول
الهجرى كان أغلبها بالقبطية والدفع على أساس الدوة الضريبة البيزنطية، وكان يستعمل فيها
الصولد وهو يعادل الدينار، والقيراط والنوميزما وتيرميزما، ففي ايصال من القرن السابع دفع
٢ نوميزما (تعادل الصولد) وهى ضرائب عن القسم الثانى من العام الثانى بتاريخ ١٤ بابه
لمساعد رئيس القرية، وحصل على ايصال بناء على طلبه. ودفع شخص اسمه أبيون بن
كر كينا صولدا كضرائب للقسم العاشر. حتى عقود البيع والايجار كانت تذكر فيها الدورة
الضريبة البيزنطية، فبيعت جمال مقابل صولد و ١٤ قيراطا فى أمشير من السنة التاسعة.

وفى خطاب آخر دفعت ضريبة القسم السابع ١٤ر٥ قيراطا ونصفا من الذهب المينا
لحساب ضريبة. وفى خطاب كان فيه الجايى رجلا عربيا يدعى يزيد بن عبد الرحمن أرسل الى
شخص يدعى سيفريوس ليبلغه بما عليه من الضرائب للسنة العاشرة ويعود الخطاب بتاريخه
الى القرن الثامن. وايصال آخر ليزيد ابن عبد الرحمن شبيه بالسابق الى سيفريوس وجولد
سميث يعين الأشخاص الذين عليهم الضرائب وكذلك دفع أبو سيفريوس نصف صولد فى
القسم السابع باسم الخدمة البحرية ومن مجموع تلك الايصالات يتضح أن العرب استعملوا

دفعه مضى إليها، فعمل مبغض الخير الشيطان ان
يشير عليه ملاً [الناس] وقال : هذا الشيخ [إلى
متى] يقاومنى وينى البيع والتذكارات ، انا أيضا
اجعل اجرته ان تكون نكده. كان فى ذلك الزمان
وال باغض المسيح رمى الشيطان فى قلبه ان يهدم
بعض بيع مصر لكن الرب محب البشر انتقم منه
سريعا ومات موته سو سرعه وولى مكانه بعده
انسان محب للنصارى ، فتقدم لهم بتنظيف بيعهم

الصولد فى معاملاتهم فلقد ظلت النقود البيزنطية مستعملة مع اضافات عربية عليها الى عهد
عبد الملك بن مروان والملاحظ أن غالبية ايصالات تلك الفترة كانت باللغة القبطية.

أما بالنسبة لنظام الجباية فقد احتفظ العرب بالجباة السابقين ويذكر يوحنا النقيوسى أن
بعض الموظفين البيزنطيين الملكانيين بقوا عند الفتح واعتنقوا الاسلام فولاهم العرب اداراتهم
السابقة، فابقوا على شخص اسمه ميناس وولوه حكم مصر السفلى، وشنودة تولى الريف،
وفيليوخولوس حكم اركاديا والفيوم، وكان هؤلاء أشد الموظفين سوءا وقسوة تجاه المصريين،
ومع ذلك فان الجباة اخلين لم يكونوا بالأفضل حالا وظل الجباة الأقباط الى عام ٨٧هـ.
وطريقة الجباية تختلف كثيرا عما كان مألوفا فى العصر البيزنطى. ففى رسالة من حاكم الكورة
ويدعى الباجارك الى عدد من رؤساء القرى يتضح أسلوب وطريقة الجباة آنذاك (من فلاديوس
اسبنيوس بمشيئة الله الباجارك بواسطة زكريا ابنه الى عدد من رؤساء القرى المذكورة فى
القائمة التى أعطيتها لأخى أبو يوسف، فوالدى كما تعلمون اهتم بأمر المحصول والضريبة
العينية وأثمان البيع ومحصول البذور وعليكم بجمعها وارسالها الى، وأنا جعلته مسئولاً عن
قراكم وعليكم اختيار كتاب أو مسجلين وجعلهم مسئولين عن نصيب كل قرية، وهم
مسئولون كذلك عن عدم ترك أى كيلة أو أى مقدار من المحصول لأى رجل قبل أن يدفع

التي كان الاول قد شرع فى هدمها، لكنه لم
يامرهم بان يبنوها.

وكان البطرك بمصر قد قضى جميع حوايجهم
وعول على العوده الى اسكندريه، وكان عيد
السيد(*) [فى] ثمنيه وعشرين يوما من كيهك
فطلب إليه الأساقفة والشعب ان يقدس لهم
ويقربهم قبل مفارقتهم لهم. وكانت هذه النبوه منهم
ان ياخذوا السراير المقدسه من يده قبل خروجه من

(*) تحتفل به الكنيسة المصرية فى
التاسع والعشرين من كيهك وهو
عيد الميلاد المجيد.

ضريبة المحصول وبذور المحصول والضرائب المالية والضرائب العامة ومن يتأخر سيعطى الفرصة
ضده. وسأجعله مسئولاً عن أى مزارع فى القرية يبيع محصوله أو أى سلة من التبن الا بموافقة
كتابية منى أو من والدى، وعليكم ارسال المخالف لكى يعرف نتيجة عدم طاعته وفى النهاية
يطلب ٢ من الكتبة ليساعده فى جمع محصول قريتين.

وكما هو واضح من الخطاب فان الباجارك أو حاكم الإقليم كان يعين رؤساء القرى الذين
يعينون بدورهم كتابا وجباة لجمع المحاصيل والضرائب، وهؤلاء تقع عليهم مسئولية الضرائب
كاملة. وكان فشل رؤساء القرى فى الجبايات يعرضهم للعقاب، فمن رسالة من شخص يدعى
بارشا الى الأمير فى بابلين يذكر أنه قبض على الرجال وأرسلهم تحت الحراسة الى بابلين
مكبلين بالأغلال. وغالبا، كان هؤلاء الأفراد من الجباة لا من الأهالى. وخطاب من محمد
ربما كان مسئول الخراج الى فيكتور ذكر فيه أن رؤساء إحدى القرى لم يفوا بالتزاماتهم المالية
وخاصة الضرائب النقدية ويطلب تعيين رؤساء آخر يتحملون المسئولية وأن عليه مراقبتهم
ومطالبتهم بالضرائب.

ولقد أصبحت الزراعة عبئا حوال التخلص منه أهالى البلاد، ففى بردية عبارة عن رسالة
مرسلة الى إحدى الموظفين بواسطة قس طلب الشخص رفع عبء الحقول التى عليه وتسليمها
لآخرين يتحملون عنه أعباء الضرائب، ويتعهد الشخص المرسل اليه الخطاب بمعاونته فى

هذا العالم، فلما دخل البيعه نظرها بغير سقف
فتهد فقال: ياربى والاهى يسوع المسيح انت قلت
لبطرس ريس التلاميذ اننى ابنى بيعتى على
الصخره ولا تقهرها ابواب الجحيم، وان كان قد
ظلمها بعض الملوك المنافقين يسيرا بكلمتك يارب
لا تبطل إلى الأبد، وقد طرحت الملوك الطاغية مثل
ديقلاديانوس ويوليانوس من يشبههما واما البيعه
فهي ترتفع فى كل زمان، وقضى الايمان يا سيد انا

السداد ان عجز عن ذلك. وكان الجبابة حريصين على ألا يفلت أحد من الجبابة لأن العبد
كان يقع عليهم، فقد توفى شخص اسمه ميناس وترك نساء وريثات له فكتب مسئول
الخراج يطلب تقييدهن فى السجلات لفرض الضرائب عليهن ويأمر بأن يكون متيقظا لأمر
الجبابة فانه لن يتغاضى عن أى نقص فى السجلات وينذر بمعاقبته، ويبلغه أنه لن يضع عصا
على عينيه فلا يتهاون فيما يجب أن يدفع، ويذكر أن على الجبابة ألا يحددوا للشخص ما
يدفعه قبل أن تأتى الكشوف من ديوان الكورة، فالشدة كانت الطابع المميز فى الجبابة حتى
على الجبابة أنفسهم، فباجارك يرسل الى أحد مرؤوسيه (أنه أرسل سيرينوس لاكمال الجزية
وعينه كمشرف عليه وأن هذا لصالحه ويطلب منه تسليم جباياته ويهدد بأنه سيحققه. وفى
رسالة من جابى الى الجهبذ يذكر له أنه نفذ تعليماته كاملة ولم يترك أى ناحية بلا تقدير ولم
يضيف لتعليمات الوالى أى زيادة أو نقصان.

وصيغة التهديد نفسها تتردد فى رسائل لقرة بن شريك والى مصر الى الباجارك باسيل فى
كوم أشقوة ٧١٠م / ٩٠هـ يتهمه بالتقصير لتأخيرته الخراج ويتوعده هو وعماله، ومع ذلك
استمر باسيل فى التأخير، فعاد قرة يكرر له بأن الوقت حان لاعطيات الجند وأبنائهم ويطلب
سرعة جمع المال (فان أهل الأرض قد حملوا منذ أشهر ثم عجل الى ما اكتمل عندك من

اطلب اليك وارغب ان تجدد لها بالنعمه وتضع
كل من يقاومها من الملوك المنافقين وتريهم ضعفهم
سريعا وتبطل موامراتهم وتنعم على بسلطان طالب
الحق يامر بعمارة البيع واعادتها إلى ما كانت عليه
من الزينه والفخر باسراق نورك فيها . وفيما هو
يصلى بهذا ومثله سمع صوتا يقول مثل داود
المغبوط: أما انت فاخذك الى أريحك من تعب هذا
الزمان والذي يجي بعدك هو الذي يبنى البيع

المال أولا بأول^(١) ثم يعود لتذكرته بأمر الخراج (ولعمري حان الأجل منذ أكثر من شهرين
وقد كتبت اليك قبل كتبي هذا أمرك أن تجعل إلينا بما قد جمعت من جزية كورتك وأردت
أن أرفق بهم وأتجاوز عنهم بما قد قبضت منهم على النحو الذي كانوا يؤدون في بيت المال
كل سنة) فهو يطلب العدالة في الجباية ويطلب دخل الدولة بلا تأخير وهما أمران من الصعب
تحقيقهما معا مع هروب الفلاحين وترك الأرض بورا.

وأمام هذا الضغط من الولاة كان على الجباة أن يفوا بالتزاماتهم كاملة خوفا من تعرضهم
للعقاب فتعسفوا مع الأهالي، وفي بردية عربية وهي أمر من أحد الجباة الى شخص تأخر في
دفع ضرائبه في مدينة أنصنا (استحضر لنا من مدينة أنصنا بقطر الطحان ومر العمال بأحضارة
واستحضر إلينا أسرته أجمعين واستحضر أباه وابنه واستعجل أحضاره ان شاء الله) وهكذا
كان احتجاز أسر المصريين حتى يتموا سداد ما قرر عليهم من الأموال، وكانت الاسرة خلال
فترة الاحتجاز (التي كانت تمتد أحيانا حتى تتم دورة المحصول الجديد ويكون وافيًا دون أن
يأتي فيضان النيل منخفضاً الخ...) تكلف بأعمال السخرة والخدمة عند الغزاة الفاتحين العرب.
وفي كتاب آخر «لأبي على حسن ابقاه الله عافانا الله وإياك لا تضع كتابي في يدك حتى

(١) جروهمان : جـ ٣ ص ١٤٩.

ويجدها . فلما سمع هذا بدا بالقداس ، فلما
اكمل خدمته ناول الشعب من السراير المقدسه
واعطاهم السلام وعادوا الاساقفه الى كراسيهم،
فحينذ توعك ابونا انبا يوحنا ولحقه ضربان في
راسه، وكانوا الابا الاساقفه يريدون بلوغه مراده
وطيبة قلبه ويقولون له: يا ابانا لا يضيق صدرك
بسبب خراب البيعه، الرب يقيم لها من يعمرها
اجود ما كانت بصلواتك وقدسك، وهو لا يصغى

تركب الى شنشور (فى المنوفية) وتخرج الأقباط حتى تنفق الى مائة أردب قمحا وابعث به
ساعة يأتيك كتابى، وأمر آخر من ضابط الى مرؤوسيه فى رمجوس (فى الأشمونيين) يطلب
التكيل بشخص لم يدفع ما عليه من أعباء. وفى خطاب من قره بن شريك الى با سيل ذكر
أن الوليد بن العباد صاحب البريد أخبره أنه فرضت غرامة على قرية بسبب تأخيرها فى دفع
الجزية.

ولقد ارتفعت شكوى الجبابة من خلال البرديات من هروب الفلاحين وتعذرهم فى الدفع
ففى بردية حسابات اشارة الى بنود غير مدفوعة أو الى احوالة منقولة من قسم الى القسم الذى
يليه. وفى أمر من القرن الثامن الميلادى من الباجارك فلافىوس الى رؤساء القرى والقسس فى
الكنائس يطالبهم بمزارعين لتولى وظائف محلية صغرى بسبب فرار العمال. ويشكو أحد
المستأجرين من المالك الذى يبدو أنه عربى، ويصفه بالرجل العظيم، ويذكر أن لديه وثيقة
بايجار حقل يتبع هذا الشخص، ويرغب فى مقابلة المالك بشأنه ويبدو أن المالك العربى اتفق
معه فى أول الأمر على زراعتها ثم ترك الأرض فلم يتول هو زراعتها ولم يتركها للرجل. (أنه
دفع لجميع الرجال أجرهم الا أنا واذا كان يريد أن ابذر الحقل فليعطنى وثيقة واذا لم يرغب
فليتسلمها منى). لأنه فى هذه الحالة كان على المزارع أن يدفع ضرائب الأرض، وقام بعض
الملاك العرب بالتهرب من دفع الضرائب ومقاومة الحكومة كامرأة تدعى رضا رفضت أن تدفع

لقولهم لن [الآن] قلبه اشتغل بما سمعه من
الصوت وانه خارج من هذا العالم . وكان يطلب
إلى الاساقفة ويقول لهم خذوني الى مدينتي
[حيث] الموضع الذى اختاره الرب لى لكى اسجد
للرب على كرسى ابي مرقس الانجيلي قبل خروج
روحي من جسدى.

فسمعوه وحملوه إلى مركب، وكان معه

خراج أراضيها وأثارت المشاكل مع الجباة وأدى هذا بالجباة الى ان يصحبوا معهم جندا محليين
وهو أشبه بنظام البوكلارى الذى كان ملحقا بالضياح الكبرى فى بيزنطة، لقد تم تطبيق هذا
النظام فى عام ٥٠ هـ فمن رساله لقره بن شريك (أما بعد فان فاسا من الجند ذكروا الى كتبة
من قريتهم كانت تجرى عليهم منذ أربعين سنة ولم نجد شيئا من الكتب فلا أدري ما صدق
ذلك من كذبه فاذا جاءك كتبي هذا فلا تقدم فى كورتك الا سألت أهلها عما فى قريتهم من
تلك الكتبة ولمن هى فاذا علمت ما فى كل قرية منها فارفع الى كتابا بما وجدت) (١) ويبدو
أن هؤلاء الجند أعانوا السلطات المحلية فى كل قرية فى شكل قوة شرطة للمحافظة على الأمن
وجباية الضرائب.

ومن المعروف أن الجباة فى عهد عبد الملك أصبح غالبيتهم من المسلمين ففى شكوى
متأخرة بسيا ١٣٧ هـ اشتكى أهالى طحا من عمرو بن عطاس جامع الضرائب ومعاونيه فقام
أمير الكورة بتشكيل مجلس من الرؤساء المحليين نوقشت فيه الشكوى والتي ثبت كذبها بالطبع
ولا نعلم هل كان هذا اجراء متبعاً فى الفترة السابقة أم لا.

والمشكلة الأساسية التى بدأت تتضح هى هروب الفلاحين، فالى جانب الضرائب التى
عليهم كانت هناك الأراضى البور التى تضاف إلى أرض البعض ويتحمل ما عليها من ضرائب

(١) جروهمان: جـ ٣ ص ١٥٠.

الاساقفه ميخايل اسقف مصر وجرجه اسقف
منف.

وفي يوم انحذارهم من مصر ولي على مصر
وال جديد اسمه الليث بن الفضل (*) وكان انسانا
خيلا محبا للنصارى ، فلما انحدرنا بدا البطرك ان
يخاطبنا وهو في المركب ويقول: قد حضر فكر
على قلبى أقوله لكم لجل قدسكم واطهر لكم ما
خفى عنكم، قد علمتم ما لقيت من التعب

(*) ولي مصر من قبل الرشيد على
صلاتها وخراجها بدلاً عن
إسماعيل بن عيسى في حوالى
٢٠ نوفمبر ٧٩٨ م = ٥ شوال
١٨٢ هـ . انظر الهامش السفلى
ص ٤٥٥ .

وذكرت بعض البرديات أنه كان يطلب منهم زراعتها قطاني (بقول) وتعفى لفترة من الضريبة
ولكن المتبع أن القرية تتحمل ضرائب من ترك أرضه بل وما يسرقه اللصوص وغيرهم من
المحصول. وفي احصاءات عربية ذكر لأراض خراب. أما بالنسبة للسخرة فكانت في أعمال
الجسور. وفي رسالة من رئيس قرية الى شخص مسئول يذكر أنه أحضر ٢٠ عاملاً للعمل في
القنوات.

ولقد حاول العرب الحد من هروب الفلاحين وتركهم الأرض بأن منعوا المزارعين من
مغادرة مواطنهم الا بتصريح، فالمواطن اذا أراد أن يتجه الى مكان ليقوم فيه ربحاً من الزمن لم
يكن ملزماً فقط بالحصول على تصريح من المدينة أو المنطقة التي يتبعها، بل كان ملزماً
بإفادة الموظف المحلي بمحل إقامته الجديد فالمزارعون كان عليهم دفع ضرائبهم في أماكن
تسجيلهم وأقاليمهم التي نشأوا بها، وفي البداية كان يسمح بالجباية في الكورة التي انتقل اليها
الشخص حيث تحول الاتصالات الى مكان تواجد الجديد ولكن الدولة منعت هذا التصرف،
ثم أعادته ثانية قبل نهاية العصر الأموي.

ولقد أجبر المزارعون على التواجد في أماكن زراعتهم وظهرت عقود ضمانات تتضمن التعهد
باستمرار العامل في عمله في الأرض، ويبدو أن تطبيق هذا النظام بدأ منذ عهد عبد العزيز
بن مروان في خلافة عبد الملك بن مروان. وفي بردية تعود لعام سبع مائة وأربعة وعشرين من

وصبرى الى سفك الدم، والان فانا منتقل الى
حيث ابائى فقد طلبت الى الله ان لا يخرجنى
بغته بغير ثمره بل يقينى سنه واحده ويعطينى بان
اعود اليه بكل قلبى واتوب وابكى على خطيئى
ويرينى سلطانا عادلا بارض مصر يحب النصارى
ولم يمنعنى الله من هذا وانعم على بالحياه الى
سنه واخرها هذه الايام، وقد بلغنى ان واليا قد ولى
مصر وانه يفعل مع البيع والاخوه كل جيد وانا

الميلاد، يطلب رئيس دير من الأقصر السماح للرهبان بترك مدينتهم والذهاب للفسطاط لمدة
ثلاثة أشهر حددتها، وتعهد رئيس الدير بضمان عودتهم. ومع ذلك اشتدت حركة هروب
الفلاحين وخاصة فى عهد عبد الملك بن مروان بعد زيادته اخراج رغم انخفاض النيل ٧٨هـ.
وبدا الولاة فى احصاء كل الغرباء عن كل قرية والعودة الى قوائم التعداد القديمة لترحيل
كل من يثبت أنه وافد حديث. بل فى احدى البرديات طلب الوالى ترحيل كل من أقام أقل
من خمسة عشر عاما فى الاقليم، والوالى الذى لم تذكر البردية اسمه فغالبا هو قره بن
شريك فالأمر يخص كرم اشقوه فيأمر الوالى الباجارك حاكم الاقليم بأن أهالى الفيوم واهناسيا
واشمون وقوص الذين لديه فى قريته يجب القبض عليهم وارسالهم اليه وعليه أن يكتب
أسماءهم فبعضهم هرب من أقليمه من خمسة عشر عاما، ويطلب مراجعة القوائم وتسليم
هؤلاء الأشخاص لحامل الخطاب هم وزوجاتهم وأبنائهم وممتلكاتهم، مع ذكر بلدتهم الأصلية.
وكان هروب المزارعين يعرضهم للعقاب والغرامة ففى خطاب من قره حاكم اشقوه.:

«لقد أرسلت الى بالنبطى البو الذى فر بالأربعة الدينر (الدينار) وثلاث الدينر غرمته»^(١).
وفى خطاب أخر الى باسيل «حاكم الكورة» يطلب منه عدم السماح بايواء جالية (ذميون)

(١) جرهمان : جـ ٣ ص ١٥٢.

ماض الى الله ولا تنظروني بعد في الجسد لن
[الآن] زمانى قد اقترب هذا الذى اعلمت به من
الله فاسمعوا الان إذا أنا مت اسرعوا واجلسوا من
يختاره الله على الكرسي.

فلما سمعوا الابوان الاسقفان هذا تيقنا موته
فتنهدا ولم يقدرنا ان يصبرا من كثرة البكا لقوله:
انكم لا تشاهدوني بعد في الجسد. فقالا له: يا ابانا
لما اظهر الله خروجك من هذا العالم من اعلمك

لديه وفي رسالة موجهة من مرقص لشخص يدعوه بالدوق والمقصود حاكم الكورة، أن فلاحا
هرب ومعه نيران لثور يخصان الدوق ويطلب شخصا ليذهب لمكان الفلاح اخنوخ الذى
أخذ النير ويذكر أن الفلاح لا يريد العودة والعمل ، وهذا أدى بالحكام العرب الى أن تأخذ
ضمانات على بقاء الفلاح فى أرضه ووفائه بالإيجار والخراج، ولقد أصبح هذا التقليد شائعا،
ولدينا عدد كبير من الوثائق بالعربية والقبطية تشتمل كلها على ضمانات، ففي بردية يتعهد
اسحق بن ابراهيم وبقطر الخارس بضمانة مزارع ويتعهد بأنه فى حالة هروبه يدفع ٢٠ دينارا.
وفى خطاب الوالى الى موظفيه يطلب اطلاق سراح شخص لأن أبو الرازى ضمن ما عليه من
مال.

وضمانه أخرى فى احدى البرديات القبطية معنونة الى موظف كبير حيث يضمن أبو الياس
عمل شخص فى الحقل مدة خمسة أشهر.

وأحيانا يتعهد الضامن بالعمل فى الحقل فى حالة فرار الفلاح الذى يضمنه فيثودور يضمن
لآخر عمل فلاح ويتعهد أن يحل محله فى احضاره، وضمانة مرفوعة للأمير بأسماء فلاحين
يتعهد الضامن بوجودهم فى حقولهم، وضمن عاصر عنب شخصا آخر فى زراعته. وأحيانا
يضمن البعض الخراج والضرائب لآخرين (عافاكم الله ورحمكم فان وقاد بن عبد الله قد
ضمن لنا ما يلزم بالمال مولى اسماعيل أخو وقاد من الخراج والضرائب والنوائب فى السنة

به انه يجلس على الكرسي بعدك: فقال لهما الذى
قد حرسه الله الى الان وسر به ان يرعى شعبه
واردت انا ان اجعله اسقفًا وكان تدير الله ان
يحفظه لهذه الخدمة وهو ولدى القس مرقس. قال
هذا وهم منحدرين فى المركب، فلما وصل إلى
مدينة اسكندرية ثقل عليه المرض والورسكين
[الحمى].

وهذا عجب آخر اظهره الله لابينا القديس انبا

كلها فخلوا بينه جزاء ما رفع عليه) فالفلاح لم يحظر عليه ترك اقليمه فقط بل منع فى
أحيان كثيرة من ترك الأرض الى أن يسدد ما عليه، وقد امتدت الضمانة الى الوظائف فهناك
ضمانة لموظف مدنى، وضمان من اثنين من الموظفين لحضور شخص. ومع ذلك فان الفرار من
القرية قد استمر.

وفى بردية بتاريخ ٧٣٢م / ١١٣هـ ذكر شخص فى كورة الأشمونيين يقيم فى الفسطاط
أرسل اليه عامل الأشمونيين يبلغه بقيمة ضريته^(١)، وفى بردية أخرى من قرية البسكلون
بالمنيا وتعود الى ١١٢هـ ذكر لشخص من أعلى أشمون سمح له بالعمل فى أسفل أشمون
لوفاء جزيته والتماس معيشته لمدة شهرين^(٢) وسمح لآخر بالعمل لوفاء جزيته ومعيشته لمدة
خمسة أشهر فى مستهل شعبان سنة ثلاث ومائة الى السلخ من ذى الحجة فى سنة.. فمن
لقيه بعد الأجل الذى أجلته فليعده الى مدينته.

ولقد استمرت الدولة خلال القرنين الثانى والثالث فى حصر الأشخاص غير المقيمين
فى أقاليمهم، فالمزارع أصبح مربوطا باقليمه وزراعته وربما كان هذا أحد الأسباب الرئيسية
لثورات القبط خلال هذه الفترة. وأدى هذا بدوره الى اضطراب الأمور فى القرى ففى

(٢) جروهمان: جـ ٣ ص ١٧٥.

(١) جروهمان: جـ ٣ ص ١٧٤.

يوحنا لا تجب الغفلة عنه، لما كان في اليوم

السادس عشر من شهر طوبه عيد القديس

(*) يذكر عنه السنكسار أنه ولد في
مدينة انطاكية، وقتل على يد
دقلديانوس.

فيلاتوس(*) الشهيد وهو يوم ولد فيه هذا الأب

كما ذكر الجمع وهو اليوم الذي وسم فيه بطركا

وفي هذا اليوم بعينه اسلم نفسه للرب.

والذي اقامه على الكرسي اربع وعشرون سنة

وكانت وفاته في سنة خمس مائه وخمس عشرة

احدى البرديات العربية أوامر بالقبض على أهل الريب والجرائم ومنع بقاء أحد بالقرية غير
أهلها.

وقد قام في مصر في العصر العباسي نظام آخر لجباية الضرائب وهو نظام قبالات (١)
الأراضي، ويشبه نظام الالتزام، الذي وجد في العهد الروماني، فيقول المقرئ (٢): «وكان من
خبر أراضي مصر، بعد نزول العرب بأريافها واستيطانهم وأهاليهم فيها واتخاذهم الزرع معاشا
وكسبا وانقياد جمهور القبط إلى إظهار الإسلام واختلاط أنسابهم بأنساب المسلمين لنكاحهم
المسلمات، أن متولى خراج مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من الفسطاط في
الوقت الذي تها فيه قبالة الأراضي وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادى على
البلاد صفقات صفقات وكتاب الخراج بين يدي متولى الخراج يكتبون ما ينتهي إليه مبالغ
الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس، وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالأربع سنين
لأجل الظم والاستبحار وغير ذلك، فإذا انقضى هذا الأمر خرج كل من كان تقبل أرضا
وضمنها إلى ناحيته فيتولى زراعتها وإصلاح جسورها ومائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن

(١) يذكر دى ساسي أن كلمة قبالة معناها أن أحد الأشخاص يضمن دفع ضريبة معينة أو يلتزم بتفدية عهد

أو ارتباط Sur la nature et les Revolutions du droit de propriete territoriale p. 200

(٢) اخطط جـ ١ ص ٨٢.

للشهداء. وعظم حزن الشعب الارتد كسى فى ذلك
اليوم عليه، ولما كملت عليه الصلوات والقداس
جعل جسده المقدس مع ابايه القديسين
التاودوسيين، وقبل الرب نفسه الطاهره واعد مع
القديسين فى كورة الاحيا والمجد للسيد يسوع
المسيح ولايه الرحوم والروح القدس المحيى الان
وكل اوان والى دهر الدهور امين.

يتسده لذلك ويحمل ماعليه من الخراج فى ابانه على أقساط ويحسب له من مبلغ قبالتة
وضمنانه لتلكم الأراضى ما ينفقه على عمارة جسورها وسعة ترعها وحفر خلجها بضراية مقدرة
فى ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج فى كل سنة فى جهات الضمان والمتقبلين، يقال لما
تأخر من مال الخراج البواقي. وكانت الولاة تشدد فى طلب ذلك مرة وتسامح به مرة، فإذا
مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة^(١) وراكو البلاد^(٢) كلها وعدلوها تعديلا جديدا
فزيد فيما يحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتاج إلى التقيص فيها ولم ينزل
ذلك يعمل فى جامع عمرو بن العاص إلى أن عمر أحمد بن طولون جامعه وصار العسكر^(٣)
منزلا لأمرء مصر فنقل الديوان إلى جامع أحمد بن طولون.

من الوصف السابق نعرف أنه كان يقوم فى جامع عمرو ثم فى جامع ابن طولون مزاد
لتقبل الأرض أو ضمان خراجها، وكان التقبل لأربع سنوات (حتى تتعادل سنو المحصول

(١) تحويل السنة معناه تحويل السنين القمرية إلى شمسية فإذا جمع الخراج على حسب السنين القمرية فكاننا
لجمع الخراج فى مدى ٣٢ سنة شمسية ثلاثا وثلاثين مرة وهذا ضد طبيعة الأشياء. وعلى هذا تحذف سنة
كل ٣٣ سنة قمرية خراج سنة. وهنا ما يسمى التحويل (خطط المقرئى ج ١ ص ٧٣ De Sacy: Sur
la Nature et les Revolutions p. 200.

(٢) الفعل راك والاسم روك. معناها تقويم الأراضى ومسحها. De Sacy: op. cit. p. 200.

(٣) فى الواقع كانت القطائع هى مقر أمرء الدولة الطولونية منذ أن بناها أحمد ابن طولون لا العسكر.

مرقس البطرك وهو من عدد الابر

التاسع والاربعون

[٧٩٩ / ٨١٩م]

[السيرة العشرين من سير البيعة]

ثم عاد الاسقفان الى مصر وهما ابا ميخايل
اسقفها وجرجه اسقف منف بسرعه ليقدما امر من
يرسم بعده، فلما اجتمعوا الاساقفة والشعب
الارتد كسى باسكندريه وتشاورو فيمن يقدمونه،
فقالو الاساقفة: نحن سمعنا ان ابانا ابا يوحنا ذكر

الضعيف بسنى الغصول الطيب) وكان المتقبل يخصم من المبلغ المطالب بدفعه ما
ينفقه فى كرى الترع وما الى ذلك . ولنا نعرف تماما تفصيل علاقة المتقبل مع رجال
الإدارة.

وقد ظهرت فى العصر العباسى مسألة ضمان الوالى خراج مصر كله وكان الخليفة أبو
جعفر المنصور أول من أراد إدخالها فى مصر^(١) ونسب هنا ما ذكره الكندى^(٢) والمقرئى^(٣)
عن محمد بن الأشعث والى مصر (١٤١ - ١٤٣) إذ قال: «فلما استقر محمد بن الأشعث
بها بعث أبو جعفر إلى نوفل بن الفرات أن أعرض على محمد بن الأشعث ضمان خراج
مصر فإن ضمنه فأشهد عليه وأشخص إلى وإن أبى فاعمل على الخراج، فعرض عليه ذلك
فأبى، أى أن الخليفة أراد أن يجعل الوالى يلتزم بدفع مبلغ معين عن القطر كله. ويسعد أن
يرفض أى شخص أن يلى خراج مصر، ولكن من المعقول أن يرفض ضمان خراجها مثلما
فعل محمد بن الأشعث، وذلك خشية العجز عن القيام بما التزم به نظراً لاضطراب أمور البلاد
فى كثير من الأحيان، أو لاحتياجه إلى المال للنفقة على الإدارة وعلى الجند.

(1) Zaky M. Hassan: Les Tuhunides pp. 243 - 244

(٢) الولاة والقضاة ص ١٠٩.

(٣) الخطط ج ١ ص ٣٠٦.

اسم القس مرقس انه الذى يجلس بعده. فقالو
جمع الكهنة من قم واحد: هو مستحق بالحقيقة
هذا الطقس، هذا القديس الذى ارضى روح
القدس وارضى روح ايينا الطوبانى يوحنا مدة مقامه
معه فى جميع ايامه. ثم ان جميع الاساقفة
والكهنة كتبوا الى ابا ميخايل اسقف مصر
يقولون: ابوتك تعلم ما جرى علينا من اليتيم فى
مضى ايينا الطوبانى ابا يوحنا الى الرب فى هذا
الزمان الصعب وتقلب الملوك، وابوتك تعلم ان

وكانت الضرائب بعد الغزو - إذا استثنينا الضرائب غير العادية - تجبى كل سنة قمرية.
وكان المصريون قبل الغزو يعتمدون فى الزراعة والحصاد وجباية الخراج على السنين
الشمسية والشهور القبطية. وقد اضطر العرب إلى تحويل السنة الخراجية القبطية إلى
السنة الهلالية العربية، فكانوا يسقطون سنة عند رأس كل اثنين وثلاثين سنة قمرية،
وسموا ذلك الاردلاق لأن لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنين وثلاثين سنة شمسية
بالقريب^(١).

وكان الأهالى الذين يقومون بدفع ما عليهم من الضرائب يتسلمون إيصالات عرفت فى
أوراق البردى العربية باسم براءة^(٢) وكان جابى الضريبة العينية ينتخبه السكان ويسمى
القبال^(٣) ونسمع عن قبال قرية فى ورقة بردية كتبت سنة ١٣٤هـ^(٤).
وكانت الضرائب العينية المكونة من الحبوب ترسل إلى أهراء العاصمة^(٥) أما الضرائب

(١) انظر المقرئى - خطط ج ١ ص ٢٧٠ - ٢٧٣.

(2) Grun: Coptic Ostraca. pp; 36 - 37, Grohmann: Arabic papyri vol. III. p. 141 - 142.

(3) Papyri Schott - Reinhardt I. 45.

(4) Grohmann: Arabic Papyri vol. III. p. 102.

(5) Bell: Translations of Greek Papyri (Der Islam II) p. 271 - 381.

قطيع خراف [بغير راع يدخله الديب فيشتته،
وكل مدينة] بغير سور العدو يهلكها، ولجل هذا
اجتمعنا في البيعة العظمى باسكندرية والابا [ء]
الاساقفة فقد كتبنا نقول واحد منا طاب به قلبنا
على القس مرقس ان يكون لنا ابا لانا علمنا ان
الرب قد اصطفاه وان ابانا الماضي قد اعملكم بهذا
قبل نياحته، من اجل ذلك نقول كما قال المغبوط
داود: عوض الابا [ء] صارو ابنا [ء] تجعلهم ريسا
على جميع الارض.

النقدية فكانت ترسل إلى ديوان الخراج والأموال^(١) عن طريق فروعه في الأقاليم، وكان
يشرف على كل فرع من فروع المالية في الأقاليم موظف يسمى الجسطل^(٢).

ويظهرون أنه كانت ما تزال تتبع في مصر في ذلك العصر وسائل الشدة لجباية الخراج.
ونعرف أن الليث بن الفضل وإلى مصر خرج إلى الخليفة الرشيد في سنة ١٨٧ هـ وسأله أن
يبحث معه بالجيش لأنه لا يستطيع استخراج الخراج من أهل الخوف إلا بجيش^(٣).

كذلك تبين ورقة بردية عربية من القرن الثالث الهجري مدى الشدة التي كانت تتبع في
جباية الأموال، ففيها أمر بأنه إذا لم يؤد كل فرد ما عليه من الأموال يضرب عشرة سياط
ويغرم في صلب ماله ديناراً^(٤).

النقود الإسلامية في مصر

كان بين البيزنطيين وبين الدولة الساسانية معاهدة خاصة بالعملة تقضي بأن يضرب
الساسانيون نقوداً من الفضة وبالأ يتخذوا عملة ذهبية سوى العملة الرومية، ولهذا كانت عملة

(١) ديوان الخراج والأموال بمثابة وزارة المالية وقد وجد العرب في مصر ذلك الديوان فأبقوه على حاله حتى
أنه كان يكتب باليونانية والقبطية إلى أن أمر عبد الله ابن عبد الملك بتعريب هذا الديوان سنة ٨٧ هـ.

(٢) Becker: Neue Arabische Papyri. p. 353; Grohmann . op. cit vol. III p. 17.

(٣) الكندي: ص ١٤٠ ومتزجا ١ ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(4) Grohmann. Arabic Papyri vol. III. p. 104.

وأنفذو الكتب مع بعض الاساقفة وارشيد ياقن
المدينة، فلما اتصل بالقس مرقس خبر الكتب التي
كتبت من اجله حزن جدا ونهض للوقت وهرب
إلى دير ابي مقار بوادي هبيب. وكانت البرية(*)
ذلك الزمان مثل فردوس الله فيها قوم قديسون
روحانيون منهم من تنبا على هذا القديس انه
مستحق لهذه الخدمة كما ذكرنا انفا. فلما وقف
الاب انبا ميخايل اسقف مصر على الكتب ذكر
كلام معلمه ابا يوحنا البطرك المنتيح فاحضر

(*) برة وادي النطرون.

بلاد الفرس الجارية هي الدراهم الفضية، بينما شاعت العملة الذهبية في البلاد التي كانت
تحت حكم الرومان من قبل (١).

وكان العرب في الجاهلية يتعاملون بالدراهم الفارسية وكانت من الفضة، والدنانير
البيزنطية وكانت من الذهب. وتذكر بعض المراجع أن أول من ضرب النقود من الخلفاء هو
عبد الملك بن مروان (٢)، على أن المقرئ (٣) ذكر أن عمر بن الخطاب أقر النقود على
حالتها إلا أنه في سنة ١٨ هـ ضرب الدراهم على نقش الفارسية وشكلها غير أنه زاد في بعضها
«الحمد لله» وفي بعضها «محمد رسول الله» وفي بعضها «لا إله إلا الله وحده» ولما بويع
عثمان بن عفان بالخلافة ضرب دراهم ونقش عليها «الله أكبر» (٤).

وقد سك معاوية في خلافته أيضاً دراهم ودنانير (٥). ولما قام عبد الله ابن الزبير بمكة
ضرب دراهم مدورة، ويقال إنه أول من ضرب الدراهم المستديرة كذلك ضرب أخوه مصعب

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٣١٦.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية ص ١٤٨ والقلقشندي: صبح الأعشى ج ١ ص ٤٢٤ وأبو الحسن:
النجوم ج ١ ص ١٧٦.

(٣) المقرئ: النقود الإسلامية ص ٤ - ٥ والمقرئ: إغاثة الأمة ص ٥١ - ٥٢.

(٤) المقرئ: النقود الإسلامية ص ٥ وإغاثة الأمة ص ٥٢.

(٥) المقرئ: النقود ص ٥٠ وإغاثة الأمة ص ٥٢ - ٥٣.

جميع الريسا بمصر ومضوا الى الوالى ودخلوا اليه
الاساقفه انبا ميخايل والرسل ولم يمكن غيرهم
من الدخول فقال لهم: ما حاجتكم؟ فقال له انبا
ميخايل: نحن نعلم رياستك لاجل ان ابانا الشيخ
ابا المذهب الذى كان لنا قد توفى. فقال لهم: فما
تريدون؟ فقالوا له: الله يديم ايامك، وعلى اواصى
البيعه خراج كثير ومال، ولاجل ذلك أردنا ان نقيم
اخر عوضه يدبر البيعه والشعب. فقال الوالى: فما
اسمه؟ قالوا له: مرقس. فامر بكتب اسمه فى

بن الزبير دراهم بالعراق، فلما قدم الحجاج بن يوسف العراق من قبل أمير المؤمنين عبد الملك
بن مروان أبطل تلك العملة وقال: «ما بقى من سنة الفاسق أو المنافق شيئا»^(١)

غير أن هذه النقود التى سكها خلفاء الدولة الإسلامية وأمرأوها لم تثبت على وزن واحد
بل، كانت متغيرة الأوزان^(٢) كذلك كان العرب يتعاملون بالنقود الأجنبية جنبا إلى جنب مع
النقود الإسلامية، إلى أن ولى عبد الملك ابن مروان اخلافة وتمهدت له الأمور فى الدولة بعد
القضاء على منافسيه والخارجين عليه، فأراد أن يصلح النقود ويوحدها فى جميع المملكة
الإسلامية ويستغنى عن النقود الأجنبية^(٣).

(١) المقرئى: النقود ص ٥ - ٦ وإغاثة الأمة ص ٥٣.

(٢) انظر المقرئى: النقود ص ٤ - ٦ وإغاثة الأمة ص ٥١ - ٥٢ De Sacy: Traite des monnaies

Musulmanes pp. 17 - 19 والأب انستاس الكرملى: النقود العربية وعلم النميات ص ٢٧ - ٣٣

(٣) روى المؤرخون أن السبب الذى حدا بعبد الملك إلى هذا هو أن القراطيس كانت تدخل بلاد الروم من
أرض مصر ويأتى العرب من قبل الروم بالدنانير فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذى
يكتب فى رؤوس الطوامير من (قل هو الله أحد) وغيرها من ذكر الله. فكتب إليه ملك الروم إنكم
أحدثتم فى قراطيسكم كتابا نكرهه، فإن تركتموه وإلا أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه. قال
فكبر ذلك فى صدر عبد الملك وكرهه أن يدع سنة حسنة سنها فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية
فاستشاره فى ذلك فلم يكن منه إلا أن قال: حرم دنائيرهم فلا يتعامل بها واضرب للناس سكا ولا تعف
هؤلاء الكفرة مما كرهوا فى الطوامير. فقال عبد الملك: فرجتها عني فرج الله عنك، وضرب الدنانير
(البلاذرى: فتوح البلدان ص ٢٤٠ المقرئى: النقود ص ٦ وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧٦
- ١٧٧).

الديوان ثم اذن لهم فى اقامته عوض انبا يوحنا
وخرجو من عنده.

ثم بلغ الاسقف انبا ميخايل هروب القس
مرقس ، كان انبا ميخايل الاسقف متولى ما يتعلق
بالديارات فانفذ للوقت الاساقفة والكهنة وامرهم
ان يقيدوه ويمضوه الى اسكندرية ففعلوه به ذلك
فى اليوم الثانى من امشير يوم عيد(*) الاب
لنجينوس ، وكان يوم وصوله الى اسكندرية ، وكان

(*) الاب لنجسينوس رئيس دير
الزجاج بالاسكندرية ، ويذكر
السكسار ان الانبا بولا أول =

ولذا نرى عبد الملك يضرب الدنانير والدراهم فى سنة ٦٧ هـ بعد تعديل فى أوزانها. وقد
أرسل إلى الأمصار الإسلامية كلها لتضرب نقودها بمقتضى السكة التى ضربها عبد الملك^(١).
وربما حمل المؤرخين على القول بأن عبد الملك بن مروان أول من ضرب النقود فى الإسلام
كونه نظم سك النقود وجعلها وزنا واحدا وجعلها تسرى فى جميع أنحاء المملكة الإسلامية ،
لأننا رأينا أنه ضربت نقود فعلا قبل عبد الملك. وكان الخلفاء من بعد عبد الملك يضربون سكة
على وزن سكوته وأحيانا يغيرون فى أوزانها. ولما انتهت الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ صار الخلفاء
العباسيون يضربون سكا أيضا.

تدل قطع «الاستراكاء»^(٢) على أن المعاملات بين الأهالى فى مصر قبل الفتح كان أساسها
العملة الذهبية المعروفة بالدينار tremision, solidus denarius^(٣) ، أى أن مصر كانت تتبع
قاعدة الذهب^(٤). ويذهب علماء الاقتصاد السياسى إلى القول بأن نظام المعدن الفردى

(١) انظر : المقرئى : شذور العقود ص ٦ - ٨ والأب انستاس الكرملى النقود العربية ص ٣٤ - ٣٩.
(٢) قطع من الفخار والأحجار ، كتبت عليها بعض الشعوب ، ولا سيما الاغريق والفراعنة والقبط ، واستنبط
منها علماء الآثار كثيرا من الحقائق التاريخية.

(3) Crum: Coptic Ostraca. pp. 23. 45. 78. 79. 80.

(٤) إذا كان أساس النظام النقدى فى الدولة الذهب يقال إنها تتبع قاعدة الذهب gold standard (الدكتور
عبد الحكيم الرفاعى. الاقتصاد السياسى ج ١ ص ٤٧٩).

= السواح توفى فى نفس هذا
اليوم سنة ٢٤١ م. وتحتفل بهما
الكنيسة المصرية فى ذات اليوم.

مع الأساقفة ابا جرجه اسقف منف واوسم فى
اليوم المذكور بمدينة اسكندرية، فلما جلس على
الكرسى الانجيلي وجميع الشعب يشهدون له
بالاستحقاق فقرأ عليهم الاكساكسيس الذى
يسمى عند الارتدكسين اللوغس وذكر فيه انه
عارف باعمالهم وهذا اللوغس تمتلى من نعمة روح
القدس مقالات الارتدكسين، وأظهر فيه سقطة
المجمع اخلقدوني والرد عليهم وبين ضلالتهم
وانهم عابدون انسانا. ورد على الذين انكروا الام

الذهبي لا يمنع استعمال نقود أخرى غير الذهب، بخاصة النقود الفضية، ولكن الذهب يكون
وحده هو العملة القانونية التى لها قوة إبراء غير محدودة^(١)، وتعتبر النقود الأخرى عملة
مساعدة^(٢) ولا نجد فى الاستراكا سوى إشارة أو اثنتين إلى النقود الفضية فى مصر وتعرف
بالدراهم^(٣). ويظهر أن النقود الصغيرة التى كانت تستعمل فى مصر إذ ذاك - كالقروش
وكسورها اليوم - كانت العملة البرنزية^(٤).

ويقول المقريزي^(٥): «أما مصر من بين الأمصار فما برح نقدها المنسوب إليه قيم الأعمال
وأثمان المبيعات ذهباً فى سائر دولها جاهلية واسلاما، ويشهد لذلك بالصحة أن خراج مصر
فى قديم الدهر وحديثه إنما هو الذهب».

وتؤيد أوراق البردى وقطع الاستراكا ما ذكره المقريزي، إذ تشهد كلها بأن الجزية والضرائب

(١) أى تكون أداة للوفاء فإن القانون لا يعترف لغيرها بقوة الإبراء من الديون - عبد الحكيم الرفاعى:
الاقتصاد السياسى ص ٤٤٨.

(٢) عبد الحكيم الرفاعى: الاقتصاد السياسى ص ٤٨.

(3)Crum: op. cit. p. 23.

(4)Crum. op. cit. p. 23. 42. 45.

(٥) النقود الإسلامية ص ١١ وإغانة الأمة ص ٦٢.

المسيح الالهنا الذى قبلها عنا بارادته بالجسد، وهم
يقولون أنه خيال . فلما كمل خدمة القداس
كالعادة ناول الشعب اجمع من السراير المقدسه
بالجسد والدم الطاهر.

فلما تم كل شى وبعد تكريزه بأسبوع كانت
جمعة الرفاع فمضى الى الدير المقدس دير الزجاج
ليتعكف فيه على الصلوات فى ايام الصيام
المقدس، فلما وصل الى هناك وصلت اليه كتب

وايجار لأراضى وأجور العمال ومائر المعاملات كانت تدفع بالدنانير وأقسامها، وتعرف الدنانير
فى أوراق البردى اليونانية باسم Solidi^(١) ويظهر أن مصر بعد الغزو كان يتعامل فيها
بالدنانير الذهبية التى كان يتعامل بها قبل ذلك، ولا بد أن النقود الإسلامية قد دخلت فيها بعد
الفتح ويدكر Quatremere^(٢) وSauvage^(٣) أن الكاتب القبطى بشندى Picendi أسقف
قفط الذى عاصر فتح العرب، كتب كتابا إلى أساقفة إمتة (وهذا الكتاب محفوظ فى مكتبة
باريس) يقول فيه: «إن العرب أخذوا النقود الذهبية المنقوش عليها الصليب المقدس وصورة
السيد المسيح ومسحوا الصليب وصورة المسيح وكتبوا محلها اسم نبيهم محمد الذى يتبعون
تعاليمه واسم خليفة نبيهم ونقشوا الاسمين معا على النقود الذهبية».

وربما ظلت النقود الأجنبية فى مصر يتعامل بها جنبا إلى جنب مع النقود الإسلامية حتى
إصلاح عبد الملك بن مروان للسكة وتحريمه الدنانير الأجنبية، أى أن السكة فى مصر

(1) Crum: Coptic Ostraca. pp. 36 - 37, Bell: (der Islam 11) . pp. 271. 274 etc. Becker.

Neue Arabische Papyri. pp. 254 _ 267 etc, Grohmann Arabic Papyri vol. 11. pp. 44, 45,
48, ol. III. pp. 17. 31 48. 141

(2) Memoires geographiques et Historiques sur l'Egypte t. 1, p343.

(3) Matériaux (Journal Asiatique. Septieme Serie T. XIV)pp. 456 - 457.

انبا ميخايل اسقف مصر تشير عليه بالدخول الى
مصر بعد عيد الفصح المقدس ليسلم على الوالى .
وكان ذلك تدييرا من الله لان بعض البيع كانت
مهدومه إلى ذلك الوقت والشعب حزين لذلك.

فلما تم عيد الفصح دخل الاب البطرك انبا
مرقس الى فسطاط مصر ليسلم على الوالى . فلما
وصل مصر اعلمو الاب ميخايل الاسقف والشعب
بوصوله فخرجوا اليه بالانجيل والصلبان والجوامر

خضعت للسكة الإسلامية، وهذا مظهر من مظاهر التبعية دون شك. ولم تستقل سكة مصر
عن السكة المستعملة في الخلافة إلا بعد أن استقلت عنها كما حدث في عهد أحمد بن
طولون^(١). وفي ذلك يقول المقرئى^(٢) «ومع هذا فإن مصر لم تزل منذ فتحت دار إماراة
وسكتها إنما هى سكة بنى أمية ثم بنى العباس إلا أن الأمير أبا العباس أحمد ابن طولون ضرب
بمصر دنائير عرفت بالأحمدية».

البحرية

«ساهمت مصر بنصيب وافر فى إنشاء الأساطيل الأولى وكان عمرو بنى العاص اول من
تنبه إلى قيمة الاساطيل فى الحروب وذلك عندما استخدم الاسطول المصرى وملاحيه من
المصريين القبط فى نقل المؤن والعتاد لمساندة حملته على شمال افريقيا بعد احتلاله
للأسكندرية تحت قيادة القائد البيزنطى السابق للأسطول فى مصر الذى قبل العيش فى مصر

(1) Stanley Lane - Poole: Catalogue of the Collection of Arabic Coins preserved in the
Khedivial Library at Cairo pp. 135 - 6

(٢) النقود الإسلامية ص ١٢ .

ولقوه بفرح عظيم وتهليل وقرالءاءه وكانو يقولون
: نعم وحسن وصولك الينا يا مرقس ابن مرقس .
فمضى لمنزله ليستريح لانه كان اخر النهار،
وبالغداة قام البطرك والاسقف أنبا ميخايل وباقي
الاساقفة المجتمعين معهما ليجتمعوا بالوالي، فلما
وصلوا الى داره استاذنوا عليه فامر بدخوله ، فلما
دخل وسلم على الوالى التقاه ودعا له حتى تعجب
الوالى من حلاوة لفظه وكلامه الممتلى نعمه ،
ومن النعمه التى هو مشتمل بها فجعل الله فى

والعمل لدى الغزاة الجدد من العرب. كما يذكر ساويرس فى سيرة البطرك بنيامين. فكان
المسلمون يقومون بغزواتهم البحرية ضد البيزنطيين من الشام بقيادة معاوية ومن مصر بقيادة
عبد الله بن سعد. ولا تنسى أن مكان مصر ولا سيما القبط كان لهم الفضل فى بناء السفن
وتزويدها بالجنود والمجندفين، وتشيد دور الصناعات فى وادى النيل بذلك».

أجل إن مصر اشتهرت منذ البداية بصناعة السفن التى كان يحتاج إليها أسطول العرب،
فالعرب عند ظهور الإسلام لم يكونوا شعباً بحرياً^(١).

(١) ولكن أهل بلاد العرب الجنوبية فى ممالك معين وسبأ وحمير بإقليم اليمن كانوا يشتغلون بنقل التجارة
بين مواطن المدينت القديمة فى الهند ومصر وبلاد الجزيرة والشام بل والصين فيذكر فى بعض المراجع
القديمة أن السفن العمانية واليمانية كانت تنقل الحجاج البوذيين من الصين إلى الهند. وكانت سفنهم
تمخر عباب البحر الواقع جنوبى شبه جزيرة العرب والذى أصبح ينسب إليهم فيقال بحر العرب أو البحر
العربى ... ومهما يكن من شئ فإن الامبراطورية الاسلامية لم تصبح دولة بحرية بمعنى الكلمة لأن
الشعوب التى قامت على أكتافها كالعرب والفرس والترك كانت تتألف فى البداية من قبائل معظمها
رحل.

Hans Mzik Beitrage zur historischen Geographie (Leipzig 1929)p. 42.

راجع أيضا مادة «سفينة» فى ملحق دائرة المعارف الإسلامية.

قلبه له رحمه وامره ان يجلس وساواه في الخطابيه
وقال له: قَوِّ مَنبَتَكَ وَشَدِّ اَزْرَكَ فَاَنى اَقْضى جَمِيعِ
حَوَايِجِكَ وَكَلِّمَّا تَرِيدُهُ مَنِ ابْلَغَكَ اِيَاهُ. فقال له
البطرك: ان الله يرفع سلطانك ويسعد ايامك
ويوفق رعيته ببقائك . وخرج من عنده بسلام.

فلما راو مخاطبة الوالى له واهتمامه بامر البيع
قال انبا ميخايل اسقف مصر: الواجب ان نهتم
بعمارة البيع فى هذا الوقت لما ظهر من محبة

ولكن عندما اتسعت امبراطوريتهم وشملت شعوبا واما بحرية، وعندما اضطروا إلى محاربة
شعوب بحرية وعملوا على الاستيلاء على جزائر فى البحار، بدأوا يشعرون بحاجتهم
الماسة إلى أسطول يكون عوناً لهم فى تحقيق أمنيتهم فى مد سلطاتهم وغزو الروم فى
عقر دارهم.

لم يكن البحر يركب للغزو فى حياة الرسول أو فى خلافة أبى بكر وعمر بن الخطاب،
وقيل إن أول من ركب البحر للغزو فى الإسلام العلاء بن الحضرمي وذلك فى خلافة عمر
بن الخطاب، إذ ندب أهل البحرين وكان أميراً عليها غزو فارس عن طريق البحر بغير إذن
الخليفة ففرقت سفن المسلمين وغضب عمر على العلاء، وأمر بتأمير سعد بن أبى وقاص
عليه.

ولما فتح المسلمون الشام ألح معاوية بن أبى سفيان - وهو يومئذ على جند دمشق والأردن
- على الخليفة عمر بن الخطاب فى غزو البحر معللاً ذلك بقرب الروم من حمص، ولكن
الخليفة لم يوافق على ذلك لأنه خشى على المسلمين من ركوب البحر وقال فى ذلك :
«والذى بعث محمداً يالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً» وسرعان ما غير العرب سياستهم وسعوا
إلى إنشاء أسطول بحرى للغزو فى البحر على أن يكون جند الاسطول من غير العرب.

الوالى للنصارى. ولما كان بالغداة عاد البطرك الى
الوالى فسلم عليه فبجله واكرمه ورفعاه واجلسه
وخاطبه قايلًا: قد قلت لك بالامس انى اقضى
جميع حوايجك ولم تطلب منى حاجة والان
فمهما كان لك من حاجة فاذكرها فانها مقضية
عندى لمحبتى لك. فقال له البطرك بكلام لين:
الرب يحفظ ايامك ويزيد فى رفعتك وسلطانك،
تعلم ان لم يولو عبدك على مال ولا خراج بل
على الانفس والبيع، وارغب الى جلالتك ان لنا

فغزا المسلمون جزائر عدة مثل قبرص وصقلية ورودس وأرواد وكريت وغيرها من الجزائر
بجنود وبحارة من القبط وغير العرب بل إن معاوية بن أبى سفيان غزا مضيق القسطنطينية فى
سنة ٣٢ هـ^(١) ولعرف أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح والى مصر من قبل عثمان بن
عفان قد قاتل البيزنطيين بحراً فى غزوة ذى الصوارى وانتصر عليهم بالبحارة القبط وتحت
قيادتهم رغم قلة سفنهم.

كان طبعياً أن يستخدم العرب فى غزواتهم البحرية شعوب الأمم التى فتحوها والتى مرت
على ركوب البحار منذ القدم. وإذ كنا فى معرض الكلام على مصر فلا بد أن نذكر هنا أن
العرب أفادوا من خبرة المصريين البحرية وقيادتهم للأساطيل ومن العمال المصريين أيما إفادة
فقد أصبحت مصر عقب الفتح مركزاً لصناعة السفن اللازمة لأسطول الخلافة كما كانت
تمد هذا الأسطول بخيرة الملاحين والعمال المصريين وإن كان ذلك يتم تحت ظروف حياتية
قاسية حتى أن المصرى كان يقضى معظم حياته أو كلها فى خدمة الاسطول تحت أحط

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٧٧. راجع أيضاً Lammens Etude sur le regne du calife
emaiyade Moawia ler pp. 52,270,279.

هاهنا بيعا قد هدم الظالم بعضها قبل وصولك الى
مصر فهدم الرب دياره وقطع حياته من على
الارض ، فان رأى راىك فيها ان يتقدم لنا بعمارتها
لنصلى فيها وندعى لجلالتك فالامر لك ، فجعل
الله فى قلبه عاجلا أن يامر بعمارتها فبنيت جميع
بيع فسطاط مصر، وكان فرح عظيم لجميع
الارتد كسين وسبحوا الله على عظم رحمته التى
فعلها معهم وعاد حزنهم الى فرح. وكان ابونا
مرقس يتהלل بالروح ويرتل مع داود ويقول : مبارك

الظروف المعيشية. وأصبح اسم «الصناعة» فى مصر يدل على المكان الذى تبنى فيه السفن
الحربية. وقد عقد المقرئى فى كتابه الخطط جـ ٢ ص ١٨٩) فصلا فى ذكر المواضع
المعروفة بالصناعة ، كما أشار فى مواضع أخرى من هذا الكتاب جـ ١ ص ٣٠١) إلى أن
الصناعة كانت بجزيرة الروضة وأنها أسست فى سنة ٥٤٤هـ، ويلوح أن ذلك كان على أثر
غزو الروم ثغر البرلس والخسارة الفادحة التى حلت بالمسلمين فى قتالهم. وقد سميت جزيرة
الروضة حينئذ «جزيرة الصناعة» كما كانت تسمى أحيانا «جزيرة مصر»^(١) ولكننا نرجح أن
«الصناعة» أنشئت فى مصر قبل هذا التاريخ، فعبد الله بن سعد غزا غزوته البحرية فى سنة
٣٤٤هـ وليس بعيد الاحتمال أن يكون المسلمون قد بدأوا يعنون ببناء السفن الحربية منذ عهد
الخليفة عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥هـ) وأن قتال الروم جعل المسلمين يعنون بصناعة السفن
فى جهات مختلفة من أنحاء دولتهم بعد أن كانت الصناعة فى مصر وحدها. فيذكر
البلاذرى^(٢) أنه لما كانت سنة ٤٩هـ هاجم الروم السواحل الإسلامية وكانت الصناعة بمصر
فقط فأمر معاوية بن أبى سفيان بإنشاء دار للصناعة فى عكا.

(1) Maspero et Wiet: Matériaux pour servir à la Géographie d'Égypte p. 68; et G. Wiet:
Corpus Inscriptionum Arabicarum, Égypte II. pp. 197 - 199.

(2) فتوح البلدان ص ١٧٧.

الرب الذى لم يرفض صلاتى ولم يعد رحمته
عنى.

وعاد الى اسكندريه واهتم باجتماع اتحاد
الكرسيين اسكندريه مع انطاكيه، وكتب سنوديقا
كما جرت العاده ممتليه من كل حكمه وارسلها
الى كرياتكوس بطرك انطاكيه يعلمه فيها بنياح
الاب انبا يوحنا وكيف كان جلوسه على الكرسي
الانجيلي، واعلمه في رسالته عن جميع المخالفين،

ولما ولي عبد الملك بن مروان اخلافة بعث إلى حسان بن النعمان عامله على إفريقية يأمره
بإتخاذ صناعة بثرنس لإنشاء الآلات البحرية، وقد كتب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد
العزیز وإلى مصر أن يوجه إلى إفريقية (تونس) ألف قبطن بأهلهم وولدهم لإنشاء دار صناعة
فيها. أما مهمة البربر هناك فكانت أن يجروا ويحملوا إلى دار الصناعة ما تحتاجه من خشب
لصنع المراكب^(١) هؤلاء القبط أسسوا كذلك ميناء تونس واعطوه اسم المدينة التي قدموا منها
وهي «تنيس».

ويظهر أن بناء السفن في مصر كان له شأن عظيم في فجر الإسلام ولا سيما في العهد
الأموي فقد ألقت أوراق البردي شعاعاً من النور على صناعة السفن بمصر وأظهرت مهارة
المصريين في تلك الصناعة ومهارة الملاحين المصريين وتقدير الحكومة الإسلامية المركزية لتلك
المهارة ومدى استغلالها على يد الأمراء المسلمين.

وقد أظهرت أوراق البردي التي كشفت في كوم أشقاو والتي ترجع إلى عصر الوليد
بن عبد الملك أن صناعة السفن كانت زاهرة بوادي النيل في جزيرة الروضة^(٢) وفي

(١) أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (طبعة الجزائر سنة ١٨٥٧م) ص ٣٨ - ٣٩
راجع أيضاً مقال الأستاذ فييت عن المواصلات في مصر في العصور الوسطى ص ٣٣ - ٣٤ من كتاب
«في مصر الإسلامية» الذي أخرجه الدكتور زكي محمد حسن وعبد الرحمن زكي.

(2) Bell: (Der Islam vol. IV) P. 92

واجتهاد ابائنا على صحة الامانه وبعد كل الشقاق
والمخالفين والمجمع الطمث الخلقدونى لأنه سبب
الشك بجميع المسكونه، وشيعة نسطور الذين هم
اليهود الجدد. وبين اتفاق الكرسيين ويدعوه ابا
وشريكا فى الخدمه. وارسلها مع اسقفين فهمى
الخطاب بكلام اليونانى، احدهما مرقس اسقف
الفرما، والشماس جرجه قيم بيعه اسكندريه ، فلما
وصلوا بالسنديقا الى البطرك كريباكوس ووقف
عليها حزن على نقله [نياحة] الاب يوحنا وفرح

القلزم (١) وفى الاسكندرية (٢)، فبعض تلك الأوراق يكشف لنا أن الوالى قرة بن شريك
كثيراً ما يطلب من صاحب كورة أشقوه أن يرسل إليه عمالا وصناعا وملاحين للعمل فى دور
الصناعة (احواض السفن) والمساهمة فى إعداد الأسطول المصرى الحربى. كما تشهد تلك
الأوراق بأن الوالى كان يتفق مقدما على أجور هؤلاء العمال والملاحين الذين يعملون فى
الأسطول المصرى (٣)، وكان يفرض على الكور قدراً من الأدوات والآلات المختلفة اللازمة
لصناعة السفن ولتنظيفها ، وكذلك يفرض عليها (٤) تموين الملاحين الذين يشتغلون فى
إعداد الأسطول (٥).

ولم يقتصر نشاط المصريين على إعداد الأسطول المصرى، بل كان والى مصر يرسل بعض
الملاحين المصريين للعمل فى أسطول المغرب (٦) أو أسطول المشرق (٧) والمساهمة فى
المشروعات البحرية العامة للدولة الإسلامية.

(1) Bell: (Der Islam vol. II) P. 277

(2) Bell: (Der Islam vol. II) P. 280.

(3) Bell: (Der Islam vol. II) PP. 271, 272, 279, 280.

(٤) هذه الحقوق للحكومة على الهيئات أو الأفراد كلها من آثار الليتورجيا Leiturgia أو الالتزامات
الاجتماعية التى عرفت فى العالم القديم.

(5) Bell: op Cit. PP. 277, 279, & (der Islam Vol. XVII) P. 8.

(6) Bell: op. Cit. vol. II. P. 279.

(7) Bell: op. cit. vol. XVII. P. 6-8.

بجلوس الاب انبا مرقس والاساقفه القديسين،
فلما قرى الكتب فى بيعة انطاكيه فامتلت نفوسهم
فرحاً عند سماعهم كلامه والحكم المملوه طيباً
روحانيا التى تنبع من قلب انبا مرقس الممتلى روح
القدس، وباركو الرب واعطو الطوبى للاباء^[ء]
الذين يستحقون الجلوس على كرسى مرقس
الانجيلي، ثم تعجبوا من الاساقفه الواصلين من
مصر بالسنوديقا لحسن منظرهم ولباسهم
وانضاعهم وفصاحة منطقتهم وطيب كلامهم.

ولا بد أن المصريين كانوا يصنعون أيضاً سفناً نيلية غير تلك السفن الحربية لأن الطريق المائى
فى مصر كان يستخدم كثيراً للنقل^(١) والتجارة فى ذلك العهد. وطبيعى أنه كانت هناك
سفن بحرية معدة للتجارة الخارجية.

وقد ظلت صناعة السفن الحربية زاهرة فى مصر فى العهد العباسى أيضاً، فيذكر المقرئزى
(الخطط جـ ٣ ص ١٩١) أنه بعد أن نزل الروم دمياط فى سنة ٢٣٨هـ فى خلافة المتوكل
وفى ولاية عنبسة بن اسحق على مصر وقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول، وأنشئت
الشوانى^(٢) برسم الأسطول، وانتدب الأمراء له الرماة، فاجتهد الناس بمصر فى تعليم
أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو، وكان لا ينزل
فى رجال الأسطول غشيم ولا جاهل بأمر الحرب.

وكتب المقرئزى أن بعض مناطق وادى النيل كان بها أشجار لا تحصى من سنط، لها
حراس يحمونها حتى يعمل منها مراكب الأسطول فلا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجة إليه،
وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار. ويذكر أيضاً أنه كان لا يباع مما فى البهنسا

(١) انظر مقال فييت عن المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ص ٤ - ٦.

(٢) الشونة: المركب المعد للحرب والجمع شوان.

وقامو عند البطرك [كرياكوس] اياما قليلا
وودعهم بكرمات تضاهى البطركية، وكتب معهم
كتب السلامه بتمجيد ايننا القديس مرقس
البطرك. ولما وصلو الى مصر وقريت كتب البطرك
كرياكوس ببيع مصر مجدو الشعب الله وفرحو
باتحاد الاتنين بعضهما مع بعض.

ونذكر ايضا امر فعله الرب فى ايام ايننا مرقس
لتفرح قلوبكم وتعرفو انه قد ضاهى الاب ساويرس

إلا ما فضل عن احتياج المصالح السلطانية. ولكن المقرئى (الخط جـ ١ ص ١١٠ - ١١١)
يعود فيقول إن هذا بطل جميعه فى زمانه أى فى عصر المماليك واستولت الأيدى على تلك
الأشجار فلم يبق منها شئ البتة ونسى هذا من الديوان وإن كنا لا نعرف متى نشأ هذا النظام
ومتى ألغى، فإن من المحتمل أن هذا الاهتمام بالأخشاب يرجع إلى عهد الولاة ولا سيما فى
نهايته.

ومما يذكره المقرئى أيضا أن القرظ وهو ثمر شجر السنط كان لا يتصرف فيه إلا الديوان
وإذا وجد مع أحد شئ منه اشتراه من غير الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه، فإذا اجتمع
مال القرظ أقيم منه مراكب تباع. ولكنه يضيف أن ذلك كله بطل فى عصر المماليك.

ومن هذا نرى أن صناعة السفن فى مصر، وخاصة السفن الحربية المعدة لمحاربة الأعداء
وللدفاع عن الشواطئ، كانت من أهم الصناعات فى فجر الإسلام كما أن المصريين كان
لهم الفضل الأكبر فى عظمة الدولة الإسلامية البحرية، إذ كانت الخلافة تعتمد عليهم فى
إنشاء أسطولها الحربى. بل المعروف أن بناء السفن كان فى البداية بمصر فقط وظل
كذلك إلى زمن معاوية بن أبى سفيان. وحتى بعد ذلك العهد كانت الخلافة تستخدم
العمال المصريين فى دور الصناعة التى أنشأتها فى المشرق والمغرب كما يتبين من أوراق
البردى.

وكيرلس وديسقرس هولا الذين ابعدهم الخالفين في زمانهم، كان بمصر قوم يعرفون ببار سنوفه(*) ويسمون ايضا «من ليس لهم رأس» اقامت هذه الهارسيس زمانا كثير من ايام بطرس البطرك الذى جلس بعد طيماتاوس المعترف فى زمان زينون الملك الدين، كانوا بعد هذه المدة باقين خلافتهم، فحزن الاب مرقس الذى يهتم بخلاص انفس الناس ودعا الى الرب من اجلهم، ويقول : يارب القوات الابدى النور الذى لا يدرك ولا يلمس ولا يشاهده

(*) انظر الجزء الأول من الكتاب ومن المعروف أن هذه الجماعة ظلت منتشرة في مصر ولها عدد كبير من الاتباع حتى أن البابا مرقس البطرك رقم ٤٩ أقام لهم كنيسة عرفت باسم «بيعة البطريك» بعد أن تبعوا بطركيته. انظر كذلك ص ٦٥٠ في هذا الجزء .

ونلاحظ أن الدولة الإسلامية التي كانت تخشى غزو البحر حتى خلافة عمر بن الخطاب استطاعت بعد ذلك أن يكون لها شأن في البحر. فمنذ أيام عثمان بن عفان بدأ المسلمون يمتلكون بعض الجزر في البحر المتوسط، واستطاعت مصر في خلافته أن تهزم الروم في موقعة ذى الصواري البحرية. وقد سميت بهذا الاسم لكثرة صواري السفن التي التحمت في القتال فيها، وتسمى في الكتب الأوربية واقعة فونيكه Phoenicus وربما كان ذلك لوقوعها بالقرب من ثغر فوليكة غربى الإسكندرية^(١). الحق أن هذه المعركة كانت نصراً بحرياً كبيراً على البيزنطيين. وما ذكره المقرئ في وصفها أن قسطنطين بن هرقل^(٢) قدم لغزو الإسكندرية سنة ٣٤٤هـ على رأس أسطول من نحو ألف سفينة. وكان عبد الله بن سعد قد أنزل نصف جنوده إلى البحر ثم فوجئ بقدوم العدو وعلم من أحد الرسل أو المراقبين أن الروم أقبلوا في

(١) Justus Perthes: Atlas Antiquus Tab 18 D 3 ولكن معظم المستشرقين يرون أن هذه الواقعة البحرية حدثت في آسيا الصغرى بجوار ثغر فونيكس Phoenix راجع M. Canard: Arabes Contre Constantinople dans l'Histoire et dans la Légende (Journal Asiatique, Janvier - Mars 1926) وانظر ما كتبه الدكتور زكى محمد حسن في هذا الصدد في عدد شهر مايو سنة ١٩٤٤ من مجلة المقتطف ص ٤٨٢ - ٤٨٣.

(٢) يجدر الإشارة هنا أن امبراطور البيزنطيين حينذاك كان قسطنطين بن هرقل لا قسطنطين كما تذكر المراجع العربية.

احد ولا يدنو اليه، الذى ينظر الى الخليقه التى
خلقها بيده وهى غارقة فى عمق الخطيه لاجل
اخلاف صنعت لنا خلاصا بسر لا يدرك، وجعلت
الارض مثل السما بموتك وقيامتك المقدسه كما
قال بولس الحكيم لكى يجمع الامم اليه بالسلامه
بقوة صليبه الذى اهلك العدو، وبشرنا بالسلامة
للقريب والبعيد، ومضيت الى الجبل حتى رددت
اخروف الضال وخلصته من فم الديب الردى،
ولم تاخذه بسيف ولا سوط بل برحمتك العظيمة،

الف مركب (١٩) بقيادة قسطنطين بن هرقل «وكانت مراكب المسلمين مائتى مركب ونيفا
فقام عبد الله بن سعد بن ظهرانى الناس فقال: بلغنى أن ابن هرقل قد أقبل عليكم فى ألف
مركب فأشيروا على . فما كلمه رجل من المسلمين فجلس قليلا لترجع إليهم أفندتهم ثم قام
ثانية فكلمهم فما كلمه أحد فجلس، ثم قام الثالثة فقال إنه لم يبق شئ فأشيروا على، فقام
رجل من أهل المدينة كان متطوعاً مع عبد الله بن سعد فقال: أيها الأمير إن الله جل ثناؤه
يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين فقال عبد الله اركبوا
فركبوا. وإنما فى كل مركب نصف شحنته لأنه قد خرج النصف الآخر إلى البر... فلقوهم
فاقتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لنلا تصيبه الهزيمة وجعلت القوارب تختلف إليه
بالأخبار فقال: ما فعلوا؟ قالوا: قد اقتلوا بالنبل والنشاب فقال: غلبت الروم. ثم أتوه فقال: ما
فعلوا؟ قالوا: قد نفذ النبل والنشاب فهم يرمون بالحجارة فقال غلبت الروم. ثم أتوه فقال: ما
فعلوا؟ قالوا: قد نفذت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتلون بالسيوف. قال: غلبت
الروم (بضم الغين)!

وانتهى الأمر بأن أصبحت الدولة الإسلامية سيادة فى البحر المتوسط. وإليك نص ما ذكره

ولم تقنع بعودته لكن دعوت القوات السماوية
والطغمات الملايكية العلوية لكي يفرحو معك، اذ
قلت لهم في إنجيلك: «افرحو معي لوجود خروفي
الضال» (*) . والان يارب اسمع صلاة عبدك
وليدخل دعائى امامك بسبب هذه الخراف الضاله
ولتجمع اعضا [ء] بيعتك ليكونو قطيعا واحدا
وراعيا واحدا كالقول الصادق في الانجيل . فسمع
الرب دعاه بسرعة فحرك قلوب ريسا تلك
الهارسيس، وكان مقدمهم اسمه ابراهيم وابوه

(*) متى ١٨٠ / ١٢ ، ١٣ .

ابن خالدون «المقدمة» (فصل ٣٤) عن عظمة المسلمين فى هذا البحر من جميع جوانبه
وعظمت صولاتهم وسلطانهم فيه، فلم يكن للأمم النصرانية قبل باساطيلهم بشئ من جوانبه
وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم فكانت لهم المقامات المعلومه من الفتح والغنائم وملكوا سائر
الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة وبابسة وسردانية وصقلية وقوصرة
ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والأفرنج»

واذا كان الفضل لعظمة الخلافة البحرية يرجع إلى الشعوب التى فتحوها والتى تعلموا منها
هذا الفن والتى استخدموها فى حاجاتهم البحرية فلنا أن نقول غير مبالغين بأن الفضل الأكبر
والأول يرجع إلى مصر والمصريين

وليس فى المراجع العربية ما يمكننا بوساطته أن نعرف شيئا يستحق الذكر عن أشكال
السفن الحربية المصرية ومعداتها فى فجر الإسلام، ولكن أكبر الظن أنها لم تكن تختلف كثيراً
عن السفن المعروفة عند الروم فى ذلك العصر لأنها كانت من صناعة عمال تأثروا بالأساليب
المعروفة عند الرومان والبيزنطيين، بل إن السفن التى صنعت بمصر للمسلمين فى البداية
«أخذت أشكالها من سفن الروم التى استولى عليها عمرو بن العاص فى واقعة

الجسدانى جرجه كان اسقفا لهم وهو علمهما ان
يعرفا الضلالة التى كانوا فيها وتركوا ينبوع ماء
الحياه من الكرسي الانجيلي وحفرو لنفوسهم يير
السقطة كما قال ارميا النبي. فقاما مسرعين
وحضرا عند الاب البطرك انبا مرقس الجديد
وطرحا نفسيهما بين يديه وسجدا له قائلين: مبارك
الله الذى اناز علينا بتعاليم قدسك التى وصلت
الى مسامعنا وردنا من الضلالة التى غشيت علينا
طول هذه المدة، نحن الآن محسوبان من خرافك

الإسكندرية^(١) طبعى أن المراكب الحربية كانت متنوعة فى أحجامها وأغراضها كما تدل على
ذلك الأسماء المختلفة التى اطلقت عليها بعد ذلك مثل الحراقات والشونات والطرادات
والعشاريات والشلندات والمسطحات^(٢). وإذا كنا لا نعرف تماما معدات تلك السفن
وأسلحتها فإننا نظن أنها كانت تشبه ما عرف بعد ذلك عن السفن الحربية الإسلامية فى
العصور الوسطى، وكان فى بعضها أبراج وقلاع للدفاع والهجوم وفى بعضها منجنيقات
وآلات تقذف النفط، وكان بعضها لحمل المؤن لرجال الأسطول والبعض الآخر لحمل
الغيل^(٣).

-
- (١) اسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار جـ ٢ ص ٢٢
(٢) انظر الدكتور زكى محمد حسن: كنوز الفاطميين ص ٥٠ حاشية ٥ وما جاء فيها من مراجع وانظر مادة
سفينة فى ملحق دائرة المعارف الإسلامية.
(٣) راجع جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى ج ١ ص ١٨٠ - ١٨٢ عبد الفتاح عبادة : سفن
الأسطول الإسلامى وأنواعها ومعداتنا (فى أعواد السنة الحادية والعشرين من مجلة الهلال ثم طبعت
مستقلة بمطبعة الهلال سنة ١٩١٣م).

مثل اولادك الذين لكروسيك الانجيلي الذي
للقديس ماري مرقس، فلما راي ابينا البطريرك
رفضهما ما كانا عليه وعودتهما الى القطيع
الروحاني فرح جدا ومجد الله لاجل ذلك، وقال
التسبيح الذي ينبغي كما قال داود المسبح لله في
المزمور(*) : « اذا رد الرب سبي شعبه صرنا كالمتعزين
فليفرح يعقوب وليتهلل اسرايل.

(*) مزامير : ١٤ / ٧ .

ومن نعمه المضييه في ابينا القديس البطريرك اراد

موقف مصر من الحركات السياسية والدينية التي ظهرت في الخلافة

بعد وفاة الخليفة عثمان مباشرة ظهر الخلاف مرة أخرى بين المسلمين حول مسألة الخلافة
ومن الذي يتولاها، وهل هي إرث في بيت النبي محمد وفي فرع معين من هذا البيت كبنى
هاشم أو بنى أمية، أم يتقلد أمرها أى فرد كفاء لها بغض النظر عن القبيلة التي ينتسب إليها.
فالدين الإسلامى لم ينص على شكل حكومة معينة للأمة العربية أو لغيرها من الأمم، ولم
يعهد الرسول إلى شخص معين من بعده ليكون زعيما للعرب يتولى الإشراف على أمورهم
الدنيوية والدينية.

وكان امتناع العباس عم الرسول وعلى بن أبى طالب وطلحة والزبير وغيرهم ممن لم
يرضوا بمبايعة أبى بكر الصديق بالخلافة إيذانا بما حدث بعد ذلك من انقسام المسلمين
إلى سنيين وشيعيين. وكثير النزاع حول الخلافة ومن يتولاها، وكان هذا النزاع تارة بالكلام
والجدل وتارة بالسيف والحرب، وقد اتبع كل فرقة أو حزب من الأحزاب التي نشأت أفراد
عديدون، إما إيمانا بعقائدها ومبادئها، وإما رغبة في منفعة أو مصلحة مادية تعود عليهم.

وقبل أن نعرض للكلام عن الحركات التي قامت في الخلافة والتي اشتركت فيها مصر،

ان يجرب ويكشف امانة الرجلين ان كانا متضعين
كما ينبغي لمن يريد ان يعود الى المسيح، ام هما
لابسان الكبرياء [ء] لاجل الرياسة التي كانا فيها،
حينئذ قال لهما بتواضع ورحمه: اعلمنا ما قاله الذى
فيه ينبوع الرحمة لسان العطر بولس فى بعض
رسايله: ما نصيب المومن من غير المومن، وما
مسرة المسيح مع الشيطان، وانتما الان مع
الشيطان فلا نظنا انكما تقيمان فى هذا الطقس
الذى انتما فيه مما اخذتماه من هذه الملة المخالفة

يجدر بنا ان نشير الى أن الذين اشتركوا فى تلك الحركات لم يكونوا من المصريين الوطنيين
الذين اعتنقوا الدين الإسلامى، وانما كانوا من الجند العربى الذين استقروا بمصر أو من الأجناد
الأخرى الذين أتوا إليها فى عهد الدولة العباسية. أما المصريون أنفسهم سواء أكانوا من الأقباط
أو من الذين أسلموا بعد الفتح فلم يشتركوا فى تلك المنازعات - إذا استثنينا معارنتهم إلى حد
ما للعباسيين ضد الأمويين.

١. الحركات السياسية والدينية زمن الخلفاء الراشدين

(٤٠٠.٢٠ هـ = ٦٤٠، ٦٦٠ م)

أ. موقف مصر من الحركة التى قامت ضد عثمان بن عفان

ظهر النزاع حول الخلافة بأجلى مظاهره فى الثورة التى قامت ضد اخليفة عثمان بن
عفان، إذ احتكم فى ذلك النزاع إلى السيف بدلا من أن يحكم العقل واللسان، وكانت
هذه أول مرة يحتكم فيها إلى السيف فى النزاع اخليفى الذى يدور حول مسائل الحكم
والملك.

فلم تمض ست سنوات من حكمه حتى بدأت تسرى ضده حركة تدمير فى الولايات
المختلفة وقد ترأس هذه الحركة عبدالله بن سبأ الذى أخذ يتنقل فى البلاد يدعو إلى الثورة ضد

بغير وسم حسبما في القوانين، ولم تحل عليكم
روح القدس الهابطه على الابا الاساقفه عند
قراءة الصلاة القانونيه التي قررها الابا [ء]
الحواريون عليهم. فلما سمعا ذلك منه اجابا
بالاتضاع لما صار اليهما من النعمة بدعا الاب
القديس فقالا له: يا ابانا القديس ومن الان ما
نستحق ان نكون في طقس ولا نبقي فيه لكنا اتينا
اليك لنكون تحت ظل صلواتك، ولكننا نطلب
منك شيا واحدا ان تسال الرب في ان يغفر لنا اثم

عثمان، فبدأ بالحجاز ثم البصرة والكوفة والشام، ولكن يظهر أن محاولاته لم تكن ذات بال
في تلك البلدان، فلم ينجح في الحجاز أو الشام وعندما أتى إلى مصر وجد أن الحالة فيها
كانت مهيأة للثورة ضد عثمان فأخذ ينشر دعايته وتعاليمه، فكان لما نشره مذهب الرجعة.
وأخذ يقول إنه يعجب من يقول إن عيسى يرجع ويكذب برجوع محمد عليه الصلاة
والسلام وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^(١)، ولذا فإن محمدا
أحق بالرجوع من عيسى. كذلك نادى عبدالله بين سبأ بمذهب الوصاية، فذكر أن لكل نبي
وصى وعلى بن أبي طالب وصى محمد ﷺ، ولما كان محمد خاتم الأنبياء فإن عليا خاتم
الأوصياء، أي أن عثمان قد اغتصب الخلافة من وصى الرسول، وبذلك حرص ابن سبأ جند
العرب في مصر على الثوب على عثمان لأخذه الخلافة بغير حق^(٢).

وقد أنكر المتمردون على عثمان أمورا، منها الدور الفخمة التي شيدها لأهله وبناته بالمدينة،
وتوليته أهله وبنى عمه من بنى أمية على الأعمال والولايات دون غيرهم^(٣)، كذلك قالوا إن

(١) سورة القصص آية ٨٥.

(٢) الطبري: تاريخ الاسم والملوك ج ٥ ص ٩٨، خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٣٤.

(٣) ابن قتيبة: الامامة والسياسة ج ١ ص ٣٦.

ما كنا عليه من الضلالة والتفريط. وقالوا هذا بقوة
إيمان واعتراف، والتمسا منه دواء وقرطاسا وهما
جالسان بين يديه وكتبا بخطهما انهما يحرمان
نفسيهما وانهما لا يلتزمان منه طقس اسقفيه ولا
كهنوت فى موضع من المواضع . فلما نظروا قوة
امانتهم ورجوعهما الى الأمانه الارتدكسيه التى
لاباينا القديسين الالابسين النور بارك عليهما من
عمق قلبه قايلًا كما قال بولس الرسول : اله الرجا
يملوكنا من كل فرح وسلامه لتكثر فى الايمان

عثمان وسع على نفسه وعلى أهله بخلاف أبى بكر وعمر اللذين اعتادا التقليل والكف عن
أموال المسلمين، فنفر المسلمون من ذلك التبذير وعهدهم قريب بضبط أبى بكر وعمر^(١)،
وزعموا أيضا أن الوليد بن عقبة صلى بالناس الصبح وهو أمير عليها أربع ركعات وهو سكران
ثم قال لهم: إن شئتم أن أزيدكم ركعة زدكم. فلما بلغ عثمان ذلك لم يسرع إلى إقامة الحد
عليه بل أخر ذلك^(٢).

ولم يغفل فيلسوف المؤرخين ابن خلدون^(٣)، ما انطوت عليه هذه الحركة، فقد أوضح أن
المسألة لم تكن مسألة عثمان إنما كانت عود إلى الجاهلية ونزاع بين القبائل على السيادة،
وألفة بعض القبائل العربية مثل بنى بكر بن وائل وعبد القيس وربيعة والأزد وكندة وتميم
وقضاعة وغيرهم، من سيادة قريش، فأظهروا الطعن فى ولاية عثمان وفى الخليفة نفسه، فلما
وصلت تلك الأخبار إلى الصحابة بالمدينة ارتابوا لها وحملوا عثمان على النظر فى الأمر.
ومما يدل على أن المسألة كانت مسألة أغراض مختلفة ما رواه الطبرى^(٤) من أنه عندما

(١) ابن طباطبا: الفخرى ص ٨٦.

(٢) ابن قتيبة: الامامة والسياسة ج ١ ص ٣٦.

(٣) ابن قتيبة: الامامة والسياسة ج ١ ص ٣١.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٩٨ - ٩٩.

المستقيم بقوة الروح القدس . وكعادة المحبة واظهار
الخير في كل وقت والمجازاة عليه اظهر لهما سرعه ،
ثم امر ان يوخذ الرجلان جرجه وولده ابراهيم ،
وبعد ان تحقق نياتهما اوسمهما اسقفين وقرا عليها
الصلاة القانونيه والبسهما ثياب الاسقفيه . وكان
ذلك بيعة الشهيد ماري مينا بمريوط في يوم عيد
الجليل وهو الخامس عشر من هاتور ، وجميع
الشعب الارتد كسى مجتمع لعيد الشهيد وكان
الجمع قياما على اطراف اصابع ارجلهم ينظرون ما



أواني مار مينا التي كان
يحمل فيها الماء المقدس .

حرض عبدالله بن سبا جند العرب في مصر على الطعن في أمراء عثمان «واظهار الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر» . أخذ جند العرب في مصر يكتبون الكتب إلى الأمصار المختلفة
في عيوب ولائهم ، ويكتبهم أخوانهم في مثل ذلك ، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر
آخر بما يحدث ، حتى «أوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما
يبدون ، فيقول أهل كل مصر إنا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء . إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم
ذلك عن جميع الأمصار فقالوا إنا لفي عافية مما فيه الناس» .

ويظهر أن الخليفة عثمان كان يجهل تلك الحركة في بادئ الأمر ، إذ أنها كانت حركة
سرية . ويظهر أيضا أنها وصلت إلى مسامع الصحابة بالمدينة أولا فأعلموا عثمان بها وأشاروا
عليه بأن يرسل رجالا ممن يثق بهم إلى الأمصار المختلفة ليتبين ذلك الأمر ففعل ، وأرسل محمد
بن مسلمة إلى الكوفة وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبدالله بن عمر إلى الشام وعمار بن يسار
إلى مصر ، وأرسل غيرهم إلى سائر الجهات ، فلما عاد الرسل إلى عثمان أخبروه أن الحالة على
ما يرام وأن أهل البلاد لا ينكرون شيئا وأن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم ، ولكن
عمار بن ياسر الذي أرسله الخليفة إلى مصر تخلف ولم يعد إلى المدينة ، ولشد ما كانت

كان ويمجدون الرب الصانع العجايب على يد
هذا القديس قايلين: اجد لك يا محب البشر الذى
انقذ نفسى هذين من عبودية الشيطان المضل.

ثم لما اكمل العيد المقدس عاد الى مدينة
اسكندريه وجميع الشعب بفرح عظيم ويمدحون
الاب البطرك لانه قدم للرب هذا القربان واخذ
هذين الاسقفين اليه ولازمهما.

وبعد قليل تيح اسقفان من جملة الاساقفة

دهشتهم عندما أرسل واليها عبدا لله بن سعد كتابا إلى المدينة يقول إن قوما استمالوه، منهم
عبدالله بن سبأ وخالده بن ملجم وكنانة بن بشر^(١).

ويجدد بنا الآن أن نعرف موقف الجند العرب المتمردين في مصر وكيف كانت هذه البلاد
سببا في تعجيل الحوادث وفي إشعال نار تلك الثورة التي انتهت بقتل الخليفة عثمان بن عفان،
والتي كانت سببا في انقسام المسلمين على أنفسهم انقساماً طال أمده وتعددت مناحيه.

كان عبدالله بن سبأ طرد من البصرة والكوفة ولم يلق أى نجاح فى الشام، ثم قدم إلى مصر
فوجد جندها من العرب منهية لقبول دعوته وللطعن فى عثمان، وهذا الأمر يستلقت النظر
ويدعو الباحث إلى أن يتساءل عن السبب فى ذلك؛ فلم نجحت دعوة ابن سبأ فى مصر لنجاحا
كبيراً؟ ولم يطرد منها كما حدث له فى البصرة أو الكوفة مثلاً؟ نحن لا نجد فى المصادر
القديمة ذكر السبب فى ذلك، ولكن إذا أعوزتنا الأدلة النقلية فلا بأس من أن نلجأ إلى الأدلة
العقلية. ويظهر أن الدعوة ضد عثمان نجحت نجاحاً كبيراً فى مصر لأن أفراد القبائل العربية
التي لا تنتمى لقريش ومن بينهم بعض الصحابة والجاهدين الذين استقروا بمصر وكذلك
الانصار من أهل المدينة بل واليهود الذين شتتهم أبو بكر وعمر بن الخطاب خارج الجزيرة

(١) الطبرى ج ٥ ص ٩٩، تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ١٣٩، خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٣٤ - ٢٣٥.

بكورة مصر احدهما بغيره اسقف طنبذا ومينا
اسقف اتريب ، فقسم ابراهيم على اتريب وجرجه
اباه على طنبذا، وصار هذان الاسقفان مصطفىين
عنده إلى يوم نياحتهما، والمجد للسيد يسوع المسيح
الذى يفرح بكل من يعود الى الحياة.

فلما نظر البرسنوفيون المقدم ذكرهم الذين
كانوا بكورة مصر [الفسطاط] ان ريساهم قد عادو
ارتدكسين ولم يبق لهم اساس كتبوا الى انبا مرقس

العربية وخاصة إلى مصر رأوا فيها فرصة للقيام ضد الخلافة القرشية، وهم في ذلك لم يقصدوا
اخليفة عثمان نفسه وإنما أرادوا زعزعة سيادة قريش خاصة الفرع الأموي الممثل في عثمان
وبنى أمية، فقد كرهوا تلك السيادة التي زادت منذ ظهور الإسلام. على أنه وجد أيضاً في مصر
بعض القرشيين الذين ثاروا ضد عثمان ولكنهم ليسوا من الفرع الأموي بل من بنو هاشم
الفرع النبوي المناهض للأمويين، وعلى رأسهم محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن أبي
حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، ولا يبعد أن يكون هؤلاء ممن طمعوا
في الخلافة نفسها، فهم يرمون سيادة قريش بالطبع، ولكن ربما حدثتهم أنفسهم وسط حركة
التدمير التي سرت بين الناس أن يلقوا دلوهم في الدلاء عليهم يصلون إلى منصب الخلافة أو
إلى أى منصب عظيم في الدولة الإسلامية. كان عبدالله بن سبأ ذا مواهب متعددة جعلته
يجذب الكثيرين إلى تعاليمه، ولم يكن تأثيره عظيماً على العامة فحسب، بل نرى أيضاً أنه
استطاع بمهارته أن يجذب إليه رجالاً من أئمة الحديث وأن يؤلبهم على عثمان، مثل عمار بن
ياسر الذي كان عثمان قد أوفده للاستفسار عن حقيقة ما قيل بصدد التدمير والثورة ولكنه
تنكر للخليفة ولم يعد إليه.

واستطاع عبدالله بن سبأ أن يجذب إليه أيضاً أحد كبار أئمة الحديث، كان مقيماً بالشام
عندما كان ابن سبأ يتنقل في الأمصار المختلفة ليثير الناس ضد عثمان، ذلك هو أبو ذر

يسألونه ان يمضى اليهم ليكرز بيسعهم، فلما وقف
على الكتب فرح فرحا عظيما وترك جميع اشغاله
ومضى مسرعا الى مصر وكرز لهم البيع والديارات
وجعل لهم القداسات بالناموس البيعى واعطاهم
السراير المقدسة جسد ودم السيد يسوع المسيح
الاهنا. وكان بفسطاط مصر فرح عظيم ومسرره
روحانيه.

وكان السيد يسوع المسيح يفعل مع ايننا

الغفسارى^(١). وكان هناك فريق من الصحابة يفضل عليا على غيره، وطبيعى أن يكون فى
مصر فريق ممن يؤمنون بأن عليا أحق بالخلافة ممن عداه.

وهكذا نرى أن التمرد ضد عثمان كان الباعث عليه اتجاهات وميول مختلفة، فمن متدبر
من خلافة قريش وسيادة الفرع الاموى، ومن طامع فى الخلافة ومن شيعى خرج مؤمنا بحق
على بن أبى طالب فى الخلافة، وقد تتجمع هذه العوامل المختلفة فى بلد آخر غير مصر. ولكن
يظهر أن الذى ساعد على نجاح تلك الحركة فيها والذى سهل على ابن سبأ القيام بمهمته هو
انشغال والى مصر إذ ذاك، عبدالله بن سعد بن أبى سرح، بالحروب الخارجية التى قام بها، إذ
غزا النوبة سنة ٣١هـ وغزا شمال إفريقيا سنة ٢٧هـ كما حارب الروم فى وقعة ذى الصوارى
سنة ٣٤هـ^(٢)، وفى هذه الأثناء بالذات كان عبدالله بن سبأ يقوم بدعوته وفى سنة ٣٤هـ
كان المتمردون على عثمان من جند العرب فى مصر والأمصار المختلفة يتكاثرون للاجتماع
لمناظرتهم فيما كانوا يذكرون أنهم نعموا عليه بسببه^(٣)، أى أن الحركة التى كان يدعو إليها ابن
سبأ والتى كان مركزها فى مصر كانت قد اختمرت وخرجت إلى دور العمل والتنفيذ فى
السنة التى كان يغزو فيها عبدالله بن سعد الروم، ويظهر أن عبدالله بن سعد لم يعلم بأمر هذه

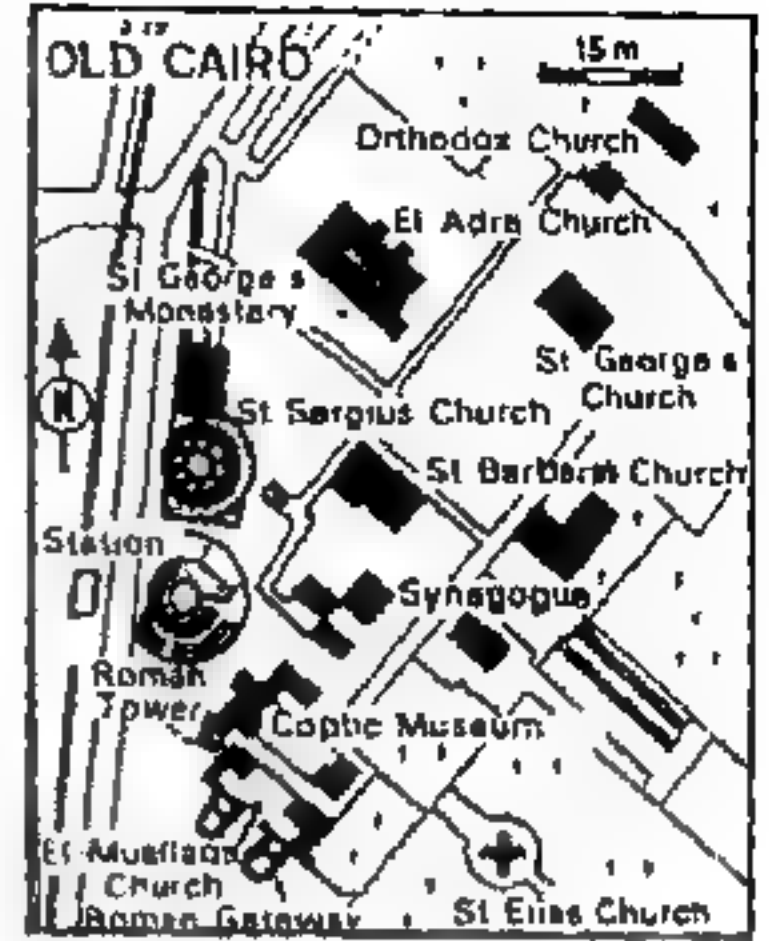
(١) الطبرى ج ٥ ص ٦٦.

(٢) الكندى: الولاة والقضاة ص ١٢ - ١٣.

(٣) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٩٢.

القديس مرقس كلما يسأله فيه، وكانت كل
الجموع تجتمع اليه لتسمع كلامه وتعاليمه العذبة.

ومن بعد ايام قليل نظر تلك البيعة التي كرسها
للبرسنوفيين اصحاب تلك المقالة اذا دخل اليها
ليقدس [فوجدوها صغيرة] لا تسع الجموع فدعا
بالصناع وانفق عليها من عنده حتى بنيت بنا
حسنا وسميت بيعة البطر ك الى يومنا هذا.



وكانت هذه النعمة العجيبة تنمو في ايامه، فلم

الثورة إلا سنة ٣٥هـ بعد رجوعه من غزوة ذي الصواري كما يخبرنا بذلك أبو المحاسن^(١)،
فليس هناك ما يشير إلى أنه علم بهذه الحركة قبل ذلك الوقت إلا لما تغافل أو تعامى عنها
وهو آخر عثمان في الرضاة وموضع ثقته.

وتذكر بعض المراجع المتأخرة أن الذي ساعد على نجاح تلك الحركة في مصر هو سخط
اجناد العرب بها على واليها عبدالله بن سعد لأنهم كرهوا أن يليهم بعد عمرو بن العاص ولأنه
استخدمهم في قتال أهل المغرب وغيرها^(٢). ولعل عمراً نفسه - وهو المعروف بدهائه العظيم
- كانت له يد في إثارة الاضطراب بمصر ليفسد الأمر على خلفه عبدالله بن سعد. ولعل كثيراً
من الجند العرب في مصر أصبحوا لا يرحبون بقتال أهل المغرب إما رغبة في الراحة أو
استخفافاً بنتائج هذا القتال وما يصيبونه فيه من غنائم قليلة لا تبرر تركهم مصر الغنية
بالاسلاب.

ولنرى الآن ما تم من أمر هذه الحركة وإلى أي حد نجح المتمردون في حركتهم.

وقد عبدالله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان بن عفان بالمدينة في رجب سنة ٣٥هـ
واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني في قول، أو السائب ابن هشام بن كنانة العامري

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٨٠.

(٢) النجوم الزاهرة ص ٨٠، السيوطي: حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢.

يصبر العدو [الشيطان] عند نظره السلامه والامور
العلويه والوصايا التي ثبتها في قلوب المومنين
وتخلص السبي الذي عاد بصلواته، فاطلق سهاما
في بيعة المشرق وعمل في مطران من مطارنة
كرياكوس البطرك بانطاكية يسمي ابراهيم حتى
انه قال كلاما معوجا في سراير المسيح ما لا اردنا
ذكره لولا الضرورة لكي لا ينجس مسامع المومنين
الاصفيا سماعه لاني اعلم انكم مشتملون بالنعمة
في كل حين بنور البشير ماري مرقس، لان

في قول آخر^(١)، ولكن خليفته عليها طُرد من القسطنطينية في شوال من السنة المذكورة على
يد محمد بن ابي حذيفة الذي أخذ يدعو الناس إلى خلع عثمان ويحرض عليه بكل الوسائل
الممكنة لدرجة أنه كان كما يذكر المقرئ^(٢) يكتب الكتب على لسان أزواج الرسول عليه
الصلاة والسلام ويدعى أنهن كتبنها ويقرأها في المسجد فإذا فيها الاستغاثات مما عمل في
الإسلام وما صنع في الإسلام، وبالطبع صدق أناس وكذب آخرون وبالطبع كان لعثمان شيعه
في مصر فناووا ابن ابي حذيفة وأرسلوا إلى عثمان من يخبره بصنيعه، ومن بين شيعة عثمان
في مصر معاوية بن حديج وخارجة ابن حذافة ومسلمة بن مخلد وبسر بن ابي أرطاة وغيرهم
كثير^(٣).

وأراد عثمان بن عفان معالجة الموقف باللين والسياسة لا بالعنف والشدة، فأرسل سعد بن
أبي وقاص عنه يستطيع أن يصلح بين المصريين ويصل إلى حل في المسألة. ولكن سرعان ما
خطب ابن ابي حذيفة في أتباعه يحضهم على التماسك ولا يتخذوا لرسول عثمان بدعوى
أنه جاء ليشتت أمرهم ويفل عزيمتهم، وكان لكلامه أكبر الأثر في أتباعه إذ سار إلى سعد بن

(١) الكندي: الولاة والقضاة ص ١٣ - ١٤، خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٣٥.

(٢) الكندي ص ١٤، المقرئ ج ٢ ص ٣٣٥.

(٣) الكندي: الولاة والقضاة ص ١٥، خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٣٥.

بصلوات ايينا البشير الإنجيلي لا تخليه الى الابد من
 النعمة. وهذه الضلالة التي ضل فيها ذلك المطران
 بتجديفه على السراير. حينذ لما سمع ابونا مرقس
 حزن جدا وقال: ما الذي نربح اذا كنا الزمان كله
 باتحاد واحد في الامانة فتظهر هذه المقالة الغريبة
 في بيعة انطاكية وهذا الوجدع هو لى من اجل اتحاد
 الابا [ء] الارتدكسين الذى نحن وهم متمسكون به
 ولا سيما لقول بولس (*) «اذا تألم عضو واحد من
 الجسد فقد تألمت جميع الاعضاء، واذا تمجد عضو

(*) رسالة بولس الأولى إلى أهل
 كورنثوس: ١٢ / ٢٦ .

أبى وقاص نحو مائة شخص فأساءوا إليه واضطروه إلى العودة من حيث أتى. وما لبث عبدالله
 بن سعد أن أتى مصر إلا أنه لم يكذب بل بلغ جسر القلزم حتى منعه أتباع ابن أبى حذيفة من
 الدخول فيها، فطلب منهم أن يسمحوا له بالدخول ليخبر جنده بما أتى به، ولكنهم أصروا
 على منعه فرحل إلى عسقلان وظل بها إلى أن توفي (١).

ولم تقف الحركة في مصر عند هذا الحد من عصيان الخليفة، بل فكر ابن أبى حذيفة في
 إرسال جيش من مصر إلى عثمان بن عفان، فأرسل ستمائة رجل على كل مائة منهم رئيس أما
 قائدهم الأعلى فكان عبدالرحمن ابن عديس البلوى. وكانت النتيجة أن قتل عثمان في ذى
 الحجة سنة ٣٥ هـ وعاد هذا الجيش ثانية إلى مصر (٢). وهناك رواية أخرى تذكر أن وفد مصر،
 وكان معهم الثائرون من البصرة والكوفة، خرجوا متظاهرين بأن غرضهم العمرة (٣) ولكنهم
 كانوا يريدون الثورة على عثمان بن عفان، وكان من بينهم محمد بن أبى بكر الصديق
 فشكروا إلى عثمان بن عفان واليه على مصر عبدالله بن سعد وطلبوا منه عزله فأجابهم عثمان
 إلى طلبهم وكتب بتولية محمد بن أبى بكر على مصر وعزل عبدالله بن سعد فقفل ذلك
 الوفد راجعاً، وبينما هم في الطريق رأوا راكباً ارتابوا في أمره ففتشوه وإذا معه كتاب من عثمان

(١) الكندى ص ١٦ - ١٧، خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٣٥.

(٢) الكندى ص ١٧، خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٣٥.

(٣) العمرة: زيارة البيت الحرام في غير أوقات الحج ويسمى الحج الأصغر.

واحد من الجسد قد تمجد معه جميع الجسد ،
قال هذا القديس مرقس البطرك وهو داع الى
الرب .

ولاجل عظم اهتمامه بالامانة والاتحاد معهم
كتب الى الاب البطرك كيرياكوس بما هذه
نسخته : اتصل بنا ما قد بذره الشيطان في بيعتكم
المقدسة من ضلال ابراهيم فحزنت بيعتنا وتجمعنا
لذلك لانا لم نسمع قبل هذه الايام بشى غريب

الى عبدالله بن سعد يأمر فيه بقتل محمد بن أبى بكر ونفر من معه ، فأخذوا الكتاب ورجعوا
ثانية إلى المدينة . وقرأوه على من فيها من الصحابة وقد أنكر عثمان ذلك الكتاب وحلف لهم
أنه لا يعلم من أمره شيئا ، فظنوا أن الكتاب كتبه مروان بن الحكم كاتب عثمان وابن عمه
وطلبوا إليه أن يسلم إليهم مروان فلم يرض عثمان بذلك إذ أن مروان حلف هو الآخر أنه لم
يكتبه . فطلبوا إليه أن يعتزل اخلافة فأبى وتمسك بها ، وما لبث الثوار أن تطاولوا عليه وقتلوه
أفطع قتلة وربما شجعهم على قتله ما علموا من استنجاده بمعاوية بن أبى سفيان وعبدالله ابن
عامر والى البصرة وأمراء الأجناد فأرادوا أن يتموا ثورتهم قبل وصول المدد إلى عثمان خوفا من
أن يقضى على حركتهم هذه بالفشل . ويقال إن محمدا بن أبى بكر هو أول من حرّض الثوار
على قتله وأول من دخل عليه ليقتله^(١) .

قد تكون الرواية السابقة صحيحة وقد يكون خصوم عثمان دسوها دسا يتهموه بالخدا ع أو
الغفلة ، خصوصا إذا علمنا أن عبدالله بن سعد كان قد خرج من مصر قبل خروج الثائرين
إلى عثمان .

ولم يضع قتل عثمان حداً لتلك الفتنة ، بل كان بداية الفتن والمنازعات التى حفل بها
التاريخ الإسلامى فى العصور الوسطى .

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج١ ص ٤١ - ٤٨ ، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج٣ ص ١٢٨ - ١٣٦ .

من اتحادنا بالامانه الارتدكسيه، وما جمعه الرب
وجعل جميعنا بالنور الحقيقي وصرنا الان مثل من
قد سبى سبيا ويقدمه كرامة للملك، وفيما هو
مهتم بهذا قام عليه شعب غريب وملك السبي
لكنى او من من ذلك الملك الذى نحن متدرعون
بسلاحه لقتال اعدايه ان يخزى اعداه سريعا وينقذ
السبى من ايديهم، ومن اجل ذلك ايها الاب
المبارك لا تغفل عن طلب الضال واغذه بالطعام
الذى يجب ان يغذى به الاعلاء [ء]، الذى هو كلام

ب، أثر النزاع بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان في مصر

كان مقتل عثمان بن عفان كما يقول ابن خلدون ^(١) فتنة ابتلى الله بها الأمة، فقد بوع
على بن أبى طالب من بعده بالخلافة في سنة ٣٥ هـ ولكن النزاع تجدد بين المسلمين حول
هذه المسألة. إذ رأى على ومن تبعه أن بيعته قد انعقدت ولزمت من تأخر عنها وذلك لاجتماع
من اجتمع عليها بالمدينة. ورأى آخرون أن بيعته لم تنعقد لإفتراق الصحابة ولا تكون البيعة
صحيحة إلا باتفاق أهل الحل والعقد كما أنها لا تكون صحيحة بغيرهم أو بحضور أقلية
منهم، كذلك رأوا أن المسلمين كانوا حينئذ في فوضى واضطراب فيجب أولاً المطالبة بدم
عثمان ثم الاتفاق على خليفة المسلمين. وكان على رأس هذا الفريق المعارض لخلافة على،
معاوية بن أبى سفيان وإلى بلاد الشام من قبل عثمان بن عفان وابن عمه.

وقد بادر على بعد توليه الخلافة بعزل ولاية عثمان وإرسال عماله إلى الولايات، كذلك
أرسل بيعته إلى جميع الأمصار. والظاهر أن البيعة جاءت من كل مكان إلا بلاد الشام التي كان
يليهها معاوية بن أبى سفيان، فكان لابد من نشوب النزاع بين الطرفين بينما هما يستعدان
لذلك وقع على مسرح الخلاف السياسى حادث جديد. هو خروج طلحة والزبير وعائشة زوج
الرسول على خلافة على واشتباكهم معه في موقعة الجمل التي انتهت بانتصار على وقتل

(١) المقدمة ص ١٧٩ (فصل في ولاية العهد).

الله كما كتب لنا المعلم بولس يقول : ان الضعفا
فى الامانه اقبلوهم وايدوهم ليس بمحاورة فكر
لكن بصنعة الطب، طب الاجساد الذى يعرف العلة
فيها بمعالجة الاعلا [ء] تعافو وتقو، وانت الآن
طبيب الانفس، وبقدرة تعليم سيدنا المسيح تبطل
الذى للعدو، والسلامة لايينا القديس المبارك امين.

فلما وصلت الكتب الى البطرك انطاكية
كرياكوس تعجب من اهتمام هذا القديس واهتم

طلحة والزبير وأسر السيدة عائشة فى سنة ٣٦هـ. وفى تلك الأثناء استطاع معاوية أن يستميل
إليه رجلا من أكبر دهاة العرب: هو عمرو ابن العاص. ويذكر اليعقوبى^(١) أن عمرو بن
العاص اشترط على معاوية بن أبى سفيان أن تكون ولاية مصر طعمة له نظير مساعدته له ضد
على فقبل معاوية ذلك.

سار على بن أبى طالب فى أواخر سنة ٣٦هـ من الكوفة التى اتخذها مقراً لخلافته بعد
موقعة الجمل - نحو الشام لمحاربة معاوية وتقابل الفريقان فى سهل صفين، حيث نشب القتال
بين الفريقين. وانتهت تلك الموقعة فى صفر من سنة ٣٧هـ بحيلة ارتآها عمرو بن العاص. إذ
أشار على معاوية برفع المصاحف على الرماح والنداء بتحكيم القرآن بدلا من تحكيم السيف
فكان ذلك سببا فى فتر أكثر جند على بعد أن كانوا قاب قوسين أو أدنى من الانتصار. وقد
اختير عمرو بن العاص حكما من قبل معاوية كما اختير أبو موسى الأشعرى من قبل على.
وقيل إن هذا التحكيم انتهى باتفاق الحكّمين على خلع على معاوية، فأعلن أبو موسى
الأشعرى خلعهما، ثم قام عمرو فأعلن خلع على وتثبيت معاوية لأنه ولى عثمان والطالب
بدمه وأحق الناس بأن يخلقه^(٢).

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٢) انظر الطبرى ج ٦ ص ٣٧ - ٤٠، المسعودى: مروج الذهب. ج ٢ ص ٢٨ - ٣٣ (ط. القاهرة).

بكل جهده فى إعادة ذلك الظالم فلم يقدر عليه،
وكان الشيطان يميل قلبه حتى ان جماعه ممن معه
من الاساقفة باعمال انطاكية مالو اليه وضلوا معه
فى هذه الضلالة وسموهم اهل المشرق
الإبراهيميين(*) شيعة الإبراهيميين فى انطاكية .
الارتدكسى .

فلما عاد ابونا انبا مرقس الى اسكندرية بعد بنا
البيعة المعروفه به فرحوا الارتدكسيون وامتلوا

وقد خرج معاوية من التحكيم أقوى مما كان فقد رضى أهل الشام بخلافته، ولا بد أن فريقاً
غيرهم من الناس اعتقد بصحة التحكيم وبصحة خلاف معاوية، كذلك خرج فريق من أتباع
على عليه بسبب رضائه بالتحكيم وهذا الفريق هو الذى يعرف بالخواارج، كما أن فريقاً آخر
من جند على ملوا الحرب والنزاع، وقد عزم على على محاربة أهل الشام لاعتقاده أن الحكمين
حكما الهوى ولم يحكما القرآن، وحث الناس على قتالهم فى سنة ٣٨ فتقاتلوا ولم يطيعوه إذ
كانوا قد ملوا الحرب وسموا القتال.

وقد اتفق ثلاثة من الخوارج على قتل على ومعاوية وعمرو فلم ينجح من هؤلاء الخوارج
سوى عبدالرحمن بن ملجم الذى قتل على بالكوفة فى شهر رمضان من سنة ٤٠ هـ. وبقتله
انتهى عهد الخلفاء الراشدين وبايع المسلمون من بعده ابنه الحسن بن على، ولكن خلافته لم
تزد على بضعة أشهر، إذ كان لا قبل له بمحاربة معاوية وجنده فتنازل له عن حقه فى الخلافة.

تجلى النزاع بين على ومعاوية بأجلى مظاهره فى مصر التى كانت مركزاً للمتمردين على
عثمان بن عفان. فبعد مقتله فى ذى الحجة سنة ٣٥ هـ عاد الركب الذى كان قد خرج عليه
إلى مصر ثانية، ويلوح أن نفراً منهم تخلفوا فى المدينة ومنهم محمد بن أبى بكر نفسه، ويظهر

جميعهم جسدا الهيأ، فاما الرئيس المحب لله
سليمان وجماعة معه فحضرو عند ابينا وسلوه
سوالا كثيرا قايلين له: ان ارض مصر جميعها
امتلت مسره ببنا البيع وخاصة هذه البيعه التي
بنيتها بمصر [الفسطاط]، وانت تعلم يا ابانا انه
من حياة ابينا انبا يوحنا سالناه في بنا [ء] بيعه
السيد المخلص ان يوسعها ويزيد فيها لاجل كونها
في وسط المدينة فلم يتفق هذا الامر وبقيت الى
الان، ونحن نسلك ان تورينا هذا الفرع في ايامك.

أن أولئك المتمردين كانوا يتوقعون أن ينتقم منهم شيعة عثمان أو أنهم كانوا كعادتهم دائما
يمزجون السياسة بالدين، وذلك لأنهم لما أتوا الفسطاط ودخلوا المسجد صاحوا: «إنا لسنا قتلة
عثمان ولكن الله قتله»^(١) أما شيعة عثمان في مصر فقد بايعوا معاوية بن حديج على الطلب
بدم عثمان فسار بهم إلى الصعيد، ولكن ابن أبي حذيفة أرسل إليهم من يحاربهم والشقى
الفريقان في إحدى قرى البهنسا فكان النصر لحليف شيعة عثمان وهزم جيش ابن أبي حذيفة.
ثم سار معاوية بن حديج إلى برقة ولا نعرف لماذا سار إليها - ثم رجع ثانية إلى الإسكندرية
فأرسل إلى ابن أبي حذيفة جيشاً آخر على رأسه قيس بن حرملة اللخمي فاقتتل الجيشان
بخریتا^(٢) في أول شهر رمضان سنة ٣٦هـ فقتل قيس بن حرملة وهزم جيشه^(٣). وعلى هذا
نرى أن شيعة عثمان في مصر انتصرت للمرة الثانية على الحزب الذي ثار على عثمان ولما
يمض عام واحد على مقتله.

نرى إذن أن النزاع الذي كان يقوم في حاضرة الخلافة أو حول منصب الخلافة كان يؤدي
إلى فوضى ونزاع في مصر حتى تكاد تنعدم سلطة الخليفة في تلك الظروف، فنرى ابن أبي

(١) الكندي. الولاة والقضاة ص ١٨ خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٣٥.

(٢) خربتاً. بفتح الغاء أو كسرهما كانت من كور الخوف الغربي بالقرب من الإسكندرية (ياقوت: معجم
البلدان ج ٢ ص ٤١٦).

(٣) الكندي ص ١٨ - ١٩، خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

فأجاب الراعى الصالح وقال لهم: انتم تعلمون
حسد هؤلاء المجاورين لكم [الخلقدونيين] ومتى بدأنا
بعمل ما ذكرتموه فهم يرفعون فينا للسلطان
ويشكونا فنقع فى تجربه مثل ما قد صبرنا دفعات
عليهم أنا وأبى يوحنا عند بنا بيعة ميخايل الملاك
«بيعة التوبه». وكلما كلمهم سألوا وزادوا فى
السؤال قايلين له: صلواتك المقدسات يكن لنا
حصنا حتى يكمل هذا التذكار. فلما نظر قوة
إيمانهم وحموة امانتهم اجاب سؤلهم واحضر

حذيفة يغتصب ولاية مصر لنفسه دون أن يعينه خليفة، كما نرى شيعة عثمان وشيعة على
يقتتلان فى مصر.

ويظهر أن انتصار شيعة عثمان على ابن أبى حذيفة شجع معاوية بن أبى سفيان على
القدوم إلى مصر لثروتها وخيراتها الوفيرة ولموقعها الجغرافى الممتاز فوصل فى نفر من أصحابه
إلى سلمنت من كورة عين شمس فى شوال سنة ٣٦هـ فخرج إليه ابن أبى حذيفة وأهل
مصر^(١) ليمنعوه من دخولها، فبعث معاوية - بما عرف عنه من الدهاء وحسن السياسة إلى
ابن أبى حذيفة يقول إنهم لم يجيئوا لقتال أحد وإنما جاءوا يطلبون القصاص لدم عثمان
ويريدون القبض على قاتليه وهما عبدالرحمن بن عديس وكنانة بن بشر اللذين كانا على رأس
الوفد الذى يذهب إلى المدينة لقتل عثمان، فلم يجب ابن أبى حذيفة طلب معاوية وقال له لو
طلبت منا جديا رطب السرة بعثمان ما دفعناه إليك!! وهنا لجأ معاوية إلى الحيلة مرة أخرى
فعرض على ابن أبى حذيفة وأتباعه بأن يعطوه رهنا لكى يتفادوا حربه ضدهم. فرضى ابن أبى
حذيفة بذلك وخرج فى الرهن هو وابن عديس وكنانة بن بشر وغيرهم من قتلة عثمان فلما

(١) مصر هنا تعنى القسطنطينية لأن معاوية بوصله إلى عين شمس كان قد دخل القسطنطينية
المصرية فعلا وليس القسطنطينية عاصمة مصر.

جماعه من الصناع والمهندسين ووضع الاساس على اسم السيد يسوع المسيح، وكانت هذه البيعه في وسط المدينة. وكان يقوم وقت الصلاة ووقت صياح الديك ليشاهد البنا مثل أحد المهندسين ويدبره لن [لأن] الرب قد انعم عليه بكل حكمه، وكان يحسب تعب راحه لاجل محبته وشهوته للصالحات وبنا البيع. وعندما بنى البيعه المذكوره بنعمه الرب الحالة فيه زينها بكل زينه إلى ان صارت كمدا للمخالقين الخلقدونيين وفرحه وبهجه للمومنين الارتدكسيين.

بلغوا لد^(١) سجنهم معاوية بها. وسار هو إلى دمشق فهربوا من السجن فتبعهم صاحب فلسطين وقتلهم في ذي الحجة سنة ٣٦هـ^(٢).

واستطاع معاوية بمهارته وسياسته أن يقضى على معظم الحزب العلوى في مصر، ولا سيما الذين كانوا قد ثاروا على عثمان، دون أن يكلفه ذلك حربا أو سلك دماء. ولم يلجأ إلى حربهم أو إلى دخول مصر عنوة في وقت كان يستعد فيه لحرب يتوقف عليها مصير الخلافة بينه وبين على بن أبى طالب.

ولما بلغ عليا نبأ قتل ابن أبى حذيفة أرسل إلى مصر قيس بن سعيد ابن عبادة الأنصارى واليا عليها من قبله فدخلها في بداية ربيع الأول سنة ٣٧هـ. ويظهر أن قيسا كان من أصحاب المقدرة السياسية الذين يعرفون كيف يستميلون الرجال حتى المعادين لآرائهم ومبادئهم، فنراه يحسن إلى شيعة عثمان بخربتا ويكرمهم ويبحث إليهم بأعطياتهم. ولعل معاوية خشى أن تجعل سياسته هذه من مصر ولاية علوية لا تعرف غير على والطاعة له فيقضى بذلك على حزب بنى أمية، فعمل هو وعمرو بن العاص على إخراجهم من مصر بأية وسيلة،

(١) هي الآن اللد Lydda في فلسطين على الطريق بين مصر وسوريا (لد. بالضم والتشديد.. قرية قرب بيت

المقدس من نواحي فلسطين) ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص ٣٥٤.

(٢) الكندى: الولاة والقضاة ص ١٩، وخطط المقرئى: ج٢ ص ٣٣٦.

ولما كان في اليوم السابع عشر من توت يوم
عيد الصليب اجتمع الأساقفة الذين في كورة
اسكندرية واساقفه آخر من المجاورين بمصر وكرزت
البيعه على اسم السيد يسوع المسيح. فما اعظم
ذلك الفرح الذي كان في ذلك اليوم بتسبيح
وبركات وتمجيد كطغمات السماوين في العلا.
وتصدق ذلك اليوم على الفقرا واهل الحاجة باشيا
كثيره فما اكثر اعمال الاب الجليل مرقس البطرك
التي لا يحصى لها عدد ولا يقدر لسانى الناقص ان
ينطق بها.

ولكنه امتنع منهما بالدهاء والمكايدة. وأخيرا لجأ معاوية إلى مكيدة استطاع بها أن يجعل عليا
يشك في إخلاص قيس بن سعد فكان معاوية يحدث رجلا من ذوى الراى من قريش في هذا
ويقول «ما ابتدعت من مكايده قط أعجب إلى من مكايده كدت بها قيس بن سعد حين
امتنع منى قيس». إذ تظاهر معاوية لأهل الشام بأن قيسا من شيعة وأن كتبه ونصائحه تأتيه
منه وكتب بذلك إلى شيعة في العراق، فسمع بذلك جواسيس على في العراق، وانتهى ذلك
الخبر إلى على وأراد أن يتحقق من صحته فأرسل إلى قيس يأمره بمحاربة شيعة عثمان بخربتا
فرفض قيس مقاتلتهم معللا ذلك بأنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم فمنهم مسلمة بن مخلد
وسر بن أبى أرطاة ومعاوية بن خديج وقال إن معاملتهم بالحسنى خير من قتالهم؛ فقتالهم لا
يجدى نفعا وأنه في الواقع يكيد لهم بمعاملتهم بالحسنى، ثم كتب إلى على: «إن كنت
تتهمنى فاعزلى وأبعث غيرى» فعزله على وكانت ولايته على مصر حوالى أربعة أشهر. وولى
على مصر الأشتر مالك بن الحارث النخعى وهو من أعوان على وكبار قواده حضر معه موقعى
الجمال وصفين. وسار الأشتر إلى مصر حتى نزل القلزم في بداية رجب سنة ٣٧هـ، وهناك
شرب عسلا فمات مسموما. ولما سمع بذلك معاوية وعمرو قال عمرو: «إن لله جنودا من
عسل»^(١) ومن المحتمل أنه كان لمعاوية وعمرو يد في مقتله.

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص ٢٠ - ٢٤، خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٣٦.

وفى تلك الايام اقام الاب قيما على الخدمة
البطركيه وكان ذلك القيم مملو حسدا وسو لكل
احد وخاصة لرجل كاتب لاينا انا مرقس وكان
يذكر عنه كل قبيح لكى يطرده ابونا البطرك
ويسلم له البيعه وحده، فيردعه ابونا ويمنعه ان
يتكلم بهذا الكلام، فلم يقبل الدوا من الطبيب،
ولما كان يوم من الايام وهو اليوم السادس عشر من
طوبه اراد الاب القديس ان يتم يوم نياح الاب
يوحنا الذى توفى فيه حضر ذلك الشرير وبدا ان

وكتب أبو الخاسن^(١) أن معاوية استاء من تولية الأشتر مصر لكفايته وشدته فكتب إلى
عامل القلزم يمينه بوعود مختلفة على أن يهلك الأشتر بكل طريقة يقدر عليها، فكان أن قدم
عامل القلزم للأشتر طعاما وعسلا مسموما فمات لساعته.

لما علم على بموت الأشتر أرسل إلى مصر محمد بن أبى بكر فكان حكمه بداية النهاية
لحكم على بن أبى طالب فى مصر، ولا غرو فقد كان رجلا يجهل أمور السياسة والحكم،
وكانت تغلب على طبيعته روح الفوضى والثورة، وفيه حب للرياسة والزهو، وقد تجلت طبيعته
هذه فى ثورته ضد عثمان وفى سياسته فى مصر عندما وليها.

قدم محمد بن أبى بكر إلى مصر فى رمضان سنة ٣٧هـ. ويقال إن قيس ابن سعد لقيه
فنصحه عدة نصائح تختص بحكم مصر، تذكرونا بسياسة قيس قبل أن يعزله على، ومن تلك
النصائح أن يصانع شيعة عثمان فى مصر ليكشف بمعاملته الحسنة عن أمرهم وآرائهم، كما
نصحه بأن يحسن سياسته مع الشعب بوجه عام وبأن يتحجب إلى الناس وذلك بأن يعود
المرضى ويشهد الجنائز، وغير ذلك من النصائح التى تستحق التقدير. على أن محمد بن أبى
بكر لم يفعل شيئا من ذلك، بل كان أول ما عمله أن كتب إلى معاوية بن حديج ومن معه
من شيعة عثمان يدعوهم إلى بيعته فلم يجيبوه فبعث إلى دورهم فهدمها ونهب أموالهم

(١) النجوم الزاهرة: ج ١ ص ١٠٢ - ١٠٤.



الست مريم وطفلها المسيح.

يتكلم فى الاخ الكاتب مثل اخوة يوسف معه
فقال البطرك له: الان قد عسر داؤك، الان قد
جربناك فى كل شى خلاص نفسك وانت لا تكف
بل تزيد، والان فظلمك يكون هلى هامتك كما
قال النبى فى المزمور. وكان هناك قونه [ايقونه]
فيها صورة السيده الجليله مريم والسيد المسيح فى
حضنها منصوبه فى موضع جلوس البطرك فنظر
اليها ذلك القيم ومد اصبعه من يده اليمنا وقال:
ان كنت وقوتها قلت كذبا فيما ذكرته فهذه

وسجن ذرايهم، فنهضت شيعة عثمان لمحاربتة ولما علم أنه لا قبل له بهم كف عنهم ثم
صالحهم على أن يسيرهم إلى معاوية ففعلوا ولحقوا بمعاوية^(١). ويظهر أن ذلك جعل معاوية
يتخذ خطة الهجوم وينهى خطة السياسة والمكائد ويرسل جيشا لفتح مصر.

فى ذلك الوقت الذى عزم فيه معاوية على إرسال جيش لاستخلاص مصر من على، كان
قد اتفق هو وعلى على التحكيم عقب موقعة صفين، ونعرف أن مدة التحكيم كانت بمثابة
هدنة يضع فيها الفريقان المتحاربين السلاح. وتذكر المصادر أنهما لما اتفقا على التحكيم غفل
على أن يشترط على معاوية ألا يقاتل أهل مصر^(٢)، ولذا أصبح معاوية حل من قتال أهلها.
ويذكر أبو الخاسن^(٣) أن معاوية طمع فى مصر لما اختلف أهل العراق على على، وكان معاوية
قبل ذلك يهاب مصر لكثرة الشيعة بها بالرغم من أن أهل خربتا كانوا عثمانية، ويذكر أيضا
أن معاوية قصد باستيلائه على مصر أن يستعين بها على حرب على. ولأهمية تلك المسألة
استشار معاوية خواصه ومن بينهم عمرو. فقال عمرو: «أهمك أمر مصر وخراجها الكثير وعدد
أهلها فتدعوننا لنشير عليك فيها فاعزم وانهض، فى افتتاحها عزك وعز أصحابك وكبت

(١) الكند ص ٢٦ - ٢٨، خطط المقرئى ج-٢ ص ٣٣٧.

(٢) الكندى ص ٢٨، خطط المقرئى ج-٣ ص ٣٣٧.

(٣) النجوم الزاهرة ج-١ ص ١٠٧ - ١٠٨.

الصورة تنتقم منى. فاسمعوا الان ما نزل على هذا الشقى من الامر المر من قم ذلك النبي القديس الذى قوله بسلطان قال له قولا مملو خوفا مثل قول دانيال النبي للشيخين المخالفين شهود سوسنه(*) (*) سوسنه هو اسم لست مريم. العفيفه قايلًا: يامن عتق فى ايامه السوملاك الرب يضربك ويقطعك نصفين مثل ما ضرب الذى شهد على سوسنه بالزور. فى تلك الساعة عند تمام الكلام اخرج من فيه وقع ذلك الشقى على جنبه الايمن تحت رجله وهو جانب يده اليمنا التى

عدوك. فقال له معاوية. يا ابن العاص: وإنما أهمك الذى كان بيننا^(١) وقد رأى بقية خواصه ما رأى عمرو. وفى تلك الأثناء كاتب معاوية شيعته فى مصر وعلى رأسهم معاوية بن خديج ومسلمة ابن مخلد بمنهم بقدم جيشه فكبا إليه: «أما بعد فمجل علينا بخيلك ورجلك، فإن عدونا قد أصبحوا لنا هائبين فإن أتانا المدد من قبلك يفتح الله علينا».

هذه هى الرواية التى يذكرها أبو الحاسن ويستفاد منها أن شيعة عثمان بمصر لم يخرجوا منها، وأن معاوية لم يرسل جيشاً لاستخلاص هذه البلاد إلا بعد أن تمهدت له الأمور فى مصر.

وقد تكون شيعة عثمان فى مصر قد خرجت حقاً فى ولاية محمد بن أبى بكر كما ذكرنا سابقاً، ولكن الأرجح أنها لم تخرج كلها بل ظل فيها طائفة منهم. وقد أرسل معاوية سنة ٣٨هـ جيشاً إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص.

وهنا يجب أن نتذكر أن عمراً لم يكن يستخلص مصر هذه المرة من أيدي البيزنطيين كما فعل سنة ٢٠هـ وإنما كان يستخلصها من شيعة على ابن أبى طالب، فكان جيش عمرو فى تلك المرة يحارب فريقاً من شعبه يدين بدينه، لا شعباً أجنبياً عنه ويدين بدين غير الدين

(١) يشير معاوية بذلك إلى الاتفاق الذى كان بينه وبين عمرو على أن يعطيه مصر طعمة له وذلك عند ما تعاهد معه على قتال على.

مدها الى الصورة بالسو وانفلج الى يوم وفاته . فلما
نظرو الاعجوبة والامر الهائل خافو جميعهم من
كلامه الذى كان مثل كلام الانبيا .

والآن يا ساداتى الاباء [أ] وأولاد الارتدكسين قد
بدات وذكرت لكم انى لا أقدر ان انتهى فى ذكر
افعال ابائى لعظمها لاني كالسرات [كالسائرين]
خلف الحصادين ، وليس لى قلب مضى [أ] لاني
غارق فى ظلمة ذنوبى . وقد سمعنا من قوم ثقات

الإسلامى . ففي سنة ٢٠ هـ وقف العرب كتلة واحدة أمام البيزنطيين ، وهنا فى سنة ٣٨ هـ
انقسم العرب على أنفسهم وأصبح حزب منهم يقاتل حزبا آخر . وكان جيش عمرو يتكون من
أهل دمشق وعليهم يزيد بن أسد البجلي وأهل فلسطين وعليهم رجل من خثعم وكان معاوية
بن حديج على رأس شيعة عثمان ، وأبو الأعور السلمى على أهل الأردن . وتقابل جيش عمرو
مع جيش محمد بن أبى بكر فاقتلوا بالمسناة^(١) وهزم الجيش الذى كان يقوده محمد بن أبى
بكر بعد أن تكبد الفريقان خسائر فادحة فى الأرواح . وبين شدة القتال فى تلك الموقعة ما قاله
عمرو : « شهدت أربعة وعشرين زحفا فلم أرى يوما كيوم المسناة ولم أر الأبطال إلا يومئذ » وبعد
انتصار عمرو دخل هو وأهل الشام مدينة القسطنطينية^(٢) .

هرب محمد بن أبى بكر بعد تلك الموقعة فأقبل معاوية بن حديج فى رهط من أنصاره
يبحث عنه فدلتهم على مكانه امرأة فسار إليه معاوية بن حديج وقتله وقال : يقتل كنانة بن
بشر ويترك محمد بن أبى بكر وإنما أمرهما واحد^(٣) ! ويقال إن محمدا طلب العفو من
معاوية بن حديج فقال له معاوية : « قتلت ثمانين رجلا من قومي فى عثمان وأتركك وأنت
صاحبه ! » فقتله ووضعوه فى جيفة حمار ميت وأحرقوه بالنار . فكانت ولاية محمد بن أبى بكر

(١) المسناة : مكان بين عين شمس وأم دنين أى شمالى القاهرة .

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩ .

(٣) الكندى ص ٢٩ .

صادقين كانوا بخدمون ابائنا القديسين في كل زمان
ما نحن ذاكرون بعضه ، واذكر ايضا ما ظهر من
هذا الاب انبا مرقس البطرك لكي تتعجبو وتمجدو
الله من اجل الرافه والرحمه التي يعملها مع
اصفياءه كما قال بولس : ان الذين يحبون الله
يصنع معهم كل عمل جيد . كان في زمان هذا
القديس جراد عظيم ظهر في أعمال البحيره
واسكندريه فاكل جميع اثمار الارض والكروم كما
هو مكتوب في المزمور انه قال : فجاء جراد وجندب

على مصر خمسة أشهر ومقتله في ١٤ من صفر سنة ٣٨هـ . وقيل أيضاً إنه قطع رأسه وأرسله
إلى معاوية بن أبي سفيان بدمشق وطيف به ، وهو أول رأس طيف به في الإسلام^(١) ، وبذلك
انتهى حكم الخلفاء الراشدين من مصر في صفر سنة ٣٨هـ^(٢) . وتقديراً لهذه الخدمات التي
أداها عمرو بن العاص ولاه معاوية مصر صلاتها وخراجها وجعلها له طعمة بعد عطاء جندها
والنفقة على إدارتها ، وهذه هي ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر . ولم يلبث عمرو أن
خرج للتحكيم الذي كان بين علي ومعاوية واستخلف على مصر ابنه عبدالله ، وقيل خارجه بن
حدافة صاحب شرطته ، وبعد أن أدى مهمته في التحكيم كما رأينا عاد ثانية إلى مصر^(٣)
ليجمع أموالها لحسابه وحده . وهكذا أصبحت مصر ولاية تابعة للدولة الأموية منذ سنة ٣٨
هـ بالرغم من أن علياً ظل خليفة حتى سنة ٤٠هـ .

٢. النزاع الذي قام حول الخلافة زمن الخلفاء الأمويين

(١٣٢.٤٠هـ = ٦٦١.٧٥٠م) :

أ. دعوة ابن الزبير لنفسه بالخلافة وأثر ذلك في مصر

طمع عبدالله بن الزبير في الخلافة كما طمع غيره وتجلت أمنيته هذه منذ خروجه مع أبيه

(١) خطط المقرئى : ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٢) أبو اغاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ١١٠ .

(٣) الكندى ص ٣١ ، خطط المقرئى : ج ٢ ص ٣٣٧ .

فاكل جميع عشب الارض. فحزن الاب عند معرفته بذلك وامر الشعب الارتد كسى ان يخرجوا بالبخور والصلبان و الإنجيل ويسالو الله الرحوم ان يزيل عنهم الغضب الحال بهم، وخرج معهم الاب وهو يسال الله فى قلبه بدموع غزيره، وخرجوا خارج المدينة موضع الجراد كما قال لهم ونظرو الجراد وقد طار متعاليا الى الجو وكان امرا عظيما حتى غطا الجو، وكانت دموع الشعب تختلط مع دعاهم والاب البطرك يقول: يارب

فى موقعة الجمل^(١)، على أن الفرصة لم تكن قد حانت بعد لخروجه وادعائه الخلافة، بل نراه يشترك فى خدمة الدولة زمن معاوية ابن أبى سفيان ويخرج فى الجيش الذى سار لغزو القسطنطينية سنة ٤٩ هـ بقيادة يزيد بن معاوية^(٢). وعندما أخذ معاوية قبيل وفاته البيعة لابنه يزيد، عارض فى تلك البيعة نفر يسير من أهل المدينة منهم الحسين بن على وعبدالله ابن الزبير. وقد حذره معاوية من هؤلاء نفر وخاصة من ابن الزبير إذ قال له «... وأما الذى يحشم لك جنوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإن أمكته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو وثب عليك فظفرت به فقطعه إربا إربا واحقن دماء قومك ما استطعت»^(٣) ولما ولى يزيد بن معاوية الخلافة (٦٠ - ٦٤ هـ = ٦٨٠ - ٦٨٣ م) امتنع الحسين والزبير عن مبايعته. فأما الحسين فقد خرج على يزيد وقتل فى اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ بكربلاء، وبقتله خلال الجولابن الزبير فدعا لنفسه بالخلافة فى سنة ٦١ هـ وبايعه أهل تهامة والحجاز^(٤). وقد أرسل يزيد جيشا فى سنة ٦٣ هـ لمحاربة ابن الزبير وأتباعه فى المدينة ثم مكة، ومات يزيد ولما يتم إخضاع ابن الزبير. ثم ولى الخلافة معاوية الثانى ابن يزيد، إلا أن مدة خلافته لم تطل فقبل إنه ملك

(١) انظر الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ١٦٩، ابن طباطبا: الفخرى ص ٧٦.

(٢) الطبرى: ج ٦ ص ١٣٠.

(٣) ابن طباطبا: الفخرى ص ٩٨.

(٤) الدينورى: الأخبار الطوال من ص ٢٦٠، الطبرى: ج ٦ ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

يارب الرأفة والرحمة لا تهلكنا لاجل خطايانا
وذنوبنا ولكن تجاوز عن سيئاتنا لجل رحمتك، وكما
سمعت صراخ اهل نينوى اسمع يارب تضرعنا
واقبل دعانا يارب وكما سمعت دعا موسى في
ذلك الزمان وازلت الجراد عن ارض مصر اسمع
اليوم دعانا وانظر دموع شعبك وتهدهم من عمق
قلوبهم وازل عنا هذا الغضب.

ولولا انا نكره التطويل لشرحنا كلما قالوه من

أربعين يوما وقيل ثلاثة أشهر، وحدثت بعد موته فترة هرج ومرج ونزاع حول منصب الخلافة،
وفي تلك الأثناء اتسع نطاق دعوة ابن الزبير الذي بايعه أهل الشام كلهم إلا أهل الأردن،
وكذلك بايعه أهل مصر كما غلب على أهل العراق والحجاز واليمن.

ولما بويع مروان بن الحكم بالخلافة في سنة ٦٤هـ (٦٨٤م) كان عليه أن يقضى على
معارضة عبدالله بن الزبير. أما في الشام فقد انتصر على الضحالك بن قيس عامل عبدالله بن
الزبير في موقعة مرج راهط وقتله وبذلك خلصت بلاد الشام لمروان، وكذلك استولى مروان
بن الحكم على مصر من عامل ابن الزبير كما سرى، ومات مروان في سنة ٦٥هـ (٦٨٥م)
وابن الزبير تغلب على الحجاز والعراق.

وفي عهد عبدالملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ = ٦٨٥ - ٧٠٥م) تم القضاء على ابن
الزبير، إذا تغلب بنو أمية على العراق في سنة ٧٢هـ، وعلى الحجاز في سنة ٧٣هـ، وانتهى
الأمر بقتل ابن الزبير في هذه السنة.

وقد مر بنا أن مصر أصبحت ولاية تابعة للدولة الأموية منذ سنة ٣٨هـ وأصبح ولايتها منذ
ذلك الحين يولون من قبل الخلفاء الأمويين، ولم تظهر دعوة ابن الزبير في مصر إلا عقب وفاة

الدعا والتضرع بالانتضاع والخرقة والدموع، والله
العظيم الذى يسمع دعا عبده ويخلص الذين
يصرخون اليه ويدعونه، يا لعظم تلك الاعجوبة
التي لم تنقص شيا عما كان فى ايام موسى، يا
لعظم قوة المسيح التي فى ايينا البطرك، ففى تلك
الساعة طار الجراد فوق رؤسهم الى ان نزل فى
لجج بحر اليم ومات جميعه بصلاته.

اسمعوا الآن يا اباى واخوتى ما تفرح به قلوبكم

الخليفة يزيد وذلك فى ولاية سعيد ابن يزيد عليها (٦٢-٦٤هـ). وقد قام بتلك الدعوة
الخوارج وكانوا يحسبون ابن الزبير على مذهبهم^(١). والواقع أن هذه الفرق المختلفة من
الشيعة والخوارج كانت تؤيد جموع الثائرين على الخلافة عليها تستطيع الوصول إلى مآربها
المختلفة دينية كانت أو سياسية. فلم يقل أحد بأن ابن الزبير كان يدين بمذهب الخوارج، ولكن
ربما ادعى الخوارج فى مصر ذلك، وساعدتهم فى دعوتهم هذه ما لاقوه من ترحيب ابن الزبير
بهم واعتماده عليهم فى نشر دعوته.

أوفد الخوارج فى مصر وفدا إلى ابن الزبير - ليرسل إلى مصر أميرا من قبله يؤازرونه.
كذلك خرج من مصر إلى ابن الزبير أناس من غير الخوارج، منهم أبو عبيدة وعياض ابن عقبة
بن نافع بن عبد قيس الفهرى وأبو بكر بن القاسم بن قيس العذرى وحيان بن الأعين
الحضرى وحجوة ابن الأسود الصدفى - ثم أرسل ابن الزبير واليا من قبله على مصر هو
عبدالرحمن بن عنة بن جحدم الفهرى، فقدم مصر فى طائفة من الخوارج الذين قاموا ضد
واليها سعيد بن يزيد فاعتزل الولاية سنة ٦٤هـ ومن ثم بدأت ولاية عبدالرحمن بن جحدم
فى شعبان سنة ٦٤هـ وأصبحت مصر ولاية تابعة لخلافة عبدالله بن الزبير. وقد بايعه الناس
فى مصر ومنهم شيعة بنى أمية الذين بايعوه فى الظاهر إلا أنهم كانوا مخلصين للأمويين

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص ٤٠ - ٤١، خطط المقرئى: ج ٢ ص ٣٣٧.

برافه الله التي جعلها في هذا الاب ، لما كان بعد
ذلك عند عودته من مصر وهو يفتقد الشعب اجتاز
بلد تسمى الان اغروه، وقديما اغرا[را] (*) وخرجوا
الكهنة للقاءه كالعاده ليقررو قدامه، وجماعه من
الشعب ريسا مقدمون وبارك عليهم ودعا لهم
جميعهم، فخرج مع الناس انسان به شيطان
فصرعه بين الناس وخنقه حتى خرج الزبد من فيه،
فلما راه ابونا حزن عليه وتحنن وامتلا من روح

(*) أغرار : هي الآن غالباً قرية
الغريه. وهي ناحية إدارية تكونت
سنة ١٩٢١ ، تقع في زمام
ناحية كيما المطاعنه مركزا منا
محافظة جرجا .

وللحكم الأموي في الباطن^(١) . فلما بويج مروان بن الحكم خليفة بالشام في ذي القعدة سنة
٦٤ هـ دعاه شيعته بمصر لاستخلاصها من عامل ابن الزبير.

فقدم مروان بن الحكم إلى مصر وأرسل أمامه جيشا بقيادة ابنه عبدالعزیز بن مروان وأمره
أن يدخل مصر عن طريق أيلة. وقد أشار الجند على ابن جحدم بحفر خندق حول الفسطاط
للدفاع عن مصر، فأمر بحفر هذا الخندق فحفر في شهر واحد.

وقد أعقب ابن جحدم ذلك بإرسال جيش إلى الشام أمر عليه السائب ابن كنانة بن هشام
العامري كما سير إليها حملة بحرية بقيادة الأكدر بن حمام اللخمي. وأرسل إلى أيلة جيشا
آخر بقيادة زهير بن قيس البلوي ليمنع عبدالعزیز بن مروان من السير إليها. أما جيش السائب
فقد انتصر عليه مروان بخدعة غريبة إذ أخبره روح بن زنباع بأن للسائب بفلسطين ولدا رضيعا
فأخذه مروان ولما التقى بجيش السائب أظهر له ابنه وهدده بقطع رأس ابنه إذا لم يرجع، فرجع
السائب دون قتال ولذلك سمي جيشه الكرارين، وأما المراكب التي سيرها ابن جحدم
فقد هبت عليها ريح عاصف أغرقتها ونجا أميرها الأكدر وعاد إلى الفسطاط. وقد التقى جيش
زهير بن قيس بعبد العزيز على مقربة من أيلة وتقاتلا فانهزم زهير ومن معه^(٢) .

(١) الكندي: الولاة والقضاة ص ٤٠ - ٤٢ ، خطط المقریزی ج ٢ ص ٣٣٧ .

(٢) الكندي ص ٤٢ - ٤٣ ، خطط المقریزی ج ٢ ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

القدس وقال لهم قدموه الى ورسم على وجهه
علامة الصليب وقال: الرب يسوع المسيح الكلمة
الوحيد من الاب الذى اخزى الشياطين وعتق
خليقته منهم، انت الذى عرفوك الشياطين وانت
الذى القيتهم فى قعر الجحيم فصرخو وقالو: ما لنا
ولك يا يسوع ابن الله اتيت لتهلكنا قبل الوقت
الذى نعذب فيه، انت الان يا سيدى يسوع المسيح
اصرف هذا الشيطان النجس واخرجه من هذا
الرجل. فلما قال هذا سقط الرجل على الارض

وسار مروان إلى مصر حتى نزل عين شمس فخرج إليه ابن جحدم فى اتباعه وتحاربوا يوما
أو يومين ثم رجعوا إلى خندقهم. وأخذوا يحاربون مروان وهم فى الخندق، وقد سميت تلك
الأيام بأيام الخندق والتراويح، فكان أهل مدينة الفسطاط، يتناوبون القتال فيخرج نفر للقتال
ثم يرجع ثم يخرج غيرهم، وهكذا وقد اشتد القتال بين الفريقين حتى قام نفر ليصلحوا بين
المصريين ومروان وتم ذلك الصلح وكتب مروان كتابا أمن فيه المصريين ثم دخل الفسطاط فى
غرة جمادى الأولى سنة ٦٥هـ^(١). وانتهى فى مصر حكم ابن الزبير بعد أن دام نحو تسعة
أشهر وهى المدة التى ولى فيها عبدالرحمن بن جحدم.

وقد بايع الجند العرب فى مصر مروان بن الحكم إلا نفرا لم يرضوا بنكث بيعه ابن الزبير
بعد أن بايعوه طائعين. ولما كان مروان يريد أن يقضى على خلافة ابن الزبير نهائيا من مصر،
فقد قتلهم بعد أن أبرأ بيعته وكانوا ثمانين رجلا.

وأقام مروان بن الحكم بمصر شهرين ثم غادرها فى أول رجب سنة ٦٥هـ بعد أن وطد
أمورها وأعادها ثانية إلى الحكم الأموى، كما ولى عليها ابنه عبد العزيز بعد أن زوده بالنصائح
الهامة التى تجعله حاكما قديرا وتساعد على حكم مصر^(٢).

(١) الكندى ص ٤٣ - ٤٥، خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٣٨.

(٢) الكندى ص ٤٧ - ٤٨.

وانقطع حسه وسبت [دون حركة] كانه نائم، وقام
بعد ساعه وقد خرج منه الشيطان بصلواته، فسجد
على قدميه المقدسه وشكر الله على ما ناله من
الخلاص. حينذ قال له الاب قول الرب الذى قاله
فى الإنجيل لصاحب اليد اليابسه لما ابراه: قد
عوفيت فلا تعود تخطى فينالك اكثر من هذا
وانظر كيف تصعد لتأخذ السراير المقدسه وأعلم
أن الذى حل بك هو بسبب انك كنت تتناول
السراير المقدسه بجهل، فاحفظ نفسك من الكلام

على أن جند العرب فى مصر بعد خروجهم عن طاعة ابن الزبير لم يقفوا على الحياء فى
النزاع الذى كان بينه وبين الخلفاء الأمويين، بل مدوا يد المساعدة إلى الأمويين كى تعينهم
على التخلص منه، فأرسل عبد العزيز بن مروان والى مصر (٦٥ - ٨٦هـ) فى سنة ٧٢هـ
حملة بحرية إلى مكة لقتال ابن الزبير كان عدتها ثلاثة آلاف رجل، وكان فى هذا البعث رجل
اسمه عبد الرحمن بن يحيى^(١) أحد موالى نجيب يقال إنه هو الذى قتل ابن الزبير فى
جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ^(٢)

وقد رفعت خلافة ابن الزبير من شأن الخوارج بمصر لفترة يسيرة، إلا أنه، كما يقول
المقرئزى^(٣) انكفت ألسنتهم هم والعلوية بعد تغلب مروان على مصر. على أنهم عادوا الى
الظهور فى ولاية قره بن شريك على مصر (٩٠ - ٩٦هـ) فى خلافة الوليد بن عبد الملك،
فيذكر الكندى^(٤) والمقرئزى^(٥) أنه عندما خرج قره إلى الإسكندرية فى سنة ٩١هـ اتفق
الخوارج بالاسكندرية، وكانت عدتهم نحو مائة، على الفتك به وكان رئيسهم إذ ذاك المهاجر

(١) كتب الاسم فى المصادر يحيى ويحتمل أن يكون ذلك الاسم «يحيى»

(٢) الكندى ص ٥١، خطط المقرئزى: ج ١ ص ٢١٠.

(٣) الخطط ج ٢ ص ٣٣٨. (٤) الولاة والقضاة ص ٦٤.

(٥) الخطط ج ٢ ص ٣٣٨.

البطل الذى يخرج من فيك. فنظرتم يا احباى
هذه النعمة العظيمة التى استحقها ابونا انا مرقس
وانه بكلام فمه يطرد الشياطين بامر وسلطان مثل
الحواريين تلاميذ المسيح الرسل الاطهار. وكان
يدهن جماعه من المرضى بالزيت باسم السيد
المسيح ويصلى عليهم فيرون [فيرون] عاجلا.

فان قال واحد من المقاومين: فلاى شى لم يشف
نفسه من وجع الضربان الذى كان به فليقرا فى

ابن أبى المثنى التجيى أحد بنى فهم، وقد علم بذلك رجل يكنى بابى سليمان فأبلغ قره ما
عزم عليه الخوارج فأخذهم بغتة قبل أن يتفرقوا وحبسهم وقد أقروا بما عزموا عليه فقتلهم.

وبذلك انتهى ذلك الدور من أدوار النزاع حول الخلافة وظلت مصر تقريبا طوال الحكم
الأموى فيها (٣٨ - ١٣٢ هـ) هادئة لا تشترك فى أية منازعات أو حركات ظهرت فى مقر
الخلافة أو فى غيرها من أنحاء الدولة الإسلامية إذا استثنينا تلك الفترة التى قامت فيها خلافة
ابن الزبير فى مصر كما تقدم. على أن مصر دخلت فى أواخر ذلك العهد فى النزاع الذى قام
بين الأمويين والعباسيين والذى انتهى بقيام الدولة العباسية كما سترى.

ب. زوال الخلافة الأموية وأثر ذلك فى مصر

تجمعت الظروف والعوامل التى أدت إلى زوال الخلافة الأموية وظهر أثرها بوضوح منذ
أواخر القرن الأول الهجرى وأوائل القرن الثانى، فمن شيعة يعملون على الكيد لبني أمية
ليغتصبوا الخلافة منهم، ومن خوارج كانت مبادئهم وحركاتهم هادمة لخلافة قريش، إلى موال
كرهوا الدولة الأموية لتفضيلها العرب عليهم.

وهذه العناصر المناوئة للدولة وجدت منذ قيام الدولة الأموية، ومع ذلك لم يظهر أثرها فى
إضعافها إلا بعد أن ظهر الضعف من جانب الدولة نفسها، ولعل أهم مظاهر ذلك الضعف هو
انقسام البيت الأموى على نفسه انقساما تاما منذ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥)

الكتب فيجد قول الله انه يجرب اصفياه بالعلل
والتجارب مثل ايوب الصديق بالجذام، ويوسف
برميه في الحب من ايدي اخوته، ودانيال مع
الاسود الضوار، والتلته فتيه في اتون النار، واشعيا
النبي بمنشار الخشب. واهل هذه الطبقة من الانبيا
والصالحين كثير لو شرحنا ما نال كل منهم لما
وسعه المصاحف، لان القديس بطرس الحواري كان
ظله اذا مر على مريض في الطريق قد برى من
مرضه، ولاجل هذا كانوا المرضى يجلسون في

١٢٦هـ (= ٧٤٣ - ٧٤٤) إلى أن ولي الخلافة مروان بن محمد آخر اخلفاء الأمويين في سنة
١٢٧هـ (٧٤٤هـ)، واذ أصبح كل فرد من أفراد البيت الأموي يتخذ لنفسه حزبا يستعين به
على الوصول إلى الخلافة، مما شجع الطامعين من غير بنى أمية على إلقاء دلوهم في الدلاء
عليهم يصلون إلى ما يريدون. وكان صاحب النصيب الأكبر في هذه الغنيمة هم العباسيون.
كذلك وضع خطر العصية القبلية في أواخر عهد الدولة الأموية ومما زاد في شقة الخلاف
بين أفراد القبائل أن الخلفاء زجوا بأنفسهم في هذه المنازعات، فتعصب بعضهم لعرب الشمال
وتعصب آخرون لعرب الجنوب.

وقد استغل بنو العباس عم النبي محمد كل هذه الظروف السيئة التي أحاطت بالخلافة
الأموية، يظهر أنهم بدأوا منذ أواخر القرن الأول الهجري ينظرون من جانبهم فيما طمح إليه
الشيعة^(١) فأخذوا يعملون لأنفسهم واستغلوا في حركتهم الشيعة والموالي استغلالا كبيرا؛ إذا
كانوا يدعون لواحد من آل محمد وطيعي أن هذا يشمل آل علي وآل العباس.

وفي الوقت الذي أثمرت فيه الدعوة العباسية كان حال الخلافة الأموية قد ساء إلى أقصى
حد. وقد وجدت الدعوة العباسية في شخصية أبي مسلم الخراساني صاحب الفضل في

(١) المسعودي: كتاب التنبيه والإشراف ص ٣٣٨.

الطريق التي يعبر فيها فيمر ظله عليهم فيبرون

(*) يقصد بالنملة هنا حبه نافرة في
الجلد

[فيبرون] وكان في ساق بولس نمله (*) وهو متالم
منها لا يقدر على بروها [وكانت الحزق التي تشد
عليها تبرى المرضا وكان بصلاته يبرى العميان]
وانما ابلاه الله بها رحمة منه ليلا [لئلا] يكبر
نفسه عندما يعمل العجايب باسم المسيح،
وسمعان الحبس كان به قروح تدودت لم يقدر
على بروها، وكان بصلاته يبرى العميان ويطهر
البرص ويعمل اعمالا كثيرة، وكلما اقام في علة

إخراجها إلى حيز العمل والتنفيذ، فهو كما يقول ابن طباطبا (١) «رجل الدولة وصاحب
الدعوة وعلى يده كان الفتح». وقد نجح أبو مسلم في إظهار الدعوة العباسية ورفع راية
العباسيين في خراسان سنة ١٢٩ هـ (٢). وتمت الغلبة للعباسيين على الأمويين في خراسان
والعراق، وسار أبو مسلم بجنده من خراسان إلى الكوفة حيث بايع أبا العباس السفاح بالخلافة
في سنة ١٣٢ هـ. وتبعه الناس من بعده. وتقابل جيش العباسيين مع الجيش الأموي الذي كان
يقوده مروان بن محمد عند نهر الزاب (أحد روافد نهر دجلة)، وهناك كانت الغلبة للعباسيين
في سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) (٣) وفر مروان بعد ذلك هاربا إلى مصر.

ولا نعرف على وجه التحقيق متى بدأت الدعوة العباسية في مصر لأن العباسيين كما عرفنا
اهتموا بخراسان والمشرق لنشر دعوتهم فيها ولأن محور الحوادث منذ البداية كان في المشرق،
ولكن كان مقدرا أن تكون نهايتها في مصر التي فر إليها الخليفة مروان بن محمد ولقي فيها
حظه.

أول ما نسمع عن الدعوة العباسية في مصر أيام خلافة هشام ابن عبد الملك (١٠٥ -

(١) الفخرى ص ١١٨.

(٢) الطبرى ج ٩ ص ٨٢ - ٨٤.

(٣) الطبرى ج ٩ ص ١٣٠ - ١٣٢، ابن طباطبا: الفخرى ص ١٢٥ - ١٢٦.

تلت سنين، وابونا القديس انبا مرقس البطرك قام
اثنتى عشره سنه فى وجعه، وكان يشكر المسيح
ويقول: اشكرك يا ربى والاهى اذا جعلتى مستحقا
لهذه الالام مثل العازر المسكين.

وكانت الشعوب وجميع كورة مصر فى سلامة
وهدو فى جميع ايامه.

فلم يصبر مبغض الخير الشيطان لما راي من
اعماله وعجايبه التى هى كل يوم تزيد، فبدا ان

١٢٥هـ) وفى ولاية عبد الرحمن بن خالد عليها (١١٧ - ١١٩هـ) إذ يذكر أبو المحاسن (١)
أن دعاة بنى العباس أرسلوا إليه سرا فآكرمهم ووعدهم فبلغ ذلك هشاما فعزله.

لكن مصر ظلت هادئة لم تتأثر مما كان يدور فى المشرق حتى كانت خلافة مروان بن
محمد (١٢٧ - ١٣٢هـ) فبدأ الاضطراب فى مصر منذ توليه الخلافة ونرى الجند لا
يطيعون أوامر الخليفة فى كثير من الأحيان، كما نرى النزاع بين القيسية واليمنية يتجلى باجلى
مظاهره فى مصر ولا غرو فقد عمت روح العصبية القبلية إذ ذاك فى جميع أنحاء الدولة
الإسلامية، فاليمنيون لا ينفذون أوامر الخليفة، والقيسيون أو المضربون فى جانب الخليفة،
ولكن بعضهم يشقون عصا الطاعة، كما يثور بعض أفراد البيت الأموى تعصبا للخليفة مروان
بن محمد وبعضهم يثور ضده، كذلك يظهر الخوارج فى مصر. أى أن ما يحدث فى مقر
الخلافة يقع مثله فى مصر. وهنا نجد ظاهرة لم نعهد لها من قبل وهى ثورة المصريين الوطنيين
[البشمورا] ومساعدتهم للعباسيين ضد الأمويين، فالمصريون الوطنيون لم يشتركوا فى المنازعات
الخلافية من قبل ولكنهم لعبوا هنا دورا لا يغفل أثره، فتهيأت بذلك الظروف للعباسيين، كى
يتموا نصرهم ضد الأمويين، وكى ينشروا دعوتهم فى مصر.

لما بويع مروان بن محمد بالخلافة فى صفر ١٢٧هـ كان على ولاية مصر إذ ذاك حفص

(١) النجوم الزاهرة ج١ ص ٢٧٨.

يقيم الفتن على كورة مصر وصار حزن في كل
مكان وفي اسكندريه، فلهق البطرك قلق عظيم
حتى ان الانسان اذا سمعه لا يصبر عن البكا.

وانا الان اذكر لكم ذلك كان قد مات (*) في
تلك الأيام هرون الرشيد ببغداد وجلس موضعه
محمد ولده المعروف بالامين، وكان سبب ذلك ان
هرون الرشيد قد جمع قبل موته وجوه دولته وقال
لهم الخلافه بعدى للسيد المامون ولدى، فلما

(*) وفاة هارون الرشيد وقيام
الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون
وكان ذلك في حوالى ٢٥ مارس
٨٠٩ م = ٣ جماد الثانى
١٩٣ هـ.

بن الوليد الحضرمى، فلما أعلن بالفسطاط نبأ يعة مروان، كتب حفص إليه يستعفيه من ولايته
على مصر فأعفاه مروان منها (١) وهنا يجدر أن نشير إلى أن حفصا هذا كان من عرب
الجنوب، أو من اليمنية الذين كانوا في ذلك الوقت في عدااء مستحكم مع المضرية أى عرب
الشمال المواليين للخليفة.

ولى مروان بن محمد حسان بن عتاهية على صلاة مصر، وولى على الخراج عيسى بن أبى
عطاء، وهنا تتجلى العصبية القبلية بأجلى مظاهرها، كما تتجلى حالة الفوضى التى وصلت
إليها البلاد، وكيف قطعت الدولة العباسية شوطا بعيداً وسط تلك الفوضى الشاملة التى
عمت أنحاء الدولة الأموية إذ ذاك. فقد كانت سياسة مروان بن محمد تنطوى على الاتحاد
مع القيسية أو المضرية ضد اليمنية، فكان طبيعياً أن يثور اليمنيون فى مصر ضد سياسة الخليفة
لذا نجد أن حسان بن عتاهية عندما قدم إلى مصر فى ١٢ من جمادى الآخرة سنة ١٢٧ هـ
يأمر بحل الفرق التى كان حفص بن الوليد (٢) قد جندها على أن حسان لم يكده يستقر فى
ولاية مصر حتى ثار قواد الفرق التى جندها حفص وأعلنوا عدم رضاهم إلا بحفص بن
الوليد (٣). وكان هذا فى الواقع نزاعاً بين اليمنية والمضرية. إذ كان اليمنيون يثورون ضد عامل

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص ٨٤، أبو الخاسن: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٩٢.

(٢) الكندى ص ٨٥.

(٣) الكندى ص ٨٥.

وصل الخبر إلى محمد الأمين امتلا غضبا وجمع
إليه جماعه وحاربه فقتله وجلس على كرسى
الملك.

ولما وقع الخلف بين الاخين قام [بمصر] تاير
[ثائر] وحشد إليه جماعه وخلايق لا يحصى
عددها^(*)، وحفظ طريق مصر والمشرق . وكان
ينهب جميع مال المسافرين إلى مصر والصعيد
والحبشه والنوبه حتى انقطعت الطريق وجميع

(*) اضطراب الأحوال في مصر
وانقسامها بين أيدي المتمردين
على الخلافة العباسية.

مروان بن محمد الذي كان يهيمه موالاة المضربين، على أن الذي شجعهم على عصيان
الخليفة هو حالة الفوضى والاضطراب التي سادت أنحاء الدولة إذ ذاك ، إذ كان الخليفة في
ذلك الوقت مشغولا بمحاربة الخارجين على الدولة من مختلف الطوائف والأحزاب، حتى إنه
عجز عن عمل أى شئ ضد الدعوة العباسية.

ويظهر أن الدعوة العباسية في مصر كانت في ذلك الوقت قد قطعت شوطا بعيدا. إذا
أرسل ثابت بن نعيم الجذامي - وكان ممن خرجوا على مروان بن محمد - كتابا إلى حفص بن
الوليد يدعو فيه إلى خلع مروان ابن محمد. كذلك أتى إلى مصر رسول زامل بن عمرو الذي
خلع مروان بحمص ودعاهم إلى مثل ما دعاهم إليه ثابت بن نعيم^(١). والمهم هنا أن اليمنية
وسائر الخارجين على مروان ساروا إلى دار حسان بن ثابت وحاصروه فيها وطلبوا منه أن يخرج
من مصر فنزل على رغبتهم واتجه إلى الشام ليلحق بمروان، فكانت ولاية حسان بن ثابت على
مصر ستة عشر يوما. كذلك أخرج الثائرون من مصر صاحب الخراج عيسى بن أبي عطاء.
وولى الثائرون عليهم حفص بن الوليد^(٢) على أنه بالرغم من أن حفصا كان من اليمنيين إلا
أنه كان رجل دولة بالمعنى الصحيح يعرف أن مصلحة الدولة فوق مصلحة القبيلة وأن طاعة

(١) الكندى ص ٨٥ - ٨٦.

(٢) الكندى ص ٨٦، أبو الحسن: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٠١.

المسالك من خوفه، واستطال الشوار على مصر
وجميع أعمالها بحكم اضطراب مملكة بغداد،
وخرجوا الخوارج على المملكة بمصر وجبروا الخراج
لنفوسهم، وكان من جملة رجل يسمى
عبد العزيز الجروى (*) اخذ من شطنوف الى الفرما
وشرقية مصر بليس واعمالها، ورجل اسمه السرى
بن الحكم اخذ من مصر [الفسطاط] الى اسوان،
واستوليا على الخراج، وقوم يسمون نخما وجذاما
القبيلتين اخذوا غربي مصرى واعمال اسكندرية

(*) عبد العزيز الجروى يستقل
بشرق الدلتا. والسرى ابن الحكم
يستولى على الصعيد، وقبيلتى
نخم وجذام تحتلان غرب الدلتا
والاسكندرية ومريوط.

الخلافة واجبة. ويتبين لنا ذلك مما قاله الكندى (١) إذ يذكر أنه ولي مصر فى هذه المرة كرها
وأن قواد الجند هم الذين أجبروه على ذلك.

وفى تلك الأثناء قدم حنظلة بن صفوان الكلبي من إفريقية إلى مصر وكان أهلها قد
أخرجوه منها، فنزل بالجزيرة. وعند ذلك كتب مروان إلى أهل مصر بتولية حنظلة بن صفوان
عليهم. ولكن الجند من عرب مصر عصوا أمر الخليفة مرة أخرى، بل حاربوا حنظلة وأخرجوه
من الفسطاط إلى الحوف الشرقى، وظل حفص بن الوليد واليا على مصر طوال سنة ١٢٧ هـ
حتى أوائل سنة ١٢٨ هـ (٢).

على أن الخليفة مروان بن محمد وجد أن تنفيذ أوامره فى مصر لا يكون إلا بالقوة، لذا
عزل حفص بن الوليد عن ولايتها فى الحرم سنة ١٢٨ هـ وولى عليها حوثة بن سهيل الباهلى
وزوده بالجيوش لقتال حفص والجند العرب فى مصر، فسار حوثة إلى مصر يصحبه سبعة
آلاف رجل من أهل حمص والجزيرة وقنسرين، وهنا نجد حفصا مرة أخرى يلجئ نداء عقبله ولا
يستمع لنداء العصبية القبلية حين اجتمع إليه الجند وطلبوا منه أن يمنع حوثة من دخول

(١) الكندى ص ٨٦.

(٢) الكندى ص ٨٧، أبو الحسن ج ١ ص ٣٠٢.

ومربوط وملكو البحيره جميعها ، وكانت هاتان القبيلتان في اكثر الاوقات متحاربتين ونهب بعضهم بعضا، وكان على البلاد منهما بلا عظيم، فلما ضيقو على مدينة اسكندريه دعوا أهلها واستغاثو بالرب وسألوه ان يخلصهم من هذه الامه الظالمه.

وكان في تلك الايام غربى اسكندريه دير يسمى دير الزجاج وفيه شيخ حبيس وقد اعطى نعمه ان ينظر بروح القدس علامات واشيا، واسم ذلك

مصر، إذ أبى عليهم ذلك وسلم ما بيده إلى أبى الجراح الجرشي بشر ابن أوس الذى أرسله حوثره ريثما يحضر إلى مصر^(١).

ولما دخل حوثره أرض مصر يصحبه الجنود، خشى أهل مصر منه، فأرسلوا إليه يزيد بن مسروق الحضرمى يسأله الأمان فلقبه بالعريش وأجابه إلى ما طلب، وكتب إلى الجند من عرب مصر كتاب أمان فخرج إليه حفص بن الوليد فى وجوه الجند، إلا أن حوثره لم يعبا بالأمان الذى أعطاهم إياه فأمر بالقبض عليهم. ثم سار إلى الفسطاط فى ١٢ من المحرم سنة ١٢٨ هـ. وعقب دخول حوثره الفسطاط بعث فى طلب رؤساء الفتنة وكانوا من اليمنيين وتمكن من القبض عليهم وقتلهم، ومنهم حفص بن الوليد، وذلك سنة ١٢٨ هـ^(٢).

ولم يكد حوثره يتخلص من اليمنية فى مصر ويمهد أمورها حتى ظهرت فيها حركة أخرى كانت صدى لحركة الخوارج بالحجاز. فعندما قام عبد الله ابن يحيى الملقب بطالب الحق فى الحجاز ضد مروان بن محمد ودعا إلى نفسه بالخلافة، قدم إلى مصر داعيته ودعا لمبايعته ، فأجابه نفر من تجيب وغيرهم، ولما علم حسان بن عتاهية صاحب الشرطة بذلك قبض عليهم فقتلهم حوثره بن سهيل^(٣).

(١) الكندى ص ٨٧.

(٢) الكندى ص ٨٨ - ٩١، أبو الحسن جـ ١ ص ٣٠٥.

(٣) الكندى ص ٩٢، خطط المقرئى جـ ٢ ص ٣٣٨.

الشيخ يوانس، فقال لاهل اسكندريه نبوه: اراكم
قلقين من اجل هذه الامه هكذا صدقونى انه تجى
امه من الغرب وتهلك هذه الامه وهذه المدينة بغير
رحمه وينهبون كلما فيها.

فلما كان بعد قوله هذا دخل الى اسكندريه قوم

ومعهم شى كثير من جزاير الروم يسمون
الاندلسيين(*)، وأقامو على هذه القضية من مصر
الى جزاير الروم ينهبون ويجبيون السبى [النصارى]
الى اسكندريه ويعونهم كالعبيد، فلما نظر ابونا

(*) فى عهد الحكم بن هشام
الأموى بالاندلس وعلى أثر وقعة
الربض بقرطبة فى عام ١٩٨هـ
- ٨١٤م التى قامت بينه وبين =

وما زال حوثة يمهد أمور مصر حتى استدعاه مروان بن محمد سنة ١٣١هـ ليخرج إلى
العراق لقتال الخراسانية دعاء بنى العباس (١).

ولى مصر بعد ذلك المغيرة بن عبد الملك الفزارى فى جمادى الأولى سنة ١٣٢هـ ثم عبد
الملك بن مروان بن موسى بن نصير، وفى تلك الأثناء كان مروان بن محمد قد هزم أمام
جيش العباسيين فى وقعة الزاب (جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ) وفر إلى حران عاصمة الجزيرة.
وكانت مصر البلد الذى فكر مروان فى الهرب إليه علىه يستطيع منها أن يقضى على العباسيين
ليسترد سلطانه المهدهد بالضياح، وذلك بما لها من مزايا عديدة من حيث الموقع والثروة.
ويقال إن مروان فكر أولا وهو بحران فى الهرب إلى بلاد الروم حيث يجمع أمره ويلتم شمل
جنوده ليحارب العباسيين، واستشار فى ذلك رجلا من أخص الناس عنده وهو اسماعيل بن
عبد الله القسوى. فكان ذلك رأى اسماعيل، غير أنه تذكر معاداة مروان لليمنيين وتحامله
عليهم فصرفه عن هذا الرأى، وقال له يا أمير المؤمنين: أعينك بالله أن تحكم أهل الشرك فى
نفسك وحرمتك لأن الروم لا وفاء لهم (٢).

(١) الكندى ص ٩٢، أبو الحسن ج ١ ص ٣٠٥.

(٢) الدينورى: الأخبار الطوال ص ٣٤٦ - ٣٤٧.

مرقس ذلك السبى حزن جدا لبيعهم الانفس مثل الغنم ويسلم منهم كثير، ومما فى قلبه من الرحمة كان يشتري منهم كثيرا مثل رهبان وقساوسة وشماسه وعذارى وامهات اولاد الى ان اشترى منهم ستة آلاف نفس، وكان اذا اشترى منهم شخصا كتب له عتاقته لساعته وسلم له كتاب عتقه فى يده ويقول لهم: من اراد منكم ان يجلس عندي فهو مثل ولدى ومن اراد العودة الى بلده دفعت له ما يوصله الى اهله.

=أهل قرطبة هرب العديد منهم فى سفنهم وأتوا إلى اسكندرية التى تعودوا أن يقدموا إليها للتجارة فوجدوا أحوالها مضطربة بسبب الصراعات المسلحة التى كانت قائمة فيها بين والى الخليفة وبين المدعو عمر بن هلال الذى حرّضه عبدالعزیز الجروى الذى استقل بسلطانه فى الدلتا، على الدعوة له باسكندرية فاستعان بهؤلاء القرطبيين للإستيلاء على اسكندرية. وتطورت الأمور حتى صار لهؤلاء القرطبيون السيادة

وحين عاود الخليفة سؤاله قال : «الرأى أن تقطع الفرات وتستقرى^(١) مدن الشام مدينة مدينة فإن لك بكل مدينة صنائع ونصحاء، وتضمهم جميعا إليك وتسير حتى تنزل ببلاذ مصر، فهى أكثر أهل الأرض مالا وخيلا ورجالا فتجعل الشام أمامك وإفريقية خلفك، فإن رأيت ما تحب انصرفت إلى الشام، وإن تكن الأخرى اتسع لك المهرب نحو إفريقية فإنها أرض واسعة نائية منفردة^(٢)، وقد صادف هذا الرأى قبولا لدى الخليفة، إلا أن مروان عندما وصل إلى مصر وجد أن الدعوة العباسية قد قطعت مرحلة كبرى فيها فكان أمامه محاربة العباسيين فى داخل مصر وخارجها، وكانت النتيجة أن غلب على أمره فى النهاية.

لما وصلت الأخبار إلى مصر بانهزام مروان فى موقعة الزاب أخذ واليها عبد الملك بن مروان يستعد لمقاومة العباسيين فصادر كل ما وجده من الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيره ليستعمل ذلك فى الصناعة وغيرها من الأمور اللازمة للدفاع. وقد اخترعت فى ذلك الوقت مادة من العقاقير تدهن بها المراكب كيلا تؤثر فيها النيران، ويحدثنا صاويرس بن المقفع بأنه شاهد تلك الظاهرة بنفسه وهى عدم تأثر المراكب بالنيران إذا ما دهنت بتلك المادة، بل كانت

(١) استقرى البلاد تبعها وطاف بها.

(٢) الدينورى ص ٣٤٧.

= كاملة على اسكندرية مدة أربعة عشر عاماً أنهت في عام ٨٢٧م = ٢١٢هـ . بخسروجهم إلى جزيرة كريت (أقريطش) وقيامهم بأعمال القرصنة في البحر المتوسط.

وكان جماعه منهم عند نظرهم افعاله يقعدون عنده فيسلمهم لعلمين يعلمونهم المزامير وعلم اليعه، ومن اراد منهم ان يروح لاهله زوده ودفع له ما يحتاجه.

فشاعت اخباره وما فعل الى ممالك الملوك واهل الدول وصار له بينهم سمعه جميله، فحسده الشيطان على افعاله فحرك عليه البلايا واظهر شوكة شره، وكان في مدينة اسكندريه في

النيران تنطفى في الحال (١) . ولا بد أن أهالي مصر الوطنيين قد نالهم بلاء عظيم من جراء مصادرة أموالهم وأستخدامهم في كثير من الأمور اللازمة للعرب.

ومن ثاروا على مروان في مصر عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان وتبعه في ذلك الدماحس بن العزيز الكنانى في جمع من قيس، فأرسل إليهم الوالى عبد الملك بن مروان جيشاً قوامه سبعة آلاف شخص برئاسة موسى بن المهند، وفي بلبس التقى هذا الجيش مع الثائرين الذى طلبوا الصلح، فأجابهم موسى بن المهند إلى ما طلبوا، ثم ظفر بعمر بن سهيل وحبسه في القسطنطين (٢). وحسبنا دليلاً على الاضطراب الذى وصلت إليه مصر في تلك الفترة أن يتمرد على مروان بن محمد بعض أفراد البيت الأموى كعمر بن سهيل وأن يتبع هذا المتمرد جزء من قبيلة قيس التى كانت موالية لمروان. ولما عزم مروان على المسير إلى مصر اجتمع بعض الجند فيها على منعه من دخولها وأمروا عليهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن عميرة الحضرمي وهو - كما نرى من نسبه - ينتمى إلى عرب الجنوب الذين أصبحوا في عدااء مستحكم مع الخلفاء الأمويين. وقد أرسل مروان على مقدمة جيشة ابنه عبيد الله بن

(١) ماويرم ص ٢٧٣ ج ٢.

(٢) الكندى ص ٩٤، أبو الخاسن ج ١ ص ٣١٦.

تلك الايام وال كبير فى جنسه من المسلمين يسمى
عمر بن مالك فثارو عليه اللخميون والجذاميون
والمداجنة وطلبو قتله حتى يملكون المدينة وبدو
يقاتلونه فما قدرو عليه، وكان شيخ كبير من
الاندلسيين كان قد وصل الى اسكندرية منذ صباه
ويعلم كل مكر ودغل، وكان يتوسط بين خنم
والاندلسيين ليساعدوه على قتل الوالى، واتفق راي
الجميع على ذلك فاثرو اليه فى اليوم العاشر من
برونه سنة خمس ومايتين وتلتين للشهداء، فلما اتفق

مروان، فلما وصل إلى مصر دعا ابن عميرة الجند إلى النهوض معه فتشاقلوا عنه ولم يقوموا
بشيء مما عزموا عليه^(١)، ثم قدم مروان مصر لثمان بقين من شوال سنة ١٣٢ هـ فوجد أن
أهل الخوف الشرقى قد أصبحوا من أعوان العباسيين، كما وجد الأسود بن نافع بن أبى عبيدة
بن عقبة بن نافع الفهري فى الاسكندرية قد صار من أنصارهم، وكذا عبد الأعلى بن سعيد بن
عبد الله ابن مروان الجيشانى بصعيد مصر ويحيى بن مسلم بن الأشج مولى بنى زهرة
باسوان^(٢). ومن هذا ندرك كيف نظمت الدعوة العباسية فى مصر.

ونجح مروان فى أن يخضع الاسكندرية والصعيد ولكنه لم يجن ثمار هذا النصر لأن
صالح بن على بن عبد الله العباسى وأبا عون تبعاه إلى مصر على رأس الجيوش العباسية
فوصلا إليها بعده بنحو شهر كما يحدثنا بذلك ساويرس^(٣) أو بعد مجيئة بشهرين تقريبا

(١) الكندى ص ٩٤ - ٩٥.

(٢) الكندى ص ٩٥.

(٣) تاريخ البطارقة ص ٣٩١ ج ٢.

يذكر ساويرس أن مروان قدم إلى مصر فى عشرين يؤنة سنة ٤٦٧ للشهداء، وأن الخراسانيين وصلوا
مصر فى يوم ١٩ أبيب. وسويرس فى الواقع أكثر ثقة من المراجع المتأخرة لأنه استمد معلوماته من
الوثائق اليونانية والقبطية المعاصرة لتلك الحوادث التى كانت محفوظة بالأديرة.

راى الشيخ معهم هداهم الى ماعملوه فقتلو الوالى
وملكو المدينة.

والذى جرى بعد ذلك يحزن ويولم، فلما كان
تانى يوم بعد قتل الوالى وهو الحادى عشر من
بوونه انفسد ما بين اللخميين والاندلسيين وصار
عوض الصلح عداوه وحرب، والتقو ولم يزل
الحرب بينهم الى الليل وظفرو الأندلسيون، فلما
نظرو اهل اسكندريه ذلك جردو سيوفهم ومشو فى

أعنى فى النصف من ذى الحجة كما تخبرنا بذلك المراجع المتأخرة^(١). وقد زاد الحالة حرجا
فى ذلك الوقت ثورة أهل البشمور^(٢) فى وجه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير والى
مصر قبل قدوم الخليفة إليها وقد امتنعوا عن دفع الخراج، فحاربهم عبد الملك ولكنهم هزموه.
ولما وصل مروان بن محمد إلى مصر وعلم بثورتهم، أرسل يعرض عليهم الأمان ولكنهم لم
يقبلوا ذلك منه وظلوا على ثورتهم، وساعدهم على ذلك أن المنطقة التى ثاروا فيها كانت تحيط
بها المستنقعات، وتعيق حركة الجيوش المهاجمة. وفشلت الجيوش التى أرسلها مروان لمحاربتهم.

ولما اقترب العباسيون من الحدود المصرية وبلغوا غزة صمم مروان على إحراق مدينة
الفسطاط وأعلن وجوب إنحلائها فى ثلاثة أيام، فهرب جميع أهلها إلى الجزيرة وإلى جزيرة
الروضة ثم أمر مروان بإحراقها. ولما علم بوصول الخراسانيين إلى الفرما أمر بإحراق جميع
المراكب فى مصر وإحراق ما استطاع إحراقه من المدن والكور وتخريب ما استطاع تخريبه فى
الوجه البحرى، وتم إحراق بعض المدن وتخريبها فى شرقى الدلتا فألحق بمصر وأهلها ومدنها
وحرثها ونسلها وحيواناتها وأموالها خراباً هائلاً، ولم يهتم سوى بنجاة نفسه وجنده فكانت

(١) الكندى ص ٩٦، أبو الخاسن ج ١ ص ٣١٧.

(٢) إقليم البشمور أو البشورود كما فى المراجع العربية: هو المنطقة الرملية للواقعة على ساحل الدلتا بين
فرعى دمياط ورشيد والمعروفة فى التاريخ القديم باسم بيكولى Bucolies التى حدثت فيها حرب
الفلاحين فى عهد الإمبراطور ماركس أورليوس (G. Wiet: Hist. de la Nation Egypt. t. V. p. 37).

الاسواق والشوارع والحمامات والبيوت وقتلو من
وجدو من الأندلسيين فى كل موضع. فكان عدة
الذين قتلو منهم تمانين نفسا. فلما افترق القتال
وانهزموا اللخميون سألوا الأندلسيون عن قضية
اصحابهم فاعلموا ان الإسكندرانيين قتلوهم،
وامتلو غيظا كالأسد الضاريه لشجاعتهم فجردو
سيوفهم وخرجو فى المدينة مغضبين وقتلو كل من
لقوه من اهل البلد من المسلمين والنصارى واليهود
واى موضع وجدو فيه احدا من اصحابهم المقتولين

مصر تجنى منه ومن أمثاله من الحكام العرب كل الخراب والدمار. أما مروان نفسه فقد عبر إلى
الضفة الغربية للنيل فى مراكب هو وجنده بعد أن أحرق القسطنطينية على الضفة الشرقية.
ويذكر ساويرس أن مروان قام بحركة التخريب والإحراق لأنه ظن أن الخراسانيين إذا أتوا إلى
الضفة الشرقية للنيل ووجدوها خالية من الناس والبهايم والغلات ولم يجدوا مراكب يركبون
فيها رجعوا من حيث أتوا (١).

وهنا نجد ظاهرة جديدة لم نعهد لها من قبل وهى اشتراك المصريين الوطنيين ونقصده هنا
الأقباط الذين كانوا يكونون أغلبية الشعب المصرى حينذاك، فى تلك الحركة التى أدت إلى
زوال الخلافة الأموية. ذلك أن المصريين الوطنيين لم يشتركوا فى المنازعات الخليفية قبل ذلك
وإنما فى هذه المرة نراهم يرحبون بالعباسيين لأنهم أرادوا التخلص من الحكم العربى الأموى
بالإضافة إلى أن العباسيين وعدوهم برفع الجزية والمغارم عنهم، وهذا ما لم يحدث بالطبع
عندما تمكن العباسيون من الاستيلاء على مصر.

ظل أهل البشمور على ثورتهم، بل ساروا إلى الفرما لمقابلة الخراسانيين يشكون إليهم من
مروان بن محمد ومن اضطهاده الشعب القبطى على العموم (٢) ولم يكن هذا شعور أهل

(١) ساويرس بن المقفع: تاريخ البطارقة ص ٤١٨ ج ٢.

(٢) ساويرس تاريخ البطارقة ص ٤٢٦ ج ٢.

أحرقوه بالنار، فلما انتهوا إلى بيعة المخلص وهي
السطير التي بناها أبونا مرقس وجدوا بعض
أصحابهم على أبوابها مطروحا لأن المسلمين
قتلواهم هناك في الدور وحملواهم رمواهم عند باب
البيعة فعند ذلك غضبوا جدا، وظهر في ذلك
الوقت شيخ من فوق الدور ينظر إلى الطريق، وهو
الشیطان الذي ظهر بذلك الشبه وقال للاندلسيين:
أنا رأيت صاحب هذه البيعة وقد قتل أصحابكم .

البشمور فقط بل كان شعورن القبط على وجه الإجمال ففي ذلك الوقت كان مروان قد قبض
على بطرك الأقباط أنبا ميخائيل لأنه لم يقدّم بدفع المال الذي طلبه منه كما أنه لم يعمل شيئا
لردع أهل البشمور^(١) ويحدثنا أحد القساوسة الذين كانوا في السجن إذ ذاك مع البطرك عن
المعاملة السيئة التي لقيها هذا الرئيس الديني على يد مروان ثم يقول إن الخراسانيين كانوا في
الضفة الشرقية للنيل ينظرون ماحل بالبطرك ولو وجدوا سبيلا إلى العبور إلى مروان لقتلوه لما
رأوا من ظلمه وقسوة قلبه^(٢). وهذا يظهر لنا شعور القبط إذ ذاك نحو الأمويين وأنهم كانوا
يأملون في الخلاص على أيدي العباسيين.

لم يجد العباسيون إذ ذاك مراكب يعبرون فيها إلى الضفة الغربية للنيل حيث كان مروان
مقيما بالجيزة. وكان مروان قد أحرق الجسرين اللذين يصلان القسطنطينية بجزيرة الروضة
وبالجيزة. وكانت هناك مخاضات في النيل يمكن العبور منها بسهولة إلى الضفة الغربية ولم
يكن العباسيون يعرفونها، ولكن دلهم عليها قوم يعرفونها وعبروا معهم إلى الضفة الغربية
واستولوا بعدها على مراكب مروان التي عبر فيها هو وجنده إلى الجيزة.

ثم دارت رحى الحرب بين مروان وبين العباسيين وكتب النصر لهم ففر مروان حتى وصل

(١) ساويرس ص ٣٩٨ وما بعدها ج ٢.

(٢) ساويرس ص ٤٢٤ وما بعدها ج ٢.

فرمو النار في البيعه وكان النار تعلقو جدا حتى انها
احرقت دور كثير واماكن بعيدة.

فلما علم ابونا بهذا الامر بكى بكا مر وحزن
جدا، وقتلو مالا يحصى عدده من الخلاق
ومواضع كثير نهبوها واحرقوها. وبعد هذا نحن
الآن نريد أن نتكلم على ما دخل على قلب ايينا
البطرك مرقس من الالم وخاصة بيعة السطير،
وكان ينوح ويبكى ويقول بهذا النوح كما قيل في

إلى بوصير^(١)، وهناك لحق به صالح بن علي العباسي حيث قتله لسبع بقين من ذي الحجة
سنة ١٣٢ هـ^(٢) وبذلك زالت الخلافة الأموية نهائيا، وأعقب العباسيون ذلك بقتل كثير من

(١) بوصير أو أبو صيرة اسم لبلدان كثيرة في مصر. وهذا الاسم من بقايا التاريخ القديم إذ كان المصريون
القديما يسمون بلدانا كثيرة باسم الإله أوزير. وبوصير هذا مشتق من الاسم الإله أوزير (أوزيريس).
وبوصير هذا مشتق من الاسم المصري القديم بروسراي «مكان الإله أوزير» (سليم حسن بك، أقسام مصر
الجغرافية. ص ١٨٧). وكان هناك زمن مقتل مروان أربع قرى بمصر باسم بوصير، فكان هناك بوصير
قوريدس من أعمال الأشمونين وبوصير السدر في كورة الجيزة، وبوصير دفندو في كورة الفيوم، وبوصير بنا
في كورة سمند (ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٧٦٠) وقد اختلف المؤرخون في المكان الذي قتل فيه
مروان. فيذكر الكندي أنه قتل في بوصير من كورة الأشمونين (ص ٩٦) ويذكر ابن العميد في كتابه
تاريخ المسلمين ص ٩٦ أنه قتل في بوصير قوريدس. ويذكر المقرئ في الخطط ج ١ ص ٣٠٤ وأبو
الحسن ج ١ ص ٣١٧ أنه قتل ببوصير بالجيزة. ويرى الأستاذ فييت أن مروان قتل في أبي صير الملق
الحالية التي تقع الآن في مركز الواسطي في مديرية بني سويف وذلك لأنه يوجد هناك ضريح صغير باسم
مروان يعمل له كل عام احتفال سنوي. كذلك نعلم أن مروان حمل معه ثروته إلى مصر. وقد اكتشف
أخيرا في أبي صير الملق إبريق فخم من الطراز الساساني يرجح أنه كان ملكا له (انظر: زكي محمد حسن
: الفنون الإيرانية ص ٢٧٠). والأصح أنها كانت بوصير التي في أعمال الجيزة. وبوصير الملق الحالية
قرية من الجيزة وربما كانت ضمن كورة الجيزة في العهد العربي. وساورس يذكر أن الخراسانيين عبروا في
آخر يوم من ايب أي بعد وصولهم إلى الفسطاط بعشرة أيام ويذكر أنهم عندما عبروا إلى الجيزة قتلوا
مروان (ص ٤٥٧ وما بعدها ج ٢) إذا قارنا ذلك بما ورد في المصادر العربية بأن مروان قتل بعد وصول
الجيش العباسي إلى الفسطاط بنحو تسعة أيام. نرجح أن قتله كان قريبا من الجيزة ونرجح أن أباصير هي
أبو صير الملق الحالية لقربها من الجيزة.

(٢) الكندي ص ٩٦ - ٩٧، أبو الحسن ج ١ ص ٣١٧.

المزمور يا الله دخلت الامم الى ميراثك ونجسو
هيكل قدسك جعلو يروشلیم خرابا كمثل ظلمة
الحبس، جعلو جثث عبيدك طعاما لطير السما،
ولحوم قديسيك لوحوش الارض وسفكوا دماءهم
مثل الماء [حول يروشلیم ولم يكن لهم من
يدفنهم] (*). ثم نزل من على كرسيه وجلس على
الارض . وكان مداوما هذا النوح مثل قول ايوب
المغبوط «انا كنت في السلامه بددني ونزع عني

(*) المزمور ٧٩ / ١ ، ٢ ، ٣ .

أنصار بني أمية في مصر وأسر البعض الآخر ، ثم دخل صالح بن علي العباسي القسطنطينية في
الحرم سنة ١٣٣ هـ وبعث برأس مروان بن محمد إلى العراق (١). ولم ينس العباسيون أن
يكافئوا القبط الذين رحبوا بهم، فخففوا عنهم الخراج وأخلوا سبيل أنبا ميخائيل الذي حبسه
مروان، ولما طلب البطريرك من قائد العباسيين في مصر أن يحمي أملاك الكنيسة في جميع
البلاط ولا يتعرض لها، أجابه إلى ما أراد. كذلك أعفى العباسيون البشامرة من دفع
الخراج (٢).

وهكذا زالت الدولة الأموية نهائيا بعد انتصار العباسيين على مروان ابن محمد في مصر،
وأصبحت مصر منذ أواخر سنة ١٣٢ هـ وأوائل سنة ١٣٣ هـ ولاية تابعة للخلافة العباسية
بالعراق.

الحركات السياسية والدينية منذ قيام الدولة العباسية

الى قيام الدولة الطولونية (١٣٢، ٢٥٤ هـ).

أ. موقف الأمويين والعلويين في مصر من الخلافة العباسية

لم يكن زوال خلافة الأموية ومقتل مروان معناه انتهاء المقاومة الأموية نهائيا، فقد ظهر من

(١) الكندي ص ٩٧، أبو الحسن جـ ١ ص ٣١٧.

(٢) ساويرس ص ٤٦٠ جـ ٢. ولعل الأعفاء كان عن هذه السنة فقط.

حلتى وارشق فى سهامه(*) . ويقول هذا وما يشا كله . ولم يفطر ذلك اليوم وتلك الليلة ولم يقدر احد ان يجلسه على كرسيه ولا على حصير بل كان مطروحا على الأرض ينوح فلما كان نصف الليل قام ليصلى كعادته، فلما أصبح خرج ومعه اثنان من اولاده وقال : يا ايها المدينة المقدسه التى كثر فيها القتل وملكها العدو يا كرسى الذى قد اعتقدت اننى اجلس عليه [الى حين انتقالى]، ايها الموضع الذى لا باى [لآبائى] القديسين

وقت لآخرن بعض أنصار البيت الأموى أو أفرادهم، قاموا ضد اخلافة العباسية ولم يتهاون العباسيون فى القضاء على المعارضين لهم حتى لو كان هؤلاء ممن فاصروهم من قبل .

ونلاحظ أيضا أن قيام الدولة العباسية لم يكن معناه انتهاء مطالبة العلويين باخلافة وتركهم مناوأة الحكومة القائمة، فقد كان العباسيون فى نظر العلويين وشيعتهم مغتصبين للخلافة كما كان الأمويون من قبلهم لذا نجد أنه كلما قام خليفة عباسى، قام علوى يدعو إلى نفسه باخلافة . وقد استعمل العباسيون كل الوسائل من قتل وغدر للقضاء على المعارضة العلوية، ولا يكاد تاريخ أى خليفة يخلو من وقائعه مع العلويين، وظلت فرق الشيعة من جانبها تكيدهم للدولة العباسية فى الخفاء أو تحاربها جهراً إن أمكن الجهر . والذى يهمنا الآن هو موقف الأمويين والعلويين بمصر من اخلافة العباسية وموقف الخلفاء العباسيين منهم .

فى عهد الخليفة العباسى المهدى (١٥٨ - ١٦٩هـ) وفى ولاية إبراهيم ابن صالح على مصر من قبل ذلك الخليفة (١٦٥ - ١٦٧هـ) نسمع عن خروج أحد الأمويين وأنه دعا إلى نفسه باخلافة ، ذلك الأموى هو دحية ابن مصعب بن الأصبع بن عبد العزيز بن مروان الذى خرج بالصعيد، فلما بلغ ذلك والى مصر تراخى عنه ولم يحفل بأمره ولم يهتم بمحاربته للقضاء عليه وكان نتيجة سياسة هذا الوالى المتراخية أن استفحل أمر دحية وملك أغلب بلاد

اللابسى النور الذى تتيحو فيه بابتهاج وسرور، وانا
صرت غريبا منه لاجل خطاياى. قال هذا وخرج
من المدينة وسار من مكان الى مكان يشق بحار
مياه واماكن صعبه فأقام فى هذا الضيق خمس
سنين من بعد خروجه من المدينة كمن هو سبى،
وكان فى جميع ذلك شاكرا لله ليلا ونهارا. وما
ذا حل باولاد البيعه من البلايا فى ذلك الزمان
والاباء [ء] الاساقفه والارائخه، وكانوا ياتون اليه
ويعزونه ويسالونه وكل منهم يساله ان يمضى به

الصعيد وكاد أمره أن يتم وتخرج مصر من حكم العباسيين . فلما علم الخليفة المهدى بذلك
سخط على الوالى وعزله سنة ١٦٧هـ^(١).

ولى مصر بعد ذلك موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمى (١٦٧-١٦٨هـ) فأرسل جيشا
مكونا من خمسة آلاف محارب بقيادة عبد الرحمن بن موسى بن على بن رباح اللخمى، إلى
الصعيد لمحاربة دحية. وما لبث هذا الوالى أن قتل فى ٧ شوال سنة ١٦٨هـ أثناء محاربته قيسا
واليمنية الدين ثاروا ضده فى الحوف^(٢). ولى مصر بعد مقتله عسامة بن عمرو وافتتح أمرته
بحرب دحية الأموى بالصعيد، وأرسل إليه الجيوش بقيادة أخيه بكار بن عمرو لمحارب يوسف
بن نضير الذى كان على مقدمة جيش دحية، وقد عاد الجيشان دون أن يحدث بينهما ما
يستحق الذكر^(٣). وبعد ذلك بأيام يسيرة ورد الخبر بعزله عن ولاية مصر وتولية الفضل بن
صالح بن على العباسى عليها فى آخر المحرم سنة ١٦٩هـ^(٤). وكان أمامه قبل كل شئ أن
يقضى على دحية الذى تفاقم خطره وبايعه كثير من الناس حتى كاتبه البعض ودعوه إلى
دخول الفسطاط^(٥).

(١) الكندى ص ١٢٤، أبو المحاسن جـ ٢ ص ٤٩.

(٢) الكندى ص ١٢٦، أبو المحاسن جـ ٢ ص ٥٤ - ٥٥.

(٣) أبو المحاسن جـ ٢ ص ٥٧. (٤) أبو المحاسن جـ ٢ ص ٦٠.

(٥) الكندى ص ١٢٩.

الى منزله لياخذ بركته فلم يفعل . وكان الارخن
الدين مقاره بن ساث [نبات] النبرواي (*) من
كرسى سمود، فلما سمع ما جرى قام ومضى الى
عند عبد العزيز المتولى على المشرق وخاطبه بسبب
الاب البطريك انبا مرقس ، وان الأمم الذين تغلبوا
على اسكندرية نهبوا جميع ماله وترك كرسیه
رجاء [ء] سكن تحت ظل الله وظلك، فان كنت قد
ظفرت بنعمه امامك فاكتب له كتابا باسمك
ليتقوى بامرك ليكون في موضعه امنا.

(*) نبروه: تقع في محافظة كفر
الشيخ عرفت بالفسيح النبرواي
ورد اسمها في قوانين ابن مماتي
وفي تحفة الإرشاد من أعمال
السمودية. أما سمود فكانت
عاصمة للمملكة المصرية في
عهد الأسرة الثلاثين الفرعونية.
واسمها المصري سبترت مكون
من مقطعين «سب» بمعنى
الأرض، و«ترت» بمعنى المقدسة
ثم حرف اسمها سبترت إلى =

أتى الفضل إلى مصر ومعه جيوش من الشام استخدمها في قتال دحية في بويط^(١)، وقد
تقهقر أصحاب دحية أمامه وتوجه بعدها دحية على رأس حامية من جنده إلى الواحات فبعث
إلى أهلها - وكانوا من المسألة^(٢) والبربر الذين يدين بمذهب الخوارج - يدعوهم إلى القيام
معه فأبوا أن يقاتلوا معه حتى يتبين إذا كان يدين بمذهبهم فأجابهم بأنه على مذهبهم فخرجوا
إليه وقاتلوا معه يوم الدير. وقد أرسل إليه الفضل بن صالح جيشا كبيرا بقيادة عبد الله بن
علي فخرج إليه دحية في أهل الواحات فهزم عبد الله بن علي وقتل يومئذ عبد العزيز بن
مروان بن الأصبح، على أن أهل الواحات مالبثوا أن تخلوا عن دحية لإيثاره العرب على المسألة
وتقديمهم على البربر، كما أنه لم يرض بأن يتبرأ من عثمان فتبين لهم أنه على غير مذهب
الخوارج فتركوه وانصرفوا عنه، فلما علم عبد الله بن علي بانصرافهم عنه أتى ثانية لمحاربة
دحية فقتل يومئذ مروان بن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان^(٣). وقد انتهى
الأمر بأسر دحية وأتى به إلى القسطنطينية فحضره الفضل عنقه وصلب جثته وبعث برأسه إلى
الهادي وكان قتله في جمادى الآخرة سنة ١٦٩ هـ^(٤). وكان القضاء على دحية الأموي

(١) بويط بالضم ثم الفتح قرية في مصر الوسطى قريبة من ديروط.

(٢) المسألة لفظ كان يطلق على القبط (خطط المقرئ جـ ١ ص ٥٠) أو من يسلم حديثا من القبط أو
اليهود (خطط جـ ١ ص ١١٠).

(٣) الكندي ص ١٢٩ - ١٣٠

(٤) أبو الحسن جـ ٢ ص ٦٠ - ٦١.

سبنوتس الرومية وسموت
القبطية ثم ممنود حاليا

حينذ [حينئذ] كتب له سجلا عظيما كما
الشمس الرئيس المحب لله، حينذ اخذ ذلك الارخن
نصيب دروتاوس ارخن سخا(*) الذي اوى اليه
الاب القديس سويرس حتى تتيح عنده ، ثم انفذ
رسلا من عنده وسجل [كتاب] الامير الى الأب
البطرك ان ياتي ويقيم في منزله، فقام ابونا البطرك
وصلى وسار الى أن وصل الى نبروه(*) فخرج اليه
ولقيه وكلمن معه من اجل الرياسة ، فلما رأى
الاب سجد له بقوة اماتته وقال : الرب قد صنع

(*) سخا: هي سخوى Skhouy
القبطية قرب برارى شمال الدلتا،
كانت عاصمة للغربية وقت
الايوبيين.

(*) انتقال البطرك إلى مدينة نبروه
بسبب سقوط الاسكندرية في يد
الاندلسيين.

معناه انتهاء أول المحاولات وآخرها من جانب الأمويين في مصر لاسترداد الخلافة. على أنهم
بعد ذلك كانوا أحيانا ينضمون إلى الثائرين على الخلافة العباسية من العلويين وذلك رغبة في
الكيد للدولة العباسية.

وقد ظهرت الدعوة العلوية في مصر منذ عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦ -
١٥٨هـ) ففي أمانة حميد بن قحطبة (١٤٣ - ١٤٤هـ) قدم إلى مصر على بن محمد بن
عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب داعية لأبيه وعمه (١). وقد كان أبوه
محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي المعروف بالنفس الزكية قد دعا إلى نفسه
سرا في خلافة المنصور وتلقب بأمير المؤمنين، وفي سنة ١٤٥هـ ظهر بعد أن اختفى زمنا كان
أشياعه يقيمون له الدعوة حتى كثر أنصاره في خراسان واعترف الناس بإمامته في مكة
والمدينة، ومن ثم أرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته. على أن محمدا كان مصيره
القتل على يد عيسى بن موسى ، فدعا أخوه إبراهيم إلى نفسه وقام لنصرته كثيرون من فقهاء
البصرة وذوى الرأي والجاه. ولكن إبراهيم لقي حظه كأخيه على يد عيسى بن موسى العباسي
أيضا في موقعة باخمرا (٢) وذلك في أول ذى الحجة سنة ١٤٥هـ.

(١) خطط المقرئى جـ ٢ ص ٣٣٨.

(٢) باخمرا. موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة أقرب (ياقوت: معجم البلدان جـ ١ ص ٤٥٨).

معى اليوم رحمة عظيمه اذ جعل ابوتك ان تنزل
بيت عبدك وانا اومن ان مجيك الينا يكون بركه
ومعافاة لانفسنا. ثم مضى معه الى البيعه بالقرا[ة]
امامه كما يجب للبطاركة وجعله فى موضع
يشاكل [يناسب] رياسته وهو موضع اعمره والده
على اسم القديس ابى مقارى بوادى هيب.

ومع جميع ذلك لم يكن يتخلى هذا الاب
القديس عن الاهتمام بالبيع المقدسه باسكندريه

اما ما كان من أمر هذه الدعوة فى مصر فهو أنه لما قدم على بن محمد إليها يدعو لأبيه
وعمه توانى حميد بن قحطبة فى الأمر ولم يجد فى القبض عليه، وبعث إلى أبى جعفر
المنصور يقول إنه أرسل فى طلبه فلم يجده. وكان ذلك سببا فى سخط أبى جعفر المنصور
على الوالى وعزله فى ذى القعدة سنة ١٤٤هـ. ولى مصر بعد ذلك يزيد بن حاتم بن قبيصة
بن المهلب بن أبى صفرة (١٤٤ - ١٥٢هـ) وفى بدء ولايته كانت دعوة بنى الحسن بن على
قد ظهرت فى هذه البلاد وباع كثير من الناس لعلى بن محمد، وكان على هذا أول علوى
قدم مصر. وكاد أمر بنى الحسن أن يتم فى مصر حتى قدمت الخطباء إليها برأس ابراهيم بن
عبد الله بن الحسن فى ذى الحجة سنة ١٤٥هـ فنصبوه فى المسجد الجامع أياما^(١). فخدمت
تلك الحركة كما خدمت فى الحجاز والبصرة بمقتل زعمائها سنة ١٦٠هـ. وأما على بن
محمد النفس الزكية فقد اختلف فى أمره فزعم بعضهم أنه حمل إلى أبى جعفر المنصور وقيل
إنه اختفى بمصر عند عسامة ابن عمرو حتى مرض ومات. وقد حمل عسامة إلى العراق
وحبس زمانا حتى آلت الخلافة إلى المهدي فأمنه على أن يصدق عن على بن محمد فاعترف
بأنه مات فى بيته^(٢) وهكذا انتهت تلك الحركة فى مصر وقد كان يزيد بن حاتم قد منع

(١) الكندى ص ١١١ - ١١٤، خطط المقرئى ج-٢ ص ٣٣٨، أبو المحاسن ج-٢ ص ١ - ٢.

(٢) الكندى ص ١١٥.

والبطركيه، وبيعة الشهيد ابي مينا بمريوط، وايضا
لاجل اتحاد الاعضاء] التي افترقت من بيعة
انطاكيه التي افرقها ابراهيم المطران ومن معه.

وفيما هو مهتم بهذه الامور اخذ الرب الاب
كيرياكوس بانطاكيه وتنيح وجلس بعده انسان
جيد اسمه «ديونوسيوس» فلما جلس المذكور على
الكرسي بدا بمخاطبة ابراهيم [المطران] بخطاب
لين واعاد جماعه ممن كان قد ضل معه فاظهرو

أهلها من الحج بسبب خروج هؤلاء العلويين فلما قتل ابراهيم ابن عبد الله العلوي أذن لهم
في الحج (١).

ويجدر بنا أن نشير إلى أن بعض أفراد البيت الأموي الذين بقوا في مصر كانوا ممن بايع
لعل بن محمد ومن هؤلاء مصعب ومنصور وزيد. أبناء الأصبع بن عبد العزيز بن مروان.
وحدث بعد ذلك أن آوت مصر أحد العلويين الذي استطاع بعد خروجه منها أن يقطع لنفسه
جزءاً من بلاد الدولة العباسية ويكون لنفسه دولة مستقلة، ذلك العلوي هو أدریس بن عبد الله
أخو محمد الملقب بالنفس الزكية. ففي عهد الخليفة الهادي (١٦٩ - ١٧٠ هـ) خرج الحسين
بن علي بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة يدعو إلى نفسه ومنها
سار إلى مكة حيث التقى بجيش العباسيين في فخ (٢) فقتل بعد أن أبلى بلاء شديداً. وكانت
هذه الموقعة من الشدة بحيث قيل لمن تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ. وكان ممن
ناصر الحسين بن علي في حركته هذه يحيى وأدریس ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن
علي وقد هربا قبل هذه الموقعة. أما يحيى فقد ثار في بلاد الديلم في عهد هرون الرشيد
وانتصر له أهل اليمن وغدا أمره من الخطر بحيث هدد سلامة الدولة العباسية وأقلق بال

(١) أبو الحسن جـ ٢ ص ٢.

(٢) فخ بفتح أوله وتشديد ثانيه... وهو واد بمكة (ياقوت معجم البلدان جـ ٣ ص ٨٥٤).

التوبة واعترفوا بضلالتهم . فلما اتصل بابينا
القديس مرقس ذلك فرح جدا واسرع وكتب كتبا
الى الاب ديونوسيوس بطرك انطاكيه باهتمام
بإعادة [الخراف] الضالة اول كتابه هكذا:

مبارك الرب اله المجد الذى لم يزل فى كل حين
مهمتا بقطيعه وبيعته الذين اشتراهم بدمه الطاهر
وعلم فى البدء[ء] ان ابوتك يصير باسمه المقدس
[بركه] كما شهد عن بولس ان هذا يكون لى

الرشيد فأنفذ إليه الفضل البرمكى، فما زال به حتى رضى بالصلح على أن يكتب له الرشيد
أمانا بيده، ولكنه قتله ومداد الأمان لم يجف بعد.

أما إدريس بن عبد الله فقد توجه إلى بلاد المغرب الأقصى وبايعه البربر فى سنة ١٧٢ هـ،
وكون هناك أول دولة للعلويين وهى دولة الإدارة.

مر إدريس بن عبد الله على مصر فى طريقه الى المغرب فى ولاية على ابن سليمان بن على
بن عبد الله العباسى (سنة ١٦٩ هـ - ١٧١ هـ) زمن هرون الرشيد. ويقال إنه لما قدم إلى
مصر علم واليها بمكانه وقابله سرا ولم يفضح أمره حتى توجه إلى المغرب^(١). ويقول أبو
الحساسن^(٢) بأن واضح ابن عبد الله المنصورى الذى كان واليا على مصر زمن المهدي سنة
١٦٢ هـ، وكان على بريد مصر عندما قدم إدريس إليها، وكان يميل إلى العلويين فحمل
إدريس على البريد إلى الغرب. أى أن مصر سهلت الطريق لإدريس بن عبد الله وساعدته فى
خروجه على الدولة العباسية. ولو قبض عليه واليها إذ ذاك أو أخبر عامل البريد بوجوده فى
مصر لما قامت تلك الدولة العلوية فى المغرب بالرغم من أنف هرون الرشيد.

ويظهر أن تعقب العباسيين للعلويين واضطهادهم إياهم قد ألجأهم إلى الفرار إلى الجهات

(١) الكندى ص ١٣١.

(٢) النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٤٠.

انا[ء] منتخبا باسمى امام الملوك والأمم، كذلك
بارادته المقدسه اصطفاك لاسيما فى هذا الزمان
الذى اقتناه وهو التمام كما قال الرسول المغبوط،
وانا اسيل الان ابوتك ان تقدم صلوات ودعا كثير
الى السيد المسيح الرووف الهنا ليهدينا وبيعته لانا
قد افتقرنا جدا، لان باحكامه الغير مفحوصه يتمم
ما قد بدا. وقال ان الامم [المخالفة] دخلو الى ميراثه
ونجسوها كلنا المقدسه وجعلو المدينة العظمى
اسكندريه مثل محرس [سجن] حبس لما جرى من

البعيدة عن مقر الخلافة العباسية ولاسيما ما كان مرتعا خصيبا للمعارضة كبلاد البربر^(١)،
والذى يهمننا أن كثيرا من آل البيت قد أتوا إلى مصر ليكونوا بعيدين عن الاضطهادات
والمضايقات التى نالتهم على أيدي الخلفاء العباسيين. ولاتزال مصر حافلة بقبور آل البيت منذ
ذلك العهد البعيد.

ولم نسمع بان أحدا تعرض للعلويين فى مصر بسوء طوال ذلك العهد إلى أن كان زمن
الخليفة المتوكل على الله العباسى (٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ)، وكان يغيض العلويين، فأرسل كتابا
هو وابنه المنتصر - صاحب اقطاع مصر حينذاك - إلى والى مصر اسحاق بن يحيى (٢٣٥
- ٢٣٦هـ) يأمره بإخراج آل على بن أبى طالب من مصر فأخرجوا من القسطنطينية فى رجب
سنة ٢٣٦هـ إلى العراق وهناك أمروا بالخروج إلى المدينة فى شوال من سنة ٢٣٦هـ^(٢)
ويذكر المقرئى^(٣) أن الذين بقوا فى مصر من العلويين اضطروا إلى الإختفاء.

أصبح العلويون والشيعة فى مصر غير آمنين على أنفسهم من اضطهاد العباسيين منذ عهد

(١) أبو الخاسن ج-٢ ص ٦٨.

(٢) الكندى ص ١٩٨، خطط المقرئى ج-٢ ص ٣٣٩، أبو الخاسن ج-٢ ص ٢٨٣-٢٨٥.

(٣) خطط ج-٢ ٣٣٩.

الحروب فيها بين الامم، حتى ان قتلاها لم يجدو
من يدفنهم واجساد كثير منهم صارت طعاما لطير
السما ووحوش الارض.

وبهذه الأفكار كان يتكلم لأنه مثل ما كتب عن
يروشليم في نواح ارميا النبي لما جرى عليها بعد
قيامه السيد المسيح لاجل ما فعلوه اليهود الكفار
ارسل عليهم طيطس ملك الروم الكافر المجوسى
يفعل فيهم ما هو مشروح في كتاب يوسف ابن

المتوكل. وقد عمل الوالى يزيد بن عبد الله على استئصال شأفتهم فعاقبهم وأبادهم وحمل
منهم جماعة إلى العراق على أقبح وجه^(١).

ولما قتل المتوكل فى شوال سنة ٢٤٧هـ وبويع ابنه المنتصر بالخلافة أرسل إلى يزيد بن عبد
الله بقره على ولايته بمصر^(٢) ثم ورد كتابه إلى يزيد بالأا يقبل^(٣) أحد من العلويين على
ضيعة، ولا يركب فرساً ولا يسافر من القسطنطين إلى طرف من أطرافها، وأن يمنعوا من اتخاذ
العبيد إلا العبد الواحد، وإن كانت بينه وبين أحد من الطالبين خصومة من سائر الناس قبل
قول خصمه فيه ولم يطالب بينه^(٤).

توفى الخليفة المنتصر فى شهر ربيع الأول ٢٤٨هـ وبويع المستعين بالله فى شهر ربيع
الآخر. وفى خلافته علم يزيد بن عبد الله بأن رجلاً يقال له محمد بن على بن على بن
الحسين بن على بن أبى طالب بويع له، فأخذه فاعترف بذلك كما اعترف بمن بايعه، فأخذ

(١) الكندى ص ٢٠٣، خطط المقرئى جـ ٢ ص ٣٣٩، أبو المحاسن جـ ٢ ص ٣٠٩.

(٢) أبو المحاسن جـ ٢ ص ٣١٣.

(٣) قبل وقبل قبالة. ضمن والتزم، قبل المزارع الأرض. جعله يلتزمها بعقد.

(٤) الكندى ص ٢٠٤، المقرئى جـ ٢ ص ٣٣٩.

كروتوس، الذى اهتم وجمع اخبار اليهود فى البيت الثانى، ومن اجل ذلك خرجنا من المدينه لما شاهدناه فيهم لانهم لم يكفرو عن القتل والنهب والحريق وليس من يمنعهم ولذلك اخترنا ان نسكن فى الغربه وندعو الى السيد المسيح الالهنا، واردنا اعلام ابوتك ذلك، ولكن حزن عظيم بسبب الذين افترقو من البيعه بجريرة المسمى «إبراهيم»، ولما اتصل بنا الان ان بعض منهم طلبو التوبة ويعودون من ضلالتهم فرحنا جدا ونسينا الاوجاع

بعضهم فضربوا بالسياط ثم أخرج العلوى فى جمع من آل أبى طالب إلى العراق فى شهر رمضان سنة ٢٤٨هـ (١).

خلع المستعين من الخلافة فى المحرم سنة ٢٥٢هـ وبويع المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥هـ). فاضطربت الأمور فى مصر لاضطراب أمر الخلافة (٢) بسبب تحكم الأتراك فى شئون الدولة. والأتراك كما نعلم كانوا فى البداية من الرقيق الذين اتخذهم الخلفاء العباسيون جنوداً، ثم كثر عددهم وقوى نفوذهم منذ أيام الخليفة المعتصم الذى أكثر من شرائهم، إذ رأى فيهم قوماً أشداء يميلون إلى الحرب، وليس لهم وطن أو مجد قديم يعملون على إحيائه وليست لهم عصبية العرب، وإذا خصهم أحد بمنحه وعطاياه فلا يعرفون رئيساً إلا هو، وقد بلغ من قوة نفوذهم فى عهد المعتصم نفسه أن اضطر إلى مغادرة بغداد حاضرة الخلافة العباسية وبناء حاضرة جديدة له ولجنده الأتراك هى سامرا (٢٢١هـ) ليكون بعيداً عن الجند العربى والفرسى ببغداد (٣). على أن هؤلاء ما لبثوا أن تدخلوا على ممر الزمن فى معامع السياسة، وصاروا يولون ويعزلون من شاءوا من الخلفاء، وأصبح يدهم القوة المدنية والحربية فى الدولة.

(١) الكندى ص ٢٠٣ - ٢٠٤. (٢) أبو الخاسن ج٢ ص ٣١٤.

(٣) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٢٥٦، ياقوت : معجم البلدان ج٣ ص ١٦، ١٧ وابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج٦ ص ٣١٩، الدكتور زكى محمد حسن : الفن الإسلامى فى مصر ج١ ص ٢٤ - ٢٥.

المحيطة بنا لانه اذا كان اتحاد في البيعة المقدسة
وهي تحت السلامه تضاعفت عندنا النعم، والان يا
ابى القديس نحن نعلم رحمة السيد المسيح الالهنا
الذى اتى الى العالم ليس لجل [لأجل] الصالحين
لكن من اجل الخطاه وافتح لهم الان باب التوبه
واهدهم إلى طريق الحق لكي تفرح بعودتهم
طغمت السموات لنهم [لأنهم] اعدو في ابنا[ء]
النور. فلمّا وصلت هذه الكتب الى الاب
ديونوسيوس فرح جدا وجميع شعب سوريه لكثرة

وكان هذا إيذاناً باضطراب الأحوال في الأقاليم المختلفة في الدولة الإسلامية كما كان
فرصة لدوى الأغراض المختلفة للقيام ضد الخلافة العباسية ومن بينهم العلويون. ففي خلافة
المعز ثار في الإسكندرية جابر بن الوليد المدجى في ربيع الآخر سنة ٢٥٢ هـ، واشتد أمره
وقويت شوكته وبسط سلطانه على بلاد كثيرة من الوجه البحرى. وجبى منها الخراج، ولم
يستطع يزيد ابن عبد الله والى مصر إذ ذاك أن يقمع حركته، فأرسل إليه الخليفة نجدة بقيادة
مزاحم بن خاقان الذى قدم من العراق فى عسكر عظيم، (رجب سنة ٢٥٢ هـ) وقد
استطاعت جيوش الخليفة أن تهزم جابراً وتظفر به فى النهاية، لما كتبوا إلى الخليفة بذلك ورد
عليهم الجواب بصرف يزيد بن عبد الله عن إمرة مصر وتولية مزاحم بن خاقان بدلا منه (ربيع
الأول سنة ٢٥٣ هـ^(١)).

والذى يهمنا فى حركة جابر بن الوليد ماكان من انضمام أحد العلويين إلى تلك الحركة،
وهو عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله ابن على بن الحسين بن
على بن أبى طالب، وكان يقال له ابن الأرقط. فلما هزمت جيوش جابر بن الوليد بعد قدوم
مزاحم بن خاقان، أخذ ابن الأرقط وأخرج إلى العراق فى ربيع الأول سنة ٢٥٣ هـ. وفى ولاية

(١) الكندى ص ٣٠٥ - ٢١٠، خطط المقرئى ج ٢ ص ٢٣٩، أبو الخاسن ج ٢ ص ٣١٤.

اهتمامه وصلاحه، اعنى ابانا انبا مرقس، ولذلك
عاد الذين ضلوا فى تلك الايام عند سماعهم
كتبه، الا يسيرا مع إبراهيم الذى هو راس الضلالة
وهم يسمون الان إبراهيميين. وصارت بيعة انطاكيه
بفرح عظيم.

ثم ان الاب ديونوسيوس بطرك انطاكيه كتب
سنوديقا الى الاب انبا مرقس يظهر له اتحاد المحبه
ويشكر محبته واهتمامه فى خلاص كل احد،

أزجور التركى على مصر (ربيع الاخر - رمضان سنة ٢٥٤هـ) خرج أحد العلويين بالصعيد
وهو احمد بن ابراهيم بن عبد الله بن طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم ابن الحسن بن الحسين
بن على وكان يعرف باسم بغا الأكبر^(١). فحاربه أصحاب أزجور ففر ثم مات.

كذلك خرج من العلويين بغا الأصغر واسمه احمد بن محمد بن عبد الله ابن طباطبا فيما
بين الإسكندرية وبرقة فى موضع يقال له الكنائس. وذلك فى شهر جمادى الأولى سنة
٢٥٥هـ ثم سار فى جمع إلى الصعيد حيث هزم على يد أحمد بن طولون وقتل فى الحرب
وأتى برأسه إلى القسطنطينية فى شعبان سنة ٢٥٥هـ^(٢). كذلك ثار بصعيد مصر سنة ٢٥٥هـ
أحد العلويين ويقال له ابن الصوفى العلوى، ودخل إسنا فى سنة ٢٥٥هـ فنهبها وقتل أهلها
فبعث إليه احمد بن طولون جيشاً لقتاله، وانتهى أمر ذلك العلوى بأن ذهب إلى المدينة المنورة
حيث قضى فيها بقية أيامه^(٣).

ومن ذلك نرى كيف تتابعت حركات العلويين فى مصر منذ عهد الخليفة المتوكل العباسى.
فكان اضطهادهم لهم وتضييقه عليهم هو ومن أتى بعده من الخلفاء لم يمنعهم من الخروج

(١) خطط المقرئى جـ ٢ ص ٣٣٩.

(٢) الكندى ص ٢١٢، المقرئى جـ ٢ ص ٣٣٩.

(٣) الكندى ص ٢١٣ - ٢١٤ و Zaky M. Hassan: Les Tulunides. PP. 54 - 56.

ولذلك صار فرح عظيم فى كورة مصر والمشرق
بهذا الاتحاد ومجدو الله.

فلما تمت هذه النعمة لم يصبر الشيطان الذى
هو مقاوم الصلح فى كل حين ومقيم الشرور فبدا
وانزل على بركة وادى هبيب بلال عزيمة، التى
هى مسكن للعرب [فى ذلك الزمان]، وكانت بركة
وادى هبيب مثل فردوس النعيم فنهبوها العرب
واسرو الرهبان وهدمو بيعها والمناشيب [اعنى

علانية بعد أن كانوا يكيدون للخلافة العباسية سرا، عليهم ينالون حظا من السلطان
ويتخلصون من الخلافة العباسية واضطهادها. كما شجعهم على الخروج فى تلك الفترة أيضا
ضعف الخلافة العباسية نفسها وسوء حالة الخلفاء الذين أصبحوا ألعوبة فى يد الأتراك.

ب، أثر النزاع بين الأمين والمأمون فى مصر

قام النزاع بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون بسبب نظام ولاية العهد فقد كان الخليفة هارون
الرشيد قد أخذ البيعة من بعده لابنه الأمين ثم المأمون، على أن يلى الأمين العراق والشام إلى
آخر المغرب ويلى المأمون من همدان إلى المشرق على ألا يكون للأمين سلطان عليه (٣).

لكن الأمين أظهر منذ توليه الخلافة عدم رغبته فى تنفيذ عهد الرشيد (٢)، فخلع المأمون
من ولاية العهد وبايع لابنه موسى، وقامت الحروب لهذا بين الأمين والمأمون منذ سنة ١٩٥ هـ
وانتهت بحصار جيش المأمون بغداد وقتل الأمين فى سنة ١٩٨ (٣) وبذلك انتهت خلافة

.....
(١) الطبرى ج١ ص ٥٣، ٦٩ - ٧٠ و ٧٣، أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج٢ ص ٨١، ١٠٥ - ١٠٦،
١٠٩ - ١١٠.

(٢) الطبرى ج١ ص ١٢٤.

(٣) الطبرى ج١ ص ١٣٠، ١٣٨، ١٣٩، ١٧٠، ١٧٤ - ١٧٥، ١٩٥.

القلالي] وتشتو الشيوخ القديسين في كل موضع
من الارض . فلما نظر الاب انبا مرقس هذا الامر
الصعب افكر القديس معدن المحبة الروحانيه التي
تبع منه المحبة والامانه، لكل احد ولا سيما في
البريه المقدسه التي لا باينا في تلك الامور، فلم
يحتمل هذا الحزن بل كان يسيل [يسأل] الرب
من عمق قلبه ويقول قول داوود في المزمور(*)
«اضطرب قلبي داخلي وفي كلاي اشتعل النار،
عرفني يارب انتهاي لان رجاي قد فني وليس لي

(*) المزمور ٣٩ / ٤ ، ٥ .

محمد الأمين وآلت الخلافة لعبد الله المأمون ولم ينتقل المأمون بعد توليه الخلافة إلى بغداد بل
ظل في مبدأ الأمر في مرو عاصمة خراسان.

كانت خلافة الأمين (١٩٣ - ١٩٨ هـ)، أو بعبارة أخرى فترة النزاع بين الأمين والمأمون ،
عهد فوضى واضطراب في جميع أنحاء الدولة الإسلامية. ولم تنته تلك الفوضى باعتماد
المأمون عرش الخلافة في سنة ١٩٨ هـ، بل ظلت آثارها عدة سنين وحدثت ثورات مختلفة في
أنحاء الدولة، ثورات من جانب العلويين، وأخرى من جانب الأمويين الذين استغلوا ذلك
النزاع حول الخلافة لينالوا هم أيضا حظا من السلطان.

وقد شملت هذه الفوضى مسلمو مصر أيضا، فتحزب فريق للأمين وتحزب فريق آخر
للمأمون، كما ظهرت في تلك الأثناء رغبة بعض الشخصيات في الاستقلال بمصر عن
الخلافة ونجحوا في ذلك إلى حد ما، واستطاع بعض الأندلسيين في تلك الفترة أن يؤسسوا
لهم شبه سلطة مستقلة عن الخلافة بالأسكندرية ، فكانت مصر في تلك الفترة يكاد لا
يربطها شيء بالحكومة المركزية الإسلامية.

لما ولي الأمين الخلافة كان علي ولاية مصر الحسن بن التختاخ^(١) وقد بدأ اضطراب الجند

(١) في النجوم الزاهرة لأبي المحسن ج٢ ص ١٤١ أن اسمه الحسن بن البجراح

مينا سلامه انجوبه». لان قد انقضى افراح كورة
مصر ووادى هبيب الذى هو قدس القديسين صار
خرابا [و] مساكن للسباع الضارية، ومساكن اباى
المباركين الذين رقدو بصلواتهم، وصارت ماوى
للجوم ومغاير تعالب السو هذه الامه النجسه.
وكان أبونا لا يفتر من البكا ليلا نهارا من اجل
الضيق والحزن الموافق [الكثير] وخاصة خراب
الديارات المقدسه وكنائسها . فلما نظر الرب هذه
البلايا والاحزان التى صبر عليها هذا القديس اراد

فى مصر عقب وفاة الرشيد مباشرة ونشب القتال بين الحسن هذا وبين الثائرين عليه، وقتل من
الفريقين جمع غفير قبل أن يسكن الأمر، ثم أخذ بعد ذلك فى جمع الخراج، وكتب إليه
الفضل بن الربيع بأن يرسل الأموال إلى بغداد، ولما مر الرسل الذين كانوا يحملونها بفلسطين
وثب أهل الرملة عليهم وأخذوها منهم^(١). وحسبنا مثل هذا الحادث دليلاً على الفوضى التى
حلت إذ ذاك بالبلاد . وما لبث الخليفة الأمين أن عزل ابن التختاخ عن إمرة مصر (ربيع الأول
سنة ١٩٤هـ) وولى عليها حاتم ابن هرثمة بن أعين، الذى قدم من بغداد على رأس جيش
قوامه ألف من الجنود الفرس، ونزل بلبس. وهناك اتفق معه أهل الخوف على أن يدفعوا ما
عليهم من الخراج، ولكنهم ما لبثوا أن نقضوا ذلك الصلح واجتمعوا لقتال الوالى ، فبعث
حاتم لمحاربتهم جيشاً أفلح فى هزيمتهم^(٢). ثم عزل الأمين حاتم بن هرثمة فى جمادى الآخرة
سنة ١٩٥هـ. ولعل سبب ذلك أن والده هرثمة بن أعين انضم للمأمون ضد الأمين. وولى
الأمين على مصر جابر ابن الأشعث الطائى .

وقد ظهرت الاضطراب فى مصر عندما علم أهلها بخلع الأمين أخاه المأمون من ولاية

(١) الكندى ص ١٤٦ ، أبو المحاسن ج ٢ ص ١٤١ .

(٢) الكندى ص ١٤٧ ، أبو المحاسن ج ٢ ص ١٤٤ .

ان يريحه من نفاق هذا العالم فاخذته حمى اياما قليلا ، فظهر له في منام مرقس الانجيلي في اليوم السابع عشر من شهر برمودة وكان يوم احد الفصح تلك السنة وقال له: افرح يا مرقس خليفتي المأمون، أفرح ايها المجاهد على الحق هو ذا قد وهبك السيد يسوع المسيح هذه الموهبة ان ينقلك الى مساكنه الابديه في يوم قيامته المقدسه، كن مستعدا للقاء، في هذه الليلة تفارق هذا الجسد، وهذه علامة لك أن عند تناولك من



القديس مرقس الانجيلي

العهد. ففكر فريق من الجند في خلع الأمين غضبا للمأمون وتزعيم هذه الحركة السري بن الحكم بن يوسف فبعث إليهم والى مصر لينهاهم عما قاموا من أجله ويخوفهم عواقب الفتن. ولكن السري بن الحكم ظل يدعو الناس إلى خلع الأمين^(١). وقد أتى السري إلى مصر زمن الرشيد إذ كان من جند الليث بن الفضل والى مصر حينئذ (١٨٢ - ١٨٧ هـ). ويقال إنه كان حامل الذكر ولم يرتفع شأنه إلا بقيامة في خلع الأمين^(٢)، وقد شجع السري بن الحكم على القيام بحركته هذه ما بلغه من انتصار طاهر بن الحسين على جيوش الأمين^(٣).

ولم يهمل الخليفة المأمون من جانبه أمر مصر فكتب إلى وجوه القوم فيها يدعوهم إلى القيام بدعوته فأجابوه كلهم سرا، ثم ورد كتاب قائده هرثمة بن أعين إلى عباد بن محمد بن حيان وكان وكيلا على ضياع هرثمة بمصر - يدعوهم إلى الدعوة للمأمون، فجمع الجند في المسجد وقرأ عليهم كتاب هرثمة ودعاهم إلى خلع الأمين فأجابوه نفر عظيم منهم فأعطاهم عباد رزقا يسيرا وبايعوا للمأمون. وكان خلع الأمين بمصر في جمادى الآخرة سنة ١٩٦ هـ.

(١) الكندي ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) الكندي ص ١٤٨.

(٣) أبو الحسن ج ٢ ص ١٥٠.

السراير المقدسه الله يقبل روحك اليه. فلما
استيقظ الاب القديس قال للاساقفه الجلوس عنده
اسرعوا لتمو القديس مجددا لقيامه المسيح ربنا،
فلما نظروه اليا الاساقفه وهو قلق جدا ما أرادوا
مفارقتة، فلما صلب عليهم فعلوا ارادته وقدموا فلما
فرغ القديس جم [جاءوا] اليه بالكاس فتناول
جسد ودم المسيح الالهنا. ثم قال اودعكم
جميعكم للرب. وفتح فاه واسلم الروح.

وثار الجند على الوالى جابر بن الأشعث فأخرجوه من مصر فى رجب من هذه السنة ثم ولى
هذه البلاد عباد بن محمد من قبل المأمون (١).

ولما علم الأمين بخلعه فى مصر وأخرج واليه جابر بن الأشعث كتب إلى ربيعة بن قيس -
وكان زعيم قبيلة قيس بالحواف - يبلغه اختياره إياه والياً على مصر وكتب إلى بعض وجوه
القوم فى مصر يطلب إليهم أن يشدوا أز ربيعة بن قيس، فقام هؤلاء يدعون إلى خلع المأمون
وساروا إلى الفسطاط لمحاربة عباد، إلا أن عباد سرعان ما حفر خندقاً حول الفسطاط للدفاع
عنها فسار ربيعة بن قيس إلى الخندق فى آخر ربيع الآخر سنة ١٩٧ هـ ووقعت الحرب بين
الطرفين عند الخندق عدة أشهر دون أن يتصر أحدهما، فرأى عباد أن يحاربهم فى الحواف
فأرسل إليهم جيشاً بقيادة عبد العزيز ابن الوزير الجروى فى ذى القعدة سنة ١٩٧ هـ فانهزم
الجروى ومضى فى قومه من غم وجذام فاقوس (٢). وهناك حرضه قومه على أن يدعو لنفسه
وقالوا له: «لم لا تدعو لنفسك فما أنت بدون هؤلاء الذين غلبوا على الأرض؟». فصادف ذلك
هوى فى نفس الجروى وذهب إلى بلبس ومن هناك بعث عماله لجباية الخراج من مصر

(١) الكندى ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٢) الكندى ص ١٤٩ - ١٥١.

يا لعظم ذلك الحزن الذى نال جميع
الارتدكسين فاجتمعوا اليه وقراءوا عليه كما
يجب وكفنوه وجعلوه فى تابوت خشب فى بيعة
نبروه الى زمان اراد الله ان ينقله الى مدينة
اسكندرية . والذى اقام على الكرسي عشرون سنة
وسبعون يوما، وكان نياحته فى الثانى والعشرين
من برمودة، [سنة] خمس مائه [و] خمس وتلتين
للسهدا وهو ماسك البيعة المقدسه وكتب فى ايامه

السفلى . وهكذا نرى أن النزاع فى مصر لأجل الأمين أو المأمون بدأ يتطور إلى نزاع للاستثمار
بالسلطة دون الخلافة.

وكانت آخر مرة سار فيها أهل الحوف إلى الفسطاط لمحاربة عباد فى الحرم سنة ١٩٨ هـ
فعقد عباد السرى بن الحكم لمحاربتهم فاقتتل الفريقان، وفى تلك الأثناء وصل إلى مصر خبر
مقتل الأمين فى الحرم وبيعة المأمون فتفرق أهل الحوف، ثم عزل المأمون عبادا فى صفر سنة
١٩٨ وولى المطلب ابن عبد الله الخزاعى^(١).

ساد الاضطراب فى مصر كما رأينا زمن الخليفة الأمين ولم ينته ذلك الاضطراب بمقتله
وتولية أخيه المأمون الخلافة، بل تطور الأمر فى هذه البلاد إلى نزاع بين بعض القواد للاستثمار
بالسلطة فيها والاستقلال بأمورها عن الخلافة، فكان على المأمون أن يبذل جهدا خاصا لإعادة
مصر إلى سلطانه والقضاء على الفتن فيها.

ومما يدل على اضطراب الحالة فى مصر حينئذ أن أعمال الشرطة فيها وليها خمسة رجال
على التوالى فى بضعة أسابيع^(٢). وقد عزل المأمون المطلب ابن عبد الله عن ولاية مصر فى

(١) الكندى ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) أبو المحاسن ج ٢ ص ١٥٧ .

احدا وعشرين مصطاغوجيا وعشرين ارطستيكيًا ،
وسكن مع القديسين في كورة الاحيا والمجد للاب
الابن والروح القدس الى الابد امين .

ابا يعقوب(*) البطرك

وهو من العدد الخمسون

(*) اسمه قبل البطركية يوسف
ويكنى أبا يعقوب كما يرد اسمه
يوساب .

[٨١٩ / ٨٣٠م]

كان قبل نياحة الاب القديس انبا مرقس كانت
البريه المقدسه بوادي هبيب خرابا، التي ذاق خرابها

شوال سنة ١٩٨ هـ بعد أن وليها سبعة أشهر ونصف، وولى مكانه العباس بن موسى، وقد
أرسل العباس ابنه عبد الله إلى مصر خليفة له ريثما يحضر هو، فقدم عبد الله إلى مصر في
شوال من هذه السنة، وكان أول ما فعله هو القبض على المطلب بن عبد الله وزجه في
السجن. وقد اشتد عبد الله فثار الجند عليه وقتلوه غير مرة، حتى هزموه في النهاية وأخرجوه
من مصر، ثم قصدوا المطلب بن عبد الله حيث أخرجوه من حبسه وولوه عليهم في المحرم سنة
١٩٩ هـ (١).

حدث كل ذلك ووالى مصر نفسه العباس بن موسى لم يحضر إليها فلما علم بما حدث
لابنه عبد الله قدم من مكة إلى الحوف فنزل بلبس ولم يلبث إلا قليلا حتى توفي وذلك في
جمادى الآخرة سنة ١٩٩. ومن هذا نرى أن الوالى الذى عينه الخليفة، لم يستطع دخول
الحاضرة كما لم يستطع الوقوف وجها لوجه أمام الوالى الذى انتخبه الجند، ومن هذا ندرك
أيضا كيف تلاشت سلطة الخليفة على ولاية مصر تقريبا.

بعد موت العباس، كاتب المطلب أهل الحوف فبايعوه، فولى على الوجه البحرى يزيد بن

(١) الكندى ص ١٥٣ - ١٥٤، أبو الخاسن ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢.

الاب المذكور حتى انه سال الرب فى نقله من
هذا العالم والا يقيه للحزن الذى ناله على تلك
المواضع لما نالها من العرب الخالفين وكسوتهم
ملكوها وطردوا اباينا القديسين الذين كانوا فيها،
وقتلوا منهم جماعة واحرقوا البيع والمناشيب، واعنى
القلالى، بالنار، ولاجل ما نالهم من القتل تفرقوا
الرهبان فى المدن والقرى والديارات باعمال مصر
والصعيدين ولم يبق فيها منهم الا نفر يسير ممن
اختار الموت ليفدى نفس اخوته بنفسه فورث الحياة

خطاب الكلبى، وبعد ذلك بعث المطلب إلى الجروى بولايته على تنيس وأمره بالشخص إلى
الفسطاط^(١) ويظهر أن المطلب أراد بذلك أن يخدع الجروى ويوقع به لأنه عرف رغبته فى
الاستقلال وطمعه فى ولاية مصر، فالمسألة لم تعد تتصل بالحكومة المركزية فى بغداد، وإنما
أصبحت مصر وسط هذه الفوضى غنيمة لمن غلب، قالوا لى الذى عينه الجند يرى أن طاعته
واجبة على أهل مصر، والجروى لا يرى نفسه أقل من الوالى كفاية. وبعد قليل نرى السرى
أيضا ينضم إلى زمرة الظالمين فى مصر ويحاول أن يؤسس له ملكا وراثيا فيها، كل هذا
يحدث واخليفة المأمون مشغول بالقضاء على الثورات المختلفة التى قامت فى أنحاء الدولة
الإسلامية.

لم يذهب الجروى إلى الفسطاط كما أمره المطلب، وإزاء هذا بعث المطلب بوال على تنيس
ولكن الجروى أخرجه منها، فبعث إليه السرى ابن الحكم فى جمع من الجند يسألونه الصلح
فأجابهم إليه، إلا أنه أراد الغدر بهم ففطنوا إلى ذلك وحاربوه، ثم عاد فدعاهم إلى الصلح
واستطاع أن يقبض على السرى خدعة ويأسره ثم مضى به إلى تنيس حيث سجنه بها
(جمادى الأولى سنة ١٩٩ هـ) ويظهر أن بلادا عدة فى شرقى الدلتا دخلت فى حوزة الجروى
إذ ذاك وزادت قوته نتيجة لذلك بدليل تحديه قوة الوالى. فبعد أن سجن السرى بن الحكم،

(١) الكندى ص ١٥٦.

الابديه بصبره. وحفظهم الرب فلم يرجع احد
يوديعهم ولا يضرهم.

وكان فى ذلك الزمان فى دير ابينا ابى مقار قس
مضى الافعال اسمه يعقوب ، هذا لما بدا خراب
الديارات خرج منها ومضى الى دير فى الصعيد
ليتعبده فيه منتظرا زمانا يعود فيه الى الجبل المقدس
ميزان القلوب وادى هيب، والرب محب البشر
العارف السراير الخفيه التى يظهرها لقديسيه فى

ذهب لمقاتلة يزيد بن الخطاب، عامل المطلب على الوجه البحرى، واستطاع الجروى أن يهزمه
فأرسل إليه المطلب جيشا لمحاربه بقيادة ابن عبد الغفار الجمحى ولكن الجروى هزم ذلك الجيش
وأسر ابن عبد الغفار وذلك فى أول رجب سنة ١٩٩هـ (١).

عزم المطلب إزاء هذا على أن يوجه كل قوته للقضاء على الجروى فلما علم الجروى بذلك
أخرج السرى من سجنه وعاهده على أن يطلق سراحه ويذكر للمصريين أن كتاباً ورد من
الخليفة بولايته على مصر، على شرط أن يقوم السرى بمحاربة المطلب، فعاهده السرى على
ذلك. وعند ذلك أطلقه الجروى وأعلن ولايته إلى الجند، فبايعه الجند من أهل خراسان وامتنع
الجند العرب وقد وقعت حروب بين السرى وبين المطلب انتهت بأن طلب المطلب الأمان من
السرى على أن يسلم إليه الأمر ويخرج من مصر. فأمنه السرى وخرج المطلب إلى مكة فى
رمضان سنة ٢٠٠.

وعقب ذلك ولى السرى بن الحكم مصر بإجماع الجند فى مستهل شهر رمضان سنة
٢٠٠هـ (٢). وقد أدرك المعاصرون من المصريين أن الذين ولوا مصر إذ ذاك كانوا خارجين على
الخليفة، فيذكر ساويرس (٣) نقلاً عن الوثائق المعاصرة له: واستطال الثوار على مصر وجميع

(٢) الكندى ص ١٥٩ - ١٦١.

(١) الكندى ص ١٥٧.

(٣) تاريخ البطارقة ص ٦٨٠ ج ٢.

كل زمان ويفعل ارادته فيهم صنع امرا عجيبا في
هذا الانسان المذكور القس يعقوب القديس وهو انه
استحق ان ينظر جليان النور، لأنه كان في الموضع
الذى كان فيه يصلى كما جرت عادته فنظر امورا
عجيبه، وذلك ان السيده الطاهره ام النور ظهرت
له قائمه عند راسه ليلا وعليها تاج عظيم تنير بنور
عظيم جدا ومعها ملاكان وقالت له ملكة

(*) ملكة الحق، اسم آخر للست مريم لأنها تمثل الحق والعدل =
الحق (*) : يا ولدى يعقوب ما الذى فعلت معك من
الشر انا التى ربيتك من صغرك وحفظتك الى الان

اعمالها بحكم اضطراب مملكة بغداد، وخرجوا الخوارج على المملكة بمصر، وجبوا الخراج
لنفوسهم، وكان من جملتهم رجل يسمى عبدالعزیز الجروى أخذ من شطانوف إلى الفرما
وشرقية مصر بلبيس واعمالها، ورجل اسمه السرى بن الحكم أخذ من مصر (الفسطاط) إلى
اسوان، واستوليا على الخراج، وقوم يسمون غما وجذاما القبيلتين أخذوا غربى مصر واعمال
اسكندريه ومربوط وملكو البحيرة جميعها.

هكذا قسمت مصر بين الخارجين على الخلافة كما يذكر ساويرس، فالجروى كما رأينا
سابقا كان صاحب السلطة الفعلية فى شرقى الدلتا، كما كان صاحب الفضل فى تولية
السرى بن الحكم على مصر ليتخلص بذلك من المطلب بن عبد الله، إلا أنه لكى يتخلص
من المطلب، أوجد له منافسا آخر فى شخص السرى، الذى سرعان ما طمع فى أن يكون
صاحب السلطة الفعلية فى مصر كلها، فبعد أن كان الجروى والسرى يحاربان لأجل الخليفة
المأمون، أصبح كل منهما يحارب الآخر، وهذا أدى إلى النزاع بين الجروى والسرى نزاعا
متواصلا فى السنين التالية، بل إن هذا النزاع استمر بين أولادهما بعد وفاة الاثنين.

أما منطقة غربى الدلتا، ونعنى منطقة الاسكندرية بوجه خاص، فقد خرجت عن سلطة
والى مصر منذ ولاية عباد بن محمد بن حيان (١٩٦ - ١٩٨هـ) إذ تغلب بهلول اللخمى
على الاسكندرية فى ولايته. فلما ولى المطلب بن عبد الله مصر من قبل المأمون سنة ١٩٨هـ

لما اصطفاك ولدى الحبيب من وقت كنت فى بطن
امك ليقيمك على يته فمضيت الان عنى، لاتفعل
هكذا لكن قم وعد الى المكان الذى خرجت منه
لانك انت تكون ريسا على شعب عظيم وهم
المصطفون الى مكان الراحة قريبا غير بعيد. فلحقه
خوف عظيم ولم يكن ذا قلين، ولا شاك فى المنام
الذى شاهده بل نهض مسرعا وعاد الى البريه
المقدسه ميزان القلوب، فلما وصل اليها اراد الرب
أن يطيب قلبه اظهر له الاب الروحاني ابا مقار

وهى حتى اليوم ومن قبلها
«ماعت» رمزاً للعدالة فى جميع
أنحاء العالم. ومن هنا نعرف لماذا
سمى وادى هيب بميزان القلوب
«شبهات»، فقد كانت ستا مريم
سيدة هذا الودى.

ولى على الاسكندرية، حديج بن عبدالواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج،
فثار ضده بنو مدليج بالاسكندرية، فبعث إليهم المطلب بأخيه هرون فانهمز هرون أمامهم^(١).

ولما ولى المطلب بن عبد الله ولايته الثانية على مصر بإجماع الجند (سنة ١٩٩ هـ -
٢٠٠ هـ) ولى على الاسكندرية محمد بن هيرة ابن هاشم بن حديج، فاستخلف محمد هذا
عمر بن عبد الملك بن محمد ابن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج الذى يعرف باسم عمر
بن هلال^(٢) فوليها عمر بن هلال ثلاثة أشهر ثم عزله المطلب وولى عليها أخاه الفضل ابن
عبد الله^(٣).

فى تلك الأثناء كانت مراكب الأندلسيين قد رست عند الاسكندرية وكثيراً ما كان
الأندلسيون يأتون إلى الاسكندرية فيتبادلون التجارة مع الناس، ولكن ولاية مصر كانوا لا
يسمحون لهم بالدخول فيها^(٤). أما فى هذه المرة فإن أهل الأندلس لم يأتوا للتجارة وإنما
خرجوا من وطنهم مطرودين وذلك فى عهد ملكهم الحكم بن هشام الأموى على أثر وقعة

(١) الكندى ص ١٥٣.

(٢) يذكر الكندى أنه عرف باسم عمر بن هلال ويذكر المقرئى فى المخطوط ١ ص ١٧٢ أنه عرف باسم
عمر بن ملاك.

(٣) الكندى ص ١٥٧، مخطوط المقرئى ج ١ ص ١٧٢.

(٤) الكندى ص ١٥٨، مخطوط المقرئى ج ١ ص ١٧٢.

وقال له: نعم مجيك الى هاهنا ايها المامون عند
الرب. انظر، لا تكن ذا قلبين ولا تشك في المنام
الذى رايت له [لأن] بك يجتمعون اولادى الى
مواضعهم التى بددهم منها الشيطان.

فأقام فى وسط من بقى من الرهبان يعزيهم
ويسليهم يوما بعد يوم. ولما نظر المنام زاد فى نسكه
واعماله الحسنه حتى شاهد امور عجيبه عظيمه
علويه، وكان كلمن يشاهد النور الذى هو حايط
به يعلم ان الله قد اصطفاه.

الريض بقرطبة فى رمضان سنة ١٩٨ هـ^(١). فرسا فريق منهم بالقرب من الاسكندرية وكان
عددهم حوالى ١٥٠٠٠ شخص إذ استثينا النساء والأطفال^(٢).

لما عزل عمر بن هلال، كتب إليه عبد العزيز الجروى يأمره بالدعاء له فيها وبإخراج واليها
من قبل المطلب فلم يجد عمر بن هلال بدا من استدعاء هؤلاء القرطبيين [الاندلسيين]
ليساعدوه فى ذلك وسرعان ما لبوا طلبه واستطاع أن يخرج واليها - الفضل بن عبد الله -
ويدعو للجروى بالاسكندرية. إلا أن أهل الاسكندرية ثاروا ضد الأندلسيين وأخرجوهم من
الاسكندرية إلى مراكبهم بعد أن قتلوا منهم نفرا، وأقاموا عليهم الفضل ثانيا^(٣).

ثم عزل المطلب أخاه الفضل عن الاسكندرية وولى عليها إسحاق بن أبرهه ابن الصباح
فسار إليه عمر بن هلال فى شهر رمضان سنة ١٩٩ هـ، فعزله المطلب وولاها أبا بكر^(٤) بن
جنادة بن عيسى المعافرى^(٥) ولما انتصر السرى ابن الحكم على المطلب وولى مصر فى

(١) ابن الأثير ج٦ ص ٢٠٩ - ٢١٠ وأبو الخاسن ج٢ ص ١٥٨. Dozy: Histoire des Musulmans
d' Espagne, t. I, PP. 296 - 300.

(2) Dozy: op. Cit, p. 300.

(٣) الكندى ص ١٥٨، خطط المقرئى ج١ ص ١٧٢.

(٤) فى خطط المقرئى (ج١ ص ١٧٣) يقول إن اسمه أبو ذكر بن جنادة.

(٥) الكندى ص ١٥٨، خطط المقرئى ج١ ص ١٧٣.

ثم اظهر الله امرا عجيبا له فيما هو قائم يصلى
للرب بالليل، ويجعل بقية ليله فى عمل يديه
كعاداته، لحقه خوف ورعب وبكى جدا فقال له من
كان معه : ما الذى حل بك يا ابنى القديس ؟ ما
أنت نايم. فقال لهم يا اولادى افكارى اختطفت
الى فوق وسمعت امرا لاجل ابينا القديس انبا
مرقس ان يقيم على البطركية اربعين سنة، ثم بعد
ذلك سمعت امرا اخر من عند الرب بان ينبح
ابانا البطرك فى هذه السنة ولجل ذلك بكيت

رمضان سنة ٢٠٠ هـ بإجماع الجند، وسار عمر بن هلال إلى أبى بكر بن جنادة وأخرجه من
الاسكندرية ودعا للجروى بها، وكان الجروى والسرى إذ ذاك متسالمين، فلما علم الأندلسيون
بولاية ابن هلال على الاسكندرية قدموا إليه، إلا أنه لم يعاملهم فى تلك المرة كما عاملهم
أولا إذ بلغه عنهم بعض الفساد فأمر بإخراجهم من الاسكندرية إلى مراكبهم^(١).

حقد الأندلسيون على ابن هلال، وظهر فى الاسكندرية فى ذلك الوقت طائفة تعرف
بالصوفية^(٢) «يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» فيما زعموا، ويعارضون السلطان فى أمره
واتخذوا رئيسا لهم رجلا منهم يقال له أبو عبد الرحمن الصوفى، وقد اتحد الأندلسيون مع
هؤلاء الصوفية كما تقووا بقبيلة غم وكانت أقوى من فى ناحية الاسكندرية، ثم ساروا إلى
عمر بن هلال ليشاروا لأنفسهم منه فحاصروه وانتهى الأمر بقتله فى ذى القعدة سنة
٢٠٠ هـ^(٣). وعقب مقتل ابن هلال انقلبت صداقة الأندلسيين واللخميين إلى عداوة ووقعت
الحرب بينهم. ولما رأى أهل الأسكندرية ما حدث بين الفريقين جردوا سيوفهم وقتلوا من

(١) الكندى ص ١٦١ - ١٦٢، المقرئى جـ ١ ص ١٧٣.

(٢) يذكر آدم متز فى كتابه الحضارة الإسلامية جـ ٢ ص ١٤ أن أول ظهور الطوائف الصوفية حوالى
عام ٢٠٠ هـ وذلك فى مصر مهد الرهبنة المسيحية أما الصوفية ذاتها كمذهب فقديم فى مصر قدم
الديانة الاوزيرية.

(٣) الكندى ص ١٦٢، المقرئى ص ١٧٣.

بحرقه قلب فسألت الرب ان يصطفى من يجلسه
على هذا الكرسي باستحقاق، ثم سكت.

ولم يمض بعد نظره الرويا الا زمان يسير حتى
بدا الاب مرقس القديس ان يمرض مرض وفاته،
كما شرحنا انه سال الرب ان ينقله اليه، وكان
عنده ابا[ء] اساقفه فسألوه بتضرع قايلين : يا ابانا
المغبوط نسألك ان تقول لنا ما اظهره الرب لك،
من يستحق ان يجلس بعدك على الكرسي

الأندلسيين نحو ثمانين نفسا، فلما علم الأندلسيون بذلك بعد انتصارهم على اللخميين خرجوا
لقتل كل من لاقوة من أهل الاسكندرية، مسلمين كانوا أو نصارى أو يهود وأحرقوا كل
موضع عشروا فيه على أحد من أصحابهم المقتولين^(١).

أصبح الأندلسيون أصحاب السلطة الفعلية في الاسكندرية منذ انتصارهم على عمر بن
هلال وتأكد سلطانهم عندما هزموا اللخميين وملكوا الإسكندرية عنوة في ذى الحجة سنة
٢٠٠هـ^(٢) فولوا عليها أبا عبد الرحمن الصوفى، إلا أن الأحوال في الاسكندرية اضطربت
في عهده وعم القتل والنهب فيها فعزله الأندلسيون عنها وولوا عليها رجلا منهم يعرف
بالكنانى^(٣).

وهكذا نرى أن الاسكندرية أصبحت شبه دولة مستقلة للأندلسيين، وأصبحت مصر بمثابة
قطائع مقسمة بين أفراد أو جماعات مختلفة، كل منها مستقلة عن الأخرى وهى كلها مستقلة
عن الخلافة.

بلغ الجروى مقتل ابن هلال وما فعله الأندلسيون بالاسكندرية فسار إليها في خمسين ألفا

(١) ساويرس: تاريخ البطارقة - ص ٦٨٢ وما بعدها .

(٢) الكندى ص ١٦٣ .

(٣) الكندى ص ١٦٣ - ١٦٤ . خطط المقرئى جـ ١ ص ١٧٣ .

الإنجيلي؟. ولم يكن الاب القديس يظهر للاساقفة ولا يوجد هم انه يعرف شيا من هذا بل قال لهم :
قد اوقد الرب المصباح وجعله على المنارة ليضي
على ساير من في بيته الذى هو البيعه. فوقف احد
الاساقفة ممن كان فيه امانة قويه في الاب البطرك
وبدا ان يساله ويقسم عليه باسم الرب والكرسى
المقدس ان يقول له من الذى اصطفاه الرب
للجلوس بعده على الكرسى . فاجاب بصوت
خفى [خفيض] وقال : للاسقف يعقوب القديس

وحاصرها وكاد يفتحها فى المحرم سنة ٢٠١ هـ ولكن السرى خشى ازدياد نفوذ الجروى فبعث عمرو بن وهب الخزاعى على رأس جيش إلى مقره فى تيس، فترك الجروى حصار الاسكندرية ورجع إلى تيس حيث أخرج جيش السرى منها. ومن ثم تطورت المنافسة الخفية بين الجروى والسرى إلى نزاع علنى بينهما.

وربما خشى الاندلسيون على مصيرهم قرأوا أن يتقروا بانضمامهم إلى الوالى، لذلك نراهم يدعون فى الاسكندرية للسرى بن الحكم سنة ٢٠١ هـ^(١) على أن السرى ما لبث أن اختلف مع آل عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدى، وكانوا وجوه أهل خراسان بمصر، فبايعهم الجند على القيام ضد السرى وأظهروا كتابا من طاهر بن الحسين (قائد المأمون) بولاية سليمان بن غالب ابن جبريل البجلي على مصر، فلم يكن من السرى إلا الرضوخ لهم وذلك فى ربيع الأول سنة ٢٠١ هـ فكانت ولاية السرى فى هذه المدة ستة أشهر^(٢).

أمر سليمان بن غالب السرى بن الحكم بترك العاصمة والذهاب إلى اخميم . على أن السرى ما لبث أن تقوى ثانية بانضمام بنى مدلج وكثير من الناس إليه . فسار بهم يريد الفسطاط، ولما علم سليمان بن غالب بذلك أرسل إليه جيشا لمحاربه قبل أن يصل إليها فدارت الدائرة على السرى وأسر هو وابنه ميمون ، فأمر سليمان بردهما ثانية إلى اخميم وسجنهما

(١) الكندى ص ١٦٥.

(٢) الكندى ص ١٦٥.

الذى من بيعه اينما القديس ابي مقار هو الرجل
المزين بافعاله . وتقدم الى الاسقف ان لا يعلم
احدا بهذا واقسم عليه بالبيعه على ذلك حتى
ينظرو مجد الله يتم فيه .

ثم تنيح الاب القديس كما ذكرنا انفا . فيا لهذا
المجد العظيم الذى لكبرى القديس ماري مرقس
الانجيلي ولكلمن يجلس عليه لانه بنعمه روح
القدس البار يصطفى ويختار بحلولة على كل

وذلك فى جمادى الأولى سنة ٢٠١ هـ (١)، ولا نعرف لماذا لم يقتل سليمان بن غالب السرى
بعد أن ظهر به، وربما دعاه إلى هذا التصرف خوفا من أتباع السرى ومن ثورتهم ضده، وما
لبث أهل خراسان بمصر أن قاموا ضد سليمان بن غالب وذلك لتقديمه أتباعه وبطانته عليهم،
وانتهى الأمر بأن خلعه الجند من ولاية مصر فى شعبان من سنة ٢٠١ هـ ثم لحق سليمان
بالجورى (٢). بعد عزل سليمان، ولى السرى بن الحكم مصر للمرة الثانية على أنه فى هذه
المرة لم يتولاها كالمرّة الأولى بمبايعة الجند له وإنما وليها بأمر من الخليفة المأمون (٣) ويظهر أن
اضطراب الحال فى الدولة الإسلامية دعا المأمون إلى التسليم بالأمر الواقع فى مصر ريثما تهدأ
الأمر فولى السرى الذى كان له أتباع كثيرون إذ ذاك.

وحدث فى سنة ٢٠١ هـ أن بايع المأمون لولاية عهده عليا الرضا بن موسى الكاظم بن
جعفر الصادق وسماه الرضا من آل محمد ، وأمر جنده بطرح السواد شعار العباسيين ولبس
ثياب الخضره شعار العلويين، وكتب بذلك إلى جميع الآفاق.

وقد ظن أهل بغداد أن هذا من عمل الفضل بن سهل الذى كان يدبر أمور المأمون فى
مرو. والفرس كما نعلم كانوا يميلون إلى العلويين. ولذا نجد أهل بغداد يبايعون بالخلافة

(٢) الكندى ص ١٦٦ - ١٦٧.

(١) الكندى ص ١٦٦.

(٣) الكندى ص ١٦٧.

واحد منهم، كما قال الرب لتلاميذه ورسله: هو ذا
انا معكم كل الايام والى انقضا العالم.

وانا اشرح لكم يسيرا من اعمال يعقوب
القديس القس فى رهبنته قبل ان يجعلونه قسا،
ومن قبل ان يجلس على الكرسي، غير انى اعرف
عجزى وانى لا ابلغ شيا من عظم افعاله ومجد
الثالوث الحايط به ولذلك اختصر فى الكلام. فاما
بداية وسمه وما صبر عليه فهو ربح وبركه لجميع
الارتدكسين.

ابراهيم بن المهدي عم المأمون فى سنة ٢٠١ هـ ويخلعون المأمون . واضطربت الأحوال فى
بغداد، ولم يعلم المأمون بذلك إذ كتب الفضل بن سهل هذه الأخبار عنه ويقال إن الذى أعلمه
بهذه الأمور عليا الرضا بل إنه أشار عليه بالرجوع إلى بغداد لتهدأ الحالة وليضبط الأمور بنفسه،
فسار المأمون إليها وفى طريقه إلى هناك مات الفضل بن سهل سنة ٢٠٢ هـ ثم مات على
الرضا فى طوس سنة ٢٠٣ . وأخيراً دخل المأمون بغداد فى سنة ٢٠٤ هـ واختفى ابراهيم بن
المهدي، واستطاع المأمون بعد دخوله بغداد أن يقبض على ناصية الحال ويقضى على
الاضطرابات التى سادت فيها بعد أن تخلص من النفوذ الفارسى ومن النفوذ العلوى، وقد
استعطفه ابراهيم بن المهدي فصصح عنه.

أما فى مصر فإن أمورها فى تلك الفترة كانت تسير دائما متأثرة بما يجرى فى الخلافة
فينعكس عليها ما يحدث هناك واضحا جليا. لذا نرى الخليفة المأمون يكتب إلى السرى بن
الحكم يأمره بالبيعة فيها لولى عهده علي الرضا فى الحرم سنة ٢٠٢ هـ فبيع له بها، على أن
المسلمين المصريين أنقسموا على أنفسهم كما حدث فى بغداد وسائر الدولة الإسلامية، إذ
كتب ابراهيم بن المهدي إلى وجوه الجند بمصر يأمرهم بخلق المأمون وولى عهده، والثورة
ضد السرى، وكان من السهل أن يلقى ابراهيم بن المهدي أنصارا له بمصر، لاحبا فى خلافته
وانما طمعا من بعض الزعماء فى السلطان أو لتذمرهم من ولاية السرى أو غير ذلك من

لما تنيح ابونا البطرك انبا مرقس حزنت البيعه
عليه حزنا عظيما وجميع الشعب وخاصة المدينة
المحبة لله اسكندرية لعدمهم نظر ابيهم ومن غيبته
عنهم، وبعد ايام زال الحرب والقتال من اسكندرية
ومصر وجميع قبائل الاندلسيين(*) واللخمين
والمداجنة. وبدوا يتهللون ويصلون الى الله في ان
يذكر بيعته التي اشتراها بدمه ويظهر لهم راعيهم
الذي رعاهم ويعزيهم في قلقهم، فاجتمع الابرار
الاساقفة والشعب المحب للمسيح وطلبوا من

(*) كان الاندلسيون قد خرجوا من
الاسكندرية منذ عام ٨٢٧ م =
٢١٢ هـ ورحلوا إلى جزيرة
كريت وأقريطش، واحتلوها
وجعلوها مركزاً لأعمال القرصنة
في البحر المتوسط.

الأغراض المختلفة التي كانوا يسترونها وراء قيامهم بالدعوة لأحد الخلفاء أو لأحد الخارجين على
الخليفة. فقام بالدعوة لإبراهيم في مصر الحارث بن زرعة بن قحزم بالفسطاط، وعبد العزيز
ابن الوزير الجروى بالدلتا وسلامة ابن عبد الملك الأزدي الطحاوي بالصعيد، وسليمان بن
غالب بن جبريل الذي كان منضما إلى الجروى. وعقدوا الولاية لعبد العزيز بن عبد الرحمن
الأزدي، على أن السرى حاربه حتى ظفربه، وقتله في صفر سنة ٢٠٢ هـ^(١) وانضم بعد ذلك
كل من كره بيعته على الرضا إلى الجروى لعظم سلطانه إذ ذاك، فسار الجروى إلى الإسكندرية
للمرة الثانية لمحاربة الاندلسيين بها فحاصرها وانتهى الأمر بأن اصطالح الاندلسيون على فتح
حصن الإسكندرية والدعوة للجروى بها. ثم دعى للجروى بالصعيد أيضا.

وعندما علم الجند بموت على الرضا وانخداع إبراهيم بن المهدي أظهروا بيعته المأمون
والدعوة إليه، وقد ورد كتاب المأمون إلى السرى بذلك وبغسل المتابر التي دعى عليها لعلى
الرضا فغسلت^(٢). وانتهاز الاندلسيون أيضا هذه الفرصة فأخرجوا عامل الجروى بالإسكندرية
منها وأغلقوا الحصن دونه وخلعوا الجروى ودعوا إلى السرى بن الحكم، فسار إليهم الجروى
في رمضان سنة ٢٠٣ هـ. على أن القبط بسخا ثاروا ضده وانضم إليهم بنو مدلج فهزمهم

(١) الكندي ص ١٦٨.

(٢) الكندي ص ١٧٠.

يستحق هذه الرتبة وذكر جماعه وفيهم المضي [ء]
يعقوب القس، وكان هذا تدير من الله، وجعل
اسمه في فهم لانه المستحق لهذه الرياسة، فذكر
الاسقف المغبوط الذي كان قال له الاب البطرك
مرقس المتبحر من اجل العمود المضي [ء] يعقوب،
فاعلم السر لجماعة الاساقفة فصرخو بصوت
واحد: يستحق يستحق الذي افعاله مثل افعال
الملايكه وهو الارضى وهو سماوى فاسرعو وجاؤوا
[جاؤوا] الى البريه الى بيعة القديس ابي مقار

الجرورى وهرب بنو مدلج ثم بعث الجرورى بجيوش الى الاسكندرية لمحاصرتها (١). وربما دعا
القبط الى الثورة ضد الجرورى ما اتاه من افعال؛ إذ يذكر ساويرس (٢) أن الجرورى ما كان يفتن
من قتل الناس وأخذ أموالهم وكان يدفن في الأرض ما يأخذه من أموال، وإذا دفن المال يقتل
الذين ساعدوه على دفنه كي لا ييحبوا بسره. وكذلك جمع الجرورى قمح أرض مصر جميعاً
ووضعه في الأهراء تحت تصرفه، حتى ندر القمح وعز وجوده، فحدثت مجاعة كبيرة بسبب
ذلك ولا سيما بالإسكندرية، وكان يرمى من وراء ذلك إلى أن تسلم إليه البلاد جميعها.

لكن السرى بن الحكم أفسد على الجرورى خططه فأرسل جيشاً في ذى القعدة سنة ٢٠٣
إلى بلاد الصعيد لا متخلاصها منه، فمنهم سلامة ابن عبد الملك الطحاوى حليف الجرورى
بالصعيد، وأسره هو وابنه إبراهيم وأرسلوا إلى القسطنطينية حيث قتل هناك في المحرم سنة
٢٠٤ هـ (٣).

وفي تلك الأثناء سار عبد العزيز الجرورى لحصار الاسكندرية للمرة الرابعة فأغلق الأندلسيون
حصنها ولكن الجرورى حاصرهم حصاراً شديداً وأخذ يضرب الحصن بالمنجانيق وظل على ذلك

(١) الكندى ص ١٧٠.

(٢) تاريخ البطارقة ص ٧٤٢ ج ٢.

(٣) الكندى ص ١٧١.

واخذو القس يعقوب قبل ان يعلم وسارو به الى مدينة اسكندريه، وكان يكي ويقول : مبارك هو الرب الويل لي انا الغير مستحق لهذه الكرامه العظيمة لنقصي عن هذا الامر والمجد العظيم الذى انا قادم عليه، ويسال الله ليله ونهاره اجمع ان يخرج من العالم قبل ان يقلده هذا الامر. وهو ذا هو باك وسایل في هذا اذا راى منا ما عجيبا كعادته ان الله يعزيه ويقول له كما قال ليعقوب الاب الاول : لاتخف يا يعقوب فهو ذا أنا معك الى مصر

سبعة أشهر من بداية شعبان سنة ٢٠٤ هـ إلى آخر صفر سنة ٢٠٥ هـ. وانتهى الأمر بأن قتل الجروى أثناء الحصار. ومات السرى بن الحكم بعده بثلاثة أشهر فى الفسطاط فى آخر جمادى الأولى سنة ٢٠٥ هـ بعد أن ولى مصر ثلاث سنين وتسعة أشهر.

ببيع بولاية مصر بعد السرى بن الحكم ابنه أبو نصر بن السرى، ولم يكن معنى ذلك القضاء على المنازعات التى قامت حول ولاية مصر، إذا ورث أبناء السرى والجروى نزاع والديهما، فكان بيد أبى نصر من أرض مصر الفسطاط والصعيد وغربى الدلتا وكان بيد على بن عبد العزيز الجروى، بقية الوجه البحرى بما فى ذلك الخوف الشرقى، وقد وقعت الحروب بينهما ثم اصطلحا على أن يكف أحدهما عن الآخر. وأخيراً توفى أبو نصر فى ٨ شعبان سنة ٢٠٦ هـ بعد أن ولى مصر أربعة عشر شهراً^(١).

بايع الجند عبيد الله بن السرى بولاية مصر بعد وفاة أخيه فى شعبان سنة ٢٠٦ هـ ولم يتعرض كل من عبيد الله وعلى بن الجروى للآخر حتى انتهت سنة ٢٠٦ هـ، حين عقد المأمون ولاية مصر لخالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى وبعثه إليها فى جيش من ربيعة فلما دخل الحدود المصرية أرسل إلى عبيد الله يعلمه بذلك فامتنع عبيد الله عن التسليم له واحتج بأن كتاب المأمون قد ورد إليه بولايته هو، واستعد عبيد الله الحرب خالد فحضر خندقاً حول

(١) الكندى ص ١٧٢ - ١٧٣.

واقويك واكون معك في جهادك لتستحق الاكليل
مثل اخويك المجاهدين ساويرس وديسقوس ريسا
على الاساقفه بيد كامله وشرطونه صحيحه.
واستوجب ان ينظر شيخ راهب كان خرج من
البريه عندما فرشوا الانجيل فوق راسه صورتين
احديهما تشبه صورة ديسقوس والاخرى تشبه
صورة ساويرس تمسكان الانجيل من هاهنا ومن
هاهنا واسم يعقوب البطرك في وسطهما فلما نظر
هذه الاعجوبه، وفيما هو مفكر راي قوما يتحدثون

الفسطاط وجند الجنود، فسار خالده إلى خندق عبيد الله وهناك وقع القتال بينهما وانتهى بأسر
خالده بن يزيد فأكرمه عبيد الله بن السري وخيره بين المقام في مصر أو الرحيل حيث شاء
فاختار الذهاب إلى مكة عن طريق القلزم^(١). ويظهر أن الأمور في مختلف أنحاء الدولة
الإسلامية شغلت المأمون حتى ذلك الوقت عن التفرغ للقضاء على الفوضى في مصر
وارجاعها ثانية إلى حظيرته، فأرسل رسولا من قبله يقر عبيد الله على ما بيده من أرض مصر
ويقر عليا ابن الجروى على ما بيده^(٢).

حدث بعد ذلك نزاع بين عبيد الله بن السري وبين علي بن الجروى وسببه أن قوما من
أهل الحوف منعوا ابن الجروى من جباية الخراج وكتبوا إلى عبيد الله بن السري يطلبون منه
المساعدة ضد علي الجروى، فأمدهم بما طلبوا وبعث إليهم أخاه أحمد بن السري في سنة
٢٠٧ هـ فوقع حروب بينهما كان نتيجتها أن دخل عبيد الله تيس، مقر ولاية الجروى،
وهرب ابن الجروى إلى الفرما ثم العريش في ربيع الأول سنة ٢٠٩ هـ^(٣)، أى أن مصر كلها
خضعت لعبيد الله بن السري إذا استثنينا الاسكندرية التي كانت تحت سلطة الأندلسيين. على
أنه لم يكن من السهل أن يتخلى ابن الجروى عن ولايته في مصر السفلى. فحدثت مناوشات

(١) الكندى ص ١٧٣ - ١٧٦.

(٢) الكندى ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) الكندى ص ١٧٧ - ١٧٨.

ويقولون هذا الانسان فعله يشبه فعل هذين
الرجلين بالحقيقة.

يا ابهائي ان هذا القديس كانت سيرته فاضله
مثل سيرة القديس ساويرس في افعاله، وكان عظة
للمخالفين بالخوف وبحسن امانته واعترافه
وطقسه. وكانوا يهابون كلامه لانه عند جلوسه
عمل مقاله نوثاتيريون يقطع فيه جميع الهارسيس
الكسار سطوس والمجمع الطمث الخلقدونى

وحروب بينه وبين ابن السرى^(١)، وبينما قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين من الشام موفداً
من قبل الخليفة المأمون ليقتضى على تلك الفوضى التي سادت في مصر منذ نحو إحدى
عشرة سنة، كادت مصر في أثنائها تكون مستقلة عن الخلافة، لا ترسل إليها الخراج والأموال
ولا ترضخ فيها لأوامر الخليفة ولا تقبل العمال الذين يوليهم وقد تغلب على كل ناحية فيها
قائد أو زعيم.

سار عبد الله بن طاهر إلى مصر فاستقبله على بن الجروى بالأموال والأنزال وانضم إليه ،
ثم أرسل ابن طاهر إلى عبد الله بن السرى يدعو إلى الطاعة ولكن عبيداً أخذ يستعد لحربه
فحفر خندقه وأعد سفنه وأحكم أموره وكانت النتيجة أن اشتبك الفريقان ووقعت الحرب
بينهما فانهزم عبيد وقتل معظم أصحابه حتى أشرف على الهلاك فطلب الأمان. فكتب ابن
طاهر إلى الخليفة المأمون كتاباً يسأل فيه أمان عبيد فأجابه الخليفة إلى ذلك. ثم كتب عبد الله
بن طاهر لعبيد كتاب أمان أشهد فيه شهوداً من الجند والفقهاء وأشراف أهل مصر في صفر
سنة ٢١١ هـ وخلع عليه ابن طاهر وأجازه بعشرة آلاف دينار وأمره بالخروج إلى المأمون^(٢)
وبذلك خلصت معظم مصر للخلافة على يد عبد الله بن طاهر وكان أمامه أن يقضى على
الدولة التي أقامها الأندلسيون بالاسكندرية منذ عشر سنوات.

(١) الكندى ص ١٧٨ - ١٧٩ ، خطط المقرئى جـ ١ ص ١٧٩ .

(٢) الكندى ص ١٨٠ - ١٨٢ .

واصحاب الخيال الذين هم الغايانيون هولا الذين
ينكرون الالام المحييه التى لله الكلمه التى قبلها
بالجسد.

وفى بعض الايام قرب الشعب وجا الى منزله،
وكانت عادة الاسكندرانيين ان يدعون عندهم
المخالفون ليرو اعيادهم ومجد البطرك وكانو يفعلون
هذا حتى يظهرو لهم المجد الذى اعطاهم الله وما
يظهره لهم من اعمال الاباء الذين جاوا [جاؤا]

سار عبد الله بن طاهر فى قواده الى الاسكندرية فى بداية صفر سنة ٢١٢ هـ وحاصرها
فى شهر ربيع الأول فطلب أهلها الأمان، وصالح الأندلسيين على أن يسيرهم من الاسكندرية
حيث أحبوا فخرجوا الى جزيرة أقربطش (كريت) وملكوها وكان أميرهم أبو حفص عمر بن
عيسى، ثم ولى ابن طاهر على الإسكندرية الياس بن سامان، ورجع ثانية إلى القسطنطينية فى
جمادى الآخرة سنة ٢١٢ هـ (١).

وهكذا عادت مصر بفضل مجهودات عبد الله بن طاهر ولاية خاضعة للخلافة بعد أن
سادت فيها الفوضى وكادت تخرج من حكم الخليفة وتستقل بأمورها منتهزة فرصة النزاع بين
الأمين والمأمون ثم الاضطراب الذى قام فى أوائل حكم المأمون. ويجدر بنا أن نلاحظ أن
السرى بن الحكم، الخراسانى الأصل، استطاع أن يكون لنفسه ولأسرته من بعده ملكا شبه
مستقل دام نحو عشر سنوات ولم تسيطر هذه الأسرة على مصر طوال هذه المدة وإنما
سيطرت على العاصمة دائما وعلى الوجه القبلى فى الغالب. ونلاحظ أيضا أن أسرة السرى
كانت كغيرها من الأسرات التى استقلت بمصر فيما بعد، مثل الطولونيين والأخشيديين، أى
أنه لم يكن لها أساس قومى فى البلاد التى اتخذتها مسرحاً لنشاطها. فهذه الأسرات التى
قامت فى مصر الإسلامية لم تكن نتيجة لحركات قومية وإنما كانت حركات فردية قام بها

(١) الكندى ص ١٨٣ - ١٨٤، خطط المقرئى ج ١ ص ١٧٣.

وجلسوا على كرسى البشير مرقس ، ففعلوا هذا مع
الاب البطرك يعقوب وحضر جماعة منهم فنظرو
الممتلى من نعمة الروح القدس وهم مختلطون مع
الارتدكسين وقال مثل ما قال بولس الرسول (*) :
اى شركه للحق مع الاثم او اى شركة للنور مع
الظلمه ، او كيف يتفق المسيح مع الشيطان ، او اى
نصيب لمومن مع مخالف ، وكما ان ليس لهم معنا
نصيب فى الروحانيات ولا يكون لهم فى
الجسدانيات . فخرجوا جميعهم بخزى وخجل من

(*) رسالة بولس الرسول الثانية إلى
أهل كورنتوس : ٦ / ١٤ ، ١٥ .

ذوو الشخصيات الطموحة القوية من المغامرين . ولذا لم يكن من المنتظر أن تعمّر طويلاً بعد
وفاة مؤسسيتها ، وخاصة إن كان خلفاء هؤلاء المؤسسين لا تتوفر لديهم القوة والشخصية التى
كانت لأسلافهم . ويصح أن تعتبر أسرة السرى مقدمة لأسرة ابن طولون التى استقلت بمصر
استقلالاً فعلياً فى الواقع وذاتياً فى الظاهرة .

ج . مصر والمحنة بخلق القرآن

مسألة خلق القرآن هى إحدى المسائل التى أثارها المعتزلة حين ظهرت بتعاليمها كما ظهر
غيرها من الفرق والمذاهب .

ولا يعنينا هنا أن نبحث فى اراء المعتزلة الدينية ومعتقداتهم وإنما يهمنا أن الدولة العباسية
فى وقت ما اتخذت الاعتزال مذهباً رسمياً لها ، وحملت جميع رعايا دولتها على اعتناق ذلك
المذهب مستعملة فى ذلك جميع وسائل القوة والعنف ، ومسلمو مصر ممن حمل على اتخاذ
ذلك المذهب . كانت مسألة خلق القرآن هى مسألة التى تركز فيها الاعتزال فى تلك الفترة
(٢١٨ - ٢٣٤ هـ) لكثرة القول والجدل فيها ، ولأنها مبنية على أكبر أصل من أصولهم وهو
التوحيد وعدم تعدد صفات الله (١) .

(١) أحمد أمين بك : ضحى الإسلام جـ ٣ ص ١٦٥ .

باب البيعه، وكان فيهم انسان غنى مسلط على
جباية خراج اسكندريه فى ذلك الوقت وكان له
سلطان فى الاندلسين(*) وولايه، فمضى مسرعا
واعلم صاحب الخراج ما جرى وتكلم فى الاب
البطرك ابا يعقوب وقال له أنه قد احرمهم، فلما
سمع المخالف هذا امتلا غضبا على ابينا البطرك
وقال كلاما عظيما، وارسل الى الاب وقال له: انى
ادعك ان تلتفت فى البيعه، اذا قلت السلام لا تجد
انسانا يقول لك ومع روحك [يرد عليك] . فلما

(*) من الواضح أن خسروح
الاندلسيين لم يكن كاملا بل
بقيت منهم أعداد من التجار فى
الغالب وأصحاب الأموال
والأملاك.

وقد أظهر المأمون القول بخلق القرآن فى سنة ٢١٢ هـ^(١)، إلا أنه لم يحمل الناس على
اتباعه إلا فى سنة ٢١٨ هـ قبل وفاته وهو خارج بغداد لغزو الروم إذا كتب إلى والى بغداد
إسحق بن إبراهيم يطلب منه أن يمتحن القضاة الفقهاء والمحدثين فى خلق القرآن ويعاقب من
لا يقر بخلقه على أن المأمون توفى بعد ذلك بنحو أربعة أشهر (رجبت سنة ٢١٨ هـ) فحمل
هذا الأمر من بعده أخوه المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) ثم الواثق (٢١٧ - ٢٣٢ هـ) وقد
عذب كثير ممن امتنعوا عن القول بخلق القرآن، وقتل البعض الآخر، ويقدر ما كان الخلفاء
يشتدون فى تلك المسألة كان العلماء والشعب يعارضون فيها^(٢)، وقد أصبحت كلمة الحقنة
تعنى اختبار العلماء فى القول بخلق القرآن وما لاقوه فى ذلك من عذاب^(٣)، وهكذا
أصبحت الدولة الإسلامية كلها موضوع محاكمة، وبهنا ما كان من أمر مصر فى هذه
المسألة.

فى ولاية كيدر نصر بن عبد الله على مصر (٢١٧ - ٢١٩ هـ) ورد عليه كتاب المعتصم
(صاحب إقطاع مصر حينذاك) فى جمادى الآخرة سنة ٢١٨ هـ يأمره بأخذ الناس بالحقنة

(١) الطبرى جـ ١٠ ص ٢٧٩.

(٢) أحمد أمين بك : ضحى الإسلام جـ ٣ ص ١٥٦ - ١٨٢.

(٣) المرجع نفسه ص ١٦٦.

سمع ابونا هذا الكلام من الخالف قال بنعمة روح
القدس: هكذا نعم ما تنبا به على هذا الخالف
اشعيا النبي اذا يقول (*) : ان غضبه وزخره وفكره
يرجع على راسه ، وظلمك وغضبك قد صعد الى
فانا اربطك بلجام في شفتيك ولا يزول من مكانه
حتى تتم القضية عليه، وهكذا تكون قضيته،
وحقا اقول لكم اننى لا ادخل بيعه الرب حتى يتم
الله هذا الحكم فيه عاجلا.

(*) اشعيا : ٣٧ / ٢٩ .

بخلق القرآن وأن يمتحن قاضى مصر إذ ذاك هرون بن عبد الله الزهرى وأن يمتحن المحدثين
والفقهاء والشهود ، وأن يعزل القاضى إن لم يقر بخلق القرآن، وكذلك طلب منه ألا ياذن
لأحد فى حديث أو فتوى أو شهادة إلا إذا أقر بخلق القرآن^(١). يظهر أنه لم تقم بين مسلموا
مصر فى أول الأمر معارضة شديدة للقول بخلق القرآن، كما قامت فى العراق مقر الخلافة،
ولم تعرض مصر لما تعرضت له العراق من قتل وتعذيب واضطهاد لهذا السبب، وربما أقر
مسلموا مصر القول بخلق القرآن تقية فكفاهم هذا شراء كثيرا. فيذكر الكندى أنه حين ورد
كتاب المعتصم على كيدر يأمره بأخذ الناس بالحنة أحضر هرون بن عبد الله القاضى ودعاه
إلى هذا فأجاب إليه ووافقه على ذلك عامة الشهود ومن عرف بالعدالة كما أجاب أكثر
الفقهاء إلا من هرب منهم وكذلك كان هرون ابن عبد الله يوقف شهادة من لا يقول بخلق
القرآن ويقبل شهادة من يقر بخلقه^(٢).

ظل هرون بن عبد الله يلى قضاء مصر إلى أن ورد عليه كتاب الخليفة المعتصم فى سنة
٢٢٦هـ يأمره بالتوقف عن الحكم. وولى القضاء بعده محمد ابن أبى الليث الخوارزمى. ولعل
مسلموا مصر لم يقوموا بمعارضة شديدة ضد الخنة طالما لم يؤخذوا فيها بالشدة، فيذكر
الكندى^(٣) أن أمر الخنة كان سهلا فى خلافة المعتصم ، فلم يكن الناس يؤخذون بها شاءوا

(١) الكندى ص ١٩٣ ، ٤٤٥ - ٤٤٧ ، أبو الخاسن : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) الكندى ص ٤٤٧ .

(٣) الكندى ص ٤٥١ .

وبعد ذلك وقع للمذكور خصومه وقتل واخذ
جميع مافى يته ولم يبق له شى فلما نظرو
المخالفون الذين فى اسكندريه هذا العجب الذى
كان وتنام ما قاله الاب المشمئل بروح القدس، لم
يقدر احد من المخالفين ان يخاطبه بكلمه وكان
بطرفهم يوقره ويخافه ويحيد عنه.

وكانت اعماله الحسنه تتزايد وتنمو اكثر من
اعمال رهبانيته، ولم يكن ينظر مجد الناس بل

أو أبوا حتى مات المعتصم وقام الواثق سنة سبع وعشرين ومائين فأمر أن يؤخذ الناس بها
ورود كتابه على محمد بن أبى الليث بذلك وكأنها نار أضرمت. فالخليفة الواثق (٢٢٧ -
٢٣٢ هـ) كان يقول بخلق القرآن عن عقيدة كما قال به المأمون^(١)، لذا لجده يرسل إلى
قاضى مصر محمد بن أبى الليث يأمره بامتحان الناس جميعاً حتى لم يبق أحد من فقيه أو
محدث أو مؤذن أو معلم حتى أخذ بالحنة، وعندئذ عارض كثير من المصريين الخنة وثاروا
ضدها. فملئت السجون منهم كما هرب الكثيرون.

وقد أمر ابن أبى الليث أن يكتب على المساجد لا إله إلا الله رب القرآن المخلوق، كما منع
الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المسجد وأمرهم أن لا يقربوه وقد اختص
أصحاب مالك والشافعى بالمنع لأنه لم يكن للمذاهب الأخرى أتباع فى مصر حينذاك.

وعلى وجه الإجمال نلاحظ أن أمر الخنة فى مصر كان سهلاً خفيف الوطأة على المصريين
فلم يقاسوا بسببها إلا بضع سنوات فى عهد الخليفة الواثق فملئت السجون منهم، كما تحمل
البعض الآخر مشقة الرحيل عن مصر. ولكننا لا نسمع عن كثير من حوادث قتل أو تعذيب
كما كانت الحال فى العراق. فلما ولى الخليفة المتوكل العباسى وجد أن المسألة طال أمدها
فأبطل هذه الخنة.

(١) الكندى ص ٤٥٣.

يعمل باعمال الله وعقله فوق مثل بولس الرسول
الذى لم يكن يفتخر من الكرازة والبشارة باسم
يسوع المسيح ويسبح الله فقال لشعبه: سمعت ان
منكم قوما بطالين كسالى وانا طلب اليكم ان
تعملوا اعمالكم بدعه، وتاكلوا خبزكم كما قال
بولس الرسول: ان ييدى كنت اخدم ولم اثقل
عليكم ونعم اصلاح نصيب المحتاج، ولا ياخذ من
احد، وكان هو يسير من الدنيا يكفيه وليس
ينصب للموايد مثل الناس بل ياكل خبزه

الاقباط والنظام المالى

كانت سياسة الخلفاء بوجه عام ترمى إلى استغلال مصر استغلالا منظما، وإن اختلف بعضهم عن البعض الآخر من حيث درجة الاستغلال، وإذا بينما نرى بعض الخلفاء أو ولايتهم يشتط في جمع الضرائب نرى البعض الآخر يرى أن من مصلحة الراعى أن يقص صوف غنمه وليس من مصلحته أن يسلبها. وحسبنا أن نشير في هذه المناسبة إلى ما ذكره المساوردي^(١) من أن «الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه في أخذ الفضل من أموال السواد فمنعه من ذلك وكتب إليه: لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك وأبق لهم خوما يعقدون بها شحوما». فإن هذا مثل يرينا كيف كانت سياسة هذا الخليفة ترمى إلى عدم تحميل البلاد فوق ما تحمل كيلا يجف معينها ويؤثر ذلك على مالىته ولكن بعض الخلفاء لم يراع هذا المبدأ وراحوا يتزرون كل ما تملك البلاد، فنرى الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ - ٥٩٩م) يكتب إلى أسامه بن زيد التنوخى متولى خراج مصر «أحلب الدر حتى ينقطع وأحلب الدم حتى ينصرم»^(٢) وقد ظهر اهتمام الخلفاء بثروة

(١) الأحكام السلطانية ص ١٤٣.

(٢) أبو الحسن ج ١ ص ٣٣١.

بالدموع، بل كانت اعماله تنير في وجهه، وكلما يطلبه من الله يعطيه، وكلمته تقطع اكثر من سيف ذي قمين.

واخبركم يا اخوتي انه كان في ايام هذا المغبوط البطرك انبا يعقوب له قرابه، محب للمسيح، ريس مقدم في نبوه اسمه مقاره، فلما سمع بجلوسه على الكرسي فرح فرحا عظيما ومجد الله الذي يختار اصفياه وزاد في الصدقه ومحبة الاخوه،

مصر عقب الفتح مباشرة، فيذكر ابن عبد الحكم^(١) عن هشام بن أبي رقية اللخمي أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال للقبط: إن من كتمني كنزا عنده فقدرت عليه قتله. وسمع عمرو بأن أحد أهالي الصعيد يقال له بطرس عنده كنز فلما سأله أنكر ذلك، وعندما تبين لعمرو ابن العاص صحة ما سمعه عنه أمر بقتله. فلما سمع بذلك الأقباط أخرجوا كنوزهم خوفا من القتل.

ويظهر أن العنصر المالي الرئيسي الذي كان يهتم به العرب هو الجزية ولذا كانت الجزية سببا في إسلام كثير من الأقباط الذين أرادوا التخلص منها وهذا طبعا معناه نقص في دخل الدولة. وربما حدا هذا بالخلفاء إلى مضاعفة مقدار الجزية على من بقى من الأقباط على دينه حتى لقد قيل إن الخليفة عمر بن عبد العزيز أرسل إلى حيان بن سريج عامله على خراج مصر أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم^(٢). وإذا كان هذا النص صحيحا وإذا كان الأقباط الأحياء يكلفون بجزية من مات منهم فلا نستبعد أن يجعلهم الخلفاء يتحملون جزية من أسلم

(١) فتوح مصر - طبعة توري - ص ٨٧.

(٢) ابن عبد الحكم - طبعة توري - ص ١٥٤ وخط المقيزي ج ١ ص ٧٧ يقول الماوردي في كلامه عن أهل الذمة والجزية وهو من مات سهم فيها أخذ من تركته بقدر ما مضى منها ومن أسلم منهم كان ما لزم من جزيته ديناً في ذمته يؤخذ بها. الأحكام السلطانية ص ١٣٩.

وارسل الى اسكندريه ما تحتاج اليه البيع بحكم انه قريب البطرك وكان يكرم الاساقفه ويخافهم. وبدأ الغلا والسبى يقل فى اسكندريه، ولم يجد البطرك ما يدفع للبيع كالعاده ولم يبق معه شى وانقطع مضى الشعب من كل موضع الى بيعة الشهيد مارى مينا بمريوط ومنه. وكان البطرك [محصوراً] بالبيع، وسبب هذا، الحرب والقتال الذى كان بين المصريين والمدالجه والاندلسيين وكان هذا بالاسكندريه.

منهم. ولا نستطيع أن نعرف بالتقريب ماهى نسبة نقص الجزية بسبب اعتناق الأقباط الدين الإسلامى لأن المؤرخين كثيراً ما يجمعون بين الجزية والخراج فيقال إن عمرو بن العاص جبى من مصر ١٢ مليون دينار وجباها عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى خلافة عثمان بن عفان ٢٤ مليون دينار وقد سر عثمان بن عفان من ذلك وعاتب عمرو بن العاص فى هذه الكلمات:

«يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الأول فقال عمرو: «أضررتكم بولدها» ويذكر آخرون أنه قال: «ذلك أن لم يمت الفصيل»^(١)، ويذكر المقرئى^(٢) أن الذى جباه عمرو ثم عبد الله إنما هو من الجماجم^(٣) خاصة دون الخراج.

بلغ خراج الأرض مع جزية الرؤوس فى أيام معاوية بن أبى سفيان خمسة ملايين دينار وبلغ فى أيام هرون الرشيد أربعة ملايين دينار وبعد ذلك أصبح ما يجبيه الخلفاء حوالى ٣ ملايين دينار^(٤) إذا استثنينا فترات معينة ولعل الفرق الهائل بين ما جباه عبد الله (٢٤ مليون

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر - طبعة تورى ص ١٦١ وخطط المقرئى جـ ١ ص ٩٨.

(٢) الخطط جـ ١ ص ٦٨.

(٣) يقصد بالجماجم هنا جزية الرؤوس.

(٤) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٩.

وكان شماس اسمه جرجه من مقدمى كهنة
اسكندرية وكان قيما لبيعة اسكندرية، فبدأ يتكلم
عن هذا الاب حتى انه قال له: تدفع لنا ما نحتاج
اليه كما جرت العادة والا فامض الى البريه من
حيث جيت. فلما سمع قول هذا العاتى الاب
البطرك وانه ما احتشم منه وزاد فى كلامه قال له:
لا تعود من الان تدخل رجلك من هذا الباب الى
هذا الموضع. فخرج الشماس بغضب عظيم من
عنده [و] مضى الى بيته ولم يلمس من الاب

دينار) وماجباة الخلفاء بعد ذلك (حوالى ٣ ملايين دينار) يوضح حجم النهب والخراب الذى
اصاب مصر فانهى الأمر الى أن نقصت الجباية من ٢٤ مليون دينار إلى ٣ مليون.

وتشهد المكاتبات التى دارت بين الخليفة عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص عقب الفتح
مباشرة على مدى الاهتمام بجباية أموال مصر؛ فعندما بلغت عمر بن الخطاب اكذوبة أن
المقوقس جباها قبل عمرو بستة وعشرين مليون دينار وأن عمروا جباها اثني عشر مليون دينار
كتب الخليفة إلى عمرو يستبطئه فى الخراج. وهذا ما دار بينهما من المكاتبات:

كتب الخليفة إلى عمرو يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين
إلى عمرو بن العاص. سلام عليك فأنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد فأنى
فكرت فى أمرك والذى أنت عليه فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة قد أعطى الله أهلها
عددا وجلدا وقوة فى بر وبحر وأنها قد عاجلتها الفراعنة وعملوا فيها عملا محكما مع شدة
عتوهم وكفرهم فعجبت من ذلك وأعجب مما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من
الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جذب، ولقد أكثر فى مكاتبتك فى الذى على أرضك
من الخراج وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر، ورجوت أن تفيق فترفع إلى ذلك فإذا أنت

القديس تحليللا ولا تاب فلققه حمى صالبه
[شديدة]، وكانو يمسكونه من قوة النيران التي
تلحقه ، وتوفى في يومه، واعلمو البطرك بهذا
فحزن عظيمًا وطلب الى الله ان يحل نفسه من
الرباط الذى ارتبط به ويحله ايضا من الخطيه. ومن
يوم وفاة هذا الشماس دخل الموت والفنا الى جميع
بيته ولم يبق فيه احد الى اليوم، فلما نظر الجمع
وسمع هذه الاعجوبة وان كلامه بسلطان كمثله

تأثني بمعارض تعباً بها لا توافق الذى فى نفسى. ولست قابلاً منك دون الذى كانت تؤخذ به
من الخراج قبل ذلك. ولست أدري مع ذلك ما الذى أنفرك من كتابى وقبضك؟ فلئن كنت
مجزئاً كافئاً صحيحاً إن البراءة لنافعة ولئن كنت مضيعاً نطفاً إن الأمر لعلى غير ما تحدث به
نفسك. وقد تركت أن أبلى ذلك منك فى العام الماضى رجاء أن تفيق فترفع إلى ذلك وقد
علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا أن عمالك عمال سوء وما توالس عليه وتلفف اتخذوك
كهفاً وعندى بأذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك فيه فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك
الحق وتعطاه فإن النهر يخرج الدر والحق أبلج ودعنى وما عنه تلجلج فإنه قد برح الخلفاء
والسلام^(١).

فكتب إليه عمرو بن العاص. بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله عمر أمير المؤمنين من
عمرو بن العاص. سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد فقد بلغنى
كتاب أمير المؤمنين فى الذى استبطأنى فيه من الخراج والذى ذكر فيه من عمل الفراعنة قبلى
واعجابه من خراجها على أيديهم ونقص ذلك منها منذ كان الإسلام، ولعمري للخراج يومئذ

(١) ابن عبد الحكم - طبعة تورى - ص ٥٨ - ١٥٩ وخط المقيزي جـ ١ ص ٧٨ والسيوطى . حسن
المحاضرة جـ ١ ص ٦٤.

الرسل خافو وفزعو وارتعبو ولم يجسر احد ان
يخاطبه، وكان عندهم مثل نبي.

فلما قربت الاربعون يوما الصوم المقدس اراد
الاب ان يمضى الى بركة ابي مقار ليقوى الاخوه
الرهبان ويعزيهم ويقيم عندهم الى عيد الفصح
المقدس كما جرت عادة الابا البطاركة، فلما وصل
اليها فرح جميعهم ولقوه وصاحو: مبارك الاتي
باسم الرب. وجا كل الابرءاء الشيوخ من مغايرهم

أوفر وأكثر والأرض أعمر لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب في عمارة أرضهم منا منذ
كان الإسلام وذكرت أن النهر يخرج الدرفحلتها حلاً قطع ذلك درها وأكثر في كتابك
وأثبت وعرضت وثرت وعلمت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر فجئت لعمري
بالمفضعات المقذعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق. وقد
عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده فكنّا بحمد الله مؤدّين لأماناتنا حافظين لما
عظم الله من حق أئمتنا نرى غير ذلك قبيحاً والعمل به سيئاً فيعرف ذلك لنا ويصدق فيه
قلنا، معاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجترأ على كل مأثم فأقبض عملك فإن
الله قد نزهني من تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضاً ولم
تكرم فيه أحداً. والله يا ابن الخطاب لأننا حين يراد ذلك مني أشد لنفسي غضباً ولها إنزاهاً
واكراماً وما عملت من عمل أرى على فيه متعلقاً ولكني حفظت مالم تحفظ ولو كنت من
يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا وسكت عن أشياء كنت بها عالماً وكان اللسان بها مني
ذلولا ولكن الله عظم من حقت ما لا يجهل والسلام^(١).

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٩ - ١٦١ طبعة تورى وخطط المقرئى جـ ١ ص ٧٨ و ٧٩ والسيوطى :
حسن المحاضرة ص ٦٤ - ٦٥ .

بالجبال يجرون كمثل الوحوش المشتاقين الى
مجارى الماء] وكانوا ياخذون بركته بفرح عظيم.
وكانت هذه البريه مثل فردوس الرب بصلاة الاب
البطرك ومساعدة بنى المعموديه المصريين، وكان
للبطرك محبه عظيمه للبريه اكثر من الرهبان
ويقول فيها مثل كرنيليوس فى زمانه، فارسل الى
جميع الابرأهات القلالى وقال: كل من يحتاج
الى شىء لمنشويته ياتى ياخذ. لان البربر كانوا قد
نهبو جميع مالهم وهدمو البيع واحرقوا القلالى

ولم تقف المكاتبات بين عمر بن الخطاب وعمر بن العاص فيما يختص بالخراج عند هذا
الحد. فقد عاود عمر بن الخطاب الكتابة فكتب الى عمرو «سلام عليك فإنى أحمد إليك الله
الذى لا إله إلا هو. أما بعد فقد عجت من كثرة كتبى إليك فى إبطائك بالخراج وكتابتك إلى
بيئات الطرق وقد علمت أنى لست أرضى منك إلا بالحق البين، ولم أقدمك إلى مصر أجعلها
لك طعمة ولا لقومك ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فإذا
أتاك كتابى فأحمل الخراج فإنه فىء المسلمين وعندى من قد تعلم قوم محصورون
والسلام»^(١).

فكتب إليه عمرو بن العاص. «بسم الله الرحمن الرحيم. لعمر بن الخطاب من عمرو بن
العاص. سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد فقد أتانى كتاب أمير
المؤمنين يستبطننى فى الخراج ويزعم أنى بعيد عن الحق وأنكب عن الطريق وأنى والله ما
أرغب عن صالح فكان الرفق بهم خيراً من أن يخرق بهم فيصيروا إلى بيع ما لا غنى بهم عنه
والسلام»^(٢).

(١) ابن عبد الحكم، ص ١٥٩ - ١٦١ طبعة تورى وخطط المقرئى جـ ١ ص ٧٨ و ٧٩ والسيوطى :
حسن المحاضرة ص ٦٤ - ٦٥.

بالنار. فلما اجتمعوا الالاء] الرهبان سبحوا الرب
على تجديد النعمة عليهم ومجدوا الله على ذلك،
ولما رأى الاب ان الحمام قد عاد الى وكره الاول
فرح. وكان فى ايام قسيسيته قد بدا بعمارة هيكل
على اسم القديس شنوده قبلى هيكل القديس ابي
مقار وكانو الرهبان يجتمعون اليه عوض البيع
المهدومه، وكملة وجدد البيع وسبحوا ومجدوا
التالوت كالملايكه، فلما رأى الشيطان هذا زار
[زار] كمثل السبع وأعد سهاماً للبطرك وللبيعه.

هذه الرسائل ترينا إلى أى حد كان الخليفة يهتم بخراج مصر وأنه كان يريد أن يجبى
مثلما كان يجبيه الروم من قبل . ولذا نجد أن المصريين سرعان ما عادوا إلى ما كانوا فيه تحت
حكم الروم فوقعوا تحت الأعباء المالية الكثيرة التى تطلبها الخلافة وأصبح المطلوب منهم توفير
المال اللازم لبيت المال وللمنتفعين من الولاة والموظفين أيضاً. وفى العصر العباسى اضطربت
الأحوال المالية وذلك لكثرة تغيير الولاة وبسبب إقطاع مصر لبعض قواد الترك أو أولياء العهد
فكان هم الوالى جمع ما يمكن جمعه من المال لنفسه أولاً وللخلافة أو لصاحب الإقطاع
ثانياً.

ولنستعرض الآن الفترات التى أشته التحول فيها إلى الدين الإسلامى بسبب المغارم المالية
الباهظة ولنبدأ بولاية عبد العزيز بن مروان الذى كان يمثل الخليفة عبد الملك بن مروان فى
مصر (٦٥ - ٨٦هـ).

كان عهد عبد العزيز بن مروان عهد رخاء ويسر للعرب فى مصر حتى انه أنفق مالا كثيراً
فى بناء مدينة حلوان، يقال إنه بلغ مليون دينار^(١) وقد زيدت أعطيات الجند فى عهده^(٢)
كما اشتركت مصر فى القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير وقد تطلب هذا كله كثرة الإنفاق

(١) سعيد بن بطريق : التاريخ جـ ٢ ص ٤٠ .

(٢) الكندى ص ٤٩ .

وكان في ذلك الزمان للبترك شماس يختص به
خدمته و يفعل ما يريد بغير مشاوره، فضرب احد
التلاميذ لاجل شى عمله وعنف عليه، فمن كثرة
ما ضربه مات، وكان ذلك منصوبه من فخاخ
العدو الشيطان، فلما شاهدوا المدالجح خفرا الدير
ذلك مسكو الاب البترك واقلقوه لاجل موت
الانسان وطلبو منه الشماس ليقتلوه عوضه، وكان
الاب مجتهدا في خلاص نفس الشماس لاجل
تربيته له من صباه، وكان يظن انه يقدمه في درجة

والأموال الكثيرة حتى قيل إن عبد العزيز بن مروان كان يجبى خراج مصر أسبوعياً خوفاً من
فتنة تنزل به يحتاج فيها إلى المال. ولم يزل على ذلك حتى قتل عبد الله بن الزبير وتم الأمر
لعبد الملك بن مروان (١).

وكانت نتيجة حاجة هذا الوالى إلى المال أن اتجه إلى شى لم يتجه إليه أحد من قبل، فأمر
بإحصاء (٢) جميع الرهبان في كل الكور وفي وادى النظرون وسائر الأماكن وفرض ديناراً
جزية على كل راهب وأمر ألا يترهب أحد بعد من إحصاءه، وكانت هذه أول جزية أخذت من
الرهبان (٣). ويقال إنه ألزم أساقفة الكور أن يؤدوا ألفى دينار سنوياً بالإضافة إلى خراج
أموالهم (٤).

(١) سعيد بن بطريق ج ٢ ص ٤١. Wiet: Histoire de la Nation Egyptienne p. 47.

(٢) ساويرس ص ١٠٧ ج ٢ : ونذكر هنا أن بعض المخطوطات كان فيها تصحيف في كلمة «أحصى» أو
أن خطأ أدى إلى قراءتها «أخصى» فشاء بعض المستشرقين أن يستنبط منها توحش المسلمين في هذه
المناسبة. ولكن فطن إلى هذا الخطأ مستشرقون آخرون كالأستاذ فيت في مقاله Kibt في دائرة المعارف

الإسلامية. Wiet: art. Kibt (Encyclopaedia of Islam) P. 993.

(٣) ساويرس ص ١٠٧ ج ٢ .

(٤) ساويرس ص ١٠٧ ج ٢ .

الكهنوت. ولما رأوا المدالجه اعتنا الالب به وعلموا انه
ما يسلمه اليهم تشددوا فى طلبه وطلبوا منه مالا
جزئيا، ولم يكن مع البطرك شى يدفع لهم
فاعانوه الاساقفه والشعب الخبون لله الى ان دفعوا
لهم شيا وخلصوه من ايديهم.

ثم خرج الالب المغبوط يعقوب الى الصعيد
ليستفقد الشعب والديارات فلما لقوه الشعب
والرهبان كانوا يمجدون الله ويقولون : مبارك
الاتى باسم الرب. وتعجبوا من اعماله ويقولون:

ونحن نعلم أن الرهينة كانت منتشرة حينذاك، وقد ساعد على انتشارها ما وقع للمصريين
من ظلم واضطهاد، ففضل الكثيرون أن يعيشوا فى عزلة عن العالم منفردين أو جماعات فى
أديرة. ولما كان الراهب لا يملك شيئا ويعيش فى عزلة عن العالم، لذا لم تفرض عليه أى
ضريبة. على أن الأديرة التى كانت تزاد كثرة على مر الأيام مالبث أن وقف عليها أملاك
كثيرة وزادت ثروتها، ولكن الحكومة فى عهد الرومان والبيزنطيين لم تكف باعفائها من
الضرائب، بل كانت تدفع لها قدرا - معينا من الإيرادات المالية^(١).

فلما احتل العرب مصر حافظوا على ما كان موجودا قبلهم من التقليد الذى يحرم فرض
أية ضريبة أو جزية على الرهبان. وبذلك وجدت تحت حكم العرب من أول الفتح طبقة ممتازة
من المسيحيين لا تقع تحت طائلة الأعباء المالية. وقد لجأ كثير من الأقباط إلى هذه الأديرة كي
يتخلصوا من الضرائب^(٢). ففطنت الحكومة إلى ذلك وبادرت بإحصاء الرهبان، وفرضت
عليهم جزية الدينار التى أشرنا إليها.

ولما زاد احتياج عبدالعزیز بن مروان إلى المال لجأ إلا الأديرة التى أصبحت تملك ثروات

(1) Munier: L Egypte Byzantine. P. 77.

2) Wiet: Precs de L'hist. d' Egypte. T. 11. P. 132.

مبارك ابونا ايلياس الجديد. واقام عندهم اياما قليلا
وعاد، و كانوا يفتخرون باعماله وفضائله.

وذكر ابونا الاتحاد والمحبة والرباط الذى بينه وبين
ديونوسيوس بطرك انطاكية وكان يحب النظر اليه
بالمشاهدة او بالمكاتبة ويمنعه من ذلك الحروب
التي كانت بارض مصر وفي الطرق، لانها اقامت
اربعة عشر سنة. وكان يطلب الى الله ان يثبت
الحب بين الكرسيين الجليلين الاسكندراني
والانطاكي، ويدعو الى الله ان يجمع بينهما

ضخمة. ففرض على رهبانها جزية سنوية كى يسد بذلك عجز ميزانية الدولة، وكان من اثر
هذا ان اعتنق الكثيرون الدين الاسلامي.

وبعد وفاة عبدالعزیز ولي مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وذلك في جمادى الآخرة
سنة ٨٦هـ ولم تمض بضعة أشهر حتى توفي اخليفة عبد الملك بن مروان، وبويع بعده
باخلافة ابنه الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦) فأقر الوليد أخاه عبد الله على ولاية مصر حتى
سنة ٩٠هـ. وقد تشدد عبد الله بن عبد الملك على الأقباط في الأمور المالية. فالزم البطرك
بدفع ثلاثة آلاف دينار أو يعتقله فلقى البطرك مشقة عظيمة في جمع هذا المال من الأساقفة
والرهبان والأقباط على العموم، كذلك زاد عبد الله الخراج على المصريين، فمن كان يدفع
ديناراً خراجاً ألزمه بدفع دينار وثلثين، حتى أن كنائس كثيرة سرى إليها الخراب لهذا
السبب^(١)، وقد زاد وطأة ذلك الوالى على المصريين ما حدث في أيامه من الغلاء، وذلك على
أثر انخفاض النيل^(٢) في سنة ٨٧هـ.

والظاهر أن هذا الوالى عمد إلى ابتزاز الأموال، ولا سيما من القبط وربما أسلم نفر منهم

(١) ساويرس ص ١١٧ ج ٢ .

(٢) الكندى ص ٥٩ والمقرئى: إغاثة الأمة ص ١١ . وأبو الخاسن ج ١ ص ٢١٠ - ٢١١

بالمشاهدة والمكاتبه، فلم يرفض الله صلاة هذا
الاب بل كملها بنظر الاب ديونوسيوس بالجسد.

وانا اعلمكم بالسبب واعلمكم القلق الضيق
الذى لحق ارض مصر والاب يعقوب البطرك.

و ملكو الاندلسيون اسكندريه وعبد العزيز
الجروى ملك بعض البلاد. وكان الاب مبتهلا
وباكيا لاجل خراب البلاد وطول استمرار الحروب
فى القتال وان اجساد الناس طعام لطيور السما.

ليخلص من هذه الأعباء، وقامت فى عهده حركة مقاومة سلبية ضد هذه السياسة المالية من
جانب الذين ضايقتهم الأعباء المالية والذين لم يريدوا تغيير دينهم بسببها. فأخذ بعض الأفراد
يهربون إلى مناطق أخرى غير تلك التى كانوا مقيدين فيها بعد أن وجدوا ألا فائدة من الاعتصام
فى الأديرة. غير أن هذا الوالى ومن جاء بعده تشددوا فى مراقبة هذه الحركة التى كانت تثير
الفوضى فى البلاد، فضلا عن تأثيرها فى مالية الدولة. فأمر عبد الله بن عبد الملك بوسم
الغرباء الذين وجدوا فى الأقاليم المختلفة على أيديهم وجباههم وأرسلهم إلى مواضع لم
يعرفوها^(١).

وولى مصر بعد عزل عبدالله بن عبد الملك فى سنة ٩٠هـ قره ابن شريك، وظل على
ولايتها إلى أن مات بها فى سنة ٩٦هـ. ويذكر ساويرس أن قره أنزل بلالبا عظيمة بالمسلمين
والنصارى على السواء، وبالكنايس والرهبان^(٢). وكتب المقرئى عن قره أنه «أنزل بالنصارى
شدائد لم يبتلو قبلها بمثلها»^(٣). وتكثر النصوص والروايات من التحدث عن ظلم قره بن
شريك وعسفه، فيذكر أبو الحسن أن قره كان سئ التدبير، خبيثا ظالما غشوما فاسقا

(١) ساويرس ص ١١٧ ج ٢.

(٢) ساويرس ص ١١٩ ج ٢.

(٣) الخطط ج ٢ ص ٤٩٢.

(*) الجروى يحتكر الأموال والغلال ويرفع أسعارها وينهب الأموال.

وان الجروى(*) ما كان يفتر من قتل الناس
واخذ أموالهم، وكان يدفن ما يأخذه من الأموال
ليلاً في الأرض وإذا دفن المال يقتل الذين
يساعدونه على دفنه حتى لا يبقى من يعرف مكان
شي يدفنه، فتمت فيه كلمة ميخا النبي إذ
يقول: (*) هولا المتفكرون بالسوء والدغل لانهم
دفعوا أيديهم في ذلك وأخذوا الحقوق وظلموا
اليتامى واختطفوا الإنسان وبيته وورثته. لاجل هذا
يقول الله أنى أجيب الشرور على قبايلهم ولا يتم

(*) ميخا: ٢ / ١، ٢، ٣.

متهتكاً^(١)، وقيل إن عمر ابن عبد العزيز ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاية الامصار أيام
الوليد بن عبد الملك، فقال: «الحجاج بالعراق، والوليد بالشام، وقرّة بن شريك بمصر !
وعثمان بالمدينة ! وخالد بمكة ! اللهم قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً فأرح الناس»^(٢). فسراه
يشدد في طلب المتأخر من الجزية التي لم تدفع منذ عهد الوالى الذى سبقه^(٣)، ويأمر عماله
على الأقاليم بأن يقدموا له سجلات بأسماء القرى والأقاليم المختلفة، واحصاء الرجال والجزية
الواجبة عليهم وما يملكه كل رجل من الأراضى والخدمات التي يؤديها^(٤). ولكننا نراه أحياناً
يفرض ضرائب غير عادية^(٥).

ويذكر ساويرس^(٦) أن قرّة فرض على البلاد مائة ألف دينار سوى خراجها المعروف وقد
استمرت في عهد قرّة حركة الهرب التي بدأت في ولاية عبد الله بن عبد الملك بل وانها
اتخذت في عهده شكلاً واسعاً فكانت أسرات بأسرها رجالاً ونساء وأطفالاً تهرب من مكان

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١٧. في طبعة دار الكتب «منهمكاه».

(٢) المرجع نفسه ص ٢١٨.

(3) Becker: op. cit. d. 267, Grohmann: op. cit. p. 48.

(4) Bell: op. cit. p. 272.

(5) Bell: op. cit. p. 272.

(٦) ساويرس ص ١٤٢ ج ٢.

ما ظنوا . فجاءه [ء] على هذا الرجل حكم الله العالى
القوى، وكان قد جمع قمح ارض مصر جميعها
وجعله فى الأهرام [ء] تحت احتكره وقال: اجعل
الغلا فى ارض مصر جميعها، واجمع اموالهم كما
فعل فرعون يوسف فيطيعنى كل مقاوم. وفعل هذا
وصار غلا عظيم حتى بلغ القمح وبيه واحدة
بدينار، ولم يطلق قمحا الى اسكندريه غرضاً فى
هلاك الاندلسيين الذين ملكو مدينة اسكندريه،
وصارت الويه القمح فى اسكندريه بدينارين

إلى مكان، لا تستقر فى مكان معين وذلك فراراً من دفع الضرائب. واضطر قرة إزاء هذا إلى
إنشاء هيئة خاصة لوقف تلك الحركة وإعادة كل شخص إلى موضعه (١).

وتلقى أوراق بردى كوم اشقاو شعاعاً من النور على هذه الحركة التى كان محورها الزراع
أو الجالية (٢) وكان الوالى يأمر باعادتهم إلى قراهم الأصلية فنراه يكتب إلى صاحب أشقوه أنه
علم بوجود جالية بأرضه ويطلب منه أن يرد الجالية - أى الهارين - إلى أرضهم الأصلية (٣)
ونراه يرسل مندوبين للنظر فى حركة الهرب ويطلب من صاحب الكورة أن يسر مهمتهم وأن
يرسل معهم رجالاً ثقات يعرفون الكتابة ليقوموا بحضرتهم بكتابة أسماء الهارين وألقابهم
وليبيّنوا أيضاً من أين هرب كل شخص وإلى أى جهة ذهب. وذلك لحصر الذين عادوا إلى
قراهم والذين سمح لهم بالاستقرار على أن يؤدوا الضرائب، وليقوموا على وجه الإجمال
بالاستفسار عن كل ما يجب أن يعرف. ثم يعود قرة فيطلب من صاحب الكورة أن يأمر هؤلاء

(١) المرجع نفسه ص ١٤٣ .

(٢) قيل لأهل الذمة الجالية لأن عمر بن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب ولزمهم هذا الاسم أينما حلوا ثم
لزم كل من لزمته الجزية من أهل الكتاب بكل بلد وإن لم يجلو عن أوطانهم. ويقال استعمل فلان على
الجالية أى على جزية أهل الذمة (لسان العرب).

(3) Grohmann: Arabic Papyri. Vol. I P. 24.

ودرهم واحد وما كانوا يجدون شيئا يشترونه، وهلكوا
الناس بارض مصر ولاسيما باسكندريه (*)، فعلم
ذلك المتكبر ان الناس قد هلكو ففتح فمه وقال
كلمه، لم يقلها الله. انا ادعهم ان يبيعو القمح
قدحا بدينار. فكمل عليه كلام ناحوم (*) النبي اذ
قال : يقول الله لى الانتقام يعطينى واهلك مقاومى
واعداى عاجلا. فرحم الرب تنهد اخلق وما يراه
من الغلا وما الناس فيه وانتقم الله منه هكذا لانه
[الجرى] مضى بجيشه الى اسكندريه ليقاتل

(*) يلاحظ اهتمام ساويرس
بأحداث الاسكندرية لأنها كانت
مقر البطرك.

(*) ناحوم: الاصحاح الأول / ٢ ،
٣ .

الرجال بالعمل فى هذه المسألة بجد ونشاط وألا يقبل أحد منهم هدية أو رشوة من أى شخص
والا فسيحل العقاب بصاحب الكورة كما سيحل بالرجل المذنب (١) وفى كتاب آخر لقرة نراه
يطلب من صاحب أشقوه أن يرسل إليه الهارين مع عائلاتهم وكل ما معهم من أشياء وأن يعد
سجلا يكتب فيه أسماء الأشخاص الذين أرسلو، وفى أى موضع من كورته هربو، وأملك كل
شخص، والوقت الذى أمضاه كل شخص فى كورته، وكل شئ يعرفه عن الهارين دون كذب
أو محاباة، وأن يرسل. كل الأشخاص وهذه المعلومات مع المندوب الذى أرسله قرة لهذا
الغرض، ويهدده بأشد العقاب الجثمانى والمالى إن هو توانى عن النظر فى هذه المسألة وتغافل
عن أحد الهارين كما يهدد الأشخاص الذين يوجد بينهم أحد الهارين بغرامة مالية كبيرة فوق
مقدورهم (٢).

وظل قرة يتابع تلك الحركة بنشاط كى يقضى عليها إلى أن مات سنة ٩٦ هـ. وفى عهد
خلافة سليمان بن عبد الملك كان المتولى على خراج مصر أسامة بن زيد التنوخى فكتب إليه
سليمان بن عبد الملك «احلب الدر حتى ينقطع ، واحلب الدم حتى ينصرم» (٣) أى أن

(1) Bell: Translations of the Greek Aphrodito Papyri (Der Islam, Band II.) P. 270.

(2) Bell: op. cit. PP. 274 - 275.

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج١ ص ٢٣١ .

الاندلسيين فهربو منه الى داخل السور واغلقو
الابواب حتى اكلو دوابهم من الجوع وكان قد
قوى عليهم وصار يضرب الحصن بالمنجنيقات
ليهدم الحصن وظن انه يهلك كل من فيها بالسيف،
وكان يطلب البطرك لانه انفذ اليه يشفع في انسان
ان يصلحه اسقفا فلم يقبل [البطرك] ان يخرج
عن قانون البيعة. فلما نظر الحب لله مقاره غضب
عبد العزيز الجروى كتب الى الاب البطرك وطلب
اليه ان يقسم ذلك الانسان اسقفا ففعل. وكان

سياسة هذا الخليفة كانت سياسة استغلال لموارد مصر الى اقصى حد ممكن وقد وجد من
أسامه خير منفذ لأوامره. وقيل إن سليمان بن عبد الملك قال يوماً وقد أعجبه فعل أسامه ابن
زيد: «هذا أسامة لا يرتشى ديناراً ولا درهما» فقال له ابن عمه عمر ابن عبدالعزيز بن مروان :
« أنا أدلك على من هو شر من أسامة ولا يرتشى ديناراً ولا درهما » . قال سليمان: «ومن
هو؟ قال عمر: «عدو الله إبليس» فغضب سليمان وقام من مجلسه^(١).

نفذ أسامه بن زيد تعليمات الخليفة بكل دقة واشتد في طلب الخراج والجزية وأمر عماله ألا
يتوانوا في جمع الضرائب فأسلم الكثيرون في عهده كي يتخلصوا من الأعباء المالية ولكن
حركة الهرب استمرت من جانب الذين أثقلت كاهلهم الأعباء المالية ولم يرغبوا في اعتناق
الدين الإسلامي.

وقد أمر أسامه ألا يأوى أحد غريباً في الكنائس أو الفنادق أو السواحل. ولشدة الخوف منه
طرد الناس من كان عندهم من الغرباء أو الهاربين^(٢). ولكي لا يتمكن أحد من الهرب من
منطقة إلى أخرى عملت سجلات للأهالي أشبه بجوازات السفر اليوم Passport فالزم كل

(١) المرجع نفسه ص ٢٣٢.

(٢) ساويرس : تاريخ البطارقة ص ١٥٣ ج ٢ .

الجرى حريصا فى طلب البطرك وقال انه يهدم
 البيع ويقتل الاساقفة فى كل موضع إن لم يجتمع
 به البطرك ، فسمع مقاره الارخن النبراوى ، فكتب
 الى البطرك كتابا يقول له لابد من ان تجتمع بهذا
 الرجل والا فهو يهدم البيع ويقتل الناس ، وحلف له
 وقال : انى ادفع جميع مالى عنك ولا يلحقك ما
 يغمك . فقال البطرك كلمة اشعيا النبى : ان ليس
 نفسى عندى عزيزه وانها لله ولينظر الرب خلاصى
 لانى توكلت عليه فلا اخاف ما يصنعون بى

 شخص يريد الانتقال من جهة إلى جهة فى أنحاء القطر المصرى أو يريد ركوب سفينة أو
 النزول منها أن يحمل معه سجله وقد أمر الوالى بالقبض على أى شخص يرى ما شيا فى
 موضع ما أو عابرا من موضع إلى موضع وليس معه سجله . وإذا وجد شخص راكبا مركبا
 أو نازلا منها وليس معه سجله تنهب المركب وتحرق بالنار . أما من فقد سجله أو ائلفه فقد
 ألزمه الوالى بالحصول على سجل آخر مقابل دفع غرامة قدرها خمسة دنانير^(١) .

وقد عمل أسامة بن زيد إحصاء ثانيا للرهبان بعد الإحصاء الاول الذى تم فى عهد عبد
 العزيز بن مروان وأمر الرهبان ألا يقبلو فى الرهبة من يأتى إليهم وأمر بوسم كل راهب بحلقة
 حديد فى يده اليسرى ليكون معروفا ، ووسم كل واحد منهم بإسم بيعته وديره والتاريخ
 الهجرى وفرض على كل واحد منهم دينارا جزية . أما من وجد هاربا أو غير موسوم فقد كان
 يلقي عقابا قاسيا^(٢) ويقال إن أسامة بن زيد جبي مصر فى خلافة سليمان ابن عبد الملك
 اثنى عشر مليون دينار^(٣) .

وبهذه المناسبة نذكر أن أول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الدمة الحجاج بن يوسف ،

(١) المرجع نفسه ص ١٥٦ جـ ٢ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٣ جـ ٢ . وخطط المقرئى جـ ٢ ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .

(٣) خطط المقرئى جـ ١ ص ٩٩ .

الناس (*) . فقام وخرج للقاءه، وكان معهم قس
 محب لله اسمه يوساب لبيعة القديس ابي مقار
 استحق ان يجلس على الكرسي الرسولي ونحن
 نذكر فضائله في هذه السيرة، وبينما هو في
 الطريق وقد فرغ من صلاته فقال للقس يوساب:
 امن بالله يا ولدي ان هذا الرجل لا ينظرنا ولا
 نظره حيا. فلما كان الصباح وقع عليه حجر من
 الحصن فطارت عيناه من وجهه وطار يافوخه
 ومات. هكذا تمت عليه كلمة زكريا النبي انه فكر

ثم كتب عبد الملك بن مروان إلى عبدالعزیز بن مروان وإلى مصر من قبله أن يضع الجزية
 على من أسلم من أهل الذمة فكلّمه ابن حجيرة في ذلك وقال «أعيدك بالله أيها الأمير أن
 تكون أول من سن ذلك بمصر. فوالله أن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم فكيف
 تضعها على من أسلم منهم؟ فتركهم عند ذلك»^(١).

وكتب عمر بن العزيز أيضا إلى حيان بن سريج أن يجعل جزية موتى القبط على
 أحيائهم^(٢) كما ذكرنا من قبل وربما كان هذا الأمر هو الذي بعث ساويرس على أن يقول إن
 عمر بن عبد العزيز أمر بأن تؤخذ الجزية من سائر الناس الذين لا يسلمون حتى في الحالات
 التي لم تجر عاداتهم بالقيام بها^(٣). ونحن لا نعرف تماما متى بدأ أخذ الجزية ممن أسلم.
 والظاهر أن هذا بدأ قبل عهد عمر بن عبدالعزيز^(٤).

ويعلق السير توماس ارنولد^(٥) Thomas Arnold «ولكن الولاة المتأخرون استمروا في فرض

(١) ابن عبد الحكم ص ١٥٦، خطط المقرئ ج ١ ص ٧٧ - ٧٨.

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٥٤، خطط المقرئ ج ١ ص ٧٧.

(٣) ساويرس: تاريخ البطارقة ص ١٦٣ وما بعدها ج ٢.

(٤) ابن عبد الحكم ص ١٥٦ والمقرئ ص ٧٧.

(5) The Preaching of Islam p. 103.

بالسو وما بلغ ان يفعله وخلصوه من الحجاره. فلما
 راوا اصحابه هذا حملو جسده ودفنوه فى بعض
 الضياع، وكانو يسدون انافهم من ريحته وبتن
 جتته، فوصل الخبر الى الاب فمجدو الله اصحابه
 الذين كانوا معه وسمعوا ما قاله لهم قبل ان يكون
 فقالو للاب: قد تم ماقلته يا ابانا. فقال: يا اولادى
 هذا فعله الله به لن [لأن] هذا الانسان اراد قتل
 بنى بشر بالجوع.

ثم تولى ولده بعده وكان اسمه على ولم يعمل

الجزية على الذين أسلمو وبالجملة لم يكن هناك استمرار فى مثل هذا السياسة بل كان الولاة
 يتبعون فى ذلك سياسات مختلفة على حسب أهوائهم دون السير على وتيرة واحدة.

ثم حدث أن الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ) أخذ المسيحيين بالشدة من
 الوجهة المالية فأعاد الخراج الذى كان عمر بن عبد العزيز قد رفعه عن الكنائس والأساقفة.
 ويدلنا على مبلغ كراهية المسيحيين له تلك الكلمات التى يصفه بها مؤرخ البطارقة إذا يقول
 «إنه سلك فى طريق الشيطان وحاد عن طرق الله»^(١).

ولما بويع هشام بن عبد الله الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) بالخلافة تفاعل المسيحيون خيرا.
 ويصفه مؤرخ البطارقة بأنه رجل يخاف الله مخلص للأرثوذكسين ومحب لسائر الناس^(٢).
 وقد أمر هشام بأن يعطى كل من يدفع خراجا إيصالا باسمه كيلا يظلم أحد فى مملكته^(٣).

على أن سياسة هشام بن عبد الملك المالية كانت كسياسة غيره من الخلفاء. وليس أدل
 على ذلك من أن عامله على خراج مصر وهو عبيد الله بن الحبحاب ظل فى هذا المنصب
 منذ أن ولى هشام الخلافة إلى سنة ١١٦ هـ^(٤) أو إلى سنة ١١٤ هـ^(٥) فى قول آخر، بينما

(١) ساويرس : ص ١٦٣ وما بعدها جـ ٢ .

(٢) ساويرس ص ١٦٦ جـ ٢ .

(٣) ساويرس ص ١٦٨ جـ ٢ .

(٤) خطط المقرئى جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٥) أبو الحسن جـ ١ ص ٢٧٣ .

بأعمال اييه فجأ رخا عظيم حتى نسي الناس ما
كانو عليه من الغلا وقالوا: نسبحك اللهم في ذلك
اليوم كما قال اشعيا النبي(*) : لنسك [لأنك]
غضبت علينا ثم رددت غضبك عنا ورحمتنا لنك
ربنا ومخلصنا وتوكلنا عليك. وبعد هذا نظر الله
تشرّد الرهبان اولاد ابي مقار وتشتتهم في كل
مكان فاعادهم الى مواضعهم المقدسه فشكر الله
الاب البطريك ومجده وقال كما قال داود النبي
في الزمور(*) [٨٥]: رجعت واحييتنا، شعبك يفرح
(*) اشعيا : الاصحاح ٥٧ / ١٦
(*) المزامير : ٨٥ / ٦ ، ٧ .

تعاقب على حكم البلاد في زمنه خمسة ولاية، وكان يتمتع أثناء ذلك بنفوذ كبير لا يعد، يولى
من شاء من الموظفين ويعزل من يشاء. بل إنه نجح في عزل اثنين من الولاة، وهما الحر بن
يوسف، وحفص بن الوليد. وجعل إليه الخليفة أمر اختيار من أحب من الولاة ، فاختار عبد
الملك بن رفاعه^(١). وكان له الأمر أيضا في تولية القضاة، فقد قام بأمر تبوية بن نمر الحضرمي
حتى ولى القضاء في سنة ٢١٦ هـ ^(٢) وطبعي أن من الأسباب التي حصل بها ابن الحبّاب
على هذه السلطة الواسعة أنه كان يمثل سياسة الخليفة المالية أحسن تمثيل . أما قوام هذه
السياسة فتبينه من بعض أخبار هذا العامل على الخراج. فإننا نعرف مثلا أنه لما ولى خراج
مصر أمر بأن تحصي الناس والبهائم، وأن تقاس الأراضى الزراعية والأراضى البور وضع أميالا أى
علامات للمسافات فى حقول مصر على الحدود والطرق، وضاعف الخراج وأمر بأن تختتم
رقاب الناس بسمة الأسد ^(٣) وذلك لتسهيل معرفة هؤلاء الذين تجب عليهم الجزية والضرائب.
ويذكر المقرئى ^(٤) أن الخليفة هشام ابن عبد الملك أوصى عبيد الله بن الحبّاب بالعمارة،
فيقال إنه لم يظهر فى خراج مصر بعد تناقصه كثرة إلا فى وقتين، أحدهما فى خلافة هشام

(٢) الكندى ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(١) الكندى ص ٧٤ - ٧٥.

(٣) ساويرس : تاريخ البطارقة ص ١٧١ جـ ٢.

(٤) الخطط جـ ١ ص ٩٨ - ٩٩.

بك، ارنا يا رب رحمتك واعطنا خلاصك. وايضا
تكلم بالسلام على شعبه وابراراه. فراى الاب انبا
يعقوب هيكل ابى شنوده انه لا يسع جماعة
الرهبان فبنى البيعه التى على اسم ابى مقار وهى
هيكل بنيامين لانه [لأنه] كان قد دثر، وزينها بكل
زينه وكملها وكرزها اول يوم من برمودة وكان هذا
تذكارا للبترك ومجدا للرب.

وكان مقارة النبراوى الارخن يشتهى ان يرى
الاب البترك ويبارك عليه فى منزله وجا الى بيته،

ابن عبد الملك عندما ولى اخراج عبيد الله بن الحبحاب، والوقت الثانى فى إمارة أحمد بن
طولون لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر، فبعد أن كان خراج مصر دون
الثلاثة ملايين دينار خرج ابن الحبحاب بنفسه ومسح العامر من أرض مصر والغامر^(١) فراكها
كلها وأصلحها، وأستطاع أن يجبى من مصر أربعة ملايين دينار.

ويذكر الكندى^(٢) والمقرئى^(٣) أنه فى أمرة الحر بن يوسف (١٠٥ - ١٠٨ هـ) كتب
عبيد الله بن الحبحاب إلى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتل الزيادة، فزاد على كل
دينار قيراطاً^(٤).

وإزاء هذه الأعباء المالية الثقيلة بدأ الأقباط للمرة الأولى يتركون سبيل المقاومة السلبية
ويقامون حكومة العرب مقاومة إيجابية. فثار الأقباط فى سنة ١٠٧ هـ فى الوجهين البحرى
والقبلى فبعث إليهم الحر جيشاً لحاربهم فقتل منهم نفر كثير^(٥).

(١) الغامر الأرض الخراب أو البرر. (٢) الولاة والقضاة ص ٧٣.

(٣) الخطط جـ ١ ص ٧٩.

(٤) القيراط نوع من العملة المستعملة حينذاك فكان الدينار ينقسم إلى ٢٤ قيراطاً (ابن عبد الحكم - طبعة
نورى ص ١٥٣).

(٥) الكندى ص ٧٣ - ٧٤ وساويرس ص ١٧٣ جـ ٢. وخطط المقرئى جـ ١ ص ٧٩.

وكان قد ولد له ولد ذكر ففرح به وكان عنده
وعمل صدقات كثيرا ورحمه، وأراد الله أن يمجد
البطرك بهذا السبب فظهر هذه الاعجوبة، وبعد
أيام يسيره اعتل الصبي ومات فاخذه بامانه وجا به
الى قلاية البطرك، مثل ما فعل ريس الجماعة الذى
اقام المسيح ابنته، وقال الارخن للبطرك: اعن
عبدك فان ابني يموت: فقال: احضره الى .
فاحضره فقبل الصبي إليه وصب على صدره
وفواده وجبهته وقال: يا سيدى يسوع المسيح

وعند ما ولى مصر الوليد بن رفاعه من قبل هشام بن عبد الملك (١٠٩ - ١١٧هـ) خرج
ليحصي أهلها، وينظر فى تعديل خراجهم، واصطحب معه جماعة من الكتاب والأعوان
ليساعدوه فى مهمته هذه، فأقام بالصعيد ستة أشهر حتى بلغ أسوان، وأقام بالوجه البحرى
ثلاثة أشهر، فأحصو من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية، ولم يحص فى أصغر قرية منها أقل
من خمسمائة رجل ممن تفرض عليهم الجزية^(١).

وقد تتابعت ثورات القبط، فثار أقباط الصعيد وحاربو عمال الحكومة فى سنة ١٢١هـ،
فبعث إليهم حنظلة بن صفوان والى مصر (١١٩ - ١٢٤هـ) جيشان لمحاربتهم، فانتصر
عليهم وقتل منهم عددا كبيرا^(٢) وفى ولاية حفص بن الوليد الثالثة على مصر (١٢٧ -
١٢٧هـ) أعلن إعفاء كل من يسلم من الجزية، فاعتنق نحو أربعة وعشرين ألفا من الأقباط
الدين الإسلامى .

(١) ابن عبد الحكم - طبعة تورى ص ١٥٦ وخطط المقرئى ج١ ص ٧٤ والسيوطى: حسن المحاضرة
ج١ ص ٦٣ - ٦٤ فى مجموعة الارشيدوق رينز بالمكتبة الأهلية فى فينا وثيقة بردية تشير إلى أحصاء
سكان مصر فى ولاية الوليد بن رفاعه . وتفصل هذه الوثيقة البيانات التى كان على الموظفين جمعها عن
كل شخص . وراجع، (Papyrus Eizherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung (Wien 1894) No 599 p 152.

(٢) خطط المقرئى ج١ ص ٧٩ .

معطى الحياه والمنعم بالنعمه من عنده: أقم هذا
الطفل لآبيه دفعة اخرى حيا. فعادت اليه نسمة
الحياة وفتح عينيه وحرك يديه ورجليه. فقال ابونا
بصوت عال لآبيه الارخن مقاره كما قال السيد
المسيح لريس الجماعة: ان ولدك لم يمت بل كان
نائما. فلما رأى الارخن هذا العجب العظيم لحقه
خوف شديد منه ومجد الله صانع العجايب فى
قديسيه. وفى تلك الساعة زاد الارخن فى صدقته
وفعله الخير وكانت صدقته تفيض من يديه كالنهر

ومع ذلك فقد تابعت ثورات القبط فخرج ثائر منهم بسمنود، يدعى يحنس ، فبعث إليه
عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير ، والى مصر إذ ذاك جيشاً لمحاربهه ، وكان ذلك فى
سنة ١٣٢هـ ، فقتل يحنس مع كثير من أصحابه (١).

ثم ثار القبط برشيد فى سنة ١٣٢هـ ، فأرسل إليهم مروان بن محمد جيشاً لمحاربتهم ،
وذلك حينما دخل مصر فاراً من بنى العباس فهزمهم هذا الجيش (٢) ، كذلك ثار ضده أهل
البشرود ولكنه لم يستطع القضاء على ثورتهم ، إذ سرعان ما هاجمه العباسيون وقضوا عليه .

ولما قامت الدولة العباسية فى مصر تفاءل الأقباط خيراً وخمدت ثورة البشموريين من أجل
ذلك ، إلا أن المشكلة المالية لم تنته وعادت إلى ما كانت عليه زمن الأمويين ، بل عادت للعهد
السابق فلم تمض ثلاث سنوات على قيام الدولة العباسية بمصر حتى ضوعف الخراج على
الأقباط ولم يتم ما وعدوه من التخفيف عنهم .

ولكن حدث من ناحية أخرى أن قرر الخليفة السفاح أن يعفى من الجزية كل من يعتنق
الدين الإسلامى ويقيم شعائره ، فتخلى كثير من المسيحيين ، أغنياء كانوا أو فقراء ، عن دينهم

(١) الكندى ص ٩٤ وخطط المقرئى جـ ١ ص ٧٩ .

(٢) الكندى ص ٩٦ وخطط المقرئى جـ ١ ص ٧٩ .

الجارى الفايض ، ودفع تلت ماله للارامل والايام
[المعوزين] ويكسوهم الثياب ويفعل كلما يجب
فعله.

ووصل هذا الخبير الى مدينة يروشليم وانفد
مقاره الارخن وبنى فيها بيعه، وهى الان ملجا
الارتدكسين الى اليوم ولمن يطرق المدينة للصلاه
فيها، بناها تذكارا له الى الابد وهى تعرف ببيعة
المجدلانية، فبارك الله عمل يديه وضاعف له أمواله
مثل القديس ايوب.

واعتقرو الدين الإسلامى بسبب فداحة الجزية والأعباء الملقاة عليهم. وسرعان ما عاد القبط
الذين بقو على دينهم إلى الثورة فثار الأقباط يسمنود فى سنة ١٣٥هـ فى ولاية أبى عون
الأولى على مصر ١٣٣٠ - ١٣٦هـ) فبعث إليهم أبو عون جيشا محاربتهم فهزموا وقتل أبو
مينا زعيم تلك الثورة (١).

ثم ثار القبط فى سخا سنة ١٥٠هـ ولاية يزيد بن حاتم بن قبيصة على مصر (١٤٤ -
١٥٢هـ) وانضم إليهم أهل البشروود وبعض جهات الوجه البحرى، ولكن العرب انهزموا أمام
القبط فى هذه المرة (٢). ثم خرج القبط فى سنة ١٥٦هـ فى ولاية موسى بن على بن رباح
اللمخى (١٥٥ - ١٦١هـ) فأرسل إليهم الوالى جيشا هزمهم (٣).

وكثيراً ما ثار العرب ضد الحكومة بسبب الخراج بعد أن زاد عددهم وأصبحو يملكون
الأراضى فى البلاد، وكثيراً ما اشتراكو مع الأقباط فى ثوراتهم. وكانت آخر ثورة للأقباط تلك
التي حدثت فى جمادى الأولى سنة ٢١٦هـ زمن الخليفة المأمون أثناء ولاية عيسى بن منصور
على مصر من قبل المعتصم (٢١٦ - ٢١٧هـ) إذ ثار أهل الوجه البحرى كلهم سواء فى

(١) الكندى ص ١٠٢ وأبو الخاسن ج١ ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٢) الكندى ص ١١٦ وخطط المقرئى ج١ ص ٧٩.

(٣) الكندى ص ١١٩ وخطط المقرئى ج١ ص ٧٩.

واراد الله ان يرى هذا الرجل سرا عظيما عجيبا
من كثرة امانته ليرزقه الله رجاء الحياة الابديه،
وفى بعض الايام اقسم يمينا ان يتمم فعلين، وهما
ان لا يرد احد يساله، ولا يغلق بابه فى وجه احد.

اسمعو ماجرى له، كان له امانه ورجا بشفاعه
القديس تاودرس، وكان يرشده فى اعماله ويقضى
حوايجهم، وكان فى زمان خلافة هرون الرشيد كثر
الخراج على مقاره هذا لكثرة وصاياه واعماله،
فمضى الى الملك ليوفى ما عليه فطال مقامه وانفق

ذلك العرب والقبط - فطردوا عمال الحكومة، وقدم الأفشين قائد المأمون من برقة لمحاربتهم،
فسار إلى أهل الحوف وهزمهم وأرسل القواد وعيسى بن منصور إلى مختلف جهات الوجه
البحرى لمحاربة الثائرين. ثم أقبل الأفشين فى جنوده إلى الإسكندرية فهزم كل من اعترضه فى
طريقه إلى أن دخلها فى ذى الحج سنة ٢١٦ هـ، ثم سار بعد فتحها إلى أهل البشروء، فامتنعوا
عليه حتى قدم المأمون إلى مصر (١).

وقد عرف أهل البشروء أو البشمور بتمردهم والثورة منذ التاريخ القديم، وقد شجعتهم
طبيعة المنطقة التى يعيشون فيها على ذلك فإن هذه المنطقة الرملية على ساحل الدلتا بين
فرعى رشيد ودمياط (٢) كانت تحيط بها المستنقعات والأرواح التى تعيق حركة الجند وقد ثاروا
زمن المأمون لكثرة الخراج الواقع على كاهلهم والقسوة التى كانت تستعمل فى جبايته وقبل
مجيئ المأمون إلى مصر كتب البطرك أنبا يوساب إليهم كتباً ينصحهم بأن يرجعوا عن ثورتهم
ويحذرهم من قوة السلطان فلم يرجعوا، ولما رأى الأفشين تمادى البشموريين فى ثورتهم
كتب إلى الخليفة المأمون يعلمه بما حدث (٣) فرأى المأمون أن يأتى إلى مصر لإخماد تلك

(١) الكندى ص ١٩٠ - ١٩١.

(2) Wiet: Hist. de la Nation. Egypt. T. IV. p. 73.

(٣) ساويرس ص ٨١٧ ج ٢.

جميع ما كان معه، لئلا [لأنه] لم يكن يتمتع من دفع الصدقة ولم يجتمع بالملك، فجاز يوم وهو ماضى الى قصر الملك فرأى فى الطريق منزلا عظيما مزينا لم يراه قبل ذلك اليوم، فقال لغلمانه قد ضلنا عن طريقنا لان هذه الدار لم نرها فى طريقنا قبل اليوم، وصار مثل انسان قد سها او بغير عقله، فنظر الى انسان نير وقد خرج من الدار يشبه معرفه له لما كان بارض مصر فقال للارخن : يا مقارة لك ايام منذ وصلت الى هاهنا ولم تفتقد

الثورة فجاء فى جيشه وصحب معه البطرك ديونوسيوس بطرك أنطاكية (١) فى المحرم سنة ٢١٧هـ .

أرسل المأمون البطرك أنبايوساب والبطرك ديونوسيوس إلى البشموريين . ووعدهم إلا يعاقبهم إن هم رجعوا عن ثورتهم ولكن البشموريين لم يجيبوا البطركين فسير المأمون إليهم الأفشين بجنده ولكنهم قاوموا جند الأفشين بشدة فلما علم المأمون بذلك سار إليهم بجيشه وركز جميع قواته ضدهم إلى أن سلم البشموريون فأعمل فيهم القتل بالسيف وأحرقوا مساكنهم وهدموا كنائسهم (٢) .

وبعد ثورة البشموريين التى كانت آخر ثورة للأقباط فى عهد الولاة، أسلم العديد من المصريين وعلى الأخص فى الوجه البحرى إذ يظهر أن عددا كبيرا من الأقباط أسلم فى ذلك الوقت (٣) .

وهكذا نجد ان المصريين كانوا قد قبلوا النظام المالى الذى فرضه الخلفاء حتى سنة ١٠٧هـ

(١) ساويرس ص ٨١٦ ج ٢ .

(٢) ساويرس ص ٨٢٢ وما بعدها ج ٢ .

(٣) خطط المقرئى ج ١ ص ٧٩ - ٨٠ .

بى، فكلمه الارخن مقاره بحضور من معه فتقدم
اليه وعانقه وقبل بعضهما بعضا ومسك صاحب
الدار يد الارخن ودخل به الى الدار من عدة ابواب
وجا به الى موضع فيه مال عظيم يشبه خزاين
الملوك وقال له: خذ جميع ماتحتاج اليه لنفقتك
واذا مضيت الى بلدك فانت تعيده الى وانا اليوم
انجز حاجاتك عند الملك وكلما تحتاج اليه. فاخذ
الارخن المال من بيت ذلك الانسان النير الذى كان
يخاطبه وخرج ودفعه لمن كان معه من غلمان

ثم بدأوا يقاومون حكومة العرب مقاومة عنية دموية ظلت أكثر من قرن لاسيما فى منطقة
الدلتا. على أن ثورات القبط كان يقضى عليها سريعا. وكان يتبع إخمادها فى العادة تحول
جزء كبير من الأقباط إلى الدين الإسلامى. ولم تكن هذه الثورات حركات قومية بالمعنى
الصحيح وإنما كانت حركات غير منظمة لم يعرف فيها القبط كيف يوحدون أنفسهم وكيف
يستخذون لهم قيادة حكيمة. وكان هدفها خفض الضرائب أو الهرب من دفعها. فبينما نجد أن
الاضطهاد الدقلديانوسى ضد المسيحية فى مصر قد زاد من قوتها وولد حركة قومية بين
المسيحيين نجد أن القبط يغلبون على أمرهم فى ثوراتهم ضد العرب(*) .

(*) انظر : ١ - مصر فى فجر الإسلام . د. سيد اسماعيل الكاشف دار الفكر العربى . القاهرة ١٩٤٧
٢ - الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى . د. زبيده عطا . سلسلة تاريخ
المصريين ٤٨ . الهيئة المصرية العامة . القاهرة ١٩٩١ .

القيام على الباب، وركب الرجل فرسه واسرع
قدام الارخن فلما قرب من القصر بدو الاعوان
ينادون اليه ويقولون: اين مقاره المصرى. فاخذو
بيده وادخلوه الى الملك فخاطبه الملك وقال له:
اطلب جميع حوايجك وكلما تحتاج إليه حتى
اقضيه لك فى هذا اليوم. فأنجز له حاجاته
والانسان النير الذى خاطبه خرج به من القصر،
فلما صار بعيد من القصر غاب عنه ولم يعد
الارخن ينظره، وظن انه قد عاد الى داره التى اجتاز

علاقة الحكام المسلمين بالأقباط المصريين

عهد الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤ هـ = ٦٨٢ - ٦٨٤ م) بولاية اقليم الاسكندرية
والبحيرة ومريوط، وما يليها لأحد المسيحيين الملكانيين، ويسمى تيودوسيوس^(١). ووقَّس
تيودوسيوس موقفا عدائيا من القبط الأرثوذكس، وبطركهم الأب اغاثو. وساعده فى ذلك ما
صار له من سلطان بفضل مرسوم الخليفة. فقد طلب من البطرك اغاثو جزية سنوية على
تلاميذه مقدارها ستة وثلاثون دينار. كما كان يلزمه بكل ما يحتاجه من نفقات على الأسطول
والنوتية. كما طالبه بزيادة على خراج كنائسه، وقدرها سبعة آلاف دينار^(٢). وفى الحقيقة كان

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، يسميه تاوضوسيا. وفى موضع آخر ص ١٢٢ تدرس. انظر ايضا،
السنكسار، ج ١، ص ١٢٧، ترتون: أهل النعمة فى الاسلام، ص ٢٢. ويذكر هؤلاء ان تيودوسيوس ذهب
الى الخليفة المذكور بدمشق وقدم له هدايا وأموالا عظيمة وطلب منه أن يولييه حكم الاسكندرية وما
يجاورها، وأن يكتب الخليفة له سجلا بذلك. فكتب الخليفة يزيد لتيودوسيوس سجلا يحق له به حكم
الاسكندرية والبحيرة ومريوط. كما أشار الخليفة فى هذا السجل الى أن والى مصر ليس له سلطان على
هذا الحاكم.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، السنكسار، ج ١، ص ١٢٣ وما بعدها. وأصل البطرك اغاثو من
مريوط وكان قسا فى الكنيسة فى بطريركية الأب بنيامين. وشهد اضطهادات المقوقس وتحدى مذهبه
الذى كان يدعو اليه القبط. فكان ليلا يتزيا بزي العلمانيين، ونهارا يتكر فى زى نجار - يحمل آلات
النجارة - كما ذكرنا آنفا فى التمهيد - وعاد الى الظهور بعد الفتح العربى وعودة البطرك بنيامين الذى
عهد اليه بتدبير أمور البيعة، وولى البطركية من بعده. انظر ابن المقفع: المصدر السابق.

به فيها، فلما وصل الى الموضع الذى كانت فيه
الدار لم يجد لها اثرا بالجمله فشخص الرجل
وغاب عقله ساعه، وبعد هذا فهم انه الشهيد
العظيم تادرس [الشاطبي] الاسفهلار (*) جل
محبتة له، فمجد الله وزاد على الرحمه والصدقه
والاعمال الحسنه، وكان ثابتا على هذا الحال الى
الزمان الذى نقله الله من هذا العالم.

(*) تحتفل بشهادته الكنيسة المصرية
فى ٢٠ أيب. أنظر السنكسار
ج ٢ ص ٣٢٢ . مكتبة النجبة.

فنعود الان الى ذكر بقية قصة الاب انبا يعقوب
البطرك، فما فعلنا هذا وذكرنا جبر هذا الارخن

موقف هذا الحاكم من البطرك اغاثو يمثل انتقاما من القبط اليعاقبة وبطركهم، ورغبة فى
اضعاف شأنهم، وعودة سيادة الملكانيين عليهم، كما كان الحال فى العهد البيزنطى، وخاصة
أن هذا الحاكم كان يمارس سلطان واسعة فى دائرة حكمه، فكان يفرض ضرائب جديدة،
ويزيد مقدار الضرائب المفروضة فعلا.

ثم أمر تيودوسيوس، أصحابه برجم البطرك اغاثو بالحجارة وقتله: فكان هذا البطرك لا
يخرج من قلايته^(١) ليلا ولا نهارا. ولما توفى البطرك اغاثو حجر تيودوسيوس على كل أمواله،
وعلى جميع أموال الكنائس القبطية فى الاسكندرية وختم عليها. فانتشرت المجاعة فى المدينة
واستمر الحال على ذلك حتى توفى تيودوسيوس^(٢).

ويشيد المؤرخون المسلمون وغير المسلمين بدور القبط الواضح فى الادارة والحكومة فى

(١) القلاية جمعها قلالي، وهى أماكن منفردة للمتعبدين و التساك المنعزلين عن السكن بين الناس. وهى
تعد أصلا لسكنى الرهبان ويقوم الرهبان بحفرها فى الصحراء أو أماكن الجبال أو بنائها من الطوب. انظر
عبدالمسيح البرموس: تحفة السائلين. ص ١٧. حكيم أمين: دراسات فى تاريخ الرهبانية، ص ١٣٨.
والمقصود هنا البناء الذى يسكنه البطرك ويكون فيه اقامته طوال توليه كرسي البطركية.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة ص ٥ ج ٢.

مقاراه الا غرضا في عز الاراخنه الارتدكسين، فان
الله لا يدعهم في هذا الدهر ولا في الاتي كما قال
بولس الرسول^(*): لا تدع عمل الخير حتى تحصد
ما بذرت، وما دام الزمان معنا تفعل الخير مع كل
احد ولا سيما اخوتنا اهل الايمان. ثم انه كان
يوصي طيماتاوس ولده ويقول له: اكثر من تذكّر
فعل الخير للمؤمنين عند ما يكتبه يقول له هكذا:
ان اغنيا [ء] هذا الزمان تقدم ليهم بان لا تتكبر
قلوبهم ولا يجعلو رجاهم وتوكلهم على غناهم

ولاية عبدالعزیز بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) الذي اتخذ له كاتبين أرثوذكسين هما:
اثناسيوس^(١) وأصله من مدينة الرها، والثاني يسمى اسحق من أهل شبرا^(٢).

خدم هذان الكاتبان مصالح القبط، ومصالح بطركهم يوحنا^(٣). وعملا على تحقيق كل
آمالهم ورغباتهم بشأن الكنائس وغيرها. وكان حاكم الاسكندرية تيودوسيوس - كما ذكرنا -
قد حفر على أموال الكنائس وأملأها بعد وفاة البطرک أغاثو، فلما أقيم يوحنا بطركا، بعث
لأثناسيوس وزميله اسحق يعلمهما بما أصاب القبط على يد حاكم الاسكندرية وما حل ببيعتهم
آنذاك. وتمكن هذان الكاتبان بما لهما من نفوذ وسلطان أن ينهيا هذا الحفر، فعادت جميع
أموال الكنائس القبطية الى البطرک يوحنا^(٤).

(١) ويسميه أحد المؤرخين السريان اثناسيوس بن غومايه Athanasius Bel Gaumaye ويقول انه كان يشتهر
بالنبل، والذكاء، وكان متبحر في العلوم الكنسية والدينية. وذاعت شهرته حتى بلغت اخباره الخليفة
الاموي عبدالملك بن مروان الذي عهد اليه بتعليم أخيه عبدالعزیز بن مروان الذي ولي امرة مصر..
chronique de Michel le Syrien, T. 2. fasc. 3, p. 475.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة ج٢.

Amélineur: Histolre du Patriarche Copte Isaac, p. 43.

(٣) أصله من سمند، وترهب بدير أبي مقار، وكان كاتباً للبطريرك أغاثو وولي البطركية من بعده، الأنبا
ايسيدورس: اغريدة النفسية، ج٢، ص ١٢١.

(٤) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة ج٢.

فان الغنى لا ربح فيه، لكن يكون توكلهم على
الله الذى يعطينا كل شى يغنى، ويكون فعلنا فى
الخير ويكون غنانا فى الافعال الحميده لنكون
مستقيمين ليكون لنا اساس ثابت فيما ياتى،
ونتمسك بحياة الحق.

فلذلك ابسطو عذرى واسمعو منى بقية اعمال
هذا الأب القديس المؤيد الذى هو نبى واعطاه الله
ان ينظر الاسرار من البعد.

ويبدو أن أنثاسيوس قد تولى ديوان الخراج فى عهد الوالى عبدالعزیز بن مروان. واستمر فى
اهتمامه بمصالح القبط والكنيسة القبطية طوال عهده. فلما توفى البطرک سيمون^(١) (فى
سنة ٦٩١م) وأصبحت الكنيسة بدون راع لها، طلب أنثاسيوس ومن معه من الكتاب القبط
من الوالى عبدالعزیز بن مروان، أن يرسل الأسقف اغريغوريوس الى الاسكندرية للحفاظ على
أموال الكنائس ورعاية شعونها^(٢) وأجاب عبدالعزیز بن مروان الكتاب القبط الى طلبهم،
وأفد اغريغوريوس الى الاسكندرية وكتب له سجلا، يفوضه التصرف فى أموال الكنائس،
وعهد اليه بتدبير شعونها، وقام اغريغوريوس بهذه المهام نحو ثلاث سنوات^(٣).

وكان أنثاسيوس ينعت فى المكاتبات الرسمية بالكاتب الأفخم، ويضم ديوانه عشرين كاتباً،
ثم زاد عددهم حتى بلغ أربعين كاتباً^(٤). وزادت إيرادات أنثاسيوس وأولاده. الى جانب ما كان

(١) أصله من أهل المشرق، جاء به والده منذ صباه الى الاسكندرية. صار قسا فى بطركية أغانو. وبعد وفاة
البطرك اسحق، وقع اختيار القبط على الأب سيمون ليكون بطركاً لهم. وحاول بعض الكهنة دس السم
له. وحارب البطرك سيمون ظاهرة التسرى بين الأساقفة والقبط. وتعرض لكثير من المحن. انظر: ساويرس
ابن المقفع: تاريخ البطارقة..

(٢) ساويرس ابن المقفع: المصدر السابق.

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة.

(٤) ترتون: أهل الذمة فى الاسلام، ص ٢١.

لما ذكر الرب كورة مصر الضعيفه ليزيل منها
الحروب اظهر الامر للاب القديس وعرفه ان هذا
يكون قريبا غير بعيد وكان يعلم ان الارشيدياقن
الذى له يفعل افعالا بغير ارادته فدعاه وقال له : يا
ولدى سوف يجرى سلطان الى بلاد مصر قريبا
ويملك على مصر وعلى رويساها وعلى اسكندريه
وجمع كورتها، فاذا وصلنا مع سلامة الله الى
اسكندريه فايك ان تسمع من احد من الناس ان

يحصل عليه من الهدايا والأموال العظيمة من الوالى عبدالعزیز بن مروان حتى بلغ ما يتقاضاه
ستين ألف دينار سنويا^(١). وصارت كل شئون البلاد المصرية فى ولاية عبدالعزیز بن مروان -
تحت تصرف كاتبه اثناسيوس^(٢). وأثرى اثناسيوس نتيجة ذلك كله ثراء كبيرا، واتسعت
أملكه. فقليل انه كان يمتلك أربعة آلاف عبد، الى جانب عدد لا يحصى من الضياع والدور
والحدائق، ومقدار عظيم من الذهب والفضة^(٣). وكان اثناسيوس غيورا على دينه، متحمسا
لمذهبه، فشيّد كثيرا من الكنائس بمصر خاصة فى الفسطاط، ومنها كنيسة مار جرجس
وكنيسة أبى قير^(٤).

(١) ترتون: أهل اللغة فى الاسلام، ص ٢٩.

(2) chronique de Michel., T. 2, fasc. 3. p. 475.

(3) Ibid. p. 475.

(٤) انظر: Ibid., p. 476.

وابن بطريق: التاريخ المجموع، ص ٤٩.

وقد سعى باثناسيوس أحد الملكانيين ويسمى مرجيوس بن منصور، عند الخليفة عبدالملك بن مروان فى
دمشق، واتهمه أمامه بنهب أموال مصر، وحملها معه الى الشام بعد وفاة عبدالعزیز بن مروان. فاستدعى
عبدالملك اثناسيوس، وقد تمكن الأخير من ارضاء الخليفة وقدم له مبلغا عظيما من الأموال. ويقال ان
عبدالملك قبض على اثناسيوس وأهله وأخذ منهم كل ما جمعه من الأموال.

تمد عينك الى شى من هذا العالم فتكون مظلما
فى اعمال الله ونكون ذليلين عند الامه المخالفه
الذين اذلهم قدامنا، والشيطان امامهم، واعلم انك
اذا خلعت كلامى فتقع بيعة الله فى بلا عظيم.

ثم بعد ان قال له هذا القول بقليل وصل الى
كورة مصر امير من عند ملك المسلمين اسمه
عبدالله بن طاهر(*)، وكان رجلا خيرا رحوما فى
دينه محبا للعدل مبغضا للظلم ومن اجل ذلك

(*) عبد الله ابن طاهر يصل الى
مصر واليا عليها فى ١٣ ابريل
٨٢٦م = الأول من محرم =

ولم يكن أثناسيوس واسحق هما الموظفان الوحيدان من أهل الذمة فى حكومة عبدالعزيز
بن مروان، اذ كان هناك كثير من الكتاب القبط^(١)، الى جانب بعض حكام الأقاليم نذكر
منهم بطرس حاكم الصعيد، الذى أسلم فى نهاية حكم عبدالعزيز بن مروان^(٢). وأيضا كان
حاكم مربوط مسيحيا الا أنه كان من أتباع المذهب الملكاني. وهكذا تغلغل الذميون من
المسيحيين خاصة فى الأعمال الادارية والحكومية المختلفة.

ومن صور تغلغل الذميين فى شئون الادارة والحكم ما نلمسه فى عصر قرة بن شريك
(٩٠ - ٩٦ هـ) فقد كان يتولى ديوان الاسكندرية رجل من أهل الذمة، من المسيحيين
الملكانيين ويسمى تاودرس^(٣). وكان هذا الحاكم على عدااء شديد مع البطريرك القبطى
الاسكندروس^(٤).

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة.

(٢) المصدر نفسه. ص ١٠٨ ج ٢.

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة.

ويقول ترتون، ص ٢٢ - ٢٣ ان اسمه تيودور، وانه كان يلقب فى الكتب الرسمية باسم اجستاليس
Augustales وكان هذا لقب حاكم الاسكندرية فى العصر البيزنطى.

(٤) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة ص ١٢١ ج ٢. وقد ولى الاسكندروس البطريركية بعد ثلاث
سنوات من وفاة البطريرك سيمون. وكان متواضعا، انظر المصدر نفسه ص ١٠٣ ج ٢.

=٢١١ في عهد الخليفة المأمون
الذى عزله في ٢٨ يناير ٨٢٩م-
١٧ ذو القعدة ٢١٣ هـ انظر
الهامش السفلى ص ٥٠٦.

اخضع الله له كل عاص واذل له امة الاندلسيين
التي باسكندريه واقام بمصر اياما حتى استقامت له
الأمور.

نعود الان الى خبر انبا يعقوب مع ديونوسيوس
بطرك انطاكيه وانه لم يمكنه ان ينفذ سنوديقا لجل
الحروب بمصر والمشرق، وكذلك الأب البطرك
ديونوسيوس كان يسمع بافعال الاب البطرك انبا
يعقوب وكان يشتهى ان يسلم عليه وهو في

وكان جباة الضرائب، وحكام الكورات أيضا في عصر هذا الوالى من القبط^(١). وقد عهد
قرة بن شريك الى أحد القبط ويدعى يونس بجباية الخراج من الرهبان والأساقفة وكان يونس
يتمتع بمكانة عظيمة لدى قرة وكبار رجال الحكومة المصرية في ذلك العصر. وقد قال قرة بن
شريك: «يجب أن تعلم أن الرهبان والأساقفة الذين في سائر الأماكن قد ثقل عليهم الخراج.
وها هنا أمر سهل منهم من هو مكثر ومنهم من لا يقدر على قوته. ونحن نعرف حال سائر
النصارى فان رأيت أن تولينى أمرهم واستخرجت الخراجات، فوله قرة بن شريك أمر خراج
الرهبان والأساقفة وان كان الواضح من هذه الرواية أنه ولاء أمر الجزية والخراج عامة، ويؤكد
ذلك أن قرة بن شريك قد أوصى يونس أن يضاعف الجزية على غير القبط^(٢) وهكذا رأينا أن
العرب تركوا معظم وظائف الدولة فى أيدي الذميين. على أن هذا النظام لم يكن من مميزات
حكومة قرة بنى شريك أو العهد الأموى، وانما كان من مميزات النظام المالى نفسه الذى تركه
البيزنطيون خلفائهم العرب^(٣).

(١) سيدة كاشف: مصر فى فجر الاسلام، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ١٣٣ ج ٢.

(3) Lamman: Un Gouverneur Omayyade, p. 115.

الجسد، فلما اتفق له هذا الأمير وهو متوجه إلى مصر سار صحبته [البطرك ديونوسيوس] إليها حتى وصل إلى مصر، فلما نظره ابونا انبا يعقوب فرح فرحا عظيما روحانيا وتلقاه احسن تلق وتهللت جميع كورة مصر بمشاهدتهما بعضا لبعض . وكانو الكهنة المصريون يقرؤ قدامهما من قول داود: الرحمة والعدل التقيا والصدق والسلامة اقبلا إلينا. ثم اقام الاب ديونوسيوس البطرك بانطاكية عند الاب انبا يعقوب البطرك اياما كثيرة

وفي الوقت الذي نجد فيه بعض الولاة في مصر يستخدمون الذميين في شئون الحكم والادارة نجد بعض الخلفاء الأمويين، يعارضون هذه السياسة، وينهون ولاتهم في مختلف الأقاليم الاسلامية عن استخدام أهل الذمة، والاعتماد على المسلمين بدلا منهم. ومن هؤلاء الخلفاء عمر بن عبدالعزيز (٩٩ - ١٠١هـ) فقد كره هذا الخليفة - كما كره الخليفة العباسي المتوكل بعد ذلك - استعمال الذميين في الادارة وأعمال الدواوين. وتعددت روايات المؤرخين حول تفسير سياسته واتجاهاته ولكن كتبه العديدة التي وجهها الى عماله في مختلف الأقاليم الاسلامية، جاء فيها توصيات بعدم استخدام أهل الذمة، واحلال المسلمين محلهم. ويجدر بنا الإشارة الى بعض هذه الكتب ومنها: «أما بعد، فان المشركين نجس حين جعلهم الله جند الشيطان، وجعلهم الأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فأولئك لهم عذبي مما تجب عليهم لعنة الله، ولعنة اللاعنين. ان المسلمين كانوا فيما مضى. اذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك، يستعينون بهم لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير، فكانت لهم في ذلك مدة، فقد قضاه الله.. فلا أعلم كاتباً ولا عاملاً في شيء من عملك، على غير دين الاسلام الا عزلت واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً. فان محق أعمالهم محق

ليشبع كل واحد منهما من قدس الآخر فبدوا
اساقفة كورة مصر ان يحضرو خصايم [متلازمين]
بين يدي الاب ديونوسيوس لاجل الارشيد ياقن
الذى لابينا الاب انبا يعقوب من اجل انه خوله
كلما بدينا وقلنا، فبدا الاب ديونوسيوس مثل من
يريد ان يذكر لهذا القديس انبا يعقوب ان يردع
الارشيد ياقن وان لا يكون فيه ضجر على الاساقفه
ولا يخاطبهم الا بما يجب. فلما سمع ذلك العمود
المضى انبا يعقوب نبعت منه روح النبوه وقال

أديانهم، فان أولى بهم انزالهم منزلتهم، التي أنزلهم الله بها من الذل والصغار، فافعل ذلك،
واكتب الى كيف فعلت» (١).

وهكذا أمر هذا الخليفة عماله باستخدام المسلمين، فان لم يكن فيهم خير، فغيرهم من
الذمين أولى ألا يكون فيهم خير أيضا (٢). وكان والى مصر آنذاك حيان بن شريح، الذى
احتج لدى الخليفة بأن هذا الاجراء، سيؤدى الى اعتناق معظم أهل الدمة فى مصر الاسلام،

(١) عبدالله بن عبدالحكم: ميرة عمر بن عبدالعزيز، ص ١٣٥ - ١٣٦. ابن النقاش. الدمة فى استعمال
أهل الدمة ورقة ٨٣، مخطوط بدار الكتب رقم ٣٩٥٢ تاريخ. ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الدمة، ق ١
ص ٢١٢ - ٢١٣ ويزيد فى النهاية هذا الكتاب «وأمر بمنع اليهود والنصارى من الركوب على السروج
الا على الأكف. وليكتب كل منكم بما فعله من عمله».

(٢) ابن كثير: عمر بن عبدالعزيز. ص ٩١ ويرى بعض المؤرخين المحدثين أن هذا الخليفة كره أن يكون
للذمي سلطان على المسلمين. وأن بعض كتبه الى ولاته فى هذا الشأن يعد رسالة تعليمية، جاء فيها «أما
بعد، فان الله عز وجل. أكرم بالاسلام أهله، وشرفهم وأعزهم، وضرب الذل والصغار على من خالفهم،
وجعلهم خير أمة أخرجت للناس. فلا تولين أمور المسلمين أحدا من أهل الدمة، فتهبط أيديهم وألسنتهم،
وتذلهم بعد أن أعزهم الله. ونهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى. فان الله عز وجل يقول: «يا أيها الذين آمنوا لا
تخذروا بظانة من ذريعتكم لا يألوكم خيالا وذكروا ما عثتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الايات إن
كنتم تعقلون». فترتد: أهل الدمة فى الاسلام، ص ٢٣.

للاب ديونوسيوس: وكيف حتى استجرو الاساقفه
وقالو فيمن هو مصطفى الله ومبشر به فطوبى له
مثل الذى عمل ساعة واحده فى الكرم مع
صاحب الاحدى عشره ساعه فاخذ اجرة النهار
اجمع، فلما سمع ديونوسيوس البطرك كلام الاب
انبا يعقوب البطرك ونظر الى روح القدس يتللا
فى وجهه وضع له مطانوه وقال كما قال داود
النبي: كما سمعنا كذلك راينا. انا او من انى

مما ينتج عنه قلة الجباية، مما يضر بموارد الخزانة العامة^(١). وكان معظم الولاة حريصين على
المحافظة على مستوى الايرادات.

واستجاب والى مصر لأوامر الخليفة، فعزل الموظفين من أهل الذمة من مختلف الأعمال
واستبدل بهم غيرهم من المسلمين، كما أبعد أهل الذمة عن العمل فى الموارث، كما نزع
منهم رئاسة الكور المختلفة^(٢).

وتشير الرواية القبطية الى أن عمر بن عبدالعزيز كتب الى عامله بمصر «من أراد أن يقيم
فى حاله وبلاده، فيكون على دين محمد مثله، ومن لا يريد يخرج من أعمالى» فعزل القبط
وغيرهم من الذميين من وظائفهم، وجعل مكانهم المسلمين «ودخلت (تسلط) اليد على
النصارى من الولاة والمتصرفين المسلمين فى كل مكان كبيرهم وصغيرهم، غنيهم
وفقيروهم»^(٣).

ولنا أن نتساءل بعد ذلك، هل استمر الخلفاء والولاة، بعد عصر عمر بن عبدالعزيز فى
انتهاج سياسة اقضاء الذميين عن المناصب الحكومية والادارية؟

وفى الحقيقة أن الأوضاع قد عادت الى ما كانت عليه قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز

(١) ابن قيم الجوزية أحكام أهل الذمة، ق ١، ص ٢١٣.

(٢) الكندى: الولاة والقضاة، ص ٦٩ أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٣٨.

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ١٦٣ ج ٢.

شاهدت انسانا له عند الله منزلة ان يشفع في
كورة مصر. ثم سال ابانا البطرك يعقوب ان يدعه
ليمضى الى كرسيه فدفع له كرامات عظيمة كقدر
رياسته ثم ودعه هو والاساقفة بسلام يمجدون الله
ويباركونه لاجل مشاهدتهم لقدسهم وحسن صورته
وهيبته وعفافه.

فلما وصل الى المشرق بلد سوريه كان يحدث
بما شاهدته من قدس ابينا انبا يعقوب ويشكر السيد
يسوع المسيح الذى يمجد اصفياه.

واستمرت سياسة استخدام الذميين فى الادارة وأعمال الدواوين، فكان من بينهم الكتاب
ورؤساء الأقاليم وغير ذلك من الأعمال طوال عصر الولاة الأمويين فى مصر، بل وفى عصر
الولاة العباسيين، بتأييد من اخطفاء أنفسهم الا فى عدة حالات كما سئرى وذلك بسبب
كفائتهم التى كانت تنقص العرب والمسلمين منهم.

اختار الخليفة العباسى المأمون (١٩٧ - ٢١٨ هـ = ٨١٣ - ٨٣٣ م) معاملة أهل الذمة
وخاصة زعماء القبط فى مصر بدهاء لأنهم كانوا مفاتيح حكمه فى البلاد. فقد قدم الى مصر
فى سنة ٢١٧ هـ للقضاء على ثورات المصريين فى الدلتاء والحواف بعد أن فشل قواده الأتراك
فى الحجاز ذلك، وصحب معه جيوشه الجزاره، وظل يدمر ويقتل كل ما يقابله من الثوار المصريين
ويحرق أراضيهم ومحاصيلهم وحيواناتهم حتى ابادهم وأسر من بقى من أهالى تلك البلاد
وحملهم الى مستنقعات جنوب العراق للعمل كعبيد لتعميرها واصلاحها. فى اعقاب ذلك.
تقدم اليه أحد كبار رجال القبط ويسمى بكام، وطلب من الخليفة أن يوليه كورة بورة^(١)
فعرض عليه المأمون اعتناق الاسلام حتى يمكن له أن يعهد اليه بهذه الولاية. ولكن بكام كان
متمسكا بدينه فى الوقت نفسه الذى كان فيه شديد الخوص على الولاية، فقال للخليفة

(١) بورة مدينة على ساحل النيل، بالقرب من دمياط. وتنسب اليها العمائم البورية والسلك البورى.
انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٤، ص ٥٠٦.

فاما الامير عبدالله بن طاهر فعند وصوله الى

مصر ولى اميرا من اصحابه على مدينة اسكندرية

وعلى جباية الخراج بها وباعمالها، واسم الذى ولاه

(*) هو إلياس ابن أسد ابن سامان ايلياس بن يزيد(*) .
خدا .

فاما [حكاية] ذلك الشماس الذى لاينا يعقوب

فسها عن الخطاب الذى كان خاطبه به أولا وهو

قوله له أنه لا يمد عينه الى شى من امور العالم،

وعمد الى ضياع اراضى اخذ منها بقطا وظن

المأمون: «لأمير المؤمنين عشرة آلاف مولى مسلم، أفلا يكون له مولى واحد نصراني». وعند ذلك عهد اليه المأمون بكورة بورة وما حولها^(١).

أحسن بكام معاملة القبط، كما أحسن معاملة المسلمين، على حد سواء، ولم يتحيز لآخوانه فى العقيدة المسيحية، فكسب بذلك محبة وود سكان الكورة على اختلاف مذاهبهم الدينية^(٢).

وفى عهد الخليفة المأمون أيضا، كان يلى الديوان فى مصر، أحد القبط ويسمى اسحق بن أندونة، ينتسب الى أسرة عريقة تشتهر بالثراء. وكان قد أمل فى البطركية الا أن قانون البيعة قد حال بينه وبين تحقيق آماله^(٣).

وتشير بعض الروايات التاريخية الى أن المأمون حينما قدم الى مصر شكّا اليه المسلمون من تسلط الذميين عليهم، وأن الخليفة سأل أحد أصحابه، ويسمى، عمرو بن عبدالله الشيباني عن أصل قبط مصر، فأجابه بأن أصلهم يرجع الى فراعنة مصر القدماء وذكره بأن الخليفة عمر بن الخطاب كان قد نهى عن استخدامهم فى أعمال الحكومة والكتابة. ثم قرأ عليه قصيدة لخالد

(١) ابن بطريق: التاريخ المجموع، ص ٥٨. تترن: أهل الذمة فى الاسلام، ص ٢٤.

(٢) ابن بطريق: المصدر السابق، ص ٥٨، تترن: المصدر السابق، ص ٢٤ - ٢٥.

فأذن للقبط ببناء كثير من الكنائس. كما سمح للمسلمين ببناء مسجد آخر غير المسجد الموجود.

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٧٩٠ ج ٢.

بذلك انه يحصل شيا للبيعه ولم يعلم ان سوف
 يتم ما قاله وتنبأ الاب يعقوب. فلذلك لحق الاب
 والشماس احزان كثيره لما الزما به من الخراج
 وليس معهما ما يقومان به، وكان الاب المبارك
 يقول قول الحكيم بولس الرسول لذلك الشماس:
 ما كان يجب لك يا ولدي ان تجعل عليك حجه
 بل تسمع ما وصيتك به بامانه ومحبه للسيد
 المسيح. او ما سمعت يا ولدي ما قاله بولس(*) :
 ان الذين يريدون ان يكونوا اغنيا يقعون في البلايا

(*) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس:
 ١٠، ٩.

بن صفوان، مدح فيها عمرو بن العاص، كما حرصه فيها ضد القبط وأغراه بهم، وفيها يقول
 خالد بن صفوان:

يا عمرو قد ملكت يمينك مصرنا	وبسطت فينا العدل والأقساطا
فاقتل بسيفك من تعدى طوره	واجعل فتوح سيوفك الأقباطا
فيهم أقيم الجور في جناتها	ورأى الأنام البغى والافراطا ^(١)

فلما عاد الخليفة المأمون الى بغداد أمر بعزل جميع الذميين من وظائفهم وسجن الكثير
 منهم^(٢).

استمر ولاية مصر في العصر العباسي. يستخدمون الذميين في أعمالهم، ويعتمدون عليهم
 في إدارة البلاد. فقد قام كل من مقارة بن يوسف - وكان يتولى شئون بيت المال واستخراج

(١) ابن النقاش: الذمة في استعمال أهل الذمة ورقة ٨٦ - ابن فيم الجوزية: أحكام أهل الذمة. ق ١،
 ص ٢١٧ - ٢١٨. ويزيد بيتا رابعا جاء فيه:

عبدوا الصليب وثلقوا معبودهم وتوازرروا وتقلدوا الأشرطا
 (٢) ابن النقاش: الذمة في استعمال أهل الذمة ورقة ٨٦ - ٨٧. ويقول ان الامام علي بن حمزة الكسائي
 كان يقرأ القرآن على الخليفة بعد عودته الى بغداد، قلما وصل الى قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا
 اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يترحمهم فتكم فإنه منهم﴾ قال الكسائي للخليفة: انك تقرأ كتاب الله ولا
 تعمل بما جاء فيه. ولذلك أمر بعزل الذميين من أعمالهم. واستخدم المسلمين بدلا منهم.

والعشرات وشهوات الجهل اللاتي لا يربحن شيئا،
ويطرح الناس في الفنا والهلاك . واصل كل
الشرور محبة الفضة التي احبها قوم كثيرا فضلو
عن الامانه وجذبو لهم هموما عظيمة، فبكى ذلك
الشماس وساله ان يغفر له مخالفته.

وبدا ذلك الامير ان يشدد على الاب في طلب
الخراج، ولم يكن معه ما يدفع كما ذكرنا من عدم
البيعه لانقطاع الناس عن الحضور الى بيعة القديس

لأموال - وابراهيم بن ساويرس، بدور عظيم في سياسة البلاد، وذلك في أثناء ولاية عبدالواحد
بن يحيى الوزير (٢٣٦ - ٢٣٨ هـ = ٨٥١ - ٨٥٢ م) - وكان هذان الموظفان من القبط،
يرفعان من شأن اخوانهم في العقيدة، ويحققان لبطركهم رغباته بقدر المستطاع. وظهر هذا
واضحا حينما أساء والى الاسكندرية، أحمد بن دينار، الى البطرك اليعقوبي قزمان^(١). فقد
تقدم مقارة بن يوسف، وابراهيم بن ساويرس الى والى عبدالواحد، يطلبان منه استدعاء
البطرك قزمان الى القسطنطينية بحجة أنه ولي البطركية حديثا، ولا علم له بما على كنائسه من
خراج.

واستجاب عبدالواحد لطلب هذين القبطيين، وأرسل من يستدعي البطرك من الاسكندرية.
فلما قدم الى القسطنطينية، استقر الأمر على أن يسكن مدينة دميرة^(٢)، وجميع سكانها من
القبط، كما اهتم هذان القبطيان بأمور البيعة وتعهدا بضمان الخراج المفروض عليها^(٣).
وهكذا نجح الموظفان القبطيان في انقاذ البطرك القبطي من يد والى الاسكندرية.

(١) ويسمى أيضا قسما وقد جلس على كرسي البطركية بعد وفاة أنبا خيال. وكان شماسا في بيعة القديس
أبي مقار. وأصله من سمندو انظر الجزء الثالث من ساويرس.

(٢) قرية كبيرة بمصر بالقرب من دمياط: انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٨، ص ٤٧٢.

(٣) ساويرس ابن المقفع: المصدر السابق، سيرة البطرك قسما وهو ٥٤ من العدد. ويعلق على عناية الموظفين
القبط باخوانهم وبطركهم فيقول: «وكان من نعمة الله أن جماعة من المؤمنين متولين ديوان السلطان، -

الشهيد ماري مينا لكثرة الحروب، ولما لم يجد شيئا يدفعه في الخراج اخرج انية [أواني] البيعة للامة المخالفة. والرب محب البشر الذي يظهر عجايبه في كل حين في بيعته وجعلها غالبية للملوك في كل زمان، اظهر اعجوبه يجب ان نتعجب منها، لما جلس الامير يوما من الايام ليكسر الآنية وفيما الصايغ يكسر كاسا من الكاسات المقدسه سكب دم على يديه كثيرا جدا مثل دم خروف قد ذبح، فلما نظرو هذه الاعجوبه نزل عليهم خوف عظيم

 وظهر في العصر العباسي بعض الكارهين لاستخدام الدميين في المصالح الحكومية - كما حدث في العصر الأموي من قبل - فقد حاد الخليفة العباسي المتوكل (٢٢٣ - ٢٤٧ = ٨٤٨ - ٨٦١م) عن سياسة التسامح التي اتبعها بعض الخلفاء العباسيين فعانى أهل الذمة في عصره من بعض المضايقات. فقد نهى المتوكل عن استخدام أهل الذمة في دواوين الحكومة التي ترتبط بمصالح المسلمين^(١).

تعددت روايات المؤرخين حول سياسة المتوكل نحو أهل الذمة، وكتبه إلى عماله بضرورة اتباعها، واقصاء الدميين عن مختلف الأعمال. وهناك كتاب للمتوكل في هذا الشأن وفيه يوصي عماله في مختلف الأقاليم الإسلامية، بأن يكون موظفونهم من أهل الأمانة والنصح، وهو يرى أن هذه الخصائص لا تتوافر عند أهل الذمة، فتراه في هذا الكتاب يقول: «فأما الأمانة، فليس أحد منهم مأمونا على أموال الفياء وأمور المسلمين، لأنهم عداة الدين ونعاته.

 = وجميعهم يذلون أنفسهم مع البيعة شهوة واجتهادا عن أمانتهم، وأراحوا البطرك والبيعة والمؤمنين وصاروا تحت هدوء وسلام ولا يوجد موضع واحد فيه اضطراب في تلك الأيام».

(١) ساويرس ابن المقفع. المصدر السابق البطرك قسما وهو ٥٤ من العدد. الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٧، ص ٣٥٥، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٨٥.

ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، ق ١، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

وخاف الامير وكلمن حضر وامر ان لا يكسر شى
منها، ثم انه خاف ان يجعلها فى خزاينه فامر
باعادتها إلى الاب وأمره اشد بالقيام بمال الخراج
فقاله صعوبه عظيمه قبل ان يوفى ما عليه من
الخراج، ثم بعد ذلك عزل الامير بمدينة اسكندريه
وسار الى كورته ولحقه علة هناك وكانت علة موته.
وبعد ايام كثير ذكر العجب العظيم وهو خروج
الدم من الكاس، وفى ذلك الوقت تقدم الى اولاده

وأما النصيحة، فغير موجودة عند من كان مقامه بين ظهراى المسلمين على.. قهر وذلة
وصغار^(١).

ونهى المتوكل فى كتابه هذا، عن استخدام الذميين فى شىء من أمور المسلمين، وأموالهم
وتدبير خراجهم، فلا يكون منهم فى الدواوين الخاصة والعامة فى العاصمة والنواحي، وأعمال
الجهيزة والمعادن والبريد وسائر الأعمال^(٢).

وفى الوقت نفسه حدد المتوكل فى كتابه، بعض الحالات التى يمكن استخدام المسلمين
لأهل الذمة فيها فكتب: «من كان متقلدا لعمل من خاص أعمال أمير المؤمنين ونفقاته، ولا يد
له، ولا سلطان على المسلمين. فان اقراره فى ذلك العمل، ريث ما يؤخذ بما جرى على يده،
ويجار لمكان غيره من المسلمين ثم يصرف عنه، وخلا من استعان به مستعين فى قهرمته
(خدمه) وخاصة نفقات منزله وحشمه»^(٣).

(١) ابن زبر القاضى (أبو محمد عبدالله بن أحمد): شروط النصارى ورقة ١٦، مخطوط بدار الكتب تحت
رقم (٣٩٥٢ تاريخ).

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٧.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٧، ١٨.

واكد عليهم بان ينفذو الى مصر بالمال الذى اخذه
من البطرك ليسلم الى من يوجد بطركا على مدينة
اسكندرية ففعلوا اولاده ذلك [فى ايام من يذكر
فيما بعد] وتمت هذه الاعجوبة فى ايام من
استحق ان تتم على يديه، كما انا نظهر الامر
لمحببتكم عند تمام هذه السيره.

فاسمعوا عجباً اخر أيضاً ظهر فى ايام هذا
القديس انبا يعقوب البطرك لما كان فى ايام ايلياس

كما هدد المتوكل عماله، اذا تهاونوا فى تنفيذ ما جاء فى هذا الكتاب، أو حاولوا الاغضاء
عن أحد من أهل الذمة، باخفاء أمره تحت اسم غيره من المسلمين^(١). ونرى أن كل ما كتبه
المؤرخون الأقدمون عن سياسة المتوكل إزاء أهل الذمة، كانت كتابات عامة، ولا نجد كتابات
مفصلة - إلا نزرًا يسيرًا - عن الاجراءات التنفيذية التى اتخذت فى هذا العصر فى مختلف
الأقاليم الاسلامية.

ولى الخليفة المتوكل على مصر، رجلاً فارسيًا مسلمًا يسمى عبدالمسيح بن اسحق وجعل له
الولاية والخراج، وأمره أن ينتهج سياسة نحو القبط وكنائسهم مثل سياسته نحو النصارى فى

.....
(١) المصدر نفسه. ورقة ١٨. ويذكر القلقشندي كتاباً للمتوكل جاء فيه «وقد انتهى الى أمير المؤمنين ان
أناساً لا رأى لهم، ولا ردية، يستعينون بأهل الذمة فى أفعالهم، ويتخذونهم بطانة من دون المسلمين،
ويسلطونهم على الرعية، فيعسفونهم، ويسطون أيديهم الى ظلمهم وغشهم. والعدوان عليهم. فأعظم
أمير المؤمنين ذلك، وأنكره... وتبرأ منه. وأحب التقرب الى الله بحسبه والنهى عنه. ورأى أن يكتب الى
عماله على الكور والأمصار، وولاة الشغور والأجناد فى ترك استعمالهم لأهل الذمة فى شىء من أعمالها
وأموالهم. والاشراك لهم فى أماناتهم وما قلدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه... وأشار الخليفة فى كتابه
هذا الى ما يتميز به المسلمون دون اللعين من الثقة والأمانة والدقة وغير ذلك.
انظر: صبح الأعشى، ج ١٣. ص ٣٦٨.

الامير الوالى باسكندريه. توفى اسقف فى الصعيد
على كرسى «فاو»(*) فانفذوا انسانا للبطرك يوسمه
عوضه، فخاف الرجل [ان] يطلع الله البطرك على
اعماله فيمنعه فمضى الى الامير ودفع له مالا
وساله ان يتقدم الى الاب البطرك انبا يعقوب
باصلاحه، فلما مال الامير فى اصلاحه امتنع
الاب البطرك لقوة اعتقاده وتشدده فى القوانين،
فسالوه الحاضرون وقالوا له: تجيب [توافق] سوال
الأمير ليلا [لئلا] يجرى عليك وعلى البيعه شر.

(*) فاو: تعرف الآن باسم فاو قبلى
لأنه أقيمت قرية حديثة باسم فاو
بحرى وهى تابعة لمركز دشنا
قرب مدينة الأقصر.
كان اسمها القبطى فابو
Phebôou.

بغداد والمشرق. فأنزل عبدالمسيح بالقبط كثيرا من الاضطهاد، وأخرجهم من الديوان ومن كثير
من المصالح الحكومية، وولى مكانهم موظفين من المسلمين^(١).

ثم أمر المتوكل واليه على مصر، ببناء المقياس الهاشمى للنيل، وبمنع القبط من تولى أمره،
وأن يعهد بذلك الى المسلمين^(٢). ولكن هذه السياسة التى انتهجها المتوكل، لم تدم طويلا،
وعاد ولاية مصر الى استخدامى الذميين فى أعمالهم، وفى ادارة البلاد.

وتشير بعض أوراق البردى الى استخدام القبط بصفة خاصة فى تحصيل الجزية والخراج،
سواء أكان ذلك قبل عصر الخليفة المتوكل أم بعده. فتجد ورقة بردية، يرجع تاريخها الى ١٣

(١) ساويرس ابن المقفع تاريخ البطارقة. سيرة البطرك قسما وهو ٥٤ من العدد. ويصف هذا المورخ ما
صارت عليه أحوال القبط الموظفين منهم وغير الموظفين والبطرك تحت ضيقة عظيمة، وصعوبة، من هذا
الذى ليس بانسان. ومن قوة أمانتهم لما صرفوا من أشغالهم، توكلوا على رحمة الله تعالى ذكره وسألوا أن
لا ينسأهم. فأما أبونا البطرك، لما شاهد الأراخنة وما نالهم من الصعوبة من ذلك الشيطان والبطالة، وقطع
معاشهم، وأنهم الذين كانوا يهتمون بأمور البيعة كان حزينا جفا وقد أحملت كتب المؤمنين الى الأب
البطرك، يسألونه الدعاء لهم. وكانوا أيضا يكتبون الآباء الصالحين المنقطعين الى الله فى الجبال والديارات
بمواصلة الدعاء لهم وللمؤمنين بالمسيح، أن يكشف الله عنهم هذه الغمة، ولا ينسأهم، ولا يدعهم تحت
رجزه وغضبه.

(٢) الكندى: الولاة والقضاة، ص ٢٠٣.

ولم يزالو يلطفون به الى ان اصلحه اسقفا، فلما
سار قال عليه امرا هو هكذا مثل قول بطرس
لسيمون الساحر فى ذلك الزمان فقال: موضع
توكل هذا الاسقف على اخذ النعمة به فهو
يضمحل بعد قليل، فتكون النعمة التى نالها بعيدة
منه. فلما سار وقرب من كرسية اعتل فى الطريق
ومات قبل ان ينظر الكرسي. فمن الان لا يخاف
من هذه الاعمال العجيبة فيمجد الله الذى

طوبة سنة ٢٣٣ هـ (١٠ سبتمبر سنة ٨٤٧ م) جاء فيها أن القسطل^(١) لكورتى الأشمونين
واسفل انصنا وقوص، كان قبطيا ويسمى مينا بن ابراهيم^(٢). وهناك بردية أخرى مؤرخة فى
سنة ٢٤٩ هـ (٨٦٣/٨٦٤ م) وفيها أن القسطل كان قبطيا ويسمى ابن ابهيوه^(٣). كما تشير
بعض أوراق البردى الى أن رؤساء القرى فى القرن الثانى الهجرى والثامن الميلادى، كان كلهم
من المصريين القبط تقريبا^(٤).

والحقيقة أن المصريين القبط بصفة خاصة، دون غيرهم من أهل الذمة، كان لهم دور
واضح فى ادارة البلاد المصرية - كما ذكرنا - فكان منهم الكتاب وعمال الدواوين وحاكم
الأقاليم وعمال ديوان الخراج، وكانوا يستفيدون دائما من مناصبهم فى خدمة اخوانهم القبط
ورعاية كنائسهم، وتوفير كل سبل الراحة لبطركهم. ونبحث فيما يلى موقف ولاية مصر
المسلمين فى ذلك العصر، من اقامة البطارقة.

- (١) ويكتبها البعض بالجيم بدلا من القاف. والقسطل لقب يطلق على الموظف المشرف على مالية الكورة،
أو بمعنى آخر مندوب ديوان الخراج والأموال. ويرى جاستون فيت G. Wiet أن كلمة جسطل تقابل
الكلمة البيزنطية أوجستاليوس. انظر سيدة كاشف: مصر فى فجر الاسلام، ص ٢٦.
(٢) جروهمان: أوراق البردى، ج ١، ص ١٣٤، ١٤٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٥، واسم القرية التى كان يقوم بتحصيل خراجها غير واضح.
(٤) المصدر نفسه، ص ٧٠.

يظهرها من هذا المصطفى. ولو انا نذكر يسيرا من
كثير سمعناه من عجائب هذا القديس وجهاده
الجيد لكثير القول جدا ولا نقدر ان نشرحها لضعف
عقولنا المظلمة عنها، لكن نذكر مما يجب ذكره
ونشرح تمام جهاده ربنا لمن يسمع وبركه.

لما كان عند توجهه الى الشرق ليفتقد البيع
والشعب ووصل الى ضيعة تسمى بيت [منيت]
تشتت احضروا له شابا به شيطان قد اخرسه

كان والى مصر له حق الاشراف على اختيار بطرك القبط. باعتبار الوالى نائب الخليفة، فى
مصر. ويبدو من النصوص التاريخية أن الأساقفة كانوا يستشيرون الوالى فى اختيار البطرک،
كما أنهم كانوا يقدمون من الاسكندرية الى العاصمة - القسطنطية - بعد اختيارهم للبطرك،
لمقابلة والى مصر، وتقديم واجب التحية له. وكانت موافقة الوالى على البطرک الجديد. شرطا
ضروريا لاتمام رسامته بطركا.

وهناك أمثلة عديدة، منها، ما حدث فى ولاية عبدالعزیز بن مروان، عندما توفى البطرک
يوحنا الثالث (يوحنا السمنودى) (٦٧هـ - ٦٨٦م) فقد اجتمع الأساقفة والكهنة والقبط
بالاسكندرية واتفقوا فيما بينهم على ترشيح الشماس جرجه، بطركا دون مشورة الوالى
عبدالعزیز بن مروان كالعادة، وأنه اذا اعترض على ذلك، يخبرونه بأن البطرک يوحنا كان
قد أوصى به أن يكون بطركا من بعده، وأنه لا يمكن مخالفة هذه الوصية. وبالفعل عينوا
جرجه فى درجة قسيس. وألبسوه الثياب الخاصة بذلك وقرروا رسامته بطركا فى غد ذلك
اليوم (١).

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، سيرة البطرک اسحاق وهو رقم ٤١ من العدد ص ٤٤ ج ٢.

واطرشه وسالوه ان يضع يده عليه، وان الاب اخذ
زيتا يسيرا من على عظام القديس ساويرس ودهن
به الصبى ورسم على وجهه واذنيه وقال: باسم
السيد يسوع المسيح الذى انقذ خليقته من عبودية
الشيطان ليصف هذا الشاب وينحل عنه رباط
الشيطان . وللوقت عوفى وانفتح فوه واذناه وتكلم
وسمع، وكل من ابصره تعجب ومجدوا الله
بالحقيقة.

ومن محاسن الصدف، أن اليوم الذى تقرر تنصيب القس جرجه فيه بطركا، لم يكن يوم
أحد، وقد جرت العادة بين القبط على أن يتم تعيين بطاركهم فى يوم الأحد دون غيره من أيام
الأسبوع. وقد أدرك ذلك أرشيدياقن^(١) المدينة، ويسمى مرقس، فمنعهم من تنفيذ رغبتهم فى
رسامة جرجه بطركا، فى غير يوم الأحد، حتى لا يخالف القوانين الكنسية التى جرت العادة
بمراعاتها واتباعها^(٢). وفى ذلك اليوم قدم الى الاسكندرية رسل الوالى عبدالعزیز بن مروان،
وطلبوا من الأساقفة والكهنة وبطاركتهم المرشح، الرحيل معهم الى القسطنطينية لمقابلة الوالى
عبدالعزیز، ولكن ما لبث أن اكتشفت حقيقة الأمر، وفطن الجميع الى أن جرجه، ليس هو
الذى أوصى به البطرك يوحنا، ليكون خلفا له، وإنما الأب اسحق. فغضب عبدالعزیز بن مروان
لذلك أشد الغضب، وأبطل تعيين جرجه، وأمر بإقامة الأب اسحق بطركا بدله^(٣).

(١) Archdeacon وهو رئيس الشماسة ويكون مسئولا عن نظام الكنسية ونظافتها. كما يكون من مهامه
الاشراف على أملاك الكنائس ومساعدة الأسقف فى أعماله كما يكون حريصا على مراعاة العادات
والتقاليد والقوانين الكنسية. انظر: The Oxford Dictionary of Christian Church, p. 79.
(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ٤٦ ج ٢، ويقول: «وهذا أمر من الله، ليقدّم من اصطفاه، أولا
وهو أبا اسحق الراهب من أهل شبرا» انظر أيضا:

Amélineau: Hist, du. P. Isaac. pp. 444-5.

(٣) ساويرس ابن المقفع: المصدر السابق، ٤٦، ٤٧ ج ٢. Ibid., pp. 45-47.

وكان هذا الاب في قدسه مثل التلاميذ لما صبر
عليه من التجارب وما تتم على يديه من العجايب
[مثل] احياء الميت واخرج الشياطين، واعلا
[مرضى] كثير ابراهيم، والسيدة ام النور ظهرت له
[وتكلمه] قبل ان يصير بطركا، والسيد المسيح
ايضا والقديسون الذين استحق ان يراهم.

ثم انه انتهى ان يقيم في مدينة «تندا» اياما
قليلة عند عبوره عليها، فلما اقام بها شهد لنا
بعض الاساقفة من الثقات الصادقين وقال: انى

وبعد وفاة البطرك اسحق، حدث خلاف بين الاساقفة والكهنة والشعب القبطى على من
يصبح بطركا بعد وفاة الأب اسحق. فرأى قوم منهم، أحقية يوحنا، وكان راهبا بدير الزجاج،
كما كان رجلا عالما كاتباً. فى حين اختار الآخرون الأب بقطر، وكان أيضا ممن اشتهروا
بالفضل والعلم. ورجعت كفة الفريق الأول، فقد كان من بينهم أعضاء الكنيسة الانجيلية
التي تضم مائة وأربعين كاهنا. فكتب حاكم مدينة الاسكندرية تادرس الى الوالى عبدالعزیز بن
مروان، يخبره باتفاق القوم على اختيار الأب يوحنا بطركا لهم^(١). مما يثبت ضرورة موافقة
والى مصر على تنصيب البطرك الجديد. وتوجه تادرس وفي صحبته البطرك المرشح وبعض
الكهنة الى القسطنطينية - كما جرت العادة - للقاء الوالى وتقديمى الولاء والتحية له. ولكن
حدث ما لم يكن فى الحسبان، فقد اعترض أحد الاساقفة على اقامة يوحنا بطركا، مما اصاب
الجميع بدهول عظيم. فلما سأل الأمير هذا الأسقف، عمن يصلح لهذا المنصب، رشح الأب
سيمون^(٢).

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة ص ٥٩ ج ٢.

(٢) المصدر نفسه. ص ٥٤ وما بعدها ج ٢. كان والدا الاب سيمون قد حضرا به الى الاسكندرية، حيث
قدماه قربانا للبيعة لأجل جسد القديس ساويرس. فأخذ تادرس سيمون فى بطركية الأب أغاثون، وعهد
الى الأب يوحنا - وكان شماسا - ليعلمه قرة الكتابة وفصول الكتب [والعلوم البيعية] فتعلم سيمون
الكتابة القديمة، وكثيرا من الحديث فى زمن سير. ولما أدرك البطرك أغاثون صلاحيته، أوسمه قسا. وكان
يلى الأب يوحنا فى الدرجة فى دير الزجاج. انظر كذلك السنكسار، ج ٢، ص ٢٣٣.

مضيت اليه لافتقده واخذ بركته، فلما وقفت على
باب موضعه سمعته يقول كلاما خفيا وهو : يا
سيدي وام سيدي انا اسالك ان تغفر لي وانا
مستعد لما تأمريني به وان اتممه واكون حافظا له
الى النفس الاخير. قال الاسقف: ولما عولت ان
اتطلع من الباب الذي هو داخله وقبل وصولي
صاح بصوت عظيم: من هذا الذي يرى. فخفت
من هيبتة ورجعت الى وراى فسمعته يقول: الله

علم عبدالعزیز بن مروان أن الأب سيمون هذا، من أصل سرياني، من أهل المشرق. فقال
للأساقفة المجتمعين: «فما تقدروا أنتم أن تقيموا واحدا من بلادكم فأعلموه أنه لا يوجد أفضل
من يوحنا، وأنهم يختارونه بطركا لهم، وأن الأمر لله وللوالى. وسأل عبدالعزیز سيمون عن رأيه
فى الأب يوحنا، فأجابه: «ما يوجد فى كورة مصر، ولا فى المشرق من يستحق مثل هذا، وهو
أبى الروححاني، وريانى من صغرى، وسيرته سيرة الملائكة». وانتهى الأمر باتفاق الأساقفة
والكهنة وغيرهم من الحاضرين على اقامة سيمون بطركا لهم، ووافق الوالى عبدالعزیز على
رأيهم^(١).

وكان قد حدث بعد وفاة الأب سيمون (٨٢هـ = ٧٠١م) أن خلا كرسى البطركية
حوالى ثلاث سنوات، وتولى شئون الكنيسة خلالها الأسقف اغريغوريوس. وفى ختام هذه
السنوات الثلاث، اتفق الأساقفة والكهنة على ترشيح القس الاكسندروس بطركا، وكان راهبا
بدير الزجاج، عالما بالكتب. وطبقا للعادة المتبعة، قدم القوم معه الى الوالى عبدالعزیز بن مروان
الذى أجابهم الى رغبتهم، ووافق على اختيارهم، وأقيم هذا القس بطركا فى عيد القديس
مارى مرقس فى (٨٦هـ = ٧٠٥م = ٤٢٠ ش)^(٢).

(١) ساويرس ابن المقفع: المرجع السابق، ص ٥٤ وما بعدها ج ٢.

(٢) ساويرس ابن المقفع: المرجع السابق، ص ١٠٢ / ١٠٣ ج ٢.

يغفر لك أيها الاخ الذى منعى الا اشاهد مجد
سيدتى ونورها وتركها ان تمضى عنى.

فلما نظر الطوباوى البطرك هذه الاسرار
العظيمة التى ظهرت شهد ان ما يجلس احد من
البطاركة على هذا الكرسي الا من يختاره الرب،
لكن الشيطان يقاوم تقدمتهم ولا يدعهم ان يفعلوا
الخير، وقوم يقولون فى قلوبهم: إن تقدمنا واخذنا
الدرجة، هو من مولدنا، وليس هو هكذا بل رب
المجد هو الذى يختار. والاب انا يعقوب القايل هذا

وتحفظ لنا النصوص التاريخية مثلاً آخر، لتدخل الولاة فى اختيار البطرك، وضرورة
موافقتهم على اقامة البطرك الجديد. فلما تولى حفص بن الوليد حكم مصر - للمرة الثانية -
(١٢٥هـ = ٧٤٣م) - فى عهد اخليفة هشام بن عبدالمك - اجتمع اليه الأساقفة والكهنة
من جميع أرجاء مصر، وسألوه أن يأذن لهم فى اقامة البطرك. فأذن لهم حفص، بترشيح من
يروونه يصلح لهذا المنصب، واشترط عليهم أن يلقاه قبل ان يتم تعيينه بطركا. ولكن حدث بين
الأساقفة والكهنة، اختلاف فى رأى كاد يودى بالكنيسة القبطية^(١).

وانتهى الأمر، باختيار القس (ميخايل) خيال - ويسمى أيضا كيل - ليكون بطركا. وكان
قسا فى بيعة القديس أبى مقار. وبادر المجتمعون الى حفص بن الوليد ليعلموه بما تم بينهم،
وأعطاهم كتابا، يطلب فيه من شيوخ وكهنة وادى هبيب، تسليم القس خيال اليهم. ثم أذن
لهم باقامته بطركا بعد قدومهم به اليه^(٢).

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٦ / ١٦٧ وكانت الكنيسة القبطية بدون بطرك منذ وفاة الأب تادرس فى ولاية
القاسم بن عبيدالله للخراج (١١٦ - ١٢٥هـ = ٧٣٤ - ٧٤٣م) حتى ذلك الوقت الذى تمت فيه اقامة
أبا خيال بطركا فى ولاية حفص بن الوليد، انظر المصدر نفسه، ص ١٩٢ ج٢.

(٢) المصدر نفسه، ٢٥٨ ج٢. وتشير الرواية القبطية الى أن الفريق الناهب الى وادى هبيب لاحتضار أبا
خيال تقابل مع وفد من شيوخ ورهبان هذا الوادى وكان من بينهم أبا خيال. وكان هذا الوفد قادما -

قبل موته: ان الله [هو] الذى يختار من يقيمه
والشيطان مضاد له والله الغالب.

وكانت عادته اذا اراد ان يقسم الاساقفة ان
يسهر ويصوم ويطوى حتى يظهر الله له اعمالهم.

وكان يحفظ ايام نياح الالباء من مرقس
الانجيلي الى مرقس ابيه بالروح، ويعيد لهم ويلبس
فيها ويقدر ان كان فى المدينة او فى الديارات او
فى القرى مجدا لسيدنا المسيح وتذكارا لابائه.

فلما اراد الله ان يريحه من التعب وينقله الى

وهكذا كان لوالى مصر حق التدخل فى اقامة البطرك الجديد طوال العصر الاموى. وذكرنا
من الأمثلة ما يوضح ذلك ويؤكد. ونجد فى العصر العباسي أيضا من الأمثلة ما يؤكد استمرار
هذا الحق لولاة مصر.

لما توفي البطرك يوحنا فى ولاية الليث بن الفضل على مصر (١٨٢ - ١٨٧ هـ = ٧٩٨ -
٨٠٣ م) - فى عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ = ٧٨٦ - ٨٠٩ م) اجتمع
الأساقفة والكهنة الأرثوذكس بالاسكندرية، واتفقوا على ترشيح القس مرقس بطركا، وكتبوا
بذلك الى الأنبا (ميخايل) أسقف مصر^(١).

= لشهنة حفص ابن الوليد بالولاية، وليتمس منه ازالة الظلم الذى نزل بهم فى ولاية سلفه - القاسم بن
عبيد الله - وبعد عودة وفد الأساقفة ومعهم أنبا ميخايل، أخبروا الولى حفص بن الوليد بما حدث مما أثار
دهشته واعجابه. المصدر نفسه والصفحة.

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٦٢٧ وما بعدها ج٢. وجاء فى هذا الكتاب: وأبوتك تعلم
ما جرى علينا من اليتيم فى مضي أبونا الطوبائي أبا يوحنا الرابع الى الرب فى هذا الزمان الصعب وتقلب
الملوك وأبوتك تعلم أن قطيع خراف بغير راع يدخله الذئب فيشته وكل مدينة بغير سور العدو يهلكها
ولأجل هذا اجتمعنا فى البيعة العظمى بالاسكندرية والآباء والأساقفة. فقد كتبنا نقول، واحد منا طلب به
قلبنا على القس مرقس أن يكون لنا أباء.

مساكن النوارنيين السماويه فظهر له الرب وهو
راكب سحابه من نور ومعه الاثنا عشر تلميذا
فقال له: تقوايها العبد الصالح الذى عمل فى
وزنات سيده ورجح، انا الان اخذك إلى واريحك من
تعبك وتجلس مع اصحابك الذين جاهدو مثلك
وكملت مثلهم.

وقبل هذه الرويا العجيب تنيح زخريا اسقف
«تندا» وجلس موضعه الارشيدياقن الذى قدمنا
ذكره وقلنا عنه ان يكون وعاء مختارا لله.

ثم قدم انبا ميخايل على الوالى وفى صحبتته جميع الرؤسا، القبط ليخبره بما حدث،
ويلتمس منه الموافقة على اقامة القس مرقس بطركا. فأمر الوالى بكتابة اسمه فى الديوان وأذن
لهم فى قسمته بطركا لهم^(١).

وتذكر المصادر التاريخية، مثالا آخر، لدور الولاة العباسيين فى اقامة البطرك الجديد. فبعد
وفاة الأب سيمون الثانى (٢١٥/٢١٦ هـ = ٨٣٠ / ٨٣١ م) بدأ أهالى الاسكندرية يفكرون
فيمن يتولى البطركية بعده. وطمع فى البطركية صاحب ديوان مصر اسحق السيد بن الدونة،
وكان فاحش الثراء، ووعد حاكم الاسكندرية عبدالله بن زيد بألف دينار، اذ ساعده فى اقامته
بطركا للقبط^(٢).

وكانت اقامة اسحق بطركا، أمرا يخالف قانون الكنيسة القبطية فى ذلك الوقت
لأنه كان علمانيا، ومتزوجا. فرفض الأساقفة تنصيبه، واستقر رأيهم على ترشيح القس
يوساب - أحد رهبان دير أبى مقار - وطلبوا من عبدالله بن زيد حاكم الاسكندرية الموافقة

(١) المصدر نفسه، ص ٦٢٨ ج٢. ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص ١٢٢.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٧٩٠ وما بعدها ج٢.

واعتل ابونا يعقوب البطرك وضعفت قوته، وفي
اربعة عشر يوما من امشير تنيح وهو يوم تنيح فيه
الاب القديس ساويرس [١] في اربع ساعات من
الليل سمعوه قايلا: جيد يا ابوى ساويرس
وديسقرس مجيكما. ورجع قال: العالم كله في حل
بصلوات القديسين. واسلم الروح في يد الرب
ففاح من جسده بخور طيب حتى ملا جميع
الموضع.

فلما اصبح الصبح كفنو جسده وقدمو القربان

على تنصيبه بطركا، الا أنه رفض ذلك طمعا فيما وعده به اسحق من منحه ألف
دينار^(١).

وغضب الأساقفة من موقف عبدالله بن زيد منهم، وهددوه بالرحيل الى والى مصر
بالفسطاط، ليحقق لهم رغبتهم. وانتهى الأمر بموافقة والى الاسكندرية على اقامة الأب
يوساب بطركا في ٢١ هاتور سنة ٥٤٧ ش^(٢) = (٢١٦ هـ - ٨٣١ م). ونستخلص من هذه
الرواية أن والى الاسكندرية كان يحل محل والى مصر في الموافقة على اقامة البطرك وان كنا
لم نلمس ذلك في عصر الولاة الأمويين. ونستخلص أيضا أن الوالى المسلم في هذا العصر لم
يكن يشترط رؤية الشخص المرشح للبطركية قبل قسمته، كما كان الحال في العصر
الأموى.

وبعد أن تحدثنا عن دور القبط - بصفة خاصة - في أعمال الحكومة والادارة، وما كان من
دور ولاية مصر المسلمين في اختيار بطركهم، نتساءل عن موقف الولاة المسلمين من كل من

(١) المصدر نفسه، والقى يوساب أصله من منوف العليا. وآبأوه من كبار رجال القبط، وقد خدم حاكم
الاسكندرية ثم خرج الى وادى هيب. ثم اقامة البطرك مرقس شماما ثم قسا.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٢٧ وما بعدها ج-٢.

تذكارا للابوين المغبوطين ساويرس والاب يعقوب،
وكملت روى الراهب القديس عن الصورتين اللتين
راهما تكرزانه بالانجيل.

وهكذا تمت سيرته بشيخوخة حسنة وهو
ماسك الكرسي المقدس الانجيلي عشر سنين وثمانية
اشهر، وسلم القطيع لرب الصباوت ثابت،
واستحق ان يسمع الصوت القايل: تعالو الى يا
مباركى ابي ارثو الملك المعد لكم من قبل خلق
العالم.

المذهبيين المسيحيين في مصر. الملكاني واليعقوبي؟ وهل كان هؤلاء الولاة ينتصرون لليعاقبة
دون الملكانيين؟ أم كانوا يعدلون بين الفريقين؟

كان عمرو بن العاص - عقب فتح مصر - قد كتب أمانا للبطرك اليعقوبي بنيامين فعاد
الى كرسيه، بعد أن غاب عنه ثلاث عشرة سنة. ويصفه المقرئى^(١) أثر ذلك فيقول: «فغلبت
اليعاقبة على كنائس مصر، ودياراتها كلها، وانفردوا بها، دون الملكانيين».

ومما لا شك فيه أن القبط اليعاقبة كانوا قد تنفسوا الصعداء بعد زوال حكم البيزنطيين،
وقيام الحكم الاسلامي في مصر، نتيجة لما قاسوه من الاضطهاد والظلم في عهد الرومان.
وكان طبيعيا أن يتقرب القبط من الحاكم العربي، حتى يقوى أمرهم على الملكانيين، خصومهم
في المذهب، فقد جاء الوقت لتكون فيه كفتهم هي الراجحة.

وكان أكثر سكان مصر آنذاك من القبط اليعاقبة، وقد تقرب عمرو والمسلمون اليهم كثيرا،
وتوددوا اليهم أكثر من الملكانيين أتباع كنيسة القسطنطينية وهم أقلية قليلة، وقد ضعف أمرهم
بزوال حكم الرومان في مصر. وقد سار خلفاء عمرو بن العاص على نفس منوال هذه
السياسة.

(١) المخطوط، ج ٤، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

والاخ الذى كان قد تنبا عليه رسمه اسقفا قويا
متقنا لا يكثر درهما واحدا غنيا باعمال الرب
وبالكتب الروحانية واستحق ان يغمض عينه بيده
وياخذ بركته، ومن قوة امانته جعل جسده فى
تابوت وتركه فى مدينته التى هى «تدا» ليتبارك به
ويتشفع بقدميه. وبعد أيام يسيرة تنيح الاسقف
بصلوات ابيه التى صلاها عليه امام السيد المسيح،
له المجد مع ابيه وروح القدس الخفى السماوى من
الان والى ابد الابد امين.

وانتصر المسلمون غالبا للقبط اليعاقبة على الملكانيين. واخذ القبط كثيرا من الكنائس
والأديرة التى كانت فى يد خصومهم الملكانيين. كما انتهزوا فرصة حسن علاقاتهم بالمسلمين
لكى يجذبوا بعض الملكانيين الى مذهبهم^(١).

كان الملكانيون فى مصر، طوال عصر الولاة، ليس لهم بطرك الا فى فترات محدودة
بعكس ما كان عليه الحال بالنسبة للقبط اليعاقبة. ونذكر فيما يلى الفترات التى تمتع فيها
بعض الملكانيين بالحرية، وبعض النفوذ والسلطان.

استطاع تاوضوسىوس أحد الملكانيين اخلقندونيين - فى خلافة يزيد بن معاوية - أن
يستصدر من الخليفة سجلا يمنحه السلطة والحكم على الاسكندرية ومريوط وما يليهما،
بحيث لا يكون لوالى مصر، سلطان عليه، وقد توصل الى ذلك بعد أن أدى مبلغا عظيما من
المال للخليفة يزيد. فتسلط هذا الحاكم الملكانى على القبط وبطركهم أغاثون وفرض عليه
الغرامات المالية، ثم حجز على أموال الكنيسة القبطية وأملاكها بعد وفاة البطريرك أغاثون^(٢)
البطرك ٣٩ .

(١) ميعة كاشف: مصر فى فجر الاسلام، ص ١٩٦، الراهب اليراموسى حسن السلوك فى تاريخ البطارقة
والملوك، ج ١، ص ٢٠٨ - ٢٠٩، ستانلى لين بول: سيرة القاهرة، ص ٧١.
(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ج ٥، ص ٢، السنكسار، ج ١، ص ١٢٧ - ١٢٨.

الاب انبا سيمون البطرك وهو من

العدد الحادى والخمسون

٨٢٠م

ولما تنيح الاب القديس الجليل البطرك انبا
يعقوب مصطفى الرب ومختاره العمود النير،
ومضى الى الرب، وبصلواته التى قدمها له بدد الله
العساكر والحروب والقوم الذين كانوا يثيرونها فى
كل وقت، الذين كانوا على مدينة اسكندريه ومصر

كما اتخذ عبدالعزيز بن مروان - فى أثناء ولايته على مصر - فراشين له من الملكانيين. ولما
انتقل من القسطنطية الى حلوان، واتخذها عاصمة له، سمح لهؤلاء الملكانيين ببناء كنيسة لهم
فى هذه العاصمة الجديدة^(١).

كذلك نجد الخليفة هشام بن عبد الملك، بعد أن تم الاتفاق بينه وبين الامبراطور البيزنطى^(٢)،
يسمح للملكانيين فى مصر، باقامة بطرك لهم. وتم اختيارهم للأب قزما، الذى أقام فى كرسى
البطركية الملكانية ثمانى وعشرين سنة^(٣). وكان قزما أميا لا يعرف القراءة، ولا الكتابة،

(١) ابن بطريق: التاريخ المجموع، ص ٤١، أبو صالح الأرمنى، ص ٦٧.

(٢) قيل انه حدث فى سنة ١٠٧هـ - ٧٢٥م أن أرسل الامبراطور البيزنطى لاون، هدية الى الخليفة هشام
فأنت هذه الهدية أكلها، وتمكن الخلقديونيون فى مصر من اقامة بطرك لهم. انظر: تروتون: أهل الذمة فى
الاسلام، ص ٨٢، ميخائيل شاروويم: الكافى فى تاريخ مصر القديمة والحديثة، ج-٢، ص ١٢٤.

(٣) ابن بطريق: التاريخ المجموع، ص ٤٥. ويذكر أن الملكانيين كانوا بدون بطرك منذ هروب بطركهم الى
القسطنطينية فى السنة الثالثة من خلافة عمر بن الخطاب الى أن أقيم قزما هذا بطركا، وغلبت اليعاقبة
على جميع الكنائس بمصر. انظر، المصدر نفسه، ص ٤٥ - ٤٦. فى حين أشار ساويرس الى أن -
الملكانيين كان لهم بطرك فى خلافة الوليه بن عبد الملك وولاية قسرة بن شريك على مصر، وان كان
لم يبق فى كرسية طويلا. وتحول الى المذهب اليعقوبى. ثم يشير فى موضع آخر الى اقامة بطرك لهم
فى ولاية القاسم بن عبيد الله وليس أبيه عبيد الله بن الحبحاب.

واعمالها . ومن بعد وفاته بمدة يسيرة قدموا عوضا
منه بامر الله تعالى شماسا راهبا اسمه سيمون من
مدينة اسكندرية من نسل طيب، وكان ولد الاب
ابا يعقوب وفي قلايته، وتربى منذ صباه عند الاب
البطرك ابا مرقس المتبحر. واقام على الكرسي
الانجيلي خمسة شهور وستة عشر يوما وتبحر في
اليوم الثالث من بابه. وكان مدة مقامة [مصاها]
بوجع النقرس يتوجع منه وجعا شديدا الى ان
تبحر. الرب يرحمنا بصلواتهم اجمعين.

ويعمل في صناعة الأبر. ولما ولي البطركية للملكانيين خرج من الاسكندرية وقصد الخليفة
هشام في دمشق، وطلب منه أن يعيد للملكانيين الكنائس التي استولى عليها اليعاقبيون في
مصر. فعهد الى واليه بمصر عبيد الله ابن الحبشاب، أن يسلم للبطرك قزما، كل ما بيد اليعاقبة
القبط من الكنائس الملكانية^(١).

ووقع خلاف بين الملكانيين واليعاقبة في مصر، في خلافة مروان بن محمد (١٢٧ -
١٣٢ هـ = ٧٤٥ - ٧٥٠ م) - آخر الخلفاء الأمويين - وكان يتولى حكم مصر آنذاك عبد الملك
بن مروان، وكان هذا الخلاف حول أحقية كل فريق منهما، في ملكية كنيسة أبي مينا بمريوط.
وتولى عبد الله الفصل بينهما في هذا الخصام، وكان بطرك القبط في ذلك الوقت هو الأب
نخايال (ميخايل)، في حين كان بطرك الملكانيين الأب قسما^(٢).

قضى كل من الفريقين، اليعاقبة والملكانيين، صوم الأربعين، وهم يترددون على
قصر الوالي عبد الملك، كل يوم من الصباح الى آخر النهار، حتى يفصل بينهم، ويحكم
بأحقية أى فريق منهما للكنيسة دون الفريق الآخر، وانتهى الأمر بأن عهد عبد الملك الى

(١) ابن بطريق: التاريخ المجموع، ص ٤٥. ويسمى هذا الوالي عبد الله بن الجيحان السكوى.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٢٧٤ ج ٢.

السيرة الحادية والعشرين من سير البعثة المقدسة

الاب انبا يوساب (*) البطرك

وهو من العدد الثاني والخمسون

[٨٣٠ / ٨٤٩ م]

فلما تنيح الاب سيمون اجتمع الشعب
الارتدكسي بمدينة اسكندرية وتشاورو في ان يقيموا
بطركا بحكم ان الكرسي خال، لانه كان قد اقام
بغير [بدون] بطرك بعد الاب انبا يعقوب مده
كبيره، وتسلبوا باقامة الاب انبا سيمون، فلما تنيح

(*) هو من مدينة منوف. في ايامه
قامت عدة مشاحنات من
الاهالي ضد بعض الاساقفة
خاصة في تنيس والفسطاط
وطالبوا بعزلهم كما تعددت في
شمال الدلتا ثورات البشمور
حتى ابادهم واحرقهم واحرق
بلادهم الخليفة المأمون. ويقال
ان الخليفة المأمون اعطى انبا
يوساب تفويضا بخط يده باقراره
رئيسا عاما روحانيا على الأمة
القبطية وجميع كنائس مصر.

صاحب الديوان ويسمى يسا بن يمن، أن يحكم بين الفريقين، ويدرس حجج كل
منهما (١).

أمر يسا، صاحب الديوان، كل فريق بكتابة حججه وآرائه في أحقيته في ملكية الكنيسة الا
أن الملكانيين أهدقوا عليه الهدايا والأموال، طمعا في أن يحكم لهم يسا، بأحقيتهم للكنيسة
على حين تقدم البطرك خيال، بالحجج التي تبرر أحقيته للكنيسة، وتحدث عن تاريخ بنائها،
وكان كتابه الى صاحب الديوان، باللغتين العربية والقبطية. واستمر التحكيم بين الفريقين شهرا
كاملا دون الوصول الى قرار حاسم (٢).

فلما ولي الديوان القاضي أبو الحسين وتولى التحكيم بين المتخاصمين، نيابة عن الوالى.
سأل كل فريق عن رئيسيه الدينى، وأصل عقيدته، واطلع على الكتب التي قدموها، لسلفه
الذى كان يتولى التحكيم بينهم. ويبدو أنه أدرك عدم أحقية الملكانيين في الكنيسة، لأنه طلب

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٥ وما بعدها ج ٢.

(٢) المصدر نفسه، وقد أشار بعض الأرثوذكسيين على الأسقف أنبا موسى أن يشير على البطرك خيال
بدفع مبلغ من المال لصاحب الديوان كما فعل الملكانيون، حتى ينصفهم ولكنه رفض ذلك وقال ان هذا
التصرف لا يليق بالقبط المؤمنين، وعليهم جميعا الصبر وان الله لن يتخلى عنهم.

زاد قلقهم وكانو يقولون كما قال داود النبي : لا
تذكر يارب اثمنا الاولى بل لتذكرنا رافتك سريرا
لانا افتقرنا جدا.

وكان كل منهم يتقصى بالمدينة، وبحثو جمع
الاسكندرانيين والابا الأساقفه، وطلبو من يصلح ان
يجلس على الكرسي، وانتم عارفون باهل
اسكندريه انهم محبوبون لنعيم الجسد، فافتكرو فكرا
رديا فى تلك الايام خارجا عن القوانين البيعية،
وكان بفسطاط مصر فى ذلك الزمان رجل ذو

من الفريقين، تقديم حجج واسانيد أخرى. وحاول الملكانيون، وفى مقدمتهم البطرك قزما، أن
يتفقوا مع اليعاقبة، على ما يرضى كلا من الفريقين. كما تحول بعض الملكانيين، ومنهم
قسطنطين أسقف مصر الملكاني، الى المذهب اليعقوبى^(١).

ثم جمع القاضى أبو الحسين، الفريقين المتخاصمين، وحضر الاجتماع أصحاب الدواوين
والكتاب ووجوه القوم، ليصدر القاضى حكمه النهائي فى هذا الخصام. فطلب من البطركين
أن يقسم كل منهما بأحقيته فى الكنيسة. فرفض ذلك أبا خيال، فى حين أقسم الأب قزما.
ثم سأل كليهما عن شهودهما. فأجاب الأب خيال، أن هذه البيعة، بنيت منذ ثلاثمائة
وخمسين سنة، وأن القائمين على بنائها، هما تاوفيلس وطيماتاوس واسمهما مكتوب على
الكنيسة. فلما تأكد القاضى من صدق البطرك خيال^(٢)، وضع حدا لهذه الخصومة، وحكم
بأحقية القبط اليعاقبة فى كنيسة أبى مينا بمربوط دون الملكانيين^(٣). وهكذا انتصر اليعاقبة
وتسلموا بيعتهم، وهم فرحون، مسرورون.

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٢٩٨ وما بعدها ج ٢.
(٢) وجرت مناظرات بين البطرك خيال والبطرك قزما عن الاتحاد، وكتب الأب خيال: «أنه لا يجب أن
يقال ان فى المسيح طبيعتين، متفرقتين بعد الاتحاد، ولا اثنين ولا شخصين» انظر أيضا المنكسار، ج ٢،
ص ٣٥.

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٣٠١ وما بعدها ج ٢.

جس وذو مال، له من الذهب والفضة والاثاث
 [مالا يحصى] وكان صاحب ديوان السلطان،
 الذى هو ملك مصر، اسمه اسحق السيد ابن
 اندونه(*)، فلما نظروا الجماعة اهل اسكندريه
 محله وغناه مع جاهه، كتبوا اليه كتابا يقولون له :
 انا ما نختار احدا نقدمه بطركا سواك . وكان رجلا
 علمانيا وهو متزوج بامراه ، فانعزل بعض الاساقفه
 عن هذه النوبه التى فعلوها المراون [المراؤون] اهل
 اسكندريه واتبعو هذا لاجل مجد الناس ولم يذكرو

(*) قلده فيما بعد البطريرك يوساب
 وكالة البطركية.

ثم كان العصر العباسى، وفى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ = ٧٥٣ - ٧٧٥ م)، أصبح بلطيان بطركا على الملكانيين. وكان طبيبا حاذقا، وتولى كرسى البطركية ستا وأربعين سنة. وعظم نفوذه فى عهد الخليفة هارون الرشيد واسترد كثيرا من الكنائس الملكانية، بأمر من الخليفة نفسه^(١).

كان والى مصر عبيد الله بن المهدي (١٧٩ - ١٨٠ هـ = ٧٩٥ - ٧٩٦ م) قد أهدى الخليفة هارون الرشيد، جارية مصرية. فمرضت، وطلب الخليفة أحد أطباء مصر لعلاجها، فبعث اليه عبيد الله، بلطيان البطريرك الملكانى المعروف بمهارته فى الطب، ونجح هذا البطريرك فى علاج جارية الخليفة. فسر لذلك الرشيد، وأعطى بلطيان كثيرا من الأموال والهدايا، كما كتب له منشورا، يحق له بمقتضاه، استرداد الكنائس الملكانية من أيدي اليعاقبة^(٢).

ويرى بعض الكتاب المحدثين أن الشروط التى اشترطها عمر ابن الخطاب، فى العهد الذى

(١) ابن بطريق: التاريخ المجموع، ص ٤٩، ٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥١ - ٥٢ المقرئى: الخطط ج ٤، ص ٣٩٦ و

Le R. P. Antefage: Les Coptes, pp. 23-24.

ما هو مكتوب فى مزمور : ان الرب يمدد عظام
المرايين [المرائين] للناس . وايضا فيخرون لان الرب
يرذلهم .

ثم مضى بعض الاساقفة الى هذا اسحق
وساعدوه وقالو له ما لنا بطرك الا انت . واسماهم :
زكريا اسقف وسيم ، وتادرس اسقف مصر ، ثم
انهما جعلاه ان يكتب كتابا الى اسكندرية يعد
كهنتها واهلها بجميل كثير يفعله معهم متى صار
بطركا ويقول انى اذا جلست على هذا الكرسي

منحه لأهل الذمة، كانت نواة هذه المضايقات، وأساسا اعتمد عليه بعض الخلفاء والولاة فى
التشديد على الدمين، والتضييق عليهم. فاخليفة عمر بن الخطاب، هو أول من وضعهم فى
مرتبة أدنى من مرتبة المسلمين فأمر أن تختتم رقاب أهل الذمة بالرصاص، ويظهروا مناطقهم،
ويجزوا نواصيتهم، ويركبوا على الأكف عرضا، مما أدى أحيانا الى تعرض أهل الذمة
للمضايقات^(١).

والحقيقة أن عمر بن الخطاب قد اشترط على أهل الذمة بعض الشروط، التى تتضمن
تحديد شكل الملابس، وطريقة الركوب. فقد اشترط عليهم لبس الزنار، ونهاهم عن التشبه
بالمسلمين فى ثيابهم. وسروجهم، ونعالهم، وأن تكون قلانسهم مضربة، ومنع نساءهم من
ركوب الرحائل^(٢).

وهناك أمثلة كثيرة على هذه الأحداث، نذكر منها، ما حدث فى ولاية عبدالعزیز بن
مروان، حينما قدم الى الاسكندرية، ولم يخرج البطرك يوحنا لاستقباله والسلام عليه. وعند

(١) توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) على حسنى الخربوطلى: الحضارة العربية الاسلامية، ص ١٤٣ .

بنيت لكم ما انهدم من بيعكم وجددت عمارة
رباع البيع، وازيل عنكم الجوالى [و] جميع ايامى
أقوم بها من مالى عن الكهنه وضعفا الشعب.
ووعدهم باشيا اخرى كثيرة.

فلما سمعو ذلك مالو اليه ورغبو اليه ونسو قول
الانجيل: لا ياخذ احد كرامه من ذاته الا ان يعطاها
من السما من عند الله.

وكان فى ذلك الزمان اساقفه قديسون ممن
يقول الحق ممتلين من النعمه، وهو انبا خيال

ذلك سعى به قوم من الملكانيين، وأوغروا صدر عبدالعزیز، اذ زعموا له أن البطرك لم يخرج
للقائه، لتكبره، وجبروته، ولا تساع ثرائه^(١).

وغضب عبدالعزیز على البطرك أشد الغضب. واستدعاه. وعنفه، وفرض عليه غرامة مالية
قدرها مائة ألف دينار. وعهد به الى رجل يدعى «سعد» يشتهر بالقسوة حتى يعذبه. حتى
الموت ليرغمه على أداء الأموال للوالى. وهدد سعد البطرك يوحنا، اذا لم يدفع المبلغ المطلوب
منه، بأنه يلبسه ملابس يهودى، ويلطخ وجهه بالرماد، ويطوف به أنحاء المدينة. وانتهى الأمر
بقبول البطرك يوحنا دفع مبلغ عشرة آلاف دينار^(٢).

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٢٤ وما بعدها ج٢. وأصل يوحنا من سمند، وقد ولى
البطركية بعد وفاة الأب أغاثون. المصدر نفسه، ١٦ وما بعدها ج٢، السنكسار، ج١، ص ١٢٨.
(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٢٥ وما بعدها ج٢. ويروى أن يوحنا قال لسعد: ليس حتى
معى مائة درهم فما شئت أن تفعل بجسدى فافعل، ففسى وجسدى معا بين يدى المسيح فغضب لذلك
سعد، وأمر بقصرية نحاس. مملوءة جمر نار، وتجعل رجلاه فيها حتى يقبل دفع المطلوب منه. ويشير
ساويرس الى أن زوجة عبدالعزیز بن مروان، تعرضت فى هذا اليوم لشدة اند عزيمة، وبعثت الى تأمره ألا
يلحق أى أذى بالبطرك. كما قال الوالى نفسه لسعد: «اياك أن تمس جسده لاجل ما نالنا فى هذه الليلة
بسببه. ولكن مهما قدرت عليه خذه منه بلطف. والا فلا تقربه بسوء، لأن الله قد أظهر لى أنه عبده». كما
أشار ساويرس الى أن البطرك يوحنا، قال لسعد، لما هدده بلباس يهودى: «أن لم يخلصنى الرب الهى من
يديك، والا فما لك قدرة أن تفعل بى شيئا الا بأمره».

اسقف بليس ، وانا خيال اسقف صا، وانا يوحنا
اسقف بنا، وكثير مثلهم كاملين في الدين والامانه،
فلما بلغهم ما فعله الاسقفان وجماعة اهل
اسكندريه تحركت فيهم النعمه الالهيه، وجمعوا
لهذين مجمعا وتوجهوا الى اسكندريه على ما
يقتضيه القانون. ولما حققوا راي الاسكندرانيين قالو
لهم: اين تركتم خوف الرب وخالفتم القوانين حتى
انكم عمدتم الى رجل علماني متزوج بامراه
لتجلسوه على كرسي ماري مرقس الانجيلي

علم الكتاب والمتصرفون القبط بالاسكندرية، بأن الغرامة المالية المفروضة على البطرک
يوحنا قد خفضت الى عشرة آلاف دينار، فأبدوا سرورهم، وطمأنوا البطرک بأن الأساقفة وكتاب
الدواوين سيتحملون سدادهما، وتمهدوا للوالی عبدالعزیز بن مروان بذلك، فأطلق سراح
البطرک يوحنا، وعم الفرخ والسرور قلوب القبط الأرثوذكس^(١).

تعرض القبط وبطركهم اسحاق مرة أخرى في ولاية عبدالعزیز بن مروان، لبعض الأذى
والضيق فقد كانت كنيسة الحبشة والنوبة تابعتين للكنيسة القبطية بالاسكندرية، فلما وقع سوء
التفاهم بين ملكي البلدين، رأى البطرک القبطی اسحق، أن يكتب اليهما ليزيل ما بينهما من

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٣٣ وما بعدها ج٢. ويشير الى أن عبدالعزیز بن مروان لما
أحضر البطرک للاتفاق معه على دفع عشرة آلاف دينار، أمر باحضار وسادة كبيرة ليجلس عليها البطرک،
وقال له أما تعلم أن السلطان لا يقاوم؟ فأجاب البطرک: السلطان نسمع منه أمره فيما يجب، ونخالف
أمره فيما يغضب الله. فقد قال ربنا في الانجيل، لا تخافوا ممن يقتل الجسد، وليس له سلطان على
النفس، ولكن خافوا ممن يقدر يهلك النفس والجسد جميعا، يعنى الله القادر على ذلك وحده. عند ذلك
قال له الأمير: الهك يحب الصدق والحق. فأجاب يوحنا: الهى حق كله، ليس فيه كذب، بل يهلك كل
من ينطق بالكذب. فقال له الأمير: انك صادق وثقة. وان ما دفعه لك القبط بسبب مطالبتي لك
بالأموال، ادفعه لى ولا أطلب منك أكثر من ذلك. وبذلك أطلق سراح يوحنا وخرج من دار الامارة فى
موكب حافل بالقراءة والترتيل حتى بلغ الكنيسة وقدم مع شعبه.

بخلاف ما جرت به العادة والقوانين. فعند ذلك
سكنو ولم يجاوبوه بحرف واحد لعلمهم بغلطهم.

وبمعونة الله الذى يفتقد شعبه فى كل حين
ويضى وجهه على ميراثه، ذكر إنسان قديس كامل
فى فعل الخير، فثبت ذكره عند الجمع بتدبير نعمة
الله، الذى هو المصباح المضى يوساب القس
والقيم بيعة القديس أبى مقار بوادى هبيب، وعند
ذكره ابتهج قلبى وتهلل [وطاب قلوب الجميع به
والاساقفة والكهنة لمعرفةهم به].

سوء تفاهم. فسعى قوم بالبطرك لدى عبدالعزیز، واخبروه بأن البطرك يرسل ملكى الحبشة
والنوبة، لفغضب عبد العزيز، وأمر باحضار البطرك ليقتله حتى يحول بينه وبين التخاطب مع
ملكى دولتين اجنبيتين^(١).

وبادر الكتاب القبط، بتحرير كتب أخرى، غير التى كتبها البطرك، وأعطوها للرسول
المبعوثين الى ملكى الحبشة والنوبة، واستردوا الكتب الأولى التى كتبها البطرك ثم اخبروا الأمير
عبدالعزيز، بأنهم استدعوا رسل البطرك واستردوا منهم الكتب التى كانوا يحملونها الى ملكى
الحبشة والنوبة، وقرأ عبدالعزیز الكتب، فلم يجد فيها شيئا يضر مصالحه، فهدأت ثورته وأطلق
سراح البطرك^(٢).

وتذكر الرواية القبطية أن الوالى عبدالعزیز بن مروان، قد أساء - آنذاك - الى القبط
وبطركهم، اذ أمر بكسر جميع الصلبان فى كور مصر، سواء أكانت من الذهب أم الفضة كما
كتب عدة رقاع، جعلها على أبواب كنائس مصر جميعها، وفيها: «محمد الرسول الكبير
الذى لله وعيسى أيضا رسول الله، وإن الله لم يلد ولم يولد»^(٣).

(١) المصدر نفسه. ص ٢٤ ج ٢.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٤٨ وما بعدها ج ٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٩ ج ٢.

واردت ان اذكر يسيرا من سيرته في رهبنته
والاعمال التي فعلها فخفت ان اقطع ذكر صفه
الحال في جلوسه، ولكنى اذكر ذلك فيما بعد
ليتهج قلب من يسمع سيرة هذا القديس.

فلما طابت قلوب الجمع به مع الاساقفه
والكهنة لمعرفتهم به عند كونه مصاحبا للاب انبا
مرقس فانفذو بعض الاساقفه وكهنة الاسكندريه
الى الوادى وبينما هم سايرون قالو هكذا: ان كان
الرب يختار مقدمة هذا الانسان فانا نجد باب قلايته

وكان الأصبع بن عبدالعزيز بن مروان، يلى كثيرا من أمور مصر فى ولاية أبيه. وكان يحوذ
طاعة الجميع. الا أنه كان مبغضا أشد البغض للقبط، ينزل بهم كل أذى ممكن. وقد احتضن
شماسا يسمى بنيامين، وكان يظهر للأصبع جميع أسرار القبط، كما ترجم له الانجيل وكتب
القيامة وغيرها من الكتب الدينية الخاصة بالقبط الى اللغة العربية. وكان الأصبع يحرص أشد
الحرص على قراءتها، لينظر هل يشتمون فيها المسلمين ام لا واستمر الأصبع على موقفه
العدالى من القبط^(١).

وجد الملكانيون المخالفون للعقيدة الأرثوذكسية الفرصة سانحة أمامهم للايقاع بخصومهم
فقدموا كل مساعدة ممكنة للأصبع للايقاع بالقبط، وحرصوه على رهبانهم، وذهبوا الى أنهم
يملكون أموالا وأملاكاً كثيرة. فأمر الأصبع باحصاء الرهبان فى جميع أنحاء البلاد المصرية،
وفرض عليهم الجزية لأول مرة فى مصر الاسلامية، ومنع الأديرة من قبول رهبان جدد، كما
ألزم الاساقفة فى مختلف الأقاليم بدفع ألفى دينار، زيادة عن خراج وساياهم.. وأمام هذه
الشدائد اضطر كثير من القبط، الى ترك دينهم المسيحى واعتناق الاسلام^(٢).

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٦ جـ ٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٧، ١٠٨ جـ ٢.

ربح رجل ناقص يدخل تحت هذا النير العظيم.
فعزوه وطبوا قلبه، واجتمعوا في البيعة واخذوا
السراير المقدسة، لانه كان عيد الملاك ميخايل
التانى عشر من هاتور. وتبارك من الابا القديسين
وسالهم ان يدعوا له وان يتم الله سعيه، فدعوا له
وباركوا عليه جميعا من عمق قلوبهم، وودعوه
باكين لانهم عدمو من ديرهم انسانا قديسا فيه
روح الله، فلما ساروا ووصلوا ظهر الصخره وهو
معهم سمعوا صوتا خلفه قايلًا: الرب يصحبك يا

ليتجول به فى مدن الوجه البحرى لجمع المبلغ المطلوب من القبط ورؤسائهم فى هذه البلاد
واستجاب الوالى لطلب الشماس وانتهى الأمر، بأن سدد البطرك الغرامة المالية^(١).

وكان عبدالله يأمر أعوانه. بأن يجمعوا له الأساقفة والرهبان، فيسخر منهم. ويسمعهم ما لا
يحبون، وكان يقول لهم: «أنتم عندى مثل الرومان. ومن قتل منكم واحدا، غفر الله له، لأنكم
اعداء الله»^(٢).

وبعد عبدالله، تولى حكم مصر، من هو أشد منه قسوة، فقاسى القبط فى عهده كثيرا من
الشدائد، وهو الوالى قرة بن شريك (٩٠ - ٩٦ هـ = ٧٠٩ - ٧١٥ م) الذى أساء معاملة
القبط، وسجن كثيرا منهم، كما ضيق على البيع والرهبان^(٣).

حدث عندما قدم قرة بن شريك الى مصر، أن خرج البطرك الاكسندروس - كما جرت
العادة - للسلام عليه وتهنئته. ولكن قرة بن شريك ألزمه بدفع غرامة مالية قدرها ثلاثة آلاف
دينار، كما دفع من قبل لسلفه عبدالله. وأصر قرة على طلبه، على الرغم من أن البطرك أكد

(١) المصدر نفسه، ص ١١٦ وما بعدها ج ٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٦ وما بعدها ج ٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٩ وما بعدها ج ٢.

يوساب ويقويك لتصبر على البلايا التي تحل بك
وبها تنال اكليل الحياة. فلما سمع القديس والذين
معه هذا الصوت العظيم ولم ينظروا احد تعجبوا
وبهتوا وعلموا ان سوف تناله تجارب عظيمة واحزان
شديدة.

ووصلوا الى مدينة اسكندرية، فلما سمع الجمع
خرجوا للقاءهم متهللين بمجددين الله، فعرفوهم ما
جرى لهم في الطريق وكيف وجدوا باب قلايته
مفتوحا، واخذهم اياه والصوت الذي سمعوه

له، أنه لا يمتلك منها شيئا، بل انه لا يقدر على أداء خراج الكنائس، وأنه انما جمع المبلغ
الذي دفعه لسلفه من عامة القبط وغيرهم^(١).

اضطر البطريرك أمام اصرار والي مصر على دفع الغرامة التي حددتها، الى التجول ثانية في
مدن وقرى الصعيد، ليجمع من القبط ما يقدر على دفعه اليه. وقد رحب به شعب الصعيد
ترحيبا كبيرا، لأنه البطريرك الوحيد الذي زار الصعيد منذ عهد بنيامين وتمكن البطريرك من دفع
ألف دينار لقرة بن شريك، بعد سنتين، لحقه فيها كثير من الضيق^(٢).

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٣ ج ٢. وما بعدها. ويذكر ساويرس أن البطريرك الأكسندروس قال لقرة بن شريك
عندما طالبه بالمال: «شرعنا يأمرنا أن لا يكون لنا قنية. ولا نكنز ذهب ولا فضة، بل تصرف حاجة يوم
يوم، لما نحتاجه من الكلف للفقراء والمحتاجين. وانما فعل بي عبدالله ما فعل بسعاية الناس السوء، حتى
كلفني والزمني ثلاث آلاف دينار. ولم يوجد معي منها شيء. حتى أخرجني الى البلاد، كالمكدي اتصدق.
حتى وفق الله لي. ما طيب به نفسي. وعلى الى الآن خمسمائة دينار، فمن أين يكون معي شيء». وامتنع
البطريرك أن يقسم على الا يوجد عنده أموال.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ١٢٣ وما بعدها ج ٢. ويقص أنه من سوء حظ هذا البطريرك
ان عثر راهبان. على خمسة كيزان نحاس مملوءة مالا من سكة الرومان. فأخفيا واحدا منها لهما، وأعطيا
الأربعة الأخرى لأبيهما. وقد بادر بدوره الى ارسال هذه الأموال الى البطريرك ليدفع منها الغرامة المطلوبة
منه، فتسلمها وكيل البطريرك الأكسندروس وكتبه نيابة عنه في أثناء تغييه في بلاد الصعيد. =

خلفهم عند طريق الشارويم ظهر الصخر. فمجدوا
الله صانع العجايب وحده في كل حين.

واعلموا الامير والى اسكندريه، وكان اسمه
عبدالله بن يزيد، يوصلهم بهذا القديس لياخذوا
رايه قبل قسمته وامره كما جرت العادة في كل
زمان. فامتنع الوالى ولم يمكنهم من ذلك وقال:
اسحق بن اندونه الذى من مصر انفذ الى ووعدنى
بالف دينار اذا جلس على هذا الكرسي، فان كنتم
قد اخترتم هذا فادفعوا لى ما قد وعدنى به اسحق.

ولم تنته المضايقات التى سببها والى مصر قرة بن شريك للبترك القبطى الاكسندروس عند
هذا الحد. اذ ما لبث أن أوقع بعض المغرضين بالبترك، فقد ابلغوا قرة بن شريك بأن لدى هذا
البترك من يضربون له الدنانير. فقبض قرة على البترك وأغلق البتركية، وعاقب البترك
وأصحابه أشد عقوبة. ولما ثبت بطلان هذه السعاية وكذبها، أطلق سراحهم، وأمر بفتح
البتركية^(١).

ثم حدث بعد ذلك، أن ثار كهنة الاسكندرية وقبضها على البترك، وألزموه بدفع رسوم
مالية لهم، الا أنه لم يكن لديه الأموال الكافية للاستجابة لطلبهم، فأساءوا اليه وأهانوه،
وحاول البترك الدفاع عن نفسه، فقال لهم، ان أموال الكنائس قد نهبها الوالى قرة بن

= وحدث بعد ذلك أن ترك الراهبان الرهبنة، ولبسا لباسا فاخرا، مما لفت اليهما الأنظار. واضطر أحدهما
الى الاعتراف بحقيقة الامر. فوصل الخبر الى الوالى قرة بن شريك فأمر بغلق الاسقوية - الدار
البتركية - والاستيلاء على ما فيها وفي غيرها من البيع من الأواني والذهب والفضة والكتب وأساء الى
أصحاب البترك، فأخذ أربعة الكيزان المذكورة. كما أحضر البترك من الصعيد، وأراد قتله، الا أنه طرحه
فى السجن وهو مكبل بالحديد، وبعد سبعة أيام أفرج عنه، وألزمه فى الوقت نفسه بدفع الغرامة المطلوبة
منه.

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٩ ج٢.

ومنعهم من قسمته اياما وكانوا الالباء الاساقفة
ملازمين داره طالبين منه متضرعين في تمكينهم،
وهو لا يفعل لمحبتة في المال. فاجتمعوا الاساقفة
الذين من المشرق وقالوا له: ليس نحن تحت
سلطانك فان لم تمكننا والا مضينا الى فسطاط
مصر ونقسمه هناك. فلما نظر ثباتهم وانهم يفعلون
ما ذكره فاذن لهم، فاجتمعوا الى بيعة مرقس
الانجيلي على ما جرت به العادة في احد وعشرين
يوما من هاتور سنة خمس مائة وسبع واربعين

شريك، حتى انهم أصبحوا في القديس يستخدمون كاسات من الزجاج بدلا من الكاسات
الذهبية والفضية^(١).

وكان الوالى أسامة بن زيد (٩٦ - ٩٩ هـ = ٧١٥ - ٧١٨ م) أشد قسوة ممن سبقه من
ولاة مصر في العصر الأموي، كما كان أبغضهم للقبط خاصة، فقد أمر بعدم ترهب أى راهب
جديد، وأحصى الرهبان في مصر، وأمر أن يوسم كل واحد منهم بحلقة حديدية، توضع في
يده اليسرى، وعليها اسم بيعته وديره، وألا ينقش الصليب على هذه الحلقة وأن يكون التاريخ
المسجل على الحلقة هو التاريخ الهجرى (سنة ٩٦ هـ) وعاقب الوالى الرهبان الذين خالفوا
هذه الأوامر، عقابا شديدا، وصل الى حد القتل أحيانا^(٢).

وكان أسامة بن زيد، مثله مثل بعض الولاة، حريصا على جمع المال بأية وسيلة فأمر عماله
بالاستيلاء على بعض الممتلكات. وكان يقول لعماله: «سلمت لكم أنفس الناس، فاحملوا
القماش والمال والبهائم، وكل ما تجدونه لهم، ولا تراعوا أحدا، وأى موضع نزلتموه،
فانهبوه»^(٣).

(١) المصدر نفسه، ص ١٣١ ج ٢.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ١٥٣ ج ٢، المقرئى: الخطط، ج ٤، ص ٣٩٥.

(٣) ابن المقفع: المصدر السابق، ص ١٥٥ ج ٢. ابن العميد، المصدر السابق، ص ٦٩ ويقول ابن المقفع: =

للسهيدا وكملا الصلاة على الهيكل وبدوا ان
يصعدوا الى الرتبة البطركيه يباركون ويمجدون
الله.

والان فاريدها هنا ان اذكر سيرته منذ صباه ذلك
الطوباني القديس ليمجد الله كل من سمعها قبل
ان اذكر تمام قسمته وما جرى عليه من الشدايد
وصبره عليها.

وهذا القديس من اباء اخيار مشهورين من
مدينة منوف العليا معروفين من مقدمي مصر، فلما
ماتوا بقي القديس يتيما فنظره انسان ارخن محب

وطلب أسامة من الرهبان ألف دينار، وأغلق أبواب البيع. كما طلب من رؤسائهم دينارا عن
كل واحد منهم، وعذبهم في سبيل أداء ذلك. وهددهم بهدم جميع الكنائس والاديرة في
مصر. وانتهت هذه المظالم بنهاية عهد أسامة، فقد توفي الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك،
وولى الخلافة عمر بن عبدالعزيز الذي عزل أسامة عن حكم مصر^(١) (في سنة ٩٩ هـ =
٧١٨ م).

ورغم ما نعرفه من تسامح وعدل عمر بن عبدالعزيز، فإن أهل الذمة عامة، والقبط منهم
خاصة، تعرضوا في عهده للمضايقات. فقد نهى عن استخدامهم في الادارة وأعمال الحكومة
- كما ذكرنا آنفا - وكتب الى ولايته، أن من أراد أن يستمر في الإقامة في العمل بالدواوين،
فعليه اعتناق الاسلام^(٢). كما شدد عليهم في اللبس والركوب.

وأبدى ساويرس حيرته، من أوامر عمر بن عبدالعزيز، فهو يأمر دائما ولايته بالعدل والرحمة
والتسامح، وقام بكثير من الاصلاحات التي عادت بالفائدة على المسلمين والدميين ورفع

- المصدر نفسه والصفحة - ان عماله كانوا تفتينا لأوامره يقلعون الأعمدة والأخشاب. ويبعون ما
يساوي عشرة دنانير بدينار.

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ١٦١ ج ٢، ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص ٦٩.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ١٦٣ ج ٢.

الله كان متولى كورة مصر اسمه تادرس من اهل
نقيوس وهو يتيم، فاخذه اليه ليصيره له ولدا محبة
للمسيح لعظم جنسه. واقام عنده مدة طويلة ففكر
فى نفسه وقال: هو ذا انا اليوم يتيم وما لى اجود
من البريه المقدسه، فهى دار اليتاما. فمضى الى
الريس الذى هو عنده وقد رباه وساله بتواضع ان
يفسح له فى المسير الى البريه المقدسه، فقال له: يا
ولدى انت من جنس جيد وتربت فى نعمه،
فيلحقك تعب فى البريه ولا تقدر على شقاها. فلم
يمكنه من الخروج وانفذه الى مدينة اسكندريه الى

الخارج عن الكنيسة والأساقفة. ولكن الخليفة فى الوقت نفسه يدعواهل الذمة الى اعتناق
الاسلام، ويشجع على اعتناقه برفع الجزية عمن أسلم من الذميين ويضيفها على من يقى
على دينه. وعليه يشبهه ساويرس بالدجال، ويقول: ذلك لأنه يصنع خيرا كثيرا أمام الناس
ويفعل السوء أمام الله^(١).

ثم ولى الخلافة يزيد بن عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز (١٠١ - ١٠٥ هـ = ٧١٩ -
٧٢٣ م) وكان شديد العداء للذميين، وخاصة القبط، الذين عانوا الكثير من الشدائد فى
عهده. وأمر يزيد (فى سنة ١٠٤ هـ) بكسر الصلبان. وإزالة الصور من البيع فى مختلف أرجاء
الدولة الاسلامية^(٢).

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٢ جـ ٢.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ١٦٥ جـ ٢. ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص ٧٠، المقرئى:
الخطط، جـ ٤، ص ٣٩٥. ويجلر بنا الاشارة الى أن الامبراطور البيزنطى ليو الأيسورى، أصدر قرارا بحظر
الصور والتماثيل الدينية، كما فعل الخليفة يزيد بن عبد الملك، ولكن قرار الامبراطور كان فى سنة ١٠٨ هـ
٧٢٦ م. انظر سيدة كاشف: مصر فى فجر الاسلام، ص ٢٠٢.

ويشير المقرئى - الخطط، جـ ٤، ص ٣٩٧ - الى أنه فى بطركية قسما أمر امبراطور الرومان نوفيل بن
خائيل سنة ٢٤٤ هـ بمحو الصور من الكنائس. لأنه سمع أن قيم كنيسة عمل فى صورة مريم شبه لثدى،
يخرج منه لبن فى يوم عيدها. واتخذ ذلك وسيلة لجمع المال. فقتل هذا القيم، وأمر بمحو الصور من -

الاب البطرك انبا مرقس وكتب اليه كتابا يذكر فيه
له قصة حاله وسلمه اليه مثل الوديعة.

ففرح به القديس مرقس وسلمه الى انسان
شماس كان له [رعاية] ولد [أولاد] القلاية يومئذ
وكان عالما ليعلمه الكتابة بلغة اليوناني(*) . وكانت
معونة الله معه ولا تدعه ان ينسى ما كان اراده من
المضى الى الديارات . فلما اقام عند الاب القديس
انبا مرقس اياما قلائل ضرب له المطانوه وساله ان
ينفذه الى الجبل المقدس ، فنظر شهوته وظهر الله

(*) من الواضح ان تعليم اللغة
اليونانية كان سببه ان معظم
التراث الديني المسيحي في هذا
الوقت كان مكتوب بها.

أما الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٦ هـ = ٧٢٣ - ٧٤٤ م) فقد أبدى عطفه،
وسط رعايته على القبط الأرثوذكس في مصر. وكان يحرص على أن يراعى في معاملتهم
شروط العهد التي منحها عمرو بن العاص للقبط بعد الفتح العربي. وولى الخليفة عبيد الله بن
الحبحاب على خراج مصر، وأوصاه بالقبط وغيرهم من المصريين^(١). ولكن هذا الوالي، لم
ينفذ أوامر الخليفة ووصاياه. فحينما قدم عبيد الله الى مصر، أوقع الظلم على القبط وغيرهم
من أهل الذمة في مصر. وأمر بوسم جميع القبط على أيديهم، بعلامة صورة الأسد، وقطع يد
من لم ينفذ هذا الأمر. الا أن البطرك الاكسندروس امتنع عن ذلك، وأصر على الخروج الى

= الكنائس، وكتب ذلك الى قسما بطريرك القبط في مصر، ولكنه ما لبث أن سمح باعادة الصور الى
الكنائس ثانية.

(١) ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص ٧٠. ويقول انه ولى عبيد الله ابن صفوان. في حين يسميه ساويرس
عبيد الله، فقط، انظر: تاريخ البطارقة، ص ١٦١ ج ١. ويقول المقرئى: ان الوالى المذكور هو حنظلة بن
صفوان. الخطط، ج ٤، ص ٣٩٥ - ونرى أن الأصح هو عبيد الله بن الحبحاب الذى ولاه الخليفة على
خراج مصر (١٠٥ - ١١٦ هـ = ٧٢٣ - ٧٣٤ م) فى حين كان حنظلة بن صفوان يلى أمرة مصر منذ
سنة ١٠٢ هـ = ٧٢٠ م. ثم عزله هشام وجعل مكانه محمد بن عبد الملك، فى سنة ١٠٥ هـ - ٧٢٣ م.
انظر سيدة كاشف: مصر فى فجر الاسلام، ص ٣٧٠ (جول بأسماء الولاة وعمال الخراج) ويذكر
ساويرس أن الخليفة هشام كان ينتهج السياسة نفسها بالنسبة للمسيحيين الأرثوذكس فى بلاد الشام، وكان
يقرب اليه بطركهم أناسيوس. كما كان يقدم له الكثير من الأموال للكنائس والأديرة

له ما يجده الصبي من النعمة فانفذه سريعا الى دير
ابى مقار الى عند قس قديس اغومنس اسمه بولا،
وكان يتعجب الناس من سيرته وان الله يظهر له
اسراراً ونبوءات، فلما نظر الى الصبي فرح به جدا
وبحسن طريقته وتواضعه.

ولم ينزل يغديه بالتعاليم المقدسة التي للابا
الرهبان لاسيما لما نظر طريقته، وكان يبارك عليه
ليلا ونهارا فاستحق ان يصير شماسا.
وبعد قليل استحق ان يكون قسا بيد الاب انبا
مرقس البطرك.

الفسطاط لمقابلة والى مصر، لعله يعفيه من الوسم. ولكن عبيدالله أصر على ضرورة وسمه
أسوة بجميع قبط مصر. وأصر البطرك على موقفه، ولم ينقذه من تنفيذ الأمر سوى وفاته^(١).

والزم هذا الوالى أنبا صمول أسقف وسيم^(٢) بدفع ألف دينار غرامة لبيت المال الا أنه كان
فقيرا، ولا يصل الى قوت يومه. والتمس من الوالى اعفاءه من الغرامة، فأمر الوالى الشرطة
بالقبض عليه، وسلمته الشرطة لنفر من البربر، ألحقوا به صنوفا مختلفة من العذاب، حتى
جمع له القبط، ثلاثمائة دينار، قدمها للوالى، فأفرج عنه، بعد أن أوشك على الموت^(٣).

والحقيقة التاريخية، أن المصريين الذين اسلموا نالوا من مظالم هذا الوالى الأمور، ما ناله
القبط أيضا وكان عبيدالله بن الحبحاب عامل الخراج (١٠٥ - ١١٦ هـ) يتبع سياسة ظالمة
نحو أهالى مصر على اختلاف أديانهم. وتقدم بعض المسلمين، بشكواهم الى الخليفة هشام بن

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ١٧٤ وما بعدها جـ ٢.

(٢) أوسيم قرية على بعد ميل من الفسطاط فى الطريق الى الجيزة. انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان،
جـ ٢٠، ص ٢٧٧.

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ١٧٧ وما بعدها جـ ٢. ويذكر أن سبب ذلك هو اتهام أنبا
صمويل بتحريضه البطرك على ألا يقبل الوسم، وأشار عليه بالهروب الى الاسكندرية. وعليه طلب من
عبيدالله مهلة ثلاثة أيام حتى يفكر فى الأمر، وبذلك يتمكن من الخروج الى الاسكندرية سرا. ولكن
البطرك مات فى الطريق قبل وصوله الاسكندرية.

ولما كبر هذا الاغومنس بولس اعتل عللا
مختلفه وكان هذا القديس يخدمه النهار والليل
برجا وامانه لينال بركته. وكان هذا الشيخ يجعل
يده على راسه ويباركه بركات عظيمة لا تحصى،
فلما قربت وفاته بدا ان يقول للصبي الذى حلت
روحه عليه: يا يوساب هو ذا الرب قد انعم عليك
بنعمه وميراثه لثرتة. ثم قال مثل قول الرب
لبطرس: وانت ايضا ارجع زمانا وثبت اخوتك
الذين هم قد صارو مشاركين لك فى تعب هذه
الخدمة وقدمهم كهنة. وكان له اولاد عنده

عبدالمملك الذى بادر بعزله عن خراج مصر، وجعل مكانه ابنه القاسم عبيدالله، الذى كان أكثر
ظلما وقسوة من أبيه^(١).

وتعرض القبط والبطرك أنبا خيال أيضا فى ولاية حفص ابن الوليد، لكثير من المضايقات
ورأى بعض القبط الأرثوذكس اخلاص منها، اما بالهجرة من القطر المصرى أو باعتناق
الاسلام. وبلغ عدد من من اعتنق الاسلام منهم، أربعة وعشرين ألف قبطى. وأبدى البطرك اله
وأسفه لهذه الأحداث. ولكن هذه المضايقات، انتهت بنهاية ولاية حفص بن الوليد^(٢).

نعمت مصر، بعد ذلك، بالهدوء والأمن فى ولاية حسان بن عتاهية (سنة ١٢٧ هـ -
٧٤٥ م) الذى بسط رعايته وحمايته على البيع والأساقفة والرهبان. وكان دائما على علاقة
طيبة مع البطرك أنبا خيال. وقد انتهج من جاء بعده من الولاة هذه السياسة نفسها، حتى اذا
ولى حكم مصر عبدالمملك بن مروان فى (سنة ١٣٢ هـ - ٧٥١ م) - فى عهد الخليفة مروان
بن محمد آخر الخلفاء الأمويين - عانى القبط كثير من المضايقات، ذلك أن عبدالمملك كان

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٦ ج ٢.

ويشبه ساويرس ذلك بما جاء فى الانجيل: «ان كل شجرة تثمر ثمرة رديئة».

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٦ وما بعدها ج ٢. السنكسار، ج ٢، ص ٣٤.

يخدمونه [و] غيره فتم قوله عند جلوسه على
الكرسى واستحققوا هولايك الاخوه له فى الخدمة
النعمه الشماسيه والقسيسيه مدة فى بيعة القديس
ابى مقار. وذكرت هذا ليكون منفعه لكل من سمعه
من الاولاد الرهبان ليعلموا ان الله يصطفى من
يخدمه بنية صادقه.

والان فاعود الى بقية خبر هذا القديس الاب
الجليل انبا يوساب. لما جلس على الكرسي الانجيلي

شديد الكراهية للقبط. وتفرغ عبدالمملك لجمع اكبر قدر من الذهب والفضة وغيرهما. ليعثها
الى الخليفة^(١).

واعتقل عبدالمملك البطرك. وبعض الأساقفة، وأساء معاملتهم، كما اعتقل أيضا ثلاثمائة
رجل وامرأة، وألقاهم جميعا فى السجن^(٢). وبعد عدة أيام، استدعى عبدالمملك اليه البطرك،
وطلب منه دفع خراج البيع، وشد فى التضييق عليه، فطلب البطرك من الوالى اطلاق سبيله،
ليتجول فى مدن وقرى الصعيد، ليجمع الأموال المطلوبة منه، فكان ذلك. ثم أطلق عبدالمملك
سراح البطرك بعد أن قدم له الأموال التى جمعها من القبط^(٣).

وحدث أن اعتقل عبدالمملك البطرك مرة ثانية، مما أثار غضب ملك النوبة كرياكوس وجهاز
فرقة من الجند، ليتقدم بها الى مصر، لقتال عبدالمملك، وليرغمه على أن يطلق سراح البطرك
حتى أنه وصل إلى بركة الحيش جنوب القسطاط، مما أثار مخاوف عبدالمملك، فأطلق سراح
البطرك، وعهد اليه بتحسين العلاقة بينه وبين ملك النوبة^(٤).

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٢.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٣٠٩ وما بعدها ج٢، السنكسار، ج٢، ص ٣٤ - ٣٥

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٣١٨ وما بعدها ج٢..

(٤) السنكسار، ج٢، ص ٣٥ وكذلك ساويرس ص ٣٦٣ وما بعدها ج٢. -

وكانت البيعة ليس لها شى فبدا ان يعمل تذكارات
كروما وطواحين ومعاصر للبيعة، فلم يصبر عليه
مبغض الخير الشيطان كعادته فاثار حربا عظيما في
بداية قسمته في الاعمال التي شرقي مصر
وغربيها، حتى انهم كانوا ينهبون كل المواضع
ويقتلون، وكان حرب عظيم في كل مكان، كما
قال عاموس النبي: ان هذا ما قاله الرب الضابط
ان يكون نوح [بكاء] في كل موضع. فلما نظر
الاب القديس ذلك حزن وسال الرب ان يستر على

تعرض القبط أيضا لبعض المضايقات، في أثناء الصراع بين الأمويين والعباسيين. فلما فر
مروان بن محمد - آخر اخلفاء الأمويين - الى مصر، عاث جنده في البلاد فسادا، ونهبوا
رؤساء القبط، وسبوا النساء والأطفال، واستولوا على الأموال. كما هرب كثير من القسس
والرهبان خوفا من بطش مروان وجنده^(١).

واعتقل مروان البطرك اليعقوبى أبنا خيال، والبطرك الملكانى قزما. ودفع قزما مبلغا من
المال، فأطلق مروان سراحه، في حين بقى أبنا خيال في معتقله يقاسى العذاب، وتردد مروان
في قتله. ثم قال: «ما فائدتنا في قتل هذا الشيخ، وقد كان منع البشامرة عن قتالنا، وكتب
اليهم فما قبلوا منه. لكن نحمله معنا، ونجعله أيضا يكتب لهم، ويقول: ان كل ما حل به
لأجلكم»^(٢).

Quatremere: Mémoire Géographiques et historiques sur l'Egypte, T. 2, pp. 56 57. et. =
Fowler: Christian Egypt, p. 61. and. Sanley Lane-Poole: A history of Egypt in the
Middle ages, p. 27.

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٣٩٧ وما بعدها جـ ٢..

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩٨ وما بعدها جـ ٢.

البيعة ويحفظها والشعب الارتد كسى فى كل
موضع، ويدعو ويقول كما قال داود فى المزمور:
يا رب أذكر مجمعك الذى كان من البدى ونجيت
عصا [سبط] ميراثك، جبل صهيون الذى سكنت
فيه، ارفع يدك على كبرياهم [كبرائهم] إلى الأبد
لان كثيرة هى الاسواء التى صنعها العدو.

ولم يفتر الشيطان من اثاره الحروب والقتل.
وكان متولى الخراج فى ذلك الزمان رجلا،

ولما وصل جيش أبى مسلم الخراسانى الى مصر، هرب جند مروان الى الصعيد. وهناك
قتلوا كثيرا من القبط، ونهبوا أموالهم، وسبوا نساءهم وأطفالهم، وأحرقوا الديارات بمن فيها
من الرهبان والراهبات^(١). ويشير بعض المؤرخين الى أن جند مروان كانت تدخل مدن
الصعيد، فتقتل كثيرا من أهلها، وتهدم ما بها من الكنائس^(٢).

وفى الحقيقة تعرض القبط جميعا وبطركهم أنبا خيال، خلال تواجد مروان بن محمد فى
مصر، لشدائد عظيمة، فقد أراد مروان قتل البطرك عدة مرات، ولكنه كان فى كل مرة يتراجع
عن قتله وقد انتقل مروان وبعض جنده الى الجيزة عندما وصل الجيش العباسى، ومروا فى أثناء
ذلك على دير راهبات، فأسروهن جميعا^(٣).

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠٢ ج ٢، ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص ٩٩.

المفريزى: الخطط، ج ٤، ص ٢٩٥.

(٢) أبو صالح الأرمنى، ص ٩٨.

ويذكر من بين هذه المدن مدينة طما ويبلغ عدد سكانها خمسة عشر ألف قبطى، وليس بينهم يهودى
واحد. وكان لهم ست وثلاثون كنيسة. وقد أرسل مروان بن محمد فرقه من الجند، قتلت الكثير من أهل
طما، وشردت آخرين. كما هدمت الكنائس ما عدا كنيسة أبى ميناء، فى نظير تأدية ثلاثة آلاف دينار فلم
يتمكن القبط الا من أداء ألفى دينار، فأصبح ثلث الكنيسة مسجدا للمسلمين.

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٤٠٣ وما بعدها ج ٢. ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص ٩٩.

احدهما اسمه احمد بن الاسبط، والاخر إبراهيم بن تميم. هذان مع ما كانوا الناس عليه من البلايا لا يدعان طلب الخراج بغير رحمه، وكانوا الناس في ضيق زايد لا يحصى. اصعب ما عليهم ما يطلبه منهم متوليا الخراج، وطلب ما لا يقدرون عليه. وبعد هذا انزل الله، الكريم باحكامه الحق، غلا عظيما على كورة مصر حتى ان القمح بلغ خمس وبيات بدينار. ومات بالجوع خلق كثير من النساء والاطفال والصبيان والشيوخ والشبان ومن

ولما تغلب العباسيون على الخليفة مروان بن محمد في مصر، وقامت الخلافة العباسية، أطلق العباسيون سراح البطرك، ومن معه من المعتقلين. وقد احسن الجند العباسيون للقبط وبطركهم، وطلبوا من كل قبطن أن يعلق صليبا من الذهب أو الفضة أو النحاس على جبهته وعلى ثوبه بل وعلى باب بيته، حتى يمكن التعرف عليهم دون غيرهم من المصريين، لتوفير الحماية لهم^(١). ومع ذلك ما لبث أن ضوعفت الجزية والخراج على المصريين. فلما تقدم البطرك بالشكوى، قيل له: ان هذا أمر من الخليفة لأنه علم أن أهل مصر اذا وجدوا راحة سنة واحدة، نافقوا وحاربوا، كما حارب البشامة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين^(٢).

والواقع، أنه كما تعرض أهل الذمة - وخاصة القبط - للمضايقات في فترات معينة طوال العصر الأموي، تعرضوا أيضا لبعض الشدائد في عهد الخلافة العباسية في بعض الفترات. نذكر منها، فترة النزاع بين الأمين والمأمون على الخلافة - رغم أن المصريين لم يكن لهم أي شأن في ذلك - ، بعد وفاة أبيهما هارون الرشيد (١٩٣هـ - ٨٠٩م) وما صاحب ذلك من تنافس بين الزعماء على الرئاسة ومناطق النفوذ في مصر وانقسمت البلاد المصرية بين الزعماء

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٤٥٦ ج-٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦٥ وما بعدها ج-٢.

جميع الناس ما لا يحصى عدده، من شدة
الجوع.

وكان متولى الخراج يوذى الناس فى كل مكان
واكثر النصارى البشموربين كانوا يعذبونهم بعذاب
شديد مثل بنى اسرائيل. الى ان باعوا اولادهم فى
الخراج من كثر العذاب.

لانهم كانوا يربطونهم فى الطواحين بدلا من
الدواب ويضربونهم حتى يطحنوا مثل الدواب.

المتنافسين من العرب، فصار لعبد العزيز الجروى شرقى الدلتا، فى حين ساد نفوذ السرى بن
الحكم من مصر الى أسوان. أما قبيلتا غم وجدام، فقد سيطرتا على غربى مصر، والاسكندرية
ومربوط والبحيرة وأعمالها، وضيقوا على أهالى الاسكندرية^(١) وكل أهالى مصر.

وخلال هذه الاضطرابات نزلت جماعة من القراصنة الأندلسيين فى مدينة الاسكندرية،
وجاءوا بأعداد ضخمة من الرقيق والسبي. وكانوا يبيعونهم فى أسواق الاسكندرية، واشترى
منهم البطرك اليعقوبى مرقص، حوالى ستة آلاف، من بينهم رهبان وقس وشمامسة ونساء
وأطفال، وقد أعتقهم البطرك مرقص، وجعل لهم حرية البقاء فى مصر أو الخروج الى بلادهم
فاذا اختاروا مغادرة البلاد، كان يدفع لهم نفقات الرحيل حتى يبلغوا بلادهم^(٢). ويسدو أن
الأندلسيين، كانوا يطردون سكان الاسكندرية من ديارهم، سواء من القبط أو اليهود -
ويسكنون فيها^(٣).

طمع الأندلسيون فى السيطرة على مدينة الاسكندرية. فحاربوا قبيلتى غم وجدام وقتل فى

(١) المصدر نفسه، ص ٦٨٠ ج٢.

(2) Chronique de Michel Le Syrien, T. 3, fasc. I, pp. 23-24.

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٦٨١ وما بعدها ج٢..

وكان الذى يعذبهم رجلا اسمه غيث. وتماذت
عليهم الايام وانتهوا الى الموت، فلما نظرو اهل
البشموريين ان ليس لهم موضع يخرجون منه
وموضعهم لا يقدر عسكر يسلكه لكثرة الوحلات
فيه وما يعرف طرقة الاله، فبدوا أن ينافقو ويمتنعو
ان يدفعو خراجا واتفقو وتامرو على ذلك.

وكان الملك فى ذلك الوقت عبد الله المامون
ابن هرون الرشيد، ولما انتهى اليه حال مصر وما

اثناء ذلك كثير من أهالى الاسكندرية، سواء من القبط أو اليهود أو المسلمين. كما أحرقت
معظم أحياء المدينة، وكثير من الكنائس. وعاث الأندلسيون فى المدينة نهبا وسلبا. وقتلا
وتخريبا، مما اضطر البطرك مرقص الى مغادرة الاسكندرية، وقضى خمس سنوات فى ضيق
وعذاب^(١). وتمكن أحد رؤساء القبط ويسمى مقارة بن ثابت النبراوى - من أهل سمند -
من الحصول، من عبدالعزيز الجروى على تصريح، يسمح فيه للبطرك، بالقدوم الى نبروه فى
أمن وسلام^(٢). وبالرغم من ذلك واصل البطرك اهتمامه ببيع الاسكندرية، وبيعة أبى مينا
بمريوط^(٣).

.....
(1) Chronic de Michel, T. 3, fasc. I, p. 60.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة، ص ٦٩٣ وما بعدها ج٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٠٣ ج٢، حاول عبدالعزيز الجروى أن يتدخل فى تعيين البطرك الجديد بعد وفاة
الأب مرقص ورفض القبط هذا التدخل، وعينوا البطرك يعقوب. فغضب لذلك عبدالعزيز الجروى، وأقسم
بضرورة قتل الأساقفة، وتخريب ما بقى من كنائس مصر إذا لم يسلم يعقوب نفسه، ولكنه توفى قبل أن
يصله البطرك يعقوب. انظر بتشر: تاريخ الأمة القبطية، م٢، ص ٢٢٠. ويذكر ساويرس أن سبب العداء
بين البطرك يعقوب وبين عبدالعزيز الجروى، أن الأخير طلب من البطرك تعيين أحد الأشخاص أسقفا
فرفض البطرك مخالفة ذلك للقوانين الكنسية. فغضب عبدالعزيز وطلب البطرك اليه، وهدده اذا
رفض قبوله. ولكن لم يتم ذلك لوفاة عبدالعزيز الجروى. انظر: ساويرس : ص ٧٧٤ ج٢.

فعلوه المتغلبون والمتولون، انفذ اليهم عسكرا
مقدمه امير اسمه الافشين فقتل الذين نافقو
[البشمورا] واخوارج من شرقى مصر، الى ان انتهى
الى المدينة العظمى اسكندريه فاراد ان يقتل كل من
فيها من اهلها، لانهم مكنو العدو من الدخول الى
مدينتهم فمنعه الله من ذلك لاجل دموع المومنين
وصلاة البطرك انبا يوساب.

وكان الأفشين يقتل حتى الابريا بجريرة

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد تعرض الرهبان في برية شيهات^(١)، لكثير من الأذى
والارهاب، من العرب القاطنين في الصحراء. وقد أسر هؤلاء العرب، الرهبان وهدموا البيع
والقلالي، في حين تمكن بعض الرهبان والقسس من الفرار من وجه هؤلاء العرب، وتشتوا في
كل موضوع من البلاد المصرية^(٢).

ويصف أحد المؤرخين هذه الشدائد التي تعرض لها القبط في مصر عقب وفاة هارون
الرشيد اذ اختلف أولاده، وقامت الخوارج وتغلبوا على الاسكندرية - يقصد بالخوارج
الأندلسيين - وقتلوا الكثير، ونهبوا البلاد، وخرج البطرك مرقس من المدينة، وبقي غائبا عنها
خمس سنوات وثار المغاربة، وأحرقوا الديارات بوادى هيب، ونهبوها، ولم يبق بها من الرهبان
الا نفر قليل^(٣).

(١) برية شيهات هو الاسم القبطي لمنطقة أديرة وادى النطرون، ومعناه ميزان القلوب، لأنه مكان عبادة
ونسك واصلاح السريرة. كما تسمى هذه المنطقة باسم الاسقيط أى الناسك أو النساك أو محل النسك -
= وتسمى أيضا باسم وادى هيب. انظر اخطط، ج٤، ص ٤١٥، عمر طوسون: وادى النطرون ورهبانه
وأديرته، ص ٣٩، عبدالمسيح البراموسى: تحفة السائلين، ص ٤٤.

(٢) ساويرس ابن المقفع: مصدر سابق.

(٣) ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص ١٢٣.

المفسدين الى ان ما بقى احد يراه الا قتله. وقتل
جماعه من اراخنه النصارى فى كل موضع. وكان
البطرك انبا يوساب حزينا لمشاهدته ذلك، من الوباء
والغلا والسيف.

وتمو البشمووريون موامرتهم وصنعوا لهم سلاحا
وحاربوا السلطان واحمرو نفوسهم ان لا يدفعوا
خراجا. فكلما يمضى اليهم ليتوسط حالهم قاموا
عليه وقتلوه.

وتعرض القبط وبطركهم الأب يوساب، أيضا لبعض الشدائد فى خلافة المعتصم (٢١٨ -
٢٢٧هـ = ٨٣٧ - ٨٤٢م) عندما دفع أحد القبط الطامعين فى أسقفية وسيم، ويسمى
تادرس، مبلغا كبيرا من المال، ليأمر البطرك يوساب، بتعيينه أسقفا، الا أن البطرك رفض ذلك،
مما أثار حنق الوالى وغيضه. فهدد البطرك بهدم كل كنائس مصر، وبدأ بهدم كنائس
الفسطاط^(١).

والزم هذا الوالى أيضا البطرك بدفع غرامة مالية قدرها، ثلاثة آلاف دينار، حتى يوقف
عملية التخريب والهدم فأقلق ذلك القبط، الا أنهم - وخاصة الكتاب والرؤساء منهم - طمانوا
البطرك، ووعدوا الوالى بسداد المبلغ، مما خفف من حدة غضبه.

تداعى أسقف مصر (الفسطاط) أمام القاضى محمد بن عبدالله ضد البطرك يوساب،
وكان يساعده فى ذلك بعض الأساقفة. فكان القاضى يستدعى البطرك - وهؤلاء القوم
مجتمعون عنده - ويسمعه كلاما مهينا، الا أن البطرك يوساب، كان يجيب على كلامه فى
قوة وشجاعة، ويستشهد فى حديثه بعبارات من الكتاب المقدس. كما أظهر البطرك يوساب.

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطارقة.

لما نظر ابونا البطرك انبا يوساب حزن على
اولايك الضعفا لأنهم لا يقدرّون على مقاومة
السلطان، وانهم باختيارهم اختاروا الهلاك
لنفوسهم.

فبدا المهتم بخلاص شعبه الامين بالحقيقة
وكتب اليهم كتباً مملو خوفاً ويذكر لهم ما يحل
بهم ليعودوا ويندموا ويرجعوا عن خلافهم ويدعو
[يتركوا] مقاومة السلطان. فلم يرجعوا، فلم يفتر

للقاضى واعوانه سجلات من الخلفاء بتأييد حقه فى البطركية، وتنصيبه بطركاً للقبط فى
مصر، السجل الذى منحه اياه الخليفة هارون الرشيد، ثم السجل الذى منحه اياه الخليفة
المأمون عندما قدم الى مصر، والسجل الآخر كان من الخليفة المعتصم أخى الخليفة هارون
الرشيد، ثم إلى السجل الذى منحه اياه الخليفة المأمون الواقع، وصرف البطرك مكرماً،
معززاً^(١).

وكان هذا القاضى. يأخذ غلمان البطرك يوساب، القادمين اليه، كهدايا من أفريقية والحبشة
والنوبة، ويضطرهم الى اعتناق الاسلام، وترك خدمة البطرك يوساب وكنيسته .
وكانت أشد الفترات قسوة بالنسبة لأهل الذمة، فى العصر العباسى، هو عصر المتوكل على
الله، الذى ضيق على الذميين جميعاً - المسيحيين على اختلاف مذاهبهم واليهود - وظهر هذا
واضحاً فى تحديد أشكال الملابس والسكن، ومنع الخليفة استخدام أهل الذمة فى الوظائف،
كما منعهم من بناء الكنائس، وأمر بهدم المستحدث منها.

وكان والى مصر آنذاك - عبدالمسيح بن اسحق - يمقت أهل الذمة من القبط واليهود مقتاً

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠١ وما بعدها.

من مكاتبتهم كل يوم. وكان يكتب اليهم فصولا
من الكتب ويقول: قال لسان العطر بولس كل من
يقاوم السلطان فهو يقاوم حدود الله، والذي يقاومه
يدان(*)).

(*) رسالة بولس الرسول إلى أهل
رومية ١٣ / ١ ، ٢ ، ٣ ، لتخضع
كل نفس للسلطين الفائقة. لأنه
ليس سلطان إلا من الله
والسلطين الكائنة هي مرتبة من
الله. حتى إن من يقاوم السلطان
يقاوم ترتيب الله والمقاومون
سيأخذون لأنفسهم دبتونه. فإن =

ولما وصلتهم كتب البطرك مع اساقفته، ونظرو
اولايك الاشرار الابا الاساقفه، وثبو عليهم ونهبو
كلما معهم، واهانوهم. فعادو الى البطرك
وعرفوه ما جرى عليهم فقال: ما يبطل عن

شديدا، الا أنه «بدأ بالنصارى، وأنزل عليهم بلايا، وأذلهم جدا، بأحزان شتى». فأمر بمحو
علامة الصليب، وكسر الموجود منه، وألزمهم بأداء الصلاة والطقوس الدينية بصوت خفى.
كما منعهم من الصلاة على أمواتهم، ومن ضرب الناقوس. وحرّم النبيل في جميع أنحاء
مصر، فصار القبط يلون عيدان النرجون بالماء، ويعصرونها، ويجعلونها محل النبيل في
القربان وعمل القداس^(١).

أنزل هذا الوالى، كل ظلم ممكن بأهل الدمة، فأبعدهم عن أعمال الحكومة والدراوين
واضطّروهم الى صنع ثيابهم، حتى لا يتشبهوا بالمسلمين. وأمرهم بأن يضعوا على أبواب دورهم
صورا مفزعة تمثل الشياطين، كما منعهم من ركوب الخيل، ولذا رأى كثير منهم اعتناق
الاسلام^(٢).

(١) المصدر نفسه، وكان القبط يقولون: «انك أسلمت في يد أعداء أئمة منافقين ماردن، ويد ملك ظالم،
أشر من كل من على وجه الأرض. والآن لا تقدر أن تفتح فانا، لأن حزننا وعارنا صار لعبيدك، والذين
يعبدونك، ولا تسلمنا لاجل اسمك».

(٢) المصدر نفسه، وكان من بين القبط الذين اعتنقوا الاسلام، قبطى يسمى اصطفي بن أندونه وأهله.
وصار يذكر القبط بكل سوء. ويقول انهم كانوا يلبسون ثيابا بلون اكمام مثل الرهبان في ذلك
العصر.

-الحكام ليسوا خوفاً للأعمال
الصالحة بل للشريرة.

هولا الهلاك بل يتم عليهم ما قال النبي اشعيا: انى
اسلمكم للسيف ويقع جميعكم بالقتل، لانى
ناديتكم فلم تسمعوا كلامى وخالفتم وفعلتم
الشر امامى.

(*) البطرك يوساب لا يتمكن من
كتابة سنوديقا إلى شريكه فى
الامانة بطرك انطاكية بسبب
ثورات البشمور.

ولاجل هذه البلايا (*) والاحزان المذكورة ما
تمكن الاب البطريك ان يكتب سنوديقا الى
شريكه فى الخدمة والامانة بطرك انطاكية وكان
مهما بذلك اكثر مما ناله من التجارب، فانه لم

وما لبث أن عزل الخليفة المتوكل، هذا الوالى، وجعل ابنه مكانه، ولكنه انتهج سياسة أليه
فى معاملة أهل الدمة، بالقسوة والارهاب^(١). وسخر القبط فى اصلاح مراكب الأسطول.
مقابل اطعامهم، وبدون أجر.

كما أمر هذا الوالى باحصاء عام للمدن والقرى، وفرض على كل ضيعة، تقديم عدد من
الرجال للعمل فى الأسطول. وكان على القبط أن يشتروا من أموالهم، الأدوات والعدة اللازمة
لذلك، ومن خالف هذه الأوامر، فرضت عليه غرامة مالية. وكان الوالى يجند أحيانا لهذا
العمل الضعفاء الذين ليس لهم قدرة على السير، ولا يعرفون صناعة البحر، فيضطر هؤلاء
بدورهم أن ينيبوا عنهم من يقوم بذلك بدلهم، نظير دفع مبلغ من المال لهم.

ولما ولى المنتصر بن المتوكل الخلافة (سنة ٢٤٧هـ - ٨٦١م) جعل على خراج مصر أحمد
بن مدبر، الذى اشتهر بالقسوة والشدة، وحبه لجمع المال، فأحزن ذلك الأب شنوده بطرك

(١) المصدر نفسه، ويقص لنا بعض العجائب التى هى فى الواقع من صنع الخيال، فلا يعقل مثلاً أن تنزف
صور مرسومة دماً ولا يسيل من عيونهم دموع. ويروى هنا المؤرخ أن سكان وادى هيب، شاهدوا الدم
يتنزف من جنب صورة السيد المسيح فى يعة القديس ساويرس، واستعمل هذا الدم فى شفاء المرضى. وفى
رواية أخرى أن جميع صور أديرة وادى هيب كانت تسيل الدموع من عيونها، بسبب ما أنزله ولاية مصر
من ظلم بالقبط. انظر المصدر نفسه، ص .

يجد راحه يوما واحدا منذ جلس ليكتب الى
كرسى انطاكيه باتحاد المحبة وثبات الارتد كسيه.

ولم يدعه محب البشر في حزنه هكذا لاجل
اتحاد الكرسيين اسكندريه وانطاكيه فدبر بأمر
عجيب ان يصل الاب ديونوسيوس بطرك انطاكيه
الى مصر ويشاهد بعضهما بعضا حسب ما تذكره
فيما بعد.

ولما نظر الامير الافشين تمادى البشمورين على

القبط^(١). ولما قدم ابن مدبر الى مصر، وضع يده على أموال المسلمين، والقبط، واليهود،
وضاعف عليهم الجزية واخراج. وأمر باحصاء الرهبان في جميع أرجاء مصر، وألزمهم بدفع
الجزية واخراج.

وقرر ابن مدبر أن يصحب معه البطرك شنودة الى وادي هيب، ليضمن له ما على أديرته
من جزية وخراج، وطبق ابن مدبر هذه القرارات أيضا على باقى أديرة وبيع مصر كلها ورأى
الأب شنودة، الهرب نجاة بنفسه من هذه المضايقات، كما هرب كثير من الأساقفة.

انفذ ابن مدبر نوابا عنه، الى مختلف الأقاليم المصرية، فسلبوا من الأديرة والكنائس ما بها
من الآلات والأدوات الخاصة بالقداس، وألزموا القومة^(٢) بدفع ديارية الأساقفة وحملوا كل
ذلك الى الديوان. كما أمر ابن مدبر باغلاق جميع الكنائس في مصر الا كنيسة واحدة،

(١) المصدر نفسه، ويشير الى أن ابن مدبر أنزل كثيرا من البلايا بأهل فلسطين قبل قدومه أما البطرك شنودة
فأصله من قرية البتنون، وعمل في خدمة البطرك يوساب ثم عين أقنوما لبيعة القديس أبى مقار. وقد أقيم
بطركا بعد وفاة البطرك قسما.

(٢) القومة: جمع قيم وهو الشماس. انظر القلقشندي: صبح الأعشى. ج ٥، ص ٤٧٤. ويقومون بخدمة
الكنيسة ومساعدة الأساقفة والقس في تقديم القداس. انظر:

Autefag.s: Les Copts, p.33.

شرهم ونفاقهم وانهم لا يعودون عن فعلهم ،
كتب الى الخليفة عبد الله المامون يعلمه بما جرى .

فاسمعوا الآن ايضا ، كان اسقف على كرسي
تيس اسمه اسحق وكان شعبه قد سعى به دفعات
بكلام ردى وقالو للاب يوساب : اذا لم تقطع هذا
الاسقف وتزله عنا والا نخرجنا عن دين
الارتد كسيه .

وكان ايضا بمصر اسقف اخر اسمه تادروس قد

ليقدموا فيها القربان^(١) وأنزل نواب ابن مدبر، المظالم بالأساقفة والرهبان، وكانوا يحملونهم
مقيدين بالحديد الى مصر، حتى يؤدوا ما عليهم للديوان، واستمر البطرك مختفيا نحو ستة
أشهر، فى حين كان شعبه القبطى فى أشد حالات الحزن والألم، لما أنزله ابن مدبر ونوابه بهم
جميعا .

ورأى البطرك شنودة أن يعاود الظهور من مكمنه، ويسلم نفسه لابن مدبر. فكتب يلتمس
منه الأمان، فوعده ابن مدبر بذلك، اذا قدم قبل أن يقبض عليه أحد عماله، أما اذا قبض عليه
قبل أن يسلم نفسه، فان ابن مدبر سينزل به وبالكنائس والأساقفة أشد أنواع العذاب^(٢) .
فسلم البطرك شنودة نفسه لابن مدبر، الذى ما لبث أن طالبه بما عليه من خراج بلغ سبعة
آلاف دينار. وقد تعاون جميع الأساقفة بمصر مع البطرك فى تسديدها «وكانت كورة مصر فى
ضيق عظيم، وافترق الأساقفة والرهبان، وكل واحد، من أجل الغرامات التى رتبها هذا الانسان
الخوف، أكثر من جميع من تقدمه» .

(١) ماويرم ابن المقفع : تاريخ البطارقة .

(٢) المصدر نفسه، وذكر هذا المؤرخ أن ابن مدبر كان يكتب على ما يجمعه من الأموال، هذا ما كان
يسرقه من تقدمتى، المصدر نفسه ص ٢٨ .

المدينتين ، ويقول من قول بولس : ما تفرحون
انتم اذا اعتللنا نحن، وتكونون انتم اقويا. هذا
الذى ادعوه من اجلكم لتخلصوا واكاتبكم به، ولا
احضر عندكم كائنى حاضر عندكم، ولا اصنع
حرما ومنعا، كما امرنى الرب ان ابسى ولا
اهدم.

وبقى الشعب متمادين على فعلهم يقولون
بقول واحد ولا يتغيرون عنه: انه ان لم ينقطع

أسوان الى الفرما وعم الفرح والسرور فى البلاد. ولكن ما لبث أن انقلب ابتهاجهم الى حزن،
فقد ثار بعض المسلمين فى الاسكندرية، وانضم اليهم العربان، وعاثوا فى البلاد نهبا وسلبا،
وأحرقوا الأديرة بمن فيها، ثم حاصروا الاسكندرية، ومنعوا وصول المؤن والمياه اليها. فساءت
أحوال السكان داخل المدينة، وحرمت الكنائس من اقامة القربان، لعدم توفر الغلة والخبز
«فأواس [أوقاف] البيع قد ملكها هؤلاء القوم، ونهبت مخازنها وأموالها وتقروا بها على
محاصرة اسكندرية».

حزن البطرك شنودة لذلك أشد الحزن، واستقر به المقام فى مدينة المحلة الكبرى وكان يدفع
للتجار الأموال، ليشتروا بها تجارتهم، فاذا دخلوا مدينة الاسكندرية سلموا هذه الأموال
للمسئول عن الكنائس بها - ويسمى الأقنوم - لينفق منها على البيع وبهذه الوسيلة استقامت
أحوال كنائس الاسكندرية. واستمر العربان ومن معهم، ينهبون الأديرة والقلالى، والرهبان
صابرون على ما حل بهم من ضيق وشدة.

فلما ولى مصر مزاحم بن خاقان (٢٥٣ - ٢٥٤ هـ = ٨٦٧ - ٨٦٨ م)، سحب معه الى
مصر قوما من الأتراك الأقوياء، وأعد العدة لقتال القوم الثائرين بمدينة الاسكندرية وحاربهم فى

هذان الاسقفان والا فما بقي منا انسان واحد في
الامانه الارتدكسيه، بل نعود الى المخالفين وانت
المطالب عنا.

فلما سمع هذا اسرع الى تنيس وسالهم ان
يعودو عن غضبهم فلم يفعلو، بل زادو في
غضبهم، وكذلك مدينة مصر ايضا مع اسقفهم.

فما راي ذلك انفذ واجمع الاساقفه من كل
موضع وعرفهم اخبر وقال لهم انا برى من هذا

البر والبحر، حتى تمكن من اخماد ثورتهم والقضاء عليهم. واسترداد ما نهبوه من المتاع
والأموال، فأمنت مصر من شرهم. وعاد اليها الأمن والهدوء^(١).

.....
(١) المصدر نفسه، وكان ذلك وابن المدير مازال على خراج مصر. كثر الاتراك في مختلف أنحاء الدولة
الاسلامية منذ خلافة المعتصم سنة ٢١٨هـ. وعلا أمرهم في البلاد. فقد ضاق المعتصم من استئثار
الفرس بالفوذ كما ضاق بتيارات الشعوبية التي ثارت بين الفرس والعرب. كما كانت أم الخليفة تركية
فاعتمد الخليفة على الاتراك، واتخذ منهم حرسا خاصا له، كما أسند اليهم مناصب الدولة، ومن ثم
أصبح ولاية مصر معظمهم من الاتراك وكانوا يقيمون في مقر الخلافة في بغداد يرسلون الى مصر من
ينوب عنهم في حكم البلاد باسمهم، فيدعون لهم على المنابر، ويتقشون أسماءهم على السكة. انظر:
حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي، ج٢، ص ١٢٦ - ١٢٧.

وانتم كذلك]. اخيرا نكتب ونمنع الاسقفين
اسحق اسقف قنيس وتادرس اسقف مصر
وحطوهما عن كرامتها وابعدوهما عن الاسقفية.

ولم يتدخل ابونا الرحوم من دوام الصلاة
وسكب الدموع الغزيرة والتهد على قطع هذين
الاسقفين.

وكان الافشين بمصر ينتظر جواب ما كتب به
الى المامون بسبب اهل البشمور. وكان المامون

مصريوا النوبة عبر التاريخ(*)

من القرن الأول الميلادى حتى القرن ١٦م

مقدمة جغرافية. النوبة وأسمائها المختلفة فى التاريخ، النوبيون ومراحل تاريخهم.

من الضرورى قبل أن نبدأ بدراسة تاريخ ممالك النوبة المسيحية، أن نتعرض فى شيء من الإيجاز، للمقومات الجغرافية للبلاد التى قامت فيها هذه الممالك المسيحية، لمعرفة ما لهذه المقومات من أثر فى تشكيل المجتمع النوبى، وتفسير بعض نواحي حياته ونشاطه وأسس حضارته.

يطلق لفظ «النوبة» على أجزاء وادى النيل الممتدة على جانبي النهر الأعظم بين مدينتى أسوان وخرطوم الحالية، وعلى الرغم من انكماش أوطان النوبيين فى الوقت الحاضر فإن ذلك لا يمنع من دراسة إقليم النوبة بوضعه الجغرافى القديم، لأنه كان مجالا لنفوذ تلك الممالك التى أسهمت بنصيب كبير فى تاريخ السودان فى العصور الوسطى.

ويبدو من وصف الكتاب القدماء لهذه البلاد، أنه لم يطرأ تغيير ظاهر على بيئتها الطبيعية،

(*) أنظر كتاب الاسلام والنوبة. تأليف: د. مصطفى محمد مسعود. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة ١٩٦٠.

رجلا حكيما فى فعله ويبحث عن مذهبنا،
ويجلس عنده قوم حكما يفسرون له كتبنا، وبهذا
الحكم كان محبا للنصارى.

فجاء [ء] الى مصر وجمع جيشه واستصحب
معه البطرك ديونوسيوس بطرك انطاكية.

فلما علم الاب البطرك انبا يوساب بوصول
المامون وصحبته بطرك انطاكية جمع الاساقفة

ما خلا ما تناولته يد الإنسان بالتعديل أحيانا، وبالتهذيب أحيانا أخرى^(١).

ويتصف هذا الجزء من وادى النيل بظواهر جغرافية هامة، أثرت فى تاريخ الجماعات
البشرية التى استوطنته فى مختلف العصور. ومن أهم هذه الظواهر كثرة انحناءات النجى فيما
بين مدينتى أسوان والخرطوم، فضلا عن اعتراض الجنادل، وهو بهلتين الظاهرتين يمثل القطب
الذى ترتبط به حياة السكان، الذين تجمعوا فى واديه الصحراوى الضيق^(٢) وثمة ظاهرة أخرى
هى اختلاف الأحوال الجوية بين جزأى هذا الاقليم، فبينما نرى منطقة يصيبها مطر صيفى
محدود وتمتد من جنوبى بربر إلى الخرطوم، نرى منطقة نادرة الأمطار أو تكاد تكون عديمة
الأمطار، وهذه تمتد من شمالى بربر إلى أسوان، لذلك قسم الجغرافيون إقليم النوبة إلى ثلاثة
أقسام هى: وادى النوبة العليا - وادى النوبة الوسطى - وادى النوبة السفلى^(٣).

أما وادى النوبة العليا فيمتد من منطقة التقاء النيلين الأبيض والأزرق إلى دنقلة، وتبعد حافة
الوادى بعض الأحيان قليلا على جانبي النهر فيتسع الوادى، وتصبح له صفة الخوض، الذى

(1) Kirwan, L. P. "The Ballana Civilization". Bulletin de la Societe Royale de Geographie
d'Egypte XXV, P. 103.

(2) Tothill, J.D. : ed. Agriculture in the Sudan p. 740.

(٣) محمد عوض محمد - السودان الشمالى - مكانه وقبائله ص ٢٨٥.

وسار الى فسطاط مصر ليسلم عليه كما يجب
للملوك.

فلما نظر الاب ديونوسيوس الاب انبا يوساب
فرح فرحا عظيما روحانيا، وكان هذا تدييرا من
الله كما بدأت، وقلت انه ما قدر ان ينفذ
السنوديقا الى دينوسيوس، وكان له منزله عند عبد
الله المامون، فلما عرفوه بوصول انبا يوساب تقدم
بدخوله اليه، فلما حضر عنده قبله بفرح بنعمه
الله الحالة عليه، ثم عرفه انبا ديونوسيوس ان ابانا

تغمر بعض أجزائه خلال أيام الفيضان. ويتمثل ذلك في الجزء الذي يقع فيما وراء شدى^(١)
. وكذلك الجزء الذي يمتد إلى ما وراء الجانب الأيسر من النهر، فيما بين مروي وأبو فاطمة^(٢)
. وتمثل هذه المناطق التي يتسع فيها الوادي على أحد الجانبين مركز تجمع السكان الذين
تساعدهم البيئة الطبيعية على مباشرة الزراعة معتمدين على مياه النهر.

وتفهم أحوال المناخ في النوبة العليا من موقع الإقليم على الحافة الصحراوية التي تتضاءل
فيها كميات المطر السنوي إلى حد كبير، إذ يلاحظ المتجه شمالا من الخرطوم تناقص كمية
المطري السنوي، فهي في الخرطوم ١٦٣ ملمترا سنويا، وفي أبرا ٧٥ ملمترا سنويا، ومن ثم
يزداد الجفاف شمالا فتتخفص كمية المطر السنوي في كريمة إلى ٢٥ ملمترا سنويا، وتتساقط
هذه الكمية المحدودة في شهور الصيف، فيما بين يوليو وسبتمبر^(٣). وهي الشهور التي ترتفع
فيها الحرارة بشكل ملحوظ وتسود فيها رياح الجنوب الساخنة. وهذه الكميات المحدودة من
المطر لا تؤثر في حياة السكان ونشاطهم، إلا في حدود ضيقة، ولكنها مع ذلك تتجمع في
بطون الأودية الجافة والأخوار، وتسيل في اتجاه الوادي من الصحراء التي تشرف على الجانبين،

(1) Tothill, J.D. - ed. op. cit. p. 744.

(٢) محمد عوض محمد - نهر النيل - ص ١٢١.

(3) Tothill, J.D. - ed. op. cit. p. 740.

لم يتأخر من مكاتبة البشموريين واردعهم ان لا
يقاوموا امرك.

ففرح المامون بهذا الامر ثم قال للبترك انبا
يوساب: هو ذا آمرك انت ورفيقتك البترك
ديونوسيوس ان تمضيا الى هولا القوم(*)،
وتردعاهم كما يجب في ناموسكما، ليرجعوا عن
خلافهم ويطيعوا امرى، فان اجابوا فانا افعل معهم
الخير فى كلما يطلبونه منى، وان تمادوا على
الخلاف فنحن بريون من دماهم.

(*) المامون يرسل البترك انبا
يوساب والبترك ديونوسيوس
لتحذير البشموريين من قوته
وسطوته.

فتبعث بعض النشاط فى بطون تلك الأودية، حيث تمرح الحيوانات فى مناطق العشب القصير
الذى يتبع فصل المطر. وتمثل هذه الأودية من ناحية أخرى طرق المواصلات التى تنساب من
الشرق والغرب إلى الوادى. ومنها واد الملك الذى ينساب منحدرًا من الجنوب الغربى إلى
الوادى قرب الدبة. ووادى مقدم الذى ينساب فى قلب صحراء بيوضة نحو الشمال. أما من
ناحية الشرق فهناك وادى عامور الذى ينساب من السفوح الغربية لتلال البحر الأحمر.

فى هذه المنطقة - أى فى وادى النوبة العليا - قامت دولة كوش، وكانت عاصمتها نباتا ثم
بعدها مروى^(١)، التى تكونت فى منطقة يتسع فيها الوادى اتساعاً ملحوظاً، حتى أصبحت
مركزاً زاول فيه السكان الزراعة. وكانت مروى تعتبر مركزاً هاماً للتجارة، لا بين الجنوب
والشمال عن طريق النيل فحسب، بل كذلك بين سهول كردفان فى الغرب وموانئ البحر
الأحمر فى الشرق^(٢). ووصف سترابون وديودور الصقلى وبليني هذه البلاد. فأشار سترابون
إلى موقعها بين التقاء نهر Astaboras «الأبيرا» ونهر Astasobas «النيل الأعظم». وهى غنية
بشروتها المعدنية والغاية، وكان سكانها يزاولون الزراعة والصيد. ولاحظ سترابون تجمع السكان

(١) مدينة نباتا وهى العاصمة القديمة لدولة كوش تقع عند سفح جبل البركل قريبا من الشلال الرابع، أما
مروى فهى بخلاف مروى الجديدة التى تجاور مدينة نباتا. ومروى القديمة تقع بالقرب من كبوشية الحالية
ويسمى الإقليم الواقع بين الأبيرا والنيل جزيرة مروى.

(2) Trimingham, J.S. Islam in the Sudan. pp. 42 - 43.

ففعل ابوانا البطركان وسارا الى البشموريين

وسالاهم ثم نصحاهم ووبخاهم ليتخلو عن
افعالهم، فلم بجيبو ولا قبلو سوالهما(*) [ولا سلم
لهم البشموريين]، فعادا واعلما المامون بذلك فامر
حينذ المامون الافشين الامير بان يسير اليهم
بعسكره وان يقاتل البشموريين.

(*) البشمور يرفضون وساطة
البطركين يوساب وديونيسيوس
ويستمرروا في مقاومة جيوش
المامون بقيادة التركي افشين.

فلم يقدر عليهم لتحصين مواضعهم بالمياه،

ومواضعهم تسمى التنفير(*) بل كانوا يقتلون من

(*) وهي ما نسميه الآن البرارى.

على امتداد هذا الجزء من وادى النيل فعلى الجانب الأيسر كان يعيش النوبيون والليبيون. وفى
الناحية اليمنى كان يعيش الميجاباريون Megabari والبيميون Blemmyes. أما الصحراء
فكانت خالية من السكان إلا فى بعض مواقع^(١) كالواحات. وفى هذه المنطقة أيضاً قامت
دولة علوة حوالى منتصف القرن السادس الميلادى، وكان طرفها الشمالى منطقة الأبواب
(كهوشية الحالية) وتمتد إلى جنوب التقاء النيلين الأبيض والأزرق. وقامت العاصمة سوبا على
الضفة اليمنى للنيل الأزرق.

أما وادى النوبة الوسطى، فيمتد من دنقلة إلى حلفاء، وكان ولا يزال جزءاً أساسياً من أوطان
النوبيين. واحتفظ النوبيون به عندما اضطرتهم الأحوال البشرية التى سادت إلى التخلي عن
أغنى الأجزاء من وطنهم. ويتصف هذا الإقليم بضيق واديه وكثرة ما يعترض مجرى النهر من
جنادل^(٢). ويقلل القيمة الإنتاجية لهذا الإقليم، ضيق الشريط الخصيب على جانبى النيل،
وارتفاعه كثيراً عن مستوى النهر. وما يزيد الحياة صعوبة كذلك وقوع هذا الإقليم فى وسط

(1) Budge, E. A. Wallis.: The Egyptian Sudan. p. 158.

تقلاً عن Strabo .

(٢) محمد عوض محمد - نهر النيل ص ١٢٢ - ١٢٣ .

عسكر الافشين كان يوم جماعه ، فلما اتصل الخبر
بالمأمون سار بجيشه(*) وانحدر الى هناك، وامر ان
يحشدو جميع من يعرف طرق البشموريين من
اهل المدن والقرى المجاورة لهم ومن كل الاماكن
ومن اهل تندا وشبرا سنبوط الذين يعرفون طرق
تلك الاماكن. وكانت العساكر تتبعهم الى ان
سلمو لهم البشموريين، فهلكوهم وقتلوهم بالسيف
بغير اهمال ونهبوهم واخربو مساكنهم واحرقوها
بالنار وهدمو بيعةهم، وتم عليهم قول داود النبي في

(*) المأمون يجمع جيوشه ويهاجم
البشموريين بعد فشل الافشين في
القضاء عليهم.

النطاق عديم المطر، وتتراوح كمية المطر السنوي بين الصفروخمسة مليمترات. فلا يصيب
الإقليم إلا بعض الرذاذ الذي يتساقط فجأة ودون أن يكون لسقوطه قيمة تذكر^(١).

وبهذا يمكننا تصوير مدى قسوة الأحوال الطبيعية في هذا الإقليم، ومدى ارتباط حياة
السكان تماما بالنهر، ونوع الفيضان والمستوى الذي يصل إليه مائه. ويمارس السكان زراعة
السلوكا في الأجزاء الضيقة المحدودة التي ينحسر عنها النهر في مدة انخفاض المناسيب، وتزرع
في هذه الأجزاء المحاصيل دون رى معتمدة على ما تتشبع به من رطوبة في موسم فيضان النهر.
ويغلب عليها أن تكون من المحاصيل سريعة النضج. أما الزراعة الحقيقية فتعتمد على الساقية
التي تروى مساحات محدودة لا تزيد على عشرة أفدنة. وامتدت المضخات إلى هذا الجزء،
ولكنها لم تجد أرضا فسيحة لخدمتها إلا في منطقة الأحواض التي تعرف باسم حوض ديرة
وحوض حلفا^(٢).

ويكتنف ذلك الإقليم على الجانبين صحراء جافة جرداء تنعدم فيها مظاهر الحياة إلا في
مناطق الواحات. وأهم هذه الواحات ما يمر بها درب الأربعين وهي واحة بيرنظرون ونخيلة
وسليمة.

(1) Tothill, J.D. - ed. op. cit. pp. 74 - 750.

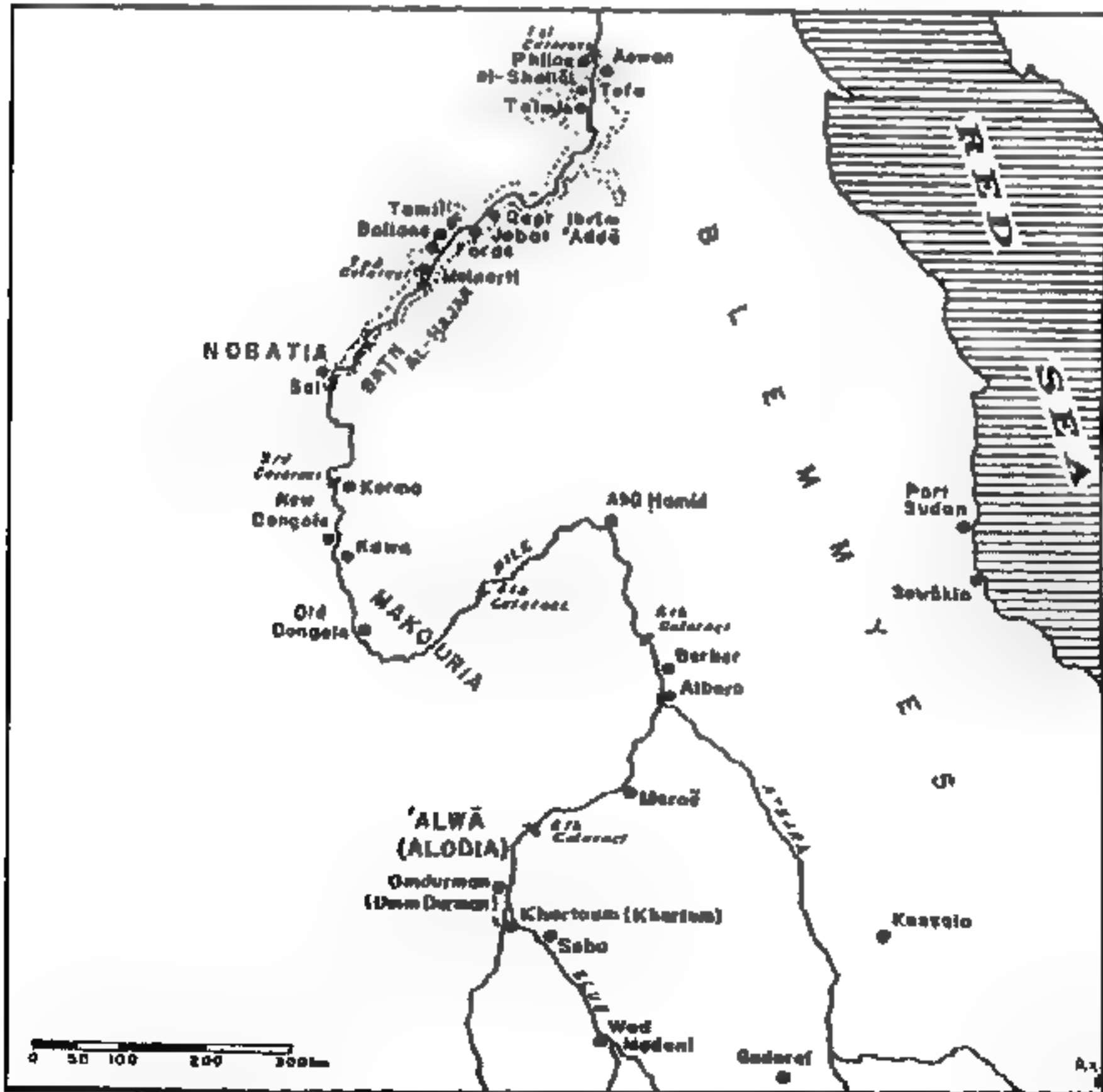
(2) Tothill, J. D. , ed. : op. cit. p. 749.

المزمور [٧٧]: اسلم قوتهم للسبي ومالههم لا عداهم
واسلم شعبه للسيف ولم يشفق على ميراثه.

ولما نظر المامون كثرة القتلى امر العسكر ان
ترفع السيف والذي بقى منهم اسره الى مدينة
بغداد (*) من الرجال والنساء.

فسال الاب البطرك انبا ديونوسيوس (*) : اى
شئ كان السبب فى نفاق هؤلاء القوم؟ فعرفوه انه
بسبب ظلم متولى اخراج لهم أولا. فتوجع قلبه

(*) كان من تقاليد العباسيين
الطواف بأسراهم فى الحروب
بعاصمتهم بغداد.
(*) كان البطرك ديونوسيوس من
المفاوضين للبشمور فكيف لا
يعرف سبب ثورتهم؟



النوبة
ومالكها.

على هلاكهم وتقدم الى المامون وقال له لمنزله
عنده، وكان مع المامون اخوه المسمى ابراهيم (*)
الذى ملك بعده وقال له: السبب في نفاقهم ظلم
متولى الخراج لهم وعتبهما عليهم .

(*) ابراهيم: هو الخليفة المعتصم
فيما بعد تولى في سبتمبر ٨٣٣ م
= رجب ٢١٨ هـ .

فلما سمع منه هذا قال له اعف نفسك (*) ولا
تقم بمصر بعد هذه الساعة، ان سمع اخي
ابراهيم ذلك فهو يقتلك، لان جباة الخراج كانوا من
عنده .

(*) المأمون يعفى البطرك
ديونيسيوس ويأمره بالرحيل عن
مصر بسبب نصيحة منه حول
العاملة القاسية للمصريين عند
تحصيل الخراج .

وأما وادى النوبة السفلى فيمتد بين وادى حلفا وأسوان، ويمثل بذلك المرحلة الأخيرة
للوادي الضيق . وهذا الجزء من الوطن النوبي محدود القيمة، ففي مدة ارتفاع المناسيب يندر
النهر منحصرًا بين حائطين جبليين شديدي الانحدار، ويبدو هذان الحائطان عموديين في بعض
المواضع، ويشرف على النهر مباشرة بعض الشجرات التي تمثل فتحات للأخوار والوديان التي
تنساب إلى النهر من الجانبين الشرقي والغربي .

أما فيما يتعلق بالنهر ذاته فهو معتدل الجريان صالح للملاحة^(١) وفي مدة انخفاض
المناسيب ينحسر النهر عن شريط ضيق، يظهر هنا وهناك في أحد الجانبين، وفي هذا الشريط
يكثر النخيل ويهبط السكان من حافتي الوادي ليمارسوا الزراعة، فيزرعون مساحات محدودة
للغاية . أما في موسم الفيضان فتغمر تلك المساحات، ويصعد السكان إلى قرَاهم فيما وراء
مستوى التخزين ويباشرون زراعة مساحات أشد ضيقًا في مصاطب يعدونها . ويرفعون الماء إليها
بالسواقي .

ويعتبر هذا الاقليم - وقد بدا فقره - موطنًا من مواطن العزلة التي يعبر عنها العلماء بأنها
مناطق الطرد . ونرى النوبيين جيلا بعد جيل يخرجون من أوطانهم الفقيرة متبعين مجرى النهر
شمالًا وجنوبًا، ولكنهم مهما طال بهم البعد عن أوطانهم يعودون إليها . ويعيش كثير من

(١) محمد عوض محمد - نهر النيل - طبعة ثانية ص ١٢٣ .

فلما سمع الاب ديونوسيوس هذا خرج وهو
قلق وودع الاب انبا يوساب وقال له: ما يمكن ان
اقيم ساعة واحده بمصر. واستعلم منه الخبر فاعاده
عليه وودعه وهو باك.

فلما سمع ابراهيم هذا الخبر طلب
البطرك ديونوسيوس وارسل اليه فاعلم بمسيره
الى بلده فغضب جدا وتمكن الغضب منه اياما
كثيره.

سكان القرى النوبة اليوم على المساعدات المادية من أولئك الذين يعيشون في مصر
والسودان^(١)

وقامت في هاتين المنطقتين - النوبة السفلى والوسطى - مملكة النوبة الشمالية وأطلق عليها
اسم مَقْرَة، وعاصمتها دنقلة، وامتدت هذه المملكة من جنوبى أسوان إلى منطقة الأبواب^(٢).
ويبدو أن اختيار دنقلة عاصمة للدولة المسيحية في الشمال، كان نتيجة لوقوعها في منطقة
يتسع فيها الوادى، بحيث يسمح بقيام حياة بشرية مستقرة.

عرفت هذه المنطقة جميعها - أى النوبة العليا والوسطى والسفلى - وهى التى تمتد من
الشلال الأول فى الشمال إلى جنوبى إتقاء النيلين الأبيض والأزرق باسم النوبة فى العصور
الوسطى. ولكن ما مصدر هذه التسمية؟

ليس لدينا من الوثائق ما يشير إلى ظهور كلمة نوبة قبل العصر البطلمى فى مصر. وأول
من أشار إليها إراتوستينى Eratosthenes الجغرافى وأمين مكتبة الاسكندرية (٢٧٦ - ١٩٩

(١) محمد عوض محمد - السودان الشمالى - مكانه وقبائله. ص ٢٨٥.

(٢) لا زال النهر ما بين الشلال الأول والسادس يعرف باسم النيل النوبى. ويعنى هذا أن النوبيين خلعوا
اسمهم على النهر بعد أن تخلوا عن جزء كبير من واديه من الخرطوم إلى الدبة.

ولما توفي المامون وجلس ابراهيم [المعتصم]
اخوه هرب البطرك ديونوسيوس ولم يقم بانطاكيه
ولا باعمالها حتى عاهده انه لا يقتله. فلما عاد
الملك ابراهيم ايضا الى مصر وخرج البطرك ودعه
كما يجب عليه للملوك ووصل اليها واقام بها.

وكان الاب البطرك انبا يوساب بمصر فنظر الى
ذلك الارخن اسحق [السيد ابن اندونه وهو ليس
اسحق اسقف تنيس] الذي كان طلب البطركيه

ق. م.، ثم أخذها عنه سترابون. ويبدو مما ذكره سترابون عن هذه المنطقة وسكانها أنها
أخذت اسمها من أحد الشعوب التي كانت تعيش على الضفة الغربية للنيل وهم النوبيون. ثم
صار هذا الشعب فيما بعد سيداً عليها كما أن اسمه ظل علماً على هذه المنطقة كلها طوال
العصور الوسطى^(١). يد أن سترابون ذكر أن النوبيين شعب مستقل عن الأثيوبيين، على حين
ذكرهم بليزى على أنهم شعب من مجموعة الشعوب الأثيوبية التي تعيش في وادي النيل^(٢).
وجاء في النقوش المصرية القديمة ذكر كلمة نوب nubو ومعناها الذهب - أى بلاد
الذهب - وهو أحد الاسماء التي أطلق المصريون القدماء على هذه البلاد، كما وصفت البلاد
بهذا الاسم في كتابه في الأسرة الثانية عشرة في عهد الملك امنحتب الأول^(٣).

وأقدم تعريف للبلاد الواقعة جنوبي مصر مباشرة، جاء في نقوش الدولة القديمة. إذ أطلق
المصريون على هذه البلاد اسم خنت، ومعناها الأراضي الجنوبية^(٤). ويقول ريزنر إن المصريين
القدماء أطلقوا اسم الأراضي الجنوبية على الأقاليم المتاخمة لمصر من ناحية الجنوب وتمتد إلى
أواسط أفريقيا وشرقها وتضم شعب بنت، والزنوج في الجنوب، والنوبيين بوادي النيل،

(1) Beckett, H. W. : ASN. II, Report for 1907 - 8, p. 343.

(2) Kirwan. L. P. : "A Survey of Nubian Origins", SNR., XX Part II, 1937, , PP. 47 - 48

(3) MacMich aeL, H. A. : AHistory of the Arabs in the.

(4) Budge, E. A. W. : A Hist. of Ethiopia Nubia, and (Abyssinia, I,p.1.

وهو متقد نارا بسبب سخرة الاسكندرانيين به
والاساقفه، وعند اجتماعه به تلقاه ببشر كعادته مع
كل احد يكلمه بكلام لين ليونسه من افكاره
القلقه، ثم دبر امر الحكمة لطيب نفسه فقال له:
يا سيدى اسحق انا مشتاق اليك واودك جدا، واريد
ان تكون عديل نفسى، واحب ان تكون تنوب
عنى فى جميع اسبابى، ويكون معك خاتم
البطركيه ليعلم كل احد انك المدبر لى فى جميع
الامور البيعيه والسلطانيه.

والليبيين فى الصحراء الغربيه، وبدو الصحراء الشرقيه^(١). وأطلق المصريون القدماء على
الجهات الجنوبيه كذلك اسم تاستى، أى أرض القسى.

وجاء فى الآثار أن خشب الأبنوس كان يأتى من تاستى، وهذا لا يعنى بلاد النوبة السفلى،
بل يعنى بلاد السودان الواقعة جنوبى الشلال الثانى^(٢) ثم تطورت هذه الأسماء، فأطلق على
هذه البلاد فى الدولة الحديفة اسم نخت - هن - نفر. وتدل المتون على أن هذا الاسم كان
يطلق على السودان حتى الشلال الثالث على الأقل، بل يحتمل أنه أطلق على كل البلاد التى
خضعت لمصر فى هذه الجهات الجنوبيه، ولم يكن يقتصر على جزء معين من بلاد النوبة^(٣).

وجاء فى الآثار كذلك ذكر اسم نحسيو، ويقصد به سكان الجنوب ولما دخل الزنوج لأول
مرة بلاد النوبة - حوالى بداية الأسرة الثانية عشرة - واستوطنوا بعض جهاتها، كانوا كذلك
يسمون نحسيو. وعلى هذا فإن اسم نحسيو أخذ بالتدريج يحمل المعنى الخاص بالزنوج^(٤).
وأطلق اسم كوش على الإقليم الواقع جنوبى وادى حلفا وعاصمته نباتا ويحكمه نائب ملك
يحمل لقب ابن الملك صاحب كوش.

ولما ضعفت مصر حوالى منتصف القرن الثامن ق. م. ووقعت فريسة للغزاة، وأضحت

(1) Reisner, G. A.: "Outline of the Ancient Hist. of the Sudan", SNR. 1, No 1, 1918 P. 3.

(٢) سليم حسن - مصر القديمة. ج ١٠ ص ٨٠.

(٤) المصدر السابق ص ٨١.

(٣) المصدر السابق ص ٧٨.

فلما سمع منه هذا فرح جدا وطاب قلبه فقال
لابينا البطرك: انا عبدك وبين يديك في كل ما
تأمرني به.

ولما حضرو في بيعه السيده بمصر في قصر
الشمع يوم عيد الشعانين وسم الارخن اسحق
شماسا، وكان في البيعه جمع كثير في ذلك اليوم
لا يحصى عدده.



ايقونة الشعانين من مخطوطة قبطية من القرن ١١ م

فحضر المبغض للخير الشيطان واثار بلا [ء]

أرضها ميدانا للحرب بين المتنافسين عليها من ملوك آشور، وملوك نباتا، ورد ذكر هذا الصراع
في الوثائق الآشورية وأشير إلى ملوك نباتا باسم كوش. وعليه فإن كوش في نظر الآشوريين
امتدت وقتذاك إلى الشلال الرابع^(١).

أما اليونانيون فأطلقوا على هذا الأقاليم كلها اسم إثيوبيا. وورد ذكر الأثيوبيين في أشعار
هوميروس، ونوه هذا الشاعر بمكانة الأثيوبيين عند الآلهة اليونانية. وحدد هيرودوت موقع
إثيوبيا في أقصى الجنوب، بيد أن نظرة هيرودوت لأوطان الأثيوبيين كانت أوسع من نظرة من
جاء بعده من الكتاب، فشملت في نظر هيرودوت، أراضي واسعة في أفريقيا وجنوب غربي
آسيا، بل والهند كذلك. وعلى الرغم من أن هيرودوت زار مصر في القرن الخامس قبل
الميلاد، ووصل في رحلته جنوبا إلى أسوان، فإن وصفه لشعوب إثيوبيا وتحديد أوطانهم لا يستند
على حقائق جغرافية أو أثولوجية^(٢).

وحدد سترابون موقع إثيوبيا بالأراضي الضيقة التي تحاذي النيل، وتمتد من جنوبي أسوان
إلى منطقة المستنقعات التي يتعذر سكنها.

(1) Budge, E. A. W. : A Hist. of Ethiopia. op. Cit. P. 2.

(2) Beckett, H. W. : op. cit. P. 343.

أنظر كذلك:

Herodotus: The History, II, P. 148 I, PP. 218, 264.

عظيما ودخل فى الاسقفين المقطوعين [اسحاق
اسقف تنيس وتادرس اسقف مصر] وجعلهما له
وعاءين، فمضيا الى الافشين الامير من قبل
الملك وقالوا له: قد اسلم الله اليك اعداك واعداء
الملك وافنيتهم ويجب ان لا تبقى احدا ممن كان
سبب نفاقهم . فقال لهما: ومن هو الذى احوجهم
للفاق على الملك؟ فقالا له: البطرك يوساب فعل
ذلك، اراد بذلك حتى أن يقتله، وهو ذا هو مجتمع

أما تقدير كل من بلىنى وديودور الصقلى لأوطان الأثيوبيين، فتشمل إثيوبيا فى نظرهما
جميع الأراضى الممتدة جنوبى مصر إلى قلب أفريقيا والتي تمتد شرقا إلى البحر الأحمر. ويبدو
أن اسم إثيوبيا كان من اختراع الكتاب اليونانيين ويقصد به وطن الزوج، ولم يعرف لهذه
المناطق حدود جغرافية واضحة^(١).

وفى العصر الرومانى عرفت النوبة السفلى باسم دود يكاشينوس "Dodekaschoinos"
وتريا كونتاشينوس "Hierosykaminos" وتمتد الثانية من المحرقة إلى عكاشه جنوبى الشلال
الثانى، وتدل هذه الأسماء على امتداد التنظيم الرومانى إلى هذه الأقاليم وتقسيم الرومان لها
إلى أقسام. وإلى الجنوب من الشلال الثانى قامت دولة كوش، وظلت هذه الأقسام إلى قيام
الممالك المسيحية فعرفت بأسماء أخرى.

.....
(1) Arkell, A. J. : A History of the Sudan to 1821. p. 113.

أطلق ريزنر على دولة نباتا - مروى اسم اثيوبيا، مؤثرا طريقة الكتاب القدماء الذين عاصروا دولة مروى،
وأطلقوا على ملكها اسم ملك الأثيوبيين، ولما كان تاريخ بعض أقاليم دولة مروى أو كوش أو اثيوبيا، كما
سمها الكتاب القدماء، اختلط بتاريخ دولة اكسوم فى الحبشة، فإن الأحباش فى الوقت الحاضر يطلقون
على دولتهم اسم اثيوبيا بدلا من الحبشة. ولهذا يحسن أن نحدد اسم مملكة نباتا - مروى باسم دولة
كوش تميزا لها عن اثيوبيا الحالية (الحبشة).

فى البىعه ومعه جمع كثر ما ىخالفونه، وكلما
فعل بامرہ حتى لحق الملك ولحق الأمير حفظه الله
التعب العظمى.

ووقت دخول الاسقفى الى الافشى كان
سكران فامتلا غىظا وانفذ اخاه الى البىعه ومعه
جمعا كثيرا لىحضر اليه الاب البطرى لىقتله، وكان
يمشى امامهم اسحق الذى كان اسقف تنىس مثل

وقبل أن ننتقل إلى دراسة النوبىن ومراحل تاريخهم، نرى من الضرورى أن نعرف على
أوطانهم وتوزيع سلالاتهم الحالية فى الوطن النوبى.

تمثل الأوطان الحالية للنوبىن، تلك الأراضى الملاصقة لنهر النيل من شمالى أسوان إلى بلدة
الدبة وكسورتى^(١)، وهم يستقلون أحيانا بهذه الجبهات النوبية، لا يشاركهم فيها أحد،
يجاورهم أحيانا جماعات عربية^(٢).

وينقسم النوبىون إلى خمس مجموعات رئيسية: الدناقلة فى الجنوب ما بين الدبة وأبو
فاطمة، ثم المحس والسكوت فى إقليم الجنادل، ثم الفديجة ما بين وادى حلفا وكرسكو،
والكنوز فى الجزء الشمالى الممتد من كرسكو إلى أسوان^(٣).

وعلى الرغم من أن النوبىن فى تاريخهم الطويل دخلت بلادهم عناصر مختلفة واندمجت
فيهم، فإنهم ظلوا متمسكين بثقافتهم وبلغتهم الخاصة^(٤).

(١) هذا التحديد ينصب على الأوطان الحالية للنوبىن، وهى تمثل نصف المساحة التى كانوا يحتلونه من
قبل، فامتدت كما سبق أن أوضحنا إلى الجنوب من إلتقاء النيلين الأبيض والأزرق، بل أمتد نفوذها أحيانا
إلى بعض جهات الجزيرة. ولكنها انكمشت إلى الحدود الحالية على أثر ضغط القبائل العربية التى احتلت
أخصب بقاعها إلى الجنوب من الدبة كما سنوضحه فيما بعد.

(٢) محمد عوض محمد - السودان الشمالى - ص ٨٤.

(٣) المصدر السابق ص ٣٠٢ (٤) المصدر السابق ص ٢٨٥.

يهودا الاسخريوطى الذى اسلم السيد المسيح
لليهود. فدخل الى الهيكل واوما باصبعه الى
البطرك لكى يعرفهم به لياخذوه، فجرد اخو
الأفشين سيفه لياخذ راس البطرك، فعند ذلك مالت
يده فوق السيف فى عمود رخام انكسر، فازداد
غضبها وكان فى وسطه سكين فاخذها من وسطه
واوما بها الى جنب البطرك ليقتله، فيا لعظم تلك
الاعجوبة فى تلك الساعة عند كل احد التى

وتختلف لغة النوبيين اختلافا يسيرا من إقليم إلى إقليم، فلغة الدناقلة والكنوز تكون مجموعة
متشابهة، ولغة السكوت والنحس والفديجة تكون مجموعة ثانية متشابهة^(١).

هذا من حيث توزيع سكان النوبة الأصلية فى الوقت الحاضر، أما الجزء الممتد من الدبة إلى
جنوبى التقاء النيلين الأبيض والأزرق، وهو الوطن القديم للنوبيين المسيحيين فيحتله الآن
الجعليون.

وفيما يتعلق بموضوع المراحل التاريخية للجماعات النوبية واستقرارها فى أوطانها حتى
ظهور ممالكهم فى القرن السادس الميلادى، فإنه كان ولا يزال موضع خلاف بين العلماء،
وخصوصا عندما تعرضوا لأصل هؤلاء النوبيين، حتى أضحى فى نظرهم مشكلة تشغل
تفكيرهم. وخرج علينا كثير من العلماء بأبحاث وآراء متعددة متضاربة حول أصل النوبيين. ولا
يهمنا من هذا الموضوع شئ بقدر ما يهمنا التعرف على المراحل التى مرت بها هذه الجماعات
النوبية حتى اكتمل مجتمعهم عندما استقبلوا الدعوة المسيحية، والأمس التى أقاموا عليها
حضارتهم وهل هم شعب أصيل فى أوطانه أو هو عنصر دخيل فرض ثقافته على شعوب
سبقتة إلى هذه الأوطان؟

(1) Hamilton' J. A. ed. : the Anglo Egyptian Sudan from Within. P. 168

Griffith. F L L Ency. Brit. Art. Nubia.

أنظر كذلك

أظهرها الله في قديسيه لما ضربه بالسكين قطعت
التياب التي عليه وانتهت الى المنطقة التي في
وسطه فقطعتها ولم ينل جسده شئ بالجملة،
فتبلبل جميع الشعب الذي في البيعه وكتر
صياحهم وظنوا انه قد مات، فلما نظر ذلك
المشتمل بالأعمال الصالحة ورأى قلق الشعب
واضطرابه أوما بيده اليهم وقال هلم: لا تقلقوا .
فلما علموا انه حي فرحوا فرحا عظيما ومجدوا الله

يحسن أن نستعرض في إيجاز المناسبات التي ذكر فيها اسم النوبيين، وهل يمثلون العنصر
الوحيد في أوطانهم التي ورد ذكر اسمهم فيها أو شاركهم غيرهم من العناصر الأخرى؟
عرف العرب سكان وادي النيل من أسوان إلى جنوبى الخرطوم الحالية باسم النوبة، وسبقهم
في الإشارة إلى النوبيين كثير من الكتاب القدماء أمثال أراتوسطيني وسترابون وبليني^(١).
وجاء بعد هؤلاء بطليموس الذى عاش في القرن الثانى للميلاد. وذكر أن النوبيين يعيشون
على الضفة الغربية للنيل وفي جزيرة مروى^(٢)، وجزر النيل^(٣) كذلك.

(١) كان أراتوسطيني أول من أشار إلى النوبيين في مؤلفه الجغرافى عن النيل (٢٠٠ ق.م.) وتبعه سترابون
وذكر أن النوبيين بأقسامهم الكثيرة يؤلفون وحدة مستقلة عن سلطان ملوك مروى، وهم يعيشون على
الضفة الغربية للنيل، ويمتد وطنهم من شمال مروى إلى انحناة النيل.

Strabo. "The Geography of Strabo." VIII, P. 7,

أما بليني، وهو أيضا من كتاب القرن الأول الميلادى فيشير إلى أن النوبيين كانوا يقطنون على بعد ثمانية
أيام من جزيرة سمبرتي Sembritaee (وهي غير معروفة لنا الآن) إلى مدينة يقال لها تنوسس
Tenupsis على النيل. Arkell, A. J., op. Cit. P. 178.

وتنوسس هذه ربما يقصد بها بانويس Panubs في جزيرة أرجو.

(2) Kirwan. L. P. : "A Survey of Nudian Origins" SNR, XX part I. 1937. p. 46.

(3) Arkell: A. J. : op. Cit. 178.

وعدوا اليه لينظرو ما لحقه فوجدوا سالما ولم ينقطع
غير الشباب والمنطقة فسبحوا الله وصرخو قايلين
كقول داود النبي: الرب يحفظ اصفياه الرب
يحفظ الابرار وينجيهم من يد الخطاه. وشكروا الله
على خلاصه وقالوا: لولا ان الرب نجانا كانت
نفسى تكون فى الجحيم، وان قلت ان رجلى زلت
فرحمتك يا رب اعانتنى، ولكثرة اوجاع قلبى
افرحنى عزاك.

وذكر أجاثيماروس Agathemarus، أنهم كانوا يسكنون على ضفتى النيل الشرقية والغربية^(١).

وذكر بروكوبيوس Procopius (٥٤٥ م) أن النباطين Nobatae سكنوا الواحة الخارجة فى القرن الثالث الميلادى عندما استدعاهم دقلديانوس (٢٨٤ - ٢٩٦ م) للاستقرار فى منطقة النوبة السفلى الرومانية، ليدفعوا عن الرومان خطر البليمين. ثم تحدث عنهم مرة أخرى أنهم يسكنون النوبة السفلى فى منتصف القرن السادس الميلادى^(٢).

وفى القرن الرابع الميلادى نسمع عن غزوة قام بها عيزانا أول ملوك أكسوم المسيحية على مملكة كوش. وجاء فى اللوحة التى سجل عليها عيزانا انتصاراته، أن النوبيين يحتلون جزءا من جزيرة مروى، وكانت لهم مدن على طول النيل.

وفى بردية ترجع إلى القرن الخامس الميلادى (٤٢٥ - ٤٥٠ م) نرى أسقف فيلة يوجه نداء للامبراطور ثاوداسيوس الثانى ليحصى كنائسه من إغارات البليمين والنوباديين «Annoubades» وهذه الوثيقة المعاصرة تؤيد وجود النوباديين فى منتصف القرن الخامس الميلادى^(٣).

.....
(1) Kiewan, L.P. : op cit. 49.

(2) Procopius, - History of the Wars, transt. by. H. B. Dewing. P. 185.

(3) Kirwan, L. P. ; op. cit. p. 53.

فلما نظر اخو الافشين هذه الاعجوبة وعلم ان
الرب معه اخذه ليمضى به الى اخيه كما امره،
وفيما هم يجذبونه ليخرجوه والشعب متعلق به
فقال لهم: لا تمسكونى فما نحن مقاومون
السلطان. فخرج والشعب يتبعونه باكين يسجدون
على رجليه ويديه ويظنون انه يقتل، فلما نظرهم
اخو الامير يمسكونه غضب جدا ورفع يده وضربه
بمقرعه على راسه فانجرحت عينه، ودخل الى

وتحدث المؤرخ الرومانى برسيق «Priscus» عن نص المعاهدة التى فرضها مكسيمينوس
«Maximinus» (٤٥١م) على النباطين والبيمين وهى معاهدة عدم اعتداء لمدة مائة
عام^(١).

ويذكر يوحنا الافسى فى كتابه «التاريخ الكنسى» أن النباطين يسكنون إلى الجنوب من
أسوان، على حين يعيش البليميون فى الصحراء الشرقية. تشير الوثائق القبطية إلى أن المملكة
المسيحية فى الشمال أطلق عليها اسم نوباتيا «Nobatia» أو نوباديا «Nobadia»^(٢).

وعلى هذا فإن لدينا من معلومات عن النوبيين منذ القرن الثالث قبل الميلادى حتى القرن
السادس الميلادى، لاتزيد على أن تصفهم بأنهم قبيلة أو شعب من الشعوب التى تسكن وادى
النيل من الشلال الأول حتى جزيرة مروى، وهم أحيانا يسكنون غرب النيل وأحيانا أخرى
على جانبى النيل، وأحيانا يحتلون بعض جهات الأتيرا وجزيرة مروى، ثم نسمع عن وجودهم
فى الواحة الخارجة. وأخيرا نراهم فى القرنين الخامس والسادس يسكنون جهات النوبة
السفلى.. وحتى عهد الملك سلكو - حوالى منتصف القرن السادس الميلادى على الأرجح -
كانوا يمثلون عنصرا متمائزا عن بقية الأثيوبيين.

(1) Arkill, A. J. : op. cit P. 179.

(2) Kirwan, L.P. : op. cit P. 55.

الافشين فخاطبه بما ينبغي، وبما قالوه عنه
الاساقفه وسعوبه، فقال له : بنعمة الله امر
الاسقفين امر عجيب وذلك انى قطعتهما عن
اسقفيتهما. ثم اعلمه سبب قطعهما لقيام شعبهما
عليهما، فعلم الافشين الحق وبطلان قولهما عنه
وبدا ان ينزل البلايا عليهما. وقال للحاضرين: لقد
اراد هذان الرجلان ان يكسبانى خطيه عظيمه

إن هذه الإشارات المختلفة إلى النوبيين فى خلال التسعة قرون التى سبقت الغزو العربى
لمصر، أثارت الخلاف بين العلماء عن أصل النوبيين. هل هم فى الأصل قوقازيون حاميون، أم
أقوام من الجنوب وتغلب عليهم الصفات الزنجية؟ الواقع أن بعض العلماء وقعوا فى خطأ كبير
عندما بنوا نظرياتهم الخاصة بأصل النوبيين على أسس لغوية دون غيرها. وبذلك حدث خلط
بين النوبيين على النيل وبين النوباويين سكان جبال نوبا فى جنوب كردفان، رغم ما بينهما من
فروق جثمانية وثقافية واضحة^(١).

يبد أن البحث الأثرى فى المنطقة - التى غمرتها المياه بسبب تلبية خزان أسوان سنة
١٩٠٧ - على يد ريزنر وغيره من الأثرين، كشف عن ثقافات مختلفة فى منطقة النوبة، لعلها
تفيد فى تفهم خصائص هذه الجماعات التى عمرت المنطقة منذ أقدم العصور، وصفاتها
الطبيعية ولوع حضارتها ومدى اتصالها بغيرها من الجماعات المجاورة وتأثيرها بها.

ونظراً لاستقرار الجماعات البشرية فى بلاد النوبة منذ عهد سحيق يرجع إلى ما قبل
التاريخ، فإن العلماء لجأوا إلى تقسيم المقابر التى تحوى آثار هذه الجماعات وبقايا عظامها إلى
مجموعات رمز لها بالأحرف A. B. C. D. X. وتمثل كل مجموعة من هذه المجموعات
الثقافية عصراً معيناً.

(١) محمد عوض محمد - السودان الشمالى - ص ٢٧٨.

واقتل ابا النصارى جميعا. فلما نظر القديس ان
الانتقام يحل بهما بسببه قال له: مذهبي يامرني
بفعل الخير مع من يعمل معى الشر، والذي سعيا
به هذان قد طرح الله فى قلبك الصحيح،
فاسالك ان تفعل معهما خيرا برياستك وتركهما
كرامة لله. فلما نظر فعله تعجب واطلق الاسقفين،
فمجد الشعب الله وشكروه وقالوا انه مستحق

وتشمل المجموعة الثقافية A (من حوالى ٥٠٠٠ ق.م. إلى ٣٠٠٠ ق.م.) عصر ما قبل
التاريخ وعصر الأسرات الأول، وفيه تكونت السلالة النوبية الأولى، ودل البحث الأثرى بالنوبة
السفلى على وجود سلسلة مراكز للسكان عند فتحات الأودية حيث كونت الرواسب
مساحات مختلفة صالحة للزراعة، وقامت حياة سكانها على الزراعة، كما دلت بقايا هؤلاء
السكان على أنهم من نفس سلالة قدماء المصريين الذين سكنوا مصر قبل ظهور الأسرات
المصرية وهم جميعاً من الجنس الحامى، كما أن فخارهم ومصنوعاتهم من المعدن والحجر
والعاج وغيرها كانت مطابقة فى مادتها وشكلها للمصنوعات التى وجدت فى نفس العهد
المصرى^(١). كما أن طريقة الدفن تشبه تلك التى وجدت فى مصر فى ذلك العهد.

ولاحظ اليوت سمث أن المؤثرات الزنجية لم تصل إلى مصر ولا إلى بلاد النوبة قبل عهد
الأسرة الثالثة المصرية، باستثناء النساء الزنجيات اللاتى اتخذهن المصريون أو النوبيون أزواجاً
لهم. ويضيف إلى هذا قوله: «إن الأبحاث الأثرية تؤيد ما ذهبت إليه من أن سكان النوبة حتى
الأسرة الثالثة كانوا امتداداً لسكان مصر نحو الجنوب»^(٢).

(١) سليم حسن - مصر القديمة - ج ١ ص ٢ - ٤.

وانظر Artell, A.J. : op. cit. PP. 37 - 38.

(2) Illiot Smith, G.: "Anatomical Report" 'A' ASN B. 3, PP. 22- 23.

المجد لا قامته هذا الاب القديس العامل بوصاياه
علينا مقدما.

ولما علم المامون الخبر من الواردين عليه امر ان
يكتب له سجل بكرامته ورعايته ان لا يعترضه احد
في احكامه ولا في من يوسمه او يقطعه.

ثم بعد ذلك امر المامون ان يطلب من بقى من
البشموريين بكورة مصر وان يسيروا الى بغداد،
فسيروا واقاموا في الحبوس مدة كبيرة حتى اراد الله

والمجموعة الثقافية «B» في بلاد النوبة، تقابل من حيث الزمن عصر بناء الأهرام حتى
الأسرة السادسة. غير أنه لم يلاحظ عليها أى أثر مصرى بارز كالكتابة مثلا. والواقع أن ثقافة
النوبيين في هذا العهد تمثل صورة منحطة من ثقافة المجموعة A التي كانت فيما يبدو مخالفة
لها^(١). ويرى فirth أن أهم ما يلاحظ على ثقافة المجموعة النوبية «B» - اختفاء الأواني
الفخارية، وأن العدد القليل الذى عثر عليه من نوع محلى ردى يختلف عن الفخار
المصرى^(٢). ويرى ريزنر أن طريقة الدفن عندهم تختلف عن تلك التي اتبعت في عهد ثقافة
المجموعة «A» ويدل هذا على أن مظاهر الاحتكاك الحضارى بين مصر والنوبة في هذا العهد
كانت ضعيفة^(٣).

أما المجموعة الثقافية «C» (٢٤٠٠ - ١٦٠٠ ق. م.) فدللت الأبحاث الأثرية على أن
سكان النوبة في هذا العصر كانوا من الحاميين الذين اختلطت دماؤهم بدم الزنوج، وهم قوم
من الرعاة اضطروا إلى ترك أوطانهم الأصلية والتقدم شمالا تحت ضغط جماعات أقوى
منها^(٤). وإذا قورنت ثقافتهم بثقافة الدولة الوسطى المصرية وجدت متخلفة عنها.

(١) سليم حسن - مصر القديمة ج ١٠ ص ١٨ - ١٩.

(2) Firth, C. M. : ASN, Report for 1908 - 9, I, p. 1.

(3) Ibid, op, cit . p. 12.

(4) Ibid, op. cit. p. 14.

خلاصهم من يد أبرهيم الملك بعد اخيه، فمنهم
من رجع الى بلده ومنهم من بقى هناك ببغداد
وانشؤ بساتين واقامو هناك الى اليوم وهم الى اليوم
يسمون أهل البشروديين(*) .

(*) تذكر بعض المصادر أن
البشموريين تم توطينهم في
مستقعات الأهواز (شط العرب)
في جنوب العراق المطل على
الخليج الفارسي ليصلحوا أراضيها
لحساب العباسيين، وذلك في ظل
ظروف مناخية سيئة وأمراض
المalaria والقحط الشديد، ولعل =

ثم بعد ذلك اراد الاب يوسف ان يرسم اسقفين
بمصر وتنيس عوضا من المقطوعين [اسحاق
وتادرس] ليتمم قول السليح بولس: واعظم ما
على الاهتمام بالبيع. فاما اسحق [ابن اندونه]

وفي عهد الدولة الحديثة نزحت أفواج كبيرة من مصر إلى بلاد النوبة. وظهرت في بلاد
النوبة نهضة ثقافية مركزها نباتا، وازدهمت البلاد بطوائف مختلفة حملت معها ألوانا من
الحضارة المصرية. ويمكن القول إن بلاد النوبة مصرت تمصيرا تاما وانتشرت عبادة الآلهة
المصرية جميعا وخاصة آمون.

أما المجموعة الثقافية X، (من ٣٠٠ م - ٥٥٠ م) فتشير تقارير العلماء الذين قاموا بفحص
مقابر أصحاب هذه الثقافة في بلانة وقسطل وفركة إلى وجود الأثر الزنجي واضحا^(١)،
ويرجع إلى هجرة زنجية من الجنوب واستقرار أصحابها في بلاد النوبة واختلاطهم
بسكانها^(٢)، كما أثبت فحص الجماجم البشرية وجود عدد من النساء مساو تقريبا لمثله من
الرجال، مما يدل على أن وجود هذه العناصر الزنجية لم يكن الغرض منه مجرد الغزو، بل كان
الدافع لهم الاستقرار في هذه الجهات وتعميرها، ويبدو من التقرير الذي وضعه الدكتور
البطراوي أن هذه الهجرة كانت زنجية تحت قيادة حامية^(٣). وأهم ما يلاحظ على هؤلاء
القوم، أنهم مارسوا الزراعة بوصفها حرفة أساسية تساند بها حرفة الرعي، واختفاء الطابع

(1) Kirwan, L.P. : The Oxford University Excavations at Firka p. 36.

(2) Ibid, op. cit. p. 38.

(٣) محمد عوض محمد - السودان الشمالي ص ٢٩٨ .

= بقاياهم شارك بعد ذلك في
ثورات النج على الخلافة
العباسية، نظراً لمرسهم بأماليب
القتال في المستنقعات، عندما
كانوا في برارى شمال الدلتا
بمصر.

الارخن الذى صيره شماسا ونايا عنه اوسمه اسقفا
على وسيم، واوسم انسانا اسمه ديمتريوس على
تيس وبقى فسطاط مصر بغير اسقف، وبقى
[اسحق ابن اندونه] اسقف وسيم مدبر كرسى
مصر، وجعل سلطانه عليه. ولم يكن احد يقدر
ان يقاومه بقوة كلامه عند الولاة وعند اخوته
وجماعته، وبقى على الكرسيين الى يوم وفاته.

فلما افاق البطرك قليلا اهتم بامر الحبشه والنوبه

المصرى فى بناء المقابر وطرق الدفن، وكثرة وجود الضحايا البشرية والحيوانية. وهى تمثل
خليطا من حضارة بيزنطية ومروية لم تخل من الآثار البدائية (١).

واختلف العلماء فى أصل أصحاب هذه المجموعة الثقافية «X» ويرى فرث أنهم نباطيو
دقلديانوس. ولا يسلم كثرون بهذا رأى لأسباب منها أنه لم يعثر على آثار أصحاب هذه
الثقافة إلا منذ القرن الرابع الميلادى على حين أن النباطيين جاءوا إلى النوبة فى القرن الثالث
الميلادى، كما أن النباطيين لم يتخطوا مدينة المحرق، على حين وجدت آثار المجموعة «X» فى
جهات تقع إلى الجنوب من الشلال الثانى عند فركه (٢).

واعتقد البعض اعتمادا على ما ذكره المؤرخ أوليمبيودوروس Olympiodorus أن البليبيين
هم أصحاب الثقافة «X». لأن هذا المؤرخ لاحظ أن البليبيين يحتلون خمس مدن على النيل
من إبريم إلى فيلة فى أواخر القرن الخامس الميلادى. وفى هذه المنطقة ذاتها عثر على آثار
المجموعة الثقافية «X»، مما يرجع معة نسبة البليبيين إلى هذه الثقافة. ولكن يصعب التسليم
بهذا رأى لأن البقايا التى عثر عليها فى مقابر المجموعة الثقافية «X» تدل على أن أصحابها
كانوا قوما مستقرين يمارسون الزراعة، على حين أن البليبيين شعب رعوى متنقل، ثم أن

(1) Kirwan, L. P. : " The Ballana Civilization " op. Cit. P. 104.

(2) Kirwan, L. p. : Firka P. 39.

وانفذ اليهم كتباً وتفقدهم وتفقد بيعهم ولم
يتمكن خلف [لحروب] الملوك مع ولاية مصر
المسلمين. وكان يطلب الى الله ان تكون السلامه
بينهم ليبلغ غرضه في عمارة المواضع التي للاب
البشير مارى مرقس، فسمع الله دعاه واجاب
طلبته.

وكان الحرب قد اقام اربع عشره سنه بينهم [بين
ملوك الحبشه والنوبه من جهة والولاة المسلمين من

وجودهم فى هذه المنطقة كان مؤقتا لم يلبثوا أن طردوا منها على يد الملك سلكو. وبفحص
الجماجم وجود نسبة كبيرة من الدماء الزنجية، وهى تختلف عن تلك التى وجدت فى مقابر
المجموعتين الثقافيتين "B, A"، وهى كما سبق تنسب للجنس الحامى أيضا، وينسب إليه
البليميون. وثالثهما يتعلق بتوزيع اثار هذه المجموعة إذ عشر عليها جنوبى الشلال الثانى، على
حين أن البليميين لم يتخطوا ابرام فى المدة التى استقروا فيها مؤقتا على النيل ثم طردهم نهائيا
على يد الملك سلكو^(١).

ورأى آخر ينسب أصحاب هذه الثقافة إلى النوبا - النوباديين - "Noba Noubades"، الذين
خضعوا لسلطان الملك سلكو، الذى أطلق على نفسه لقب ملك النوباديين والأثيوبيين، وهذا
اللقب يؤكد قيام التحالف بين النوبيين والمرويين، والذى ظهرت آثاره فى مخلفات المجموعة
الثقافية «X»، وهى تحتوى - كما سبق أن بينا - على عناصر ثقافية مشتركة نوبية
ومروية^(٢) وتمكن النوباديون (النوبيون) بفضل ملكهم سلكو بعد طرد البليميين من منطقة
إبريم - الشلال، أن يصبحوا سادة هذه المنطقة التى تمتد من فيلة شمالا حتى الشلال الثالث
جنوبا، وأن يؤسسوا مملكة نوبايا (النوبة) وعاصمتها بلانة^(٣).

(1) Kirwan, L. P. : Firka op . Cit. P. 39.

(2) Ibid, Op. cit. P. 43.

(3) Kirwan, L. P. : "A Survey of Nubian Origins", SNR. XX Part, II. P. 59.

جهة أخرى] الى أن ملك ابراهيم [المعتصم] اخو
المأمون وجعل حفظه على طريق الحبشه والنوبة.

وكان الملك على النوبة زكريا، فأنفذ ابراهيم
يقول له: ان كنت تفعل كما كان يفعل غيرك من
الملوك فأنفذ خراج اربع عشرة سنة سلفت والا
نحن نحاربك.

وكان كاتب الوالى فى الصعيد انسان شماس
اسمه جرجه، فكتب الى البطرك يعرفه ما صدرت

هذه هى مجموعة البحوث التى قام بها علماء الآثار، وهى وإن لم تقطع برأى صريح فى أصل
النوبيين، فإنها مع هذا ألقت ضوءاً على المجموعات البشرية التى عمرت بلاد النوبة منذ أقدم
العصور وتتابعها الزمنى.

ومن السهل أن نسلم - بعد دراسة نتائج أبحاث علماء الآثار والأجناس - بأن النوبيين
بوضعهم الذى كانوا عليه عندما استقبلوا الدعوة المسيحية كانوا يمثلون خليطاً من سلالات
حامية مثل سلالة قدماء المصريين فى عصر الأسرات الأولى وما قبلها، ومن سلالات زنجية،
وذلك لأن بلاد النوبة منذ عهد الأسرة الثالثة المصرية استقبلت جماعات حامية من الشرق
والغرب وجماعات مصرية من الشمال، كما أنها أخذت تستقبل من الجنوب جماعات
زنجية^(١).

ويرى كروان أن النوباديين "Annoubades" الذين ورد ذكرهم فى بردية ليدن^(٢) والنباطيين
الذين عقد معهم مكسيمينوس صلحاً، ونوبادى سلكو، هم جميعاً النوبيون الذين أغاروا على

(١) تمثل مروي فى رأى فرث نقطة التقاء هذه العناصر الحامية القادمة من الشرق والنيلية (الزنجية) القادمة
من الجنوب، ثم أخذ هذا الخليط يهيض أرض النوبة السفلية

Firth, C. M: ASN Report for 1910 - 11, P. 37.

(٢) وهى البردية التى تشير إلى لنداء أسقف فيلة إلى الامبراطور ناوداسيوس الثالى لحماية كنائس أسوان
والفتين من البليمين والنوباديين.

به كتب الملك ابراهيم، فلما سمع هذا البطرك
مجد الله وفرح وقال: هذه الوسيلة لأكتب أيضا
بما يتعلق بالبيعة الى الملوك. فكتب كتابا متضمنه ما
يجب من نعمة روح القدس يسلم عليهم ويفخهم
ويوجدهم [يخبرهم] ما يفعلونه معه ملوك
المسلمين من الجميل لما اجلسه الرب على الكرسي
الجليل المقدس، ويقول: وانا غير مستحق لذلك،
وكنت مشتاقا الى اخباركم، وكانت خطيتي
تمنعني الا اكاتبكم لاجل الحروب التي كانت

مروى في القرن الرابع الميلادي، ثم اندفعوا شمالا أمام الغزو الأكسومي إلى جهات النوبة
الوسط. ومن الجائز أن هؤلاء عاشوا جنبا إلى جنب مع المرويين وأخذوا عنهم بعض ثقافتهم
التي تتمثل في ثقافة المجموعة «X» إلى جانب المؤثرات البيزنطية كما سبق ذكره (1). ويبدو أن
هؤلاء الطارئين يمثلون العنصر الزنجي في ثقافة المجموعة «X» ومن الجائز أن يكون هؤلاء من
سلالة العناصر الزنجية التي امتدت أوطانها جنوبى مروى، من أرض الجزيرة شرقا إلى جبال
كردفان غربا. ويفسر هذا وجود أوجه شبه بين الفرجاب الذين يعيشون قرب بارة بكردفان
وسكان جبل مويبا. وأيضا بين النوباوين بجبال كردفان وسكان دار فونج بأرض الجزيرة، لا في
الصفات الطبيعية فحسب، بل في بعض عناصر ثقافتها كذلك.. وهؤلاء هم الذين أغاروا على
مروى، ثم تكون منهم بعد ذلك الحلف المروى النوبى تحت زعامة سلكو (2).

بيد أن دى فيار يفرق بين النوبا Nuba، وهم في نظره أصحاب البلاد الأصليين وبين
النباطيين Nobatae الذين ظهروا في بلاد النوبة السفلى الرومانية منذ عهد دقلديانوس. ويرى
دى فيار أن أصل النباطيين من ليبيا، وأنهم نزحوا من شمال إفريقيا تحت ضغط الرومان الذين
شنوا عليهم حربا لا هوادة فيها اقتصتها سياستهم التنظيمية الجديدة، وأزاء هذا الضغط
الرومانى، اضطر هؤلاء إلى الهجرة إلى الصحراء، متخذين طريق الواحات، كما فعل أسلافهم

(1) Kirwan, L. P. : " The Oxford Excavations in Nubia" JEA, XXI, p. 197.

(2) Kirwan, L. P. : Firka op . cit. P. 43.

بارض مصر، ومخالفة اهل البشموريين لاوامر
الملك الى ان قتلهم واخرب مواضعهم وهدم
بيعتهم، فوجدنا الوسيلة بهذه المكاتبه ان نعلمكم
ماجرى ، ويجب الان يا احباى ان تتمو ما يجب
عليكم لهولا الملوك، وان كان لا يجب ان نامركم
بشى من هذا فقد قاسيت عذابا من اخوتى كما
قاسى يوسف بن يعقوب من اخوته، ويجب الان
ان تطلبو السلامه تكون بينكم يا محبى الله،
وتصير السلامه فى البيعه من اجلكم.

فى الطمحو وخلفاؤهم من الهواره وغيرهم، وساعدهم ظهور الجمل (فى القرن الأول
الميلادى) على سرعة تحركهم فى الصحراء. وعلى الرغم من هذا فإن علاقتهم بالرومان لم
تنقطع، وكثيرا ما ترددوا على المدن الرومانية بشمال افريقيا ليغشوا أسواقها، كما أنهم قاموا
بدور الوسيط فى نقل المتاجر الرومانية، واستقر بعضهم فى الواحة الخارجية، وعندما اضطر
دقلديانوس إلى الاستعانة بهم ضد البليمين، استدعاهم إلى بلاد النوبة السفلى فى القرن
الثالث الميلادى، وسيطروا على منطقة النوبة السفلى، واختلطوا بسكانها القدماء، وأخذوا
عنهم بعض عاداتهم، ودخلوا فيما بعد فى المسيحية، وأسوا مملكة النوبة المسيحية. فهم يمثلون
إذن فى رأى دى فيار الطبقة الارستقراطية فى المجتمع النوبى، على حين يمثل النوبيون الاصليون
عامة الشعب، وهم الذين كشفت عنهم أعمال التنقيب فى مقابر المجموعة «X» التى سبق
ذكرها (١).

ومع ما فى هذا رأى من طرافه إلا أنه لا يمكن قبوله، لأن معنى هذا أنه قبيل مجئ هذه
الطبقة الاستقراطية من ليبيا إلى بلاد النوبة السفلى، كان جميع سكانها من الزوج، وهذا مما
لا يتفق والحقائق التاريخية ونتائج الابحاث الأثرية.

أما البحوث اللغوية التى قام بها بعض علماء اللغات لحل مشكلة أصل النوبيين كما
يدعون، فقد لا تفيد كثيرا بقدر ما تزيد هذا الموضوع تعقيدا. وذلك أن فردريك ملر ومدرسته

(1) De Villard, : Storia della Nubia Cristiana. PP. 133 - 139.

وهذه الرسالة انفذها الى الوالى الذى فى المعدن
باسوان لينفذها [إلى زكريا ملك النوبة].

فلما وصلت الكتب الى زكريا الملك وقريت
عليه قال: ما الذى اصنع فى ما التمس منى الملك
[ابراهيم]. من يجمع لى بقط اربع عشرة سنة
انفسا [عبيدا] انفذهم اليه، و[أنا] لا اتمكن من
مفارقة كرسي لىلا [لئلا] يهلكونا البربر المخالفون
لى، ويجب ان انفذ ابنى اليه. فاحضر ولده الاكبر

لاحظوا وجود نوع من التشابه بين اللغة السائدة فى بلاد النوبة وبين بعض اللغات الموجودة فى
شمال تلال كردفان، فبنوا نظرياتهم على أساس أن النوبيين والنوباويين (سكان جبال النوبا فى
جنوب كردفان) من سلالة واحدة، ورغم ما بين الشعبين من خلاف كبير. ويرى عوض بناء
على ما قام به سلجمان من دراسات فى هذا الموضوع أن ملرو ومدرسته وقعوا فى خلط
مزدوج. ذلك أن اللغة التى قد تشبه من بعض الوجوه لغة النوبيين لم تكن سوى واحدة من
ثلاث فى الجبال جنوب كردفان. وثمة خطأ كبير آخر هو أن السلالة النوبية قوقازية على حين
أن النوبيين فى جبال كردفان تغلب عليهم الصفات الزنجية، كما أن ثقافتهم تختلف تمام
الاختلاف^(١).

يرى زيلارس أن لغة جبال النوبا بكردفان واللغة النوبية على النيل هما فرعان من لغة
واحدة كانت منتشرة فى شمال كردفان ثم انتقلت بواسطة أصحابها إلى كل من
الاقليمين^(٢).

(١) محمد عوض محمد - السودان الشمالى - سكانه وقبائله ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

أنظر، Seligman, S. G. "Some Aspects of the Hamitic Problem in the A. E. Sudan, JRAI, 43, 1913.

(٢) محمد عوض محمد - نفس المصدر - ص ٢٩٠ - ٢٩١.

Hillelson, S. : "Nubian Origins " , SNR, XIII, I, PP. 132- 146.

أنظر

Henderson, K. D. D. : "Nubian Origins" SNR, XX, II, PP. 90 - 92.

Henderson, K. D. D: "Nubian Origins" SNR, XXI, I, PP.. 222 - 224.

وكان اسمه جرجه وضرب بالبوق وجعل مناديا
ينادى «ان الملك له بعدى» ثم انفضه الى مصر
صحبة الرسل الواصلين من مصر مع هدايا اعدھا.

ولما وصل الى مصر اجتمع به الالب المغبوط انبا
يوساب، فلما نظر اليه جرجه بن زكريا الملك فرح
فرحا عظيما وسجد بين يديه فبارك عليه البطرك
واعاد عليه بعض ما جرى عليه ليقيم عذره في
تاخر كتبه عن مملكتهم، فقال له جرجه: مبارك
الرب الذى لم يفعل معنا مثل خطايانا لكن خطيتنا

ومن الضروري اذن أن نبحث أصل هذه اللغة، هل هي حامية أوزنجية؟ يرى رايش أن اللغة
النوبية حامية الأصل ثم دخلتها مؤثرات أجنبية^(١) ولعل هذه المؤثرات الأجنبية من الجنوب.
وعليه فان النوبيين - كما وصفهم اليوث سمث - حاميو الأصل من نفس سلالة قدماء
المصريين وتأثروا على مدى العصور بمؤثرات زنجية ظهرت بوضوح في المجموعة الثقافية «X»
وبالتالى يغلب على اللغة النوبية أنها ذات أصل حامى تأثرت ببعض المؤثرات الزنجية. أما عن
وجود شبهة بين إحدى اللغات الثلاث الموجودة في جبال كردفان الجنوبية وبين اللغة النوبية فان
هذا لا يقوم دليلا على اشتراك هاتين السلالتين في أصل واحد، فهو لا يستند على حقائق
علمية، فالاختلاف واضح بينهما، والأرجح أن بعض الموجات النوبية سوءاً كان هذا قبل
سقوط دنقلة أو بعدها هاجرت إلى بعض جهات كردفان أمام الضغط العربى المستمر،
واستقرت بعض عناصرها في شمال جبال كردفان، وفرضت أسمها ولغتها على سكان الجبال
دون غيرهم، وهذه كانت واحدة من اللغات الثلاث الموجودة بهذه الجبال. وما لبث أن أطلق
العرب اسم نوبا على سكان الجبال جميعاً. وربما كان هذا راجعاً إلى أن هؤلاء النوبيين
المهاجرين كانوا عنصراً بارزاً مما جعل اسمهم علما على الجبال جميعاً على الرغم من أن
السكان الأصليين لا يطلقون على أنفسهم اسم «نوبا» ولكن «سكان الجبال».

(١) محمد عوض محمد - السودان الشمالى - مكانه وقبائله، ص ٢٩١.

منعتك الى الان، وقدسك الذى جعلنى مستحقا
ان اقبل يدك المقدستين ايها السراج المضى لجميع
المسكونه وللارتدكسين.

وبدا ان يمشى فى الطريق الى بغداد ساله ان
يدعوه ان يعيده الله اليه بسلام. فوصل الى بغداد
مدينة الملك فقبله الملك بفرح وقال له: قد وهب
الله لك بقط جميع ما مضى من السنين لجل
حضورك الى عندى وطاعتك لى . واقام عنده اياما
كثيره مكرما ثم سرحه بكرامات كثير ذهب وفضه

بلاد النوبة قبيل دخول المسيحية النوبيون وعلاقتهم بالدولة الرومانية

دولة مروي، اضطراب الأمن بمناطق النوبة الوسطى والسفلى، تغلى الرومان عن منطقة النوبة
السفلى، استمرار إغارات البليمين، موقف الدولة الرومانية، حملة مكسيمينوس، طرد البليمين من وادي
النيل، اغلاق معبد فيلة .

كانت بلاد النوبة جزءا من دولة كوش التى امتدت من الشلال الأول جنوبا إلى جهات
النيل الأزرق وكردفان^(١).

ويرجع ظهور هذه الدولة إلى حوالى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، على يد سلالة من
كهنة آمون، الذين هجروا طيبة حوالى منتصف القرن العاشر قبل الميلاد، على أثر تولية الملك
شاشانق الأول الليبى الأصل حكم مصر.

وأنشأت هذه السلالة الكهنوتية دولة جعلت عاصمتها نبات^(٢)، واستقلت عن حكم

(1) Arkell, A.J. : A History of the Sudan to AD. 1821. pp. 112 - 113.

(٢) اتين دريتون وجاك فاندييه: مصر، تعريب عباس يومى ص ٥٨٦.

Arkell, op, Cit, pp. 112 - 113.

وملبوس وانفذ صحبته عسكريا لكي يوصلوه الى
بلاده بسلام.

فلما وصل إلى مصر ومن معه بمجد عظيم
وتبحيل وصليب [ذهب] بيده يقبله كل احد
موضع اكرام الملك له، وسال ابانا البطريرك ان
يحمل هيكلًا مكرزًا معمولا من خشب يتفصل
[يفك] ويتركب الى داخل قصر الملك حيث كان
نازلا فيه، وكانو معه اساقفه من بلاده يقدسون له

مصر. ولم تقف جهود ملوكها عند شئونهم الداخلية، بل يبدو أن فكرة تخلص مصر من يد
الليبيين الأجانب غدت ركنا من أركان سياستهم رغبة في توحيد القطرين.

وتحقيقا لهذه السياسة، قام ملوك هذه الأسرة الكوشية بمحاولات انتهت بضم مصر إلى
كوش وتوحيدهما في مملكة واحدة عاصمتها طيبة^(١). وأسس هؤلاء الملوك الكوشيون الأسرة
الخامسة والعشرين في مصر، وهي الأسرة التي منعت الآشوريين مدة من دخول البلاد المصرية.
ثم ما لبث الآشوريون أن استولوا على مصر واضطر تانوت آمون آخر ملوك هذه الأسرة في
مصر إلى التقهقر جنوباً إلى نباتا عاصمة أجداده. وبهذا انتهى حكم الملوك الكوشيين الذي
استمر في مصر من سنة ٧١٥ ق.م. إلى سنة ٦٦٣ ق.م. وانتهت الأسرة الخامسة
والعشرون^(٢).

أما في الجنوب فظلت دولة الكوشيين قائمة، وأضفى ملوكها على أنفسهم ألقابا مصرية ،
وتشبهوا بفراعنة مصر، وظلت نباتا عاصمتهم تمثل مركزا لنوع من الحضارة المصرية، وظلت
اللغة المصرية هي اللغة الرسمية للبلاد، وعندما حلت محلها لغة وطنية ظلت تكتب كذلك

(1) Arkell, A. J. : op. cit. p. 125.

(2) Ibid, op. cit. p. 128 - 136.

انظر كذلك اتين دريتون وجاك فاندیه - «مصر» ترجمة عباس يومى ص ٥٩٧ - ٦٠٣.

فيتقرب ابن الملك وكلمن معه. وأمر بضرب
الناقوس فوق السطوح الذى لقصر [الملك] فى
وقت القداس كما يفعل فى البيعة، فتعجب كل
احد من هذا وفرح جميع النصارى بهذا وجدوا
الله على ما اظهره بصلاة هذا القديس الاب
البطرك.

وفى ايامه سافر ابن الملك المذكور واخذ فى
هيئة المسير، فمشى معه ابونا البطرك الى موضع

بالخط الهيروغليفى، ودفن ملوك هذه الأسرة فى أهرام على الطريقة المصرية، وبنيت المعابد
وانتشرت عبادة الآلهة المصرية إلى جانب المعبودات المحلية. ثم فقدت نباتا أهميتها منذ بداية
القرن السادس قبل الميلاد، لانقطاع صلتها بمصر، ونفاذ مواردها من مناجم الذهب القريبة،
وانتقل مركز الحكم والإدارة إلى مروي^(١)، التى تمتاز بموقع جغرافى فريد وسط سهل غنى
بموارده الزراعية، علاوة على وجود صناعة الحديد بالقرب منها. وظلت مروي عاصمة دولة
كوش من ٣٠٠ ق. م. إلى ٣٥٠ م على وجه التقريب، أى أن الدور المروي من تاريخ هذه
الدولة يعاصر حكم البطالمة ثم الرومان فى مصر.

وفى مروي أخذت الثقافة المصرية تتضاءل شيئا فشيئا ، حتى غدت مزيجاً من ثقافات
مختلفة، مصرية ويونانية ورومانية، فضلاً عن ثقافات حبشية مبيية وخاصة فى ناحيتى الدين
والفن^(٢).

وفى الدور المروي من تاريخ دولة كوش يتحدث الكتاب القدماء عن ملكات (كنداكة) ،

.....
(١) مدينة مروي قرب كبوشية الحالية.

Smith H. F. C. ; " The Transfer of the Capital of Kush From Napata to Meroe " Kush, III
PP. 20 52.

(2) Hamiktom, J. A. - ed. : The Anglo Egyptian Sudan from Within p. 18.

(*) بولاق. كلمة مصرية فرعونية تعنى الحدود. ولعل المقصود هنا وصول البطرك مع أن ملك النوبة زكريا إلى ميناء بولاق المعروف قرب القاهرة العالية، هذا مع العلم بأنه كانت هناك مدينة بنفس الاسم جنوب أسوان على الحدود بين مصر والنوبة، ولا يستبعد أن البطرك سار مع ابن الملك إليها.

يعرف بولاق(*) بمجد عظيم . وتعزى بذلك الاب عما جرى عليه من التجارب، ومن لا يتعجل اذا سمع هذه العجايب، وهو ان كل بطرك يجلس على هذا الكرسي المقدس يصرف اهتمامه الى ثلاثة اقسام: الاهتمام بسنوديقا الى بطرك انطاكية، الثانى امرنا الذى يتعلق بالحبشه والنوبة، والثالث تنجز سجلات من ملك مصر له [للبطرك] وللأساقفة ليستقيم امر البيع الارتدكسيه. فجمع الله لابونا البطرك انبا يوساب هذه التلة اقسام بالمشاهدة،

يبدو أنهم حكموا أحيانا كوصيات على العرش نيابة عن أولادهم القصر^(١). ويتضح من أخبار ذلك الدور من تاريخ كوش أن العلاقات الطيبة بين البطالة وحكام كوش استمرت حتى نهاية العهد البطلمي، بدليل أن كليوبترا بعثت بابنيها من القائد الرومانى الطونيوس إلى الجنوب ليكونا فى مأمن من خطر الرومان الذين هددوا ملكها فى مصر، ولتنشيد مساعدة الكوشيين لها ضد روما^(٢). وربما كان مرجع هذه العلاقات الطيبة إلى أن الدولة البطلمية فى عز أيامها لم تنجح إلى التوسع جنوبى أسوان، بل شجعت المنطقة الممتدة من أسوان إلى المحرق Hierosykaminos، وهى بلاد النوبة السفلى التى عرفت قديما باسم Dodekasch على أن تظل مستقلة عن مصر وكوش تحت حكم أمرائها الوطنيين^(٣). على أن هذه المنطقة لم تلبث أن فقدت استقلالها زمن بطليموس السادس (١٨١ - ١٤٥ ق.م)، وظلت كذلك حتى نهاية الدولة البطلمية على يد الرومان عام ٣٢ ق.م.^(٤)

(١) أطلق هؤلاء الكتاب على ملكة مروي اسم كنداكة، ويبدو أن هذا كان لقباً بمعنى ملكة. أنظر: Arkell, A. J. op. cit. p. 126.

(2) Woolley. and Maciver, : Karanog - The Romano - Nubian Cemetery P. 85.

(3) Beckett, H. W.: ASN, II, Report 1907 - 8, P. 349.

(٤) يبدو أن فراغة مصر من أيام الأسرة الثانية والعشرين عجزوا عن دعم النفوذ المصرى القديم فى =

ووصول الملك المامون من بلاده، فوصل أخيه
ديونيسيوس بطرك انطاكية. ومشاهدته له، ووصول
ابن ملك النوبة كما ذكرنا، واستقامة الامور ونظره
المجد العظيم بالحقيقه كما قال داود النبي : ان
تسجد له كل الامم.

وفعل له عجباً اخر حتى كمل الله له جميع ما
طلبه حتى يتمجد كرسي الاب الجليل مارى مرقس
البشير، بركات صلواته تحفظنا.

كان فى ذلك الزمان اسقف اسمه يوحنا، وكان

وبعد العهد الرومانى فى مصر بداية عهد جديد فى تاريخ العلاقات بين مصر الرومانية وبين
ملوك كوش، إذا عاد الكوشيون إلى بسط نفوذهم على إقليم دوديكاشينوس ولم يعترفوا
للرومان بحقهم فى تلك البلاد، باعتبارهم ورثة البطالمة، كما لم يعترفوا بالحدود القديمة التى
امتد إليها نفوذ البطالمة من قبل^(١)، بل ساعدوا المصريين الذين ثاروا عام ٣٩ ق. م. على
الرومان فى إقليم طيبة عندما ظهر جبهة الضراب من الرومانيين لأول مرة فى تلك المنطقة،
ولذلك أوغل القائد الرومانى كورنيليوس جالوس Cornelius Gallus جنوباً حتى أسوان،
بعد أن قضى على الثورة فى طيبة^(٢)، واستدعى إلى أسوان حكام إقليم تريا كونشتشينوى

= بلاد النوبة السفلى، ولذا صارت هذه البلاد جزءاً من دولة كوش مع تمتعها بشئ من الاستقلال عنها،
وظلت هكذا حتى انتقل إليها أرك أمن الذى عرف باسم أرجمينيز Argemenes أحد ملوك مروى على أثر
نزاع بينه وبين كهنة نباتا. وكان هذا الملك معاصراً لبطليموس الثانى والثالث والرابع، وتلقى علومه فى
جامعة الإسكندرية وتثقف بالثقافة اليونانية واتخذ هذا الملك مدينة دكة Pseleckis عاصمة له، وبني بها
معبدان، وأنشأ علاقات ودية بدولة البطالمة، وخلفه على عرش هذا المملكة النوبية أخوه أركرا من
Arkharaimen، فسار على سياسة سلفه، وبموت أركرامن، انتقلت هذه المملكة الصغيرة إلى بطليموس
السادس وأصبحت جزءاً من مصر.

Firth . C. M. : ASN. Report for 1910 - 11, 11, O, 29.

Beckett H. W. : ASN. Report for 1907 - 1908. 11, p. 349.

(1) Wooley - Maciver: K aranog, P. 85.

(2) Budge, E. A. W. : The Egyptian Sudan, II P. 166.

الاب انبا يعقوب قد رسمه لبلاد الحبشه، وكان ملك الحبشه قد خرج فى حرب فعمدوا اهل البلاد فاخرجوا الاسقف واقاموا اسقفا باختيارهم بخلاف القانون، فعاد المذكور الى مصر ونزل فى دير برموس بوادى هبيب، لانه [لأنه] كان ترهب فيه اولاً، والرب محب البشر الذى يريد خلاصهم ويردهم الى معرفة الحق لم يجعل تلك الكورة ومن فيها ان يقيموا على الخلاف الذى فعلوه، لكن اثار عليهم الكرسي الانجيلي دفعة أخرى ليظهر الرب عجايبه هكذا فانزل عليهم وبا وفنا عظيماً

Triakontachoinoi^(١)، وأوضح لهم أن هذا الاقليم منطقة نفوذ رومانية، على أن تظل تحت حكم أمرائها من الكوشيين^(٢). ويعتبر هذا أول اتفاق بين الرومان والكوشيين على تحديد مناطق النفوذ والحدود بينهما.

بيد أنه لم يقدر لهذا الاتفاق أن يدوم طويلاً، ولم يتح للرومان أيضاً فرصة التمتع بثمرة ما أحرزوه من كسب فى هذه المنطقة، إذ شجعت أخبار الفشل الرومانى فى اليمن طوائف الكوشيين على الثورة على الحكم الرومانى، واحتلوا الفتين وأسوان، وحطموا تماثيل أغسطس قيصر، وهزموا الحامية الرومانية^(٣).

كان من الطبيعى أن يرد الرومان هذا الهجوم، فقاد جالوس بترونيوس Gallus Petronius حملة تعقب فيها الكوشيين جنوباً وطاردهم حتى دكة، ثم دارت بين الجانبين مفاوضات غير مجدية، فعاد القائد الرومانى إلى الحرب، ونشبت معركة انتهت بهزيمة الكوشيين وأسراقاتهم وإرسالهم إلى الأسكندرية، ثم استولى بترونيوس على دكة وإبريم، ووصل فى زحفه جنوباً حتى نباتا فحاصرها. وعلى الرغم من العرض الذى تقدمت به كنداكة إلى بترونيوس برد الأسرى الرومانيين وإعادة تماثيل قيصر إلى أسوان، فإن بترونيوس هاجم نباتا واستولى عليها،

(١) وهى المنطقة التى تمتد من الخرقة إلى عكاكة جنوبى الشلال الثانى أنظر الفصل السابق.

(2) Milne, J. G. : A History of Egypt Under Roman Rule V. P. 17.

(3) Strabo: op. Cit. P. 137.

وعلى بهائمهم، وجعل ملكهم مغلوبا من كل من
يقاومه ويقتل أصحابه. فلما عاد من الحرب لحقه
حزن عظيم ولم يعلم بما جرى على الاسقف ولا
كيف انقوه من بلدهم وكانت الملكة [هى] التى
فعلت هذا كما فعلت اوضوكسية ذلك الزمان مع
يوحنا فم الذهب. فلما علم الملك بذلك اسرع
وكتب الى الراعى الصالح انبا يوساب يقول له انا
اسجد للكرسى الانجيلي الذى استحققت ابوتك
الجلوس عليه، وبنعمته ثبت ملكي، والان فان قوما
من كورتي ضلوا عن نور الكرسى المقدس وجعلوا

ثم قفل راجعا إلى الإسكندرية. وفي طريق عودته قوى بترونيوس حصون إبريم، وترك فيها
حامية من أربعائه جندي مزودة بمؤن تكفيها ثلاث سنوات^(١).

لم يكذب بترونيوس يصل إلى الاسكندرية حتى سمع نبأ الاغارة من جديد على حامية إبريم،
فعاد مسرعا وخلص هذه الحامية من الحصار الذي فرضه الكوشيون عليها^(٢). وانهمزمت
جيوش كندا كة، وقبلت دفع جزية وارسل عدد من الرهائن^(٣). ثم سعت كندا كة إلى
الصلح، وارسلت سفراءها إلى الإمبراطور، واستغلت الدولة الرومانية هذه الحال، فأكدت
حقوقها في منطقة دوديكاشينوس واحتلتها القوات الرومانية. ودام السلام بين الرومان وبين
الكوشيين مدة غير قصيرة^(٤). ثم بدا في منتصف القرن الأول الميلادي كأن الدولة الرومانية
تريد غزو بلاد كوش كلها، إذ أرسل الإمبراطور نيرون (٥٤ - ٦٨ م) بعثة إلى بلاد كوش
لاستطلاع أحوالها، ووصلت البعثة جنوبا حتى إقليم السدود. بيد أن تقريرها جاء مخيبا لآمال
الإمبراطور فعدل عن مشروعه^(٥).

(1) Ibid : op. Cit. p. 139.

(2) Ibid : op. Cit. p. 141.

(3) Woolley - Maciver: op. cit. P. 86.

(4) Milne, J. G. op cit. P. 36.

(5) Ibid: op. Cit. p. 36.

Pliny: Natural History, II, P. 475.

أرجلهم فى الطريق المملوه شوكا لما أخرجوا
خليفتك، فأنزل الرب مجازاة ذلك على روسنا
فاذاقنا عنه الانتقام بموت الناس والبهايم بالوبا [ء].
ومنع السما [ء] من المطر علينا، والآن يا أبانا
القديس فاغفل عن جهلنا وانفذ إلينا من يدعو إلى
الله فينا ويصلى عنا لنخلص بصلواتك المسموعة.

لما وقف الأب على الكتب فرح بامانته وانفذ
سرعه واحضر ذلك الأسقف من دير برمسوس،
وعزاه وتبته وسيره إليهم، وانفذ معه قوما مامونين

وفى مدة قرنين (من ٦٠ م إلى ٢٦٠ م) قام الرومان بسلسلة من مشاريع التعمير فى هذه
المنطقة، غرضها توسيع التجارة بين مصر وبلاد دارفور وكردفان. ولهذا أقيمت المعابد فى فيلة
وكلابشة، وكشف الرومان طريق القوافل القديم الذى يؤدى إلى هاتين المقاطعتين الغنيتين
بمواردهما الطبيعية، كما أقيم معبد فى الواحة الداخلة. ومما لا شك فيه أن الرومان كانوا
يهدفون إلى قيام علاقات صداقة بينهم وبين القبائل التى تعيش فى الغرب والجنوب لتحقيق
أغراضهم التجارية^(١)

غير أن هذه السياسة السلمية لم تلبث أن طرأ عليها ما أفسدها بسبب إغارات
البلبيين^(٢). ويبدو أن البلبيين كانوا يستوطنون بعض جهات النوبة السفلى. جنوبى الخرقة

(1) Budge: A Hist. of Ethiopia., I. P. 8.

(٢) أطلق الكتاب القدماء منذ القرن الأول الميلادى - على سكان الصحراء الشرقية اسم البلبيين
(Strabo : op. cit.; P. 5) Blemmyes. وذكر بروكويوس فى القرن السادس الميلادى أنهم يكون
المنطقة الممتدة من حدود مصر إلى أكسوم (Procopius op.cit.p. 185)، على حين أن كوزمس التاجر
المصرى الذى عاش فى هذا الوقت أيضا أطلق على سكان هذه المنطقة اسم بجا. Bega.

(Cosmas Christian Topography of Cosmas - ed. Mac Crindle Haklyot Society P. 62.

والظاهر أن البلبيين هم البجة أو شعبه منهم. وفى القرن الرابع عشر الميلادى يشير كل من الإدريسي
وابن الوردي إلى وجود جماعة تسكن الصحراء الشرقية يقال لها البليون، ويشير الرحالة البرتغالى الفارز
إلى وجود جماعة تدعى Bellones (بلونيون) ولا يبعد أن يكون هؤلاء وأولئك هم البلبيون الذين أشار-

لجل الطريق، ودفع له ما يتسفر به وما يكفيه
وشيعهم وهو يبارك عليهم يسهل الله طريقهم،
فسمع الله له ووصلو الى الملك انحب ففرح بهم
وكلمن فى كورته.

فرمى الشيطان عدو السلامه فى قلب قوم من
اهل تلك الكورة الى ان وقفو للملك وقالو له
نحن نطلب من امرك ان تامر هذا الاسقف ان
يختن لن [لأن] كلمن فى كورتنا مختنون سواء.
ومن قوة فعل الشيطان طاب قلب الملك بهذا ان

منذ زمن البطالة (١). ولكننا لا نعرف إذا كانوا قد خضعوا لنفوذ دولة مروى فى الجنوب بعد
ضم منطقة دوديكاشينوس للإدارة الرومانية فى مصر. أما المعروف فهو أن البليمين لم يستقلوا
بهذه المنطقة تماما على الرغم من احتلالهم لها (٢). ومن هذه المنطقة بدأت سلسلة الإغارات
التي شغلت الرومان وضايقتهم وكلفتهم الكثير من الجهد، وكانت أولى هذه الاغارات عام
٢٥٠م. وما شجع المغيرين على القيام بهجومهم على الأطراف الرومانية، حالة الفوضى
والانقسام فى جوف الدولة الرومانية، وقلة حاميات الأطراف (٣)، وكذلك تصفية الحكم

.....
= إليهم الكتاب فى العهد الرومانى، ولو صح هذا، ونسبوا إلى البجا لأصبحوا يعتبرون من الجنس الحامى.
ويرى سلجمان أنهم من نفس سلالة قدماء المصريين واقتبسوا من حضارتهم وتعلموا الزراعة واستئناس
الحيوان. ويبدو أن لفظ البجا، أو البجة هو الاسم الحديث للقبائل القديمة التي كانت معروفة لقدماء
المصريين تحت اسم ميجا أو ميجوى، واستعان بهم قدماء المصريين منذ الأسرة السادسة (٢٥٠٠ ق م) فى
مختلف الأعمال وعلى الأخص كانوا يؤلفون منهم فرقا عسكرية تستخدم للبوليس والحرب. ومن أهم
أقسام البجا فى الوقت الحضار. البشارين، الهندلوة، الأمراء، وبنى عامر، الخلانقه، قارن.

Paul, A. : A History of The Beja Tribes, PP. 20 - 57.

Kirwan, L. P. : "Studies in the Later History of Nubia" L.A.A.A. XXIV, PP. 1- 11

Kirwan, L. P. : Firka, P. 41.

محمد عرض محمد - السودان الشمالى . ص ٣١ - ٣٣.

(1) Beckett, H. W. : ASN. II, Report for 1907 - 8, p. 350.

(2) Emery, W.B.; The Royal Tombs of Ballana and Qustul, I. P. 5.

(3) Budge, E.A. Wallis: The Egyptian Sudan op. cit, p. 175.

يؤخذ ذلك الشيخ الاسقف ويختن والا فيعود إلى
المكان الذي جا منه. فلما تذكر [الاسقف] صعوبة
الطريق التي سلكها في مضية وعودته، ثم ما
يلقاها ايضا [فهان عليه ذلك و] خاف من صعوبة
الطريق في البر والبحر فقال: انا افعل هذا خلاص
الانفس التي اقسامني الرب راعيا لهم بغير
استحقاقى، والآن فقد قال بولس الرسول ووصانا
وقال: اذا دعى احد بغير ختان فلا يختن. فلما
ساعدهم على ذلك اظهر الله فيه امرا عجيبا بما

العسكرى فى منطقة دوديكاشينوس، والحاكما بالإدارة المدنية الرومانية بالفتين. ثم انه ليس من
المستبعد أن يكون البليميون اندفعوا شمالا نحو دوديكاشينوس تحت ضغط قبائل النوبا الذين
كانوا مصدر تهديد لدولة مروي فى الجنوب (١).

وفى الواقع أن الإمبراطورية الرومانية قبل عهد دقلديانوس واجهت مشاكل عديدة فى
الداخل والخارج . ففى مصر مثلاً قامت حركات قومية تدعو إلى الثورة ضد الرومان لتخلص
من نفوذهم. وتركزت هذه الحركات فى الدلتا بزعمامة فيرموس المصرى. واشتعلت ثورة قومية
أخرى فى طيبة كذلك. وانضم إلى هؤلاء وأولئك أهل تدمر الذين جاءوا إلى الصحراء
الشرقية، والليبيون بالصحراء الغربية، واشترك البليميون فى هذه الحركة العامة. ومما زاد هذه
الحركات اشتعالا، قيام يوليوس إميليانوس Marcus Julius Aemilianus (٢). بحركة
غرضها الاستقلال بمصر. ذلك أن البليميين انتهزوا فرصة انشغال الجيوش الرومانية بالقضاء
على حركة إميليانوس والقبض عليه واندفعوا شمالا من قواعدهم بالنوبة السفلى وانضم
إليهم أهل طيبة واحتلوا قفط ثم انضم إليهم أهل تدمر بقيادة ملكتهم الزباء Zenobia، وما
لبث هؤلاء الحلفاء أن أصبحوا سادة مصر العليا (٣).

(1) Emery, W.B. op. cit. p. 5.

(٢) نادى الرومانيون المتوطنون بالاسكندرية بهذا القائد ملكا على مصر كلها ولم يلبث أن قبض عليه.

Woolley. Maciver. op. cit. P. 90.

(3) Miln, J. G. op. Cit. p. 79.

قد كتب به الى ايننا البطرك انبا يوساب، وهو انه لما مسكوه ليختتوه وكشفوا عنه فوجدوا علامة اختان فيه كانه مختون من قامن يوم من ولادته، واقسم في كتابه انه لم يعرف هذا قط الا ذلك اليوم. وطاب قلب الملك واهل الكوره وفرحو فرحا عظيما بهذه العجوبة قبلوه بفرح.

ولما وصلت الكتب الى البطرك بذلك فرح كثيرا لعودة هؤلاء الضالين الى راعيهم، وبالأعجوبة التي ظهرت قايلًا: مبارك الرب الذي رد سبي شعبه

ثم استتب الأمر للدولة الرومانية بالتخلص من أميليانوس، وشرع القائد الروماني بروبوس Probus في القضاء على الثوار جميعاً، فأوقع هزيمة بفيرموس، ثم قضى على أهل تدمر، ورد البليمين إلى ما وراء الشلال الأول في عام ٢٧٤م^(١)، وأحرز النصر النهائي على البليمين بالصحراء الغربية^(٢). ولم يأت عام ٣٨٠م حتى عاد الرومان إلى احتلال دوديكاشينوس مرة أخرى. ولم يشأ القائد الروماني أن يخاطر بقواته بالتوغل إلى الجنوب من المحرقة، ولذا لم يستطع أن يقضى على البليمين، فظل خطرهم قائماً^(٣).

أما المرحلة الثانية من مراحل الصراع بين الرومان والبليمين، فتبدأ بعهد دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م)، إذ وجه هذا الامبراطور عنايته لحل مشكلة الحدود الجنوبية لمصر، وكانت ما تزال موضع تهديد البليمين. فرأى أن منطقة النوبة الرومانية (دوديكاشينوس) منطقة فقيرة لضيق واديتها وأن إنتاجها لا يوازي بحال ما يصرف على الدفاع عنها، وأن الاحتفاظ بقوات كبيرة فيه يكلف الخزانة الرومانية ثمنًا كبيراً^(٤). ولهذا قرر إخلاء منطقة دوديكاشينوس ونقل

(1) Emery, W. B. op. cit. p. 6.

(2) Milne, J. G. op cit p. 81.

(3) Woolley - Maciver op. cit. p. 91.

(4) Ibid. op. cit P. 91.

Procopius op cit p. 185.

وانقذهم من يد العدو ولم يجعلهم في الضلالة
الى الأبد.

ومن كثرة اهتمام هذا الراعى الصالح وبذله
نفسه عن خرافه، اصلح اساقفه كثيرا وانقذهم الى
كل موضع من كرسى مارى مرقس الانجيلى وهى
افريقيه و الخمس مدن والقيروان و اترابولس
[طرابلس الغرب] وكورة مصر والحبشه والنوبه لانه
[لأنه] قال: اذا لم يكن الرعاة كثيرا لحفظ الرعيه
والاهلكت فما اغفل عنها ليلا [لئلا] يضع منها

الحامية الرومانية من الحرقه إلى أسوان والفتين. ثم أغرى دقلديانوس النباطين Nobotae بترك
الواحة الخارجة ليستقروا بهذه المنطقه التى انسحب الرومان منها على أن يمنحهم ملكيتها .
واستهدف بذلك أن يضرب عصفرين بحجر واحد، فإن انتقل النباطين إلى منطقة النوبة
السفلى سينهى أعمال الفوضى التى كان النباطيون يقومون بها فى الواحة الخارجة، ثم أن
نظرتهم لوطنهم الجديد سوف تدفعهم إلى مقاومة إغارات البليميين. وقبل النباطيون عروض
الإمبراطور واستقروا على كلتا الضفتين فيما وراء الفتين ^(١). وقرر دقلديانوس للنباطين أتاوة
سنوية ومثلها للبليميين على ألا يقوموا بعمل عدائى ضد روما ^(٢). لم تقف جهود دقلديانوس
عند ذلك، علما منه بأن هذه القبائل لا سبيل إلى إرغامها على احترام موثيقها إلا بالقوة،
فاختار جزيرة بالنيل قرب الفتين، وأقام قلعة حصينة تقوم بالدفاع عن الحدود الجنوبية لمصر
ضد المغيرين ^(٣)، وبالإضافة إلى كل هذا، رأى دقلديانوس أن يستغل عاطفة البليميين الدينية،
فأقام معبدا جمع فيه رموز عقائد البليميين، والنباطين والرومان ليدل على أن رابطة دينية تجمع
بين الرومان وهذه القبائل وتذكرهم باحترام موثيقهم ^(٤).

(1) Ibid - op. cit. PP. 183- 187.

(2) Ibid. op. cit. P. 187.

(3) Procopius op. cit. P. 187.

(4) Wolley - Maciver op . cit. P. 92.

شى او يهلك ولو واحد كنت مطلوباً به من
المسيح، فلأى شى أقامنى إلا لحفظ قطيعه من
السبع القاييم يطلب غفلة الراعى ليخطف ويفترس
ويهلك، ثم أقول أمام الرب أن الذين سلمتهم لى
لم يهلك منهم ولا واحد. وفيما هو فى ذلك تحرك
العدو المناصب ليقيم عليه بلايا واحزاناً، والرب
كان مع هذا الإنسان الأب القديس يخلصه فى
كل حين ويريه ضعف أعداءه وأعداءه [ء] البيعه يوماً
بعد يوم كقول الرب الذى قال: أبواب الجحيم لا
تقهر بيعتى.

وبمقتضى المعاهدة التى أبرمت بين دقلديانوس والنباطيين قام النباطيون بدورهم الذى كلفوا به
وهو أن يصبحوا المنطقة الحاضرة بين البليميين فى الجنوب وبين الرومان فى الشمال. ويبدو
كذلك أن ملوك النباطيين سيطروا على المنطقة التى انسحب منها الرومان^(١).

وعلى العموم يمكن القول إن دقلديانوس نجح إلى حد كبير فى وقف الاغارات التى شنها
البليميون على جنوب مصر طوال القرون الثلاثة التى سبقت حكمه^(٢). وفى عهد قسطنطين
الأكبر (٣١٣ - ٣٣٧ م) ساد السلام بين الرومان والبليميين، ودل ظهور رسل البليميين
وسفرائهم فى بلاط قسطنطين^(٣) على استمرار ذلك السلام^(٤).

أما عن سياسة الرومان فى حوض النيل الأوسط والأعلى، فإنها ارتبطت بالاتجاه العام نحو
بسط نفوذهم على تجارة الشرق، والإعتماد على حليف قوى لتنفيذ أغراضهم التجارية
والسياسية وذلك أن تجارة الهند والصين وشرق أفريقيا تحولت من أيدى التجار الرومانيين أواخر

(1) Milne, J. G. op. cit p. 99.

(2) Budge, E.A.W. : The Egyptian Sudan, II, P. 177.

(٣) إن تاريخ هذه البعثة النوبية إلى القسطنطينية غير معروف تماماً.

(4) Woolley - Maciver op. cit. p. 92.

ولما كان فى ذلك الزمان انفذ الملك ابراهيم
[المعتصم] الى مصر ان تؤخذ من البيع فى كل
مكان العمدة والرخام. وكان الواصل فى هذا
الطلب انسانا مخالفا مبغضا من النسطورية اسمه
الغازر، فلما وصل الى مصر اجتمع اليه اهل مذهبه
النجس الذين هم الهراطقة الخلقدونيون المقيمون
باسكندرية، ولم يزالوا يسعون بالبيع ليلا ونهارا
وحسنوا له ان يهدم بيع مدينة الاسكندرية، وكانوا
يدلون على المواضع التى فيها العمدة والبلاط
فياخذهم غصبا بيده.

القرن الثانى الميلادى، إلى وسطاء من الفرس والأحباش والحميريين على أثر الاضطرابات التى
شملت أنحاء الامبراطورية الرومانية حوالى ذلك الوقت^(١). فضلا عن هذا فان دولة مروي
- التى تمتعت بمركز تجارى ممتاز لتحكمها فى الطرق التجارية المؤدية إلى مصر فى الشمال
عن طريق النيل وتجارة وسط أفريقيا المتجهة إلى البحر الأحمر - أخذت فى الاضمحلال
التدريجى منذ منتصف القرن الثالث الميلادى عندما أخذ يغير عليها النوبا^(٢). وكذلك عندما
هدد البليميون منطقة النوبة السفلى وجنوبى مصر فى الشمال ومروي فى الجنوب. ولم يعد
النيل طريقا صالحا لمرور التجارة بين الجنوب والشمال، ففقد الرومان وارداتهم من وسط أفريقيا
وخاصة الرقيق والعاج وريش النعام والأبنوس عن طريق النيل^(٣). ولهذا حاول الرومان توثيق
علاقاتهم بدولة أكسوم، واستخدامها فى قمع حركات البجا الشماليين (البليميين) والنوبا،
لفتح طرق التجارة من جديد إلى قلب أفريقيا. وتم أول اتصال لهذا الغرض فى عام ٢٧٥ م
على عهد الامبراطور أورليان Aurelian^(٤) واستمر اتصال التجار الرومان بدولة أكسوم حيث
توجد ميناء عدول أعظم سوق لتجارة الرقيق ومنتجات شرق ووسط أفريقيا. ومن بين هؤلاء

(1) Bury, J. B.: History of the Later Roman Empire, II. p. 318.

(٢) وربما كان مصدرهم من الجنوب.

(3) Bury, J.B.: op. cit. P. 318.

(4) Paul, A. : A History of The Beja Tribes of the Sudan, P. 41

فلما اخرجوه الى بيعة الشهيد مار مينا بمريوط،
من كثرة حسدهم لها، وقالو له ليس بشبهها شئ
من البيع، وان كلما توجهت لطلبه تجده فيها. فقام
ذلك النسطورى مسرعا بمشورة السعاه ودخل الى
بيعة الشهيد مارى مينا بمريوط، فلما نظر اليها
والى زينتها وحسن ما فيها من العمدة والرخام
الملون تعجب وبهت وقال: هذا الذى يحتاج اليه
الملك، هذا هاهنا ولم اعلم به.

فلما سمع ابونا انبا يوساب البطرك ان ذلك

التجار فرومنتيوس المصرى Frumentius الذى أوفدة قسطنطين الأكبر لعقد معاهدة تجارية
مع عيزانا ملك أكسوم، الذى اعتنق المسيحية على يد فرومنتيوس حوالى ٣٤٠ م. ومنذ ذلك
الحين أخذت المسيحية فى الإنتشار فى بلاد أكسوم بعد أن مهد لها التجار اليونانيون الذين
وفدوا على هذه الديار من قبل. ورسم البطريك أنطاسيوس فرومنتيوس أسقفا لأكسوم^(١).

يبدو أن مهمة فرومنتيوس لم تقف عند التبشير بالمسيحية فى بلاد أكسوم، بل حمل عيزانا
على تجريد حملته المشهورة على مروى حوالى ٣٥٦ م. وذكر عيزانا فى اللوحة التى تركها
تخليداً لانتصاره، غرضه من هذه الحملة وهو تأديب النوبا الذين يغيرون على جيرانهم ولم
يحترموا عهودهم، فأحرق بيوتهم المبنية من القش والطين، وخرب مزارع القطن، وألقى
بتمائيلهم إلى النهر. ومن بين المدن التى ذكرها عيزانا، مدينتا علوه، ودارو^(٢) وترتب على
هذه الحملة القضاء على البيت الملكى المروى، ولكنها - على ما يبدو - لم تتحرك أثراً
للمسيحية فى تلك الجهات.

ثم أن السلام الذى ساد مدة بين البيزنطيين والبلبيين ما لبث أن ترعزع منذ أواخر عهد

(1) Trimmingham, J.S.: op. cit

(٢) وهذه المدينة الأخيرة «دارو» تقع جنوب أسوان.

الانسان السولم [لن] يمنع يده لما فى قلبه من
السو والبغضه وما لقوه المخالفون: فقال له : هو ذا
كل البيع التى بحكمى بين يديك فافعل فيها ما
امرك به الملك وهذه البيعه فقط احب منك الا
تعترضها، ومهما التمسته منى سلمته اليك. فلم
يقبل المخالف قوله ولا سواه بل جاوبه مواجهة بما
لا يجب . ثم بدا واخرج من البيعه الرخام الملون
والبلاط المعدوم [النادر] الذى هو قايم من كل لون
وليس له نظير ولا يعرف له ثمن، فلما وصل

الامبراطور تاوداسيوس الأول Theodosius (٢٧٨ - ٣٩٥ م). ويمكن تفسير هذا بان
البيمين بدأو يحسون بخطر المسيحية التى تهدد معبوداتهم ومعتقداتهم، وبأنهم شعروا بهذا
الخطر من ناحية أكسوم بعد أن اعتنق ملكها عيزانا الدين المسيحى. كما أصدر تاوداسيوس
الأول مرسومه الشهير عام ٣٨٥م وهو المرسوم الذى قضى بإبطال جميع مظاهر الديانات
المصرية المخالفة. وفى هذا يتضح أن الضغط المسيحى المزدوج عن طريق أكسوم وعن طريق
مرسوم تاوداسيوس خلق عند البيمين ضرورة الدفاع وشن الإغارات.

وأول ما قام به البليميون هو احتلالهم جزءاً كبيراً من أرض النوبة الرومانية
(دوديكاشينوس) وتحديدهم قرارات تاوداسيوس وإظهار الميل إلى أنصار الديانات المصرية
ودعاتها، كالاحتفال بالمؤرخ اليميودرس Olympiodorus الذى زار المنطقة المحتلة فى أرض
النوبة الرومانية عام ٤٢١م^(١). وحوالى ذلك الوقت بدأ البليميون سلسلة إغاراتهم على
منطقة طيبة والواحة الخارجة فاحتلوا الواحة الخارجة سنة ٤٢٩ ونهبوا مدنها وأسروا سكانها
ومن بينهم نسطورس الذى كان منفياً بها. بيد أن البليميين اضطروا إلى إطلاق أسراهم^(٢)

(1) Woolley - Maciver: op. cit. P. 94.

(2) Ibid, : op. cit. P. 95.

الرخام الى مدينة اسكندريه لينفذوه الى مدينة
الملك فحزن الاب حزنا عظيما على البيعه وقال:
انا اعلم انك تقدر ايها الشهيد القديس ان تاخذ
حقتك من هذا المخالف الذى لم يوقر بيتك الذى
هو عزا لجميع المومنين. ولم يفتر الليل والنهار من
هذا الحزن للذى حل لهذه البيعه المقدسه. وكان
مهما بعمارتها سرعة وانفذ احضر صفائح مزوقه
من مصر واسكندريه وبدا ان يتعمر المواضع التى

لعجزهم عن الاحتفاظ بهم أمام ضغط قبيلة ليبية قوية تدعى مازيكى Mazici^(١) التى كانت
تهدد خطوط انسحابهم^(٢).

ومنذ حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى لم يصبح البليميون وحدهم عنصر الشغب
ومثيرى الاضطراب فى الأطراف الجنوبية المصرية، بل شاركهم النباطيون وكانوا من قبل حماة
هذه المنطقة والمدافعين عنها ضد البليمين . ومعنى هذا أن مشروع المنطقة الحاجزة الذى ابتكره
دقلديانوس لم يعد صالحا فى هذا الوقت. ويؤدى اتفاق البليمين والنباطين وقيامهما بعمل
مشترك إلى الاعتقاد بأن هاتين القبيلتين أجمعتا رأيهما على الوقوف فى وجه الامبراطورية
الرومانية فى بادئ الأمر^(٣).

ومن الدلائل على ذلك بردية معاصرة لأواخر عهد تاوداسيوس الثانى، إذ تخبر هذه البردية
عن إغارة مشتركة قام بها البليميون والنباطيون على كنائس فيلة التى أقيمت محل معابدها.
ولهذا التمس أبيون Appion أسقف أسوان والفتين من هذا الامبراطور أن يكلف القائد
الرومانى الذى ترابط قواته فى تلك المنطقة أن يحمى هذه الكنائس من إغاراتهم^(٤). ومع

(١) المزيكى ربما كانوا من قبيلة الطوارق التى تعيش فى الصحراء الليبية.

Arkell, A. J. op. cit. p. 179.

(2) Milne, J. G. : op. cit. P. 99.

(3) Emery: op. cit. p. II.

(4) Ibid: op. cit. p. II.

Kirwan, L. P. : " The Ballana Civilization". SGE. XXV 1953, P. 107.

قلع منها البلاط بكل زينه حسنه حتى ان كل من يشاهدها ما يعلم ان قد مضى منها شى.

وفى تلك الأيام والعازر المخالف باسكندريه تم عليه القول المكتوب «من الذى قاوم الرب فخلص؟». فضربه الرب عاجلا بضربة هكذا، وهو ان جسده تنفخ و احشاه بالمرض المسمى الاستسقا، وتغير لون وجهه وبقي مطروحا لا يقدر ان يرفع راسه، وكان قد ناله فقر عظيم حتى انه ما وجد من يقوم بقوت نفسه ودوابه أو يتداوى به.

هذا يبدو أن البليميين استقروا فى منطقة طيبة، وخضعت لهم الحامية الرومانية فى هذه المنطقة، وأقاموا نوعا من الحكم المستقر، واتخذوا بظلمى قاعدة لجيوشهم التى كانت تشن إغاراتها على مايلى طيبة شمالا^(١).

لم يسكت الرومان طويلا على هذه الحال، بل أصدر الإمبراطور ماركسيان Marcianus (٤٥٠ - ٤٥٧ م) أوامره إلى القائد مكسيمينوس Maximinus بضرورة إخضاع البليميين والنباطيين بالقوة^(٢). فزحف القائد الرومانى نحو بلادهم وما زال يحاربهم حتى عقد هدنة بينهم وبين الرومان لمدة مائة عام^(٣). وفى شروط هذه المعاهدة نقلا عن برسيق Priscus نص: أن يرد البليميون وحلفاءهم الأسرى الرومان، وأن يدفعوا تعويضا لما أصاب الأفراد والممتلكات من أضرار خلال أغاراتهم، وأن يرسلوا عددا من الرهائن^(٤). وفى مقابل هذا سمح لهم بالحج إلى فيلة وحمل تمثال معبودتهم إيزيس إلى بلادهم. والتقى مكسيمينوس بمبعوثى البليميين والنباطيين فى الجزيرة المقدسة (فيله)، حيث نقش نص هذه المعاهدة على جدران هيكل الإلهة إيزيس^(٥). ولم يوقف الرومان ما كانوا يمنحونه لكل من البليميين

(1) Woolley - Maciver, : op. cit. P. 96.

(2) Emery, W. E. : op. cit. p.13.

(3) Kirwan, L.P. : LAAA. XXIV, P. 82.

(4) Budge, E.A.W. : Ethiopia, op. cit. p. 102.

(5) Woolley - Maciver: op. cit. p. 96.

فسال الاب البطرك فيما يتفق عليه نفسه وان
يصلى عليه ففعل الاب هذا كالمكتوب الذى هو :
« ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقيه » .
وكان الوجع يتزايد عليه كثيرا وهو مطروح ، وكل
ما يشاهده يمجد الله وشهيدته مارمينا ويعطى
الطوبى للراعى الصالح لانه [لأنه] كان يعمل الخير
مع كل من يسعى اليه .

وصار لسان الاب كالسيف القاطع ، فمن لا

والنباطين من أتاة منذ عهد دقلديانوس^(١) . ومع أن موافقة الرومان فى وثيقة رسمية على
السماح للبلبيين والنباطين بالحج إلى فيلة وحمل تمثال معبودتهم ، يدعرو إلى الدهشة بعد أن
أصبحت الدولة الرومانية مسيحية ، فيبدو من تنازل الرومان وقبولهم هذا الشرط على أنهم
كانوا غير راغبين فى فرض المسيحية بالقوة على هؤلاء القوم حتى هذا العهد . وبمقتضى هذه
المعاهدة السحب البليميون من منطقة طيبة إلى منطقة دوديكاشينوس ، واتخذوا كلابشة
Talmis عاصمة لهم . أما النباطيون فاستقروا فى المنطقة الواقعة جنوبى أبريم .

بيد أنه لم يكذب يصل البليبيين وحلفاءهم خبر موت القائد الرومانى مكسيمينوس ، حتى
عادوا إلى شن إغاراتهم من جديد ، وأطلقوا سراح رهائنهم بالقوة^(٢) . ثم استطاع القائد
الرومانى فلورس Florus أن يوقع بهم هزيمة ساحقة احتراموا بعدها شروط الصلح التى
عقدوها مع سلفه مكسيمينوس .

والمعتقد أن معاهدة الصلح نفذت بعد ذلك بحرص شديد ، بدليل عدم تجدد الإغارات
على منطقة طيبة مدة قرن تقريبا ، واستمرار البليبيين على ولائهم لمعبودتهم ايزيس . على أن
المعابد الوثنية فى منطقة طيبة أصابها التدمير والانحيار . كما أن المسيحية بدأت تتسرب إلى

(1) Ibid. : op. cit. p. 98.

(2) Emery, W.E.: op, cit. p. 13.

Priscus, - ed. Meubuhr, p. 153.

نقلا عن .

يتعجب من سماع فضائل هذا الاب القديس
السعيد انبا يوساب.

وايضا عجباً اخر اسمعوا يا احبا لهذا الاب،
كان باسكندريه رجل مخالف من الخلقدونيين غنى
جدا، وكان له سواق(*)، فلما خرج فى بعض
الايام ليتفرج فى بعض كرومه بظاهر اسكندريه
راى ساقيه مكسورة فالتمس نجاراً، وكان شيخ قس
نجار فقال له الخلقدونى: تقوم تمضى معى لتعمل

(*) سواق: جمع ساقية. آلة تدار
بالتيران لجلب الماء اللازم لرى
الحقول، وهى مازالت مستعملة
حتى اليوم فى الريف المصرى.

النباطيين الذين لم يستمروا - فيما يبدو - على تحالفهم مع البليمين، بل أطلقوا على أنفسهم
أصدقاء روما. وعلى الرغم من أن المسيحية وجدت لها أنصاراً بين النباطيين، فإن البليمين
ظلوا على تشبثهم لدينهم المصرى^(١)، ولم يظهروا أى ميل للدين الجديد حتى بداية القرن
السادس الميلادى.

أما العبادات التى مارسها كل من البليمين والنباطيين قبل دخول المسيحية إلى بلاد النوبة،
فيبدو واضحاً أنها كانت خليطاً من مصرية قديمة، ومروية. وفى الدليل على ذلك قول
بروكوبيوس، أن البليمين والنباطيين عبدوا إيزيس وأوزوريس. لكن إيزيس تمتعت بمكانة سامية
تفوق ما كانت تتمتع به الآلهة الأخرى عند تلك القبائل من التبجيل والتعظيم. ولا غرو فإن
معبد فيلة شهد مواكب الحجاج من البليمين والنباطيين كل عام تحمل تمثال إيزيس إلى
أراضيهم لتمنحهم الخصب والثروة^(٢).

ولعل ضخامة هذه المراسم الاوزيرية وتجمع القبائل كل عام فى فيلة منذ أيام دقلديانوس،

(1) Woolley - Maciver: op. cit. p. 97.

(2) Kirwan, L.P. : LAAA. XXIV, P. 88.



طبق عزف عليه رسم المسيح

لى الساقية. فقال له القس: اليوم يوم الجمعة العظيم وما اعمل فيه شيا، لانه يوم صلب فيه كلمة الله مخلص العالم. فاجابه الملعون الهراطقى وفتح فاه الخالف وجدف على الله الكلمه وقال ما لا يجب ذكره، فوبخه الشيخ القس ومضى وتركه، وكان ابونا البطرك فى البرية بوادى هبيب يعيد فى الدير عيد الفصح ويكمل عيد قيامة المسيح، ولما عاد الى اسكندريه حكى له الشيخ القس ما جرى من

هما اللذان اثارا جستنيان إلى القيام بحركة لخدمة المسيحية، وخاصة وأن هذه المواسم الاورزيرية الكبرى كانت تروح وتغدو بمواكبها الصاخبة فى قلب أسقفية أسوان وألفنتين، حيث توجد الكنائس والأديرة المسيحية الجديدة، ثم إن تجمع هذه القبائل فى فيلة أثار القلاقل على الحدود المصرية مع قرب انتهاء أجل الهدنة^(١)، ولا سيما بعد أن أخذ النزاع يدب بين البليميين والنباطيين^(٢). وسواء أكان جستنيان مدفوعا بعوامل سياسية أودينية، فإنه انتهر فرصة انقضاء أجل الهدنة ليقضى على الاورزيرية فى فيلة، كعبة البليميين والنباطيين. ولكن كيف السبيل إلى تحقيق هذه الغاية ومنطقة النوبة السفلى من الشلال الأول حتى أبريم تحت سيطرة البليميين الذين يتحكمون فى المسالك المؤدية إلى فيله ؟.

يبدو أن جستنيان كان على صلات بالعناصر النوبية التى أخذت تميل إلى المسيحية، فشجعها على حرب البليميين وطردهم من وادى النيل^(٣). وانبرى «سلكو» أحد ملوك النباطيين لهذه المهمة. وليست لدينا الوثائق الخاصة بجهود هذا الملك ضد البليميين إلا وثيقة

(1) Budge, E. A.W.: The Egyptian Sudan II P. 178.

(2) Beckett H. W.: ASN., Report for 1907 - 8II, p. 365.

(3) Budge : op cit. p. 294.

Beckett H. W.: op. cit. p. 367.

تجديف المخالف، فاجاب بصوت النبوه المشتمل
بروح القدس وقال: تخرس الشفاه الناطقه
بالتجديف على المسيح الالهى. وقال ايضا كما قال
داود : عدو افترى على الرب وشعب جاهل
اغضب اسمك. فيا لهذه العجوبه العظيمه، عند
ذلك صار المخالف اخرس لا يتكلم ، وانفلج الى
يوم وفاته. وكل من شاهد هذا من الاسكندرانيين
المخالفين صار فى خوف عظيم، حتى ان ريسهم
غير البطرك المسمى صفرون صار له فى ايننا

واحدة تتمثل فى النقش الذى تركه محفوراً على أحد جدران معبد كلابشه تخليداً لانتصاره
على البليميين^(١).

ومما جاء فى هذا النقش أن «ملكوا» حضر مرتين إلى كلابشه وتافه، وحارب البليميين فى
ثلاث مواقع، وانتصر عليهم فى الرابعة واستولى على مدنها. ثم أقسموا بالهتهم يمين الطاعة
والولاء له. فصالحهم. ثم عاد إلى الأجزاء العليا من مملكته ليقتضى على حركات العناصر
المعادية له من بين النوباديين، ثم عاد لشن حرب جديدة ضد البليميين، فاكسح أراضيهم،
وطاردهم من أبريم حتى الشلال الأول^(٢). ويبدو أن حملته الأولى كانت ناجحة، ولكنها لم
تكن حاسمة^(٣). ولهذا اضطر للقيام بحملته الثانية بعد عودته من الجنوب، فأحرز نصراً
حاسماً ضد البليميين، واحتل كلابشه وتافه اللتين لم يتح لملك نوبى من قبل أن استولى
عليهما منذ احتلال البليميين لهذه المنطقة أواخر القرن الرابع الميلادى، كما قضى على
منافسيه من زعماء النوبة. ولهذا أطلق على نفسه ملك النوباديين وجميع الأثيوبيين^(٤).

(١) وأول من قام بنشر هذا النقش هو «جور» Gau فى كتابه «آثار النوبة» وناقش نوبهر Niebuhr محتويات
هذا النقش. وهناك نسخة أخرى حصل عليها كل من ليمويس وكايو، وشرحه كل من ليترون Latronne
وريفيو Revilleot شرحاً وافياً. أنظر ملحق رقم ١. Budge, op cit. p. 292.

(2) De Villard, : op. cit. pp. 56 - 57.

(3) Woolley - Maciver. P. 98.

(4) Budge: op. cit. p. 293.

اعتقاد وامانه وكان يجى اليه عدة دفعوع فيتواضع
له ويسلم عليه.

وفى سابع سنة من بعد تقدمته وهى خمس مايه
واربع وخمسين للشهداء، اظهر الله علامة عظيمة
فى السما، وظهر نجم عظيم فى المشرق وينتهى إلى
المغرب مثل السيف الذى يلمع، واقام اياما كثيره
وكانو الناس يقولون: ما راينا مثل هذا قط فما
عسى ان يكون من هذا النجم.

وعلى الرغم من أن سلكو عزا انتصاراته على البليسمين إلى الله، إلا أن النص لا يشير
صراحة إلى اعتناقه المسيحية. ومن المرجح أن كاتباً قبطياً على جانب عظيم من الثقافة تولى
كتابة هذا النقش على جدران معبد كلابشه^(١). ومما يزيد الشك فى تنصره أن النقش يحمل
صورة ملك النوبادين فى زى فرعونى تزيه صور الآلهة^(٢). ولا يشير النص أيضاً، إذا كان
سلكو صالح البليسمين بعد حملته الثانية كما فعل عقب حملته الأولى واستولى على بعض
مدنهم وترك لهم بعضها، أم طردهم نهائياً من تلك المنطقة. ومما لاشك فيه أن البليسمين لو
تركوا بهذه المنطقة أو بعضها، لما سمحوا بوجود هذا النقش على جدران معبدهم^(٣).
والأرجح أنه تم لسلكو طرد البليسمين من النوبة السفلى ومنها اتجهوا إلى الصحراء الشرقية.
ويؤيد هذا ما ذكره بروكويوس أن شعوباً كثيرة من بينها النباطيون والبليميون تعيش فى
المنطقة الممتدة من أكسوم إلى الحدود المصرية عند الفنتين، بيد أن البليسمين يسكنون الجهات
الوسطى ويحتل النباطيون ضفتى النيل^(٤). وعليه فإن النباطين أصبحوا السكان الجدد لمنطقة
النوبة السفلى. ويرى رفيو Revillout أن احتلال النباطين لهذه المنطقة ما كان ليتحقق دون

(1) De Villard; op. cit. p. 57.

(2) Kirwan, L.P.: LAAA. op. cit. P. 85.

(3) Beckett, H. W. : ASN, op. cit. P. 365.

(4) Procopius: op. cit. P. 185.

وبعد ايام جاء [ء] وباء [ء] عظيم على البهايم ،
وكانت الدواب تموت للوقت في الغيطان وفي
ساير المواضع الى ان لم يبق لحد من اهل مصر
دابه ، ولم يجدو ما يعملون عليه اعمالهم ، ولا يقدر
احد ان يمشى في الازقه الا بعد ان يسد انفه من
كثرة جيف الدواب ، حتى ان الزرع انقطع وقلت
الثمره ، وكانت ارض مصر في حزن عظيم .

ثم عاد الوباء على الناس وفنوا مثل البهايم كما

طرد البليميين عنوة . ذلك أن بروكويوس وهو المعاصر لهذه الاحداث حدد مواطن البليميين
تحديدا جغرافيا يختلف عما ذكره أوليميودوروس^(١) .

ويبدو أن البليميين يمثلون الشعبة الشمالية للبجا الذين ظل اسمهم عاما على هذه المنطقة
كلها طوال العصور الوسطى^(٢) . وأخذ البليميون (البجا) ينظمون حياتهم الجديدة في
الصحراء الشرقية بالسيطرة على وسائل النقل والتجارة بين النيل والبحر الأحمر^(٣) .

وعلى هذا يمكن القول إن الانقسام بدأ يدب في صفوف البليميين منذ هزيمتهم على يد
فلورس^(٤) ، على حين استفاد النباطيون بعد انفصالهم عن البليميين ، فمارسوا سياسة مستقلة
وحصنوا مراكزهم في بلادهم وتوسعوا ناحية الجنوب . ثم بدأ اتصالهم من جديد بالبيزنطيين

(1) Woolley - Maciver: Op. cit. p. 98.

Trimingham, G. S. : op. cit. P. 47.

Beckett, H. W.: op. cit. P. 366.

(2) Ibid: op. cit. p. 351.

جاء في اللوحة التي تركها عيزانا ملك أكسوم بعد هجومه على مروي أسماء الشعوب التي خضعت له
ومن بينها البجا ، وهو الاسم الذي عرف به سكان الصحراء الشرقية في العصور الوسطى (أنظر حاشية
رقم ٢٢ ص ٢٩) De Villard: p. 60.

(3) De Villard: op. cit. P. 59.

(4) Moric, L.J. : Histoire de l'Ethiopie, Tome I, er. P. 410.

قال داود عن اهل مصر: انه لم يوفّرهم من الموت
ولا دوابهم .

وكان ابونا لا يفتر من البكا على الناس والبهائم
ويطلب من الله بدموع ويقول : يارب لقد حولت
وجهك عن شعبك لجل ذنوبي، ولا تفعل معهم
مثل اثمى وادركهم عاجلا برحمتك وخلص
شعبك وجدد وجه الارض، الهم محب البشر.
فسمع الله صلاة عبده ونقل [بدل] غضبه الى

بفضل ثيودور أسقف فيلة، وهو الذى قام بدور الوسيط بينهم وبين البيزنطيين، وسواء أكان هذا
التوسط عن طريق الاقتناع أو بذل المال، فإنه نجح فى حمل سلكو على مسيرة البيزنطيين مما
دعاه إلى محاربة حلفائه القدامى وطردهم من وادى النيل^(١). وربما تم هذا بمساعدة القوات
البيزنطية بقيادة نارسيس Narses.

لا شك أن الوفاق البيزنطى النوبى الجديد، شجع جستينان على القضاء على آخر مظهر
من مظاهر العبادات المصرية فى فيلة، فما كادت تنقضى مدة الهدنة حتى أمر قائدة نارسيس
باغلاق معبد فيلة، وإرسال تماثيل الالهة إلى القسطنطينية، ومجن جميع كهنته^(٢) حوالى
عام ٥٤٣ م. ثم عهد إلى ثيودور الإشراف على الطقوس الدينية فيه بعد تحويل هيكله إلى
كنيسة.

ولا شك أن الوفاق البيزنطى النوبى أدى إلى كسر شوكة البليمين الذين كانوا عقبة فى
سبيل تقدم المسيحية إلى بلاد النوبة التى أصبحت بعد طردهم مهياة لقبولها^(٣).

(1) De Villard: op. cit. P. 58.

(2) Procopius: op. cit. P. 189.

(3) Maspero, J. : "Theodore de Philai", Rev, de l'hist. des rel, 49. PP. 299 - 317.

سلامه على الناس والبهايم وعرفهم انه القادر على كل شىء.

وكرت الناس فى ارض مصر والبهايم، ونسو ما كان، حتى البهايم كانت تلد زوجا زوجا حتى صار الناس والبهايم كان لم يمت أحد ولا هلك شىء منهم.

اريد ان اذكر لكم شيا من جهاد هذا الاب وتعبه الذى تعب له لى تسمعوا وتمجدوا الله الذى

دخول المسيحية بلاد النوبة

انتشار المسيحية فى مصر ■ الاضطهادات الدينية والصراع المذهبى وأثرهما فى بلاد النوبة ■ المسيحية المبكرة عند النوبيين والبعجه ■ أثر كنيسة أسوان ■ التبشير فى بلاد النوبة، وسائله ومراحله ■ طبيعة المسيحية فى بلاد النوبة ■ تحويل للعابد إلى كنائس ■ المسيحية فى أوطان البعجه.

يحيط هذه المرحلة من مراحل التاريخ النوبى كثير من الغموض لقلة المصادر^(١). والقليل الذى كتب عن بلاد النوبة فى العهد المسيحى، إنما جاء فى إشارات عرضية على لسان بعض مؤلفى العصور الوسطى، وبالقدر الذى يتطلبه تحديد علاقة هذه البلاد بمصر أو بالعالم الخارجى. وهذه الإشارات العرضية القليلة لم تخل أحيانا من مبالغات أو تحريفات قد تتعارض أحيانا مع الآثار الباقية من العهد المسيحى فى بلاد النوبة، وهى آثار قليلة لم تدرس بعد دراسة كافية^(٢). أما كتابات أهل النوبة أنفسهم باللغة النوبية، أو النصوص اليونانية أو القبطية - سواء كانت مكتوبة على البردى أو الرقاق أو شواهد القبور - فمعظمها قصص قصيرة أو أدعيات للترحم على الميت فى قبره. يضاف إلى هذا جملة الأخبار القليلة المبعثرة فى جوف

(1) Griffith, F. L. : "Pakhoras - paknaras - Faras in Geography and History" JEA. XI. P. 268.

(2) Crowfoot, J.W. : " Christian Nubia " JEA. XIII. P. 141.

صنع مع هذا الاب عجايه وخلصه من احزانه
وشدايده.

فلما تنيح انبا اسحاق [ابن اندونه] اسقف
وسيم الذى كان تمسك كرسى مصر، وهو الذى
كان يطلب اولاً البطرقيه، قدم عوضه «بنه»
الشماس بسوال رويسا مصر، وقدم على كرسى
وسيم اخر من اولاده اسمه بقيقه، وتنيح بعد ايام
قلايل، وكان ولد لأسحاق المتنيح اسمه تاودرس،

المخطوطات الكنسية بالاسكندرية أو القسطنطينية، وهى كذلك محدودة القيمة من الناحية
التاريخية^(١).

ويحتاج دخول المسيحية بلاد النوبة إلى كثير من الحذر فى معالجته، ولا سيما عند شرح
الطريقة التى دخلت بها المسيحية، وتحديد تاريخ دخولها ومعرفة دعائها الأول، لأن شيئاً من
هذا لم يعرف على وجه التأكيد، مع العلم بأن معظم الروايات التاريخية ترجع دخولها عن
طريق مصر^(٢).

دخلت المسيحية مصر حوالى منتصف القرن الأول الميلادى على يد القديس مرقس
الإنجيلي^(٣) الذى بنى أول كنيسة مصرية بالاسكندرية، ورسم إنيانوس أسقفها لها^(٤).
واجتذبت المسيحية عدداً من يهود الاسكندرية وبرقة وغيرهم من سكان البلاد من اليونانيين
والمصريين^(٥). وحوالى نهاية القرن الثانى زاد عدد المسيحيين زيادة تطلبت إنشاء ثلاث

(1) Roeder, G. : "Die Christliche Zeit Nubiens und des Sudan" ZK. XXX III. P. 365.

(2) Somers Clarke: Christian Antiquities in the Nile Valley P. 8. Budge. E.A.W · P. The
Egyptian Sudan, II P. 288.

(3) Ibid. : op. Cit. P. 288.

(4) Butcher. E.L. : The Story of The Church of Egypt, I. PP 19 - 21.

(5) Budge, E.A.W.: op cit p. 278.

وهو الاسم المتفق لتلاته اساقفه جلسو على كرسى مصر، وهذا كان يطلب كرسى وسيم وما يرضى به الشعب، ولم يرد الاب ان يوسمه بغير اختيار الشعب، وكان فى مصر فى ذلك الزمان وال اسمه على ابن يحيى الارمنى (*) من قبل ابي اسحاق ابرهيم المعتصم ابن هرون الرشيد اخى عبد الله المأمون، فترك تاودرس خوف الله ومضى الى الوالى ووعد به مال لكى يقهر [يغصب] البطرك

(*) تولى صلاة مصر من قبل اشناس التركى وزير المعتصم فى يوم الخميس الرابع من فبراير سنة ٨٤١ = ٧ ربيع ثانى ٢٢٦ . انظر الهامش السفلى الوالى رقم ٩٦ .

أسقفيات^(١) فى الاسكندرية والوجهين القبلى والبحرى. وانبرت المدرسة الفلسفية بالاسكندرية للوقوف فى وجه الدعوة الجديدة، ونشطت فى جمع الكتب الفلسفية وتأليفها لصرف الناس عن المسيحية^(٢). ثم بدأ الأباطرة يحسون بالخطر الذى يهدد الدولة الرومانية من هذا الدين الجديد، فأصدر الامبراطور ساويرس مرسوما ٧٠٢ م، يحرم فيه على رعاياه الدخول فى الديانة المسيحية والدين اليهودى^(٣).

لم يضعف هذا المرسوم من قوة الدعوة، بل أدى إلى ازدياد إقبال المصريين عليها. ولم يكف منتصف القرن الثالث الميلادى حتى زاد عدد الأسقفيات إلى عشرين أسقفية فى الوجهين البحرى والقبلى^(٤).

لقيت المسيحية فى مصر بيئة صالحة للنمو والانتشار، لأنها كانت تعبيرا قويا لنزعة قومية ضد الرومان، بدليل تمسك المصريين بلغتهم القبطية التى غدت فيما بعد لغة الكنيسة^(٥)، فضلا عن التنظيم الكنسى الذى انفردت به الكنيسة المرقسية منذ نشأتها وخاصة فى ترتيب

(1) Ibid. : op. cit. p. 288.

(٢) بشار - كتاب تاريخ الأمة القبطية وكنيستها - تعريب تادرس شنوده ص ٥٨ - ٥٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٤ .

(4) Budge, E. A.W. : op. Cit . P. 289.

(5) Bonet - Mauray : L'Islamisme et le Christianisme en Afrique. p. 37.

على ان يقيمه اسقفا، فارسل الوالى يسال عن
الاب البطرك ويساله فيه، وكان يقول: انه لا يصير
اسقفا ابدا. وقاوم الوالى وقال: ما اتمكن من هذا،
فحقن عليه حنقا عظيما لاجل ما وعده به وبدا ان
يهدم بيع فسطاط مصر، فاول ما ابتدا جا الى
البيعه التى فى قصر الشمع التى تسمى المعلقة
فهدموا اعلاها حتى وصلوا الى الاسطوان، وكان
الاب البطرك يحزن حزنا عظيما ويقلق ويبكى
بدموع مرة كما قال داود النبى: ايها الرب الاله

الوظائف الكهنوتية وهى الأسقفية والقيسية والشماسية^(١)، علاوة على انتشار الديرية
والرهبنة، ظهور مدرسة اللاهوت بالاسكندرية، التى انبرت للرد على مدارس الفلسفة اليونانية.
ومن هذه المدرسة اللاهوتية، قاد رواد المسيحية الأول البعثات التبشيرية إلى البلاد المجاورة^(٢).

تعرض المسيحيون فى مصر لسلسلة من الاضطهادات الدينية على عهد الامبراطور دسيوس
Dicius سنة ٢٥٠ م، ثم فى عهد فالريان Valerian (٢٥٣ - ٢٦٠ م) ودقلديانوس (٢٨٤ -
٣٠٥ م) الذى كان أشدهم عنفا فى محاولة القضاء على المسيحية وأنصارها^(٣)، لما فى الدين
الجديد من تهديد للوحدة الامبراطورية، وفى عهد دقلديانوس خاصة هجر المصريون المسيحيون
مساكنهم واتجه بعضهم إلى منطقة طيبة الممتدة من الأقصر الحالية إلى أسوان، وهى المنطقة
التي لم يستطع الرومان إتمام السيطرة عليها، بسبب الحركات البليمية المعادية لهم منذ القرن

(١) بنشر - نفس المصدر ص ٢٩.

(2) Bonet -Mauray : op. cit. p. 37.

(3) Budge. E.A.W. : op. cit. PP. 289 -290.

Bell, H. I. : HTR, 37, PP. 185 - 208

اله القوات حتى متى تغضب على صلاة عبدك،
اطعمتنى خبزا بدموعى، وسقيتنى دموعا، وجعلتنى
مقالة [عبرة] لمعارفى وهزوا [عا] وطنزا [سخرية]
لاعدائى، يارب الاله القوات ارجع يارب واضى
وجهك علينا فنخلص .

جزء من هتيج الكنيسة المعلقة من القرن
الرابع - الخامس يمثل استقبال المسيح.



الثالث الميلادى (١). واتجهت جماعات أخرى من المهاجرين المصريين إلى الصحراء الغربية،
فضلا عن اتجه منهم إلى منطقة النوبة السفلى والوسطى، واستقروا فى جزر النيل وبين ثنايا
التلال والصخور على جانبي النيل، حيث مارسوا عبادتهم الجديدة فى اطمئنان بعيدا عن
ضغط الرومان (٢).

وغدا إقليم طيبة مركزاً للدعوة المسيحية فيما حوله من أقاليم، وخاصة بلاد النوبة السفلى.
وأنشئت فيه الأديرة، التى ازداد عددهم منذ القرن الثالث الميلادى، ومنها دير أحميم
«بانوبوليس». والراجح أن المصريين المسيحيين، لم يركنوا إلى حياة العزلة والانطواء فى طيبة،
بل اختلطوا بالسكان وزينوا لهم الدخول فى المسيحية.

أما فى الصحراء الغربية حيث توجد الواحة الخارجة، فإن المسيحية شقت طريقها إليها منذ
القرن الثالث الميلادى، ولجأ إليها كثير من الأقباط فراراً بدينهم وحياتهم، وشارك المسيحيون
القدامى إخوانهم المهاجرين فى مشاعرهم، ومدوا لهم يد المساعدة، وفى القرن الرابع الميلادى،
زاد عدد المسيحيين فى تلك الواحة زيادة تطلبت إنشاء أسقفية بها (٣).

(١) أنظر ما سبق ذكره.

(٢) تعتبر منطقة النوبة الوسطى جنوبى الشلال الثانى أنسب الأقاليم لحياة هؤلاء المهاجرين لصعوبتها وخاصة
المنطقة المعروفة ببطن الحجر .
Budge, E. A.W P. 290.

أنظر كذلك .
Dunbar, J.H. : "Betwixt Egypt & Nubia". AE. XIV P. 109.

(3) Ahmad Fakhry: the Necropolis of El Bagawat in Kharga Oasis. P. 12.

وكان يتنهد يتنهد عظيم بحزن قلب لاجل
هدم البيعة. وان قوما تقدموا الى الاب وقالوا له: الى
متى تمسك ولا تصلح هذا الانسان اسقفا حتى
يتهدم جميع البيع وقد نظر الله حرصك
واجتهادك على الحق فافعل مع هذا الذي جعل
توكله على السلطان فيما طلبه والله يستفل به
وظلمه على راسه.

فرضى بما قالوه الشعب. ولم يتخل الوالى عن
الغضب وطالب الاب بمال وقال: ما ارفع الهدم

وللواحة الخارجية أهمية خاصة في نظر الرومان، لوقوعها على الطريق التجارى بين مصر
والسودان (درب الأربعين) من ناحية، وبين وادى النيل وشمال أفريقيا من ناحية أخرى. لهذا
أقيمت بها القلاع لتأمين القوافل المارة به، كما حفرت بها الآبار، وأنشئت بها المعابد. ومن
الواضح أن دخول المسيحية إلى تلك الواحة في هذا الوقت المبكر أتاح للمبشرين فرصة
التعرف والاتصال بالتجار من النوبة وغيرهم، وأن رجال القوافل التجارية المارين بالواحة
الخارجية، قاموا بالدعوة للدين الجديد بين من اتصلوا بهم من سكان النوبة، ونقلوا أخبار
الصراع بين الرومان والمسيحية في الإسكندرية إلى عملائهم وذويهم في الجنوب^(١). ولا يبعد
أن يكون هؤلاء التجار سهّلوا للفارين من المصريين أمر الهروب والالتجاء إلى أقاليم النوبة، وأن
التبشير للمسيحية بين النوبيين يرجع إلى هذا الوقت المبكر من تاريخ المسيحية.

وفي أوائل القرن الرابع الميلادى، اجتذبت المسيحية إلى صفوفها أعدادا كبيرة برغم ما نزل
بهم من اضطهاد في هذا الحين على يد كل من جاليريوس Galerius (٣٠٥ - ٣١١ م)
ومكسنتيوس Maxintius (٣٠٥ - ٣١٣ م) بدليل ما لقيه أنطونيوس الكبير في عام ٣١١ م
من نجاح منقطع النظير في التفاف المريدين حوله حتى أمس قوة يخشى بأسها في مصر^(٢).

(1) Budge, E.A. W. : A Hist. of Ethiopia..., op. cit. L., p. 113.

(2) Budge, E.A.: The Egyptian Sudan. op. cit p. 290.

عن البيع الا بتلته الاف دينار، فقلق الشعب
والاساقفة الحاضرون معه وقالو: يا ابانا لا يضق
صدرك نحن نقوم بهذا المال فقسطه علينا لتسلم
البيع ولا يلحقها شئ فتقدموا الاراخنة الى الوالى
وضمنوا له القيام بتلته الاف دينار، فهذا غضبه
وامر بقسمة الاسقف فاقسمه الاب، وقال من
عمق قلبه على الوالى كما قال داود النبى فى
المزمور الخامس: «الانسان الظالم يرذله الرب وهو
يصنع حكم الفقراء». وقال ايضا الكلمة التى فى

ثم كانت أيام قسطنطين الأكبر (٣١٣ - ٣٣٧ م) الذى لم يكذب يحرز النصر على منافسه
وخصمه مكسنتيوس حتى أظهر ميله للمسيحية، وأصبحت الكنيسة متمتعة بحماية السلطات
المدينية. ومع أن الامبراطور لم يعتنق المسيحية رسميا ولم يسمح بتعميده إلا وهو على فراش
الموت سنة ٣٣٧ م، فانه بذل كل ماله من سلطة ونفوذ فى خدمة الديانة التى جاءت له
بالظفر فى أرجاء ايطاليا^(١). ففى مصر جاهر الأقباط بدينهم، ومارسوا عبادتهم فى غير ضغط
أو إكراه، وحولوا معظم المعابد المصرية إلى كنائس^(٢) واستولوا على أوقافها وأملاكها. وجاء
فى كتاب حياة قسطنطين الذى ألفه يوسيبوس Eusebius أن المسيحية دخلت أثيوبيا على يد
البعثات التبشيرية الدينية التى أوفدها كنيسة الاسكندرية على عهد قسطنطين الأكبر^(٣).
ومعنى هذا أن البعثات التبشيرية الرسمية بدأت نشاطها فى بلاد النوبة، فى عصر مبكر يرجع
إلى القرن الرابع الميلادى^(٤).

(١) فشر: تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى القسم الأول - تعريب الدكتور محمد مصطفى زيادة ص ٦ - ٧.

(٢) دليل المتحف القبطى: ج ٢، ص ١٤٠.

(٣) انظر الفصل السابق، وانظر: Trimingham, J.S.: op, cit. P. 49.

لقلا عن Eusebios: vit. Constantini P. 8.

(٤) تبدأ أخبار البعثات التبشيرية الرسمية فى القرن السادس الميلادى - كما سيبنى بعد - انظر ص ٥٦ وما
بعدها، واختلط على الكاتب أن أثيوبيا تشمل بلاد النوبة أيضاً، لأنها كانت فى نظر القدماء كذلك. على
أن المقصود هنا هو دولة أكسوم (الحبشة).

ناموس موسى: «فى يوم النعمة اجازيهم فى يوم
تزل اقدامهم». وقال ايضا: «فى يوم هلاكهم انا
اجازيهم وادين الاعداء والمبغضين». وكان كل احد
يعلم ان كلامه كالنبوءة، وكانو يقولون ما ترى
يكون بعد هذه النبوة.

ثم ان هذا الوالى بعد قليل ارسله السلطان الى
بلاد الروم يغزو فيهم، فسبى منهم واخذ بلادا ثم
عاد فارسله تانى دفعه، فخرج عليه قوم من الروم
فقتلوه اشر قتله وجميع عسكره، كما كان الاب

وكيفما كان المحتمل وغير المحتمل، فان المسيحية أخذت تتسرب تسربا نظيما بطيما إلى بلاد
النوبة منذ أواخر القرن الثالث الميلادى، ولم ينقطع سيل الوافدين المسيحيين إلى بلاد النوبة.
وأخذت هجرة الجماعات المصرية المسيحية إلى الجنوب تزداد تدريجيا لما نالها من اضطهاد
بسبب الخلاف الذى نشب بين المسيحيين حول طبيعة المسيح^(١)، حتى تطلب الأمر إنشاء

(١) اختلف كل من آريوس وأثناسيوس حول طبيعة المسيح، وتدخل قسطنطين لحسم هذا الخلاف، وعقد
مجمع نيقية سنة ٣٢٦م، حيث نجح قساوسة مصر وتأييد مذهبهم ثم أثار قساوسة القسطنطينية هذا
الموضوع من جديد، ونجح كيرلس بطريرك الكنيسة المرقسية على خصمه نسطورس بطريرك القسطنطينية
فى مجمع افسس الأول سنة ٤٣١م، بعد أن استمال إليه الإمبراطور ثيوداسيوس الثانى روما، ثم مالبت أن
ثار الموضوع مرة أخرى، ونال قساوسة مصر والشام وعلى رأسهم ديوسقورس بطريرك الاسكندرية نصرا
جديدا فى مجمع افسس الثانى سنة ٤٤٩م وخضع هذا النصر قساوسة الاسكندرية، فبالغوا فى تقدير
ديوسقورس إلى درجة أحفظت بابا روما ليو الكبير. ولهذا أصدر ليو قرارا يتعارض مع مذهب الكنيسة
المرقسية، وانحاز الامبراطور ماركيان إلى هذا الرأى، وتقرر عقد مجمع دينى فى خلقيدونية سنة ٤٥١م،
وفيه تقرر عزل ديوسقورس، وأقر المؤتمرون الصيغة البابوية. ومن أخطر نتائج خلقيدونية تكفير رجال
الدين فى كل من مصر والشام. فتكونت فيهما شيع معادية للإمبراطور وتحول النفور الدينى إلى نفور
سياسى. وبخروج كنيسة الإسكندرية منهزمة أتاح الفرصة للإمبراطور لبسط سيطرته على الكنيسة
البيزنطية. وأطلق على الأقلية المصرية التى قبلت قرارات خلقيدونية اسم ملكانيين واشتدت معارضة
المصريين لقرارات خلقيدونية، واضطرت الدولة إلى تجريد حملات حرية لقمع حركاتهم، ونزل
بالمصريين اضطهاد شديد، استمر حتى الغزو العربى لمصر. أنظر:

Groves, C.P. : The Planting of Christianity in Africa, I PP. 4f3 - 46.

قال من اجله . وعند ذلك [زوال التعب عن البيع
وتجديد ما قدم هدم منها ، واهتمام المومنين بها
وعمارتها إلى أن صارت خيرا مما كانت أولا وابهج ،
لان البيعه هي التي على الصخره لا يقهرها شى
وهي تقهر وتهلك من يعاندها .

كان الاب يقول كما قال داود النبى : يارب من
يشبهك اوريتنا شدايد عظيمه ورجعت احييتنا ،
ومن عمق الارض اصعدتنا ، وايضا نزع الرب
مسحى والبسنى سرورا وجعل نوحى الى فرح .

أسقفية فى فيلة فى القرن الرابع الميلادى ^(١) . هذا فضلا عن إنشاء عدد من الأديرة والكنائس
فى منطقة طيبة وأسوان .

* * *

لكن إلى أى حد تأثر النوبيون والبيميون بهذه المراكز المسيحية التى نشأت بالقرب من
أوطانهم فى القرن الرابع الميلادى ، مع العلم بأنه ليست لدينا وثائق أو أخبار موثوق فى صحتها
عن نشاط تبشيري رسمى ببلاد النوبة قبل القرن السادس الميلادى ؟ أما المعلومات السابقة لهذا
التاريخ فمنها ماورد فى كتاب الكاتب العربى أبى البركات من قيام أنى Ani أسقف
الإسكندرية بتعميد بعض النوبيين فى القرن الأول الميلادى ، وربما كان المقصود بهم أولئك
النوبيين الذين يعيشون فى مصر للعمل بها كما يفعلون اليوم ، أو ربما كانوا ممن يعيشون فى
جهات الأطراف مثل فيلة وأسوان ، أو بعض أفراد مثل وصيف كنداكة ملكة مروي ، الذى
عمدة الأسقف قليبوس فى القرن الثانى للميلاد ^(٢) . وفصلا عن هذا توجد مجموعة من

(1) Laturette, K. S. : AHistory of The Expansion of Christianity, II. P. 232.

(2) Roeder, G. op. : cit. PP. 376 -77.

تذكر بعض الروايات أن المسيحية دخلت بلاد النوبة على يد المبشرين المصريين فى القرنين الأول والثانى
للميلاد بدليل أن بطريرك الكنيسة المصرية منذ عهد المسيحية الأول يحمل لقب بطريرك الإسكندرية -

وكان اسقف مصر [بنه] يلتمس من الاب
البطرك زيادة تقدمه.

وكان انسان قاض بمصر اسمه محمد بن عبد
الله، وكان ذلك الرجل فى كلما يعاينه يرا[ء]يه
فيه، وكان مخوفا لا يقدر احد ان يقاوم كلامه
لانه كان عند جميع المسلمين مثل الفقيه والامام
وعارف بمذهبهم، ويفعل افعالا مذمومة سرا،
وكان محبا لشراب النبيذ وسماع الغنى، واقتنى

القصص التى تصور حياة الرهبان فى الأديرة المصرية على أطراف مصر الجنوبية وعلاقاتهم
بالنوبيين والبيميين. ويبدو أن لهذه القصص أساسا تاريخيا يتصل بحركات هذه الجماعات
ضد الرومان منذ القرن الثالث الميلادى، وتعرض الأديرة المصرية أحيانا لهجمات تلك
الجماعات. وتصور هذه القصص وغيرها محاولات الرهبان كسب ود هذه الجماعات ومحاولة
تنصيرهم والتمتع بحمايتهم وتجنب أذاهم. ومن هذه القصص أربعون قصة نشر منها كرم
Crum ثلاثا وثلاثون. وتروى القصة الثانية والثلاثون منها نبوة راهب يدعى مرقوريوس بإغارة
النوبيين على إحدى الأديرة المصرية، ونصحه أنستاسيوس كبير رهبان الدير بضيافة أولئك

= والديار المصرية والنوبة والحبشة والخمس مدن الغربية تجمعها الكلمات الثلاث المنقوشة على خاتمه
«بطريك الكرازة المرقسية» أنظر دليل المتحف القبطى ج ٢ من ١٤٠، وجاء فى كتاب: Maspero, J.:
Histoire des Patriarches D'Alexandrie p. 382 أنه أطلق عليه لقب بطريك الإسكندرية والحبشة
والنوبة والخمس مدن الغربية والبلاد الأخرى التى بشر فيها القديس مرقس، وتأيد هذا اللقب فى مجمع
ليقية الأول سنة ٣٢٥م ومجمع القسطنطينية الثانى سنة ٣٨١م. وذكر أيضا فى تاريخ البطارقة
والسنكسار فورد فى تاريخ حياة الأنبا ديمتريوس البطريق الثانى عشر (١٨٩ - ٢٣١م) أنه رئيس أساقفة
مصر والخمس مدن الغربية والنوبة والحبشة. وأما الخمس مدن فهى برقه وتونس وطرابلس الغرب وفريجيا
(أفريقيا) والقيروان. عن كتاب السلم الكبير، لشمس الدين بن كبر قسيس المعلقة. غير أن أخبار هذا
التبشير المزعوم لم يرد عن نص صريح فى المراجع الكنيسة.

الجوارى الحسان، واحب اللذه والزنا بلا خوف
من الله ولا حيا من الناس، كقول الانجيل عن
مثله: وكان الله يصبر عليه ويمهله ويزيده يوما
مقداره الف سنة. وهو مستمر على جهله وشتمه
لاهل هذا المذهب الارتدكسى وغيره من مذاهب
المسيح، ويحلف عليه، ففاتح الاب البطرك عدة
دفعات ويخزى عليه فانزل الله فعله على هامته
كقول داود فى المزمور: افص غضبك على الامه
التي لا تعرفك.

المغيرين، لأن أميرهم سوف يصبح راهبا وقديسا. وفى القصة الثالثة والدلائل تتحقق النبوة
كاملة. وتتحقق حماية الدير على يد هذا الأمير النوبى. ويتضح فى نهاية القصة أن مرقوريوس
هذا هو الذى تولى تنصير هذا الأمير النوبى وأتباعه خلال رحلة تبشيرية قام بها فى بلاد
النوبة^(١). وعلى الرغم من أن تاريخ هذه القصص غير معروف تماما، وأنها مكتوبة بلغة عربية
فى عصر متأخر^(٢)، إلا أنها تعتبر ترديدا لنوع من الروايات التى احتفظت بذكرى التبشير فى
بلاد النوبة فى وقت مبكر ربما يرجع إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادى، وهو الوقت الذى
طُفح بأخبار الإغارات النوبية البليمية المشتركة على أطراف مصر الجنوبية قبل أن يعقد معهم
القائد الرومانى مكسيمينوس صلحا فى عهد الإمبراطور ماركيان^(٣).

(1) Crum, B. W. E. : ANobian Prince in an Egyptian Monastery in Studies Presented to
Griffith, F. L. I. PP. 137 - 148.

وتعرف هذه القصص باسم بساتين الأبا الرهبان - فردوس النعيم - الأربعين خبر التى للأبا الرهبان بوادى
هيب وغيره

(٢) الراجع أن هذه القصص قديمة ترجع إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادى وأنها مكتوبة باللغة القبطية
أو اليونانية ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغة العربية حين ترجمت بعض طقوس الكنيسة المصرية إلى اللغة
العربية.

(3) Kirwan, L. P. : LAAA, XXIV. PP. 92 - 94.

فلما نظر «بنه» [يوحنا] اسقف مصر قوة
القاضى ومكانته من الوالى وامرا المسلمين صادقه
لكى يفعل بما يهواه، ولا يقاومه احد فى حكمه
مثله فى المسلمين فيما يحكم به، صحيحا كان او
خطا [ء] ام محالا. والاب انبا يوساب ما كان يفتر
عن الجهاد فى الحق ويقول: انا اتوكل على الله.
فلا يخاف الا من الله الذى خلقه.

والبطرك قد عرف ما صار بين الاسقف والقاضى

وثمة دليل على نشاط الجماعات المسيحية الأولى بمنطقة أسوان وجزيرة فيلة وجهودهم
بمنطقة النوبة السفلى، هو ما تذكره وثيقة قبطية ^(١) عن بعثة تبشيرية ^(٢) إلى تلك البلاد فى
القرن الرابع الميلادى، ولهذه القصة أهمية خاصة لأنها توضح العلاقة بين رجال الدين
المسيحيين وجيرانهم النوبيين ^(٣).

.....
(١) Ibid. op. cit, PP. 95 - 96:

(٢) إن هذه البعثة التبشيرية - لوصحت - فهي بعثة غير رسمية، أى أنها غير صادرة عن الكنيسة العامة أو
الحكومة البيزنطية.

(٣) تشير هذه الوثيقة إلى زيادة راهب اسمه بافتوليوس لراهب آخر عجوز يعيش فى جزيرة بالجنادل الأولى
ويدعى إسحاق، وهو وتلميذ لناسك مشهور فى هذا الإقليم اسمه أنبا هارون. وحدث إسحاق زائره عن
أن سكان فيلة واوزوريون وقليل منهم مسيحيون، وهؤلاء هم المضطهدون من جيرانهم. ويزورهم رهبان
أسوان وفيلة مرة فى كل أسبوع لتعليمهم قواعد الدين، فأرسل مقدونيوس وهو موظف روماني تقريراً
بهذه الأخبار إلى أثاناسيوس بطريرك الإسكندرية (٣٤٤ - ٣٩٠م) فعينه أسقفاً حتى يستطيع أن يقوى من
شأن المسيحية فى هذه المنطقة، ثم خلفه مرقس واسحاق.

Kirwan, L.p. : op. cit. P. 95.

Maspero, J. : op. cit. P. 382.

(*) نل بسطه : قرب الرقازيق.
طخا. قرب سمالوط.
البهنسا مركز بنى مزار.

فبدا القاضى ان يتفكر ماذا يفعل بالبطرك من
السو، فامر القاضى فى بعض الايام باحضار الاب
البطرك وكان عنده اساقفه يوميذ وهم مساعدون
«لبنه» اسقف مصر واسما هم : انبا بخوم اسقف
بسطه(*)، وجرجه اسقف طخا، وجرجه ايضا
اسقف اهناس(*)، وزخريا اسقف البحيره، ومينا
اسقف البهنسا وقوم اخرون فقال القاضى للبطرك
عند حضوره اليه: من جعل لك السلطان ان تكون
ريسا على جميع النصارى . فقال له البطرك : الله.

(*) اهناس : اسم لموضعين بمصر فى
الصعيد. ويذكر ياقوت الحموى
فى تعريفه لها ما يلى : واهناس
هذه قديمة أزلية... وهى على
غرب النيل ليست بعيدة عن
الفسطاط. وذكر بعضهم أن=

وفضلا عن هذا فإن ثيودور Theodore أسقف فيلة وأسوان (١) قام بدور هام فى التمهيد
لدخول النوبيين جميعاً فى الدين المسيحى فى القرن السادس الميلادى. وذلك أنه عاش فى هذه
المنطقة أكثر من خمسين عاماً تعرف خلالها إلى زعماء النوبيين وتوثقت الصلة بينه وبينهم
خلال زيارته المتعددة لبلادهم. ويبدو أنه قلم بدور الوسيط بين هذه العناصر النوبية التى تزعمها
سلكو وبين الدولة البيزنطية، وأنه ساعد بذلك على طرد البليميين من منطقة النوبة (٢)،
لاستمرار مقاومتهم للبيزنطيين فى منطقة طيبة (٣).

من الوسائل التى لجأ إليها البيزنطيون لترغيب البليميين فى المسيحية، أنهم أقطعوهم إقطاعاً
بمنطقة طيبة، يؤيد ذلك ثلاث وثائق مكتوبة باليونانية على رق غزال، وربما ترجع إلى القرن

(١) De Villard : op. cit. P. 56. وتولى ثيودور أسقفية أسوان بعد أن . كرسه البطريك تيموتاوس أسقفا
سنة ٥٢٦ م. وقد ظل يباشر سلطته حتى وفاته سنة ٥٨١ م وعمر نحو من ثمانين سنة.

(2) De Villard : op. cit. P. 56.

(٣) كثيراً ما هدد البليميون سكان منطقة طيبة المسيحيين، وفى القرن الخامس الميلادى مثلاً، اضطرو
المشردون منهم إلى الالتجاء إلى دير إخميم للاحتماء فيه من هجمات البليميين. ويقال أن الآباء شنودة
أوى آلافاً من المسيحيين المشردين إلى دير إخميم حيث رحب بهم وكان يقدم لهم الطعام والشراب مدة
ثلاث شهور.

ثم التفت القاضى الى الاساقفة المذكورين واسقف مصر معهم وقال لهم: لاتسمعوا من هذا البطرك من اليوم ولا تسموه ابا، بل اجعلوا لكم هذا ابا، يعنى «بنه» اسقف مصر، ويكون مقدمكم . فاجابوه الاساقفة: هذا الجيد ما قلت ايها القاضى يكون ما امرت به . وكان ذلك بتقرير منهم مع القاضى ووعدوه بمال يدفعونه اليه . فقال زخريا اسقف البحيره لاينا البطرك: ما قد قلت لك بالامس لا تمنع الاسقف ابا «بنه» يعنى اسقف

=المسيح عليه السلام ولد في اهناس وأن النخلة المذكورة في القرآن المجيد «وهزى إليك بجذع النخلة» موجودة هناك وأن مريم عليها السلام أقامت بها إلى أن نشأ المسيح عليه السلام وسار إلى الشام . انظر معجم البلدان . المجلد الأول ص ٣٧٩ . مطبعة السعادة . القاهرة ١٩٠٦ = ١٣٢٣ هـ . وينسب إليها دحية ابن مصعب ابن الأصبع ابن عبدالعزیز ابن مروان ابن الحكم،

السادس الميلادى . وفي الوثيقة الأولى، أن الملك البليمى شارشن منح أولاده الثلاثة حكم جزيرة تنارى، كما منحهم حق جباية الضرائب بها ^(١) . ويلاحظ أن اسمى الشاهدين البليميين على هذه الوثيقة يحملان علامة الصليب . وفي الوثيقة الثانية أصدر ملك بليمى آخر اسمه باكيمن قراراً بتعيين القيس IEPEUS حكم جزيرة تنارى، وهذا اللقب من الألقاب المعتادة فى الوثائق المسيحية . وقد اقترن اسم الملك فى هذه الوثيقة الثانية بعلامة الصليب، مما يرجح اعتناق أولئك البليميين فى هذه المنطقة للديانة المسيحية ^(٢) . أما الوثيقة الثالثة فهى إيصال باستلام عشرة صلاوى ذهباً ^(٣) .

ويبدو أن منح البليميين إقطاعاً فى الأرض المصرية كان جزءاً من سياسة البيزنطيين فى البحر الأحمر للقضاء على نفوذ الحميريين التجارى فى هذا البحر بالتعاون مع دولة أكسوم المسيحية، فضلاً عن إغراء البليميين بالدخول فى المسيحية والسيطرة على أوطانهم الممتدة جنوب شرقى مصر إلى حدودا أكسوم ^(٤) ولهذا أرسل الإمبراطور جوستن الثانى Justin, II

(١) تقع جزيرة تنارى مقابل قرية الجبلين على بعد خمسة وعشرين ميلاً جنوبى الأقصر الحالية . Emery, W. E. : op. cit PP. 11- 12

(2) Kirwan, L.P. : op. cit. pp. 87 - 91.

(3) Emery, W. E. : op. cit P. 12.

(4) Kirwan, L.P.: op. cit. p. 87.

خرج منها على السلطان وقصد
الواح (الواحات) وغيرها ثم قتل
سنة ١٦٩ هـ. وأهناش الصغرى
فى كورة البهنا أيضاً قرية كبيرة.

مصر ، ان لا يعمل جميع ما يهواه بامر القاضى .
فاجابه ابونا القديس أنبا يوساب وقال له بصوت
مملو خوفا بالقبطى : يا غير فهمين كيف ضللتكم
هذه الضلالة ؟ كيف قبلتم هذا الكلام الذى ليس
له كمال لكن حق ما تنبأ به عليكم بولس
الرسول وظهر جهلكم لما قال : انا لم نفعل حق
الله بفهم ان نتوب من ذاتنا . ولم تطيعوا حق الله .
وكان قوم من الفقهاء جلوسا عند القاضى ومنهم
من يفهم لغة القبطى وكانو يميزون قوة كلام

وبطريك الإسكندرية تيموتاوس رسلهما إلى ملك أكسوم لهذا الغرض وهو حرب
الحميرين^(١). وفى رواية أخرى أن الإمبراطور هدد بإرسال جيش من البليمن والنوبيين لحرب
الحميرين إذا أبطأت أكسوم عن هذا الواجب المسيحى^(٢). ولا يعد أن تكون جزيره تنارى
التي أقطعها الرومان لفريق من البليمن ثمنا لخدماتهم للدولة البيزنطية^(٣)، وقبولهم الدعوة
المسيحية. وما يدل على أن بعض البليمن اعتنق المسيحية ما جاء فى بردية نشرها
ماسبيرو^(٤)، وهى تشتمل على شكوى موجهة إلى حاكم طيبة البيزنطى فلا فيوس ماريانوس
Flavius Marianus ضد الفيلارك فى منطقة طيبة واسمه كلودوس Kallothos أنهم فيها
بتحريض البليمن على إعادته فتح معبد فيلة من جديد والارتداد عن الاعتقاد فى الديانة

(1) Bury, J. B.: History of The Later Roman Empire,, II. P. 324.

(2) De Villard: op. cit , PP. 57 - 58.

استغل الإمبراطور جرمستن حادثة نجران باليمن لإثارة عاطفة ملك أكسوم الدينية ليحرضه على حرب
اليمن ، وامتناع فى ذلك بالبطريك تيموتاوس. أما عن حادثة نجران فيقال إن ذا نواس الحميرى اليهودى
حاصر جماعة من المسيحيين فى نجران باليمن. ولما رفضوا الارتداد عن المسيحية قتل منهم حوالى ٢٨٠
شخصا فى ليلة واحدة. انظر:

Bury, J, B. : op. cit p. 324.

(3) Kirwan, L.P. : op. cit. p. 86.

(4) Ibid. op. cit. p. 89.

البطرك وما يخاطب به الاساقفة، فاعادو على
القاضي جميع ما قاله البطرك، فلما سمع غضب
وقال للاب: انت تظن ان امرى لا يتم . فقال له
ابونا بصوت متضع : هل لك ان تقدر ان تجعل
يدك على الشمس وتستعرضوها؟ فان كنت تقدر
ان تفعل هذا فانت تستطيع ان تفعل ما قلت، او
تقدر ان تقاوم الله وامر مولاي الملك الذى انت من
قبله، وقد قلت انفا ان تقدمتى من الله ليس من
انسان، والان معى سجل من الملك بتقويه يدي

المسيحية والعودة إلى الأوزيرية والراجع من هذه الوثيقة أن فريقاً من البليمن اعتنق المسيحية
بعد إغلاق معبد فيلة سنة ٥٣٥م وأن كلودوس أراد تحويلهم إلى الأوزيرية من جديد^(١).
وكيفما كان الأمر فالواضح أن المسيحية والأوزيرية عاشتا جنباً إلى جنب فى طيبة وأسوان
وفيلة. ولم يشأ البيزنطيون أن يقضوا على الأوزيرية بالقوة قبل منتصف القرن السادس
الميلادى، بل أنهم سمحوا للبليمن والنوبين بممارسة عباداتهم على الرغم من وجود
الكنائس فى أسوان والفنتين^(٢). وينهض دليلاً على وجود هذه الكنائس ما جاء على لسان
برسبيق Priscus، وما تذكره بردية أيون، وما ذكره اليميودورس Alympiodorus حوالى
منتصف القرن الخامس الميلادى، وبروكوبيوس فى منتصف القرن السادس الميلادى^(٣). وذكر
كوزمس Cosmas التاجر المصرى الذى كتب كتابه المعروف^(٤) ما بين سنتي (٥٣٧ -

(1) Ibid. op. cit. p. 89.

(٢) يؤيد هذا ما ذكره برسبيق حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى عن معاهدة مكسيمينوس والسماح
للبيمين والنباطين بالحج إلى فيلة، وما جاء على لسان اليميودورس من ممارسة البليمن للأوزيرية
واحتفالهم به. وفى منتصف القرن الخامس الميلادى أى حوالى ٥٤٥م يحدثنا بروكوبيوس عن ممارسة
هذين الشعبين للأوزيرية ثم يعود ويذكر كيف أنهى جستيان هذه العبادة بإغلاق معبد فيلة لإيزيس

(٣) راجع الفصل السابق ص ٣٧ - ٣٩.

(4) Cosmas Indicopleusets. : The Christian Topography. ed. Mc Crindal, Hakluyt Soc. p.

وانت هو ذا تقول هذا الكلام لهولا الاساقفة الذين
ليس لهم على سلطان بل سلطانى عليهم من الله
والملك، وانفاذ حكمى فى شعبى ورعيتى، ولى ان
اقطع كل من حاد عن الطريق المستقيمه وانفيه.
فلما سمع القاضى هذا منه قال له: كان بيدك
سجل من الملك ان تفعل ما تريد؟ [فقال له
ابونا: نعم] فقال له القاضى احضره الى لاقراه.

وكان له سجلات من الملوك من المامون عبد

٥٤٧م) «أن فى بلاد الحبشة وفى أكسوم ذاتها وفى البلاد المجاورة وعند النوباديين Nobades
الجرمانيين Garamentes توجد كنائس مسيحية وأساقفة ورهبان ونساك»^(١). ويتضح من هذا
النص اعتناق جماعات من النوبيين للمسيحية منذ القرن السادس الميلادى. ولا يمكن أن
تكون المسيحية وصلت إلى تلك الأوطان فجأة بل بالتدريج وعلى مراحل ترجع إلى عهد
الإضطهادات الأولى فى مصر^(٢).

ثم بدأت المرحلة الخامسة من مراحل الدعوة للمسيحية فى بلاد النوبة زمن الإمبراطور
جستيان (٥١٧ - ٥٢٥م). وذلك أن هذا الإمبراطور لم يقنع بأن ينسب إليه القضاء على
معاقل الأوزيرية فحسب - كما فعل فى فيلة عندما أغلق معبدها، أو كما فعل فى أثينا عندما
أغلق المدرسة الفلسفية بها - بل رغب كذلك فى أن يدخل القبائل الأوزيرية على أطراف
إمبراطوريته فى حظيرة الدولة البيزنطية. ولهذا سعى إلى اجتذاب البليمين والنوبيين إلى الديانة

.....
(١) الجرمانتيون هم القرعان وهم شعب رعوى تمتد أوطانهم من فزان جنوباً إلى النوبة مشتملة على صحراء
بيوضة التى كانت تعرف حتى القرن السابع عشر باسم صحراء جوران أو جورهام. وهم يعيشون الآن فى
شمال دارفور.

Kirwan, L. P. : "Christianity and the Kura'an." JBA., XX, PP. 201 - 3.

(2) Trimingham, J.S. : op. cit. PP. 50 - 51.

الله بن هرون الرشيد عند وصوله الى مصر، ومن
ابرهيم [المعتصم] اخيه، ولما ولى هرون الوثائق ولد
إبرهيم سالوه في تجديد سجل لاينا فكتب له،
وهرون الوثائق هو الذى ولى هذا القاضى مصر،
فسلم اليه ابونا السجلات ووقف عليهن وعلم
منهن ثبات من يرشد ممن يحيد عن الواجب
والطريق المستقيم، وخزى القاضى وامتضح، وامر
ابانا بالانصراف مكرما فعجب كل الحاضرين.
وكان جماعه من الاساقفه لا يرضون بهذا وهم

المسيحية ليتسنى له السيطرة على وادى النيل الأوسط^(١). ووضح هذا الاتجاه السياسى عندما
بدأت عملية التبشير الحقيقى ببلاد النوبة على يد رسل الكنيسة المصرية. على أن التبشير
بالمسيحية فى بلاد النوبة فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى كان انعكاسا لصورة
النزاع المذهبى بين الكنيستين المصرية والبيزنطية، وسبقا بينهما لكسب الأنصار. ولما كانت
الكنيسة المرقسية فى مركز لا يسمح لها بخوض هذه المعركة التبشيرية بسبب عزل بطريركها
ثيودوسيوس Theodosius^(٢) ونفيه إلى إحدى مدن تراقيا سنة ٥٣٩م فإن رجالها عزموا
على الاستعانة بالإمبراطورة ثيودورا التى تميل إلى مذهب الكنيسة المصرية وتعطف على
رجالها^(٣). ولذا لم يكذب يصل ثيودوسيوس من منفاه فى تراقيا إلى القسطنطينية بمساعدة
ثيودورا، حتى أخذ يعمل على ما سبق أن عزم عليه وهو تحويل النوباديين Nobades إلى
المسيحية. ومن شاركه هذا الشعور إثنان من رجال الكنيسة المصرية هما يوليان Julian
ولونجينوس Longinus وهما اللذان قاما بالدور الأول فى نشر المسيحية فى ممالك النوبة التى
قامت على أنقاض دولة مروي. وانقسمت إلى ثلاث ممالك مستقلة - مملكة نوباتيا Nobatia
فى الشمال، وتمتد من أسوان إلى قرب الشلال الثالث وعاصمتها فرس، ومملكة مقرة

(1) Kirwan, L.P. : LAAA. op. cit . P. 87.

(2) De Villard : op. cit . P. 54.

(3) John of Ephesus Ecclesiastical History. Beek IV Part III. ed. by Payn Smith., P. 254

مطيعون له واسماهم: مينا اسقف طانه، وشنوده
اسقف صا(*)، وبقية الاساقفة. وكان يدفع لهم
ثمرة شفتيه فيدعولهم ويباركهم، وكان الاب
البطرك يقول عن الاساقفة المخالفين يارب لا تحسب
عليهم خطيه.

(*) صا. هي صا الحجر بمركز كفر
الزيات . وهي من المدن القديمة.
بها آثار للمعابد المصرية القديمة لا
تزال مرئية في جهتها الشمالية.
أما طانه فقد اندثرت وحل محلها
طنايا التي اضيفت إلى منية جنان
مركزه القمح بمحافظة الشرقية،
ثم حذفت اسم طنايا واصبحت
الناحية كلها باسم منية جنان.

ثم ان الشيطان جاب عليه تجربته اخرى [بفعل
اوليك]، وهي ان الاب انبا يوساب كان رحوما لا
يريد هلاك احد من الناس، فجعل الشيطان في

Makoritae وتمتد من قرب الشلال الثالث إلى قرب كبوشية الحالية، ثم علوة Alodia
وتمتد من قرب كبوشية إلى جنوبى الخرطوم الحالية وعاصمتها سوبا (١).

والمصدر الرئيسى لهذه المرحلة من مراحل التاريخ النوبى هو يوحنا الأفسى (٢). ومما جاء
فى كتابه «التاريخ الكنسى» بشأن البعثات التبشيرية إلى بلاد النوبة فى منتصف القرن السادس
الميلادى ، أن يوليان عرض على الإمبراطورة ثيودورا مشروعا للتبشير بين النوباديين Nobades ،
وقابلته الإمبراطورة بسرور عظيم وحماسة شديدة، ووعدته بالمساعدة. وأخبرت ثيودورا زوجها
الإمبراطور بما اعتزمت القيام به على يد يوليان فى بلاد النوبة. بيد أن الإمبراطور ساءه أن
يكون يوليان على رأس هذه البعثة التبشيرية، لأنه من الحزب المعادى لقرارات خلقيدونية (٣)،

(1) Kirwan, L. P. : "A Contemporary Account of the Conversion of the Sudan to
Christianity" SNR., XX, Part II. P. 290.

(٢) يوحنا أسقف أفسس - ولد فى أميدا شمال العراق حوالى سنة ٥١٦ م. كتب كتابه التاريخ الكنسى
باللغة السريانية، استقر ما يقرب من ثلاثين سنة فى مدينة القسطنطينية. وعلى الرغم من أنه من أتباع
الكنيسة المصرية إلا أنه تمتع بثقة وصداقة جستينان، وتقلب يوحنا فى كثير من الوظائف فى البلاط
الإمبراطورى واستفاد من هذا المركز فى تدوين ما يقع عليه بصره ويصل إليه سمعه فى البلاط الملكى فى
بيزنطة. وأولده الإمبراطور فى عدة بعثات إلى القبائل الغير مسيحية فى ليدبا وكيريا وفريجيا
(٣) كان يوليان من رجال الكنيسة المصرية التى عارضت قرارات خلقيدونية وهى القرارات التى لا تتفق ورأى
الكنيسة المصرية فى طبيعة المسيح.

قلب القاضى الظالم الذى قد صار له وعاء] ان
ياخذ غلمان البطرك من الروم والحبش الذين هم
دون البلوغ ويستسلمهم، [يؤسلمهم] وكانو كثير
من الناس لهذا السبب يرفعون [يرشدون] بعضهم
على بعض بسبب الغلمان الذين عندهم،
وياخذهم القاضى يردهم الى دين الإسلام تحت
القلق والتهويل، فقام بحبس مواليتهم الى زمان ،
ويصانعونه ويفرج عنهم. واستقصى عن غلمان
البطرك الروم والحبش الذين يهدون اليه من افريقيه

ولهذا عزم جستنيان على أن يعث سفارة إمبراطورية خاصة تحمل هدايا للملك النوباديين
وخطابات لحاكم طيبة البيزنطى^(١). وعلمت ثيودورا بعزم الإمبراطور على أن يضمن لبعثته
النجاح والسبق، فأسرعت بتحرير رسالة إلى حاكم طيبة، وطلبت إليه أن يحجز سفارة
الإمبراطور حتى تصل سفارتها هي إلى بلاد النوبة^(٢)، وهددته بالقتل إذا خالف أوامرها.
وأطاع الحاكم أوامر ثيودورا وحجز سفارة الإمبراطور عند وصولها، وبرر عمله هذا لرئيس البعثة
الإمبراطورية بعدم وجود وسائل النقل، وطلب إليه الانتظار حتى يدبر له الدواب والمرشدين
الخبيرين بمسالك الصحراء. أما سفارة الإمبراطورة فوجدت الدواب والمرشدين اللازمين لها فى
الانتظار^(٣). على أن حاكم طيبة لم يخف حقيقة الأمر عن مبعوث جستنيان وأبدى مخاوفه
من الإمبراطورة ووعدته بإعداد وسائل السفر، ثم واصلت البعثة الإمبراطورية سيرها مقتفية أثر
يوليان دون أن يعا رئيسها بما دبر له من خيانة^(٤).

وصل يوليان وصحبه أطراف النوبة حوالى عام ٥٤٣ م^(٥) ومعهم ثيودون أسقف فيلة،

(1) John of Ephesus. op . cit . pp. 251- 252.

(2) John of Ephesus: op. cit. p. 252.

(3) Ibid op. cit . PP. 252 - 253.

(4) Ibid. : op. cit. p. 253.

(5) De Villard: op. cit. P. 55.

والخمس مدن والحيشه والنوبه، وقالو له : ان له
 غلمانا باسكندريه فى المكتب يتعلمون . فأنفذ
 اعوانه اليها مع اسقف مصر المقطوع واسمه بنه،
 والذي تفسيره النار ، حتى دخل مدينة اسكندريه
 الى الموضع الذى كانوا فيه الغلمان واخذهم،
 وساقهم كمثل الخراف الى الذبح وهم باكون بلا
 مغيث، حتى جابوهم الى مصر، وكانو تمنماية
 نفر، فلما راهم قاضى الظالم فرح وقال: وهذا شى
 يكيد البطرك ويحزنه. وقال القاضى لابونا البطرك:

الذى رأى فيه يوليان خير معين له فى مهمته غبرته بأحوال البلاد وأهلها ^(١). وعند الأطراف
 النوبية التقت البعثة برسل ملك النوباديين الذين تولوا حراسة القافلة إلى عاصمتهم باخوراس
 Bakhoras، فرس ^(٢). واستقبل الملك أعضاء البعثة أحسن استقبال وقبل هدايا الإمبراطورة
 بسرور بالغ، ولم يلبث أن أعلن هو وأمرأؤه ترك ما كان عليه أجدادهم وأقروا جميعاً «أن لا إله
 إلا الله واحد لا شريك له» ^(٣). ورأى يوليان أن يشرح للنوباديين قواعد النزاع الذى نشب بين
 المسيحيين حول مسائل العقيدة، واضطهاد الإمبراطور ليثيودوسيوس وعزله ونفيه لرفضه
 الاعتراف بقرارات خلقيدونية ^(٤)، على حين أن الإمبراطورة تزیده وتوازره لتمسكه بعقيدته
 التى ضحى بمنصبه فى سبيلها «ولهذا أوفدنا جلالتها إليكم لتسلكوا طريق البابا ثيودوسيوس
 وتذهبوا مذهبهم وتثبتوا ثباته، أما الإمبراطور فإنه بعث بسفرائه إليكم وهم فى طريقهم
 إليكم» ^(٥). ثم وصل رسل الإمبراطور، فقدموا الهدايا ودعوا الملك النوبى إلى قبول المسيحية،

(1) Ibid: op. cit. P. 55.

(2) John of Ephesus : op. cit. p. 253.

(3) Ibid: op. cit. P. 254.

يشبه هذا الشهادة عند المسلمين. وفى الواقع أن موضوع طبيعة المسيح كان شغل رجال الكنيسة الشاغل
 فى مثل هذا الوقت من تاريخ الصراع بين أنصار المذهبين ويبدو من روح هذا النص معنى الطبيعة الإلهية
 الواحدة.

(4) John of Ephesus : op. cit. p. 254.

(5) Ibid: op. cit. P. 254.

لا يجوز لك ان تقاوم امر الملوك وتدوس اوامرهم ،
ولا يجوز ان تستعبد هولاء الصبيان وتنصرهم. فقال
له البطرك: انا ما اقاوم امر الملك، ولا اقاوم كلمه
صالحه، بل ما كان من كلام الظلم. قال له
القاضي : فانا ظالم كما تقول؟ فقال له : انت
عارف بان كل من تقدمك ما كان يلزم مثل هولاء
الذين هم نصارى اولاد نصارى باسلام، لانهم
يقدمونهم للبيع هدايا، وهولاء فمن عند ملك
الحبشه والنوبه والروم جوني هدية اهديت الى.

على أن يتبع الكنيسة الأرثوذكسية ورجالها، وألا يضل كما يضل أولئك الذين طردوا منها^(١).
بيد أن الملك النوبى قبل الهدايا ورفض ما عرضته عليه السفارة الإمبراطورية وأثر مذهب
الكنيسة المصرية^(٢).

أما يوليان فظل فى نوباتيا نحواً من سنتين وقام بتعميد الملك والأمراء، وعاونه فى أعماله
الأسقف ثيودور الذى عهد إليه يوليان برعاية النوباديين بعد سفره إلى القسطنطينية، حيث
استقبلته ثيودورا استقبالا حسناً^(٣).

وظل ثيودورسيوس مشغولاً بأمر النوباديين وخاصة بعد وفاة يوليان. وأصدرت ثيودورا أمراً
بتعيين القس لوجينوس أسقفاً لبلاد نوباتيا سنة ٥٦٦م وبهذا تبدأ المرحلة الثانية من مراحل
التبشير فى بلاد النوبة.

حاول لوجينوس السفر إلى بلاد النوبة غير أن أعداءه أو غرورا صدر الإمبراطور جوستن

.....
(1) Ibid: op. cit. P. 254.

(2) Ibid. : op. cit. P. 255.

تحدث يوليان عن شدة الحرارة فى الصيف بقوله «إنه من الساعة التاسعة صباحاً إلى الرابعة بعد الظهر كان
يضطر إلى أن يلجأ إلى الكهوف المليئة بالماء، ويجلس فيها دون ملابس اللهم إلا الثوب الكتانى الذى
كان يلف به جسمه كما يفعل أهل تلك البلاد».

(3) Ibid. : op. cit. p. 256.

وكان القاضي مما ملكه الشيطان لا يسمع
كقول داود : مثل الافي الصما[ء] التي تسد
اذنيها لا تسمع صوت الراقي . فامر القاضي
باحضار الصبيان قدام البطرك وخوفهم حتى
اسلمو قدامه وابونا حاضر ينظرهم ، فقال وهو باك :
الويل لي ، تجدد حزني وحمي قلبي في باطني ،
ونظرت انتقامي وانفصلت منى اعضاءي ، الان
يارب عرفني تمامي [موتي] لان احزان الجحيم
احاطت بي . فقال القاضي للاب : ليس بقي بينك

الثاني ضده ، وأهموه أن لونغينوس سيؤلب النوبادين ضد الدولة البيزنطية فيعودون لحر بها
وشن الرغارات على أطرافها ، فقبض عليه ^(١) . ولما كانت العيون تترصده في كل مكان فإنه
لجأ إلى حيلة تمكنه من الفرار ، فخرج متكررا بوضع خمر مستعار على رأسه الأصلع ثم وصل
سالما إلى بلاد النوبة حوالي سنة ٥٦٩ م ^(٢) . واستقبل النوبيون لونغينوس استقبالا عظيما ،
ولقى منهم مساعدة كبيرة لبناء كنيسة ^(٣) . وتبدو لباقة لونغينوس ودهاؤه عندما أوعز إلى
الملك النوبي بإرسال هدية للإمبراطور ليبرهن على نبل مقصده . ووصلت السفارة النوبية حاملة
الهدايا ، واستقبلها الإمبراطور بحضور رجال البلاط ومن بينهم يوحنا الإفسي ، وأخذ رسول
الملك النوبي يمتدح لونغينوس في حضرة الإمبراطور ^(٤) .

وأقام لونغينوس بين النوبادين حوالي ست سنوات ، ثم رحل إلى الإسكندرية ليشتبك في
انتخاب بطريرك للكنيسة المرقسية . ولما علم الملك النوبي وأمرأؤه بعزم لونغينوس على السفر

.....
(1) Ibid. : op. cit. P. 257.

(2) Kirwan, L. P. : SNR. , XX. Part II, P. 292.

(٣) أخذ لونغينوس يعلم النوبادين الإنجيل وتطلب إنشاء الكنيسة تأليف هيئة كهنوتية تتولى تلقين طائفة من
رجال الدين التعاليم اللازمة لأداء واجبهم المقدس

John of Ephesus : op. cit. P. 257.

(4) Ibid. : op. cit. pp. 257 - 258.

وبين هولا معاملة فقد صارو مسلمين خد تمنهم
واتركهم. اجاب وقال له : ان كان غرضك ان
تستعيد الاحرار فما لى انا فى هذا غرض لان هولا
احرار واعضاء] من جسمى والله يدينك عنهم
وتعطى عنهم جوابا بين يدى الله الاله الكل. فامر
القاضى بقسمة الغلمان فاقتسموهم المسلمون.
فلما راي الاب الرحوم هذا تنهد وقال امام الرب:
طلبت الدماء] وذكرتهم لا تنس صوت الفقرا.
وقال: اذلو شعبك وميراثك، ضررو وقتلو اليتامى

الى مصر، حاولوا ان يستبقوه بينهم وأظهروا له حاجتهم إليه، التى يرضحها قول ملكهم
«ستركنا كاليثامى دون أب»^(١). ثم سمحوا له بالرحيل، وفى طريق عودته مر بجزيرة فيلة
وعرض على الأسقف ثيودور - وهو كهل فى الثمانين - أن يصحبه فى رحلته، ولم يمنع
ثيودور من السفر سوى كبر سنة^(٢).

لم ينته الدور الذى قام به لونجينوس فى بلاد النوبة عند هذه الحوادث، بل كانت تنتظره
مهمة لا تقل خطورة عما قام به فى نوباتيا، وهى تنصير أهل مملكة علوة Alodia، ذلك أنه
حوالى سنة ٥٧٨م بعث ملك علوة رسالة إلى ملك نوباتيا يعلن فيها رغبته فى الدخول فى
المسيحية، ورجاه أن يسمح للأسقف لونجينوس بالسفر إلى مملكة لتعميده هو وعياله، وذلك
بعد أن غادر لونجينوس بلاد نوباتيا. فأرسل ملك نوباتيا رسله إلى مصر لإقناع لونجينوس بالعودة
إلى النوبة وزيارة علوة لتلبية لرغبة ملكها^(٣). ولما علم الملكانيون بنبا هذه الدعوة الجديدة
أخذوا يبدسون الدسائس، وأوعزوا إلى بطرس بطريرك الكنيسة الملكانية بالإسكندرية بإصدار
قرار بعزل لونجينوس، وأرسلوا صورة هذا القرار إلى ملك نوباتيا لتحويله عن لونجينوس ومذهبه.

(1) Ibid. : op. cit. P. 258.

(2) Ibid; op. cit.

(3) Trimingham, J.S.: op. cit. p. 55.

والغربا وقالوا ان الله لا ينظر . ولم يكن يفتر من
البكا والتنهيد والنوح ، وكان يقول : ان كل من
يغى هولا الصبيان الرب يهلكه . ويقول : انا يارب
انسان خاطى لكن يارب تاتى على هذا القاضى
الظالم بالانتقام عوضا من فعله السوء ، وتتم عليه
كلمة سليمان الحكيم «ان يوم الانتقام يهلك
المنافقون» . وصبر الاب على هذا الحزن ويصلى
ليلا ونهارا ويقول : يارب ليس من اجل خطيتى
ترفض شعبك .

بيد أن الملك لم يستجب لهذه الدعوة وأصر على عودة لونغينوس لأنه لا يقبل له بديلا ، وطرد
رسل الملكانيين من بلاده (١) .

وصل لونغينوس إلى بلاد النوبة حوالى عام ٥٨٠ م (٢) ، حيث وجد رسالة ثانية من ملك
علوة بدعوته لزيارة بلاده . ولم يكذ الملكانيون يسمعون بخبر هذه الدعوة الثانية حتى أرسلوا
أسقفين ملكانيين إلى ملك علوة يحملان رسالة مشحونة بالطعن فى حق لونغينوس لأنه على
قولهم «هرطقى مطرود من الكنيسة ، ومن ثم فهو غير جدير بتعميد أحد» (٣) . بيد أن ملك
علوة رد هذين الأسقفين خائنين بعد أن قال لهما «إننا لا نعرفكم ولا نقبل التعميد إلا من هذا
الذى عمد النوباديين من قبل . ثم أننا لا نصدق ما تقولونه فى حقه لأننا نعرف أنكم
أعداؤه» (٤) .

أما لونغينوس فلم يسعه إزاء هذه الدعاية ضده إلا أن يليى دعوة ملك علوة وبهذا تبدأ
المرحلة الثالثة من مراحل التبشير فى وادى النيل الأوسط ، وهى المرحلة المعروفة بتنصير مملكة

(1) John of Ephesus : op. cit. p. 317.

(2) Ibid: op. cit . p. 326.

(3) Ibid : op. cit. PP. 317- 318.

(4) Ibid: op. cit. P. 318.

وكان فى زامنه قوم مومنون رهبان قديسون
يدعون له بان يرزقه الصبر على ما يناله من هذه
التجارب.

وكان انسان سايح من جملتهم اسمه «امونه»
فى دير ابى يحنس، واتبا مينا السايح فى جبل
ارمون(*)، اعطى روح النبوه وكان يشفى جميع
المرض، وشهد له جماعه ان له سلطانا على
الارواح النجسه يخرجها من الناس. وانا الحقيقير

(*) ارمون : قرية قديمة عرفت باسم
ارميون بمركز كفر الشيخ . تم
تدميرها غالبا لى ظل قمع ثورات
البشمور. وحوالى سنة ١٧٨٥ م
نزل أهلها فى قرية محلة الشيخ
بالبحيرة واعطوها اسم منشأة
أرمون.

علوة. وغادر لونغينوس مملكه النوبة بصحبة بعض الأمراء ورجال ذوى خبرة بمسالك
الصحراء. وتعرض فى هذه الرحلة لمصاعب لم تغل من تضحية ، أضحها ملك علوة فى
خطابه إلى أورفيلا Awarfiula^(١). ذلك أنه كان على لونغينوس أن يسلك طريق الصحراء
الشرقية وأن يتجنب النيل فى المنطقة الواقعة جنوبى مملكة نوباتيا حيث توجد مملكة مقرة لعداء
ملكها ملك نوباتيا. وربما كان هذا بتحريض من الملكانيين^(٢). وفى هذا يقول ملك النوبة فى
رسالة بعث بها إلى تيودور بطريرك الكنيسة المصرية «ولكن بسبب المكيدة الخبيثة الى دبرها
ذلك الذى يقيم بيننا^(٣)، فقد أرسلت أبى البار إلى ملك البليمين ليوصله إلى داخل البلاد».
ولكن أهل المقرة سمعوا بهذا أيضاً وأرسلوا عيونهم للبحث عنه فى جميع الممالك فى الجبال
والسهول^(٤). ويبدو أن قافلة لونغينوس عرجت ثانيا إلى النيل جنوبى الشلال الرابع^(٥)،
حيث استقبله أيتيكيا Aitekia مبعوث ملك علوة واستأنف الجميع الرحلة فى سفينة نيلية

(١) أورفيلا اسم محرف لملك نوباتيا. ويقول ما سيرو فى كتابه تاريخ البطارقة إن اسم هذا الملك إيربانومى
Eirpanome وربما كان هذا الملك خليفة الملك سلكو حاشية رقم ٤.

Maspero. J: op cit. P. 289.

(2) John of Ephesus : op. cit . p. 319.

(٣) يقصد به هنا ملك مقرة، لأن مملكته تتوسط نوباتيا ومملكة علوة.

(4) John of Ephesus : op. cit . p. 325.

(5) Kirwan, L. P. SNR, vol. XX. Part II, P. 294.

العاجز حضرت عنده وخاطبني بسبب البيعة،
وكان خصيا من بطن امه طاهرا لله، وكان راهبا
من صباه في دير ابي يحنس، وفي زمان خراب
البريه، في اخر سنى البطرك انبا مرقس وقد ذكرناه
انفا، التجي هذا الراهب الى بيعه على اسم
[الأباء] التلاميذ في قريه ، كان يظهر عجائب
كثيرا من اشفاء] المرضى واخرج الشياطين،
وحضرت انا الحقير عنده وكان يعلمني الكتابه
وذلك في عاشر سنه من بطركية الاب انبا يوساب.

حتى سوبا. ثم بدأ لونجينوس عمله في الحال، فعمد الملك وأسرته المالكة والأمراء ومن بين من
عمدهم بعض الأحباش كذلك^(١). ومما يدل على نجاح لونجينوس في مهمته الدينية ما جاء في
الرسالة التي بعث بها ملك علوة إلى زميله ملك نوباتيا يحييه فيها باعتباره أخا في الدين
ويشكره على مساعداته القيمة ، ويطلب المزيد من المساعدة في تأييد كنيسة^(٢).

والخلاصة أن مملكتين من ممالك وادي النيل الأوسط ثم تنصيرهما على مذهب الكنيسة
المصرية، لكن ماذا كان مصير المملكة الثالثة - مقرة - ، هل اعتنق أهلها المسيحية ، أو ظلوا

(١) قابل لونجينوس بعض الأحباش المسيحيين في علوة. وهم ممن يعتقدون بعض الآراء الهرطقية التي تنسب
إلى قس اسمه يوليان الهاليكارناسي. Julian of Halicarnasus وقد أعاد لونجينوس تعميدهم وتلقينهم
مذهبه، ويرى البعض أن وجود أولئك الأحباش المسيحيين في علوة قبل قدوم لونجينوس يعني وصول
المسيحية إلى علوة عن طريق الحبشة.

Trimingham, J.S.: op. cit P. 57 Nete. فيما يبدو - لم يكن لهؤلاء الأحباش أثر يذكر في
Kirwan, L. P.: Firka. p. 55. وإذا وجدت مظاهر الفن الحبشي في كنيسة دنقلة كما
يقول كروفورت . فإن هذا الأثر ضعيف ، كما أن حملة عيزانا لم تترك أي أثر للمسيحية، لأن عيزانا نفسه
لم يشر إلى رغبته في نشر الدعوة الجديدة التي تلقاها على يد فرومتيوس. وعلى هذا فإن مصر - كما
كانت دائما - مصدر الثقافة.

(2) John of Ephesus: op. cit. p. 321.

وكان هذا الشيخ القديس جالسا في يوم من الايام يقرأ في سير البيع القديمه وما جرى على الابا في سابع عشر سيره للبيعه، فقلت له انا بسذاجه ولا ادرى ما اقول: ما هذا الذى تقول؟ فقال لى بكلمة روح القدس: يا ابني طوبى لمن كتب واهتم بسيرة البطاركه . وقال لى : يا ابني صدقتى فيما اقلوه لك ان لا يتدى احد بشامن عشر سيره للبيعه حتى ياتى الذى اسمه ثمنيه عشر، وانت الذى تهتم بكتابتها لان الرب يدعوك.

على دينهم؟ على الرغم من الأهمية التى نعلقها على رواية يوحنا الإفسى فى دراسة موضوع دخول المسيحية بلاد النوبة على اعتبار أنه كاتب معاصر، غير أنه مما يقلل من أهمية روايته أنه من مؤيدى مذهب الكنيسة المصرية، ومن المعادين لقرارات خلقيدونية^(١) ولم تخل هذه الرواية بطبيعة الحال من مبالغة فى تعظيم رجال الكنيسة المصرية ومهاجمة منافسيهم أتباع المذهب الملكانى. مثال ذلك أنه لم يشر أية إشارة إلى تنصير مملكة مقرة^(٢). كما أنه فيما يبدو تعتمد ألا يذكر شيئا عن نشاط بعثة جستينان إلى بلاد النوبة حوالى سنة ٥٤٣م، مع أنه لا يبعد أن تكون هذه البعثة عرجت على مملكة مقرة وأصاب فيها بعض النجاح^(٣).

على أن هنالك كاتباً آخر يدعى يوحنا البكلرى Lohn of Bicularum وهو ملكانى المذهب ومعاصر لوحنا الإفسى. ذكر أن أهل مملكة مقرة اعتنقوا المسيحية فى سنة ٥٦٩م، ثم تلاهم الجرامنتيون «القرعان»^(٤)، ولا يبعد أن تكون البعثة الملكانية وهى فى طريقها إلى علوة ما بين (٥٧٠ - ٥٨٠م) لتحويلها عن لونجينوس مرت بمملكة مقرة وإقليم القرعان،

(1) Kirwan, L. P. : SNR. XX, Part II., P. 295.

(2) Ibid : op. cit. P. 295.

(3) Ibid : op. cit. P. 295.

(4) Kura'an , L.P. Christianity and the Aure 'an' JEA., XX, P. 201.

فصرت كائنى فى غفله ولم أقدر ان أساله عن شى
اخر.

وكان هذا الشيخ قد اقام كل زمانه سايحا
وبارك على دفعات.

وقد اختصرت فيما كتبت وتركت كثيرا خوفا
من يقرأ فيما كتبت من خبر هذا القديس الشيخ
السايح وتركت سيرة الابا وامسكت عن اخبارهم،

ووضعت أسس المذهب الملكانى^(١). وربما كان هذا هو سر العداء بين ملك مقرة وملك
نوباتيا ولونجينوس كذلك^(٢).

وعلى الرغم من اختلاف هذين الكاتبين فى المذهب وعدم اتفاق روايتيهما فالراجح أنه
أصبح لكل من المذهبين المصرى والملكانى أساس فى بلاد النوبة (الممالك الثلاث). لكن إلى
أى حد تأثرت بلاد النوبة بأحدهما أو بكليهما ، وأيهما كانت له الغلبة وأصبح هو المذهب
السائد؟ يقول دى فيار أنه لا يأخذ برواية يوحنا الإفسسى لتعصبه لمذهبه، ويرى اعتمادا على
نتائج الأبحاث الأثرية التى قام بها يونكر فى بلاد النوبة، أن شواهد القبور التى عثر على كثير
منها تبرز صورة مخالفة . ذلك أن الأدعية المكتوبة عليها باللغة اليونانية تشبه أدعية الكنيسة
البيزنطية، ولا يوجد لها شبيه فى مصر، مما يقوم دليلا على أن مصدرها بيزنطة ويعزز الرأى
القائل بضعف الحركة المونوفيزية فى بلاد النوبة فى بدء الحركة التبشيرية^(٣). فضلا عن هذا
فإن اللغة اليونانية كانت اللغة التى تكتب على شواهد القبور ، كما أن الكتب النوبية القديمة
ترجمت عن اليونانية لا عن القبطية^(٤). وثمة دليل آخر على ازدياد النفوذ الملكانى وهو وجود

(1) Kirwan, L. P. : Firka P. 50.

(2) Ibid. op. cit, p. 50.

(3) De Villard, : op. cit . PP. 61.

(4) Kirwan, L. P. : Firka P. 51.

Griffith, F. L., : LAAA., XII, P. 52.

وقد شرح انبا مسويى اسقف سنبلو فى بعض
ميامره خبر هذا السايح.

فلنعود الان الى ما فعله الله على يد الاب
البطرك انبا يوساب فاذكر اعجوبه. وهى انه لما
كان هذا الاب بمصر فى زمان قاضى الظلم الذى
شرحنا حاله معه، حضر عنده انسان نصرانى قال
له: انا يا ابى الروحانى ترأف على فان لى ولدا وقد
اعتراه روح شيطان يعذبه منذ أيام كثيره، ثم انه

اسقف ملكانى فى وقت من الأوقات فى تافه بالنوبة السفلى، كما أن بعض ألقاب حكام
النوبة مثل لقب إبارك eparch ودو مستيكرس Domesticus مأخوذة من المصطلحات
البيزنطية الإدارية.^(١)

غير أن نتائج أبحاث يونكرن لا تقلل من قيمة أثر الكنيسة المصرية فى بلاد النوبة. وربما
كان المسئول عن وجود الأثر البيزنطى فى المقابر النوبية، نشاط الحركة الملكانية فى مملكة
مقرة، وهذا يتفق مع رواية يوحنا البكلرى^(٢).

لكن أى المذهبين كانت له الغلبة فى النهاية ؟ المعروف أن كتابات القبور أخذت الطابع
المصرى تماما حين حلت اللغة القبطية محل اللغة اليونانية فى الطقوس الدينية^(٣). وفضلا
عن هذا فإن رواية سعيد بن بطريق يوتىخا بشأن خلو الكرسي البطريركى للكنيسة الملكانية
بالاسكندرية مدة ٩٧ عاما - من خلافة عمر بن الخطاب إلى خلافة هشام بن عبد الملك -
أتاح الفرصة لبطريرك الكنيسة المرقسية لا انتخاب أساقفة النوبة، بحيث أضحت كل بلاد

.....
(1) Shannic, P. L. : Medieval Nubia, P. 5.

(2) Kirwan, L.P. : JEA. XX. P. 202.

Kirwan, L.P. : Firka. P. 56.

(3) De Villard : op. cit. p. 62.

يصرخ ويقول ما ازول عنه حتى يا مرني انبا يوساب
البطرك ، فارحم عبدك ولدى ايها الاب.

وكان الاب كثير التواضع، قال للرجل بقلب
نقى متواضع : وای شی عملي انا يا ولدى مع
هولا الذين ذكرتهم، لكن بامانتك يخلص ولدك .
فاخذ الرجل قوله بقبول مثل ما اخذ قايد المايه
قول الرب الذى قال : انى لا استحق ان تدخل
[تحت] سقف بيتى بل قل كلمه فقط فيبر[أ]

النوبة على مذهب الكنيسة المصرية ^(١) وثمة دليل على التحول من المذهب الملكاني إلى
المصرى وهو ما جاء فى حياة إسحاق بطريرك الكنيسة المرقسية (٦٩٠ - ٦٩٣) من أن ملك
مقرة يشكرو قلة عدد الأساقفة فى مملكته لأن ملك موريتانيا لا يسمح بمرور رجال الدين من
مقرة إلى الإسكندرية لتكريزهم، ويدل هذا على رغبة النوبيين من أهل مقرة فى اتباع مذهب
الكنيسة المصرية. أما المؤلفون العرب فإنهم أجمعوا على أن المسيحية فى النوبة كانت على
مذهب الكنيسة المصرية. فيقول المسعودى «اليعاقبة كرسيان لاثالث لهما أحدهما بأنطاكية
والآخر بمصر، والغالب على نصارى مصر من الأقباط وغيرها بفسطاطها وسائر كورها ومايليهما
من أرض النوبة يعقوبية» ^(٢). ويقول ابن الفقيه «والنوبة يعقوبية وكذلك أهل علواه» ^(٣).

(1) Ibid, : op. cit. p. 62.

Kirwan, L. P. : Firka. P. 49.

ويقول شنى أصبح انتصار اليعاقبة أمرا واقعاً بعد الغزو العربى لمصر إذ اعتبر الملكانيون انصار الإمبراطورية
البيزنطية ، على حين لقيت الكنيسة القبطية كل عطف من العرب الحاكمين. وفى مدة تقرب من مائة عام
من ٦٣٧م إلى ٧٣١م لم يكن للملكانيين بطرك ملكانى. وعلى هذا لم يستطع النوبيون الحصول على
أساقفه ملكانيين. ووجد أنصار الكنيسة المصرية الفرصة سانحة لتدعيم سلطانهم.

Shunnie, P. L.: op. cit. P. 5.

(٢) المسعودى : التشبيه والاشراف ص ١٥١.

(٣) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ٧٧.

فتاى. كذلك هذا الإنسان المؤمن لم يفتر من
السؤال اليه والتضرع قايلًا: تراءف على يا أبى .
فقال له الأب : ماذا تريد ان افعله معك . فقال له:
استحق ان تمشى معى ولا تدخل بيتى بل تكتب
لى بيدك خطا باسمك لاغير يا امر الشيطان باخروج
من ولدى.

فلما سمع ابونا هذا منه تعجب منه ومن عظم
امانته، ولم ير ان يدعه ان يمضى عنه الا بما

ثم إلى أى حد تأثر النوبيون بالمسيحية، وهل كان اعتناقهم لها على نطلق واسع، أو شمل
بعض طبقات الشعب دون البعض الآخر؟ الواضح مما كتبه يوحنا الأفسسى أن يولييان
ولونجينوس بدءا بتعميد الملوك ثم الأمراء ثم بعض أفراد النوبيين. ومن غير المعقول أن يتم
تعميد النوبيين جميعاً فى المدة القصيرة التى قضاها كل منهما فى بلاد النوبة^(١). ولابد أن
قراراً صدر من ملوك النوبة باعتبار المسيحية دين الدولة الرسمى، فاعتنقها الناس لا عن فهم
واقتراع ولكن الناس على دين زعماء قبائلهم وملوكهم وفضلاً عن هذا فإن عملية التبشير
بالنوبة لابد أنها أخذت أبسط أنواع صورها لتلائم ظروف البيئة البدائية وثقافة السكان.
واعتمد المبشرون على سرد القصص الخجية إلى نفوس السامعين أكثر من الاعتماد على الحجج
المنطقية والمناقشات اللاهوتية. وبهذا يمكن تصور نوع التعاليم التى تلقاها النوبيون على يد
مبشريهم الاول ولا بد أن تكون هذه التعاليم خرجت أحياناً عن أصولها للحصول على كسب
سريع^(٢). ثم أنه لابد أن النوبيين لم يعتنقوا المسيحية دفعة واحدة، ولكن على مراحل، بدليل
وجود بعض العادات القديمة بين النوبيين فى الوقت الذى كان يقوم فيه كل من يولييان

(١) نعلم أن يولييان بقى فى نوباتيا حوالى ستين من ٥٤٣ إلى ٥٤٥ م ثم ترك تيودور بها حتى سنة ٥٥١ م
عاد بعدها إلى أسقفيته . ثم جاء لونجينوس وبقي بنوباتيا حوالى ست سنوات من ٥٦٩ إلى ٥٧٥ م ثم عاد
مرة أخرى سنة ٥٨٠ م إلى نوباتيا . وظل يمكث بها طويلاً بل أتجه إلى علوا . ويبدو أن إقامته بها كانت
قصيرة.

(2) Kirwan, L.P. : LAAA. op. cit. p. 103.

طلبه. فلما سمعت انا الخاطي كاتب هذه السيره
هذا فصرت مثل الشماس المحب لله تاو فسطس،
عند كونه مع الاب القديس ديسقرس في جزيرة
جاجرا (*) بسبب الرجل الاعسم الذى عوفى بدم
يد المعترف، امنت ان الرب يفعل مع هذا الاب ما
يرى ولد هذا الانسان.

(*) البانا ديسقرس البطرك ٢٥
من العدد: انظر الجزء الاول حيث
يذكر أنه نفى إلى جزيرة جاجرا بسبب
موقفه من مجمع خلقدونية.

وفيما انا متفكر في هذا اراد الرب ان يزيدنى
في هذا القديس ايماناً، فامرني ان اخذ ورقه ودواه

ولونجمنوس بالتبشير بينهم. مثال ذلك عادة وضع الأواني الفخارية التي يحفظ فيها طعام الميت
وشرايه في القبور^(١). ثم ازداد انتشار المسيحية ببلاد النوبة حتى أصبحت عامة تقريباً بسبب
هجرة الأقباط من مصر إلى بلاد النوبة على أثر الغزو الفارسي لمصر عام ٦١٩ م واضطهاد
الملكيانيين للأقباط بعد استرداد البيزنطيين مصر. فضلاً عن هذا فإن التنظيم الإداري لمملكة
النوبة المتحدة^(٢)، وتقسيمها إلى مديريات تحت سلطة حكام خاضعين للملك مباشرة بدقولة
أدى إلى ازدياد سلطة الحكومة، وبالتالي ساعد على إحكام رقابتها على الحياة الدينية وأدى إلى
انتشار المسيحية^(٣).

غير أنه لم يكن في وسع النوبيين أن ينشئوا إلا القليل من الكنائس الجديدة بعد تنصيرهم،
فبدأوا بتحويل المعابد الفرعونية إلى كنائس، وأول من استن هذه السنة هو الأسقف ثيودور.
ففي حوالي أوائل القرن السادس الميلادي حول معبد فيلة لايزيس إلى كنيسة باسم القديس
اسطفانوس^(٤). وفي النوبة حيث يوجد كثير من المعابد المصرية التي تحمل جدرانها نقوشاً
فرعونية تحولت هذه المعابد إلى كنائس بعد طمس هذه النقوش بطبقة من الجص، ونقشت

(1) Ibid : op. cit. p. 103.

(٢) مملكة النوبة المتحدة هي التي تكونت من مملكة نوباتيا ومقرة.

(3) Kirwan. L.P. ; LAAA. op. cit. p. 105.

(4) Roeder. G. : op. cit. p. 379.

واكتب فيها: يقول يوساب الحقير اصغر البطاركه
جميعهم يامرك ايها الروح النجس ان تخرج من
عبد المسيح الالهنا، ولا تعود اليه فيما بعد بقوة
الاب والابن وروح القدس الاله الواحد .

فاخذ ابو الصبي الكتاب ومضى مسرعا الى بيته
وقراه على ولد وللوقت خرج منه الشيطان ولم
يعد إليه .

ومدة مقامه بمصر كان يأتي الى ابنا ويسجد له

صور تمثل السيد المسيح والحواريين ^(١) . وحوالي سنة ٥٥٩ م حول الملك إريام Erpanome
معبد دندور إلى كنيسة . ونقش على جدارها كتابات ذات أهمية خاصة توضح علاقة هذا الملك
النوبي بأسقف فيلة . كما توضح علاقة الملك بمندوبه ومثله في كلابشه، والذي يحمل لقب
eparch أو hezarch «نائب ملك» ^(٢) أما معبد كلابشه فيبدو أنه حول أيضاً إلى كنيسة
حوالي ذلك الوقت، وعلى جداره نقشت كتابتان تخليداً لهذه الذكرى ^(٣) .

وهذه هي المعابد التي عرف تاريخ تحويلها إلى كنائس . أما بقية المعابد الأخرى مثل معبد
دكة وأمادا ووادي السبوع وأبو سمبل فلا نعرف تاريخ تحويلها . ومن الكنائس التي ظلت في
حالة معقولة تلك التي تحتل قلب معبد وادي السبوع الذي بناه رمسيس الثاني وطلبت
جدارانه بالجص وكتبت عليها كتابات قبطية وصور تمثل ميلاد السيد المسيح وتلاميذه الإثني
عشر . وصورة للملاك ميخائيل وبجانبه صورة امرأة قد تكون إحدى المتبرعات لإنشاء هذه

(1) Ibid : op. cit. P. 380.

Kirwan, L. P. : LAAA. XXIV P. 93.

(٢) والراجع أن هذا الموظف hezarch كان يمثل الإمبراطور البيزنطي Kraus Johann. S.V. D. : Die Anfänge, Des Christ. in Nubien. p. III.

Reveillout : Memoire sur les Blemmye, P. 121.

(٣) عشر على نقشين على جدار هذا المعبد وجاء فيهما : «أنا بولس صليت في هذا المكان للمرة الأولى» ،
«باسم المسيح عيسى - أنا القسيس بولس وضعت الصليب في هذا المكان لأول مرة» . انظر:

Roeder, G. : op cit.

بامانة عظيمه ويقول : انا اشكر الرب بصلواتك
لان بكلامك عوفي ولدى. وكان ابونا ينهيه
ويجعل عليه قانونا [حلفان] للبيعه ان لا يقول
لاحد هذا الكلام واما الرجل فحلف لنا ان
الشيطان لم يعد الى ولده من ذلك اليوم.

وفي تلك الايام تنيح الاب ديونوسيوس بطرك
انطاكيه، فاهتم المطارنه والاساقفه والشعب
الارتدكسى، وقدموا عرضه انسانا كاملا فى

الكنيسة، وكذلك صورة القديس بطرس ويده مفتاح كبير مازالت واضحة المعالم (١).
أما الكنائس التى بناها النوبيون، فأولها كنيسة مارى يابريم، وربما يرجع تاريخ بنائها إلى
أواخر القرن السادس أو أوائل السابع. والكنيسة الثانية هى التى أشار إليها يوحنا الأفسسى وقال
إن لوجينوس بناها للنوبيين أثناء إقامته بينهم فى المرة الأولى من سنة ٥٦٩-٥٧٥ م. والكنيسة
الثالثة هى كنيسة دنقلة. أما كنيسة فرس وبوهن فربما يرجع تاريخ بنائهما إلى أواخر القرن
السادس وأوائل السابع الميلادى (٢). أما سائر الكنائس المنتشرة على طول النيل من أسوان فى
الشمال إلى القطيئة على النيل الأبيض فى الجنوب، فلم يعرف تاريخ إنشائها لعدم وجود
نصوص مكتوبة على جدرانها، ولم يبق من هذه الكنائس إلا أطلالها، ومعظمها اندثرت معالمه
لأنها كانت مبنية من الطين. ولهذا فإن ما تبقى منها معظمه إلى الشمال من أبو حمد حيث
تندر الأمطار. ويقول أبو صالح فى الوقت الذى وضع فيه كتابه حوالى منتصف القرن الثانى
عشر الميلادى إن مدينة علوة بها أربع مائة كنيسة (٣)، ويضيف بتلر (٤) أن فرنسيسكو الفارز
مبعوث ملك البرتغال إلى بلاط ملك الحبشة فى القرن السادس عشر الميلادى، ذكر أن
شخصاً سوريا يدعى يوحنا السورى حدثه أن ببلاد النوبة مائة وخمسين كنيسة مزينة جدرانها
بصور السيد المسيح والسيدة العذراء والقديسين. وعثر سومرز كلارك على سبع وأربعين كنيسة

(1) Roeder, G. : op. cit. p. 381.

(2) Kirwan, L. P. LAAA. XXIV p. 100.

(4) المصدر السابق ص ٢٦٤ حاشية ١.

(3) أبو صالح : ص ١٢٠.

الخصال اسمه يوحنا، وكان [ذلك] فى السنة
الخامسة عشر من بطركيته، اعنى الاب انبا
يوساب.

وفى سنة خمس مائه واثنين وستين للشهد، ولما
جلس على كرسى انطاكية كتب الى ايناسوديقا
كالعادة بالاتحاد وانفذها مع مطرانين، وهما
اقناسيوس مطران اقميه، وطيماتاوس مطران دمشق
وكهنة معهما، فلما اجتمع الاب انبا يوساب

فى النوبة فى جهات مختلفة على طول النيل من أسوان إلى جنوبى الخرطوم. ووصف هذه
الكنائس ووضع لها رسوما فى كتابه عن الآثار المسيحية بوادى النيل. وعثر دى فيار أخيراً على
بقايا عشر كنائس أخرى منها اثنان بقصر ابريم.

بقى هنا أن نشير إشارة خفيفة إلى البليمين ومدى تأثيرهم بالمسيحية بعد القرن السادس
الميلادى، فلا يعد أن يكون لونيغينوس عمد بعض زعمائهم أثناء مروره ببلادهم. غير أننا لا
نسمع عن البليمين شيئاً إلا بعد الفتح العربى بحوالى مائة سنة، حين عرفوا باسم البجا وهو
اسمهم القديم، ووصفهم الكتاب العرب بأنهم وثيون، ويقول اليعقوبى «ليس لهم شريعة إنما
كانوا يعبدون صنما يسمونه ححاخوا»^(١) ويقول أبو الفدا «إنهم يعبدون الأوثان»^(٢) أما
الإدريسى فيقول بأنهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبية^(٣).

ويمكن القول إن المجموعة البجاوية ظلت على دينها المصرى السابق للمسيحية باستثناء
جماعات قليلة منها اعتنقت المسيحية بحكم اتصالها بالجماعات المسيحية. ومنذ الفتح العربى
لمصر أخذت المسيحية تمتد رويداً رويداً إلى أوطان البجة، وبقي بعضهم على دينهم المصرى
حتى دخل الإسلام ديارهم.

(١) اليعقوبى: كتاب البلدان، ص ٣٣٦.

(٢) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ص ١٩٦.

(٣) الإدريسى: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص ٢٧.

بوصولهم، الى قريب مصر، وصحبتههم السنوديقا
سار الى اسكندريه كيما يجتمعوا به هناك بمجد،
فلما قربو من المدينه انفذ يستقبلهم باساقفه وكهنة
يقرون قدامهم الى ان دخلو بهم الى القلايه
البطركيه بمجد وكرامه . فلما اخذ ابونا السنوديقا
امر بقرا آياتها على الشعب الارتد كسى ففرحو
فرحا عظيما .

فلما نظر الشيطان المناصب هذه النعمة بدا ان
يشير على ابينا البطرك بلايا من جهة من هو له

النظم والحضارة فى ممالك النوبة المسيحية

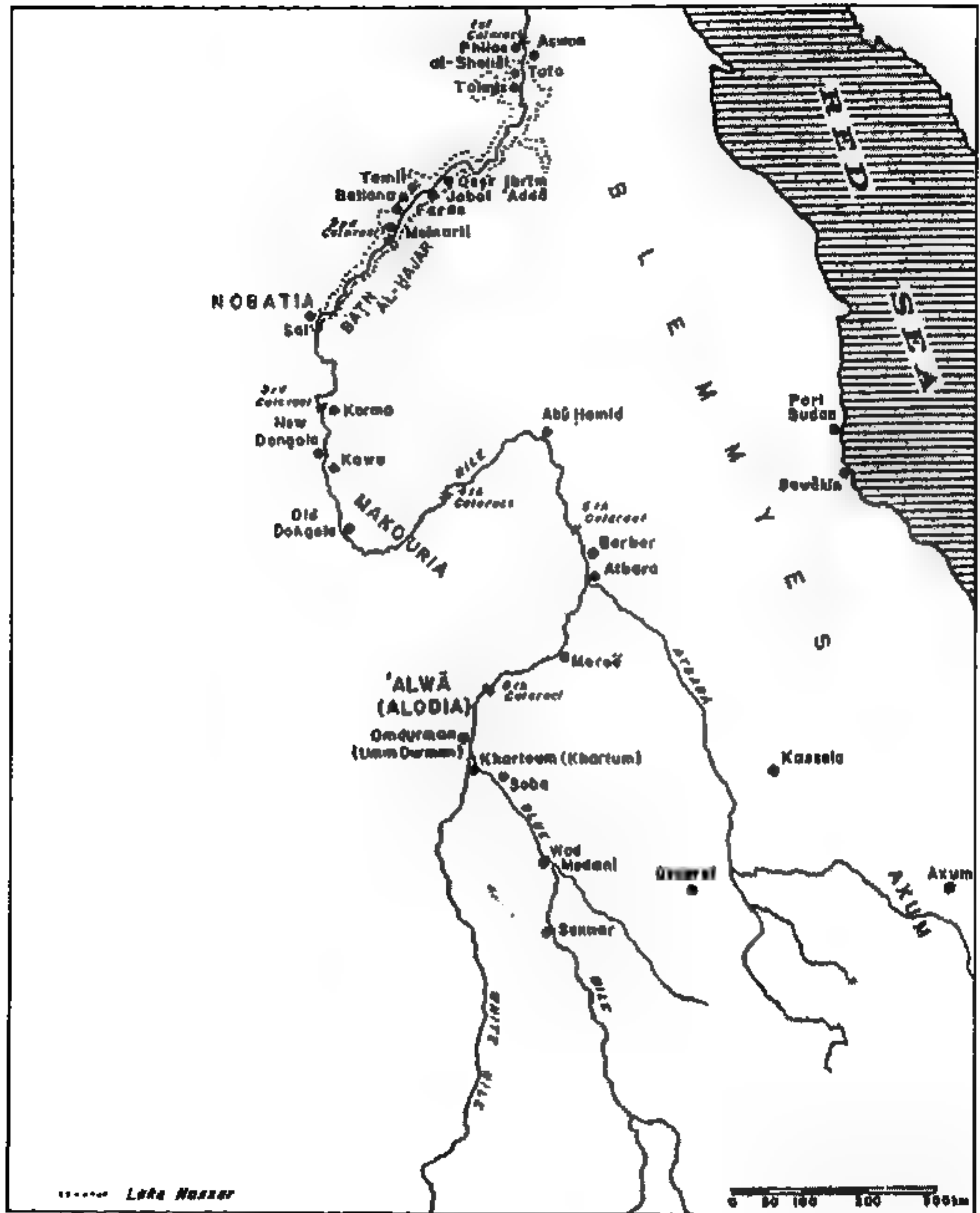
التنظيمات الإقليمية ■ التنظيمات السياسية ■ طبقات المجتمع ■ التنظيمات الكنسية ■ الاقتصاد
النوبى ■ بعض مظاهر الحضارة النوبية.

يرجع ما وصل إلينا من تاريخ ممالك النوبة المسيحية إلى قطع من نصوص مكتوبة بوحدة
أو أخرى من اللغات القبطية أو اليونانية أو النوبية، وإلى إشارات قليلة فى المؤلفات القبطية،
والى ما ذكره بعض المؤلفين العرب الذين جاء ذكر النوبة عرضا فى مؤلفاتهم^(١). ولهذا
جاءت هذه المعلومات إما ناقصة أو غامضة فى كثير من الأحيان^(٢).

والممالك المسيحية التى استقبلت المبشرين المصريين والبيزنطيين الرسميين حوالى منتصف
القرن السادس الميلادى كانت ثلاثا، تحدث عنها يوحنا الأفسسى دون أن يعين لها حدودا
جغرافية واضحة. أولاها: مملكة النوبادين Nobadae جنوبى الشلال الأول، وثانيتهما: مملكة
أطلق اليونانيون على مكانها اسم Alodaie، وهى فى أقصى الجنوب من بلاد النوبة، وثالثتها:

(1) Kirwan. L. P. : "Note on the topography of the Christian Nubian Kingdoms". JEA XXI,
1934. P. 57

(2) Quatremere, E. : Memoires, II p. 1.



ممالك النوبة المسيحية

وعاء] كما فعل في قاضى الظلم بمصر، وكان
لذلك القاضى رجل ينوب عنه باسكندريه
واعمالها، وكان اشر منه وكان اسمه محمد بن
بشير، فمضوا اليه [الخالفين] الذين احرمهم اولا،
واشارو عليه ان يهينه قدام المطرانين، وكانو مهتمين
بهذا اولاد النار ويظنون ان هذا الامر ينتقل عليه،
وهو المشتمل بالاتضاع لا يبالى ولا يفكر فيما
يفكرون فيه، لنهم كانوا مفكرين فى قلوبهم انهم

مملكة الماكوريين Makoritae - أى مقرة - وموقعها بين المملكتين السابقتين (١). أما المملكة
الأولى، فهي التى أسسها الملك سلكو حوالى ٥٣٠ م. ويبدو أنه تمكن من إخضاع
الماكوريين (٢) أصحاب المملكة الثالثة مدة قصيرة (٣). أما المملكة الجنوبية التى يسكنها
Alodaie فهي التى نشأت على أنقاض مملكة مروى بعد سقوطها على يد الملك عيزانا حوالى
منتصف القرن الرابع الميلادى. وورد فى نقش الملك عيزانا اسم مدينة علوة alwah ضمن
المدن المبينة بالطوب الأحمر والتى وقعت فى قبضته. وهى تقع على نهر سيدا Seda جنوبى
إلتقائه بنهر تكازى Takkazi (أترا).

ومنذ عام ٥٨٠ ظلت هذه الممالك الثلاث المسيحية مستقلة بشئونها تحت حكم رؤساء
وطنيين (٤). غير أن المراجع العربية تخبر بأنه بعد استيلاء العرب بقيادة عمرو بن العاص على

(1) John of Ephesus, : op. cit. P. 319.

(٢) ربما كان هؤلاء الماكوريون هم الذين أشار إليهم سترابون باسم Meya Bapoi وأشار إليهم بطلميوس
الجغرافى باسم Malloupai. Kirwan, L. P. op. cit. P. 57.

(٣) من الواضح أن خضوعهم لم يدم طويلا بدليل موقفهم العدائى أثناء بعثة لوثجينوس التبشيرية.

(4) Kirwan L. P. : op. cit. p. 58.

والراجع أن علوة مدينة قديمة ترجع إلى حوالى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد. ولا يبعد أن تكون
مدينة IL (i) التى ورد ذكرها على لوحة تركها الملك ناستاسن Nastasen ملك مروى ٣٢٨ ق. م.

إذا اهانونه قدام المطرانين ينقص جاهه، ولم يعلمو
ان موامرتهم مردولة عندما يظفر الظافر كل حين،
وينال الاكليل على الجهاد، وينال الطوبى على
صبره، وينتهى به ذلك الى اقصى المشرق، وصورته
عندما يشاهده الابرار المطارنه فيما يجرى عليه.

حينذ انفذ القاضي ، قاضى اسكندريه، ان
يحضر الاب القديس انبا يوساب البطرك ويحضر
معه المطرانين. فقال له لما حضر عنده: قد اعلموني

مصر سنة ٦٤٠ م، قامت حملتان عربيتان من الأراضى المصرية سنة ٦٤٠ - ٦٥٢ م بقيادة
عبد الله بن سعد ابن أبى السرح لغزو تلك الممالك المسيحية، كما تخبر بأن عهد الصلح
الذى عقده عبد الله بن سعد كان ولعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته... من حد أرض أسوان
إلى حد أرض علوة^(١)، ومعنى هذا أن المملكتين نوباديا ومقرة أصبحتا مملكة واحدة عرفت
باسم النوبة. أما المملكة الأخرى وهى علوة فيبدو أن المسلمين لم يتعرضوا لها على أن موضع
الأهمية هنا، هو معرفة متى حدث هذا الاتحاد؟ أما المؤرخون فاختلفوا حول تاريخ اتحاد هاتين
المملكتين، فهناك قول بأن هذا الاتحاد حدث فيما بين ٥٨٠ - ٦٥٢ م وأن دنقلة أصبحت
بذلك عاصمة للمملكة النوبية المتحدة، على حين ظلت فرس عاصمة المقاطعة الشمالية^(٢).

=Kirwan, L. P. : op. cit. p. 57.

Shinnie, P. L. : "Excavations at Soba" SAS. No. 3, 1955. p. 11

أنظر أيضا

Cammerer, A. : Essai Sur l'histoire Antique d'Abyssinie p. 82.

وكذلك

ويقول كاميرير: إن علوة اسم قديم لأنها ذكرت على نقش هيروغليفى فى النقعة (قرب خندى) تحت اسم
Alut.

(١) المقرئى: المواعظ والاعتبار، جـ ١، ص ٢٠٠، سيرد ذكر هذه الحملات تفصيلا فيما بعد.

(2) Crawford, O. G. S. : op. cit. p. 23.

: Kirwan, L. P. : op. cit. p. 61.

وانظر أيضا

ان لك غلمانا الذين امرك القاضي صاحبي ان لا
تقبلهم اليك دفعة اخرى بعضهم عندك وقد
اعدتهم الى دينك . فاجاب القديس وقال له : ما
عندى شئ مما ذكرته وانى لم اشاهد وجه واحد
منهم من ذلك اليوم . فامر به ان يضرب على قفاه
بغير رحمة(*) ، ويلكمونه لكما كثيرا ، ولم يتخلو
عن ضربه وقتا كثيرا ، وكانت راسه مطاطيه لا
يشيلها لاجل ضعفه ولم يفتح فاه ينطق بلفظه الا
قوله هكذا : اشكرك يا سيدى يسوع المسيح . فبكينا

(*) الضرب على القفا من وسائل
التعذيب والاهانة.

وثمة قول آخر وهو أن اتحاد الملكتين «نوباديا ومقرة» حدث بعد مضى خمسين عاما على
عقد هذا الصلح^(١) . ويستند صاحب هذا الرأي إلى أمرين : أولهما ماورد في بعض المراجع
القبطية^(٢) بشأن نزاع نشب بين ملك مقرة وملك موريتانيا سنة ٦٩٠ م بسبب حاجة الأولى
إلى أساقفة ومنع الأخير إياهم من المرور بمملكته ، وملك موريتانيا في نظره هو ملك نوباديا .
ومعنى هذا - فى رأيه - أنه حتى سنة ٦٩٠ م كانت لا تزال الملكتان مستقلتين . وثانيهما ما
ورد فى هذه المراجع كذلك^(٣) من أن الملك مرقوريوس سلك مسلكاً جديداً نال عليه ثناء
الكنيسة المصرية واستحق من أجله لقب قسطنطين الجديد . وربما كان هذا المسلك الجديد هو
تحوله إلى المذهب المونوفيزى وتحويله معبد تافه فى نوباديا إلى كنيسة سنة ٧١٠^(٤) . وبهذا
يكون مرقوريوس جمع بين حكم الملكتين بعد إخضاع المملكة الشمالية وتوحيدهما دينيا
وسياسياً كذلك .

(١) De Villard, : op. cit. p. 76.

(٢) اعتمد دى فيار فى إيراد هذا الرأي على ما جاء فى سيرة البطريك إسحق (٦٩٠ - ٦٩٣ م) والتي
جمعها الأسقف مينا . Ibid, : op. cit. p. 79.

(٣) واعتمد هذا المؤلف أيضاً على ما ورد فى سير بطاركة الإسكندرية . Ibid. : op.cit. p. 80.

(٤) يقول دى فيار : إنه عشر على حجب فى معبد تافه يحمل نقوشاً يونانية مؤرخة ١٤ ديسمبر سنة ٧١٠ م
تمجد مرقوريوس لإتمامه هذا العمل الجليل . وربما كان هذا العمل - الجليل هو تحويل معبد تافه إلى
كنيسة . وتافه تقع فى نوباديا ومعنى هذا أن مرقوريوس ملك مقرة ، يحكم نوباديا كذلك .

نحن اولاده بكا]ء] مر لمشاهدتنا ما جرى عليه من
ذلك القاضى السوء، ولم يئأس من رحمه بل كان
شجيع [شجاع]، فتعجب هو ليك المطراناتان
وقالا: تبارك الله الذى جعلنا مستحقين ان نشاهد
جهاد هذا الاب. وكان ابونا المبارك يقول قول
الرب لاجل قاضى الظلم: ان الرب يظهر فيه
الانتقام الذى يحل به كما قال لوقا: الله ينتقم
لاصفياه سريعا، الداعين له ليلا ونهارا ويطول روحه
عليهم.

غير أن هذا الرأى لا يمكن قبوله، لأنه لا يتفق وما جاء فى عقد الصلح سنة ٦٥٢ م^(١) ثم
إن اعتماد هذا الرأى على المراجع القبطية وحدها لا يعد دليلا كافيا على صحته، لعدم اتفاق
رواياتها. إذ أن بعض هذه المصادر القبطية تقول إن النزاع كان بين ملك مقرة وملك
الحبشة^(٢). ومع التسليم بصحة ما جاء بشأن ملك موريثانيا. فالمعروف أن موريثانيا هى ليبيا
وأن الأساقفة كانوا يستخدمون الطريق الليبى - لا طريق النيل - فى سفرهم من الإسكندرية
إلى دنقلة^(٣). ثم أن تحول مرقوريوس إلى المذهب المونوفيزى وتوحيد الملكتين دينيا، لا يعنى
أن الملكتين لم تتحدا سياسيا من قبل. والراجع أن الوحدة السياسية تمت قبل الوحدة الدينية
فى وقت سابق لحملة عبد الله بن سعد على بلاد النوبة سنة ٦٥٢ م، أو فى وقت معاصر لها

(١) ولص الصلح على أن المملكة النوبة تمتد من أسوان إلى حد علوة.

(٢) يقول بتر فى كتاب تاريخ أبى صالح الأرمنى (حاشية ١ ص ٣٦١) وإن البطريك إسحق تدخل لحسم
النزاع بين ملك النوبة وملك الحبشة مما أدى إلى غضب عبد العزيز بن مروان وإلى مصر على البطريك
إسحق. انظر متن ساويرس أعلاه ص ٤٨ ج ٢. وورد فى كتاب رينودو «تاريخ بطارقة الإسكندرية»، ما يؤيد
رأى بتر الذى استقاه من مصدر قبطى هو مسيرة البطريك إسحق التى جمعها ساويرس بن المقفع آسقف
الأشمونين.

Renaudot, E., : "Hist. Patriarcharum Alexandrinorum." P. 178.

Conti Rossini : Note Ethiopiche - 1 - Una Guerra fra la Nubia e l. Ethiopie. Nel Seclo
XII. p. 1.

(3) Maspero ; op. cit . p. 348.

Roeder , op. Cit. pp. 383- 484.

وبعد ذلك كتب الى البطرك انبا يوحنا كتب
السنوديقا وودعهم بمجد وكرامه تصلح لهم وهم
يعطون الطوبى لابونا يوساب، وجعلوا يبشرون
بفعله فى جميع بلادهم.

وكانت فى ايامه نعمه وسلامه. وكان فى زمانه
اعجوبه، ونظر الى الديارات فى كل موضع تنمو
وتتزايد كل يوم بصلواته وصلوات القديسين الذين
كانو فى ذلك الزمان، وبأشخاص الديارات بوادى

على الأقل، فإن حاجة الدفاع عن البلاد والوقوف فى وجه الغزو الإسلامى فرضا هذه الوحدة
السياسية (١)، على أن تحتفظ كل من الدولتين بسيادتها على أراضيها واستقلالها الداخلى.
ولا بد أن هذا كان أشبه باتحاد فيدرالى أو تعاهدى، احتفظ فيه ملك المملكة الشمالية بسلطاته
على أن يكون بمثابة نائب ملك - كما سيجئ تفصيله بعد - ولعل تحول ملك مقرة إلى
المذهب المونوفيزى تضمن تأييدا وتأكيدا لهذه الوحدة السياسية التى سبقتها.

أطلق الكتاب العرب على هذه الأقاليم جميعا اسم النوبة. ويتفق فى هذا كل من اليعقوبى
(٨٩٤م) والمسعودى (٩٣٥م). بيد أن اليعقوبى جعل الحد الشمالى لمقرة عند بلدة إسمها
ماوا (٢). على حين جعل المسعودى الحد الشمالى لمقرة عند أسوان. ومعنى هذا أن المملكة

(1) Arkell, A.J.; A hist. of the Sudan. p. 186.

(٢) اليعقوبى: كتاب البلدان، ص ٣٣٦ «ومن أسوان أول بلاد النوبة الذين يقال لهم مقرا وهو موضع
يقال له ماوا». وفى موضع آخر «فأما من قصد من العلاقى إلى بلاد النوبة الذين يقال لهم علوة...» - أى
أن اليعقوبى أطلق النوبة على كل الأقاليم جنوبى أسوان بما فيها مقرة وعلوة وجعل ماوا الحد الفاصل بين
نوباديا ومقرة، بيد أنه لم يذكر شيئا عن الحدود بين مقرة وعلوة. ومدينة ماوا غير معروفة، وربما قصد بها
ماما وهى فى رأى كروفورد تقع قرب جبل فركة جنوبى الشلال الثانى، وهى تمثل نهاية اقليم السكوت،
واعتبار الحد الفاصل بين نوباديا ومقره جنوبى ماما بحوالى ١٤ ميلا لهو أمر مقبول. Crawford, op. cit. p. 23.

هبيب، كانت مثل فردوس الله لا سيما دير ابى
مقار. ومعونة الله مع جميعهم وبخاصه الاقنوم
شنوده القس القديس الذى اظهر الله منه افعالا
حسنه لا تحصى من امانته فى القديس ابى مقار،
وجعل له تذكارات كروما وبساتين وبهايم وطواحين
ومعاصر وخيرات كثيرا لا تحصى.

ولما شاهد الشعب المومن فعله ابتهجوا بذلك
وكانو يحسدونه على فعله ويساعدونه بحسن
نياتهم.

الشمالية «نوباديا ومقرة» عرفت باسم مقرة. وعرفت الأخرى باسم علوة^(١)، وأن الجزء
الشمالي من مقرة والمتاخم لمصر عرف باسم مريس دون تعيين حدود سياسية واضحة لهذه
الممالك. ويضيف المسعودى أن المملكتين مقرة وعلوة كانتا تحت حكم ملك واحد اسمه كبرى
بن سرور، غير أن هذا الاتحاد لم يسمع عنه، وهو - إن صح - لم يدم طويلا. ويشير المسعودى
إلى وجود عاصمتين هما دنقلة عاصمة مقرة، وسويا عاصمة علوة. ويتفق عبد الله ابن أحمد
بن سليم الأسوانى^(٢) (٩٦٩م) مع كل من اليعقوبى والمسعودى، ولكنه يضيف كثيرا من
المعلومات الجغرافية والتاريخية لهاتين المملكتين، فذكر الأسوانى أن الحد الشمالى

.....
(١) المسعودى : مروج الذهب. ج-٣، ص ٢٣ «فأما النوبة فافتترقت فرقتين، فى شرقى النيل وغربيه،
وأناخت على شطيه، فاتصلت ديارها بديار القبط أرض صعيد مصر من بلاد أسوان وغيرها. واتسعت
مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة، ولحقوا بقريب من أعاليه، وبنوا دار مملكة تدعى دنقلة. والفريق
الأخر من النوبة يقال لها علوة وبنوا مدينة للملك سموها سوية... والبلد المتصل من مملكته بأرض أسوان
يعرف بمريس».

(٢) عبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانى كان مبعوث الخليفة المعز لدين الله الفاطمى إلى ملك
النوبة ليدعوه إلى الدخول فى الإسلام ويذكره بدفع البقط وكتب كتابه «أخبار النوبة ومقرة
وعلوة والبجة والنيل» وهذا الكتاب مفقود ولكن المقرئى حفظ لنا فى كتابه المواعظ والاعتبار شيئا
منه.

وكان في الدير المقدس خلايق لا تحصى، ليس

الارتدكسيون فقط بل هراطقه، (*) لاجل
العجايب التي تظهر في هذه البيعة . وفعل هذا
الاقنوم شنوده وكان يرجو المجازاة من الله، كقول
بولس الرسول: نحن بالروح بالامانة ننظر رجاء
حقيقيا. ولما رأى الرهبان يتزايدون بنعمة الله التي
تدعوهم، بدأ وبني بحرى البيعة الكبيره ببعه باسم
الاباء [التلاميذ، وكملها وزينها بكل زينه، ودعا
ابانا القديس انبا يوساب البطرك الى هذه البيعة،

(*) كان أصحاب المذاهب المخالفة
يقيمون في الدير المقدس بوادى
هبيب.

لمريس^(١) يقع عند مدينة القصر، بينها وبين أسوان خمسة أميال، وبينها وبين جزيرة بلاق
(فيلة) ميل واحد، وإلى بلاق تنهى مراكب النوبة أما الحد الجنوبي لمريس فيقع عند المقس
الأعلى^(٢)، بينها وبين الشلال الأول^(٣) ست مراحل، والعاصمة لجراش. ويتفق هذا التحديد
مع ما ذكره أبو صالح الأرمني (١٢٠٠ م). ويرى دى فيار أن هذا الحد يقع عند قرية
عكاشة جنوبى الشلال الثانى^(٤) وتبدأ مقبرة بأقاليم ثلاثة هي : سقلودا وبقون وصفد

(١) مريس معناها فى اللغة القبطية الجنوب. وتسب إليها الريح المريسية، وهى رياح الجنوب الباردة التى
تهب على جنوبى مصر فى فصل الشتاء. أنظر عبد اللطيف البغدادى كتاب الإفادة، ص ١٣.
(٢) المقرئى: المواعظ والاعتبار، جـ ١، ص ١٩٠... وأول الجنادل من بلد النوبة قرية تعرف بتقوى وهو
ساحل، وإليها تنتهى مراكب النوبة المصعدة من القصر أول بلدهم، ومنها إلى المقس الأعلى ست
مراحل.

(٣) الشلال الأول هنا المقصود به أول الشلال فى الأراضى النوبة، ولم يدخل ابن سليم الجندل الأول
(الشلال الأول) فى أرض النوبة لأنه داخل فى الحدود المصرية. وعلى هذا فإن الجندل الأول حسب قول
ابن سليم يقابل الجندل الثانى (الشلال الثانى قرب حلقا) ومنها أى من تقوى (عند الشلال الثانى) إلى
المقس الأعلى ست مراحل - حوالى ٧٢ ميلا - وهى منطقة الشلال الثانى.

(٤) أبو صالح: الشيخ أبو صالح الأرمنى، ص ١٢٠. ويعتمد دى فيار فى تحديد هذا الموقع على ما ذكره أبو
صالح من أن فى جهة المقس الأعلى يوجد السبازج Corundum وهو حجر ساخن يوجد قرب عين ماء
ساخنة. ومن تقرير لهيوم وجد أن هذه العين لاوجود لها فى وادى النيل كله إلا عند عكاشة ويسميتها
السكان هناك حمام عكاشة أنظر. De Villard :op. cit. p. 136.

فلما نظرها امتلا قلبه سرورا وكرزها في اول يوم
من برمودة في السنة السابعة عشره من بطركيته
ولم يفتر الاب من البركه على ابونا القس شنوده
الاقنوم من عمق قلبه. وينظر التذكارات التي
يعملها يوما بعد يوم وبخاصة هذه البيعه المقدسه
الجامعة الحسنه ، وكان لنا نحن اولاد هذا الاب
محبه ابنا له، وكان الاب يقول لنا : بقوة روح
القدس الحال فيه، يا اولادى صدقونى ان لهذا الأخ
تذكارات كثيره يفعلها، وبنا[ء] بيع وكنائس ،

بقل^(١) وهى جميعا شمال مقر، تمتد جنوبا بعد انشاء النيل الكبرى بحث تشمل إقليم
شنقىر^(٢). وتنتهى جنوبا عند حد الأبواب (كبوشية الحالية) حيث تبدأ مملكة علوة. ويذكر
مفضل بن أبى الفضائل أن مريس تنقسم إلى قسمين : بلاد العلى وتنتهى عند مهندي (جنوبى
الخرقة الحالية) وبلاد الجبل وتنتهى بنهاية حد مريس فى الجنوب (٢٨). ويشير ابن سليم إلى

(١) المقربرى : جـ ١ ص ١٩١ . سقلودا معناها فى اللغة المصرية السبع ولاء. ويدور أنها تتفق مع إقليم
السكوت. وبا كون مع إقليم الحس وصفد بقل مع إقليم الجوايرة 25 - 24 . Crawford .op. cit pp. :
وجاء فى رواية أخرى لابن سليم «أن وستو آخر قرى مريس آخر عمل مملكهم» . والواقع أن هذه الرواية
تعارض مع ما سبق أن ذكره أن المقس الأعلى هى آخر مريس من ناحية الجنوب، ولكن إذا علمنا أن
وستو أو باستو تقع شمالي دنقلة الأوردى بحوالى ٢٧ ميلا Burckhardt, J.L: Travels in Nubia, P. 523.
أى قرب أبو فاطمة التى تنتهى عندها لغة الدناقلة التى تشبه لغة الكنوز وهى اللغة المريسية، نرى أن
ابن سليم ربما قصد الحد الشمالى للغة مريس الدناقلية لا الحد الجنوبى لإقليم مريس.
أنظر Kirwan, L. P. :op. cit. p. 60.

(٢) منطقة شنقىر هى منطقة أبو حمد - بربر حيث يبدأ منها الطريق البرى إلى سواكن.

Crawford. :op. cit. p. 26.

(٣) إن مهندي غير معروفة تماماً لكن دى فياريوى أنها تقع إلى الجنوب من الخرقة وبهذا يمكن القول إن
هذه التقسيمات تتفق تماماً والتقسيمات الرومانية بأراضى النوبة - نقلا عن مفضل بن أبى الفضائل ،
«النهج السديد» .

De Villard, : op. cit. pp. . 137 - 138.

وكنا نسمع هذا منه فنقول ترى انه بنى بيع اخر
فى هذا الجبل . وكان كلامه كالنبوه ونحن لا
نعلم حتى ظهر لنا بعد ذلك ما سوف نذكره .

وكان فى يد ابونا عكاز لطيف دفعه لشنوده
الاقتوم وقال له : خذ هذا يا ولدى تذكارا لك . فلما
راينا هذا قلنا ان هذا بسبب امور تظهر لأن كل
أفعاله بنعمة روح القدس .

ولما كان فى السنة الثامنة عشره من بطركيته

صعوبة الانتقال بين جميع تلك الأقاليم بسبب وجود الجنادل التى تعترض سير النهر فى كثير
من المواضع^(١) .

اتفقت كتابات المؤلفين العرب على أن حد علوة من ناحية الشمال يبدأ عند منطقة تعرف
بالأبواب^(٢) غير أن أحدا من الكتاب العرب أو غيرهم لم يعط صورة واضحة لمدى اتساع
هذه المملكة أو يعين لبقية جهاتها حدوداً جغرافية واضحة . فيكتفى ابن سليم بقوله : إن مملكة
علوة أوسع وأخصب من مملكة مقرة^(٣) . ولم يكن ابن سليم فى تحديده لعلوة دقيقاً كذلك .
إذ يشير إلى الحد الشرقى لعلوة مثلاً بقوله «وعليه أى النيل الأزرق جنس مولد من العلوة
والبحر يقال لهم الديجيون وجنس يقال لهم بازة... وبعد هؤلاء أول بلاد الحبشة^(٤)» . ومعنى
هذا - فى قوله - أن مملكة علوة تمتد شرقاً فى اتجاه النيل الأزرق إلى حدود الحبشة .

.....
(١) المقرئى: المواقظ والاعتبار، ج١، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ١٩٢ والأبواب هى كبوشية الحالية : Crawford op. cit. p. 24 ويرى دى
فيار أن الأبواب هى الإقليم المخاضى للنيل من نقطة التقائه بنهر أتبرا إلى الشلال الرابع .

De Villard, : op. cit. p. 153.

(٣) المقرئى: المواقظ والاعتبار، ج١، ص ١٩٣ .

(٤) الديجيون والبازة غير معروفين تماماً وربما البازة هم الباريا الذين كانوا يحتلون هذه المنطقة قبل أن
ينتقلوا جنوباً .

ولى على مدينة اسكندريه امير اسمه مالك بن ناصر الحدر، وكان انسان سو ظالما. فلما دخل المدينة بدا ان يفعل سو بكثير من الناس اكثر من الوالى الذى كان قبله، فاعترض اصحاب الصنائع والتجار الكبار، والبزازين والباعه، وتقدم الى التجار الكبار والبزازين ان لا يبيعو ويشثروا الا حدا يحده لهم، وعمل قياسا كبيرا [للأطوال] وجعل ينادى مناد ويقول: من وجد عنده توب ناقص عن هذا القياس انا اعتقله واهينه واقتله.

وقدر ابن حوقل ^(١) طول علوة بحوالى شهر وعرضها من النيل مشرقاً بثمان مراحل (حوالى ٩٦ ميلا)، على حين أن ياقوت ^(٢) قدر المسافة من عاصمة مقرة إلى حدود علوة بثلاثة أشهر وقال: إن إلى الجنوب من علوة توجد أمه أخرى من السودان تدعى تكة ^(٣). وإخلاصة أن هذه الأقوال فى جملتها غير دقيقة ولا توضح إلى أى الجهات امتد نفوذ ملوك علوة المسيحيين. غير أن ما جاء فى مخطوط تاريخ قلاون ^(٤) قد يوضح ولو قليلا الأقاليم التى تتألف منها

(١) ابن حوقل: كتاب صورة الارض، ص ٥٦.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ص ٣٢٣.

(٣) ربما كان هؤلاء التكة هم الدنكاء والراجع أنه فى هذا الوقت تقدموا شمالا على النيل الأبيض متجاوزين أوطانهم الحالية.

(٤) مخطوط تاريخ قلاون المعروف باسم تشرىف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور ج ٢ ص ٢٩٣ - ٢٩٣ ب.

أنظر كذلك.. Quatremere, E. : Memoires hist. et. geog... II. PP. 109 - 112.

ومعظم هذه الأقاليم (الممالك) غير معروفة، وحاول بعض الكتاب تحقيق أسمائها فىرى دى فيار أن باره هم الباريا قبل انتقالهم من نهر اتبرا إلى أوطانهم الحالية. والتكة هو الإقليم المحيط بكسلا، وكرسه ربما هم الذين أشار إليهم ابن سليم وكانوا يسكنون أرض الجزيرة، أما دنقوا ويقال وآرى فغير معروفة أما الأنج فربما كانوا فى جبل حرزا، ويقول دى فيار: إن الأنج شعب قديم واسع الانتشار، وبعد سقوط سوبا أطلق عليهم القدماء. وفى الرصيرص تطلق كلمة الهمج على العنج. أنظر:

Mac Michael, H. A. : Ahist. of the Arahs in the sudan, I. P. 183.

Arkell, A. J. : op. cit. p. 196.

فلما شاهدوا اهل اسكندريه هذا حزنوا، و قالوا:
قد علمنا الان ان الله قد اذل هذه المدينة وسكانها
بيد هذا الرجل الظالم. فاما الضعفا [ء] والحاكه
والقراريون [النساجون] فكانوا يصيحون من قطع
معاشهم وبطلوا اولادهم حتى عدمو قوتهم، وعولوا
على الغربه والخروج الى البلدان ليعيشوا، وكانوا
يصرخون ليلا ونهارا بان ينقذهم الله من هذا
الظالم، فلم يغفل الله عن دعاهم، لكن سمعهم
سريعا لانه قال على لسان داود النبي فى مزموره

مملكة علوة. ومن هذه الأقاليم بارة - التاكة - كدروا - دنفوا - آرى - بفال - الأنج - كرسه.
ومهما يكن من أمر، فإن هذه الأقاليم على كثرتها لا تعطى لنا صورة واضحة تماماً عن مدى
اتساع مملكة علوة. ولعل الأبحاث الأثرية التى تمت فى منطقة النيل الأوسط حيث قامت
مملكة علوة المسيحية، يمكن أن تعطى صورة أدق لحدود هذه المملكة. ذلك أنه عثر على بقايا
كنائس فى مناطق مختلفة على النيل الأبيض عند بلدة القطينة وفوز رجب على نهر أتبرا،
وجبل سجدى بأرض الجزيرة وقرب خزان مكوار على النيل الأزرق. وربما امتدت حدود علوة
إلى أبعد من هذه المراكز شرقاً وغرباً وجنوباً بحيث شمل نفوذ ملك علوة جهات لم تبين فيها
كنائس، أما لعدم اهتمامهم بيناتها لضعف عقيدتهم، وأما لأن آثار هذه المناطق زالت بفعل
عوامل التعرية. وعلى كل حال فالراجع أن مملكة علوة امتدت من الأبواب (كبوشية) شمالاً
إلى القطينة على النيل الأبيض جنوباً وشملت جهات أتبرا والنيل الأزرق حتى حدود الحبشة
شرقاً وبعض جهات دارفور كردفان غرباً^(١).

أما عن التنظيمات السياسية فى ممالك النوبة المسيحية، فالمصادر لا تعطى سوى صورة ضئيلة

(1) CrWford, : op. cit. p. 25. De Villard, : op. cit. op. cit. p. 156.

Arkell. A.J. : op. cit. p. 196

[٩٠]: اصرخ الى وانا انجيك واخلصك. وقال
ايضا :الرب قريب من الذين يدعونه.

فلما كان بعض الايام ركب ذلك الامير وجاء
الى قلالية البطرك ومعه سرارى، ثم انه قام وطاف
جميع مساكن البطرك حتى انتهى إلى الخدع الذى
ينام فيه البطاركة كل زمان، فطرد الاب منه وادخل
سراريه اليه واكل معهن وشرب هناك ونام معهن
فيه، وهو الموضع الممتلى بخورا وطيبا من صلوات

باهية لما كان عليه حكم هذه الممالك فى تاريخه الطويل. غير أن هذه المصادر على قلتها
وغموض بعضها لا تخلو من فائدة فى التعريف بألقاب الملوك وسلطاتهم ونظام وراثية العرش،
والتعريف بحكام الولايات وألقابهم وسلطاتهم .
ولبدأ هنا بدراسة نظم الحكم فى مملكة مقرة ثم نتقل بعد ذلك إلى دراستها فى مملكة
علوة.

بعد نقش سلكو المكتوب باللغة اليونانية على جدران معبد كلابشة أول مصدر سجل عليه
اللقب الذى اتخذ سلكو لنفسه ^(١) وهو Basilikos أى ملك صغير. وهذا اللقب يتفق وما
ادعاه سلكو لنفسه من سلطة على النوبادين وجميع الأثيوبيين. وربما يرجع هذا الترخبط فى
اختيار اللقب الفعلى للملك إلى الجهل باللغة اليونانية الدخيلة عليهم ^(٢).

أما نقش دندور ٥٥٩م فيشير إلى تطور الألقاب الملكية فى نوباديا، إذ يتخذ إرجامنز

(١) على الرغم من أن سلكو لا يعرف عنه تماماً اعتناقه للديانة المسيحية فإنه على الأقل يعتبر المؤسس الأول
لمملكة نوباديا المسيحية.

(2) Emery, W. E. : The Royal Tombs of Ballana & Qustul I. p. 12.

ويتفق هذا اللقب مع لقب ملك أى حاكم إقليم وهو اللقب الذى حمله حكام الأقاليم الخاضعة لسلطان
الفرنج، وهناك كثيرون لا يزالون يحملون هذا اللقب حتى الآن.

De Vjllard, : op. cit. p. 83.

القديسين البطاركة، فلما شاهد هذا الانبا القديس
حزن وبكى جدا وقال قول داود النبي فى المزمور
[٧٨]: يا الله دخلت الامم الى ميراثك ونجسو
هيكل قدسك. فلما فعل هذا الافعال الطمته بغير
حق خرج وعاد الى موضعه، والله صانع حق
خرج وعاد الى موضعه، والله صانع العجايب فى
كل حين انتقم منه، لحقه فى ذلك اليوم ضربان فى
احشاء وقارب الموت عاجلا. ولم يتخل عن ظلمه
وفعله السو.

Ergamenes لنفسه لقب ملك، وهو لقب يفوق فى المرتبة لقب Basilikos. ويوضح هذا
النقش حقيقة أخرى، وهى أنه يوجد إلى جوار الملك عدد من الموظفين، وأعظم هؤلاء الموظفين
خطرا هو الذى يحمل لقب هيزارك Hezarch أو إيسارك Eparch، وهو يعادل لقب (Dux)
فى الألقاب البيزنطية، ومعناه هنا نائب الملك أو مندوب الملك^(١). وكان هذا الموظف الكبير
ينوب عن الإمبراطور البيزنطى فى حكم نوباديا بالاشتراك مع إرجامنز، واتخذ هذا المندوب
الإمبراطورى بلدة تالمس مقرا له^(٢). وفى ذلك دليل على اشتراك البيزنطيين مع الملك سلكو
فى طرد البليمين من نوباديا إلى الصحراء الشرقية.

ومن الألقاب الأخرى التى ورد ذكرها مسبوقة بأسماء حاملها من الموظفين الملكيين
Neciorp أى خصى أو أغصا، و Cipua Repitapio ومعناها البريدى أو حامل الرسائل،
Cauata ومعناها أمين الأختام. وليس لدينا ما يوضح طبيعة العمل الذى مارسه أولئك الموظفون
سوى ألقابهم التى يحملونها، وهى ألقاب بيزنطية أستعارها النوباديون وأطلقوها على موظفين
فى بلادهم^(٣).

(1) De Villard, : op, cit. p. 85.

(2) Morie, L. J. : Hist. de l'Ethiopie et la Nubie Tomler p. 412.

Beckett. H. W. : ASN, II. Report 1907 - 8 p. f366.

أنظر أيضا :

(٣) يبدو أن النوبادين استعملوا هذه الألقاب البيزنطية ومنحوها لأشخاص ربما لم يسبق لهم ممارسة =

ثم مضى اولاد النار وسعوا بالاب قايلين : هذا
يكاتب ملوك الروم وينفذون اليه مالا كثيرا فانفذ
[الوالى] سرعه واحضر ابانا وامر باعتقاله فى
موضع ضيق ، ووكل به حفظه بحفظونه ، وعول
على عقوبته الى ان يدفع له الف دينار . وهو صابر
ولم يزل يهدده الى ان استقر الحال على اربع مائه
دينار ، وفى جميع هذا الضربان يتزايد عليه والدم
يجرى من تحته ولا ينام ليلا ولا نهارا ، ولم يقدر له
على طبيب يداويه ، ولم ينفع فيه دوا .

وعرفت نوباديا ومقرة بعد اتحادهما باسم النوبة ، كما عرف ملك المملكتين باسم عظيم النوبة
وعاصمته دنقلة ^(١) غير أن نقش تافه الخاص بالملك مرقوريوس والمكتوب سنة ٧١٠ م يدل
على أن هذا الحاكم يحمل لقب «ملك» ويشمل نفوذه جميع أجزاء مملكة النوبة المتحدة -
نوباديا ومقرة. وإلى جانبه حاكم يحمل لقب نائب ملك Eparch ^(٢) ويشتر سلطاته فى
نوباديا (مريس). وجاء فى سيرة البطريك ميخائيل (٧٤٤ - ٧٦٨ م) التى جمعها ساويرس أن
الملك كيرياكس Cyriacus (٧٥٠ م) يسيطر على ثلاثة عشر ملكا ^(٣). ولهذا أطلق عليه
= مثل هذه الوظائف التى تحمل ألقابها. إذ لا يمكن أن ننسب مملكة حديثة النشأة لم يمض على تأسيسها
أكثر من ١٥ عاماً أن تطبق النظم البيزنطية بنصها وفصلها ، على حين أن حضارتهم التى سبق أن أشرنا
إليها ، فى حضارة المجموعة الثقافية لا توحى بمثل هذا النظام الذى لابد أن يمر فى مراحل حضارية طويلة
وأن يعتمد على أسس ثقافية عميقة.

De Villard op. cit. p. 86.

(١) المقرئى : المواعظ والاعتبار ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ ، نص عقد الصلح الذى عقده عبد الله ابن سعد لعظيم
النوبة «وأهل مملكته من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة» .

(٢) إن اتحاد المملكتين نوباديا ومقرة تم على أساس أن تحتفظ كل من المملكتين باستقلالها الداخلى . ويظل
حاكم المملكة الشمالية نوباديا أو مريس فى منصبه يحمل لقب eparch «نائب ملك» . والظاهر أن
النوبيين احتفظوا بهذا اللقب حتى بعد أن شغل هذا المنصب بانسحاب نائب الإمبراطور البيزنطى فى
نوباديا على أثر خروج البيزنطيين من مصر ، ثم أطلق هذا اللقب على ملك نوباديا بعد اتحاد مملكته مع
مقرة. أنظر .

De Villard, ;op. cit. p. 86.

(3) Griffith, FLI. Christ. Documents from Nobia. P. 28.

وكان الاب معتقلا على الاربع مائة دينار،
ويدعو لله ليلا ونهارا قايلا: ليدخل اليك يارب
ابتهالي وتنهذات المعلولين الاسرى. واقام تحت
الضيق اياما وهو يهدده ويخوفه بسبب احضار
المال . وكانو تلاميذه واصحابه تحت حزن عظيم
وقلق، فاشارو عليه بدفع المال، فقال لهم الذى
عليه روح النبوه: ان كان ما نخرج من هذا
الموضع حتى ندفع ما طلبه هذا الظالم، ففي اليوم
السابع من دخولنا اليه يظهر ما يتعجب كل احد

لقب «الملك الكبير» (١) أو ملك الملوك (٢) وعرف باسم ملك النوبة (٣) أو كاييل ملك مقرى
ونوبة (٤) وعرف أحيانا باسم كاسل (٥).

واتخذ ملوك النوبة عادة شارات للملك منها: السرير (العرش) ويصنع فى الغالب من
خشب الأبنوس، والتاج وهو مرصع بالأحجار الكريمة يعلوه صليب ذهب (٦)، ثم المظلة ترفع
على رأس الملك فى المواكب (٧).

.....
(١) أبو صالح ص ١٢٥.

(2) De Villard, :op. cit. PP. 97 - 99 - 172.

(٣) المسعودى : نفس المصدر ج ٣ ص ٣١.

(٤) ياقوت معجم البلدان: ص ٣٢٣ --- «وملوكلهم يزعمون أنهم من حمير ولقب ملكهم كاييل وكتابتهم
إلى عماله وغيرهم: من كاييل مالك مقرى ونوبة» وربما كان أصل كلمة كاييل من قبل . وهو لقب أطلق
على بعض أمراء اليمن، ابن هشام سيرة النبي ج ٤ ص ٢٥٨ . ويقول دى فيار ص ١٧١ : وليس
بمستبعد أن الأسرة المالكة النوبية ترجع فى أصلها إلى جنوبى الجزيرة العربية، وإذ عبر الحميريون البحر
الأحمر واستقروا فى السودان حيث نقلوا أسماء أجدادهم - مثل كوة - دارو - سبأ ولايبعد أن تكون
الأحيرة حرفت إلى سوبا (العاصمة) .

(٥) الإدريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ص ١٩ .

(٦) أبو صالح ص ١٢٥ .

(7) De Villard: op. cit . p. 178.

منه من احكام الله التى تظهر سرعا، ثم دفع
الاربع مائه دينار واطلقوه هو من كان معه فى
الحبس . وانا كاتب هذه السيرة الحقير كنت معه فى
السجن ، الرب الشاهد لقد اتم كلام هذا القديس
فى اليوم السابع من وزنه الدنانير ونحن عنده حتى
دخلوا اليه قوم اعلموه بوفاة الوالى ، وأن مناديا
ينادى فى الأسواق للناس قوموا دفنوا الوالى ، فمجد
كل احد الله صانع العجايب مع قديسه . وصارو

وتمتع ملوك النوبة بسلطان مطلق على رعاياهم ، فالملوك يملكون الأرض ومن عليها ،
ورعاياهم عبيد لهم ، لاحق لهم فى امتلاك الأرض أو التصرف فيها بيع أو شراء^(١) .

ولا خلاف بين الروايات التاريخية على أن نظام وراثة العرش النوبى كان يسير على نظام
الأمومة^(٢) . ومن الدلائل على هذا قول أبى صالح وإن عادتهم جارية بأنه إذا مات ملك
وخلف ولدا وكان له ابن أخت فيملك بعد خاله دون ولد الملك ، وإن لم يكن له ابن أخت
يملك ولده بعده بلاد النوبة^(٣) ، وسواء تمسك النوبيون بهذا النظام أو خالفوا بعض قواعده ،
فالمعروف أن وراثة العرش لم تخل من وقوع اضطرابات لسبب أو لآخر ، بدليل ما جاء فى
سيرة الأنبا ميخائيل من أم الملك زكريا بن مرقوريوس الذى خلف أباه على عرش النوبة سنة
٧١٠م أثر التفرغ للعبادة واختار لعرش النوبة أربعة ملوك تولوا الحكم واحدا بعد الآخر آخرهم
كرياكس ، ولم تخل هذه العملية من حوادث قتل واغتيال ذهب فيها أحد الملوك المتنافسين
على العرش^(٤) . وارتقى عرش النوبة ملوك لا تعرف صلتهم بهذه السلسلة حتى جاء الملك

(١) المسعودى ، نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ٤١ .

(٢) نظام الأمومة أى توريث ابن البنت أو ابن الأخت Matrelineam System وهو نظام حامى قديم
ولازالت بعض الجماعات السودانية تسير عليه حتى الآن .

(٣) أبو صالح ص ١٢٥ .

(4) De Villard : op. cit. p. 96 - 97.

اهل البلد يجلون الاب ويكرمونه لما صبر عليه من
الشدايد، الاحزان والضيق. وان الله قد خلصه من
جميعها ويظهر على يديه العجايب.

ولما ناله من الضيق والحزن والشدة و اراد الله
ان يريحه من هذا العالم ويدعوه الى المساكن
النيرة ليكون في الحياة الابدية كما وعد القديس
وقال تنعم الى الابد وتحيا الى الدهر. فاعتل بعد
ذلك البطرك بحمى، وفي اليوم السابع من مرضه
افتقده الرب واخذه اليه وتنيح في اليوم الثالث

زكريا بن يوحنا (١) ٨٢٣٠م) الذي عهد بولاية العهد لابنه جورج (٢) وتشير بعض المصادر
السورية (٣) إلى زواج الملك زكريا هذا من أميرة من بيت الملك لكي يضيف على نفسه صفة
الصلة الملكية، وأنه ظل يباشر سلطانه نيابة عن ابنه القاصر حتى بلغ سن الرشد. ومن الجائز
أن زكريا هذا أحد أفراد البيت الملكي بعلوة، وانتهاز فرصة الاضطراب في مملكة النوبة وضمها
إليه، بدليل ما جاء في بعض النصوص النوبية الخاصة بهذا الملك بأنه «نادى بنفسه ملكاً»
وهذه عبارة غريبة على البروتوكول الملكي النوبي. والراجح أن اتحاد المملكتين «مقرة وعلوة»
كان مؤقتاً وتم بقوة السلاح (٤) ويبدو أن هذه العملية تكررت أكثر من مرة بدليل ما جاء في
قول المسعودي وأبي صالح من أن مقرة وعلوة كانتا تحت حكم ملك واحد (٥). ثم أن ثمة

.....
(١) تطلق المراجع العربية على هذا الملك اسم زكريا بن يحنس، بيد أن هذه التسمية خطأ وربما كان اسم
أبيه يحنس (يوحنا) وقرنت خطأ بعد قلب الياء باء والحاء إلى خاء

Ibid : op. cit. p. 106.

(٢) هو جورج الأول ابن زكريا وهو الذي قام برحلة إلى بغداد وحصل من الخليفة . المعتصم على وعد
بتخفيف البقط كما سيجي ذكره بعد، ويطلق عليه المقریزی اسم قيرقي.

(3) Michel Le Syrien : Chronique .. III. PP. 94 - 95.

(4) De Villard :op. cit. p. 100 - 106.

(٥) المسعودي: ج٣ ص ٣١ «فأخبرت أن الملك للنوبة في مدينة دقلة كبرى ابن سرور وهو ملك ابن ملك
فصاعدا وملكه يحتوى على مقري وعلوة». أنظر أبو صالح ص ١٢٥. «ملك النوبة له النوبة وأعمالها
وأرض علوة والمقرة والأجناس المضافة إليها».

والعشرين من بابه سنة خمس مائة وست
وستين (*) للشهداء، وكان يوم احد، وقت تناول
السراير المقدسة. (٣) ٥٦٦ قبطية = ٨٥٠ م = ٢٣٦ هـ.

وكان مدة مقامه على الكرسي الإنجيلي
الرسولي ثمانى عشره سنه واحد عشر شهرا.
وحملو جسده الى مدينة اسكندريه وجعلوه عند
ابايه القديسين بمجد وكرامه، بكى الشعب عليه
بدموع كثيره من اهل اسكندريه رجال ونسا
لعدمهم رجلا ثبنا مجاهدا ونال أكليل الغلبة.

نزاعاً نشب داخل البيت الملكى النوبى على عهد جورج الأول. إذ ثار عليه ابن أخته وزوج
ابنته نيوتى. بيد أن الملك جورج رصد له من يقتله (١). فطالب ابن نيوتى بالعرش وبدأ صراع
عنيف بينه وبين ابن الملك جورج.

الخلاصة أن ملوك النوبة توارثوا عرش آبائهم مخالفين فى هذا المبدأ الوراثى القديم الذى قام
على أساسه المجتمع النوبى، على أن مخالفتهم لهذه القاعدة لم تدم طويلا. ومنذ القرن
الحادى عشر الميلادى أمست عملية انتقال الملك إلى ابن الأخت هى الظاهرة التى سادت
التاريخ الملكى النوبى. ويذكر أبو صالح أن أحد ملوك النوبة ويدعى سلمون تنازل عن العرش
لابن أخته زهدا فى الدنيا ورغبة منه فى التفرغ للعبادة فى إحدى الكنائس المصرية (٢).

(١) المقربرى: المقفى، مخطوط، ج٤، ص ١٦٦.

(٢) نزل هذا الملك ضيفاً على اخليفة المستنصر بالله الفاطمى الذى أحسن وفادته. وبعد موته دفن فى دير
مارى جرجس - أبو صالح ص ١٢٤ - ١٢٥... كان يتعبد فى البيعة سلمون ملك النوبة لما نزل على
الملك وخلع نفسه وقال من ذا الذى من الملوك يخلص من الحكم بين الناس من قبل الله تعالى ولم يميل
مع الهوا ولم يسفك الدما ظلماً ولم يفتصب الناس لما لم يستحقه عليهم. فأنهى حاله إلى والى الصعيد
الأعلا وهو سعد الدولة القراس فى خلافة المستنصر بالله ووزارة أمير الجيوش بدر، فسير من أخذه من
هناك ووجه به إلى القاهرة. ولما وصل إلى الباب أكرم كرامة عظيمة... وبعد إقامته مدة تبيح ودفن فى دير
القديس مارى جرجس بالحنديق فى بطركية كيرلس وهو السابع والستين فى العدد وقبره من داخل سور
البيعة مجاور الباب على يمين الداخل إليها. أنظر روفيلة: تاريخ الأمة القبطية ص ١٤٠ - ١٤١.

وهذا ما شهدته بعيني واقتصررت على ما
شرحته من كثرة عجايبه ونحن ندعو الى الرب ان
يجعل صلواته معنا.

ويجب عليكم يا ساداتي القديسين ويجب على
ايضا ان اعلمكم تمام نبوته مما كان قاله لى وهو
فى الحياه، وتممه الرب بعد وفاته ليتعجب من
يسمع ويمجد الله الممجد بمختاريه، وقد بديت
وقلت ان فى الزمان الذى انزل قاضى الظلم على
الاب البلايا بمصر قال: ان كنت انا خاطيا فان

والراجح أن النوبيين تمسكوا بمبدأ توريت ابن الأخت أو ابن البنت. وثبت مبدأ الوراثة على
هذا النحو، وأضحى ركننا من أركان سياستهم التى ساروا عليها فيما بعد. غير أن هذا النظام
لم يؤد إلى استقرار علاقة المملكين وأولياء عهودهم من البيت الملكى النوبى، بل خلق مشاكل
لم يكن من الهين عليهم حلها لصالح مملكتهم، فظهر الانقسام والتخاصم بينهم، مما أدى فيما
بعد إلى سقوط المملكة المسيحية فى الشمال.

وجرى حكم الأقاليم على ما تقدمت الإشارة إليه من تعيين ثلاثة عشر حاكما إقليميا أطلق
عليهم جميعاً لقب الملوك الخاضعين للملك الكبير بدنقلة^(١). وناب أولئك الحكام (الملوك)
عن الملك الكبير فى حكم الأقاليم، وكان عليهم إقامة الطقوس الدينية مثلما يفعل الكبير
تماماً، حتى وصفهم أبو صالح بأنهم «جميعهم كهنة»^(٢). أما طبيعة وظائفهم الإدارية فلم
يصلنا عنها شئ لعدم تعرض المؤرخين العرب أو غيرهم لهذا الموضوع، ومما لاشك فيه أن

(١) يفرق أبو صالح ص ١٢٥ بين هؤلاء الملوك وملك مقرة فأطلق على الأخير لقب الملك الكبير، أما
هؤلاء الملوك الذين تحت طاعته فهم أشبه بالمكوك (جمع مك) الذين تولوا حكم الأقاليم فى عهد دولة
الفونج وكانوا خاضعين للسلطان أو المانجل.

(٢) أبو صالح ص ١٢٥ «عدة ملوك النوبة ثلاثة عشر ملكاً هؤلاء ضابطون البلاد وجميعهم تحت طاعة
كرويا كوس الملك الكبير وجميعهم كهنة...».

الله ينزل على هذا الرجل الظالم انتقاما لجل فعله
ولكن ليس في أيام حياتي بل بعد وفاتي.

ولما تتيح كان في ذلك الزمان ملك للمسلمين
اسمه جعفر بن إبراهيم(*)، فأنقذ الى مصر رجلا
اسمه يعقوب بن إبراهيم ليكشف احوال مصر
ويعرفه بها، فلما وصل اليها عرفوه بأمر من الله
حال القاضي الظالم وافعاله الرديه التي فعلها سرا
وجهرا، فعند ذلك اخذه متولى الترتيب بغته ولم

(*) هو الخليفة هارون أبو جعفر
الملقب بالوائق. تولى الخلافة بعد
وفاة المعتصم في ٧ فبراير ٨٤١م
= ١٨ ربيع ثاني ٢٢٧هـ =
٥٥٨ قبطية.

حاكم مريس، كان أعظم هؤلاء الملوك وأكثرهم خطرا، وسماه المؤلفون العرب باسم صاحب
الجبيل^(١). واتخذ مدينة نجراش^(٢) (فرس) عاصمة له. واتخذ هذا الملك في اقليمه شارات
خاصة وهي العمامة ذات القرنين والسوار الذهبي^(٣). وعثر على صورتين تمثل صاحب الجبيل
في زيه وشاراته: الأولى في كنيسة عبد القادر والثانية في فرس. وتمثل الصورة الأولى صاحب
الجبيل لابسا على رأسه عمامة يبرز منها قرنان، والعمامة مزينة في واجهتها الأمامية بمثلثين
متعاشقين، وهما رمز سليمان وفوقهما هلال صغير. وتمثل الصورة الأخرى صاحب الجبيل

(١) المقرئى: المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ١٩٠ يقول ايمن سليم: «... ولهذه الناحية (مريس) وال من قبل
عظيم النوبة يعرف بصاحب الجبيل من أجل ولاتهم لقريه من أرض الإسلام». وأطلق أبو صالح ص
١١٩ على هذا الملك لقب جوسار، ثم أطلق عليه صاحب الجبيل. وربما ذكر أبو صالح اسم جريس الذي
تولى منصب صاحب الجبيل سنة ١٢٨٧ أى زمن أبي صالح ثم حرف إلى جوسار بدلا من جريس:

De Villard : op. cit. p. 135.

(٢) أطلق المقرئى جـ ١ ص ١٩٠ على عاصمة مريس اسم نجراش على حين أن أبا صالح ص ١١٩ يطلق
عليها اسم بجراس Bujaras والاسمان يطلقان على فرس الحالية قرب الشلال الثالى Griffith, FLI: Faras... JEA. XI. p. 267

(٣) أبو صالح ص ١١٩ «بجراس Bujaras مدينة المريس.. وبها مقام جوسار اللابس العصابة Turban
والقرنين والسوار الذهين» ثم يعود فيقول «... مدينة تعرف بمدينة بوسقا مدينة حسنة.. وبها مقام صاحب
الجبيل». أما بوسقا فغير معروفه.

يعلم فظهرت جميع أعماله المراه [المرائية] التي
يرا [يرائى] بها الناس، وأفعاله الباطنه النجسه
الذميمة. فاخذه واشهره فى جميع شوارع مصر
وحلق لحيته ونظف راسه. وكل احد يشاهده، ورماه
الحبس نهب ماله.

وكل من كان ينطوى عليه من اصحابه تبددوا
فى كل موضع حتى اولاده، ثم نفاه الى مدينة
الملك ومات هناك بموتة سو.

صورة إيبارك (هيزارك) صاحب الحبس،
حاكم إقليم مريس وجدت قرب كنيسة
فرس التي بنيت بالحجر على خلاف
بقية كنائس النوبة ويبدو الملك هن
حاملاً بيده نموذج كنيسة يبدو أنه
مؤسسها والقديس راعى هذه الكنيسة
أعلاها. كما أن السيد المسيح يحتضن
إيبارك ويسانده.

ومن الملاحظ على هذه الصورة
اشتمالها على عدة رموز هامة منها تاج
الملك الذى يحتوى على هلال وقرنين
ونجمة سداسية. أما القرنان فيبدو أن
استعمالهما كان استمراراً لعبادة آمون،
الهلال هو فى الغالب أحد الرموز للأله
القمر القادم من اليمن. والنجمة هى
رمز سليمان ملك اليهود، ونحن نعرف
أن اليهودية دخلت اليمن فى القرن
الخامس الميلادى على وجه التقريب



والقاضي النايب عنه باسكندريه الذى امر
بضرب الاب انبا يوساب، عمل به مثل صاحبه
واسر وهرب بعد ذلك ولم يرجع احد يراه فى
المدينه، ولم يعاينه احد الى الان. وكل من نظر
هذا او سمع به تعجب ومجد الله بسبب هذين
الظالمين اللذين تم عليهما استحقاقهما والانتقام
منهما كما هو مكتوب: جاهل وغير فهم يهلكان
جميعا.

لابسا سواراً فى كلا ذراعيه لا تختلف كثيراً عن الأولى، ماعدا بعض زخارف على شكل
قلب^(١).

ونمتع صاحب الجبل فى إقليم مريس بسلطة لا تقل عن سلطة الملك الكبير، فكان عليه
الدفاع عن حدود المملكة النوبية فى الشمال ضد أى غزو خارجى، وعدم السماح لأحد
بالدخول إلى ما وراء الشلال الثانى مهما كان مركزه إلا بإذنه^(٢) ولهذا أقيمت مراكز

(١) تعتبر عادة لبس السوار الذهبى مظهراً من مظاهر السلطة، وهى عادة مأخوذة عن ملوك مروي الذين
بدو صورههم وأذرعهم مضمومة وتحمل أساور ضخمة على جدران معبد النقعة قرب كبوشية وكذلك فى
أهرام مروي، وهى تمثل ملوك مروي. ونسمع عن أسرة تعرف بسوار الذهب فى العصر الحاضر فى دنقلة.
أما القرنان فيبدو أن استعمالهما كان استمراراً لعبادة آمون . ويرى دى فيار أن العمامة ذات القرنين و
المظلة والتاج من الشارات الملكية السامائية التى وصلت إلى النوبيين إما عن طريق مصر أيام احتلال
الفرس لها ما بين (٦١٦-٦٢٧م)، وإما وصلت عن طريق اليمن، لأنهم احتلوها مدة غير قصيرة، وأن
وجود الطاقية أم قرنين عند ملوك الفونج يؤيد وصولها من ناحية الجنوب. أما عن رمز سليمان فهو أثر
يهودى، ونحن نعرف أن اليهودية دخلت اليمن فى القرن السادس وربما قبل ذلك أيضاً. ولا يبعد أن
يكون هذا الرمز مأخوذاً عن الحميريين الذى وصلوا إلى وادى النيل الأوسط. أنظر الصورة فى الصفحة
السابقة.

(٢) المقرئى : ج ١ ، ص ١٩٠ «وأول الجنادل من بلد النوبة قرية تعرف بتقوى هى ساحل واليها تنتهى
مراكب النوبة المصعدة من القصر أول بلدهم، ولا تتجاوزها المراكب ولا يطلق لأحد من المسلمين ولا من
غيرهم الصعود منها إلا بأذن من صاحب جبلهم» وفى موضع آخر «... ولا يطلق لأحد أن يجوزها إلا
بأذن الملك (صاحب الجبل) ، ومن خالف كان جزاؤه القتل كائناً من كان . وبهذا الاحتياط تنكتم
أخبارهم حتى أن العسكر منهم يهتم على البلد إلى البادية وغيرهم فلا يعلمون به».

ذكرنا لمحببتكم جهاد الاب القديس انبا يوساب
ونذكر لكم فعله طول زمانه ومدة مقامه على
الكرسى.

لم يشغل قلبه ولا شغله ما نزل عليه من الامور
الصعبة بل كان مداوم الصلوات ليلا ونهارا، وكان
يختتم قراية المزامير فى كل يوم، خمسه وسبعين
مزمور بالنهار، وخمسه وسبعين مزمور الى نصف

عسكرية لمراقبة المرور ومنع تسرب اخبار البلاد الى الخارج. وربما كان هذا الاحتياط الشديد
لمنع تسرب العرب الى ماوراء أطراف مريس جنوباً^(١).

لم يقتصر مقام صاحب الجبل على مدينة فرس وحدها، بل كان مضطراً لأسباب حرية أو
إدارية أن ينتقل من مدينة لأخرى. وذكر أبو صالح عدة مدن جرت عادة صاحب الجبل أن
ينتقل بينها وهى: إبريم^(٢)، ونجراس ويوسقا والدو^(٣) وجزر ميخائيل^(٤).

والى جانب الحكام الإقليميين فى مملكة النوبة كانت هناك طبقة أخرى من صغار الموظفين
يحملون ألقاباً بيزنطية. ومن بين هؤلاء الموظفين من كان فى خدمة الملك مباشرة، ومنهم من
كان فى خدمة صاحب الجبل. غير أن معظم ألقاب هؤلاء الموظفين غير واضحة ومنها: خادم

(1) De Villard, : op. cit. p. 187.

(٢) أبو صالح ص ١٢١ «ومن بلاد النوبة مدينة إبريم وهى سكن صاحب الجبل». وكانت هذه المدينة طوال
الاحتلال العثماني لمصر مكان لنفى المغضوب عليهم من الامراء المماليك، وقد استوطنتها عدد من
المماليك بعد مذبحة القلعة فى عهد محمد على.

(٣) جاء فى المواقظ والاعتبار ذكر بلدة أدواء التى يتسبب إليها لقمان وذو النون المصري، وأطلق عليها
بورخارت اسم Adda أو الدر. غير أن دى فيار يرى أنها داود نسبة إلى شيخ بهذا الاسم سكن فيها
وأخذت اسمه وهى تقع عند مدخل وادى الزرقاء.

(٤) وهى ذات أهمية استراتيجية هامة لوقوعها عند مدخل الشلال الثانى

De Villard, : op. cit. p. 140.

الليل، خارجا عما كان يقول من التسايح بابتهاال
للرب ومسكنه وخشوع. وهذه التي كان عليها
طول ايام حياته، اعنى التواضع والرحمة والسكينة
والعفاف، وملازمة الصلوات واعطا الصدقات.
حتى انه بعد هذه السنين التي اقامها بطركا كان
همه وفكره وحواسه مثل من هو فى ركن من
قلايه بوادى هبيب. فنال بذلك اكليل اعماله من

الملك أو أمين خاص الملك Domesticos، وأمين أول القصر الملكى Protodomesticos،
وهى وظيفة كبيرة كان يشغل صاحبها إما منصب حاكم، أو أن يقوم بعمل القاضى أو يباشر
بعض الشؤون المالية. هذا فضلا عن حكام المدن، كحاكم مدينة درمس^(١) الذى أشار إليه أبو
صالح . ولابد أنه كان فى بلاد مريس موظف لمراجعة أوزان العملة حيث كانت العملة
متداولة، بدليل ما جاء فى وثيقة عثر عليها فى مهندي «تسلمت ثمن أربع عملات طيبة
ووزنها صحيح»، وأخرى فى نفس المدينة تدل على وجود موظف للإشراف على إصلاح
المنازل. ومهما يكن من أمر فإن العدد الكبير من الألقاب الموظفين لم يعرف لها نظير، وتدل
على مدى التعقيد فى الإدارة النوبية^(٢).

.....
(١) أبو صالح ص ١٢٥ : مدينة درمس من بلاد النوبة بها بيعة جليلة القدر حسنة الوضع مطلة على
البحر فيها صفة صورة الملك الكبير وصورة صاحب درمس، ودرمس هذه هى تالمس (كلايشة الحالية).
(٢) كتبت هذه الألقاب باللغة النوبية وليست باليونانية أو القبطية ، ومن عوامل تعقيدها واضطرابها أنها
أخذت أصلا النظم البيزنطية وطبقت على الوظائف التى خلفها العهد المروى وما دخل عليها من تقاليد
بدائية، على حين أن الشعب ظل محتفظاً بالألقاب والوظائف القديمة . وبمضى القرون اختفت التقاليد
البيزنطية من مصر بعد دخول العرب فيها واختفت معها الألقاب التى تخلقت فى بلاد النوبة ولم يكن
لها أساس أو معنى فى أذهان الناس، ثم حلت محلها أسماء وألقاب نوبية مما يستعملها الشعب وعادت
بعض الألقاب المروية إلى الظهور من جديد فى الإدارة النوبية وهذا هو سر تعقيدها.

De Villard : op. cit. pp. 193 - 194.

أنظر

الرب يسوع المسيح وصار مع القديسين في كورة
الاحياء، والمجد للاب والابن وروح القدس الى الابد
امين.

تم الجز التمانى من سير البطاركه
القديسين صلواتهم تكون معنا وطلباتهم تحررنا
امين.

اما عن التنظيمات السياسية في مملكة علوة فإن المراجع لا تذكر عنها شيئا يستحق الاهتمام.
ويغلب على الظن أن نظمها السياسية تشبه - إلى حد بعيد - نظم الحكم في مملكة النوبة
(مقرة) ، فكبيرها عرف باسم «ملك علوة» وعاصمته صوبة^(١) ، التي أطلقت عليها بعض
المراجع المتأخرة اسم كومة^(٢) . وتابع ملوك علوة نظام الأمم في ورثة العرش^(٣) . والمراجع
أن ملوك علوة تمتعوا بسلطة مطلقة على رعاياهم مثل ملوك مقرة. فالملك هو صاحب الأرض
والشعب كله عبيده لا يخالفون له أمرا ولا يعصونه بدليل قول ابن سليم «وملكهم يسترق من
شاء من رعيته بحرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه بل يسجدون له ولا يعصون أمره على
المكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش فليكن أمره^(٤)». ولا نعرف من شارات ملكه سوى
التاج.

- (١) المقرئى : جـ ١ ، ص ١٩٣ .
(٢) الدمشقى : ص ٢٦٨ «النوبة صنفان أحدهما يقال لهم علوا وملكهم يكن مدينة تسمى كومة والآخر
يسمى مقرا وملكهم يكن دنقلة» .
(٣) يؤكد ابن حوقل ، ص ٥٦ هذه الظاهرة بعد أن حققها بنفسه خلال زيارته لعلوة فيقول «ومن أعمار
بلادهم في أرض علوة... وكان ملكهم وأنا بالناحية أسانيوس أرجوه بن حوقل وقد خلا له في ملكه سبع
عشرة سنة، وتوفى في مجلس ابن أخته أسطانيوس ابن بركى وهو مقيم فيهم إلى وقتنا هذا . ومن سنة
جميع السردان إذا هلك الملك أن يقعد ابن أخته دون كل قريب وحميم من ولد وأهل» .
(٤) المقرئى : جـ ١ ص ١٩٣ .

لا محل للخلاف في أن الطابع العام لحكومة الأقاليم في مملكة علوة يشبه ما كان معمولاً به في دولة مقررة. إذ انقسمت المملكة إلى ولايات عرفت كل واحدة منها بالمملكة وعلى رأس كل منها ملك^(١). وكان ملك إقليم الأبواب الواقع في شمال المملكة (منطقة كبوشية الحالية)، أعظم أولئك الملوك الإقليميين قدراً وأعلاهم مقاماً.

وفيما يتعلق بالاجتماع النوبي المسيحي فقد اتفقت جميع الروايات التاريخية على أنه كان يتألف من طبقتين: الأولى وهي الطبقة الحاكمة، وتشمل الأسرة المالكة وعلى رأسها الملك الكبير سواء في دنقلة أو في سوبا، هذا فضلاً عن حكام الأقاليم (الملوك). والطبقة الثانية هي طبقة العبيد، وهم عامة الشعب النوبي. وبين هاتين الطبقتين قامت فئة الموظفين، وقد تولى أفراد هذه الفئة مختلف الوظائف الملكية في العاصمة والأقاليم، ولا بد أن عددهم كان محدوداً. ومن الواضح أن الطبقة الحاكمة الشاملة للأسرة المالكة وفروعها هي وحدها التي مارست حقوقاً سياسية ودينية^(٢).

ويزعم بعض الكتاب ومنهم يوحنا النقيوسي والمسعودي وابن سليم والمهلبى أن ملوك النوبة يرجعون إلى أصل حميري^(٣) ويبدو أن المجتمع النوبي بشكل نوعاً من الاقطاع غريباً في تركيبه، ولم يعرف له نظير في الإقطاع الأوربي أو غيره. فالملك هو صاحب الأرض، ولا بد أن طبقة الحكام في الأقاليم كان لهم نفس هذا الحق. أما الشعب فلا أملاك له، وهم عبيد الملك،

(١) سبق أن أشرنا إلى الأقاليم التي تتكون منها مملكة علوة والتي جاء ذكرها في مخطوطه قلاوون، ولا حظنا أن حكام هذه المقاطعات عرفوا جميعاً باسم ملوك، كما عرف حكام مقاطعات مقررة بهذا اللقب كذلك. ومعنى هذا أن هاتين المملكتين الكبيرتين - مقررة وعلوة - كانتا تحتويان على عدد كبير من الممالك.

(٢) أشرنا من قبل إلى أن ملك النوبة وملوك الأقاليم مارسوا إقامة الطقوس الدينية وقاموا بأعمال القسس.

(٣) المسعودي: مروج الذهب جـ ٢، ص ٣٧٢، ٣٨٣ جـ ٣، ص ٣١، ٣٣، ٣٤ وملوكهم تزعم أنها من حمير.

المقريزي. جـ ١ ص ١٩١، يقول ابن سليم «ويقال إن سلحا جد النوبة ومقرى جد المقررة من اليمن. وقيل النوبة ومقرى من حمير» انظر De Villard: op. cit. p. 160 وانظر كذلك Michael: op. cit. I. p. 168. ويرى دي فيار أن الشارات الملكية النوبية جاءت من بلاد اليمن على يد الحميريين الذين هاجر فريق منهم إلى النوبة حيث كونوا طبقة حاكمة، انظر ص ٨٦. وكذلك De Villard p. cit. p. 185.

يعملون فى الأرض لصالح سادتهم^(١)، ياعون ويشترون ويهدى بهم ويقومون مقام العملة. ويوضح ذلك أن العملة لم تعرف ببلاد النوبة إلا فى منطقة مريس، أما وراءها جنوبا فالرقيق يقوم مقام العملة فى البيع والشراء. فيقول ابن سليم الأسوانى «ومن يخرج إلى بلد النوبة من المسلمين فمعاملته معه فى تجارة أو هدية إليه (صاحب الجبل) أو إلى مولاه، يقبل الجميع ويكافئ عليه بالرقيق»، ثم يضيف «ولا يجوزها دينار ولا درهم، إذ كانوا يتبايعون بذلك إلا دون الجنادل مع المسلمين، ما فوق ذلك لا بيع بينهم ولا شراء، إنما هى مقايضة بالرقيق والمواشى والحبال والحبوب»^(٢).

* * *

وفيما يتعلق بالتنظيمات الكنسية تشير جميع كتابات المؤرخين العرب والمصادر القبطية كذلك إلى أن بلاد النوبة اتجهت فى زعامتها الروحية إلى الكنيسة المصرية^(٣). ويقصد بالنوبة هنا جميع بلاد مريس ومقرة وعلوة، وبدليل أن المقاطعات الكنسية التى أوردها فانسليب Vansleb^(٤) فى قائمته تشتمل على مقرة وعلوة وهاتان المقاطعتان الكنسيان تشتملان على ثلاث عشرة أسقفية تابعة للكنيسة المصرية ومن هذه الأسقفيات : سبع فى مريس وهى كورته وإبريم وفرس ودنقلة وسأى وتالمس (كلابشة) وشنقير^(٥). وأسقفيات علوة هى : بورا وجاجورا ومارتن وأرودياس وبنازى ومنكيزا^(٦).

- (١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٤١ .
(٢) المقرئى : المواعظ والاعتبار جـ ١ ، ص ١٩١ .
(٣) المقرئى : المواعظ والاعتبار جـ ١ ، ص ١٩٣ .

Roeder: op. cit. p. 384.

Renaudot : op. cit. pp. 178, 222.

(4) Vansleb, J.M. : Hist de l'Eglise D' Alex. Fonde par S. Marc. PP. 29-30.

لا شك أن قائمة فانسليب تحتوى على تحريف كثير لأسماء المدن والمقاطعات النوبية وهى تحتاج إلى تحقيق أنظر Crawford : op. cit. p. 26.

(٥) ذكر فانسليب هذه الأسقفيات محرفة وقد حاولنا تحقيقها كما هو واضح فى المتن. وبعد أن ذكر فانسليب أن بالنوبة مقاطعتين كنسيتين هما مقرة وعلوة ، عاد فذكر أن أسقفيات مريس هى كذا وكذا على حين أنه كان يجب عليه أن يذكر مقرة بدلا من مريس ، وذلك لأنها تحتوى على أسقفيات لاتقع فى حدود مريس ومنها . دنقلة، وسأى، وشنقير. وهذا خلط فى الأسماء.

(٦) من الصعب تحقيق هذه الأسماء فلا يوجد الآن ما يشبهها أو ما هو قريب منها. وموضع الصعوبة فى قائمة فانسليب هو أنه نقل هذه الأسماء من مخطوط عربى أو قبطى، غير أنه لم يتمكن من مقابلتها-

غير أن الكنيسة الملكية لم تتخل عن حقوقها الدينية القديمة في بلاد النوبة، وجاءت قوائم أقاليمها الكنسية متضمنة وجود أسقفية مريس ومطروانية نوبة^(١). لكن إذا جاز للكنيسة الملكية أن تدعى نفوذا دينيا في بلاد النوبة فهذا النفوذ لم يشمل مريس (نوباديا) بل اقتصر على مقرة ولمدة لم تتعد أوائل القرن الثامن الميلادي، بسبب تحول أهلها إلى مذهب الكنيسة المصرية. وبهذا أصبح لبلاد النوبة كلها «مريس - مقرة - علوة» كنيسة موحدة على رأسها مطران يعينه بطريرك الكنيسة المرقية ويتولى المطران رسامة أساقفة وقساوسة البلاد جميعا^(٢).

والراجع أن أساقفة الكنيسة في بلاد النوبة كانوا يرسلون من مصر، فيقول أبو صالح «ملك النوبة له النوبة وأعمالها وأرض علوة والمقرة والأجناس المضافة إليها.. وهي كرسى ماري مرقس الإنجيلي ومنه يقسم لهم»^(٣) ويذكر أبو صالح أنه استمر العمل بهذا التقليد حتى أبطله الحاكم بأمر الله الفاطمي على عهد البطريرك زكريا (١٠٠٠ - ١٠٢٩ م)^(٤).

وشملت وظائف الكليروس النوبي القسوس والشمامسة والمرتلين^(٥). وقد تقدمت الإشارة إلى ممارسة حكام الأقاليم (الملوك) وظائف كهنوتية علاوة على أعمالهم الإدارية. فكان من حقهم إقامة الطقوس الدينية داخل الهيكل، ويحرمون من ممارسة هذا الحق إذا ارتكبوا جريمة القتل^(٦). وقد يشغل القسيس أو الشماس منصبا إداريا آخر إلى جانب وظيفته الدينية كموثق عقود أو أمين مخازن^(٧).

=وتحقيقها، وثمة صعوبة أخرى وهي أنه نقلها بالأحرف اللاتينية فحدث تحريف وخطأ هجائي جعل من العسير مطابقتها على ما هنالك من أسماء، وعلى هذا فإن هذه المدن لا يعرف عنها شي الآن.

De Villard, pp. 155 - 156 Crawford, p. 26.

(1) De Villard : op. cit. p. 130.

(2) De Villard : op. cit. p. 159.

(٣) أبو صالح ، ص ١٢٥ ، وترجمها جلفر في حاشية ص ٢٧٢ من نفس الكتاب كما يلي :

“...Which consecrates (their bishops) for them”.

(4) Roeder : op. cit. p. 386.

(5) De Villard : op. cit. pp. 166 - 167.

(٦) أبو صالح ، ص ١٢٥ ، ويرى دى فيار أن هذه الصفة الدينية للملك النوبة ربما ترجع إلى أصل فرعونى، وتسربت إلى الشعوب الإفريقية وظلت حتى العهد المسيحي في بلاد النوبة. وأن فكرة النجاسة الناشئة عن قتل رجل منتشرة انتشاراً واسعاً. De Villard , P. 174. ولا تزال فكرة تقديس الملك أو الرئيس منتشرة عند الشعوب النيلية مثل رث (زعيم) الشلك.

(7) Ibid : op. cit. p. 167.

ويرأس الرهبان فى الأديرة النوبية أرشمندريت «رئيس رهبان» . وورد فى بعض النصوص أن الأسقف كان يتولى أحيانا منصب أرشمندريت^(١) .

* * *

ويتضح من قول أبى صالح أن الطقوس الدينية بالكنائس كانت تودى باللغة اليونانية^(٢) ، غير أنه فى خلال القرن الثامن الميلادى أخذ النوبيون يترجمون الطقوس الدينية عن اليونانية إلى اللغة النوبية^(٣) . ويقول جريفت إن أول نص كتب باللغة النوبية يرجع إلى سنة ٧٩٥ م^(٤) . غير أنها لم تصبح لغة مدونة إلا منذ أواخر القرن العاشر الميلادى على الأقل^(٥) .

ودخل اللغة النوبية عدد من الكلمات اليونانية والقبطية^(٦) ، وكتبت بحروف ذات طابع قبطى ، فضلا عن استعمال كثير من الحروف القبطية^(٧) . وباستثناء بعض النقوش والكتابات المبعثرة هنا وهناك ، فإنه لم يعثر إلا على سبعة مخطوطات باللغة النوبية تحمل الطابع الدينى ما خلا واحدا منها^(٨) . وهذه المخطوطات وإن كانت عديمة القيمة من الناحية التاريخية فهى تلقى ضوءا على طبيعة الأدب المسيحى فى اللغة النوبية^(٩) ، وإهمها المخطوط الذى كتبه الملك سلمون وأشار إليه أبو صالح^(١٠) . ويوضح هذا المخطوط ما كان يتمتع به هذا الملك النوبى

(١) يشير دى فيارالى لوحة عثر عليها فى قبر توماس أسقف فرس وتدل على أنه كان يشغل أيضا وظيفة أرشمندريت فى دير مزاج
De Villard : op. cit.

(٢) أبو صالح ص ١٢٥ ، وقد أسهم روميا ويرى بتلر حاشية ص ٢٧٢ . ونعرف من هذا الكتاب أن استعمال اللغة اليونانية فى الطقوس الدينية ببلاد النوبة دليل على دخول المسيحية إلى هذه البلاد قبل أن تترجم الطقوس الدينية من اللغة اليونانية إلى اللغة القبطية فى مصر أنظر

Budge, E. W. : Ethiopia, ... I, p. 117.

Budge, E. W. : The Egypt Sudan II. P. 301.

Bulge, E. W.: Nubian Texts, pp. 7-10.

(3) Griffith, FLJ : op. cit. p. 17.

(4) Griffith, FLJ. : Oxford Ex. in Nubia, p. 55.

(5) Shinnie, P. L. ; Med. Nubia, P. 6.

ويرى شنى Shinnie أن اللغة النوبية القديمة ذات علاقة وثيقة باللهجة المحلية الحديثة المنتشرة ما بين الشلال الثانى وأبو فاطمة عند الشلال الثالث.

Ibid. : op. cit. pp. 6-7.

(6) Griffith, F. LI.: The Nubian texts of Christian period. pp. 5-6.

(7) Shinnie, P. L. : op. cit.

(8) Ibid. : op. cit. p. 70.

(9) Roeder, : op. cit. p. 392.

(١٠) أبو صالح ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

من علم ومعرفة. وتشتمل بعض هذه المخطوطات على ترجمة فقرات من الإنجيل وترانيم عن صلب السيد المسيح ومناقبه إلى اللغة النوبية^(١). ويحتوى بعضها الآخر على أعمال تشبه المعجزات قام بها الأسقف مينا، كما يحتوى على صورة تمثل هذا الأسقف، ممتطياً صهوة جواد وبيده رمح^(٢)، وعلى الرغم من أن اللغة النوبية حلت محل اليونانية فى الصلاة إلا أن اليونانية ظلت تستعمل فى كتابة شواهد القبور حتى عهد متأخر يرجع إلى القرن الثانى عشر الميلادى، على حين أنه لم يعثر على شاهد قبر واحد باللغة النوبية^(٣).

ومما لاشك فيه أن اللغة القبطية كان لها نفوذ واسع فى بلاد النوبة. فهى علاوة على أنها كانت لغة الوثائق الرسمية حتى القرن العاشر الميلادى على الأقل^(٤)، نجدها قد استخدمت فى أغراض دينية كذلك. وكثير من شواهد القبور التى عثر عليها مكتوب باللغة القبطية. وأحياناً تسود اللغة القبطية على اليونانية فى كتابة شواهد القبور فى بعض جهات النوبة. ويرجع ذلك فى الغالب إلى هجرة جماعات من الأقباط واستقرارهم فى جهات النوبة المختلفة^(٥). ويبدو ذلك واضحاً فى منطقة دير الغزال قرب مروي^(٦).

غير أن معلوماتنا عن لغة أهل علوة قليلة جداً لضياع معظم آثارها. ويبدو مما ذكره ابن سليم أن أهل علوة ترجموا الطقوس الدينية إلى اللغة النوبية^(٧). بيد أن الدمشقى يقول أنهم يقرأون الإنجيل بلغة الروم^(٨). ومهما يكن من أمر فإنه لم يصلنا من مخلفات علوة اللغوى سوى شاهدى قبر عثر عليهما فى سوبا، يرجع أحدهما إلى سنة ٨٩٧ م. وبفحص نقوشه وضع بما لا يدع مجالاً للشك أنها لغة نوبية مكتوبة بحروف ذات طابع متميز عن حروف اللغة النوبية فى المملكة الشمالية. ويقول جريفت ليس فيها أى أثر للغة اليونانية أو الحروف

(١) عثر على بعض هذه المخطوطات بإدفو فى صعيد مصر واشتراها ملك ألمانيا وهى الآن بمتحف برلين. Roeder : op. cit. p. 392.

(2) Ibid op. cit. pp. 392-3.

(3) Griffith, F.L. : Oxford Ex, in Nubia. p. 53.

Sbinnie, P. L. : op. cit. p. 7.

(٤) يقول جريفت إن الوثائق الرسمية كانت تكتب بالقبطية حتى القرن ١٠ م ثم حلت محلها اللغة النوبية.

Griffith, F.L. ; Christ. Doc. from Nubia pp. - 18.

(5) Griffith, F.L. : Oxford Ex in Nubia. p. 53.

(6) Shinnie, P. L. : op. cit. p. 7.

(٧) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٩٣.

(٨) الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ص ٩٩.

القبطية^(١). غير أن ليسيوس - اعتماداً على مخطوط بمتحف برلين يشتمل على أنواع الكتابة المستعملة عند الشعوب التي تتكلم اللغات الحامية - يرى أن الكتابة التي يستعملها أهل علوة تعرف باسم كيليكيا^(٢) كما يرى ليسيوس أن الكتابة التي أمكن العثور على نموذجين منها بالمتحف البريطاني تشبه الكتابة القبطية باستثناء بعض الزيادات التي دخلت عليها^(٣). ويوافقه شني على هذا، ويضيف أن الكتابات التي عثر عليها في سوبا لا تحمل دعاء لله أو اسم صاحبها^(٤). وإخلاصة أن لغة علوة تختلف في طبيعتها وفي نوع كتابتها عن اللغة النوبية في مملكة مقرة^(٥).

وإذا كانت رغبة أهل مقرة في الاستقلال بنوع خاص من الكتابة، هي التي دفعتهم إلى ترجمة الطقوس الدينية إلى لغة نوبية عامية كتبوها فيما بعد، فمن الصعب تفسير تمسكهم باللغة القبطية واليونانية دون النوبية في كتابة شواهد القبور^(٦). وهناك احتمال أن استمرار كتابة شواهد القبور بالحروف القبطية واليونانية عائد إلى أن محترفي كتابة هذه الشواهد كانوا من مصر ولا يجيدون نقش الحروف النوبية. ومن الطبيعي أن هذه القبريات سواء القبطية أو اليونانية لم تخل من تحريفان لغوية إملائية، فضلاً عن أنها لا تعبر إلا عن اسم المتوفى وعمره وتاريخ وفاته وطلب المغفرة له من الله، وقد تشير إلى منصبه الكنسي، لكنها لا تذكر شيئاً عن تاريخ حياته أو نسبه^(٧).

أما عن علاقة الكنيسة النوبية بالكنيسة المصرية، فلا شك أنها كانت طيبة. وفضلاً عن إرسال الأساقفة المصريين إلى بلاد النوبة فإن ثمة علاقة نشأت بين ملوك النوبة المسيحيين وبطاركة الكنيسة المرقسية. ولعل مصدر هذه العلاقة هو ما اجتمع لملوك النوبة من سلطة سياسية ودينية معاً. وهذه السلطة الدينية جعلت منهم ممثلين للكنيسة النوبية. واختلفت طبيعة هذه العلاقات من حين إلى آخر تبعاً لما تقتضيه مصالح الطرفين. مثال ذلك أن البطريك إسحق تدخل حوالى سنة ٦٩٠م لفض نزاع نشب بين ملك النوبة وملك الحبشة، غير أن

(1) Griffith, F. LI. : Christian Documents from Nubia p. 14.

(2) Budge, E. W.: Nubian Texts pp. 7-8.

(3) Ibid : op. cit. p. 8.

(4) Shinnie, P. L. : Excavations at Soba, SAS. , III. P. 50.

(5) Budge, : op. cit. p. 8.

(6) Growfoot. J, W. : Christian Nubia, JEA. XIII, P. 146.

(7) Crowfoot, J. W. : op. cit. P. 146.

وساطته لم يقدر لها النجاح خوفاً من بطش عبد العزيز بن مروان وإلى مصر إذ ذاك^(١). ومثال آخر أن خلافاً نشب بين الملك زكريا ملك النوبة والأسقف كيرياكوس، وطلب الملك عزله، ولما لم يسفر التحقيق عن إدانة الأسقف طلب البطريك إلى الأسقف أن يقيم في إحدى الأديرة، وعين من يقوم بعمله^(٢).

وتحدث المصادر القبطية عن حملة قام بها كيرياكوس ملك النوبة سنة ٧٥٠م على مصر لإرغام واليها على إطلاق سراح البطريك ميخائيل^(٣). وتفسر هذه الحملة من وجهة النظر النوبية^(٤) أن البطريك بات متمتعاً بحماية ملوك النوبة. لكن يبدو أن الملك النوبي انتهر فرصة ثورات الأقباط في إقليم الحوف بسبب نزع الصور المقدسة من الكنائس، وفداحة الضرائب، وقام بحملته على مصر.

ولما توترت العلاقات بين زكريا بن يحيى (يوحنا) ملك النوبة ووالي مصر بسبب امتناع زكريا عن تنفيذ التزاماته للخليفة، تدخل البطريك يوساب لحسم هذا الخلاف ونصح زكريا بتنفيذ شروط العقد بين ولاية مصر وملوك النوبة. واستجاب الملك النوبي لهذه النصيحة وبعث بابنه جورج إلى بلاط الخليفة المعتصم ببغداد. وفي طريق عودته كرز له البطريك مذبحة نصب في القصر الذي نزل فيه بالجيزة، وأقيم عليه القداس وسمح الوالي بدق الناقوس من سطح القصر^(٥).

(1) Renaudot : op. cit. p. 178.

(2) Ibid. : op. cit. p. 221.

De Villard. : op. cit. pp. 96-97.

(٣) اختلفت المصادر القبطية حول تاريخ هذه الحملة واسم والي مصر إذ ذاك. أنظر الآراء المختلفة حول هذه الحملة في أبي صالح وكذلك.

De Villard, : op. cit

pp 97- 98.

Griffith. FLI. : Christ.Doc. p. 28.

Lane - Poole: op. cit. p27.

(٤) يشك بعض المؤرخين في مقدرة ملك النوبة على تجريد هذه الحملة لفقر النوبة وضعفها. ويرى رينودو أن الحبشة لابد أنزلت النوبة في هذه الحملة.

Renaudot: op. cit. p. 222.

MacMichael: op. cit. L. p. 168.

(٥) أنظر التفاصيل في علق رينودو على هذا المذبح بقوله: إنه الأول من نوعه إذ لم يكن هناك مذابح متقلة ولم يسمح بإقامة الطقوس في أماكن بعيدة عن الكنائس.

Renaudot, op. cit. p. 285.

وجاء فى سيرة الأنبا فيلوتاوس البطرك ٦٣ (٩٧٠ - ٩٩٥م) أن الملك جورج ملك النوبة توسط لدى البطريك لإعادة العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية والحبشة بعد انقطاعها مدة. وقبل البطريك رجاء الملك النوبى^(١).

وجاء فى تاريخ بطاركة الإسكندرية ما يشير إلى تجدد الاعتداء على البطريك. ذلك أن اليازورى قبض على البطريك كرسودولس وزج به فى السجن وصودرت أمواله بسبب ما ترمى إليه أن البطريك يحرض ملك النوبة على عدم دفع التزاماته للخليفة، ونال الأقباط اضطهاد شديد. ولما وصلت أنباء هذه الحوادث إلى ملك النوبة أرسل معونة مالية للبطريك ليستعين بها على تفريج أزمته^(٢). وثمة تهمة أخرى وجهت إلى البطريك كرسودولس فى وزارة بدر الجمالى، ومجمل هذه التهمة أن البطريك أرسل الأسقف فيثورى إلى بلاد النوبة وكلفه بهدم جميع المساجد الموجودة بها، لكن أظهر التحقيق الذى أجرى ببلاد النوبة كذب هذه التهمة وحكم على صاحبها بالاعدام^(٣). ولا يبعد أن يكون ملك النوبة تدخل لحسم هذا الخلاف لتمتعه بمكانة طيبة فى البلاط الفاطمى فى عهد المستنصر فجاء التحقيق فى صالح البطريك.

غير أن تأثير الكنيسة النوبة فى حياة الناس لم يكن - فيما يبدو - قوياً، بل ظل المجتمع النوبى يعيش فى مثل ما عاش قبل دخول المسيحية. وربما كان بعض السبب فى هذا أن الطقوس الدينية تؤدى بلغة أجنبية لكبار رجال الدولة الذين اعتنقوا المسيحية أولاً وعلى رأسهم الملك الذى أمر النوبيين باعتمادها باعتبارهم عبيده. وهو نفس الوضع الذى أدى إلى إسلامهم فيما بعد، فلم تختلط العقيدة الجديدة بقلوب الناس، وأخذت هذه الطقوس مظهراً تقليدياً رسمياً. فانحطت الروح الدينية ولم تظهر حركة إصلاح دينى، بل اكتفى النوبيون بترجمة الطقوس إلى اللغة النوبة التى لم تتخل عن بعض المعتقدات القديمة^(٤).

ولم تنجب الكنيسة النوبة علماء متخصصين فى اللاهوت أو الفلسفة الدينية، أو رجال

(١) ساويرس بن المقفع: تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية،

(2) Renaudot. op. cit. p. 435.

(3) Renaudot. op. cit. pp. 443 - 445.

De Villard: op. cit. p. 128.

(4) Trimingham, J.S.: Islam in the Sudan. p. 70.

دين ذوى مثل مستمدة من تجارب القديسين والشهداء - مثلما كان الحال فى الكنيسة المصرية^(١) ولهذا ظل الجهاز الكنسى بيد رجال مصريين مبعوثين من الكنيسة المصرية. واقتصر العنصر الوطنى على تقلد الوظائف الدينية القليلة الخطر. وتحدد مستقبل الكنيسة النوبية بنوع العلاقات بين الكنيستين - غير أن هذه العلاقات لم تلبث أن خضعت لعوامل سياسية، فتأثر مركز الكنيسة النوبية تبعاً لهذا التدخل من جانب السلطات الحاكمة فى مصر. إذ منع الحاكم بأمر الله إرسال خطابات بطريرك الكنيسة المرقسية السنوية إلى كل من الحبشة والنوبة. وتبع هذا توقف إرسال الأساقفة مدة من الزمن، حتى إذا جاء العهد المملوكى وتعرضت الكنيسة المصرية لنوع من الضغط من جانب بعض سلاطين المماليك، فقدت بهذا نفوذها القديم فى بلاد النوبة. ومن الواضح كذلك أن اعتناق النوبيين للمسيحية كان صورياً، واقتصر أثرها حيث توجد المدن والقرى الكبيرة. وظلت الغالبية العظمى من النوبيين يمارسون عاداتهم القديمة^(٢). بدليل ما لاحظته ابن سليم من أن بعض سكان النوبة يعرفون الله ولكنهم يشركون معه بعض مظاهر الطبيعة كالنجوم والكواكب والأشجار ويعتقدون فى السحر^(٣). ويؤيد هذا وجود بعض التقاليد الموروثة عن العهد السابق للمسيحية. ومنها توريث ابن الأخت أو البنت، والطاقيّة أم قرنين كرمز للسلطة، ولبس السوار الذهبى، والختان الفرعولى، وبعض الشعائر الخاصة بحفلات الزواج والختان. ولابد أن هذه العادات لعبت دوراً هاماً فى حياة المجتمع المسيحى^(٤).

* * *

وفيما يتعلق بالاقتصاد النوبى، فمعلوماتنا عنه قليلة وتعتمد أساساً على ما ورد فى كتب المؤرخين والجغرافيين العرب مثل ابن سليم الأسوانى وابن حوقل والإدريسى. ويبدو من كتابات هؤلاء أن الاقتصاد النوبى فى العهد المسيحى اعتمد على نوعين من الحرف هما الزراعة والتجارة. فضلاً عن وجود الرعى فى مملكة علوة. وفى المملكة الشمالية (مقرة) تنحصر مواضع الخصب فى شريط ضيق يحاذى النيل، ويختلف ضيقاً واتساعاً من مكان إلى آخر.

(١) لم يسجل تاريخ الكنيسة النوبية استشهاداً أو اضطهاداً كما حدث فى مصر إبان عهدها الأول بالمسيحية. بل إن النوبيين قبلوا الدعوة الجديدة بأمر من ملوكهم.

(2) Crowfoot, J.W. : op. cit. pp. 142 - 143.

(٣) المقرئى: المواعظ والاعتبار، جـ ١، ص ١٩٣.

(4) Crowfoot, J.W. : op. cit. pp. 142 - 143.

ففى جزئها الشمالى «مريس» - على حد قول ابن سليم - يضيق الوادى وتحفه الجبال من الجانبين، وتمتد القرى على حافة النهر. ويزرع النوبيون مساحات محدودة على شكل مدرجات تتراوح مساحتها من فدان إلى ثلاثة أفدنة اعتمدوا فى ربيها على الساقية. ونظراً لضيق الرقعة الزراعية اضطر النوبيون إلى زراعتها مرتين فى السنة^(١). ويبدو أنهم عرفوا طريقة التسميد ليحافظوا على خصوبة التربة. واقتصرت زراعتهم على أنواع محدودة من الذرة وقليل من الشعير والسهم واللوبيا، هذا فضلاً عن انتشار أشجار النخيل فى المدرجات العليا.

والجزء الجنوبى من مريس حتى المقس الأعلى، أشد أجزائها فقراً. إذ يمتد النيل بين حافتين جبليتين شديديتى الانحدار وصحراء قاحلة، وبرها مجاوب ضيقة وجبال شاهقة وطرقات ضيقة حتى لا يمكن الراكب أن يصعد منها والراجل الضعيف يعجز عن سلوكها ورمال فى غربها وشرقها، وفى جزائرها نخل يسير وزرع حقير وأكثر أكلهم السمك^(٢).

والى الجنوب من ساي حتى دنقلة يختلف عرض الوادى من منطقة لأخرى ويعترض مجرى النهر عدد من الجزر العامرة. ويكثر شجر النخيل والبقل. وتظهر أحياناً بعض حدائق الكروم.

والى الجنوب من دنقلة حتى حدود علوة تزيد المسافة بينها وبين أسوان. ويبدو أن هذه المنطقة، أغنى جهات مقرة حيث يتسع الوادى قليلاً فتكثر قطعان الماشية. وتتسع حقول القمح وحدائق الكروم وأشجار النخيل^(٣). فيقول ابن سليم «ومسافة ما بين دنقلة إلى أول بلد علوة أكثر مما بينها وبين أسوان، وفى ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشى والنخل والشجر والبقل والزرع والكرم أضعاف ما فى الجانب الذى يلى أرض الإسلام...».

ومما لا شك فيه أن مملكة علوة أغنى وأوسع ثروة من مملكة مقرة، لا تساع واديهها وخصوبة أراضيها التى تعتمد فى ربيها على النيل أو مياه الأمطار الصيفية ويكثر فيها شجر النخيل ويزرع

(١) المقرئى: المواعظ والاعتبار، جـ ١، ص ١٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩١. تعرف هذه المنطقة الجنوبية من مريس باسم، الجنادل وهى المنطقة الممتدة من تقوى إلى المقس الأعلى، وتعرف الآن ببطن الحجر.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩٠.

الذرة^(١). «وسائر بقولهم من السلجم والبصل والفجل والقثاء والبطيخ»^(٢). وعلى الرغم من اتساع الرقعة الزراعية في مملكة علوة إلا أن سكانها كانوا دون أهل مقرة في المستوى الحضارى، فلم يستغلوا خصوبة أرضهم استغلالاً اقتصادياً، ولم يذلوا جهداً في الاكتثار من المحصول واتباع وسائل التسميد أو طرق الزراعة واعتمدوا على السحر^(٣).

والراجع أن الزراعة لم تكن من الوفرة والتنوع بحيث يمكن استغلال فائض منها في أغراض تجارية. أما التجارة فيبدو أن دور النوبيين فيها كان دور الوسيط للحصول على عمولة أو رسوم حماية التجارة وطرق القوافل^(٤). ولم تعرف العملة الذهبية أو غيرها من أنواع العملات المعروفة آنذاك إلا في منطقة مريس. أما إلى الجنوب منها فكان يتم التبادل عن طريق المقايضة بالرقيق والمواشى والحبال والحديد والحبوب^(٥). وتحدث بعض الكتاب العرب عن نقط تنتهى عندها التجارة على طول النيل. وهى بمثابة محطات يتم عندها التبادل التجارى مثل مدينة بلاق (جزيرة فيلة) التى كانت تنتهى عندها مراكب النوبة شمالاً. وبلدة تقوى عند الشلال الثانى حيث تنتهى عندها مراكب النوبة المصعدة من القصر^(٦). ويشير الإدريسى إلى ميناء نوبى آخر اسمه بلاق لا نعرف مكانه تماماً ويضعه بين ذراعى النيل وربما يقع قرب التقاء النيل بآبها. وفى هذا المكان يلتقى تجار النوبة ومصر والحبشة^(٧).

* * *

ولنتقل الآن إلى رسم صورة مبسطة لأهم مظاهر الحضارة النوبية فى العهد المسيحى، ولعل أهم آثارها المادية تلك الكنائس المبعثرة هنا وهناك من أسوان شمالاً إلى جبل سجدى بالقرب من سنار جنوباً. ويغلب عليها جميعاً طابع عام مشترك، فهى من النوع المعروف باسم باسيلكا Basiliks والكنيسة النوبية بصفة عامة على شكل مستطيل توجد فيها ممرات فى الجهة الشمالية والجنوبية تفصلها عن صحن الكنيسة سلسلة من الأعمدة. وفى الطرف الشرقى من

(١) المصدر السابق، ص ١٩٣.

(٢) الإدريسى: المغرب. وأرض السودان ومصر والأندلس ص ٢٠.

(٣) المقرئى: المواعظ والاعتبار ج ١، ص ١٩٣.

(٤) الشاطر بصيلى: معالم تاريخ السودان وادى النيل ص ٧.

(٥) المقرئى: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٩١.

(٦) المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٧) الإدريسى: نفس المصدر ص ٢٠.

الكنيسة من الداخل يوجد الهيكل، ويقع المنبر عادة بالقرب من آخر عمود بالناحية الشرقية من الممر الشمالى^(١). إلا أن كنيسة دنقلة ذات طابع مختلف. فهي مكونة من طابقين، ربما استخدم الطابق السفلى كمخزن لحفظ أدوات الكنيسة. ويتصل بالطابق العلوى بسلم حلزونى. ويرى كروفوت، أن طراز الطابق العلوى لهذه الكنيسة يشبه طراز كنيسة حبشية قرب عدوة، وحول هذا الطابق العلوى أخيراً إلى مسجد^(٢).

ويرى سومرز كلارك أن فن البناء فى وادى النيل يختلف من مكان لآخر باختلاف المواد الطبيعية ودرجة كثافة السكان ومستواهم الحضارى. ويبدو من طابع البناء النوبى أنه متأثر بفقر البلاد وقلة مواردها الطبيعية وضعف المستوى الفنى^(٣). وإذا كان النوبيون استعانوا ببعض الفنانين المصريين لبناء كنائسهم وزخرفتها، إلا أن مادة البناء - ومعظمها من الطوب واللبن والطين - ظل الطابع السائد للعمارة النوبية^(٤) باستثناء بعض الكنائس المبنية من الحجر مثل كنيسة فرس وكنيسة دير الغزال.

واقترنت الزخرفة على الرسوم والنقوش على جدران الكنيسة الداخلية، غير أن معظمها اندثر بطبيعة الحال. ولعل أجمل هذه النقوش ما عثر عليه فى كنيسة عبدالقادر وكنيسة فرس. وعثر بجوار كنيسة عبدالقادر على نقش يمثل نائب ملك eparch فى نوباديا فى ملبسه التقليدية حاملاً نموذج كنيسة يبدو أنه مؤسسها^(٥).

وفضلاً عن هذا فإنه يوجد عدد من النقوش التى هى فى الواقع عبارة عن صور القديسين. ومشاهد من الإنجيل وأخرى لميلاد المسيح. ويرى جريفث أن طابعها العام يشبه الطابع البيزنطى^(٦) ويقول شنى. إن الطابع العام لهذه النقوش يدل على البساطة وعدم النضج ولكنها توضح فى الوقت نفسه رغبة الفنانين وتحمسهم لفنهم^(٧).

(1) Shinnie, p. L. : Medieval Nubia, pp. 8 - 9.

(2) Crowfoot, J. W. : op. cit. pp. 144 - 145.

(3) Somers Clarke. : Christian Antiquities in the Nile Valley p. 7.

(4) Griffith, F. Ll. : Oxford Ex. in Nubia, p. 52.

(5) Shinnie, P. L. : op. cit. pp. 12 - 18.

(6) Crowfoot, J.W. : op. cit. p. 146.

(7) Shinnie, P. L. : op. cit. p. 13.



أيقونه للسيدة الست مريم في حالة تعبد (أيقونه حبشية)

ولم يعثر على بقايا مساكن إلا بأطلال سويا. وهى مبنية من اللبن وطرازها بسيط ساذج.

ويمكن التمييز بين نوعين من الفخار، فخار دنقلة وفخار سويا، إذ يشتمل الأول على أواني صغيرة من طينة ناعمة ذات طلاء أبيض أو أصفر أو برتقالى. وكثير من هذه الأواني يحمل رسوما لحيوانات أو رموزا مسيحية، وهى جميعا متأثرة بالفن القبطى، وأجود أنواع هذه الفخار يرجع إلى القرن التاسع أو العاشر الميلادى. أما فخار سويا فمن الآجر المطفى بطلاء أسود وبه زخارف على شكل زهور صغيرة صفراء وحمراء، وهو يمثل طابعا مستقلا لا وجود لمثله فى مقرة أو فى مصر.

النوبيون والعرب

الاتصال القديم بين الجزيرة العربية ووادى النيل ■ الهجرات العربية إلى مصر ■ أول اتصال بين المسلمين من ناحية وبين النوبيين والبعجة من ناحية أخرى ■ توغل العرب جنوبا فى أرض النوبيين والبعجة. عوامله ودوافعه المختلفة فى التاريخ ■ بعض آثاره السياسية والاجتماعية والثقافية حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ■ أثر الرق.

لقد صحب اتصال العرب بالنوبيين دخول لون جديد من الثقافة إلى بلاد النوبة، فصبغ سكانها بصبغة جديدة، وطبعهم بطابع خاص، مختلف عن الطابع القديم الذى اتصف به المجتمع النوبى فى العهد المسيحى. أما هذه الثقافة الجديدة فهى الثقافة الاسلامية.

وثمة ظاهرة أخرى هى نزوح بعض الجماعات النوبية من بلادها وتأثرها بتلك الثقافة خارج الوطن النوبى. وهذا العامل الأخير مستعرض لذكره فيما بعد.

أما عن صلة النوبيين بالعرب فقديمة وترجع إلى ما قبل ظهور الاسلام، وهذه حقيقة تؤيدها الحقائق الجغرافية والروايات التاريخية. ذلك أن البحر الأحمر لم يكن فى وقت من الأوقات حاجزا يمنع الاتصال بين شواطئه الآسيوية وشواطئه الإفريقية، ولا يزيد اتساع البحر على المائة والعشرين من الأميال عند السودان. وليس من الصعب اجتيازه بالسفن الصغيرة.

وفى الجنوب يضيق البحر الأحمر جداً عند بوغاز باب المندب حتى لا يزيد على عشرة

أميال وهو الطريق الذى سلكته السلالات والأجناس من وإلى القارة الإفريقية منذ عشرات الآلاف من السنين^(١).

ولعل التجارة كانت أهم وسيلة هذا الاتصال، إذ نشطت حركة تجارة العاج والصمغ واللبان والذهب بين الجزيرة العربية من ناحية وبين موانئ مصر والسودان والحبشة من ناحية أخرى، واتخذ التجار العرب من بعض نقط على الساحل الإفريقى مراكز لهم، يوغلون منها بسلعهم وبضائعهم فى قلب القارة الإفريقية حتى وادى النيل على الأقل^(٢). وفى الألفى سنة قبل الميلاد هاجرت جماعات عربية من جنوب غربى الجزيرة العربية إلى الحبشة. وبلغت هذه الهجرات أقصاها ما بين ١٥٠٠ ق م - ٣٠٠ ق م فى عهد دولتى معين وسبأ. وحمل المعينيون والسبئيون لواء التجارة فى البحر الأحمر ووصلوا فى توغّلهم غربا إلى وادى النيل^(٣). ونشطت حركة التجار العرب خاصة زمن البطالمة والرومان. ولاشك أن عدداً غير قليل من هؤلاء استقروا فى أجزاء مختلفة من حوض النيل، ولحق بهم عدد من أقاربهم وأهليهم. وفى القرنين السابقين للميلاد عبر عدد كبير من الحميريين (أهل اليمن) مضيق باب المندب فاستقر بعضهم فى الحبشة وتحرك بعضهم الآخر متبعا النيل الأزرق ونهر أتبرا ليصلوا عن هذا الطريق إلى بلاد النوبة^(٤).

وتشير بعض الروايات التاريخية إلى حملات عسكرية قام بها الحميريون فى وادى النيل الأوسط وشمال إفريقيا، وتركت هذه الحملات وراءها جماعات استقرت فى بلاد النوبة وأرض البجة وشمال أفريقيا^(٥). ويرى Reid أن هؤلاء الحميريين اختلطوا بالحاميين سكان

(١) محمد عوض محمد: السودان ووادى النيل ص ٣٨.

(2) MacMichael, H. A. : A History of the Arabs in the Sudan, I. pp. 3 - 4.

اتخذ هؤلاء التجار هذه المراكز كنقط ارتكاز تبدأ منها قوافلهم إلى مراكز التجارة الأساسية على النيل النوبى والنيل الأعظم. وكان لهؤلاء التجار وكلاء تجاريون فى كل هذه المراكز التجارية حيث يستقبلون القوافل التى ترد إليها من دارفور وليبيا وقلب إفريقيا.

(3) Mac Michael, H. A. : op. cit. p. 4.

(4) Hamilton, J.A., ed: The Anglo Egyptian Sudan from Within p. 42.

(٥) ابن خلدون: العبر ج ١، ص ١٧٦. تشير هذه الروايات الخيالية إلى حملة قادها أبرهة ذى المنار بن ذى القرنين الحميرى على السودان وبلاد النوبة والمغرب حوالى أوائل القرن الأول قبل الميلاد، ثم إلى حملة أخرى قادها ابنه أفريقش إلى شمال إفريقيا، واستقرت فى بلاد النوبة جماعات حميرية، ولعل وجوده

شرق السودان، وورثوا ملك أجدادهم من ناحية الأم حسبما يقضى به نظام التوريث المعروف عند الشعوب الحامية وهو توريث ابن الأخت أو ابن البنت^(١). ويرى بول Paul أن ممن انتفع بهذا النظام الوراثي من العرب جماعة من الحضارمة - سكان حضر موت - الذين عبروا البحر الأحمر إلى ساحله الإفريقي في القرن السادس الميلادي ثم اختلطوا بالبجة وكونوا طبقة حاكمة خضع لها هؤلاء البجة المعروفون بالزنافج، وتعلموا لغتهم واعتنقوا المسيحية حتى يسهل عليهم قيادتهم والسيطرة عليهم^(٢). وعلى الرغم أن عدد هذه الجماعات العربية المهاجرة لم يكن كبيراً، فما لا شك فيه أنها تركت بعض آثارها الثقافية ولا سيما في ناحيتي الدين والفن^(٣).

أما الطريق الشمالى وهو طريق برزخ السويس، فهو ذو دور خطير فى تاريخ العلاقات بين سكان الجزيرة العربية وسكان وادى النيل الأدنى منذ فجر التاريخ ولم تخل الآثار المصرية القديمة من الإشارة إلى بدو سيناء وفلسطين وسوريا وغيرهم من العرب الشماليين الذين عرفتهم مصر منذ عهد الأسرات الأولى إما تجاراً يختلفون إلى الأسواق المصرية، أو غزاة

العمامة ذات القرنين التى كانت شارة من شارات السلطة عند eparch نوباديا يفسر هذا الأثر الحميرى بدليل أن أبا أبرهة عرف بالصعب ذى القرنين. انظر MacMichael: op. cit. pp. 7-8. ويشير دى برسفال إلى حملة قادها أبو مالك ابن شمير عش الحميرى إلى معادن الزمرد فى أرض البجة. ومن المحتمل أن يكون لقى حنفة هو ومعظم رجال جيشه حوالى منتصف القرن الأول الميلادى.

Causin de perseval, Essai sur l'histoire des Arabes avant l'Islamisme, I. p. 82.

هذا ويدعى سلالة ملوك البرنو الانتساب إلى سيف بن ذى يزن الحميرى. انظر القلقشندى ج ١، ص ١١٧.

(1) Reid, J. A. : "Some Notes on the Tribes of the White Nile Tribes," SNR" XIII, part II., 1930, p. 150.

(2) Paul, A. : A History of the Beja Tribes of the Sudan. PP. 64 - 67,

ويضيف بول أن هؤلاء الحضارمة عرفوا عند العرب الحمدارية الذين استقروا فى إقليم العتباى فى الشمال، ثم اضطروا إلى الانتقال جنوباً فى القرن الخامس عشر الميلادى حيث أسسوا مملكة البلو (مملكة بنى عامر) فى إقليم طوكر. انظر المقرئى، المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٩٥.

(3) MacMichael, H.A. : op. cit. I. p.9.

يقول ماكمايكل MacMichael إن عبادة الشمس ظلت قائمة فى تالمس (كلايشة) حتى حوالى منتصف القرن السادس الميلادى وهى العبادة التى كانت منتشرة فى جنوب بلاد العرب والمستعمرات الحميرية فى شمال الحبشة. أما عن الفن فيبدو أنه كان للسبتيين فيه بعض الأثر كما يبدو فى الطابق العلوى من كنيسة دنقلة. فهو يشبه الطراز الحبشى المتأثر بالفن السبئى. هذا فضلاً عن العمامة ذات القرنين كما سبق أوضحنا

كالهكسوس، أو مهددين لمصالح الإمبراطورية المصرية في سوريا، أو لاجئين يرغبون العيش في كنف الفراعنة^(١).

اتجهت سياسة المسلمين - منذ أن تم لهم غزو مصر - إلى فتح النوبة، وتلاقت رغبة الخليفة عمر مع رغبة قائده عمرو بن العاص في مصر لضرورة غزو النوبة لضمان المحافظة على أطراف مصر من ناحية الجنوب وتأمين طريق التجارة^(٢) القديم بين البلدين. فأرسل عمرو فرقة من الفرسان بقيادة عقبة ابن نافع لفتح النوبة سنة ٦٤١ م^(٣). والراجح أن عدد المسلمين في هذه الحملة لم يكن كبيراً بينما كانت خسائرهم كثيرة لشدة المقاومة التي أبدتها النوبيون، فضلاً عن مهارة هؤلاء في الرمي بالسهم، حتى أطلق عليهم المؤرخون العرب اسم رماة الحدق^(٤) ولذا لم يستطع المسلمون أن يتوغلوا جنوباً.

بيد أن النوبيين بعد وفاة الخليفة عمر، أرسلوا سراياهم إلى الصعيد فخربوا وأفسدوا. واستعد عبدالله ابن أبي السرح الذي خلف عمراً في ولاية مصر لملاقاتهم، رغبة منه في تقليد الغزوات التي قام بها سلفه ومنافسه عمرو^(٥). وتمكن جيش ابن أبي السرح من التوغل جنوباً حتى دنقلة عاصمة المملكة المسيحية الشمالية «مَقْرَة» سنة ٦٥٢ م وحاصرها حصاراً شديداً واستخدم المنجنيق في ضرب المدينة فخربت كنيستهم. ويقول المقرئى نقلا عن ابن سليم الأسواني فبهرهم أى (النوبيين) ذلك وطلب ملكهم واسمه قليدوروث (قليدور) الصلح وخرج إلى عبدالله وأبدى ضعفاً ومسكناً وتواضعا فتلقاء عبدالله ورفعهم وقربه... وقرر القائد العربى عقد صلح عرف باسم البقط^(٦)، مؤداه أن يدفع ملك النوبة لبيت مال المسلمين ٣٦٠ رأساً من الرقيق، ووعد عبدالله بن سعد بهدية سنوية من حبوب وملابس لما شكاه له الملك النوبى قلة الطعام فى بلده. وكتب عبدالله بن سعد للنوبيين عهداً يعتبر أساساً للعلاقات بين عرب

(1) Breasted, J. H. : A History of Egypt from the earliest times to the persian Conquest, pp 25 - 26, 214 - 219, 388.

(٢) المسعودى: مروج الذهب جـ ٣، ص ٣٨ - ٣٩.

(٣) ابن عبدالحكم: كتاب فتوح مصر وأخبارها، ص ١٦٩.

(٤) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٣٣٦.

(5) Lane - Poole (S.): A History of Egypt in the Middle Ages, p. 21.

(٦) البقط ما كان يؤخذ من النوبة فى كل عام فى قرية القصر على بعد خمسة أميال جنوبى مدينة=

مصر والنوبة المسيحية. وقد نص فيه على حدود معلومة للمملكة التي عقدت الصلح مع المسلمين، وتمتد من أسوان شمالا إلى حد أرض علوة جنوبا أى إلى منطقة الأبواب (كبوشية الحالية). وبهذا لا يشمل الصلح دولة علوة المسيحية لعدم وصول جيوش المسلمين إليها، فضلا عن أن العقد لم يشر إلى البجة.

وينص هذا العقد كذلك على تأمين أهل النوبة وتأكيد بعدم محاربتهم ما داموا قائمين على تنفيذ الشروط التي بينهم وبين المسلمين، ومنها: إرسال ٣٦٠ رأسا من أفضل رقيق بلدهم، وحفظ من نزل بلدهم من مسلم أو معاهد، وحفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون ببناء مدينتهم، ولا يلتزم المسلمون بدفع عدو أو مغير على بلادهم^(١).

ويرى بعض المؤرخين أن هذا الصلح جعل النوبيين والمسلمين على قدم المساواة فلا غالب هناك ولا مغلوب بدليل ما يدفعه المسلمون من أشياء مساوية تقريبا لما يدفعه النوبيون، وأنها مصلحة متبادلة^(٢)، وهى أشبه بمعاهدة تجارية.

وعلق بعض المؤرخين العرب على هذه المعاهدة: فقال البلاذرى^(٣) «ليس بيننا وبين الأساود عهد ولا ميثاق، إنما هى هدنة بيننا وبينهم». ويمكن أن يفسر هذا العقد بأنه معاهدة حسن جوار يحقق للمسلمين الاطمئنان على سلامة حدودهم من ناحية الجنوب، وفتح البلاد

=أسوان، ولفظ البقط حسب اجتهاد بعض الباحثين لفظ مشتق من أحد اصلين: الأول لاتينى يونانى الأصل ومعناه الاتفاق أو المودعة، والثانى مصرى قديم وهو باق ومعناه الضريبة التى تدفع عيناً. انظر ملحق رقم ٧.

Trimingham, J.S.: op. cit. p. 62 Note 3.

أما المقرئى فى المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ١٩٩ فيذكر أن «البقط ما يقبض من سبى النوبة فى كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم، ومعناه بعض ما فى أيدي النوبة. انظر ملحق رقم ٧.
(١) المقرئى: المواعظ والاعتبار، جـ ١، ص ١٩٩.

(2) Becker, C.H.: Ency. Isl. L., p. 6082. MacMichael, H.A.: op. cit. p, 158.

(٣) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٣٣٦، أخذ البلاذرى هذه المعلومات عن يزيد ابن أبى حبيب أحد سبى النوبة وكان يعيش فى مصر. وحفظ هذه الرواية شيوخ عن شيوخ ممن اهتموا بأمر النوبة، ومنهم، ابن أبى لهيعة وعبدالله بن صالح.

للتجارة، والحصول على سواعد النوبة القوية في خدمة الدولة، وحفظ مصالح المسلمين وحريتهم الدينية، ونشر الثقافة الإسلامية في بلاد النوبة بالطرق السلمية. ومهما يكن من أمر هذه المعاهدة، فإنها ظلت تمثل نوعاً من الاتصال الدائم بين المسلمين والنوبيين المسيحيين مدة ستة قرون^(١).

ومن الملحوظ في هذه المعاهدة أن البجة^(٢) لم يرد عنهم نص فيها، ويرجع هذا كما يقول ابن عبدالحكم^(٣)، إلى عدم اكتراث عبدالله بن سعد بهم. غير أنهم ما لبثوا أن أغاروا على صعيد مصر حوالى سنة ٧٢٥م. فصالحهم ابن الحبحاب وكتب لهم عقداً^(٤) ينص على دفع ثلثمائة من الإبل الصغيرة، على أن يجتازوا الريف تجاراً غير مقيمين، وألا يقتلوا مسلماً أو ذمياً وألا يؤووا عبيد المسلمين، ويظل وكيلهم في الريف، رهينة في يد المسلمين.

غير أنه لم يكد يمضى قرن على هذه المعاهدة حتى عاد البجة إلى شن الإغارات من جديد على جهة أسوان وكثر إيذاؤهم للمسلمين فرفع ولادة الأمور في أسوان خبرهم إلى المأمون (٨١٣ - ٨٣٣م) فجرد عليهم حملة بقيادة عبدالله بن الجهم سنة ٢٣٢هـ (٨٤١م) فكانت له معهم وقائع انتهت بموادعتهم وكتابة عقد جديد بينه وبين رئيسهم كنون بن عبدالعزیز^(٥)، ومن أهم شروطه:

(١) استمر العمل بهذه المعاهدة حتى قيام الدولة المملوكية الأولى في مصر، وعندها تأخذ العلاقات بين المسلمين والنوبيين شكلاً آخر منتعزلاً لذكره فيما بعد، وهو الدور الذي سيؤدي إلى سقوط المملكة المسيحية الشمالية (مقرّة).

(٢) أطلق المؤلفون العرب هذا الاسم على الشعوب الخامية التي تسكن الصحراء الشرقية ما بين النيل والبحر الأحمر، وتمتد أوطانهم من جنوبى مصر فى الشمال إلى حدود الحبشة فى الجنوب، وهم ما يعرفون الآن باسم البشاريين والهندندوة والامرار وبنى عامر. وأثّرنا أن نتعرض للحديث عنهم هنا لارتباط تاريخهم بتاريخ جيرانهم النوبيين، وأن التسرب العربى جنوبى مصر لم يشمل النوبة فقط بل أرض البجة كذلك. وتحدث اليعقوبى عنهم وعما سماه بمالكهم، فى كتابه: تاريخ اليعقوبى، ج١، ص ٢١٧ - ٢١٩.

(٣) ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ١٨٩.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) المقرئى: المواعظ والاعتبار، ج١، ص ١٩٥.

١- أن تكون بلاد البجة من حد أسوان إلى حد ما بين دهلوك (مصوع) وباضع (جزيرة الريح) ملكا للخليفة ، وأن كنون بن عبدالعزيز وأهل بلده عبيد لأمر المؤمنين على أن يقي كنون ملكا عليهم.

٢- أن يؤدي ملك البجة الخراج كل عام مائة من الإبل أو ٣٠٠ دينار لبيت المال.

٣- أن يحترم البجة الإسلام ولا يذكره بسوء، وألا يقتلوا مسلما أو ذميا حرا أو عبدا في أرض البجة أو في مصر أو النوبة، وألا يعينوا أحدا على المسلمين.

٤- إذا دخل أحد من المسلمين في بلادهم للتجارة أو الإقامة، أو مجتازا للحج، فهو آمن لآخر حدهم.

٥- إذا دخل البجة صعيد مصر مجتازين، أو تجارا لا يظهرون سلاحا ولا يدخلون المدائن والقرى.

٦- ألا يهدموا شيئا من المساجد التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر.

٧- وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البجة لقبض صدقات من أسلم من البجة.

وفي رواية لابن حوقل أن أفرادا من البجة «أسلموا إسلام تكليف وضبطوا بعض شرائط الإسلام وظاهروا بالشهادتين ودانوا ببعض الفرائض»^(١) ولهذا سامحهم عبدالله بن سعد ولم يحاربهم.

وفي نهاية القرن السابع الميلادي عبرت جماعة من عرب هوازن البحر الأحمر واستقرت في أرض البجة حيث عرفوا باسم الحلانقة، ثم انتقلت إلى منطقة تاكة. ويرى بول أن هؤلاء الحلانقة كانوا أول من استقر من العرب المسلمين في الوطن البجاوي^(٢).

ويقال إن جماعات من الأمويين لجأت إلى بلاد البجة في منتصف القرن الثامن الميلادي هربا من مذابح العباسيين، واستقر عدد منهم في ميناء باضع (جزيرة الريح)^(٣). وفضلا عن

(١) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص ٥٠ - ٥١.

(2) Paul, A.: A Hist. of the Beja Tribes of the Sudan, p. 73.

(٣) المسعودي: كتاب التبيين والاشراف ص ٣٠، ويرى بلوس أنه عثر على مقابر هؤلاء الأمويين على طول الطريق الذي سلكوه. Bloss, J.F.E.: The Story of Suakin, SNR., XIX., II., 1936., p. 279.

هذا فإن الأبحاث الأركيولوجية أثبتت وجود جاليات إسلامية في منطقة خور بنت الواقعة على مسافة ٧٠ ميلا غربى سواكن. إذ عثر على شواهد قبور عربية يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الثامن الميلادى (٧٦٠م)، ودل البحث الأثرى كذلك على وجود مسجد فى سنكات يرجع تاريخ بنائه إلى عام ٨٣١م^(١).

ويرى بلوس Bloss أنه بعد الغزو العربى لمصر هاجرت جماعات عربية على طول الساحل الإفريقى للبحر الأحمر واستقرت فى أرض البجة واحتلّطت بهم وتزوجت من بناتهم على الرغم من أن موجة الفتوح الإسلامية كانت لا تزال على شدتها على طول ساحل البحر المتوسط^(٢).

وفى رواية لابن حوقل أن جماعات من عرب الحوف وخاصة من قيس عيلان قامت بهجوم على البجة لتعديهم على أهل مدينة فقط قبل أن تغزوهم قوات ابن الجهم بحوالى ٣٠ سنة، ولا يبعد أن يكون هؤلاء استقروا فى العلاقى حيث توجد آثارهم. ويضيف ابن حوقل إلى أن بعض الدين اشتركوا فى حملة ابن الجهم ضد البجة أثروا البقاء فى العلاقى حيث بهرتهم معادن الذهب، ثم لحقت بهم - فى نفس الوقت - جماعات من أهل اليمامة، بسبب ضغط جماعات عربية أخرى.

ولم يكد يمضى أكثر من ست سنوات على حملة ابن الجهم على البجة حتى وفدت جماعات من ربيعة وجهينة سنة ٢٣٨هـ (٨٣٧م) إلى العلاقى بعد أن وصلتها أنباء المعادن التى تحويها تربة هذا الوادى^(٣).

ومما لا شك فيه أن هذه الجماعات الإسلامية المختلفة تركت لونا من التأثير فيمن اختلطت بهم من البجة، بل أن بعضهم تخلف فى بلاد البجة وتعلم اللغة البجارية ليسهل عليه التعامل مع البجاويين والتأثير فيهم. والدليل على ذلك أن زكريا ابن صالح الخزومى من سكان جدة وعبدالله بن إسماعيل القرشى قاما بترجمة عقد ابن الجهم إلى اللغة التبتاوية^(٤).

(1) Crawford, O. G.S.: The Stone Tombs of the N. E. Sudan, Kush. No. 2, 1954, p. 86

Combe, E.T. : "Four Arabic Inscriptions from the Red Sea", SNR, XIII, PP. 288 - 291.

(2) Bloss, J.F.E.: op. cit. p. 278.

(٣) ابن حوقل: كتاب صورة الارض، ص ٥٣.

(٤) المقرئى: المواعظ والاعتبار، ج-١، ص ١٩٦.

وإذا كانت الحملات الحربية التأديبية التي وجهها ولاية مصر ضد البجة أتاحت الفرصة لبعض الجماعات العربية للتعرف على خصائص البيئة البجاوية فاستقرت فيها واختلطت بسكانها فضلا عن وضع هذه الجهات من الناحية الرسمية ضمن النفوذ الإسلامى ، فإن ثمة حملات حربية وجهها ولاية مصر المسلمون إلى بلاد النوبة كذلك لمثل هذا الغرض ، وكانت هذه أيضا فرصة لبعض الجماعات العربية للاستقرار إلى جوار النوبيين والاختلاط بهم وخاصة فى منطقة النوبة السفلى . وترجع أسباب هذه الحملات الإسلامية نحو النوبة - فى الغالب - إلى اجبار النوبيين على دفع البقط . على أن ولاية مصر تمسكوا بهذا البقط وشروطه لما فيه من مبررات للاحتكاك والاعتداء لبسط نفوذهم على تلك الجهات ، وكانوا من ناحيتهم لا يتأخرون فى مهاجمة النوبة كلما ماطلت أو ساومت فى دفع البقط . وربما كان البقط فى ذاته حملا ثقيلًا ضاق به النوبيون ذرعا لما استتبعه من إعداد الرقيق الذى يرسل شخصا للوالى أو لنائبه فى أسوان ، أو إلى الوفد الذى كان يذهب لتسلم العدد الرسمى ، فضلا عن حرمان النوبة من أفضل عناصرهم فى الجيش والأرض وذهابه للخدمة فى بلاط الخليفة أو والى فى مصر ، ولم تخل عملية إعداد الرقيق سنويا من صعوبة لاضطرار النوبيين لشن الإغارات على جيرانهم للحصول على العدد المطلوب أو تعويضه من أبنائهم فيقول البلاذرى^(١) ، « وقد ادعوا (النوبيون) حديثا أنه ليس يجب عليهم البقط لكل سنة ، وأنهم كانوا طولبوا بذلك فى خلافة المهدي ، فرفعوا إليه أن هذا البقط مما يأخذون من رقيق أعدائهم فإذا لم يجدوا منه شيئا ، عادوا على أولادهم فأعطوا فيه منهم بهذه العدة » ، وفى كلتا الحالتين استنزاف قوى النوبيين ، ولهذا حاولوا التخلص من هذه التبعة المذلة للدولة الإسلامية .

ومع هذا فإن النوبيين ظلوا يؤدون البقط سنويا ويدفع لهم ما يقابله من جهاز . وكانوا إذا عجزوا عن دفع البقط يرغمهم ولاية المسلمين القرييون من بلادهم على دفعه بشن الإغارات عليهم ، والامتناع عن إخراج الجهاز إليهم حتى إذا كانت أيام الخليفة المعتصم بالله (٨٣٣ - ٨٤٣م) وعظيم النوبة وقتذاك زكريا بن يوحنا (يوحنا) أنكر عليه ابنه وولى عهده جورج (قيرقى) بذل الطاعة للمسلمين واستعجزه فيما يدفع ، وطلب إليه عصيانهم وشن الحرب عليهم . وامتنع النوبيون فعلا عن إرسال البقط مدة أربعة عشر عاما واجه النوبيون خلالها ضغطا حريا متواصلا من جانب ولاية الصعيد الأقصى . غير أن زكريا رأى أن يوفد ابنه جورج

(١) البلاذرى : فوح البلدان ، ص ٣٦٦ .

إلى بلاط الخليفة في بغداد ليعاين بنفسه قوة المسلمين ومدى استعداد النوبة لمقاومتهم «حتى يحاربهم على خبرة» أو يحاول كسب ود المسلمين وعطفهم^(١). فشخص جورج إلى بغداد، وأتاحت له هذه الرحلة فرصة التعرف على مدى قوة المسلمين، «فبهره كثرة الجيوش وعظم العمارة» وأدرك ألا طاقة له بمخالفتهم، لاسيما وأن المعتصم أحسن وفادته وأكرمه^(٢) وتم الاتفاق^(٣) على أن يدفع بقط سنة كل ثلاث سنين على ألا ينقص المسلمون ما سبق أن تعهدوا بدفعه من حبوب وثياب وغيرها. ولبي الخليفة طلب ولي عهد النوبة بالإفراج عن المسجونين النوبيين ولم يجبه إلى إزالة المسلحة التي أقامها المسلمون بمدينة القصر^(٤).

* * *

غير أن البجة عادوا إلى الفتنة، فأغاروا على الصعيد وامتنعوا عن دفع الخراج وقتلوا كثيرا من المسلمين بمناجم الذهب بالعلاقي، وكتب عامل البريد في مصر إلى الخليفة المتوكل ٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ (٨٤٧ - ٦٨١م) فندب لحربهم محمد بن عبدالله القمي سنة ٢٤١هـ (٨٥٤م). وكتب الخليفة إلى واليه على مصر عنبسة بن إسحاق الضبي بأن يمده بالرجال. فسار القمي في عشرين ألفا من الجند والمتطوعة^(٥). وسار إلى أسوان وأتى العلاقي فأخذ من ربيعة ومضر واليمن ثلاثة آلاف رجل من كل بطن ألف رجل^(٦). ووافسته المراكب من البحر حاملة المؤن إلى ميناء عيذاب. ولجأ ملك البجة إلى المطاولة لتجريح المسلمين، غير أن القمي لجأ إلى حيلة حربية بارعة^(٧)، انهزم بسببها البجة، وأثنى فيهم القمي حتى طلب

(١) المقرئى: الموعظ والاعتبار، ج١، ص ٢٠١.

(٢) المقرئى: نفس المصدر، ج١، ص ٢٠١.

(٣) ليس من المعروف تماما تاريخ هذا الاتفاق، ولكن المقرئى ذكر أنه كان في عهد المعتصم (٨٣٣ - ٨٤٣م) وورد أيضا في كتاب «تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع في حديثه عن حياة البطريك يوساب البطرك ٥٢ (٨٣٠ - ٨٤٩م) أنظر MacMichael, H.A.: A Hist. of the Arabs in the Sudan, I. d. 164. Note 3.

(٤) المقرئى: نفس المصدر، ج١، ص ٢٠١.

(٥) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٢٣٩.

(٦) ابن حوقل: صورة الأرض. ص ٥٣، يدل هذا العدد الذي اشترك في حملة القمي من ربيعة ومضر واليمن على اتساع أعمال المسلمين في إقليم المناجم وكثرة عددهم.

(٧) البلاذرى: نفس المصدر، ص ٢٣٩.

ملكهم على بابا^(١) الصلح، على أن يدفع الخراج لما سلف ولما يأتي، وألا يمنعوا المسلمين من العمل في المعدن. فصالحهم القمي «على أن يطأ على بابا بساط الخليفة في سر من رأى» حيث أكرمه الخليفة^(٢).

وعلى الرغم من أن على بابا يظل على دينه ولم يعتنق الإسلام^(٣)، فإن صلحه مع العرب سنة ٨٥٤م كان تأكيداً لما سبق أن تعاقد عليه العرب والبحر واستغلال مناجم الذهب والزمرد^(٤). وبات العرب متمتعين بحماية الدولة الإسلامية وعين عليها وال من قبل الخليفة^(٥) فاجتذبت هذه المعادن إليها جماعات عربية قامت على استخراجها والتجار فيها. واحتكر العرب هذه الصناعة^(٦). بعد أن دعم ولاة مصر بالتمكين للعرب من استغلال هذه المعادن مشاطرتهم أرباحها. مما أدى إلى هجرة جماعات كثيرة منهم إلى أرض المعدن بعد أن كشف عن كثير من مناجمها^(٧). ولا ريب في أن الحملات الحربية التي وجهها العرب إلى أرض البحر أتاح الفرصة لكثير من الجماعات العربية للتخلف والاستقرار فيها للمشاركة في خيراتها بعد أن راجت سوقها^(٨).

ازداد إقبال العرب إذن على أرض المعدن وغيرها منذ عهد الخليفة المعتصم (٨٣٣-

(١) يبدو من اسم هذا الملك أنه ينسب إلى أصل عربي اللهم إلا إذا كان لفظ على بابا تحريفاً لاسم أو لباب

البجاي Sanders, G. E. R: "The Bisharin," SNR., XVI., part II. 1933. p. 124.

(٢) البلاذري: نفس المصدر، ص ٢٣٩.

(٣) البلاذري نفس المصدر، ص ٢٣٩.

(٤) كان لوجود معدني الذهب والزمرد أثر كبير في اجتذاب القبائل العربية المختلفة إلى أرض البحر والاختلاط بهم. ووصف كثير من المؤرخين العرب هذه المعدن وأماكنها في الصحراء الشرقية وطرق استخراجها.

(٥) ابن حوقل. كتاب صورة الأرض، ص ٥٤.

(٦) المقرئ: للوعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٩٤.

(٧) المقرئ: نفس المصدر، ج ١، ص ١٩٦.

(٨) زاد الإقبال على هذه المعدن وخاصة الذهب والزمرد بسبب ما طرأ على أحوال الدولة الإسلامية العامة من تحول من حياة البساطة إلى حياة الترف والرفاهية. فظهر البلاط الخلفي بمظهر العظمة، وبنى الخلفاء قصوراً فخمة أثبوها بأفخم الرياش. وشاركهم في هذا الولاة والأمراء وبعض ذوي اليسار من المسلمين وأن ثروة الفاطميين وكنوزهم وخاصة ما ظهر منها في عهد المستنصر بالله الفاطمي لدليل واضح على مدى ما علقته الدولة من أهمية لاستخراج هذه المعدن لتزيين بلاطهم وقصورهم.

٨٤٢م)، لأن الخليفة استكثر من الجند الأتراك وأثبتهم في الديوان وأمر واليه في مصر كيدر بن نصر الصفدي بإسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم^(١). وأدى هذا القرار الخطير إلى تمردات عربية ضد الوالي وانتهت بأسر زعماء العرب^(٢). ومنذ عزل عنبسة بن إسحاق في عهد المتوكل (٨٤٧ - ٨٦١م) لم يعد حكام مصر يختارون من العرب، بل من الأتراك الذين يكرهونهم ويحقدون عليهم^(٣). وبهذا فقد العرب نفوذهم القديم^(٤). وعانوا ضيقا اقتصاديا شديدا بسبب ما فرض عليهم من أتاوات وضرائب مختلفة ابتدعها ابن المديبر والي الخراج في مصر من سنة ٨٥٢م إلى سنة ٨٦٧م. وأثارت التدابير المالية الجديدة حفيظة العرب على الأتراك فقاموا بعدة تمردات في أنحاء مختلفة قمعها الأتراك بعنف وقسوة، وزج بزعمائهم في السجون، وفرضت عليهم غرامات باهظة^(٥).

كان لهذا الضغط السياسي والاقتصادي أسوأ الأثر في نفوس العرب، وبدأت جماعات كثيرة منهم تسعى للرحيل والهجرة. ولم يكن أمامهم إلا الانسياب جنوبا وغربا بعيدا عن ضغط الأتراك في مصر^(٦). وحانت لهم هذه الفرصة عقب تأسيس الدولة الطولونية على يد أحمد بن طولون سنة ٨٦٨م حينما أعلن عن إعداد حملة حربية إلى بلاد النوبة وأرض البجة بقيادة أبي عبدالرحمن عبدالله بن عبد الحميد العمري^(٧)، فاشتراك فيها كثير من العرب معظمهم من ربيعة وجهينة.

وبهذا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل انتشار العرب إلى ما وراء حدود مصر الجنوبية،

(١) المقرئى: نفس المصدر، جـ ١، ص ٩٤.

(٢) ابن تغرى بردى. النجوم الزاهرة، جـ ٢، ص ٢٢٣.

(3) Lane - Pooles S. : op. cit. p. 42.

(٤) المقرئى. نفس المصدر والصفحة. يقول المقرئى «فانقرضت دولة العرب في مصر وصار جند العجم من عهد المعتصم إلى أن ولي الأمير أبو العباس أحمد بن طولون فاستكثر من العبيد».

(5) Lane - Poole, S. : op. cit. p. 43.

(6) MacMichael, H. A.: A Hist. of the Arabs in the Sudan. I. p. 166.

(٧) إن شخصية العمري كانت من أعظم العوامل التي أدت إلى تحويل أنظار العرب إلى جهة الجنوب في النوبة وأرض البجة حيث استقرت أعداد كبيرة منهم. ولد العمري في المدينة المنورة وترعرع فيها، ثم رحل إلى مدينة الفسطاط حيث اشتغل بتدريس الحديث، ثم اتجه بعد ذلك إلى مدينة القيروان، ثم عاد إلى مصر. وهناك وصلته أنباء مناجم الذهب بالنوبة والعلاقي فسال لعايه. وهكذا تحول رجل الدين إلى =

وروادها من أولئك الساخطين على الحكم التركي في مصر والمغامرين الذين يجرون وراء الثروة حيثما وجدوا إليها سبيلا. ويظهر من رواية المقرئ في كتابه المقفى الكبير^(١) أن هدف هذه الحملة لم يكن مجرد تأديب البجة كما يقول ابن خلدون^(٢)، أو تأديب النوبيين كما يزعم ما كمايكل^(٣)، بل كان هدفها الكشف عن مناطق جديدة لمعدن الذهب في أرض البجة^(٤).

تقدم العمرى جنوبا سنة ٨٦٨م متجاوزا العلاقى إلى إقليم شنقىر^(٥). واهتدى إلى مواقع جديدة للتبر تعرف بالشلة قرب شنقىر^(٦). وتمكن من الحصول على حق إقامة قواعد على النهر للحصول على المياه الكافية لحياة مستقرة فى هذا الإقليم، بعد تغلبه على قوات جورج الأول ملك القوبة^(٧).

غير أن بعض القبائل العربية من بلاد الشام وبخاصة سعد العشيرة وقيس عيلان خرجت على العمرى، بعد أن حصلوا من النوبيين على حق الإقامة الدائمة فى منطقة مريس ما بين أدندان وجبل عدة. فانهزم العمرى وانسحب بقواته شمالا إلى منجم قريب من منطقة

=مغامر كبير. واجتمع إليه كثير من طلاب المعدن، وسار على رأسهم نحو بلاد النوبة وأرض البجة. انظر المقرئ: المقفى. مخطوط، المجلد الرابع، ص ١٦٤ ب. وانظر كذلك الملحق الموجود بأخر الكتاب عن «لعنة الحرس».

Quatremère, E. T. :Memoires geog. Hist. sur. l' Egypte..., II. pp. 59 - 80.

(١) المقرئ: المقفى، نفس المصدر والصفحة.

(٢) ابن خلدون. المعبر، ج ٤، ص ٣٠٢.

(3) MacMichael, H. A. : op. cit. p. 166.

(٤) وفى موضع آخر يقول ماكمايكل MacMichael إن هدفهم البحث عن المعادن والتخلص من الضرائب الثقيلة التى فرضت عليهم.

(٥) منطقة شنقىر هى منطقة أبو حمد. وهى المنطقة التى تقع بين بربر ومروى الجديدة أنظر، Crawford, O.G. S. : Fung Kingdom of Sennar p. 26.

(٦) المقرئ: الموعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٩١. يقول ابن سليم «والنيل يتعطف من هذه الواحى (دنقلة) إلى مطلع الشمس وإلى مغربها مسيرة أيام حتى يصير المصعد كالمنحدر وهى الناحية التى تبلغ العطوف من النيل إلى المعدن المعروف بالشلة. وهو بلد يعرف بشنقىر. ومنه خرج العمرى وتغلب على هذه الناحية إلى أن كان أمره ما كان.

(٧) انتهز العمرى فرصة النزاع داخل البيت الملكى النوبى بسبب وراثة العرش وحصل من نيوتى الثائر على هذا الحق.

مـرـيس^(١)، واتسعت أعمال العمرى وامتد نفوذه شرقاً حتى عيذاب وشمالاً إلى أسوان، فكثرت بهم العمارة في البجة حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة إليهم من أسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم إلى عيذاب^(٢).

ويظهر أن العمرى كان يهدف إلى إقامة إمارة إسلامية تحت زعامته في هذه المنطقة، بدليل أن ابن طولون شك في نوايا العمرى نحوه وخشى ازدياد نفوذه في هذه البلاد فيطمع في مصر. فأرسل ابن طولون جيشاً لمحاربة العمرى بقيادة صباح بن حركام البابكى. غير أن العمرى تغلب عليه وهزمه ولم يكتف بهذا بل تقدم بجيوشه شمالاً حتى أدفوس سنة ٨٦٩م، لكنه أثر العودة إلى المناجم^(٣)، وهناك خرجت عليه قبيلة ربيعة ونشبت الحرب بينها وبين قوات العمرى التي ظلت على ولائها له، وتمكن العمرى من هزيمتها. غير أن العمرى ما لبث أن قتل على يد أحد أفراد قبيلة مضر^(٤). وبهذا انتهت قصة هذا المغامر.

واستقر كثير من عرب ربيعة وجهينة وغيرهم حول أسوان، غير أن الشقاق ما لبث أن دب في صفوفهم وبدأ صراع عنيف بين هؤلاء جميعاً بعد موت العمرى على امتلاك المعادن بالعلاقى، وتمكن فخذ من ربيعة أن يخرج من خالفه من العرب بعد أن استمال إليه البجة «وتصاهروا إلى رؤساء البجة وبذلك كف ضرهم عن المسلمين»^(٥).

وإذا كان اليعقوبى وهو المؤرخ المعاصر لمعظم هذه الأحداث (٨٧١م) فإنه لم يشير إلى أثر هذه الجماعات الإسلامية المختلفة - وهم كثيرون كما قال بأرض البجة^(٦) - ودورهم في نصر

(١) المقرئى، المقفى. المجلد الرابع، ص ١٦٦ ب. يرى دى فيار أن هذا المنجم هو منجم أم جاريات. انظر De Villard: op. cit. p. 113.

(٢) المقرئى، المقفى. المجلد الرابع، ص ١٦٧ أ.

(٣) المقرئى، المقفى: المجلد الرابع، ص ١٦٦ ب. لا نعرف سبب تردد العمرى في التقدم شمالاً إلى الفسطاط رغم أن الطريق كان مفتوحاً أمامه. وربما أحس بقرب وقوع خلاف بين رجاله وبينه فأثر العودة إلى مركز أعماله، وقد تحقق ظنه فخرجت عليه ربيعة وهزمها.

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٨ أ.

(٥) يبدو من قول ابن سليم أن ربيعة تحالفت على كهان البجة للدعوة بطاعة ربيعة والانضواء تحت لوائها لتتخذ منهم أعواناً ضد مخالفيها من العرب للانفراد بحكم هذه الجهات وإقامة إمارة إسلامية فيها. انظر المقرئى، المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٦) اليعقوبى: كتاب البلدان، ص ٣٣٤ - ٣٣٥. ذكر اليعقوبى مواضع كثيرة بأرض البجة ليس من اليسير تحقيقها. غير أن موضع الأهمية فيما ذكره هو إشارته إلى جماعات عربية إسلامية كثيرة في مواضع مختلفة بأرض البجة.

الثقافة الإسلامية بين البجة، فإن أبا الحسن المسعودي الذي زار مصر حوالي ٣٣٢ هـ (٩٤٠ م) أى بعد حملة العمري بحوالي سبعين سنة فقط، يتحدث عن الأثر الواضح لهذه الجماعات العربية الإسلامية فى نشر الثقافة الإسلامية فى إقليم البجة وبلاد النوبة كذلك. ويبدو من رواية المسعودي^(١) أن الإسلام ظهر وانتشر بعد أن سكن جماعة من المسلمين أرض البجة، ومن سكن مناجم الذهب والعلاقي وعيذاب عرب ربيعة الذين اختلطوا بالبجة وتزوجوا من بناتهم، فاشتد ساعد البجة على من نأواهم من النوبيين وغيرهم، كما اشتد ساعد ربيعة بالبجة على من خالفها من العرب، وتحالفت ربيعة مع البجة، وكان أميرهم زمن المسعودي أبا مروان بشر ابن إسحق بن ربيعة، الذى بلغ عدد جيشه ثلاثة آلاف فارس من ربيعة وأحلافها من العرب وثلاثين ألف محارب على الإبل من الحدايرة^(٢)، وهم المسلمون من سائر البجة. والراجح أن جماعة من عرب ربيعة نجحوا فى وضع أساس أول إمارة عربية إسلامية بالعلاقي بعد أن استمالوا إليهم البجة وجماعات عربية من قبيلتي مضر وتميم فخضع لهم الجميع، ويقول المقرئى «واسولوا على معدن الذهب العلاقي فكثرت أموالهم واتسعت أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة واختطوا قرية تعرف بالنماس وحفروا بها آباراً»^(٣). ويتحدث المسعودي عن وصول الإسلام جنوباً حتى جزيرة سواكن حيث تسكن جماعة من البجة اعتنقت الإسلام تعرف باسم الخاسنة^(٤).

أما بلاد النوبة فإن حديث المسعودي واضح تمام ولا ميماء فيما يتعلق بتسرب بعض

(١) المسعودي: مروج الذهب، جـ ٣، ص ٣٢ - ٣٤.

(٢) الحدايرة. فى رأى بول Paul, A.: A Hist. of the Beja Tribes p. 64 هم الحضارمة من حضر موت، جاءوا من بلاد العرب فى القرن السادس الميلادى وكانوا وثنيين ثم اعتنقوا المسيحية تشبهاً ببعض البجة. وهامهم يعتنقون الإسلام فى القرن العاشر. ويرى بول أن الحدايرة هم البليون الذين أشار إليهم الإدريسي. ومعناها فى لغة البجا العربى Paul, A. : op. cit. 64. ويقول أحد أفراد قبيلة الأمرار: إن البليون جاءوا أصلاً من الحجاز. Crawford: op. cit. p. 110 ويقول بول: إنه مما يزيد صحة نسبهم العربى استعمالهم الحصان الذى يكرهه البجة، ويضيف أنهم اضطروا للهجرة جنوباً ووضعوا أساس مملكة البليون. ويرى كروفورد Crawford: op. cit p. 110. أن البليين ربما يرجعون إلى قبيلة بلى التى هاجرت بعض جماعاتها إلى إقليم البجة قبل الإسلام.

(٣) المقرئى: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ص ٤٨.

(٤) نقل المقرئى هذا النص عن المسعودي. المقرئى جـ ١، ص ١٩٧.

الجماعات العربية من مصر إلى جزئها الشمالى المعروف باسم مريس، وما استتبع هذا التسرب العربى الإسلامى من ظهور بعض الأفكار الجديدة التى لا عهد للنوبيين بها من قبل فيشير المسعودى^(١) إلى أن جماعات من عرب قحطان وربيعة وقريش سكنوا أسوان، ثم أخذوا فى التقدم جنوباً فى أرض مريس حيث اشتروا أراضى من النوبيين استغلوها لصالحهم، وأثارت هذه الحالة ثائرة بعض ملوك النوبة^(٢)، وحاولوا تسوية هذه المشكلة ودياً، وحجتهم فى ذلك هى أن النوبيين عبيد للملك، ولا حق لهم فى بيع هذه الأراضى، لأنها ملك خاص للملك ولا أملاك لهم. ولما أحييت هذه المشكلة إلى حاكم أسوان وشيوخها وأهل العلم بها للفصل فيها لجأ العرب إلى حيلة تحفظ لهم حقوقهم فى بلاد النوبة، فأعزوا إلى النوبيين ألا يعترفوا لملكهم بالرق ففعلوا، ومضى البيع وتأكدت حقوق العرب المادية فى أرض مريس، وتوارثوا هذه الأراضى جيلاً بعد جيل. ومعنى هذا أن العرب أضحي لهم حق الإقامة الدائمة فى هذه الجهات.

غير أن ثمة ظاهرة تستحق الالتفات وهى أن هؤلاء العرب المسلمين كانوا يدفعون خراج هذه الأراضى لملك النوبة المسيحى^(٣). ويدل هذا على اعتراف هذه الجماعات العربية بامتداد نفوذ هؤلاء الملوك إلى هذه المنطقة التى يعيشون فيها، وتنظيم العلاقات الاقتصادية بينهم وبين ملوك النوبة^(٤). غير أن هذا النفوذ لم يعد أن يكون اسماً فقط. ذلك أن سكانها من النوبيين أنفسهم أصبحوا أحراراً غير عبيد شأنهم فى هذا شأن العرب الأحرار الذين اختلطوا بالنوبيين وتأثروا بهم وأخذوا عنهم بعض أفكارهم ونظمهم الاجتماعية. ولم يعترف لملك النوبة بالعبودية سوى أهل مقرة الأصليين، وهم من يسكنون إلى ما وراء الجنادل الثانية جنوباً وهى المنطقة التى يحرم على العرب الدخول فيها إلا للتجارة ووصارت النوبة أهل مملكة هذا الملك

(١) المسعودى مروج الذهب، ج ٣، ص ٤١. انظر ملحق رقم ١١.

(٢) أثرت هذه المشكلة مرة فى عهد الخليفة المأمون ومرة أخرى فى عهد المعتصم، وموضع الأهمية ها أن النوبيين لم يقرروا لملكهم بالعبودية فى كلتا المرات.

(٣) لم يسمع عن مثل هذه الحالة فى تاريخ العلاقات بين الدولة الإسلامية ورعاياها، وبين الممالك المسيحية أو غيرها من الممالك التى تجاور أرض الدولة الإسلامية.

(٤) نلاحظ أن هذه الحالة التى نشأت عن اجتياح العرب المسلمين أراضى فى النوبة تخالف ما جاء فى عقد عبدالله بن سعد لملك النوبة سنة ٦٥٢ م «وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه». غير أن هذه المنطقة المتاخمة لمصر جنوباً لم تقو على الصمود فى وجه القبائل العربية التى ازدحم بها إقليم أسوان فبدأوا بالانسحاب جنوباً.

في نوعين: نوع ممن وصفنا أحرار غير عبيد، والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لأسوان. ومعنى هذا أن حوالى نصف سكان مملكة مقرة، وهم المريسيون لم تعد تربطهم بملكهم تلك الرابطة القديمة القائمة على أساس العبودية والطاعة العمياء له.

لكن هل مارس العرب حقوقهم الاقتصادية في بلاد النوبة من أسوان، أو أنهم انتقلوا إلى بلاد النوبة لاستغلال أملاكهم؟ على الرغم من أن نص المسعودى لا يعطى إجابة صريحة، إلا أن ابن سليم (٩٧٥ م) يشير في صدد حديثه عن النوبة أن المنطقة من أسوان حتى الشلال الثانى هى الجهة التى يتصرف فيها المسلمون ولهم فيها أملاك^(١). هذا وتزيد الأبحاث الأثرية فى منطقة مريس وجود جاليات عربية إسلامية مستقرة فى هذه المنطقة. ذلك أنه عثر فى غير قليل من الأماكن بأرض مريس على كثير من الكتابات العربية يرجع تاريخ أقدمها إلى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وتدل كثرة شواهد القبور المكتوبة بالخط العربى وتحمل أسماء عربية فى كل من تافه (٢١٧ هـ - ٨٣٢ م) وفى كلابشة (٣١٧ هـ - ٩٢٩ م) على حياة هادئة مطمئنة لجاليات عربية إسلامية فى بلاد مريس^(٢). ويؤيد دى فيار أن تنقل الجماعات العربية المختلفة بين منطقة مريس وأرض البجة كان أمراً مألوفاً، بدليل وجود كتابات عربية بالخط الكوفى على جدران قلعتين من دير يهيب بالقرب من منجم للذهب فى هذه المنطقة. ويرجع تاريخ هذه الكتابات إلى القرن العاشر الميلادى (٩٨٢ - ٩٨٣ م)، فضلاً عن كتابات أخرى فى ليزارى على بعد ٣٠ كيلو متراً جنوبى دير يهيب. ويرجع تاريخها إلى هذا العهد كذلك^(٣).

لا شك أن اختلاط هذه الجماعات العربية المهاجرة بالعناصر النوبة والبجاوية، أدى إلى تأثرهم بالدماء العربية التى كانت تتجدد باستمرار مع توالى وصول عناصر عربية جديدة إلى هذه الجهات، بسبب اضطراب بعض أجزاء العالم الإسلامى وقيام الفتن والثورات. ولم تسلم مصر ذاتها أواخر عهد الإخشيديين (٩٣٥ - ٩٦٩ م) من التعرض لأخطار خارجية فالفاطميون أخذوا يطرقون أبواب مصر من ناحية الغرب بعد أن ثبتوا أقدامهم فى بلاد

(١) المقربرى: المواعظ والاعتبار، ج ١ ص ١٩٠.

(2) De Villard: op. cit. p. 118.

(3) Ibid. : op. cit. p. 115.

المغرب^(١). وقام النوبيون كعادتهم بإغارة على الواحة الخارجة سنة ٩٥١ م وأتبعوها بحملة أخرى على أسوان سنة ٩٥٦ م حيث قتل ملك النوبة جمعا من المسلمين. فخرج إليه محمد بن عبدالله الخازن على عسكر مصر من قبل أنوجور بن الاخشيد (٣٤٥هـ - ٩٥٧ م) فهزم النوبيين وتقدم جنوبا حتى إبريم وسبي كثيرا من أهلها وقدم بهم إلى مصر^(٢). بيد أن هذه الهزيمة لم تضع حدا لهجمات النوبيين على حدود مصر من ناحية الجنوب فتجددت إغاراتهم على صعيد مصر زمن كافور، وتقدموا شمالا حتى إدفو منتهزين فرصة اضطراب الأحوال في مصر، وقيام الجحاعة فيها بسبب انخفاض مياه النيل وتعرضها من الشرق لتهديد القرامطة^(٣).

وليس من المستبعد أن تكون هذه الإغارات النوبية نتيجة لدعاية فاطمية واسعة. الغرض منها إضعاف الإدارة المصرية وشغلها في أكثر من جهة حتى لا تركز جهودها ضد الزحف الفاطمي من الغرب^(٤). ويظهر أن ملك النوبة امتنع عن دفع البقط.

* * *

ثم تأسست الدولة الفاطمية في مصر سنة ٩٦٩ م فأرسل جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، أحمد بن سليم الأسواني مبعوثا إلى جورج الثاني ملك النوبة، يطلب إليه دفع البقط^(٥). ولا بد أن الملك جورج شعر بالوضع الجديد في مصر بقيام الدولة الفاطمية، فعاد إلى دفع البقط. أما ما يقال من أن جوهر دعا ملك النوبة إلى اعتناق الإسلام فيرجحه أن الدولة الفاطمية قامت على مبدأ الدعاية والتوسع، وليس من غير المحتمل أن يكون جوهر فكر في هذه الناحية من النوبة وفي أن يمتد الإسلام إليها على المذهب الشيعي.

وعلى الرغم من أن الملك جورج لم يقبل دعوة جوهر، وكذلك على الرغم مما سبق هذا من اضطراب العلاقات النوبية المصرية أواخر عهد الإخشيديين، فقد ازداد رسوخ قدم

(١) Lane Poole: op. cit. p. 8

(٢) المقرئى: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٩٨.

(٣) المقرئى: نفس المصدر، ص ٣٢٩ أنظر:

Lane Poole: op. cit. p. 88.

(٤) يحيى بن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص ٧٤.

Quatremère: op. cit. p. 81.

(٥) المقرئى: المقفى، المجلد الرابع، ص ٢٢٧.

Lane poole: op. cit p. 185.

الجماعات المسلمة ببلاد النوبة السفلى. فيذكر ابن سليم: أن المسلمين يتمتعون بكامل استقلالهم في هذه المنطقة التي استقروا فيها حيث توجد أملاكهم^(١)، فضلا عن أن كثيرا من النوبيين أنفسهم اعتنقوا الإسلام رغم جهلهم باللغة العربية^(٢). والراجح أن العرب تعلموا لغة النوبيين بعد أن اختلطوا بهم واستطاعوا بذلك نشر ثقافتهم الإسلامية في النوبة^(٣).

وتدل الأبحاث الأثرية التي قام بها دى فيار في جهة مريس على تأثير هذه الجماعات العربية في النوبيين، إذ أنه عثر في مقابر نوبية على كتابات باللغة القبطية تحمل تاريخا مزدوجا من التقويمين القبطي والهجرى، وترجع معظم هذه الكتابات إلى القرن العاشر الميلادى (٩٠٦ - ٩٠٧ م). ثم تظهر بعد هذا كتابات من هذا النوع أيضا لا تحمل سوى التاريخ الهجرى، وهى جميعا ترجع إلى نفس هذا القرن^(٤). ويتضح كذلك مما جاء فى ابن سليم عن مملكة علوة أن المسلمين يختلفون إليها للتجارة ولا بد أن عددهم كان كبيرا بدليل أنه أصبح لهم رباط خاص بهم يارون إليه^(٥).

(١) المقرئى: المواعظ والاعتبار، ج١ ص ١٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩٠، ويقول ابن سليم: «وفىها (مريس) جماعة من المسلمين قاطنون لا يفصح أحدهم بالعربية». وهؤلاء بطبيعة الحال من النوبيين الذين اعتنقوا الإسلام، وظلوا محافظين على لغتهم النوبية التي لا تزال حية إلى اليوم. والراجح أن اعتناقهم الإسلام سبق تعلمهم للغة العربية.

(٣) يرى الأستاذ محمد عوض: السودان ووادي النيل، أن الجماعات السودانية اعتنقت الإسلام واتصلت بالنسب العربى، ولكنها احتفظت بلغتها الأصلية بعد أن دخلتها ألفاظ ومفردات وتراكيب عربية كثيرة، وهؤلاء هم النوبة والبجا وسكان الجبال فى دارفور. وقد كان من مياسة بعض العرب حبا فى سهولة نشر الإسلام أن تعلموا لغة البجة مثلا حتى يخاطبوا السكان بسرعة ويؤثروا فيهم.

(٤) يدل استعمال التاريخ الهجرى فى وثائق نوبية باللغة القبطية على مدى تأثير النوبيين بالثقافة الإسلامية، وعثر على معظم هذه الكتابات فى مقبرة ساكنيا بالنوبة السفلى. نشر دى فيار نتائج أبحاثه فى مقال خاص عن مقبرة ساكنيا وأشار إليها فى كتابه تاريخ النوبة المسيحية.

أنظر: De Villard, : op. cit. p. 119.

(٥) المقرئى: المواعظ، ج١ ص ١٩٣، يقول ابن سليم: «... وهذه الحكاية (عادات أهل علوة وتقاليدهم) صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة وكل من يعطى ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون فيه...» وفى موضع آخر: «... ولها (سوبا) رباط فيه جماعة من المسلمين...» وربما كان هذا الرباط بمثابة دار ضيافة يلجأ إليها المسلمون عند مرورهم بمدينة سوبا، أو لوكالاتهم التجارية المستقرين فيها، أنظر أيضا: MacMichael, H.A. : op. cit. p. 171, Note 6.

ويقول اليعقوبى: البلدان، ص ٣٣٥ - ٣٣٦: «... ثم مدينة علوة العظمى التي تسمى سوبا وبها ينزل ملك علوة، والمسلمون يختلفون إليها...» وستعرض فى شيء من التفصيل عن النفوذ العربى فى علوة فى ص ١٠٠٦.

ويتسم عهد الفاطميين في مصر (٩٦٩ - ١١٧١ م) بقيام علاقات دالة على حسن الجوار والمسالمة بين مصر الفاطمية والنوبة المسيحية. غير أن هذا العهد شهد ميلاد إمارة عربية قوية اتخذت مدينة أسوان مركزاً لها، وامتد نفوذها جنوباً في أرض مريس، وأنشأ هذه الإمارة زعيم من عرب ربيعة اسمه أبو مروان بشر بن إسحق^(١)، ثم لم يلبث النزاع أن نشب في العلاقي وعيذاب بين بطون ربيعة ذاتها، وقتل بشر بن إسحق وخلفه على زعامة القبيلة ابن عمه أبو عبدالله محمد بن علي المعروف باسم أبي يزيد بن إسحق. واحتلط عرب ربيعة بالنوبيين وتزوجوا من بنات رؤسائهم، فأضحت لهم مصالح مادية في بلادهم، لانتفاعهم بنظام الوراثة المعروف عند النوبيين، وهو توريث ابن البنت أو ابن الأخت.

والراجح أن هذه العشيرة كانت طبقة حاكمة خضعت لها النوبيون من أهل مريس الذين يزال عنهم السلطان الفعلي لملك النوبة المسيحي، لاسيما بعد أن تحول معظمهم إلى الإسلام. ثم اعترفت الدولة الفاطمية بهذه الإمارة العربية النوبة، وذلك حين استعان الخليفة الحاكم بأمر الله بأبي المكارم هبة الله أمير ربيعة في القبض على أبي ركوة^(٢) الخارج على الدولة الفاطمية وهو يلوذ بالفرار من مصر من ناحية الجنوب^(٣). ونجح أبو المكارم في القبض على أبي ركوة سنة ١٠٠٦ م، ولذا كوفي بلقب كنز الدولة. وتوارث أبناؤه هذا اللقب ولم تزل الإمارة فيهم وكلهم يعرفون بكنز الدولة^(٤). وعرف بنو ربيعة ببني كنز^(٥). وقصص الكتاب والشعراء

(١) هاجرت ربيعة إلى مصر حوالي منتصف القرن التاسع الميلادي، وانتشروا في جهات القطر المختلفة، فاستقر فريق منهم حول أسوان، وفريق آخر في العلاقي وعيذاب، وثالث حوالي بلبس. ونجح فريق العلاقي في وضع نواة إمارة عربية إسلامية في العلاقي رئيسها أبو مروان بشر بن إسحق.

(٢) أبو ركوة هو الوليد بن هشام بن عبد الملك من بني أمية وسمى أبو ركوة لأنه كان يحمل ركوة لوضوئه على عادة الصوفية، ولجأ إلى القيروان ثم اتجه نحو مصر ونزل على أبي قرّة في برقة ودعا للثورة ضد الحاكم لظلمه، فتبعه بنو قرّة وبايعوه وهزموا والي برقة من قبل الحاكم وملكوها، وانضم إلى أبي ركوة جماعة من كتامة وانتصر على جيوش الحاكم، ووصل إلى أهرام الجيزة، غير أنه هزم في اليوم لتخلي بني قرّة عنه وفر إلى النوبة، فبعث الحاكم في طلبه. أنظر ابن خلدون: نفس المصدر، ج ٤، ص ٥٨ - ٥٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٧٠.

(٤) عمّدت الدولة الفاطمية إلى الألقاب الضخمة تنعم بها على الناس مع باب المكافأة والاعتراف بالخدمات، وتلك عادة نشأت في بعض الدول الإسلامية بشكل واضح منذ أيام البويهيين في بغداد. أنظر المقرئ، البيان والإعراب، ص ٥٠؛ وأنظر ابن خلدون، نفس المصدر، ج ٥، ص ٢٨٨. أنظر كذلك MacMichael, H.A. op. cit. p. 150.

(٥) بنو كنز هم الكنوز الحاليون الذين يمتد وطنهم من أسوان في الشمال إلى كرسكو في الجنوب

أمرأء بنى كنز ومدحورهم، ومن أولئك الشديد أبو الحسن بن عرام وأبو محمد الحسن بن الزبير^(١).

ومن الطبيعي أن يحسب الأيوبيون، الذين خلفوا الفاطميين في حكم مصر سنة ١١٧١م كل حساب لأبناء هذه الإمارة. ويتضح هذا في ثانيا العلاقات بين مصر الأيوبية زمن صلاح الدين والنوبة المسيحية. ذلك أن الجند السودانيين في جيش الخليفة العاضد الفاطمي قاموا بحركة لإقصاء صلاح الدين من الوزارة العاضدية أواخر أيام الفاطميين، فجرد عليهم صلاح الدين حملة بقيادة شجاع الدين البعلبكي سنة ١١٧٢م. ودارت بين الفريقين معارك عنيفة في شوارع القاهرة انهزم بعدها الجند السودانيون إلى الصعيد^(٢).

وإذا كان كنز الدولة اشترك مع قائد صلاح الدين في القضاء على حركة المتمردين السودانيين، فإن ولاء بنى كنز لم يلبث أن تحول ضد صلاح الدين. ففي سنة ١١٧٢ - ١١٧٣م أرسل صلاح الدين أخاه توران شاه على رأس حملة لغزو النوبة. وربما كان أحد أهداف هذه الحملة الامعان في القضاء على نفوذ بنى كنز، ظنا من صلاح الدين «أنهم شيعة للعلوية بمصر»^(٣) غير أن هناك من المؤرخين من يرى أن صلاح الدين رغب في فتح النوبة لتكون موقعا له ولأسرته إذا هاجمه نور الدين في مصر^(٤). وربما كان صلاح الدين يفكر في إيجاد بعض المكملات الاقتصادية لمشروع الاستقلال بمصر. أو ربما كان لهذه الحملة دوافع أخرى تتصل بمشروع غزو اليمن، إذ أن صلاح الدين أراد أن تكون طريقا قريبا لبلاد اليمن، وتوغل توران شاه في بلاد النوبة حتى إبرم. غير أن تقرير توران شاه إلى صلاح الدين جاء مخيبا لذلك المشروع^(٥).

(١) المقرئى: المواعظ والاعتبار، ج١، ص ١٩٨.

(2) Lane Poole: op. cit. p. 192.

(٣) يزعم ابن خلدون، نفس المصدر، ج٥، ص ٢٨٨ - أن بنى كنز شيعة للفاطميين، وربما فسر ابن خلدون قيام علاقات طيبة بينهم وبين الفاطميين منذ عهد الحاكم الذى منحهم الألقاب الضخمة أنهم شيعة للفاطميين غير أن استعداد بنى كنز للتعاون مع صلاح الدين أوائل عهده لا يؤيد ما ذهب إليه ابن خلدون، وأن خروجهم عليه فيما بعد لم يكن بسبب تشيعهم للفاطميين بل لرغبتهم في الاحتفاظ بنفوذهم في إقليم أسوان. ذلك النفوذ الذى أراد صلاح الدين الانتقاص منه.

(٤) ابن خلدون- نفس المصدر، ص ٢٨٦، العمرى: مسالك الأبصار مخطوط، ج٢، ورقة ٤٩٢.

(5) Lane Poole: op. cit. p. 197.

وإذا كانت أنباء هذه الحملة ليس فيها ما يدل على قيام توران شاه بعمل عدائي ضد كنز الدولة، فالمعروف أن صلاح الدين أقطع هذا الاقليم إلى أحد أمرائه وهو أخو أبي الهيجاء السمين. ولهذا ثار كنز الدولة على صلاح الدين وجمع جيشا من النوبيين والعرب وهجم على أخي أبي الهيجاء وقتله^(١). والراجح أن كنز الدولة كان على اتصال ببقايا العناصر العاملة على إعادة الدولة الفاطمية، فدعا للأمير دواد بن العاضد^(٢). غير أن هذه المحاولة لم تنجح واستطاع صلاح الدين القضاء على هذه العناصر الثائرة في مصر وأرسل أخاه الملك العادل على رأس جيش هزم كنز الدولة وقبض عليه وقتله^(٣). وأدت هذه الهزيمة إلى رحيل بني كنز عن أسوان^(٤)، فلم تعد مركز إمارتهم، بل نقلوا مركز نشاطهم إلى الجنوب في بلاد مريس والدمجوا اندماجا تاما في سكانها^(٥).

ويفسر خروج النوبيين في مصر على صلاح الدين حقيقة لا سبيل إلى تجاهلها. ذلك أن صلاح الدين عزف عن استخدام النوبيين في الجيش الأيوبي، واستبدلهم بعناصر شمالية، كردية وتركية وديلمية. ولهذا قام النوبيون بعدة محاولات لإعادة سلطان الفاطميين ليستردوا مركزهم الذي كان لهم في الجيش الفاطمي، غير أن موضع الأهمية هنا ليس تدمير النوبيين من النظام الجديد، بل إن وجود أعداد ضخمة منهم في مصر في هذا الوقت هو الظاهرة التي تسترعى الالتفات، وقد يكون لها ثمة أثر في ضعف النوبة المسيحية وضمحلها. فمئذ أن فقد العرب سلطانهم القديم في الدولة الإسلامية على أيام المعتصم بالله، بدأ الولاة في مصر يستخدمون عناصر غير عربية في الجيش. وكان ابن طولون أول من استخدم السودانيين في الجيش الطولوني. وبلغت عدتهم ٤٠ ألف سوداني^(٦)، وهو عدد لا يستهان به، وأقطعهم

(١) ابن خلدون نفس المصدر، ج ٥، ص ٢٨٨.

(٢) المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٥٠.

(3) MacMichael H.A. : op. cit. p. 177.

(٤) المقرئزي: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٩٨.

(٥) سنرى فيما بعد كيف أصبحت هذه الإمارة الإسلامية قوة ذات خطر في بلاد النوبة ابتداء من منتصف القرن الثالث عشر الميلادي.

(٦) المقرئزي: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٩٤.

إقطاعاً خاصاً عرف باسمهم^(١). وبلغ من كثرة عددهم حداً استوجب معه تعيين حاجب خاص لصرف جراياتهم^(٢). لكن كيف حصل ابن طولون على هؤلاء النوبيين للعمل في جيشه؟ يقول المقرئى إنه حصل عليهم بطريق الشراء^(٣). ولو صح هذا فإن بلاد النوبة تعرضت لحمولات عنيفة من جانب تجار الرقيق وخاطفيهم^(٤).

وبهذا يمكننا أن نخرج باستنتاج مطمئن وهو أن من ضمن عوامل اضمحلال ممالك النوبة ما يمكن أن نسميه تبادل في الجماعات والثقافات^(٥) بين مصر الإسلامية والنوبة المسيحية. فخرج من النوبة جماعات نوبية مسيحية التحقت بجيش مصر. ولفظت مصر بعض عناصر الشعب فيها - في نظر ولايتها الأتراك - وهم جميعاً من العرب المسلمين فانسابوا إلى النوبة. ثم أخذ هؤلاء يؤثرون تأثيراً بشرياً وثقافياً فيما تبقى لدى النوبة من عناصر نوبية مستقرة، على حين أن هذه العناصر النوبية النازحة إلى مصر لا بد أن تكون تحولت إلى الإسلام، بدليل ما تردد في بعض المراجع من «شكوى أهل مصر من ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بالجند السودانيين»^(٦).

ولم تتوقف عملية جلب النوبيين للخدمة في الجيش المصرى بعد وفاة ابن طولون، بل استمرت في جيش الإخشيديين وخاصة في عهد كافور^(٧) النوبى. ثم ازدادت أعدادهم في عهد الفاطميين لا سيما في عهد المستنصر بالله، وشجعت أم المستنصر وهى سودانية الأصل

(١) المصدر السابق، ص ٣١٥: ... ثم قطعت القطائع وسميت كل قطعة باسم من يسكنها فكانت للنوبة قطعة مفردة تعرف بهم.

(٢) المصدر السابق ص ٣١٥.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(4) Walkely, C.E. J.: "The Story of Khartoum," SNR. XIII. part II. p. 224.

(٥) لم يكن التبادل هنا عملية مقصودة ومرتبطة، بل هو محض الصدفة. ثم أن الأثر الإسلامى كان هو الغالب على هذا التبادل، سواء في النوبة ذاتها أو مصر. ولم يتأثر المسلمون بالنوبيين إلا قليلاً فيما منشر إليه من تسرب بعض العادات القديمة إلى المسلمين بعد أن يتم تحويل النوبيين جميعاً إلى الإسلام.

(٦) المقرئى: المواعظ والاعتبار، جـ ١، ص ٣٢٠، يقول المقرئى: «شكا أهل مصر إلى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسودانه. فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكر».

(٧) المصدر السابق، ص ٩٤:

على جلب أبناء جلدتها، وبلغت عدتهم حسب رواية ابن ميسر ٥٠ ألفاً^(١). هذا فضلاً عن طوائف سودانية (نوبية) كثيرة اتخذت أسماء خاصة وسكنت حارات خاصة بها كذلك^(٢). وشارك أولئك النوبيون في حوادث الدولة الفاطمية، فاستعان بهم الحاكم في القضاء على الثورات^(٣) واستعانت بهم أم المستنصر بالله على الأتراك^(٤). وتدخلت فئاتهم في النزاع الذي نشب بين الخليفة الحافظ وابنه الأمير الحسن بسبب الخلاف على ولاية العهد^(٥). هذا وكان للنوبيات دور هام في الحياة المصرية. فكثيرات منهن تخصصن في تربية أولاد السلاطين وتنظيم الأفراح والأعياد وترتيب شئون الحرم السلطاني^(٦).

ومما لا شك فيه أن العناصر النوبية النازحة إلى مصر لم يقتصر دورها في الحياة المصرية على ما سبقت الإشارة إليه من الانخراط في صفوف الجيش المصرى أو ممارسة الأعمال الحرة في أحيائهم الكثيرة المنتشرة في القاهرة، أو العمل في بيوت السلاطين والأمراء، بل قدر لبعض فئاتهم أن يشارك مشاركة إيجابية في الحياة العربية الإسلامية في مصر قبل أن ينتشر الإسلام في بلادهم^(٧). فتشير المراجع العربية إلى بعض شخصيات نوبية ممن اشتغل بالعلوم الدينية والفقهية مثل يزيد بن أبى حبيب، أو ممن سلك طريق التصوف مثل ذى النون المصرى النوبى الأصل وتحمية النوبية.

(١) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٤. ومن هذه الطوائف الريحانية وسكن فريق منهم حارة بهاء الدين (داخل باب الفتوح) وفريق آخر بالحسينية، وطائفة المنصورة وسكنت حارة تعرف بهذا الاسم (قرب بركة الفيل، خارج باب زويلة) وطائفة الفرجية والوزيرية وغيرها. وقد اتسعت أحوالها جميعاً.

(3) Lane Poole: op. cit p. 132.

(٤) المقرئى: المواعظ والاعتبار، جـ ١، ص ٣٣٥.

Lane Poole: op. cit. p. 145.

انظر:

(٥) المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٧ - ١٨ انظر:

Lane Poole: op. cit. p. 168.

(٦) المصدر السابق: جـ ٢، ص ١١٦.

(٧) عبد المجيد عابدين: الهجرات بين السودان والبلاد العربية، ص ٥٧.

أما يزيد بن أبي حبيب، فأبوه أبو حبيب، وأسمه سويد، كان من سبي النوبة الذين أسرههم العرب في حملتهم الثانية على النوبة سنة ٦٥٢م. وقد أفادت ابنه يزيد صلته بعدد من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر وتابعيهم، في أن أصبح محدثاً ومؤرخاً وفقياً كذلك. وتلمذ على يديه عدد من التلاميذ أضحوا من أشهر فقهاء مصر الأوائل منهم: الليث بن سعد وعبدالله بن لهيعة.

أما أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الملقب بذي النون المصري فأصله من النوبة، ونشأ في مصر في القرن الثاني للهجرة. وقد تلقى الموطأ عن بعض أصحاب مالك بن أنس حين خرج إلى الحجاز حاجاً. ولما عاد ذو النون إلى مصر مال إلى حياة الزهد والتصوف^(١).

سقوط مملكة مقرة المسيحية

انتشار الإسلام والعرب فيها

ازدياد النفوذ المملوكي على ساحل البحر الأحمر الأفريقي ■ الحملات المملوكية على النوبة، حملتا بيبرس، أسبابهما ونتائجهما ■ النزاع بين أفراد البيت الملكي النوبي ■ حملات قلاوون على النوبة، أسبابها. النزاع بين ملوك مقرة وملوك علوة ■ أول ملك نوبي مسلم، ظهور بني كنز وازدياد نفوذهم ■ انتشار الإسلام وأثر العرب فيه ■ سقوط مملكة النوبة المسيحية الشمالية ■ بعض الآراء في عوامل سقوطها، مناقشة رأي ابن خلدون ■ أحوال بلاد النوبة الداخلية بعد سقوط المملكة المسيحية.

لا شك أن استقرار بعض الجماعات العربية في إقليم العتباي، واستغلال مناجم الذهب بالعلاقي، بعث نوعاً من النشاط التجاري في هذه المنطقة. ويشير بعض جغرافى القرن العاشر الميلادى ومنهم ابن حوقل إلى أن عيذاب كانت ميناء للذهب^(٢). وذاعت شهرة عيذاب منذ القرن الثانى عشر الميلادى، بعد تحول قوافل الحجاج من مصر وبلاد المغرب، عن طريق سيناء إلى الصعيد الأعلى (قوص) فعيذاب، بسبب الحركات الصليبية على سواحل الشام وفلسطين،

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٢، ص ٢٨٠ - ٢٨٣.

(2) Murray, G. W: "Aidhab," GJ. p. 235.

وقيام الإمارات الصليبية بها. وبلغت عيذاب ذروة مجدها وشهرتها حينما وصلتها كذلك سفن من اليمن والهند حاملة الأخشاب والتوابل. وبهذا أضحت صحراء عيذاب عامرة أهلة بما يصدر أو يورد من قوافل الحجاج والتجارة^(١). وغدت عيذاب ميناء مصر الرئيسى على البحر الأحمر منذ أواخر الدولة الفاطمية إلى أوائل دولة المماليك الثانية^(٢). وبلغ من أهميتها أن أشرفت عليها إدارة مصرية، فعينت الدولة المملوكية - إلى جانب واليها الحدرى - واليا مصرية وقاضيا مصرية كذلك^(٣).

لفتت شهرة عيذاب أنظار الصليبيين، فحاولوا توجيه الضربات إليها، لقطع الطريق على الحجاج المسلمين من ناحية، والقضاء على مركزها التجارى من ناحية أخرى. وعلى الرغم من فشل الحملة الصليبية بقيادة أرناط ضد الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز سنة ١١٨٢، فإن سفن هذه الحملة حطمت ست عشرة سفينة للمسلمين في عيذاب^(٤). غير أن هذا الهجوم الصليبي لفت الأنظار إلى أهمية عيذاب، فازداد اهتمام سلاطين الأيوبيين والمماليك بها كلما ازدادت التجارة المصرية في البحر الأحمر.

ويتضح اهتمام سلاطين المماليك بتجارة البحر الأحمر وساحله الأفريقى من علاقات الدولة

(١) المقرئى: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) المقرئى: نفس المصدر، ص ٢٠٢، يقول المقرئى عن عيذاب «قلم تزل مسلكا للحجاج في ذهابهم وإيابهم زيادة على مائتى سنة، من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة إلى أعوام بضع وستين وستمائة، وذلك منذ كانت الشدة العظمى أيام الخليفة المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر وانقطاع الحج فى البر، إلى أن كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الكعبة وعمل لها مفتاحا، ثم أخرج قافلة الحجاج من البر فى سنة ست وستين وستمائة، فقل سلوك الحجاج لهذه الصحراء، واستمرت بضائع التجار تحمل من عيذاب إلى قوص حتى بطل ذلك سنة ست وستين وسبعمائة». أى أنها ظلت ميناء للتجارة وطريقا للحجاج كذلك منذ حوالى ١٠٥٨م إلى ١٣٠٠م - ثم أضحت فى خدمة التجارة حتى خربها السلطان برصباى سنة ١٤٢١م أنظر: Leo Africanus: The Hist. and Desc. of Africa III, p. 837.

وانظر: (3) Bloss, J. F.E. "The Story of Swakin," SNR., II., p. 280.

Paul, A. : "Aidhab: A Medieval Sea Port" SNR., XXXVI, Part, I, 1955. p. 66.

(4) Newbold, D.: "The Crusades in the Red Sea and the Sudan", SNR, XXVIII. part I, p. 220 - 6.

المملوكية بميناء سواكن المطل على ممالك النوبة المسيحية. ففي سنة ٦٦٢ هـ (١٢٦٤ م) احتج السلطان بيبرس إلى كل من صاحب سواكن وصاحب جزر دهلك^(١)، لتعرضهما لأموال المتوفين من التجار المصريين^(٢). والراجح أن ممتلك سواكن لم يستجب للاحتجاج المملوكي، ولم يكذ يمضى عام وبعض عام، حتى بعث والى قوص - تنفيذاً لأمر السلطان بيبرس - حملة حربية لشأديب صاحب سواكن سنة ٦٦٤ هـ (١٢٦٥ م). ومن نتائج هذه الحملة، انهيار نفوذ صاحب سواكن وفراره واستقرار حامية مملوكية بسواكن نفسها^(٣)، فضلاً عن فرض أموال الزكاة على سكانها لحساب الدولة المملوكية^(٤) وهي الأموال التي أشرف على جمعها والى عذاب وقاضياها.

ويرى البعض أنه كان لسقوط سواكن في يد مصر، مغزى سياسى بعيد الأثر على ممالك النوبة المسيحية. لأنه أدى إلى إحكام الرقابة والسيطرة الإسلامية على الساحل الإفريقى للبحر الأحمر، مع التهديد المباشر لمعاقل المسيحية فى النوبة^(٥).

ويبدو أن هذه السيطرة المملوكية الجديدة على المنفذ البحرى لممالك النوبة المسيحية، أدت إلى قلق حكامها، فبدأوا يحسون بما نزل بمصالحهم الاقتصادية من أضرار، فضلاً عن عزلهم عن العالم الخارجى، ولا سيما الأراضى المقدسة بفلسطين^(٦). وربما كان هذا هو الدافع للنوبيين للإغارة على أطراف مصر الجنوبية سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢ م) فى السنة العاشرة من عهد بيبرس.

ذلك أن داود ملك النوبة أغار على ثغر عذاب ونهب متاجرها وقتل عددا كبيرا من أهلها،

(١) أكبر الجزر المعروفة بأرخبيل دهلك بالبحر الأحمر، وموقعها قبالة مصوع - أنظر المقرئى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة) جـ ١، القسم الثانى، ص ٥٠٦، حاشية رقم ١.

(٢) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق: ص ٥٥٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٥٥٨. ويتضح من هذا أن المسلمين كثر عددهم فى سواكن إلى درجة أوجبت على السلطان استخراج الزكاة منهم.

(٥) صلاح الدين الشامى - التوجيه البحرى للسودان وأثره فى طرق التجارة والمواصلات، ص ١٢٦. رسالة لم تنشر.

(6) Crowfoot, J. W. : Christian Nubia, J. E. A. : XIII., pp. 148 - 149.

Kraus: op. cit, p. 1.

من بينهم الوالى والقاضى، ثم أغار داود على مدينة أسوان، وخرب عددا من السواقي، وأسر كثيرا من الأسوانيين وسخرهم فى بناء كنيسة سوس (المسيح) بدنقلة^(١).

وثمة رأى^(٢) فى أسباب حركة الملك داود ضد عيذاب وأسوان، وهو أن التوبيين تأثروا بما أصاب الأقباط فى مصر من بعض حوادث اضطهاد. ولو صح هذا فإن الأقباط تعرضوا لموجة من الاضطهاد على عهد السلطان بيبرس، لا تهاهم بحرق بعض أحياء القاهرة سنة ٦٦٣ هـ (١٢٦٤ م)^(٣). ولا يعد أن يكون هذا أحد الأسباب التى أدت إلى حركة دواود ضد عيذاب وأسوان وسكانهما.

وكيفما كان الأمر فإن السلطان بيبرس أرسل حملة بقيادة والى قرص سنة ٦٧١ (١٢٧٣ م - ١٢٧٣ م) لغزو النوبة. ووصلت الحملة المملوكية فى تقدمها جنوبا إلى دنقلة. غير أنها لم تستطع الظفر بدواود، فعادت بعدد من الأسرى إلى القاهرة ومن بينهم صاحب الجبل^(٤).

غير أن هذه الحملة كانت ضئيلة. ويبدو أن بيبرس أرسلها وفى نيته أن يجهز غيرها. وسنحت الفرصة حين أقبل أحد المطالين بعرش مقرة ويدعى شكندة إلى القاهرة متظلما من خاله داود لا تتزاعه الملك منه، وكان له دونه^(٥)، فصادفت تلك الاستغاثة هوى فى نفس بيبرس، الذى كان موتورا من داود. فجرد السلطان معه جيشا سنة ٦٧٤ هـ (١١٧٦ م)

(1) Quatremère, Et: "Memoires Geographiques et Historiquea sur l' Egypte et sur Quelques Contrees Vosines II., pp. 96. 149.

(2) Beckett, H. W. : ASN., II., Report 1907 - 8. p. 253.

(٣) المقرئى: المواعظ والاعتبار، جـ ٢، ص ٨.

(٤) المصدر السابق: جـ ١، ص ٢٠٢. أطلق المقرئى على هذا الأسير اسم صاحب الخيل. غير أن كتر مير فى ترجمته لهذا النص ذكره باسم صاحب الجبل:

Quatremère: op. cit: p. 96.

(٥) المقرئى: السلوك، جـ ١، القسم الثانى، ص ٦٢٤. يطلق المقرئى على هذا المدعى اسم مشكذ على حين أن مفضل بن أبى الفضائل، النهج السعيد فيما بعد تاريخ ابن العميد، جـ ٢، ص ٣٩٨ يطلق عليه اسم شكندة، وقال: إنه ابن عم الملك داود. ويطلق عليه ابن خلدون، العبر، جـ ٥، ص ٤٠٠، اسم منتشكيل ويقول إنه ابن أخى داود. أما القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٥، ص ٢٧٧ يطلق عليه اسم مرقشكز ويقول إنه عم داود. واستجده على ابن أخيه (داود).

بقيادة الأميرين آقسنقر الفارقاني الاستادرا وأيك الأفرم أمير جاندار^(١). واشتملت الحملة على ثلثمائة فارس وأجناد الولايات وعدد من الرماة ورجال الحرايق والزردخانة. واشترك فيها عربان الوجه القبلي^(٢). وأوغل الجيش المملوكي في بلاد النوبة. وخرج النوبيون إلى لقائه في ملابس سود يطلقون عليها اسم الدكاديك^(٣)، وقاتلوا الجيش المملوكي قتالا عنيفا انتهى بهزيمة النوبيين وفرارهم. واستولى الأفرم على قلعة الدو (الدر) وزحف الفارقاني برا وبحرا لاستئصال ما تبقى من شأفة عناصر المقاومة النوبية، حتى وصل إلى جزائر ميكائيل، قرب الشلال الثاني، وتمكن من اختراق الجنادل بمراكبه. ففر النوبيون إلى الجزر. وحاول صاحب الجبل واسمه قمر الدولة أن يفر من وجه المماليك. غير أنه قبض عليه ثم أخلى سبيله على أن يستمر في تبعيته لشكندة. وكتب له أمان بعد أن حلف لشكندة بالطاعة^(٤). ثم أوغلت الحملة في بلاد النوبة، حتى إذا اقتربت من دنقلة، خرج الملك داود للقائها في جيشه ومعه أخوته وبنو عمه^(٥) واشتبك الفريقان في معركة انتهت بفرار داود، وقتل عدد من النوبيين وأسر عدد آخر من بينهم أخ لداود ويدعى سنكوا^(٦). ثم عادت الحملة المملوكية إلى دنقلة بعد أن تم إخضاع النوبيين. وتقرر تعيين شكندة ملكا للنوبة بدلا من داود. وتم تنويجه في دنقلة في نفس العام^(٧).

ومما يدعو إلى الالتفات هنا، أن هذه الحملة تختلف في طابعها العام عما سبقها من حملات ضد النوبة. فهي - على قول ابن الفرات - تعتبر فتحا حقيقيا للنوبة^(٨). لأنها وضعت أسسا جديدة للعلاقات بين البلدين، بدليل الشروط الجديدة التي قطعها الملك شكندة على نفسه للسلطنة المملوكية^(٩)، ومن هذه الشروط:

- (١) المقرئى: المواظ والاعتبار، جـ ١، ص ٢٠٢. ومفضل، نفس المصدر، جـ ٢، ص ٣٩٨.
- (٢) المقرئى - المواظ والاعتبار جـ ١، ص ٢٠٢.
- (٣) المصدر السابق: نفس الصفحة، ومفضل، نفس المصدر، ص ٣٩٩.
- (٤) المقرئى: نفس المصدر والصفحة. وابن خلدون. نفس المصدر جـ ٥، ص ٤٠٠.
- (٥) مفضل: نفس المصدر، ص ٣٩٩.
- (٦) النويرى: نهاية الأرب في فنون الأدب، مخطوطة، جـ ٢٨، ورقة ١٠٩، والمقرئى، السلوك، جـ ١، القسم الثانى، ص ٦٣٢.
- (٧) المقرئى: السلوك، نفس المصدر، ص ١٢٢.
- (٨) ابن الفرات: جـ ٢، ص ٤٥.
- (٩) النويرى نفس المصدر، جـ ٢٨، ص ٢٥٩ ب. المقرئى. نفس المصدر، القسم الثالث، ملحق رقم ٥، مفضل، نفس المصدر، ص ٣٩٩.

- ١- أن الملك شكندة أصبح تابعا للسلطان المملوكي، ونائبا عنه في حكم بلاد النوبة
 - ٢- أن يرسل ملك النوبة نصف حصيلة ما يجمعه من بلاد النوبة خالصا للسلطان، فضلا عن عدد من الهدايا، تشتمل على عدد من الفيلة والزرافات الخ.
 - ٣- أن يدفع كل فرد من العقلاء البالغين دينارا عينا للسلطان ما بقوا على النصرانية
 - ٤- أن تكون بلاد العلى وبلاد الجبل ملكا خاصا للسلطان.
 - ٥- أن يسلم ملك النوبة ما كان لسلفه داود، وأخيه سنكوا وأقاربه، ومن قتل من عساكره، من المتاع والعقار إلى السلطان.
 - ٦- ألا يترك شكندة أحدا من العربان في بلاد النوبة، ومن وجده أرسله للسلطان.
 - ٧- أن يطلع ملك النوبة السلطان بكل ما يصل إليه من أخبار.
- وتأكدت هذه الشروط جميعا بيمين حلف عليها شكندة^(١).

وموضع الأهمية هنا أن مقرة أضحت جزءا من السلطنة المملوكية، وأن السلطان المملوكي أصبح بيده عزل ملوك النوبة وتعيينهم. ثم أن حصيلة البلاد النوبية أصبحت مناصفة بين السلطان والملك النوبي. ولا يعنى عدم الإشارة إلى البقط هنا، أن النوبيين توقفوا عن دفعه بل الراجع أن عملية إرسال الرقيق النوبي إلى مصر استمرت بدليل قول المقرئزي «والتزم (شكندة) أن يحمل جميع ما لداود ولكل من قتل وأسر من مال ودواب إلى السلطان مع البقط القديم»^(٢). ثم أن السلطنة المملوكية طبقت على النوبيين لأول مرة الأسس الإسلامية الخاصة بمعاملة أهل البلاد التي تفتح عنوة. فعرضت الإسلام أو القتال أو الجزية. وأختار الملك النوبي دفع الجزية^(٣). وأصبح النوبيون أهل ذمة. ولهذا أنشأ السلطان بيبرس في مصر ديوانا سماه ديوان النوبة. ومهمته مراقبة جمع الجزية والخراج. وتعيين العمال لذلك^(٤). ثم أن بلاد العلى وبلاد الجبل^(٥)، أضحت تابعة تبعية يحتمل أن

(١) النويري: نفس المصدر والصفحة، المقرئزي نفس المصدر والصفحة. مفضل: نفس المصدر، ص ٤٠٠.

(٢) المقرئزي: المواعظ والاعتبار ج ١، ص ٣٠٢.

(٣) النويري: نفس المصدر، ص ٢٥٩ ب.

(٤) المقرئزي: السلوك، ج ١، القسم الثاني، ص ٦٢٣.

(٥) بلاد الجبل هي الجنادل الأولى. والعلا هي التي تليها جنوبا حتى جنوب الخرقة تقريبا وهي التي أطلق-

تكون إقطاعية أو استغلالية مطلقة للسلطان، وهي حسبما ورد في المراجع تقدر بربع بلاد النوبة^(١).

ثم رأى الأميران أقسنقر الفارقاني وأيك الأفرم، ضرورة تأكيد هذه اليمين التي حلف عليها شكندة بيمين أخرى تتضمن ولاءه للسلطان. وجاء في هذه اليمين الثانية «متى ورد على مرسوم السلطان في ليل أو نهار يطلبه (أي شكندة) إلى الأبواب الشريفة يحضر لوقته وساعته، ولا يتأخر بوجه من الوجوه إلا بمقدار ما يدبر ما يحتاج إليه من أمور السفر»^(٢).

وكما هي العادة في العصور الوسطى، فإن نسخة ثالثة لتلك اليمين حلف عليها أهل النوبة، تعهدوا فيها بالطاعة لملك النوبة، بشرط ولاءه للسلطان، صاحب السلطة العليا في البلاد. ولا طاعة له عليهم إذا خرج على السلطان. وأن يطالعوا السلطان إذا علموا على نائبه (الملك) أمراً يخالف المصلحة. والتعهد للملك بدفع دينار عينا كجزية لإرسالها إلى القاهرة^(٣).

وعلى هذا أتمت الحملة مهمتها، بعد أن أطلقت أسرى عذاب وأسوان. ويقال إن الحملة غربت كنيسة سوس (المسيح) بدنقلة^(٤). وأخذت ما فيها من أدوات ذهبية ونفسية^(٥). ثم غادرت دنقلة في ذى الحجة من نفس العام ٦٧٤ هـ (١٢٧٦ م) إلى القاهرة مصطحبة معها عشرين أميراً نوبياً لضمان وفاء النوبيين بالتزاماتهم إزاء السلطنة المملوكية.

وما يسترعى الانتباه هنا، ما يتردد في بعض المراجع بشأن الرقيق الذين غنمهم المماليك، فيقال إنه بلغ من كثرتهم أن بيع الرأس بثلاثة دراهم. ويقول المقرئزي إنه «فضل بعد القتل،

= عليها في العصر الروماني اسم Dodekaschoinos ويعني ذلك إعادة الحقوق القديمة لمصر في هذه المنطقة والتي ضاعت منها عقب انسحاب القوات الرومانية منها على عهد دقلديانوس.

أنظر: MacMichael, H.A.: A Hist. of the Arabs in the Sudan, I p. 182.

(١) يرى ما كميكل Ibid.: op. cit. p. 181 وكذلك Arkell: op. cit. p. 195 أن المقصود بالنوبة هنا هو النوبة الأصلية Nobatia (مريس).

(٢) مفصل: نفس المصدر، ص ٤٠٣.

(٣) النويري: نفس المصدر، ج ٢٨، ص ٢٥٩ ب.

(٤) المقرئزي: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٢٠٢.

(٥) المقرئزي: السلوك، ج ١، القسم الثاني، ص ٦٢٣.

والبيع عشرة آلاف نفس^(١). ولو صح هذا، فإن هذا العدد يدل على مدى ما تعرضت له بلاد النوبة من الخراب ونقص الرجال والأموال نتيجة لهذه الحملة.

لم تقتصر أهمية هذه الحملة على مقرة فقط، بل ترددت أصدائها جنوباً، إذ أنها أثارت مخاوف ملك الأبواب وأقنعته بقوة الممالك وخطرهم على بلاده كذلك. يوضح هذا ما تذكره بعض المراجع^(٢) من أن الملك داود لجأ إلى مملكة الأبواب هرباً من وجه الممالك. غير أن ملكها لم يوافق، بل قاتله وقبض عليه وأرسله مقيداً إلى القاهرة حيث اعتقل بالقلعة إلى أن مات^(٣).

وعلى الرغم من الموائيق والعهود التي حصل عليها بيرس، فإنه - فيما يبدو - لم يكن مطمئناً تماماً إلى إخلاص شكندة له. فيقول صاحب مخطوطة تاريخ قلاون، إن السلطان بيرس عهد إلى أحد الإسماعيلية الفدائيين ويدعى سلامة، بالتردد على بلاد النوبة لمراقبة أعمال ملكها. ويقال إن سلامة اصطحب معه في إحدى رحلاته إلى النوبة شاباً آخر إسماعيلياً. وظل الاثنان يعملان عيوناً للسلطان بيرس مدة طويلة^(٤).

وكيفما كان الأمر، فالواضح أن السلطان بيرس وطد للسيادة المملوكية في النوبة توطيداً تاماً، بدليل أن التقاسيم الإدارية المصرية لم تشمل على شيء من بلاد النوبة إلا منذ عهد السلطان بيرس^(٥). ومن ضمن هذه التنظيمات إنشاء طريق للبريد يبدأ من قوص، ثم يتشعب شعبتين، إحداهما إلى أسوان والنوبة، والأخرى إلى عيذاب. هذا فضلاً عما ورد في شأن أخذ البيعة للملك السعيد بن السلطان بيرس، وتحليف الناس له بالطاعة. «ولم يتخلف أحد عن اليمين من دنقلة إلى الفرات»^(٦).

ثم مات شكندة قتيلاً سنة ١٢٧٧ م، وهي السنة التي توفي فيها السلطان بيرس. ووثب على عرش النوبة أمير يدعى برك. غير أن الطريقة التي وصل بها إلى الحكم عقب قتل شكندة

(١) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٢) ابن خلدون. نفس المصدر، ج ٥، ص ٤٠٠. والقلقشندي، نفس المصدر، ج ٥، ص ٢٧٧.

(٣) ابن خلدون: نفس المصدر السابق والصفحة.

(٤) مخطوطة تاريخ قلاون، تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور، ج ٢، ص ١٣٠٩، ٣١٠. ويقال إن سلامة من مواليد الأبواب. أي أنه نوبى وربما جاء اختيار السلطات بيرس له لخبرته بأحوال البلاد.

(5) Stanley Lane - Poole : op. cit. p. 272.

(٦) مفضل: نفس المصدر، ص ٤٥٤.

جعلت السلطان قلاون - الذى اعطى عرش السلطنة المملوكية سنة ١٢٧٩م - لا يطمئن إليه. ولا يعد أن يكون هذا الملك حاول التخلص من السيادة المملوكية. وربما كان هذا هو السبب الذى حرك السلطان قلاون ضده. فيشير صاحب مخطوطة تاريخ قلاون، أن حملة مملوكية - لا يذكر تاريخها - قادها الأمير سنجر المسرورى المعروف بالخياط، إلى بلاد النوبة. وانتهت هذه الحملة بالقبض على الملك برك وقتله. ثم خلفه على عرش النوبة أمير يدعى سمّامون^(١). ويفسر لنا هذا، أن تعيين ملك للنوبة لابد أن يتم بموافقة السلطان المملوكي.

وبلغ النفوذ المملوكي فى النوبة حداً أقنع ملوك علوة بقوة السلطنة المملوكية، فتقربوا إليها بالهدايا. وبعثوا إلى السلطان قلاون سفراءهم ليعلنوا له ولاءهم وحكموه فيما ينشأ بينهم وبين ملك دنقلة من نزاع. ومن ذلك ما ذكره صاحب مخطوطة تاريخ قلاون^(٢). أن نزاعاً نشب بين أدور ملك الأبواب، وملك دنقلة. وأرسل أدور سفراءه إلى السلطان قلاون سنة ٦٨٥هـ (١٢٨٧م)، حاملين إليه هدايا، فيها فيلة وزرافة. وأكد أدور فى رسالته إلى السلطان ولاءه وخضوعه التام، وشكا إليه سوء المعاملة التى يلقاها ملك الأبواب من ملك دنقلة. وعلم سمّامون ملك دنقلة بذهاب سفارة ملك الأبواب إلى مصر فبادر هو أيضاً بإرسال سفارة من قبله، لتدافع عن وجهة نظره، وتشرح أسباب النزاع. ويقال إن هذه السفارة حملت معها إلى السلطان هدية مقدارها مائة وتسعون رأساً من الرقيق، ومائتا بقرة. ولا شك أن اهتمام الملك سمّامون بإرسال سفرائه إلى السلطان قلاون مما يدل على السلطة التى صارت للدولة المملوكية على بلاد النوبة.

استمع السلطان قلاون إلى حجج كل من الطرفين. ويبدو أنه لم يقتنع بما أدلى به كل منهما، فأرسل من القاهرة رسولا إلى كل من المملكتين ليحقق مواضع الخلاف فى جوها. فاختار سنجر المقدمى رسولا إلى ملك الأبواب. وملوك بارة، والتاكة، وكدرى، ودفنقوا، وآرى، وبفال، والأنج، وكرسه، وهى الممالك التى تتألف منها مملكة علوة وعاصمتها سوبا. ويقال إن الأمير سنجر صاحب معه سفراء ملك الأبواب، وأنه سلك معهم جميعاً طريق البحر الأحمر

(١) مخطوطة تاريخ قلاون: جـ ٢، ص ١٣٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٠ ب.

Quatremere : op. cit. pp. 100 - 101.

أنظر كذلك.

وعذاب خشية أن يتعرض لهم رجال ملك دنقلة، إذا هم ذهبوا جنوباً بطريق النيل. واختار السلطان قلاون علم الدين الحصنى رسولا إلى ملك دنقلة.

ويبدو أن الرسول الأول، أتم مهمته وعاد مصر. أما الحصنى فلا يعرف عن مصيره شئ. ويبدو أنه أنهى مهمته، وأنه عاد إلى القاهرة حيث أقنع السلطان بأن سمामون هو الجانب المعتدى. ويؤيد هذا ما ورد في مخطوطة تاريخ قلاون أيضاً، أنه على الرغم من محاولة الأمير سنجر المقدمى تجنب طريق دنقلة، وهو فى طريق عودته إلى مصر فقد قبض عليه جواسيس الملك سمامون، وأراد الملك قتله. غير أن رجال حاشيته ورعاياه ثاروا عليه خوفاً من بطش السلطان. وقالوا «أتريد أن تكون سبياً فى خراب ديارنا، وإحلال المصائب بنا»^(١). وربما كان هذا وحده كفيلاً بإقناع السلطان قلاون بسوءنية الملك سمامون نحوه، ورغبته فى الخروج عليه كذلك.

وكيفما كان الأمر، فقد أعد السلطان قلاون سنة ٦٨٥ - (١٢٨٧م) حملة حربية كبيرة لغزو النوبة بقيادة الأمير سنجر المسرورى المعروف باخياط متولى القاهرة، والأمير عز الدين الكورانى. وغادرت هذه الحملة القاهرة فى نفس العام. وكتب السلطان إلى الأمير عز الدين أيدمر السيفى السلاح دار متولى قوص بأن يشترك فى هذه الحملة بمن تحت يده من المماليك السلطانية، وأجناد مركز قوص، والعربان القاطنين فى هذا الإقليم^(٢)، وهم حسبما جاء فى المراجع^(٣) : أولاد أبى بكر، وأولاد عمر، وأولاد شريف، وأولاد شيبان، وأولاد الكنز، وبنو هلال، فضلاً عن طائفة من أجناد الولايات بالوجه القبلى، والقراغلية. ووضع قادة الحملة خطة الزحف على النوبة. فانقسمت إلى قسمين، سار أحدهما بقيادة الأمير علم الدين سنجر الخياط متبعاً البر الغربى من النيل، وسار القسم الآخر بقيادة عز الدين أيدمر فى البر الشرقى، حيث توجد المدن الهامة، غير أن سمامون - وهو رجل تصفه المراجع بالمكر والدهاء وسعة

(١) ورد فى هذه المخطوطة أن رعايا الملك خلعه وعينوا بدله ملكاً آخر. غير أن هذه الرواية بنصها لا تتفق وما تلا ذلك من أحداث اشترك فيها سمامون نفسه. ويبدو أنهم وقفوا على خلعه وتعيين ملك غيره عقب الحملة التى بعث بها قلاون للقبض عليه سنة ١٢٨٧م وهى حملة قلاون الثانية. Quatremere : op. cit.

(٢) المقرئى: السلوك، ج ١، القسم الثالث، ص ٧٣٦ - ٧٣٧.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة، وابن خلدون، نفس المصدر، ج ٥، ص ٤٠٠.

الحيلة^(١) - قرر ألا يلتحم بالجيش المملوكي في معركة حاسمة، إلا قرب عاصمته دنقلة، بعد أن يكون الجيش المملوكي قد حلت به نتائج السفر البعيد. ولهذا كتب سمামون إلى نائبه جريس صاحب الجبل بمقره بجزائر ميكائيل والدو (الدر)، يأمره بإخلاء البلاد التي تحت يده أمام الجيش الزاحف. ثم بلغ الجيش المملوكي بقيادة أيدير دنقلة، حيث برز إليه سمامون، ودارت بينهما معركة انتهت بهزيمة النوبيين وفرار سمامون، بعد أن قتل كثير ممن معه^(٢). وتبع أيدير حركات سمامون خمسة عشر يوما جنوبى دنقلة دون أن يظفر، ولم يقع في أسره سوى جريس صاحب الجبل وابن خالة الملك كذلك.

ثم عاد أيدير إلى دنقلة، حيث تم تعيين ابن أخت سمامون ملكا على النوبة، وأفرج عن جريس وأعيد إلى منصبه^(٣)، بعد إعلان ولاءه للملك الجديد والسلطنة المملوكية. وتعهد الملك الجديد بدفع البقط القديم والجزية السنوية وسائر الحقوق السلطانية، بدليل ما ذكره القلقشندي^(٤) أن نسخة يمين أخذت على ملك النوبة الجديد عند استقراره نائبا عن السلطان قلاون في حكم بلاد النوبة. وهي لا تخرج عما سبق أن أعطاه شكندة من تعهدات والتزامات للسلطان بيبرس.

وفي سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) وردت كتب الأمير علم الدين سنجر الخياط إلى السلطان قلاون تنبئ بما تم. وقرر السلطان أن يبقى الأمير أيدير، وهو صاحب الفضل فيما ناله الجيش المملوكي من انتصارات، ليكون أميرا مملوكيا مقيما، إلى جانب الملك النوبي الجديد. وتسهلا لمهمته في بلاد النوبة بعث إليه السلطان قلاون من القاهرة أميرا نوبيا يدعى سعد الدين ابن أخت داود «ليكون مع الأمير أيدير خبرته بالبلاد وأهلها»^(٥). هذا وتقرر أيضا أن تعسكر حامية مملوكية بدنقلة تحت قيادة أيدير وعاد الأمير علم الدين ببقية الحملة المملوكية إلى القاهرة يصحبه عدد من ملوك النوبة ونسائهم فضلا عن عدد كبير من الأسرى^(٦).

(١) المقرئى نفس المصدر، جـ ١، القسم، القسم الثالث، ٧٣٧.

(٢) المقرئى : نفس المصدر، جـ ١، القسم الثالث، ص ٧٣٧.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) القلقشندي: نفس المصدر، جـ ١٣، ص ٢٩٠ - ٢٩١. على الرغم من أنفراد القلقشندي بذكر هذه اليمين، فإن هذا لا يعنى الشك في صحتها لتمسك سلاطين المماليك بحقوقهم في بلاد النوبة، ولا سيما بعد النصر العظيم الذى أحرزته الحملة القلاونية على ملك النوبة.

(٥) المقرئى: السلوك، نفس المصدر، ص ٤٧٣.

(٦) المصدر السابق، نفس الصفحة.

غير أنه لم تكد الحملة المملوكية تغادر البلاد حتى ظهر سمamon مرة أخرى، وأخذ يعد
العدة لاسترداد ملكه، وانتهى الأمر بفرار ملك النوبة الجديد، وكذلك جريس صاحب الجبل إلى
القاهرة. ثم لم يلبث السلطان قلاون، أن أعد حملة ضخمة لإخضاع سمamon، وبلغت عدتها
أربعين ألفاً، واشترك فيها عربان الوجهين القبلي والبحري. وامتازت هذه الحملة بوفرة عدد
الحراريق التي بلغت عدتها خمسمائة، لحمل الزاد والسلاح والأثقال.

غادرت هذه الحملة القاهرة في سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م) بقيادة عز الدين أيك الأفرم.
واشترك معه عدة من الأمراء من بينهم قبجاق المنصوري، وبكتمر الجو كندار، وأيدمر والي
قوص، وصحبهم ملك النوبة الجديد وجريس. ثم مات هذا الملك في الطريق إلى أسوان فدفن
بها، فعين السلطان قلاون بدله أحد أمراء النوبة الموجودين بالقاهرة، وهو ابن أخت الملك
داود^(١)، وألحقه بالحملة قبل أن تغادر أسوان. وبع الجيش نفس الخطة التي سار عليها جيش
الحملة السابقة، فانقسم إلى قسمين. فسار أيدمر والي قوص في نصف العسكر في البر
الشرقي، وهو الطريق الذي سلكه في الحملة السابقة، على حين سار الأفرم على رأس النصف
الآخر في البر الغربي، وتعاون بنو كنز تعاوناً صادقاً مع الحملة المملوكية، فتقدموا الجيش
بصحبة جريس، لتأمين أهل البلاد وتجهيز الإقامات. وبدا هذا التعاون واضحاً في منطقة مريس
حتى جزائر ميكائيل، حيث خرج المشايخ والأعيان للقاء الحملة، وإعلان ولائهم للسلطان. أما
في المنطقة التي ليس لجريس ولاية عليها، وهي الواقعة جنوبي الشلال الثاني حتى دنقلة، فإن
أهلها هجروها إطاعة لسمamon، الذي اعتصم هذه المرة بجزيرة في النيل، لا تذكر المراجع عنها
شيئاً سوى أنها تبعد خمسة عشر يوماً عن دنقلة. وبعث أيدمر إلى سمamon رسالة يطلب منه
المفاوضة للدخول في الطاعة، ووعده بالأمان. غير أن سمamon لم يقبل المفاوضة، وفر من
الجزيرة جنوباً إلى جهة الأبواب، خوفاً من وصول المراكب المملوكية للمقبض عليه^(٢).

وما تجدر الإشارة إليه هنا، أن سمamon لم يكن في حال تشبه الحالة الأولى من حيث وفرة
الملتفين حوله. بل أن حاشيته وأتباعه من السواكرة، انفضوا من حوله، كما فارقه الأسقف

(١) المصدر السابق: ص ٧٤٩. يقول ابن خلدون، نفس المصدر، ج ٥، ص ٤٠٠، إنه داود بن أخى
مرتشكين (شكندة).

(٢) المقرئى: السلوك، نفس المصدر، ص ٧٤٩ - ٧٥١.

Quatremere : op. cit. PP. 105 - 106.

والقسوس وطلبوا الأمان من أيديهم، وعادوا جميعا صحبة الجيش المملوكي إلى دنقلة، بعد تطهير البلاد من مظاهر العصيان^(١).

واحتفل أمراء المماليك بهذا النصر في دنقلة وألبسوا الملك النوبي الجديد تاج الملك، وبعد أن حلف هو وكبار رجال دولته على الولاء للسلطان ودفع الالتزامات المقررة من قبل. عسكرت بدنقلة طائفة من العسكر السلطاني، وعلى رأسها يبسر العزى مملوك الأمير عز الدين والي قوص^(٢). ثم عادت الحملة إلى القاهرة بعد أن وطدت للسيادة المملوكية في بلاد النوبة مرة أخرى.

أما سمamon، فلم يكذ يعلم بخروج الحملة المملوكية من النوبة حتى عاد إلى دنقلة متخفيا، واستمال إليه السواكرة، ولم يلبث أن قبض على الأمير المملوكي المقيم في دنقلة، وهو يبسر العزى، وأرسله هو ورجاله إلى القاهرة. أما الملك الجديد الذي عينه السلطان قلاون، وكذلك جريس، فانه قبض عليهما وقتلهما^(٣). ثم أعقب سمamon ذلك برسالة إلى السلطان يسأله العفو ويتعهد بحسن السير والسلوك ودفع الالتزامات المقررة. ولكي يثبت للسلطان حسن نواياه، فإنه على قول المقریزی «بعث رقيقا وغيره مقدمة فقبل منه»^(٤).

ورضى السلطان قلاون بتأكيد سمamon وتعهداته وأقره على ما بيده في بلاد النوبة^(٥). وربما كان مشاغله الداخلية والخارجية هي التي حملته على هذا الرضى^(٦). ذلك أن قلاون، كان قد عزم على مهاجمة عكا بعد أن استطاع أن يقضي على الإمارة الصليبية بجهات طرابلس وأعمالها. ولم يبق من الولايات الصليبية سوى عكا مركز مملكة بيت المقدس الرمزية. غير أن سمamon لم يكن عند العهد الذي قطعه على نفسه بصدد علاقاته بالسلطنة المملوكية. فلم يكذ يسمع بوفاة قلاون، حتى امتنع عن إرسال البقط والجزية سنة ١٢٩١ وبعث إلى السلطان خليل بن قلاون في تلك السنة يعتذر له عن تأخير البقط إلى السنة التالية

(١) المقریزی: نفس المصدر، ص ٧٥٢.

Quatremere : op. cit. PP. 107.

(٢) المقریزی: نفس المصدر والصفحة.

(٣) المقریزی: نفس المصدر، ص ٧٥٣.

(٤) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٥) ابن خلدون: نفس المصدر، ج ٥، ص ٤٠٠.

(٦) المقریزی: نفس المصدر، ج ٢٩، ص ١٢٧٤.

متعللاً بما أصاب بلاده من التخريب بسبب إغارات ملك الأبواب والتي زادت البلاد خراباً إلى خرابها وذهاباً إلى ذهابها وسواداً إلى سوادها وفساداً إلى فسادها. وذكر سمamon في تلك الرسالة أن دخول العسكر الإسلامية إليها في الحملات السابقة لم يساعد على نهضة البلاد، بل كلفها غالياً.

بيد أن السلطان خليل لم يقبل هذه الاعتذار، فأوفد إليه الرسل تنذرعواقب تأخير البقط، وأسرع سمamon فسأل الأمان ووعد بإرسال البقط سريعاً. فقبل السلطان خليل هذا الوعد، كما قبل والد سمamon وبقية أهله رهائن في دار الضيافة بالقاهرة. وبعد ذلك بقليل أرسل سمamon أخاه جريس - وهو غير جريس الذي تقدمت الإشارة إليه - برسالة استعطاف يطلب إرسال والدته إليه. ومما جاء في رسالته «أن ملوك النوبة ما يدبرهم غير النساء» كما أرسل الشكوى من ملك الأبواب. ولم يفته أن يبعث بهدايا من الجمال والتمر والشب والسباج (١).

غير أن هذه المراوغة. أثارت السلطان خليل إلى استخدام القوة لعزل سمamon وتعيين ملك آخر للنوبة، والمرجع الوحيد الذي يدل على هذا الاتجاه هو مخطوطة تاريخ قلاون (٢) إذ تخبر أن حملة حربية - لم تذكر تاريخها (٣). قامت لغزو النوبة، بقيادة عز الدين الأفرم (٤) وتدل حوادث هذه الحملة وما قامت به من أعمال، أن الغرض منها هو عزل الملك سمamon، والقبض على أمير نوبى آخر يدعى آنى (٥)، غرضه على السلطان. ويقال إن الأفرم تقدم

(١) ابن عبد الظاهر: الألفاظ الخفية، ص ٣٩ - ٤٠.

(٢) مخطوطة تاريخ قلاون، ج ٢، ص ١٣٩٠.

(٣) يرى ماكمايكل أن هذه الحملة ربما أرسلت إلى بلاد النوبة ما بين ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م.

MacMichael, : op. cit. p. 185.

(٤) كان عز الدين الأفرم أحد قواد الحملة التي جردها السلطان بيبرس سنة ١٢٧٦ م فهو إذن صاحب خبرة ببلاد النوبة وأحوالها.

(٥) يطلق عليه صاحب مخطوطة تاريخ قلاون اسم الملك آنى. ويسمى أنه كان ملكاً تابعاً للملك الكبير سمamon. وربما كان هذا الأمير حاكماً على المنطقة المجاورة لمملكة الأبواب. Quatremere : op cit. p. 112. وربما يكون هذا الأمير هو الذى خلف سمamon على العرش بعد ثورة النوبين ضده غير أنه ظل على عدائه للسلطان.

De Villard : op. cit. p. 218.

بقواته جنوبى دنقلة مسيرة ثلاثة وثلاثين يوماً^(١). غير أنه لم يظفر بالأمير الشائر آنى لهروبه إلى بلاد الأنج^(٢) قبل وصول الجيش المملوكى بيومين، وعلى هذا عاد الأفرم إلى دنقلة بعد أسر كثير من النوبيين ونهب متاعهم. أما سممامون فليس يعرف عنه شئ. ويغلب على الظن أنه هرب إلى مكان مجهول، لم يرجع منه، أو أنه مات قتيل، وأن الأمير آنى خلفه فى مملكة النوبة وفى عدائه للسلطان خليل.

ولهذا أرسل السلطان خليل من القاهرة أميراً نوبياً يدعى بدمه لمحاربة الأمير آنى، وعقد الأمير الأفرم اجتماعاً كبيراً بحضور أمراء النوبة وأعيانها فى كنيسة سوس بدنقلة، وتم فى هذا الاجتماع تعيين بدمه ملكاً حسبما تقضى به التقاليد النوبية. فألبس التاج بعد أن أقسم يمين الولاء والإخلاص للسلطان وتبعه جريس - ولعله كان أخاً لسممامون - فأقسم يمين الولاء والطاعة. ويبدو أن جريس هذا كان نائباً لبدمه. ثم تلا ذلك صيغة يمين أخرى حلف عليها الاثنان بأنه لو ثار أحدهما ضد السلطان، جرد الآخر ضده السلاح للمحافظة على حقوق السلطان. ثم تبعهما الأمراء ورجال الدين^(٣). وكما هى العادة، فإن صيغة يمين أخرى حلف عليها النوبيون بالولاء للملك الجديد بشرط ولائه للسلطان المملوكى. ومن جملة ما قالوه: «لولا مولانا السلطان ما أطعناك، ومتى تغيرت أمسكانك، ونحن نرضى أن يقيم مولانا السلطان ملكاً فلاحاً أو جبلياً. فإن بلاد النوبة مالها ملك إلا مولانا السلطان، ونحن رعيته»^(٤).

ويمكن الحكم على أثر هذه الحملة فى بلاد النوبة، على ضوء ما قامت به من أعمال، وما

(١) يرى ما كميكل أن الأمير عز الدين الأفرم ربما توغل جنوباً حتى منطقة الأبواب (كبوشية) MacMichael : op. cit. p. 185.

(٢) Quatremere : op. cit. p. 109. ويرى ما كميكل أن آنى هرب إلى جبل حرزا بشمال كردفان. ويتفق هذا مع ما جاء فى تاريخ قلاون، إذ يشير مؤلفه إلى أن الملك آنى، هرب إلى بلاد الأنج، ولم يمنع المسلمين من المسير خلفه إلا قلة الماء لأن الطريق الذى كان عليهم أن يسلكوه عبارة عن صحراء تلجأ إليها الفيلة والقردة والغنازير والغزلان والنعام. MacMichael : op. cit. p. 185. ويرى آركل : Arkell : op. cit. p. 197. أن اسم الأنج يطلق على سكان شمال كردفان الذين قطنوا هذا الإقليم قبل مجئ العرب إليه، وربما أطلق على المرويين. وهى فى لغة الطوارق telanag أى ناس الشرق لأنهم أتوا من النيل.

(٣) مخطوطة تاريخ قلاون : ج ٢، ص ١٣١١.

Quatremere : op. cit. p. 112.

(٤) المخطوطة تاريخ قلاون : ص ٣٠٨ ف - ٣٠٩.

حصلت عليه من نتائج. فهي فضلاً عما قامت به من تطهير البلاد من عناصر الثورة، وتشبثت السيادة المملوكية عليها، فإنها عادت بعدد كبير من الأسرى والغنائم. والواضح مما ذكره صاحب مخطوطة تاريخ قلاون، أن كثيراً من النوبيين هجروا بلادهم بعد تخريب دورهم، وأن هذه الحملة ألقت الرعب والخوف في قلوب جيرانهم، فأعلن ملك الأبواب ولاءه وخضوعه للسلطان ذلك أنه بعد مغادرة عز الدين الأفرم دنقلة إلى القاهرة بخمسة أيام - فيما يرويه صاحب مخطوطة تاريخ قلاون - وصلت رسالة إلى قائد الحملة من الملك بدمه يستأذنه في السماح للنوبيين بالعودة إلى بلادهم وإصلاح دورهم^(١). وثمة رسالة أخرى وصلت من ملك الأبواب يعتذر له فيها عن عدم لقائه، لأنه كان مشغولاً هو الآخر بمطاردة الأمير الثائر آنى، وأضاف ملك الأبواب في رسالته، أن بلاد الأنج تعرضت لغزو أجنبي، ولكنه سوف يبذل جهده لتخليصها من هذا الغزو. وإذا تم له ذلك، فإن جميع بلاد السودان ستخضع للسلطان المملوكي. وعلق صاحب هذه المخطوطة، على هذه الغزوة المملوكية بعد توغلها إلى أقصى الجنوب بقوله: «ودخل في قلوب أهل البلاد من عساكر مولانا السلطان رعب عظيم، لأنها وصلت إلى أمكنة ما وصلها جيش قط إلا إن كان جيش الإسكندر ذي القرنين»^(٢).

ومما لا شك فيه أن اختلاف الطامعين من أفراد الأسرة المالكة النوبية، واستمرار اتجاههم إلى السلطنة المملوكية كان ضميماً ببقاء هذه السيادة على بلاد النوبة، حتى في الحالات التي لم يكن للدولة المملوكية قوة كافية أو وقت كاف لليقظة والمراقبة في بلاد النوبة، وليس أدل على ذلك من استمرار السيادة المملوكية في السنوات الأولى من عهد السلطان الناصر محمد بن قلاون. إذ المعروف أن هذا السلطان كان طفلاً، وأن أمور الدولة كانت بيد فئة من المماليك الراغبين في عرشها لأنفسهم. ومع هذا ظلت مملكة النوبة المسيحية على حالها من التبعية للسلطنة المملوكية. من الأدلة على ذلك قدوم أماي متملك النوبة إلى القاهرة^(٣) سنة ٧٠٤ هـ بهدية إلى السلطان الناصر وطلب مساعدته ضد أعدائه. فأنزله السلطان الناصر بدار الضيافة

(١) المصدر السابق: ص ٣١١ أ.

(٢) المصدر السابق:

لم يسمع عن مثل هذه الغزوة التي ينسبها المؤلف إلى الإسكندر. وربما كان هذا من باب التشبيه بقوة الحملة ومدى ما وصلت إليه من أقاليم غير مطروقة.

(٣) المقرئى: السلوك، ج ٢، القسم الأول، ص ٧، أطلق المقرئى على هذا الملك اسم أباى على حين أن ابن خلدون، نفس المرجع، ج ٥، ص ٤٢٩ يطلق عليه اسم أماي (Amai). op. cit. p 114.

وأمر بإعداد حملة حربية تلبية لطلبه بقيادة سيف الدين طقصبا والى قوص، واشترك فيها جماعة من العربان. وغادرت الحملة قوص فى نفس هذا العام. وبعد أن أتمت مهمتها بالقضاء على عناصر الثورة النوبية، عادت إلى القاهرة. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هذه الحملة أمضت مدة تسعة عشر شهراً خلال سنتى ٧٠٦ - ٧٠٧ هـ (١٣٠٦ - ١٣٠٧ م)، وهى أطول مدة قضتها حملة مملوكية فى بلاد النوبة. وربما يكون بعض السبب فى هذا، هو شدة المقاومة النوبية وتعرض الحملة لمصاعب الطريق وقلة الزاد^(١).

ظل الأمر على هذه الحال الدالة على ضعف المملكة النوبية وقنوعها بتبعيتها للسلطنة المملوكية، غير أن بعض العناصر النوبية الشائرة ظلت تسعى للفتنة بدليل ما تذكره بعض المراجع من أن أمای مات قتيلاً ٧١١ هـ (١٢١١ م) وأن أخاه كرنيس^(٢) خلفه على العرش. ويبدو أن الملك الجديد كان لا يزال فى حاجة إلى تأييد السلطنة المملوكية ضد هذه العناصر الثورية. ولهذا أعلن ولاءه للسلطان محمد الناصر، وقدم إلى القاهرة حاملاً الجزية والضرائب المقررة على بلاده^(٣).

غير أنه يبدو أن الملك كرنيس نجح فى تثبيت نفوذه فى الداخل بعد أن تخلص من منافسيه على عرش النوبة، وأنه لهذا اتجه إلى التخلص من التبعية للسلطنة المملوكية، فأظهر عداً واضحاً نحوها وامتنع عن أداء الجزية سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م)^(٤). غير أن حركته وافقت استقرار الأمر فى الدولة المملوكية ببلوغ الناصر سناً مؤهلاً للسلطنة واستطاعته التغلب على جميع عناصر الفتنة. وهذا هو سر إرسال الحملة الناصرية الأولى سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م) إلى بلاد النوبة^(٥).

(١) المقرئى: نفس المصدر، جـ ٢، القسم الأول، ص ٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٧، وذكر ابن خلدون جـ ٥ ص ٤٢٩ أن اسم هذا الملك كرنيس، وذكر أنه خلف أخاه آى (أمای) الذى توفى سنة ٧١٦ هـ (١٣١٦ م) وبوافقه القلقشندي، جـ ٥، ص ٢٧٧، أن وفاته كانت سنة ٧١٦ هـ.

(٣) المقرئى: نفس المصدر والصفحة.

(٤) ذكر القلقشندي: جـ ٥، ص ٢٧٧، وابن خلدون، جـ ٥، ص ٤٢٩: أن تاريخ امتناع كرنيس عن إرسال الجزية كان سنة ٧١٦ هـ. غير أن المقرئى فى نفس المصدر يشير إلى حملة مملوكية فى عهد السلطان الناصر سنة ٧١٥ هـ. ويعنى هذا أن حركة كرنيس هذه إما أن تكون سابقة لهذا التاريخ الأخير أو على الأقل معاصرة لها. ولعل ما ذكره كل من ابن خلدون والقلقشندي كان خاصاً بحملة ثانية تاريخها ٧١٦ هـ.

(٥) المقرئى: نفس المصدر، ص ١٤٥، ١٤٦.

بيد أن هذه الحملة لم تظفر بكرنيس لهروبه إلى مملكة الأيواب^(١) ولا تشير المراجع - كما هي العادة - إلى عودة هذه الحملة إلى مصر، ولعلها بقيت في دنقلة إلى أجل غير مسمى لتقوم على تنفيذ أوامر السلطان، فيما يتعلق بتنصيب ملك جديد لبلاد النوبة.

وهنا تبدو ظاهرة جديدة هي في الواقع نقطة التحول في تاريخ بلاد النوبة. ذلك أنه كان من الأسرى النوبيين الذين أتت بهم الحملات الحربية السابقة على بلاد النوبة، عدد كبير من الأمراء، وأفراد البيت المالک وبعض المطالين بالعرش النوبى، وأن هؤلاء وأولئك أودعوا سجن القلعة. واتجهت سياسة السلطنة المملوكية إلى استمالة أولئك الأمراء، فأعادت بعضهم إلى النوبة صحبة الجيوش المملوكية لتعيينهم ملوكا عليها^(٢). ولا سيما بعض الذين أسلموا منهم ومن أمثلة هؤلاء أمير تطلق عليه بعض المراجع سيف الدين عبد الله برشمبو النوبى وهو ابن أخت داود ملك النوبة^(٣). ويقول عنه النويرى إنه تربى «فى البيت السلطانى من جملة الممالیک السلطانية»^(٤). ويذكر القلقشندى أن عبد الله برشمبو هذا أسلم وحسن إسلامه وأقام بمصر بالأبواب السلطانية وأجرى عليه السلطان محمد بن قلاوون رزقا^(٥).

غير أن سياسة تعيين ملك مسلم حكم بلاد النوبة نقطة تحول خطيرة في تاريخ هذه البلاد، وهى أحد العوامل الحاسمة فى سقوط مملكة النوبة المسيحية. ذلك أن اختيار السلطان الناصر لعبد الله برشمبو سنة ٧١٦هـ - ١٣١٦م) لکى يكون ملکا على النوبة، أدى إلى ظهور بنى كنز بصورة واضحة على مسرح الأحداث فى بلاد النوبة، بعد أن أصهروا إلى البيت المالک النوبى، وتزوجوا من بنات ملوکها. واذ ادعى أميرهم كنز الدولة بحقه فى مملكة النوبة، فهو فضلا عن أنه أمير مسلم، فإن الملك ينتقل إليه بعد خاله الملك كرنيس حسبما يقضى به نظام

(١) ابن خلدون: نفس المصدر، جـ ٥، ص ٤٢٩. أنظر كذلك القلقشندى، نفس المصدر، جـ ٥، ص ٢٧٧.

(٢) أرسل السلطان قلاوون واحدا بعد آخر من أولئك الأمراء لتعيينه ملکا على النوبة بدلا من سامون. انظر ص ١٥٦، ١٥٨ من هذا الفصل.

(٣) المقرئى: نفس المصدر، جـ ٣، ورقة ٩٥. وجاء فى إحدى النسخ الخطية لكتاب السلوك، جـ ٢ القسم الأول، ص ١٦١، حاشية رقم ٤: أن اسم هذا الأمير برشمبو وفى نسخة أخرى منبوا، والأخيرة هى التى نقلها كترميمير فى كتابه. op. cit. p. 115 على حين أن النويرى ذكر اسمه سيف الدين عبد الله برشمبو النوبى. أما ابن خلدون، جـ ٥، ص ٤٢٩، وكذلك القلقشندى جـ ٥، ص ٢٧٧ ذكر أن اسمه عبد الله نشلى.

(٤) النويرى. نفس المصدر والصفحة

(٥) القلقشندى: نفس المصدر، جـ ٥، ص ٢٧٧.

الوراثة المعروف عند النوبيين. بدليل ما ذكره النويري^(١)، أن الملك كرنيس لما علم برغبة السلطان في اختيار ملك مسلم لبلاد النوبة «أرسل ابن أخته كنز الدولة بن شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك بن الكنز إلى الأبواب السلطانية، وسأل شموله بالإنعام السلطاني في توليته الملك». وما جاء في رسالته للسلطان الناصر قوله «إذا كان يقصد مولانا السلطان بأن يولى البلاد لمسلم فهذا مسلم وهو ابن أختي والملك ينتقل إليه بعدى». ^(٢).

وإذا كان الملك كرنيس أدرك الاتجاه الجديد للسلطنة المملوكية بصدد تعيين ملك مسلم بدلا من ملك مسيحي، فرشح ابن أخته كنز الدولة، إلا أن هذا العرض لم يجد قبولا لدى السلطان الناصر. بدليل ما تذكره المراجع من أن السلطان قبض على كنز الدولة، ومنعه من العودة إلى بلاد النوبة، كما أعد حملة مملوكية سنة ٧١٦هـ - ١٣١٦م) بقيادة الأمير أيك جهاركي عبد الملك، لتأييد الأمير عبد الله برشمبو وتعيينه ملكا على بلاد النوبة^(٣). أما كرنيس فيقال إن ملك الأبواب قبض عليه وعلى أخيه أبرام واحتجز عليهما في جزيرة وبعث إلى قائد الحملة المملوكية يطلب إليه إرسال من يتسلمهما. فسار إليه جماعة من رجال الحلقة فتسلموهما وأحضرا إلى الأبواب السلطانية في حراسة شديدة. وعادت الحملة إلى القاهرة في جمادى الآخرة سنة ٧١٧هـ (١٣١٧م) ^(٤). وهكذا استقر عبد الله برشمبو - وهو أول ملك نوبي مسلم - في حكم بلاد النوبة.

غير أن الأمر لم يستب للملك عبد الله برشمبو في بلاد النوبة، فخرج عليه النوبيون، ولم يعترفوا به ملكا عليهم. وبعض السبب في ذلك - حسبما ورد في النويري - «أنه غير قواعد البلاد وتعاطى نوعا من الكبر لم تجر عليه عادة ملك النوبة بمثله، وعامل أهل البلاد بغلظة

(١) النويريك نفس المصدر

(٢) يبدو أن ماكمايكل MacMichael : op. cit. p. 186 لم يطلع على النص الذي انفرد بذكره النويري، يصدد اعتلاء كنز الدولة عرش النوبة، وصلة هذا الأمير بآخر ملك نوبي مسيحي وهو كرنيس. والراجح أنه امتنعان لترجمة كترمير لما أورده المقرئ في كتابه السلوك من إشارة عابرة لصلة كنز الدولة بكرنيس. ومع أن المقرئ ذكر أن كرنيس بعث بابن أخته كنز الدولة إلى السلطان يسأله في أمره إلا أنه لم ينتبه لهذه العلاقة بدليل قول ماكمايكل «وسواء أكان كنز الدولة يتصل بالعائلة المالكة النوبية بصلة المنسب أو أنه لم يكن له من الأمر شيء سوى اعتماده على القوة فهذا ما نجهله».

(٣) النويري: نفس المصدر، جـ ٣، ورقة ٩٦.

(٤) المصدر السابق

وشدة فكرهوا ولايته» (١). والراجح أن بنى كنز ومن انحاز إليهم من القبائل العربية في بلاد النوبة وغيرهم من النوبيين هم الذين ثاروا عليه، إذ لم يكد يصل كنز الدولة إلى بلده الدو (الدر) (٢) سنة ٧١٧ هـ (١٣١٧ م) - بعد الإفراج عنه (٣) حتى التف حوله النوبيون وأعلنوا ولاءهم له ونادوا به ملكاً بدليل قول النويري: «إنهم حيوه تحية الملك وهي قولهم موشاي موشاي. فهذه لفظة لا يخاطب بها غير الملوك» (٤).

وأكبر الظن أن احتفال النوبيين بكنز الدولة شجعه على محاولة الوصول إلى العرش مرة أخرى، فتقدم وحارب برشمبو وهزمه بعد أن خذلته جماعته. وقتل برشمبو وتولى كنز الدولة عرش النوبة. ويقال إن كنز الدولة «لم يضع تاج الملك على رأسه رعاية لحق أخواله وتعظيمهم وحفظاً لحرمتهم» (٥).

غير أن السلطان الناصر رفض الاعتراف باعتلاء كنز الدولة عرش النوبة، لسبب واضح وهو أن تولية ملك مسلم حكم النوبة، يؤدي إلى زوال نفوذ السلطنة المملوكية. ولهذا أطلق السلطان سراح أخيه كرنبس وأعادته إلى عرش النوبة (٦). ولما وصل أبرام إلى دنقلة، خرج إليه كنز الدولة طائعا (٧). ويقال إنه «سلم إليه الملك وصار في خدمته» (٨). ثم سار معه شمالاً ليحث النوبيين على طاعة خاله أبرام. غير أن أبرام لم يرع العهد، فقبض على ابن أخته كنز الدولة ليرسله مقيداً إلى القاهرة. ولم ينقذه من هذا المصير سوى موت أبرام بعد ذلك بثلاثة أيام (٩).

وهنا يلتف النوبيون حول كنز الدولة للمرة الثانية، ويصرّون على أن يملكوه البلاد. ولم

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المقرئى: السلوك، نفس المصدر، ص ١٦١.

(٤) النويري: نفس المصدر، ج ٣، ورقة ٩٦.

(٥) المصدر السابق. نفس الصفحة. تظهر كنز الدولة بحفظ كرامة أخواله فامتنع عن لبس التاج. والراجح أنه لم يفعل ذلك إلا لأن التاج يحمل علامة الصليب. الأمر الذي لا يتفق وعقيدته الإسلامية.

(٦) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) المقرئى: السلوك، ج ٢، القسم الأول، ص ١٦١.

(٨) النويري: نفس المصدر، ج ٣، ورقة ٩٦.

(٩) المصدر السابق: نفس الصفحة.

يسع كنز الدولة - بعد أن غدر به خاله - إلا أن يلبس تاج الملك ويمارس حقوقه الملكية سنة ٧١٧هـ (١٣١٧م) (١)

وكيفما كان الأمر، فإن الدور الذي قام به الكنوز لم يرق في نظر سلطان مصر. ومن الطبيعي أن تعمل السلطنة المملوكية على الحد من سلطانهم. وهذا هو سر الحملة التي بعث بها السلطان الناصر محمد إلى النوبة سنة ٧٢٣هـ (١٣٢٢م) بقيادة الأمير علاء الدين بن علي قراسنقر، خلع كنز الدولة وإعادة كرئيس إلى العرش. وأتمت الحملة عملها بإجلاس كرئيس على العرش بعد هروب كنز الدولة من دنقلة (٢).

وهنا تبدأ عملية المزاوحة التقليدية المشابهة لما حدث في النوبة منذ أيام بيسر، وهي أنه لم تكد الحملة تنسحب شمالاً حتى ظهر كنز الدولة من جديد وحارب كرئيس «وملك منه البلاد» (٣). على أن موضع الأهمية هنا هو انتقال ملك النوبة من أيدي ملوكها المسيحيين إلى أيدي بني كنز ٨٢٣هـ (١٣٢٣م) (٤). ولكن هل يكفي انتقال الملك من أسرة إلى غيرها للدلالة على سقوط هذه المملكة؟ الواضح أن بني كنز لم يكونوا يمثلون العنصر النوبي الأصيل، فهم من عرب ربيعة، وإذا كانوا اختلطوا بالنوبيين وتزاوجوا من بناتهم وتعلموا لغتهم فإن هذا لم يؤثر في عروبتهم. إذ أنهم احتفظوا بلغتهم العربية إلى جانب اللغة النوبية. ثم أن نسبهم العربي واضح من اسم أول ملك تولى حكم النوبة منهم سنة ١٣٢٣م «كنز الدولة بن شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك بن الكنز» (٥). ومعنى هذا أن ركنا هاما من الأركان التي يعتمد عليها نظام الحكم في المملكة النوبية المسيحية قد انهار من أساسه. فالمعروف أن حكم النوبة انحصر في أسرة أو أسر ملكية نوبية، ومارس ملوكها سلطات سياسية ودينية

(١) المقرئى: نفس المصدر، ص ١١٦.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٥٠.

(٣) المصدر السابق : نفس الصفحة.

(٤) يرى البعض انتقال الملك إلى بني كنز يعد نهاية المملكة النوبية المسيحية، سنة ١٣٢٣م، وبداية لمرحلة جديدة في تاريخ هذه البلاد.

MacMichael, H. A. ; op. cit. p. 187.

Arkell, A. J. : "Fung Origins," SNR. XV, Part. II. p. 204.

(٥) النويرى: نفس المصدر، ج١، ورقة ٩٥ المقرئى، نفس المصدر، ص ١٦١.

مطلقة على رعاياهم، ولا سيما فيما يلى منطقة مريس جنوباً. بيد أن هذه السلطة المطلقة تضاءلت منذ أن تدخلت السلطنة المملوكية فى شئون النوبة الداخلية. وأضحى ولاء النوبيين قسمة بين ملوك النوبة والسلطنة المملوكية، بدليل كثرة الإيمان التى حلفوا عليها لسلطين المماليك^(١) وظل مبدأ سيادة الملك على رعاياه باعتبارهم «عيد الملك» معمولاً به فيما وراء الشلال الثانى جنوباً على الأقل فى عهد السيطرة المملوكية على بلاد النوبة، بدليل الاستمرار فى دفع البقط من ناحية، وكثرة الهدايا من الرقيق إلى سلاطين المماليك من ناحية أخرى^(٢). ولا شك أن بقاء هذا النظام فى النوبة يعنى استمرار أحد الأسس التى قامت عليها الملكية المسيحية حتى سنة ١٣١٣م، وهو تاريخ انتقال الملك إلى بنى كنز. وكان من الطبيعى أن يقضى على هذا المبدأ وأن تتغير نظرة ملوك النوبة العرب إلى رعاياهم كذلك.

إن بلاد النوبة منذ الربع الأول من القرن الرابع عشر، لا تعد وطن النوبيين فحسب بل شاركهم فيها قبائل عربية كثيرة من غير بنى كنز، ولم يعد الشلال الثانى - كما كان من قبل - حاجزاً يمنع تدفقهم على ما يليه جنوباً. بل الواضح أن كثيراً من الجماعات العربية التى تعيش فى مصر، اشتركت فى الحملات المملوكية على بلاد النوبة مدة نصف قرن^(٣) من عام ١٢٧٦ إلى عام ١٣٢٣م. ولا بد أن كثيراً من هذه الجماعات فضلت البقاء فى بلاد النوبة عقب كل انسحاب للقوات المملوكية إلى مصر، ومن هذه الجماعات، بنى بكر وبنى عمر وبنى شيبان وبنى هلال وغيرهم كثير. وربما كان الدافع لهم على البقاء فى بلاد النوبة، شدة الضغط المملوكى عليهم فى مصر^(٤).

(١) راجع ص ١٤٧ - ١٥٠ من هذا الفصل.

(٢) راجع ص ١٤٩ - ١٥٧ من هذا الفصل.

(٣) راجع الحملات المملوكية على عهد يبرس وقلاون والناصر محمد وغيرهم، والتى اشترك العربان فى كل حملة منها على بلاد النوبة.

(٤) قد يكون من بين الأسباب التى دفعت السلطنة المملوكية إلى أخذ الموائيق على الملك شكندة وخلفائه بتسليم العربان فى النوبة إلى السلطنة المملوكية، هو خروج أولئك العربان على السلطنة والانفصال عن بقية الجيوش المملوكية عند انسحابها. ومع هذا فإننا نلاحظ اشتراك العربان فى كل حملة مملوكية على النوبة. والراجح أن السلطنة المملوكية لم تكن تمنع مثل هذا الاتجاه من جانب بعض العربان إلا من تخشى ثورتهم عليها.

والواضح أن كنز الدولة استعان بالعرب المقيمين ببلاد النوبة للوصول إلى العرش، إذ يقول النويرى: «فاجتمع أهل النوبة على كنز الدولة وملكوه عليهم، فملك البلاد حينئذ ولبس تاج الملك واستقل بالمملكة وضم إليه العرب واستعان بهم على من ناوأه»^(١)، والواضح كذلك من هذا النص أن العرب كانوا من القوة والكثرة العددية بحيث تمكنوا من التغلب على بقايا بيوت الإمارة النوبية القديمة، فضلا عن تحدى السلطان المملوكي، وإعلان الاستقلال عنه، وما كان يفيد كنز الدولة في كثير أو قليل حقه المشروع في ملك النوبة - عن طريق وراثته الأم - لولا ما اجتمعت إليه من قوة العرب المهاجرين والنوبيين المتوطنين الذين تأثروا بهم وامتزجت دماؤهم بدمايتهم.

وإذا اقتصر دور العرب الذين استقروا في بلاد النوبة، على القضاء على أحد مظاهر الملكية النوبية المسيحية، وبإزالة البيت الملكي النوبي القديم وإحلال العنصر العربي محله، لكان دورهم في سقوط الدولة ورواها، ضئيلا بالقياس إلى ما هنالك من مظاهر أخرى اتصفت بها الملكية النوبية المسيحية ومنها الديانة المسيحية، دين البلاد الرسمي، إذ لا يكفي لسقوط الدولة أن يحل ملك مسلم محل ملك مسيحي في ظل النظم القديمة^(٢).

المعروف أن العرب اختلطوا بالنوبيين واعتنق كثير من هؤلاء الدين الإسلامى، منذ القرن التاسع الميلادى في أرض مريس، ثم فيما يليها جنوبا منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى على الأقل. ويذكر بعض المؤلفين العرب أن الإسلام انتشر في بلاد النوبة ولاسيما بعد أن أضحي ملوك النوبة من المسلمين فيقول ابن خلدون: «وبحثوا عن كريس (كرنيس) ببلد الأبواب فألفوه بمصر، ووصل الخبر إلى السلطان فبعثه إلى النوبة فملكها. وانقطعت الجزية بإسلامهم»^(٣).

ويتضح من هذا النص، أن النوبيين أعفوا من دفع الجزية للسلطنة المملوكية لاعتناقهم

(١) النويرى: نفس الصفحة.

(٢) إذا لم يستتبع انتقال الملك من يد ملوك النوبة المسيحيين إلى ملوك مسلمين اعتناق النوبيين الإسلام. فلا يحق لنا القول بسقوط المملكة النوبية المسيحية. بل مجرد تغيير الأسرة المالكة.

(٣) ابن خلدون: نفس المصدر، ج ٥، ص ٤٢٩.

الإسلام غير أن القلقشندى،^(١) يقول «فبعث السلطان كرنيس إليهم فملكهم وانقطعت الجزية عنهم من حين أسلم ملوكهم». فهل يفهم من هذا النص أن كرنيس اعتنق الإسلام فانقطعت الجزية بإسلامه؟ لم يرد نص صريح في مولفات السابقين كالتويرى والمقريزى عن اعتناق كرنيس الإسلام. ومع هذا فإن اعتناق الملك النوبى الإسلام لا يعفى رعاياه المسيحيين من دفع الجزية للسلطنة المملوكية. فإن انقطاع الجزية كان نتيجة عاملين: أولهما انتقال الملك إلى كنز الدولة الذى يقول عنه التويرى «إنه استقل بالمملكة»^(٢). والثانى اعتناق النوبيين الإسلام حسبما ذكره ابن خلدون^(٣).

غير أن فضل الله العمرى (١٣٤٥م) يحدثنا عن علاقة ملك النوبة بالسلطنة المملوكية فيقول: «إنه رعية من رعايا صاحب مصر، وعليه حمل مقرر يقدمه فى كل سنة. ويخطب فى بلاده لخليفة العصر وصاحب مصر»^(٤). والظاهر أن هذا التعريف الذى وضعه العمرى لبلاذ النوبة يرجع إلى تاريخ سابق قليلا لوضع مؤلفه. أى إلى عهد السلطان الناصر، وقبل أن يستقل بها كنز الدولة ١٣١٣م، بدليل قول: القلقشندى «هذا (ما يقوله العمرى) كان فى الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون». وهذه الأتاة كانت مقررة عليهم من زمن الفتح... وهى (أى النوبة) الآن (أى نهاية القرن الخامس عشر) مملكة مستقلة بذاتها»^(٥).

(١) القلقشندى : نفس المصدر، جـ ٥، ص ٢٧٧.

(٢) التويرى: نفس المصدر، جـ ٣، ورقة ٩٦.

(٣) ابن خلدون: نفس المصدر، جـ ٥، ص ٤٢٩.

(٤) ابن فضل الله العمرى. التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٩. يبدو أن العمرى أخذ هذه المعلومات عن سجلات ديوان الإنشاء أو غيره من الدواوين. وقد وضعت هذه السجلات فى عهد السلطان الناصر محمد عندما تولى عبيد الله بن برهمبو وكرنيس مرة ثانية حكم النوبة، ثم انقطع إرسال الجزية للسلطنة المملوكية بعد تولية كنز الدولة حكم النوبة سنة ١٣٢٣م، وربما لم تقطع الخطبة للخليفة بعد هذا التاريخ ١٣٢٣م باعتباره زعيما عاما للمسلمين، وربما كانت عبارة العمرى «رعية من رعايا صاحب مصر» - استمرار لادعاء السلطنة المملوكية حقوقاً فى النوبة. ولا بد أن الجامع الذى أشار إليه المقريزى، المواعظ، جـ ١، ص ١٩٣، وقال إن كنز الدولة بناء فى دنقلة، قد كان أول جامع تقام فيه الصلاة الجامعة فى بلاد النوبة. والراجح أن كنز الدولة حول الطابق الثانى لكنيسة دنقلة إلى جامع وظل الطابق الأرضى يمثل دار ضيافة بدليل قول المقريزى إنه كان يأوى إليه الغرباء، ولم يذكر تاريخ إنشاء هذا الجامع غير أنه يقال إنه أنشئ حوالى سنة ١٣١٨ وهو فى حكم كنز الدولة الأول للنوبة نعم شقير، جـ ٢، ص ٥٥.

(٥) القلقشندى : نفس المصدر، جـ ٨، ص ٦٠.

لكن هل يعنى هذا أن المسيحية قضى عليها تماماً في بلاد النوبة؟ الراجع أنه حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى على الأقل، كانت لا تزال في بلاد النوبة بقايا من الديانة المسيحية، لأسباب ترجيحية من بينها: أن بعض النوبيين ظلوا على المسيحية، أو أن بعض من أسلم ظل محتفظاً بقليل أو كثير من العقائد المسيحية، لقرب عهدهم بالإسلام^(١).

ولا تذكر المراجع اسم ملك مسيحي لبلاد النوبة بعد كنز الدولة والراجع أن خلفاءه جميعاً، إما أنهم كانوا عرباً أو نوبيين مستعربين. أما ما ذكره ابن فضل الله العمرى^(٢)، بصدد رسم المكاتب بين السلطنة المملوكية وملوك النوبة، والذي فرق فيه بين نوعين من المكاتب، أحدهما إذا كان الملك مسلماً، والآخر إذا لم يكن كذلك، فإنه يغلب على الظن أن رسم المكاتب الذى أورده العمرى فى مؤلفه، وضع أيضاً فى عهد السلطان الناصر حين تعاقب على حكمها ملكان أحدهما مسلم والآخر مسيحي^(٣). ثم نقلها العمرى كما هى عن ديوان الإنشاء.

والخلاصة أنه لم يكد ينتصف القرن الرابع عشر الميلادى حتى كان النوبيون قد اعتنقوا الإسلام باستثناء أقلية نوبية ظلت على المسيحية، حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى حيث ظلت تمج إلى بيت المقدس^(٤).

وثمة عوامل أخرى مباشرة عجلت بسقوط مملكة النوبة المسيحية ومن بينها، ما ذكره ابن خلدون^(٥)، بصدد هجرة عرب جهينة من مصر إلى بلاد النوبة حيث يقول: «إن الجزية انقطعت بإسلامهم ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة فى بلادهم. واستوطنوها، وملكوها. وملئوها عبثاً وفساداً وذهب ملوك النوبة إلى مدافعتهم. فعجزوا ثم ساروا إلى مصانعتهم بالمصاهرة، فافترق ملكهم، وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم على عادة الأعاجم فى

(١)Trimingham, J. S. : Islam in the Sudan, P. 71. Note 3.

(٢) ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٣٠، أورد العمرى رسم المكاتب بين السلطنة المملوكية وملوك النوبة فيما يلى: «صارت هذه المكاتب إلى المجلس الجليل الكبير الفارس المجاهد المؤيد الأوحى العضد مجدى الإسلام زين الأنام... هذا إذا كان مسلماً وإن لم يكن مسلماً فمكاتبته كمكاتبه صاحب سيس ولا يعلم له السلطان بخطه».

(٣) كان عبد الله برشمير أول ملك نوبى مسلم، ثم خلفه الملك كرنيس. وكان لا يزال مسيحياً.

(4) Crowfoot, J.W. : op, cit. p. 149.

(٥) ابن خلدون : نفس المصدر ، ج٥، ص ٤٢٩.

تمليك الأخت وابن الأخت فتمزق ملكهم، واستولى أعراب جهينة على بلادهم، وليس في طريقه شئ من السياسة الملوكية للآفة التي تمنع انقياد بعضهم إلى بعض. فصاروا شيعة لهذا العهد. ولم يبق لبلادهم رسم للملك، وإنما هم رحالة بادية يتبعون مواقع القطر شأن بواد الأعراب. ولم يبق لبلادهم رسم للملك، لما أحالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة والالتحام.

ومعنى هذا أن عرب جهينة هاجروا إلى بلاد النوبة أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، بعد أن قطعت الجزية عن النوبيين لإسلامهم، وأن هجرتهم بدأت إما بعد انتقال ملك النوبة مباشرة إلى بني كنز، أو قبله بقليل. ويعنى هذا أن دورهم في إسقاط البيت الملكي النوبى غير أكيد. بل إنه كان من عمل بني كنز، وغيرهم ممن سبقت الإشارة إليهم. وإذا كان المقصود بملوك النوبة - في قول ابن خلدون - هم بنو كنز فإن هذا يجعل رأيه غير مقبول. والراجع كما يقول كروفوت^(١)، أنه قد ينسب إلى عرب جهينة ضياع كثير من المظاهر التي امتازت بها الملكية النوبية. ومنها أن اللغة النوبية، لم تعد لغة الكتابة، بل ظلت تمثل لغة التفاهم بين النوبيين. وينسب إلى عرب جهينة كذلك تخريب كثير من الكنائس النوبية. فضلا عن زوال المباني التي امتاز بها الفن المعماري المسيحي النوبى.

أماما يقوله ابن خلدون بأن عرب جهينة صبغوا النوبيين بصبغة البداوة فأصبحوا رحالة يتبعون مواقع الغيث، فهذا لا يتفق وما هو معروف عن جو بلاد النوبة الجاف. والراجع أن عرب جهينة بعد أن استقروا في بلاد النوبة مدة تقرب من قرن، اندفعوا جنوباً إلى الحبشة وغرباً إلى جهات كردفان ودارفور. وصحبوا معهم بعض النوبيين أو النوبيين المستعربين إلى هذه الجهات حيث عاشوا جميعاً عيشة البداوة متتبعين مواقع الغيث فيها^(٢).

ويرجع بعض الباحثين سقوط مملكة النوبة المسيحية إلى عوامل منها، أن الكنيسة النوبية كانت دائماً في حاجة لأن تتصل بمنبعها وهي كنيسة الإسكندرية، للحصول على الأساقفة.

(1) Crowfoot, J. W. Op. cit. p. 148.

(2) Ibid. : op. cit. p. 148.

Kirwan, L. P. : Oxford Univ. Exc, at Firka, p. 45.

غير أن هذه الصلة الدينية قطعت نهائيا منذ عهد البطريك ٧٥ كيرلس الثالث سنة ١٢٣٥م^(١)، فتركت الكنيسة النوبة دون عون خارجي، فتضعضع مركزها وجاءت نهايتها حوالي سنة ١٣٥٠م^(٢). ومنها أن دور رجال الدين النوبيين كان سلبيا. فكثيرا ما تخلوا عن ملوك النوبة وانضموا إلى الغزاة^(٣).

ثم أن سوء حال الكنيسة المصرية، وما تعرض له الأقباط في مصر منذ سنة ١٣٣٢م على يد السلطنة المملوكية، كان له أثره في النوبة كذلك. ويقال إن هذا الاضطهاد، امتد إلى بلاد النوبة كذلك، على يد القبائل العربية. فخربت كنائس النوبيين، وحول الكثير منها إلى مساجد، من بينها كنيسة دنقلة التي حولت إلى مسجد^(٤).

من الملحوظ أن مملكة النوبة المسيحية ظلت تقاوم وحدها الضغط العربي والمملوكي، ودون عون خارجي، فلم يتعاون معها أى من الممالك المسيحية المجاورة. فمثلا كان ملوك علوة حرباً عليها، ولا شك أن النزاع الذي نشب بين ملوك النوبة وملوك علوة كان من أهم العوامل التي عجلت بسقوط مملكة النوبة المسيحية^(٥). ثم أن ملوك الأبواب تعاونوا مع السلطنة المملوكية ضد ملوك النوبة، ورفضوا إيواء الهارين منهم. وكثيرا ما حاربوهم وسلموا الفارين منهم إلى سلاطين المماليك.

أما ملوك الحبشة من البيت الزغوى فلم يمدوا يد المساعدة لملوك النوبة ضد السلطنة المملوكية أو القبائل العربية التي ملكت ديارهم^(٦).

(1) Budge, E.A.W. : The Egyptian Sudan, II. P. 130.

Beckett. H.W. : ASN., II 1907 - 8p. 353.

(2) Budge, E. A. W. : Nubian Texts p. 4.

(3) Budge, E.A.W. : AHist. of Ethiopia, I, P. IIS.

(4) Budge, E. A. W. : The Egyptian Sudan, op. cit, II, P. 130.

ويرى أن تحويل هذه الكنيسة إلى مسجد كان حوالي سنة ١٣١٨ على يد كنز الدولة، وربما كان هذا هو الجامع الذي أشار إليه المقرئ.

(5) Budge, E.A.W.: The Egyptian Sudan, op. cit. p. 139.

(6) Henderson. K. D. D.: "Fung Origins" SNR. XVII.. Part I 1935 p. 150.

أما عن أحوال بلاد النوبة الداخلية بعد سقوط المملكة المسيحية بها سنة ١٣٢٣ م فلم يصلنا عنها شئ حتى ٧٦٧ هـ - ١٣٦٦ م^(١). وكل ما يمكن استخلاصه من رواية المقرئى^(٢). أن المنطقة ما بين عذاب شرقا والواحات غربا، فضلا عن بلاد النوبة نفسها، أضحت مسرحا للاضطرابات التي كانت من عمل الكنوز وغيرهم من القبائل العربية التي استقرت في بلاد النوبة مثل بنى جعد وبنى عكرمة.

وليس لهذا الاضطرابات أهمية سوى ما تدل عليه من تكاثر القبائل العربية جنوباً بسبب اضطراب الأحوال في السلطنة المملوكية نفسها في المرحلة الأخيرة من أيام الدولة المملوكية الأولى. وثمة أهمية أخرى توجب الالتفات، وهى أن هذه القبائل العربية كانت تنقسم على نفسها لأسباب قد يكون من بينها التنافس على السلطة في بلاد النوبة. ومن أمثلة ذلك ما ذكره المقرئى^(٣)، من أن سفارة نوبية مؤلفة من ركن الدين كرنبس^(٤)، أحد قواد جيش النوبة، وياقوت أحد التراجمة بها، وياقوت فارس الدين، وصلت إلى القاهرة سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٦)، تخبر أن ثمة نزاعا نشب بين ملك النوبة وبين ابن أخيه^(٥). فقدم الأمير الثائر يعاونه عرب بنى جعد إلى دنقلة، حيث دارت معركة قتل فيها الملك ولاذ جيشه بالفرار. غير أن بعض الموالين للملك، أقاموا أخاه ملكا في مدينة الدرتاركين دنقلة تحت رحمة الأمير الثائر وبنى جعد. غير أن هذا الأمير، دبر مكيدة تخلص بها من زعماء بنى جعد. ويقال إنه انتقل شمالا إلى الدر، حيث تم الصلح بينه وبين عمه، على أن يكون الأمير الثائر نائبا للملك. وطلب الأمير معاونة السلطان الأشرف ضد العرب لاسترداد ملك بلادهما على أن يدفعها له جزية سنوية^(٦).

أرسل السلطان حملة مملوكية بقيادة الأمير عبد الغنى إلى بلاد النوبة. ويقول

(١) MaMichael, H.A.: op. cit. I. p. 187.

(٢) المقرئى: السلوك، مخطوط، المجلد السابع ص ١٤٨.

Quatremere : op. cit. p. 116.

(٣) المقرئى: السلوك مخطوط، المجلد السابع، ص ١٤٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) لم يذكر المقرئى اسم الملك ولا اسم ابن أخيه. غير أننا نستنتج من اعتماد الأمير الثائر على بنى جعد أنه من إحدى القبائل العربية وربما كان من فرع بنى كنز.

(٦) المصدر السابق : ص ١٤٩. وانظر:

Quatremere : op. cit. p. 118.

ماكمايكل^(١)، وإن هدف هذه الحملة هو تأييد الملك الشرعي، وتأديب بني كنز وبني عكرمة، فضلاً عن إعادة النفوذ المملوكي على هذه البلاد، ويقال إن زعماء بني كنز أعلنوا ولاءهم للحملة المملوكية، بعد أن منحهم قائدها الأمان. وتقدمت الحملة جنوباً في أرض النوبة قاصدة الدر، لإنقاذ ملك النوبة من الحصار الذي فرضه عليه بنو عكرمة. وعند مدينة إبريم قبض قائد الحملة على زعماء بني كنز وبني عكرمة. ثم قصدت فرقة مملوكة إلى جزائر ميكائيل، حيث يعكس بنو عكرمة، ودارت موقعة قتل فيها كثير من بني عكرمة وفر الباقون إلى الجبال^(٢).

وتدل أنباء هذه الحملة وما قامت به من أعمال في بلاد النوبة، أنها لم تحرز نصراً حاسماً، وأن نجاحها كان جزئياً^(٣). بدليل أنه تقرر اتخاذ مدينة الدر مقراً للملك بدلاً من دنقلة، لسببين واضحين هما هجر سكانها لها كما يقول المقرئزي^(٤)، وحتى لا يقع الملك في أيدي بني عكرمة، الذين كانوا يسيطرون عليها فيما يظهر.

انتهت الحملة مهمتها في بلاد النوبة على هذا النحو بعد أن اجلست الملك على العرش ولبس الحلة الملكية^(٥)، ثم عادت إلى مصر في نفس العام، يصحبها أسرى بني كنز وبني عكرمة الذين أودعوا السجن. ويقال إن الملك بعث بهدية قيمة إلى السلطان. أما ابن أخيه فإنه أقام في قصر إبريم^(٦).

ويبدو أن السلطنة المملوكية كانت متوترة من بني كنز وبني عكرمة، فبعث بأسراهم إلى أسوان حيث قتلهم جميعاً وألبها المعروف بالدم الأسود سنة ١٣٦٦ م. غير أن هذا الحادث أثار بني كنز وبني عكرمة كذلك، فساروا في قوة كبيرة نحو أسوان واشتبكوا في معركة ضد القوات المملوكية قتل فيها الدم الأسود، وانتهى الأمر بتخريب أسوان ونهبها وقتل عدد كبير من سكانها^(٧).

(1) MacMichael, H. A. : op. cit. p. 187.

(٢) المصدر السابق : ص ٤٩، وانظر:

Quatremere : op. cit. pp. 119 - 120.

(3) MacMichael, H. A. : op. cit. p. 188.

(٤) المقرئزي: السلوك، مخطوط، المجلد السابع، ص ٩٤، وانظر:

Quatremere : op. cit. p. 120.

(٦) المصدر السابق:

(٥) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) المصدر السابق: ص ٥٢، وانظر:

Quatremere : op. cit. pp. 120 - 126.

وظلت الأمور فى هذه المنطقة على حال من القوضى حتى إذا كان عام ٧٨٠هـ (١٣٧٩م) عاد النفوذ المملوكى مرة أخرى إلى هذه المنطقة، وتمكن حاكم أسوان من القبض على أحد عشر زعيما من زعماء بنى كنز وقتلهم وبعث برؤوسهم إلى القاهرة حيث علقت على باب زويلة، كما أرسل مائتان من أبناء هذه القبيلة مكبلين بالحديد إلى القاهرة^(١).

ويقول المقرئى إن سياسة العنف والقسوة التى اتبعتها السلطنة المملوكية نحو بنى كنز وغيرهم أدت إلى إضعاف نفوذها فى هذه المنطقة فأضحت تحت رحمة بنى كنز الذين خربوا بعض جهاتها ولم تتمكن السلطنة المملوكية أن تبسط سلطانها على هذا الإقليم بصفة دائمة^(٢)، وظل يتجاذبها بنو كنز حينما وسلاطين المماليك حينما آخر. ويشير المقرئى إلى إغارات قام بها بنو كنز على ثغر أسوان كان يقابلها سلاطين المماليك بتجريد الحملات عليهم^(٣) وظلت عملية المراوغة التقليدية فى هذه المنطقة هى العملية الوحيدة التى تسترعى الانتباه.

ووجدت السلطنة المملوكية فرصتها فى استعادة إقليم أسوان وسط نفوذها القديم على النوبة حينما لجأ نصر الدين ملك النوبة عام ٨٠٠هـ (١٣٩٨م) إلى القاهرة مستنجدا بالسلطان المملوكى برقوق ضد ابن عمه^(٤). ويبدو أن هذا الملك النوبى الهارب كان من أبناء بنى كنز، ويقال إن السلطان عين على أسوان واليا يدعى إبراهيم الشهابى، وأمره بتقديم المساعدة إلى نصر الدين، غير أننا لا نعرف عن أمر هذه المساعدة شيئا. وكل ما يمكن استنتاجه هو أن سلطنة المملوكية استعادت نفوذها على أسوان مؤقتا، «إلى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة (١٤٠٤م) وخرب إقليم الصعيد، فارتفعت يد السلطنة عن ثغر أسوان. ولم يبق للسلطان فى مدينة أسوان وال واتضع حاله عدة سنين^(٥)». وفى سنة ٨١٥هـ (١٤١٣م) هاجمت قبيلة هواة - التى كانت تعيش فى صعيد مصر - ثغر أسوان وهزمت بنى كنز^(٥). والظاهر أن هذه القبيلة تقدمت جنوبا كذلك فى أرض النوبة.

(١) المصدر السابق: المجلد الثامن. ص ١١٥. وانظر:

Quatremere : op. cit. p. 122.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٩.

(٣) المصدر السابق: ص ١٥٢ - ١٥٢ب.

(٤) المصدر السابق: المجلد العاشر، ص ٢٦٠.

(٥) المقرئى: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٨٩.

والواضح أن الاضطرابات التي شملت جهات مصر الجنوبية وبلاد النوبة منذ حوالى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى، وارتفاع يد السلطنة المملوكية عنها، وما صارت إليه الأحوال فى مصر نفسها، شجعت القبائل العربية فى مصر على الهجرة جنوبا إلى بلاد النوبة ليعيشوا كيفما يطيب لهم العيش بعيدا عن ضغط المماليك، لا سيما وأن بلاد النوبة فى ذلك الحين كانت تفتقر إلى حكومة قوية تكبح جماحهم^(١). ومن هذه الهجرات هجرة جهينة وفزارة الذين اندفعوا جنوبا وغربا تاركين وراءهم بنى كنز وبنى عكرمة والهواره وغيرهم فى بلاد النوبة^(٢).

وفى هذا القرن (أى الخامس عشر الميلادى). تم اختلاط هؤلاء وأولئك جميعا بالنوبيين من أسوان حتى دنقلة. وفى هذا القرن تكونت كذلك المجموعات النوبية المستعربة والتي لا تختلف فى صفاتها الطبيعية وملامحها عن النوبيين الحاليين، وهم الكنوز الفديجة والسكوت والحس والدناقلة^(٣).

وظل بنو كنز يمثلون أقوى العناصر النوبية المستعربة فى بلاد النوبة، حتى نهاية الدولة المملوكية الثانية فى مصر والشام سنة ١٥١٧م على يد السلطان سليم.

سقوط مملكة علوة المسيحية

وانتشار الإسلام

عوامل سقوط مملكة علوة، النزاع بينها وبين جيرانها ■ أثر الرق ■ قطع العلاقات الدينية بينها وبين كنيسة الإسكندرية ■ الهجرات العربية إلى حوض النيل الأوسط وأثرها ■ الحلف السنارى وقيام مملكة الضونج ■ جهود العلماء ورجال الصوفية فى نشر الإسلام فى مملكة الضونج حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادى.

(١) المصدر السابق ص ١٩٩.

(2) MacMichael : op. cit. p. 188.

Arkell. A. J. : op. cit. p. 199.

(3) MacMichael, H.A.: op. cit. I. p. 187.

Arkell, A.J. : op. cit. p. 199.

اكتشف تاريخ مملكة علوة المسيحية كثير من الغموض بالقياس إلى تاريخ مملكة مقرة، وذلك لضياح معظم آثار علوة من جهة بفعل عوامل التعرية الجغرافية، ومن جهة أخرى بسبب بعدها عن مصر^(١).

غير أن هذا لا يعنى أن مملكة علوة كانت فى عزلة عن مصر تماما، فكيسة علوة ظلت تابعة للكنيسة المصرية منذ نشأتها فضلا عن وجود علاقات تجارية قديمة بين البلدين، بدليل تمسك السلطنة المملوكية بمدينة سوا كن للإشراف منها على حقوق مصرالتجارية فى جهات حوض النيل الأوسط. ثم أن رغبة ملوك علوة فى استمرار العلاقات بينهم وبين السلطنة المملوكية تبدو واضحة من شكوى أدور ملك الأبواب للسلطان قلاون من تعرض ملك مقرة لرسله المسافرين إلى مصر.

وكيفما كان الأمر ، فالواضح أن مملكة علوة المسيحية تعرضت لما سبق أن تعرضت له جارتها مقرة فى الشمال، من عوامل أدت إلى تفككها وانحلالها وزوال الأسس التى قامت عليها الملكية المسيحية فيها، ثم صبغ هذه الملكية بصبغة إسلامية. غير أن ثمة عوامل أخرى خارجية أدت إلى سقوطها ومن هذه العوامل، أن مملكة علوة تعرضت لإغارات مملكة الزغاوة منذ القرن الثانى عشر الميلادى على طرق القوافل التجارية ما بين بحيرة تشاد غربا إلى النيل شرقا^(٢). وظلت مملكة علوة موضع تهديد الزغاوة حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى^(٣). وقد سبقت الإشارة إلى أن الملك أدور ملك الأبواب شكا من تعرض بلاد الأنج لغزو أمير أجنبى ، ولا يبعد أن يكون هذا الأمير هو أمير الزغاوة ثم أن طمع جيران مملكة علوة فى الحصول على الرقيق منها، أدى إلى نزاع مستمر بين ملوك علوة وأولئك الجيران فى الشمال أو الغرب. فالمعروف أن ملوك مقرة لجأوا إلى شن إغارات على جيرانهم للحصول

(1) Griffith, F. LL : Christian Documents from Nubia p. 2.

Arkell, A.J."Fung Origins", SNR. XV. part II. 1932 p. 203.

(٢) امتدت مملكة الزغاوة حسبما ورد فى المهلبى من بحيرة تشاد فى الغرب إلى أطراف النوبة فى الشرق، ويرى آركل أنها شملت الكانم ودافور فى القرن الرابع عشر.

Arlell, A. J. : A Hist. of the Sudan p. 199.

(3) De Villard : op. cit. pp. 198 -210.

على الرقيق لدفع البقط، إذا لم يتوافر لديهم منه عدد كاف، فضلا عن الاتجار فيه كذلك^(١)، ولعل استمرار حاجة السلطنة المملوكية إلى الرقيق هي التي أدت إلى استمرار هذا النزاع الذي بدا واضحا في القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الميلادي^(٢).

أما في الغرب فإن أعراب جذام وغيرهم المهاجرين من مصر جنوبا اجتاحت مملكة الزغاوة حتى سيطروا على منطقة دارفور^(٣). واتخذ أولئك الأعراب من هذه المنطقة قاعدة لشن إغاراتهم على ما جاورها من أقاليم حتى مملكة برنو في الغرب، بدليل ما جاء في شكوى سلطان برنو إلى السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق سنة ٧٩٤هـ (١٣٩٢م) ضد أولئك الأعراب^(٤)، جاء فيها «... فإن الأعراب الذين يسمون جذاما وغيرهم قد سبوا أحرارنا من النساء والصبيان وضعفاء الرجال وقرابتنا وغيرهم من المسلمين... وهؤلاء الأعراب قد أفسدوا أرضنا كلها في بلد برنو كافة حتى الآن وسبوا أحرارنا وقرابتنا من المسلمين ويبيعونهم لجلاب مصر والشام وغيرهم ويختمون بعضهم...».

وليس من المستبعد - بعد أن اقترب أولئك الأعراب من أطراف علوة - أن يكونوا شنوا عليها حربا لهذا الغرض كذلك.

وكان لقطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وكنائس علوة، توقف إرسال الأساقفة المصريين إلى بلاد النوبة منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي أثر خطير في حياة النوبيين الدينية، فأهملت الطقوس الدينية وهجرت الكنائس النوبة وخرب معظمها. وقد حفظ قسيس برتغالي يدعى الفارز الذي زار الحبشة بين سنتي ١٥٢٠ - ١٥٢٧م - صورة عن أحوال النوبيين (أهل علوة) الدينية أوائل القرن السادس عشر الميلادي بقوله «... إن أولئك النوبيين يجهلون دينهم فلا هم بالمسيحيين ولا هم بالمسلمين أو اليهود. ويقال إنهم كانوا على النصرانية، غير أنهم فقدوا دينهم، ولم تبق لهم عقيدة»^(٥). ويظهر من قول الفارز أن النوبيين

(١) كان الرقيق إحدى وسائل التعامل التجاري بين ممالك النوبة المسيحية وغيرها بدل العملة التي لم تكن معروفة عندهم.

(2) Walkely, C. E. J. : "The Story of Khartoum". SNR. XVIII, part II, p. 224.

(3) Arkell, A.J. : A Hist of the Sudan to AD. 1821. pp. 199 - 200.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٨، ص ١١٦.

(5) Father Francisco Alvarez, Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia. p. 65

فشلوا في الحصول على قساوسة من كنيسة الإسكندرية^(١) فبعثوا إلى نجاشي الحبشة سنة ١٥٢٢ م ليرسل إليهم من يرشدتهم في دينهم، غير أن النجاشي اعتذر عن تلبية هذه الرغبة «إذ أنه يعتمد على البطريك في بلاد المسلمين في إرسال «أبونا» فكيف يعطيهم من يتفضل بهم عليه غيره»^(٢). ومما زاد في عزلتهم سقوط مملكة مقرة في الشمال واعتناق أهلها الإسلام. وذكر الفارز نقلا عن بعض الأحباش أنه منذ وفاة أسقف النوبة (علوة) منذ أمد بعيد لم يخلفه غيره بسبب الحروب بين القبائل العربية في بلاد النوبة الشمالية، فتركت كنائسهم دون رعاية رجال الدين، فنسوا كل شيء عن المسيحية^(٣). وثمة دليل على هجر النوبيين كنائسهم وتخريب الأعراب معظمها، ما ذكره الفارز كذلك نقلا عن حنا السورى الذى زار علوة قبل ذلك بقليل حيث يقول: إنه كان بها ١٥٠ كنيسة قديمة تحمل جدرانها صور السيد المسيح والعذراء^(٤) وهذا عدد قليل بالقياس إلى ما عرف عن عدد كنائس علوة حوالى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى والتي بلغ عددها على قول أبى صالح، حوالى ٤٠٠ كنيسة^(٥).

أما الروايات التاريخية الوطنية فأجمعت على أن نهاية مملكة علوة وسقوطها أوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) تم على يد جماعة من العرب والفروج. ويعنى هذا أن العرب وحلفاءهم استطاعوا إسقاط هذه المملكة عن طريق الغزوات العديدة أو أن أحوال

(١) ذكر الفارز خطأ أن العادة جرت في الماضى بأن ترسل روما القسس لهؤلاء القوم. وأن آخر قسيس جاء من روما مات منذ أمد بعيد. ولم يتمكنوا من الحصول على غيره بسبب الحروب بين المسلمين. والحقيقة بطبيعة الحال أن الإسكندرية لا روما هى التى كانت تبحث بهؤلاء الأساقفة. ثم توقف إرسالهم بسبب الحروب فى النوبة الشمالية «مقرة» وتعتت السلطة المملوكية ضد الكنيسة المصرية.

Ibid, op. cit. p. 352.

(٢) وبلاد المسلمين هنا يقصد بها مصر

(3) Alvarez : op. cit. p. 352.

ويسرى شنى. Shinnie P. L. : Exxav, at Soba p. 13 أن رواية الفارز تشير إلى مملكة علوة أما Crawford. O. G. S. ; op. cit. p. 149. فيرى أن هذه الرواية تنطبق على مملكة مقرة أكثر من علوة. غير أن هذا لا يتفق وما عرف عن إسلام مقرة منذ قرنين مضيا، والراجح أن هؤلاء النوبيين الذين أشار إليهم الفارز تابعون لعلوة بدليل ما ذكره أن العرب يسيطرون على البلاد الواقعة جنوبى مصر وهى مقرة بطبيعة الحال فضلا عما ذكره أنهم يجاورون البلو. وهى مملكة البلو المجاورة للحبشة.

(4) Alavarez, F. : op. cit. p. 352.

(٥) أبو صالح : ص ١٢٠.

هذه المملكة كان اضمحلالية بحيث لم تقو على مواجهة هذه القبائل^(١). وإذا سلمنا بصحة هذه الروايات التاريخية فيما يتعلق بدور العرب وحلفائهم ضد هذه المملكة المسيحية، فإن هذا يدعونا إلى الاعتقاد بأنه سبق سقوطها وصول جماعات عربية في أعداد وفيرة حتى تسنى لها طبع هذه البلاد وسكانها المسيحيين بطابع مخالف هو الطابع العربي الإسلامي.

وإذا أشار المؤلفون المسلمون إلى هجرة بعض الجماعات العربية من مصر إلى بلاد النوبة الشمالية (مقرة) وأوطان البجة، فإن أحدا من أولئك المؤلفين لم يشر إلى مثل هذه الهجرات العربية إلى بلاد علوة، بل إن أخبار هذه الهجرات واستقرار الجماعات العربية المختلفة فيها جاء من مصادر سودانية، وهي عبارة عن أوراق النسبة التي تحتفظ بها كثير من الأسرات السودانية في الوقت الحاضر^(٢).

يضاف إلى ذلك ما سبقت الإشارة إليه من هجرة بعض الجماعات العربية من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر، سواء أكان هذا قبل الإسلام أو بعده على أثر وقوع أحداث هامة في بلاد العرب^(٣). فالمعروف أن عددا من الهجرات العربية استقرت في جهات متفرقة في النيل الأزرق والأتبرا والحبشة. وإذا كانت هذه الهجرات العربية السابقة للإسلام قليلة العدد محدودة الأثر فلا شك في أن أعدادها زادت زيادة واضحة عقب الغزو العربي لمصر حتى سمح للعرب - المهاجرين أو المترددين على علوة للتجارة وغيرها - ببناء مسجد في سوبا^(٤).

وموضع الأهمية هنا هل ظلت الجزيرة العربية هي المصدر الوحيدة لتلك الهجرات العربية الإسلامية إلى حوض النيل الأوسط عبر البحر الأحمر مباشرة، أو كانت هنالك مصادر أخرى

(١) سبق أن أشرنا إلى بعض عوامل اضمحلال مملكة مقرة وعلوة.

(٢) جمع ماكمايكل معظم أوراق النسبة العربية في السودان ونشرها في مؤلفه الضخم المعروف باسم A History of the Arabs in the Sudan. II. غير أن هذه الوثائق الوطنية تحتاج إلى تمحيص وغريلة حتى يتسنى الانتفاع بها، وذلك لأن معظم عرب السودان يميلون دائما إلى الانتساب إلى بيت الرسول أو أحد الصحابة، وأدى هذا إلى اصطناع كثير من هذه النسبة التي تجعل الاعتماد عليها وحدها أمرا غير مقبول.

(٣) ومن بين هذه الأحداث تخريب سد مأرب واضطهاد قريش للمسلمين وحروب الردة والنزاع على الخلافة بين الأمويين والعلويين وسقوط الدولة الأموية كذلك.

(٤) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص ١٠٠.

شاركت ، أو انفردت بتعريب هذا الجزء من حوض النيل ؟ أن ثمة رأياً يقول «هناك ثلاثة أبواب دخلت منها الدماء العربية إلى السودان : فالباب الشرقي من السودان كان واحداً من هذه الأبواب ... والباب الثاني هو الباب الشمالي في وسط السودان الذي يفضى إلى مجرى النيل ومصر.. أما الباب الثالث فهو الطريق الشمالي الغربى أو الطريق الليبى .. ولعل هذا الباب لم يكن مصدراً للهجرات والغزو إلا بعد الإسلام^(١). ويعنى هذا أن كلا من الجزيرة العربية ومصر كانا مصدراً للهجرات العربية التى حملت الغزوات والهجرات الإسلامية إلى حوض النيل الأوسط . ومع تسليم الأستاذ عوض بأهمية مصر كمصدر للثقافة العربية فى وادى النيل الأوسط إلا أنه لم يقلل من أهمية الجزيرة العربية كمصدر مباشر للهجرات العربية التى قامت بنصيبها فى نشر العروبة فى هذا الاقليم.

غير أن هنالك من يرى أن الجزيرة العربية - كمصدر مباشر للهجرات العربية إلى حوض النيل الأوسط عبر البحر الأحمر مباشرة - كانت قليلة الأهمية ضعيفة الأثر بالقياس إلى المصدر الشمالى وهو مصر. فيقول الأستاذ عمار «إذا نحن استثنينا تلك الجماعات العربية القليلة التى وصلت إلى السودان رأساً عبر البحر الأحمر، سواء كان ذلك قبل الإسلام أم زمن التوسع الإسلامى، أم كانت هجرات حديثة كالتى أوصلت قبائل الرشايدة إلى حيث ينزلون الآن فى الشمال الشرقى للسودان. فإن تعريب السودان فى الواقع إنما تم عن طريق مصر إذ لا يسجل التاريخ - فى أى عهد من عهوده - وصول موجات هامة أو هجرات عنيفة إلى السودان عن طريق غير طريق مجرى النيل من الشمال إلى الجنوب»^(٢). ونجد للرأى الأخير تأييداً فيما ذكره ما كمايكل إذ يقول «إن بعض القبائل العربية فى السودان تدعى أن أجدادها وصلوا من جزيرة العرب مباشرة إلى السودان عبر البحر الأحمر لتأييد دعواهم فى الانتساب إلى أصل شريف أموى أو عباسى أو أنهم سلالة بعض صحابة رسول الله . ومع التسليم بوصول بعض الأسر العربية من حين إلى آخر عبر هذا الطريق إلى السودان إما للتجارة أو

(١) أنظر محمد عوض محمد: السودان الشمالى، ص ١٥٩ - ١٦٠ حيث يقول: «وحسبنا أن نقرر أن الباب الشرقى من السودان كان واحداً من الأبواب التى دخلت منها الدماء العربية ومعها الثقافة العربية إلى السودان، وأن تأثيرها لم يكن مقصوراً على الجهات التى تقابل الجزيرة العربية بل تجاوزتها إلى السودان الأوسط والسودان الغربى أيضاً».

(٢) عباس عمار. وحدة وادى النيل . أسسها الجغرافية ومظاهرها فى التاريخ ص ٨٠.

اتخاذهم مكان هجرة أو بحثا عن المراعى كما فعلت قبيلة الرشايذة حديثا فإن التاريخ لم يسجل وصول هجرات واسعة عبر هذا الطريق مثلما سجل عن هجرة هذه القبائل العربية إلى مصر (١)

وكيفما كان الأمر فالمعروف أن كثيرا من الجماعات العربية انتقلت من مصر جنوبا حيث استقرت فى بلاد النوبة الشمالية وأرض البجة عقب الغزو العربى لمصر، واختلطت الجماعات بعضها ببعض اختلاطا كان يغذيه وصول القبائل وسكنائها بين النوبيين والبجة حيناً بعد حين ، ولا سيما بعد منتصف القرن التاسع الميلادى. وزادت جموع العرب المهاجرين من مصر جنوبا زيادة واضحة عقب قيام السلطنة المملوكية فى مصر فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى، ثم سقوط مملكة مقرة المسيحية بعد ذلك فى يد العرب أوائل القرن الرابع عشر الميلادى. ومرجع ذلك فى الغالب على قول ما كمايكل، أن أولئك العرب لم يطب لهم المقام فى مصر ولا سيما بعد أن فقدوا ميقاتهم القديمة وأصبح ينظر إليهم كعنصر غير مرغوب فى بقائه، فاستبدلوا بقوات حربية نظامية مدربة لأنهم لا يجيدون سوى شن الإغارات للحصول على الغنائم فضلا عن محاربتهم فى دفع الضرائب وإثارة القلاقل. وفى القرن الرابع عشر أصبح ينظر إليهم على أنهم خارجون على القانون. ثم أن رغبة العرب - فى العيش عيشة البداوة التى تعودوها فى بيئتهم الأصلية والبحث عن مراعى واسعة تناسب حياة الإبل والأغنام والتى لا يتوفر وجودها فى مصر - دفعت بالعرب إلى الهجرة جنوباً حيث البيئة الرعوية التى تشبه بعض جهاتها البيئة الأصلية فى الجزيرة العربية. هذا فضلا عن رغبتهم فى الحصول على الرقيق (٢) ثم أن السلطنة المملوكية سمحت لأولئك العرب بالرحيل من مصر، وأكثر من هذا أنها أمنت فى مطاردتهم جنوبى مقرة ذاتها بدليل ما ذكره النويرى أن حملة مملوكية جردها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦١٧هـ - (١٣١٧م) ضد العرب الذين يسكنون حول عيذاب لاعتدائهم على بعثة أرسلها ملك اليمن بهدية إلى السلطان المملوكى. وأوغلت هذه

(1) Hamilton J. A. de C. ed. : The Anglo Egyptian Sudan From Within. "The Coming of The Arabs in the Sudan" by MacMichael, PP. 64-47.

(2) Hamilton ed. : op. cit. PP. 47-50.

أنظر أيضا:

Reid, J. A. : "Some notes on the tribes of the White Nile Province " SNR. XIII. part.II. 1930 P. 151.

الحملة جنوبا حتى سواكن، واتجهت غربا إلى التاكة ، وإلى جهة الأبواب ثم عادت إلى مصر عن طريق دنقلة^(١).

والواضح تماماً أن سقوط مملكة مقرة المسيحية أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، أدى إلى ازدياد موجة الهجرات العربية، ولا سيما بعد أن بات السابقون من العرب في شغل بمنازعاتهم الداخلية عن المهاجرين الجدد، وربما كان أشد هذه الهجرات الجديدة عنفاً، هجرة جهينة التي أشار إليها ابن خلدون، وهي واحدة من خليط هائل من القبائل العدنانية والقحطانية وبتونها المختلفة التي تجمعت في أنحاء النوبة الشمالية، على حين تجمع خليط آخر منها عقب سقوط دنقلة في أرض البطانة والجزيرة ونشأت على أثر ذلك بعض المهاجر العربية قرب سنار الحالية^(٢). والراجح أن معاناة هذه الجماعات للمراعى الغنية ترامت أخبارها إلى ذويهم في الشمال فاندفعت جموعهم جنوباً ولاسيما أولئك الذين حافظوا على بداوتهم^(٣)، بعد أن ضاقت بهم مهاجرهم في النوبة الشمالية، بسبب فقر بيئتها وندرة مراعيها^(٤).

لكن كيف شق أولئك المهاجرون طريقهم نحو الجنوب؟ هل اضطروا إلى شن الإغارات على الوطنيين والدخول في حرب ضد مملكة علوة المسيحية، يقول ابن خلدون: «وانتشروا (أى جهينة) ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكاثروا هنالك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة، وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهبوهم إلى هذا العهد^(٥). والمفهوم من هذا أنه بعد سقوط دنقلة في يد العرب أضحت المنطقة الممتدة من حلفا الحالية إلى شمال غربى الحبشة مسرحاً لأعمال النهب والتخريب مدة لا تقل عن ثلثمائة عام^(٦) وأن العرب في تقدمهم جنوبهم قتلوا كثيراً من النوبيين وأسروا بعضهم حتى اضطّر كثير من النوبيين إلى الهجرة غرباً إلى تلال نوبا في جنوب كردفان، وجبل حرزا وكاجا وغيرها في شمال

(١) النويرى: نهاية الأرب، جـ ٣٠، ص ٩٦ - ٩٧، المقرئى: السلوك، جـ ٢، القسم الأول، ص ١٦٢. انظر ملحق رقم ١٦.

(2) Henderson, K. D. D. : "Fung Origins" SNR. XVIII part I. 1933 p. 150.

(3) Hamilton, : ed. op. cit. p. 48.

(4) Trimmingham, I. S. : Islam in the Sudan. P. 71.

(٥) ابن خلدون: العبر، جـ ٢، ص ٢٤٧.

(6) Walkely, C. E. J. : "The Story of Khartoam", SNR. XVIII. part II. 1935 p. 124.

كردفان^(١) غير أنه يبدو أن العرب لم يقابلوا في تقدمهم جنوباً إلى جهات علوة وغيرها مقاومة عنيفة لعجز ملوكها عن دفعهم . وإذا كانوا اضطروا أحياناً إلى استخدام العنف ، فإن الطابع العام لهذه الهجرات كان طابعاً شبه سلمى ونجحوا في تحقيق مآربهم بالاختلاط والتزاوج من بنات النوبيين وملوكهم . ويقول ما كما بكل وإن كل الدلائل تشير إلى أن النصر - باستثناء أقاليم معينة كإقليم جبال النوبة ، حيث لا يزال العرب يمتلكون السهول ، على حين يسكن الزوج التلال - قد تم غالباً بالاتفاق والتزاوج مع بعض العنف بسبب ضعف مقاومة النوبيين . ويمكن القول إن الظاهرة الأساسية في التاريخ الجنسى لشمال السودان ووسطه منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادى كانت ظاهرة الاندماج التدريجى بين العرب والسود^(٢) .

لا شك أن لهذا الرأى وجاهته فهو يتفق وما ذكره ابن خلدون فى صدد هجرة جهينة إلى بلاد النوبة (علوة)^(٣) . أما عن اضطراب الأمن فى بلاد النوبة وأوطان البجة حتى الحدود الحبشية ، فكان بسبب التنازع بين القبائل العربية ذاتها لسبب أو لآخر . وتشير بعض الروايات التاريخية إلى وجود مثل هذا النزاع بين قبيلتى جهينة ورفاعة أواخر القرن الثالث عشر الميلادى قرب عيذاب^(٤) . ولعل فى إشارة ابن خلدون إلى انقسام العرب على أنفسهم ، ما يزيد فهمنا لما صار إليه هذا الجزء من حوض النيل أوائل القرن الخامس عشر الميلادى . إذ يقول «واستولى

(١) Sager , J. W. : "Notes on The history, religion and Customs of the Nuba", SNR. V. part III, 1922 p. 139.

ويشبه ساجر Sager تقدم العرب فى شمال السودان بتقدم الانجلوما كون فى بريتانى حيث قضوا على البريتون ومن نجا منهم فر إلى جبال كرنول وويلز .
(٢) عباس عمار - وحدة وادى النيل ، ص ١٦ ، نقلا عن :

Hamilton, : ed. op. cit. p. 59.

(٣) أنظر الجزء الخاص بسقوط مملكة مفره المسيحية ص ١٠٠٠ حيث ورد فيها نص ابن خلدون الذى يشير فيه إلى عجز ملوك النوبة عن صدهم ، فاستمالوا إليهم العرب عن طريق المصاهرة ، ابن خلدون . العبر ، ج ٥ ص ٤٢٩ .

(٤) المقرئى : السلوك ، ج ١ ، القسم الثالث ص ٧٠٠ ، أنظر كذلك :

Bloss. J. F. E. : "The of Suakin " . SNR. XIX, part II, 1936 p. 281.

أعراب جهينة على بلادهم (أى النوبيين فى علوة)، وليس فى طريقه شئ من السياسة الملوكية للآفة التى تمنع انقياد بعضهم إلى بعض فصاروا شيعا لهذا العهد^(١).

أما عن الطرق والمسالك التى سلكتها الجماعات العربية المختلفة، إلى حوض النيل الأوسط، فمن بينها الطريق الذى يتجه جنوبا بشرق من أسوان وكركو عبر أوطان البجة، الموازية للبحر الأحمر. غير أن أهمية هذا الطريق محدودة بالقياس إلى الطرق الأخرى لقلة الماء وفقر المرعى. والغالبية العظمى من العرب المهاجرين من مصر إلى حوض النيل الأوسط سلكت الطريق الذى يتبع مجرى النهر إلى منطقة دنقلة. وإذا كانت بعض القبائل آثرت أن تستقر على جوانب النهر، فإن منها من انتقل غربا بطريق وادى القعب، ونزل الأراضى المحيطة به، وسلك الآخرون الطريق الذى يبدأ من كورتى على طول وادى مقدم وعبر الدبة على طول وادى الملك إلى كردفان، حيث تتفرع الهجرات على شكل المروحة، فمنها ما يتحرك إلى دارفور وما يليها غربا وجنوبا، ومنها ما يسير على جوانب النيل الأعظم وعبر صحراء بيوضه وأعلى الأتبرا والنيل الأزرق فى اتجاه جنوبى شرقى إلى حدود الحبشة^(٢).

وثمة رأى آخر يقول إن الجماعات العربية التى هاجرت من مصر جنوبا إلى السودان بطريق النيل، لم تلتزم النهر فى كل جزء منه، بل سلكت طريقا يتابع النهر من جنوب أسوان إلى كركو أو قبلها ثم يخترق صحراء العتمور مباشرة إلى أبو حمد حيث يتابع النهر مرة أخرى ويلتزمه نحو الجنوب^(٣). غير أن هذا الطريق إذا صح وسلكته بعض الجماعات العربية فلا بد وأن يكون هذا حدث قبل سقوط دنقلة أوائل القرن الرابع عشر الميلادى، لمنع العرب أو غيرهم من غير النوبيين التقدم جنوبى الشلال الثانى إلا للتجارة^(٤) وسقوط دنقلة انفتح الباب أمام الجماعات العربية المختلفة للانتساب جنوبا على طول النهر، الذى كان دائما الطريق الطبيعى للهجرات منذ فجر التاريخ، وذلك لا حاطة بصحراء قاحلة جرداء، على حين أن واديه الضيق يسمح بمرور القطعان حيث يوجد الماء والعشب كذلك^(٥).

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٤٢٩.

(2) Hamilton, : ed. op. cit. p. 55.

(٣) محمد عرض محمد: السودان الشمالى ص ١٦٠ - ١٦١.

(٤) أنظر ص ٩٠٧ من كتابنا هذا.

(5) Firth, C. M. ASN. Report 1910 - II. p. 1.

أشتملت الجماعات العربية التي هاجرت إلى حوض النيل الأوسط على مجموعتنا العدنانيين والقحطانيين. ويمثل العدنانيين في الوقت الحاضر الكواهلة والمجموعة الجعلية وبعض القبائل الصغيرة الأخرى كالرشايدة. ويمثل القحطانيين، المجموعة الجهنية. إذن متى دخلت هذه الجماعات العربية حوض النيل الأوسط؟ وكيف تم انتشارها على هذه الصورة؟ إن أول إشارة إلى بني كاهل وردت في رحلة ابن بطوطة إلى عيذاب وسواكن في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي (١٢٥٣م)^(١)، فذكر أن أولاد كاهل يسكنون المنطقة الممتدة من عيذاب إلى سواكن، وهم مختلطون بالبجة عارفون بلسانهم^(٢). وليس من المعروف تماماً متى استقر أولاد كاهل بين البجة والراجح أن هجرتهم إلى هذا الأقليم لهذا التاريخ (منتصف القرن الرابع عشر الميلادي) بدليل معرفتهم لغة البجة.

ويقال إن الكاهلة ينتسبون إلى كاهل بن أسد بن خزيمة، وأنهم جاءوا إلى السودان من جزيرة العرب مباشرة عبر البحر الأحمر واستقروا في الإقليم الساحلي بين سواكن وعيذاب^(٣) غير أنه لا يوجد من الدلائل ما يؤكد هذه الصلة المباشرة بالجزيرة العربية^(٤). والأرجح أن هجرة أولاد كاهل كانت عن طريق مصر. إذ تقول روايات العباددة^(٥)، إنهم ينتسبون إلى عباد من نسل الزبير بن العوام، وأن جدهم عبادا قدم من جزيرة العرب إلى مصر في القرن الثالث عشر الميلادي، ثم مات ودفن في وادي عباد قرب أدفو، وأن عبادا هذا جد كاهل^(٦)، ومن ذريته أولاد كاهل الذين أشار إليهم ابن بطوطة. واختلط أولاد كاهل بالبجة عن طريق المصاهرة ونالوا مركز الزعامة فيهم. وعلى الرغم من أن كثيراً من الجماعات العربية اختلطت بالبجة وتصاهرت معهم منذ القرن التاسع الميلادي حيث اعتنق كثير منهم الإسلام، فإن البشاريين

(1) MacMichael, H. A. : A Hist. of The Arabs in the Sudan . I. p. 324.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة ج١، ص ١٥٤.

Murray, G. W. : Sons of Ismail, p. 303.

(٣) محمد عوض محمد : السودان الشمالي، ص ١٤٣.

(4) MacMichael, H. A. : op. cit. p. 324.

(٥) وهم شعبة من البجة يسكنون صحراء مصر الغربية وتلال البحر الأحمر.

(6) Murray, G. W. : op. cit. op. 30.

والأمرار وبنى عامر^(١) ينتسبون كذلك إلى كاهل ، مما يدعوننا إلى الاعتقاد أنه كان لبنى كاهل الأثر الأكبر في نشر الإسلام والثقافة العربية فيهم^(٢) .

ومن المؤكد أن أولاد كاهل عاشوا زمناً في الأقاليم الساحلية الشرقية والمناطق التي تليها، واشتغلوا بالتجارة وتنظيم القوافل بين النيل والبحر الأحمر، ثم انتشروا انتشاراً تدريجياً نحو الغرب؛ وعرف هؤلاء جميعاً باسم الكواهلة. ويمكن تقسيم هذه الحركة كلها إلى مراحل تمثل الأولى منها نزولهم في الساحل واستقرارهم فيه في القرن الثالث عشر الميلادي حيث رآهم ابن بطوطة مختلطين بالبحجة في منتصف القرن الرابع عشر^(٣) . وتمثل المرحلة الثانية انتقال شعب منهم إلى جهات أتبرا والنيل الأزرق في القرن الخامس عشر الميلادي واحتشدوا فيه. وتمثل المرحلة الثالثة انتقال جماعات منهم آتية من الشرق ونزحت إلى جهات النيل الأبيض ثم إلى كردفان في أزمنة متعاقبة^(٤) . وبهذا أضحي للكواهلة أوطان ثلاثة^(٥) . والواضح أن معظم هذه الأوطان التي استقروا فيها منذ القرن الخامس عشر الميلادي على الأقل كانت جزءاً من مملكة علوة المسيحية وعاصمتها سوبا. غير أنه لم يصلنا شيء عن تاريخ هذه المرحلة من تاريخهم، ومع هذا فإن القليل الذي عرف عن رواياتهم وقصصهم في وقت متأخر (القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين)، ولا سيما شعبة النيل الأبيض يدل على

(١) البشاريون الذين قسمهم الحدود الإدارية بين مصر والسودان ، فترك جزءاً منهم داخل الحدود المصرية وترك جزءاً آخر يسكن إقليمًا يمتد حوالي ٨٠ ميلاً إلى الجنوب (حتى البطانة) أما الأمرار فيحتلون مساحة من الأرض تبلغ ٨٠٠٠ ميل مربع ترتكز من ناحية الشرق على البحر الأحمر ابتداء من خط عرض ٢١ شمالاً إلى قرب بور سودان جنوب ويسكن بنو عامر المنطقة جنوب حور بركة ويمتدون في أرض رترية.

(٢) محمد عوض محمد : نفس المصدر، ص ١٤٤ .

(٣) من الملاحظ أنه ليس للكواهلة أوطان في أرض البجة في الوقت الحاضر إذ زال أثرهم لاندماجهم التام في قبائل البجة. وأوطانهم اليوم مبعثرة في جهات متعددة أخصها إقليم النيل الأبيض وأواسط كردفان.

(٤) محمد عرض محمد : السودان الشمالي، ص ١٤٥ - ١٤٦ ، يقول الدكتور عوض . إن انتشار الكواهلة في جهات كردفان استغرق حوالي ثلاثة قرون من القرن السابع عشر إلى أواخر القرن التاسع عشر. وعلى الرغم أن قسماً واحداً من العرب على النيل الأبيض يسمى الكواهلة إلا أن الحسانية والحسنيات ينتسبون إلى الكواهلة كذلك وهم يمتدون من خط عرض ١٢ جنوباً إلى جبل الأولياء. نفس المصدر ص ١٤٨ .

(٥) وهذه الأوطان هي : الأولى النيل الأزرق والأتبرا، والثانية في منطقة النيل الأبيض ، والثالثة في كردفان

أنهم استعملوا الحيلة أحيانا والحرب أحيانا أخرى لتوطيد أقدامهم. وتدل الأمثلة السائرة عند بعض شعبهم^(١)، أنهم اتبعوا سياسة يبدو أنها متأصلة في بنى كاهل وهي أن ينزلوا غرباء ويدفعوا لأصحاب البلاد أجرا عن الأرض التي يحتلونها، حتى إذا كثر عددهم، أدعوا الحق فيها، والتجأوا إلى القوة لإثبات حقهم^(٢).

أما المجموعة الجعلية فتركزت على النيل الأعظم من جنوب الخرطوم الحالية حتى دنقلة. وتمثل هذه الشقة من النهر المركز الرئيسي، الذي انتشرت منه في شعب وفروع نحو البطانة والنيل الأزرق والنيل الأبيض جنوب الخرطوم ونحو الغرب إلى كردفان، وفي الشمال حيث يعيش بعضهم مثل الجوابرة والركابية وسط الجماعات النوبية^(٣).

وليس من المعروف تماما متى بدأت هجرة هذه الجماعات إلى حوض النيل الأوسط. ومن الجائز استنادا على بعض الروايات الوطنية أن تكون بدأت هجرتها من مصر إلى هذا الإقليم، منذ حوالي أواخر القرن العاشر الميلادي^(٤)، سالكة طريق العتومور لتجنب مملكة مقرة المسيحية. ثم لحق بها عدد كبير في العهد المملوكي ولا سيما بعد سقوط دنقلة^(٥)، سالكين طريق النيل من الشمال إلى الجنوب، حيث استقروا في أوطانهم الحالية على النيل الأعظم^(٦).

ويقال إن الجعليين ينتسبون إلى إبراهيم الملقب بجعل، من نسل العباس عم النبي صلى الله وسلم. وترجع سبب هذه التسمية إلى أن إبراهيم هذا كان جوادا مضيافا، وأنه كان يقول للوطنيين وغيرهم من العرب «إنا جعلناكم منا» أي أصبحتم منا^(٧). وتدل هذه العبارة وكثرة

(١) ومن الأمثلة التي يرويها مستر ريد عن الحسانية وهم من كواهلة النيل الأبيض «لا تأمن الحسانى إن كان غريب بلدان». محمد عوض محمد: نفس المصدر ص ١٥٠، نقلا عن Reid, J. A. : op. cit. p. 149. وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ٤٨١ - ١٥٠.

(٣) محمد عوض محمد : نفس المصدر ، ص ١٦٤.

(4) MacMichael, H. A. : A Hist. of the Arabs in the Sudan, II. p. 348.

ويقول ما كمايكل في موضع آخر إن أسلافهم هاجروا إلى مصر حوالي ٩٦٩م ثم هاجروا إلى السودان حوالي ١١٧١م. Ibid. : op. cit. pp. 9- 10.

(5) Ibid. : op. cit. pp. 9- 10.

(6) MacMichael, H.A. : "Nubian elements in Darfour" SNR. I. No. I. p. 31.

(7) MacMichael, H. A. : A Hist : of theArads in the Sndan; I. p. 197.

ترديدها أن التوغل العربى فى هذه المنطقة كان توغلا شبه سلمى مبنيا على التودد إلى السكان الوطنيين^(١). ويقول ما كمايكل إن انضواء كثير من الجماعات العربية وغيرها من الوطنيين تحت لوائه، جعل ذريتهم من هذا الخليط يدعون جميعا النسب إلى العباس^(٢).

والراجع أن الجعليين لم يكونوا أول الأمر قبيلة واحدة بل مجموعة قبائل ذات نسب متقارب، وهاجرت على دفعات وعلى مدى قرون وبسطت نفوذها على هذه الجهات قطراً بعد قطر إلى أن نشأت بينهم أسرة قوية تولت الزعامة ووحدت القبيلة، فضلاً عن إدماج المجموعة كلها بعضها فى بعض وإدماج السكان الأصليين فى المجموعة العربية^(٣).

وتشتمل المجموعة الجعلية على عدد كبير من القبائل منها الجعليين الأصليين الذين ليس لهم اسم آخر، وتمتد مواطنهم من خائق مبلوكة إلى الأتبرا - والميرقاب إلى شمال الأتبرا حول بربر - والرباطاب من بربر إلى أبو حمد - والمناصر من أبو حمد إلى آخر الشلال الرابع - والشايقية من الشلال الرابع إلى إقليم الدبة - والجوابرة (بنى جابر) بين الدناقلة والخس - والركابية ويشك فى نسبتهم إلى الجعليين وهم من العرب الشماليين ومواطنهم وسط بلاد الخس - والمجموعة وأتباعهم شمال وجنوب أم درمان إلى حدود الكواهلة - والجمع قرب النيل الأبيض إلى الجنوب من بلاد الكواهلة - والبديرية، بعضهم فى بلاد النوبة والبعض فى كردفان. هذا فضلاً عن قبائل أخرى مبعثرة بين كردفان والنيل الأبيض والبطانة^(٤).

وثمة ظاهرة توجب الالتفات، وهى أن الإقليم الذى تحتله المجموعة الجعلية على النيل من جنوب الخرطوم حتى دنقلة، غلبت عليه الصبغة العربية، مما يدل على أن هذه الجماعات التى هاجرت إلى هذا الإقليم على مدى القرون كانت قوية كثيرة العدد، حضرية لا تميل إلى حياة البداوة، ولهذا فضلت الاستقرار فى مدن على طول النيل^(٥)، على حين أن غيرها من الجماعات التى حافظت على بداوتها انتشرت غربا وشرقا وجنوبا فى طلب حاجات الرعى.

(١) محمد عوض محمد : نفس المصدر، ص ١٦٦.

(2) MacMichael, H.A. : SNR, I. Part I. 1918 p. 31.

(٣) محمد عوض محمد: السودان الشمالى ، ص ٢١١.

(٤) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ١٦٨.

(5) Chatway, J.D.P. : "Notes on the hist. of Fungs", SNR., XIII. part II., 1939. p 252

والجموعة العربية الثانية - في حوض النيل الأوسط بعد الجعليين من حيث عدد القبائل والبطون - هي المجموعة الجهنية التي تدعى الانتساب إلى عبد الله الجهني^(١). وإن كان يشك في صحة هذه النسبة، فإن جميع الشواهد تدل على نسبتها إلى قبيلة جهينة القحطانية التي عاشت حول ينبع من حوالي ١٣٠٠ سنة، ومن هذا المركز توالى هجراتها إلى مصر^(٢)، ثم توالى هجراتها جنوبا إلى بلاد النوبة وأوطان البجة منذ منتصف القرن التاسع الميلادي^(٣). وانتشرت جماعات من جهينة في أوطان البجة حتى وصلت سواكن في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، بدليل ما أشار إليه المقرئى من نشوب نزاع بينها وبين رفاعة سنة ٦٨١ هـ (١٢٨١ م) قرب سواكن^(٤)، ثم انتشروا جنوبا إلى أرض الحبشة. ولا بد أنها كانت من القوة بحيث يقول عنها ابن خلدون إنها حاربت الحبشة وأرہقتها حتى هذا الحين وهو أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

أما الجماعات الجهنية التي انتقلت إلى أرض مقرة فإنها احتشدت فيها حتى إذا كان منتصف القرن الرابع عشر، أخذت في الإنتشار جنوبا متبعة مواقع الغيث. ويدل هذا على أن جهينة سلكت في تقدمها جنوبا مسالك مختلفة، أهمها الطريق الشرقي عبر أوطان البجة، والآخر طريق النيل، ومنها احتلت أقاليم موزعة بين الأتبرا والنيل الأزرق شرقا إلى أقاصى دارفور غربا.

وتنقسم القبائل الجهنية في السودان إلى ثلاث مجموعات رئيسية: الأولى وتشمل رفاعة (ومعها أقرباؤها من القواسمة والعبد اللاب والعركيين وغيرهم) - اللحوين - والحلوين - والعوامرة - والحوالدة - والشكرية، ومواطنهم جميعا في أقاليم النيل الأزرق والبطانة، أى في النصف الشرقي من السودان. وتشتمل المجموعة الثانية على دار حامد - وبنى جرار - والزيادية - والبزعة - والشابلة - والمعاليا. ويطلق النسابون على هذه المجموعة اسم فزارة، ويعيشون في المنطقة الوسطى والشرقية من كردفان. أما المجموعة الثالثة فتشتمل على الدويحية - والمسلمية

(١) MacMichael, H. A. : A Hist, of the Arabs in the Sudan. L. 237.

(٢) Ibid. : op. cit. L. pp. 237 - 238.

(٣) سبق أن أشرنا إلى هجرة جهينة إلى جهات مختلفة من حوض النيل إلى أوطان البجة وبلاد النوبة منذ منتصف القرن التاسع الميلادي إلى القرن الخامس عشر.

(٤) المقرئى، السلوك، ج١، القسم الثالث، ص ٧٠٠.

والبقارة - والحاميد - والماهرة - والكبابيش - والمغاربة (الذين جاءوا من المغرب) -
والحمر. وهم منتشرون في كردفان ودارفور.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن هذا الانتشار الواسع لم يتم دفعة واحدة، بل استغرق عدة
قرون، وأن هذه الجماعات استقرت على شكل مجموعات متفرقة تحت سلطان ملوك علوة،
محافظة على نظامها القبلي^(١). ولا بد أنهم كانوا يدفعون أتاة لملوك علوة^(٢). ومن توالى
وصول هجرات جديدة على مر القرون كثرت أعدادهم كثرة واضحة. فتقول إحدى الروايات
الوطنية إنه كان لجهينة ٥٢ وحدة قبلية قرب سوبا على النيل الأزرق، وأكثر منها في الأقاليم
الغربية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي^(٣). ثم اشتد ضغط أعراب جهينة على ملوك
علوة الذين حاولوا دفعهم أو صدهم على قول ابن خلدون، ولما لم يستطيعون لهم دفعا
استمالوهم إليهم بالمصاهرة، فانتقل الملك إلى أبناء جهينة من بنات ملوك علوة حسبما يقتضى
به نظام الوراثة المعروف عند النوبيين جميعاً، «فافترق ملكهم حتى هذا العهد» (أى القرن
الخامس عشر الميلادي).

والمعروف أن مملكة علوة المسيحية تألفت من عدة ممالك صغيرة خاضعة للملك الكبير في
سوبا، وهذه الممالك الصغيرة هي التي انتقل سلطانها - دون سلطان الملك الكبير - إلى أبناء
جهينة. ويذكر الدمشقي (١٢٥٦ - ١٣٢٧ م) أن ملك علوة يسكن مدينة تسمى كوسة^(٤)
لا مدينة سوبا العاصمة القديمة وليس من المستبعد أن يكون ملك علوة اضطر أمام ضغط
الجماعات العربية المختلفة ومن بينها جهينة إلى نقل مقر ملكة في القرن الرابع عشر الميلادي

(1) Morie, L.J. ; Hisoire de l'Ethiopie, la Nubie Tome Iere, p. 413.

(٢) أنظر ص ٩١٢ وما بعدها.

(3) MacMichael : op. cit. II, p. 28.

(٤) الدمشقي: كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٢٦٨. أما كوسة لموقعها غير معروف تماماً،
ولكن الإدريسي يقول: «إن من بلاد النوبة مدينة كوسة الواغلة (أى الناخلة) وبينها وبين مدينة نوايبة ٦
أيام وهي تبعد عن النيل يسيراً وموضعها فوق خط الاستواء. والإدريسي: المغرب، وأرض السودان ومصر
والأندلس، ص ١٩.

Crawford, O.G.S.: The Fung Kingdom, p. 27 Note 29.

إن كوسة تقع قرب موضع يعرف بزافكور عند بدء وادى الملك حيث عثر على بقايا فخار ومباني تشبه ما
كان موجوداً في مملكة علوة المسيحية.

على الأقل إلى مدينة كوسة واتخذها عاصمة له^(١)، وبهذا تكون سوبا فقدت مركزها القديم كعاصمة لمملكة علوة، فأضحى شأنها وخربت دورها^(٢).

وعلى الرغم من انتقال العاصمة من سوبا إلى كوسة واستيلاء القبائل العربية على معظم أقاليم علوة، فإن هذا لا يعنى سقوط تلك المملكة حتى القرن الخامس عشر الميلادى على الأقل. ذلك بأن العرب لم ينشئوا حكومة مركزية تخضع لها سائر الأقاليم، لأسباب واضحة منها «عدم انقياد بعضهم إلى بعض فصاروا شيعا لهذا العهد»^(٣).

والواضح تماما أن قبائل جهينة لم تكن الوحيدة التى أفادت من تداعى مملكة علوة وانحلالها، بل شاركتها القبائل العربية الأخرى التى استقرت فى جهات متعددة من مملكة علوة. وعلى هذا نشأت فى جوفها عدة إمارات عربية مستقلة. ويذكر القلقشندي أن من بين الإمارات التى نشأت فى أوطان البجة حتى الحدود الحبشية وبلاد النوبة كذلك ثماني إمارات كان بين أمرائها والسلطنة المملوكية فى مصر مراسلات فى القرنين الثامن والتاسع للهجرة (الرابع عشر والخامس عشر للميلاد)^(٤). غير أنه ليس من الواضح تماما إن كانت هذه الإمارات يقع بعضها فى إحدى جهات علوة أو قريبا منها.

وكيفما كان الأمر، فالمعروف أنه منذ القرن الخامس عشر الميلادى على الأقل ظهرت عدة ممالك ومشيخات إسلامية فى حوض النيل الأوسط^(٥)، وكان لظهورها أثر خطير فى تطور

(١) Crawford, O.G.S.: op. cit. pp. 27- 28.

De Villard : op. cit. p. 220.

(٢) زار داود روينى الرحالة اليهودى اليمنى الأصل، مملكة سنار سنة ١٥٢٢م، ومر بمدينة سوبا سنة ١٥٢٣، فوجد أنها مخربة، وكل ما فيها عدة مساكن مبنية من القش واغشب.

Hillelson, S.: Reubini, SNR. XVI. part. I. 1933. p. 60.

(٣) ابن خلدون العبر، جـ ٥، ص ٤٢٩.

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى، جـ ٨، ص ٥-٦، أورد القلقشندي أسماء ثمان من الأمراء كانت بينهم وبين السلطنة المملوكية مكاتبات وهم: سمرة بن كامل العامري - وعباد بن قاسم - وكمال بن سوار - وجنيد، شيخ الجوابرة، الهكارية بأبواب النوبة - وشريف شيخ النمانمة بأبواب النوبة أيضاً - وعلى شيخ دغيم، وزامل الثانى، وأبومهن العمرانى. أما دنقلة فعليها ملك ولهذا أورد مكاتبة صاحبها فى جملة الملوك أنظر ملحق رقم ١٨.

(٥) نعوم شقر : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، جـ ٢، ص ١٠٣، ١٠٧، أورد المؤلف أسماء عدد من المشيخات والممالك التى دخلت فى حلف مع ملك الفونج، أوائل القرن السادس عشر الميلادى، ومن بينها: مشيخة الشنابلة، ومملكة الجموعية، ومملكة الجعليين فيما بعد لمشايخ العبد اللاب. هذا فضلا عن الممالك والمشيخات الأخرى التى خضعت لملوك الفونج رأساً. أنظر ملحق رقم ١٨.

الحياة الاجتماعية والسياسية كذلك، مما ساعد على زوال بعض الأسس التي قامت عليها الملكية المسيحية في علوة. ذلك أن اختلاط العرب المهاجرين بتنظيماتهم القبلية المفككة بالسكان الوطنيين ساعد على تفكك هذه الممالك المسيحية إزالة بعض التقاليد الاجتماعية القديمة ولاسيما بعد اختفاء معظم بيوت الإمارة القديمة، وأضحت الأرض ملكا للجماعة القبلية بعد أن كانت ملكا لنظام ملكي، وصارت الأرض توزع على الجماعة القبلية يقومون على استغلالها ودفع الضريبة عنها لشيخ القبيلة أوزعيم الدار.

وثمة تطور آخر طرأ على الحياة السياسية. ذلك أن الحكم أصبح وراثياً في بيت شيخ القبيلة أو الدار، وتكونت من مجموعات القبائل - في الإقليم الذي اتخذته داراً لها - زعامات إقليمية تولاهما شيخ المشايخ وهو عادة شيخ أقوى قبيلة المجموعة وعرف باسم المانجل^(١). وبهذا اختفى نظام الوراثة القديم، أي نظام الأمومة.

ولعل أهم أثر لقيام هذه المشيخات الإسلامية في حوض النيل الأوسط، هو ازدياد انتشار الإسلام بين كثير من أهل البلاد، وذلك أنه لما رأت القلة التي بقيت على النصرانية أن لا أمل لها في قيام حركة للإصلاح في مجتمعهم بسبب انقطاع علاقاتهم الدينية بكنيستهم الكبرى في الاسكندرية، كان من الطبيعي أن ينشدوا ما يسد رمقهم الروحي في الدين الجديد الإسلامي^(٢).

وقد أدت هذه الاحداث في هذا الجزء من حوض النيل، إلى عدم استقرار الأحوال فيه بسبب اختلال الأمن، والنزاع بين القبائل العربية حول مواطن الرعي من ناحية وبينها وبين الوطنيين من ناحية أخرى^(٣)، مما أدى إلى تدهور الأحوال الاقتصادية. وزاد الأمور تعقيداً تعطيل التجارة بين هذه البلاد وبين مصر، واختلال سير القوافل بينهما، بسبب اضطراب

(١) ربما أخذت هذه الكلمة عن الاثوية ومعناها عظيم.

Budge: The Egyptian Sudan. II, p. 212.

أما المانجل فأصلها غير معروف وكانت من أرفع الألقاب فيما بعد في مملكة الفونج، وكذلك. لقب أرباب

(٢) أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٠٠.

(٣) نعوم شقير: نفس المصدر، ج٢، ص ٧٢.

الأحوال في منطقة النوبة الشمالية^(١). ولهذه الأسباب ظهرت الحاجة إلى إنشاء حكومة مركزية تخضع له شتى الجماعات والقبائل المتنازعة، لإقرار الأمن وحماية طرق التجارة القديمة. وتذكر المراجع الوطنية، أن عمارة دونقس زعيم الفونج جمع رجاله في جبل موي^(٢). ثم تحالف مع عبدالله جماع شيخ عرب القواسمة من جهينة وأصحابه الآخرين، على إخضاع ملك العنج وملك الغرب^(٣). ودارت في أريجي^(٤). معركة سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٥ م^(٥) انتصر فيها الحليفان، وفر العنج إلى جبال فازوغلي وكردفان، ومن بقي منهم اختلط بالغزاة واعتنق الإسلام^(٦).

أما الفونج فاختلف المؤرخون حول أصلهم، ورأى البعض أنهم شعبة من الشلك مستندين في هذا على ما ذكره بروس الرحالة الاسكتلندي الذي زار سنار سنة ١٨٧١^(٧). وقيل إنهم قوم أتوا من الغرب، ويحتمل أن يكونوا فرعاً من الأسرة المالكة في مملكة برنو^(٨) وثمة رأى ثالث يقول إنهم هجرة عربية دخلت السودان من الحبشة بطريق النيل الأزرق^(٩). أما الفونج أنفسهم فيقولون إنهم من ذراري الأمويين الذين لجأوا إلى ملك الحبشة، فراراً من بني

(١) أنظر ص ٩٦١ وما بعدها.

(٢) يقع جبل موي على بعد عشرة أميال غرب منار الحالية. والراجح أن عمارة لم يبق في جبل موي، بل إنه كان يقيم في لمول Lamul حسبما ذكره روبيني الرحالة اليهودي الذي زار السودان سنة ١٥٢٢. ولمول هي الناقة الحالية Crawford : op. cit. p. 153 ويرى الأستاذ شبيكة أنها تقع في مكان بين كوكوج والرصيرص. تاريخ ملوك السودان، نشر شبيكة ص ٥.

(٣) أحمد كاتب الشونة: تاريخ ملوك السودان، نشر مكى شبيكة، ص ١. ويقصد بالعنج هنا السكان السابقين للفونج، أما ملك الغرب فربما يكون ملك علوة المقيم في كوسة كما ذكر الدمشقي.

(٤) يقال: إن أريجي أسسها رجل يدعى حجازي بن معين حوالي سنة ١٤٤٧ م.

Jackson, H. G. : Tooth of Fire, pp. 17 - 18.

(٥) يرى الأستاذ الشاطر أن تأسيس مملكة الفونج لا يرجع إلى سنة ١٥٠٥ بل إلى حوالي ١٥٢٣ لعدة أسباب من بينها أن روبيني زار عمارة في عاصمته لمول ولم تكن منار قد أُنشئت بعد، راجع معالم تاريخ سوادان وادي النيل ص ٢٣.

(٦) أحمد كاتب الشونة. تاريخ ملوك السودان ص ٢.

(7) Arkell, A. J. : "Fung Origins " SNR., XVII, PP. 208 - 243.

Bruce - Travels to discover the Source of The Nile IV. p. 458.

نقلاً عن

(8) Arkell, A. J. : A Hist. of The Sudan. pp. 206 - 207.

(9) Chatway, J. O. P. : "Notes on the Hist. of the Fong". SNR, XIII, II. pp. 247 - 257.

العباس^(١) ونجد لذلك تأييدا فيما أشار إليه كل من المسعودى^(٢) والمقرئى عن هجرة بقايا الأمويين إلى بلاد النوبة وساحل البحر الأحمر، ولا يبعد أن يكون بعضهم استقروا إما فى بلاد النوبة الشمالية ثم انتقل إلى أرض الجزيرة، أو أن بعضهم لجأ إلى الحبشة ومنها إلى أرض الجزيرة كذلك.

وكيفما كان الطريق الذى سلكه الفونج إلى جزيرة النيل الأزرق، أو درجة الصحة فى انتمائهم إلى العرب عامة أو بنى أمية خاصة، فموضع الأهمية فى الواقع فى هذه المرحلة من تاريخ الفونج أن أولئك القوم، سواء هبطوا جزيرة النيل الأزرق من الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب، عرضوا أنفسهم على قاعدة أنهم عرب ووافقهم الناس على نسبتهم هذه^(٣)، لا سيما وأنهم لم تكن لهم لغة سوى العربية^(٤)، أو يدينون بدين سوى الإسلام.

وتدل شروط الحلف بين الخلفين عمارة وعبد الله، أن يكون عمارة هو المقدم على زميله فى الزعامة وحمل لقب ملك. وأن يحل عبد الله محله مدة غيابه، أى أنه كان بمثابة نائب ملك، وحمل لقب شيخ. وانتقل هذا النظام الذى وضع أساسه الخليفان إلى أولادهما من بعدهما^(٥).

اتخذ عبد الله مدينة قرى (قرب خانق مبلوقة) مقرا له، واختط عمارة مدينة سنار^(٦) لتصبح عاصمة مملكة الفونج التى امتدت مساحتها من سواكن شرقا إلى النيل الأبيض غربا، ومن أقصى جبال فازوغلى جنوبا إلى الشلال الثالث شمالا. أى أنها اشتملت على معظم النوبة العليا (علوة) وقسم كبير من بلاد النوبة الشمالية (مقرة). ويقال إن حملة حربية أرسلها ملك سنار لإخضاع النوبة السفلى، ووصلت حتى الشلال الثالث ولما أراد قائد الحملة التقدم

(1) MacMichael, H. A. : A Hist. of the Arabs in the Sudan, II. BA., PP. 36 - 37.

(2) المسعودى : التنبيه والإشراف، ص ٣٢٩ - ٣٣٠، المقرئى: المواعظ والاعتبار، ج١، ص ١٩١. أنظر الملحق رقم ١٢.

(3) أعلن عمارة هذه النسبة وغيرها فى رسالة بعث بها إلى السلطان سليم سنة ١٥٢٠ م ليثنيه عن غزو سنار لأنها أرض إسلام وسكانها عرب، شقير، ج٢، ص ٧٣.

(4) Nadler, L. F. : " Fang Origins" SNR, XIV, part I. 1391. p. 61.

(5) نعم شقير: نفس المصدر، ج٢، ص ٧٣.

(6) ومدينة سنار التى أسسها عمارة خلاف سنار الحالية وهى تبعد عنها بحوالى ثلاثة أميال.

شمالاً هزمته جيوش الغز الأتراك عند حنك وظلت حنك تمثل حداً فاصلاً بين نفوذ الفونج جنوباً وبين نفوذ الغز الأتراك الذي شمل النوبة^(١) السفلى من حنك إلى أسوان.

وأضحت مدينة أربجي (قرب المسلمية) الحد الفصل بين نفوذ عبد الله الذي امتدت سلطته على جميع الوحدات القبلية حتى حنك (شمال دنقلة)^(١)، على حين أن سلطة عمارة امتدت على ما يلي هذه الأقاليم جنوباً. هذا ولم يباشر ملوك سنار أو حلفاؤهم سلطاتهم على مملكة الفونج بصفة مباشرة، بل عن طريق المكوك (شيوخ القبائل) الذين تمتعوا بشئ من الاستقلال، على أن يدفعوا الضرائب المقررة لخزانة الملك في سنار^(٢). واحتفظ ملوك سنار وحلفاؤهم في قرى بحق تنصيب الملك أو المانجل من بين أفراد أسرة الملك المتوفى^(٣).

وفي أيام عمارة امتد النفوذ العثماني إلى الشام ومصر. وقام العثمانيون بعملية تأمين الحدود الجنوبية على غرار ما فعل جميع السابقين. غير أن الامتداد العثماني اهتم بالناحية البحرية، لأن استيلاء العثمانيين على مصر كان مختلطاً في عوامله ودوافعه بما لمصر من سيطرة على تجارة البحر الأحمر، وكانت تلك التجارة مهددة تمام التهديد من ناحية البرتغاليين. وهذا هو تفسير اهتمام العثمانيين بالناحية الجنوبية، مما جعلهم يقيمون قواعد في سواكن ومصوع سنة ١٥٢٠م. وخشى عمارة من هذا الامتداد العثماني من ناحية البحر، فبعث إلى الباب العالي يذكر له أن دولته إسلامية، وأن رعيته عرب بادية لا يملكون ما يصلح لدفع الجزية للسلطان. وعزز عمارة هذه الرسالة بكتاب يحوى أنساب قبائل العرب في مملكته جمعه له السمرقندي أحد علماء سنار. ويقال إن السلطان العثماني اقتنع بصحة ما تضمنته هذه الرسالة فعدل عن حرب سنار^(٤).

(١) شقير: جـ ٢، ص ١٠٨. (٢) نعوم شقير: نفس المصدر، جـ ٢، ص ٧٣.

(٣) الملك أو المانجل، هو شيخ إحدى الوحدات القبلية التي تضمنها مملكة الفونج. وتقام حفلة تنصيب الملك أو المانجل الجديد بأن يجلسه ملك سنار أو شيخ قرى على الككر (الكرسي) ويلبسه طاقية ذات قرنين وبقلده سيفاً. ويلاحظ أن هذه التقاليد قديمة ترجع إلى عهد ملوك مقرة المسيحية. ولا نعرف إذا كان هذا متبعاً عند ملوك علوة أم لا.

Jackson, H. C. : op. cit p. 92.

(٤) لا نعرف شيئاً على وجه التحقيق عن السمرقندي الذي ينسب إليه جمع أوراق النسبة أو روايات زعماء القبائل عن نسبتهم وضمونها جميعاً في كتاب بعث به عمارة إلى السلطان سليم. وربما كان السمرقندي أحدى الفقهاء الذين أتوا من مصر للعيش في كنف ملوك الفونج والحصول على هباتهم. MacMichael op. cit. II, P. 7

هكذا تم ميلاد هذه الحكومات الإسلامية أوائل القرن السادس عشر الميلادي على أنقاض مملكة علوة المسيحية. غير أن المعروف أن هذه الحكومات اشتملت على عناصر مختلفة، عربية وحامية وشبه زنجية، فضلا عن خليط منها جميعاً، وهي ذات ثقافات مختلفة ومختلطة كذلك. وهذا ما يوضحه بعدهم الشديد عن الإسلام المعهود وسيطرة المعتقدات السابقة من مسيحية وفرعونية ويصف صاحب الطبقات حال هؤلاء وأولئك جميعاً عقب تأسيس مملكة الفونج بقوله «أعلم أن الفونج ملكت أرض النوبة وتغلبت عليها أول القرن العاشر سنة عشر بعد التسعمائة (١٥٠٥ م) وخطت مدينة سنار ولم تشتهر في تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن. ويقال إن الرجل يطلق المرأة ويتزوجها غيره في نهاره من غير عدة»^(١).

تصور هذه الحالة التي وصفها صاحب الطبقات نوع الثقافة التي سادت جهات حوض النيل الأوسط أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي). وهي تدل دلالة واضحة على اختلاط الإسلام بالعقائد والعادات الوطنية، فشارك المهاجرون أهل البلاد الأصليين في الجهل بقواعد الإسلام. ومرجع هذا في الغالب إلى أن العرب لم تكن تهتم حتى هذا الوقت بشرح تفاصيل الأسس التي يقوم عليها الإسلام^(٢)، بل كان الهدف بسط نفوذهم عليهم من ناحية أخرى. هذا والمعروف أن معظم أولئك المهاجرين كانوا على حال من البداوة، فنسوا الكثير من تعاليم الدين الإسلامي لبعد صلتهم بمواطن العلم والعلماء^(٣).

غير أن بعض المصادر السودانية تشير إلى وجود نوع من النشاط الثقافي في بلاد النوبة قبل قيام السلطنة السنارية. ومن الأمثلة على هذا ما تذكره إحدى الوثائق أن غلام الله بن عايد اليمنى الأصل، هبط أرض دنقله أواخر القرن الرابع عشر الميلادي واستقر فيها، لأنها كانت في غاية الضلالة والخيرة، لا فتقارها إلى العلم والعلماء. فعمّر غلام الله هذا المساجد وعلم أبناءه وتلاميذه من أبناء المسلمين تلاوة القرآن وعلمهم كذلك بعض العلوم الأخرى^(٤). ثم

(١) محمد ضيف الله: طبقات ود ضيف الله، نشرها إبراهيم صديق، ص ٥. والمقصود بالعدة المدة التي تقضيها المرأة بعد طلاقها أو وفاة زوجها، وبين عقد زواجها من آخر وهي ٤ شهور.

(٢) عبد المجيد عابدين: دراسات سودانية، ص م.

(٣) عبد العزيز أمين عبد المجيد: التربية في السودان، ج ١ ص ٥٦.

(4) MacMichael, H. A. op. cit. II. manusc. B. A. p. 36.

عرفت الدراسات الدينية في السودان باسم العلوم وأطلق على الفقهاء العلماء أو رجال العلم لأنه لم يكن هنا علم سوى دراسة العقيدة.

ظهر في نواحي أبو حليمة على النيل الأزرق - قبل قيام السلطنة السنارية - أولاد عون السبعة، وتولى أحدهم ويدعى الضير منصب القضاء في زمن الفنج^(١).

وإذا استثنينا الحالات التي استخدم فيها العنف لنشر الإسلام بين الجماعات السودانية والقضاء على العادات القديمة^(٢)، فإن أساليب الدعوة الإسلامية زمن الفونج كانت ضعيفة. وتميزت هذه المرحلة من تاريخ الدعوة بظهور طبقة من الفقهاء ورجال الصوفية الذين تعهدوها بأساليب جديدة قامت أساساً على شرح تفاصيل الدعوة ومبادئها للناس. والواضح مما ذكرته بعض المراجع السودانية المختلفة أن هذه الحركة العلمية مصدرها مصر والحجاز وبلاد المغرب وغيرها. ويرجع هذا في الغالب إلى هجرة أفراداً وأسرات مثقفة من هذه الدولة الإسلامية إلى جهات حوض النيل الأوسط لينزلوا في كنف ملوكها رغبة في عطائهم وإكرامهم، أو ليعيشوا في خيراتها وأراضيها الواسعة، أو ليتخذوه مأوى جديداً بعد أن ضاقت بهم أوطانهم^(٣). وفضلاً عن هؤلاء فإن كثيراً من أبناء مملكة سنار كانوا يرحلون إلى مصر لتلقى العلم بالأزهر ثم يعودون إلى بلادهم. ومنهم من كان يحج إلى بيت الله الحرام ويأخذ العلم عن أحد فقهاءها أو يأخذ الطريقة عن أحد مشايخ الطرق. وهؤلاء وأولئك جميعاً كان لهم أثر واضح في نشر الثقافة الإسلامية الدينية في مملكة سنار.

ومن الأمثلة الدالة على هذا ما تذكره المراجع بصدد هجرة بعض السناريين إلى مصر في طلب العلم أوائل القرن السادس عشر الميلادي. ومن بين هؤلاء محمود العركي الذي أخذ العلم عن ناصر الدين اللقاني وأخيه شمس الدين^(٤) ثم عاد إلى وطنه فأسس سبع عشرة مدرسة ما بين الحسانية (توتى) وأليس (الكوة). ويعد محمود العركي أول من طبق أحكام الدين الإسلامي في هذه المنطقة بتفقيه الناس وأمرهم بالعدة^(٥) في حدوده الضيقة.

(١) ذكرهم نعوم شقير، جـ ٢، ص ٧٦، أولاد ضيف الله، والحقيقة أنهم أولاد غلام الله. أنظر عبد العزيز عبد المجيد: التربية في السودان في السودان، جـ ١، ص ٥٩، حاشية ١.

(٢) ومن أمثلة هذا ما ذكره جاكسون، أن الملك عبد القادر الذي خلف أباه. الملك عمارة حوالي ١٥٣٧م ذهب إلى قتال السكان الوطنيين في جبل مويبا وجبل مقدي لأخراجهم من دينهم واحتلال بلادهم.

Jackson, H. C. : op. cit. p. 21.

(٣) عبد العزيز عبد المجيد: التربية في السودان، جـ ١، ص ٥٥.

(٤) توفي شمس الدين اللقاني في سنة ٩٣٥هـ - ١٥٣٠م.

(٥) محمد ضيف الله : طبقات ود ضيف الله، ص ٥، ص ١٦٣.

وامتاز النصف الثاني من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) بازدهار الثقافة الإسلامية فى مملكة سنار. إذ أن عددا من السناريين ارتحلوا إلى مصر لطلب العلم بالأزهر، ومن بين هؤلاء أولاد جابر الأربعة^(١) فأكبرهم إبراهيم المعروف بالبولاد تفقه على الشيخ محمد بنوفرى إمام المالكية فى مصر، وأخذ عنه الفقه والأصول والنحو ثم عاد إلى ترنج مسقط رأسه فى أرض الشايقية وكان أول من درس مختصر خليل فى مملكة الفونج وتخرج على يديه أربعون إنساناً صاروا كلهم أولياء وأقطاباً. ومن إخوة إبراهيم، عبد الرحمن الذى نهج نهجه ورحل إلى الأزهر وتلمذ على الشيخ بنوفرى. ومنهم من تردد على مصر من وقت إلى آخر للاتصال بعلمائها كما فعل الأخ الثالث إسماعيل، الذى أجازته الشيخ بنوفرى كذلك وغدت بلاد الشايقية مقصد الطلاب من أنحاء مختلفة فى مملكة الفونج فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى^(٢).

وحوالى سنة ٩٥٠ هـ (١٥٤٣ م) قدم من مصر الشيخ محمد القناوى المصرى الأزهرى الثقافة، تلميذ الشيخين سالم السهورى^(٣)، ويوسف بن عبد الباقي الزرقانى. ودخل بربر وأربعى وسنار، غير أنه فضل سكنى بربر وبنى بها مسجدا لتدريس الرسالة والعقائد والنحو وسائر العلوم، وولى القضاء فباشرة بعفة ونزاهة^(٤). وتخرج على يديه عدد من أبناء بربر

(١) وهم أولاد جابر بن عون سليم بن رباط بن غلام الله والد السادة الركابية، ولدوا فى ترنج بأرض الشايقية. ويقول صاحب الطبقات إن أولاد جابر كالطبايع الأربع، أعلمهم إبراهيم وأصلحهم عبد الرحمن وأودعهم إسماعيل وأعبدهم عبد الرحيم. والواضح أن هذه الأسرة احتفظت بمركزها العلمى منذ عهد جدها الأكبر غلام الله بن عايد أواخر القرن الرابع عشر الميلادى.

(٢) طبقات: ص ٦.

(٣) عبد العزيز عبد المجيد: التربية فى السودان ج ١ ص ٦٤.

(٤) طبقات، ص ٣١.

إن معظم ما جمعه عن الشيخ المصرى القناوى مأخوذ عن حفيده الشيخ مجذوب مدثر كبير مدرسى معهد أم درمان العلمى وشيخ الطريقة التيجانية فى السودان. والشيخ المصرى من مدينة إدفر بصعيد مصر من قبيلة النابية. ولما استقر فى بربر تزوج من قبيلة الميرافاب. وتعرف طبقة الفقهاء التى أخذت عنه وعن أولاده واتلاميده فى مدينة بربر حتى الآن اسم المصاروة. وللشيخ المصرى مؤلفات عديدة منها شرحه على البسملة فى المنطق وشرح على العقيدة المعروفة بالسوسية الصغرى وشرح على العشماوية.

وغيرهم منهم حفيده الشيخ المصوى^(١) المصري، والشيخ محمد بن عيسى سوار الذهب من أهل دنقلة^(٢).

ومن العلماء المصريين الذين قدموا إلى مملكة سنار في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري كذلك - الشيخ محمد بن علي بن قرم الكيماني المصري وهو شافعي المذهب وتلميذ الخطيب الشريني. فأقام في بربر ودرس المذهب الشافعي في بربر وأربجي ومن تلاميذه ابنه الشيخ الشكاك^(٣)، والقاضي دشن قاضي أربجي في عهد الشيخ عجيب المانجلك، وغيرهم كثير^(٤).

ثم وفد من الحجاز أحد أئمة الصوفية ويدعى تاج الدين البهاري البغدادي، وهو خليفة الطريقة القادرية الجيلانية. واستقر تاج الدين في أرض الجزيرة سبع سنين تمكن فيها من إدخال الطريقة الجيلانية بعد تسليك خمسة من المريدين منهم الشيخ محمد الهميم. ثم تولى هؤلاء تسليك غيرهم بعد عودة شيخهم إلى الحجاز^(٥).

وفي هذا الوقت أيضاً (أي النصف الثاني من القرن العاشر الهجري) قدم التلمساني المغربي على الشيخ محمد بن عيسى سوار الذهب وسلكه طريق القوم وعلمه علم الكلام، وعلوم القرآن من تجويد وروايات ونحوها. وانتشر علم التوحيد والتجويد في الجزيرة. ومن أخذ عنه عبد الله الأغيش من بربر^(٦).

(١) اتصل الشيخ المصوى بالمعزة وشندي القديمة وعلم بمسجدها كثيراً من الناس حتى قيل إن عدد من يحضر عليه بلغ الثلثمائة. وله مؤلفات منها «شرح المطول على القصيدة المعروفة ببده الآمال في فن التوحيد». وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة المعهد العلمي. وله رسالة على البسطة تكلم فيها عن نواحي كثيرة تقع في ٢٠ كراسة من القطع المتوسط. انظر الطبقات، ص ٣٢.

(٢) طبقات، ص ١٦٥.

(٣) وبعد الشيخ الشكاك صاحب المدرسة الثانية في بربر بعد مدرسة الشيخ المصري القناوي. وله مسجد في حلة السيد غرب بربر. قام الشيخ الشكاك بنشر الفقه الشافعي وأخذ عليه جماعة منهم أولاد الحاج. ومن الشافعية الذين تأثروا بمدرسة ابن قرم المصري جماعة تدعى الخفاف (الذين يلبسون خفا) وكانوا على صلة تامة بعلماء الأزهر.

(٤) محمد ضيف الله: طبقات ص ١٦٩.

(٥) المصدر السابق ص ٤٤، ٤٥، ٣٥.

(٦) طبقات، ص ٥. يقول الشيخ مجذوب مدثر إن الشيخ عبد الله الأغيش قدم من دنقلة في القرن العاشر وأسس مسجده غرب مدينة بربر وعلم فيه القرآن وتخرج عليه عدد يقدر بالمئات. ومدرسة الأغيش كانت مشهورة بعلم القراءات.

وتمتع أولئك المشايخ بنفوذ واسع في مملكة سنار، فأقطعوا الإقطاعات الواسعة، ولم يرد لهم طلب عند الحكام والملوك، ومن استجار بهم^(١) فهو آمن غضب السلطان،

والواضح من دراسة حياة أولئك الرواد أن مصر هي المصدر الأساسي للثقافة التي ظهرت في مملكة سنار في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)^(٢). ومن الملاحظ هنا أن الأثر المصري يتميز عن غيره بأنه ذو طابع علمي في معظمه يتجه إلى عموم الناس. فإن أولئك الذين أخذوا عن علماء الأزهر «بالمباشرة أو الواسطة»^(٣)، اتجهوا إلى تعليم الناس الفقه والتوحيد واللغة وغيرها من العلوم، على حين أن الطابع الصوفي كان غالباً على تعليم الثقافة الحجازية والمغربية^(٤).

ومن الملحوظ هنا كذلك أن الطابع العلمي الذي تأثر به السناريون اتجه إلى حصر الانتباه في العلوم النقلية، التي سادت العالم الإسلامي منذ القرن العاشر الهجري بعد أن تغيرت أساليب التربية الإسلامية على يد الأتراك، انصرف العلماء إلى التأليف والتحرير لا إلى الاجتهاد والتخريج، وميل معظم علماء هذا العصر إلى اختصار ينقصه الشرح والتعليق^(٥). أما عن المذاهب الدينية، فالسناريون غلب عليهم مذهب مالك بسبب اتصالهم بأهل صعيد مصر الذين غلب عليهم هذا المذهب^(٦) وأما الدراسة العلمية لهذا المذهب فقد ظلت مزدهرة بالأزهر إلى جانب المذاهب الأخرى، وانتقلت دراستها إلى بلاد الفوج على يد خريجي الأزهر، سناريين ومصريين مثل الشيخ إبراهيم البولاد والشيخ محمد القناوي المصري وغيرهما. وعلى الرغم من أن انتشار المذهب الشافعي كان محدوداً إلا أن القليل من علماء الشافعية الذين تخرجوا في الأزهر وتلاميذهم، كان لهم أثر واضح في نشر تعاليم الإسلام. ومن هؤلاء

(١) عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٥٨.

(٢) عبد العزيز عبد المجيد: التربية في السودان، ج ١، ص ٧٠.

(٣) المباشرة - يقصد بها هنا السودانيون الذين رحلوا إلى مصر وأخذوا العلم عن علمائها هناك أو العلماء المصريين الذين قدموا إلى السودان حيث نشروا علومهم، أما الواسطة فتعني أولئك الذين أخذوا العلم عن السودانيين الذين جاءوا من مصر.

(٤) عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص ٥٦ - ٥٧.

(٥) عبد العزيز عبد المجيد: التربية في السودان، ج ١، ص ٥٢.

(٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٦.

محمد بن قرم الكيماني المصري تلاميذه عبد الله العركي والقاضي دشين الشافعي قاضي أربعى وعبد الرحمن ولد حمدتو والشيخ ابراهيم الفرضي وغيرهم^(١).

وانتشرت علوم القرآن في مملكة سنار أواخر القرن العاشر الهجري، ويقال إن الشيخ محمد سوار الذهب من دنقلة تلقى علوم القرآن على التلمساني المغربي^(٢) كما تلقاها من قبل على الشيخ محمد القناري المصري في بربر^(٣). وليس من المعروف تماما أيهما كان أقوى أثرا. غير أن انتشار قراءة ورش في دنقلة وأبي عمرو في معظم جهات مملكة سنار - وهما القراءتان الشائعتان في بلاد المغرب - يدل على تأثير السناريين ببلاد المغرب في علوم القرآن أكثر من تأثيرهم بمصر^(٤).

والى جانب الثقافة العلمية، ظهرت في مملكة سنار منذ القرن العاشر الهجري بوادر ثقافة دينية صوفية كذلك. وهي الثقافة التي كانت شائعة في هذا الحين في بلاد العالم الإسلامي مثل الحجاز والعراق ومصر وبلاد المغرب، ومنها تسربت إلى مملك سنار على يد بعض الدعاة أو المواطنين الذين اتصلوا بمنابعها. وللسناريين صلات غير منقطعة بالحجاز ولا سيما في موسم الحج لطلب العلم على علماء الحرمين، ثم أن بعض قادة الصوفية في الحجاز وبلاد المغرب قدموا إلى مملكة سنار حيث طاب لهم فيها المقام^(٥)، لترحيب السناريين بهم وتشجيع ملوك الفونج لهم^(٦). ولقيت الطرق الصوفية في مملكة سنار منبعا خصبا، ويرجع هذا في الغالب إلى أن كثيرا من المشايخ أظهروا من الصفات ما جعل الناس يتهافتون عليهم ويتخذونهم ملاذا في ساعات الضيق والعسرة^(٧)، كما أن الحروب والانقسامات الداخلية التي سبقت عصر الفونج أورثت في نفوس السناريين في هذا العهد رغبة شديدة في حياة مستقرة، مما دعاهم إلى الاستجابة لدعوة أولئك المشايخ الذي أظهروا مع قيام مملكة الفونج للانتظام في سلك العبادة^(٨).

(١) محمد ضيف الله: طبقات، ص ١٦٩.

(٢) نفس المصدر السابق، ٥. (٣) المصدر السابق: ص ١٦٥.

(٤) هذا هو رأى فضيلة الشيخ محمد المبارك عبد الله شيخ علماء السودان.

(5) Trimingham . J. S. : Islam in The Sudan, p. 195.

(٦) عبد المجيد عابدين: نفس المصدر، ص ٦١.

(٧) عبد المجيد عابدين: نفس المصدر، ص ٦٢.

(٨) المصدر السابق: ص ٦٣.

ويقال إن الطريقة الشاذلية^(١) ، دخلت السودان قبل قيام مملكة الفونج ، على يد الشريف حمد أبي دنانة سنة ١٤٤٥ م. ثم رسخت دعائمها زمن الفونج على يد الشيخ خوجلي عبد الرحمن المتوفى سنة ١٧٤٣ م والذي كان أول أمره قادريا ثم تحول شاذليا^(٢).

ويظهر أن هاتين الطريقتين عندما دخلتا بلاد سنار، لم يكن لهما هيئة مركزية منظمة، تضم الشيخ الأكبر وخلفاءه ومريديه، بل كانت الطريق تسلك على يد شيوخ كثيرين منتشرين في أنحاء البلاد مستقلين عن بعضهم إلا من حيث الرباط الروحي الذي يربطهم جميعا باعتبارهم من أتباع طريقة واحدة. ولم يدخل التنظيم على هذه الطرق إلا في القرن التاسع عشر الميلادي.

ومن الملحوظ هنا أن بعض الفقهاء السناريين أصبحوا شيوخا صوفية ومن هؤلاء الشيخ عبد الله العركي. على أن أغلب رجال الصوفية في هذا العهد (القرن العاشر الهجري) كان من غير العلماء ومن هؤلاء خليل بن علي الصاردي الذي كان في أول أمره خمارا شرابا^(٣). ومنهم الشيخ محمد الهميم الذي كان من أكبر قادة الصوفية في مملكة سنار مع كونه أميا لم يقرأ إلا لغاية الزلزلة^(٤). وقد يكون بعض السبب في هذا راجعا إلى أن الناس في هذا الوقت (القرن العاشر الهجري) كانوا لا يزالون في مستوى ثقافي لم يتوافر فيه التعرف على حقيقة التعاليم الإسلامية وتدبر أصول الدين مما جعلهم لا يميزون بين مما هو من أصل الدين وما هو بدعة فيسهل التأثير فيهم، ويتملكهم كل شيء طريف غير مألوف، كالتحدث بالغيب والكرامات وادعاء الطب الروحاني ، ولا سيما إذا جاء هذا عن طريق الدين^(٥).

وكيفما كان الأمر فإن أثر الطرق الصوفية يبدو واضحا في التقريب بين الجماعات الجنسية،

(١) تنسب الطريقة الشاذلية إلى أبي الحسن الشاذلي ١١٩٦ - ١٢٥٨ م ولد في شاذلة في تونس وانتشرت طريقته في مراكش في القرن الخامس عشر الميلادي على يد أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي مؤلف دلائل الخيرات. ويقال إن إحدى بناته تزوجت من الشريف حمد أبي دنانة الذي نزع إلى السودان ومعه ابنة السيد بن الحسن وسكنوا البقعة المسماة بالحمية وحينئذ عرف الناس الطريقة الشاذلية.

(2) Trimingham, : op. cit. pp. 196 - 197.

(٣) محمد ضيف الله: طبقات ، ص ٨٤.

(٤) المصدر السابق : ص ١٥٠.

(٥) عبد العزيز عبد المجيد: نفس المصدر، ص ٢٣٤.

لأنها تعمل على إضعاف العصبية القبلية وإيجاد نوع من التعاون بين الجماعات المختلفة^(١). ومن ذلك أن التجمع الصوفي كان نواته شيخ الطريقة، يجتمع إليه الناس ويصبحون تحت لواء الشيخ طريقة واحدة تجمع الدعوة شملهم على اختلاف قبائلهم وسلالاتهم.

وهكذا يمكن القول إن القرن السادس عشر الميلادي كان عهد انتقال من المسيحية إلى الإسلام البدوي على أيدي جماعة من العلماء الذين وفدوا من البلاد المجاورة ، أو من الوطنيين الذين أخذوا العلم عن أولئك العلماء الوافدين.

خاتمة

كما سبقت دراسته يمكن القول إن الجزء الممتد من أسوان في الشمال إلى جنوبي التقاء النيلين الأبيض والأزرق في الجنوب ، عرف كله أو أجزاء منه - في العصور القديمة بأسماء مختلفة. غير أنه ظل يعرف في العصور الوسطى باسم النوبة. وهو اسم سبق العرب في الإشارة إليه المؤلفون اليونانيون والرومان وغيرهم منذ القرن الثالث قبل الميلادى . ولعل كلمة نوب (ذهب) كانت من بين الأسماء التي أطلقت على هذه الأقاليم منذ أقدم العصور التاريخية المصرية .

ويبدو من وصف الكتاب القدماء ومؤلفي العصور الوسطى كذلك لهذه المنطقة ، أنه لم يطرأ تغيير ظاهر على بيئتها الطبيعية ، ما خلا ما تناوله يد الإنسان بالتعديل أحيانا وبالتهديب أحيانا أخرى.

أما النوبيون فهم شعب قديم في أوطانه، وهم حاميو الأصل مثل قدماء المصريين في عصر الأسرات الأولى وما قبلها . ثم أخذت بلاد النوبة منذ عهد الأسرة الثالثة المصرية، وعلى مدى العصور، تستقبل جماعات حامية من الشرق والغرب وجماعات مصرية من الشمال، كما أنها أخذت تستقبل من الجنوب جماعات نيلية (زنجية). وظهرت آثار هذا الخليط بوضوح في مخلفات المجموعة الثقافية (X) ببلاد النوبة وهي ثقافة الجماعات النوبية التي استقبلت الدعوة المسيحية في القرن السادس الميلادي . أما عن حضارة أصحاب هذه المجموعة الثقافية فتدل

(١) محمد عوض محمد: السودان الشمالي، سكاني وقبائله، ص ١٧ - ١٨.

آثارها على أنهم قوم مارسوا الزراعة بوصفها حرفة أساسية تساندها حرفة الرعى، ولوحظ اختفاء الطابع المصرى فى بناء المقابر وطرق الدفن، وكثرة وجود الضحايا البشرية والحيوانية. وهى تمثل خليطا من حضارات ييزنطية ومروية لم تخل من الآثار البدائية. ثم أن اللغة النوبية ذات أصل حامى ثم دخلتها بعض المؤثرات الزنجية. وأن وجود بعض الشبه بين اللغة النوبية على النيل وبعض لغات جبال النوبا بكردفان وغيرها، لا يعنى أن سكانهما يرجعون إلى أصل واحد يل يرجع - فى الغالب - إلى هجرة نوبية من النيل إلى بعض جهات كردفان، حيث تركت بعض آثارها اللغوية. وربما كان للاتصال التجارى بين النوبيين وغيرهم من سكان الجبال أثر فى نشر اللغة النوبية بينهم.

خضعت بلاد النوبة لنفوذ دولة كوش وعاصمتها نباتا التى ظلت تمثل مركزا لنوع من الحضارة المصرية حتى فقدت أهميتها منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد فورثتها مروى من سنة ٣٠٠ ق.م. إلى سنة ٣٥٠م. ويلاحظ أنه فى هذا الدور، أخذت الثقافة المصرية تتضاءل شيئا فشيئا حتى غدت مزيجا من ثقافات مصرية ويونانية ورومانية فضلا عن ثقافات حبشية. ويظهر أن ملوك مروى لم يستطيعوا بسط نفوذهم بصفة دائمة على جميع الأقاليم التى خضعت لهم من قبل بل إن بعض جهاتها استقل تحت حكم أمرائها الوطنيين ولاسيما المنطقة الممتدة من جنوبى أسوان حتى الخرقة، وهى المنطقة التى عرفت باسم دوديكاشينوس. ومع هذا لم يجنح البطالمة إلى التوسع جنوبا، فنشأت بين الدولتين علاقات طيبة كان من نتيجتها أن أعلن حكام هذه المنطقة الانضمام إلى مصر.

وإذا خلف الرومان فى حكم مصر سنة ٣٢ ق.م.، ادعوا حقوقا فى تلك المنطقة، باعتبارهم ورثة البطالمة، وقد تغلبوا على محاولات الكوشيين لا استردادها مدة من الزمن. ويظهر أن الرومان كانوا يهدفون إلى توسيع العلاقات التجارية بين مصر وجهات حوض النيل الأوسط، فأقاموا بمنطقة دوديكاشينوس حاميات عسكرية، وقاموا بسلسلة من مشاريع التعمير فيها، وحاولوا كذلك إقامة علاقات صداقة بينهم وبين القبائل التى تعيش فى الجنوب والغرب (فى كردفان ودارفور) لتحقيق أغراضهم التجارية. وهذا هو سر تمسكهم بمنطقة دوديكاشينوس. غير أن هذه السياسة لم يقدر لها النجاح بسبب إغارات البليمين الذين استقرت بعض شعبهم فى جهات النوبة السفلى جنوبى الخرقة منذ عهد البطالمة. ويظهر أن الحركات البليمية ضد الرومان اصطبغت بصبغة قومية بدليل اشتراكهم فى بعض الحركات

القومية المصرية ضد الرومان سنة ٢٥٠م. واتسعت دائرة هذه الحركات البليمية فشملت جهات طيبة وأسوان . ومع أن الرومان استطاعوا التغلب على هذه الحركات المعادية لهم سنة ٢٨٠م، إلا أنه بدا لهم صعوبة الاحتفاظ بمنطقة دوديكاشينوس لا استمرار إغارات البليمين من ناحية وفقرها من ناحية أخرى . واتجهت سياسة الامبراطور دقلديانوس إلى التخلي عنها، على أن يحل النباطيون محل الرومان في المنطقة التي انسحبوا منها ، ليقوموا بدور المنطقة الحاجرة بين البليمين في الجنوب وبين الرومان في الشمال . ولا يعنى انسحاب الرومان من منطقة دوديكاشينوس ، أنهم تخلوا عن مشروعاتهم التجارية فيما خلفها جنوباً، بل حاولوا البحث عن حليف قوى والاعتماد عليه في الحصول على تجارة الشرق (الهند والصين وشرق أفريقيا) وفتح طريق التجارة إلى قلب أفريقيا . فاتجه الرومان إلى دولة أكسوم، لتوثيق علاقاتهم بها واستغلالها في قمع حركات البليمين والنوبا كذلك. وبدأت بوادر هذه السياسة منذ سنة ٣٨٥م على عهد الامبراطور أورليان. واستمر اتصال التجار الرومان بدولة أكسوم، حتى إذا كان عهد الامبراطور قسطنطين الأكبر (٣١٣ - ٣٣٧م) تم عقد معاهدة تجارية بين الرومان وملك أكسوم على يد التاجر الصوري فرومنتيوس. ثم اعتق عيزانا ملك أكسوم المسيحية سنة ٣٤٠م، على يد فرومنتيوس الذي عمده البطريك أناسيوس أسقفاً لأكسوم. غير أن الغرض التجاري لمهمة فرومنتيوس، يبدو واضحاً، حين قام الملك عيزانا بحملته المشهورة على مملكة مروي حوالى منتصف القرن الرابع الميلادى، لتأديب النوبا والبجا (البليمين) الذين يغيرون على جيرانهم. وليس من المستبعد أن يكون هذا تم بإيعاز من فرومنتيوس، لفتح الطريق للتجارة من جديد.

غير أن هذه السياسة لم تضع حداً لحركات البليمين المعادية للرومان، بل على العكس من هذا فقد زادت حدتها. ذلك أن البليمين بدأوا يحسون بالخطر المسيحي المزدوج عن طريق أكسوم بعد اعتناق الملك عيزانا المسيحية، وعن طريق مرسوم تاوداسيوس (٣٨٥م)، الذى قضى بإبطال جميع مظاهر الديانات السابقة للمسيحية فى الامبراطورية الرومانية، ولهذا، بدأ البليميون سلسلة إغاراتهم على الأطراف الرومانية، فاحتلوا معظم إقليم دوديكاشينوس، وأغاروا على إقليم طيبة والواحة الخارجة سنة ٤٢٩م. وبدل اشتراك النباطين مع البليمين على الغلود إلى السكينة مدة مائة عام بعد هزيمتهم على يد القائد الرومانى مكسيمينوس ثم فلورس فى منتصف القرن الخامس الميلادى، إلا أن السماح لهاتين القبيلتين بالحج إلى قبلة، وحمل تمثال

معبودتهم إيزيس إلى أوطانهم يحمل على الظن أن الرومان لم يرغبوا حتى هذا الحين (منتصف القرن الخامس الميلادى) فى فرض المسيحية بالقوة على هؤلاء القوم. وكيفما كان الأمر فإن البليمين والنباطيين حافظوا من جانبهم على تنفيذ معاهدة الصلح التى عقدها مع مكسيمينوس وفلورس، وظلوا على ولائهم لمعبوداتهم وخاصة إيزيس التى كانوا يحجون إلى معبدها فى فيلة كل عام. ولعل ضخامة هذه المراكب وتجمعها كل عام فى قلب أسقفية فيلة وأسوان - حيث توجد الكنائس والأديرة المسيحية - آثار القلاقل من جديد مع قرب انتهاء أجل الهدنة، لا سيما وأن النزاع بدأ يدب بين البليمين والنباطيين.

ورأى جستنيان ضرورى القضاء على العبادات الايزيسية فى فيلة، على أن يسبق هذه الحركة طرد البليمين من منطقة دوديكاشينوس، لتحكمهم فى المسالك المؤدية إلى فيلة. وانبرى لهذه المهمة ملكو النباطين الذى - فيما يبدو - كان على علاقة بالبيزنطيين بفضل ثيودور أسقف فيلة وأسوان، وشن ملكو على البليمين حربا شعواء سنة ٥٣٥م. تمكن بعدها من طردهم إلى الصحراء الشرقية. ولا يعد أن يكون تم له هذا بمساعدة البيزنطيين. وبهذا تم ميلاد مملكة نوباتيا التى أضحت فرس عاصمتها.

ثم كانت الخطوة الطبيعية وهى إغلاق معبد فيلة، وقد قام القائد البيزنطى نارسس بهذه المهمة تنفيذاً لأمر الامبراطور جستنيان حوالى سنة ٥٤٣م. وتم تحويل هذا المعبد إلى كنيسة، وبهذا أضحى الطريق ممهدا لدخول المسيحية بلاد النوبة بصفة رسمية فى منتصف القرن السادس الميلادى.

وعلى الرغم من أنه لم يرد نص صريح عن نشاط تبشيري رسمى ببلاد النوبة قبل القرن السادس الميلادى، إلا أن معظم الروايات التاريخية ترجح دخولها عن طريق مصر، أما الطريقة التى دخلت بها المسيحية بلاد النوبة قبل القرن السادس الميلادى، ومعرفة دعائها الأول، فإن شيئا من هذا لم يعرف على وجه التأكيد، مع العلم بأن بطريرك الكنيسة المصرية يحمل لقب بطريرك الإسكندرية والحبشة والنوبة وبنتابوليس (الخمس المدن الغربية) منذ عهد المسيحية الأول (القرنين الأول والثانى). هذا والمعروف أن المسيحية حين ظهرت فى مصر فى القرن الأول الميلادى، اجتذبت إلى صفوفها عددا من المصريين وغيرهم من سكان البلاد. غير أن الاضطهادات التى حلت بهم وخاصة منذ منتصف القرن الثالث الميلادى أدت إلى هجرة كثير

من المسيحيين المصريين إلى منطقة طيبة والصحراء الغربية وجهات النوبة السفلى والوسطى. وغدا كل من إقليم طيبة والواحة الخارجة مراكزا هاما لنشر الدعوة المسيحية في بلاد النوبة منذ منتصف القرن الرابع الميلادى. ولم يكد يرفع الاضطهاد عن المسيحيين المصريين على عهد قنسططين الأكبر لاعترافه بالمسيحية ديانة رسمية حتى واجهوا اضطهادا جديدا بسبب مانشب بين المسيحيين أنفسهم من خلاف حول طبيعة المسيح. فازدادت هجرة المسيحيين المصريين إلى جهات طيبة وأسوان، حيث أنشئت الأديرة والكنائس. وتطلب الأمر إنشاء أسقفية في فيلة في منتصف القرن الرابع الميلادى. ويبدو أثر هذه المراكز المسيحية الجديدة التى نشأت بالقرب من أوطان النوبيين ساهمت فى نشر المسيحية بينهم، فيما تذكره بعض القصص عن جهود الرهبان فى التبشير للمسيحية فى بلاد النوبة، ومحاولة أولئك الرهبان كسب ود الجماعات من النوبيين والبلبيين، كما فعل الانبا شنودة كبير رهبان دير اخميم فى منتصف القرن الخامس الميلادى. وهذا فضلا عن الدور الذى قام به ثيودور أسقف فيلة فى التمهيد لدخول النوبيين جميعاً فى الدين المسيحى فى القرن السادس الميلادى. ثم أن البيزنطيين، لجأوا إلى إغراء البلبيين إلى المسيحية بأن أقطعوا بعضهم اقطاعا فى منطقة طيبة ليتسنى لهم السيطرة على أوطانهم والاتصال بدولة أكسوم المسيحية لتنفيذ مشاريعهم التجارية فى البحر الأحمر والمحيط الهندى والقضاء على نفوذ الحميريين التجارى.

ثم بدأت المرحلة الحاسمة لإدخال النوبيين جميعاً فى المسيحية فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى، حيث أخذت صورة النزاع المذهبى بين الكنيستين المصرية والبيزنطية والسباق بينهما لكسب الأنصار تنعكس على النوبة كذلك. فقامت بعثة الكنيسة المصرية برئاسة يوليان، وقدر لها الوصول إلى مملكة نوباتيا قبل البعثة الامبراطورية بفضل نفوذ الامبراطورة ثيودورا وموضع الأهمية هنا أن الملك النوبى وأمراءه وأفراد أسرته، قبلوا التعميد على مذهب الكنيسة المصرية والذى مهد له من قبل على يد المهاجرين المصريين وثيودور أسقف فيله، على حين أن بعثة الامبراطور جستينيان قد لحقها الفشل فى نوباتيا. وأتم القس لونغينوس ما بدأه سلفه يوليان فى نوباتيا ٥٦٩م. وعلى الرغم من الدسائس التى حاكها له الملكانيون فقد لى دعوة ملك علوة لزيارة مملكته وتعميده ورجال دولته سنة ٥٨٨م. وبهذا تم تنصير مملكتين من ممالك وادى النيل الأوسط على مذهب الكنيسة المصرية. أما المملكة الثالثة - مقرة - فلم يشر إليها يوحنا الأفسى - وهو المؤرخ المعاصر لهذه الحوادث جميعاً. غير أن

صمت يوحنا الأفسسى - المونوفيزى المذهب - يوحى بنجاح البعثة الملكانية فى تحويل ملك مقرة إلى المسيحية على المذهب الملكانى، ونجد لذلك تأييدا فيما ذكره يوحنا البكارى الملكانى المذهب. إذ يشير إلى اعتناق أهل مقرة والجرمنتين (القرعان) للديانة المسيحية سنة ٥٦٩م.

أما المذهب الذى ساد أخيرا ممالك النوبة المسيحية الثلاث فهو مذهب الكنيسة المصرية، بسبب خلو الكرسى البطريركى للكنيسة الملكانية بالإسكندرية ما يقرب من قرن، ومنع إرسال أساقفة ملكانيين إلى مقرة أو غيرها.

ويمكن رسم صورة تقريبية لمدى تأثير النوبيين بالمسيحية من الطريقة التى تلقوا بها تعاليم هذا الدين الجديد، ونوع هذه التعاليم. ذلك أن يوليان ولونجينوس بدءا بتعميد الملوك والأمراء ثم بعض أفراد الشعب. ومن غير المعقول أن يتم تعميد جميع النوبيين فى المدة القصيرة التى قضاهما كل منهما فى بلاد النوبة. والواضح أن النوبيين اعتنقوا المسيحية بأمر ملوكهم. ولا بد أن عملية التبشير أخذت أبسط أنواع صورها لتلائم ظروف البيئة البدائية وثقافة السكان. ولا بد أن تكون التعاليم التى تلقوها خرجت أحيانا عن أصولها للحصول على كسب سريع. ولكن على الرغم من بقاء بعض النوبيين على وثنتهم فى الوقت الذى كان يقوم فيه يوليان ولونجينوس بعملهما فى بلاد النوبة فإن للاقباط - الذين هاجروا من مصر على أثر الغزو الفارسى لها سنة ٦١٩م، واضطهاد الملكانيين لهم بعد استرداد البيزنطيين مصر - فضل كبير فى نشر الديانة المسيحية بينهم.

أما عن تنصير البليمين (البجا) فالمعروف أنهم ظلوا على وثنتهم باستثناء جماعات قليلة منهم اعتنقت المسيحية. ولا يعد أن يكون لولونجينوس عمدة بعض زعمائهم أثناء مروره بأوطانهم فى طريق سفره إلى علوة سنة ٥٨٨م. ثم أخذت المسيحية تتسرب إلى ديارهم رويدا رويدا بعد الغزو العربى لمصر.

أما عن اضمحلال ممالك النوبة المسيحية فيرجع إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية. أما العوامل الداخلية فإنها ذات علاقة بالمستوى الحضارى الذى وصل إليه النوبيون بعد أن استقبلوا الدعوة المسيحية والنظم التى أقاموا عليها مجتمعهم المسيحى، وظروف البيئة الطبيعية

التي عاشوا فيها. والمعروف أن النوبيين حين استقبلوا الدعوة المسيحية كانوا ذوى حضارة معينة كشفت عنها الأبحاث الأثرية في بعض جهات النوبة السفلى وهي التي عرفت باسم ثقافة المجموعة (X) وهي مجموعة ثقافات أجنبية مختلطة بآثار بدائية. والواضح أن عوامل الاضمحلال من الداخل قديمة، وقد لازمت هذه الممالك منذ مولدها في القرن السادس الميلادى أو قبله بقليل. ولا يرجع بقاء هذه الممالك المسيحية - ما يقرب من ألف عام - إلى قوتها أو إلى ما اجتمع لديها من عناصر حضارية عريقة. بل يرجع - في الغالب - إلى أن الحكومات التي تعاقبت على حكم مصر منذ الغزو العربى لها، لم تكن لها سياسة موسومة بإخضاع هذه الممالك بالقوة وصهرها في الإطار العربى الإسلامى العام، إنما تركت لعوامل التسرب البشرى والحضارى التدريجى حتى اكتملت عناصر قوتها في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، فكانت نهاية هذه الممالك. وأول ما نلاحظه أن هذه الممالك المسيحية لم تستطع أن تؤلف من بينها وحدة سياسية واحدة، بل ظلت منفصلة عن بعضها. وعلى الرغم من اتحاد الملكتين الشماليتين نوباديا ومقرة لمواجهة خطر الغزو الإسلامى من الشمال، فإن انفصال المملكة الجنوبية (علوة) عن جارتها في الشمال (مقرة) كان سبباً في إثارة النزاع بينهما مما أدى إلى اضمحلالهما وذلك بسبب الطبيعة القبلية التي كانت سائدة في هذا الاقليم.

وثمة ملاحظة أخرى هي التخط في اختيار اللقب الفعلى للملك وموظفيه كذلك. ومرجع هذا - في الغالب - إلى أن هذه الألقاب أخذت أصلاً عن النظم البيزنطية وطبقت على الوظائف التي خلفها العهد المروى وما دخل عليها من تقاليد بدائية، مما أدى إلى تعقيدها وعدم فهمها في أذهان الناس. ثم أن ملوك النوبة (مقرة وعلوة) تمتعوا بنفوذ مطلق على رعاياهم. فالملوك يملكون الأرض ومن عليها، ورعاياهم عبيد لهم.

وجرى العرف في وراثة العرش النوبى على نظام الأمومة. وسواء تمسك به النوبيون أو خالفوا بعض قواعده فالمعروف أن هذا النظام لم يؤد إلى استقرار علاقة المملكين وأولياء عهودهم.

وعرف حكام الأقاليم باسم الملوك. ومارسوا سلطات إدارية ودينية. فجميعهم كهنة. أما المجتمع النوبى فيشكل نوعاً من الإقطاع غريباً في تركيبه. فالطبقة الحاكمة الشاملة

لأسرة المالكة وفروعها وحكام الأقاليم كذلك يمثلون طبقة السادة أصحاب الأرض، أما الشعب فهم عبيد الملك، ياعون ويشترون ويهدى بهم، ويقومون مقام العملة.

واتجهت بلاد النوبة (مقرة وعلوة) في زعامتها الروحية إلى الكنيسة المصرية ونشأت بينهما علاقات طيبة مصدرها حاجة الكنيسة النوبية إلى أساقفة، فضلا عما اجتمع للملك النوبة من سلطة سياسية ودينية معاً. وهذه السلطة الدينية جعلت من ملوك النوبة ممثلين للكنيسة النوبية كذلك. وتبعاً لهذه الصفة الدينية للملك النوبة فقد نشأت بينهم وبين بطاركة الكنيسة المصرية علاقات ودية، اختلفت طبيعتها من حين إلى آخر تبعاً لما تقتضيه مصالح الطرفين. غير أن موضع الأهمية هنا هو مدى تأثير الكنيسة النوبية في حياة الناس.

الواقع أن المجتمع النوبى ظل يعيش في مثل ما عاش قبل دخول المسيحية، ولم تختلط العقيدة الجديدة بقلوب الناس. واحتفظ النوبيون بكثير من عاداتهم القديمة. ولم تنجب الكنيسة النوبية علماء ذوى مثل مستمدة من تجارب القديسين - كما فعلت الكنيسة المصرية مثلاً - فظلت تعتمد في الحصول على الأساقفة على ما يرد إليها من الكنيسة المصرية الأمر الذى جعل الكنيسة النوبية تخضع لتطور الظروف السياسية في مصر.

والغريب أن مقرة لم يكن تسودها لغة واحدة. فالطقوس الدينية كانت تؤدى باللغة اليونانية حتى القرن الثامن الميلادى إلى أن ترجمت إلى اللغة النوبية. ولم تصبح النوبية لغة مدونة إلا منذ أواخر القرن العاشر الميلادى، على حين أن القبريات النوبية ظلت تكتب باللغتين اليونانية والقبطية دون سواهما وهما كذلك لم تسلما من أخطاء لغوية إملائية. وتختلف لغة أهل علوة في طبيعتها ونوع كتابتها عن اللغة النوبية في مقرة.

وثمة ظاهرة هامة ذات أثر بعيد في تاريخ بلاد النوبة، هي فقر البيئة - فمواضع الخصب تنحصر في شريط ضيق بحاذى النيل يختلف ضيقاً واتساعاً من مكان إلى آخر. وعلى الرغم من اتساع الرقعة الزراعية في مملكة علوة عنها في مملكة مقرة، إلا أن أهل علوة كانوا دون أهل مقرة في المستوى الحضارى، فلم يستغلوا خصوبة أرضهم استغلالاً اقتصادياً، بل اعتمدوا على السحر.

وأهم ما يلاحظ على التجارة في بلاد النوبة أن العملة مثلاً لم تكن معروفة إلا في منطقة مريس. أما إلى الجنوب منها فكان التبادل يتم طريق المقايضة بالرقيق والمواشى وغيرها.

وتأثرت حضارة النوبيين بفقر البيئة وقلة الموارد الطبيعية. فالكنائس النوبية من النوع المعروف باسم باسيلكا. ومعظمها من الطوب، واللين والطين. ويغلب على النقوش والزخرفة البساطة وعدم النضج. وحتى بقايا المساكن التي أمكن العثور على قليل منها مبنية من اللبن وهي ذات طراز بسيط ماذج.

ويمكن تفسير أثر العوامل الخارجية في اضمحلال ممالك النوبة المسيحية من تأثر النوبيين بالثقافة العربية الجديدة عليهم، إذ طبعتهم بطابع مختلف عن الطابع القديم الذي اتصفوا به في العهد المسيحي. وإذا كان وادي النيل قد استقبل بعض الجماعات العربية من جزيرة العرب قبل الإسلام عبر باب المندب أو البحر الأحمر، أو عن طريق برزخ السويس، سواء لغرض التجارة أو الهجرة أو الغزو فإن أثر هذه الجماعات العربية فيمن اختلطت بهم من سكان وادي النيل كان ضئيلاً بالقياس إلى أثر الهجرات العربية الكبرى التي شقت طريقها إلى وادي النيل من الشمال (مصر) عقب ظهور الإسلام. وتعد حملة عمر بن العاص على مصر سنة ٦٣٩م إحدى طلائع هذه الهجرات الكبرى. وعلى الرغم من أن المسلمين في محاولتهم الثانية غزو النوبة سنة ٦٥٢م - بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح - دخلوا دنقلة العاصمة واستولوا عليها، إلا أنهم لم يحتلوها بقواتهم كما فعلوا في مصر وغيرها من البلاد التي غزوها، ولم يطبقوا عليها القواعد الخاصة بمعاملة أهل البلاد التي تفتح عنوة، بل اكتفوا بالبقط الذي ضمن للمسلمين حرية التجارة والعبادة في بلاد النوبة ونشر الدعوة الإسلامية التي لا تفرض بحد السيف بل بالحجة والبرهان على يد التجار المسلمين. وبدل تمسك المسلمين فيما بعد بالبقط وشروطه على إدعاء نوع من السيادة في بلاد النوبة لاسيما وأن المسلمين لم يلتزموا بدفع شيء رسمياً للنوبيين. ولا يعنى حرص النوبيين على الاستمرار في دفع التزاماتهم إلى الدولة الإسلامية وقبض ما يقابلها من جهاز على رضى النوبيين بالبقط وشروطه، بل يدل على عجزهم عن ممارسة سياسة خارجية قوية. وإذا كان النوبيون حاولوا أحياناً الامتناع عن دفع البقط والإغارة على أطراف مصر للتخلص من هذه التبعية المضطربة لضيقهم ذرعاً بالبقط وصعوبة الحصول على العدد المطلوب من الرقيق، إلا أنهم لم يحاولوا هذه المحاولات إلا في حالات نادرة كانوا يستشعرون خلالها ضعف السلطة المركزية في مصر

وتعرض البلاد للقلق الداخلي. ومع هذا فإن ولاية مصر كانوا يقابلون المحاولات النوبية بردهم وغزو بلادهم وإرغامهم على الوفاء بشروطهم.

وثمة ملاحظة توجب الالتفات هنا هي أنه على الرغم مما نص عليه عهد عبد الله بن سعد للنوبة من عدم السماح للعرب بالدخول إلى بلاد النوبة إلا للتجارة، فإن الجماعات العربية المختلفة التي ازدحم بها إقليم أسوان - بعد الغزو العربي لمصر - لم تنقيد بهذا الشرط، بل أخذت في التسرب التدريجي إلى بلاد النوبة السفلى (مريس) حيث استأجروا فيها أراضي استغلوها لصالحهم ثم استأثروا بها وتوارثوها جيلاً بعد جيل. وتأثر النوبيون من أهل مريس بهذه الجماعات الإسلامية وأخذوا عنهم بعض أفكارهم ونظمهم الاجتماعية، خاصة النظام القبلي الذي أدى في النهاية إلى تفكك ممالكهم واعتنق كثير منهم الإسلام. ولم يعد ملوك النوبة في هذه المنطقة سوى نفوذ اسمي.

وللصحراء الشرقية - حيث تعيش قبائل البجة - دور خطير في تاريخ بلاد النوبة. إذا المعروف أن تنقل الجماعات المختلفة بين أوطان البجة وبلاد النوبة كان أمراً مألوفاً في العصور الوسطى. ومع أن ولاية المسلمين في مصر لم يهتموا بادئ الأمر بأمر البجة، إلا أن اعتداءات البجة على صعيد مصر منذ منتصف القرن الثامن الميلادي، أدى إلى تجريد الحملات العسكرية عليهم لتأديبهم. وموضع الأهمية هنا أن هذه الحملات لم تؤد فقط إلى حفظ مصالح المسلمين الذين سبق أن استقروا في أرض البجة للتجارة، وحفظ المساجد القائمة فعلاً، ووضع بلادهم ضمن مناطق النفوذ الإسلامي وفرض الخراج والزكاة، بل أدت كذلك إلى استقرار كثير ممن اشتركوا في هذه الحملات للعمل في المعادن التي بهرتهم خاصة الذهب، وأدت كذلك إلى هجرة قبائل عربية مختلفة إلى أرض المعادن والذهب بعد أن وصلتهم أنباؤها وخاصة بعد أن فقد العرب نفوذهم القديم بقطع العطاء عنهم وضغط الأتراك عليهم في مصر. ومن ثم فإن حملة العمري سنة ٨٦٨م لم تكن في الواقع حملة يقصد بها تأديب النوبيين أو البجة، بل الكشف عن مواطن جديدة للتبر والبحث عن مهاجرة تتسع للقبائل العربية التي اشتركت فيها مثل ربيعة وجهينة وغيرها في أوطان البجة وبلاد النوبة كذلك. واختلطت هذه الجماعات العربية المهاجرة بالعناصر النوبية (في مريس) والبجاوية مما أدى إلى تأثرهم بالدماء العربية التي كانت تتجدد باستمرار مع توالي وصول عناصر عربية جديدة إلى هذه الأوطان بسبب اضطراب بعض أجزاء العام الإسلامي وقيام الفتن والثورات.

ويدل تأسيس أول إمارة عربية - حوالى أواخر القرن التاسع الميلادى - بزعامة ربيعة، فى أرض العلاقى وإقليم أسوان على مدى ما صار للعرب من قوة فى هذه المناطق حتى اعترفت بها الدولة الفاطمية، فاستحق زعيمها أبو المكارم هبة الله لقب كنز الدولة. ثم حسب الأيوبيون لأمرأى بنى كنز كل حساب وخشوا خطرهم وأدت هزيمة بنى كنز على يد العادل أخى صلاح الدين ١١٧٤م إلى رحيلهم عن أسوان التى لم تعد مركز إمارتهم، واستقروا فى جهات مريس حيث اندمجوا اندماجا تاما فى سكانها وخضع لهم النوبيون من أهل مريس الذين زال عنهم السلطان الفعلى للملك مقرة.

ويفسر وجود النوبيين بأعداد ضخمة فى مصر للخدمة فى جيشها منذ عهد ابن طولون - على الأقل - ظاهرة هامة كانت ذات أثر فى اضمحلال ممالك النوبة المسيحية. فخرج هذه العناصر النوبية المسيحية بطريق الشراء أو غيره استنزاف لقوى هذه الممالك المسيحية على حين لفظت مصر بعض عناصر الشغب بها - فى نظرولاتها الأتراك - وهم جميعا من العرب المسلمين الذين انسابوا إلى النوبة فأثروا تأثيرا بشريا فيما تبقى لدى النوبة من عناصر نوبية مستقرة ثم أن هذه العناصر النوبية المسيحية النازحة إلى مصر لابد تحولت إلى الإسلام وأصبحت عنصرا بارزا فيها واتسعت أحوالها وشارك أولئك النوبيون فى حوادث الدول الإسلامية التى تعاقبت على حكم مصر.

وفى العهد المملوكى تبدأ مرحلة حاسمة فى تاريخ النوبة الشمالية «مقرة» وتبدأ هذه المرحلة باغارة ملك النوبة داود على ثغر عيذاب وأسوان سنة ١٢٧٢. بسبب ازدياد النفوذ المملوكى على ساحل البحر الأحمر، والضغط على ممالك النوبة المسيحية وبسبب ما نال الأقباط فى مصر من اضطهاد على يد السلطان بيبرس، فإن السلطان بيبرس أرسل حملة مملوكية سنة ١٢٧٣م إلى بلاد النوبة لتأديب داود.

وإذا كانت هذه الحملة لم تظفر بداود، فإن النزاع الذى نشب فى داخل البيت الملكى النوبى بسبب وراثة العرش والتجاء شكنده إلى السلطان، شجعه على إرسال حملة مملوكية ثانية لغزو النوبة سنة ١٢٧٦م. وموضع الأهمية فى هذه الحملة أنها جعلت بلاد النوبة الشمالية (مقرة) جزءا من الدولة المملوكية، وطبقت عليها لأول مرة القواعد الخاصة بمعاملة أهل البلاد التى تفتح عنوه، وأصبح بيد السلطان المملوكى حق تعيين وعزل من يشاء من ملوك النوبة وتمسكت السلطنة المملوكية بهذا الحق، إذ تدل الحملات التى جردها السلطان

قلاون مرة بعد أخرى على الرغبة فى تأكيد هذا الحق على الرغم من مراوغة ملك النوبة سمamon ومحاولته التخلص من التبعية للسلطنة المملوكية.

ومن أهم نتائج هذه الحملات القلاونية على بلاد النوبة أنها أقنعت ملوك علوة بقوة السلطنة المملوكية ، فتقربوا إليها بالهدايا وحكموا السلطان المملوكى فيما نشب بينهم وبين ملوك مقرة من نزاع.

وثمة ظاهرة أخرى، هى كثرة الرقيق والأسرى النوبيين الذين أرسلوا إلى القاهرة، وكثرة عدد اللاجئين من بيوت الإمارة النوبية ومدعى العرش النوبى، وثمة ظاهرة أخرى هى اشتراك عربان الوجه البحرى والقبلى فى هذه الحملات المملوكية كلها ، واستقرار كثير منهم فى بلاد النوبة، وعدم العودة إلى مصر صحبة الجيوش المملوكية.

وإذا كانت مشاغل السلطان قلاون فى بلاد الشام جعلته يقبل الوضع الذى خلقه ملك النوبة سمamon بعد استعطافه السلطان واسترضائه، فإن ابنه السلطان خليل لم يسمح باستمرار هذا الوضع وقبول مراوغة سمamon، بل أرسل حملة لتوطيد السيادة المملوكية فى بلاد النوبة وتعيين أحد الأمراء اللاجئين إلى مصر ويدعى يدمة - نائبا للسلطان فى حكم البلاد.

ولا شك فى أن اختلاف الطامعين من أفراد الأسرة المالكة النوبية كان ضمينا ببقاء هذه السيادة على بلاد النوبة حتى فى السنوات الأولى من عهد السلطان الناصر محمد بن قلاون الذى كان لا يزال طفلا. وإذا حاول أحد ملوك النوبة ويدعى كرنيس الخروج على السلطان فإن حركته وافقت بلوغ الناصر منا مؤهلا للحكم فرأى تعيين أحد الأمراء النوبيين - الذين تربوا فى البلاط السلطانى - ويدعى عبد الله برشمبو النوبى الذى اعتنق الإسلام ملكا على بلاد النوبة ونائبا عنه فى حكمها. والواقع أن سياسة تعيين ملك مسلم حكم بلاد النوبة، نقطة تحول خطيرة فى تاريخ هذه البلاد. إذ أدى ذلك إلى ظهور بنى كنز على مسرح الأحداث فى بلاد النوبة بعد أن أصهروا إلى البيت المالك النوبى وتزوجوا من بنات ملوكها. فادعى أميرهم كنز الدولة بحقه فى الملك. فهو فضلا عن أنه أمير مسلم فإن الملك ينتقل إليه بعد خاله الملك كرنيس حسبما يقضى به نظام الوراثة عند النوبيين.

وبدل تحدى كنز الدولة للسلطنة المملوكية والتخلص من عبد الله برشمبو، على ما صار لبنى كنز من قوة لا يسندها حقهم الطبيعى فى حكم بلاد النوبة فقط، بل تسندهم قوة العرب

المشوطنين، ولم تنجح الحملات الناصرية فى القضاء على نفوذ بنى كنز. والواضح أن دور العرب المستقرين فى بلاد النوبة لم يقتصر على إسقاط البيت المالك النوبى سنة ١٣٢٢م فحسب ، بل نشر الثقافة الإسلامية بين النوبيين الذين انقطعت عنهم الجزية بإسلامهم لاسيما بعد قطع صلتهم بكنيسة الإسكندرية من ناحية وانعكاس صور اضطهاد الاقباط فى مصر عليهم من ناحية أخرى.

ومن الطبيعى بعد أن سقطت المملكة المسيحية فى الشمال أن تنعكس صورة الأحداث التى وقعت فى بلاد النوبة الشمالية على مملكة علوة أيضا. وتشابه العوامل التى أدت إلى سقوطها مع تلك التى أدت إلى سقوط جارتها فى الشمال . فتعرض علوة لغزو جيرانها من الغرب والشمال للحصول على الرقيق، فضلا عن قطع علاقاتها بالكنيسة المصرية وفشل أهل علوة فى الحصول على أساقفة من الحبشة أدى إلى تفككها وانحلالها.

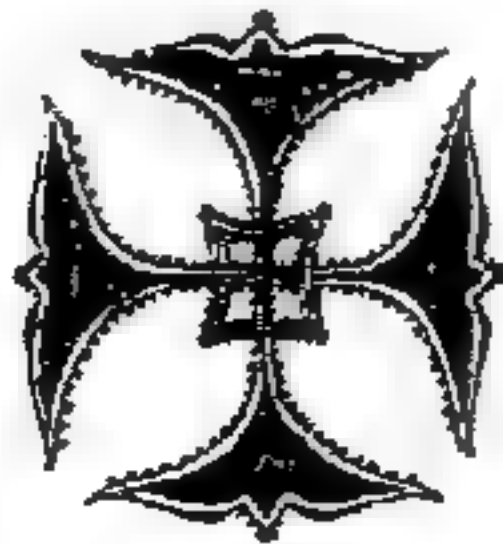
وبدل سقوط علوة سنة ١٥٠٤ على يد جماعة من العرب والفونج على أنه سبق سقوطها وصول جماعات عربية فى أعداد وفيرة. فنشأت عدة إمارات ومشيخات عربية فى جهات حوض النيل الأوسط بعد تغلبها على الملوك الإقليميين فى مملكة علوة . ولا شك فى أن تلك الجماعات العربية المختلفة كان مصدرها مصر، باستثناء بعض الأسر العربية أو الأفراد الذين جاءوا عبر البحر الأحمر من الجزيرة العربية، أو بعض الجماعات العربية التى هاجرت من بلاد المغرب عن الطريق الليبى. فالمعروف أن كثيرا من الجماعات العربية انتقلت من مصر جنوبا، حيث استقرت فى بلاد النوبة الشمالية (مريس) وأوطان البجة. وزادت جموع العرب المهاجرين إلى هذه الجهات زيادة واضحة عقب قيام السلطنة المملوكية بسبب الضغط المتواصل عليهم فى مصر. وساعد على ذلك اضطراب الأحوال فى بلاد النوبة الشمالية. ثم أخذ كثير من هذه الجماعات ولا سيما جهينة فى الهجرة جنوبا إلى جهات النيل الأزرق حتى الحبشة وغربا إلى جهات دارفور وكردفان.

وتدل كثرة الوحدات القبلية العربية فى جهات حوض النيل الأوسط وانتقال مقر الملك من سوبا إلى الغرب فى (كوسمة) على ما صار لهذه الجماعات العربية من قوة . ويبدو أثر هذه الجماعات العربية واضحا فى تطور الحياة الاجتماعية والسياسية، وزوال الأسس التى قامت

عليها الملكية المسيحية في علوة، لا اختلاطهم بالسكان الوطنيين وإزالة التقاليد الاجتماعية القديمة واختفاء معظم بيوت الإمارة القديمة. ولعل أهم أثر لقيام المشيخات الإسلامية في حوض النيل الأوسط ازدياد انتشار الإسلام بين كثير من أهل البلاد باعتبار أن ذلك كان مظهراً لقبول سيادة زعيم القبيلة على أفرادها.

ومع هذا لم يؤد هذا التطور إلى استقرار الأحوال في هذا الجزء من حوض النيل، بسبب اختلال الأمن، والنزاع بين القبائل العربية حول مواطن الرعى من ناحية وبينها وبين الأهالي من ناحية أخرى، مما أدى إلى تدهور الأحوال الاقتصادية. فظهرت الحاجة إلى إنشاء حكومة مركزية يخضع لها الجميع وحماية طرق التجارة القديمة، فكان الحلف السنارى الذى جمع بين الخليفين عمار دونقس وزعيم الفونج وعبد الله جماع شيخ القواسمة من العبد اللاب. فقضى الخليفان على البيت الملكى النوبى فى علوة وتأسست دولة الفونج الإسلامية سنة ١٥٠٤ م. وشملت هذه السلطنة جميع بلاد علوة وجزءاً كبيراً من أرض النوبة الشمالية. ووضع الخليفان أساس النظام الذى جرى عليه حكم هذه السلطنة. ثم انتقل هذا النظام إلى خلفائهما من بعدهما.

والمعروف أن هذه السلطنة اشتملت على عناصر مختلفة عربية وحامية وشبه زنجية فضلاً عن خليط منها جميعاً، وهى ذات ثقافات مختلفة ومختلطة كذلك. وتشير الروايات الوطنية إلى اختلاط الإسلام بالعقائد والعادات الوطنية، والجهل بقواعد الإسلام، إذ أن الدعوة الإسلامية حتى هذا الوقت (أول القرن السادس عشر) لم تكن تهتم بشرح تفاصيل الأسس التى يقوم عليها الإسلام، بل كانت هذه الدعوة مجملة مبسطة ليسهل بسط نفوذهم عليهم، لاسيما وأن أولئك المهاجرين كانوا من البدو الجاهلين بفقهاء الإسلام، فظهرت الحاجة إلى علماء يتولون على شرح قواعد الإسلام.



الملاحق (١)

أولا ملحق رقم ١

نقش الملك سلكو باللغة اليونانية على جدران معبد كلابشة

وقد قام بعض العلماء على نشر هذا النقش، أولهم:

Gau, Antiquites de la Nubie, pl. 1, No. 1.

ثم ناقش نوبهر محتوياته في Neibuhr, Inscriptiones Nubien

سنة ١٨٢٠، ثم نشره كل من كايو ولترون ولبسيوس في مؤلفاتهم وهي:

Cailliaud : Voyage aMeroe, tom, 3 eme P. 379.

Letronne : Oeuvres Choiesies, tom. 1 ere , p. 3 tf.

Lepsius : Denkmaler, Abt. VI, B. 1 95.

وأخذ بدج عن الأخير. Budge, E. A. wallis : The Egyptian Sudan, Vol. II, PP. 318 - 319.

النص الوارد هنا مأخوذة ترجمته عن بدج بعد مقابلتها لترجمة كروان لهذا النص وليس بينهما خلاف يستحق الذكر.

Kirwan, L. P. : LAAA. P. 94.

الترجمة العربية:

أنا سلكو رئيس^(٢) النوبادين وجميع الأثيوبيين . لقد جئت إلى تالمس^(٣) وتافه، حاربت

(١) بعض هذه الملاحق مأخوذة من مراجع مطبوعة معروفة، غير أنني أوردتها هنا مع الملاحق المأخوذة من مراجع مخطوطة لأجعل منها كلها مجموعة واحدة للنصوص الهامة الخاصة بتاريخ السودان والنوبة
(٢) على الرغم من ادعاء سلكو الزعامة على جميع النوبادين والأثيوبيين، إلا أنه اتخذ لنفسه لقب Basilikos أى ملك صغير. وهذا لا يتفق وما ادعاه سلكو لنفسه من سلطة . ويدل التخييط في اختيار اللقب الحقيقي لسلكو على الجهل باللغة اليونانية أنظر:

Emery, W. E. : The Royal Tombs of Ballana and Qustul, Vol., I, P. 12.

(٣) تالمس هي كلابشة الحالية حيث يوجد المعبد الذى نقش سلكو على جدرانه هذا النقش تخليداً لانتصاره على البليمين

البليميين، ثم أعدت عليهم الكرة مرة أخرى، ونصرني الله عليهم في المرة الثالثة^(١). ثم قهرتهم نهائياً، فأصبحت بذلك ميذا على مدنهم، بعد أن سيطرت عليهم بقواتي^(٢) ثم هاجمتهم (مرة خامسة) حتى توسلوا إلي، فعقدت معهم صلحاً بعد أن حلفوا لي بآلهتهم^(٣) وقد وثقت في إيمانهم هذه لأنهم رجال شرفاء. ثم عدت إلى الجزء الأعلى من مملكتي، ولما تمت لي السيادة عليه، لم أشأ أن أكون في مؤخرة ملوكة، بل أصبحت في مقدمتهم^(٤).

أما عن أولئك الذين نازعوني الزعامة فإنني لم أسمح لهم بأن يعيشوا في بلادهم إلا إذا التمسوا مني المغفرة، لأنني أصبحت أسداً في الجهات الدنيا من مملكتي وظلياً في الجهات العليا منها^(٥).

لقد حاربت البليميين في المنطقة من إبريم إلى تالمس (الشلال)^(٦). أما عن رؤساء

(١) ينسب سلكو إلى الله انتصاره على البليميين في الواقعة الثالثة. فهل يدل هذا على أن سلكو اعتنق المسيحية؟ يرى البعض أنه اعتنق المسيحية - أنظر:

Budge, E. A. Wallis: The Egyptian Sudan. Vol., II. P. 294.

Budge, E. A. Wallis : Hist of Ethiopia, Nubia, and Abyssinia, Vol, I. P, 116

Kirwan, L. P. ; LAAA. Vol, XXIV, pp. 88.

غير أن كروان

استناداً إلى ما ذكره بركويوس حوالي ٥٤٣ يذكر أن البليميين والنباطيين يعبدون إيزيس وأوزوريس ويرى أنه ليس هنالك ما يدل على اعتناق سلكو المسيحية، بل أن ظهور صورته في النقش في زى فرعونى تزينه صور الآلهة يحمل على الظن أنه لم يكن مسيحياً. Ibid. op cit. p. 85.

(٢) الواضح من هذه العبارة أن سلكو احتل المنطقة التي يحتلها البليميون في بلاد النوبة وهي الممتدة من الشلال الأول حتى إبريم.

(٣) اضطر سلكو إلى شن حرب خامسة ضد البليميين ثم عقد معهم الصلح بعد أن حلفوا له بآلهتهم إيزيس وأوزوريس. والواضح أن سلكو وثق في هذه اليمين لتمسكهم بآلهتهم.

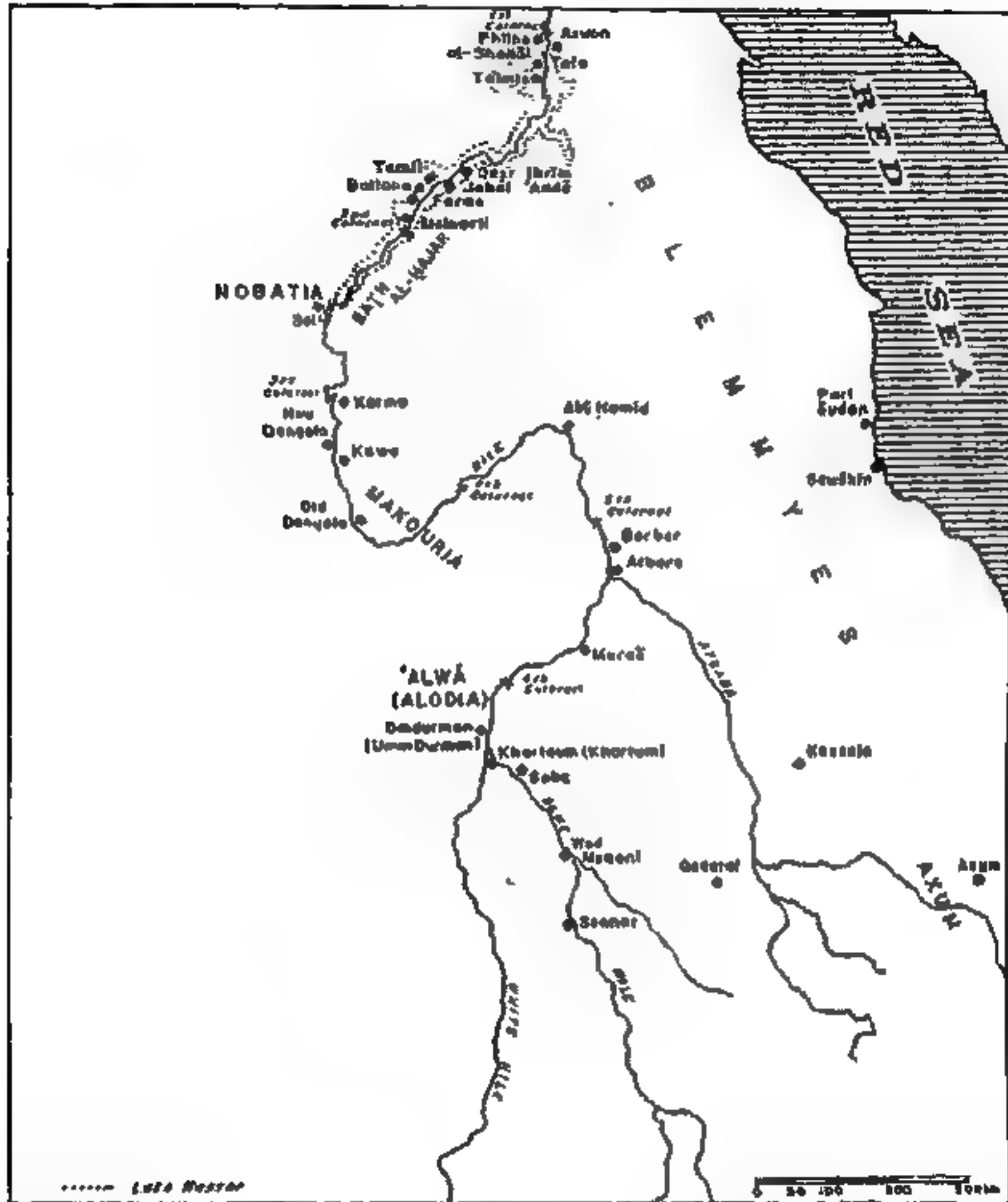
(٤) اطمأن سلكو إلى البليميين بعد أن أقسموا له يمين الطاعة فعاد إلى الجهات العليا من مملكته أي جنوبى إبريم وتم له إخضاع منافسيه ملوك النوباديين فأضحى زعيماً بلقب رئيس وهو منصب لم يسبقه إليه غيره من ملوك النوباديين. أنظر:

Budge, E. A. Wallis: The Egyptian Sudan, op. Cit. p. 308.

(٥) بعد أن أخضع سلكو منافسيه أضحى شديد البأس، فهو أمد مخيف لكل السهل، وظبى قوى نشيط ضد سكان الجبال. Ibid : op. cit. p. 309.

(٦) يقول بدج: إنها تالمس (كلابشة) غير أنه من الواضح أن البليميين لم يكونوا عند العهد الذى قطعوه على أنفسهم ولهذا حاربهم سلكو مرة ثانية بعد عودته من الجهات الجنوبية، واكتسح بلادهم من إبريم إلى تالمس. والراجع أنها Tilelis أى الشلال الاول كما يقول كروان : Kirwan, L. P. op. cit. p. 84.

الشعوب الآخرين الذين نازعوني الرئاسة فياني لم أدعهم يجلسون في الظل بل في الشمس، ولم يتمكنوا من أخذ خربة ماء إلى دورهم (١) ومن قاومني منهم قضيت على أولاده ونسائه.



اعتماداً على ترجمة جرفت لهذا النص: Griffith, F. LL, Mer. Inscriptions، ومعنى هذا أن سلكو اضطر لحرب البليصين مرة ثانية بعد عودته من الجهات الجنوبية لعدم تمسكهم بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم فيما يظهر، واكتسح بلادهم من إبريم إلى الشلال الأول. غير أن النص لا يشير صراحة إلى طردهم من هذه المنطقة.

(١) لا شك أن سلكو اضطر إلى خوض حرب ضد بقية النوبيين الذين خرجوا عليه حتى تم له إخضاعهم جميعاً تحت زعامته فاستحق اللقب الذي ادعاه لنفسه.

الملحق رقم ٢

بساتين الآباء الرهبان - فردوس النعيم -

الأربعين خبر للآباء الرهبان بوادى هبيب وغيره

Crum, B. W. E. : "A Nubian Prince in an Egyptian Monastery",
in Studies Presented to Griffith F. LL, PP. 137 - 145.

نقلا عن نسخ مودعة بالمتحف البريطانى والمكتبة الأهلية بباريس.

... ولكن كن على حذر من قوم بنى حام^(١). ياتوك عراة الأجساد فى أوساطهم جلود المعزى. وسلاحهم من جريد النخل. وطعامهم من ديب الارض. ياكلون النار والشعبان والفرس والورل والسحلفة والذيب والنمر. والكلب والقط. ولا ينجسون شيا من اللحوم الخبيثة النجسة. وهم أقوياء شجعان. لا يطيق بهم احد من سكان هذه الارض. فيملكون اكشرها. ويسبون اهلها ويقتلون ابطالها. ويرعون بافواههم كرومها وبساتينها. ويكون على هذه الاعمال منهم وبالاغظيما. ويأتون اليك يا ابى انسطاسيوس وقد طعنت فى السن. لا قدرة لك على الطعام مستويا. وتنظرهم بعينك. وبعد ذلك تموت قبل مخاطبتهم. ويمدون ايضا ايديهم فى هذا الدير. ويريدون فسادهم ومن فيه من الرهبان فلا يقدر. فاندر [فاندر] الرئيس الذى بعدك أن يعد لهم طعاما وشرابا من جميع الاطعمة الحلال والحرام. فاذا هم اكلوا من الطعام وشربوا من الشراب فانهم يعطوك امانا لهذا الدير. ولا يفسدون أحدا فيه. لان الذى يأتى اليه ابن اخوا المقدم فيهم. واصحابه. وفيه رحمة. واعرف واوصى ولدك الذى له الرئاسة بعدك. يميز وجهه ويعرفه بشخصه، فهو ياتيه ليلا. ويدخل الى هذا الدير ويصير فيه راهبا ويكون قديسا. ويكون لهذا الدير رحمة من الله عظيمة الذى ارسله اليه. لان هولا الجند يقيموا فى هذه الارض ثلثة سنين ويجعلوها مثل القفار ولا يتركوا فيها اثمار ولا اشجار لأنهم خلق كثير لا يحصى عددهم. فاذا كان اليوم الرابع عشر من ابن^(٢). تاتى إلى فتجدنى فى عنجق^(٣). وهذا مكان فى صدر البرية. يسكن فيه طير السما و يأوى اليه وحش البرية وما فيها من السباع والوحشه. وذلك لاجل ما فيها من الما المتجمع من الامطار والسيول.

(١) المقصود بينى حام هنا هم النوبيون.

Crum, B. W. E. op. cit. p. 142

(٢) ابن هنا يقصد به أييب فى الشهور القبطية: أنظر:

Ibid op. cit.

(٣) عنجق : واحة خيالية لا وجود لها

وَاد [إِذَا] قَوْمًا قَدْ وَصَلُوا مِنْ أَرْضِ النُّوبَةِ فَمَلَكَوْا أَرْضَ النَّخْلِ وَالسِّدْرِ وَالسَّنْطِ وَهِيَ أَسْوَانُ
وَإِسْنَا وَارْمَنْتَ وَأَبْيُودُ^(١) وَجَمِيعُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَكَانَ كَمَا قَالَ هَذَا الرَّاهِبُ وَمَا صَارَ إِلَيْهِ.

أَخْبَرَ الثَّلَاثَ وَالثَّلَاثُونَ نِسْتَاسِيُوسَ أَيْضًا. قَالَ نِسْتَاسِيُوسَ الْآبُ، أَنَّهُ لَمَّا أَتَى بَنُو حَامَ إِلَى
أَرْضِ أَبْيُودَ وَأَسْوَانَ وَغَيْرِهَا مِنْ الْأَعْمَالِ كَمَا كَانَ وَصَفَ لِي الْوَلَدَ الْقَدِيسَ جَعَلَتْ أَفْكَرَ فِي
أَمْرِهِمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَأْكُلُونَ مَا كَانَ مِنَ الْحَرَامِ أَكْثَرَ مِنَ الْحَلَالِ وَلَا يَحْرُمُونَ شَيْئًا مِنْ سَائِرِ اللَّحُومِ.
وَيَعْبُدُونَ وَحْشَ الْبَحْرِ [فَرَسَ النَّهْرِ] أَيْضًا فَيَأْكُلُوهُ وَيَأْكُلُونَ مِنَ السَّمَكِ مَا لَا يَأْكُلُهُ أَحَدٌ مِنَ
النَّاسِ وَلَا يُوْدِيهِمْ [يُؤْذِيهِمْ]، فَعَلِمْتُ أَنَّهُمْ كَمَا قَالَ لِي الْقَدِيسُ مَرْقُورِيُوسُ. وَبَقِيتُ مَتَرَقِّبًا مَا
يَنَالُنِي مِنْ أَوْلَايْكَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ وَثَمَارَهَا، وَآكَلُوا زَرْعَهَا، وَاحْرَقُوا بِالنَّارِ
غَابَاتِهَا وَسَبَّوْا أَهْلَهَا وَقَتَلُوا أَبْطَالَهَا، وَغَنَمُوا أَمْوَالَهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا هَذَا الدَّيْرُ لِأَجْلِ مَا كَانَ فِيهِ
مِنَ الْقَدِيسِينَ، وَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي وَاد [إِذَا] قَدْ أَتَى إِلَيْنَا سِيَارُهُ عَظِيمُهُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ
الْحَبَشِيُّ بَنِي حَامَ^(٢). وَهُمْ عِرَاقَةُ الْأَجْسَادِ، وَفِي أَوْسَاطِهِمْ مِنْ جُلُودِ الْمُعْزَمَا يَسْتَرُونَ بِهِ عَوْرَتَهُمْ
وَفِي أَيْدِيهِمْ سِلَاحٌ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، فَتَنَزَّلُوا خَارِجًا مِنْ هَذَا الدَّيْرِ. وَلَمْ يَنَالْنَا مِنْهُمْ سِوَا،
أَخْرَجْنَا إِلَيْهِمْ طَعَامًا فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا فَشَرِبُوا. وَلَمَّا ارَادُوا الْمَسِيرَ، دَفَعَ الْمُقَدِّمُ فِيهِمْ أَمَانًا لِهَذَا الدَّيْرِ
وَهُوَ لَوْحٌ مِنَ النُّحَاسِ الْأَصْفَرِ مَكْتُوبًا فِيهِ ثَلَاثَةُ أَسْطُرٍ بِالْقَلَمِ الْيُونَانِيِّ، وَفِيهِ هَكَذَا، أَنَا قَفْرِيرُ بْنُ
أَخِي غَايَانَ بْنِ مَرَوَانَ صَلْبَانَ، كَتَبْتُ هَذَا الرُّوحَ لِهَذَا الدَّيْرِ أَحَدَرُ فِيهِ مِنْ يُوْدِيهِ، وَيَغْصِبُهُ مَا لَا.
أَوْ طَعَامًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ. فَيَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ وَانْصَرَفَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ. وَبَقِيَ اللَّوْحُ فِي هَذَا الدَّيْرِ،
وَكَانَ مَقَامَ هَوْلَا الْقَوْمِ ثَلَاثَةَ سِنِينَ، وَكَانَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ إِذَا أَتَى إِلَيْنَا قَدَمًا يَرِيدُونَ الْفَسَادَ،
فَنُخْرِجُ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ اللَّوْحَ فَيَصْقَعُونَ لَهُ وَيَرْجِعُونَ إِلَى وَرَائِهِمْ ذَاهِبِينَ. وَلَمَّا كَانَ آخِرُ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ
مِنْ مَمْلَكَةِ هَوْلَا الْقَوْمِ. أَتَى إِلَيْنَا رَجُلٌ وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ غُلَمَانٍ يَخْدُمُوهُ، وَيَرْفَعُونَ أَثْوَابَهُ أَنْ تَقَعَ عَلَى
الْأَرْضِ. وَبِيَدِهِ عَصَا مِنْ جَرِيدِ يَتُوكَا عَلَيْهَا، وَبِيَدِهِ الْآخَرَى سَيْفٌ يَحْمِلُهُ. وَعَلَى رَأْسِهِ مَقْدَارُ
ذِرَاعٍ وَاحِدٍ خَرْقُهُ حَرِيرٌ مَشْدُودَةٌ بِهَا. كَمَا يَكُونُ النِّسَاءُ. فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ تَعَجَّبْنَا مِنْهُ وَقَلْنَا مَا هَذَا
الشَّيْطَانُ الَّذِي أَتَى إِلَى هَذَا الدَّيْرِ. وَمَاذَا يَرِيدُ. وَأَنَا عَلِمْتُ مِنْ وَلَدِي الرَّاهِبِ الْقَدِيسِ أَنَّ الْمُدَّةَ

(١) أَبْيُودُ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى صَعِيدِ مِصْرَ تَقَعُ جَنُوبِي مَدِينَةِ قَفْطَ وَيَدْرُ أَنَّهَا كَانَتْ ذَاتَ أَهْمِيَّةٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي
تَرْجِعُ إِلَيْهِ حَوَادِثُ هَذِهِ الْقِصَصِ.

(٢) وَرَدَ فِي بَعْضِ النُّسَخِ الْآخَرَى ذِكْرَ نُوْبِي، وَفِي بَعْضِهَا الْآخَرُ ذِكْرَ حَبَشِي. وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَحْدُثُ
الْخِلَاطُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ جَمِيعًا.

. Kirwan, L.P. LAAA. op. cit.

قد انقضت ولم يبق لهم ملكا. لان هذا الانسان كان من بنى حام وانه اراد الدخول الى الدير. ففتحوا له الباب فدخل واراد البيعه فدللناه عليها. وانا نسطاسيوس كنت امامه ماشيا. لاني من ولدى الراهب ما كان انباني به. ولما دخل الى البيعه وقف امام الهيكل وصلى. ولما فرغ من صلاته التفت إلى وقال. انا اريد ان ترينى مقدم هذا الدير. لانه كان عجميا وان واحد من غلماناه كان يترجم له، فقلت له وما الذى تريده منه. فقال اذا رايت انا اخاطبه بالذى اريده منه، فقلت له انا هو. فجلس واجلسنى واخرج من بين ثيابه مما كان معلقا فى عنقه. على صدره صورة من الذهب الاحمر منقوشه بالقلم. وكانت صورته ايونا القديس انا بخوم، فتعجبت وقلت يا هذا المولا وانتم تعرفون فى ارضكم القديس انا بخوم. فقالوا نعم لان شابا راهبا لابس الثياب الصوف طرق ارضا وراينا له قدس عظيم. واكرز فى ارضا. وقال ان روحى صارت إلى السموات ورايت اهل العذاب وماهم فيه. ورايت اهل النعيم وماهم فيه. واطهر عجائب كثيرة. كان يقول ان روحى بعد قبضها عادت إلى جسده واندرونا انا نائى إلى هذه الارض ونملكها ثلثه سنين ونعود إلى ارضا. وكنت انا قد القيت نفسى اليه ورغبت إلى قدسه وبشرنى انى اصير راهبا واسكن فى دير انا بخوم. المكان الذى كان فيه راهبا. واسكن منزله. واصلى على قبره. واورانى كيف صورته القديس الجليل انا بخوم وصنعها لى فى لوحا من الخشب. واذا عملتها فى هذا اللوح الذهب. وان ذلك الراهب مضى الى جبل عنجق من ارضا. وهو ذا قد تم ما قاله. ولم يخل منه شيا. فعلمت انا نسطاسيوس انه والذى القديس مرقوريوس الراهب. فتعجبت واطرقت بوجهى الى الارض. وكنت ساهيا زمانا طويلا. فلما رفعت راسى. قال لى الترجمان يا ابى الراهب ما هو ذا انت فيه مفكرا فقلت. سبحان الله الذى اعطى قدسيه ومختاريه واصفياء الراغبين اليه هذه العطية واجلهم بها. يا ولدى هذا الراهب الذى ذكرت وصوله إلى ارضكم هو فى هذا الرير كان راهبا. وارضنا الله باعماله. وهو دا ما كان من حاله. فسبح ذلك الرجل الله كثيرا. وقال ان هذا هو العجب. انه انباني بما كان كذلك هذا الاب. ثم التفت إلى وقال لى انى اتيت لابس الثوب والاسكيم. واكون من اولاد القديس انا بخوم. الى حين انقضى مدتى. فبادر يا ابى الراهب واليس الثياب. فقلت انك راهبا من قبل اليوم. لان مرقوريوس اندرك بذلك واندرونى وانى لا اشك انك ابن اخى الملك. قال نعم واذا اعطيتك امانا فى هذا الدير. وفى هذا اليوم وهو السابع والعشرين من ايلول عادوا بنى حام إلى ارضهم. وانا بعد ذلك فى اليوم الثالث عشر من كانون الاول البسته الثياب

والاسكيم. واسكنته بيت ذلك الراهب مرقوريوس. واربته قبره. وكان فيه يصلى ويذكر قدس مرقوره وقوله. وانه لم يكذب فى لفظة واحد. انظروا الى قدس هذا الراهب ونضائله. وهذا ما كان من امر سنى حام... انه ما يقى احد منهم فى هذه الارض الا هذا الراهب. وكان قديساً كثير الصوم والصلاه وهذا ما كان من أمر هذا الراهب وكنت وقت لباسه الثياب اسميته قفرى. كما كان فى اللوح مكتوب. الذى اعطانى اياه اماناً على هذا الدير. اسمعوا يا اخوتى واحبابى انا نسطاسيوس المسكين. بينما انا جالس فى ديرى واذا سياره قد اتت يطلبونى طلباً عنيفاً فخرجت اليهم وقلت ماذا تريدوا. فقالوا نريد نسطاسيوس اب هذا الدير. فقلت انا هو. فقالوا ان عندك رجل من اولاد حام وهو ابن أخو ممروا ابن صلبان الملك الذى افسد هذه الارض. وقد جعلته راهباً وهو يكاتب عمه باخبار هذه الارض. وانا نريده. والا نحن نقتل جميع من فى هذا الدير ونطلق فيه النار. ولا نترك فيه شيئاً من العماره. وكان جميع ذلك من الشيطان عدو الخير. [فقلت] هو ذا الدير امامكم وجميع من فيه. وهو ذا انا قائماً فى وسطكم. فادخلوا واكشفوا وفتشوا جيداً. فاذا ما قدرتم عليه فخذوه ولا تخافوا احداً. فانى ما اعرف من هذا الانسان الذى انتم تذكروه. وانهم دخلوا وفتشوا الدير ولم يتركوا فيه مكاناً. ولم يدخلوا الى منزل هذا الراهب قفرى. ولا علموا به. ولا المنزل الذى كان فيه. فخرجوا وقالوا ان هذا عظيماً. وان الساعى البنا قد كذب ولم يرشدنا. والتفتوا إلى رجل كان معهم. من ناحيه تسمى صفيرة كما أسمها. وكان ساعياً. لانه كان شريراً كذاباً قتالاً سفيهاً. ناماً مقاطعاً. لا يخاف الله. ولا يعرف الاله. وكان لاهياً بالزنا وشرب الخمر. واكتساب المال من غير حل. فسلط عليه هولاء القوم عند وصولهم. فاخذوا جميع ما يملك. وسبوا له ثلثه بنات. وقتلوا له ثلثه اولاد من الرجال الاشداء الاقويا. ولم يرجع عن طغيانه ولا اعتبر بما ناله. وكان يقول انه ياخذ قفرى الراهب ابن اخى الملك فيقتله عوضاً عن بنيه وبناته ولم يدري انه بعض الانتقال وفى اخرته جهنم. فاخذوه وربطوا فى عنقه حبل من شعر المعزا وعلقوه على حائط الدير فمات لوقته.

تدل الشواهد الداخلية لهذه القصص الثلاث (الحادية والثلاثين والثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين) أن حوادثها وقعت فى أديرة مصر على أطراف مصر الجنوبية. غير أن أن تاريخ هذه

القصص غير معروف تماما. وتدل اللغة التي كتبت بها أنها دونت في عصر متأخر قد يرجع إلى القرن العاشر أو الحادى عشر الميلادى .

والراجع أن هذه القصص تردىد لروايات قديمة تداولها الرهبان فى الأديرة. وهى تمثل جهود أولئك الرهبان القدامى فى نشر المسيحية بين النوبيين . وهى تشبه إلى حد كبير ما تردده الروايات عن الأنبا شنودة رئيس دير أخمميم فى منتصف القرن الرابع الميلادى بصدد علاقته بالنوبيين والبلبيين.

والراجع أن حوادث هذه القصص ترجع إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادى حين كان النوبيون لا يزالون على دينهم. وهو الوقت الذى نشط فيه الرهبان للتبشير للمسيحية بينهم. وقد ظهرت آثار هذه الجهود التبشيرية فيما بعد حين أضحت المسيحية الدين الرسمى للنوبيين فى القرن السادس الميلادى وقبولهم مذهب الكنيسة المصرية دون المذهب الملكانى الذى شحذت الدولة البيزنطية جهودها لنشره بينهم.



ملحق رقم ٣

الوثائق الدالة على استقرار البليميين في منطقة طيبة

عشر فلاح مصري سنة ١٨٨٧ م في قرية الجبلين على بعد ٢٥ ميلا جنوبى الاقصر على ثلاث وثائق مكتوبة باللغة اليونانية على رق غزال - نشرها كروال وهى محفوظة بالمتحف المصرى تحت رقم. 107 60 - 107 61, 107 62. Gen. du. Musee du Caire

وقد نقلها كروان إلى الإنجليزية وعلق عليها فى :

Kirwan L. P. : LAAA. op cit. p. 87.

وكذلك Emery, W.E. The Royal Tombs of Ballana and Qustul i, Text PP. II - 12.

ولا خلاف بين المترجمين يستحق الذكر.

وفيما يلى نص الترجمة العربية للوثيقة رقم 10760 عن إمري.

- ١ -

الترجمة العربية:

أنا شارشن ملك البليميين . أكتب إلى أولادى شارشن وشاراتكور وشاراهيت ، أنه طبقا لأمرى هذا قد محتكم حكم الجزيرة المعروفة باسم تنارى ، وألا يقف فى سبيلكم أحد . وإذا أثار الرومان مشاكل وامتنعوا عن دفع الأتاوة العادية لكم فإنه ، لا الفيلارك ولا الهيبوتيرانوس ، يمنعانكم من إرغام الرومان على دفع العطايا العادية عن جزيرتى .

شارشن : الملك .

(+) تنتكنا : أمين القصر - شاهد .

(+) كتبه سانسانوس الكاتب فى اليوم الرابع والعشرين من شهر...

تقع جزيرة تنارى جنوبى الجبلين ، أى أنها فى أرض مصرية . ويقول كروان Kirwan, LP. op cit. P. 87 لا يبعد أن يكون الامبراطور جستنيان أراد أن يتصل بدولة أكسوم ليستعين بها ضد الدولة الحميرية اليهودية باليمن . ورأى أن استخدام البليميين كجنود مرتزقة فى الجيش

البيزنطى يتيح له الفرصة لد حدود امبراطوريته إلى الحبشة ، فأقطعهم هذه الجزيرة ثمنا لخدماتهم من ناحية، واجتذابهم إلى المسيحية من ناحية أخرى. ويدل رسم الصليب أمام اسمى الشاهدين البليمنين على أن المسيحية وصلت إلى هذه الشعبة من البليمنين على الأقل، على الرغم من أن الملك البليمى لا يحمل علامة الصليب.

أما امرى Emery, W. E. op. cit. فيرى أن استقرار البليمنين فى الجزيرة يدل على ضعف النفوذ البيزنطى فى هذه المنطقة التى أقام فيها البليمنيون نوعا من الحكم المدنى على حساب البيزنطيين.

ويرى وولى وما سيفر Woolley - Maciver op. cit. p. 96 أن البليمنين لم يكونوا مجرد غزاة بل أنهم استقروا فى منطقة طيبة حيث أقاموا حكومة مدنية وأن القوات البيزنطية خضعت لهم واتخذوا من بطليمى قاعدة لهم يرسلون منها قواتهم لإثارة الرعب فى المنطقة التى تقع إلى الشمال من طيبة.

- ٢ -

وثيقة رقم 10761 متحف الآثار المصرى - وهى خاصة بتعيين قسيس لجزيرة تنارى الخاضعة لنفوذ ملك البليمنين نقلا عن:

Emery, W. E. : op. cit.

الترجمة العربية:

أنا (+) باكثمن أشهر الملوك. قد عينت باو القسيس المعروف لإدارة جزيرة تناسير المعروفة باسم تنارى. وقد سلمتها إليك من هذا اليوم فصاعدا . وأوافق على ماسطرته عليه. كعبه الكاتب أجاثونوس فى اليوم الثالث والعشرين من السنة من السنة الحادية عشرة.

ليس من المعروف تماما تاريخ تحرير هذه الوثيقة. وربما كانت لاحقة للوثيقة السابقة أى حوالى أواخر القرن السادس الميلادى. وموضع الأهمية فى هذه الوثيقة أن ملك البليمنين يحمل هنا علامة الصليب. ثم أنه يعين قسيسا على حكم هذه الجزيرة نفسها ويقول كروان Kirwan, L. P. op. cit P. 90. إن لفظ IEPEUS ومعناها قسيس، من الألقاب المعتادة فى الوثائق الكنيسة، وتدل الشواهد الداخلية بأن البليمنين المستقرين فى هذه المنطقة قد اعتنقوا المسيحية حوالى ذلك الحين (أواخر القرن السادس الميلادى).

ملحق رقم ٤

نقش دندور

في سنة ٥٥٩م حول معبد دندور إلى كنيسة . وقام الملك أرجمنيز بتسجيل هذه المناسبة على جدران هذا المعبد باللغة القبطية وقام على نشره كل من :

Bevillout, : Mem. Sur les Blemmyes, P. 121.

Kraus, J. Die Anfänge Des Christentums in Nubien. P. III.

وقد أخذ عنهما كروان Kirwan, L. P. LAAA : op. cit. p. 99.

وبكت Beckett. H. W. ; ASN. Vol. II. Report, 1907 - 8. p. 366

ولايختلف ترجمة كل من أولئك العلماء لهذا النص كثيراً وفيما يلي ترجمته عن بكت

Beckett, H. W. op. cit. p. 366.

الترجمة العربية:

بمشيئة الله وبأمر الملك أرجمنيز (أريام) ويوسف نائب الملك في تالمس، بعد أن تسلمت الصليب من يد ثيودور أسقف فيلة، قد وضعت أنا ابراهام القسيس المسكين هذا الصليب في اليوم الذي وضع فيه أساس هذه الكنيسة وهو اليوم السابع والعشرين من طوبة من السنة السابعة (٢٣ يناير سنة ٥٥٩م) بحضور (شاي)^(١) اخصى وباقنوتى مندوب الملك^(٢) وأيفانس حامل أختام الملك وماركوس^(٣) البريدى^(٤). وأرجو ممن يقرأون هذه السطور أن يصلوا من أجلى إحساناً منهم.

يشير هذا النقش إلى أن أرجمنيز ملك نوباديا اعتنق المسيحية وأنه أخذ ينشئ الكنائس ويحول المعابد إلى كنائس كذلك بالتعاون مع ثيودور أسقف فيلة. ويدل هذا النقش كذلك على أن نوباديا أضحت بلداً مسيحية. ومعنى هذا أن البليميين الذين قال بروكوبيوس

(١) ذكر كروان في ترجمته لهذا النص أن اسم اخصى، Shai

Kirwan, L. P. : op. cit. p. 99.

(٢) ذكر بكت هذا اللقب بمعنى Stephor وذكره كروان بمعنى Stepharis مندوب . Ibid op. Cit.

(٣) ذكر بكت أن اسم هذا الموظف Marcus على حين أن كروان ذكره باسم Sirma

(٤) يقول بكت: إن لقب هذا الموظف Veredarius، أما كروان فترجمها Courier، بريدى.

Procopius, op cit. أنهم حتى ذلك الحين (منتصف القرن السادس الميلادى) كانوا لا يزالون على أوزيريتهم، قد تركوا هذه المنطقة التى عاشوا فيها حوالى قرنين. كما يدل على ذلك نقش سلكو الذى سبق ذكره . ومما يدل على تعاون البيزنطيين مع سلكو على طرد أولئك البليبيين من هذه المنطقة أن الدولة عينت إلى جوار ملك نوباديا موظفاً كبيراً يحمل لقب eparch أو hezarch ومقره مدينة كلابشة ويقتسم هذا الموظف السلطة مع ملك نوباديا، نيابة عن الامبراطور البيزنطى . انظر.

Morie, L. J. Histoire de, l' Ethiopie et la Nubie, tome, Iere P. 412.

ويشتمل هذا النقش على اسماء عدد من الموظفين يعاونون نائب الملك فى حكم هذه المنطقة. والراجح أن أرجمنيز أول ملك نوبى مسيحى.



راقصتان داخل مربع وزخرفة نباتية. سجادة قبطية
من القرن ٩. متحف اللوفر

ملحق رقم ٥

العهد الذي اعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر

وهو يطلق عليه الطبرى «صلح عين شمس»

مأخوذ عن الطبرى، طبعة زوتبرج، الجزء الثالث، ص ٤٩١

«هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم، لا يدخل عليهم شئ من ذلك ولا ينتقص، ولا تساكنتهم النوبة. وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم، خمسين ألف ألف. وعليهم ما جنى لصوتهم (لصوصهم) فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزية بقدرهم وذمتا من أبى بريئة. وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك. ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم وعليهم مثل ما عليهم. ومن أبى منهم واختار الذهب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا. عليهم ما عليهم أثلاثاً فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم. على مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذم المؤمنين. وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا فرساً على ألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة» وشهد عليه الزبير وعبد الله ومحمد أبناءه وكتب وردان وحضر.



ملحق رقم ٦

عهد عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة

مأخوذ عن المقرئى . المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

طبعة بولاق الجزء الأول ص ٧٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم. عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة،
ولجميع أهل مملكته. عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى حد
أرض علوة. أن عبد الله بن سعد جعل لهم أماناً وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن
جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة. أنكم معاشر النوبة آمنون
بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي صلى الله عليه وسلم. أن لا نحاربكم ولا ننصب لكم
حرباً ولا نغزوكم ما أقمتكم على الشرائط التي بيننا وبينكم، على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير
مقيمين فيه، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو
يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم. وأن عليكم رد كل أبق خرج إليكم من عبيد
المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام، ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه. ولا تعرضوا لمسلم
قصده وجاوره إلى أن ينصرف عنه. وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء
مدينتكم. ولا تمنعوا منه مصلياً. وعليكم كنهه واسراجه وتكرمه. وعليكم فى كل سنة
ثلثمائة وستون رأساً تدفعونها إلى إمام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب، يكون
فيها ذكران وإناث، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم، تدفعون ذلك إلى
والى أسوان. وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم، من حد أرض علوة إلى
أرض أسوان. فإن أنتم آريتم عبداً لمسلم أو قتلتم مسلماً أو معاهداً، أو تعرضتم للمسجد الذى
ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم، أو منعتم شيئاً من الثلثمائة رأس والستين رأساً، فقد برئت
منكم هذه الهدنة والأمانة، وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير
الحاكمين. علينا بذلك أعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة الخواريين وذمة من تعظمونه
من أهل دينكم وملتكم. الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك.

كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة إحدى وثلاثين.

ملحق رقم ٧

البقط حسبما ورد في كتب المؤلفين العرب

ماخوذ عن البلاذري: فتوح البلدان

نشره، De Goeje طبعة ليدن ١٨٦٦م

(٣٦٦)... لما فتح المسلمون مصر بعث عمرو بن العاص إلى القرى التي حولها الخيل ليطأهم فبعث عقبة بن نافع الفهري - وكان نافع أخا العاصي لأمه - فدخلت خيولهم أرض النوبة كما تدخل صوائف الروم، فلقى المسلمون بالنوبة قتالا شديدا. لقد لاقوهم فرشقوهم بالنبل حتى جرح عامتهم فانصرفوا بجراحات كثيرة وحدثت مفقودة فسموا رماة الحدق، فلم يزالوا على ذلك حتى ولي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح فسألوه الصلح والمواذعة فأجابهم إلى ذلك على غير جزية، لكن على هدنة ثلثمائة [رأس] في كل سنة وعلى أن يهدي المسلمون إليهم طعاما بقدر ذلك... حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني الواقدي، قال حدثنا إبراهيم بن جعفر عن عمر بن الحرث عن أبي قبيل حبي بن هاني العافري عن شيخ محمد حميد. قال شهدت النوبة مرتين في ولاية عمر بن الخطاب، فلم أرقوما أحد في حرب منهم. لقد رأيت أحدهم يقول للمسلم أين تحب أن أضع سهمي منك فربما عبث الفتى منا فقال في مكان كذا فلا يخطئه. كانوا يكثرون الرمي بالنبل فما يكاد يرى من نبلهم في الأرض شيء. فخرجوا إلينا ذات يوم فصاففونا ونحن نريد أن نجعلها حملة واحدة بالسيوف فما قدرنا على معاملتهم. رمونا حتى ذهب الأعين فعدت مائة وخمسين عينا مفقودة والهاولاء خير من الصلح. إن سلبهم لقليل وإن نكاتهم لشديدة. فلم يصالحهم. قال عبد الله بن صالح عن أبي لهيعة عن يزيد بن حبيب قال: ليس بيننا وبين الأسود عهد ولا ميثاق، إنما هي هدنة بيننا وبينهم على أن نعطيهم شيئا من قمح وعدس ويعطونا رقيقا فلا بأس بشراء رقيقهم منهم أو من غيرهم. حدثنا أبو عبيد الله عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال: إنما الصلح بيننا وبين النوبة على ألا نقاتلهم ولا يقاتلونا وأن يعطونا رقيقا ونعطيهم بقدر ذلك طعاما. فإن باعوا نساءهم وأبناءهم لم أر بذلك بأسا أن يشتري.

ومن رواية البحتري وغيره أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح صالح أهل النوبة على أن

يهدوا في السنة أربعمئة رأس يخرجوا بها يأخذون بها طعاما. وكان المهدي أمير المؤمنين أمر
بإلزام النوبة في كل سنة ثلثمئة رأس وستين رأسا وزرافة على أن يعطوا قمحا و^(١)
وخمر^(٢) وثيابا وفرشا أو قيمته.. وقد ادعوا حديثا أنه ليس يجب عليهم البقط لكن سنة
وأنهم كانوا طولبوا بذلك في خلافة المهدي فرفعوا إليه أن هذا البقط مما يأخذون من رقيق
أعدائهم فإذا لم يجدوا منه شيئا عادوا على أولادهم فأعطوا منهم فيه بهذه العدة، فأمر بأن
يحملوا في ذلك على أن يؤخذ منهم لكل ثلث سنين بقط سنة. ولم يوجد لهذه الدعوى ثبوت
في دواوين الحضرة ووجد في الديوان بمصر.



(١) وخلا

(٢) وخمرا

ملحق رقم ٨

هجرة القبائل العربية إلى مصر، ومنها إلى السودان (١)

أولاً ، القبائل القحطانية:

بنو جذام: سكن بنو جذام الحوف منذ الغزو العربي لمصر حتى سنة ١٤٠٠م، ومنهم بنو عقبة الذين انفصلوا عن بقية الجذامين ليلحقوا ببني هلال في شمال أفريقيا. وقد اضمحل شأن جذام زمن صلاح الدين (١١٧١م) وحلت محلها طى.

بنو طى: هبط بنو طى مصر عقب الغزو العربي لها بنحو قرنين أو ثلاثة، وسكنوا جهات الدلتا المختلفة، حيث لحق بهم عدد كبير من أهلهم. ومن طى بنو ثعلبة.

بلي: إن بلي فروع من قضاة من حمير، جاءوا مصر مع الغزو العربي. وقد قام نزاع بينهم وبين جهينة ثم تم الصلح بينهما. واستقرت بلي في صحراء عيذاب وسكن بعضهم جهات إخميم.

جهينة: سكنت جهينة جنوبى ينبع، ثم دخلوا مصر مع الفتح، واشتركوا مع ربيعة في حملة العرب على البجا حوالى منتصف القرن التاسع الميلادى وانتقل معظمهم إلى الصعيد واشتركوا في الحملات على النوبة.

لخم: فرع من طى، أسسوا مملكة الحيرة سنة ٢٨٦م ونشب نزاع بينهم وبين غسان وبني بكر وبني تميم وغيرهم من عرب سوريا. واعتنقوا المسيحية فى نهاية القرن الخامس الميلادى وانتهى حكمهم بالحيرة عقب ظهور الإسلام. ومن بطون لخم، يشكر الذين جاءوا مع الغزو العربى لمصر واستقروا فى الجبل الذى يعرف باسمهم (جبل يشكر) ثم لحقت بهم بطون أخرى فى القرنين السابع والثامن الميلاديين. واستقروا حول الإسكندرية. وفى القرنين الرابع عشر والخامس عشر استقر كثير من بطون لخم فى إقليم الصعيد.

ثانياً ، القبائل العدنانية:

كنانة وقريش: ومن هؤلاء أولاد عدى بن كعب وبنو مخزوم وبنو أمية وبنو العباس

(١) ملخصة عن MacMichael, H. A - A Hist. of the Arabs in the Sudan, I, PP. 133 - 150.

MacMichael, H. A. " The Coming of the Arabs to the Sudan, AESW. PP. 42 - 46.

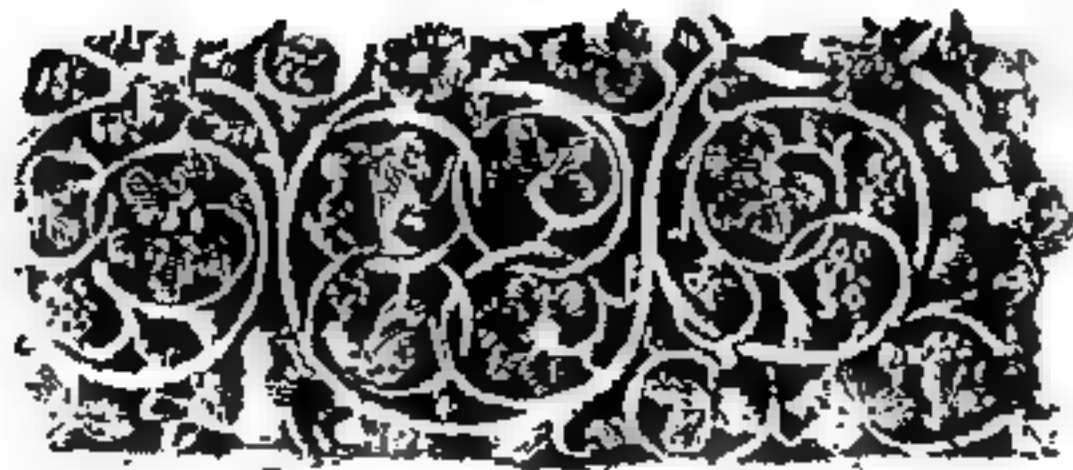
وغيرهم. وجاءت إلى مصر أعداد كبيرة منهم مع الغزو العربي لها. والمعروف أن معظم ولاية مصر كانوا من قريش. سكن كثير منهم الصعيد بجوار عرب جهينة. وفي نهاية القرن العاشر غادر جماعة من سلالة جعفر بن أبي طالب مكة واستقروا في مصر - بين قوص وأسوان - حيث عرفوا باسم الأشراف الجعافرة.

قيس عيلان: استقدم عبد الله بن الحبحاب صاحب الخراج في مصر سنة ٧٣٧م أعداد وفيرة من قيس عيلان الذين يسكنون نجد، ومنح بعض عائلاتهم أرضاً حول بليس، وجمعوا ثروة طائلة من نقل المتاجر بين البحر وداخل البلاد، ولهذا لحق بهم عدد كبير من أقاربهم حتى بلغ عددهم في عام واحد ١٥٠٠ أسرة معظمهم من بنى سليم، وهم بطن من قيس عيلان، وقد قام هؤلاء بعدة ثورات لم تقتصر على إقليم الحوف، بل امتد شررها حتى شمل معظم جهات الدلتا (٨٠٢ - ٨٠٨م).

فزارة: ينسب إلى فزارة معظم رعاة الإبل غربى النيل الأبيض، وكانوا يمثلون أيام الغزو العربى لمصر شعبة مستقلة عن غطفان. وعلى هذا فإنهم يرجعون إلى قيس عيلان. كانوا ينزلوا حول مكة. ثم هاجرت جماعات منهم إلى مصر فى القرن السابع الميلادى، ولحق بهم أقاربهم فى القرن الحادى عشر الميلادى، مع بنى هلال.

بنو هلال وبنو سليم: وهم فرع من قيس عيلان، وتشمل بطوناً من هوازن وعكرمة. انفصل بنو هلال عن القبيلة الأصلية فى زمن متقدم. وفى بداية القرن السابع كانوا يسكنون مع أقاربهم بنى سليم قرب الطائف. ولما ضعف نفوذ الفاطميين فى بلاد المغرب، أصدر المستنصر بالله سنة ١٠٤٩م أمراً لبنى هلال بالزحف على بلاد المغرب للقضاء على الروح الانفصالية فيها. وفى سنة ١٠٥١م نزع كثير من بنى هلال وبنى سليم وبنى قيس، ومعهم بنوقرة، إلى شمال أفريقيا، وغزوا تونس وطرابلس، وحتى زمن ابن خلدون ١٣٣٢ - ١٤٠٥م وكذلك ليو الأفريقى ١٥٥٣م، ولم نعد نسمع عن بنى هلال شيئاً فى بلاد المغرب، وبدأنا نسمع عن وجودهم فى الجنوب ولاسيما بعد حملة السلطان قلاوون على دنقلة سنة ١٢٨٧م. ويذكر ابن خلدون أنهم يسكنون صعيد مصر. ويذكر المقرئى أنهم كثيرون حول أسوان وفى الصحراء الشرقية حتى عيذاب وهناك من الأدلة ما يثبت أن من بنى هلال من نزع إلى السودان.

ربيعة وبنو كنز، إن الوطن الأصلي لربيعة في الحجاز ومرتفعات نجد وتهامة. هاجر كثير من عرب ربيعة إلى بلاد الجزيرة في القرن الخامس الميلادي حيث اعتنقوا المسيحية في القرن السابع الميلادي. وفي سنة ٨٥٤م بدأت هجرتهم الكبرى إلى مصر ثم اندفعوا جنوباً واستقر عدد كبير منهم حول أسوان وشمال النوبة، وانضموا إلى جبهة في حملاتهم ضد البجة. واستقر كثير منهم في أرض البجة للعمل في المعادن. كان زعيمهم في هذا العهد (القرن التاسع الميلادي) إسحاق بن بشر. ثم انتقلت الزعامة إلى أبي يزيد بن إسحاق الذي فضل الإقامة في أسوان. وبهذا انتقل مركز القبيلة من العلاقي إلى أسوان حيث اختلطوا بالنوبيين وتزوجوا من بنات رؤسائهم، فأضحت لهم مصالح مادية في بلاد النوبة. ومن هؤلاء بنو كنز وهم من ربيعة. عرفوا بهذا الاسم زمن الحاكم بأمر الله الفاطمي. ول هؤلاء يرجع الفضل في تعريب بلاد النوبة الشمالية تعريباً جزئياً. ولعبوا دوراً خطيراً في إسقاط مملكة النوبة المسيحية «مقرة» ثم اندمجوا اندماجاً تاماً في النوبيين. وهم الذين يعرفون في الوقت الحاضر باسم الكنوز، ويمتد وطنهم من أسوان إلى كرسكو.



ملحق رقم ٩

عهد عبد الله بن الجهم لكنون بن عبد العزيز

عظيم البجة بأسوان

منقول عن المقرئى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

طبع بولاق ص ١٩٥ - ١٩٦.

هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم، مولى أمير المؤمنين، صاحب جيش الغزاة، عامل الأمير أبى اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله فى شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومايتين، لكنون بن عبد العزيز عظيم البجة بأسوان، انك سألتى وطلبت إلى أن أؤمنك وأهل بلدك من البجة، وأعقد لك ولهم أماناً على وعلى جميع المسلمين، فأجبتك إلى أن عقدت لك وعلى جميع المسلمين أماناً ما استقمت واستقاموا على ما أعطيتنى، وشرطت لى فى كتابى هذا وذلك أن يكون سهل بلدك وجبلها من منتهى حد أسوان من أرض مصر إلى حد ما بين دهلك وباضع ملكاً للمأمون عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى. وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لأمر المؤمنين، إلا أنك تكون فى بلدك ملكاً على ما أنت عليه فى البجة، وعلى أن تؤدى إليه اخراج فى كل عام على ما كان عليه سلف البجة. وذلك مائة من الإبل أو ثلثمائة دينار وازنة داخلية فى بيت المال، واخيار فى ذلك لأمر المؤمنين ولولائه، وليس لك أن تخرم شيئاً عليك من اخراج، وعلى أن كل أحد منكم إن ذكر محمداً رسول الله (صلعم) وكتاب الله أو دينه بما لا ينبغى أن يذكره به، أو قتل أحداً من المسلمين حراً أو عبداً، فقد برئت منه الذمة، ذمة الله وذمة رسوله (صلعم) وذمة أمير المؤمنين أعزه الله، وذمة جماعة المسلمين، وحل دمه كما يحل دم أهل الحرب وذريتهم، وعلى أن أحداً منكم إن أعان المخاريق على أهل الإسلام بمال، أو دله على عورة من عورات المسلمين، أو أثر لعزتهم، فقد نقض ذمة عهده وحل دمه، وعلى أن أحداً منكم إن قتل أحداً من المسلمين عمداً أو سهواً أو خطأ حراً أو عبداً أو أحداً من ذمة المسلمين، أو أصاب لأحد من المسلمين أو أهل ذمتهم مالاً يبلد البجة، أو ببلاد الإسلام، أو ببلاد النوبة أو من شئ من البلدان براً أو بحراً، فعليه فى قتل المسلم عشر ديات، وفى قتل العبد المسلم عشرين وفى قتل الذمى عشر ديات من دياتهم، وفى كل مال أصبتموه للمسلمين وأهل الذمة عشرة أضعاف. وإن دخل أحد من المسلمين بلاد البجة تاجراً، أو مقيماً،

أو مجتازا، أو حاجا، فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج من بلادكم، ولا تؤوا أحدا من أبقي المسلمين، فإن أتاكم آت فعليكم أن تردوه إلى المسلمين. وعلى أن تردوا أموال المسلمين إذا صارت في بلادكم بلا مؤنة تلزمهم في ذلك، وعلى أنكم إذا نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين لا تظهرون سلاحا ولا تدخلوا المداين والقرى بحال، ولا تمنعوا أحدا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها برا ولا بحرا، ولا تخيفوا السبيل ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين ولا أهل الذمة، ولا تسرقوا لمسلم ولا ذمي مالا، وعلى ألا تهدموا شيئا من المساجد التي ابتناها المسلمون بصحن [مدينة] هجر وسائر بلادكم طولا وعرضا، فإن فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة. وعلى أن كنون بن عبدالعزيز يقيم بريف صعيد مصر وكيلا يفي للمسلمين بما شرط للمسلمين من دفع الخراج، ورد ما أصابه البجة للمسلمين من دم ومال. وعلى أن أحدا من البجة لا يعترض حد القصر إلى قرية يقال لها قبان من بلد النوبة حد الاعمدة. عقد عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين لكون بن عبد العزيز كبير البجة الأمان على ما سمينا وشرطنا في كتابنا هذا، وعلى أن يوافي به أمير المؤمنين فإن زاغ كنون أو عاث فلا عهد له ولا ذمة، وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البجة لقبض صدقات من أسلم من البجة، وعلى كنون الوفاء بما شرط لعبد الله بن الجهم وأخذ بذلك عهد الله عليه بأعظم ما أخذ على خلفه من الوفاء والميثاق. ولكنون بن عبد العزيز وجميع أهل البجة عهد الله وميثاقه، وذمة الأمير أبي اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بالوفاء بما أعطاه عبد الله بن الجهم ما وفى كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه. وإن غير كنون أو بدل أحد من البجة فذمة الله جل اسمه وذمة أمير المؤمنين وذمة الأمير أبي اسحاق أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بريئة منهم. وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفا حرفا زكريا بن صالح الخزومي من سكان جده وعبد الله بن اسماعيل القرشي، ثم نسخه جماعة من شهود أسوان.

ملحق رقم ١٠

مناجم الذهب والزمرد باوطان البجة

عن اليعقوبين كتاب البلدان. نشرى خوية، ليدن ١٨٩١م.

ص ٣٣٠، ٣٣٥.

... ومن فقط تسلك إلى معدن الزمرد، وهو معدن يقال له خربة الملك على ثمان رحلات من مدينة قفط وفيه جبلان يقال لأحدهما العروس وللآخر المحصور فيهما معادن الزمرد، وفيه موضع يقال له كوم الصابوني وكوم مهران ومكابر وسفسيد. وكل هذه معادن يوجد فيها الجواهر وتسمى الحفائر التي يخرج منها الجواهر شيم، وأحدثها شيمة. وكان بها معدن قديم يقال له سر وحيط وهو معدن كان في الجاهلية وكذلك معدن سابر. ومن المعدن الذي يقال له خربة الملك إلى جبل صاعد وهو معدن تبر مرحلة، وإلى الموضع الذي يقال له الكلبي، وموضع يقال له الشكري وموضع يقال له العجلي، وموضع يقال له العلاقى الأدنى، وموضع يقال له الريفة وهو ساحل بحر خربة الملك. ولك هذه معادن تبر. ومن الخربة إلى معدن يقال له رحم معدن تبر ثلاث مراحل، وبرحم قوم من بلى وجهينة وغيرهم من أخلاط الناس يقصدون للتجارات، فهذه معادن الجواهر وما يتصل بها من معادن التبر القرية. ثم مدينة أسوان العظمى وبها تجار المعادن وهم في الجانب الشرقي من النيل.. ومن أراد المعادن معادن التبر خرج من أسوان إلى موضع يقال الضيقة بين جبلين، ثم البويب ثم البيضة، ثم بيت ابن زياد، ثم عذيفر ثم جبل الأحمر ثم جبل البياض ثم قبر أبي مسعود ثم عفار ثم وادى العلاقى. وكل هذه المواضع معادن التبر يقصدها أصحاب المطالب.. ووادى العلاقى كالمدينة العظيمة به خلق من الناس وأخلاط من العرب والعجم أصحاب المطالب، وبها أسواق وتجارات. وشربهم من آبار تحفر في وادى العلاقى. وأكثر من بالعلاقى قوم من ربيعة من بنى حنيفة من أهل اليمامة انتقلوا إليها بالعيالات والذرية. ووادى العلاقى وما حواليه معادن للتبر وكل ما قرب منه يعمل فيه الناس. لكل قوم من التجار وغير التجار عبيد سودان يعملون في الحفر ثم يخرجون التبر كالزرنخ الأصفر، ثم يسبك. ومن العلاقى إلى موضع يقال له الجبل مرحلة، ثم إلى موضع يقال له ؟ ثم إلى موضع يقال له كعار يجتمع الناس به لطلب التبر، وبه قوم من أهل اليمامة من ربيعة. ومن العلاقى إلى معدن يقال له بطن داح مرحلة. من العلاقى إلى موضع

يقال له أعماد مرحلتان، وإلى معدن يقال له ماء الصخرة مرحلة، وإلى معدن يقال له الأخشاب مرحلتان، وإلى معدن يقال له ميزاب تنزله بلى وجهينه أربع مراحل، وإلى معدن يقال له عربة بطحا مرحلتان، ومن العلاقى إلى عيذاب أربع مراحل. وعيذاب ساحل البحر المالح يركب الناس منه إلى مكة والحجاز واليمن ويأتيه التجار فيحملون التبر والعاج وغير ذلك فى المراكب. ومن العلاقى إلى بركان وهى آخر معادن التبر التى يصير إليها المسلمون ثلثون مرحلة. ومن العلاقى إلى موضع يقال له دح ينزله قوم من بنى سليم وغيرهم من مضر عشر مراحل. من العلاقى إلى موضع يقال له السنطة وبه قوم من مضر وغيرهم عشر مراحل. ومن العلاقى إلى موضع يقال له الرفق عشر مراحل. ومن العلاقى إلى معدن يقال له سخيت عشر مراحل. فهذه المعادن التى يصل إليها المسلمون ويقصدونها لطلب التبر.



ملحق رقم ١١

شراء العرب أراض بالنوبة

منقول عن المسعودى: مروج الذهب، نشر دى مينار ودى كورتل .

باريس ١٨٦٦ - ١٨٧٧ م ج ٣، ص ٤٢ - ٤٣ .

ولمن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلية فى أرض النوبة، يؤدون خراجها إلى ملك النوبة. ابتيعت هذه الضياع من النوبة فى صدر الزمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس. وقد كان ملك النوبة استعدى إلى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفدهم إلى القسطنطينة، ذكروا عنه أن أناسا من مملكته وعبيده. باعوا ضياعا من ضياعهم لمن جاورهم من أهل أسوان وأنها ضياعه والقوم عبيده ولا أملاك لهم، وإنما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها. فرد المأمون أمرهم إلى الحاكم بمدينة أسوان ومن بها من الشيوخ وأهل العلم. وعلم من ابتاع هذه الضياع أنها مستزعة من أيديهم، فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا إلى من ابتاع منهم من النوبة، أنهم إذا حضروا إلى حضرة الحاكم ألا يقرروا لملكهم بالعبودية، وأن يقولوا سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم، يجب علينا طاعته وترك الخالفة له. فإن كنتم أنتم عبيد لملككم وأموالكم له فنحن كذلك. فلما جمع بينهم الحاكم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام أو نحوه مما وقفوا عليه من هذا المعنى، فمضى البيع لعدم إقرارهم بالرق لملكهم إلى هذا الوقت. وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس. وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك فى نوعين، نوع ممن وصفنا أحرار غير عبيد والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن بالنوبة فى غير هذه البلاد المجاورة لأسوان وهى بلاد مريس.



ملحق رقم ١٢

التهجاء فلول الأمويين إلى بلاد النوبة وبلاد البجة

عن المسعودي: كتاب التنبية والإشراف.

تشردي نخويه، ليدن، ١٨٩٧. ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

لما قتل مروان بن محمد بن مروان، تفرقت بنو أمية في البلاد هربا بأنفسهم وقد كان عبد الله بن علي بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، قتل منهم على نهر أبي فطرس من بلاد فلسطين نحو من ثمانين رجلا مثلة، واحتذى أخوه داود بن علي بالحجاز فعله. فقتل منهم نحو من هذه العدة بأنواع المثل. وكان مع مروان حين قتل أبناء عبد الله وعبيد الله وكانوا ولي عهده، فهربا فيمن تبعهما من أهلهما ومواليهما وخواصهما من العرب ومن انحاز إليهم من أهل خراسان من شيعة بني أمية، فساروا إلى أسوان من صعيد مصر، وساروا على شاطئ النيل إلى أن دخلوا أرض النوبة وغيرهم من الأحابش، ثم توسطوا أرض البجة ميممين باضع من ساحل بحر القلزم، فكانت لهم مع من مروا به من هذه الأمم حروب ومغادرات، ونالهم جهد شديد وصبر عظيم، فهلك عبيد الله ابن مروان في عدة من كان معهم قتلا وعطشا وضرا. وشاهد من بقي منهم أنواع الشدائد وضروب العجائب. ووقع عبد الله بن مروان في عدة ممن نجا معه إلى باضع من ساحل المعدن وأرض البجة، وقطع البحر إلى جده من ساحل مكة، وتنقل فيمن نجا معه من أهله ومواليه في البلاد مستترين راضين أن يعيشوا سرقة بعد أن كانوا ملوكا، فظفر بعبد الله أيام أبي العباس السفاح. فأودع السجن، فلم يزل فيه بقية أيام أبي العباس وأيام المنصور والمهدي والهادي، فأخرجه الرشيد وهو شيخ ضير فسأله عن خبره فقال يا أمير المؤمنين حبست غلاما بصيرا وأخرجت شيخا ضيررا.



ملحق رقم ١٣

رسالة ملك الحبشة إلى جورج ملك النوبة للتدخل لإعادة

العلاقات بين كنيسة الحبشة والكنيسة المرقسية

من حياة البطريرك فيلاتاوس وهو من العدد الثالث والستون ٩٧٠ - ٩٩٥ م

عن تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة.

المقدسة لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين.

الجزء الثالث

وفي أيامه (البطريرك فيلاتاوس) أنفذ ملك الحبشة إلى ملك النوبة كتابا، واسمه جرجس، وعرفه ما أدبه الرب به هو وأهل كورته وهو، أن امرأة ملكة على بنى الهموية ثارت عليه وعلى كورته وسبت منها خلق كثير وأحرقت مدن كثير وأخربت البيع وطردته من مكان إلى مكان وأن هذا الذى لحقه جزى (جزاء) عما كان الملك الذى قبله فعله مع المطران فى أيام الأب انبا قزما (قسما) مما قد شرحناه أولا من تزويره وكذبه، وقال له فى الكتاب الذى أنفذه له: أحب أن تساعدنى وتشاركنى فى التعب منجل (من أجل) الله ومن أجل اتفاق الأمانة، وتكتب كتاب من جهتك إلى الأب البطريرك بمصر تسله أن يحللنا ويحلل بلادنا ويصلى علينا ليزيل الله عنا وعن أرضنا هذا البلاء وينعم لنا بأن يقسم لنا مطران كما جرت عادة أبائنا ويدعى لنا بأن يزيل الله غضبه عنا. وذكرت لك أيها الاخ ذلك خوفا من ان ينقرص ويطل دين النصرانية من عندنا لان هو ذا ستة بطاركة قد جلسو ولم يلتفتوا إلى بلادنا بل هى سايية بلا راعى، وقد ماتوا أساقفتنا وكهنتنا، وقد خربت البيع وعلمنا أنه بحكم حق نزل علينا هذا البلاء عوضا مما فعلناه بالمطران. فلما وصلت الكتب إلى جرجس ملك النوبة ووقف عليها أنفذ من جهته كتبا ورسلا إلى البطريرك فيلاتاوس وشرح له فيها جميع ما ذكره ملك الحبشة وساله ان يتراف على شعبه فاجاب سواره ورسم لهم راهبا من دير أبو مقار اسمه دانيال وأنفذه لهم مطرانا فقبلوه بفرح وأزال الله عنهم الغضب وابطل امر الامراة التى قامت عليهم.

ملحق رقم ١٤

نص اليمين التي حلف عليها مشكك ملك النوبة الجديد بدنقله

للظاهر بيبرس بعد فتح الممالك لتلك البلاد

سنة ١٦٧٤هـ (١٢٧٥م)

وهو منقول من النويرى (نهاية الأرب، ج ٢٨، ورقة ١٠٩. صورة شمسية بدار الكتب المصرية معارف عامة رقم ٥٤٩ وقد صحح وقوبل على النص الوارد في ملحق رقم ٥ من كتاب السلوك ج ١ القسم الثالث ص ٩٧٣ - ٩٧٤ نشره الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة.

والله ! والله ! والله ! وحق الثالث المقدس، والانجيل الطاهر والسيدة الطاهرة العذراء أم النور والمعمودية، والأنبياء والمرسلين والحواريين والقديسين والشهداء الأبرار، ولا أجحد المسيح كما جحده يودس، وأقول فيه ما يقول اليهود واعتقدا معتقدونه، ولا أكون يودس الذي طعن المسيح بالحرية، إني اخلصت نيتي وطويت من وقتي هذا وساعتى هذه للسلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس وإني أبذل جهدي وطاقتي في تحصيل مرضاته، وإني مادمت نائبه لا أقطع ما قرر على في كل سنة تمضي، وهو ما يفضل من مشاطرة البلاد على ما كان يحصل لمن تقدم من ملوك النوبة، وأن يكون النصف من المتحصل للسلطان مخلصا من كل حق، والنصف الآخر أرصده لعمارة البلاد وحفظها من عدو يطرقتها وأن يكون على كل سنة من الأفيلة ثلاثة، ومن الزرفات ثلاث، ومن إناث الفهود خمس، ومن الصهب الجياد مائة، من الأبقار الجياد المنتخبة أربع مائة، وإني أقرر على كل نفر من الرعية الذين تحت يدي في البلاد من العقلاء البالغين دينارا عينا، وأن يفرد بلاد العلى والجبل خالصا للسلطان. وأنه مهما كان لداود ملك النوبة ولأخيه سنكوا ولأمه وأقاربه، ومن قتل من عسكره بسيوف العساكر المنصورة، أحمله إلى الباب العالي مع من يرصد لذلك. وإني لا أترك شيئا منه قل ولا جل ولا أخفيه، ولا أمكن أحدا من إخفائه. ومتى خرجت عن جميع ما قررت أوشى من هذا المذكور أعلاه، كنت بريئا من الله تعالى ومن المسيح ومن السيدة الطاهرة وأخسر دين النصرانية، وأصلى إلى غير الشرق، وأكفر بالصليب، واعتقد ما تعتقد اليهود. وإني لا أترك أحدا من العربان ببلاد النوبة، ومن وجدته منهم أرسلته إلى الباب السلطاني. ومهما سمعت من الأخبار السارة والنافعة طالعت به السلطان في وقته وساعته، ولا أنفرد بشئ من الأشياء إذا لم تكن مصلحة. وإني ولي من وإلى السلطان وعدو من عاداه والله على ما نقول شهيد.

ملحق رقم ١٥

نص اليمين التي حلف عليها النوبيون بطاعة السلطان بيبرس ونائبه في حكم النوبة وهو الملك مشكد (شكنديه)

منقول من النويرى: نهاية الأرب، الجزء ٢٨، مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية، معارف
عامة، رقم ٥٤٩، ص ١٠٩

وكل نايب يكون للسلطان أطيعه، ولا أرى عليه بردئ، ولا أخبئ. عنه مصلحة. وكل ما
أسمعه من الأخبار الجيدة والردية أطلع نايه به. ومتى علمت على نايب الملك مشكد أمراً
يخالف المصلحة، لا أطيعه فيه وأطلع السلطان به في الوقت والساعة. وأنى لا أدخل في
حكم داود، ولا أكون معه، ولا أطلعه بخبر من الأخبار، ولا أرتضى به ملكاً. ورضيت بأن أقوم
بدينار عينا في كل سنة خالية على



ملحق رقم ١٦

حملة السلطان الناصر محمد بن قلاوون على العربان بيرية

عذاب؛ توغل الحملة في أرض البجة وبلاد علوه

وعودتها إلى مصر عن طريق دنقله

سنة ٧١٦هـ - ١٣٢٢م

منقولة من النويري: نهاية الأرب، مخطوطة بدار الكتب المصرية.

صورة شمسية، معارف عامة رقم ٥٤٩ - جزء ٣٠.

ص ٩٦ - ٩٨.

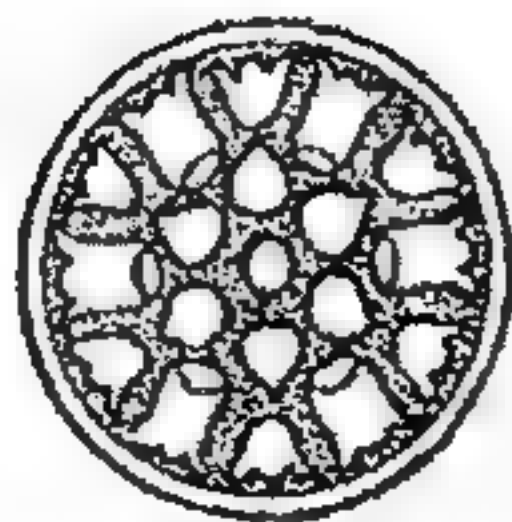
(ص ٩٦) وفي سنة ست عشرة وسبعمائة أمر السلطان بتجريد جماعة من العسكر إلى جهة الصعيد، أن يتوجهوا خلف العرب حيث كانوا من البرية. فجرد الأمير علاء الدين مغلطاي أمير مجلس، وهو المقدم على الجيش، وهو من جملة مقدمي الألوف، والأمير عز الدين أيدمر الدوادار، والأمير علم الدين سنجر الدمشقي، والأمير علاء الدين علي بن الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، والأمير سيف الدين بهادر النقوي، والأمير سيف الدين الدمياطي، والأمير صارم الدين الجرمكني، والأمير سيف الدين طقصبا متولى الأعمال القوصية والأخميمية، وسبعة من مقدمي الحلقة المنصورية، وتوجهوا في نحو خمسمائة فارس. وكان رحيلهم من القاهرة في يوم الأربعاء العشرين من شوال من السنة. وكان سبب ذلك أن العربان بيرية عذاب قطعوا الطريق على رسول اليمن الواصل إلى الأبواب السلطانية وأخذوا ما كان معه من التقادم ومن رافقه من غلمان التجار. والذي حملهم على ذلك الأمير سيف الدين طقصبا متولى الأعمال القوصية اعتقل فياضا أمير هذه الطائفة من العرب، فحملت أصحابه الحمية على فعل ذلك. فلما اتصل فعلهم بالأبواب السلطانية، جرد هذا العسكر في طلبهم. (٩٧) ورسم أن يتوجهوا إلى مدينة قوص ويتوجهوا منها إلى البرية ويتبعوا العرب حيث كانوا. فأخبرني الأمير عز الدين الدوادار أحد الأمراء الذين توجهوا، وهو الثقة في أخباره، أنهم توجهوا في التاريخ المذكور حتى انتهوا إلى مدينة قوص، فأقاموا بظاهرها خمسة وخمسين يوماً. وفي مدة مقامهم توجه متولى الأعمال والأمير صارم الدين الجرمكني إلى البرية ليجتمع بالعربان في رد ما أخذوه من الأموال ومراجعة الطاعة. فاجتمع بهم ولم يهنا بالموافقة على ما

أرادوا. ولما توجهوا طولع السلطان بتوجههما، وأن العسكر تأخر لقلة الطهو وسعة البرية وقلة الماء. وجهز بذلك الأمير بدر الدين بكتمر الحسامي أحد مقدمي الحلقة المنصورية.

فلما وصل إلى الأبواب السلطانية حصل من السلطان الإنكار الشديد بسبب تأخر العسكر عن دخول البرية، فعندها توجه العسكر من مدينة قوص في القمر الأول من المحرم سنة سبع عشرة وسبعمائة، ودخلوا إلى البرية، فانتهوا إلى ثغر عيذاب خمسة عشر يوماً. واجتمع العسكر بالأمير بن سيف الدين طقصبا وصارم الدين الجمركي بعيذاب، وأقاموا بها اثني عشر يوماً. وكان متولى الأعمال قد استصحب معه فياضا أمير العرب الذي كانت الفتنة بسبب اعتقاله، ثم دخل الجيش من ثغر عيذاب، وساروا حتى انتهوا إلى سواكن في اثني عشر يوماً يسلكون بين الجبال والأدغال. وحصل لهم ضرر كبير بسبب المياه وقتلها حتى كادوا يهلكون في ماء منها يقال له ديكام. فإن العربان كانوا قد غرروا المياه أمام العسكر، فأقام الجيش أربعة أيام، ووصل إلى ذلك الماء في اليوم الخامس، فوجدوا قفارا واحداً وهو متغير اللون والطعم والريح. فبينما هم كذلك إذ قدمت كشافة العسكر، وكانوا قد قدموا من يستقرى لهم خبر تلك الجبال. فدخلوا من هناك وقت المغرب، وانتهوا إلى مياه قد اجتمعت من الأمطار فأقاموا بها بقية تلك الليلة إلى نصف النهار من اليوم الثاني وحملوا منها وارتحلوا، حتى انتهوا إلى سواكن، فخرج إليهم متملكها بالطاعة والانقياد إلى أوامر السلطان، وقرر على نفسه قطعة يحملها إلى الأبواب السلطانية في كل سنة وهي من الرقيق ثمانون رأساً ومن الجمال ثلاثمائة رأس ومن العاج ثلثون قنطاراً. واستقر بسواكن نيابة عن السلطان، وأقام العسكر بسواكن ستة أيام، واستصحب معه أولاد مهنا. وكان فضل أحد مقدمي العربان قد التحق بالعسكر فيما بين سواكن وعيذاب وصحبهم. وتوجه الجيش خلف العربان ودخلوا البرية يتبعون آثارهم، فساروا سبعة عشر يوماً. وفي أثناء مسيرهم ظفروا بطوائف من السودان بقرب المياه في أودية هناك، فقتل العسكر منهم وأسروا وسبى وغنم من مواشيهم من الأبقار والأغنام ما ارتفق به الجند. وانتهوا إلى وادي (أثيرب) في اليوم السابع عشر، فأقاموا بها يومين، ولم يجدوا من سواكن إلى هذا الوادي غير ماء واحد، وكان ضربهم من مياه الأمطار، وأمطرت البرية في غير الوقت المعتاد لطفاً من الله تعالى بعباده، واتقاء عليهم. ثم ساروا إلى أن وصلوا أريينات، وهو جبل صغير على شاطئ نهر أثيرا، وهو فرع من فروع نيل مصر، يخرج من بلاد الحبشة، فأقاموا عليه يوماً واحداً ثم توجهوا يتبعون آثار العربان، وهم يسيرون على شاطئ ذلك النهر ثلاثة أيام،

والنهر على يمين العسكر. ثم فوزوا ودخلوا البرية إلى أرض السالة، فانتهاوا في اليوم الثالث من يوم دخولهم المفازة إلى جبل كسلان وهو جبل أقرع ليس في تلك البرية غيره. وجبل ألوس، وبين الجبلين واد، هذا الجبل هو حد بلاد التاكة من الحبشة. (ص ٩٨) فلما وصلوا إليه وقد قربوا من الماء وهم في أرض صفر التربة تشبه أرض ييسان في كور الشام، وهي كثيرة أشجار السنط وأم غيلان وشجر الأهليلج والأبنوس والصبر والحمى وهو الذي يطرح التمر هندي، إذ طلع عليهم غبار أمامهم، فتدبوا من يكشف الخبر، فعاد الكشافة وأخبروهم أن طائفة من السودان تسمى هلنكة قد اجتمعوا لقتال العسكر، وهم خلق كبير فتقدم العسكر إليهم.. واجتمع العسكر في أرض خالية من الأشجار هي من طرق.. وقد صارت مثل البركة. فدخل العسكر فيها.. وهلك من أعلا البركة والعسكر أسفل منهم، وبايدي هلنكة الحراب والمزاريق والسيوف ومع بعضهم النبل. فوقف العسكر، وأرسل إليهم: أننا لم نأت لقتالكم وإنما جئنا في طلب طائفة من العرب، أفسدوا وعصوا وقطعوا السبل، وأمنوهم فردوا الأمان وأبوا إلا القتال، فقاتلهم العسكر ورموهم رشقا واحدا بالسهم فقتل من هلنكة أربعمائة وستون نفرا وجرح منهم خلق كبير. ولم يتمكن العسكر من أسرهم فأنهم كانوا يرون القتل أحب إليهم من الأسر وقتل منهم اثنان من ملوكهم، على ما حكاه من اجتمع بهم من غلمان العسكر. وكان سبب اجتماعهم بهم وسلامتهم منهم، أنهم كانوا انقطعوا وراء العسكر وناموا فلاحقهم كشافة هلنكة فمسكوا بهم، وأتوا بهم إلى أكابرهم فسألوهم من أين أنتم، وكان فيهم من يعرف لغة القوم، فقالوا نحن تجار، أغار علينا هذا العسكر ونهبونا وأخذوا أموالنا وأسروا، فلما قاتلوهم هزمنا منهم، فرقوا لهم وأطلقوهم. وذكروا لهم عدة من قتل منهم. ولما انهزمت هذه الطائفة من هلنكة تحصنوا بالأشجار وتركوا أحمالهم، فأخذ العسكر منه ما قد زاد على جملة من الدرة وليس لهم طعام غيرها، وحملوا حاجتهم من الماء ورجعوا من هناك من يومهم على آثارهم، وذلك في سادس شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة، وعادوا حتى انتهوا إلى أربينات. ولم يمكنهم الرجوع على الطريق الذي دخلوا منه لقلة المياه والأقوات والعلوفات، فعدلوا إلى جهة الأبواب من بلاد النوبة، وأخذوا على نهر أتبرا، فساروا على شاطئه عشرين يوما. وكانت دوابهم ترعى من الخلف ثم انتهوا إلى قبالة الأبواب وأقاموا هناك وتوفر سيف الدين أبو بكر بن والي الليل في الرسيلة من جهة متولى الأعمال القوصية الأمير سيف الدين طقصبا، إلى متملك الأبواب فخاف ولم يأت إلى العسكر، وأرسل إليهم بمائتي رأس بقر وأغنام وذرة،

ونهب العسكر ما وجدوه بتلك الجهة من الذرة وتوجهوا إلى مدينة دنقلة، في سبعة عشر يوما في أرض كثيرة الأشجار والأفيلة والقرود والنسائس والوحش الذي يسمى المرغيف، فأقاموا ثلاثة أيام وملكها عبد الله برشنبو كما تقدم، وأضاف العسكر وزودهم، توجهوا إلى ثغر أسوان ثم مدينة قوص، وأقاموا بها خمسة عشر يوما. وحصل للعسكر في هذه السفرة مشقة كبيرة وكلفة عظيمة حتى بيعت قطعة النعال بينهم بخمسين درهما. وبيع رطل البقسماط بدرهم ونصف في المراكب لأمرين: أولهما عدم الظهر. ومنها أن النيل كان قد عم البلاد وقطع الطرق إلا الجبال، وكان وصول العسكر إلى القاهرة المحروسة في يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الآخرة سنة سبع عشرة.



ملحق رقم ١٧

المكاتبة إلى أهل الجانب الجنوبي من جرت العادة بالمكاتبة إليه من العرب

عن القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٨ ، ص ٥ .

وقد ذكر في «التقيف» من كوتب منهم جماعة بالطرقات الموصلة من الديار المصرية إلى بلاد الحبشة وغيرها، ثم قال : ولعل هؤلاء أيضا من عربان الممالك المحروسة، غير أنه لا إقطاعات لهم، وعد منهم ثمانية أشخاص وذكر أنه كتب إلى كل منهم الاسم ومجلس الأمير.
الأول : سمرة بن كامل العامري.

الثاني : عباد بن قاسم.

الثالث : كمال بن سوار، قال : وهو مستحدث المكاتبة في العشر الأول من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة.

الرابع : جنيد شيخ الجوابرة من الهكارية بأبواب النوبة. قال : وهو مستحدث المكاتبة في سنة تسع وستين وسبعمائة.

الخامس : شريف شيخ النمانمة، بأبواب النوبة أيضا، ومكاتبته مستجدة حينئذ.

السادس : علي شيخ دغيم.

السابع : زامل الثاني.

الثامن : أبو مهنا العمراني.

ملحق رقم ١٨

الممالك والمشيخات التي دخلت في حلف مع الفونج بواسطة العابد الاب أول القرن السادس عشر الميلادي

نقلا عن نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث.

وجغرافيته، ج٢، ص ١٠٣.

مشيخة الشنابلة: قامت على النيل الأزرق شمالي منار، ومركزها المسلمية وأشهر مشايخها الشيخ شبول الذي قتل في أيام الملك عدلان الثاني.

مملكة الجموعية: امتدت غرب النيل الكبير والنيل الأبيض من عقبة قرى إلى الترعة الخضراء، ومركزها الفيزان المنسوبة إلى أولاد الملك الحينة. وكان أهم فروعها الجميعاب والسرواب والفيحباب وأقوامهم الجميعاب.

مملكة الجعليين: قامت في شمالي مشيخة العابد الاب على أنقاض مملكة مروي القديمة بين حجر العسل والدامر ومركزها شندى وكانت مملكة قوية تولاهما فرع من الجعليين يعرف بالسعداب.

مملكة الميرافاب: في شمالي الجعليين بين القرن ووادي السنقير، ومركزهم بربر ولهم ككر وطاقي.

مشيخة المناصير: امتدت من الشامخية إلى الشلال الرابع.

مملكة الشايقية: قامت على أطلال مملكة نبتة القديمة وامتدت من الشلال الرابع إلى أبي دوم قشابي ومركزها مروي. وهي مملكة عربية محضة. وقامت في شمالها مملكة الدفار ودنقلة والخندق وأرقو. وهي ممالك نوبية أو عربية نوبية.

قائمة باسماء ملوك النوبة الشمالية «مقرة»

٥٣٦ م	سلكو
٥٥٩ أو ٥٧٤ م	ايربانم (ارجمنيز)
٦٥١ - ٦٥٣ م	قاليدور
٦٤٥ - ٦٥٥ م	زكريا بن باركي
٦٩٧ - ٧١٠ م	مرفوريوس
	زكريا بن مرفوريوس
	سيمون
٧٤٤ - ٨٦٨ م	ابرام
	ماركو
	كيريأكوس
	ميكائيل
في أواخر القرن الثامن ؟؟؟	يوحنا
٨٢٢ م	زكريا اسرائيل الثانى بن يوحنا (يحنس)
٨٧٣ - ٨٩٢ م	جورج الأول بن زكريا
؟؟؟	زكريا الثالث بن جورج الأول
٩٤٣ م	كبرى بن سرور
٩٦٩ - ١٠٠٢ م	جورج الثانى
١٠٠٢ - ١٠٠٦ م	رفائيل
١٠٨٠ م	سالمون
١٠٨٩ م	باسيل
١١٣٠ - ١١٥٨ م	جورج الثالث
١٢٧٣ - ١٢٧٣ م	داود الأول
١٢٧٤ - ١٢٧٧ م	داود الثانى ابن داود الأول
١٢٧٥ - ١٢٧٦ م	شكندة ابن أخت داود الأول

١٢٧٩ - ١٢٩٠ م

برك

١٢٧٦ م

سمامون

١٢٨٨ م

ابن احدى اخوات سمامون

؟؟؟

عودة سمامون للملك للمرة الثانية

١٢٩٠ م

أحد أبناء أخت الملك داود الثاني

١٢٩٠ - ١٢٩٣

عودة سمامون للملك للمرة الثالثة

؟؟؟

آنى

؟؟؟

بدمة

١٣٠٤ - ١٣٠٥ م

أماى

١٣١٣ م

كرنيس

١٣١٦ م

عبد الله برشمبو النوبى

١٣١٧ م

كنز الدولة

(حكم ثلاثة أيام)

ابرام شقيق كرنيس

١٣٢٣ م

كرنيس ثانيا

١٣٢٣ م

كنز الدولة ثانيا، ونهاية المملكة المسيحية الشمالية



مطالعات فى الفكر الإسلامى

من العصرين الأموى والعباسى

مؤلفات سياسيّة

يدخل علم السياسة حسب تصنيف العلوم عند المسلمين فى باب العلوم العملية التى تضم ثلاثة فروع موضوعها الأعمال الصادرة عن البشر. أولها علم الأخلاق وهو ما يختص الفرد، ثانيهما علم تدبير المنزل ويتعلق بنظام الأسرة. أما الأخير فموضوعه أحوال أهل البلد بجملتهم وهو علم السياسة. وقد عرف بأنه علم يتناول أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها. ويطلب هذا العلم لمنفعته وليس لذاته، أما منفعته فهى معرفة الاجتماعات المدنية الفاضلة - أى أنظمة الحكم العادلة - والتوصل به إلى الوسائل المؤدية لاستبقائها ومكافحة أسباب زوالها. والمحتاج إلى هذا العلم هم أهل السلطة أولاً ثم سائر الناس لأن الإنسان مدنى بالطبع ويجب عليه اختيار المدينة الفاضلة مسكناً والهجرة عن الفاسدة، كما يجب عليه أن يعلم كيف ينفع أهل مدينته وينتفع بهم. والطريق إلى ذلك هو علم السياسة، الذى يجب على الفرد العادى أن يلم به ليوصله إلى حياة مدنية فاضلة، ويأتى هذا التوجيه ضمن المنهج الذى اتخذه علم السياسة فى العصور الإسلامية متجاوزاً حد الاختصاص إلى قدر معين من الشمول.

ينقسم علم السياسة إلى فروع أولها علم آداب الملوك وهو معرفة الاخلاق والملكات التى يجب أن يتحلى بها الملوك لتنظيم دولتهم. والثانى علم آداب الوزارة وموضوعه أوصاف الوزراء وقوانين الوزارة.. والثالث علم الاحتساب ويشمل النظر فى أموال أهل المدينة وتطبيق القوانين المقررة اصطلاحاً أم شرعاً، والقائم بهذا الأمر هو المحتسب. أما الفرع الأخير من علم السياسة فهو علم قيادة الجيوش.

ضمن هذا التصور لعلم السياسة وضعت مؤلفات حاولت أن ترسم الصورة المثلى للعمل السياسي بدراساتها للقواعد التي يتعين الاهتداء بها في إدارة شؤون الدولة. وقد استند الكتاب السياسيون إلى معيار المنفعة وهو معيار عملي بحث قد يفسر بدوره خلو مؤسساتهم قبل مقدمة ابن خلدون من الشروح المختصة بفلسفة الدولة وعدم ظهور ميل قوى إلى تنظير السياسة.

اشتملت فهارس المؤلفات السياسة على صنفين عريضين: ما يختص بعرض الوجه القانوني للدولة وقد عرف باسم الأحكام السلطانية. وما يختص بفن الحكم - الدهاء.

الأحكام السلطانية

يشير هذا الاصطلاح إلى المبادئ التي كرسها الشريعة لتنظيم السلطة. وهي فرع من الفقه عولجت أحكامه ضمن سائر المواد الفقهية ثم أفردت له بعض المؤلفات المستقلة. ويعد كتاب الخراج أول الكتب التي استقلت بعرض هذا الموضوع. وضعه أبو يوسف بعد تعيينه قاضياً للقضاة من قبل هارون الرشيد. وذكر في مقدمته أن الخليفة سأله أن يضع له «كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات والجواري - أي الجزية - وغير ذلك مما يجب النظر فيه والعمل به». وقد مر بنا أن السلطة الإسلامية بعد الرشيد لم تكن بالبحث عن أساس دستوري لسياساتها فمن المحتمل أن يكون الرشيد قد احتاج إلى الإلمام ببعض المبادئ العامة للسياسة المالية بوجه خاص دون أن نحمل طلبه على الرغبة في تقييد سياسته بأحكام الشريعة.

يشتمل كتاب الخراج على الفصول التالية:

الفئ والخراج. أحكام أرض السواد والشام والجزيرة. ذكر القطائع. أحكام الأراضي التي افتتحها النبي. موات الأرض.. أحكام متعلقة بأهل القرى والأمصار. ما يخرج من البحر. الضرائب والصدقات إجارة الأرض، أحكام الجزر في الأنهار. الآبار والأنهار ومياه الشرب. المراعى وسائل وأسس الجباية. أحكام حول أهل الذمة والنجوس والوثنيين والمرتدين. عشور التجار والعقوبات. رواتب القضاة والعمال. شؤون عسكرية.

يفهم من هذه العناوين أن كتاب الخراج مفرد في المقام الأول للشؤون المالية والاقتصادية لأن القسم الأكبر من فصوله منعقد على قضايا الزراعة والتجارة والضرائب. وإذا كان غرض المؤلف بيان أحكام الشريعة في هذه الأمور فقد عني باستقصاء الخطى التي اتبعها محمد

وخلفاؤه بخصوصها. واقتضاه ذلك سلوك طريق أهل الحديث رغم أنه من أتباع مدرسة الرأي التي أسسها أبو حنيفة. ومن هذه الجهة يخدم كتاب الخراج تاريخ الحديث كأقدم مصدر من مصادره بعد مؤطأ مالك بن أنس. على أنه رجع في الأمور المختلف عليها، أو التي لم يرد فيها نص قاطع إلى رأيه الشخصي.

ويلاحظ أن انتماء أبو يوسف للسلطة لم يحل دون تضمين كتابه مقترحات جدية لإصلاح بعض الأوضاع القائمة، فعقد فصلا في تقبيل السواد، يعنى التزام جبايته لقاء مبلغ إجمالى يدفعه الملتزم إلى الخليفة، بين فيه ما ينجم عنه من الفساد والظلم. يقول أبو يوسف (١):

«ورأيت أن لا تقبل شيئا من السواد ولا غير السواد من البلاد، فإن المتقبل إذا كان فى قبالة فضل عن الخراج عسف أهل الخراج وحمل عليهم ما لا يجب عليهم وظلمهم وأخذهم بما يجحف بهم ليسلم مما دخل فيه. وفى ذلك وأمثاله خراب البلاد وهلاك الرعية. والمتقبل لا يبالى بهلاكهم بصلاح أمره فى قبالة. ولعله يستفصل بعد ما يتقبل به فضلا كثيرا وليس يمكنه ذلك إلا بشدة منه على الرعية وضرب لهم شديد وإقامة لهم فى الشمس وتعليق الحجارة فى الأعناق وعذاب عظيم ينال أهل الخراج مما ليس يجب عليهم من الفساد الذى نهى الله عنه. إنما أمر الله عز وجل أن يؤخذ منهم العفو - أى ما فضل عن حاجتهم وقدروا على دفعه - . وليس يحل أن يكلفوا فوق طاقتهم . وإنما أكره القبالة لأنى لا آمن أن يحمل هذا المتقبل على أهل الخراج ما ليس يجب عليهم فيعاملهم بما وصفت لك فيضر ذلك بهم فيخربوا ما عمروا ويدعوه فينكسر الخراج. وليس يبقى على الفساد شئ ولن يقل مع الإصلاح شئ... . ولكنه استثنى من كراهة التقبيل ما وافق عليه أهل الأرض واعتبروه أخف عليهم. واشترط فى هذه الحالة أن يعين موظف من قبل الخليفة مباشرة يكون رقيقا يمنعه عن التعدى والظلم.

أما عن موظفى الخراج فذكر أبو يوسف ما يجب أن يتوفر فيهم من الخصال المناسبة لوظيفتهم. وقد أوصى بالاحتياط فى توليتهم بالبحث عن أحولهم كما يجب فيمن يعين للقضاء. وأوجب أن يزود موظف الخراج بتعليمات مشددة تمنعه من عسف أهل الأرض أو احتقارهم أو الاستخفاف بهم. واستطرد من هنا فوصف أنماطا من الإساءات التى تصدر عن موظفى الخراج وهى بجملتها لا تخرج عن التصرفات المعتادة لرجال السلطة كالجלוزة

(١) ص ١٠٥، ط. القاهرة ١٣٥٢هـ.

والتحاليل والتعذيب وابتزاز حقوق الآخرين، وشدد أبو يوسف على ضرورة حسم هذه الإساءات.

ثم أوصاه بعمارة الأرض فاقترح عليه في حالة استخباره بوجود أنهار قديمة وأرضين متروكة أن يرسل خبيراً يثق به لدراسة أوضاعها والتأكد من إمكان استصلاحها وأن يأمر في ضوء تقرير الخبير بحفر تلك الأنهار أو استصلاح الأرضين، على أن تكون نفقات العمل من بيت المال لما في ذلك من المصلحة في زيادة المعمورة من الأرض.

وتعرض بعد ذلك للإصلاحات التي يتطلبها انتظام الزراعة، فجعل نفقات كرى الأنهار العظام التي تأخذ من دجلة والفرات شركة بين بيت المال وأهل الخراج. أما الجداول الممتدة في أراضيهم فإصلاحها يجرى على نفقتهم، ولكن ما يجرى من أشغال وإصلاحات على الأنهار العظام كالمسنيات ومفانح المياه وسد البثوق فنفقاتها على بيت المال وحده.

ولضبط موظفي الخراج دعا إلى التفتيش عليهم سرا باستخدام عيون يرصدون تصرفاتهم مخاسبتهم على ما يظهر منهم من خيانة لبيت المال أو ظلم لأهل الخراج. ولكن هذا الإجراء ليس ناجحاً وحده إذ يتعين على الخليفة أن ينظر بنفسه في مشكلات أهل الخراج وذلك بأن يعقد لهم مجلساً كل شهر أو شهرين. وعدد أبو يوسف فوائد هذا الإجراء على الوجه التالي^(١):

«ولعلك لا تجلس إلا مجلساً أو مجلسين حتى يسير ذلك في الأمصار والمدن فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجترئ على الظلم ويأمل الضعيف المقهور جلوسك ونظرك في أمره فيقوى قلبه ويكثر دعاؤه».

وفي فصل العقوبات تناول أبو يوسف أحكامها في الشريعة ودعا إلى الوقوف في تطبيقها عند هذه الأحكام. وثبت في غضون ذلك توصياته بشأن معاملة السجناء وإصلاح السجون. ويستفاد من ملاحظاته أن حالة السجون كانت في غاية التردى إذ كانت الدولة لا تتولى إعالة السجناء وترك ذلك لأهاليهم ومن كان فقيراً سمحت له بالخروج مقيداً بالأغلال بحراسة السجناء للاستجداء. وإذا مات السجين لم تدفنه إدارة السجن فيدفنه رفاقه الذين معه في

(١) الخراج، ص ١١٢.

السجن ويدفن السجين بغير المراسم الدينية كالغسل والتكفين والصلاة. وقد أدان أبو يوسف هذه الأوضاع وقال للرشيد.. «وان ابن آدم لا يعرى من الذنوب» وان ارتكاب الجرم ليس طبعاً فيه بل هو راجع إلى أحد أمرين: الجهل أو القضاء، مما يوجب عدم المبالغة في العقوبة بحيث تصبح انتقاماً.

وقدم خطة لإصلاح السجون تكون من البنود التالية:

- ١- تعيين موظف نزيه يتولى تسجيل أسماء السجناء من الذين لا يملكون مصدراً للعيش.
- ٢- تخصيص مبالغ شهرية تدفع إلى كل واحد من السجناء المسجلين. وحدد مبلغ ما يدفع للواحد بعشرة دراهم في الشهر.
- ٣- تأمين كسوتهم. وهى فى الشتاء قميص وكساء وفى الصيف قميص وازار، هذا للرجال. أما للنساء فقميص ومقنعة وكساء شتاء، وقميص ومقنعة وازار صيفا.
- ٤- أما السجين الذى يملك ما لا فالإنفاق عليه يكون من ماله الخاص.
- ٥- النظر فى قضايا المحبوسين، فمن استحق منهم عقوبة تأديبية أدب وأطلق، ومن لم يكن عليه شئ نخلى عنه.
- ٦- منع ضرب السجناء.
- ٧- استخدام الوسائل الاعتيادية فى التحقيق وعدم تعذيب المتهم لحمله على الإقرار. فمن أقر على نفسه بالتعذيب فأقراره لا يؤخذ به.
- وفى عرضه لأصول التحقيق قال أبو يوسف بعدم جواز الإدانة استناداً، إلى المعرفة الشخصية للقاضى. فإذا رأى القاضى إنساناً قد سرق فلا يقيم عليه الحد حتى تقوم عنده بينة. وذكر أن هذا المبدأ مستند عنده إلى الاستحسان، وهو من أصول الاستنباط فى مدرسة أهل الرأى. والقضاء الحديث يأخذ بهذا المبدأ.
- إن كتاب الخراج لم يستوعب، كما بينت، كل قوانين الدولة لتركيزه على الأحكام ذات الصلة بالمشكلات المالية كما يدل عليه عنوانه. إن الاستيعاب التام لهذه القوانين جاء فى مدة متأخرة عن كتاب الخراج وذلك بظهور كتابين فى عصر واحد يحملان اسماً واحداً هو الأحكام السلطانية. مؤلفا الكتابين هما أبو الحسن الماوردى ٤٥٠هـ وأبو يعلى الحنبلى

٤٥٨هـ. وقد عاش المؤلفان في بغداد أكثر حياتهما وكان الأول فقيها وقاضيا ورجل دولة. أما الثاني فهو فقيه ومتكلم حنبلي شغل منصب القضاء في دار الخلافة، إلا أنه لم يشغل بالسياسة، كماوردى، وكان قد اشترط لقبول القضاء أن لا يحضر المراكب الرسمية ولا يخرج في الاستقبالات ولا يدخل مجلس الخليفة، فعين على هذه الشروط.

هناك تقارب شديد بين أسلوب هذين الكاتبين يرجح اعتماد أحدهما على الآخر دون أن نملك من الأدلة ما يوصل إلى معرفة السابق منهما. وقد طبع كتاب أبو يعلى في القاهرة عام ١٩٣٨، أما كتاب الماوردي فقد حظى بعدة طبعات تبدأ بطبعة المستشرق ر. انكر في بون ١٨٥٣ وتنتهي بطبعة مصطفى البابي في القاهرة ١٩٦٠. وترجم إلى الفرنسية عام ١٨٩٥. كما ترجم فصولا منه المستشرق انكر ونشرها في كتابه (أبحاث حول الملكية الريفية في البلاد الإسلامية) المطبوع في باريس ١٨٤٦. ثم اختيرت فصول منه ترجمت إلى الهولندية ذكر أنها أجريت لأغراض إدارية. وترجمه إلى الفرنسية مرة أخرى. أ. فاكان ونشر في الجزائر عام ١٩١٥ ثم ظهرت له ترجمة إنجليزية في ١٩٤٧. تعبر هذه العناية التي حظى بها كتاب الماوردي عن الأهمية التي يتمتع بها في مجاله، دون أن نغض الغايات التي يتوخاها الغربيون من الاهتمام بكتاب يتحدث بالتفصيل عن النظم القانونية والإدارية لبلدان تقع تحت سيطرتهم. **محتوى الأحكام السلطانية**

يضم كتاب الماوردي عشرين بابا وزعت على الموضوعات التالية:

- عقد الإمامة ويشتمل على فصول تعالج أحكام الخلافة.
- تقليد الوزارة - حول أحكام وزارتي التفويض والتنفيذ والشروط الواجب توافرها في الوزير
- تقليد الإمارة على البلاد، يعنى تعيين الولاة على الأقاليم
- تقليد الإمارة على الجهاد، ويختص بقضايا الحرب.
- في الولاية على حروب المصالح، وهي الحروب التي تخوضها الدولة ضد ثلاثة أطراف: أهل الردة وهم المسلمون إذا ارتدوا عن دينهم، وأهل البغى وهم الشائرون ضد الدولة من المسلمين. أما الطرف الثالث فهم المخاربون ويقصد بهم العابثون بالأمن كقطاع الطرق.
- يلي هذه الأبواب: أحكام - ولاية المظالم أى القضاء المختص بالنظر في الخلافات بين الدول

ورعاياها - ولاية النقابة على ذوى الأنساب وهم العلويون العباسيون. ثم الإمامة على صلاة، فولاية الحج وولاية الصدقات (الزكاة) وباب فى قسمة الفئ والغنمة وهى الأموال المأخوذة من غير المسلمين كالجزية وعشور التجارة واخراج. يلى ذلك أبواب فى أحكام الأراضى الزراعية وباب فى أحكام الأسواق والشوارع ومنازل الأسفار كالخانات والفنادق وما أشبه. ثم باب فى الديوان وآخر فى العقوبات. أما الباب الأخير فمكرس للحسبة.

يشتمل كتاب أبو يعلى على نفس الأبواب ولكن من غير تبويب. أما تفاصيل الموضوعات فمتمقاربة إلا أن الأخير يعطى الصدارة لاجتهادات أحمد بن حنبل لكونه حنبلياً. ولغة الكاتبين مركزة تتماشى مع الغرض الذى استهدفه المؤلفان وهو عرض الأحكام القانونية بطريقة أقرب إلى التقنين منها إلى البحث. ولكن كتاب الماوردى يعانى من العيب الذى يشيع فى مؤلفاته الأخرى وهو الإسراف فى الاستشهاد بالشعر والأخبار مما يمكن أن يستغنى عنه كتاب يخدم غايات تشريعية بحتة. وقد تخلص أبو يعلى من هذه الاستطرادات.

جاءت أبواب الكتاين شاملة للوجوه المختلفة لنشاط الدولة من وجهة نظر الشريعة. ولكننا نعلم أن الدولة الإسلامية منذ الأوان الأموى لم تكن تدار على أسس دستورية فما الباعث إذن على وضع هذين الكتاين؟ يقول الماوردى فى مقدمة كتابه: «لما كانت الأحكام السلطانية بولاية الأمور أحق وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصفحها مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير، أفردت لها كتاباً امتثلت فيه أمر من لزمت طاعة ليعلم مذاهب الفقهاء فيما له ليستوفية وما عليه منها فيوفية توخيا للعدل فى تنفيذ وقضائه وتحريراً للنصفة فى أخذه وعطائه...» أى أن الكتاب ألف بناء على طلب من أحد المسؤولين. ولعلها أن تكون رغبة زينها له المؤلف، الذى عبر بنفسه عن ضرورة كتاب من هذا الطراز لكون الأحكام السلطانية مدرجة فى مصادر الفقه ضمن الأحكام الشرعية الأخرى بما يصعب معه على رجال الدولة مراجعتها واستخلاصها لانشاغلهم فى أمور السياسة والدولة. ولاسيب للاعتقاد بأن الطلب وقع من هذا المسؤول بناء على التفكير بضرورة الحكم وفق دستورية مستقاة من الشريعة أو غيرها، إذ لم نجد من بين الذين اشتغل الماوردى معهم من رجال الحكم من كان يصدر فى تصرفاته عن هذه النية. أما يعلى فيذكر فى شرح السبب الباعث على تأليف كتابه: «إنى كنت صنعت كتاب الإمامة وذكرته فى أثناء كتاب المعتمد وشرحت فيه مذاهب المتكلمين وحجاجهم وأدلتنا

والأجوبة عما ذكره وقد رأيت أن أفراد كتابا في الإمامة أ حذف فيه ما ذكرت هناك من الخلاف والدلائل وأزيد فيه فصولا آخر تتعلق بما يجوز للإمام فعله من الولايات وغيرها ، يعنى أنه وضع الكتاب في سياق اختصاصه كفقيه للفقهاء. وفي ظل الإهمال الرسمي للشرعية فإننا ملزمون بالوقوف عند هذه الاعتبارات وقد مر أن الدراسات الفقهية ازدهرت في إطار نظري وكانت تشبع حاجة علمية ودينية لدى المختصين فيها. وهو ما يفسر استمرارها ليس فقط في كل عصور الدولة الإسلامية وإنما بعد ذلك، أى في العصور التي شهدت زوال السلطان السياسي للإسلام. وتأثير نفس العامل واصل الفقهاء تقنين الأحكام السلطانية ومن بينها أحكام الأراضي المفتوحة في وقت تحولت فيه الأراضي الإسلامية إلى مستعمرات للفاتحين الجدد القادمين من أوروبا وأمريكا. مهما يكن، فإن كتابي الأحكام السلطانية يعكسان الوجه القانوني المتفرض للدولة الإسلامية كما يعطيان القارئ فكرة مباشرة عن الجانب السياسي من شريعة الإسلام وفق الصيغة التي أخذتها الشريعة على يد الفقهاء.

الدهانيات

بدأ التأليف السياسي عند المسلمين على شكل مترجمات قام بها الكتاب المنحدرون من أصل فارسي. وتناولت الترجمة أدبيات ساسانية تدور حول الدهاء. وقد ذكر ابن النديم أن ابن المقفع ترجم كتابين أحدهما خدائنامة في السير والثاني كتاب التاج في سيرة أنوشروان. وابن المقفع معاصر للبداية الحاسمة للترجمة مما يحمل على القول بأن الترجمات السياسية سبقت - أو زامنت على الأقل - ترجمة العلوم الأخرى التي نشطت منذ زمن المنصور. تلا ابن المقفع أبان بن عبد الحميد اللاحقي (٢٢٠هـ) وقد نسب إليه ابن النديم ترجمة كتابين في سيرة أشير وسيرة أنوشروان. ثم ترجم البلاذري (٢٧٩) عهد أردشير شعرا. ومن المحتمل أن لا تكون المترجمات المذكورة كتباً لأن المجتمع الساساني لم يألّف تصنيف الكتب فمن الأفضل أن ينظر إليها على أنها وصايا وعهود صدرت عن هؤلاء الملوك أو نسبت إليهم. وإلى جانب هذه المدونات، كانت هناك حكايات متداولة عن دهانيات ملوك الفرس الساسانيين وقادتهم جاء بعضها عن طرق الرواية المرفوعة إلى العرب المعاصرين للحكم الساساني، وبعضها عن طريق المثقفين الفرس الذين عاشوا مع العرب منذ الفتح الإسلامي للعراق وإيران، وتكاثروا بشكل خاص في العهد العباسي. وبصرف النظر عن صحة إسناد هذه المرويات فهي تؤلف مع

الترجمات المشار إليها تراث السياسة والأخلاق للفرس الساسانيين. وقد اعترف بالفرس في الفترة الإسلامية أساتذته في السياسة يضاهي مركزهم فيها مركز الإغريق في الفلسفة. وانتشر بين المسلمين انطباع بأن السياسة الحكيمة والوعي العمراني يكمنان في الدولة الساسانية. ويدين هذا الانطباع لعدة عوامل:

١- النفوذ الفارسي الذي امتد في الدور العباسي الأول إلى السياسة والثقافة والإدارة مقترنا بإحياء التراث الساساني.

٢- اتخاذ الامبراطورية الساسانية مركزها في العراق بما أدى إلى وضع العرب في نقاط إجراءاتها وجعلهم على تماس مباشر بأعمال ملوكها وأخبارهم.

٣- الآثار العمرانية التي أحدثها الساسيون في المطارح شملها حكمهم خاصة في العراق وإيران.

٤- اقتباس العرب نظم الساسانيين في الإدارة والضرائب والزراعة والكثير من قواعد العمران. ويكفي هذا بحد ذاته في وضع السياسة الساسانية موضع القدرة بالنسبة للتفكير السياسي اللاحق.

إلى جانب التراث الساساني، اعتمد الكتاب السياسيون على مصدر قريب هو تجارب صدر الإسلام والدولة الأموية. وقد وفرت لهم معرفتهم الجيدة بتاريخ تلك الحقبة مادة سياسية ثمينة تألفت من سيرة محمد وخلفائه وفي مقدمتهم عمر وعلي، اللذين تشغل لأفكار المنسوبة إليهما حيزا ملحوظا في المؤلفات. ثم من سيرة الخلفاء الأمويين البارزين كعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز. وفي زمن متأخر دخلت سياسات العباسيين في عداد العبر المستوحاه من تاريخ الإسلام.

العنصر الأخير في الفكر الدهائي يتمثل في الممارسات الشخصية للكتاب، وهم في الغالب من المشتغلين بالسياسة كرجال دولة أو أعضاء في الحاشية. وليس من شك في أن معاناتهم للأحداث قد عززت قدرتهم على فهم أصول السياسة، خاصة عندما تكون هذه الأحداث على تلك الدرجة من التعقيد التي عاناها الكيان السياسي للإسلام في أزمنته المختلفة. وقد وردت إلينا أكثر المؤلفات الدهائية من تلك الأحقاب التي شهدت التصدعات الحادة لهذا الكيان بسبب الصراع العاصف بين أطراف المجتمع الإسلامي، لتحمل من هنا بصمات الواقع

السياسى فى وعى الكتاب. ويمكن أن نضع على هذا الملاك ما سنقف عليه من إدراك عميق لأسرار السياسة يقتررون بمخططات سديدة وضعها الكتاب بين أيدي سادتهم آملين أن تزودهم بالقوى العملية والفكرية التى تجعلهم قادة ناجحين.

وماذا عن التراث السياسى للإغريق؟ لقد اطلع المسلمون على بعض الآثار السياسية لهؤلاء الأساتذة الكبار ومنها بعض محاورات أفلاطون كالجمهورية وتداولوا رسائل منسوبة إلى سقراط وأرسطو حيث يذكر ابن النديم مقالة فى السياسة لسقراط ومكتابات موجهة من أرسطو إلى تلميذه الإسكندر. ولم يصل إلينا شئ مما ذكره ابن النديم ولكن الفقرات المقتبسة من آثار سقراط وأرسطو فى الكتب الإسلامية تحمل طابعا إسلاميا طاغيا يحملنا على الاعتقاد بأنها نسبت إلى فلاسفة الإغريق من أجل أن تحظى بتشمين أكبر من القراء. أما سياسات أرسطو الحقيقية فلم تترجم. وربما كان إغفال هذه المتون المهمة لفيلسوف عنى به المسلمون أكثر من سواء راجعا إلى عدم توافقها مع مزاج العرب والشرقيين عموما بينما تركت محاورات أفلاطون بصماتها فى الفكر السياسى للفلاسفة، بفضل خلفياتها المشاعية المستمدة من تقاليد الشرق. وتحت تأثير أفلاطون كتب بن رشد مؤلفه الممتاز «جوامع سياسة أفلاطون». فإذا تركنا الفلاسفة جانبا، لم نجد لسياسيات الإغريق تأثير كبيرا فى المؤلفات الدهائية.

ترجع أقدم محاولات الكتابة فى أصول الدهاء إلى أوائل عهد الترجمة. وقد ترك ابن المقفع ثلاثة مؤلفات هى: الآين والأدب الصغير والأدب الكبير. والأول مفقود أما الأخيران فقد وصلا إلينا وطبعا عدة طبعات وهما صغيرا الحجم كرسهما ابن المقفع للبحث فى الأخلاق الفاضلة وتطرق فى غضون ذلك إلى أخلاق الملوك وقواعد السلوك السياسى بما فيه تلك الأصول التى يتعين على الحاشية مراعاتها مع الملوك والولاة للحصول رضاهم واتقاء غضبهم. وفى وصاياه للملك نصحه ابن المقفع بالحزم وتعاهد الأمور الجسيمة بنفسه دون أن يحظر عليه التعم واللغو كما أوصاه بالانحياز إلى الخاصة وإيثارهم بالعطاء والتكريم. وشغلت وصاياه للحاشية جزءا كبيرا من الكتاين بما يتناسب مع نمو حجم هذه الفئة آنذاك وحاجتها إلى مرشد يعلمها كيفية التعامل مع أوليائها. ولم ينس ابن المقفع مع ذلك أن ينبه الحاشية إلى مخاطر صحبة الملوك وأن يدعو إلى تحاشيها ما أمكن. واقتضاه ذلك أن يقدم وصفا دقيقا لأخلاق الملوك استقصى فيه ما تختص به من الشذوذ عن أخلاق عامة الناس.

ظهرت بعد ابن المقفع مصنفات دهائية لم تصل إلينا. منها كتاب للمدائني (٢١٥هـ) بعنوان «آداب السلطان» وآخر لسهل بن هارون رئيس بيت الحكمة في زمن المأمون عنوانه «تدبير الملك والسياسة» وكتابان لأحمد بن أبي طاهر (طيفور) - ٢٨٠هـ - الأول في تدبير المملكة والسياسة والثاني كتاب «الملك المصلح والوزير المعين»^(١).

وورد في فهرس أعده ميخائيل عواد في مقدمة تحقيقه لكتاب رسوم دار الخلافة ثلاثة كتب للجاحظ وهي التاج وآداب صحبة الملوك وآداب الملوك. ولم يتسیر لنا الإطلاع على الآخرين لأنهما مخطوطان، أما الأول فمطبوع. ونسبته إلى الجاحظ موضع خلاف وقد استند منكروها إلى عدم ذكر الكتاب ضمن مؤلفات الجاحظ التي عدها في كتاب الحيوان. ولكن ذلك ليس كافياً للشك في نسبته إليه، فقد ورد في المقدمة أنه ألف الكتاب للفتح بن خاقان وزير المتوكل أي حين كان الجاحظ قد قارب السبعين من عمره، مما يرجع أن الكتاب من مؤلفاته الأخيرة التي تلت كتاب الحيوان. وكتاب التاج يضم تعليمات حول سلوك الحاشية في حضرة الملك تناول المطاعمة والمنادمة والحوار معه والسلام عليه وعيادته إذا مرض. وتعليمات حول سلوك الملك في مجلسه مع ندمائه وخواصه من الوفود. وفيه أبواب مخصصة لوصف أخلاق الملوك التي يجب أن يتميزوا بها عن بقية الناس ولوصف أزيائهم، مع باب لأصول السفارات. فالكتاب بمجمله يدور حول «الأيكيت» والشؤون الشخصية، أي أنه من نفس نمط كتابي ابن المقفع السالفي الذكر.

ليس في وسعنا معرفة ما إذا كان هذا الأفق الضيق الذي انحصرت فيه اهتمامات الجاحظ وابن المقفع هو نفسه ما صدرت عنه كتابات معاصريهما التي مرت الإشارة إليها، بالنظر إلى أنها لم تصل إلينا. ومهما يكن الحال، فإن كتاب العهود التالية قد تجاوزا ذلك إلى معالجات

(١) ينسب إلى نفس الوقت كتاب ملوك الممالك في تدبير الممالك تأليف شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع بالاستناد إلى وهم وقع فيه حاجي خليفة صاحب كشف الظنون الذي ذكر الكتاب وقال إنه ألف للمعتصم المتوفى عام ٢٢٧هـ. وسرى هذا الوهم إلى بروكلمان فاعتبره أول كتاب عربي في علم السياسة والوهم ناجم في الأصل عن تصحيف وقعت فيه بعض نسخ الكتاب المخطوطة حيث ذكر المعتصم بدلا من المستعصم الذي أرجح أن الكتاب ألف له. وهو ما نصت عليه مخطوطة باريس على هامش معيد النعم للسبكي. ولا يغرب عن البال أن الألقاب المنسوبة إلى الدين، كلقب المؤلف، لم تكن متداولة في عهد المعتصم مما يقوى ترجيحنا بأن يكون من رجال المستعصم. ومن نتائج هذا الوهم أن صاحب الأعلام خير الدين الزركلي ذكر ولادة ابن أبي الربيع في سنة ٢١٨هـ ووصفه بأنه من رجال المعتصم الذي استخلف سنة ٢١٨هـ أي في السنة التي قال إن ابن أبي الربيع ولد فيها؟.

أشمل تناولت الوجوه المختلفة لنشاط رجل السياسة. وأقدم ما وصل إلينا من هذا النمط، وربما أفضلها أيضا، هي كتب الماوردي الثلاثة:

تسهيل النظر وتعجيل الظفر.

نصيحة الملوك.

قوانين الوزارة.

ينقسم البحث في الكتاب الأول إلى باين الأول في أخلاق الملك والثاني في سياسة الملك. الباب الأول يشتمل على دراسة للمبادئ الأخلاقية تعتمد على ثلاثة مصادر: أخلاقيات أرسطو، التقاليد الأخلاقية للعرب، والأخلاق الإسلامية. وقد استخدمت نظرية الأوساط الأرسطية في تعيين الحدود بين المبادئ الأخلاقية المختلفة حيث نظر الماوردي إلى الفضائل بوصفها توسطا محمودا بين رذيلتين مذمومتين. إلا أنه سعى في صياغة مصطلحاته إلى الربط بين مقتضيات البحث المنطقي والواقع العلمي. يتضح هذا الربط بشكل أفضل في الفصل الذي تضمن النصائح الموجهة للملك حيث نجد شرحا لما يجب على الملك اتباعه للوصول إلى أخلاقية منتجة في ضوء ما تم تنظيره في الفصول السابقة. وكان مهيا للماوردي أن يتعد بذلك عن التجريد الفلسفي والوعظي للأخلاق، لولا الإسراف في تطبيق نظرية الأوساط، الذي أوقعه أحيانا في تكلف ممحوج.

في الباب الثاني من تسهيل النظر بحث الماوردي قواعد الملك فقسمها إلى قسمين عريضين: تأسيس وسياسة. يتناول القسم الأول أسباب نشوء الدول وعوامل بقائها - المقصود هنا انتقال السلطة من يد إلى يد - أي نشوء الدولة على انقراض دولة أخرى وليس نشوءها ابتداء. وقد حصر أسباب التأسيس والدوام في ثلاثة:

الدين. القوة. المال.

وعنده أن الدولة التي تقوم على الدين أقوى وأكثر دواما. وساق للبرهنة على ذلك فروضا متكلفة لا يبدو أنه اضطر إليها إلا بسبب العلاقة التي تجمعها بالدين بوصفه فقيها. أما القوة فتظهر بها الدولة الجديدة حين تتعرض الدولة القائمة للانحلال أو ينتشر فيها الظلم فيحدث فيها ثغرات ينفذ منها الطامعون. إن القوة الكافية لإقامة دولة تتطلب جيشا يجتمع فيه ثلاثة خصال: «كثرة العدد، شجاعة، قيادة مسموعة الكلمة». والاستيلاء على الملك بالقوة، يجعله

قائما على القهر ولكن إذا عدل أصحابه فى الرعية وأحسنوا السيرة فيهم صار ملكهم ملك تفويض وطاعة. يعنى ملكا يستند إلى رضا الناس كما لو أنهم اجتمعوا فقرروا تفويض الملك للقيام بشؤونهم، نيابة عنهم. وبغير هذا الشرط يكون ملك القهر كالحكم الذى يقوم على البلطجة يصفه الماوردى بأنه «جولة توثب ودولة تغلب ييدها الظلم ويترتب عليه هلاك الرعية وخراب البلاد» وهى نفس النتائج التى تربت على أى حكم تديره زمرة من الأشقياء. أما تأسيس الملك بالمال فيتم بأن يكون ذو المال مخالطا للسلطة فيستعمل أعوان الملك بالبذل لينحازوا إليه. ولا يتم ذلك إلا عند ضعف الدولة وفساد الأعوان. والملك الذى ينتقل بالمال قصير المدة لعدم الثقة بأعوان يعتمد ولاؤهم على استمرار البذل لهم. ولكن هذا الملك يمكن أن يدوم إذا اقترن بسبب يقتضى ثبوته.

هذه الوجوه الثلاثة لانتقال الملك يقابلها عند أرسطو ثلاثة عوامل تقف وراء الانقلابات السياسية فى نظام الحكم الفردى، وهو نفس النظام الذى يستمد الماوردى ملاحظاته منه. والعوامل هى:

١. حفاظة الحكم.

٢. تحقيق الرؤوسين.

٣. طمع الرؤوسين فى الحكم والثورة. أما فى الحكم الملكى المقيد بشريعة فالانقلاب يحدث على أحد وجهين: الأول خروج أعوان الملك على طاعته والثانى تحول الملك إلى طاغية بتعطيله للدستور. وبالمقارنة نرى الماوردى وأرسطو يعطيان للحاشية دورا أساسا فى الانقلابات ولكنهما يفسحان فى نفس الوقت مجالا لتأثير العامة يعبر عنه الماوردى بجعله ملك التفويض أكثر دواما بسبب استناده إلى رضا الناس، وعند أرسطو ما قرره بشأن السبب الأخير للانقلاب الذى يتعرض له الحكم الملكى حين يخرج الملك على الشريعة ويحول إلى طاغية. ويعنى ذلك، إذا استخدمنا تعبير الماوردى، تحول ملك التفويض إلى ملك قهر. أى إلى طغيان.

سياسة الملك تتألف من أربع قواعد:

عمارة البلدان، التنمية والإعمار.

حراسة الرعية، رعاية شؤونها.

تدبير الجند، الدفاع

تقدير الأموال، السياسة المالية.

فى شرحه للأولى قسم البلاد إلى نوعين: مزارع أى أرياف، وأمصار أى مدن. والمزارع هى الأصل الذى تقوم عليه حياة الدولة. وهى عنده مقياس الرخاء، فأى بلد انتعشت زراعته اكتفى بنفسه فلم يحتج إلى أحد وإنما يحتاج إليه الآخرون فيكون فى وسعه اجتلاب المزيد من الاموال لقاء ما يصدره من المنتجات الزراعية. وللريف على الملك ثلاث حقوق:

١- توفير وتنظيم المياه. ويلحق بهما توزيع المياه بالعدل ومنع التحكم فيها من ذوى السطوة.

٢- حماية المزارعين من العدوان والعسف لكونهم مطمع أنظار المتسلطين، حتى ينصرفوا إلى أعمالهم آمين ولا يتشاغلوا بالدفاع عن أنفسهم فيهملوا زراعة الأرض وعمارتها.

٣- تقدير الضرائب عليهم وفق الشرع والعدل مع التخفيف عنهم قدر الإمكان. ويعنى هذا من جهة تجنب فرض الضرائب الاعتبائية، ومن جهة اتباع الرفق فى الجباية. والسلطة التى لا تلتزم هذه القواعد هى ولاية قهر خارجة عن سيرة الإنصاف.

أما الأمصار فتحتاج إلى ستة شروط:

توفر المياه العذبة. توفر مصادر الميرة. صلاح البيئة. القرب من المراعى وغابات الاحتطاب. الموقع الحصين. وجود أرياف محيطة بالمدينة لتموينها بالغذاء. وهذه الشروط تختص بموقع المدينة. أما تأسيسها فيراعى فيه:

- توزيع المياه بطريقة يتسیر الحصول عليها دون عناء.

- تقدير الطرق والشوارع بمقاييس تجعلها من السعة بحيث لا تثير مشكلة مرور لأهلها.

- بناء المساجد الكافية للصلاة.

- بناء الأسواق

- أن يراعى فى إسكان أهل المدينة توزيعهم على مجموعات متجانسة.

- تسوير المدينة وتخصيص باب لضبط الداخلين والخارجين منها الأغراض الأمن.

- أن ينقل إليها من أعمال أهل الصناعات والعلوم ما يسد حاجة أهلها إلى هذه الأشياء.

وإذا أراد الملك أن يتخذ المدينة مقرا له فعليه أن يسكن في طرف فسيح منها ويجعل حوله حاشيته وأمراء الجيش ويفرق الحراس في بقية الأطراف لحمايته من كل الجهات. وعليه بعد ذلك أن يسكن عامة أهل المدينة في وسطها لتوفير الحماية لهم. وقد نصحه أن لا يظهر للعامة كثيرا حتى لا يلدن في أعينهم.

لاحظ الماوردي أن المدن على نوعين: زراعية، وتجارية. والأولى أفضل لأن مواردها موجودة فيها. واشترط أن تبنى المدينة الزراعية وسط المنطقة المزروعة حتى تتساوى الطرق الموصلة إليها من جميع الأطراف. ومن مزايا هذه المدينة أن أهلها إذا نالهم حيف من داخلها تفرقوا في ريفها فعاشوا فيه وإذا نال أهل الريف حيف لجأوا إلى المدينة فأمنوا فيها. وهكذا يكون كل واحد منهما ملاذا للآخر. أما المدينة التجارية فتلائم مطالب الملوك أي أنها للترف والزينة وليس لإنتاج المواد - يلمح الماوردي بهذا إلى أن التجارة من الأعمال غير المنتجة - وأسلوب بناء هذا الطراز من المدن يجب أن يتماشى مع طبيعة النشاط الاقتصادي فيها.

إن الكلام على هذه القاعدة - عمارة البلدان - يشغل الجزء الأكبر من هذا الفصل، فهي الغرض المقصود من تأسيس الملك. أما القواعد الثلاث الأخرى فهي لواحق يقتضيها التطبيق الأمثل للقاعدة الأولى. ولكن القاعدة الثانية وهي حراسة الرعية تستمد أهميتها من الوجوب العقلي للعدالة فضلا عن ضرورتها لاستقامة الدولة. وقرر الماوردي للرعية حقوقا على الملك لا تتجاوز في مجملها المقدار الذي حدده المنصور فيما سبق، وما وصل إليه التطور السياسي لمفكرى البورجوازية في العصر الحديث. أما القاعدة الثالثة فهي تدبير الجند، والمطلوب فيها أن يتفرغ الجند للجنديّة مع تعليمهم فنون الحرب التي هي صناعة تجمع بين العلم والعمل. وأوجب الإنفاق على الجند بما يكفيهم واشترط لهم حدا وسطا فلا يزيدهم لئلا يصرفوها في وجوه الفساد ويستغفروا بها فيتقاعسوا عن واجباتهم ولا تنزل عن قدر الحاجة فتشره نفوسهم إلى أموال الرعية أو تدفعهم إلى الخيانة. ودعا الملك إلى العناية باستخبارات الجيش لئلا يغيب عليه شئ من شؤون وتصرفات أفراد. ثم لفت النظر إلى أن سياسة الجند من أصعب ما يعانية المدبر للدولة لأنهم أداة البطش والقهر لديه مما يستدعيه أن يسوسهم بالحزم حتى ينقادوا له والاصرار مقهورا لهم. وتشير هذه الالتفاتة إلى واقع التغلب العسكري على الخلفاء منذ مقتل المتوكل.

القاعدة الرابعة تخص السياسة المالية. وينص الماوردى على تقدير الاموال كمهمة أساسية للسلطة ولكنه يعترف بصعوبتها لأن الملك يرى بسبب قدرته إمكان بلوغ كل غرض بأية وسيلة يختارها مما يبعث على الاختلال. إن السياسة المالية الحكيمة تقتضى مبدئين: الأول تقدير الدخل أى الإيرادات. ويشترط لاستقامته أن يكون مقيدا بما نصت عليه الشريعة بلا زيادة أو نقصان.

الثانى تقدير الخرج، أى المصروفات، ويخضع هذا لاعتبارين هما المطلوب والممكن، حتى لا يقع تعسف فى الإنفاق يعجز عنه الدخل. وقاس حال الدولة على ذلك فأوضح أن الملك الذى يزيد فيه الدخل على الخرج هو الملك السليم لوجود احتياطي للنوائب تأمن الرعية به من التعدى إلى أموالها. أما الملك الذى يقصر فيه الدخل عن الخرج فهو الملك المعتل. وصاحب السلطة يضطر فى هذه الحالة إلى مخالفة لوازم الشرع وقوانين السياسة فى جباية الأموال فيهلك الرعية، وقد يقتدى به العسكريون فلا يقوى على منعهم.. هناك حالة ثالثة يتكافأ فيها الدخل والخرج وفيها تكون الدولة سليمة الأوضاع فى زمان السلم ولكنها تختل إذا دهمتها الحوادث من حروب وغيرها. وعلاج هذا الوضع يكون بإحسان الملك إلى رعيته وعدله فيهم فى الظروف الاعتيادية حتى يكونوا له عوناً إذا اختلت أموره. لأن استعداد الناس للتضحية من أجل السلطة يكون رهنا بالمكاسب التى وفرتها لهم.

يواصل الماوردى سرد قواعد السياسة الناجحة فيحدث عن أعوان الملك مبينا أنهم كأعضائه التى لا يتحرك إلا بها. فعليه أن يحسن اختيارهم من الكفاءة المخلصين وأن يعمل على تهذيبهم ومراقبتهم. ولما كان الكفاءة أقله فعلى الملك أن لا يضيعهم وأن يختارهم دون النظر إلى أنسابهم أو ما ضيهم فى السيادة والجاه فإذا نفرت النفوس من صعودهم المسرع فعلى الملك أن يدرجهم فى الرتب حتى يتعود الناس عليهم. ثم بين مراتب الكفاءة فحصرها فى أربعة: الوزراء القضاة، قادة الجيوش، موظفى الخراج. واستطرد فى وصف ما يجب أن يتوافر فى أصحاب هذه المراتب من المواصفات. ثم ذكر مراتب أخرى أوصى الملك بالتعامل معهم بحسب منزلتهم منه فى الخدمة وحثه على مراعاة الحدود التطبيقية فى ذلك، والماوردى كما نعلم رجل دولة وعضو فى الأرستقراطية الحاكمة.. ثم اقترح على الملك أن يكتفى بعدد مناسب من الأعوان فلا يستكثر منهم لأن الاستكثار بعد الإكتفاء تضييع للمال. إلا أنه استدرك

فنصح به بعدم تضييع ذوى الكفاءة فإذا وجدهم ولم يجد لهم عملا فعليه أن يدخرهم لوقت الحاجة. ولم يضع خطة للطريقة التى يدخر فيها الأعوان. هل يحفظون كما تحفظ الأموال إلى أن تحين الحاجة إليهم؟ وكيف يتعامل معهم أثناء عطالتهم؟

يعقد الماوردى بعد ذلك فصلا للنواب التى تصيب الملك فصفها إلى صنفين: فساد الزمن وتغير الأعوان. والأول على نوعين: ما يحدث عن أسباب إلهية وما يحدث عن عوارض بشرية. الأولى هى الأقدار. والماوردى كرجل دين يؤمن بالإرادة الحرة للخالق أو مايسمى صدر الدين الشيرازى الإدارة الجزافية. وهو يعتقد، كما يفهم من تسلسل آرائه فى هذه المسألة، أن الله يتدخل فى أمور الملك مباشرة فيمتحنه ببعض النواب. ولمواجهتها يوصيه بأمرين: أن يصلح سريره وسرائر رعاياه، يعنى أن يتدارك أخطائه ويصفى نيته. وفى هذا الصدد يدلى بحديث نبوى يقول: «إذا جارت الولاة، قحطت السماء». فما يصيب الملك من البلاء قد يكون نتيجة لجوره فى الحكم مما يستجلب معه غضب الخالق.. نود أن ننبه القارئ إلى أن الماوردى تفصيلا يستشهد فى مؤلفاته الدهائية والاجتماعية بأحاديث مرفوعة إلى النبى لا توجد فى مصادر الحديث المعتمدة ودون أن يعنى بالتأكد من صحة الحديث لأنه لايتوخى فى هذه المؤلفات غرضا تشريعا.. الأمر الثانى أن يواجه القدر برياطة جاش لأن القدر كالعاصفة إذا هبت وجب عدم معاكستها حتى تمر. ولا يعطى الماوردى تفصيلا للنواب التى تنزلها السماء بالملك.

أما العوارض البشرية فتحسم بحسم أسبابها ولكن بعد الوقوف على السبب الحقيقى. وهو أصعب ما فى هذه السياسة. ويتعين على الملك أن يعيد النظر فى سياسته إذا تبين له أن العوارض حدثت بسببها، فإذا كان ذلك قد حدث عن شدة وعسف منه تراجع اللين والعطف، وإذا كان قد حدث عن تهاون عاجله بالشدة. والأسباب تحسم بأضدادها كما تعالج الأمراض بمضاداتها من الأدوية.

هذا عن فساد الزمن، ونأتى إلى تغير الأعوان فتراه مردودا إلى أحد أمرين: أن يكون تعدى إليهم من الخارج إما لتقصير من الملك بحقوقهم وعدوان منه عليهم وإما لإغراء وقعوا فى شباكه. ويجب صد الأخير بالحزم والحذر وبسياسة يمتزج فيها الإغراء والإرهاب. أما التقصير والعدوان فالملك مسؤول شخصا عن إزالتهم.. الحالة الأخرى من تغير الأعوان هو ما يحدث

لفساد فى ذواتهم أى لتغير فى ولائهم بسبب من الأسباب غير ماذكر آنفاً، وهو أخطر من الأول، وإصلاحه وحسم دواعيه يتقرر بموجب قواعد السياسة فى تدبير الدولة. والدولة تساس بثلاثة أمور، القوة والرأى والمكيدة. ولكل من هذه أحوال تستخدم فيها، وفى بداية الدولة حيث لم تتوطد أركانها بعد يمكن الجمع بين هذه الأمور الثلاثة بينما يمكن الاستغناء عن المكيدة عند استقرار الدولة ويكتفى بالقوة لحفظ قواعد المستقرة، وبالرأى الجامع للسياسة العادلة.. والأخير يجب اتباعه فى تدبير الرعية فى الأحوال الاعتيادية، فإذا اضطرت الأمور وفسدوا فتستعمل القوة لردع المفسدين، إلى جانب الرأى. ولا يجوز استعمال المكيدة مع الرعية فى أى حال. ولكن يجوز استعمالها مع الحاشية وأعوان الملك. ويعطى المارودى تفاصيل دقيقة عن الأساليب التى يلزم اتباعها مع هؤلاء وفق الحالات التى يكونون عليها. ويرجع اهتمامه بهذه المسألة إلى تفاقم دور الحاشية فى المرحلة التى عاصرها من الحكم العباسى، ومن المؤكد أنه كان يتوخى أن يضع بين يدى الخليفة، الذى كان المارودى من رجاله الخالص، أسساً صالحة لاستخدام الأعوان والسيطرة على نشاطاتهم.

ويكتب عن الولاة فىوصى باختيارهم من أهل البيوتات وأن يمتنع عن استخدام العوام فى أعمال الحكومة. وهو بذلك يناقض نفسه فقد مر بنا قبل قليل وصيته فى استخدام الكفاة دون النظر إلى مكانتهم. ثم أوصى بعدم تنقيل الولاة. فما دام الوالى مرضى السيرة وجب إقراره فى عمله، لأنه إذا علم أن مكثه فى عمله قليل عمل لسوق يومه واحتجج^(١) الأموال تأهباً لليوم الذى يخرج فيه من عمله. فإذا كان مطمئناً إلى بقاءه فى منصبه نظر المزارعين فى زرعهم يفكر فى إصلاحه ولا يعالجه قبل أن ينضج! وحث الملك على عدم محاسبة موظفيه على ما اكتسبوه فى وظائفهم لأنهم قد يكتسبون بحكم المنصب من مباحات الرجوة مالاتبعة فيها عليهم^(٢).

تحدث المارودى بعد ذلك عن الاستخبارات فأوجب أن يضع تحت طائلتها الرعية والحاشية

(١) احتجج: تؤدى هنا معنيين فى وقت واحد هما الابتزاز والاكتاز.

(٢) حرم مسلمو صدر الاسلام كسب المسؤولين حتى من الوجوه المباحة كالهدايا. واعتبر السبب الذى جعله المارودى وجهاً للكسب المباح منوطاً للتحريم لأن ما يكسبه الموظف بفعل مركزه الرسمى داخل فى باب الغلول وقد أشار الطرطوشى فى «سراج الملوك» إلى مشاطرة عمر بن الخطاب لعماله، أى مصادرة نصف أموالهم، وقال تعليلاً لها: كأن عمر رأى ما أصاب العامل من غير رشوة وإن كان حلالاً فلا يستحق ذلك لأن له بالأمر بالقوة على أن ينال من الحلال ما لا يناله غيره..

والموظفين. ويرر ذلك بأنه لا يقدر على رعاية قوم تخفى عليه أخبارهم، فربما خفيت عليه أمور من الفساد والخيانة تفضى إلى انحلال الملكة. وربما شجعت غفلة الملك على حبك أسباب الكيد ضده فتقوى المؤامرات ويشد خطرها. وأفضل طريقة للاستخبار هي التي تعتمد على ضربين من الخبرين؛ مكشوف ومستتر أى علنى وسرى. وسيساعده ذلك على أن يكون معروفاً باليقظة فتأمن الرعية إلى حسن حراسته لها كما يتهيب أعوانه فعل الشر خوفاً من الافتضاح. وحث المارودى على متابعة تقارير الخبرين وقراءتها بإمعان لأنها تقدم؛ إلى جانب قيمتها الاستخبارية، فوائد وغرائب لا تخلو من متعة وموعظة.. والاستخبارات يجب أن تمتد إلى سائر أنحاء المملكة وإن كانت عناية أكبر يجب أن تصرف إلى البعيد عن العاصمة لأن بعد الدار إذا رافقه قلة الاستخبار يسقط أيدى الظلمة فى الرعية والمملكة ويعرض كليهما لخطر التآمر والكيد، وربما أفضى ذلك إلى فسادهم فى الطاعة، وكثير من العصيان يبدأ بإهمال الملك واسترسال الأعوان فى مخالفتهم. ولا يصح أن يقتصر الاستخبار على فئة دون أخرى من الأعوان فتهمل مراقبة الصالحين منهم تعويلاً على حسن الظن بهم لأن الأمناء عرضة للتلقب.

ينبغى القول إن تشديد الاستخبارات إلى هذا القدر يتناسب مع حاجة الحكم الاستبدادى والفردى. لأن المستبد يواجه باستمرار خطر التآمر، ربما بسبب انفراده بمزايا السلطة مما يثير عليه الطامعين، الذين يجدون عنده نفس المؤهلات ولا يملكون فى مقابلها نفس المزايا، وربما أيضاً بسبب الحاجز الذى يضعه الحكم المستبد بينه وبين الشعب بما يجعل من العسير معرفة ما يعمل فى داخله من رغبات ونوايا بغير الاستخبارات. وقد علمتنا تجارب السياسة المعاصرة أن جهاز الاستخبارات يتسع فى الأنظمة المعزولة عن الشعب، لاسيما تلك الأنظمة ذات النهج القمعى الفاشى التى يدفعها الشعور بالعزلة والخوف الدائم من السقوط إلى توسيع الاعتماد على أجهزة القمع والتجسس. على أن المارودى وهو يدعو إلى تنشيط الاستخبارات لا يظهر ميلاً إلى تشديد القمع، وقد بدا وهو يتحدث عن هذا الموضوع مهتماً بتيقظ الملك كشرط للمحافظة على حكمه من العبث. وطبيعى أن اليقظة فى حكم فردى تعتمد، حصراً، على جهاز الاستخبارات. وقد أخضع المارودى ضرورة هذا الجهاز لاعتبارين: الأول ما يسميه حقوق الاسترعاء أى مطالب الوضع الداخلى بما فى ذلك حماية الرعية. وهو المقصود بحقوق الاسترعاء. الثانى ما توجبه حقوق السياسة وهذا يشمل التجسس على ما تآخم المملكة من

دول، ليس فقط على سبيل التيقظ ضد النوايا السيئة للجيران وإنما أيضا لأن صلاح هذه الممالك وفسادها يسريان فيما جاورها.

نقرأ بعد هذا فصلا للبحث في شئون العملة، يوجب فيه على الملك أن يحافظ على عيارات النقود من الدراهم والدنانير فلا يسمح بغشها. ونهاه عن إلزام الناس بقبول النقود المغشوشة لأنه يحملهم على ترك التعامل بها إلى الذهب والفضة الخالصين. ويعنى ذلك استهلاك أصول الأموال مع ضعف القدرة الشرائية إلا لعدد محدود من الناس هم أرباب الأموال الجمة. وفساد النقد يفضي إلى فساد أمور المملكة. هذا ما دل عليه العرف. ولا يتم للدولة شيء من الازدهار والطمأنينة بغير استقرار قانون الأخذ والعطاء.

تكلم المارودى عن الضرائب وهو فى صدد الحديث عن النقود فحذر من زيادتها عما أوجبه القانون الشرعى. أو من فرض ضرائب لم ينص عليها. وكانت السلطة الإسلامية

قد اتبعت هذا الخط منذ الأمويين فتصرفت فى نسب الضرائب المقررة، كما فرضت ضرائب جديدة شملت المزارعين وأهل المدينة. وتعرف ضرائب المدن غير المنصوص عليها فى الشريعة باسم المكوس. وقد جوبهت هذه السياسة باستكثار من قبل المعارضة السياسية كما أدانها الفقهاء. ويجد القارئ فيما يلى وصفا للأوضاع الناجمة عن التعسف فى فرض الضرائب يبدو أنه مستمد من واقع الحال. وقد لفت الانتباه إلى أن زيادة الضرائب تستلزم العنف لتحصيلها لأن الناس لا يدفعونها عن طيب خاطر مما يترتب عليه نفور الرعية من الحكم، مع اشتطاط الموظفين الذين يجدون فى مثل هذه الأحوال فرصا للكسب الحرام. وينتهى هذا كله إلى عكس المطلوب وهو نقص حصيلة المأخوذ من الضرائب، وذلك بسبب المماطلة فى الدفع مع ما يلحق الزيادة فى الضرائب من انفتاح أبواب جديدة للمصرف يؤدي إلى زيادة النفقات فى مقابل الزيادة الحاصلة فى واردات الضريبة.

تشغل خصومات الملك حيزا مهما من تسهيل النظر. ومن رأى المارودى أن على الملك مداينة الأعداء قبل مكاشفتهم بالخصومة. ودعاه إلى دفع الحرب بالمكيدة ما استطاع سبيلا إلى ذلك لأنه فى المكاييد لا يخسر إلا الأموال وبالحروب يخسر من الأرواح. وقسم الأعداء إلى ثلاثة أصناف أعطى لكل منها نوعا من التعامل بسبب حظه من القوة، فأوصاه، بانتهازية مكشوفة، أن يلاطف ويلاين الأقوى وأن يتناول على من هو أضعف منه وأن يقارب ويسالم

من يكافئه في القوة.. فإذا لم تنفع المداهنة نظر في أمر الحرب فدرس ما يتوقعة من نتائج الفوز والخسارة ليضع خطته في ضوئها. وهو يبنى التوقع على ثلاثة احتمالات تتصل بسيرة الملكين المتخاصمين:

١- أن يكون الملك عدل.

٢- أن يكون عدوه عدل.

٣- أن يتكافأ في العدل.

والعدل هو العامل الحاسم في ترجيح كفة أحد الخصمين. ويؤخذ من تعليله لذلك أنه راجع أولاً إلى القيمة الذاتية للعدل بوصفه من أركان القوة الروحية. ثم إلى موقف الرعية من الملك فإذا كان عادلاً وقفت وراءه في حربه وإن كان جائراً خذلته وربما نصرت عليه خصمه. ولذلك يجب على الملك أن يحرص الحرب بلا تردد إن كان واثقاً من عدله ومن حب رعاياه، والارجب عليه التروي ودفع الحرب بالكيد والحذر. أما عند التكافؤ بين الملكين في العدل فقد أدلى بتحليل مبهم يقول فيه إن الزمان فاسداً مالت احتمالات الظفر يكون إلى جانب الملك الذي أعوانه أصلح وإذا كان الزمان فاسداً مالت احتمالات الظفر إلى من كان أعوانه فاسدين، بسبب المناسبة بين الزمن والأعوان في الصلاح والفساد. وفكرة صلاح الزمان وفسادها من الأفكار الغامضة التي تردت في الفكر الإسلامي دون أن يكشف عن مقاصده. وقد استخدم تعبير الزمان في اصطلاحات فضفاضة تشمل المجتمع والسياسة وأخلاق الناس مقترنة في الغالب بتعلقات غيبية تضيف على الزمان معنى مقارباً للقدر أو أشد غموضاً منه. ومن العسير أن نستخلص أي مغزى من الطريقة التي استعمل بها الماوردي هذا الاصطلاح، وإن كنا نلمح من بعيد فكرة قلقه عن التناسب بين الظروف وأسلوب العمل. ويبدو أن ما يعنيه القول بأن الملك في الزمان الفاسد يحتاج إلى أعوان فاسدين لكي يكسب النزال مع خصومه.

يختتم كتاب تسهيل النظر بفصل يحث فيه المؤلف على مراعاة المبادئ الدينية وتقريب علماء الدين. وتختلف هذه الدعوة في جوها عن الدعوة التي تكررت في الفصول السابقة من الكتاب إلى التقيد بأحكام الشريعة. فالأخيرة تهدف كما بينا مراراً إلى توفير قواعد دستورية تحكم الدولة بموجبها وتمنع الملك من إدارة ممتلكته وفقاً لمزاجه الشخصي. أما مراعاة الدين فتهدف إلى تأكيد الصفة الدينية للدولة. وهي تتمثل، تطبيقاً، في رعاية رجال الدين والمؤسسات الدينية والسهر على شؤون العبادة.

نصيحة الملوك

هذا الكتاب لا يزال مخطوطا كسابقه. وهي ضمن مجموع يحتوى على كتاب معيد النعم للسبكي وعلى هامشه سلوك المالك لابن أبي الربيع. وتقع مخطوطة نصيحة الملوك في ٩٨ ورقة مكتوبة بخط جيد يرجع تاريخ نسخه إلى عام ١٠٠٧ هجرية.

هذا الكتاب يشترك مع تسهيل النظر في الموضوع ويجرى الماوردي في ذلك على سنن المؤلفين القدماء في تخصيص أكثر من كتاب للموضوع الواحد. على أن الكتابين لا يتفقان في التفاصيل وإن اتفقا في الموضوع إذا يغلب على نصيحة الملوك روح وعظي استغرق حوالى أربعة من مجموعة أبواب العشرة. وتأتى المواعظ هنا كما لو كانت استكمالا للقضايا الأخلاقية التى طرحت فى الباب الأول من تسهيل النظر إلا أنها تميزت بنكهة دينية مفرطة. وقد استخدم الماوردي أسلوب الوعاظ واستعار الصور البلاغية المتداولة فى أوساطهم فجاءت مواعظه مملّة وقائمة. على أننا لانبث أن نعثر فى أبواب الكتاب الأخرى على مادة سياسية لاتخلو من الجد. وقد كرس الباب الثالث محاولة جريئة فى تفسير انحلال الدول أقامها على فرضية التماثل فى أحوال الأمم والممالك وخضوعها لقانون واحد يحكم نشونها وسقوطها. ولكى يثبت الماوردي فرضيته أسقط التجربة الإسلامية - فى حدود فهمه لها - على سائر الحالات فقال إن جميع الدول تبدأ بدعوة دينية تدعو إلى عبادة الله وحده. ثم يقع الاختلاف بين أهل الملة بعد وفاة مؤسسها وتميل بعد ذلك إلى الدنيا وتنزع إلى الشهوات مما يفتح عليها أبواب الصراع والتنافس المؤذنين فى النهاية إلى اضمحلال الدولة. ويشير الماوردي الانتباه فى هذا الصدد إلى عاملين فى انحلال الدول يتمتعان بصفة أكثر شمولاً هما: ولاية العهد، التى تدفع إلى السلطة بملوك غير أكفاء مجرد كونهم من أبناء الملك السابق. ويربط الماوردي بين ظهور ملوك من هذا النمط وبين الفساد والاختلال اللذين يعرضان للدول. أما العامل الثانى فهو خوف الملوك من النقد السياسى، الذى يدفعهم إلى تقريب المنافقين والمتزلفين وإبعاد الحكماء المناصحين لهم. وينجم عن ذلك وقوع الملك فريسة أهوائه وأخطائه التى تتفاقم فتضع الدولة على حافة الانهيار. ونستطيع أن نؤكد أن هذا المبدأ يحتفظ بقيمته إلى الآن بل هو أكثر معاصرة مما كان عليه فى أى وقت مضى. وقد لاحظ هارولد لاسكى، المفكر، السياسى الإنجليزى فى كتاب «أصول السياسة» أن الحكومة تستطيع أن تستفيد دائما من نقد

خصوصومها أكثر من مدح مؤيديها وتقريظهم، وهي إذ تخفق ذلك النقد تكون النتيجة النهائية على الأقل أنها تمهد السبيل لهدمها. والواقع أن هذا ما يحدث في جميع أنظمة الحكم الفردي، وما يماثلة، وهو ميزة ملازمة للاستبداد.

ويحتوى الباب المكرس لسياسة الخاصة على وصايا بشأن العناصر المختلفة من الحاشية. وفي فصل عن أولاد الملك أورد مبادئ تربوية قال إنها تلزم الملوك في شأن أولادهم. وقن الأصول اللازمة للتصرف مع الحاشية والأعوان والموظفين ولكيفية اختيارهم للمهام التي تناسب مؤهلات كل منهم وبين للملك أنه لن يجد من الناس الكامل في كل الأمور فعلية أن يختار لكل عمل من هو أصح له وأسد لمسه وإن كان فيه تقصير وتختلف من جهات أخرى، وأن لا يمتنع عن استعمال ذوى المعاييب إذا كانت لهم كفاءة في موضوع ما. وأوصاه أن لا يستكثر من الموظفين، وقد سبقت هذه النصيحة في تسهيل النظر وعللها هناك بالاقتصاد في النفقات أما هنا فلمحذرين: الأول أن الموظفين إذا كثروا زادت المشاكل المترتبة على أعمالهم من مكاتبات وكتب وتفتيش وشكايات منهم أو عليهم مما يشغل الملك عن أمور كثيرة أهم وأجدر بأن ينشغل بها. والماوردي يضع بذلك يده على إحدى الأزمت التي يثيرها تضخم الجهاز الإداري في الدول المتخلفة حينما ينتقل من كونه وسيلة لتصرف شؤون الدولية إلى مشكلة معقدة تفرض تفرعاتها على أجهزة الدولة من أعلاها إلى أسفلها.. الثانى إلى أن كثرتهم مانعة من ظهور الصلاح في جهاز العمل لأن كثرة العاملين مع القلة في عدد الأمناء والكفاءة تعنى زيارة في عناصر الفساد واخيانة.

فى الباب المكرسى لسياسة العامة رفع الماوردى شأن الرعية ودورها فى المملكة إلى مرتبة متميزة من بين سائر القوى الفاعلة فيها. فالرعية مصدر قوة الملك. وهى لدى المقارنة بقوة جنوده وأعوانه أقوى. كما لو قورنت أيضا بقوة أعدائه. فالخطر الناجم عن معاداة الرعية أدهى من الخطر الخارجى. ثم إن الدولة تكتسب تقدمها وهيبته من صلاح الرعية وانتظام أمورها. وبالعكس كلما كانت حالة الرعية خسيصة متردية كانت المملكة أخص شأنا وأندر دخلا. ولكى يتم التنسيق بين مصالح التقدم فى المملكة وبين انتظام الرعية ثمة خطوط عريضة يتعين على الملك العمل بموجبها. وقد اشتملت جملة من هذه على التقيد بأحكام الشريعة، وعنى فى أثناء النص على ذلك بتأكيد سلطة القضاء وتوسيعها لتشمل الملك نفسه إذ دعاه إلى قبول

التقاضى مع أى فرد من رعاياه، على أن يكون أمام القضاة فى منزله واحدة مع من يقاضيه. وضرب له أمثلة من سيرة الخلفاء الراشدين. ولم ينس المارودى مركزه كرجل دولة فدعا الملك إلى معاملته الناس بحسب طبقاتهم، ورغم أنه قيدها باعتبارات عملية فدعا إلى مراعاة ذوى الكفاءة والنجدة فإن المنزلة الرفيعة تبدأ عنده بأولاد الملوك والأشراف وذوى الأنساب ورجال الدين، ثم الفصائل التى تليهم من الدهاقين والملاك والتجارة ومن دونهم. والتناسب مفقود بين التدرج بحسب هذه الطبقات والتدرج بحسب الكفاءة لأن الأخيرة لاتخضع للحدود الطبقة.

من قواعد انتظام أمور الرعية أن يتعرف الملك أحوالها. ويقتضى ذلك تقوية جهاز التجسس - الاستخبارات. ولكن من المعلوم أن هذا الإجراء يخدم الملك دون الرعية، التى تكون فى العادة الضحية الأولى للجهاز المذكور. ومن دون أن يلتفت المارودى إلى تناقضه أوضح فى شرحه لكيفية الاستفادة من الاستخبارات أن فى الرعية أنماطا من الناس لا يحملون نوايا طيبة للملك وهؤلاء هم الأعداء الداخليون الذين يعرفون مواطن الضعف فى المملكة. فإذا أحكم الملك فعالياته التجسسية أمكنه معرفة هذه العناصر ومعرفة الأسباب التى حملتهم على مناوآته. وانتقل من هنا إلى سرد الأمباب المحتملة فى مثل هذه العلة. ثم أعطى وصفا لعلاج كل حالة على حدة. والغالب على هذه الوصفات أنها مكاييد لاترخص بالقمع إلا فى أحوال معدودة. والمارودى بوجه عام ضد الميل الإرهائيه للسلطة.

يلى بعد هذا، باب تدبير الأموال، وتكرر فيه مطالبة الملك بعدم تجاوز ما قرره الشرع فى الجباية والإنفاق. وقال إن الملك الحازم فى كل عصر ومن كل ملة هو من يمشى على قوانين شريعته فى هذه السياسة. ثم تحدث عن أخلاقية التصرفات المالية فذكر البخل والجود والتبذير. وقد استخدمت هذه التعابير فى البحوث الدهائية وفى المواعظ وفلسفات الأخلاق دون تفريق بين ما إذا كان موضوعها ملكا أم فردا عاديا. ويرجع ذلك إلى أن الكتابة تجرى هنا ضمن أجواء الحكم الفردى حيث يتخذ الحاكم صفه الرجل الذى يملك بين يديه أموالا طائلة يتصرف بها تبعا لمزاجه الشخصى. ويشترك فى هذا المنحى كل من الدهائيين المسلمين ومكيافللى، الذى كتب فى الأمير عن البخل والجود بنفس الطريقة لأن أمير مكيافللى هو الآخر نموذج فردى. على أن المارودى يفاجئنا بإعطائه معنى مغايرا لهذه المصطلحات آخذا بالاعتبار كون الملك رئيسا للدولة. إن هذا ما يستفاد من بعض عباراته التى تقول إن أدنى

منازل البخل أن يمنع المال سبيل الحق التي شرعها الدين ، فالملك عنده يكون بخيلا إذا أخذ الأموال من غير حقها وأنفقها في غير وجهها. أما التبذير فهو أن ينفق أمواله في المحرمات من قبيل وسائل اللهو الشائعة في قصور الحكام أو أن يكثر من بناء القصور أو يتخذ من الأثاث مالا يحتاج إليه. وبوجه عام فإن كل ما أنفق في معصية الله مما يكسبه إثما أو ذما عند العقلاء فهو تبذير وإن قل، وكل ما أنفق بخلاف ذلك فهو جود وإن كثر. ولعلاقه لهذا التفسير بالغنى اللغوي أو الاصطلاحي لهذه المفردات.

يرد في الباب التاسع حديث عن العلاقات الخارجية أوجب فيه أن يحل الملك خلافاته مع الملوك الآخرين بالطرق الدبلوماسية - المفاوضة واستعمال المكيد. وفي حالة التهديد بالحرب حذره من أن تستغل المفاوضة لزيادة قوة العدو ودعاه إلى عدم إتاحة الفرصة لمثل ذلك وقال إن الحرب إذا وجبت، أى إذا لم يجد عنها محصيا، فعليه أن لا يتردد في خوضها. واستطرد من هنا فاستقصى أصول الحرب التي إذا تقيدها الملك ضمنت له الفوز.

في الباب الأخير من نصيحة الملوك عرض لتصرفات الملوك المسلمين المنافية للشرع الإسلامى ووجهات نظر الفقهاء بشأنها. يبدأ العرض بمقدمة طويلة حلل فيها الأشياء حسب استعمالاتها ودرجات الضرورة فيها مع تبيان ما هو حرام أو حلال أو مشتببه منها والجهات التي ينصرف إليها استعمالاتها الشيء الواحد. ثم سجل وجهة نظره في هذه المسألة فندد بإتيان الملوك للمحرمات المتفق عليها كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير واستعمال أواني الذهب والفضة. وأجاز الغناء بشرط عدم تطرقه إلى أمور محرمة كالحث على الفجور وأن يقتصر على ما هو نافع ومقبول من الكلام. ولم يعترض على لبس الألبسة الناعمة عدا ما هو داخل في عداد الحرير كما تساهل في مظاهر الأبهة فلم ير فيها حرجا مادامت تؤدي إلى إعزاز ملكة الإسلام. وبإجمال: اعترض الماوردي على المحرمات القطعية وأجاز مادونها. ويدخل في قائمة التصرفات التي تسامح فيها مجمل ما كان شائعا في زمنه في أوساط ذوى السلطة. وبحكم مركزه في الدولة، كان عليه أن يعطى المبرر الشرعى لتصرفات أولياء نعمته وهو ما هدف إليه من تخصيص هذا الباب، وإن كان ذلك لم يحل دون تسجيل تحفظاته بوصفه فقيها.

قوانين الوزارة

الكتاب الثالث للماوردي في الدهاء هو قوانين الوزارة. وقد طبعته مكتبة الخانجي في القاهرة سنة ١٣٢٩ بعنوان أدب الوزير. والكتاب صغير الحجم يقع في ٥٨ صفحة تناولت القواعد

والآداب المناسبة للوزير الناجح. والوزير عند الماوردي جامع لصفتي السائس والمسوس، فهو سائس للناس مسوس للملك مما يوجب عليه أن يعرف كيف يجمع بين الصفتين ويعطيتهما حقها. وقد تحدث عن النوعين المعروفين للوزارة في العصر العباسي وهما وزارة التفويض ووزارة التنفيذ، فاستقصى الحدود القانونية لكل منهما ثم ذكر ما يستدعيانه من أصول الدهاء؛ فوزارة التفويض تجمع السيف والقلم فهي تشترط وزيرا يتمتع بالسطوة والمعرفة أما وزارة التنفيذ فتحتاج إلى الرأي والحزم، لأن وزير التفويض يقوم مقام الملك والخليفة أما الأخير فيعمل بمقتضى أوامرهما. وترتب بالسطوة والمعرفة. أما وزارة التنفيذ فتحتاج إلى الرأي والحزم، لأن لوزير التفويض مهام ثقيلة لأنه مسؤول عن زيادة عمران الدولة وتكثير ثرواتها، كما أن عليه المساهمة في توسيع الدولة. وتدعو هذه الغاية إلى الحزم وربما اقتضت الحرب ولكن الأولى أن يلجأ الوزير إلى الكيد والاحتيايل بدلا من المغامرة في الحرب. ويعبر الماوردي بذلك عن النزعة التوسعية للدول الكبيرة.

يتولى وزير التفويض أيضا مهمة الدفاع عن أمن المملكة وحمايتها من كيد الأعداء المنافسين في الداخل والخارج. والأعداء المنافسون ثلاثة أصناف: أكفاء عاقلون يجب مقاربتهم ومسالمتهم لكسب ودهم. وعظماء متقدمون يجب الحذر منهم مع ملايتهم. وطامعون في السلطة وهؤلاء يردعون بالقوة. ولم أفهم معيار التفريق بين هذه الأصناف كما لم يكشف الماوردي بالتفصيل عن هوية كل صنف لكي نعرف من هي الفئات المعنية بهذا التصنيف.

والوزير مهما تكن صفته يحتاج إلى موظفين يكلفون بواجبات الدولة الرسمية. ولاختيارهم يؤخذ بنظر الاعتبار أن هناك أربعة أصناف من الناس:

خير عاقل. خير جاهل. شرير عاقل. شرير جاهل.

الأول يصلح لكل الأمور فيستعان به دون تحديد.. الثاني يصلح لأمر لا تتطلب علما. أما الثالث فيمكن الاستعانة به مع الحذر من مكره. والأخير لا يجوز الاعتماد عليه البتة. ثم حدد شروط تعيين الموظفين، وهي تختلف تبعا لنوع العمل، وذكر اختصاصاتهم وصلاحياتهم كما تحدث عن عزل الموظفين فقيده ببعض الشروط ونهى عن العزل الكيفي، الذي قد يقدم عليه الوزير دون سبب معقول.

لاحظنا سابقا أن كتب الماوردي هي أفضل غرارات النظر الدهائي عند المسلمين. ويبدو هذا

المؤلف مع افتراض الثقة غير القابلة للشك في أنه كتب بالفعل كل هذه المؤلفات، كاتباً سياسياً لامعاً لا تقل براعته في هذا الحقل عنها في الفقه الذي يعتبر فيه من الأعلام المبرزين. على أن التأليف السياسي لم يتوقف عند هذا الكاتب الكبير فقد وصلت إلينا مؤلفات كثيرة من الأزمنة التالية يحتوى بعضها على مادة سياسية ثنية. وقد اخترنا منها لهذا الغرض كتابين يتميز الأول في أن كتابه من الملوك، أما الثاني فبمادته الشاملة التي تناهر، إن لم تفق، محتوى كتب الماوردى. منبداً بالكتاب الأول لنرى كيف يتحدث ملك مثقف بنفسه عن قضايا السياسة. والكتاب من تأليف السلطان موسى بن يوسف أبو حمور الذى حكم في الجزائر من سنة ٧٥٣ إلى ٧٨٨ أو ٧٩٢ على اختلاف الروايات. عنوانه «واسطة السلوك في سياسة الملوك» وقد طبع عدة طبعات في كل من الجزائر وتونس واستنبول.. ذكر المؤلف في المقدمة أن الغرض من الكتاب إيضاح قواعد السياسة الحكيمة لولده حتى تكون مرشداً له عندما يستقل بالملك. والكتاب على أربعة أبواب:

الباب الأول في قواعد الملك والنصايا والاداب والحكم المرشدة إلى الصواب.

الباب الثانى في قواعد الملك وأركانه وما يحتاج الملك إليه في قوام سلطانه.

الباب الثالث في الأوصاف التى هى نظام الملك وكماله وبهجته وجماله.

الباب الرابع فى القراسة.

وقد استخدم المؤلف تجارة الشخصية كنماذج للسياسة الحكيمة التى يتعين على ولده اتباعها. وأهم ما فى الكتاب هو الباب الثانى الذى بحث فيه قواعد الحكم وما يحتاج إليه الملك من الخصال لتستقيم أموره. وقد صنف الملك لهذا الغرض أربعة أصناف يبدو أنه استمدّها من تاريخ الفرس والعرب وهى:

١- من له عقل يصلح به دنياه وآخرته ومثاله عمر بن عبد العزيز.

٢- من له عقل يصلح به دنياه دون آخرته ومثاله ملوك الفرس وبعض الملوك الحازمين من بنى أمية والعباس.

٣- من له عقل يصلح به آخرته دون دنياه. ولم يضرب له مثلاً.

٤- من له عقل لا يصلح به دنياه ولا آخرته ومثاله الوليد بن يزيد الأموى والأمين العباسى.

وأفضل الأصناف عنده هو الأول لأنه يمزج بين السياسة والتقوى ويراعى مقتضيات كل

منهما، فيقوم بأمور الدولة على الوجه المطلوب دون أن يشتط في سلوكه الشخصي عن القواعد المأمور بها في الشرع. وهذا النوع من الحكم يرجي له الدوام والانتظام. على أن القسم الثاني هو الآخر يكون ثابت الأركان طويل العمر رغم أن أصحابه ليس لهم دين ماداموا سائرين في السياسة على طريقة تستجيب لدواعي العدل وال عمران. ويلاحظ السلطان أبو حمو أن الحكم يدوم مع حسن السياسة والفكر ولا يصلح العكس، أي أنه لا يدوم مع سوء السياسة والدين ولهذا السبب فالصنف الثالث، أي الذي يصلح آخرته دون دنياه يؤول إلى خراب، وهذا هو الحكم الديني البحت. أما القسم الأخير فهو كالثالث لادوام له. وقال عن هذا النوع من الملوك بأنه يجوز على الرعية ويحدث الحوادث عليهم، يعني أنه يفرض عليهم التزامات غير شرعية من قبيل أن يرمقهم بالضرائب أو يرفع الأسعار أو يكلفهم أعمالا لا طاقة لهم بها. ومثل هذا الملك يحسن لمن أساء ويسىء لمن أحسن ويكل الأمور إلى غير أهل الكفاءة وهو في غالب أحواله منهمك في الملذات.

إن هذا التصنيف للملوك يتمتع بأهمية نسبية بمقدار تأكيد على أولوية العمران والعدل - بصرف النظر عن المفهوم الفضفاض لهذا الأخير - مع تصريحه بالتعارض بين الحكم الديني البحت وبين متطلبات السياسة المدنية إلى حد اعتباره الأول من عوامل خراب الدول. ويبدو لي أنه لم يعثر على غرار لهذه الصنف من الملوك في التواريخ المعروفة لدية فنص عليه كافتراض منطقي ممكن الوقوع. على أننا لنجد في هذا العصر أمثلة تطابق الوصف الذي ذهب إليه هذا السلطان المثقف. عاصرنا أنظمة حكم اعتمدت على الدين البحت ورفضت الاتصال بالدنيا فبقيت لذلك منعزلة عن مجرى الحياة ولم تأخذ بأي سبب من أسباب التطور. من هذا القبيل حكم أسرة آل حميد الدين في اليمين، وحكومة الدالاي لاما في التبت فعند هذه الحكومات يقترب المحتوى الديني الخالص للدولة بالتخلف الشامل في كافة وجوه الحياة تبعاً لما أكدّه السلطان المذكور.

يعكس أبو حمو بهذه الملاحظات الثابتة، بقايا الوعي السياسي للإسلام، الذي كان لا يزال يحتفظ في زمانه ببعض الفاعلية. وفيما عدا ذلك لا يجد القارئ أفكاراً تتجاوز إطار الشخصى كملك مما يفقد الكتاب كثيراً من المزايا التي تمتعت بها مؤلفات المارودي مثلاً.

الكتاب الثاني عنوانه آثار الاول فى ترتيب الدول لكاتب غير مشهور هو الحسن بن عبد الله العباسى ألفه للظاهر يبرس (٦٧٦هـ). وللكتاب طبعة قديمة فى القاهرة غير مؤرخة. وقد جعله مؤلفه على أربعة أقسام وزرع كل قسم إلى أبواب. ولإعطاء فكرة عن اتساع موضوعاته أضع بين يدي القارئ فهرس الكتاب كما وضعه المؤلف:

القسم الاول: فى الصوابط والأصول وقواعد المملكة. وأبوابه:

- ١ - فى فضل الملك والحاجة الداعية إليه.
- ٢ - فى أركان الملك ودعائمه وقوانينه.
- ٣ - فى مجمع الملك وهيئته وخصاله وأبعته.
- ٤ - فيما يجب للملوك على الرعية وللرعية على الملوك.
- ٥ - فى حسن سيرته مع الملوك المجاورين والقبائل والأعداء والمعاندين.
- ٦ - فى سيرة الملك مع أمراء دولته وأركان مملكته.
- ٧ - فى سيرة الملك مع أهل الشريعة والعلماء والفقهاء والفضلاء.
- ٨ - فى حسن سيرة الملك مع العباد والنسك وقبول نصائحهم.
- ٩ - فى سيرته مع ذوى الشرف والبيوتات وإعانتهم.

القسم الثانى: فى أصول الملك فى ذاته مع خواصه وخدمته. وأبوابه:

- ١ - فى آداب الدخول عليه ومخاطبته ومجالسته.
- ٢ - فى أحوال الوزراء واختيارهم وما يجب لهم وما عليهم.
- ٣ - فى كتاب الرسائل والدواوين وما لهم من الرسوم والقوانين.
- ٤ - فى ولاية المظالم.
- ٥ - فى أصحاب البريد والأخبار والعيون.
- ٦ - فى الحجاب والنقباء والحرس والأعوان.
- ٧ - فى ذكر رسل الملوك وصفاتها وهداياها وأتحافها.
- ٨ - فى صحبة السلطان وشرائطها وما يحمد ويذم من ذلك.

القسم الثالث: في الأمور المختصة بالملك وخواصه وحاشيته وأبوابه،

- ١- في هيئة الملك ولباسه وركوبه وجلوسه وانفراده بخصائص يتميز بها.
- ٢- في آداب الأولاد والأقارب وحسن السيرة معهم.
- ٣- في آداب خواص الملك معه في جميع أحواله.
- ٤- في أمر الحريم وسياستهن.
- ٥- في سيرة الملك مع ممالكه والخدم وتفضيلهم.
- ٦- في طعام الملك والآداب فيه.
- ٧- في سماع تلاوة القرآن والمنادمة والمسامرة.
- ٨- في مجلس السماع - الغناء - وراحة النفس واختيار ذلك.
- ٩- في الرياضة واللعب بالكرة والمطاردة.
- ١٠- في الصيد وصفات الجوارح والكواسر وأمراضها وعلاجاتها.

القسم الرابع: في الحروب. وأبوابه،

- ١- في وصف أجناس الناس واختلاف أصنافهم وأطوارهم.
- ٢- في الشجاعة وحدها وفضلها وصفاتها.
- ٣- في الفروسية ورياضة الخيل والركوب.
- ٤- في الأسلحة واستعمالها في الحرب وصفات الرمي وفضله، والطعن والضرب للغزاة والحث على الجهاد.
- ٥- في تولية الأعمال والمدن والأمصار.
- ٦- في حفظ الثغور والقلاع وما يجب من أمرها.
- ٧- في الحروب والمصافات وتعبية العساكر.
- ٨- في الكر والهزيمة وما ينبغي أن يفعله الهازم والمهزوم.
- ٩- في الحصار وفتح القلاع وما ينبغي أن يفعله الحاصر والمحصور.

١٠- في حروب البحر ونصقاتها.

هذه الأبواب تكشف كما قلت عن اتساع موضوعات الكتاب. في حين تدل معالجات المؤلف لموضوعاته على خبرة سياسة جيدة مع ثقافة تستوعب عددا من وجوه المعرفة الشائعة في عصره. وقد أعطى المؤلف تفاصيل دقيقة عن تنظيم المدن خططيا واجتماعيا و حرفيا. كما تحدث عن حقوق الرعية فدعا الملك إلى استعمال الرفق لا العنف أصل السياسة ومدعاة للحصول على رضا الناس. كما دعا إلى ضمان معيشة الفقراء والعاجزين وعدم إهمال شؤون الناس إلى الحد المفضى إلى هلاكهم بسبب العوز. ودعا إلى كف الجند عن الرعية وذلك بأن تتخذ منازلهم في معزل عن منازل الرعية وأن يكون لهم جامع مفرد وحمايات مفردة. وأوجب ألا يشتغل العسكريون في الحرف لأنهم إذا عملوا في الزراعة أو التجارة أو غيرها ضعفت أحوال الرعية من عدم التسبب الناجم عن مزاحمة العسكريين لهم بما يتمتعون به من نفوذ و سطوة، كما تضعف بيوت الأموال من عدم تحصيل الضرائب للسبب نفسه. إن هذه الوصية ترتبط بالطابع العسكري لدولة الظاهر يبرس التي عاش المؤلف في كنفها مما اقتضى أن يضع حدودا تمنع من طغيان العسكريين على الجمهور كما يحدث عادة في الدول ذات الأنظمة العسكرية حتى اليوم.

وتناول العباسي قضايا الأمن العام فبحث في أصناف المجرمين مستقصيا الدوافع المختلفة للسلوك الإجرامى. وحول الطريقة الناجمة في حسم مادة الأجرام أوصى بإزاحة الدوافع قبل الإقدام على العقوبة. وفي حالة كون السلوك الإجرامى. متفشيا في جماعة فإن العلاج يجب أن يعتمد على السياسة لا العقوبة. من هذا القبيل إن أهل الجبال والقبائل يكون في طبعهم الظلم والقتل، كما يقول، فلتخلص من شرهم يجب أن يشغلوا بالجهاد والأسفار. وهذا الحل يشمل كل أولئك المصابين بداء الإجرام الناشئ حسب تقديره من إفراط القوة الغضبية فيهم^(١). واعتبر إشغالهم بالحروب وتكليفهم بالمهام الثقيلة سبيلا إلى تصريف هذه القوة فيما هو أصلح. وفي مقابل التوصية بالرفق والسياسة مع عامة الناس، دعا إلى استعمال الشدة مع

(١) القوة الغضبية هي واحدة من أربع قوى حصر الإغريق فيها قوى الإنسان الغريزية. والغضبية من القوى الباعثة يقول الجرجاني في تعريفها إنها تحمل القوة الفاعلية على تحريك الأعضاء عند ارتسام صورة أمر مهروب عنه في الخيال طلبا لنفذه ضارا كان في نفسه أو نافعا. بمعنى أنها قوة المقاومة ضد الأشياء الخارجية.

حاشية الملك إذا ارتكبوا أفعالا مخلة.. وإلى عدم قبول الشفاعات فيهم لأن جرائم هؤلاء أشد ضرراً على الناس من جرائم غيرهم بحكم مركزهم في السلطة. ثم تطرق إلى أهل القرى الصحرواية فأوصى باتباع الرفق معهم وذلك لصعوبة حياتهم. وأكد العباسي على محاربة الطائفية في المدن لأنها تؤدي إلى فتن عظيمة وخطوبة جسيمة وأثار الانتباه إلى دورها التخريبي في الكثير من بلدان الشرق.

وأوجب المؤلف على الملك محاربة البدع المخالفة لما عليه الجمهور، يقصد ما هو مخالف للعقيدة السنية التي كانت قد صارت عقيدة جمهور المسلمين آنذاك. وقد سبق للمواردى أن دعا بمثل هذه الدعوة في نصيحة الملوك. لكنه نهى عن استعمال العنف لهذا الغرض بعد أن لاحظ أن البدع قد انتشرت وترسخت في المجتمع الإسلامي فلم يصبح من المعقول مقاومتها بالقوة. ورأى أن الأسلوب السليم لذلك هو العمل الفكري الذي يجب أن تقوم به الدولة وتساعد عليه لحماية الجمهور من خطر الهرطقة. أما العباسي فلم يقترح وسيلة معينة فاكتمى بالنص على اعتبار هذه المهمة من واجبات الدولة. ولما كانت الفلسفة هي إحدى أخطر أشكال البدع فإن على الملك ألا يتهاون معها. لكن العباسي أكد في نفس الوقت على الأهمية الكبيرة للعلوم فاعتبر من شروط الملك الهمام أن يكون مثقفا مطلعاً على علوم عصره في حدود المستطاع وأن يرعا العلم وأهله. وأثار الانتباه إلى أن بقاء الدول وطول عمرها رهن بتعظيمها للعلوم وتمكين من يشتغل بها ورعاية جانبها. ثم أشار إلى دولتي الفرس واليونان فقال إن عظمتها واستطالة مدتهما مدينان لاهتمامهما بالعلم.

إن هذا التمييز بين الفلسفة والعلوم يرجع في الحقيقة إلى زمن المتوكل، الذي اضطهد الفلسفة وعلم الكلام بينما شجع العلوم وكان من رعاتها المبرزين. وقد تبناه الغزالي في تهافت الفلاسفة كما تقبلت الأوساط الفقهية المعتدلة. ومعرفة السبب في هذا الاتجاه ليست عسيرة، فالفلسفة خطر مباشر على العقائد مادامت مجردة عن تعلقاتها الفلسفية. ولا سبيل إلى التخلص من ضغط الحاجة إلى مثل هذه الأداة في مجتمع يزاول نموا حضارياً، على الرغم من حضور الدين كعامل سلبي.

في حديثه عن الحروب قال العباسي إنها عوارض كالأمراض يجب دفعها بالسياسة مالم تلجئ الضرورة إلى خوضها. على أن لبعض الحروب أسباب معقولة تترتب عليها نتائج مهمة وهذه الأسباب هي:

- تأسيس دولة

- تثبيت أركان دولة قائمة.

- الدفاع ضد العدوان الخارجى.

- حرب دينية بين أهل ملتين

- التوسع

تدخل هذه الأمور فى حكم الضرورات. وهناك حروب لا ترتب عليها نتائج على هذا المستوى من الخطورة وهى:

حروب الفتنة والسلب

حروب القبائل - الغزو

وهذه داخلة فى حكم العبث والفوضى...

إن البحث فى مشروعية وعدم مشروعية الحرب هى اليوم من موضوعات القانون الدولى. وقد روعيت فى التمييز بين هذه الحالات معايير جديدة مستمدة من تطور المجتمع البشرى فى العصر الحديث. ومن حق العباسى أن يذهب بفضيلة سبق إلى وضع هذه المسألة على بساط البحث وإن تكن أسبابه المعقول ليست كلها معقولة فى نظر الباحث المعاصر.

فى الأبواب المكرسة لخصوصيات الملك قال المؤلف ان الهيئة المثالية للملك تقتضى صفات الهيبة والقطنة والذكاء وفخامة الصوت، وأن يكون لباسه من أفخر اللباس. أما الزى فيخضع للعادة السائدة فى الزمان والمكان. ويذهب العباسى مذهباً غريباً فى تمييز الملك عن سائر الناس فيحرم تقليده فى ملابسه ويوجب انفراده بزي وهيئة خاصتين به. وهناك وصايا حول طعام الملك وشرابه ومتعه الشخصية وحول الرياضة وأشكالها مع تفصيل للألعاب الرياضية المناسبة لأعضاء الجسم. ووصايا حول الأولاد حيث فيها الملك على عدم كثرتهم حتى يستطيع تربيتهم على نحو أفضل كما أعرب عن عدم تحبيله للتكثير من النساء.

فى عرض لأصول السفارة أوجب العباسى أن يتصف السفير بحسن الوجه والاسم وأن يكون تقياً ورعاً لا يؤثر فيه الإغراء فيخون واجبه أو يتسامح فيه. وأن يكون له من العقل والرزانة ما يستطيع به أداء الواجب المكلف به فى سفارته على الوجه المطلوب. والسفير قد

مطالعات: من العصرين الاموى والعباسى.

يكون واحدا - لانس أن السفارات لم تكن ثابتة وإنما كانت على شكل وفود تقوم بمهمة وتعود إلى وطنها - وربما اقتضت الحاجة تأليف الوفد من ثلاثة: عسكري وقانوني وإداري. وهناك شرح آخر لكيفية استقباله لدى العودة. كما تناولت هذه الفقرات أصول التعامل مع الوفد الأجنبي.

خلاصة

هذه المجموعة من الكتب ليست كل ما كتبه المسلمون في السياسة. ولكني اخترتها لسببين: الأول أن مؤلفيها بذلوا جهدا فكريا فاعتمدوا على استنتاجاتهم الشخصية في تقرير قواعد الدهاء. وهي بذلك تتميز من مؤلفات اقتصرت على سرد العبر والأمثال كنصيحة الملوك المنسوب للغزالي وعين الأدب والسياسة لابن هذيل. الثاني وضوح النزعة الدنيوية لدى مؤلفيها مما يميزها عن مؤلفات أخرى كتبت بروح دينية متطرفة، أشاعت فيها جوا فكريا قاتما. ومن أمثلتها كتاب سراج الملوك للطرطوشي.

إن الميزتين المذكورتين هما من النقاط المشتركة لهذه الكتب. وهناك أمور أخرى، من بينها الاتفاق على تأكيد العنصر الأخلاقي في سلوك الملوك وعدم السماح إلا بقدر ضئيل من المرونة السياسية على حساب الأخلاق. وليس من النادر مع ذلك أن نجد لها تسقط في الانتهازية فتخرج عن هذا الخط العام. وقد مرت بنا بعض الأمثلة الدالة على أنها لا تصل في تجاهلها للأخلاق مبلغ ميكافلي الذي رسم الخط الفاصل بين الأخلاق والسياسة معلنا القطيعة النهائية بينهما. وكثيرا ما أدى التمسك بالمبادئ الأخلاقية إلى شيوع نبرة وعظية ومفتعلة أفقدت هذه الفصول شيئا من طرافتها. ويمكن أن يوضع على نفس المنوال إسراف الكتاب، وخاصة المارودي، في الاستشهاد بالشعر والحكايات والأمثال، وكان من الأجدي لو اكتفوا بالوقائع ذات الدلالات الملائمة لمقتضى البحث كما فعل السلطان أبو حمو الذي تحدث عن تجارة الشخصية، أو ميكافلي بإعتماده في تعزيز وصاياه على وقائع تاريخية معروفة.

ونتيجة بعض المؤلفين إلى توسيع مفهوم السياسة الصائبة ليشمل وصايا عن السياسة الاقتصادية والعمرانية إلى جانب الدهاء في إطاره الضيق. إن الملك الناجح طبقا لهذا الاتجاه ليس هو الداهية فحسب بل هو من يعطى لكل جانب من النشاط البشري حقه. وقد دفع

ذلك إلى الحديث عن قواعد الدول وما يجب لتأسيسها وديمومتها مع محاولات غير ناضجة للتساؤل عن أصل الدولة.

هناك أيضا اتفاق على ضرورة التقيد بأحكام الشريعة في محاولة، لتقنين تصرفات الحكام بإرجاعها إلى أصول دستورية. كما سجل الكثير من الكتاب نقدهم لأخطاء الحكام وأدانوا ميل السلطة إلى الجلوزة مؤكدين على تخفيف العنف بحيث لا يتجاوز الحد الذي تقضيه ضرورات بقائها وانتظام أمرها. وقد توافرت في هذه المؤلفات شروح مسهبة للالتزامات المتبادلة بين الحاكم والشعب أشير في بعضها إلى الأثر الحاسم للشعب في قيام الدول وبقائها وزوالها. ويلتقى حول هذه النقطة كل من الكتاب المسلمين ومكيا فلولي. وقد جاء في كتاب الأمير ما يلي: «من الضروري لكل أمير أن يكسب صداقة شعبة ولا فإنه لا يجد له أى ملجأ فى أوقات الشدة» وهو ما قاله الماوردى نفسه بتوسع فى تسهيل النظر ونصيحة الملوك. ولا بد أن يثير التساؤل هذا الاتجاه من كتاب لم يأتوا من صفوف المعارضة وكان أغلبهم رجال دولة أو أعضاء فى الحاشية. وفى وسعنا مع ذلك أن نلفت انتباه القارئ إلى مفارقة التوجه السياسى لمثقفين متبصرين يشغلون مثل هذا الموقع من السياسة الرسمية. ففي حين يتحرك الحكام تحت تأثير الشعور بالقوة فإن الحاشية المثقفة تستطيع أن تعطى لمنطق العلاقات السببية ما يعطيه الحكام لمنطق السلطة. وعندما أقول: حاشية مثقفة أعنى شيئين:

وعى فكرى.

درجة معينة من السلطة.

ومع اجتماع هاتين الصفتين فى شخص واحد فإنه يظل قادرا على التفكير بطريقة سياسية معتدلة. على أن هذه القدرة معلقة من الجهة الأخرى بالدرجة المعطاة من السلطة. ويرجع ذلك إلى أن الصفتين المذكورتين تعانيان فى واقع الحال تناسبا عكسيا تتراجع فيه الأولى بمقدار ما تشتد الثانية، أى بقدر ما تتسع صلاحيات المثقف المسؤول. وفى تقديرى أن المثقف يحتفظ بقدرته على مجابهة التأثيرات التى تفرضها السلطة على موقفه السياسى مادام يشغل مركزا ثانويا، أى ما لم يتسلم صلاحيات مطلقة فيتحول هو نفسه إلى طاغية. وبمقدورى القول إن أفكار سياسة ناضجة ومعتدلة كالتى صدرت عن الكتاب المسلمين تدخل ضمن هذا الواقع، الذى هو جدير أيضا بأن يفسر لنا حرصهم على أن يتمتع أولياء نعمتهم برؤية مماثلة تضى لهم الطريق نحو سياسات أكثر عقلانية، وبالتالي أكثر نجاحا وإنتاجا.

عهد الأشر

أفردت الحديث عن هذا العهد بعد استكمال البحث في الكتابات الدهائية ، بالنظر إلى الخصائص التي ينفرد بها. وعهد الأشر كتاب قيل إن على بن أبي طالب أملاه على مالك بن الحارث الأشر حين ولاه مصر. وقد وردنا في روايتين: رواية الشريف الرضى فى نهج البلاغة ورواية ابن شعبة فى تحف العقول. وهما متقاربتان فى الزمن لأن ابن شعبة توفى فى حدود ٣٨١ وتوفى الرضى فى ٤٠٦. أما محتواه فمتماثل ما عدا فروقا فى بعض العبارات ونقصا وزيادة فى فقرات معينة منهما. وهناك شك حول نسبة العهد إلى على بن أبي طالب يرد ضمن الشك فى نهج البلاغة، وتحقيق ذلك يحتاج إلى وقفة طويلة قد تخرج بنا عن غرضنا. وبقدر ما يتعلق بالعهد ساكتفى بأن أضع خطوطا عريضة لاحتمالين متعارضين بهذا الشأن:

الأول: ١- ورد فى بعض الاعتراضات على صحة العهد أن أفكاره الرئيسية تجد ما يماثلها فى بعض وصايا الزعماء الرسميين فى الأزمنة التالية . مما يرجح أن يكون العهد صدى لهذه الأفكار أراد صانعه أن ينسب إلى على بن أبي طالب لغرض من الأغراض.

٢- إن العهد كتب فى فترة مضطربة من خلافة على وأريد به أن يكون دستورا للحكم فى إقليم غير مضمون الولاء يتنازعه نفوذ الفريقين المتخاصمين على ومعاوية. فهل فات الرجل أن إملاء مثل هذا الدستور فى مثل هذه الظروف هو ضرب من العبث؟ لقد كانت المهمة المركزية التى أبطت بمالك الأشر هى الاحتفاظ بمصر التى تتعرض لضغط شديد من معاوية بهدف الاستيلاء عليها. ومن الصعب فى هذه الأحوال أن ينصرف التفكير إلى وضع نظام للحكم بمثل تلك الدقة التى تضمنها العهد.

٣- فى العهد مواد تتعلق بمؤسسات لم تكن حتى ذلك الحين قد استكملت شخصيتها النهائية من بينها المواد المتعلقة بتنظيم القضاء والديوان وشؤون الكتاب. مما يشير شكا مبررا فى صحة هذه الفقرات على الأقل.

الثانى: ١- إن الملاحظة الواردة فى البند الأول ينقضها اختلاف كبير بين أفكار العهد وأفكار الزعماء الرسميين المشار إليهم. ففى جميع الوصايا التى وردتنا عن هذا الفريق تطفى نزعة بيروقراطية متطرفة تضع حاجزا سميكا ليس بين الحاكم والرعايا بل أيضا بين الحاكم والحاشية. بينما يتضمن العهد إدانات مباشرة لهذه النزعة على النحو الذى ستكشف عنه

الفقرات التالية من البحث. كما يجد الباحث فرقا كبيرا في الاتجاه السياسي والاجتماعي فالعهد يصدر في مجمل موداه عن مطلقات المعارضة السياسية نفسها في العصرين الأموي والعباسي أما عهود الزعماء فتصدر عن وجهة النظر المعروفة لرجال الحكم المسلمين.

٢- هناك اختلاف ملحوظ أيضا بين محتوى العهد الاجتماعي والسياسي وبين ما آلت إليه في زمن ابن شعبة والرضي، اتجاهات الفرقة التي يتيمان إليها وهي الشيعة الإمامية. وذلك بعد أن اندمجت هذه الفرقة في خط السلطة البويهية متخلية عن شعاراتها التي كانت قدر رفعتها في العصر الأموي وأوائل العباسي. كما أننا لا نجد للرضي بالذات موقفا اجتماعيا أو سياسيا مماثلا لما نجده في العهد مما يجعلنا نستبعد أن يكون العهد من صنع الرضي كما يقال أحيانا.

مهما يكن من شيء فإن عدم القطع برأي نهائي حول نسبة العهد إلى علي لا يمنعنا من تناوله كوثيقة تاريخية تسجل موقفا سياسيا متميزا عن الموقف الرسمي وهو في الحقيقة أقرب إلى أن يعبر عن أفكار وتطلعات معارضي صدر الاسلام على اختلاف تنظيماتهم وانتماءاتهم...

يبدأ عهد الأشتر بالمقدمة المعتادة للوصايا الاسلامية وهي الأمر بتقوى الله واتباع تعاليمه مع ما يلحق بها من العصمة عن شهوات النفس. ثم يخاطب عامله مبينا له أن البلاد التي سيتوجه إليها قد جربت قبله أشكالا من الولاة وأن موقف الناس منه هو موقفه نفسه من أولئك الولاة في السابق وأوضح له أن سيرة الحاكم تعرف من كلام الناس عنه. يقول: «إنما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسن عبادهم» أو كما يرد في مكان آخر من نهج البلاغة: السنة اخلق أقلام الحق. ولا بد أن يكون المقصود بكلام الناس ما يعبر عن ردود الفعل تجاه سياسة السلطة ويشكل بالتالي صورة الانطباع السائد حول الوضع السياسي، أي ما يعتبر في الوقت الحاضر ضمن مفهوم الرأي العام. وقد تضمنت كلمة تنسب إلى عمر بن الخطاب هذا المفهوم بطريقة مقاربة حيث يقول في وصية لأحد عماله «اعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس»^(١).

(٧) الطبري - ج ٣ ، ص ٦ . وقد استشهد بها الجاحظ في كتاب «البرصان والعرجان» ٧٠٤ . والعامل هو سعد بن أبي وقاص.

يلاحظ أن وصية عمر ت قلب القاعدة الدينية القائلة بأن على المؤمن أن ينال رضا الله أولا فهنا يتعين على الوالي أن يسعى للحصول على رضا الناس كمقدمة للحصول على رضا الله الذي يأتي في المرتبة الثانية ويخضع لمقتضى العلاقة بين الحاكم ورعاياه.

يأتى هذا التعليم كمقدمة عامة تسبق تفصيل السياسة الواجبة الاتباع مع الرعية. وهنا يقول كاتب العهد:

«أشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم.

ولا تكون عليهم سبعا ضاريا تغتصم أكلهم .

فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ .

ولا تقول إنى مؤمر أمر فأوطاع فإن ذلك أدغال فى القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير» .

إن الطبيعة القمعية للدولة كمؤسسة تقوم على العنف تتجسد هنا فى صيغة بشعة تظهرها فى شخص الحاكم على صورة حيوان ضار يكون الاقتراس محتوى سلوكه اليومى . ويدافع من مقتته لهذه الصورة يطلب كاتب العهد من عامله أن يجعل الحب منطقا للتعامل مع رعيته . لماذا؟ لانهم لا يخرجون عن إحدى صفتين يشتركون بهما مع الوالى فهم بين أخ له فى الدين أو مشارك له فى الانسانية. وتبعاً لذلك ، فإن صاحب السلطة لا يملك ميزة تجعله فوق رعاياه وتسمح له بمعاملتهم كضحايا له. وعندما نضيف إلى هذا تأكيداً على عدم العصمة حيث يشترك الناس كلهم فى الاستعداد لاقتراف الذنوب عن خطأ أو حتى عن عمد فإن الأساس الذى تنهض عليه سياسة التكيل بالناس يصبح لاغياً.

على أن هذه النتيجة تصطدم بقسوة العقوبات المنصوص عليها فى الشريعة، مما لا يدع للاعتقاد بأن المشرع الإسلامى قد نظر إلى الناس بالعين التى نظر إليهم بها كاتب العهد . ومن المؤكد فى الوقت ذاته أن كتاب العهد لا يريد من عامله تعطيل هذه العقوبات فكيف إذن سيكون تصورنا للحدود التى يجب أن تتوقف عندها وصيته؟ إن الاجابة على ذلك من الصعوبة بمكان. واننا لمضطرون إلى الاعتراف بأن العهد يتناقض فى هذا الوضع مع المبادئ التشريعية التى ينطلق منها. ولعلاج هذا التناقض كان يجب أن يعاد النظر فى هذه المبادئ بما يتلاءم مع روح العلاقة المقترحة بين الحاكم والرعية. ومع ذلك فسوف يتحتم علينا أن نبحث عن بعد آخر لهذا التعميم دون أن نفرض النظر عن قصوره من الناحية التشريعية. ففى إحدى

الفقرات الأخيرة من العهد نجد الكاتب ينهى عاملة عن القتل الاعتباطى (سفك الدماء بغير حلها) ثم يردف نهيه عن القتل بتعداد مخاذهره على جهة التغليظ فيعتبره مؤذنا بزوال الدولة مستجلبا لغضب الله. وهو يؤكد فى أثناء ذلك أن أول قضية جزائية ينظر إليها يوم القيامة هي القتل. ثم يرمى إلى أن الحكام يلجأون إلى هذه الطريقة لترسيخ قواعد حكمهم ليلفت نظر الوالى إلى أن السلطة لا تقوى بالقتل وإنما تضعف وتكون قصيرة العمر.

وعندما نرجع إلى تصرفات السلطة الإسلامية منذ الأوان الأموى فسيمكنا ملاحظة أن هذا النهى يستهدف الوقوف ضد الإرهاب الحكومى الذى كان حينئذ محور التعامل مع المواطن العادى. ومن جهة أخرى يكتسب التأكد على ترويض السلطة وجعل الحب بدلا للإرهاب منطلقا للسياسة الرسمية فى علاقتها بالناس، أهمية فى التعبير عن الدور الذى تلعبه الأخلاق فى تخفيف وطأة القانون. وقد يبدو لنا عند المقاربة أن أخلاقية كاتب العهد تسمو فى بعض الأحيان على روح التشريع، الأمر الذى يتمثل فى بعض الوجوه فى إدانته لهماجية السلطة رغم عجزه الملحوظ عن إدانة التشريع.

فى سياق هذه النظرة إلى مسيرة العامل مع الرعية يقول كاتب العهد إن العامة يجب أن تكون قاعدة للحكم. إن هذا ما تنص عليه الفقرات التالية:

« ليكن أحب الأمور إليك أوسطها فى الحق وأعمها فى العدل وأجمعها لرضا الرعية. فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى موزونة فى الرخاء وأقل معونة لها فى البلاء وأكره للأنصاف وأسأل بالاحفاف وأقل شكرا عند الإعطاء وأبطأ عذرا عند المنع وأضعف صبرا عند ملومات الدهر من أهل الخاصة. وإنما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صغوك لهم وميلك إليهم. »

لم يبين الكاتب ما يقصده بالخاصة، لكن هذه المفردة أطلقت فى النصوص الإسلامية على فئتين من الناس: الأغنياء والمتنفذين أو أصحاب المال والجاه. ثم أهل الفكر. وقد استعلمت الأخيرة من قبل الفلاسفة الذين تسموا بالخاصة، تمييزا لهم عن بقية الناس لأغراض تخصهم من بينها اكتساب حق التفكير بطريقة تخالف ما عليه الجمهور. ولا بد أن يكون الصنف الأول هو المقصود هنا، بالنظر إلى الموضوع الذى يتحدث عنه وهو موضوع سياسى لاصلة له

بقضايا الفكر. أما العامة، فالكتاب يستعملها مرادف للرعية، استنتاجا من عبارته «أجمعها لرضا الرعية، فإن مسخط العامة.. الخ» والعامة مأخوذة من الفعل عم أى شمل واشتقت منه لتسمية الأكثرية الساحقة من الأمة، وبذلك تكون العامة هى الشعب فى الاصطلاح الحديث. وللخاصة صفات سلبية هى تلك الصفات الشائعة فى الطبقات المصابة بخواص طفيلية، مثل الجشع، الاتكالية، الأنانية، وقلة الصبر، مما يجعل الاعتماد عليها فى الحكم غير مضمون النتائج، هذا عدا عن أن حجمها، كأقلية، لا يوفر القوة الكافية للسلطة. أما العامة فهى جماع المسلمين، أى أكثريتهم، ولكونها أكثرية فإن إرادتها - رضاها - هى المعول عليها دون الخاصة، وهى بتجردها من سلبات الخاصة لابد أن تكون عدة مضمونة فى مجابهة الأعداء. ولهذه الأسباب يتحتم إنحياز الوالى إلى العامة تبعا لقولة: فليكن صغوك لهم. والصغو فى اللغة هو الانحياز.

فى هذه الوصية نجد النزعة الديمقراطية لكاتب العهد متمثلة فى دعوته إلى اتباع سياسة تحوز موافقة الأكثرية دون النظر إلى الطرف الآخر. ولاشك فى أن إهمال رأى الأقلية فى تقرير السياسة العامة هو المبادئ العامة للديمقراطية التى ينادى بها علم السياسة التقدمى فى العصر الحاضر. ولا عبرة بما يثيره بعض الكتاب من اشتراط الإجماع فى التطبيق الأمثل للديمقراطية لأن المجتمع يتكشف باستمرار عن مصالح متضاربة يمتنع التوفيق بينها. فى هذا الحالة تقضى السياسة الديمقراطية بتطمين مصالح وحقوق الأكثرية، وهم عامة الشعب، على حساب الأقلية وهم الخاصة، الذين يعتبر تجريدهم من امتيازاتهم الطبقية أحد المبادئ الجوهرية فى التحويل الديمقراطى للمجتمع (*).

على أن الكاتب رغم وضوح انحيازه إلى الأكثرية لم يضع أسسا لكيفية الاعتماد عليها أو تجسد إرادتها. وإذا كان الأمر بالنسبة إلى الخاصة واضحا وميسورا إذ يقتضى عدم الاعتماد عليها إبعادها عن الوالى وحرمانها من النفوذ الذى تتمتع به مثيلاتها فى حكومات الأقلية، فإنه بالنسبة إلى العامة غامض وغير محدد. وربما اتصلت هذه المسألة بالمآخذ التى تذكر على مبدأ الشورى فإذا وضعنا هذا النقص فى حسابنا فإن التوصية بالاعتماد على العامة لا يمكن أن

(*) معيار الأكثرية والأقلية فى معادلة عامة - خاصة يختلف عند فى النظام البرلمانى. فهنا لا توجد أقلية حقيقية لأنها تتحدد بفرق بضعة أصوات. لكن مفهوم العامة فضفاض لأنه يقوم على افتراض الوحدة المطلقة للشعب وعدم التباين فى الآراء والمصالح والأمزجة.

تتعدى التأكيد على مبدأ يتوقف العمل به على شخص الحاكم. والضابط الوحيد فى ذلك هو نزعه المبدئية. وقد بينا فى مبحث الشورى أن هذه النزعة كانت، مع افتراض وجودها، إحدى الضمانات القليلة لصيرورة الشورى نظاما رسميا للدولة فى تلك الظروف.

وزراء الحاكم وأعدائه:

بعد تقرير السياسة الواجبة مع الرعية، ينتقل كاتب العهد إلى بيان كيفية اختيار الأعوان والوزراء فيوصى عامله بتجنب الأشخاص الذين عملوا للدولة السابقين من الأشرار لأنهم شركاؤهم فى آثامهم. فإذا كان هناك ما يدعو إلى استخدام هؤلاء بسبب كفاءاتهم فإن كاتب العهد يؤكد أن الكفاءة ليست وقفا على الطغاة فلن يعدم الحاكمون بالعدل أعوانا يشبهونهم، فى الصلاح والاستقامة ويملكون من الكفاءة ما يغنى عن الاستعانة بأعوان الظلمة. إن هذا التعليم المتشدد يصدر عن موقف على بن أبى طالب نفسه من الأشخاص «غير المستقيمين». فعلى النقيض من أسلافه، لاسيما عمر الذى طبق شعار «نستعين بقوة المنافق والتمه عليه» كان على يصر على الجمع بين الكفاءة والنزاهة، وربما اضطره تشدده إلى التضحية بالأولى لحساب الغالية، كما فعل عند تعيينه محمد بن أبى بكر واليا على مصر. وكان المذكور من أتباع الصالحين لكنه كان شابا قليل الخبرة وقد اعترف على فيما بعد أن اختياره هذا لم يكن فى محله.

ثم اشترط عليه بعد اختيار الأعوان إن يروضهم على عدم الإطراء له لأن كثرة الإطراء تورط الحاكم فى الكبرياء والزهور. أما الباعث على اهتمامه بهذا الشرط، الذى قد لا يكون على جانب كبير من الأهمية، فهو الخوف من أن تكون الصلة المباشرة بين الأعوان بحكم مراكزها الرسمية - وبين الوالى سببا فى إفساده. وسيأتى فى السطور القادمة أن كاتب العهد لا يحدد التهريج الإعلامى.

طبقات الرعية:

استعمل هذا الاصطلاح فى العهد للتمييز بين الفئات الاجتماعية المختلفة ليس على أساس علاقاتها بعلمية الإنتاج، بل على أساس الاختلاف فى المهنة أو الوضع الاجتماعى، وقد سماها الأصناف أيضا. والطبقات هى:

الجنود.

الموظفون وهم كتاب العامة والخاصة.

القضاة

عمال الإنصاف والرفق.

أهل الجزية والخراج.

التجار وأهل الصناعات.

الطبقة السفلى وهم المساكين.

وهذه الطبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا يستغنى بعضها عن بعض. فالجنود هم حماة الرعية والمدفعون عن الدين وقوامهم بأموال الخراج، وقوام الخراج بالموظفين والقضاة لأنهم أدوات تنظيمه وتحصيله. وهذه الأصناف كلها تبع للتجار وذوى الصناعات لأنهم محور النشاط الاقتصادى فى عموم المجتمع.

ثم وصف أسلوب التعامل مع كل طبقة على التفاصيل الآتى:

الجنود:

أوصاه بأن يستعمل عليهم رؤساء يتمتعون بهذه الخصال.

١- العفة والنزاهة.

٢- الحلم والأناة.

٣- الرأفة بالضعفاء والقسوة على الأقوياء.

٤- التوسط بين العنف والضعف.

تكرس هذه الخصال مناواة كاتب العهد للعجرفة العسكرية وهى تتساوى مع النزعة التى سيطرت على وصاياه المتعلقة بسياسة الوالى مع الرعية. ولا مفر من الإشارة إلى أنها تحمل أثرا من طوباويات على بن أبى طالب فمن المعلوم أنها لم تجد طريقها إلى الواقع لافى الماضى ولا فى الحاضر وظلت إلى اليوم محصورة فى دائرة صغيرة من أهل الفكر والأنبياء غير المسلحين.

وأوجب كاتب العهد لأغراض تنظيم الجيش أن يتفقد الوالى أحوال الجنود وأن يتعامل معهم بروح أبوية مع تخصيص ما يكفيهم ويكفى أهاليهم حتى لا يشغلهم العوز عن مجاهدة العدو. كما يجب التنوية بالأفعال البطولية وتكريم أصحابها تشجيعا لهم وتحفيزا لغيرهم وقد تضمنت رواية ابن شعبة فقرة يوصى بها بوضع عيون - (مفتشين مسريين) من الأمناء ليتابعوا مآثر ذوى البلاء والبطولة من الجنود فيثبتوها ثم يعرضونها على الوالى ليتخذ فى ضوءها قرارته التكريمية، ومن حقنا مع ذلك أن نتعرض على التعليم الذى يوصى بمعاملة الجنود بروح أبوية - معاملة الآباء للأبناء، فهى من نتائج ذلك التفاوت فى الرتبة الذى يمنح الأعلى حق الأبوة على الأدنى. ويدروا لى أن كاتب العهد وهو يحمل كل ذلك الحب لرعاية وكل ذلك الحرص على حمايتهم من عنجهية الحكام والرؤساء لم يتمتع بالقدرة الكافية على التحرر من آثار الوصاية التى يفرضها المجتمع الأبوى على أفرادهِ.

القضاة:

نصت الفقرة المختصة بالقضاء على صفات من يجب اختياره لهذا المنصب وهى أن يكون القاضى:

- ١- من أهل العلم والحلم والورع.
- ٢- صارما فى الحق.
- ٣- منزها عن الطمع.
- ٤- أن يكون معتادا برأية حتى يكون لديه الامتعداد لتصحيح أخطائه اذا اتضحت له الحجة فيها.
- ٥- أن يكون متوقفا فى الشبهات. وهى الأمور الملتبسة التى تتطلب الفحص بإمعان وأناة حتى ترد إلى وجهها الصحيح. ويقتضى ذلك من القاضى أن يترى ويلح فى الاستقصاء حتى يتهيا له الانتقال من أدنى الفهم إلى أقصاه.
- ٦- أن لا يكون ملولا يميل به عدم الصبر إلى اجتزاء الأمور وحرمان الخصوم من الإدلاء برأيهم فيها.

ثم لفت نظر القاضى إلى أمور قضائية صلبها فى عبارات مكثفة يقول فيها:

«أكثر تعاهد قضائه». والمقصود تتبع الأحكام وفحصها. ويقع ذلك ضمن حق التمييز والتفتيش على القضاة وقد تناولته كتب الفقه فيما بعد بالتفصيل. وفي الثانية يقول: «افسح له في البذل مايزيل علقته وتقل معه حاجته إلى الناس» يعنى أن يعطية من المال ما يكفيه، فالحاجة من بواعث الخيانة، وإزاحتها إحدى الضمانات الواقية من السقوط في هذا الدرك. وفي رواية ابن شعبة نص على التزامات بتنفيذ حكم القاضي وآخر بترتيب أعوان له من الفقهاء وأهل الورع يساعدونه في الحكم. ولعلها أقدم إشارة إلى تعدد الأعضاء في المحكمة الواحدة.

كبار الموظفين،

يشترط العهد أن يكون تعيين كبار الموظفين - المعبر عنهم فيه بالعمال - بناء على الاختيار دون المحاباة والأثرة. وقد وصمهم بما يوصم به الموظفون حتى الآن: الجور والخيانة. وأمر باختيارهم من ذوى التجربة والحياء ومن لهم عراقة في خدمة الإسلام معتبرا ذلك من وجهة نظره مدعاة للثقة بهم. وأمره أيضا بالتوسيع لهم في العطاء لئلا تضطرهم الحاجة إلى الاختلاس، كما سبق مع القضاة، وقال إن هذا الإجراء يساعدهم على إصلاح أنفسهم كما يعطية حجة للإيقاع بهم إذا ثلموا الأمانة. ثم اشترط عليه وضعهم تحت المراقبة السرية من قبل مفتشين يختارهم من أهل الصدق والوفاء. ولعلنا إن نجد في عدم الثقة بالموظفين مسوغا لإخضاعهم لهذا الإجراء المخالف للشرعية. وقد ربط مصير الموظف بالمفتشين فإذا اجتمعت تقاريرهم على إدانته بالخيانة كان ذلك موجبا لعزلة ومصادرة أمواله مع التشهير به ووسمه بالخيانة.

وحول صغار الموظفين - وهم الكتاب في لغة العهد - توصية تنهى عن الاعتماد في تعيينهم على رأى الشخصى للوالى فربما تأثرت فراسته بتصنع المرشحين للعمل وحسن خدمتهم له دون أن يكون لهم وراء ذلك من النصيحة والأمانة شئ. وقد وضع المعيار البديل وهو: سوابق المرشح وفي مقدمتها أن يكون قد عمل للولاة الصالحين قبله مع حسن أثره في العامة واشتهاره بالأمانة: وأمره بعد ذلك بتقسيم الواجبات وتخصيص رئيس لكل قسم. في رواية ابن شعبة نص على تفقد حالهم أى التفتيش عليهم. وعين الغرض من التفتيش وهو ما فيهم من العجرفة في معاملتهم للناس الذين لا يجدون بدا من مراجعتهم فيكونوا هدفا لسوء المعاملة. ثم حملة مسؤولية مايرتكبه الموظفون إذا هو تغايى عن عيوبهم.

التجار والصناع:

يقول كاتب العهد إن طبقة التجار تقوم بما يعجز عنه سائر الناس وهو التوغل في الأبعاد بحرا وبراً وسهلاً وجبلاً لاستجلاب المنافع والمرافق التي يحتاجها الناس ولا يجترئون عليها. ويأتى هذا من الطبيعة الخاصة لعمل التجار في ذلك الزمن بما يتطوى عليه من مخاطر تنشأ عن وعورة المواصلات وصعوبة تأمينها مع بدائية وسائل النقل.

ومن هنا اعتبرت التجارة عند القدماء من الأعمال الصعبة التي لا يتولاها إلا ذوو الهمم العالية. وقد أسقط القدماء من حسابهم إمكان قيام الدولة بالأعمال التجارية بما يغنى عن انفراد التجار بهذه الميزة. ثم أضاف إلى عنصر المخاطرة التي يتعرض لها التجار أن هذه الطبقة ومعها طبقة الصناع هم أناس مسالمون وأنهم بحكم المجال الذي يشتغلون فيه يحبون الأمن والاستقرار ولا يشكلون مصدر إقلاق للسلطة، مما يوجب العناية بهم وتفقد أمورهم. إلا أنه لم ينس أن ينبه الوالى إلى أن فى أكثرية التجار والصناع ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً. ولم يوضح ما يقصده بالضيق. ولكن محمد عبده فسره بعسر المعاملة أى عدم التسامح فى البيع والشراء. وأضاف أن فيهم أيضاً احتكاراً للمنافع وتحكماً فى البياعات وهذا من عوامل الإضرار بالعامّة كما أنه عيب على الولاة فأوصاه بمنع الاحتكار وأن يجعل البيع يباعاً سمحاً بلا اجحاف وأن تكون الأسعار لا تححف بالفريقين. وفى هذا نص على تدخل السلطة فى الأسعار خلافاً للحديث النبوى الذى ينهى عن التسعير.

الطبقة السفلى:

تضم هذه الطبقة تبعاً لتحديدية: المساكين والمحتاجين وذوى العاهات واليتامى والعجزة. وقد أمره أن يخصص لهم نصيباً من بيت المال وغلات الصوافى - أراضى الدولة - أى دون أن يقتصر على نصيبهم من الزكاة وحذره من إهمالهم بحجة الانشغال بالأمور الخطيرة. ثم نظم له طريقة الاتصال بهم فأوصاه أن يعين لهم موظفين يتولون أمورهم فيستقصونهم ليعرفوهم مؤكداً على ضرورة الذهاب إليهم فى مواقعهم لأن فيهم من لا يستطيع الوصول إلى السلطة أو تمثيلها ليعرض عليها حالته. يعنى بالضبط عدم تعليق ذلك على القصص - العرائض، ووضع مسؤولية المبادرة إلى ضمانهم على السلطة. وقد أوجب أن يكون الموظف من أهل التقوى والتواضع، وهو شرط يفرضه التعامل مع هذه الفئة التي يجعلها وضعها البائس عرضة للازدراء

والإهمال فيستحيل بالتالى أن يتولى أمورهم بكفاءة وعناية من يرى نفسه أرفع رتبة منهم. واعترف كاتب العهد أن شؤون هؤلاء المسحوقين ثقيلة على رجال الحكم والادارة لكنه استطرد فقال إن الحق هو فى العادة ثقيل إلا على من «طلب العافية ووثق بوعد الله» ولا بد أنه يقصد المؤمنين الصادقى الايمان.

إن هذه التوصية تتفق مع الصلة التى جمعت بين على بن أبى طالب وهذه الفئة وهى من بين المحتويات الأساسية فى العهد، التى تحملنا على توثيق نسبته أو بعضه إليه. وقد بدا الرجل جانرا فيما إذا كان بمقدوره تحقيق طموحاته بالنسبة لهؤلاء المسحوقين بالنظر الى عدم ثقته فى الكثير من أعموانه فتشبت بعاطفته الدينية متوقعا أن تكون هذه المهمة الثقيلة خفيفة على المؤمنين الصادقين.

الخُراج:

يقول كاتب العهد إن الزراعة هى مصدر حياة الناس فالناس كلهم عيال على الخراج وأهله والخراج هو المصدر الأكبر لبית المال. وقد شدد على عامله بالعناية أولا بعمارة الأرض وأن يقدمها على التفكير فى حصيلة الخراج. وتعنى العمارة ديمومة وتطور الإنتاج الزراعى مما يستدعى الإشراف المباشر على وضع الإنتاج فى الأرياف. ولهذا الغرض تنص رواية ابن شعبة على الأمر التالى:

أن يتصل الوالى بالمزارعين لمعرفة أوضاعهم وحاجتهم. وبعد أن ينهى استقصاءاته حول أية قضية يتصل بالخبراء فيتداول معهم بشأنها. ثم يصدر قراره فى ضوء ذلك. وعلى سبيل المثال إذا كان المزارعون قد شكوا من فداحة الضريبة عليهم وجب على الوالى تخفيفها عنهم. وإذا كانوا قد طلبوا تعميرا أو إصلاحا وجب القيام به نيابة عنهم. وقد علل هذه التوصية بالاستاذ إلى اعتبارين:

تحقيق العدل.

ديمومة الخراج.

ومنال العدل ضرورته الأخلاقية من جهة، وما ينتج عنه من الحصول على ثقة أهل الأرض بالوالى من الجهة الأخرى. أما الخراج فلا يدوم إلا بالعمارة فإذا خربت الأرض هبطت حصيلته. وندد بمن يجبى الخراج دون النظر فى عمارة الأرض لأنه إيلدان بخراب البلاد وهلاك الناس. ثم ذكره بأن نفوس الولاة تميل إلى الجمع، يقصد الجباية، بما ينتج عنه من

إرهاق أهل الأرض وأفقارهم. وربط بين هذه الحالة وخراب الأرض، « وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وعلينا أن نشذكر بهذه المناسبة أن وضع الزراعة كان على الدوام هدفا للسياسة الاستنزافية التي سار عليها الخلفاء المسلمون والتي اعتمدت أساسا على (الجمع) دون النظر في متعلقاته. وقد سبب إفقار مستمرا للفلاحين وجعل الريف نموذجا بائسا للظلم والخراب. وهو ما يفسر لنا عناية بعض المفكرين والفقهاء بالتأكيد على العدل والإنصاف - في حدود الشريعة على الأقل - وعلى الاهتمام بعمارة القيعان ومراعاة ظروف المزارعين عند الجباية.

أمور يباشرها الوالي:

أوصى كاتب العهد عامله أن يتصدى بنفسه للنظر في قضايا المتظلمين وذوى الحاجات، على أن يعقد لهذا الغرض مجلسا عاما اشترط أن يكون خاليا من الحرس حتى يكون بإمكان المتظلم عرض قصيته من غير تردد أو رهبة. كما أمره أن ينظر في حاجات المتظلمين بلطف وأناة وأن يستحمل هفواتهم ولا يعاملهم باستعلاء.

ومهام أخرى يتعين على الوالي مباشرتها منها الإجابة على رسائل الولاة المرتبطين به إداريا إذا عجز الكتاب. ومنها تلبية حاجات الناس في يوم ورودها، وبين له أن ذلك سيخرج، أعوانه أى موظفة وعماله، فيمنعهم من تأخير معاملات الناس. ويدخل في عددا الأمور المباشرة إقامة الفرائض الدينية وقد أكد كاتب العهد على أدائها وأوصاه بتفريغ أوقات لطقوس العبادة. وفي الحالات التى يؤم فيها الناس للصلاة أمره بعدم الإطالة لئلا يؤذى صاحب العلة والحاجة. وحدد الوقت المناسب لذلك بحديث رفعة إلى محمد يأمره فيه أن يصلى فى الناس صلاة أضعفهم أى أعجزهم عن القيام بالصلاة وما تتطلبه من جهد بدنى.

ثم أوصاه بعدم الاحتجاج لأنه يجعل الناس يجهلون اتجاهات السياسة القائمة فيسيئون فهمها كما يحرم الوالى من معرفة الاحتياجات العامة. ولا بد لتحصيل الفهم المتبادل بين الحاكم والرعية من المخالطة لأن الحقائق، كما يقول، لا تعرف بالظن وإنما بالاختبار. وقد نص كاتب العهد على أن هذه السياسة تقود إلى البلبلة حين وصف الاحتجاج بأنه يقطع عن الرعية علم ما احتجوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل. ودفعاً لهذه الملبسات يجب على الوالى أن يكون على صلة مباشرة بالناس.

وفي فقرة تالية أكد على الوالى بأن يدافع عن سياسته أمام الرعية فإذا اتهموه بالحيف فى إجراء ما وجب عليه أن يصرح لهم بالعدر فيكشف لهم مبرر الإجراء المنتقد. وجعل التصريح بالعدر سبباً لجملة أشياء، منها ترويض نفسه على ممارسة الاتصال والتفاهم مع الرعية وتقتضى هذه الرياضة مجابهة عقدة التعالى التى تميز علاقة الحاكم بالشعب. ثم إن الانفتاح على الرعية بهذا الشكل يعطيه العذر الكافى لمطالبتهم بالسير فى خط السلطة.

إن هذا التعليم يصدر عن الميول الشعبية لكاتب العهد. ومن المعتاد أن تعتمد السلطة وهى تتمثل مثل هذه الميول إلى مكاشفة الناس بالحقائق وعدم تضليلهم إعلامياً. وفى الغالب، فإن هذا يحدث حين يكون رجل الحكم مالكا لقضية تتعدى مصلحة الخاصة كحاكم. ويعنى ذلك:

١- عدم جعل السلطة، كما فهمها الحكام المسلمون، مثلاً، وسيلة للتلذذ.

٢- أن لا يكون الحاكم معبراً عن مصالح طبقة فاسدة.. والحالتان لا تنفصلان عن بعضهما. فالحكام الذين أرادوا السلطة لأغراضهم الشخصية هم أنفسهم الذين يحكمون فى العادة نيابة عن طبقة من هذا النوع. إن السلطة التى تتلبس هاتين الحالتين تتجه تلقائياً نحو الاستبداد والبيروقراطية، أى نحو الانعزال عن الشعب واتباع سياسة ما وراء الكواليس. وقد اتجه العهد حتى الآن إلى رسم الصورة التقريبية للسلطة البديلة عن هذه فى حدود المستوى المتواضع للفكر السياسى فى المرحلة التى كتب بها. ويتطابق هذا المبدأ مع سلوك على بن أبى طالب فى خلافته. وقد دافع عن نفسه أمام الخوارج بأنه لم يكتم عنهم شيئاً.

الحاشية والبطانة:

أطلق هذا الاصطلاحان فى الأدب السياسى الإسلامى على الفئة القريبة من الحاكم كالوزراء وقادة الجيش والموظفين الكبار، إلى أجناب أقرباء الحاكم وأصدقائه. وقد نسب كاتب العهد إليهم الاستئثار^(١) والتطاؤل وقلة الإنصاف فى المعاملة. وهى صفات مألوفة عرفتها أنماط الحكم المختلفة قديماً وحديثاً.

لكى يضع حداً يمنع البطانة من سوء التصرف أوصى كاتب العهد بما يلى:

(١) الاستئثار: من الأثرة وهى الأنانية: واستأثر بالشيء انفرد به. والاستئثار فى لغة العهد يعنى انفراد الحاشية بالمصالح والامتيازات مستفيدة من علاقاتها بالحاكم.

١- عدم منحهم إقطاعات. لأنهم إذا امتلكوا أرضاً أضروا بجيرانهم لاعتمادهم في استثمارها على نفوذهم مما يوفر لهم ميزات لا يتمتع بها غيرهم كما يمكنهم من التصرف بقوة السلطة تبعاً لمصالحهم.

٢- أن لا يسمح لهم بأية صفقة عمل يحملون مؤونتها على غيرهم ويستقلون هم بثمراتها.

٣- تقديم ما يراه الوالى حقاً على مصالح الحاشية والبطانة والزامهم به رضوا أم كرهوا.

٤- أن لا يترك لعاطفته أثراً على سلوكه معهم.

وتعطى التوصية انطباعاً بأن خاصة الوالى لن تحصل على شيء. فمن حقنا لذلك أن نسأل: ما الذى يشد هؤلاء إلى السلطة إذا فقدوا الأمل فى استغلالهم؟ الجواب هو أن تكون هناك قضية مشتركة بين القائد وأتباعه تحقق درجة معقولة من التجانس ويكون فيها القائد أسوة للأتباع فى عدم استغلاله لسلطته وفى سيرته الشخصية القائمة على الورع. وعندئذ لا يعود هم الحاشية محصوراً فى الاستيلاء على الامتيازات.

على أن تصور مثل هذا الوضع المثالى مستحيل إلا فى سلطة ثورية وفق المفهوم العصرى. أعنى سلطة يتولاها ممثلوا الطبقات المسحوقة وتوجهها إيديولوجية علمية وأهداف محددة. ولا بد أن يقودنا ذلك إلى القول بأن عهد الأشر قد تجاوز الحدود الممكنة لمرحلته وهو يتصور بطانة للسلطة لا تملك شيئاً وحاكماً لا يمنح خاصته امتيازاً على سائر الناس. وحينما نعود إلى افتراض أن كاتب العهد هو على بن أبى طالب فإننا نعلم أن بطانة هذا القائد لم تحصل بالفعل على شيء، وكان هو نفسه قدوة لهم فى عدم استغلال السلطة والاستئثار بامتيازات خاصة. على أننا نعلم أيضاً أن على بن أبى طالب فشل فى كبح جماح بطانته عن الاستغلال والخيانة. وبعد أن أكلت الحرب فى الجمل وصفين وما تخللها وتلاها من أحداث خيرة أتباعه من أمثال عمار بن ياسر ومالك الأشر وأدركت البطانة ضعف مركزه عاد أفرادها يتصرفون بروح الباحث عن الغنائم. وقد امتدت هذه الروح إلى أقرب أتباعه كعبد الله بن عباس الذى عينه والياً على البصرة فذهب بيت مالها وهرب، وشقيقه عقيل الذى دفعه الحرمان

إلى الالتحاق بمعاوية. وانتهى الأمر بعد مقتله إلى عقد الصفقات السرية مع خصومه، فالتحق ابن عمه الآخر عبيد الله بن العباس بمعاوية بعد تقديم رشوة انفق عليها. وكان عبيد الله قائداً لجيش الحسن الذى ببيع بالخلافة بعد والده. ثم جاء دور الحسن ليتنازل عن الخلافة لحساب معاوية لقاء خراج دراهم بجرد إحدى المقاطعات الكبيرة فى إيران.

لدى البحث عن تفسير لهذا الوضع فإننا نراه فى عدم تكامل المنهج الاجتماعى للحركة التى قادها على بن أبى طالب، وفى انعدام أيديولوجية اجتماعية تقف وراء الانحياز الذى أظهره للعامة. وكان من شأن ذلك أن يحرم الحركة من شروط الحركة الثورية بمفهومها المعاصر، وأن يبعدها، بالتالى، عن ذلك الجو الأخلاقى الصارم الذى يفترضه الموقف الثورى. ولم يكن أمام الحركة للتعويض عن هذا النقص غير الدور الذى تلعبه الأصالة الشخصية كما بينت سابقاً. ولعل هذا هو السبب فى أن النماذج النزيهة لم تتجاوز عدداً محدوداً من الأتباع.

وصايا ختامية،

بعد أن فرغ الكاتب من تفصيل المبادئ المطلوب من العامل أن يصرف شؤون ولايته وفقاً لها، سجل الوصايا التالية وجعلها ختاماً للعهد:

ـ وجوب البحث عن سنن الماضين للاقتداء بها. وفيها دعوة للاستفادة من تجارب الغير توجب على القائد أن يدرس التاريخ.

ـ مجانبة الإعجاب بالنفس وحب الإطراء. ومن هذا القبيل عدم المنّ على الرعية بالإحسان أو التزيد فى أفعاله عما هو حاصل منها. بعبارة أخرى: أن يقدم الإنجاز البسيط فيشير حوله ضجيجاً لا يتناسب مع حجمه الفعلى. ولفهم اتجاه هذه التوصية يحسن أن نتذكر ما يفعله الإعلام الرسمى فى البلدان العربية وغيرها من بلدان العالم المتخلف. إن أجهزة الإعلام فى هذه البلدان تثير الضجيج حول أصغر الإجراءات كتبليط شارع أو إنشاء حديقة عامة، أما الإجراءات من الحجم الأكبر فإنها تضع المواطن العادى تحت طائلة تذكير يومى على مدى سنوات طويلة. ويعتبر ذلك فى باب المنّ على الشعب بمنجزات السلطة التى تعرضها أجهزة الإعلام بالطريقة التى يتحدث بها المحسنون عن أنفسهم.

- الحذر من العجلة بالأمر قبل أن تتضح أسبابها ومن التهاون عند إمكانها، ومن اللجاجة فيها إذا تعذرت، وبذلك يزن سياسته بميزان دقيق يميز بين الممكن والمستحل، وبين ما تهيات ونضجت أسباب المبادرة إليه وما لم تهياً بعد.

هذه التوصية تدعو إلى التصرف وفقاً للظروف، وهي ضد التجاهين في السياسة: اتجاه مغامر يعمل قبل أن تتضح الأسباب متجاهلاً أحكام الظرف القائم وآخر متخاذل يعجز عن المبادرة إذا حان الوقت.

- ثم يكرر وصايا سبقت فيها عن الاستئثار والعجرفة والسطوة ويختتم بدعاء يسأل فيه التوفيق إلى العدل والحصول على ثناء العباد مع الآثار الجميلة في البلاد.

العنف والأغتيال السياسى فى الإسلام

الاغتيال اشتقاق من الجذر الثلاثى غ. و. ل الذى يفيد الهلاك، وصياغته على زنة افتعال تفيد الطلب، أى بما ينطوى على العمد والقصد. فالاغتيال هو إرادة الغول - الهلاك - للآخر، وبهذا المعنى يفيد القتل العمد. وإذا اعتبرنا اشتقاقه من غ. ي. ل. فهو مفسر فى قول الفيروز آبادى وابن منظور: «قتله غيلة، خدعه فذهب به إلى موضع فقتله». وأصل غ. ي. ل. هو الحرج ذو الأشجار الملتفة الكثيفة. وعندئذ قد يصح لنا الاستنتاج بناء على قول الفيروزى آبادى وابن منظور أن قولهم اغتاله مأخوذ من قتله فى الغيل، أى غفلة فى موضع خفى. مع ملاحظة أن عبارة قتله غيلة أكثر وروداً فى النصوص القديمة من اغتاله.

يرادف الاغتيال كلمة أخرى هى الفتك، التى تتضمن معنى مزدوجاً: القتل عمداً وهو ما تؤديه الكلمة الانكليزية Murder التى تترجم تسامحاً إلى القتل بإطلاق. المعنى الثانى هو القتل على غيرة كما نص عليه الزمخشري فى «الأساس». وهو المقصود فى الحديث النبوى: «الإيمان قيد الفتك» الذى مىأتى الكلام عليه. وميز اللغويون الاغتيال عن الفتك، فالاغتيال إذا قتله من حيث لا يعلم، والفتك إذا قتله من حيث يراه وهو غاراً (غافل) غير مستعد. وتدخل الحالتان فى مفهوم الغدر. لكن الفتك أعم فهو يشمل على جملة أركان تكتف الفعل: العمد، الاستغفال، الاندفاع غير المحسوب، الجراءة والإقدام، ونجد هذه الأركان مجتمعة فى صفة الفاتك التى ترد فى معان تتراوح بين الإعجاب وعدم الارتياح. ولذلك لا نجد لها تستعمل لوصف الشخصيات التاريخية المشتهرة بالشجاعة مثل على بن أبى طالب مع أنها تطلق مع الإشعار بالمهابة على الشجعان العادين.

من هنا ينفرد الاغتيال بالدلالة على القتل العمد المشتمل على أحد ركنين:

١- استغفال المقتول، كأن يأتبه القاتل من ورائه، أو يكمن له.

٢- أو استدراجه للإيقاع به فى مكان معزول.

والاغتيال هو اللفظ الشائع اليوم، والذى يجب أن تقتصر عليه المعاجم الحديثة، دون قتل الغيلة لأنه مهجور فى العربية المعاصرة ولأن الأفضلية فى الاستعمال يجب أن تكون للاصطلاح المؤلف من كلمة واحدة.

الحكم الشرعى وتجارب العهد النبوى

أورد الفخر الرازى فى تفسير الآية ٣٨ من سورة الحج من «تفسيره الكبير» «إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ». إن مسلمى مكة استأذنوا النبى على قتل المشركين الذين آذوه، سرا، فنهاهم ونزلت الآية لتؤكد هذا النهى.

وفى هذا المعنى يرد حديث أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد من سننه، نصه.. «الإيمان قيّد الفتك. لا يفتك مؤمن». وقد تردد هذا الحديث فى أخبار قتل الحسين، إذ يروى أبو الفرج الأصفهاني فى «مقاتل الطالبين»^(١) أن مسلم بن عقيل استشهد به حين دافع عن عدم تنفيذه لخطه رسمها له قائد شيعى بالكوفة لاغتيال عبيد الله بن زياد. ويمكن قبول صحة الحديث فى ضوء الآية الآتية من سورة الحج، وهو يشكل بالتكامل مع الآية موقفاً شرعياً غير محبذ للاغتيال مهما تكن دوافعه. ويتجانس هذا الاتجاه مع قيم الفروسية الجاهلية التى تتمسك بالقتال وجهاً لوجه ولا تفر حتى ملاحقة الهارب. والفارس الجاهلى إذا صادف خصماً له خاطبه بالعبرة الشائعة: «خذ حذرك إني قاتلك» قبل أن يهاجمه.

ولعل الموقف الاسلامى لا يتعدى هذا المنحى الجاهلى بقدر ما يكون قاعدة أخلاقية متعارف عليها. لكن هذا ليس هو السبب الأساسى فى النهى عن اغتيال المشركين بمكة، فهذا النهى يأتى فى سياق استراتيجية النبى محمد فى التطور الملكى. وكانت الدعوة الاسلامية حينذاك مقتصرة على التبشير وإمكاناتها لا تسمح باستعمال السلاح، كما أنها لم تكن قد امتلكت بعد مستقراً تتحرك منه لمزاولة هذا الشكل من الصراع. وفى الظروف الصعبة التى كانت عليها الدعوة آنذاك، كان مقتل أى شخص من المشركين يكفى لإعطاء مبرر لشن حملة إبادة ناجحة ضد تلك الفئة القليلة من مسلمى مكة. وفيما يتعلق بسلوك مسلم بن عقيل فهو - إذا صحت الرواية - لا يعبر عن التزام جدى بالحديث بقدر ما كان تبريراً لتروى مسلم، المعروف أنه لم يكن قد المهمة التى كلفه بها ابن عمه حين أوفده إلى العراق.

(١) ص ٩٩ من ط. القاهرة ١٩٤٩ (باب مقتل الحسين). انظر أيضاً: «الأخبار الطوال» للدينورى ص ٢٣٦ القاهرة ١٣٣٠هـ.

وفي وسعنا الافتراض أن النهى عن الاغتيال كما يتحدد في الموقف الشرعى الاسلامى موجه لمخطط العلاقات الفردية، و«نافذ» ضمن الوضع الاعتيادى لمجتمع لم يتأزم فيه التناحر - حيث تأخذ القوانين أو الأعراف مكانها في ضبط سلوك الأفراد، وتخضع حالات الصراع اليومى لاختصاص السلطة القضائية، وهو اختصاص لا يشمل أطراف الصراع السياسى والاجتماعى في ظروف التحولات التاريخية القائمة على العمل المسلح.

ويستفاد من دراسة السيرة النبوية أن فضلاً كثيراً في النجاحات التى أحرزها محمد يرجع إلى مرونته في اختيار الوسائل وقدرته على التصرف خارج منظومة المحرمات التى تشكلت منها شريعته. ولا شك في أن منشئ تاريخ من طراز محمد لا يعجز عن التفريق بين إقدام فردى ينتهك مبادئ داخلية تقوم عليها البنية الأخلاقية لمجتمع ما، وبين تكتيك حركة ينفذ بالسلاح منطلقاً من أرضية سياسية تاريخية أشمل وأبعد مدى.

تضمنت مصادر السيرة والتاريخ ثمانى وقائع اغتيال فاجحة ومحاولة واحدة فاشلة حدثت جميعها إلا واحدة في المرحلة السابقة للحديبية. وهذه المرحلة اتسمت بالتمسك البطيىء للقدرة السياسية والعسكرية للإسلام الناشئ، وكانت فيها المدينة معقله الأوحى حينذاك، عرضة باستمرار للاجتياح. وقد استعمل تكتيك الاغتيال السياسى في ذلك الوقت ليوفر أحياناً، تعويضاً نوعياً عن الافتقار إلى قوة عسكرية ضاربة ويساعد أحياناً أخرى على ردع العناصر المناوئة داخل يثرب في وقت كانت سلطة الإسلام لم تترسخ بعد حتى في معقله الوحيد هذا.

اغتيال زعماء يهود

كانت في يثرب كما هو معلوم تجمعات يهودية تعيش غالباً في حصون بعيدة عن مركز المدينة. وكانوا خليطاً من مهاجرين ومكان أصليين (عرب) وقبائلهم الرئيسية هى بنو النضير وبنو القينقاع وبنو قريظة، إلى جانب يهود خيبر خارج يثرب على طريق الشام وكان محمد قد سعى أول هجرته إلى التحالف معهم ضد مشركى مكة على أساس العقائد المشتركة للديانتين لكنه أخفق، فكان لمحمد أن يسعى لأضعاف تأثيرهم عليه. وكانت وسيلته المبكرة إلى ذلك هى الاغتيال، الذى وجه للتخلص من عناصر مؤثرة بينهم. وقد نفذت ضدهم خمس خطط اغتيال نستعرضها فيما يلى:

كعب بن الأشرف:

زعيم يهودى بارز والده من قبيلة طيء وأمه من بنى النضير وكان حليفاً لبنى قريظة أقوى عشائر يثرب اليهودية. نشط ضد محمد منذ أول الهجرة وكان من حلقات الاتصال الأساسية بين اليهود وقريش وبعد معركة بدر ذهب إلى مكة ليحرض قريش على الثأر لقتلها في تلك المعركة. وكان يقرض الشعر فنظم قصائد يعرض فيها بنساء الصحابة وأنشد في مكة قصيدة في رثاء قتلى بدر من أهل مكة. وتقول مصادر السيرة إن ذلك مما أغاظ النبي كثيراً. لكن خطره في الحقيقة لا يتمثل في هذا الجانب، لا سيما وأن شعره، بحسب الأمثلة التي أوردتها هذه المصادر، لم يكن في مستوى شعر الفحول الذين يخشى من جاذبيتهم، وإنما يكمن في موقعه القيادي بين يهود يثرب.

للخلاص من عنصر خطر كهذا تقرر اغتياله. وقد وردت تفاصيل العملية في روايات مختلفة يغلب عليها الاضطراب والابتسار، وأقدم هنا خلاصة موحدة بالمحتويات الرئيسية، المقبولة عندي، لهذه الروايات.

اختار النبي صحابياً يدعى محمد بن مسلمة عرف بخبرته في حبك المكائد - اعتمده عمر بن الخطاب فيما بعد للتجسس على الولاة - وأمره بالتشاور مع زعيم الأوس سعد بن معاذ. وكان الأوس حلفاء بنى قريظة في الجاهلية، فهم يعرفون بعضهم جيداً كما توطلدت بينهم علاقات شخصية استمرت بعد الإسلام. وتقول المصادر أن محمد بن مسلمة اختار لتنفيذ المهمة نفراً من الأوس، وهو نفسه أوسى، بينهم رجل يكنى أبو نائلة كان هو وابن مسلمة رضيعين لكعب بن الأشرف. وتمت الخطة على مرحلتين؛ ذهب أولاً محمد بن مسلمة أو أبو نائلة - بحسب اختلاف الروايات - إلى كعب وقال له إن هذا الرجل، يعنى محمد، قد طلب منا صدقة وإنه قد عانانا وإنى قد آيتك أستسلفك. ورأى كعب في هذا الكلام من رضيعه مصداقاً لتحذيراته لهم من محمد فعقب عليه؛ وأيضاً، والله لتملنه. فقال صاحبه: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شىء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين. فوافق كعب أن يسلفهم لقاء رهن. واتفقوا على موعد.

ورجع ابن مسلمة - أو أبو نائلة - إلى جماعته فأخبرهم. وتوجهت المجموعة لموعدها ومعها النبي محمد يسايرها حتى البقيع - من ضواحي المدينة - حيث بقى في انتظارهم. ولما بلغوا

قلعة كعب ناداه ابن مسلمة أو أبو نائلة فنزل إليه فعرفه على جماعته، وتمشوا خارج القلعة للتحديث في الشأن الذي تواعدوا عليه. ولم يطل بهم المسير حين مد ابن مسلمة أو صاحبه يده إلى رأس كعب، ثم سحبها ليشمها وهو يقول مداعباً إياه: ما أطيب عطرِكَ. وكان كعب حديث عهد بالزواج من امرأة عرفت بكثرة التعطر. وبعد قليل أعاد المذكور هذه الحركة معبراً مرة أخرى عن إعجابه بعبيره، ثم رجاه أن يسمح لأصحابه أن يشموه ليتمتعوا معه بهذه الرائحة النادرة... وكانت هذه إشارة متفق عليها فتقدم أفراد المجموعة من كعب بوضعية من يريد أن يتشمم شعره المطيب وأهروا عليه بسيوفهم فقتلوه ثم قطعوا رأسه. وقد تمت هذه العملية بسرعة خاطفة لأنها نفذت في أراضى اليهود الذين انتبهوا على صرخة كعب لحظة ضربه فأشعلوا نيرانهم فوق أسوار القلاع. وعاد المنقذون إلى البقيع ومعهم رأس كعب ووضعوا بين يدي النبي برهاناً على نجاح المهمة.

اغتيال كعب بن الأشرف في الشهر الثالث من السنة الثانية للهجرة، بعيد معركة بدر... وقد اشتملت عملية اغتياله على تكتيكات وأهداف نجملها فيما يلي:

- ١- اختيار شخصين قريبين إلى المراد اغتياله لتسهيل استدراجه إلى الفخ.
- ٢- إيكال المهمة إلى رجال من الأوس وهم كما قلنا حلفاء بني قريظة. ويهدف هذا التكتيك إلى منع ردود الفعل المحتملة إزاء مقتله في أوساط الأوس.
- ٣- التظاهر أمام كعب بمعارضة النبي والاستياء منه، استغلالاً لوجود معارضة فعلية في يشرب سواء من المنافقين أو الناس الآخرين الذين لم يكونوا مرتاحين لما تعرضت له مدينتهم من مشاكل بعد هجرة النبي إليها، ويدخل ذلك في تكتيك الاندساس الهادف للإيقاع بالعدو.

٤- جعل العملية في الليل لتسهيل الانسحاب بعد القيام بها.

أما الأهداف التي وفرها الاغتيال فهي:

- ١- التخلص من متآمر خطر على حركة ناشئة.
- ٢- إرعاب المناوئين للتخفيف من اندفاعهم ضد الحركة، لا سيما وأن نجاح الاغتيال قد بين لهم أن الحركة تمتلك أدوات ووسائل كافية للردع. كما أثبتت لهم جدية محمد في المجابهة.

٣- إن هذا العمل قد بين ليهود المدينة أن محمد ليس هدفاً سهل المنال كالسيح، ولعله قد أزال ما قد يكون تبقى بعد معركة بدر من أوهام بهذا الخصوص.

استنتاج فقهي خاطيء:

قال السهيلي في «الروض الأنف» الذي شرح فيه سيرة ابن هشام، إن الفقهاء - عدا أبو حنيفة - رتبوا على قتل كعب بن الأشرف حكماً بوجوب قتل من سب النبي وإن كان ذا عهد^(١). والحكم مبنى على أن كعب قتل لأنه كان يهجو النبي. وقولهم «ذا عهد» يشير إلى ارتباط يهود المدينة في ذلك الوقت بميثاق يثرب الذي حاول النبي محمد أن يجعله إطاراً للتحالف معهم. وقد أكسبهم هذا الميثاق صفة أهل الذمة. وهذا من الأقيسة السطحية القائمة على مناط شكلي، إذ لم يدخل هؤلاء الفقهاء في اعتبارهم أركان الحدث من جهة ارتهانه بحالة حرب وكون المقتول من قادة العدو والمقاتل وكونه بالتالي إجراءً سياسياً عسكرياً لا يصلح أن يكون سابقة، لحكم قضائي. وكم من الفرق بين هذه الحالة وحالة إنسان عادي يشتم النبي لغواً أو مهاترة. ولعل معارضة أبو حنيفة لهذا الحكم وعدم إجازته قتل من سب النبي مسلماً أو ذمياً هي نتاج هذا التفريق بين الحالتين. وأبو حنيفة معروف بدقة أحكامه وسعة أفقه في الاجتهاد.

سلام بن أبي الحقيق:

كان من زعماء بني النضير والتحق بعد إجلائهم بخيبر ليستمر في مناهضة المسلمين من هناك. وهو من المحرضين الكبار الذي عملوا على دفع قريش لشن هجومها الأخير على المدينة حيث وقعت معركة الخندق.. وكان قد ذهب في وفد يهودي إلى مكة لهذا الغرض. وبعد عودته وضعت خطة لتصفيته. ومصادر السيرة تفيد أن البادرة جاءت من الخزرج وأنها كانت بدافع المنافسة مع الأوس، خصوصهم القدماء الذين حصلوا على شرف اغتيال كعب بن الأشرف. لكن الفكرة لم تكن، مع صحة هذه المصادر، لتغيب عن النبي الذي سبق أتباعه إلى إدراك الفوائد المترتبة على مثل هذه العمليات. وقد اختار لهذه المهمة مجموعة من رجال الخزرج وأمرهم بالتوجه إلى خيبر. وفيما يلي تفاصيل العملية:

كان على المجموعة أن تدخل حصن خيبر ليلاً، حسب الخطة، فتقدم أحدهم ويدعى

(١) ج ٢/ ١٢٢. - القاهرة ١٩١٤.

عبدالله بن عتيك أو ابن عُقبه من بوابة الحصن، وتظاهر بأنه يقضى حاجته خارج السور فصاح عليه البواب: إن كنت تريد أن تدخل فادخل أريد أن أغلق الباب. فدخل وكمن في معلف حمار قريباً من المدخل. وبعد أن دخل أهل الحصن في وقتهم المحدد دخل البواب وأغلق الباب وانتظر عبدالله في مكانه حتى أقفر المدخل من الناس فقام وأخذ المفاتيح، وكان قد رأى أين علقها البواب، وفتح البوابة. وكانت المجموعة تنتظر خارج الحصن فدخلوا. وكان الغسق قد حل، فتوجهوا إلى دار ابن أبي الحقيق فدخلوها. وكانت الدار أشبه بمجموعة تحتوى على عدة بيوت. ولم تصف الرواية كيف استطاعوا دخولها لكنها تذكر أنهم أغلقوا أبواب البيوت على أهلها من برة. ثم اقتحموا المنزل الذي يقيم فيه ابن أبي الحقيق، والرواية هنا مبتسرة لا توضح كيف اقتحموا المنزل. وعلى أى حال فقد وصلوا إليه فوجدوه مع زوجته على فراشهما. وكان البيت مظلماً ولكي يميزوه عن زوجته نادى عليه أحدهم فأجابه فزعاً: من أنت، فهجم باتجاه الصوت وضربه ضربة عشوائية بالسيف لم تصبه. ونهضت امرأته في وجههم فارتبكوا؛ لأن النبي أوصاهم أن لا يتسبوا في قتل امرأة أو طفل. غير أنهم استطاعوا أخيراً دفعها عنه وتناولوه بأسيا فهم فأجهزوا عليه. وفي هذه الأثناء خرج أهل الحصن من بيوتهم على صراخ المرأة، فاختموا المنفذون في إحدى زوايا الحصن، فلم يعثر لهم على أثر لشدة الظلام. وعاد اليهود بعد أن ينسوا من العثور عليهم إلى زعيمهم فوجدوه قد مات، فانشغلوا به، وانتهزت المجموعة هذه الفرصة فتسللوا من الحصن.

إن اغتيال سلام بن أبي الحقيق يندمج في اغتيال كعب بن الأشرف ويحقق نفس الأهداف بالنظر للدور والمركز المتماثلين لكلا الزعيمين:

ابن سنيينة،

هكذا ورد الاسم في المصادر. وكان من يهود بني حارثة. ولم تذكر له الرواية دوراً يتعدى هجاء النبي والمسلمين بالشعر. تولى اغتياله بأمر النبي شخص يدعى محيصة بن مسعود. وكان المقتول حليفاً لشقيقى القاتل وهو حويصة بن مسعود. وقد اغتاله بحضور شقيقه دون علم مسبق منه. وكان حويصة مشركاً متفدلاً وقد اختار النبي أخاه محيصة لهذه المهمة وهو مسلم، بخلاف أخيه، لتفادى مشكلات النار.

اغتيال ابن سنيينة بعد اغتيال كعب بن الأشرف. ويؤخذ من الرواية التي تناولت الحدث أنه

جاء فى سياق التخويف لغيره لأن اليهود جاءوا بعد مقتله إلى محمد يشكون ما حدث فأجابهم: «إنه لو قر كما قد قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل. لكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر». وكلام النبى هنا واضح فقد اغتيل الرجل لأنه نشط فى المناهضة ولو سكت كما سكت غيره محتفظاً بوجهة نظره لسلم.

اغتيال امرأة

ورد هذا الحدث فى روايتين مختلفتين كثيراً، إحداهما فى مصادر الحديث والأخرى فى مصادر السيرة. رواية مصادر الحديث أخرجها النسائى وأبو داود فى كتاب الحدود من سننهما وملخصها أن أعمى كانت له أم ولد (جارية - زوجة) وله منها ابنان وكانت تكثر الرقيعة بالنبى وتسبه وهو ينهاها ويخرجها فلا تنتهى. وذات ليلة ذكرت النبى وأخذت بشتمه فتناول مغولاً (سيف قصير دقيق) فوضعه فى بطنها ثم اتكأ عليه حتى قتلها. وجاء الأعمى إلى النبى وقال له: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت أم ولدى وكانت بى لطيفة رفيقة ولى منها ابنان مثل اللؤلؤين ولكنها كانت تكثر الرقيعة فيك وتشتبك فأنهاها فلا تنتهى وأخرجها فلا تنزجر. فلما كانت البارحة ذكرتك فوقعت فيك فقممت إلى المغول فوضعت فى بطنها فاتكأت عليها حتى قتلها. فقال النبى «ألا تشهدوا أن دمها هدر». ولم تذكر الرواية اسمها.

رواية مصادر التاريخ تفيد أن المرأة هى عصماء بنت مروان وأنها كانت يهودية ولم تكن جارية بل زوجة رجل من بنى خَطَمة كانت تحرض على الاسلام وتهجو النبى بالشعر. فندب صحابى دعى عمير بن عدى الخطمى - من نفس عشيرة زوجها - أن يغتالها إذا رجع النبى سالماً من معركة بدر. فلما رجع جاءها ليلاً فدخل عليها وهى بين أولادها وكان أحدهم على صدرها ترضعه، وكان عمير أعمى، فتلمسها فوجد الرضيع فنحاه عنها ووضع سيفه فى صدرها حتى أنفذه من ظهرها. وعاد من الصبح وصلى مع النبى. ولما انتهت الصلاة نظر إليه النبى وقال: أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم يا رسول الله فقال: نصرت الله ورسوله يا عمير فقال: على شىء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: لا ينتطح فيها عنزان. وقال لأصحابه: إذا أحببتهم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدى.

ويصعب الجزم بأى الروايتين أصح. ولو أنهما تشتركان فى كون القاتل أعمى وفى أن المبادرة إلى الاغتيال جاءت منه ولم تكن أمراً من محمد، وأنه أقرها بعد أن تمت. وربما

استنتجنا من قوله في الرواية الثانية: أقتلت ابنة مروان؟ أن هناك أمراً ما، ما لم يكن هذا القول إضافة من الرواة للتدليل على معرفة النبي بالغيب. ويمكن ترجيح وجود أمر إذا أخذنا بما أوردته الرواية الثانية من كون القاتل من عشيرة زوجها لأن فيه تفادياً لمشكلات الشائر وفي الروايتين إشكالات عسيرة الحل إذ يمكننا الارتياح في صحة الثانية من الوصف المبسط للعملية الذي يبدو منه كأن المرأة كانت تمثالاً تجلس أمام الأعمى في صمت وهو يلتقط المغول ويزيح رضيعها من على صدرها ثم يغرز المغول فيها ويتكىء عليها حتى تموت لكننا نجد هذا الأسلوب في السرد شائعاً في معظم روايات مصادر الحديث والكثير من روايات مصادر التاريخ العام. وهو ابتسار يكرس طبيعة النقل الشفوي للأخبار قبل مرحلة التدوين. ويتعذر علينا كذلك أن نعرف الصفة الحقيقية للمرأة، وهل كانت زوجة أم جارية؟ وهل هي يهودية؟ وما هو رد فعل زوجها إذا كان القاتل غيره؟ وماذا يدل عليه كون القاتل أعمى في الروايتين؟ يضاف إلى ذلك تعارض هذا الفعل مع التشديد في النهي عن قتل النساء. وقد رأينا كيف كادت خطة اغتيال ابن أبي الحقيق تفشل بسبب زوجته لأن المكلفين بذلك تحاشوا المساس بها التزاماً بوصية نبيهم. إننا مضطرون أمام هذه الإشكالات إلى التوقف بشأن الروايتين وعدم الجزم إن كان مثل هذا الحدث قد وقع فعلاً، ولو أن ورود الروايتين في مصادر متعددة، مختلفة الاختصاصات - حديث، سيرة، تاريخ عام، تراجم، وأموال - يمنع من التشكيك الاعتباطي فيهما مع بقاء التفاصيل مجهولة فيما يتعلق بهوية المرأة ودورها في الخصام إذا كان لنا أن نقبل المضمون الأولي للروايتين.

أبو عفك،

يهودي من بني عمرو بن عوف، كان يحرض على محمد شأنه شأن غيره من كبراء اليهود في يثرب، ولجأ في ذلك إلى الشعر. وتقول الرواية إن صحابياً يدعى سالم بن عمير الأنصاري عزم على اغتياله وأنه دبر الخطة بنفسه. وقد بقي يترصده حتى جاء الصيف حيث ينام الناس في الأفنية. وفي إحدى الليالي كان أبو عفك ينام في منازل عشيرته فتسلل إليه سالم وقتله بالمغول. وكان قد ناهز المئة والعشرين. وأقر النبي هذه العملية.

وكان اغتياله بين معركة بدر وأحد، وهي المدة التي اغتيل فيها أقرانه اليهود عدا ابن أبي الحقيق الذي اغتيل بعد معركة أحد.

توقفت الاغتيالات الموجهة ضد الشخصيات اليهودية بعد فتح خيبر الذي أعقب معركة الخندق، آخر معارك الاسلام ضد أهل مكة. وافتتح خيبر كانت المعارضة اليهودية قد صفيت حيث سبقه إجلاء بنى القينقاع والنضير وابادة بنى قريظة وأصبح الخيبريون رعايا لمحمد بموجب عقد الذمة الذي أعقب اجتياح معقلهم الأخير.

اغتيال زعيم قبيلة:

وقع هذا الحدث بين معركتي بدر وأحد. وقد رواه الطبري في أحداث السنة العاشرة للهجرة من فصل عدد فيه سرايا النبي، أى الحملات التي كان يوجهها لأهداف موصوفة. يدعى هذا الرجل خالد بن سفيان وهو من هذيل. وكان قد قرر تجميع قوة من عشيرته وغيرها لمهاجمة يثرب بعد معركة بدر. وقد يكون فعل ذلك بتحريض من قريش. ويبدو أن محمد وقف من طريق استخباراته على جدية هذا القرار. وقد نفذ هذه المهمة صحابي يدعى عبدالله بن أنيس كان ضمن المجموعة التي اغتالت كعب بن الأشرف. وحسب رواية هذا الصحابي نفسه أن النبي دعاه وأبلغه أن خالد بن سفيان يجمع الناس ليغزو المدينة، وأمره أن يذهب إليه ليقتله. وتوجه إليه بعد أن عين النبي أوصافه حتى يستطيع تشخيصه، إذ لم يكن قد رآه من قبل، ووصل قبل الأصيل فرآه يمشى مع نساء كان يبحث لهن عن منزل. ويظهر من الرواية أنه كان بعيداً عن الحى. فسلم عليه فرد عليه السلام ثم سأله من الرجل؟ فقال: رجل من العرب سمع بك وجمعتك لهذا الرجل - يعنى محمد - فجاءك لذلك. فرد خالد، أجل أنا فى ذلك. فتمشى معه قليلاً يحادثه فى هذا الشأن فلما وجد منه غفلة عاجله بضربة من سيفه فأرداه. وعاد إلى نبيه ليخبره بإتمام المهمة فكافأه بعصا لتكون وسيلة تعرف بينهما يوم القيامة. وباغتيال خالد بن سفيان فشلت خطة الهجوم.

يلاحظ أن اغتيال هذا الزعيم تم بسهولة لأنه كان يتحرك على طريقة البدو، بلا حرس ولا أركان حرب. ولم يتطلب الأمر خطة معقدة كالتى اقتضاها اغتيال كعب بن الأشرف - التاجر والمتحصن فى قلعة. ويرجع تأثيرها الحاسم فى إفشال الهجوم إلى أنه كان قراراً منفرداً ومرتهناً بشخص القتل، فانتهى بانتهاه. وكان محمد حين قرر اغتياله ملماً بهذه الحقائق جيداً لأنه كان يعتمد على جهاز رصد كفؤ.

اغتيال زعيم قبيلة آخر،

فى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى أن زعيماً لقبائل قيس يدعى رقاعة بن قيس الجشمى كان يجمع قيساً لحرب رسول الله . فوجه إليه ثلاثة فدائيين ذكر منهم عبدالله بن أبى حذرد فكمنا له ورماه ابن أبى حذرد بسهم فقتله وجاء برأسه إلى النبى .

أورد هذا الخبر أيضاً ابن حبيب فى «أسماء المقتالين من الأشراف» ويختلف الرواة فى اسم المغدور إذ يرد أحياناً قيس بن رقاعة .

ويمكن الشك فى قطع رأسه لأنه يفترض وقتاً طويلاً للعملية مع انفراد المقتول عن أصحابه ، مما يتعارض مع خطة العملية التى اعتمدت على كمين متحرك . كذلك يتعارض حمل الرأس مع حكم ، شرعى ينهى عنه لأنه من باب المثلة (التمثيل بالجثث) لكن ثمة حاجة قد تكون دعت إليه لإثبات نجاح العملية . وكما بينت فمؤسس الاسلام لم يتقيد بالأحكام الشرعية إذا تعارضت مع مخططاته .

اغتيال عبهلة ، الأسود العنسى،

كان عبهلة (أو عبهلة) من زعماء الردة وقد تحرك باليمن فى أواخر حياة محمد وسيطر على معظم أنحائها وامتد نفوذه إلى أجزاء واسعة من الجزيرة تصل حتى الخليج وكانت حركته من مستوى حركة مسيلمة (الكذاب) فى الإمامة من حيث قوتها وخطورتها .

كان من المعتاد أن يعالج محمد مثل هذه التحركات بالجابة الحربية لا سيما بعد أن صار هو القوة الأولى فى الجزيرة منذ صلح الحديبية . وهو السبب فى أننا لا نجد عمليات اغتيال فى هذه المرحلة . لكن طبيعة تحرك عبهلة فرضت على محمد مجابهة من طراز خاص تنطلق من خطة اغتيال تاتى فى سياق عمل منظم لسحق الحركة بأقل قدر من التكاليف . وكانت هذه الخطة من أعقد مخططات الاغتيال السياسى التى أوعز بها النبى محمد وأشدّها إثارة . وفيما يلى تفاصيل العملية كما وردت فى تواريخ الطبرى وابن الأثير واليعقوبى وفتوح البلدان للبلاذرى .

كان محمد قد أصدر بنفسه قرار الاغتيال وكلف به جماعة من أهل اليمن واستغرقت العملية وقتاً أطول من أى عملية سابقة بحيث لم تتم إلا والنبى على فراش الموت .

نهض بالمهمة إلى جانب الأشخاص الذين كلفهم محمد، جماعة أخرى مؤثرة من أهل اليمن بينهم القائد العام لجيش عبهلة قيس بن عبد يغوث، الذى قدم تسهيلات بهذا الشأن بعد اختلافه مع نبيه، وقد تصدر التنفيذ زعماء «الأبناء» وهم من الفرس الذين استوطنوا اليمن بعد جلاء الأحباش عنها وكان لهم نفوذ سياسى كبير إلى جانب أقباليها. وكان هؤلاء قد ناهضوا حركة عبهلة وخاضوا ضده معركة خاسرة انتهت بقتل قائدهم المسمى «شهر» واستيلاء عبهلة على زوجته «آزاد». وتم التنسيق على المستوى الأبعد للخطوة مع غير المرتدين من أهل صنعاء على أن يتحركوا إذا سمعوا الأذان من داخل قصر عبهلة.

كانت العقدة الأساسية فى الخطة هى كيفية الوصول إلى عبهلة لأنه كان يقيم فى قصر محصن ومحاط بحرس شديد لا يفارقونه ليلاً ولا نهاراً. وقد تولى حل العقدة آزاد، الزوجة المغصوبة التى عازمت على الشار لزوجها. فدلّت ابن عم لها يدعى فيروز كان من عناصر التنفيذ، على مكان خلفى فى القصر يكون وراء الحرس ويؤدى رأساً إلى غرفة نوم عبهلة. وفى ليلة متفق عليها مع آزاد جاء فيروز ومعه فارسيان آخران أحدهما يدعى داودويه والآخر قيس بن جشيش الديلمى ونقبوا القصر من المكان الذى عينته آزاد. ودخلوا عليه والحرس لا يشعر لأنه كان يقف خارج الحجرة، وباغتوه بسيوفهم فأجهزوا عليه. وتقول الرواية إن الحرس سمعوا صوته لحظة ضربه فنادوا على آزاد فقالت لهم: النبى يوحى إليه. . وكان قد عرف عند العرب من الأخبار التى تحدثت عن كيفية نزول الوحي على محمد ما يحدث له أثناءه من الرعدة والغيبوبة. وبقي الحرس فى مكانهم خارج الغرفة والجموعة مع آزاد فى داخلها وعبهلة قتيلا بينهم حتى الصباح. وكانوا قد رتبوا من يرفع الأذان من داخل القصر عند الصباح. وعلى صوت المؤذن تحرك مسلمو صنعاء وهجموا على القصر، وتحرك الحرس من جانبهم فخرجت إليهم المجموعة من غرفة عبهلة وألقت إليهم برأسه مقطوعاً، فأرتبكوا واختلت صفوفهم، مما سهل على المهاجمين احتلال القصر. وهرب جنود عبهلة إلى خارج صنعاء.

تشتمل عملية اغتيال الأسود العنسى على جملة عناصر ومدلولات تتميز بها عن سائر العمليات المماثلة فى تاريخ السيرة نستخلصها فيما يلى:

١- إنها كما قلنا فى البدء ليست عملية اغتيال فردى بحت، لأنها جاءت كجزء أساسى من خطة انقلابية لنسف الحركة من الداخل. وكما بينا فإن قادة العملية نظموا مسلمي صنعاء

للهجوم على القصر عند سماع الأذان، الذى قام هنا بدور كلمة السر التى أعلنت ساعة الصفر، مع ما فى رفع الأذان الحمدي من قصر عبهلة من إرباك لأتباعه.

٢- إن اغتيال عبهلة قد حسم الوضع لصالح محمد. ولكن هذا لم يتم إلا بالارتباط مع المخطط الانقلابي فى جملته. وقد أدى الاغتيال بدوره إلى نجاح الانقلاب بسرعة وبأقل كلفة مما أغنى عن حروب طويلة كانت ستكون مستلفة ما كلفه القضاء على حركة مسيلمة من ثمن باهظ، لا سيما وأن عبهلة أثبت أنه يتمتع بقدرات كبيرة لعلها هى التى أطمعته أن يضع نفسه نداً لمحمد، شأن نظيره مسيلمة.

٣- وهنا لابد من التنويه بأن مبادرة كالتى قام عبهلة كان يمكن أن تثمر لو توفر لها مقومان: أحدهما منهاج محدد، مقترن بايديولوجيا واضحة المعالم، كالذى كان لدى محمد. والثانى لو أنها ظهرت فى أوانها. إذ من الواضح أن عبهلة جاء متأخراً، كما هو حال مسيلمة، بعد أن تهيأ لمحمد أن ينجز ما كانت المرحلة التاريخية فى جزيرة العرب وعموم المنطقة تريد أن ينجز على يد نبي ما.

وفى ظرف كهذا تميل فيه عوامل النصر الموضوعية مع محمد، فإن تحركاً كبيراً كتحرك عبهلة بدا مع تنفيذ ذكى وجرىء خطة اغتيال أشبه بحدث عابر سرعان ما تلاشى على صوت المؤذن. ويؤدى الاغتيال هنا، ضمن ظروفه المادية وما ارتبط به من مخطط شامل، إلى نتائج بعيدة لا يؤديها الاغتيال الفردى.

٤- قامت بشروط كبير فى إنجاح عملية الاغتيال زوجة عبهلة المغصوبة آزاد. والمسؤولية هنا تقع على عبهلة نفسه لأنه خاطر بالزواج من امرأة قتل زوجها. ولابد أن جمال آزاد الفتاة الفارسية، قد أنساه مرتكسات مثل هذا التصرف. إن آزاد هى التى جعلت تنفيذ الخطة ممكناً، ولولاها لكانت شبه مستحيلة، مع الوضع الحصين الذى رتبته عبهلة لنفسه، ولكان على خليفة محمد أن يجهز جيشاً كالذى جهزه لحرب مسيلمة للقضاء على هذه الحركة.

من المفيد أن نذكر هنا أن حالة آزاد قد سبقتها حالة مماثلة لكنها لم تؤد إلى النتيجة نفسها. فقد سبق لمحمد أن أقدم على نفس المخاطرة حين تزوج من صفية بنت حبي بن أخطب أحد زعماء خيبر. وكانت صفية متزوجة من زعيم يهودى من بنى النضير هو كنانة بن الربيع، الذى التجأ إلى خيبر بعد إجلاء عشيرته عن يثرب. وقد قتل أبوها وزوجها فى معركة فتح خيبر التى

قادها على بن أبي طالب وأشرف عليها محمد بنفسه. وأسرت صفية فتزوجها محمد. وتنقل مصادر السيرة عن صفية أنها كانت تكره محمد أشد الكره، وهو أمر طبيعي، لكن المصادر تضيف أنها قالت إن الله أدخل حبه في قلبها بعد ذلك. ومن المرجح أنها لم تكن صادقة في هذا القول. ويخبرنا «ابن سيد الناس» في سيرته المشهورة «عيون الأثر» أن تقريراً رفع إلى عمر بن الخطاب بأن أم المؤمنين صفية تحب السب وتصل باليهود سراً. فاستجوبها عمر فأنكرت حبها للسب واعترفت باتصالها باليهود قائلة بأن لها أقرباء فيهم فهي تبرهم. وقبل منها عمر وأغلق القضية. ولم يكن له بد من ذلك لأنها من «أمهات المؤمنين» فلا سبيل له عليها، فضلاً عن أن اليهود لم يعودوا في زمان عمر قوة يؤذي بها حتى يقلقه اتصال صفية بهم.

المهم في هذه الحالة أن صفية كان يمكن أن تلعب مع محمد نفس الدور الذي لعبته آزاد مع عبلة لو أن محمد كان قد وقع في وضع مماثل. لكن الانتصارات الساحقة التي أحرزها مؤسس الإسلام منطلقاً من قاعدته التاريخية الراسخة قد نجته من عواقب هذا الزواج الخطر.

خطة فاشلة لاغتيال أبو سفيان،

بعد معركة بدر، التي قتل فيها نفر هام من زعماء قريش، تركزت قيادة أهل مكة في يد أبو سفيان، شيخ الأمويين. وكان أبو سفيان هو منظم وقائد حملتي أحد والخندق ووراء جميع النشاطات المعادية التي قام بها المكيون حتى فتح مكة، وكان من المنتظر أن يدرج في قائمة الاغتيالات. لكن الأمر لم يكن سهلاً، لسببين أولهما طول المسافة بين مكة ويثرب، وبالتالي عدم ضمان خط انسحاب لمجموعة تكلف بهذه العملية، لا سيما وأن قريش كانت تسيطر على معظم الطريق بين المدينتين. الثاني، وهو الأهم، صعوبة توفير مكمن في مكة تتحرك منه المجموعة، لأنها كانت خالية من المسلمين.

لكن هذه الصعوبات لم تمنع محمد من المحاولة، وقد وردت تفاصيل ذلك في الطبري وابن الأثير - حوادث سنة ٤ - وتقول الرواية إن النبي اختار لهذا الغرض «فاتكاً متشيطناً» يدعى عمرو بن أمية الضمري، دخل في الإسلام بعد أن شارك مع قريش في معركة بدر واحد. ولعله كان بانتظار إسلام مغامر كهذا ليحرب حظه مع أبو سفيان. وقد بعث معه رجلاً من الأنصار. وخرج الرجلان إلى مكة فدخلوها في الليل، وهو الوقت الذي تمت فيه المهام الأخرى. وكان أهل مكة يرشون أفئدتهم في المساء ويجلسون فيها للسمر. وفي طريقهما إلى

منزل أبو سفيان، مر عمرو وصاحبه بجماعة جالسين فى فناء. فأصبروا عمرو، وكان معروفاً لديهم لشهرته، فصرخوا: هذا عمرو بن أمية، فاهتاج أهل مكة وأدركوا أنه لم يأت إليهم إلا لغرض شرير. وكان عمرو يعرف دروب البلد فاستطاع الإفلات مع صاحبه فى جنح الظلام وعاد إلى المدينة وقد سلم أبو سفيان. ولم تكرر المحاولة. ولا شك فى أن محمد كان مدركاً لصعوبتها وهو عندما اختار فاتكاً كعمرو بن أمية الضمر قد فعل غاية ما فى الإمكان، ولم يكن ميسوراً لغير هذا الرجل أن يوفق فيما فشل هو فيه. ومن الجدير بالذكر فى هذه المناسبة أن شخصية عمرو بن أمية الضمرى دخلت فى الحكايات الشعبية التى تناولت بعض أحداث الفتوحات. وقد أخذت فى هذه الحكايات نفس منحها التاريخى. ولو أن عمرو فى الحكايات الشعبية، خلافاً له فى مصادر التاريخ، لا يمكن أن يفشل فى مهمة!

تنتهى إلى هنا قصة الاغتيالات فى العهد النبوى.. وسوف نتناول فيما بعد قصتها فى خلافة الراشدين.. وقبل أن نترك هذا الفصل يلزمنا إيراد بعض الملاحظات الضرورية:

١- إن محمد مارس هذا التكتيك كما قلنا فى تعارض مع الحكم الشرعى الذى ثبته بنفسه. وهو بذلك يكرس تصويره الخاص للدائرة التى يمكن لهذا الحكم أن يتحقق فيها - حيث نجده يمارس الاغتيال فى دائرة الصراع السياسى المسلح ويقدر ملموس من الدرائعية.

٢- إن الاغتيالات التى نفذت فى عهد النبوة محدودة عددياً ومحصورة زمنياً.. وضمن هذه الحدود أعطى تكتيك الاغتيال نتائج ذات مفعول بالنسبة لمسيرة الثورة الحمديّة.

٣- إن الأطراف التى وجهت ضدها الاغتيالات هى أطراف معسكر العدو الذى كان يضم المشركين واليهود. ويرتبط اغتيال الشخصيات اليهودية الخمس أو الأربع بالأدوار الخطرة التى لعبتها الجماعات اليهودية فى يثرب ضد محمد وهو فى أخرج أوضاعه. وقد أعطته الاغتيالات ورقة رابحة رجحت كفته عليهم وحدثت نشاطهم المناوىء.

وكما بينت، فقد توقفت الاغتيالات ضد اليهود بعد تصفية المعارضة اليهودية. وتحتوى مصادر الحديث والفقه والتفسير على وقائع كثيرة، عولجت كسوابق فقهية، كان أشخاصها من يهود المدينة، منها رواية تقول إن النبى كان إذا وزع الخمس يقول: «ابدأوا بجارنا اليهودى».

في الخلافة الراشدة

وقعت في خلافة الراشدين أربعة حوادث اغتيال طالت خليفتين وصحابياً كبيراً وقائداً شيعياً. وقد جاءت هذه الحوادث في مجرى الصراع السياسي الذي انفجر بين المسلمين لحظة وفاة النبي، واستمر متفاقماً حتى تأرجع بالحرب الأهلية التي بدأت بالانتفاض المسلح ضد عثمان ثم تواصلت في خلافة علي لتنتهي بإنهيار دولة المدينة - حكومة الخلفاء الراشدين وتأسيس الامبراطورية الأموية.

نفذت ثلاثة من الاغتيالات بأيدي اسلامية وواحدة بيد أجنبية. وجرت ثلاثة منها في العلن كعملية اغتيال مكشوفة، وواحدة منها سراً. لكن إحدى العمليات، هي التي طالت الخليفة الثاني، اشتملت على احتمالات عنصر سري يكمن خلف التنفيذ المكشوف للاغتيال.

اغتيال سعد بن عباد،

هو زعيم الخزرج وأحد النقباء في بيعة العقبة التي مهدت لهجرة محمد إلى يثرب. عرف في الجاهلية بسمو أخلاقه وتعدد كفاءاته فلقب بالكامل. وينقل ابن عساكر^(١) عن الواقدي أن النبي قال بسببه كلمته المشهورة: «خيار الناس في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا في الدين». وكان هو قائد الأنصار في حروب الاسلام على عهد النبي ومسلح حينذاك سلوك رجل متعفف عن الغنائم. كما يتولى حماية المدينة أثناء الحروب التي كان النبي يقودها بنفسه.

وكان سعد بن عباد يتمسك بزعامة الأنصار ويعارض قريش. وقد أخرج البخاري^(٢) أنه هتف يوم فتح مكة وفي يده راية الأنصار بسقوط الكعبة - كرمز لسيادة قريش - فشكاه أبو سفيان للنبي فقال: كذب سعد هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة. ثم أوعز بنزع الراية منه وتسليمها إلى ولده قيس في رواية أو إلى علي بن أبي طالب في رواية أخرى.

من هذا الموقع رشح سعد نفسه للخلافة يوم السقيفة. لكنه لم يحصل على إجماع الأوس، خصوم الخزرج التقليديين، مما رجح عليه كفة أبو بكر، الذي أيدته قريش ومعظم الأوس.

(١) تهذيب تاريخ دمشق الكبير. بيروت ١٩٧٩ ج ١٦ / ٩٠ في ترجمة سعد بن عباد.

(٢) الصحيح ج ٥ ص ١٤٧ باب غزوة الفتح.

على أن سعد لم يقر بالهزيمة، وأصر على عدم الإقرار باستخلاف أبو بكر. وبسبب ذلك اختار العزلة فلم يشارك في نشاطات الخلافة في الداخل ولا في الفتوحات. وكان لا يحضر حتى الصلاة في المسجد وإنما يصلى في بيته. ويبدو أنه لبث يتحين الفرص لمغادرة المدينة، فلما فتحت بلاد الشام هاجر إليها وأقام في حوران. لكنه لم يعيش طويلاً. فقد مات في ظروف غامضة سنة ١٤ للهجرة. وقد وردت في موته أخبار نستعرضها فيما يلي:

- رواية ابن عساكر عن النضر بن شميل وهي موجزة تذكر بأنه بال قائماً فمات، فسمع قائل يقول^(١):

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة

ورمينا بههمين فلم نخط فؤاده

- ثلاث روايات أوردها صاحب العقد الفريد^(٢) إحداها عن هشام الكلبي وتفيد أن عمر بن الخطاب بعث رجلاً إلى الشام فقال له ادعه إلى البيعة، واحمل له بكل ما قدرت عليه فإن أبي فاستعن الله عليه. فقدم الرجل إلى الشام فلقبه بحوران في حائط (بستان) فدعاه إلى البيعة فقال له: لا أباع قرشياً أبداً. قال: فإني أقاتلك قال: وإن قاتلتني. قال: أفخرج أنت مما دخلت فيه الأمة؟ قال: أما من البيعة فأنا خارج. فرماه بسهم فقتله.

الثانية عن ميمون بن مهران، وتفيد أن سعد بن عبادة رمى في حمام بالشام فقتل، ولا تزيد عليه شيئاً.

الثالثة عن ابن سيرين وفيها أن سعد بن عبادة رمى بسهم فمات فقالت: قتله الجن.

وقتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة

ورمينا بههمين فلم نخطىء فؤاده

- رواية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد^(٣) تقول ان سعد بن عبادة خرج إلى حوران فمات بها. واستطرد: فقتلته الجن لأنه بال قائماً في الصحراء ليلاً. ثم أورد البيهقي المنسويين إلى الجن في نص مطابق لنص ابن عساكر. لكن ابن أبي الحديد يعود فينقل رواية

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٩٣/٦.

(٢) ط - القاهرة ١٩٦٢ ج ٤/ ٢٦٠ كتاب العسجد الثانية.

(٣) ٥٤٠/٣.

تقول ان أمير الشام يومئذ أكنن له من رماه ليلاً وهو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله
خروجه عن طاعة الإمام، أى الخليفة. وأردف هذه الرواية بأيات قال إنها لبعض المتأخرين
تضمنت إشارات صريحة عن ملابسات مقتل ابن عباد سنرويهما للقراء بعد قليل.

تتفق هذه الروايات فى جملتها على أن سعد بن عباد مات ميتة غامضة. ويمكننا أن
نستبعد منها الرواية التى تقول إنه قتل مباشرة بأمر عمر بن الخطاب، لأن قتل زعيم الخزرج
وقائد الأنصار وأحد نقباء بيعة العقبة على المكشوف تهور لا يقدم عليه سياسى محنك كعمر
بنت الخطاب. ولعله كان سيثير فتنة تعيد إلى ذاكرة الخليفة أحداث الردة القريبة. ولا مفر
بالتالى من قبول الروايات التى تحدثت عن الاغتيال. ومما يلفت النظر هنا دور الجن فى العملية
وتفسيره بأن سعد بال قائماً. والتبول قياماً مكروه فى الشريعة، قد يكون سبباً فى التعرض
لعقوبة خفية، مما يمكن أن يكون قد جرى توظيفه هنا لإعطاء سبب غيبى للموت. والوعى
الدينى لا يستكثر مثل هذا الإسراف فى العقوبة، المتضمن فى قتل قائد إسلامى كبير سلفت له
أيادى جليلة على الإسلام بسب مخالفة بسيطة. أما قتله على يد الجن فيفهم منه أن هؤلاء
الجن كانوا من المسلمين - والجن كالإنس فيهم المسلم وفيهم الكافر - وأنهم تولوا قتل
الصحابى غيرة على الدين لأنه خالف الشرع بتبوله قائماً. هذا مع ما فى القول بأن سعد بال
قائماً فقتله الجن، أو مات ميتة خفية من تصغير لشأنه فى عيون المؤمنين.

نأتى الآن إلى الأبيات التى أوردها ابن أبى الحديد لبعض المتأخرين وهذا نصها:

يقولون سعد شكت الجن قلبه	الا ربما صححت دينك بالغدر
وما ذنب سعد أنه بال قائماً	ولكن سعداً لم يسايح أبا بكر
وقد صبرت عن لذة العيش أنفس	وما صبرت عن لذة النهى والأمر

إن قائل هذا الشعر لم يستوعب كيف يصح للجن أن تقتل رجلاً كسعد بن عباد لجرد أنه
بال قائماً، وهو بالتالى يضع الحادث على ملاك الغدر - الاغتيال، مصرحاً بالسبب وهو موقف
سعد من خلافة قريش متمثلاً فى رفضه مبايعة أبو بكر. وقد عزز الشاعر استنتاجه بالكلام
عن شدة إغراء السلطة، الذى يضعف أمامه حتى الزهاد القادرين على ترويض أنفسهم للمصير
عن متع الحياة. ومن الواضح أنه يلمح بذلك إلى عمر وأبو بكر اللذين عرفا بالزهد وبساطة
العيش قبل خلافة وفى أثنائها.

هذه الآيات تعطى تفسيراً يمكن أن يكون سليماً لجمل ما حدث بشأن سعد بن عبيدة. وقائلها قريب العهد بالحدث. وهى من جهتها شاهد على وعى سياسى قادر على أن يخرق حجاب العقائد الشعبية ليطل منها على أسرار السياسة.

ونحن نميل إلى القبول بهذا التفسير ونعتقد أن اغتيال سعد تم بتدبير عمر بن الخطاب وأن الباعث عليه هو إصراره على عدم الإقرار بخلافة قريش وإبائه أن يبايع للخليفين حتى بعد أن بايع الهاشميون بصدارة على بن أبى طالب، صاحب الحق الأكثر رجحاناً من سعد فى خلافة محمد.. ومع أن عمر لم يكن ليجهل أن زعيم الخزرج غير قادر على تغيير مجرى الخلافة فمن المحتمل أنه كان يخشى من تأثيره على الأنصار، وربما على غيرهم من المسلمين. وهناك ما يشير إلى أن نواياه المعادية للخليفين قد تجاوزت الأنصار فعلاً. وقد اتضحت هذه الحقيقة فى وقت لاحق حين انضم ولده قيس، الذى ورث الكثير من سجايا والده، إلى على بن أبى طالب وكان من أشد أنصاره حماساً ضد الأمويين إلى حد أنه امتنع عن مبايعة معاوية بن أبى سفيان بعد انتزاعه الخلافة من الحسن بن على حتى بعد أن بايعه الحسن نفسه..

إن مصرع سعد بن عبيدة هو أول حدث من نوعه فى تاريخ الاسلام يقتل فيه مسلم على يد رفاقه أنفسهم، وهذا الحدث يجرى من جهته على سنن شائعة فى الحركات السياسية المسلحة بعد انتصارها. فهذه الحركات قلما تخلو بعد وصولها إلى السلطة من مصائر مأساوية يذهب ضحيتها بعض قادتها الذين يشاء سوء حظهم أن لا يتمتعوا بشمار انتصارهم.

اغتيال عمر بن الخطاب،

اغتيال عمر بن الخطاب على يد فيروز الديلمي المكنى أبو لؤلؤة. وكان عبداً للمغيرة بن شعبه الثقفى. وقد جرى اغتياله وهو يؤدى صلاة الصبح. وكانت العملية سهلة لم تتطلب خطة معقدة كالتى اضطر إليها المسلمون لتنفيذ الاغتيالات التى أمر بها النبى. وسبب هذا أن عمر كان بلا حرس لأنه، شأن صاحبيه أبو بكر وعلى، لم يكن يرتاح لمظاهر السلطة ويعتبرها من قبيل أعمال كسرى وقيصر. طغاة ذلك الزمان فى عيون العرب. وقد دخل أبو لؤلؤة مع جمهور المصلين إلى المسجد رغم أنه لم يكن مسلماً، دون أن يعترض عليه أحد. وكان يخفى خنجره له رأساً فلما تقدم عمر صفوف المصلين اتجه إليه أبو لؤلؤة وطعنه ست طعنات، أو ثلاث بحسب اختلاف الروايات، كانت إحداها تحت سرتة وهى التى قتلتة. ويستدل من ذلك

أنه لم يطعنه من الخلف وإنما دغره من الأمام، مما يدل في حد ذاته على سهولة العملية،
الناجمة كما قلنا من انعدام مظاهر الحماية في أيام عمر.

من هو قاتل عمر؟ أية حالة طمّنها رحيله؟

المعروف أنّ الباعث على اغتيال عمر كان هو الانتقام لهزيمة الفرس وانهيار امبراطوريتهم
وهو ما حرك أبو لؤلؤة للقيام بهذه المغامرة. ويذكر عن هذا الفدائي المجوسى أنه كان يقول:
أكل عمر كبدي. ولعله كان يقولها حقاً، إذا لم نشأ أن نتجاهل رد الفعل الطبيعي الناتج عن
الأحاسيس القومية.

ومما أثار حفيظة أبو لؤلؤة ومن على شاكلته من الفرس أكثر، هو أنّ الفتوحات الإسلامية لم
تخرج، رغم نتائجها التاريخية الهائلة، عن ناموس الفتوحات والحروب القديمة القائمة على
جمع الغنائم واسترقاق الأسرى بما في ذلك نساء المقاتلين وأطفالهم. ولقد قيل إن أبو لؤلؤة
كان إذا رأى سبايا بنى قومه في المدينة يسمح على رؤوس الأطفال ويكى.

لكن هل كان اغتيال عمر مجرد رد فعل فارسى؟

كانت قريش هي الارستقراطية الأغنى والأكثر نفوذاً في بلاد العرب. ومع أنها حاربت
الإسلام في البداية فسرعان ما انضوت تحت لوائه لكي تصدر العرب المسلمين كما تصدرت
العرب الجاهليين. وبالطبع فقد أصبحت قريش بعد الاسلام أغنى وأقوى منها في الجاهلية كما
اتسعت قاعدتها العددية، كطبقة اجتماعية بالعناصر الارستقراطية الجديدة التي تكونت مع
الفتوحات وتدامجت معها في موقع اجتماعى واحد دون أن تكون بالضرورة من قريش.

وقد ساهم عمر بنفسه في نمو هذه الفئة، وذلك عن طريق سياسته في العطاء
(التخصصيات المالية) وكان عمر بعد أن تدفقت عليه أموال الفتح قد اتبع قاعدة في العطاء
تقضى بتفضيل المسلمين الأولين - ومعظمهم من قريش - وأقرباء النبی من قريش أيضاً من
حيث مقادير الأموال التي تدفع لهم. وقد تكدست لديهم بسبب ذلك مبالغ طائلة أضيفت
لدى أكثرهم إلى ثروته السابقة من التجارة. ورغم أن هذا المبدأ حرم من العطاء عدداً من
زعماء قريش الذين أسلموا متأخرين - بعد فتح مكة، فإن نفوذ هؤلاء استمر في أبنائهم
وأقاربهم الذين سبقوهم إلى الاسلام فشمّلهم التفضيل. وقد استند عمر بهذه السياسة إلى

منطق «حزبى» عبر عنه بقوله^(١): «لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه» صادراً فى ذلك عن نهج شبه سائد فى الحركات السياسية التى تصل إلى السلطة فيستأثر قاداتها وكوادرها بامتيازات مخصوصة.

غير أن عمر لم يكن على وفاق تام مع هذه الفئة. ورغم أنه كان من قريش ومتمسكاً بزعامتها للعرب فقد صدر منه ما ينم عن عدم انسجام مع النزعات المعروفة لهذه القبيلة الأرستقراطية. ويورد الطبرى كلاماً له يحذر فيه من فتیان قريش وذوى الأرومة النبيلة فيها يدل على معرفة جيدة بشخصية التاجر الذى يجمع بين احتياز الثروة والجاه^(٢). ولهذا الاتجاه لدى عمر أصول اجتماعية وقبلية، فمشيرة عمر (بنوعدى) لم تكن ذات وجاهة أو ثروة قبل الاسلام. ويقول أبو حيان التوحيدي عن عمر نفسه إنه كان يشتغل دلالاً فى السوق^(٣). وهى حرفة غير محترمة كثيراً عند العرب حتى الوقت الحاضر. وما يقال عن عمر أنه كان يسفر، يتوسط، فى الخصومات بين قريش فمرجعه ليس إلى مكانته بل إلى كفاءته الشخصية.

ويبدو أن معايير عمر «الحزبية» والدينية لم تمنعه من الوقوع فى تناقض مع أولئك الناس الذين فضلهم بالعطاء بتأثير واحد من هذه المعايير. ولدينا روايات تحدثت عن نوايا مستجدة لديه بشأن الأموال تمس علاقته بهذه الفئة على نحو خطير. ونستعرضها فيما يلى:

الأولى فى كتاب الخراج لأبو يوسف وفيها يقول عمر^(٤): «لئن عشت إلى هذه الليلة من

(١) الخراج، أبو يوسف، ط. السلفية - القاهرة ١٣٥٢هـ - ص ٤٣ فصل كيف فرض عمر لأصحاب رسول الله.

(٢) التاريخ ط - الاستقامة، القاهرة ١٩٣٩ ج ٢٧/٣ باب مقتل عثمان. نص الكلام: «احذروا فتى قريش وابن كريمها، الذى لا ينأى إلا على الرضا، ويضحك عند الغضب، وهو يتناول من فوقه ومن تحته».

(٣) البصائر والذخائر. دمشق ١٩٦٦ ج ٢ ق ٢ ص ٤١. وفى «الأمثاع والمؤانسة» يورد أبو حيان كلاماً لعمر بن العاص يقول فيه: «لعن الله زماناً عملنا فيه لابن الخطاب. لقد رأيت أباه وأباهما لفى شملة مأتواى ارساغهما وأن العاص بن وائل (والد المتكلم) لفى مقطعات الدياج مززرة بالذهب. ط بيروت بلا تاريخ ج ٩٥/٢.

انظر أيضاً شرح النهج م ١ ص ٨٥ وعبارة عمرو فيه: «لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر. والله لقد رأيت عمر وأباه وعلى كل واحد منهما عباءة قطوانية لا تجاوز مأبض ركبته وعلى عنقه حزمة حطب. والعاص بن وائل فى مززرات الدياج». ويتبعى أن يكون هذا النص أقرب إلى الأصل لأن التوحيدي يعيد صياغة مروياته بأسلوبه ولا يتقيد بالنص الذى ينقله.

(٤) ص ٤٦ فصل كيف فرض عمر لأصحاب رسول الله. أيضاً طبقات ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ٢١٧.

قابل لألحقن آخر الناس بأولاهم حتى يكونوا في العطاء سواء، ويفهم الثالثة في تاريخ الطبرى وفيها يقول^(١): «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين». ويفهم من قوله: «لو استقبلت ما استدبرت» إنه صرح به في عامه الأخير. والأغنياء المقصودون هم الذين استفادوا من التوزيع المتحيز والمستفدين من عوائد الفتوحات. وكان بينهم تجار المسلمين من قريش وهم فريقين: المسلمين الأول كعثمان بن عفان ومسلمى الفتح. أما فقراء المهاجرين فهم فقراء المدن الذين هاجروا إليها من البوادي والأرياف بموجب نظام الهجرة الذى أشرنا إليه سابقاً.

إن الروايات الثلاثة متكاملة في محتوياتها بشكل يبعث - مع ورودها عن رواة متفرقين لا يصدق عليهم وصف التواطؤ - على تعزيز الثقة بصحتها. وهي تشكل بما تضمنته من نوايا معلنة بشأن الأموال موقفاً جديداً موجهاً ضد الارستقراطية القديمة - الجديدة التى ساهم عمر نفسه فى بلورتها وترسيخ موقعها الاقتصادى. ويتمتع بأهمية دالة فى هذا الصدد، إجراء سبق لعمر أن اتخذ به حق القرشيين الذين اختصهم بأفضلية العطاء سبب فى حينه صراعاً خفياً بينهم وبين الخليفة. ولنترك للطبرى تفسير ذلك..

- عن الحسن البصرى^(٢): كان عمر قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج (من المدينة إلى الأمصار) إلا بإذن وأجل (سفر مؤقت).

- عن الشعبى^(٣): لم يمت عمر حتى ملته قريش. وقد كان حصرهم فى المدينة وقال إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم فى البلاد.

ويضيف الشعبى أن بعضهم كان يستأذنه فى الخروج إلى الجهاد فيقول له قد جاهدت مع النبى وهذا يكفيك. وخير لك من الجهاد اليوم أن لا ترى الدنيا ولا تراك..

ويقول الشعبى فى نفس الرواية إن عثمان رفع الحجر عن قريش فتنقلوا فى البلاد فكان أحب إليهم من عمر. وهو ما تؤكد الرواية التالية:

(١) حوادث ٢٣. مقتل عمر - باب شىء من سيره مما لم يمض ذكره.

(٢) نفسه. حوادث ٣٦ مقتل عثمان.

(٣) نفسه. حوادث ٢٣ فصل مقتل عمر فى آخر الحديث عن الشورى. يريد عمر أنهم سوف يتسلطون على الناس بوصفهم عشيرة النبى وصحابته الأقربين. ويبدو عمر من هنا مدركاً للدور السلبي الذى تمارسه أمثال هذه الفئات فى الدول الناشئة حين تجمع بيدها السلطة والثروة. انظر أيضاً ابن عساكر ٥ / ٢٦٦.

— — — — —
- عن محمد وطلحة^(١): لم تمض سنة من إمارة عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالاً في الأمصار وانقطع إليهم الناس - يقصد تجمعوا حولهم وصار لكل واحد حاشية وأتباع.

نقرأ في هذه الروايات مقدمات انشقاق سياسي بين عمر والارستقراطية الجديدة تسبق تصريحاته الثلاثة، منشأة الحجر عليها في المدينة. وهو إجراء يحد من اتساع هذه الفئة التي كانت تطمح إلى إيجاد مواقع لها في الأمصار مدفوعة بحافز طبيعي نحو تركيز وتوسيع مصالحها الاقتصادية ونفوذها الاجتماعي. ومن هنا كان تبرمها من عمر، وتوقها بالتالي إلى الخلاص منه (ما مات عمر حتى ملته قريش). على أن الخلاف لم يبلغ، حتى السنة الأخيرة من حياة الخليفة، من التناحر ما يكفي لتفجير صراع دموي. وينبغي لذلك أن لا نتوقع تحركاً معادياً يستهدف التضحية بإمام عظيم، حتى في عيون الارستقراطية التي ملت منه، من أجل أن تتحرر وتنطلق. ولو أنها كانت تود، بحسب ما يسعنا استخلاصه من إفادات رجال الطبري، لو أن هذا الإمام مات في أجله المسمى ليذهب إلى ربه دون أن تتحمل شيئاً من وزره. وللمؤمنين من أتباع الأديان السماوية نهج معروف في التوفيق بين الدين والدنيا يرتبط بحرصهم على الفوز بسعادة الدارين، نعيم الدنيا والآخرة معاً.

لكن انتقال عمر إلى موقع آخر، ذو طبيعة صدامية، كان من شأنه أن يثير ردود فعل من درجة أشد قد ترتقي بالرغبة إلى مرتبة الإرادة.

هنا يخبرنا الطبري أن عبيدالله بن عمر قال مهدداً بعد مقتل والده^(٢):

والله لأقتلن رجالاً ممن شرك (شارك) في دم أبي

وينقل الطبري عن أحد رواة الخبر وهو عبدالعزيز بن سياه تعقيباً عليه يقول: إنه - أي عبيدالله - يعرض بالمهاجرين والأنصار.

وكان عبيدالله قد قتل الهرمزان ورجلاً مسيحياً اسمه جفينة اتهمها بالتواطؤ على اغتيال والده ثم قتل ابنة أبو لؤلؤة وبقي شاهراً سيفه. ويقول الطبري إن صهيب الرومي أرسل إليه حينذاك عمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص. وقد صاوله سعد حتى انتزع السيف منه وحجزه في داره. وتبعاً للرواية فإنه كان يردد هذا التهديد في تلك الساعة، مما يعني أنه كان

(١) نفسه. حوادث ٣٦. فصل مقتل عثمان.

(٢) نفسه، حوادث ٣٦. فصل مقتل عثمان.

ينوى بعد أن فرغ من مقتل الثلاثة أن يتوجه إلى أولئك الرجال ليصفى حسابهم معهم. ولذلك لم يلق السيف إلا بعد المباشرة مع عسكريين كبيرين ما كان بمقدوره أن يتغلب عليهما.

ويبدو أن عمر لم يكن بعيداً عن التفكير في احتمال كهذا، لأنه كان يسأل الداخلين عليه من الصحابة وهو يحتضر: أعن ملاً منكم كان هذا؟ وهم يقولون: معاذ الله. (عن ملاً: تواطؤ. والملاً اصطلاح يبنى يشير إلى مجالس ممثلى القبائل التى كانت تشارك فى إدارة الدولة فى الدول اليمانية الغابرة).

وبوسعنا الافتراض أن الجهة التى كان يهملها التخلص من عمر قد جسدت إرادتها، أو رغبها على الأقل، من خلال الغضب الفارسى على هادم الامبراطورية الساسانية. ومما له مغزاه أن أبو لؤلؤة كان عبداً للمغيرة بن شعبه الثقفى، وهو شخصية تأمرية قديرة كانت له وشائج صميحة مع الارستقراطية الجديدة، وهو الذى سعى لدى عمر للسماح لغلामه هذا بالإقامة فى المدينة لأن عمر كان نهى عن دخول الأعاجم، الذين فتحت بلدانهم، إلى عاصمة الفاتحين المسلمين، كإجراء أمانى.

ترد فى هذا السياق أخبار غامضة عن كعب الأحبار. وهو يهودى من اليمن أسلم فى خلافة أبو بكر وقدم إلى المدينة فى خلافة عمر. وتدور شبهات حول إسلام هذا الرجل، الذى يحل فى التقييم الشيعى محل عبدالله بن سبا فى التقييم السنى، كلاهما لعب دوراً فى تأجيج الفتن بين المسلمين بحسب الاتهامات المتقابلة بين الطوائف.

أورد الطبرى^(١) فى تفصيله لأحداث مقتل عمر أن كعب قال لعمر قبل اغتياله بثلاثة أيام أنه سيموت. ولما سأله الخليفة من أين علم ذلك قال انه مكتوب فى التوراة. ويقال ان عمر دهش لهذا الكلام فأكد عليه: الله! إنك لتجد أن ابن الخطاب فى التوراة؟ فرد عليه: «اللهم لا. ولكن أجد صفتك وحليتك». ولما ضرب عمر فى اليوم الثالث ودخل عليه كعب أنشد عليه عمر بيتين يذكر فيهما نبوءة كعب.

وفى طبقات ابن سعد^(٢) رواية أخرى تفيد أن زوجة عمر، أم كلثوم بنت على، قالت لزوجها وهى تبكى - وكانت شابة غريرة - إن هذا اليهودى، تقصد كعب الأحبار، يقول إنك

(١) نفسه حوادث ٢٣ مقتل عمر.

(٢) طبقات ابن سعد / ٢٤٠.

على باب من أبواب جهنم. فأرسل إليه وسأله عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل علي؛ والذي نفسى بيده لا ينسلخ (لا ينصرم) ذو الحجة حتى تدخل الجنة. فقال عمر: أى شىء هذا مرة فى الجنة ومرة فى النار؟ فرد عليه: انا لنجدك فى كتاب الله (التوراة) على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها.

تتحمل هذه الأخبار وجوهاً مختلفة؛ ان تكون بصحيحة، وتكون بالتالى دليلاً على معرفة كعب الأخبار بمخطط اغتيال عمر، وبمعنى ما: ضلوعه فيه. وأنا أستبعد ذلك لاعتبارات، منها أن حوار عمر مع كعب يظهره مؤمناً ساذجاً سريع التصديق، مما لا يأتلف مع شخصية قائد سياسى وعسكرى كبير يصعب على مشعوذ، أياً كان، أن يضحك عليه بهذه الطريقة المفضوحة. وينبغى أيضاً نفى صحة البيتين اللذين يقال ان عمر أنشدهما حين دخل عليه كعب لأتهما من الشعر المتين، الجيد السبك. ولم يكن لعمر من الشاعرية ما يمكنه من نظم مثل هذا الشعر وهو سليم فكيفى وهو، يحتضر؟

أو أنها اختراع أريد به إضفاء القداسة على الخليفة الثانى من حيث النص عليه فى التوراة أسوة بالنص على محمد فى الانجيل.

وقد تكون فى أصلها شائعات بثت عن عمد بعد مقتل عمر لإعطاء هذا الحدث صفة التدبير الإلهى غير الخاضع لإرادة البشر، وبالتالي لقطع اللغظ حوله. إن الكثير من الأخبار التى اعتدنا على اعتبارها مكذوبة واتهام المؤرخين باختلاقها هى فى الواقع من هذا النمط. ونحن نعرف من تجاربنا الراهنة أن الأخبار الكاذبة غالباً ما تنشأ حول الحدث السياسى، وبالتزامن معه أحياناً، لدوافع وأسباب مختلفة.

يهمنا أيضاً أن نشير إلى صلة جفينة، المسيحى الذى مر ذكره، بسعد بن أبى وقاص وكون الأخير هو الذى جاء به إلى المدينة حين عاد إليها معزولاً من ولاية الكوفة بأمر عمر. ولابد أن تبعث على التساؤل هذه الصلة إلى المدينة بين فاتح العراق وأحد العشرة المبشرين بالجنة وبين رجل نصرانى من عرب الحيرة غريب على الحجاز. ومن الجدير بالذكر أن جفينة كان على صلة بالهرمزاني وأبو لؤلؤة وهو ما حدا بعبيد الله بن عمر إلى قتلها معاً. وقد مر بنا أيضاً أن سعد بن أبى وقاص هو الذى انتزع السيف من يدى عبيدالله وحجزه فى داره. ومن المفيد أن نذكر هنا أن عمر كان على خلاف شديد مع سعد بسبب سلوكه عند ولايته الكوفة، مما حمله

على عزله بعد أن أرسل مبعوثاً من قبله إلى الكوفة وأمره بإحراق باب قصر الإمارة الذي يقيم فيه سعد. وكان عمر يمنع الولاة من اتخاذ أبواب لمقراتهم حتى لا ينحجبوا عن الناس^(١).

تتجمع من مجمل ما روينا حتى الآن خيوط مؤامرة خفية قد تكون حيكت من خارج المجموعة الفارسية الصغيرة التي اتهمت بالتواطؤ مع القاتل. ولعل عبيدالله بن عمر كان مطلعاً، أو على الأقل متحسباً بملايسات من هذا القبيل حين هدد بقتل آخرين قال إنهم اشتركوا في الجريمة، إذا صح ما نقله الطبري. وقد حال الإسراع بالقبض عليه دون تنفيذ تهديداته، وبالتالي أدى إلى كتمان أسماء كان يمكن أن تظهر للعلن مع لمعان سيف الولد الموتور.

ولكن لماذا لم يتفوه عبيدالله بذكر هذه الأسماء بعد أن قبض عليه؟ هنا قد نجد أنفسنا أمام سر آخر يتعين علينا كي نستشقه أن نعرف من كان يقصدهم عبيدالله بالتهديد. وهم في حالتنا هذه أحد ثلاثة: قريش، أو أنصار علي بن أبي طالب، أو ورثة وأعوان سعد بن عباد. وكان هؤلاء الثلاثة قد استقطبوا في جبهتين متخاصمتين ستخوضان حرباً أهلية بعد قليل، تضم الأولى قريش وتضم الثانية الفريقين الآخرين. وقريش هي التي استلمت الخلافة في شخص عثمان وهي التي احتجرت عبيدالله وتحكمت فيه. وبالتالي فلو أنه كان يقصد بتهديده الفريق الآخر فقد كان من مصلحتها أن لا يسكت. لكنه وقد سكت لابد أن يكون المقصود بالتهديد رجال من قريش. وبالطبع فإن قريش، الحاكمة، تملك القدرة على إسكاته. وثمة عامل هام يفترض أنه أثر على موقف عبيدالله وهو مطالبة علي بن أبي طالب بإعدامه لقتله الهرمزان. وكان علي يصدر في هذه المطالبة عن موقف شرعي بحث. وعلى معروف بعدم مرونته في هذا الجانب. وقد لجّ في مطالبة عثمان بعد استخلافه بإعدام عبيدالله إلى أن حسم عثمان القضية بتخريج قانوني قال فيه إنه، أي عثمان، ولي الهرمزان لأن الهرمزان لا ولي له (يقصد ليس له أقرباء يطالبون بدمه، وفي هذه الحالة يكون الخليفة هو الولي) وأنه بالتالي قد تنازل عن دمه وقرر العفو عن قاتله. وهكذا وجد عبيدالله نفسه في حماية قريش، والأمويين بالأخص، فكان من الطبيعي أن ينحاز إليهم ويعتبر قضية والده منتهية إلى هذا الحد

(١) الدينوري - الأخبار - الطوال ص ١٢٥. وأورده ابن عساكر عن طبقات ابن سعد رغم الترجمة المنحازة التي اختص بها سعد بن أبي وقاص في تاريخ دمشق الكبير ج ٦ / ١٠٦.

لا مجال مع ذلك لأى قدر من الجزم بنتيجة قاطعة. وإن كنت لألح من الضجيج الذى أثاره القدماء والمتأخرون من رواة التاريخ حول هذه «الجريمة الفارسية» دوراً فى التسميع والتستر.

على أننا لنملك حق البت فى الحقيقة التالية، وهى أن مقتل عمر قد استجاب لمصالح اجتماعية إن لم تكن هى التى دبرت قتله فإنها كانت المستفيد الأوحى من هذه العملية. وأنه ليلدو لنا الآن دون أن نجد حافزاً إضافياً لمواصلة الهجوم على أبو لؤلؤة المجوسى، أن الفاتح العظيم قد ذهب ضحية - محتومة - لتلك المفارقة الكبرى (التي تكررت أيضاً فى خلافة على بن أبى طالب وانتهت به إلى المصير المماثل الذى منقصه بعد قليل) بين سياسة تقوم على الفتوحات - أى بناء امبراطورية - وتسعى فى نفس الوقت لإقامة نظام داخلى فى توزيع المنهوبات يقوم على التساوى بل ويسعى لمصادرة أموال الأغنياء (قادة الفتح ومؤسسى الامبراطورية) وتوزيعها على الجنود.. إن من يفكر فى المساواة، وفى أى إطار كانت، لا يستطيع أن يبنى امبراطورية ولا شك أيضاً أن من يبنى امبراطورية لا يسعه أن يسلك سلوك عمر. لقد خلق عمر بهذه السياسة المزدوجة تناقضاً لم يكن ممكناً حله باستخلاف عثمان بن عفان. وهو الخيار الوحيد الذى أمكن معه لتاريخ الاسلام أن يأخذ مساره اللاحق. ولم يكن خنجر أبو لؤلؤة غير الرافعة التى اختارتها المسيرة لإزاحة عقبة ناشزة فى مجراها.

اغتيال على بن أبى طالب،

وصل على بن أبى طالب إلى الخلافة بعد الحركة المسلحة التى أودت بعثمان. واغتيل على بيد نفس الحركة. والفريق الذى اغتاله هم الخوارج الذين انشقوا عليه فى صفين. فاغتيال على هو نتيجة لتناقض فى صفوف مجموعة سياسية واحدة أخذ بعداً تنافسياً أدى إلى انفجار صراع دموى بين شقيها. وهذه ظاهرة مطردة فى تاريخ الحركات السياسية المسلحة بعد وصولها إلى السلطة.

وقد تسبب اغتيال الخليفة الرابع عن مسلك تدميرى لدى الخوارج هو ما دفعهم إلى اتخاذ قرارهم بتصفية زعيمهم السابق وخصومه فى آن واحد. والخطة معروفة، فقد تداول فريق من الخوارج فى أمر الأمة فوجدوا أزمته تكمن فى زعامتها. واتخذوا من ثم قرارهم الذى يقضى

بالتخلص من هذه الزعامة التي تمثلت حسب تحديدهم في علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص. وعهد بالتنفيذ إلى ثلاثة فدائيين أرسل أحدهم إلى الكوفة والثاني إلى دمشق والثالث إلى مصر. وعينت الخطة للتنفيذ يوماً واحداً هو التاسع عشر من رمضان بعد أن حسبت المدة الكافية لوصول الثلاثة إلى مقاصدهم، وساعة واحدة هي ساعة صلاة الفجر.

وفي الوقت الموعود، كان كل من الثلاثة قد توجه إلى هدفه. ويبدو أن الفدائي الذي أرسل إلى معاوية لم يحسن توجيه الضربة، فوقع السيف في إليه معاوية ولم يقتله. أما فدائي عمرو بن العاص فأجاد الضربة وقتله. ثم تبين أنه شخص آخر ناب عنه في الصلاة لمرض ألم به ذلك اليوم. ويفهم من هذا أنه لم يكن يعرف شكل عمرو فلم يميزه عن نالبه. وكان اسم النائب القتيل «خارجة» فقال الفدائي قولته المشهورة: «أردت عمراً وأراد الله خارجة». ونجحت خطة اغتيال علي بن أبي طالب. ونحاول الآن استقصاء عوامل نجاحها.

١- فدائية الخوارج، وهي عامل مشترك بين الثلاثة الذين نفذوا ما عليهم دون تردد ودفعوا حياتهم ثمناً لها، لولا أن صاحب معاوية لم يظهر قدرة في توجيه الضربة القاتلة إذا لم نضع في الحسبان وضع معاوية الأكثر حصانة من زميليه لما عرف به من دهاء وحذر.

٢- وجود الطابور الخامس لمعاوية في معسكر علي، مع خوارج في الكوفة بحكم كونها المكان الرئيسي للحركة التي انشق عنها الخوارج. وكان علي ترك للخوارج بعد معركة النهروان حرية الإقامة في عاصمته ولم يلاحقهم. وقد تمت العملية بتنسيق مشترك مع الطرفين، عملاء معاوية والخوارج. وكان من العناصر البارزة في الطابور الخامس الأشعث بن قيس زعيم كندة وحفيد ملوكها الغابرين. وتفيد المصادر أنه ساعد الفدائي الخارجي في الاختفاء حتى يحين موعد التنفيذ، وكان معه صبيحة اليوم الموعود. وقد دفع ذلك بعض المؤرخين الذين لا يعرفون إلا عيب السياسة إلى جعل الأشعث من الخوارج^(١)، وهو في الحقيقة

(١) منهم سبط بن الجوزي، وهو مؤرخ لامع، في «مرآة الزمان» مخطوطة فيض الله أفندي (مكتبة مليت باسطنبول) رقم ١٥٢١. المجلد الرابع في ترجمة علي بن أبي طالب. كذلك: أبو الفرج الأصفهاني - مقاتل الطالبين ط - القاهرة ١٩٤٩ ص ٣٣ باب مقتل علي بن أبي طالب. البلاذري - أنساب الأشراف بيروت ١٩٧٢ ج ١٥ / ٤٩٣.

عدو مشترك لهم ولعلي وحليف سرى لمعاوية. وكان من الذين حرضوا على مقاتلة الخوارج في النهروان بدلاً من استئناف الحرب ضد معاوية. وكان التخلص من على هدفاً كبيراً لمعاوية سعى إليه الأشعث ومن على شاكلته من زعماء الارستقراطية العربية في العراق.

٣- عدم توافر إجراءات صيانة لحياة على. وقد أشرنا إلى ذلك في قضية عمر بن الخطاب. والخلل هنا أشد، لأن عمر كان يحكم من دون معارضة مكشوفة أو جدية حتى عامه الأخير، أما على فتحكم وسط قلاقل دامية وجبهة مفككة. وكما بينا، كان المنشقون عليه من الخوارج وخصومه من عملاء معاوية يجاورونه في الكوفة دون أن يتعرضوا للملاحقة. وقد أحس أعوانه بالخطر وحذروه من الاغتيال ولم يلتفت إليهم ورفض أن يخصص له حرس شخصي. وهو ما كان الخوارج يعرفونه جيداً، فقد أورد الطبري أن صاحب معاوية أخبره بعد القبض عليه أن على بن أبي طالب قد يكون قتل في نفس الساعة، وكشف له عن خطتهم. ولما شكك معاوية في احتمال نجاحهم في قتل على قال له الخارجي: إن علياً يخرج وليس معه من يحرسه. وقد حاول أولاده وبعض أعوانه التخلص أن يحرسوه من بعيد ولكن إجراءاتهم لم يكن جدية. وهم بلا شك ملومون على ما حدث لأنهم وقد استوعبوا الخطر كان بمقدورهم أن يشكلوا حراسة منظمة من بينهم دون أن يشعروهم بها. أما المراقبة من بعيد فقد دلت على بؤس القائمين بها لأن الفدائي الخارجي نفذ إلى المسجد واقترب من على، الذي كان يصلي وحده دون أن يشير النباه أحد إلا بعد أن صاح على اثر الضربة. وكانت صيحة مضروب فعلموا أنه أصيب.

٤- من الملاحظ أن كلاماً من خطة الخوارج الثلاثية وخطة اغتيال عمر بن الخطاب نُفذت عند الصلاة. وتفسير ذلك أن للصلاة موعداً معلوماً لا بد أن يظهر فيه المطلوب اغتياله ليؤم المصلين مما يوفر ضبطاً في توقيت العملية لا يتيسر خارج أوقات الصلاة. يضاف إليه أن الامام عند الصلاة يكون مكشوفاً وسهل المنال لأن الصلاة تتم - حسب الأصول الشرعية - دون شكلية وتوجب أن يندمج الإمام بالمصلين ليتساوى معهم. وقد بلغ التشدد في هذا المبدأ أنهم حرموا أن يصلي الإمام على ديكية حتى لا يكون أعلى مقاماً من المصلين. وقد بادر معاوية بعد التجربة التي مرت به إلى تسكير هذه الثغرة فأمر ببناء مقصورة منفردة يؤم منها المصلين. وهو إجراء مخالف للشرعية. ولكن من المعروف أن معاوية لم يكن من الخلفاء الراشدين وكان في سياسته معنياً بتأمين مصالح امبراطوريته وليس بتنفيذ أحكام الشريعة.

٥ - من الجدير بالذكر أن قاتل على استخدم سيفاً مسموماً. وقد اعترف بعد القبض عليه أنه سمم سيف باتقان، لضمان أن تكون الضربة مميتة إذا هو لم يوفق إلى توجيه ضربة قاضية. وهو ما حدث بالفعل، فقد كان على القاتل أن يضرب ضربة خاطفة توفر له وقتاً للهروب من داخل المسجد قبل أن يحاصر. وقد عاش الخليفة بعد الضربة ثلاثة أيام رغم وقوعها في رأسه. ويستفاد من الوصف الذي أوردته المصادر عن كيفية الوفاة أن السم انتشر في جسمه ببطء حتى أجهز عليه في اليوم الثالث. ونحن نستنتج من هذا أن خطة اغتيال على كانت قد درست بعناية ومن جهات أخرى لا تقتصر على الخوارج مما ضمن لها نجاحاً لم يتوفر خطة اغتيال معاوية.

ماذا حقق الخوارج باغتيال على؟

تدل خطة الاغتيال الثلاثي التي رسمها الخوارج ونفذوها على خصوبة في الخيال العنفي تقترن بحيوية التحرك غير المقيد باعتبارات ضيقة. وهي تمثل من هنا نهجاً قتالياً ثابتاً لا يطاله التردد ولا يخضع لدقة في الحساب أو براعة في التخريج النظري.

لكن أصحاب الخطة تجاهلوا عنصراً هاماً في تكتكة العنف وهو ترتيب الأولويات في المجابهة ضد خصوم متفرقين ومختلفين في أهدافهم، وما يتيح ذلك من إمكان العمل على كسب الأقرب إليهم لضرب الأبعد. وبالطبعي فهذا يعني وجود توجه جهوي، وهو ما لم يعرفه تاريخ الخوارج قط. وقد انطوت الخطة من هذه الجهة على خطأ سياسي كبير تمخض مع نجاحها في اغتيال على وحده، عن كارثة على الخوارج أنفسهم. فقد ترتب على مقتل على بن أبي طالب إنهاء خلافة الراشدين وإقامة الخلافة الأموية، وقطع أي احتمال للحوار السلمي يمكن أن يظل قائماً مع بقاء السلطة الراشدية. وقد وجد الخوارج أنفسهم بعد انفراد معاوية بالسلطة أمام عدو مختلف حصرهم بين خيارى القتال أو البيعة.

أضف إلى ذلك أن مقتل على حرم الخوارج من الميزة التكتيكية التي تمثلت بوجود معسكرين متناحرين يشغلهما الاقتتال بينهما عن التفرغ لهم. وكان لدى الخوارج بفضل وجود هذين المعسكرين فرصة ثمينة لتنظيم أنفسهم والعمل على إقامة قاعدة لهم في موقع مناسب خارج نفوذ على ومعاوية اللذين اقتصرت سلطتهما الفعلية على الشام والعراق.

كان ثمة أيضاً خطر لم يحسب الخوارج حسابه، فماذا كان سيحدث لو نجحت الاغتيالات كلها؟ الخوارج لم يطرحوا على أنفسهم هذا السؤال. والمصادر التي تحدثت عن الأمر لم تتحدث عن أية لواحق يمكن أن تكون قد ارتهنت بالخطوة في حال نجاحها ويمكن القول ببساطة، حسب هذه المصادر، إن قرار الاغتيالات كان أحادياً مبتوراً يكتفى بتصفية الزعماء الثلاثة بوصفهم سبب فساد الأمة. وليس لدينا ما يدل على أن الخوارج فكروا في استثمار هذا الاقتحام الكبير لتحرك نحو استلام السلطة وإعلان قيام خلافة جديدة. وهو الاتجاه المعقول الذي يبرر هذه المغامرة ويعطيها مفعولها التاريخي المكافئ.

وفي ضوء هذه الثغرة الواسعة في الخطة فإن نتيجة شديدة الاحتمال كان يمكن أن تترب على شغور القيادة الإسلامية وهي أن يقع تحرك من الجانب البيزنطي المتربص على حدود الشام لتوجيه ضربة سريعة وخاطفة كانت ستؤدي على الأقل إلى إعادة احتلال بلاد الشام. ونحن نعرف أن محاولات تحرك من هذا القبيل حصلت عند اندلاع الحرب الأهلية بين العراق والشام مرتين، في عهد معاوية وفي عهد عبد الملك بن مروان. لكنها اصطدمت حينذاك بخليفتين عظيمين كانت مواهبهما السياسية والعسكرية تتألق في ظروف الأزمات فتمنحهما القدرة على احتواء التحركات المضادة مهما تعددت جبهاتها. وكان من المستبعد أن لا ينجح البيزنطيون هذه المرة مع ما سيحدثه اغتيال القادة الثلاثة من اختلال في أوضاع الأقاليم الملاصقة لهم، الشام والعراق ومصر، وهي نفس الظروف التي مكنت الصليبيين في عصر لاحق من القيام بفتوحاتهم الظافرة في الشام.

ولم يكن للخوارج من الحنكة السياسية ما يصترهم بهذا المرتقب. وتدل خطتهم الثلاثية على براعة حزب مسلح يمتلك المؤهلات العالية للاقتحام العسكري الناجح، لكن غير المقرون بتخطيط سياسي يبرر الإقدام عليه. فالخوارج كانوا مقاتلين جمعوا إلى الروح الفدائية فقراً ملحوظاً في العمل السياسي. ويصدق هذا الوصف على الفرقة بتشعباتها العديدة طوال الخلافة الأموية، ولو أنهم اكتسبوا من بعدها بعض الخبرات التي ساعدتهم على التوصل إلى إقامة كيانات سياسية صغيرة نسبياً، خلال الحقبة الأولى من الحكم العباسي.

اغتيال مالك الأشتر

كانت مصر من محاور الصراع بين علي بن أبي طالب والأمويين لما تمتع به من ثقل استراتيجي يمكن أن يساهم في ترجيح كفة الطرف الذي يسيطر عليها. وقد اختار علي لولاية مصر أول الأمر قيس بن سعد بن عبادة فاستطاع ضبطها وإحباط محاولات الأمويين لانتزاعها من علي. غير أن معاوية توصل فيما بعد وبأساليبه الماكرة إلى زعزعة الثقة بين قيس وخليفته، القليل الدهاء، فعزله عن مصر. وقد عين علي في مكانه ريبه محمد بن أبي بكر وهو شاب متحمس ولكنه ضعيف الخبرة. بيد أن علي وقد أدرك جسامه الخطر الذي يهدد مصر سعى لتعزيز الولاية بشخصية كفوءة أخرى هي مالك الأشتر أحد قادة الحركة المسلحة التي أوصلته إلى الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان. وقد سبب تعيين الأشتر لولاية مصر قلقاً شديداً لدى معاوية فسعى لمنع من الوصول إليها. وتختلف الروايات في وصف الطريقة التي تم بها لمعاوية الخلاص من الأشتر ولو أنها تتفق في جملتها على أنه اغتيل وهو في طريقه إلى مصر.

وفيما يلي عرض لهذه الروايات مأخوذ من «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد..

١- إن معاوية بعث إلى رجل من أهل الخراج يثق به وعرض عليه أن يعفيه من الخراج المترتب عليه طيلة حياته إذا تمكن من اغتيال الأشتر. وكان هذا الرجل يقيم في مفترق سبل تؤدي إلى مصر والحجاز على البحر الأحمر يمر منه من يريد التوجه إلى مصر. فلما وصل الأشتر إلى هناك تلقاه الرجل وضيّفه. وكان قد أعد شربة عسل مسمومة فقدمها له بعد الطعام فلما شربها مات على الأثر.

٢- إنه بعث رجلاً ليتابع الأشتر حتى يحتال في اغتياله. وكان الرجل يحمل مزودتين فيهما شراب. فاستسقاها الأشتر يوماً فأعطاه من إحدى المزودتين، وكانت مسمومة ولما شربها مال عنقه ومات. وهرب الرجل قبل أن يلحق به رجال الأشتر.

٣- إنه دس إليه رجلاً من موالى عمر بن الخطاب. وكان آل عمر قد انحازوا إلى الأمويين منذ أيام عثمان لكن معسكر علي لم يصل إلى درجة القطيعة معهم، بتأثير بعض الرشائج التي كانت تجمع بين علي وعمر في سنواته الأخيرة، وقد اطمأن الأشتر إلى الرجل وضمه إلى

مرافقيه في سفره. وبينما هم في بعض الطريق وعطش الأشتر قدم له المذكور شربة سويق مسمومة فمات منها^(١).

تتفق هذه الروايات على أن الأشتر اغتيل بالسم وتدير من معاوية وأن السم دس في شراب من عسل أو ماء أو سويق. ورواية العسل أكثر شيوعاً، وقد وردت عن الواقدي وهو مؤرخ مبكر وموثوق، وروايته تفيد أن الرجل الذي سم الاشتركان دهقاناً في العريش. وهذه البلدة من أعمال مصر لكنها قريبة إلى الشام. وقد اقترنت بالحادث كناية مشهورة لعمر بن العاص وهي قوله بعد أن بلغه نفاذ خطة القتل: «إن لله جنوداً من عسل، أو منها العسل»^(٢). والله كما نعلم قاسم مشترك لجميع الأطراف والطبقات والأحزاب المتصارعة في مجتمعات الأديان السماوية الثلاثة.

أدى اغتيال الأشتر إلى خسارة قائد كبير كان على بن أبي طالب يعتمد عليه كثيراً في صراعه الحريز ضد الأمويين مما مكن معاوية أخيراً من الاستيلاء على مصر بعد أن انفرد بحاكمها الضعيف محمد بن أبي بكر.

وقد نجحت الخطة لأنها اعتمدت، بحسب الروايات كلها، على استغلال مالك الأشتر وهو درس استفاد منه اللاحقون في إحباط وتنفيذ خطط مماثلة كما سيأتي تفصيله في القسم التالي.

دلالات مستخلصة من حوادث الاغتيال الراشدية

ترجع الاغتيالات في هذه الحقبة إلى الأصل الذي بنى عليه الاسلام كتتحرك سياسي - اجتماعي أملت ظروف العرب الخاصة في المقام الأول، والظروف العامة للمنطقة في المقام الثاني. وقد رأينا كيف سلك مؤسس الاسلام بعد هجرته إلى يثرب خط العمل العسكري، بما في ذلك الاغتيالات، كنهج ثابت أشاح به عن نهجه التبشيري الذي اتبعه في مكة. وثرتهن سياسات النبي محمد في يثرب بصراع قومي موجه لتوحيد أمة بينما يعكس نهجه في مكة

(١) ابن أبي الحديد ٢ / ٢٩. السويق شراب يتخذ من دقيق الحنطة أو الشعير.

(٢) بن أبي أصيبعة - عيون الأنباء في طبقات الأطباء - بيروت ٥ ب ١٩٦ ص ١٧٤ ترجمة الطبيب ابن أنال الذي كان يستحضر السموم لمعاوية بن أبي سفيان.

حالة صراع اجتماعى داخل معشر محدود هو المعشر القریشى - المكى. وكان ثمة صراع من هذا القبيل فى يثرب ولكن داخل نفس الحركة، بين الفئات الاجتماعية والقبلية التى تتكون منها كتلة الصحابة المشكّلة لقوام الحركة فى طورها الیثرى.

وحيث أفلح الاسلام فى إقامة مجتمع ودولة شملت الجزيرة بامتداداتها العراقية والشامية وما وراءها من أقاليم، فقد تعین علیه أن يواجه كل مرتكساتهما. فاجتمع يعنى الصراع والدولة هى أداة الصراع التى لا وجود لها من دونه. وهو أداة قابلة للتداول. (اسم الدولة فى العربية مأخوذ من هذا المعنى الدال فى جوهره على الصراع). ولو أراد محمد لحركته أن تكون دعوة ولنفسه أن يكون محض مبشر فإن شيئاً مما قد سردناه للتو لن يقع فى أوانه. ولو أننا قد لا نعدم عندئذ شيئاً آخر، ولكن بعد مضي قرون يكون فيها الاسلام قد تمكن من قلوب الناس، وتوطدت مؤسسته الدينية، المؤهلة لأن تضع نفسها فى خدمة دولة خارجة عنها لتكون أداتها القمعية أو غطاءها الايديولوجى، مثلما تهيأ للمسيحية والبوذية بعد ثلاث قرون من وفاة صاحب الدعوة.

وهناك دلالة هامة فى أن كتاب الاسلام المقدس لم يصطبغ، رغم مضاهاته للكتب المقدسة التى قبله فى طقوسيتها، بقداسة أحادية تجعل منه كتاباً إلهياً عديم اللحم والعظم، فقد استغرقه التعاخر فأضفى عليه صفة خاصة به، ويتجاوز عدد المرات التى ذكر فيها القتل بمشتقاته فى القرآن عدد المرات التى ورد فيها ذكر الصلاة بمشتقاتها (حوالى ١٧٤ مقابل ٩٩). ولغة الصراعى فى الاسلام تحريضية شديدة النبرة تذكر القارئ بلغة البلاغات الحربية. ولا شك فى أن مؤسس الاسلام كان يستجيب فى ذلك لمستلزمات وضعه/ مهمته التاريخية. وهو فى الحقيقة لم يكن شديد الافتقار إلى الوعى بنواميس التاريخ البشرى لأنه سجل فى كتابه أن الناس لا يمكن أن يكونوا أمة واحدة فهم «لا يزالون مختلفين، إلا ما رحم ربك، ولذلك خلقهم» خلقهم كما يقول المفسرون ليختلفوا لا ليتفقوا. وإذا كان الناس فى حسابهم لا يمكنهم أن يكونوا أمة واحدة فهو يعرف أيضاً أن أمته نفسها لن تنجو من الاختلاف. وقد عايش بنفسه ولا سيما فى مرحلة ما بعد مكة، جانباً من التكتلات التى بدأت تشق الصحابة إلى أجنحة. ولن يكن بمقدوره، لو أراد، أن يؤلف بين أتباعه، وهم طبقات لا طبقة واحدة، ولا

أن يمنعهم من الاقتتال وهم ينظمون حياتهم وفقاً لعلائق المادة وليس الروح، شأن غيرهم في كل زمان ومكان.

كان الصراع الذي خاضه الاسلام الأول من الحدة بما يكفي لتعزيز صياغة شخصية تناحرية مشتركة بين طبقات المجتمع الظالمة والمظلومة. ولو أن هذه الشخصية لم تنشأ من فراغ إذ يمكننا في الواقع أن نتابعها في الشخصية الجاهلية التي يشغل السيف موقعاً مؤثراً في علاقاتها. والاجتمع الجاهلي هو كما نعلم مجتمع تناحري لم يعرف السلم إلا كهامش استغرقت الأشهر الحرم الأربعة في أضيق نطاق. ولم تقتصر هذه الظاهرة على الأغلبية الوثنية من العرب، حيث جرت العادة على اتهام الديانة الجاهلية بتأجيج العداوات، فالمسيحية الشرقية التي اعتنقتها بعض القبائل، ومنها قبائل كبيرة مثل تغلب، لم تستطع أن تخلق من البدوى مسيحياً بسيطاً من الغرار الذي عرفناه مثلاً في الحيرة. يقول الشاعر المسيحي جابر بن حنّـي التغلبي رداً على استخفاف صدر من قبيلة بهراء تجاه قبيلته (١) :

وقد زعمت بهراء أن رماحنا رماح نصارى لا تبوء الى الدم
نعاطي الملوك السلم ما قسطوا لنا وليس علينا قتلهم بمحرم

وقد سبق لبني تغلب أن قتلوا ملكاً في الحادثة المعروفة. والشاعر يرد هنا ليس على بهراء وحدها، بل وعلى تعاليم الخلد الأيمن لبني.. وثمة إدراك لضرورة هذا اللون من العلاقات يتمشى مع التورط فيها عملياً. فالطبري ينسب إلى عمر بن الخطاب أنه علم المسلمين أن يطيعوا الخليفة إذا استقام ويقتلوه إذا اعوج. ولما اقترح عليه أحدهم الخلع بدل القتل ردّ عليه أن القتل أنكل لمن بعده، أي أكثر ردة (٢). وسواء صدر هذا التوجيه عن عمر أو غيره فهو يحمل نزوعاً إلى أدلجة وشرعنة ما جرى في صدر الاسلام.

يمكننا أخيراً أن نرصد مؤشرين لهذه الأحداث: أولهما هو دلالتها، رغم ما قد يكون فيها

(١) جابر بن حنّـي (وزن قصي) التغلبي من شعراء القرن السادس الميلادي. توفي عام ٥٧٠م وهو عام ولادة النبي. والبيتان من قصيدة له من «المفضليات» التي جمعها المفضل الضبي المعاصر للمنصور. وهي من أوثق وأقدم مختارات الشعر الجاهلي.

(٢) التاريخ: باب مقتل عمر. والمعتز هو طلحة بن عبيدالله.

من تكدير لمزاج الانسان المستريح، على حيوية مجتمع غير قابل للوحدة، لأنه يشتمل في مقومه الأساسى على تلك الشخصية الاجتماعية القادرة على التصرف خارج دائرة المحرمات حيثما اصطدمت بقناعاتها، أو بكلمة أدق، بمصالحها الجوهرية.

الثانى أن العنصر التحريضى للاسلام يؤكد هنا حضوره على حساب الدور التخديرى للدين، إذ لا يسعنا بحال أن نفصل ما حدث فى صدر الاسلام عن الاسلام نفسه. ويمكننا أن نلمس فى هذا التجزى تلك المؤثرات المتعددة المصادر التى شملها مجتمع صدر الاسلام سواء ما يعكس منه امتدادات المجتمع الجاهلى أو ما هو نتاج الصراعات الاجتماعية التى سبقت أو زامنت نشوءه. وبالطبع فإن هذه الحالة ما كانت لتستمر طويلاً مع وجود الدين كتشكيل جوهري فى الوعي الاسلامى. ومنصادف فى وقت مبكر نسبياً محاولات لاهوتية لضبط سلوك المسلم يتصدرها الحسن البصرى، وهو فقيه ومتكلم من أصل فارسى لم يعايش الاسلام الأول ولم يمتحن بموروثات العصر الجاهلى. وكان يتكلم لغة دينية ناضجة لا تشوبها لكنة جاهلية، من ذلك الغرار المألوف لدى الأخبار الخالص. والحسن البصرى هو من أقدم مؤدجى السلام الاجتماعى فى الاسلام، ولو أن آراءه ظهرت فى وقت كان العنصر التحريض للاسلام لا يزال أبداً فى نفوس أتباعه وكان الكثير من الفقهاء لا يزالون يتلقون الجلد والنفى على أيدي الخلفاء الأمويين وولاتهم. وقد أخرج ابن عساكر فى ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفى ما يلى: لما كانت فتنة ابن الأشعث - يقصد انتفاض أهل العراق بقيادة عبدالرحمن بن الأشعث الكندى ضد الحجاج - دخل جماعة على الحسن فقالوا: ما تقول فى هذا الطاغية الذى سفك الدم الحرام وأخذ المال الحرام وترك الصلاة وفعل وفعل؟ وذكروا من أفعاله فقال الحسن: «لا تقاتلوه فإنه إن يكن عقوبة من الله فما أنتم برادى عقوبة الله بأسيا فكم. وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين». فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العليج؟ وكانوا قوماً عرباً فخرجوا مع ابن الأشعث^(١). وإشارة ابن عساكر أنهم كانوا من العرب وأنهم نبزوا الحسن بأنه «عليج» يقصدون أعجمى يكرس ما ذهبنا إليه بشأن العنصر التحريضى لاسلام صدر الاسلام بتركيباته المعقدة التى لم يستوعبها الاكليروس الناشئ الذى كان الحسن البصرى يعبر عن اتجاهاته.

(١) تهذيب تاريخ دمشق... ج ٨٠ / ٤.

في الخلافة الأموية

في هذه الحقبة، كانت الاغتيالات السياسية متقابلة بين السلطة والمعارضة وقد مارسها الخلفاء الأمويون بدءاً من معاوية الذي استهلها باغتيال مالك الأشتر في خلافة علي ثم واصلها بعد انفراده بالخلافة. أما المعارضة فقد انفردت منها الخوارج بالتوسع في استعمال هذا التكتيك.. ونستقصي فيما يلي أهم وأشهر حوادث الاغتيال ياديين بما حدث منها على يد السلطة.

اغتيال الحسن بن علي،

كان الحسن قد سلم الخلافة لمعاوية بعد مقتل والده، انسياقاً مع نهجه الاستسلامي المعروف، لكنه اشترط في عقد التسليم، تحت ضغط المتشددین من أصحاب علي، أن تعود إليه الخلافة بعد وفاة معاوية. وكان هذا الشرط في غاية الخطورة بالنسبة لمستقبل الخلافة الأموية، لأنه يعنى حتمال استعادة الراشدين للخلافة في شخص الحسن، الذي كان أصغر سناً من معاوية. ولم يكن أمام الأمويين من خيار إلا التخلص من الحسن بوسيلة ما. لكن معاوية لم يستعجل الأمر، لأن وريثه يزيد كان لا يزال صغيراً وكان التفكير في تعيينه ولياً للعهد سابقاً لأوانه. ولذلك عاش الحسن لمدة عشر سنوات بعد تنازله وهو في دعة ينتظر، أو على الأصح، ينتظر أصحابه موت معاوية ليعود إلى المطالبة بالخلافة بحكم العقد المبرم بينهما. وفي هذه المدة كبر الوريث وصار مؤهلاً للولاية، كما جرى تسويقه في عيون أهل الشام وبنى أمية على السواء، واقترب معاوية من شيخوخته بينما الحسن لا يزال يتمتع بشبابه. وعندئذ بدأ معاوية يفكر في إزالة هذه العقبة التي تحول دون استمرار الخلافة في أسرته.

ثمة ما يشبه الاجماع على أن الحسن مات مسموماً، مع الميل إلى تحميل زوجته جعدة بنت الأشعث الكندي مسؤولية ذلك. وقد وردنا شعر يرثى فيه كثير عزة - أو النجاشي الشيعي - الحسن ويستهل به توجيه الخطاب إلى جعدة إشعاراً باتهامها. وكنا قد أشرنا في القسم الثاني إلى موقف الأشعث بن قيس المناهض لعلي والمتواطئ مع معاوية. ويبدو أن هذه الزيجة كانت تديراً من علي للتقرب من الأشعث واستدراجه إلى جانبه. والأشعث زعيم كندة شبه المطاع إذ هو سليل ملوكها الغابرين. لكن حسابات علي لم تكن موفقة، فالمصالح الاجتماعية غالباً ما تعلو على اعتبارات القرابة ناهيك عن المصاهرة. وقد تواطأ الأشعث مع قتلة علي فليس

من الصعب أن يكون لدى ابته التي نشأت في بيت قامر، مناوي لعلى وأولاده استعداد للقيام بدور مماثل لما قام به أبوها. وكان معاوية يعي هذه الحقائق وعي الحاكم الخبير باتجاهات وسرائر رعاياه. ومن المثير للانتباه أن جعدة بقيت زوجة للحسن الذي عرف بكثرة التطليق ولم تكن المرأة تثبت عنده إلا قليلا. ولعلها بقيت كذلك تقديرا لمكانتها وما ينجم عن ذلك من تمتين الروابط مع قبيلة كندة القوية.

من بين الذين أكدوا تسميم الحسن، «المدائني». وهو من أقدم كتاب السير. وقد وردت روايته في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد^(١). وهي تفيد بأن الحسن توفي بعد مرض دام أربعين يوماً وأن معاوية دس له سماً على يد جعدة بنت الأشعث زوجته وقال لها إن قتلتيه بالسم فلك مئة ألف (درهم) وأزوجك يزيد ابني. فلما مات الحسن وفي لها بالمال ولم يزوجها من يزيد لعدم اطمئنائه إليها. لكن قول المدائني أن مرض الحسن دام أربعين يوماً غير واقعي بالنسبة لمسموم. ويغلب على الظن حصول التباس في معدود الأربعين، وقد ورد في رواية ابن عساکر^(٢) أن الحسن بعد أن سم كان يوضع تحته طست ويرفع نحوه من أربعين مرة. يشير إلى ما أحدثه السم في بطنه من مفاعيل. فلعل المرة صارت في رواية المدائني يوماً على جهة الاشتباه.

ونص على موت الحسن مسموماً ابن عبد البر في «الاستيعاب»^(٣) عن قتادة وأبي بكر بن حفص، وهما من قدماء الرواة. وأورد عن رواة آخرين أن جعدة سمته بتدسيس من معاوية. وقال هؤلاء الرواة في تعقيب على هذا الخبر أن جعدة كان لها ضرائر. والمقصود من ذلك إلقاء الشك على علاقته بزوجها قبل أن يحدث له ما حدث.

وأشار إلى موته مسموماً ابن حجر في «الإصابة» و«تهذيب التهذيب» وابن الأثير في «أسد الغابة». والكتب الثلاثة هي، إلى جانب الاستيعاب من المصادر المعتمدة في التراجم.

ويلاحظ تجاهل الطبري لوفاة الحسن فلم يذكرها في حوادث السنين التي يرجع المؤرخون وفاة الحسن في إحداها. لكن ابن الأثير ذكرها في حوادث سنة ٤٩، ونص على وفاته مسموماً

(١) المجلد ٤ ص ٥. وكتاب المدائني مفقود.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٢٢٩

(٣) الترجمة ٥٥٥ الحسن بن علي. ج ١ / ٣٨٩ - ٣٩٠.

على سبيل القطع كما فعل في «أسد الغابة» وهو بذلك يستدرك على أستاذه الطبرى (تاريخ ابن الأثير «الكامل» مبنى على تاريخ الطبرى حتى السنة التى ينتهى بها ثم يكملها حتى السنة التى سبق وفاته وهى سنة ٦٢٩هـ). لكن الطبرى ذكر ذلك فى «ذيل المذيل» عن ترجمته للحسن . والطبرى يتحسس للأخبار التى تسمى إلى الأمويين فيسعى لاستبعادها ما استطاع .

وروى ابن كثير فى البداية والنهاية (حوادث ٤٩) أن الحسن مات مسموماً بتدبير من معاوية . وأن الذى دس إليه السم خادم له ، فى رواية ، وفى روايات أخرى زوجته جعدة . وأثبت الرثاء الذى يستهله الشاعر بمخاطبة جعدة ونسبه إلى كثير عزة . والرواية التى تتهم الخادم بتسميمه غير مشهورة فى المصادر ، التى تميل فى جملتها إلى اتهام الزوجة بذلك .

وربط أبو الفرج مشروع البيعة ليزيد بالتخلص من شخصيتين هما الحسن بن على وسعد بن أبى وقاص^(١) . وكان سعد من بين القلائل الذين تبقوا من قادة الاسلام الكبار ، الذين يعسر تخطيطهم فى خطط الاستخلاف ، لا سيما لشخصية عادية مثل يزيد . ويجب أن يفسر التخلص من سعد ، إذا صحت رواية أبو الفرج ، بمعارضته لاستخلاف يزيد وليس بطمعه فى الخلافة لأنه كان يومذاك قد عمى ، والبصر شرط راس فى صحة الاستخلاف عند المسلمين .

إن لجوء معاوية إلى السم للتخلص من المناوئين قد أشار إليه ابن أبى أصيبعة لدى ترجمته للطبيب السريانى ابن أثال . فقد جاء فى «عيون الأنباء» أن ابن أثال كان متخصصاً بالسموم ، وأن معاوية كان يقربه لذلك كثيراً . ثم استطرد فقال : ومات فى أيام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس والأمراء من المسلمين بالسم^(٢) . وتلقى هذه الملحوظة الهامة لابن أبى أصيبعة بعض الضوء على الوفيات المشبوهة لأمثال سعد بن أبى وقاص ، ورغم أن المؤرخين لم يعنوا باستقصائها فى ترجمتهم لهذه الشخصيات عدا الحالات المشهورة مثل حالة الحسن بن على . ويبدو أن ابن أثال كانت له مدرسة ومريدون فى هذا الفن ، لأنه قتل فى وقت مبكر من خلافة معاوية كما سنيين ، بينما حدثت اغتيلات بالسم من بعده . ويمكن أن نستنتج أن من أسباب اهتمام معاوية بمسألة التخصص فى تحضير السموم إنتاج سموم لطيفة لا يظهر لها أثر . وقد ذكرت الروايات التى تحدثت عن موت الحسن إنه سقى السم مرات عديدة فلم يمت ،

(١) مقاتل الطالبين القاهرة ١٩٤٩ ص ٧٣ فصل وفاة الحسن .

(٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء . ط . بيروت ١٩٦٥ ص ١٧١ .

مما أُلجأ فيما يبدو إلى استعمال وصفة أشد مفعولاً هي التي قتلتها وتدل المحاولات الفاشلة السابقة على أن السموم كانت ضعيفة المفعول بسبب المبالغة في لطافتها.

بعد موت الحسن بدأ معاوية مساعيه العلنية لمبايعة يزيد ولياً لعهدده. وقد نظر بعض القدماء إلى هذا الحدث على أنه من الأحداث الفاصلة في تحول الخلافة إلى ملكية، واشتداد وطأة الاستبداد على العرب. وينقل أبو الفرج عن رجل يدعى أبو اسحق أنه مثل: متى ذل الناس؟ فقال: حين مات الحسن. وادعى زياد وقتل حجر^(١). وهي ثلاثة أحداث متكاملة الدلالة في هذا الصدد، فموت الحسن أفصح المجال لمبايعة يزيد حيث اتخذ تحول الخلافة إلى ملكية شكله الرسمي، وادعاء زياد (استلحاقه بآل أبي سفيان) ارتهن بتسليطه على العراق ليفرض على أهله أول سياسة قمعية يقع العرب تحت طائلتها. وقتل حجر (ابن عدى الكندي) بأمر من معاوية نظراً إليه في حينه على أنه تحدى مباشر للعرب الذين كانوا حتى ذلك الوقت يجاهرون بمعارضتهم للدولة دون أن تجرأ على قمعهم بهذه الطريقة.

اغتيال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد؛

كان عبد الرحمن قائداً عسكرياً مرموقاً كوالده. وقد انضم إلى معاوية في صراعه ضد علي بن أبي طالب. وبعد أن استتب الأمر لمعاوية عينه لقياده جبهة الفتوحات في آسيا الصغرى (أرض الروم) التي بدأ المسلمون يقضمونها بالتدريج بعد إخراج البيزنطيين من بلاد الشام. وقد أحرز عبد الرحمن نجاحات كبيرة في حروبه هناك جلبت له شهرة واسعة بين أهل الشام أضيفت إلى رصيده الموروث من والده. ويذكر الطبري^(٢) أن عبد الرحمن انصرف عام ٤٦ هـ من بلاد الروم إلى حمص وكان قد عظم شأنه بالشام ومال إليه أهلها لما كان عندهم من آثار أبيه ولغناؤه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه، حتى خافه معاوية فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله. فلما وصل عبد الرحمن إلى حمص دس إليه ابن أثال شربة مسمومة، يقول ابن أبي أصيبعة^(٣) إنها شربة عسل. فمات منها. وكافأ معاوية ابن أثال بإعفائه من الضرائب طيلة حياته وتعيينه والياً على خراج (ضرائب) حمص.

(١) مقاتل الطالبين ص ٧٦.

(٢) التاريخ حوادث سنة ٤٦ ط الامتقانة، القاهرة ١٩٣٩. ج ٥ / ٢٢٧. انظر أيضاً: ابن عساكر في ترجمة خالد بن عبد الرحمن ٨٣/٥.

(٣) عيون الأنباء ص ١٧٤.

إن رواية الطبرى ، التى اعتمد عليها ابن عساكر وابن أبى أصيبعة كما يبدو، تجعل سبب الاغتيال خوف معاوية من منافسة عبد الرحمن له فى سلطانه، لكن رواية لأبى الفرج^(١) تربط الحدث ببيعة يزيد وخلاصتها أن معاوية لما أراد أن يظهر البيعة لابنه قال لأهل الشام إن أمير المؤمنين قد كبرت سنة ودق عظمه واقترب أجله ويريد أن يستخلف عليكم فمن ترون ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد. فسكت وأضررها فى نفسه حتى دس إليه الطبيب ابن أثال ، فسقاه سماً فقتله.

قد يكون محتملاً أن معاوية خاف على نفسه من عبد الرحمن عندما نعتبر أن تصفيته تمت فى وقت مبكر نسبياً - بعد خمس سنوات من انفراده بالسلطة. لكن الباعث الأقوى يجب إرجاعه إلى بيعة يزيد إذ يصعب القولى أن معاوية الذى انتصر على رجل كعلى بن أبى طالب يخشى رجلاً كعبد الرحمن بن خالد، بينما نجد عبد الرحمن يشكل خطراً حقيقياً إزاء ابنه ، الذى لا يمتلك مثل رصيده. وتبدو رواية أبو الفرج من هنا معقولة أكثر، مما يحملنا على الاعتقاد أن اغتيال عبد الرحمن بن خالد يندرج فى نفس الاعتبارات التى أدت إلى اغتيال الحسن بن على والوفاء المشبوهة لسعد بن أبى وقاص وهى إزالة عقبات تقف دون البيعة ليزيد واستمرار الخلافة فى بنى أمية.

تمت عملية اغتيال عبد الرحمن بن خالد فى سهولة أكبر بالقياس إلى اغتيال الحسن. ذلك لأن عبد الرحمن لم يكن يحس بحاجة إلى التحفظ من خطر كهذا نظراً لعلاقاته الطبيعية بمعاوية. وقد حدثت قبل اغتيال الحسن وقبل شيوع الحديث عن بيعة يزيد، أى فى وقت لم تظهر لعبد الرحمن بوادر تشير مخاوفه.

لكن العملية انكشفت بعد وقوعها وأدت إلى ردود فعل مباشرة انتهت باغتيال الطبيب ابن أثال. وقد قام بذلك ابن المغدور أو ابن أخيه، بحسب اختلاف الروايات واسم كليهما خالد (تميل الروايات إلى أنه ابن الأخ). وتفيد رواية أوردها أبو الفرج أن هذا الشخص كمن لابن أثال فى مسجد دمشق وكان يمسى مع معاوية فلما خرج من القصر وحاذاه وثب عليه فقتله

.....
(١) الأغاني ج١٦ / ١٤٠ ط بيروت - بلا تاريخ فى أخبار المهاجر بن خالد. تفهم هذه الرواية من حيث دلالتها على جس نبض المتفكرين من أهل الشام. أما التفاصيل التى تضمنتها فقد لا تكون واقعية بالضرورة..

وقد اعتقله معاوية وأمر بجلده مئتي سوط وأغرمة الدية ألفى دينار. وبقي في السجن حتى وفاة معاوية وتقول الرواية إنه قال لمعاوية عند اعتقاله: «قتلت المأمور وبقي الأمر»^(١). وهذا مجرد تهديد. إذ كان المفروض أن يبدأ بالأمر لأنه الفاعل الأصلي. لكن من الواضح أنه قد اختار الأسهل والأقل كلفة. وهو بذلك قد تصرف بموجب حساب مسبق حدد له سلوكاً مزدوجاً: لم يسكت عن الجريمة التي ارتكبت بحق والده، أو عمه، ولم يذهب في إدراك ثأره إلى المدى المطلوب حين قرر قتل المأمور دون الأمر. ومع أن المأمور يستحق نفس العقوبة (لا سيما وهو طيب مؤتمن على أرواح الناس فخان رسالته وتحول إلى أداة قتل بيد السلطان) فقد كان واثقاً أنه لن يقتل إذا اغتال المأمور، بخلاف مالهو اغتال أو حاول اغتيال الأمر. وحسابه مبنى على اعتبارين: مكانته الأعلى بوصفه حفيد خالد بن الوليد، ومكانة القتل دون بوصفه طبيباً غير مسلم. وهو حساب مضبوط أدرك به جزءاً من ثأره من دون أن يكلفه حياته. ومما يؤكد لنا أنه أجرى هذا الحساب سلفاً ما ذكرته رواية أبو الفرج من أنه أشرك في كمينه رجلاً من مواليه يمتاز بشدة البأس ورسم له خطة تقضي بأن يكون هو الذي يتولى قتل ابن أثال بينما يقتصر دور المولى على المراقبة والحماية من ورائه. والغرض من هذا بين فلو أن المولى هو الذي تولى قتل الطبيب لكان من المحتمل أن يقتل به، لا سيما وهو يتجراً على اغتيال طبيب الخليفة وأداته الضاربة في تصفية خصومه ومنافيه. وربما ساعدنا هذا الموقف الأخلاقي من جهته على ترجيح أن قاتل الطبيب هو ابن الأخ وليس الابن. وابن الأخ هو خالد بن المهاجر بن الوليد، وكان أبوه مع علي بن أبي طالب خلافاً لأخيه المولى لمعاوية والأمويين. ولا بد أنه قد اكتسب من خلال ذلك شيئاً من أخلاقيات علي بن أبي طالب هي التي جعلته يتجنب توريط مولاه في قضية تخصه شخصياً، رغم ما انطوت عليه خياراته من حسابات ربح وخسارة لم تكن لعلي بن أبي طالب خبرة كافية لها.

اغتيال عمر بن عبد العزيز:

تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بين عامي ٩٩ و ١٠١ هـ ومجمل مدته سنتين ونصف. وكانت خلافته بمثابة انقلاب (أيض) ضد السياسة الأموية نفذ في أثناءه إجراءات كثيرة وجذرية استهدف بعضها الاتجاه العام للخلافة السائدة وبعضها الآخر المصالح المباشرة لأركان

(١) المصدر السابق. أيضاً ابن عساکر ٩٥ / ٥.

الأسرة. وكان مقدار الخطر الذى حملته خلافة عمر بن عبد العزيز على الوضع الأموى يكفى لإثارة اعتراضات شديدة من جانب أسرته. لكن هذه اعتراضات عبرت عن نفسها فى احتجاجات هادئة أخذت فى الغالب شكل عتاب أو نصائح من شيوخ الأسرة ووجهائها. وفى هذا السياق المتطامن نفسه تأتى الوفاة العاجلة للخليفة لتضع حداً لانقلابه القصير العمر.

توفى عمر بن عبد العزيز قبل أن يكمل الأربعين. وكان لا يزال شاباً لم يستهلك طاقاته البدنية بالإسراف الذى اعتاده الخلفاء وأبناءؤهم فى الملذات الحسية. وقد ذكر ابن كثير فى حوادث ١٠١ من البداية والنهاية أنه مات بالسل، فى رواية، وبالسّم فى رواية أخرى. لكن مصادر سيرة عمر لم تتحدث عن أعراض سل حين تحدثت عن مرضه الذى توفى به. وتتجه معظم الروايات إلى القول أنه مات مسموماً. وقد أورد الطبرى فى حوادث ٩٩ التى أعقبت استخلاف عمر بعد أن استعرض مفاوضاته مع وفد من الخوارج أن بنى مروان «خافوا أن يخرج ما عندهم وفى أيديهم من الأموال فدرسوا إليه من سقاء سمّاً». ذكر الطبرى ذلك بعد أن تحدث عن اتفاق وشيك بين الخوارج وبين الخليفة يعلن الخوارج بموجبه تأييدهم له مقابل خلع يزيد بن عبد الملك من ولاية العهد. وكان يزيد ولياً لعهد عمر بموجب وصية سليمان بن عبد الملك التى تضمنت استخلاف عمر ثم يزيد، وكان ذلك هو الاعتراض الأساسى الذى أبداه الخوارج على سياسة عمر. وفيما يتعلق بخبر اغتياله بالسّم فإن رواية الطبرى لها قيمتها الكبرى فى إثبات هذا الاحتمال، لأن هذا المؤرخ الكبير قلما يعنى خبراً مضاداً للأمويين مالم يثبت منه. وقال الكتبى فى «الوفيات» مانصه: «مقاه بنو أبيه السّم لما شدد عليهم وانتزع كثيراً مما فى أيديهم»^(١). وبينما ذكر أبو الفدا فى ترجمته لعمر فى مختصره أن موته بالسّم معروف لدى أكثر الناس. وقد نص على وفاته مسموماً كذلك الشعرانى فى طبقاته عند ترجمته لعمر فى المجلد الأول. بينما أورد الغزالى فى أحياء علوم الدين^(٢)، أن أعراض تسمم ظهرت فى مرض عمر الذى توفى فيه. اكتشف ذلك طبيبه وأخبره بها فقال عمر إنه قد أحس بالسّم حين وقع فى بطنه. وفى «حلية الأولياء» لأبى نعيم حكاية ذات مضمون غيبى تحدثت عن

(١) انظر ط، بولاق ١٢٨٣ هـ. ١٠٥/٢.

(٢) انظر جـ ٤ / ٤٦٥ مطبعة الخلبى ١٢٩٦ هـ القاهرة. «كتاب الموت».

أيضاً: ابن الجوزى، سيرة عمر بن عبد العزيز. القاهرة ١٣٣١ هـ. ص ٢٧٧.

تسميمه نسبت إلى الوليد ابن هشام (لم يذكر إن كان ابن عبد الملك) قال فيها: لقيني يهودى فأعلمنى أن عمر سىلى أمر هذه الأمة فيعدل فيه. فلقيت عمر فأخبرته بقول اليهودى . فلما استخلف عمر و دنت وفاته لقيني اليهودى وقال لى: إن صاحبك قد سقى فأمره فليتدارك نفسه. قال فلقيت عمر فذكرت ذلك له. فقال قاتله الله ما أعلمه . لقد عرفت الساعة التى سقيت فيها^(١). لا شك أن مخترع هذه الحكاية قد استفاد من وجود خبر ذائع عن تسميم عمر لإعطاءه «كرامة ولى» مما يحرص ذوو الأمزجة الصوفية على منحها للأولياء . ومن المعتاد للحكايات التى تتوخى هذا الغرض أن تجرى على لسان يهودى أو نصرانى لأنهم عند المسلمين من أهل العلم الأول الذين سبقوهم إلى الاتصال بالسماء.

وتقرن رواية لابن عبد الحكم تسميم عمر بحكاية عن ملك الروم تقوم إن الملك المذكور لما بلغه سقى عمر أرسل إليه رأس الأساقفة وكتب إليه يعلمه حاله عنده وما يحفظه له من الحق عنده بوصفه من أهل الخير وطاعة الله ويقول له إنه قد بلغنى أنك سقيت وقد بعثت إليك رأس الأساقفة وأطبهم (أعلمهم بالطب) ليعالجك ممابك. فقدم عليه فقال له عمر: انظر إلى فجسه فقال: سقيت يا أمير المؤمنين. وتقول الرواية إن عمر أبى أن يتقبل العلاج الذى وصفه له المبعوث الرومى. وأنه دعا فى نفس الوقت الرجل الذى اتهمه بدس السم إليه فاستجوبه فاعترف وقال إنه خدع وغر فقال عمر: خدع وغر، خلوه ولم يعرض له بشئ^(٢).

والحكاية بقدر ما يتعلق بملك الروم باطلة، لأن مدة وصول الخبر وإرسال رأس الأساقفة لا تتناسب مع حالة مسموم. ولو أننا لا نعدم أن نجد لها أساساً لأن خلافة عمر كانت فترة سلام مع البيزنطيين، وقد سحب عمر القوات التى كانت تحاصر القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبد الملك، كما أظهر ميلاً إلى عدم التوسع فى الفتوحات حيث كان يقول «حسب المسلمين ما فتح الله عليهم». فمن المنطقى أن تكون للبيزنطيين مصلحة فى بقاءه. وقد يكون صدر عن الامبراطور البيزنطى فى هذه الأثناء رد فعل ما، فصاغ منه الناس حكاية. ومن الطريف فى هذه المناسبة أن بعض المصادر زعمت أن ملك الروم نعى عمر لقومه حين بلغته وفاته ورثاه رثاء مؤثراً!

(١) أنظر الترجمة ٣٣٣ ج ٥ ط مصر ١٩٣٥.

أيضاً: ابن الجوزى - المصدر السابق ص ٢٧٦.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز . القاهرة ١٩٢٧ ص ١١٨ - ١١٩.

لا يسعنا أيضاً قبول الخبر المتعلق بالمتهم بدس السم، فأنكشف مثل هذا الفعل ليس سهلاً. وإذا انكشف فليس من السهل ترك المتهم طليقاً، إن لم يكن من جهة عمر أو من جهة أولاده كما أن الذين يقفون وراء المكيدة سيجدون أنفسهم مضطرين إلى القضاء على أدااتهم الجرمية لإخفاء مكيدتهم. وما أيسر أن يأمر الخليفة الأموي الذي استلم بعد عمر بقتل المتهم «غضباً» له و«انتقاماً» من القاتل....

مهما يكن من شيء فإن روايات اغتيال عمر بالسم هي الأرجح بين المؤرخين. وقد ذكر أبو الفدا في ترجمة عمر من مختصره أن أكثر الناس يميلون إلى هذا الرأي. وليس لدينا في الحقيقة ما يضعف هذه الروايات غير سكوت بعض المؤرخين عنها، بينما لا نجد مؤرخاً عنى بأبطالها أو تقدم برواية أخرى تصلح للتوثيق. وسكوت بعض المؤرخين يرتفع بالطبيعة السرية للحدث وهو كما رأينا حدث غير اعتيادي تقوم به أسرة حاكمة ضد خليفتها الذي يتمتع بشأن خطير ومكانة لا تantal.

علامة استفهام

تقول بعض مصادر سيرة عمر إنه لم يتخذ عبيداً لمنزله أثناء الخلافة. لكن هذا لا يمنع أن يكون له خدام يتولون شؤونه الشخصية والمنزلية. وهناك ما يدل على أن مائدته كانت تحضر وفق الأصول وأنه كان يساهم أحياناً في ترتيبها. فهل دس السم في طعامه أو شرا به من طرف بعض الخدم؟ مر بنا أن بعض الروايات صرحت بذلك. وهو احتمال وارد من المعروف أن الخدم كانوا من الأدوات الشائعة لمثل هذه المكاييد... لكن لدينا احتمال آخر قد يتوارد إلى الذهن.

كان عمر بن عبد العزيز متزوجاً من ابنة عمه فاطمة بنت عبد الملك، وكانت حياته معها قبل الخلافة مترعة بالحب والنعيم. ولكنها أصيبت بخيبة أمل كبرى بعد استخلاف عمر. وقد أوردت المصادر عنها أموراً تدل على قهرها الشديد بحياتها في تلك المدة. ومن ذلك إفادة لها بعد وفاته تقول فيها إنه لم يفتسل من جنابة منذ تولى الخلافة حتى مات^(١). ومثل هذه الإفادات كانت مألوفة من نساء العرب في صدر الإسلام فلا يستبعد صدورها عن زوجة عمر،

(١) طبقات ابن سعد. ليدن ١٣٢٢هـ. ج ٥ / ٢٩٣ في ترجمة عمر بن عبد العزيز.

أيضاً: ابن عبد الحكم ص ٥٠.

ولو أنها قد تكو غالت في ذلك لتعبر عن مدى عزوفه عن متع الحياة بسبب انهماكه في تنفيذ سياسته الإصلاحية.

بالطبع لم يكن في مقدور أميرة مدللة ربيت في بيت امبراطورى تجبى له كنوز الدنيا أن تقبل وضعاً كالذى أراده لها خليفتها الزاهد، فطباع هؤلاء الناس هي أبعد ما تكون عن القناعة والعزوف عن الامتيازات الخرافية التي ينعمون بها . ورغم أن المصادر ذكرت أن فاطمة تابعت زوجها في البدء في التخلي عن بعض مقتنياتها النفيسة وارجاعها إلى بيت المال، فقد عادت تتدمر فيما بعد إلى الحد الذي جعلها تصرح بتلك الإفادة المثيرة عن حياتها الجنسية. وقد تحدثت الروايات في نفس الوقت عن علاقة حب جمعت بين الزوجة الساخطة وبين رجل من أبناء عموماتها بدأت في أيام عمر وانتهت بالزواج من هذا الرجل بعد وفاة الخليفة. وقد هجيت بسبب ذلك بشعر نسيه ابن عساكر^(١) إلى الأحوص وصاحب الأغاني^(٢) إلى موسى شهوات وهو شاعر من موالى قريش. وفي رواية أن عمر سمع زوجته أو جاريتها تقول: أراحنا الله منك. وقد وردت في مصدر معتمد وعن محدث قريب الزمن منه^(٣). وبالاستناد إلى هذا الوضع يتوارد احتمال أن تكون للزوجة يد في التخلص من الخليفة . وهو احتمال لا أستبعده ولا أثبتة؛ لا أستبعده لأنه طبعى جداً في هذه البيئات ومن هؤلاء الناس في ظرف كالذى وصفناه للتو. ولا أثبتة لأنى لا أملك رواية صريحة أو ضمنية تدل عليه. مهما يكن فإن مصير عمر بن عبد العزيز قد تقرر كما رجحنا في منزله وأن خطة تصفيته رسمت من طرف أسرته. وقد استعادت السياسة الأموية سيرتها الأولى على يدى يزيد بن عبد الملك تبعاً للترتيب الذى أوصى به سليمان بن عبد الملك. ولو قدر لعمر أن يستمر في الخلافة مدة أطول، وهو أمر كان في قيد الإمكان لأنه حين مات لم يكن قد بلغ الأربعين، لكان ممكناً أن يشتد ساعد المعارضة الإسلامية للخلافة الأموية لتنتهى إلى انقلاب جذرى يعيد حكم الخلفاء الراشدين. وهو ما

(١) تهذيب تاريخ دمشق ١٥ / ١٩٩

(٢) ج ٣ / ٣٥٣. في أخبار موسى شهوات.

نص الشعر:

قسريع قسريش إذا يذكُر
الا ذلك الخلف الأعسور

أبعد الأغر ابن عبد العزيز
تزوجت دارد مسخرة

(٣) تاريخ أبو زرعة الدمشقي ١ / ١٩٥. فقرة ١٢٨. دمشق ١٩٨٠.

كان الأمويون يخشونه من خلافة عمر بن عبد العزيز. وقد جسدت هذه المخاوف عبارة شديدة الوقع ينسبها ابن عبد ربه إلى مسلمة بن عبد الملك قالها بعد وفاة عمر^(١): «أما والله ما أمنت الرق حتى رأيت هذا القبر» والرق الذى يقصده مسلمة هو خروج السلطة من أيديهم وتحويلهم إلى رعايا.

وفيات مشبوهة

ذكرنا عند الكلام على اغتيال الحسن بن علي ما أورده أبو الفرج عن موت سعد بن أبي وقاص مسموماً بتدبير من معاوية. وهو خبر لم يشتهر بين المؤرخين فسجلناه على أحداث الوفيات المشبوهة. وهناك وفيات أخرى حصلت فى ظروف غامضة أو جاءت فيها روايات اغتيال غير مقطوع بها يمكن وضعها فى نفس العداد. ومنها:

وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية،

شاب تولى الخلافة بعد والده. ويتردد المؤرخون بين وصفه بالضعف ووصفه بالورع وعدم الرضا عن سياسة أبيه وجده. وقد تنازل عن الخلافة بعد أربعين يوماً أو ثلاثة أشهر واعتكف فى منزله. لكنه لم يعيش طويلاً، فقد مات فى نفس السنة وهو فى الثالثة والعشرين. وتقول بعض الروايات إنه مات بالطاعون وبعضها أنه مات مسموماً. وهو بعد أن تنازل واعتزل السياسة لم يبق من له مصلحة فى التخلص منه مالم نأخذ بروايات تقول إنه أظهر ميولاً راشدية تحت تأثير مؤدبه عمرو بن مقصوص وكان من القدرية.

وفاة مروان بن الحكم،

تولى مروان الخلافة بعد معاوية بن يزيد مسجلاً بذلك انتقال السلطة من آل أبي سفيان إلى آل. وقد توفى بعد تسعة أشهر من استخلافه. وكان قد تزوج أرملة يزيد بن معاوية وهى أم ابنه الثانى خالد الذى طالب بالخلافة بعد تنازل أخيه لكن صغر سنه لم يساعده فى تحقيق هذه الغاية. ويقال أن مروان تزوج أمه بقصد إذلاله وأنه هتتمه مرة فقال له: يا ابن الرطب! فأبلغ خالد ذلك إلى أمه ولا مها على الزواج من مروان فحميت ووعدته بالانتقام منه. وفى الليل انتهزت نوم مروان وتواطأت مع جواربها فألقين مخدة على عنقه وقعدن عليها حتى اختنق. وهذه أقرب إلى أن تكون حكاية لا رواية. على أن موت مروان قد حامت حوله بعد الشكوك

(١) العقد الفريد ط أحمد أمين - القاهرة ٤ / ٤٣٧.

رغم أنه كان قد قارب السبعين. وقد أورد اليعقوبى رواية تفيد أن أم خالد سقته سم فى لبن^(١). وهو أمر غير مستبعد فى بيئات القصور. بينما ذكرت بعض المصادر أنه مات بالطاعون وقد يكون، ولو أننا لا نملك دليلاً على حصول موجة طاعون بالشام سنة وفاته.

وفاة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز:

هذا الحادث هو أكثر الحوادث مدعاة للريبة. فقد كان عبد الملك غلاماً فى السابعة عشرة حين مات فجأة فى خلافة والده. وكان هذا الغلام أعجوبة فى وعيه الدينى والسياسى وقد وقف إلى جانب والده فى سياسته الإصلاحية المعادية لأسرته، وكان أشد تطرفاً منه وأكثر اندفاعاً فى تنفيذ الإصلاحات. وقد تبناه الخوارج لهذا السبب. وتزعم بعض مصادرهم أن والده دفعه حين مات إلى مندوبيهم الذين كانوا فى ذلك الحين يفاوضونه، ليتولوا غسله ودفنه بأنفسهم، باعتباره «صاحبهم» وكان من بين هؤلاء أبو حمزة، الذى احتل الحجاز فى وقت لاحق، أيام مروان الحمار، وهو الذى صلى على الولد صلاة الجنازة كما تقول الرواية الخارجية^(٢).

لم أجد فيما رجعت إليه من المصادر شيئاً عن هذه الوفاة المفاجئة لغلام فى السابعة عشرة، ولا ما يعين المرض الذى مات منه. فهل مات مسموماً؟ المصادر أيضاً لا تتضمن ما يشير إلى أعراض تسمم ظهرت عليه. على أن الحاجات التى طمنها رحيل هذا الغلام تلقى شيئاً من الريب على وفاته. لا شك أن الأسرة التى كانت تسعى لإنهاء خلافة الوالد قد وقفت على اتجاهات الولد فصار واضحاً لها أن بقاءه بعد والده يجعل العودة إلى سياسته من بعده أمراً ممكناً وهناك ما يدل على أن تجربة هذه الخليفة قد أثارت هلعاً لدى الأمويين من احتمال تكرارها^(*). وهو احتمال يقويه وجود مثل هذا الوريث الخطر ويؤخذ من رواية لابن الجوزى

(١) التاريخ ط. التجف ١٣٥٨ هـ. ج ٣ / ص ٤.

(٢) ١ نظر: منهج الطالبين للشقصى الرستاقى. القاهرة ١٩٧٨. ج ١ ص ٦١٨.

(*) جاء فى «نسب قريش» لمصعب الزبيرى أن هشام بن عبد الملك اتخذ طرازاً (قماش مطبوع) له قدر واستكثر منه حتى كان يحمل عل سبعة جمل، وحمله على ذلك أن عمر بن عبد العزيز لما مد يده إلى أموال بنى أمية لم يتعرض لما قطعوا من الثياب ولبسوا بل تركها لهم. فرأى هشام أن عمر أمام عدل وأن من يأتى بعده من أنمة العدل يقتدى به فجعل يتخذ المتاع الجيد ويؤثر فيه ويلبسه ثم يدخره لولده، فإذا جاء بعده خليفة واستأنف سياسة عمر فسيبقى لأولاد هشام شئ كثير نفيس لا تشمله المصادرة لأنه مستعمل. ط - القاهرة غير مؤرخة. ص ١٦٤ فقرة ٤.

أن الأمويين كانوا يتخوفون من أن يكون عبد الملك بديلاً عن يزيد في ولاية العهد^(١). وفي مثل هذه الحالة يكون من المعقول جداً أن يفكروا في تصفية الولد قبل الوالد. لأن قطع الأصل مع بقاء الفرع قد لا يحسم الداء.

من هنا يتقوى الشك في هذه الوفاة. ويمكن تفسير سكوت المؤرخين عن سبب الوفاة في ضوء الطريقة التي يمكن أن يكون قد تم بها إنهاء الغلام قبل والده. وهي هنا استخدام سم لطيف خفي الأثر لا يترك أعراضاً على المسموم. وعلى أية حال، ينبغي أن لا نستبعد ما تقدمه الطبيعة من خدمات مجانية في بعض الأحوال. فلعل الغلام قد مات في أجله الموعود كما يحدث لأقرانه ليوفر على ذويه إثمًا زائداً كان عليهم أن يثقلوا به ضمانهم. ولو أن المشكلة تبقى قائمة على أي حال لاسيما حين نعلم أن الولد لم يمت وحده، فقد لحقه عمه المسمى سهل بن عبدالعزيز وكان على نهج أخيه ومن أعوانه الأشداء على الإصلاح. ثم لحق بالاثنين مولى عمر المسمى مزاحم وهو بدوره من أئس أعوانه. ويقول ابن عبد الحكم إن عمر صار بعد موت الثلاثة يتمنى الموت ويدعو الله لأجل ذلك^(٢). وأنه لسؤال صعب أن يكون القضاء والقدر قد مالا بنى أمية إلى هذا الحد فصفي لهم أربعة خصوم كلهم شبان في أقل من سنة؟.

وفاة يزيد الناقص

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك. كان يعارض سياسة أسرته، وقد استصباها القدرية المناهضون لهذه الأسرة فانضم إلى جبهتهم ثم قاد تمرداً مسلحاً في ضاحية المزة، من ضواحي دمشق، وزحف على دمشق فاحتلها وقضى على حكم الوليد، ابن عمه، الذي اشتهر بمجونه وطغيانه. وألقى يزيد عند مبايعته باخلافة خطاباً ضمنه برنامجاً في الحكم شبيهاً ببرنامج عمر بن عبدالعزيز مما كان يشكل الأهداف المشتركة للمعارضة الإسلامية لحكم الأمويين.

مات يزيد بعد ستة أشهر من استخلافه وكان عمره أربعين. وتقول بعض الروايات أنه مات بالطاعون، وغيرها أنه مات مسموماً. وليس لدينا ما يدل على أن طاعوناً جارفاً قد ضرب الشام في ذلك الوقت. واحتمال تسميمه قوى جداً وتبرره نفس الأسباب التي أدت إلى القضاء على

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٦٤.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ١١٤.

الكل من ابن عبد الحكم وابن الجوزي كتاب عن عمر بن عبد العزيز يحمل نفس العنوان.

عمر بن عبدالعزيز. وقد أعقب وفاته استيلاء مروان الحمار على الخلافة بعد إزاحة شقيقه الضعيف إبراهيم بن الوليد. وربما كان لآخر خلفاء بني أمية، المشهور بدهائه وجبروته، يد في تصفية هذا الخليفة القصير العمر.. ولو أن يعقوبى ينقل خبراً عابراً يتهم أخاه إبراهيم بسمه.

على بن الحسين وابنه محمد الباقر،

حسب المأثور الشيعي (الاثنى عشرى) أن الأول مات مسموماً بتدبير من الوليد بن عبد الملك، والثاني بتدبير إبراهيم بن الوليد، وحسب مصادر التاريخ العام، مات الإمامان المذكوران في أجلهما الموعد دون أية شبهة وفي ظروف لا تتحمل أى شك في سبب الوفاة. ويعطى هذا المأثور الباطل دليلاً على الانطلاق المعكوس من الايديولوجيا إلى الوقائع، لأنه مبنى على اعتقاد جمهور الاثنى عشرية أن الإمام لا يموت إلا شهيداً. وهو مسلك يتميز به المؤرخون الدعاة في الغالب ويتحاشاه المؤرخون المحترفون. ولذا نجد خبر تسميم الإمامين في «بحار الأنوار» للمجلسي وهو من كتب الدعاة، ولا نجد في «تاريخ يعقوبى» وهو من مصادر التاريخ العام رغم أن مؤلفى كلا الكتابين هما من الشيعة الاثنى عشرية.

* * *

قبل أن نتقل إلى الكلام عن الاغتيالات التي قامت بها المعارضة نود التنويه بأن وسيلة الاغتيال التي استعملتها السلطة في الخلافة الأموية قد اقتضت على السم كما هو واضح من المخططات التي وصفناها. ويرجع هذا إلى أن الشخصيات التي طالتها الاغتيالات كانت لها مكانة في الأسرة الحاكمة أو في المجتمع تمنع من تصفيتهم علناً. والاغتيال بالسلاح قد يعرض الخطة للانكشاف بالقبض على القاتل. وقد وفر السم الذي كان يحضر كما قلت آنفاً بطريقة متقنة غطاءاً للمخطط ماعداً كثيراً على إخفائها، مما ساعد بدوره على البلبلة والاختلاف الذي يجده المرء وهو يجوس خلال المصادر ليتعرف على مصير أولئك الناس.

الاغتيال من جانب المعارضة

كانت المعارضة الإسلامية للأمويين تتألف من الشيعة والخوارج والقدرية وجمهور الفقهاء والمتكلمين - مثقفى ذلك الوقت. وقد سلكت المعارضة بجميع أطرافها سبيل العمل المسلح. وكان الأسلوب الغالب هو أسلوب الانتفاضات المسلحة ومن أبرزها انتفاضة الحسين في

كربلاء، والمختار في الكوفة، وزيد بن علي في الكوفة، وولده يحيى في جرجان، وابن الأشعث في العراق والمشرق والقدرية في الشام، والحارث بن سريج في خراسان.

ونظراً لطول وتشعب هذا العصر وتعدد الأحداث فيه، لامجال لحصر الاغتيالات بالشكل الذي حاولناه في الأقسام الثلاثة الأولى وستقتصر دراستنا على حوادث منتقاة، إما لأهمية نتائجها أو لخطورة عنصر التنفيذ فيها.

علي يد السلطة

اغتيال ادريس بن عبد الله،

من أحفاد الحسن بن علي. كان قد اشترك في تمرد قاده أحد أبناء عمه بالحجاز في خلافة موسى الهادي، أخ الرشيد، وهو التمرد المعروف بوقعة فخ. وبعد سحق التمرد هرب ادريس إلى مصر ومن هناك واصل سيره حتى المغرب الأقصى، حيث بدأ بتنظيم حركة ناجحة ضد العباسيين انتهت إلى إقامة أول دولة علوية في أفريقيا. وكانت حركة ادريس ثاني حركة انفصالية خطيرة ضد الخلافة العباسية بعد انفصال الأندلس بزعامه عبدالرحمن الداخل. وقد أرقّت هارون الرشيد، الذي استلم بعد أخيه الهادي، القصير المدة. لكن الرشيد ارتأى عدم أفضلية استخدام القوة العسكرية، ربما لبعد المكان، أو لاعتبار آخر فكر فيه، فلبجأ إلى المكيدة لضرب ادريس وحركته.

يتفق معظم المؤرخين على أن ادريس مات مسموماً وعلى أن الرشيد دس إليه رجلاً استغفله حتى سمّه. لكنهم يختلفون في اسم الرجل وكيفية أدائه لمهمته. وتقول رواية لأبو الفرج الأصفهاني^(١) إن هذا الرجل كان من الزيدية، وهو مذهب ادريس نفسه، وأن يحيى البرمكي رغبه وأغراه لاغتيال ادريس. واسم الرجل في هذه الرواية هو سليمان بن جرير الجزري. وهو مشابه لاسم متكلم زيدى يدعى سليمان بن جرير الرقي، والرقّة كانت من أعمال الجزيرة. ومن المستبعد أن يكون هو الفاعل لأنه كان من أعلام الزيدية المناهضين لبني العباس، كما كان من كبار متكلميهم ورأساً لشعبة منهم تسمى الجريرية. ولعل رواية أبو الفرج قد وقع في

(١) مقاتل الطالبيين. القاهرة ١٩٤٩ ص ٤٨٩ الفصل المخصص لادريس بن عبد الله.

اشتباه ناتج عن تقارب الاسمين. وقد ورد الاسم عند ابن خلدون^(١) هكذا: سليمان بن حريز ويعرف بالشماخ. فربما تصحفت حريز إلى جرير. أما الشماخ فهو اللقب الذي تتفق معظم الروايات على تلقيب الفاعل به. وهو ليس لقب سليمان الرقي. وينبغي مع هذا أن لا نستبعد أن يكون الرشيد أو كبير وزرائه قد اختار رجلاً زدياً لهذه المهمة حتى يمكنه استدراج ادريس للمكيدة. وتذكر رواية أخرى لأبو الفرج وردت أيضاً عند الطبرى^(٢) وابن خلدون أن الشماخ كان طبيباً وأظهر أنه من الشيعة.

أما كيفية تنفيذ الخطة فيستفاد من مجمل الروايات أن الرجل المذكور التحق بادريس متظاهراً أنه من أنصاره وأنه ساخط على العباسيين. ومن المحتمل جداً أن ادريس صدقه لكونه شيعياً. وقد أنس به وجعله من جملة خواصه. ثم حدث أن اشتكى ادريس وجعاً في أسنانه فأعطاه مسواكاً مسموماً ونصحه أن يستالك به عند طلوع الفجر. وهرب الرجل في نفس الليلة. وعند الفجر استيقظ ادريس وأخذ المسواك فجعل ينظف به أسنانه، ويفترض أنه كان قد بين له أن في المسواك مادة علاجية، فتسرب السم إلى جسده وقضى عليه. وقد وردت عن ابن خلدون عبارة تشكك في هذه الرواية. ولعل ذلك لأنه استصعب أن يكون المسواك المسموم سبباً في الموت، فمثل هذه الحالات من التسمم كانت ميسورة العلاج بالمضادات الترياقية آنذاك. وقد جاء في رواية أخرى لأبو الفرج أن الشماخ قدم إليه سمكة مشوبة مسمومة. وهو ما يرد أيضاً عن ابن حبيب الذي يسبق أبو الفرج بنحو القرن^(٣). وفي رواية غيرها لأبو الفرج أنه قدم إليه عطراً مسموماً فقتله بعد أن شمه وتعطر به. وقد تكون هذه الوسائل أفتك من المسواك.

مهما يكن الخلاف حول كيفية التسميم فقد مات ادريس وكافاً الرشيد مغتاله بتعيينه موظفاً كبيراً في مصر. وكانت لإدريس جارية حامل منه فانتظرها أعوانه حتى ولدت ولداً سموه ادريس وتعهدوه ليكون وريثاً لوالده. واستمروا في هذه الأثناء يدبرون شؤون الدولة حتى

(١) التاريخ ١٣/٤ الفصل الخاص بالادارة.

(٢) التاريخ حوادث ١٦٩ - أخبار الحسين بن علي صاحب فخ. اغتيل ادريس سنة ١٧٥ لكن الطبرى ساق قصته استطراداً من قصة التمرد الذي شارك فيه.

(٣) انظر. «أسماء المقتالين من الأشراف» سلسلة: نواذر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون القاهرة ١٩٥٤، ص ١٩٨.

بلغ الوريث سن الرشد. وقد استطاعوا بذلك صيانة دولة الأدارسة من السقوط فلم يتحقق للرشيد الهدف الذي كان يتوخاه من اغتيال مؤسسها.

تصفية الوزير ثم ولي العهد،

بعد أن انفرد المأمون بالخلافة بمقتل أخيه الأمين، وكان مقيماً حينذاك في خراسان، استدعى علي الرضا بن موسى الكاظم، وهو الإمام الثامن في سلسلة الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وقرر تعيينه ولياً للعهد، في حركة دراماتيكية أراد أن ينقل بها الخلافة من بني العباس إلى آل البيت. وقد تم ذلك خلافاً لرغبة الإمام الشيعي الذي قبل الخطة، مكرهاً، رغم أنه كان من المطالبين بالخلافة. ولعل السبب هو عدم تيقنه من قدرة المأمون على فرض خطته على أسرته العباسية ذات النفوذ القوي، أو عدم اطمئنانه إلى جدية الخطة. وقد سبب هذا الإجراء تمرداً في بغداد قاده عم المأمون إبراهيم بن المهدي، وتم فيه خلع المأمون ومبايعة إبراهيم بالخلافة. وكانت أخبار التمرد تصل إلى وزيره الفضل بن سهل فيكنمها عنه، وكأنه كان يتوق إلى معالجة الأوضاع بنفسه قبل أن يتبها إليها المأمون، لأن الوزير كان من أهداف المتمردين وأحد الأسباب التي دعتهم إلى العصيان. لكن الأمور تفاقم وتخرجت من يد الوزير فاضطر علي الرضا إلى مكاشفة الخليفة بتفاصيل ما يجري في بغداد ويُن له أن العباسيين وأنصارهم في بغداد قد خرجوا على طاعته بسبب ولاية العهد وأن الفضل يستر عنه الأخبار ويتصرف باسمه في أمور سببت المزيد من القلاقل وعرضت سلطته للخطر. وكان علي ملتزماً بعدم غش المأمون، جرياً على أخلاقيات متوارثة لدى أئمة أهل البيت. قرر المأمون على الأثر أن يتوجه إلى بغداد لتدارك الأوضاع. وفي مدينة سرخس كان الفضل بن سهل، الذي رافق الخليفة في عودته، يغتسل في حمام فشده عليه جماعة وتناولوه بسيوفهم فأردوه قتيلاً. وكان المهاجمون من حشم المأمون، فأمر بالبحث عنهم وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار، فلما مثلوا أمامه قالوا: «أنت أمرتنا بقتله». فأمر بإعدامهم وبعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهل، شقيق الفضل، وكان معتمد المأمون في واسط^(١). وقد ورد قتل الفضل في الحمام في مصادر أخرى لم ينص بعضها على تورط المأمون. فابن العماد يقول إن الاغتيال كان بإيعاز من خال

(١) الطبري: حوادث ٢٠٢ هـ.

— ابن الأثير، حوادث نفس السنة.

المأمون^(١). بينما أوردتها اليعقوبى بعبارات لا يفهم منها إن كان القتل من المأمون أو تصرفاً كيفياً من القتلة^(٢). ورواها الخطيب البغدادي^(٣)، بطريقة لا تُشعر بعلاقة المأمون بها. بينما صرح ابن حبيب^(٤) أن المأمون دس غالب الرومي، وهو مولاة، فقتله في الحمام وأنه قبض عليه فقتله وقتل معه أربعة آخرين من الحشم.

لسنا بحاجة إلى مجازاة المؤرخين الذين يتخرجون أحياناً من توريط الخلفاء في المكاييد، فقد كان المأمون في أمس الحاجة لإنهاء الفضل بن سهل الذي كان أحد أخطر عقبتين في طريق تسوية الفتنة ببغداد. وصراخ القتلة حين قدموا للاعدام لابس فيه، فالمأمون هو الذي أمر بقتل وزيره، وحتى لو لم يصرخوا لكان علينا أن نفهم سرا لاغتيال: فالفضل يجب أن يذهب ثمناً لعرش الخليفة. وقد يتساءل القارئ: أما كان بمقدور الخليفة أن يقتل الفضل علناً وهو شئ مألوف عند الخلفاء بعد الراشدين؟ أو يعزله على الأقل؟ وأجيب أن الفضل مكان له أعوان مستعدون للتمرد لو قتل صاحبهم بأمر الخليفة، وأن له كذلك أخاً متنفذاً لم يكن ليُسكت لو حدث هذا لأخيه. أما عزله فقد كان محتملاً أن يدفعه إلى القيام بنشاط مناوئ مستفيداً من كثرة أعوانه وإخلاطهم له. وقد جاء الاغتيال حلاً لهذه الاحتمالات الممكنة حينئذ. ومما له دلالة هامة هنا أن يبعث المأمون برؤوس القتلة إلى الحسن شقيق الفضل مشفوعة بكتاب يرثى فيه المغدور ويكيه ويخبر الشقيق أنه قد صيره مكان شقيقه... سياسى بارع من طراز معاوية ورجل دولة دقيق الحساب.

بعد قتل الفضل في سرخس، واصل المأمون سيره إلى بغداد فنزل في طريقه بمدينة طوس ليقيم أياماً عند ضريح والده الرشيد. وهناك مات ولي العهد فجأة.. وميتة هذا الرجل محيرة؛ فالكثير من المصادر المعتمدة لا تنص على سبب قاطع يفيد الاغتيال لكنها أفادت أنه أكل عنباً فأكثر منه فمات، وكان فيما يقال مشغولاً بأكل العنب^(٥)، والإكثار من أكل العنب لا يميت

(١) انظر شذرات الذهب حوادث سنة ٢٠٢هـ.

(٢) التاريخ، ١٨٠/٣ ط النجف ١٣٥٨هـ حوادث ٢٠٢. نص العبارات: لما صار المأمون بقومس قتل الفضل بن سهل في الحمام دخل عليه غالب الرومي وسراجه الخادم فقتلها المأمون وقتل قوماً معها.

(٣) تاريخ بغداد. القاهرة ٩٣١م، ٣٤٣/١٢ الترجمة ٦٧٨٤.

(٤) مصدر سابق. ص ١٩٨.

(٥) الطبرى - التاريخ، ابن كثير - البداية والنهاية، حوادث ٢٠٣هـ. ابن خلدون ٢٥٠/٣ ابن خلكان الترجمة ٣٩٦ المسعودى ج ٢٨/٤ من ط - محى الدين عبد الحميد الخامسة، القاهرة ١٩٧٣ (باب ذكر أيام المأمون).

وإنما قد يحدث ارتباكات هضمية في أسوأ الأحوال. تنص روايات أخرى على أن العنب كان مسموماً، وهي القناعة التي يبدو أن أبو الفرج قد توصل إليها. وقد أورد في ذلك روايتين تقول إحداهما إن المأمون أمر أحد أعوانه المسمى عبد الله بن بشير أن يطول أظفاره ثم أخرج إليه شيئاً يشبه التمر الهندي وقال له افركه واعجنه بيديك جميعاً، ففعل. ثم دخل على الرضا وكان قد اعتل فسأله عن حاله ثم قال له: هل جاءك أحد من المترفين اليوم (يقصد الممرضين والمعتين بالمرض) فقال له: لا. فغضب المأمون وصاح على غلمانه. ثم قال له: خذ ماء الرمان اليوم فإنه لا يستغنى عنه. ودعا برمان فأعطاه عبد الله بن بشير وقال له: اعصر ماءه بيديك. ففعل وسقاه الرضا بيده فشرب، ومات بعد يومين وفي الرواية الأخرى يرد ذكر العنب وأن الرضا كان مولعاً بأكله فأخذ له عنب وغرست الابر في أقماعه. وتركت أياماً ثم قدم له فأكل منه، وكان مريضاً، فقتله وتضيف هذه الرواية أن ذلك كان من لطيف السموم^(١).

وفي الروايتين ما يدعو إلى عدم الثقة بهما، ففي الأولى يجرى التسميم بحضور الخليفة حيث يعصر أحد الأعوان رماناً بيده بعد أن طول أظفاره وأشبعها سمّاً. ومثل هذه الطريقة في تحضير الأشربة والأطعمة غير مألوفة في دور الأباطرة التي يعد كل شيء فيها سلفاً ويقدمه خدام متخصصون في أواني وكؤوس مخصصة وبطريقة مخصصة أيضاً. وسيكون من الشذوذ المثير للشك أن يعصر الرمان بحضور الخليفة وولي عهده. أما في الرواية الثانية فإن ترك العنب أياماً وفيها لابر لا بد أن يفسده، وكان الرضا - مثل سائر أهل بيته - متحرياً للنظافة وله معرفة جيدة بالطب، فهو لا يستسيغ أكل طعام فيه علامة فساد، مع إمكانية توفر أفضل الأصناف له. وقد أشار اليعقوبي^(٢) إلى مسألة التسميم بالرمان دون أن يجزم بصحتها. بينما ذكر ابن العماد أنه مات بالحمى أو بالسم^(٣). وال ترجيح الأول يعزز ماورد في بعض الروايات من أنه كان عليلاً قبل أن يدس إليه السم.

واستعرض المحقق الشيعي محسن الأمين قضية موت الرضا فجزم بأنه مات مسموماً، لكنه أورد عن علماء شيعة كبار شكهم في ذلك. وقد لاحظ أن الكليني لم يتطرق إلى اغتياله، والكليني من أقدم مؤرخي الشيعة. ونقل الأمين كذلك عن «كشف الغمة» أن السيد رضى

(١) مقاتل الطالبين. ص ٥٦٦ - ٥٦٧ الفصل المخصص لعلى بن موسى.

(٢) التاريخ ١٨٠/٣ - ١٨١ حوادث ٢٠٣هـ.

(٣) مصدر سابق حوادث ٢٠٢هـ.

الدين على بن طاووس - من مراجع الشيعة في القرن السابع كان لا يوافق عل أن المأمون سم الرضا ولا يعتقده. وكان كثير المطالعة والتنقيب والتفتيش عن مثل ذلك. وعزز ابن طاووس قناعته بما كان يظهر من المأمون من الخنوع على الرضا والميل إليه واختياره له دون أهله وأولاده^(١).

وقد استبعد ابن الأثير رواية العنب المسموم^(٢). ورأى ابن الأثير جدير بالاعتبار لأنه مؤرخ رصين وقلماً يتحيز فيما لا يتعلق بمعاصريه.

وترددت أصداء اغتيال الرضا في الشعر، في قصيدة باكية لدعبل الخزاعي وهو معاصر للرضا عبر عن حيرته بشأن الموت المفاجئ لإمامه ولو أنه مال فيما بعد إلى تأكيد الاغتيال حين صب غضبه ولعناته على بني العباس:

شككت فما أدري أمسقى بشربة؟	فابكيك أم ريب الردى فيهنون
وايهما ما قلت إن قلت شربة	وان قلت موت انه لقمين
ايا عجباً منهم يسمونك الرضا	وتلقاك منهم كلحة وغضون

لكن أبو فراس الحمداني جزم بالاغتيال إذا قال في قصيدته التي هاجم فيها العباسيين ودافع عن آل البيت:

«باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته».

وأبو فراس من أبناء القرن الرابع. ولعله يردد هنا ماشاع بين الناس، لاسيما الشيعة. يستبين من مجمل ما استعرضناه أن تسميم الرضا غير متفق عليه. لكن ميتة مفاجئة كهذه وفي وقت كان المأمون محتاجاً إليها لابد أن تثير شكوكاً جدية. وأنا أميل، دون أن أستبق، إلى وجود خطة اغتيال، لاسيما وأننا نملك دليلاً على إصابة الرضا بمرض قاتل سوى الحمى التي لم يذكر لها المؤرخون مضاعفات أو أعراضاً خطيرة. فضلاً عن أنه حين مات كان بين الرابعة والأربعين والخمسين، تبعاً لاختلاف الأقوال في عمره، وفي مثل هذا السن لا يموت الإنسان إلا بعلّة واضحة. وكان المأمون قد كتب فور وفاته إلى العباسيين الغاضبين في بغداد يخبرهم

(١) أعيان الشيعة (٢/٣٠) ترجمة على بن موسى الرضا ط - بيروت ١٩٨٣.

(٢) الكامل في التاريخ. حوادث سنة ٢٠٣.

(يشرهم؟) بأن الرجل قد مات وأنه عاد إلى لبس السواد شعار العباسيين الذي كان قد خلعه ولبس الخضر شعار العلويين. وانتهت بذلك قصة ولاية العهد التي فجرت الأزمة.. أترى المأمون كان على موعد مع القدر المسارع له في هواه يجتاز مدينة طوس متوجهاً لإخماد الفتنة في بغداد؟.

مقتل المتوكل؛

قتل المتوكل بتدبير من ابنه المنتصر وحاشيته التركية. ولم تتضمن الخطة أية تعقيدات فقد باغته المسلحون وهم أنفسهم من أفراد القصر في حجرة وخطوه بسيفهم جهاراً ودون أية تكتيكات. وقد وضعنا الحدث على ملاك الاغتيال لأنه دبر في غفلة من المغرور ونفذ بالمباغته. وتعكس طريقة قتله روح التهور غير المحسوب لدى المتغلين الأتراك. وكان واضحاً أن الابن يقف وراء المؤامرة، وهو ماجرهر به البحتري في مرثيته لولي نعمته.

أكان ولي العهد أضمر غدره ؟ فمن عجب أن ولي العهد غادره

والسبب الذي حمل الابن على الغدر بالأب أنه قدم عليه في ولاية العهد أخاه الأصغر. لكن ثمة ما هو أبعد من هذا السبب. فمقتل المتوكل ترتب عليه فقدان الخلافة العباسية سلطتها لحساب المتغلين الأتراك، ومارافق ذلك من تفكك وحدة الدولة الإسلامية وظهور دويلات الطوائف. ومثل هذه التحولات الكبرى لا تنشأ من مجرد نزاع بين خليفة وابنه. وفي تقديرى أن المتغلين الأتراك بعد أن اشتد بأسهم في عهد المتوكل أخذوا يتأهبون للانقضاض على الخلافة وانتزاع السلطة الفعلية منها. وكان المتوكل قوياً مهيوباً، والدولة في عهده لا تزال محتفظة بوحدتها وتكاملها المركزي. فلم يكن ميسوراً لأحد أن يتناول على سلطته، فدبروا خطة لاغتياله. وقد انتهزوا تأخير الابن الأكبر في عقد الولاية فاتخذوا منه أداة لتنفيذ المكيدة. وكان شاباً غراً ضعيفاً فانساق معهم. ولما قتل المتوكل استخلف الابن بقوة الحاشية التركية خلافاً لعقد الولاء. وبهذا تمت للأتراك السيطرة على الخلافة العباسية بإزاحة آخر الخلفاء الأقوياء.

على يد المعارضة

اتسعت حركة المعارضة في الخلافة العباسية مع تفاقم وتعقد الأزمات الاجتماعية في عموماً المجتمع الإسلامي وحصلت في أثناء ذلك تبدلات في مواقع وفصائل الفرق المعارضة. فقد

استمر الخوارج من خلال تشعباتهم المعروفة وأسلوبهم المعتاد (حرب العصابات) لغاية النصف الثاني من القرن الثالث قبل أن يبدأوا أنحساراً في الرقعة التي كانت تشملها نشاطاتهم ليتمركزوا في مواقع نفوذ حصلت في أيديهم نتيجة انتفاضات مسلحة تجاوزوا بها أسلوبهم القتالي السابق. أما القدرية فقد تطوروا حينئذ إلى المعتزلة وحافظوا على نهجهم المعارض إلى عهد المأمون الذي تحالف معهم وجعل مذهبهم رسمياً للدولة. وقد اشترك المعتزلة في أوائل العصر العباسي في حركة مذهبهم رسمياً للدولة. وقد اشترك المعتزلة في أوائل العصر العباسي في حركة مسلحة كبرى قادها إبراهيم بن عبد الله الحسني في البصرة وكادت تقضي على الخلافة العباسية لحساب المعارضة الإسلامية. لكنها فشلت. ولم يظهر للمعتزلة نشاط سياسي هام بعد هذه الحركة. وبقي الفقهاء في معارضتهم للخلافة غير الراشدية التي أصبحت الآن من نصيب العباسيين وشارك بعضهم في حركتي إبراهيم وأخيه محمد - الذي استولى على المدينة في عهد المنصور. لكن معارضتهم أخذت في التراجع بعد هاتين الحركتين لاسيما في ساحة العمل المسلح، لتنتهي إلى وئام مع السلطة الإسلامية تبلور في غضون القرن الرابع. ومن الشيعة ظهرت الزيدية بنشاط مسلح استهله الشقيقان إبراهيم ومحمد ضد المنصور. وتواصل متراوحي بين الشدة والخفوت حتى انطفأت جذوته نهائياً بوصل الزيدية إلى السلطة في اليمن. وفي النصف الثاني من القرن الثاني بدأت الاسماعيلية الباطنية نشاطها السري الذي تطور إلى حركة كاسحة غطت العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه وكانت وسيلتها الضاربة في مرحلة الظهور هي العمل المسلح.

إلى جانب الفرق، ظهرت حركات مسلحة أخذت شكل الانتفاضات في أماكن معينة وعلى يد قيادات غير مرتبطة بتنظيم فرق كان من أعظمها شأناً انتفاضة البشمور في شمال مصر والزنج في جنوب العراق والبابكية (الخرمية) في أذربيجان.

من بين الحركات والفصائل المسلحة، واصل الخوارج أسلوب الاغتيال ولكن في نطاق ضيق. والعملية الهامة التي قاموا بها في هذا المرحلة هي اغتيال القائد البارز المحضرم معن بن زائدة. وسنصفه بعد قليل. بيد أن الاسماعيلية ملأت الشاغر الذي تركه الخوارج. وكانت هذه الفرقة قد لجأت كما قلنا إلى استراتيجية العمل المسلح في مرحلة الظهور. وقد تجلّى ذلك أول الأمر في انتفاضات كبرى هي التي تمخضت عن الخلافة الفاطمية والكيانات القرمطية في العراق واليمن وشرقي جزيرة العرب. وفي غضون القرن الخامس شرعت في استخدام

أسلوب الاغتيال. ويأتى لجوء الاسماعيلية إلى هذا الأسلوب فى ترتيب مناقض لنظيره عند الخوارج، الذين استخدموه فى البدء ضمن استراتيجيتهم العامة فى «حرب العصابات» ثم تخلوا عنه لصالح الانتفاضات فى مواقع نفوذهم. أما الاسماعيلية فقد بدأت بالانتفاضات وانشاء مواقع النفوذ ثم الكيانات وانتهت إلى الاغتيال. يقرن هذا التحول عند الاسماعيلية بمقدمات دخولها مرحلة الأفول متمثلة فى انحسار الخلافة الفاطمية فى مصر وشروعها فى التدهور، وانكماش الحركة القرمطية فى شرقى الجزيرة ثم زوالها فى أواخر القرن الرابع بعد أن صفت تماماً فى العراق والشام. ولذلك لم تعط الاغتيالات مردوداً استراتيجياً للفرقة، وإنما حققت لها مكاسب موضعية.. ويستدل من تحليل لابن أبى الحديد على أن الاسماعيلية سلكت هذا السبيل بدافع شرعى. ولأهمية هذا التحليل نورد بنصه (١).

«... إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أصحابنا (المعتزلة) أصل عظيم من أصول الدين. وإلى تذهب الخوارج الذين خرجوا على السلطان متمسكين بالدين وشعار الاسلام مجتهدين فى العبادة لأنهم إنما خرجوا لما غلب على ظنونهم، أو علموا، من جور الولاة وظلمهم أن أحكام الشريعة قد غيرت وحكم بما لم يحكم به الله. وعلى هذا الأصل تبنى الاسماعيلية من الشيعة قتل ولاة الجور غيلة».

إن لقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نطاقات مختلفة: فردية وجماعية، كما ورد هذا التحليل فى سياق شرح لكلمة فى نهج البلاغة عن مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أن فيها ما يتعلق بالسلطة وما يختص بعامة الناس. وتحليل ابن أبى الحديد هنا منصب على نطاقها السياسى حيث يتعين على المسلم أن يقاوم السلطة الجائرة بالوسائل المتاحة له، حسب شروطها وظروفها، ومن ذلك استعمال السلاح سواء كان هذا السلاح فى حرب مكشوفة ضد السلطة أم أعمال قتل منفردة. وقتل الحاكم الجائر مبدأ اسلامى قديم، متأثر بنزعة التمرد اللقاحية عند العرب الجاهليين. وقد أشرنا فى القسم الأولى إلى أن الاسلام لم يحرم الاغتيال السياسى وإنما حرم الاغتيال الشخصى.

على أن التعليل الشرعى للاغتيال لا ينفى دلالة الاستراتيجية بوصفه نتاجاً لحالة الانحسار

(١) شرح نهج البلاغة ٤/ ٤١٣.

التي أصيبت بها الحركة. وهو من هذه الجهة تعويض عن فشل الثورة. ولو أنه كان عند الاسماعيلية تعويضاً باهظ الثمن للمعسكر المعادي. وقد ساعد في بعض حالاته على انتقال سلطة أو انهيار كيان كما أعطى الاسماعيلية وهي في أوان تراجعها هيبة في عيون أعدائها جعلت لها حضوراً مؤثراً في الأحداث.

ربطت بعض المصادر بعض الاغتيالات التي قام بها الاسماعيلية بالصراع على السلطة بين أمراء الحرب الأتراك، بحيث ظهرت في بعض الأحيان كما لو أنها كانت أعمالاً مأجورة. لكن الأحداث التي فسرت على هذا النحو، كانت في الواقع قد تحدثت سلفاً بحلف سري بين بعض الأمراء والاسماعيلية ضمن هؤلاء بموجبه عدم التعرض لأعضاء الحركة مع تقديم تسهيلات تساعد على مواصلة التنظيم والدعوة^(١). هي من هذا أقرب إلى تكتيك الاستفادة من تناقضات الأعداء منها إلى مفهوم الارتزاق، الذي لا ينسجم مع المبادئ التي تعمل المجموعات الفدائية بموجبها. ومن الجدير بالملاحظة، أن الفدائيين الاسماعيليين كانوا يعملون تبعاً لتوجيهات من مركز قيادتهم وكانت المبادرات الفردية في هذا المضمار شبه معدومة.

نأتي الآن إلى وصف بعض العمليات التي نفذتها المعارضة في هذا العصر..

اغتيال معن ابن زائدة؛

كان معن من قواد الأمويين في أواخرهم ثم انضم العباسيين في خلافة المنصور. وكان إرهابياً سفاكاً، عينه المنصور والياً على اليمن وكانت قد وقعت فيها قلاقل فقمعها بوحشية وأباد الكثير من أهلها. ثم أرسله المنصور إلى سجستان فأساء السيرة فيه. وهناك عزم الخوارج على تصفيته. وكان للخوارج حضور قوي في تلك النواحي. وقد وصف ابن الأثير وابن خلكان كيفية ذلك فرويا أن المجموعة الفدائية التي تكلفت بالعمل تكثرت في زى عمال بناء. وكان معن يبنى منشآت في منزله فدخل هؤلاء مع العمال. ويفهم من الرواية أنهم أخذوا يأتون يومياً إلى المنزل ويخرجون منه عند انتهاء ساعات العمل. وهم في أثناء ذلك ينتظرون

(١) ذكر ابن الأثير أسماء أمراء تراطأوا مع الباطنية أو قدموا لهم التسهيلات لنشر دعوتهم. ومن هؤلاء مجد الملك الباسلاني قال ابن الأثير أنه كان من قواد الدولة السلجوقية يتشيع كثير الصدقة على العلويين إلا أنه كان يذكر الصحابة ذكراً حسناً ويلعن من يسبهم. وقد قتله أولاد أمير آخر قتله الباطنية لأنهم اتهموه بالتواطؤ معهم على قتله. كما أثر الباطنية في سورية على حفيد لالب أرسلان كان يستولى على حلب فاستعان بهم في كثير من أمورهم وفي عهده كثروا بحلب..

الفرصة للتمكن منه. فلما بلغوا التسقيف جلبوا أسيافهم وأخفوها في القصب المعد لهذا الغرض. وسنحت الفرصة عندما استدعى معن حجاجاً واختلى معه في حجرة ليحجم له. فأخرج الخوارج سيوفهم من مخابنها وداهموه في حجرته ففتكوا به. وقد شق أحدهم بطنه بخنجر للاشتفاء منه كما يبدو، وهتف آخر وهو يخطه بالسيف: «أنا الغلام الطاقى» نسبة إلى قرية في سجستان تسمى الطاق^(١).

إن قتل معن يأتى على سبيل التأديب والزجر لغيره من الولاة الذين عرفوا بالتعطش إلى الدماء. لكنه لم يترك أثراً رادعاً. فقد أخذ ابن أخيه يزيد بن مزيد مهمة عمه وأربى عليه في القتل والتشكيل في منطقة ولايته. وكان قد قبض على قتلة معن فقتلهم وقتل معهم عدداً كبيراً من الخوارج.

اغتيالات باطنية.

قتل المقتدر بالله العباسي:

عاصر المقتدر نهوض الدعوة الاسماعيلية وتوطد كل من دولتها في المغرب والحكم القرمطى في شبه جزيرة العرب وكانت الحملات توجه ضد القرامطة باسمه أو من قبله رأساً. ولأبو طاهر القرمطى رسالة جوابية إلى المقتدر رداً على رسالة تهديد كتبها إليه يدل محتواها ولغتها على مدى العداء المستحكم بين الطرفين.

اغتيال المقتدر سنة ٣٢٠ حين كان يحارب مؤنس الخادم، المتمرد عليه. أما كيفية اغتياله فيقول ابن الأثير^(٢) إن جماعة من المغاربة والبربر لقوه في ظاهر بغداد حين انهزم فشهرهوا عليه سيوفهم فقال: ويحكم أنا الخليفة. قالوا قد عرفناك ياسفله أنت خليفة إبليس تبذل في كل رأس خمسة دنانير وفي كل أسير عشرة دنانير (يشيرون إلى المكافآت التي كان يعطيها لمرتزقه عن كل قتيل أو أسير يأسرونه). ثم ضربه أحدهم بسيفه على عاتقه فطاح على الأرض وجلس آخرون على صدره وذبحوه ورفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه. ويخبرنا ابن الأبار^(٣) أن عبيد الله المهدي مؤسس الخلافة الفاطمية في المغرب ادعى المسؤولية عن تصفية المقتدر وأقام مجلساً للتهنئة بنجاح خطة الاغتيال. وقد نقل ابن الأبار عن الصولى أن الذى

(١) الكامل حوادث سنة ١٥١، وفيات الأعيان الترجمة ٧٠٣.

(٢) الكامل حوادث سنة ١٥١، وفيات الأعيان الترجمة ٧٠٣.

(٣) التكملة ١٨٩/١.

قتل المقتدر رجل يسمى عليون الصنهاجي وأنه رماه بحربة في صدره فخرجت من ظهره وقد يكون عليون هذا أحد أفراد المجموعة التي هاجمت المقتدر بحسب رواية ابن الأثير وفي كلتا الروايتين فالقاتل من المغرب، مما يعزز إدعاء المهدي الفاطمي.

إن اغتيال المقتدر هو من أوائل العمليات الكبيرة التي نفذتها الاسماعيلية . لكنه حدث حين كانت الحركة في أوج قوتها وانتصاراتها فكان لذلك حدثاً منفرداً لا يندرج في سياق موجة الاغتيالات التي سيشهدها القرن التالي. أما مردوده فكان ضئيلاً إذا لم يترك أثراً كبيراً على العدو الذي كان المقتدر رمزاً واحداً من رموزه العديدة ولم يكن شغور مكانه ليسبب ارتباكاً أو قصوراً في مركز السلطة ، لاسيما وأن السلطة الفعلية كانت حينذاك بأيدي أمراء الحرب الأتراك المتسلطين على الخلافة. أما ابتهاج عبيد الله المهدي به فهو من باب استعراض القوة وإظهار قدرة الحركة على توجيه الضربات الموجعة للعدو في الوقت والمكان الذي يختاره. اغتيال أمير حرب تركي،

تم ذلك عام ٤٤٠ أي بعد من قرن على اغتيال المقتدر. وكان الهدف هو حاكم همدان الأمير آق سنقر. وكان هذا الشخص كما يصفه ابن الأثير كثير الغزو للاسماعيلية والقتل فيهم والنهب لأموالهم والتخريب لبلادهم. وقد جرى قتله في كمين نصب له وهو في طريقه لزيارة أحد رجال الدين جرياً على عادة أمراء الحرب الأتراك في توقيف هذه الفئة والعناية بشؤونها.

ظهر التعذيب أيضاً في معاقبة الهارين من الجيش منذ الفتوحات الأولى. وكانت العقوبة أيام الراشدين هي التعزى (*) وتتم بإقامة الهارب حاسراً في مكان عام للتشهير به . وقد أضاف مصعب بن الزبير، في العراق، إلى نزع العمامة حلق الرأس واللحية. وفي ولاية بشر بن مروان - شقيق عبد الملك - للعراق فرض التعذيب الجسدي فكان الهارب يرفع عن القاع ويسمر في يديه مسماران في حائط - على طريقة صلب المسيح - ويترك لشأنه، فربما بقي معلقاً حتى يموت وربما خرق المسمار كفه فسلم (١).

(*) التعزى عقوبة معنوية تكون عادة بجلدات محدودة العدد.

(١) ابن الأثير «الكامل في التاريخ» في أخبار الحجاج وقد ورد فيه لمجنّد عاشق كتب إلى حبيته:

لولا مخافة بشر أو عقوبته	وأن ينوط لفي كفى مسمار
إذن لعطلت ثغري ثم زرتكم	إن الحب لمن يهــــــــــــــــــواء زوار.

عطلت ثغري: كناية عن الهرب من جبهة القتال. والثغور هي خطوط التماس مع دار الحرب وكانت بمثابة الحدود الرسمية للدولة الإسلامية.

إن مصدر العذيب فى الحالات الموصوفة آنفاً هو الدولة، وضحاياهم عامة الناس. وهو أمر مفهوم مادام القادر على التعذيب هو المالك لأجهزة الدولة. ولدينا مع ذلك استثناء هام كان فيه ضحايا التعذيب هم الحكام أنفسهم جرى ذلك فى أوان التغلب الذى فرضه العسكريون الأتراك على الخلفاء العباسيين بعد المتوكل، وقد ظهرت حينذاك طريقة سمل العيون لإرغام الخليفة غير المرغوب فيه على التنازل. ويهدف السمل إلى حرمان الخليفة من أحد شروط الاستخلاف وهو سلامة الجسد حيث يصبح بعد أن يفقد إحدى عينيه أو كليتهما فى حكم المنخلع. وكان ذلك يتم فى هجوم مباغت يديره المتغلب ضد الخليفة يقوم المهاجمون خلاله بسمل عينيه أو إحداهما. وقد يكون التدبير خفياً بحيث من عناصر غير منضبطة، أو مباشراً بحكم السلطة الفعلية التى يتمتع بها المتغلب. وفى كلتا الحالتين يسقط اسم الخلافة عن الخليفة القائم ويستبدل به غيره. وكان السبب فى ذلك عدم قدرة المتغلبين على خلع الخليفة دون مبرر شرعى لأنه قد يشير مقاومة الخليفة ويظهرهم للناس مستهترين أكثر مما ينبغى.

فنون التعذيب وأبطاله.

فى بداية الدعوة الإسلامية بمكة وجد تجار قريش حاجة لإرهاب عبيدهم ومواليهم الذين أسلموا فعذبوهم ليرجعوا عن الإسلام. وكانت وسيلةهم فى ذلك هى التشميس الذى يعتمد على شمس الجزيرة الحارقة. فكانوا يكتفون الضحية ويلقونه فى الشمس بعد إلباسه أذراع الحديد أو وضع جندلة على ظهره أو صدره ويترك على هذا الحال ساعات غير محدودة قد تستمر مادامت شمس النهار فى عنفوانها. وظهر التشميس أيضاً فى صدر الإسلام لتعذيب الممتنعين عن دفع الخراج وفى بعض الحالات كان يدهن جسد الضحية قبل تشميسها بدهن الحيوان فيحدث أن تظهر به ديدان ترعى جسد الضحية فيعانى من ذلك آلاماً شديدة حتى يموت.

إن التشميس هو أقدم وسائل التعذيب وهو وسيلة مشتركة بين الجاهلية والإسلام. ونبدأ الآن بعرض مفصل للوسائل التى ظهرت فى الإسلام.

حمل الرؤوس المقطوعة،

و تدخل فى باب المثلة بالميت. وقد بدأها الأمويون فى زمان معاوية. ويقال إن أول رأس

حمل في الاسلام هو رأس عمرو بن الحمق، أحد أتباع علي بن أبي طالب، وقد قتله زياد بن أبيه. ومن الحوادث المشهورة في هذا الباب حمل رؤوس الحسين وأصحابه بعد معركة كربلاء. وقد ثبتت الرؤوس على الرماح وسير به من كربلاء إلى الكوفة حيث قدمت لحاكمها عبيد الله بن زياد. ثم استأنفوا السير بها إلى دمشق لتقديمها إلى الخليفة الأموي. ولم تتكرر هذه المثلة بكثرة أيام العباسيين، إلا أنها انتشرت في الأندلس أيام ملوك الطوائف، ومن المبرزين فيها المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية الذي أقام في قصره حديقة لزراع الرؤوس المقطوعة. وكان المعتمد شاعراً.

الضرب والجلد:

باليد أو السوط أو الهراوة أو المقرعة. وهو الشكل المعتاد في تعذيب الاعتراف كما استعمل في التأديب والانتقام السياسي. والضرب باليد غالباً ما يكون صفعاً على القفا والوجنتين ولم يكن الغرض منه الإيلام بقدر الإهانة. ويضرب بالهراوة على الكتفين والظهر والأرداف. أما المقرعة فللرأس وهي أشد إيلاماً من اليد والهراوة. ويمكن اعتبار المقرعة تطوراً للدرة، وهي عصا خفيفة كان عمر بن الخطاب يحملها في تطوافه بالأسواق والدروب ويقرع بهان المخالفين لتعليماته. وقد استبدل بها عثمان السوط، أو العصا بحسب الروايات، وكان ذلك من أسباب النقمة عليه.

أما الضرب بالسوط فهو الجلد، ينفذ في المضروب واقفاً أو مبطوحاً، وقد يقنطر ويضرب، هو ما اختاره والي المدينة جلد مالك بن أنس مؤسس المذهب المالكي. وكان قد أفتى، كما في رواية لابن عبد البر في «الاستقراء» بعد شرعية البيعة للمنصور لأنها أخذت بالإكراه، فأمر الوالي بتأديبه، وتم ذلك برفعه من يديه ورجليه بعد أن قلبوه على وجهه وأخذوا بجلده على الظهر. وليس للأسواط مقدار معلوم إلا في العقوبات الشرعية التي تضمنت حداً أعلى هو مئة جلدة لجريمة الزنا. لكن التحديد الشرعي لم يعمل به. وكان المقدار يتحدد تبعاً لرغبة الأمر وربما استمر حتى الموت كما حدث لبشار بن برد الذي جلد بأمر المهدي بعد أن هجاه. وغالباً ما يتم الجلد دفعة واحدة ولكن يحدث أن يقسط على دفعات، ومن أمثلته جلد أبو حنيفة، مؤسس المذهب الحنفي، مئة سوط بأمر حاكم العراق الأموي - عمر بن هبيرة لرفضه عرضاً بالعمل في إدارته. وقد نفذ الحكم بالتقسيت، كل

يوم عشرة أسواط. وكان الهدف من التقسيط إعطاءه فرصة للتراجع وقبول المنصب الذي عرض عليه (١).

تقطيع الأوصال،

ويشمل قطع اليدين والرجلين واللسان وصدع الأنف وجب المذاكير (الأعضاء التناسلية للرجل) وقطع اليد الواحدة منصوص عليه في الشريعة عقوبة للسارق، وكذلك قطع اليدين والرجلين وهو لقطاع الطرق. وقد توسع الحكام المسلمون بعد الراشدين في هذه الوسيلة دون التقيد بالجرائم المنصوص عليها، وطبقت على الجرائم السياسية. وكان المقطوع يترك حتى يموت من تلقائه فإذا لم يموت قطعوا رأسه. وأقدم مثال لهذه الطريقة هو قتل عبد الرحمن بن ملجم، قاتل على بن أبي طالب، وقد أعدم بتر يديه ورجليه ولسانه وسمل عينيه. ثم قطع رأسه (٢). والبر هو الغالب في هذه الحالات، أما الصلح والجدع فنادر ما يحصل. ولكن جب المذاكير كان في بعض الأحيان عقوبة يفرضها السيد على عبده إذا صدر منه فعل جنسى لا يرضاه السيد.

سلخ الجلود،

في رواية لابن الأثير (٣) أن قائدا من الخوارج يدعى محمد بن عبادة أسر في أيام المعتضد بالله فسلخ جلده كما تسلخ الشاة. نقل ابن الأثير حادثا آخر كان ضحيته أحمد بن عبد الملك بن عطاش صاحب قلعة أصفهان الاسماعيلية. وكان السلاجقة قد حاصروا القلعة بقيادة السلطان محمد بن ملكشاه ثم افتحوها وأسروا صاحبها ابن عطاش. ويقول ابن الأثير: فسلخ جلده حتى مات ثم حشى جلده تبا (٤). والغرض من حشوه عرضه بعد ذلك للتشهير

(١) هذا هو المروى في المصادر التي ترجمت للنعمان. وقد نسب ابن حجر في «الغبريات الحسان» هذا الإجراء إلى المنصور وقال إنه مات بعد الجلد بخمسة أيام. ومن المعروف أن المنصور سجنه ولم يجلده وأنه مات في السجن مسموما كما ترجمه رواية أخرى لابن حجر.

(٢) الدينوري، «الأخبار الطوال»، ص ٢١٧.

- ابن طاووس، فرحة الغرى. ط حجر. إيران. ١٣١١ هـ. ص ٥. نقلا عن «مقتل أمير المؤمنين للثقفى (من الكتب القديمة المفقودة). وابن طاووس من رجال القرن السابع.

- ابن الأثير، «أسد الغابة» طهران ١٣٢٢ هـ. ٣٨٥ / ٤.

(٣) الكامل في التاريخ ١٥١ / ٧.

(٤) نفسه ١٥١ / ١٠.

والتخويف. وقبض المعز الفاطمي على الفقيه الدمشقي أبو بكر النابلسي بعد أن بلغه قوله: «لو أن معي عشرة أسهم لرميت تسعة في المغاربة (الفاطميون) وواحداً في الروم» واعترف بالقول واغلظ لهم بالكلام فسلخوا جلده وحشوه تبناً وصلبوه^(١). السلخ من أشنع صنوف التعذيب ويستدعي الإقدام عليه نزعة سادية في غاية الإفراط.

الاعدام حرقاً

فرضه أبو بكر علي رجل مأبون يدعى الفجاءة السلمى. وورد في حروب الردة ما يدل على أن أبا بكر ضمن تعليماته لقادة الجيوش التي أرسلها لمحاربة المرتدين أوامر بالإحراق. وروى الطبرى كتابين له في هذا المعين كما نقل وقائع نفذت فيها أوامره^(٢). وبخبرنا البلاذرى في «فتوح البلدان» أن خالد بن الوليد أحرق بعض المرتدين بعد أسرهم وأن اعتراضاً من الصحابة قدم لأبى بكر ضد هذا الإجراء، فدهم أبو بكر قائلاً: «لأشيم سيفاً سله الله على الكفار». يقصد خالداً.

واستعمل بعض ولاية الأمويين هذه العقوبة ضد الثائرين عليهم. وقد ذكرت آنفاً إحراق المغيرة بن سعيد العجلي حياً بأمر خالد القسرى حاكم العراق. وفي أوائل العباسيين أعدام الكاتب عبد الله بن المقفع حرقاً بأمر سفيان بن معاوية أحد ولاية المنصور^(٣) وقصد طور العباسيون في وقت لاحق هذا الفن إلى شئ الضحايا فوق نار هادئة. وهو ما فعله المعتضد بحق محمد بن الحسن المعروف بشليمة أحد قادة الزنج في البصرة، وكان المعتضد قد أعطاه الأمان ثم اكتشف أنه يواصل نشاطه المعادى سرّاً فأمرم بنار فأوقدت ثم شد على خشبة من خشب الخيم وأدير على النار كما يدار الشواء حتى تقطع جلده ثم ضربت عنقه^(٤).

(١) نفسه ٣٣٠/٢ حوادث ٣٦٣.

(٢) تاريخ الطبرى ٤٨٨/٢، ٤٩٠، ٤٩١.

(٣) ابن النديم، الفهرست ط فلوجل ١٧٨.

قال ابن النديم. حل المنصور دمه لما فعله في شرط عبد الله بن على. وكان ابن المقفع قد حرر الأمان الذى أعطاه المنصور لعمه عبد الله وضمنه شروط باهظة تقطع عليه سبيل نقضه

(٤) الطبرى ١٦٥/٨.

انظر كذلك: ابن النديم ص ١٩.

وفي البداية والنهاية أنه وجد نصراني يشرب الخمر مع امرأة مسلمة في نهار رمضان فحكم نائب دمشق المنصور ابن قلاوون بإحراق النصراني وجلد المرأة. فأحرق بسوق الخيل (حوادث ٦٨٧هـ) والمنصور من حكام المماليك بمصر.

تعذيب متعدد الوسائل

تجمع هذه الطريقة عدة أشكال من التعذيب ضد شخص واحد. وقد استخدمت ضد أسرى القرامطة في بغداد، ومن أمثلتها تعذيب ابن أبي القوارس من قادة القرامطة في سواد الكوفة، بأمر المعتضد وتفصيله كما أورده الطبري^(١).

«وعلقت بالأخرى جندلة وترك في حاله تلك من نصف النهار إلى المغرب. ثم «قلعت أضراسه أولاً. ثم خلعت إحدى يديه بشدها إلى بكره متحركة. قطعت يده ورجلاه في الصباح وقطع رأسه وصلب في الجانب الشرقي - من بغداد - وحملت جثته بعد أيام إلى محلة تدعى الياسرية كانت تعلق فيها جثث القرامطة ليصلب معهم».

مثال آخر وصفه الطبري أيضاً وهو لصاحب الشامة الحسين بن زكرويه قائد القرامطة في السواد وكان قد أسر مع عدد من أصحابه وجئ بهم إلى بغداد ليعذبوا:

«بنيت دكة في مكان عام ونودي على الناس لحضور حفلة الاعداء. وبدأوا يقتادون الأسرى واحداً واحداً وكان الرجل يؤخذ ويطح فتقطع يمين يديه ويحلق بها ليراها الناس ثم ترمى. ثم تقطع رجله اليسرى ويحلق به لنفس الغرض وترمى. ثم يسرى يديه فيمينى رجله ويرمى بكل ما يقطع إلى أسفل، ثم يقعد فيقطع رأسه ويرمى به مع جثته إلى أسفل».

وقدم حسين بن زكرويه وضرب منه سوطاً، وقطعت يده ورجلاه. وكوى بالنار فغشى عليه فأخذ خشب فأضرمت فيه نار ووضع في خواصيره وبطنه فجعل يفتح عييه ثم يغمضهما. فلما خافوا أن يموت ضربوا عنقه. ورفع رأسه على خشبة فكبر الجلادون من فوق الدكة وتبعهم سائر الناس بالتكبير^(٢) ولم تجر العادة بالتكبير في مثل هذه الأحوال إلا حين يكون الرأس المقطوع لعدو خطر. وهو ما فعله الأمويون عند قطع رأس الحسين بن علي في كربلاء. وكان الحسين بن زكرويه حينما أدخل إلى بغداد واستقبله الناس مخاطبهم بقوله: يا قتلة الحسين.

(١) الطبري ٢٠٧ / ٨.

(٢) نفسه ٢٣٠ / ٨.

تنوير الزيات:

ابتكره محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق لتعذيب عمال الخراج المختلسين. وكان يصنع من خشب تخرج منه مسامير حادة وفي وسطه خشبة معترضة يجلس عليها المعضب. وقد عذب فيه صانعه بعد عزله زمن المتوكل بسبب إهانة كان قد وجهها إليه قبل أن يستخلف. ووصف الطبرى تعذيبه على الوجه التالى^(١).

«حبس أولاً. ثم سهر (منع من النوم) فوكل به سجان ينخسه بمسلة كلما أراد أن يغفو. ثم ترك أياماً فنام وانتبه فاشتبهى فأكهة وعنباً فقدمت إلى فأكل. ثم أعيد إلى المساهرة أياماً نقل بعدها إلى التنور حيث مكث أياماً كلما أراد أن يغفو سقط، على مسمار فانتبه، فكان يضطر إلى البقاء فوق الخشبة المعترضة ومقاومة النوم. وهى الفكرة التى تكمن وراء صنع التنور بهذا الشكل. أى أن المعضب يجد أمامه خيارين، إما النوم على المسامير أو السهر طيلة إقامته فى التنور.

أشكال مضردة:

تدخل هذه الأشكال فى عداد المبادرات الأنية ولذلك لا تجرى على نسق واحد أو تصميم متبع. وفيما يلى وصف لبعض الوقائع:

القتل بالطشت المحمى:

قبض السفاح العباسى على عبد الحميد الكاتب، وكان فى معية مروان آخر الخلفاء الأمويين، فسلمه إلى صاحب شرطته فكان يحمى له طشتاً ويضعه على رأسه إلى أن مات.. التعذيب بالمقدحة:

أوردت مصادر السيرة^(٢) أن النبى محمد دفع كنانة بن الربيع، من زعماء بنى النضير، إلى الزبير قائلاً: عذبه حتى تستأصل ما عنده. وكان تحت يده كنز من أموال بنى النضير.. وعذبه الزبير بالمقدحة فكان يقدح فى صدره حتى أشرف على الموت ثم سلمه النبى إلى محمد بن مسلمة لقتله ثاراً لأخيه الذى قتله بنو النضير.

(١) نفسه ٧ / ٣٤٠.

(٢) ابن هشام «السيرة» وقائع فتح خيبر.

- ابن كثير، «البدية والنهاية» القاهرة ١٩٣٢، ٤ / ١٩٧.

الموت بالنورة:

من الوسائل التي قيل ان ابراهيم الإمام، زعيم الدعوة العباسية، قتل بها على يد مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين وضع رأسه في جراب ملئ بالنورة وشده عليه بإحكام. وقد ترك على هذه الحالة إلى أن مات مختنقاً^(١).

النفخ بالنمل:

سعيد بن عمر الحرشي كان والياً على خراسان لعمر بن هبيرة حاكم العراق (كان المشرق يدار من العراق أيام الأمويين) وكان يستخف بأوامره، فأرسل إليه رجلاً يستطلع حاله. فعاد الرجل فأيد ما ذكروا عنه. وكان سعيد بعد أن علم بالرجل وضع له سماً في بطيخة لكنه لم يمت ورجع إلى العراق فعولج حتى برئ. وعزل عمر بن هبيرة سعيداً وعذبه بأن نفخ في بطنه النمل^(٢). ولم تذكر الرواية إن كان قد مات أم لا.

التعطيش:

عام ٤٠٣ هـ هجمت خفاجة على الحجاج فقتلوا منهم خلقاً وهرب الكثيرون إلى الصحراء فماتوا عطشاً فقبض الوزير البويهى فخر الملك على قائدهم وأركانه وأمر بصلبهم على مسيل ماء بحيث يرونه ولا يصلون إليه حتى ماتوا عطشاً^(٣).

التبريد بعد الجلاء:

أورد الغزالي في «إحياء علوم الدين» أن عبد الملك بن مروان خطب ابنة التابعي سعيد بن المسيب، وكانت مشهورة بجمالها، لابنه الوليد فرفض سعيد لورعه ومعارضته لسياسة الأمويين، فأمر عبد الملك بتأديبه فضرب مئة سوط في يوم بارد وألبس جبة صوف ثم صب عليه جرة ماء بارد. وارتكب عمر بن عبد العزيز إجراء مماثلاً بحق خبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر من الوليد بن عبد الملك حين كان عمر والياً على المدينة. وتقول بعد الروايات أن الوليد لم يضمن أمره صب الماء البارد وأن عمر أضاف هذه العقوبة من عنده. ولعل هذا هو السبب في

(١) تاريخ الدولة العباسية لمؤلف مجهول. دار الطليعة بيروت. فصل: ابراهيم الامام.

(٢) الطبري ٥ / ٣٦٩.

(٣) ابن كثير: المصدر السابق، حوادث سنة ٤٠٣ هـ.

حده شعوره اللاحق بالجريمة كما تقول الروايات حيث أعلن الندم والتوبة وحاول التخلص من الولاية (*) . وكان يومذاك في الخامسة والعشرين من عمره .

التكسير بالعبدان الغليظة،

مر بنا ذكر خالد القسرى الذى كان والياً على الحجاز ثم على العراق لهشام بن عبد الملك . وقد عزل خالد بيوسف بن عمر الثقفى ثم قتل بسبب مخالفات صدرت منه ضد الخليفة . وكان قتله على الشكل التالى : (١) .

وضع عود غليظ على قدميه وقام عليها عدد من الجلادين فكسرت قدماه . ثم وضع العود فى ساقيه فكسرت بنفس الطريقة . ثم نقل إلى فخذه ومنهما إلى حقوبه وانتهى العمود إلى صدره فكسر ، وعندها مات . وكان خلال ذلك ساكناً لا يتأوه ..

قرض اللحم،

استخدمه قرامطة شرقى الجزيرة . وكان مؤسس الدولة القرمطية أبو سعيد الجناي قد اغتيل بيد خادمه بعد أن دخل الحمام ، وقام الخادم بعده بقتل عدد من القادة استدرجهم إلى الحمام . وقبضوا على الخادم بعد اكتشاف أمره فشده بالحبال ثم أخذوا يقرضون لحمه بالمقايض حتى مات (٢) .

إخراج الروح من طريق آخر،

عقيدة خروج الروح من الفم عن الموت أوحى لمعتضد بأشكال من القتل أراد بها إخراج روح المقتول من غير طريق الفم . قال المسعودى فى «مروج الذهب» إن المعتضد كان شديد الرغبة فى أن يمثل بمن يقتله وذكر من وسائل ذلك :

١ - إذا غضب على القائد النبيل أو الذى يختصه من غلمانة أمر أن تحفر له حفيرة ثم يداس التراب بالأرجل حتى تخرج روحه من دبره بعد أن تكون قد سدت كل المنافذ التى يمكن أن تخرج بواسطتها من فمه .

(*) كان عمر يقول لمن يشره بحسن العاقبة لما قام به فى خلافته : « فكيف بخبيب ؟ » وكان خبيب قد مات نتيجة تعذيبه بهذه الطريقة ويبدو مما ذكرته الرواية أنه كان شاباً حكيماً بعيد الإدراك رفيع الخلق فأراد الأمويون التخلص منه . انظر «نسب قريش» لمصعب الزيرى ١٦ / ٢٤٠ و«نسب قريش» للزبير بن بكار ١ / ٣٨٠

(١) نفسه ٥ / ٥٦٣ .

(٢) المقرئى «اتعاظ الخلفاء القاهرة ١٩٤٧ ص ٢٢١ .

٢ - يؤخذ الرجل فيكتف ويؤخذ القطن ويحشى في أذنيه وخيشومه وفمه. ثم توضع منافخ في دبره حتى ينتفخ ويتضخم جسده. ثم يسد الدبر بشئ من القطن وبعدها يفصد من العرقين فوق حاجبيه حتى تخرج الروح من ذلك الموضع.
قلع الأظافر؛

أقيمت وليمة قرشية حضرها هشام بن عبد الملك حين كان أميراً، ووجيه يدعى عمارة الكلبي. واقتضى ترتيب الوليمة أن يجلس عمارة فوق هشام، فاستكثرها منه وآلى على نفسه أن يعاقبه متى أفضت إليه الخلافة. فلما استخلف أمر أن يؤتى به وتقلع أضراسه وأظافر يديه. ففعلوا به ذلك. وكان يقول فيما بعد يندب نفسه^(١):

عذبوني بعذاب	قلعوا جواهر راسي
ثم زادوني عذاباً	نزعوا مني طسساسى
بالمدى حرز حرمى	وساطراف المواسى

وهنا يذكر أشكالا أخرى من التعذيب لم تذكرها الرواية ولعلها جاءت استطراداً منه لاستكمال صورة العدوان الذى وقع عليه.
التعذيب بالقصب؛

فيروز بن حصين من قادة انتفاضة ابن الأشعث ضد الحجاج فى العراق. أسر بعد فشل الانتفاضة، وكان تحت يديه أموال طائلة يعود بعضها للحركة. ولا ستحصل الأموال منه أمر الحجاج بتعذيبه، فعرى من ملابسه ولفوه بقصب مشقوق ثم أخذوا يجرون القصب فوق جسده. ولزيادة إيلاسه كانوا يذرون الملح ويصبون الغل على الجروح التى يسببها القصب. وبعد أن ينس الحجاج من اعترافه بالأموال قطع رأسه.
التعذيب الجنسى؛

من الوقائع النادرة فى هذا المجال اغتصاب نساء المدينة على يد جنود من أهل الشام بأمر من يزيد بن معاوية، ومسيرد الكلام عليها لاحقاً. لكنى لم أعثر حتى الآن على رواية موثوقة بشأن الاعتداء الجنسى على الأسرى أو المعتقلين. سوى ما رواه الذهبي فى «سير أعلام النبلاء» أن الحاكم بأمر الله الفاطمى كان يتجول فى الأسواق على حمار ومعه غلام أسود ضخم فمن

(١) أمالى القالى - بيروت ص ٥٧.

أراد تأديبه أمر الأسود فأولج فيه جهاراً^(١). ويبدو أن التغليظ في النهي عن الزنا جهراً مع بقايا القيم والتقاليد القبلية قد جعل مثل هذه الاقتراعات غير ميسورة. وكان ولاية الأمويين يعتقلون النساء ويقتلونهن أحياناً ولكن مع عدم المساس بشرفهن الشخصي. وقصة زوجة الكميت بن زيد مع والي العراق خالد القسري تحتفظ هنا بدلالة هامة. فقد كان الكميت معتقلاً بأمر هشام بن عبد الملك وينتظر تنفيذ حكم من هشام بقطع لسانه على قصائده الهاشميات، فدبر خطة هروب مع زوجته فلبس ثيابها واتسل من السجن بدلاً منها وأخذوها إلى خالد القسري فلم يزد هذا الارهابي الخطر على أن قال: حرة فدت ابن عمها!

تعذيب أدبي،

كان يطبق على المخالفات التي لا ترقى إلى درجة الجنحة أو الجناية أو التي لا تمس أمن السلطة ومصالحها. ومن وسائله حلق اللحي أو نتفها - والتف يجمع بين التعذيب الجسدي والأدبي معاً - وحلق الرؤوس. وكان هذه العقوبات تفرض أحياناً على الزعران والزنادقة. ومنها قص الشعر الطويل، وكان يطبق على المراهقين أو الفتيان اللاهين. وقد تهاهى ابن الجوزي في «القصاص والمذكرون» بحملة قادها في بغداد ضد هؤلاء فقصوراً فيها «أكثر من عشرة آلاف طائفة - أي خصلة طويلة». ومن وسائل التعذيب الأدبي التي شاعت هو التشهير، وكان يتم في الغالب بإركاب المشهر به على حمار والطواف به في المدينة ومعه أشخاص ينادون بجريمته. ويورد الجاحظ في «مفاخرة الجوارى والغلمان» تشهيراً بهذه الوسيلة لجارية ماجنة في بغداد قبض عليها وهي تجامع مخناً بكنديج (قضيبي اصطناعي) ويؤخذ من رواية الجاحظ أنها اعتبرت هذه الوسيلة معادلة للقتل، لأنها كانت تخاطب الرجال عند الطواف بها وتقول متهمه إياهم بالظلم: «إنكم تنيكوننا الدهر كله فلما نكناكم مرة واحدة قتلتمونا» (*). وابتكر عبيد الله بن زياد وسيلة إضافية في التعذيب الأدبي بهذه الطريقة طبقها على الشاعر المتمرد يزيد بن مفرغ الحميري، أمر بأن يسقى مادة مسهلة ثم يطاف به. وكان الشاعر يسلح على نفسه أثناء الطواف.

(١) ١٧٦ / ١٥. الرواية في حاجة إلى توثيق.

(*) في العامية البغدادية المعاصرة يقال للمرأة الماجنة أو المستهترّة: مشهورة. ويبدو أن هذا من آثار تلك العقوبة التي شاع استعمالها آنذاك في بغداد. ومنه قولهم في التوبيخ: مسخّم (بتفخيم السين إلى الصاد) ويشار به إلى المشهر به قديماً إذ كانوا يلطخون وجهه بالسخام ونحوه. وورد اصطلاح «تجبيبه» ومعناه في القاموس الخيط أن تحمر وجهه الزالين ويحملا على بعير أو حمار ويخالف بين وجهيهما.

خارطة التعذيب:

تفاقم التعذيب على يد الأمويين، متلازماً مع تحول دولة المدينة البسيطة إلى امبراطورية يحكمها خليفة مطلق السلطة. لكن ذلك لا يعنى أن التعذيب لم يمارس من قبل. وقد أشرنا انفاً إلى أوامر أبى بكر بحرق المرتدين ودفاعه عن أفعال من هذا القبيل صدرت عن خالد بن الوليد فى حروب الردة (*). ويمكن اعتبار خلافة عثمان نقطة تحول أولية فى القمع الاسلامى فهو مؤسس جهاز الشرطة فى الاسلام، وقد ذكر ابن حبيب فى «المخبر» اسم مدير الشرطة الذى عينه وهو عبد الله بن منقذ التيمى - من قريش - ونوه بما يدل على بساطة جهازه، كمؤشر لى سلطة قمعية فى طور النشوء. وانتهج ولاية عثمان نهجاً قمعياً، ومحدوداً فى دار الاسلام منفلتاً فى دار الحرب (جبهة الفتوحات).. ولم يرد عن عمر بن الخطاب شئ من ذلك، أما على فهناك رواية تقول بأنه أحرق مرتدين. وقد أخرجها البلاذرى فى «أنساب الأشراف» على وجهين يرد فى أحدهما أنه أحرقهم أحياء وفى الآخر أحرقهم بعد قتلهم بالسيف^(١). وتربط بعض المصادر هذا الحدث بأتباع عبد الله بن سبأ الذى قيل أنهم ألخوا علياً فأحرقهم فى روايات، ونفاهم فى روايات أخرى. وتورد الروايات التى ذكرت الاحراق رجزاً قيل أن على أنشده عند أو بعد إحراقهم. وعبد الله بن سبأ مشكوك فى تاريخه، كما أن الغلو لم يكن قد ظهر فى زمان على. لكن رواية البلاذرى عن حرق المرتدين ممكنة بالنظر لوجود مثل هذه الحالات فى ذلك الوقت. ومن المستبعد مع ذلك أن يكون على قد أحرقهم أحياء لما نعرفه عنه من تشدد فى مراعاة أحكام الشريعة. والوجه الثانى لرواية البلاذرى أخرى عندى بالقبول. مع التنبيه إلى أن الرجز الذى نسب إلى على فى هذا الحادث ركيز لا يحتمل صدوره عنه. وهو من عناصر الضعف فى الرواية، ما لم يكن أضيف إليها فيما بعد.

يستثنى من خلفاء الأمويين عمر بن عبد العزيز، الذى حكم أقل من ثلاث سنوات، ويزيد الناقص الذى حكم ستة أشهر. أما الباقيون فكانوا قمعيين بدرجات متفاوتة. وظهرت ملامح نزعة سادية لدى بعض الولاة والقواد مثل زياد بن أبيه وابنه عبيد الله ومسلم بن عقبة المري والحجاج وقرّة بن شريك وبشر بن مروان ويزيد بن المهلب وخالد القسرى وأخوه أسد. ويروى

(*) يروى ابن سعد فى الطبقات أن أبى بكر كان يقول: إن لى شيطاناً يعترينى فإذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى لا أوثر فى أشعاركم وأبشاركم - أى فى رؤوسكم وجلودكم - ج ٣ / ١٥١. ويروى أبو عبيد عن اسحق أن أبى بكر بعث سلمة بن سلامة بن وقش إلى خالد يأمره أن لا يستبقى من بنى حنيفة رجلاً قد ألبت. فوجد خالد قد صالحهم. الأموال ص ٢٥٧.

أثبت يعنى نبت له عانة دليلاً على احتلامه، أى بلوغه العمر الذى يجوز فيه قتله حسب الشريعة.

(١) «أنساب الأشراف» ١٨٨ / ٥.

أن عمر بن عبد العزيز استعرض بعض هؤلاء يوماً - قبل خلافته - فتحدث بما يشعر بالهول من اجتماع عدد منهم في وقت واحد قال : الحجاج بالعراق ، والوليد بالشام ، وقرة بمصر ، وعثمان بالمدينة ، وخالد بمكة.. اللهم قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً فأرح الناس ! و اشتهر الحجاج من بين هؤلاء . وتقول رواية شعبية إنه كان إذا أعدم أحداً يستمني على نفسه.. ويكرس هذا الجنوح في الخيال حالة الاقتران السيكولوجي بين الجنس والعنف مما عسى أن يكون الخدس الشعبي قد لمسه من خلال نموذج سادى تصدر قصص الارهاب في تاريخنا .

وانتظم الخلفاء العباسيون في نفس السلك ، مع استثناءات من النزعة السادية يمكن أن تشمل المأمون والواثق ، والخلفاء الذين وقعوا تحت طائلة البويهيين والسلاجقة ففقدوا سلطتهم الفعلية ، وخلفاء الحقبة العباسية الأخيرة الذين عاشوا في ظروف خاصة واقتصرت سلطتهم في الغالب على بغداد وما حولها . وعرف بالدموية من ولاتهم وقوادهم : أبو مسلم الخراساني وعبد الله بن علي ومعن بن زائدة ويزيد بن مزيد وعقبة بن مسلم . ومن الوزراء الفضل بن مروان ومحمد بن عبد الملك الزيات وحامد بن العباس . وفي الأندلس ، تميز المعتمد بن عباد بميله إلى التلذذ بمشهد الرؤوس التي كان يأمر بقطعها . وقد مر بنا أنه كان يشتغلها في حديقة داره . واشتهر بالقسوة معظم ملوك الطوائف من غير المعتمد ، وكذا المرابطون والموحدون الذين اقترن تاريخهم بأعمال الإعدام الجماعية التي ذهب ضحاياها مئات الألوف من خصومهم . ومن خلفاء الفاطميين عرف الحاكم بأمر الله بحالته المرضية التي تجمع بين أعراض القلب والمزاج الدموي . وعرف من القرامطة أبو طاهر القرمطي بالمذابح الجانية في مكة وغيرها من النواحي التي امتدت إليها غزواته مالم نضع في الحسبان احتمال المبالغة في أخباره التي وردتنا في مصادر معادية للقرامطة .

جلادون من الخلفاء يتدهون عند الموت:

بتأثير الحرمة المؤكدة للقتل الكيفي والتعذيب كان بعض الخلفاء يتغصنون عند الموت بخوفهم من دخول جهنم . فقال عبد الملك بن مروان ليتني كنت غسلاً . وبلغت الفقيه أبو حازم فقال : الحمد لله الذي جعلهم يطمنون عند الموت مانحين فيه . ولا تمنى عند الموت ما هم فيه . (ترجمة عبد الملك من الطبري وابن الأثير) وقال الواثق العباسي : لوددت أني أقلت العشرة وأنى حمال أحمل على رأسي . وطلب منه العهد لولده فقال : لا يراني الله أتقلدها حياً وميتاً . (اليعقوبي ٨٣/٢) وفي قوله هذا إشارة إلى حتمية اقتران القمع الدموي بالسلطة الفردية .

وقال والده المعتصم عند الموت : لو كنت أعلم أن عمرى هكذا قصير لم أفعل ما فعلت -
الطبرى فى ترجمته . وانفرد الحجاج براحة ضمير مطلقة ترجع إلى ولاته الدينى للأمويين .
وسائل الاعدام،

لم يتطلع الفقهاء المسلمون إلى يوم تلغى فيه عقوبة الاعدام، مفترضين الضرورة الأبدية
للعقوبات مادام الانسان مزيجاً من الخير والشر . وإنما تداولوا حديثاً نبوياً يقول : «أعف الناس
قتلة أهل الإيمان» أى أن المؤمن إذا اضطر إلى القتل نفذه بأقل الوسائل إيلاًماً . وقد استنتج
منه ابن تيمية أن القتل المشروع هو ضرب الرقبة بالسيف ونحوه لأن ذلك أوحى أنواع القتل
-- يقصد أسرع بحيثى لا يتعذب المحكوم به ^(١) ويبنى على هذا أن الإعدام يجب أن ينفذ
بالسيف ما دام الوسيلة الأقل إيلاًماً ، فإذا وجدت وسيلة أخرى حلت محله . وهو المستفاد من
الحديث . ولم يلتفت الفقهاء إلى تعارض هذا الحكم مع حكمين بالقتل يقتربان بالتعذيب .
أولهما حكم قطاع الطرق، المنصوص عليه فى القرآن، بقطع اليدين والرجلين والصلب وهو
يقتضى قتلهم بهذه الطريقة . إلا أن جمهور الفقهاء جعلوا الصلب بعد القتل . وقد أوله ابن
تيمية برفعهم على مكان عال ليراهم الناس ويشتهر أمرهم ^(٢) . لكن القتل بقطع الأطراف
هو بحد ذاته تعذيب . ولم يكن للفقهاء الذين حرموا التعذيب إلا الامتثال لهذا الحكم بسبب
صدروه عن الوحي الالهى .

الحكم الآخر هو رجم الزانى والزانية المحصنين - أى المتزوجين وهى ذات أصل سومرى
وكانت تفرض على المرأة المراهطة . وانتقلت إلى المسلمين عن طريق التوراة . وينص هذا الحكم
على الرجم حتى الموت . وكانت عقوبة الزانية المحصنة حبسها فى منزلها حتى الموت وفقاً
لنص الآية (١٥) من سورة النساء . ثم نسخت بالرجم . وقد أثار حكم الرجم التباسات ناشئة
عن شناعته من جهة وعدم النص عليه فى القرآن من جهة أخرى . فأنكره فريق من المسلمين
بينهم الخوارجن وتساهل آخرون فى تنفيذه . ويبدو أن القائلين به شعروا بالحاجة أمام الإنكار ،
إلى تأكيد وروده فى الكتاب والسنة فقالوا إن حكم الرجم منصوص عليه فى آية منسوخة
التلاوة باقى الحكم ^(*) . ونص الآية كما ترد فى مصادر التفسير والناسخ والمنسوخ منسوبة إلى
عمر بن الخطاب

«والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم» .

(١) السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) نفسه ٧٨ . قال ابن تيمية إن بعض الفقهاء قالوا بالقتل أثناء الصلب خلافاً لقول جمهورهم .

(*) الآية المنسوخة التلاوة الباقية للحكم، هى التى حذفت من القرآن مع بقاء حكمها سارياً .

وقد نسخت تلاوة الآية برفعها من القرآن مع بقاء حكمها. ولا سبيل إلى البت في صحة هذه الرواية لأن أسلوب الآية المدعاة من الركافة بحيث يصعب القول إنها صادرة عن مؤلف القرآن. ويزداد الأمر التباساً حين يراد منا أن نقبل بأن آية باقية التلاوة (الآية ١٥ من سورة النساء) نسخها آية منسوخة التلاوة (آية الرجم) مما لا نجد له نظيراً في النسخ والمنسوخ. على أن مصادر الحديث والسنة اشتملت على وقائع نفذ فيها الحكم على يد النبي وبعض الأحاديث التي تصرح به، مما يعزز الاعتقاد بوروده كحكم شرعي منصوص عليه في الأصول. وعندئذ قد يكون من المعقول أن يقال بأن الآية ١٥ من سورة النساء قد نسخت بالسنة. ويوافق معظم الأصوليين على أن السنة تنسخ القرآن. على أننا نعثر في «طبقات الصوفية» للسبكي أن الصحابي عبد الله بن أبي أوفى سئل إن كان النبي قد رجم فقال نعم. فسئل: بعدما نزلت سورة النور أم قبلها؟ فقال لا أدري (ص ٣٣٣) وتعزز هذه الرواية الشك في الرجم لأن سورة النور اقتضت على عقوبة الجلد.

ونظراً لتحريم الاجتهاد في موضع النص لم يكن ميسوراً إعلان رأى ما بشأن هاتين العقوبتين. ولعل الفقهاء قد وضعوهما على باب الاستثناء من حكم الحديث، وهو عام في سائر الأحكام التي قال الفقهاء بوجوب تنفيذها بضربة واحدة سريعة بالسيف.

الجلد: ولفقهاء تقييدات للجلد. فقد قال أبو حنيفة أن السكران لا يجلد إلا إذا بلغ في سكره حداً لا يفرق فيه بين السماء والأرض وبين الرجل والمرأة. والمعروف عن أبو حنيفة أنه أباح النبيذ. وقد استفاد الناس من هذه الرخصة. وفي «محاضرات» الراغب الأصفهاني أن رجلاً لقيه في الطريق وهو سكران من النبيذ فقال: يا أبا حنيفة يا ابن الزانية قد شربت النبيذ بفتواك! بينما أثارت هذه الفتوى زوبعة بين أتباعه فضلاً عن خصومه^(١). وقال الفقهاء إن السارق لا يقطع إلا إذا سرق من مال محرز. والمحرز أن يكون مقفلاً أو مدفوناً من مالكه. ولذا لا يقطع من سرق الكعبة أو المسجد أو بيت المال لعدم توفر شرط الأحرار فيها. كما لا يقطع

(١) قال أبو سعيد السيرافي، وكان حنيفاً، في حديث عن إباحة أبو حنيفة للنبيذ: ولأبي حنيفة مسائل لا أرتضيها له وقد خالفه فيها أعيان أصحابه والناقلة لمذهبه. معجم الأدباء لياقوت ١٧/ ١٧٠.

سارق البساتين والزروع. وكذا من سرق من حرز هتكه غيره^(١). ولا يقطع سارق المواد التي يسرع إليها التلف كاللحم والفواكه وسارق المباح الكثير كالخشب^(٢). وحددوا معنى السرقة بأخذ المال على سبيل الخفية والاستتار فإن اختلس أو نشل لم يكن سارقاً ولا قطع عليه^(٣) ويشمل هذا الحكم النشالين أو الطرارين. ولا يستفاد من هذا إباحة السرقة في هذه الأمور فالمقصود هو عقوبة القطع فإذا لم تتوفر شروطها عوقب السارق بعقوبات أخف كالحبس أو التعزير.

وقال أبو حنيفة بعدم العقوبة على اللواط في رواية^(٤)، وفي أخرى بالجلد مادون الحد المقرر للزاني^(٥) ويروى عنه أنه قال من استأجر امرأة ليزني بها لا يحد لأن العقد يصير شبهة^(٦). يقصد أن عقد الاستئجار هو كعقد الزواج، لأنه يتضمن ركنين هما المهر الذي يدفع للمرأة في شكل أجرة، والتراضي بينهما. وأخذ الأجرة دليل مادي على رضا المرأة. وفي المحلى لابن حزم أن أبا حنيفة لم ير الزنى إلا ما كان مطارفة، وأما ما كان فيه عطاء أو استئجار فليس زناً ولا حد فيه. وقد استند في هذا إلى خبر الجائعة التي أتت راعياً فسألته الطعام فأبى عليها حتى تعطيه نفسها فوافقت. ثم جاءت إلى عمر (بن الخطاب) فأخبرته فقال: مهر. ودرا عنها الحد^(٧). ولا يعنى هذا القول من أبو حنيفة إباحة البغاء. ويجب على أى حال أن يفهم في ضوء الاتجاه إلى تقليص حالات تطبيق العقوبة على الزنا، مع ما يحمله من التفريق بين زنا الرغبة وزنا الحاجة.

يقصد بالمطارفة ما كان عن مجرد رغبة عابثة. ورواية ابن حزم أقرب إلى المعقول. وهي بحسب قصة الجائعة المنقولة عن عمر حكم خاص بالمرأة المزنى بها دون الرجل، لأنها زلت

(١) انظر: أبواب الحدود في المختصر النافع، وأحكام الماوردي السلطانية. كذلك: المغنى لابن قدامة - أعلاه - ٢٥٣ / ٨.

(٢) الاقسرائى. المصنوع أعلاه.

(٣) المغنى لابن قدامة - أعلاه - ص ٢٤٠ / ٨.

(٤) نفسه ١٨٨ / ٨ - ١٨٩.

(٥) المحلى لابن حزم، القاهرة ١٣٤٧ هـ، ٣٨٢ / ١١.

(٦) أبو المعالى الجوينى (إمام الحرمين)، «مغيث الخلق في ترجيح الخلف في ترجيح القول الحق» القاهرة ١٩٣٤ ص ٤٤.

(٧) المحلى - أعلاه - ٢٥٠ / ١١.

اضطراباً - لا مطارفة - وهذا لا يرفع العقوبة عن الراعى الذى لا تذكر الرواية حكمه، إذ يبدو أنه كان مجهولاً لعمر، وإلا لكان من المفروض أن يقع عليه الحد. ورواية الجوينى تفيد أن عدم العقوبة يشمل الرجل ويجب عدم الوثوق بها لأن كتابه مكرس للتشيع بأبو حنيفة وليس لدراسة الأحكام الفقهية.

ويمكن أن نفهم من مجمل هذه الأقوال أن أبو حنيفة يريد رفع العقوبة عن المرأة التى تزنى اضطراباً. وبالطبع فهذا يشمل البغايا لأن زناهن للحاجة وليس للرغبة. ولا بد أن العقوبة لا تسقط عن الرجل (الفاعل) لعدم توفر هذا القيد.

ويمكننا أن نرصد اتجاهات عاماً بين الفقهاء فى التشدد فى جرائم القتل العمد وقطع الطريق والتساهل فيما عداها. وهناك قاعدة تقول: بخير الشهود (أى من شهدوا الجريمة) بين إقامة الحد عند الإمام وبين الستر على المشهود عليه واستتابته، بحسب المصلحة؛ فإن ترجح عندهم أنه يتوب ستروه وإن كان فى ترك الحد عليه ضرر للناس كان الراجح رفعه إلى الإمام^(١). وتعطى هذه القاعدة دوراً للجمهور فى معالجة الجريمة دون رفعها إلى السلطة. ولم يحدد صنف الجرائم المشمولة بهذا الإجراء لكن الإشارة إلى ما فيه «ضرر للناس» يمكن أن تنسحب على جرائم القتل والسرقه التى لا يجوز التستر على فاعلها ولا بد بالتالى أن يكون المقصود هنا هو الجرائم الشخصية التى يسميها القرآن «فواحش» وهى الزنى وشرب الخمر وما أشبه.

وللقاعدة المذكورة أصل فى القرآن هو الآية ١٦ من سورة النساء: «واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيماً».

والإشارة إلى الرجل والمرأة. وقد ذكر الزمخشري فى تفسير هذه الآية إن المراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الإمام. فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما^(٢). وقد وردت روايات تتضمن هذا المعنى. ففي طبقات ابن سعد عن عبد الرحمن بن حرملة أنه جاء إلى سعيد بن المسيب يسأله: وجدت رجلاً سكراناً أفتراه يسعنى أن لا أرفعه إلى السلطان؟ فقال له سعيد: إن استطعت أن تستره بثوبك فاستره^(٣). ويورد ابن

(١) المقدسى، حاشية على «المقنع» لابن قدامة. السلفية ١٣٨٢، ٣/ ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٢) الكشف ٢٥٦ / ١ تفسير سورة النساء.

(٣) ابن سعد، ط. ليدن، ٩٩ / ٥.

سعد توجيهاً لعمر بن عبدالعزيز بعدم التعرض لمرتكبي الفواحش وراء البيوت^(١). وأشار الغزالي في «إحياء علوم الدين» إلى أن النبي شجع المقارفين على الستر والانكار^(٢). وقد ورد هذا التوجيه في حديث أخرجه مالك في الموطأ نصه: «من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله. فإن من أبدى لنا صفحته نقم عليه كتاب الله»^(٣). وربما أمكننا استبعاد صحة هذا الحديث إذا استبعدنا كون النبي كان مجرد وكيل تنفيذ فهو يسعى لتخفيف قسوة أحكام شرعها غيره. لكن الحديث على أي حال يتسجم مع القاعدة الفقهية المذكورة.

وأوردت مصادر الفقه والحديث قول النبي: «تدراً، أو ادراًوا، الحدود بالشبهات». ويشتمل هذا الحديث على مبدأ قضائي هام هو تفسير الشك لمصلحة المتهم. ويقول ابن حزم إن أشد الفقهاء قولاً بمضمونه واستعمالاً له هو أبو حنيفة وأصحابه، ثم مالك، ثم الشافعي^(٤).

وشدد الفقهاء على مسألة تعذيب العبيد. وقد استعرضنا بعض الأحاديث المتعلقة بذلك. وهناك اتفاق عام على تحريم الخصاء لأنه مثله. ويعتبر العبد منعقاً تلقائياً إذا خصاه مولاه. ولهذا السبب لم تزدهر تجارة الخصيان في العالم الإسلامي آنذاك رغم الحاجة إلى هذا الصنف من العبيد. والأندلسيين كانوا يحصلون على حاجتهم من الخصيان من الامبراطورية الجرمانية المقدسة التي تخصصت في هذه التجارة وينعتق العبد تلقائياً كذلك إذا عذبه مولاه على رأي الامامية. وحرّموا الضرب واللطم للعبيد ولكن دون أن يرتبوا عليهما الانعتاق مالم يبلغا حد التشكيل، وهو المبالغة في الايلام. كما خففت عقوبة الجلد الشرعية على العبد إلى نصف مقدارها على الحر في الجرائم التي تستوجبها. ويروى عن علي بن أبي طالب إنه قال في تعليل هذا التخفيف: «إن الله أكرم من أن يجمع عليه الرق والحد». واختلفوا على حكم السيد إذا قتل عبده. وقد أخرج النسائي حديثاً يقول^(٥): «من قتل عبده قتلناه ومن جدعه جدعناه ومن خصاه خصيناه». والحديث مقبول عند عامة الفقهاء والمحدثين لكنهم تفاوتوا في التزامه نصياً؛ فسرّه بعضهم على سبيل الزجر والتغليظ في النهي فلم يعتبروه نصاً في العقوبة وقالوا بعقوبة القاتل بما دون القتل، واحتجوا عليه بخبر في سنن البيهقي يفيد أن رجلاً قتل عبده فجلده

(٢) رحياء علوم الدين ٣ / ١٢٠.

(٤) المحلى ١١ / ١٥٣.

(١) نفسه ٥ / ٢٦٩.

(٣) الموطأ ص ٣٣٥.

(٥) سنن النسائي ٨ / ٢٠.

النبي ونفاه سنة ومحا مهمه من المسلمين ولم يقتله. وقال آخرون يقتل الحر إذا قتل عبد غيره ومن هؤلاء: أبو حنيفة وسفيان الثوري، في رواية عنه، وابن أبي ليلى والشافعي وداود الظاهري. وقالت فئة ثالثة بقتل السيد إذا قتل عبده ومنهم البخاري وإبراهيم النخعي وسفيان الثوري في رواية أخرى عنه. وأهل السنة والامامية على اتفاق بأن الحر لا يقتل بالعبد، سواء كان عبده أو عبد غيره. ويكرس رأى هاتين الطائفتين حالة التردى الاشمل في العصور البعد - اسلامية مما يتضح على الخصوص من مقارنته بآراء الفقهاء الذين ذكرنا أسماءهم للتو، وهم معدودون، حسب التصنيف الطائفي المعاصر، من أئمة أهل السنة^(١).

وتسقط الحدود بالتقادم. وهو للخمر بزوال ريحته من الفم عند العموم، وشهر عند الشيباني. وللزنا والقذف والسرقة مضي شهر عند الفقهاء الثلاثة والتقادم لا يشمل القتل العمد.

أحكام عامة:

١- منع الخصاء للإنسان والحيوان. واعتبروه من واجبات المحتسب الذي يتولى تأديب الخاصى وملاحقته بالقصاص أو الدية في حالة حدوث وفاة بسبب الخصاء. وقد طبق المنع باللموس. فكان أمراء المسلمين وأغنيائهم يحصلون بالشراء على الخصيان المجلوبين من خارج دار الاسلام.

٢- مراعاة حرمة المنازل بمنع دخولها بغير إذن أهلها. وسمح للمحتسب باقتحام المنزل عند الشك باحتمال وقوع جريمة كأن يصل إلى علم المحتسب أن رجلاً دخلاً بآخر ليقتله أو احتمال حصول زنا أو لواط. ولا يجوز الاقتحام في حالة شرب الخمر لأنه من المخالفات الشخصية التي تعنى صاحبها وحده. وفي السماح له بذلك في حالة الزنا واللواط إشكال أنها

(١) يلاحظ هنا أن أتباع الفقهاء الأوائل، ومنهم رؤساء المذاهب الأربعة وأئمة أهل البيت يختلفون حول الكثير من آرائهم ويرجع هذا من بعض الوجوه إلى اختلاف الروايات عن الفقهاء الذين لم يتركوا مؤلفات. لكننا نجد من جهة أخرى أن الفقهاء المذكورين كانوا قد ظهوروا في وقت مبكر من العصور الاسلامية فأدلو بآراء أشكلت على أتباعهم الذين جاؤوا في أطوار متأخرة تبلور فيها الوعي الديني على حساب العقلانية الاجتماعية التي تميز بها معظم فقهاء الطور الأول. ومن هنا نقدهم لبعض آراء أبو حنيفة، وتعتمد بعضهم إخفاءها أو تجاهلها لا سيما في العصور السلفية.

معدودة في المخالفات الشخصية. ولم يوضح النص الفقهي ملابسات الحدث وما إذا كان الفعل على سبيل الاغتصاب.

آراء للغزالي،

الغزالي غير محدود في الفقهاء إنما في الأصوليين (علماء أصول الفقه) وهو قبل هذا فيلسوف ولاهوتي ومتصوف ومفكر اجتماعي وكاتب سياسي. وكتابه «أحياء علوم الدين» يجمع هذه الاختصاصات في جملتها. وقد تعرض في الكتاب الخامس إلى كيفية التعامل مع أهل المعاصي وقسمهم لهذا الغرض إلى ثلاثة أقسام:

«القسم الأول، وهو أشدها ما يتضرر به الناس بالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة وهؤلاء يجب الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق. ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في الدماء وإلى من يظلم في الأموال وإلى من يظلم في الأعراض. وبعضها أشد من بعض. فالاستحباب في اهانتهم والاعراض عنهم مؤكد جداً.

القسم الثاني: صاحب الماخور الذي يهوى أسباب الفساد ويسهل طريقه على الخلق فهذا لا يودى الخلق في دنياهم ولكن يفسد بفعله دينهم وإن كان على وفق رضاهم، فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه، فإن المعصية بين العبد وبين الله إلى العفو أقرب. ولكن من حيث أنه متعدد على الجملة إلى غيره فهو شديد. وهذا أيضاً يقتضي الإهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعاً من الزجر له أو لغيره.

القسم الثالث: الذي يفسق في نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محذور يخصه فالأمر أخف. لكنه في وقت مباشرته إن صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فإن النهي عن المنكر واجب. فإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه؛ فإن تحقق أن نصحه يمنعه عن العودة إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر باللطف أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع. فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصير وأن النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر. ٨.

لا يذكر الغزالي ما يستحق هؤلاء الأصناف من العقوبة بموجب الشرع ويقتصر على مسألة

في الخلافة الأموية

التعامل معهم في المجتمع. وقد شدد على الأفعال التي تمس الناس. وتساهل في الأفعال التي يؤدي بها الانسان نفسه دون غيره. وهو الحكم العام عند الفقهاء. والملخص في قولهم: «إن حقوق العباد مبناه على الشح، وحقوق الله مبناه على السعة، وحقوق الله هي أفعال الفرد لنفسه كشرب الخمر وترك الصلاة والزنا وما أشبه. والحساب على هذه يسير لأن ضررها لا يصل إلى الناس.

وقد أسرف الغزالي حين اعتبر البغاء من أفعال النفس التي لا يتعدى ضررها إلى الغير، فالبغاء آفة اجتماعية وليس فعلاً فردياً. وإنما حمّله عليه تقريره أن العلاقة بين البغى والرجل هي بتراضى الطرفين، ولم ينتبه إلى وضع البغى، الاضطراري في الأصل.

هوية الجلادين والسجّانين،

عندما واجه الأمويون مسألة تأسيس الدولة اصطدموا بالجذور الجاهلية فوجدوا حاجة إلى ترويض العرب حتى يصبحوا رعايا لدولتهم التي لم يألّفها الجاهليون. وقد استعانوا لهذا الغرض بعناصر أجنبية سلموها أمر السجون ومهمة الجلادين لاسيما بعد أن تعدر عليهم تأمين ما يكفي لهذه المهام من الأفراد العرب. وكان جلادو الأمويين من الأتراك. واليه يشير فتى عربى هرب من سجن ابن زياد في العراق:

وجاء البخاريون يبتدروني لهم أعين خُزُر توُفِّد كالجمر
عكوف على الأبواب من يؤمرونا به فليس براء أخسّر الدهر

والبخاريون نسبة إلى بخارى، من مدن آسيا الوسطى.

ويصف جعفر بن عتبة سجناً أموياً كان فيه:

إذا باب دورانٍ ترغم في الدجى وشد باغلاق علينا وأقفال
وأظلم ليل، قام عالج بجلجل يدور به حتى الصباح بإعمال
وحراسي سوء ما ينامون حوله فكيف لمظلوم بحيلة محتال
ويصبر فيه ذو الشجاعة والندى على الدل للمأمور والعلج والوالى
والعرب يطلقون العالج على الأعجمي. وقوله: جلجل إشارة إلى المفاتيح لما تحدثه من قرقة عند استعمالها.

مسؤولية الجلاد،

اختلف الفقهاء في مسؤولية الجلاد فبرأ بعضهم لأنه مأمور وألقوا بالمسؤولية على الأمر فقط وأشركه آخرون بالاثم. لكن الشيعة يقولون بتجريم الجلاد الذي يعذب السجناء ويحكمون عليه بالحبس الأبدى - التخليد في السجن في اصطلاحهم.

رأى للمؤرخين،

في سياق المعارضة الفقهية للتعذيب، دعا المؤرخ السخاوي إلى تجنب رواية أخباره، إلا ما يضطر المؤرخ إلى إيرادها منها بشرط بما يقتضى الإنكار، إذا أمكن، حتى لا يكون تطرفاً لمن لا يروم فعل مثله وحجة يحتج بها. وأورد في هذا المعنى خبراً يفيد أن الحجاج قال لأنس بن مالك حدثني بأشد عقوبة عاقب بها النبي. فحدثه بها. فلم بلغ الحسن البصري ذلك قال: وددت أنه لم يحدثه^(١). وإنكار البصري لحديث أنس، مرجعه إلى الخوف من أن يستغل الحجاج تلك العقوبة لتعزيز وسائله الإرهابية أو الاندفاع أكثر في هذا الاتجاه. وأعرب ابن الأثير عن الامتناع من هذه الأفعال لكنه أدلى برأى مغاير إذ دعا إلى تدوين أخبار الظالمين حتى يعلموا أن أخبارهم تنقل وتبقى على وجه الدهر فربما تركوا الظلم لهذا إن لم يتركوه لله^(٢). وهنا خلاف في المقصود من الرواية بين الحسن وابن الأثير لم يلحظه السخاوي. فابن الأثير يتحدث عن أفعال حكام المسلمين والحسن البصري يقصد الرواية عن النبي. وما أورده من إشكال في هذا الخصوص يتعلق بمسألة القدوة. فالحديث الذي رواه أنس للحجاج يمكن أن يوفر له عدراً في التماذى، كما قلنا، مستمداً من السنة، في حين قد يكون تصرف النبي المروى عنه مأخوذاً في خصوصياته التي لا تعتبر في عداد السنة. وهناك فرق بين أن تروى خبراً عن حاكم عرف بالظلم فتفضحه، وخبراً عن نبي مشرع فتضيف مادة إلى الشريعة. ويبدو السخاوي مع هذا حذراً من أن يستفيد الحكام من رواية وسائل التعذيب فيطبقوها. وهو المستفاد من قوله: حتى لا يكون ذلك تطرفاً لمن يروم فعل مثله.

(١) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. بغداد ١٩٧٣ ص ١٢٧.

(٢) الكامل في التاريخ ٨ / ١٢٤.

العصبية العربية فى مواجهة المصريين

«لعنة العرس»

كان العرب يمثلون فى المجتمعات التى يغزونها أرستقراطية السيف والدم (الجنس) ويشغلون بالتالى قمة الهرم الاجتماعى. أما قاعدة الهرم فتتكون من الرقيق، يعلوهم الذميون سكان البلاد الأصليون .

وكان يقوم نتيجة لذلك تناقض اجتماعى بين العرب وغير العرب، وبين المسلمين وغير المسلمين، وكان المفروض أن يقف المسلمون الجدد - وهم من غير العرب طبعا - على قدم المساواة الكاملة مع المسلمين الأصليين أى العرب. غير أن ذلك لم يتحقق قط إذ ظل العرب متمسكين بعروبتهم الجنسية كعامل يحفظ عليهم بقاءهم كطبقة مغلقة تستحوذ على كل الأموال ولا يستطيع غيرهم أن يشاركهم إياها.

وكل ما سمحوا به للمسلمين الجدد هو أن ينتسبوا إلى القبائل العربية، التى تتكون الطبقة العربية من مجموعها. فيحملوا اسمها فى صورة من التبعية تعرف باسم «الولاء» .

ومن هنا نفسر هذا الإدعاء الشائع حول الأصول العربية لبعض سكان مصر فهم عروبي الولاء وليسوا من جنس العرب.

ثم أن الدولة رفضت - حرصا على مواردها - أن تسقط عن هؤلاء المسلمين الجدد - أو الموالى - لما تضخم عددهم الجزية التى كانت عليهم بحكم القرآن نفسه (التوبة: ٢٩) أن يدفعوها وهم ذميون. هذا إلى أنه أصبح عليهم أداء الزكاة بما هم مسلمون. وهكذا لم يحقق اعتناق الإسلام وضعاً اجتماعياً أفضل للموالى فلا هم دخلوا الطبقة العربية الحاكمة ولا هم بقوا فى طبقتهم التى ورثوا عضويتها. بل أصبحوا يكونون طبقة قلقة فى المجتمع الجديد، وبذلك لم يحل اعتناق الإسلام التناقض بين العرب والأجناس الأخرى، بل أعطاه صورة جديدة وظل هذا التناقض أحد مصادر حركات الاستقلال السياسية والاجتماعية والثقافية فى البلدان التى احتلها العرب. وقد سجلت الروايات صورة نادرة لإحدى محاولات المتأسلمين فى مصر لحل هذا التناقض بطريقة فريدة فى بابها.

وهى فى بعض جوانبها تشبه ما حدث للبرامكة ونكبتهم.

الحرس - بفتح الحاء والراء - قرية مصرية كل ما بقى لنا من أخبارها أنها من شرقى مصر وأغلب الظن أنها من الإقليم الذى تشغله محافظة الشرقية. دخل سكان هذه القرية الإسلام ولكن يبدو أنهم كانوا يتمتعون بنشاط خاص كما هو الحال بالنسبة للبلدان التى احتلها العرب فأهل هذه البلدان أصحاب حضارات يفتقدها العرب الذين اعتبروا أنفسهم أهل سيف لا يشغلهم عنه الثقافة والعلم. فقد ظهر منهم فى القرن الثانى - التاسع الميلادى عدد من الشخصيات العلمية، فكان هناك كلب القضاعى الحرسى (ت ٢٠٧هـ) الذى روى عن الفقيه عمرو بن الحارث (ت ١٤٨هـ)، صاحب القراءة العظيم نافع (ت ١٦٩هـ). وكان منهم - وهو أهمهم وأشهرهم - زكريا بن يحيى (ت ٢٤٢هـ) المعروف بكاتب العمري، والذى تتلمذ على علماء أجلاء يكفى أن أحدهم العالم المصرى الجليل عبد الله بن وهب (ت ١٩٧هـ). وقد يكون من المفيد أن تتأمل الاسم الكامل لهذا العالم الحرسى، وهو: زكريا بن يحيى صالح بن يعقوب. فإن طوله يدل على قدم دخول الأسرة فى الإسلام، هذا من جهة، ومن أخرى يلحظ أن اسمه واسم أسلافه هى أسماء أنبياء أو بتعبير أدق أسماء دينية لا تتعارض مع الإسلام ولكنها تخلو - ربما عن عمد - من الطابع العربى الخالص. كما كان هناك أحمد بن رزق الله بن أبى الجراح (ت ٢٤٦هـ) تلميذ العالم المصرى الكبير يونس بن عبد الأعلى (ت ٢٤٦هـ). وكان هناك كذلك أبو بكر زكريا بن يحيى (ت ٢٥٤هـ) نجل العالم المذكور أنفا.

كان هؤلاء الحرسيون يمارسون نشاطهم العلمى فى العاصمة - الفسطاط - حيث كان يقيم - فيما يبدو - عدد غير قليل من مواطنيهم ويكونون جميعا تكوينا متميزات يعرف باسم « أهل الحرس ». ويبدو كذلك أن أهل الحرس هؤلاء - علماء وغيرهم - أصابوا من النجاح والشهرة فى الفسطاط ما نبه إليهم أفراد الطبقة العربية الذين بدعوا يرون فيهم حالة جديدة من حالات الارتقاء الطبقي الذى كان - بما هو حركة اجتماعية مستمرة - يهدد وضعهم كطبقة عليا متفردة بالسلطان، ورأى العرب أن يبادروا إلى القضاء على هذا النجاح الجديد الذى تحرزه الطبقة الشعبية. فأخذوا يتحرشون بأهل الحرس، ويؤذونهم وينكرون عليهم حقهم فى

التفوق محتجين بأنهم ليسوا عربا ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية الحاكمة صاحبة الحق في الاستئثار بكل أنواع التفوق، ولكنهم. كبط مصر ينتمون إلى الطبقة الشعبية الخكومة التي ليس لها أى حق فى التمتع بأى نوع من التفوق.

وتزعم حركة اضطهاد أهل الحرم، ثلاثة من وجوه الطبقة العربية أولهم: هاشم بن عبد الله التجيبى أحد ذرية معاوية بن خديج (ت ٥٢ هـ) الذى كان من أبرز شخصيات الغزو العربى مثلما كان من أهم زعماء الأرستقراطية العربية الغازية. وكان هاشم مازال محافظا على وضعه الطبقي المورث وكان يلى الوظائف الكبرى. أما الثانى أبو رجب العللاء بن عاصم الخلالى فهو أحد رجال الدين، ولى القصص بجامع عمرو فى مقابل عشرة دنائير فى الشهر. كما كان إمام لجامع عمرو استخلفه أحد الأمراء على حكم مصر سنة ١٩٣ هـ إلى حين قدومه. أما الثالث فهو أبو الدهمج رياح بن ذوابة التجيبى الكندى الذى كان أحد شيوخ المرخين.

هؤلاء الرجال الثلاثة أذن من أقوى القبائل العربية فى مصر وأغناها وأشدّها أرستقراطية. وقد استاءوا من أولئك الحرسىين النشطين الممتازين الذين استطاعوا بالعمل والمثابرة أن يحققوا لأنفسهم حياة أفضل من حياتهم. ولسنا نشك فى أن الزعماء العرب الثلاثة فى شعورهم العدائى نحو هؤلاء الحرسىين الناجحين إنما كانوا يعكسون إحساس الطبقة الأرستقراطية التى ينتمون إليها وإحساسها بخطورة هذه الظاهرة. ويعد زكريا بن يحيى خير نموذج للارتقاء الطبقي الذى حققه أهل الحرم لأنفسهم، فقد استطاع أن يرتفع إلى العلم والسلطة والثراء. وقد جعله ذلك هدفا لنقمة الشاعر العربى يحيى الخولانى الذى وصفه بأنه «صار بعد الدل للجور يرهب» وأنه «بعد قران العرى أصبح فاكتسى»، وأنه بعد الحفا والمشى قد صار يركب».

أو كما قال شاعر عربى آخر:

عصبة من طينة النيل مناسى الجدود

لبسوا بعد التباين نقيات البرود

وتسموا وتكنوا بعد جرجه وشنوده

لم يستطيع أهل الحرم الصبر على الاضطهاد، وكانوا لا بدلا لهم من أن يتخذوا إجراء

مضادا، أى كان لا بد من أن يحلوا هذا التناقض بينهم وبين العرب فاجتنبوا إلى زعيمهم أو عميدهم فى العاصمة الذى لم يكن سوى زكريا بن يحيى يشكون إليه أنهم يؤذون ويطعن فى شرفهم، ويسألونه حتى متى يصبرون على هذا.. ولم يكن زكريا يجهل الموقف ، بل لعله كان قد روى فيه طويلا، ذلك بأنه قدم إليهم أعجب حل يمكن أن يخطر بالبال. فقد نصحهم لكي يتخلصوا من اضطهاد العرب بأن يتحولوا إلى عرب طالما أن إسلامهم لم يشفع لهم. وأكد لهم أنهم يستطيعون تحقيق هذا المستحيل إذا جمعوا مبلغا من المال يقدمونه إلى قاضى مصر فيسجل لهم سجلا يثبت لهم نسا عربيا. فهل اقترح زكريا على مواطنيه هذا الإجراء العجيب لأنه كان مألوفاً حينذاك مثلما كان مألوفاً فى مجتمعنا المعاصر أن تشتري الأسرة لنفسها «حجة» تثبت لها شرف الانتساب إلى النبى؟ أو أنه فعل ذلك اطمئنانا إلى إمكان اتخاذ هذا الإجراء الشاذ فى عهد قاضى مصر الموجود حينذاك والذى كان هو نفسه يعمل كاتباً له حتى اشتهر بلقب « كتابا العمرى»، وأيا كان الأمر فمن كان هذا القاضى؟

هو عبد الرحمن بن عبد الله العمرى، أحد أحفاد عمر بن الخطاب الذى ينسب إليه، فقيه مدنى ملكى - تلميذ مباشر لمالك (ت ١٧٩ هـ) - دخل مصر فى صفر ١٨٥ هـ قاضيا عليها من قبل الخليفة هارون الرشيد. وكانت له وجهات نظر خاصة فى كثير من وسائل الفقه والقضاء سرعان ما راح يطبقها فى مصر، فكان يميل مثلا إلى اتخاذ الشهود بمعنى أن يعين عددا من الأفراد تكون كل وظيفتهم هى أداء الشهادة على المتخاصمين. وقد ضرب رقما قياسيا فى عدد شهوده فاتخذ مائة شاهد وجعل عليهم رئيسا. ويلحظ أنه اختار هؤلاء الشهود من أهل المدينة بالحجاز - بلده - بالذات، من موالى قريش وغيرهم. على أن الجديد الذى لم يسبق إليه أنه دون أسماء هؤلاء الشهود فى سجل خاص وأسقط سائر الناس حتى تكفيهم عوائد هذه الوظيفة مشقة الكد والعمل ويركتوا إلى حياة الدعة والبطالة، فأصبح ذلك تقليدا متبعا منذ ذلك الحين. والعمرى هو أول من عمل تابوت القضاء فى بيت المال لتودع فيه أموال اليتامى ومال من لا وارث له، واتخذ لنفسه عددا من الكتاب كان زكريا بن يحيى من أبرزهم.

على أن ذلك ليس كل شئ بالنسبة إلى القاضى العمرى الذى لعله كان مزدوج الشخصية فقد كان يتزين ويسرف فى التزين. أتاه أحدهم بعد قيامه من مجلس حكمه فإذا هو مضجع

وقد ترجل، وصفر يديه (من أثر الحنة) وكحل عينيه واتشح بأزار معصفر وأدهن بملاب على وزن سحاب وهو عطر من الزعفران، ولا شك في أن هناك علاقة وثيقة بين التجميل وبين كلفه الشديد بفن الغناء. فقد كان يشدو بأطراف الغناء على مغاني أهل المدينة، ويمرر كثيرا في مجالسه ولا يتحاشى أن يقول: هذا غنى به ابن سريج، وهذا غنى به الدلال، وهذا من جيد غناء الغريض. ولم يكن بمصر مسمعة إلا ركب إليها يسمع غناءها وربما قوم ما انكسر من غنائها ويرى ذلك من الدين. ويضيف الرواية الذى دخل عليه فوجده فى كامل زينته أنه كان وهو فى حالة تلك يضرب بأصابع يديه بعضها على بعض ويقول:

كأنى من تذكر أم عمرو.. سرت بى قرقف صرف مدام

(القرقف / الخمر القوية. المدام - بضم الميم: الخمر).

ونستطيع أن نزن هذه التصرفات إذا تصورناها تصدر فى مجتمعنا المعاصر عن رجل يكاد منصبه يوازى منصب وزير العدل. ومهما بدا ذلك السلوك متنافيا مع ما يجب أن يأخذ القاضى نفسه به من الوقار والاتزان فمن الممكن اغتفاره على حال من وجهة النظر الفنية الجمالية. على أن الذى لا سبيل الى اغتفاره بحال هو تصرفاته المالية المتسمة بالتفريط الشديد وعدم مراعاة أى قانون مالى أو أدبى. فقد عهد الى مساعده الكير يحيى بن عبد الله بن بكير بالإشراف على أموال الأيتام - أى دورا - ونخيلا، وراح يستغلها ويدفع الى الأيتام المستحقين من الأرباح ما ينفقونه ويخصم ما يصل اليهم من أصل أموالهم. فلما استهلكوا رؤوس أموالهم ادعى يحيى الأصول وقال: هى لى. فخصم عند صديقه ورئيسه القاضى العمرى فقال: لا أراه ظلمكم بشئ هى أموالكم استهلكتموها.

شكل أهل الحرس لجنة منهم لمباشرة هذه القضية الهامة وبدأت اللجنة فجمعت من الحرسين ستة آلاف دينار - وهو مبلغ يدل على ثراء الحرسين ونجاحهم العلمى - ثم توجهت الى القاضى العمرى - الذى لا شك فى أن صديقه زكريا بن يحيى عميد أهل الحرس كان قد فاتحه فى الأمر - وعرضت عليه مطلبها مشفوعا بالمبلغ الكبير. وبالرغم من حب العمرى الشديد للمال واستخفافه فإنه لم يجسر على اتخاذ هذه الخطوة بصفة مباشرة. ولذلك نصح أعضاء اللجنة بأن يحصلوا أولا على إذن بذلك من الخليفة هارون نفسه.

ووافق أعضاء اللجنة، وقرروا السفر الى بغداد، ولكنهم فضلوا أن يشزودوا بسند قانونى يسهل مهمة اقناع الخليفة بإصدار أمره العالى الى قاضى مصر باتخاذ الإجراءات اللازمة لأثبات الجنسية العربية لأهل الحرس فماذا يفعلون؟ ذهب اثنان من أعضاء اللجنة - ولعلهما فعلا ذلك من قبل فى محاولة سابقة - الى ناسخ يدعى عبد الكريم القراطيسى «كان يضع الخطوط على نظيرها، أى يزورها، فدفعها له ألف دينار وما كان أكثر آلاف الدنانير معهم - فى مقابل أن يزور على لسان قاضى مصر الأسبق المفضل بن فضالة (ت ١٨٤ هـ) حكما بآثبات أنساب أهل الحرس الى حوتكة بن أسلم بن الحاف بن قضاة. ثم توجهوا الى متولى ديوان المفضل حيث تحفظ الأحكام فدفعوا اليه ألف دينار أخرى ليودع ذلك الحكم الديوان فلما تم لهما ذلك شدا الرحال الى بغداد. وسرعان ما عرفا طريقهما الى بلاط الخليفة هارون حيث أنفقا مالا عظيما للوصول الى الخليفة وعرض قضيتهم على مسامحة مؤكدين أن هناك قاضيا سابقا قد صدر حكما رسميا بعروبتهم ولم يكن المفضل هناك ليطعن بالتزوير، وعلى كل حال فإن هذه الورقة الى جانب الدنانير الذهبية، كان لها أثر فعال فى نجاح مساعى الرجلين وكتب الخليفة هارون الى قاضى مصر يأمره بالتسجيل لأهل الحرس. لم يعد أمام العمرى ما يخافه فشمّر عن ساعده وشرع يتخذ الإجراءات الرسمية لمنح أهل الحرس الجنسية العربية. غير أن القاضى المدقق لم يشأ أن يكتفى بحكم زميله. بل أراد أن يقوم بواجب التأكد بنفسه من صحة الدعوى فدعا الحرسين إلى إقامة البيعة عنده على أنسابهم ولم يكن شئ أسهل من ذلك على أهل الحرس فالدنانير الذهبية متوفرة، والشهود العرب الذين يحبون الدنانير أكثر توافرا وسرعان ما وجد أهل الحرس، الذين يعرفون دائما الطريق إلى ما يريدون - الشهود المناسبين فى أهل الحرف الشرقى وأهل الشرقية وجماعة من بادية الشام لم يجدوا جميعا مانعا من أن يحضروا إلى الفسطاط، ويمثلوا أمام القاضى الجليل ويقسموا، بالله العظيم أن أهل الحرس عرب خلص كاللبن الصريح. قد نستطيع تفسير إقدام هؤلاء الناس - وهم عرب - على تلك الشهادة الزور بأنهم بدأه جفاة لا يعينهم سوى الدنانير، وأيا كان الأمر فإن الشهود كانوا كافيين جدا لاقتناع القاضى العمرى اقتناعا قانونيا بعروبة أهل الحرس وإمكان إصداره حكما بذلك، فاسجل لهم سجلا بتثبيت أنسابهم إلى قبيلة من قضاة هي حوتكة.

لقد وقعت المعجزة، وتحقق المستحيل، وأصبح أهل الحرس عربا، ومن قضاعه. وأخيرا استطاع أهل الحرس أن يتخلصوا من ماضيهم الطبقي اللعين الذى ظل يطاردهم كالشبح. وأن لهم أن يتعربوا مع السادة العرب على قمة الهرم، يتحدثون معهم فى مهام الأمور ويتبادلون معهم العلاقات المختلفة، ويلقون فى خلال ذلك بنظرات التعالى والزهور على زملائهم السابقين الذين مازالوا يرزحون عند القاعدة، ولن يستطيع هاشم بن حديج، ولا أبو رجب الخولانى ولا أبو الدهمج بعد اليوم أن يتحوشوا بهم أو يؤذوهم أو يعيروهم بأصلهم القبلى الذى أفلحوا فى أن يبتروه كما يتر الذنب. لقد تساءت الرؤوس، صحيح أن الناس - بعض الناس - سيظلون يذكرون الماضى زمنا، ولكنهم لن يلبثوا حتى يزولوا ولا يعود أحد يعرف سوى أن أهل الحرس عرب أقحاح من قضاعه، والفضل لصديقتهم العزيز القاضى العمرى - بعد الدنانير طبعا - فلازموه وأحاطوا به يتقدمهم عميدهم زكريا بن يحيى يغدون عليه إذ غدا ويروحون إذ راح، وهم يرفلون فى نسبهم العربى الجديد، ويزهون بجنسيتهم الجديدة التى تتلأ لأعلى هاماتهم كالتيحان.

لم يكن اعتناق أهل الحرس الإسلام ونجاحهم فى ظل النظام الجديد كافيا لحل التناقض بينهم وبين العرب بل على العكس أدى إلى قيام تناقض جديد أشد حدة، فقد اضطروا إلى ذلك الحل الشاذ لعلهم يتخلصون من هذا التناقض ويحصلون على الاستقرار الاجتماعى والطمأنينة النفسية. غير أن هذا الحل الجديد قد أدى بدوره إلى تناقض جديد فقد كان يشكل سابقة شديدة الخطورة على الطبقة العربية يؤدى السكوت عليها إلى فتح الباب أمام تكرارها إلى ما لانهاية مما يؤدى بالضرورة إلى اختفاء العرب كطبقة. ولذلك هبت الطبقة العربية. وقد أصابها الذعر، تهاجم القاضى العمرى وأهل الحرس وزعيمهم زكريا بن يحيى، وتعارض الحكم الصادر وتعمل كل ما تستطيع لوقف تنفيذه، ولعب الأدب دورا بارزا فى المعركة، فلمع ثلاثة من الشعراء من ذوى الأصل العربى هم: يحيى الخولانى، معلى الطائى، طاهر القيسى، ونستطيع أن نحس الذعر الذى أصاب العرب فى صيحة يحيى الخولانى:

وايك الدين والحسب

لما بان فـاغـتـسـر

ألا قم فـانـدب العـسـر

ولا تنفك تنعى العـسـل

كما نستطيع أن نستشعر دهشة العرب إزاء هذا التصرف الجريء في قول يحيى أيضا:

ومن أعجب الأشياء أن عصابة	من القبط فينا أصبحوا قد تعربوا
وقالوا: أبونا حسوتك، وأبوهم	من القبط علج حبله مستذبذب
وجاءوا باجلاف من الحوف فأدعوا	بأنهم منهم سفاهة وأجلبوا
ألا لعن الرحمن من كان راضيا	بهم رغما مادامت الشمس تغرب

وكان طبيعيا أن يركز الشعراء هجومهم على القاضي العمري سبب البلية كلها فانطلقوا يهجونّه ويعددون عيوبه، فقال يحيى الخولاني يصف ركوبه لسماع الغناء الذي كان يصاحبه موكب من أهل الحرس:

مرر بنا راكب على فرس	يامن رأى هريدا على فرس
قد كشف الخف من ضلالتيه	في عصابة من مسالم الحرس
يقدمه خالد ويتبعه	لوط قران الكلبين في فرس
لقلت: من ذا اللعين؟ قيل	أبو الندى غدا مسرعا إلى عرس
كيسما يرى قينة ذكرت	تشدو بصوت يخال كالجرس
أصبح في الخزيات منغمسا	وليس في غيرها بمنغمس

وقال معلى الطائي يسخر من تظاهره بالتقوى، ويصفه بالظلم والصوصية ويذكر شغفه بالغناء ويسخر منه ويحض على اغتياله:

كم تطول في قسراتك	والجور يضحك من صلاتك
تقضي نهارك بالهوى	وتبيت بين مغنياتك
ليت الثلاثين التي تجزى	تقوم بمسلماتك
فاشرب على صرف الزمان	بما ارتشيت من الحسراتك
إن كنت قد الحققتهم عرب	فزوجهم بناتك
ولتكشفن بما أتيت	صدور قوم من مساتك
وكأننى بمنية تسعى	إليك بكف فساتك
أفقرته من مساله	بقضية، أو لم يؤاتك

لا تَعـــــــــــــــــجَلن أبا الندى
أن المقــــــــــــــــامع تطلقن
بل لو ملكت لسان أكثم
حتى تصير إلى وفاتك
من الجــــــــــــــــحيم إلى مماتك
ما وصلت إلى صفاتك
ولم يكن بد من أن يمد الشعراء هجومهم على القاضى العمري حتى يتناول أهل الحرس ومعاونيه فى القضاء.

قال يحيى الخولانى:

كم فقير كان قد موله
زكريا وكبـــــــــــــــــيش منهم
فأفادوا الدور فضلا بعدما
بالمورايت التى كان منح
والمدينيون أصحاب البلح
كلب الفقير عليهم والح

وقال يحيى أيضا يسب زكريا بن يحيى:

وفى زكريا أية فأعجبوا لها
وبعد قران العمر أصبح فاكتسى
فقد صار بعد الذل للوجود يرهب
وبعد الحفا والمشى قد صار يركب

ثم أننا نتساءل: هل لزم أهل الحرس الصمت المطلق فى هذا الجانب القولى من المعركة؟ أو لم يكن لهم شعراء يتبنون قضيتهم ويدافعون عن موقفهم؟ أو لم يستطيعوا حتى أن لم يقل فى هذه المعركة دفاعا عن أهل الحرس، ذلك بأن الشعر كان ينتمى طبقيا إلى العرب بما هم أصحاب الطبقة الحاكمة السائدة التى تستطيع أن تعطى وتمنع والتى تصطنع التقاليد السلوكية التى كان الشعر كفن يتغنى بها على أنها مثل عليا، هذا إلى أن الشعر يستطيع فى تلك المرحلة التاريخية أن يتصور أن يتخذ موقف الدفاع أو حتى العطف على الطبقة الشعبية التى كان أفرادها يوصفون بأنهم «لا ناس» فى حين أن الموالى «أشباه الناس» أما العرب فهم «الناس». ولعل ما كتب من شعر فى هذه الفترة دفاعا عن أهل الحرس لم يجد طريقة إلى التسجيل الرسمى المضاد للشعب المصرى.

على أن الخليفة هارون لم يلبث حتى مات فى جمادى الأول ١٩٣ هـ ليخلفه ابنه محمد

الأمين، ولما كان الأمين يفضل إنفاق وقته في المتع على أنفاقه في معالجة شؤون الحكم فقد فوض أموره إلى الفضل بن الربيع (ت ٢٠٨ هـ) حاجب والده الرشيد ووزيره. وترامت سيرة القاضي العمري إلى الوزير، ولعل العرب واصلوا السعي لدية فلم يتردد في استصدار مرسوم بعزله. وصدر المرسوم بعد سنة كاملة من موت الرشيد (جمادى الأول ١٩٤ هـ). وحمله من بغداد إلى مصر موظف خاص. ولم يكذ ذلك الرسول يعلن النبأ في مسجد مصر الجامع حتى عمت موجه هائلة من الفرح عند العرب، وتكاثفوا حوله يدعون ويشنون، ويهللون ويكبرون، فقد تخلصوا أخيراً بعد تسع سنوات كاملة وشهرين اثنين من القاضي الذي عبث بهم ولم يتمالك أحدهم نفسه فقال - ربما من آيات أكثر:

بنعم الله ورأى الفضل
نحي عن الحكم عدو العدل
هذا سوار لرسول العزل

وأيا كان الأمر فهذا يبدأ الفصل الأخير من المهزلة التي لعب بطولتها القاضي العمري. من المفارقات أن قاضي مصر الجديدة، هاشم بن أبي بكر البكري (ت ١٩٦ هـ)، كان من ذرية أبي بكر الصديق كذلك، ولا شك في أنه كان يعرف كل شيء، بل لعله كان مزوداً بتعليمات معينة. وقد بادر العرب إلى الالتفاف به، وإطلاعه على كل ما فعل القاضي العمري وأعدائه، وتزعم هذه الحركة الانتقامية أبو رجب العلاء بن عاصم الذي أشار على القاضي الجديد بالقبض على سلفه وأعدائه وحبسهم والتحقيق معهم. ولم يتردد القاضي البكري لحظة، فقبض على القاضي العمري، وسجنه وقيده وطالبه بما صار إليه من الأموال والأقوات وأخذ البكري بما زعمه العرب من أن جملة ما اكتسبه العمري في فترة ولايته القضاء عليهم مائة ألف (دينار طبعاً)، فطالبه بها. كما تتبع البكري أصحاب العمري كلهم وسجنهم وأسقط كل من شهد لأهل الحرم فلم يرجع أحد منهم عند أحد من القضاء، وكان نصيب يحيى بن عبدالله بكير من هذه الإجراءات التطهيرية كبيراً، فقد بادر أولاد العرب والعاطلين بالورثة إلى القاضي الجديد يشكون إليه احتياله على أموالهم واستهلاكه إياها فأخذه بالحساب، فأنكر، فأمر به فربط على عمود في المسجد الجامع مقابل لباب إسرائيل، ومناد ينادي: « هذا جزاء

كل خائن». وظل على ذلك أياما لا يحل رباطه إلا وقت كل صلاة. ولا بد أن بكيرا كان يتمتع بقدرة كبيرة على الاحتمال، ولم يستطع البكرى أن يصل منه إلى درهم واحد، فلما ينس منه خلى عنه.

استطاع القاضى العمرى أن يجد شخصا واحدا على الأقل يقف إلى جانبه منذ أن بدأت أيامه السيئة، ذلك هو عبد العزيز بن مطرف المطر وهو الذى كان يرأس فرقة الشهود التى كونها من المدينين وغيرهم، والذى تناوله يحيى الخولانى بالهجاء فيمن هجا من أصحاب العمرى. وقف المطر فى إلى جانب صديقه فى محنته فقام بأمره وضمن عنه مالا عظيما للبكرى. على أن البكرى لم يستطع أن ينال شيئا من المبالغ الطائلة التى أدين بها العمرى لا لأنه كان مصرا على عدم الدفع فحسب، ولكن كذلك لأنه لم يكن له مال بمصر، فقد كان رجلا بعيد النظر يحسب حساب ذلك اليوم ويعلم أنه سيجى حتما، ولذلك سبق إلى تهريب كل أمواله إلى مدين، إحدى مدن الحجاز على ساحل البحر الأحمر. فلما وقعت الواقعة شرع فى تنفيذ الخطة المرسومة، فعمل على الهرب من السجن ومن مصر كلها إلى حيث أمواله. وقد افلح فى أن يفلت من السجن ويهرب. وإن لم يكن قد تيسر بفضل أصدقاء له لم يتخلوا عنه، فلا بد أنه بفضل أو فى الأصدقاء؛ الدنانير وغاز هربه خصومه الذين كانوا يمتنون أنفسهم بالتشفى منه غيظا.

وصل العمرى إلى مدين حيث احتمل أمواله، واتفق مع مجموعة من رجال البادية على أن يخفروه فى رحلته، ثم سار يقطع شبه الجزيرة من شمالها متجها نحو الشرق - وربما إلى العراق - يتبعه هؤلاء الرجال. فلما وصل إلى فيد، شمالى شرق شبه الجزيرة، خرج عليه جماعة من قبيلتى أسد وطى فأوقعوا به وأخذوا جميع ما حواه. ولم يغن عنه حراسه المأجورون شيئا، كما لم يستطيع هو أن يفعل أكثر من أن يشتري جلده بكل ما معه من هؤلاء البدو قطاع الطريق «فما تخلص منهم إلا بحشاشة نفسه».

وغسل العرب أيديهم من القاضى العجيب، والتفتوا ليزيلوا أهم أثر تركه بينهم وهو قضية أهل الحرس

بما أن المرسوم لا يلغيه إلا مرسوم مثله فقد كان لابد من استصدار مرسوم جديد يلغى المرسوم السابق الذى منح أهل الحرس حق التمتع بالجنسية العربية. وأخذ الزعيمان العربيان أبو رحب العلاء بن عاصم وهاشم بن عبد الله التجيبى هذه المهمة على عاتقها. وكانت الظروف مواتية تماما، فالخليفة الرشيد صاحب المرسوم الأول قد مات، والخليفة الجديد لا يعنيه التفكير فى مثل هذه الأمور، ووزيره الفضل بن الربيع عربى قح والقاضى العمرى قد ذهب إلى غير رجعة.

قام أبو رحب وهاشم بن عبد الله بتشكيل وفد يسافر إلى بغداد ويحصل على المرسوم المطلوب. ووصل الوفد إلى بلاط الخليفة، وذكروا ما فعل العمرى فى أهل الحرس، وأنه الحقهم بالعرب، ونسبهم إلى حوتكه بن أسلم بن الحاف بن قضاة، واقتنع المسئولون بفساد هذا الحكم وعدالة مطلب الوفد فكتب الخليفة إلى قاضى مصر بكتاب يقرر فيه مبدأ عاما هو «أنه لا يمنح أحدا من غير العرب اللحاق بالعرب» ويأمره فيما يتعلق بأهل الحرس «أن يردهم إلى ما كانوا من أنسابهم»، فرجع الوفد بذلك.

لم يكن كتاب الخليفة إلى القاضى البكرى سوى وثيقة النصر للطبقة العربية فى المعركة. وكان على القاضى أن يعلن المتخاصمين ويجلس للنظر فى القضية. ولكن إذا كان القاضى العمرى لم يصدر حكمه بإثبات الجنسية العربية لأهل الحرس إلا بعد أن شهد بذلك لديه شهود، فقد كان على القاضى البكرى كذلك ألا يصدر الحكم بأن أهل الحرس ليسوا عربا بل قبط أى مصريون إلا بعد أن يشهد بذلك شهود كان من بينهم إلى جانب عبد الله بن وهب، وسعيد بن عفير اللذين مر ذكرهما - النسابة، الاخبارى، المؤرخ المحدث الذى روى عنه البخارى: سعيد بن مريم (ت ٢٢٤هـ).

نستطيع أن نتصور مسجد مصر الجامع (جامع عمرو) وقد غص بالجماهير المتطلعة من سكان الفسطاط والقاضى البكرى فى مجلسه يحيط به كتابه، وبين يديه قد مثل الزعماء من العرب ومن أهل الحرس. وفتح القاضى الجلسة، وعرض القضية وطالب كلا من الطرفين بالدليل على دعواه. أما أهل الحرس فقد قدموا إليه الحكم الذى أصدره سلفه العمرى بعروبتهم، وأما العرب فقد تركوا الأمر للشهود الذين أجمعوا على أن أهل الحرس من القبط،

والعمرى قضى فيهم بجور، فنقض البكرى قضية العمرى فيهم، وأشهد على قضائه بردهم إلى أصلهم من القبط، وأخرج من تحت مصلاه مقراضا كان يخفيه لهذا الغرض فقطع حكم القاضى وهو يقول لأهل الحرس الذين يشهدون انهيار كفاحهم ويتجرعون كأس الهزيمة المرة. «العرب لا يحتاجون إلى كتاب من قاض، إن كنتم عربا فليس ينازعكم أحد»، ولسنا نستبعد أن الشاعر معلى الطائى قد انفجر فى نفس هذه اللحظة يصرخ بأعلى صوته بتلك الأبيات القاسية:

يا بنى البظراء موتو كسمدا	واسخنوا عينا بتخريق السجل
لو أراد الله أن يجـعلكم	من بنى العباس طرا لفعل
لكن الرحمن قد صيركم	قبط مصر، ومن القبط سفل
كيف يا قبط تكونوا عربا	ومريس أصلكم شر الجليل؟

أما زميله يحيى الخولانى فقد وجد من السعادة ما أوحى إليه قصيدة راقصة، قال:

اشكروا الله على إحسانه	فله الحمد كثيرا والرغب
رجع القـبط إلى أصلهم	بعد خـزى طوقـوه وتعـب
ودنانير رشوها قاضيا	جانرا قد كان فينا يغتصب
ما كفتته رشوة ظاهرة	وقضايا جوركم فيها عجب
أن أتى أعظم مـما يأتى به	أحد أن صير القبط عرب

ولم ينس طاهر القيسى أن يشيد بالدور الهام الذى لعبه أبو رحب العلاء بن عاصم فى الوصول إلى هذه النتيجة العظيمة فقال:

ولقد قمعت بنى الغبائث عندما	راموا العلاء وتحوتكوا وتعربوا
فرددتهم قـبطا إلى آبائهم	ونسب أصلهم الذى قد غيبوا

أما بعد - فهكذا انتهت معركة من معارك الصراع الطبقي فى مصر فى القرن الثانى للهجرة، هذا الصراع الذى كان نتيجة حتمية للتناقض الطبقي الحاد فى المجتمع المصرى حينذاك.

لم تكن قضية أهل الحرس (١٨٥-١٩٤ هـ) الحالة الوحيدة ولا الأولى ولا الأخيرة من حالات الصراع الطبقي في المجتمع المصري الإسلامي المبكر، فهي في الحق ليست سوى حلقة من سلسلة طويلة متكاملة تكون في مجموعها حركة تاريخية كانت تحدث كنتيجة حتمية للتناقض بين العرب والمصريين تذكر منها على الاخص ثورات البشمور التي امتدت من الخلافة الأموية حتى الخلافة العباسية.

* (أنظر كتاب الهلال ٤١٦ / أوراق مصرية. د. عبد الله خورشيد ، القاهرة / ١٩٨٥).

عبودية القبط للعرب

وفي الصعيد حيث هيمنت القبائل العربية كان التناقض يتحول إلى تناقض عنصري من نمط خاص. حيث نجد العلاقات بين الأسر القبطية ومشايخ القبائل أشبه بعلاقة السيد بالعبد. ولقد ترك بوركهات وصفًا معاصرًا ذكر فيه أن الأسر القبطية كانت أشبه بالـ Hareedirary Slaves الذين يمتلكهم مشايخ القبائل العربية. وأضاف أن كل أسرة قبطية كانت تحت سلطه وحماية أحد المشايخ وتعتبر من أملاكه مقابل أن تقوم بالعمل في أرض مفردة له. وكان لهؤلاء المشايخ حق توارث الأسر القبطية وحق بيعها فيما بينهم. والواقع أن وصف بوركهات ليس فيه أي مبالغة حيث يذكر علي باشا مبارك في خطته (ج ١٧ ص ٢٥ الاميري) « ثم أن نصارى بلاد الهلة قليلون وكانوا مستعبدين لهم قبل حكم العزيز محمد علي ويقتسمونهم ويتوارثونهم كالممالك ويحكمون فيهم ويحامون عنهم، كما كان في كثير من البلاد إلا أن أهل الهلة أشد في ذلك.

علم الأنساب العربية

« كان نظام تعدد الأزواج والطوطمية سائدا عند عرب الجاهلية بجانب نظام الزواج الخارجى، وبذلك لم تكن نسبة الأبناء للآباء أنما كانت للمقبيلة فى الغالب وأحيانا للأُم. أما سلاسل الأنساب التى تنسب للجاهليين فلم يكن عرب الجاهلية يعرفونها وهى من صنعة الرواة والنسابين فى القرن الثانى للهجرة.

وفكرة الأنساب بدأت وجودها لما أسس عمر خليفة المسلمين ديوان الخراج وراعى فى تقييد الأسماء وتدوينها اعتبارين الدينى والقبلى، وكان هذا مقدمة بعد قرن من زمان لوضع شجرات الأنساب». «سبرنجر»

إن دراسة ظاهرة الأنساب عند العرب القدماء كمظهر للصلات العائلية بين أفراد سلالة بعينها، أو بمعنى أشمل كمظهر لصلات القرابة بين القبائل العربية من وجهة عامة وبين البطون والأفخاذ من وجهة خاصة، مع صرف جانب كبير من التدقيق لسلاسل الآباء والأجداد ونسبة الأبناء لهم، لا يمكن أن يخلص بها الباحث مجردة عن دراسة العوامل والمؤثرات التى كونت طبيعة العنصر العربى. ذلك لأن ظاهرة الأنساب من حيث هى مظهر لصلات اجتماعية إنما تتأثر وتتهذب بما فى المحيط الذى يكتفها من فواعل اجتماعية وطبيعية، فتباين مظاهرها بتباين الظروف التى تترك أثرها الثابت فى البيئة. البداوة أساس ثقافة العرب التقليدية، والبداوة شئ يتصل بكل القبائل التى تعيش متبدية، وجميع ما يتصل بالبداوة أس من الأسس التى تقوم عليها نواحي الحياة عند البداو، إذ البداوة لأهل البادية بداية الحياة، لأن فيها تتجلى روح القبيلة بها تحتفظ الجماعة ببقائها وتصون كيائها، ومن مجموع التصورات والادراكات التى تتمثل لأهل البادية تنشأ الفكر الدينية ثم اللغة ثم ينشأ الفن، ومن بعد ذلك تتحور الأخلاق فتأخذ طابعا خاصا، ومن ثم يتكون قانون العرف البدائى. ومن غير المستطاع أن تنفك جمعية إنسانية طبيعتها البداوة عن كل ما توارثته فتسلخ عن كل ما انتقل إليها عن أسلافها الأقدمين، ثم تستطيع بعد ذلك أن تحتفظ بكيائها الأصيل من غير أن يهتز لذلك التغيير الطارئ أعماق وجودها هذا عنيقا، ذلك لأن طبيعة العرب المطبوعة على البداوة وما يتبعها من مظاهر لا

يمكن تغييرها إلا بتقطع أسباب البداوة في نفوس الأعراب بأنزلاقهم حياة حضرية تتقطع معها أسباب البداوة فيهم، ولهذا ظل العرب بعيدين عن الاشتراك في الحركة الثقافية التي قامت في كيان المدنية الإسلامية ولم يقوموا إلا بدور ثانوي في بناء الحضارة الإسلامية.

فإذا لاحظنا أن البداوة نظام تقوم فيه توزيع الثروة على أساس مستمد من الأسلوب والمغام من جهة، وعلى الرعى والصيد وبعض الزرع من جهة أخرى، لهذا كانت الحياة الاقتصادية غير مستقرة لأنها تستند على الغزو ومهاجمة القوافل والإغارة على القبائل الأخرى والأقاليم والدساكر المتحضرة التي تقوم بجانب منازل البدو، ومن التقل بين المراعى وبعض الزرع بجانب العيون والآبار ومسالك السيول في الوديان. وهذا يعرض البدو كثيرا لأخطار القحط والجماعات، كما يجعل وسائل عيشهم ضيقة السبل، وهذا يضطر القبائل للتنقل دائما في طلب ارتياد المراعى وانتجاع المياه، وتأخذ في التخلص من أسباب الزيادة في الاستهلاك خصوصا إذا ما قام دون ارتحالها موانع طبيعية، وإلى وسائل التخلص من أسباب زيادة الاستهلاك «وَأد البنات».

ونحن نعرف من التاريخ أن العرب كانوا على عادة وأد البنات في الجاهلية حتى أن القرآن حرم عليهم ذلك، وكان نتيجة ذلك أن كان يأتي وقت على القبيلة لا يجد رجالها لأنفسهم نساء بنسبة عددهم فيضطرون كل جماعة من الرجال إلى المشاركة في إمارة واحدة. وهذا النظام من الزواج يعرف بنظام تعدد الأزواج وهو شائع بين القبائل البدوية في العالم ومازال البعض من هذه القبائل في بعض أطراف العالم دارجاً عليها. وفي مثل هذا النظام يتعذر أن يعرف الأب على وجه التحقيق، فإذا ولدت المرأة فإن المولود ينسب إلى أمه أو قبيلته.

ويتفق علماء الاجتماع على أن هذا النظام كان سائدا عند الجاهلية. ويذكر «استرابون» الجغرافي الروماني المشهور عن العرب أنهم كانوا على هذا النظام دارجين، وأن ذكور أسرة بعينها يتزوجون بإمرأة واحدة، ومن الملاحظات التي يبيدها «استرابون» يرى الباحثون في علم الاجتماع أن نظام تعدد الأزواج كان سائدا في بلاد العرب وأن النسبة لم تكن الأباء، وأن الجاهليين كانوا دارجين على نظام الأمومة، والنسبة عندهم للأم أو القبيلة.

كان الزواج عند العرب القدماء على عدة ضروب، وأبسط هذه الضروب، الزواج المشترك،

وهو أن يشترك الذكور في الزواج بالإناث، وهذا الضرب كان شائعا في عصور التاريخ الأولى وهو مجرد عن القيود، وتطور عنه مع الزمن زواج المساكنة وهو أن يساكن الرجل المرأة مدة حملها، وتمخض عن هذا الضرب زواج المتعة. وقد ظل الضرب الأخير معروفا عند العرب حتى القرن الرابع عشر للميلاد حتى أن قبيلة «زبيدة» النازلة على الشاطئ الآسيوى من البحر الأحمر كانت تجرى على ضرب من الزواج المؤقت الاختيارى حيث يساكن الرجل المرأة باختياره مدة حملها وكان ذلك على عهد «ابن بطوطة» الرحالة المغربى الشهير.

ولو نظرنا للنصوص الأثرية لوجدنا ما يثبت درج العرب القدماء على هذا النظام، إذ النصوص الأثرية تثبت أن النسبة كانت للأم. فهذا نص أثرى من القرن الأول لميلاد عثر عليه فى مداين صالح - الحاجر - مكتوب بالخط النبطى جاء فيه:

«هذا القبر الذى بنته كمكم بنت وائلة بنت حرم وكلبية ابنتها لأنفسهن وذريتهن».

هذا الى ان هناك تماثيل للزباء عليه نقش بالخط التدمرى نسبتها فيه لأمها كما أن أبنائها وهب اللات وخيراز وتيم اللاه من زوجها أذينة كانوا ينتسبون اليها وحدها دون إبيهم، مما يثبت ان المجتمع التدمرى كان دراجا على نظام الأمومة.

- ٣ -

لنا أن نخلص مما سبق بأن العرب كانت فى الجاهلية دراجة على نظام الأمومة إلا الذين أخذوا بأسباب التحضر بحكم الاتصال بمراكز الحضارة فى العالم القديم وخاصة فى اليمن .

وإذا لا حظنا أن حقوق المرأة فى اليمن كانت متساوية لحقوق الرجل لها نفس حظ الذكر تتعاطى أعماله وتقوم بوظيفة الكهانة. كان لنا أن نجد فى هذا بداية انتظام الحياة الزوجية على أساس متحول من نظام الأمومة. غير أن هذا الانتظام لم يكن على أساس تعدد الزوجات، لأن العرف لم يكن يسمح للرجل بتزوج غير زوجته، وكل ما كان يسمح به أن المرأة إذا لم تلد لزوجها قدمت له جارية لتلد له، وكان ذلك بداءة ذى بدء من حق المرأة غير أنه مع الزمن صار حقا للرجل وصار مقدمة لنظام تعدد الزوجات.

أما فى الشمال فقد كان هنالك مجتمعان: حضرى وبدوى، أما الحضرى فقد كان يدرج

على نظام مزيج من تعدد الأزواج والزوجات ولهذا كان لأنسابهم على وجه عام اتصال، أما البدو فقد كانوا على نظام تعدد الأزواج دراجين. وهذا يفسر لنا ورود آثار منقطعة الأنساب، النسبة فيها للأم بجانب آثار متصلة واضحة النسبة للأب.

أما عرب الحجاز ونجد فقد كانوا بدوا حتى زمن قصي الذي جمع شمل قبيلة قريش وأسكنها مكة وما حولها، وكان سببا لأن يأخذ القريشيون بأسباب الحياة المتحضرة لوقوعهم على طرق التجارة من الجنوب إلى الشمال، ومع الزمن أخذوا يشتغلون بالتجارة فتحضروا وانتظمت حياتهم على أساس حوالى القرن الرابع للميلاد، وإلى ذلك التاريخ كان عرب الحجاز ونجد دراجين على نظام الأمومة، فما انتظمت حياتهم على أساس فى القرن الرابع للميلاد حتى أخذ نظام الأمومة فى الضعف والتلاشى وانتهت الحياة الزوجية عندهم إلى نظام تعدد الزوجات فى القرن السادس للميلاد وأتى الإسلام فتقبلها وجعلها متكافئة مع مبادئه

ومن المهم لنا فى هذا أن نتبع نظام الطوطمية الذى كان عليه العرب والذى كان يرد لثلاثة أسس أولية:

١- اتفاق القبيلة على كائن أعلى عادة يكون نباتا أو حيوان وأحيانا جمادا، تعتقد أنه الجد الأعلى لها وأنها من صلبة منحدره.

٢- الانتساب إليه والتسمى باسمه.

٣- تقديسه، وكان يشترك فى هذا التقديس كل أفراد القبيلة، أما إذا كان الطوطم خاصا بالشق Sex فإن الذكور أو الإناث فقط من القبيلة هى التى تقدر الطوطم.

فإذا تتبعنا العرب على عهدهم الجاهلى لنثبت من قيام هذه الشرائط الأولية بينهم، سنجد أن العرب وإن لم تتفق يوما فى اعتقاد فى نبات أو حيوان على أنها منحدره من صلبه إلا أنه من الشائع التلقب بصيغة الجمع فى قولهم أنمار وكلاب وأراقم وضباب وهذا يجعل أبناء قبيلة النمر أنمار وقبيلة الكلب كلابا... ومن هنا لنا نستخلص وجود فكرة مهمة عن رواة العرب فى العصر الاسلامى عن انتساب قبائلهم فى الجاهلية لأجداد من الحيوانات أعنى الطواطم.

ذلك أن التسمية بأسماء حيوانية ونباتية شائعة عند العرب القدماء ويمكننا أن نعد من بين أسماء القبائل والبطون والأفخاذ أكثر من خمسمائة اسم من ذلك: بنو أسد بدن وبنو بكر وبنو بهشة وبنو ثعلب وبنو ثور وبنو جعدة وبنو جعل وبنو حذاء وبنو حمامة وبنو حنش وبنو دؤبل نعامة وبنو نمر صنب وبنو ضبيعة وبنو عضل وبنو عنز وبنو غراب وبنو فهد وقريش وبنو كلب وبنو نعامة وبنو نمر وبنو وبر وبنو هوزن وبنو يربوع، غير أن لهذا التسمية صلة مقطوعة في الروايات العربية في نسبة أبناء القبيلة للحيوان التي تحمل اسمها، غير أنه من المهم أن نلاحظ أن الروايات العربية وقد تأخر العهد بتدوينها إلى أواخر القرن الثاني للهجرة، ومضت في أذهان الرواة نيفاً وأربع قرون من الزمان، فقد تأثرت بأوضاع المجتمع وتطورت تبعاً له. وهذه حقيقة أولية معروفة في سير التراث الشعبي Legends في الزمان وتطوره. فإذا رجعنا إلى الآثار وحدها وجدنا ما يسند القول بأن العرب القدماء كانت تنتسب لآباء من الحيوانات أو النبات.

٤-

ثم هناك عبادة العرب وتقديسها للطواطم وهذا شيء لا يتطرق إليه الريب، فنحن نعرف أن العرب كانت تنصب أوثانها وتحت أصنامها على أشكال من الحيوانات وكان تقديسها كثيراً ما ينصرف لصور من الحيوان والنبات وأحياناً لصور من الجماد، وهذا تقديس الحجر الأسود في الجاهلية واحترامه في الإسلام ليس إلا بقية من بقايا الطوطمية.

كذلك من بقايا الطوطمية عند العرب اجتماع القبيلة الواحدة للشار باسمها لأحد أفرادها، ذلك نظراً لأن هذا الاجتماع مظهر من مطالبة القبيلة بحق الطوطم الذي هو الجسد الأعلى، وإذا لوحظ بجانب ذلك أن آخر حدود العرب الاجتماعي هو الحي، حيث لم تكن للأعراب نظام الأسرة، جاز لنا أن نحكم من مجموع هذه القرائن بالاضافة إلى ما سبق بمقدار تحكم نظام الطوطمية عند العرب القدماء. ولما كان من شرائط الطوطمية الزواج الخارجي Exogamy وكان سبب قيام نظام الزواج الخارجي عند العرب اثنين: الأول منها نظام الطوطمية نفسه، فإن صلة القرابة بين الآخذين بهذا النظام لا تعود للدم إنما للأنتساب لطوتم واحد، فيحرم صلة الزواج بين أفراد الطوطم الواحد، ويكون الزواج خارجياً، بمعنى أن إناث القبيلة يتزوجون برجال من غير قبيلتهن ورجالها يتزوجون بإناث من غير قبيلتهم وهذا يؤدي

الى الزواج الخارج Exogamy. إما السبب الثانى فيرجع لاختلال التوازن بين عدد الذكور والإناث فى القبيلة بأن تكون الكثرة العددية فى جانب الذكور لتفشى عادة وأد البنات فيها فينظر الذكور للزواج من الخارج أو اكتفاء عدة من الرجال بإمراة واحدة، والأول يسوق لنظام الزواج الخارجى والثانى لنظام الأمومة، حيث تكون الأم هى مدار العائلة، وفى مثل هذه الحالات تنقطع صلة الأنساب الدموية. لأن النسبة من جهة للطوتم، ومن جهة أخرى معرفة الأب مجهولة.

ولنا أن نخلص من هذا كله الى أن العرب القدماء لم يكونوا يعرفون من فكرة الأنساب ذلك الاتصال الذى نعرفه اليوم نحن عنها، لأن كل ما كانت تعيه خواطرهم ذكريات مبهمه عن جد تنتسب القبيلة اليه. وهذا الجذ عادة يكون آخذا صورة حيوان أو نبات أو جماد تعتقد القبيلة بأنها منحدره منه.

إذا صح كل هذا، وهذا ما لا نرتاب فيه، فتكون النتيجة أن فكرة النسب والأنساب التى تسند للعرب القدماء لا تستند على أساس طبيعى معقول من حقائق الجماعات العربية كما نخلص بها من التحقيق العلمى.

ونحن لو رجعنا الى الورا الى العهد الذى نشأت فيه القبائل وتكونت فيه البطون والأفخاذ فإننا سنجد فى التكاثر العددي السبب الأول، مثال ذلك أن عرب الوسط، وهم ينزلون تهامة والحجاز، نجد أنهم ينقسمون الى فرعين كبيرين «معد» و«عك» والفرع الأخير نزل نواحي زيد جنوبى تهامة وقد ذكرها اليونان فى كتبهم تحت اسم Acchaitai وتفرع مع الزمن عنهم القبائل والبطون والأفخاذ. أما «معد» فهو فرع انقسم الى قسمين «نزار» و«قنص» والأخير انقسم إلى خمسة بطون: قضاة ومضر وربيعة وأياد وأنمار، وقد نزلت كلها فى تهامة والحجاز ونجد، فكانت مساكن قضاة حوالى جدة على البحر الأحمر فما دونها شرقا إلى منتهى ذات عرق (الحد الفاصل بين نجد وتهامة) وإلى حيز الحرم من السهل والجبل، وقبائل مضر أقامت فى حيز الحرم إلى السروات وما دونها من الغور وما والاها من البلاد، أما ربيعة فقد أقامت فى مهبط الجبل من غمر ذى كنده ووطن ذى عرق وما اتصل بها من بلاد نجد الى الغور من تهامة، وأقامت أياد وأنمار معا ما بين حد أرض مضر الى حد نجران وما الاها وصاقيها. وعندما ضاقت بهم الأرض «نزع بنو قضاة ثم تهامة وكذا أياد،

التي أنزلت في الجزيرة، وصار لقنص وغيره من أولاد معد أرض مكة وأوديتها، فلما تكاثروا مع الزمن جميعا ضاقت بهم الأرض فنزح بنو قضاة ثم أغاز ثم تهامة وكذا أباد التي نزلت في الجزيرة شمال العراق. ولم يبق من بني معد في تهامة إلا ربيعة ومضر فنزحت ربيعة ولم تنزل مضر بعد خروج ربيعة مقيمة وحدها في تهامة حتى كثر أفرادها وتكونت الأحياء المختلفة والبطون والأفخاذ فرحل منها من رحل والباقيون تمخض الزمن عنهم بقبيلة قريش (أبن خلدون).

على هذا الأساس الذي يرويه رواة العرب يتبين لنا أن نشأة القبائل ترجع لكثرة الأفراد في قبيلة وتزايدها زيادة يضيق دونها الوسط فتضطرب للارتحال تصريفا لكثرتها العديدة، وارتحال العدد الزائد يكون سببا في نشأة قبائل وبطون جديدة. وكثيرا ما تنشأ هذه القبائل من اجتماع عدة بطون من قبائل مختلفة.

ولقد روت المراجع العربية أن قبائل تنوخ وغسان والعنق تكونت من شتيت البطون التي تناثرت في الصحراء من بقايا القبائل العربية المهاجرة. إذا فيمكننا أن نقول أن الصلات بين القبائل البدوية لم تكن لترجع للانحدار من أصل واحد تنفرع عنه بالزيادة العديدة فقط كما يريد الرواة أن يحملونا على ذلك إنما كانت لأسباب عديدة منها هذا السبب، فإذا لاحظنا أن الصلات الدموية بين القبائل والبطون والأفخاذ لا تجرى على أساس ثابت يمكن الاعتماد عليه سقطت حجة النسابين في فكرة الأنساب وشجرات أنساب القبائل.

-٥-

فإذا رجعنا من فكرة الأنساب العامة للقبائل وصلاتها وعلاقاتها من القرابة والدم الى فكرة النسب والأنساب بين عرب البادية، لم نجد دليلا يسند القول بأن الأعراب كانت لهم القدرة على معرفة سلسلة آبائهم وأجدادهم تصاعدا في الماضي لبضعة بطون غير قول الرواة واجتماع النسابين، وهو لا يكفي وحده لقبول هذه الفكرة ما لم يقيم معها الدليل عليها خصوصا ونحن نرى أن تكأة الصلات بين الأفراد لا تؤدي الى مثل هذه الفكرة نظر لدرج المجتمع العربي على نظامي الطوطمية والأمومة.

غير أن لنا دليلا من الحاضر نستمدده لنقيس استناد عليه ذلك الماضى وهذا الدليل يقوم على أساس أولى فى أن البداوة ثقافة العرب التقليدية وأنها لم تتغير فى الزمان الى صورة مغايرة من عهد الجاهلين الى اليوم بما يجعلنا فمتحن فكرة الرواة والنسابين فى أعراب البادية اليوم. وسنجد أن نتيجة هذا الامتحان مما يثبت كذب الرواة والنسابين، فإن جميع الرحلات التى قام بها الباحثون فى صحراء الجزيرة وبادية بلاد العرب اتفقت على أن العرب يجهلون فكرة الأنساب ولا يتذكرون شيئا عن آباء أجدادهم وذكرياتهم مبهمة عن أنسابهم وتجري من حول جد كبير ينتسبون اليه، وهذا يرجع من وجهة نظر خاصة إلى ثبات ظروف الحياة على وتيرة واحدة فى البادية.

إذا صح ما قدمناه - وهذا ما لا نشك فيه - فى أن عرب الجاهلية كانوا يجهلون فكرة الأنساب، فليس لنا إلا أن نحكم بأن كل ما قرره الرواة عن الأنساب وما روه من شجرات الأنساب عن الجاهلية متحلة لا تمت للعصر الجاهلى بسبب، هذا الى أنه لا يمكننا أن نصدق أن ذاكرة العربى كانت خزانة تعى سلسلة نسبه أبا عن جد لأن ذلك رغم منافاته لمشاهداتنا عن أعراب اليوم وهم لم يتغيروا قليلا أو كثيرا عن أعراب الجاهلية، فإنه من الصعب نسبة مثل هذا الزعم لقوم أميين لأننا رغم وجود الوثائق وأخذنا بتسجيل الأسماء نعجز عن معرفة آباء أجدادنا فى كثير من الحالات.

إن مثل هذه الدعوى الخطيرة التى روج لها الرواة العرب والنسابون فى القرن الثانى للإسلام كانت السبب فى وهم الكثيرين أن العرب شعب له مقدرة فائقة فى معرفة أنسابه. ولست أدري كيف يكون للعرب هذه المقدرة التى تنسب لهم، ثم لا يتفق اثنان من نسابهم على نسب واحد من أنسابهم؟

هذه دولة حمير - أضرب بها مثلا على سبيل التمثيل لا الحصر - فأقول أنك لا تجد الرواة العرب اتفاقا فى عدد ملوكها وأسماء هذه الملوك وتعاقبهم فى الملك. ونحن نعرف من الاستكشافات الأثرية الأخيرة حقائق عن دولة حمير تبين كل المبايمة ما رواة العرب وما قاله نسابوهم عن ملوك حمير، مما يكشف أنها من صنع خيالهم الخصب الذى حاك هذه التخيلات من حول بعض الحقائق التى مضت فى طى الزمن فشوهت مع الزمان.

وهذا نسب عدنان، لو القيت نظرة عليه لوجدته مشحونا بأسماء لاهى الى العربية تمت
بصلة ولا الى السريانية كما ظن ابن دريد، وهى تدل على كذب الرواة. ويكفينا أن نلاحظ
مع «ليون كاتانى» هذه الحقيقة الملموسة فى أن النساين حاولوا أن يرجعوا بكل معاصرى
الرسول المعروفين وعددهم يربو عن أربعة آلاف الى آدم أبى البشر فى سلسلة من الأنساب.

٦-

لنا أن نبحث الآن فى الكيفية التى استندت عليها شجرات الأنساب، وسنجد أن ديوان
الخراج الذى وضع قواعده عمر بن الخطاب كان الأساس لاستحداث فكرة النسب ووضع
شجرات الأنساب فيما بعد. بيان ذلك أن عمر بن الخطاب أسس الديوان شاملا لأسماء
المسلمين المهاجرين والأنصار ومن تابعهم ومقدار اعطياتهم تبعا للنسب النبوى والسبق فى
الإسلام، وكان لكل مسلم راتب يتناوله هو ورواتب لعائلته وأولاده، ويجب أن نلاحظ أن
ديوان الخراج أسس على عهد عمر بن الخطاب على اعتبار أن كل المسلمين وقتئذ جند، وهالك
شئ من التقسيم:

المهاجرون والأنصار الذين شهدوا غزوة بدر	٥٠٠٠ درهم
الذين لم يشهدوا غزوة بدر	٤٠٠٠ درهم
أزواج النبی	١٢٠٠٠ درهم
العباس عم النبی	١٢٠٠٠ درهم
الحسن والحسين	٥٠٠٠ درهم
ابن الخليفة	٣٠٠٠ درهم
أبناء المهاجرين والأنصار	٢٠٠٠ درهم
أهل مكة	٨٠٠ درهم
سائر المسلمين	٣٠٠ - ٥٠٠ درهم
نساء المهاجرين والأنصار	٢٠٠ - ٦٠٠ درهم

وكان التقييد في الديوان يراعى فيه اعتباران: السبق للإسلام والنسب، أعنى الاعتبار الدينى والقبلى فرتب الأفراد باعتبار الشعب والقبائل والعمارات والبطون والأفخاذ والفضائل حتى يتميز كل عن غيره. فالعرب كانوا يرتبون باعتبار القرابة من الرسول فيبدأ بالترتيب بأصل النسب النبوى ثم بما يتفرع عنه، لهذا بدأ عمر ديوان الخراج بالعباس عم النبى ثم بنى هاشم ثم بمن بعدهم طبقة طبقة. فالعرب لما كانوا ينقسمون حسب زعمهم الى قحطانيين وعدنانين فتتقدم العرب العدنانيين فى الديوان لأن النبى منهم، وعدنان يجمع ربيعة ومضر فتتقدم مضر على ربيعة لأنه منها ومضر تجمع قريش وغير قريش بنى هاشم وغيرهم فتتقدم بنى هاشم، وهكذا ترى قطب الدائرة بين هاشم ثم من يليهم وهكذا.

وكان مراعاة الجانب القبلى فى تدوين ديوان الخراج سببا أساسيا فى فتح الباب لوضع الأنساب والتر ويج لفكرتها، لأن العرب كانت تعيش قبائل بحكم طبيعتها، وتعد القبيلة وحدة لنفسها كوحدة الأسرة فتتمحى فيها شخصية الفرد، فالحمدة التى يأتها الفرد محمودة للقبيلة، والعار لها، والشاعر النابغ تفتخر به القبيلة. ولقد حاول الإسلام ضمن ما حاول أن يجعل الأخوة الدينية بدل الأخوة القبائلية ولكن العرب ظلوا ينحازون فى القتال الى قبائل ويذكرون مواقفهم بما لهم من ذكريات مبهمة عن ما ضيهم. وكان مراعاة عمر للاعتبار القبلى فى الديوان سببا للتناحر بين القبائل، وعاشت الدولة الأموية تتقاتل بالعصبية حتى أتت الدولة العباسية، وكانت الأفكار قد هضمت فكرة النسب والأنساب. فقام جماعة من الرواة هم النسابون وأخذوا يضعون شجرات الأنساب ويملؤون الفراغ ما بين المعروفين من أعلام عصرهم وبين شجرة نسب الرسول فكانت بذلك سببا لوضع الأنساب وتناقلها. ويجب ألا ننسى أن عمر بن الخطاب راعى الاعتبار القبلى فى التدوين بديوان الخراج مما مهد لكثيرون أن يندفعوا لأغراض مادية فى الرغبة على الحصول على مخصص أكبر من الديوان الى تزكية نفوسهم كأفراد من هذه القبيلة أو ذالك ولجأوا الى أنساب مفتعلة ليصلوا الى أغراضهم فكانت هذه مقدمة أساسية تطورت مع الزمن فانتهدت كما قلنا الى شجرات الأنساب.

ولقد اشتهر القرن الأول بأن الحياة فيه كانت عربية محضة. فكان الاقتتال بالعصبية، ولقد فأخرت القبائل بعضها بما لها من مواقف حاسمة فى الجاهلية والإسلام وتهاجى الشعراء

وتفاخروا بقبائلهم، فهذا جرير والفرزدق والأخطل يتهاجون بالقبائل فيفخر جرير على الأخطل بقبيلتي تميم وقيس ويفضلها على قبيلة تغلب ويفخر الأخطل بقبيلة تغلب على تميم ويفخر جرير على الفرزدق بقبيلته والفرزدق على جرير بما لأجداد من مآثره، وفي وسط هذا الاقتتال وجد بعض الرواة سبيلا يذكرون به هذا الاقتتال بالعصبية بين القبائل لأغراض ومصالح لهم فزجوا أنفسهم في الميدان كنسايين، وكان أظهر هؤلاء في ذلك الزمان البكري الذي روى عنه رؤية ابن الحجاج وسعيد بن المسيب. وفكرة الأنساب للأفراد، الشيء الذي اختص به العصر الثاني من الإسلام أيام العباسيين، إنما كان السبيل لتنظيم أنساب القبائل وبيان صلاتها ببعض. ولما جاءت الدولة العباسية، وجاء معها التفكير المنظم وقامت الشعوبية في الإسلام انتظمت فكرة الأنساب واستقرت في العقول وظهر جماعة من النسايبين كان لهم اليد الطولى في وضع شجرات الأنساب ونشرها بين الناس.

-٧-

اشتهر من بين هؤلاء النسايبين نفر أشهرهم اثنان: محمد بن السائب الكلبي وابنه أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي. وبجانبهما اشتهر نفر مثل سحيم المكني بأبي يقظان المتوفى سنة ١٩٠ هـ وكان من مشايخ المدائني. ويروى عنه أنه جمع نسب تميم وخندف أو قل وضع لتمييم وخندف نسبهما، غير أنه من المهم أن نلاحظ أن هؤلاء النسايبين والرواة في القرن الثاني يختلف عن طابع نسابي القرن الأول ورواته. لأن اهتمام النسايبين والرواة في القرن الثاني كان موجهها لإيجاد شجرات الأنساب بعكس نسابي ورواة العصر الأول الذين كان اهتمامهم موجهها لفكرة الأنساب العامة والصلات القبلية بين القبائل خضوعا لروح العصر، وهذا الاختلاف في الطابع يبين لنا سر عدم وضع شجرات أنساب الأفراد في القرن الأول للهجرة.

وقد قلنا أن محمد السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ هـ والذي ينتسب لقبيلة كلب هو أول من صنف في الأنساب على وجه منظم، ومن هنا شهرته كأب لعلم الأنساب وموجدا لها. وكان صاحب علم غزير أخذ على رأى رواة العرب نسب قريش عن أبي صالح عن عقيل بن أبي طالب، وأخذ نسب كنده عن أبي العباس الكندي، ونسب معد بن عدنان عن البخار بن

أوس العدواني، وكان هو وأبو يعقوب المنهدي من مشايخ ابنه أبي النذر بن محمد السائب الكلبي شيخ النساين، غير أنه كان متهما في روايته، صاحب لهو لا يعتد بما يرويه كما تتفق المصادر العربية، وهذا يجعلنا نشك في قيمة ما رواه من أنساب وما قدمه من شجرات للنسب، وكلها تمتاز بأن سندها ساقط في العموم. ويجب أن نلاحظ أن فكرة الأسناد هنا لم تكن بنفس أهميتها في رواية الحديث النبوي، وإن كان ابن السائب الكلبي يرى الأسناد في الخبر كالعلم في الثواب. ويجب ألا يغرب عن البال أن الأفكار المتسلطة على ذهن العصر وأهمها الترويج للهاشميين وأبناء هاشم ورفع شأنهم لم يكن ابن الكلبي ليخلص من تأثيرها بجانب فكرة الأنساب التي راجت في القرن الأول للهجرة والتي أخذت حيزا في ذهنية ذلك العصر.

ومن أعلام الناس الذين أخذت فكرة الأنساب حيزا كبيرا من ذهنيته أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ هو قد تلقى النسب والأنساب عن والده وكذلك شيخه أبي يعقوب المنهدي. وكان شديد الاتصال بالعباسيين يغلب عليه التشيع، روى عن أبيه وعن معروف المولى وروى عنه كثيرون منهم شباب العصفري وابنه العباس بن هشام ومحمد بن سعيد (كاتب الواقدي) وعلى بن حرب الموصلي وعبد الله بن الضحك المهداوي وأبو الأشعث أحمد بن مقدم العجلي.

وكان هشام آية في معرفة النسب ووضع شجراتها حتى صار فردا يضرب به المثل، وأهم كتاب له «جمهرة النسب» وهو أشهر مؤلف في علم الأنساب وعليه تعويل أهل العلم من نسابة العرب، وهذا الكتاب هو المصدر الوحيد لما كتب في نسب العرب مثل كتاب المعارف لابن قتيبة والأنساب للسمعاني، وقد عول عليه ابن حزم الظاهري فيما كتب عن أنساب العرب. إلا أن دراستنا على الجمهرة وتلخيص ياقوت الحموي لها (في المقتضب من جمهرة النسب)، أثبت أن هشام الكلبي كان يأخذ لنفسه الحرية في وضع الأنساب مستمدا مادته من الذكريات المبهمة التي حفظت عن الجاهلية ورويت في العصر الإسلامي.

والعلماء لا يرضون عن هشام الكلبي ويطعنون في نزاهته، فهذا السمعاني يقول إنه يروى الغرائب والأخبار التي لا أصل لها، وأبو الفرج الأصفهاني يشك فيه وفي نزاهته فيقول أن الأخبار التي وضعها عن الجاهلية التوليد بين فيها، وأن ما ذكره عن الجاهليين موضوع كله. وهو يروى الكثير عنه غير أنه يعقبها بعبارة ولعلها من أكاذيب ابن الكلبي.



إذا فسدت مروءة الرواة والنسايين وأحاطت بهم ظروف مختلفة تحملهم على الكذب والانتحال ككسب المال والتقرب الى الأمراء والظهور على الخصوم والمنافسين ظهرت وجوه الانتحال وذهبت الثقة بما يرويه الرواة.

ولم تكن العصبية بين القبائل في القرن الأول للهجرة واخلافات السياسية والأغراض الدينية والاجتماعية إلا التكاثر لوضع شجرات الأنساب، فنحن نعلم أن العرب انتظمت حياتها على نظام القبائل، والقبيلة كانت الوحدة الاجتماعية التي يفنى فيها الشخص، ولقد حاول النبي محمد أن يغير من هذه الطبيعة في نفوس العرب وبذل جهدا خارقا ليجعل من الأخوة الدينية سببا للوحدة الاجتماعية بدلا من الأخوة القبلية - نسبة الى القبيلة - غير أن ذلك كان من المستحيل، حتى أنه في عصر الفتوحات الإسلامية كان العربي يذهب في صفوف المسلمين غير مندمج في جموعهم لا حقا بأبناء قبيلته. فمن هنا يتبين أن كل فئة من العرب كانت تحيا ذاتها ولذات نفسها مع الصلات التي كانت هذه الصلات تأخذ صورة من منازل الفئدة الأخرى. ولذلك ما فرغ من الفتوحات حتى أخذ ينازل الفئات المجاورة التي تربطها به صلة القرية، أو يتحالفان للقرابة بينهما وبشئان الغارة على الجماعه العربية عنهما. وكان هذا الصراع بين قبائل العرب في العصر الأموي مقدمة لزوال دولة العرب، وكان في الآن نفسه سببا في أذكاء العصبية القبلية وكانت كل فئة تفتخر بقبيلتها مما يثبت أنها كانت تعيش لذاتها وبذاتها.

ولا أدل على ذلك عندنا من صفحة الصراع الدموي بين قبائل العرب في العصر الأموي (وحتى في الأندلس البعيدة)، والذي كان من مظاهره الباقية افتخار كل قبيلة على الأخرى بشعرائها، وكان ذلك بدوره سببا لأن تلجأ كل فئة الى الرواة والنسايين رجاء نصرة عصبتهم على عصبية الفئة المجاورة لهم، وليس تعوزنا النصوص العربية التي تثبت هذا القول من غير لبس أو تردد، لأن هناك شبه اجماع عند المتقدمين بهذه الحقائق الأساسية التي نخلص بها من أسباب الانتحال تمهد لنا سبيل البحث والدرس. فإذا أردنا أن ننظر لشجرات الأنساب فيجب أن نضع موضع النظر قبل كل شيء العوامل والمؤثرات والفواعل التي كان يغلب بها قلب

المجتمع العربى فى فجر الإسلام وضحاها، والمتحصل من هذا كله أن التكون الاجتماعى للعرب لم يسايره وضع الأنساب من حيث هى مظهر لصلات التكون الاجتماعى، وكما قلنا أن «ديوان» المسلمين كان مقدمة لذلك. وهو أن كان بداءة ذى بدء مواطننا لتكون العرب الاجتماعى فى عصر الخليفة عمر إلا أنه فتح الباب لأوجه من الانتحال.

ولعل من المستطاع لو نظرنا لأسباب الوضع أن نخلص بالنصوص التى أعززتنا فى فحص النواحي المصطنعة، ولا جرم أن هذا الأمر ينتهى بنا الى تدقيقات واسعة تغربل كل ما وصلنا عن النساين والرواة.

والذى لامعدل عنه تدبر أسباب الوضع لتكوين فكرة عامة يتدبر معها الباحث فى الأنساب السبيل الى حيث لا يخطئ، ونحن لو تدبرنا أسباب الوضع لوجدنا العصبية التى أوفيناها حقها من البحث تنزل فى الرأس، ثم يليها الدين والصراع بين الأمويين والهاشميين على الخلافة مما يدخل من جانب تحت العصبية القبلية، ومن جانب تحت السبب الدينى.

خاتمة

ودراسة كيفية افتعال الأنساب ليست بالشئ الهين، لأن التكوين الاجتماعى عند العرب كان يسمح ويساعد على تغطية أوجه الانتحال، ودليل ذلك واضح فى النصوص التى تقدمت، والمتحصل أن الناظر فى افتعال الأنساب يجب أن يلاحظ أن تكون العرب الاجتماعى كان يختلق فى العصر الذى وضعت له الأنساب من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب كما سبق الى ذلك البيان. فقد كان مجتمع عرب الجنوب Arabia Felix يقوم على أساس نظام الأبوة وتعدد الأزواج - من النساء - بعكس المجتمع الشمالى الذى كانت بدويته تقف عقبة دون تخلصه من آثار نظام الأمومة فى البيئات التى كانت تأخذ بأسباب الحضارة كما حدث فى بيئة مكة على عهد قصى.

هذا الى أن دراسة التكوين الاجتماعى عند العرب القدماء وتطور هذا التكوين وانتهائه الى صورة ما فى العصر الجاهلى، يتكافأ والمحيط الطبيعى والاجتماعى، تبين الى أى حد كان النسابون ينتحلون الأنساب ويضعوها. ولما كان كل واقعة فى التاريخ تخفى وراء مظهرها

المادى مظهرا نفسيا فاكشاف هذا المظهر النفسى معناه الكشف عن حقيقة خفية من الحقائق التى تمضى فى صلب التاريخ، والمظهر النفسى وراء شجرات الأنساب يكشف عن وجه دقيق للحياة والتفكير والصراع فى العصر الأموى والعباسى، ومن هنا نحن نرى فى شجرات الأنساب سجلا دقيقا للمنازعات التى قامت فى العصر الإسلامى، فضلا عما لها من قيمة أسطورية لأنها فى العادة تحاك من حول أصل تاريخى. فدرسها إذن من الناحية الأسطورية تكشف للمؤرخ عن مادة واسعة غنية بالحقائق التاريخية يستعين بها فى توضيح ما غمض من أحوال العرب قبل الإسلام، ولا يخالجنى الشك أننا لو اتخذنا هذا الطريق فى دراسة شجرات الأنساب للاستعانة بها فى دراسة تاريخ العرب فإننا سنخرج بصورة جديدة عن تاريخ العرب لا أقول أنه أقرب إلى الواقع فحسب، إنما أقرب إلى الواقع من كل عرفناه إلى اليوم.

المراجع:

(1) kinship and Marriage in Early Arabia, By W. Robertson Smith 2nd Edition, London 1903.

(2) Das Matriacht bei den alten Arabien Von G. Wilke

(الأمومة عند العرب تأليف ويلكن ونقله للعربية بتدلي صليبا الجوزي قازان)

(3) Geschichte des Volkes Arab. Von G. Euold. Berlin 1935.

(4) Travels in Arabien Desert, BY DOVghtY, 2vol. cambridge, 1888.

Beduins tribes of the Euphrates, By Lady Anne Bleint, 2nd Vol. London. 1879

أنساب العرب القدماء لجورجي

زيدان صاحب مجلة الهلال، القاهرة، ١٩٠٦

(7) Al-Ansab Al-Arabiya, Von. I. A. Edham.

(٨) تاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان، القاهرة، ١٩٠٨.

(٩) فجر الإسلام لأحمد أمين، القاهرة، ١٩٢٨.

The Kitab Al- Ansab of Abid Al-Karim Ibn Muhammd Al-Samani
Reproduced in Faximile front Manuscript in The British Museum, With
an Introduction BY D.s Margoliouth, London, 1912.

(*) المقال بتصريف عن كتاب «المؤلفات الكاملة للدكتور إسماعيل أدهم/ جزء ٣ قضايا
ومناقشات» - تحرير تقديم: د. أحمد إبراهيم الهواري. دار المعارف/ القاهرة، ١٩٨٦



فهرس الجزء الثانى

الموضوع	الصفحة
تقديم المحقق.....	١٥ : ١٥ ك
المخطوط: (٣٩) أغاثون ولد بنيامين بالروح، ٦٦١ / ٦٧٧ م. السيرة	
(١٥).....	١
هامش سفلى: * حوليات تاريخ مصر من عام ٦٣٩ إلى ٨٦١ م (إضافة من	
المحقق).....	١
* كان المصريون ملزمون بمصاريف وتجهيز الاسطول العربى فى	
مصر.....	٧
المخطوط: (٤٠) يوحنا، ٦٧٧ / ٦٨٦ م.....	١٦
هامش جانبي: * هدنه بين الامبراطور جوستيان والخليفة عبد الملك مقابل ألف	
دينار يوميا تدفع للامبراطور.....	٢٤
المخطوط: (٤١) اسحاق، ٦٨٦ / ٦٨٩ م. (السيرة ١٦).....	٤٢

المخطوط: (٤٢) سيمون: ٦٨٩ / ٧٠١ م.....	٥٣
هامش جانبي: * محاولة اغتيال البطريرك سيمون بالسم	٦٣
* بدعة الطلاق.....	٦٩
* انقلاب ليونتيوس على الامبراطور جوستنيان	٧١
* ازمة البطريرك سيمون مع الوالي عبدالعزیز بسبب طلب أحد	
الهنود تعيين اسقف لهم في الهند	٧٤
المخطوط: * السيرة السابعة عشرة	١٠٠
(٤٣) الاكسندروس الثاني: ٧٠٥ / ٧٣٠ م.....	١٠٣
هامش جانبي: * عودة جستنيان الثاني للاستيلاء على الحكم بمساعدة البلغار.....	١٠٣
* تولية عبدالله ابن عبدالمملك على مصر.....	١١٣
* مصدر العاملين في الاسطول بمصر.....	١١٧
* تولي قره ابن شريك على مصر ومعاناة أهلها منه	١١٩
* النزاعات داخل الامبراطورية البيزنطية (هامش المحقق)	١٢٠
* الأواني المقدسة بالكنيسة (هامش)	١٣١
* هروب المصريين من أراضيهم بسبب استبداد قره ابن شريك	١٤٢
* الأوبئة تنتشر في البلاد وتقتل الناس ومنهم قره ابن شريك	١٤٤
* الولاة يخلعون الاعمدة الرخام من الكنائس لاستخداماتهم	
وبيعها	١٥٠
* تولي اسامه ابن زيد بدلاً من قره ابن شريك	١٥١
* اضطهاد اسامه للمصريين واستبداده في جمع الأموال	١٥٣
* عمل سجلات (بطاقات) لكل شخص لتشديد الرقابة	١٥٧
* وفاة سليمان ابن عبدالمملك وتولي عمر ابن عبد العزيز الخلافة	
الأموية	١٦١
* عمر ابن عبد العزيز يطرد كل العاملين من القبط بالدواوين	١٦٣
* عمر ابن عبد العزيز يفرض الجزية على من كان لا يجوز دفعها	١٦٤
* وفاة عمر ابن عبد العزيز وتولي أخوه هشام بدلاً منه	١٦٥

١٦٩	هامش جانبي: * تولى عبيد الله ابن الجحباب على مصر.
١٩٠	المخطوط: (٤٤) قسما: ٧٣٠ / ٧٣١ م.
١٩٥	(٤٥) تاوردوروس: ٧٣١ / ٧٤٣ م.
٢٠١	(٤٦) انبا خيال الاول: ٧٤٤ / ٧٦٨ م.
٢١٠	❖ السيرة الثامنة عشر.
٢٣٧	هامش جانبي: * انبا مويسيس (موسى).
٢٤٢	المخطوط: ❖ الاحداث التي صاحبت اختيار البطريرك الجديد.
٢٦٣	هامش سفلى: * ولاية مصر من عمرو ابن العاص حتى بداية الطولونيين.
٢٦٣	١- ولاية عمرو ابن العاص.
٢٦٦	٢- ولاية عبدالله ابن سعد.
٢٧١	٣- ولاية محمد ابن ابي حليفة.
	المخطوط: ❖ وفاة الخليفة هشام وتولى الوليد ابن يزيد ابن
٢٦٢	عبد الملك الخلافة.
	❖ حسان ابن عتاهية يتولى على مصر من قبل مروان
٢٦٤	ابن محمد.
٢٦٥	❖ هروب حسان امام جنود ابن رجا.
	❖ وصول حوثره ابن سهل بجيش كبير الى مصر
٢٦٩	ليحكمها من قبل الخليفة مروان.
٢٧٢	❖ عزل حوثره وتولى عبد الملك ابن مروان مصر.
٢٧٣	❖ دهان للمراكب يمنع عنها النيران الاغريقية.
	❖ خلاف حاد بين القبط والملكانيين حول بيعة ابي
٢٧٤	مينا بمريوط.
٢٧٥	❖ الصوم الكبير.
٢٧٩	هامش سفلى: ٤- ولاية قس ابن سعد.
٢٨٣	٥- ولاية الأشتر مالك ابن الحارث.

٢٨٨	هامش سفلى: ٦- ولاية محمد ابن أبى بكر الصديق
٢٩٤	٧- ولاية عمرو ابن العاص الثانية.
٢٩٨	٨- ولاية عتبة ابن أبى سفيان.
٣٠٠	٩- ولاية عقبة ابن عامر.
٣٠٢	١٠- ولاية مسلمة ابن مخلد.
٣٠٥	١١- ولاية سعد ابن يزيد.
٣٠٧	١٢- ولاية عبدالرحمن ابن عتبة.
		هامش جانبي: * العلاقات بين بيزنطة والمسلمين بين عامى ٧١٧/
٣٠٨	٨٦٧م.
٣١٥	هامش سفلى: ١٣- ولاية عبدالعزيز ابن مروان.
٣٢٨	١٤- ولاية عبدالله ابن عبدالملك.
٣٥٦	١٥- ولاية قره ابن شريك.
٣٥٩	١٦- ولاية عبدالملك ابن رفاعه.
٣٦١	١٧- ولاية أيوب ابن شراحيل.
		المخطوط: * حملة عسكرية لملك دنقله على مصر تصل الى بركة
٣٦٢	الحبش جنوب القسطنطينية.
٣٦٤	هامش سفلى: ١٨- بشر ابن صفوان.
		المخطوط: * العلاقة بين ممالك شمال السودان والكنيسة
٣٦٥	المصرية.
٣٦٦	هامش سفلى: ١٩- حنظلة ابن صفوان.
٣٦٧	٢٠- محمد ابن عبدالملك.
٣٦٩	٢١- الحر ابن يوسف.
٣٧٠	٢٢- حفص ابن الوليد.
٣٧١	٢٣- عبدالملك ابن رافع. الثانية.
٣٧٢	٢٤- الوليد ابن رفاعه.
٣٧٧	هامش جانبي: * تواتر اخبار الدعوة العباسية فى خراسان.

- هامش سفلى: ٢٥- ولاية عبدالرحمن ابن خالد. ٣٧٧
- ٢٦- ولاية حنظلة ابن صفوان الثانية. ٣٧٩
- ٢٧- ولاية حفص ابن الوليد الثانية. ٣٨١
- المخطوط: ❖ الخليفة الاموى مروان يهرب من وجه الخراسانيين
العباسيين الى مصر ويحرق كل البلاد من خلفه. ٣٨٢
- هامش سفلى: ٢٨- ولاية حسان ابن عتاهية. ٣٨٤
- ٢٩- حفص ابن الوليد الثالثة. ٣٨٦
- ٣٠- ولاية حوثة ابن سهل. ٣٨٨
- المخطوط: ❖ تواتر الاخبار عن ثورات البشمور بشمال الدلتا. ٣٩٠
- ❖ هروب مروان بعد هزيمة قواته أمام البشمور. ٣٩١
- هامش سفلى: ٣١- ولاية المغيرة ابن عبيدالله. ٣٩٤
- ٣٢- ولاية عبدالملك ابن مروان. ٣٩٥
- المخطوط: ❖ قدوم مروان بن محمد الى مصر. ٣٩٦
- هامش سفلى: ٣٣- الدولة العباسية: صالح ابن على. ٣٩٩
- المخطوط: ❖ هزيمة اخرى لجنود مروان أمام البشمور. ٤٠٢
- هامش سفلى: ٣٤- أبو عون عبدالملك ابن يزيد. ٤٠٤
- المخطوط: ❖ معجزة عذراء الدير. ٤٠٤
- هامش سفلى: ٣٥- ولاية صالح ابن على الثانية. ٤٠٥
- ٣٦- أبو عون عبدالملك الثانية. ٤٠٩
- ٣٧- ولاية موسى ابن كعب. ٤١١
- ٣٨- ولاية محمد ابن الأشعث. ٤١٣
- ٣٩- ولاية حميد ابن قحطبة. ٤١٥
- المخطوط: ❖ مروان يحرق القسطنطينية بكل ما فيها ويهرب امام
الخراسانيين. ٤١٥
- هامش سفلى: ٤٠- ولاية يزيد ابن حاتم. ٤١٧
- ٤١- ولاية عبدالله ابن عبدالرحمن. ٤٢٤

٤٢٦	هـامش سفلى: ٤٢- ولاية محمد ابن عبدالرحمن.
٤٢٦	٤٣- ولاية موسى ابن على.
٤٢٨	٤٤- ولاية عيسى ابن لقمان.
٤٢٩	٤٥- ولاية واضح مولى أبى جعفر.
٤٣٠	٤٦- ولاية منصور ابن يزيد.
٤٣١	٤٧- ولاية يحيى ابن داود الخرسى.
٤٣٢	٤٨- ولاية سالم ابن سواده.
٤٣٣	٤٩- ولاية إبراهيم ابن صالح.
٤٣٥	٥٠- ولاية موسى ابن مصعب.
٤٣٩	٥١- ولاية اسامة ابن عمرو المعافى.
٤٤٠	٥٢- ولاية الفضل ابن صالح.
٤٤٣	٥٣- ولاية على ابن سليمان.
٤٤٥	٥٤- ولاية موسى ابن عيسى.
٤٤٦	٥٥- ولاية مسلمة ابن يحيى.
٤٤٦	٥٦- ولاية محمد ابن زهير.
٤٤٧	٥٧- ولاية داود ابن يزيد المهلبى.
٤٤٨	٥٨- ولاية موسى ابن عيسى الثانية.
٤٤٩	٥٩- ولاية إبراهيم ابن صالح.
٤٥٠	٦٠- ولاية عبدالله ابن المسيب الضبى.
٤٥٠	٦١- ولاية اسحاق ابن سليمان.
٤٥١	٦٢- ولاية هرثمة ابن أعين.
٤٥٢	٦٣- ولاية عبدالملك ابن صالح.
٤٥٢	٦٤- ولاية عبيدالله ابن المهدي.
٤٥٣	٦٥- ولاية موسى ابن عيسى الثالثة.
٤٥٤	٦٦- ولاية عبيدالله ابن المهدي الثانية.
٤٥٤	٦٧- ولاية إسماعيل ابن صالح العباسى.

٤٥٥	هامش سفلى: ٦٨- ولاية إسماعيل ابن عيسى العباسى
٤٥٥	٦٩- ولاية الليث ابن الفضل
٤٥٧	المخطوط: ❖ الخراسانيون يقضون على مروان
٤٥٨	هامش سفلى: ٧٠- ولاية أحمد ابن اسماعيل العباسى
٤٥٩	٧١- ولاية عبدالله ابن محمد العباسى
٤٦٠	٧٢- ولاية الحسين ابن جميل
		المخطوط: ❖ الخراسانيون يطلقون سراح البطررك خايل ومن معه
٤٦١	من قبضة الامويين
		❖ ابو عون صيد الملك ابن يزيد يتولى مصر من قبل
٤٦٢	الخراسانيين
٤٦٢	هامش سفلى: ٧٣- ولاية مالك ابن دلهم الكلبي
٤٦٤	٧٤- ولاية الحسن ابن التختاخ
٤٦٦	٧٥- ولاية حاتم ابن هرثمة
٤٦٧	٧٦- ولاية جابر ابن الأشعث
٤٦٨	٧٧- ولاية عباد ابن محمد ابن حيان
٤٧٢	٧٨- المطلب ابن عبدالله الخزاعى
٤٧٤	٧٩- ولاية العباس ابن موسى ابن عيسى
٤٧٥	٨٠- ولاية المطلب ابن عبدالله الثانية
٤٧٥	هامش جانبي: ❖ عيد الصليب
٤٨٣	هامش سفلى: ٨١- ولاية السرى ابن الحكم
٤٨٦	المخطوط: ❖ موقف البطررك خايل من البشمور وثورتهم
٤٨٨	❖ انتشار اتباع مليتس فى ديارات اوسيم والفسطاط
٤٨٨	هامش سفلى: ٨٢- ولاية سليمان ابن غالب البجلي
٤٨٩	٨٣- ولاية السرى ابن الحكم الثانية
٤٩٧	٨٤- ولاية أبو النصر ابن السرى
٤٩٨	٨٥- ولاية عبيدالله ابن السرى

- هامش سفلى: ٨٦- ولاية عبدالله ابن طاهر. ٥٠٦
- ٨٧- ولاية عيسى ابن يزيد الجلودى. ٥١٢
- ٨٨- ولاية عمير ابن الوليد. ٥١٣
- ٨٩- ولاية عيسى ابن يزيد الجلودى الثانية. ٥١٦
- ٩٠- ولاية عبدويه ابن جبلة. ٥١٩
- ٩١- ولاية عيسى ابن منصور. ٥٢٠
- هامش جانبى: * قدوم المأمون لقمع ثورة البشمور. ٥٢٢
- * الحرب ضد الايقونات. ٥٢٢
- هامش سفلى: ٩٢- كيدر نصر ابن عبدالله. ٥٢٣
- المخطوط: (٤٧) أنبا مينا، ٧٦٧/ ٧٧٥م. ٥٢٥
- هامش سفلى: ٩٣- ولاية مظفر ابن كيدر. ٥٢٥
- ٩٤- ولاية موسى ابن أبى العباسى. ٥٢٦
- ٩٥- ولاية مالك ابن كيدر. ٥٢٦
- ٩٦- ولاية على ابن يحيى الارمنى. ٥٢٧
- ٩٧- ولاية عيسى ابن منصور الثانية. ٥٢٨
- ٩٨- ولاية هرثمة ابن النضر الجبلى. ٥٢٩
- ٩٩- ولاية حاتم ابن عرثمة. ٥٢٩
- ١٠٠- ولاية على ابن يحيى الارمنى الثانية. ٥٣٠
- ١٠١- ولاية اسحاق ابن يحيى. ٥٣٠
- ١٠٢- ولاية خوط عبدالواحد ابن يحيى. ٥٣٢
- ١٠٣- ولاية عنبة ابن اسحاق. ٥٣٤
- ١٠٤- ولاية يزيد ابن عبدالله التركى. ٥٣٧
- ١٠٥- ولاية مزاحم ابن خاقان. ٥٤٥
- ١٠٦- ولاية أحمد ابن مزاحم ابن خاقان. ٥٤٨
- ١٠٧- ولاية أزجور التركى. ٥٤٩
- ❖ مصر ونظم الحكم تحت العرب والعباسيين. ٥٥٠

- المخطوط: (٤٨) انبا يوحنا: ٧٧٥ / ٧٩٩ م. ٥٧٥
- هامش سفلى: * السيرة العشرون. ٥٧٥
- * تولى الليث ابن فضل على مصر من قبل الرشيد بدلاً من
- اسماعيل ابن عيسى. ٦١٧
- المخطوط: (٤٩) مرقس: ٧٩٩ / ٨١٩ م. ٦٢٣
- هامش جانبي: * بقايا اتباع «برستوفه». ٦٤٠
- هامش سفلى: * موقف المصريين من الحركات السياسية والدينية التي ظهرت في
- الخلافة. ٦٤٤
- هامش جانبي: * شيعة الابراهيميين في انطاكية. ٦٥٨
- * وفاة هارون الرشيد وقيام الصراع بين ولديه الأمين والمأمون. ٦٧٨
- * اضطراب الاحوال في مصر وانقسامها بين أيدي المتمردين على
- الخلافة. ٦٧٩
- * عبدالعزيز الجروى يستقل بشرق الدلتا. والسرى ابن الحكم
- ينفرد بالصعيد وقبيلتى غم وجذام تحتلان غرب الدلتا
- والاسكندرية ومربوط. ٦٨٠
- * غزو الاندلسيون للأسكندرية واستقرارهم بها. ٦٨٢
- * انتقال البطرك والبطركية إلى «نبرو» هروباً من الاندلسيون في
- الاسكندرية. ٦٩٤
- المخطوط: (٥٠) ابا يعقوب: ٨١٩ / ٨٣٠ م. ٧٠٩
- هامش سفلى: * خروج الاندلسيون من الاسكندرية بعد حوالى اثنى عشر عاماً
- وذهابهم إلى اقريطش (كريت). ٧٢٠
- هامش جانبي: * الوالى الجروى يحتكر الاموال والغلال ويرفع اسعارها. ٧٤٢
- * تولى عبدالله ابن طاهر على مصر من قبل المأمون. ٧٦٢
- المخطوط: (٥١) سيمون: ٨٣٠ م. ٧٨٦
- (٥٢) يوساب: ٨٣٠ / ٨٤٩ م السيرة ٢١.

- هامش جانبي: * تعددت في ايامه ثورات البشمور في شمال الدلتا بسبب
 ٧٨٦ مخالفة العباسيون لوعودهم لهم.
- هامش سفلى: * مصريو النوبة عبر التاريخ. ٨٢٢
 هامش جانبي: * رأى ساويرس في المأمون. ٨٢٣
 * المأمون يرسل البطرك يوساب والبطرك ديونوسيوس لتحذير
 ٨٢٥ البشمور من بطشه وقوته.
- * البشمور يرفضون وساطة البطركين ويستمرروا في المقاومة. ٨٢٦
 * المأمون يعيد تجميع جيوشه للقضاء على البشمور. ٨٢٧
 * الافشين التركي يبدأ في اضطهاد البطرك يوساب. ٨٣٥
 * حول نهاية البشمور. ٨٤٣
 * تولى على ابن يحيى الارمني مصر من قبل اشناس وزير
 المعتصم الذي كان يتصرف في أمور الخلافة دون الرجوع
 لأحد. ٨٧٨
 * تولى هارون ابن جعفر الملقب بالوائق الخلافة. ٩٣٣
 هامش سفلى: * ملاحق خاصة بمصريو النوبة. ١٠٤٨
 ١- نقش الملك سلكو. ١٠٤٨
 ٢- فردوس النعيم. ١٠٥١
 ٣- الوثائق الدالة على استقرار البليميين في منطقة طيبة. ١٠٥٦
 ٤- نقش دندور. ١٠٥٨
 ٥- عهد عمرو ابن العاص لأهل مصر. ١٠٦٠
 ٦- عهد عبدالله ابن سعد لعظيم النوبة. ١٠٦١
 ٧- البقط حسبما ورد في كتب المؤلفين العرب. ١٠٦٢
 ٨- هجرة القبائل العربية إلى مصر ومنها للسودان. ١٠٦٤
 ٩- عهد عبدالله بن الجهم لكونون عظيم البجة. ١٠٦٧
 ١٠- مناجم الذهب والزمرد باوطان البجة. ١٠٦٩
 ١١- شراء العرب أراض بالنوبة. ١٠٧١

- هامش سفلى: ١٢- التجاء قلول الأمويين للنوبة وبلاد البجة..... ١٠٧٢
- ١٣- رسالة ملك الحبشة إلى جورج ملك النوبة..... ١٠٧٣
- ١٤- اليمين التى حلف عليها مشكد ملك النوبة للظاهر بيبرس... ١٠٧٤
- ١٥- اليمين التى حلف عليها النوبيين للظاهر بيبرس..... ١٠٧٥
- ١٦- حملة السلطان الناصر قلاوون على العربان فى شمال السودان..... ١٠٧٦
- ١٧- المكاتبه إلى من جرت العاده بالمكاتبه اليهم من العرب..... ١٠٨٠
- ١٨- الممالك والمشيوخ المتحالفة مع الفونج فى القرن ١٦ م..... ١٠٨١
- قائمة باسمااء ملوك النوبة الشمالية..... ١٠٨٢
- ملاحق: * مطالعات فى الفكر الاسلامى من العصرين الأموى والعباسى. - ١٠٨٤
- * العصبية العربية فى مواجهة المصريين..... ١٢١٨
- * علم الانساب العربية..... ١٢٣٢

المصادر والمراجع

- ١- الاسقف ايسدورس: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة. القاهرة. د. ت.
- ٢- ايريس حبيب المصرى: قصة الكنيسة المصرية. القاهرة. ١٩٦٩.
- ٣- د. سيد أحمد على الناصرى: الروم والمشرق العربى.
مركز النشر بجامعة القاهرة. القاهرة ١٩٩٣.
- ٤- محمد مختار باشا: التوفيقات الإلهامية.
المؤسسة العربية للدراسات والنشر. (القاهرة ١٩٨٠).
- ٥- محمد ابن يوسف الكندى: ولاية مصر.
تحقيق: د. حسين نصار.
الهيئة العامة لقصور الثقافة.
سلسلة الدخائر رقم ٦٦. القاهرة ٢٠٠١.
- ٦- د. مصطفى محمد سعد: الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى.
مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة ١٩٦٠.

هذه الموسوعة

مبدئياً علينا أن نؤمن بأن هناك ما يسمى بالقوة الطليعية التي قادت البشرية نحو التطور والتقدم . فعندما نرى المصريين وقد تحولوا إلى أمة متحدة تقيم الدولة الواحدة لأول مرة في التاريخ ،بمؤسساتها المتعددة والقوانين التي تنظم علاقاتها الاجتماعية ، وما تمارسه فيها اللغة والكتابة كوظيفة كبرى. فحين ذاك يبدأ تاريخ البشرية الذي صنعه المصريون منذ آلاف السنين على ضفاف نيلهم ،وسجلوه كتابة ورسمًا ونحتًا على جدران عمائرهم ومسلاتهم وأهراماتهم ولوراق البردي فأمكننا بذلك معرفة أين بدأ البشرية تاريخها ومن الذي صنعه.

ولكن عندما قسم تاريخ أمتنا المصرية إلى بطلمي وروماني وأموي وعباسي وفاطمي وأيوبي ومملوكي وعثماني .. إلخ قام بعض المرتزقة والمنتفعين بنهب هذه الأقسام وافتعلوا بينها تناقضات وصراعات . ولم يعد في ذهنهم أن هناك تاريخاً طويلاً متواصلاً لأمتنا المصرية يمتد لآلاف السنين نفتخر به وليس لنا سواه.

إلى جانب هؤلاء المرتزقة كان هناك كتابات تاريخية أدركت أن تاريخ المصريين ووطنهم الأم نسيج واحد ينساب عبر التاريخ منجزاً أعظم حضارات البشر ،دون أي تقسيمات أو فواصل ،من هذه الكتابات الأثرية مخطوطتنا « تاريخ البطارقة » الذي رصد أول فترة من تاريخ المصريين تمتد لعشرين قرناً، من بدايات القرن الأول الميلادي وحتى بدايات القرن العشرين .

يرصد فيه العديد من أحداثنا التاريخية التي لم ترد في مخطوطاتنا التراثية المعروفة ، ننشره هنا كاملاً ومحققاً.

وقد استكملت في موسوعتنا هذه أحداث القرن العشرين حتى نهايته، وزودته بالملاحق العديدة وأضفت (من الكتب التراثية) متابعات موازية للأحداث الواردة بالمخطوط من أجل المقارنة والدراسة ، إلى جانب العديد من اللوحات والخرائط لنستكمل بها رؤية تاريخنا .

عبد العزيز جمال الدين

مكتبة مدبولي MADBULI BOOKSHOP

6 Talat Harb SQ. Cairo Tel : 5756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ١١٥١١١٩٩

مكتبة مدبولي